

(هذا)

كتاب الحيوان لأبي عثمان بن بحر

الملاحظ البصرى المتوفى سنة

مائتين وخمسة وخمسين

رحمه الله تعالى

آمين

طبع على نفقة الحاج محمد الساسى المغربى تاجر بالنجاهين بمصر

(طبع بالمطبعة الحميدية المصرية الكائنة بشارع الحلوجى بجوار

الرياض الازهرية سنة ١٣٢٣ هجرية)

فهرست

﴿ الجزء الأول من كتاب الحيوان ﴾

	صفحة
خطبة الكتاب وفيها أكثر أسماء مؤلفات الجاحظ	٢
مطاب في أخذ البرىء بذب المذب	٩
» تقسيم العالم الى ثلاثة أقسام وذكر أقسام الحيوان	١٣
» في أقسام البيان	١٧
فقرات حسان في مدح الكتاب	١٩
مطاب في الخط في الارض عند التفكير وما قيل في ذلك من الاشعار	٣٣
» » الخط ومقدار الحاجة اليه	٣٥
» » تاريخ الشعر قبل الاسلام وبيان ان فضيلته مقصورة على العرب	٣٧
رجع القول الى الترغيب في اصطناع الكتاب	٤٢
باب ذكر ما يترى الانسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء	٤٨
كلام في خصاء البهائم وسرد كيفيانه	٥٩
مطاب في أن الخصى أطول عمراً من الفحل	٦١
» » الكلام على الخصاء من الوجهة الشرعية	٦١
رجع القول الى ذكر محاسن الخصى ومساويه	٧
باب آخر وما يدعو الى الفساد	٧٩
ذكر ما جاء في خصاء الدواب	٨٠
باب ما ذكره صاحب الديك من ذم الكلاب وتمداد أصناف مماثها	٩٠
ذكر ماورد من الاشعار في ذم الكلاب	٩٦
باب ذكر من هيج بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس	٩٧

صيفه

- ١٣٥ جملة في ذم الكلاب
١٤١ ماورد من الآثار في قتل الكلاب
١٤٤ فيما ورد من الامر بقتل الديكة والذبي عن اتخاذ الدجاج
١٥١ احتجاج صاحب الكلاب للكلاب
١٨٤ كلام في مثالب الديكة

﴿ تم الفهرست ﴾

في ذم الكلاب
في ذم الكلاب
في ذم الكلاب
في ذم الكلاب
في ذم الكلاب
في ذم الكلاب

وانى لم اصل الى تفضيل العدنانية الا بتقيص القحطانية وعبتى بكتاب العرب والموالي
 وزعمت انى بنحست الموالى حقوقهم كما انى اعطيت العرب ما ليس لهم وعبتى بكتاب
 العرب والعجم وزعمت ان القول فى فرق ما بين العرب والعجم هو القول فى فرق
 ما بين الموالى والعرب ونسبتنى الى التكرار والترداد والى التكثير والجيل بما فى المعاد
 من الخطل وحمل الناس المؤن وعبتى بكتاب الاصنام ويذكر اعتلالات الهند لما
 وسبب عبادة العرب اياها وكيف اختلفنا فى جهة العلة مع اتفاهه ما على جملة الديانة
 وكيف صار عبادة البدنة والتمسكون بعبادة الاوثان المنحوتة والاصنام المنجورة أشد
 الديانين فالما دانوا به وسغفنا لما تعبدوا له وأظهرهم ^{حقها} وأشدهم على من خالفهم
 ضغنا وبما دانوا ضنا وما الفرق بين البد والوثن وما الفرق بين الوثن والصنم وما
 الفرق بين الدمية والجثة ولم صوروا فى محاريبهم وبيوت عباداتهم صور عظامهم
 ورجال دعوتهم ولم تأتقوا فى التصوير وتجودوا فى اقامة التركيب وبالغوا فى التحسين
 والتفخيم وكيف كانت أولية تلك العبادات وكيف افتترقت تلك النجلى ومن أى شكل
 كانت خدع تلك السدنة وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عددا وكيف شمل ذلك
 المذهب الاجناس المختلفة وعبتى بكتاب المعادن والقول فى جواهر الارض وفى
 اختلاف اجناس الفلز والاخبار عن ذائبها وجامدها ومخلوقها ومصنوعها وكيف يسرع
 الانقلاب الى بعضها ويبطىء عن بعضها وكيف صار بمض الالوان يصبغ ولا يصبغ
 وبعضها يصبغ ولا يصبغ وبعضها يصبغ وينصبغ وما القول فى الاكسير والتلطيف
 وعبتى بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس وكتاب فرق ما بين الجن والانس وفرق
 ما بين الملائكة والجن وكيف القول فى استيلاء العفرية على سليمان وفى الهدهد وفى
 الذى كان عنده علم من الكتاب وما الذى هو ذلك العلم وما تاويل قولهم كان وعبتى
 بكتاب الأوقات والرياضات وما القول فى الارزاق والانفاقات وكيف تجود التجار
 الحرفاء وكيف الاحتيال للودائع وبكل ما كتبت الى اخوانى وخطائى من مزح
 وجد ومن افصاح وتعريض ومن تغافل وتوقيف ومن هجاء لا يزال ميسره باقيا

النسب

٩

عيسى بن ابي
عبد الوهاب بن ابي
الاسود بن ربيعة

١٤

ع
الانوار

٢٠
المدار

٢٤

٢٨

٣٢

٣٦

٤٠

٤٤

ومدح لا يزال أثره ناميا ومن ملاح تضحك ومواعظ تبكي وعبثي برسائل الهاشميات
 واحتجاجي فيها واستقصائي ممانيتها وتصويري لها في أحسن صورة واضطهاري لها في
 أتم حلية وزعمت اني قد خرجت بذلك من حد المعتزلة الى حد الزيدية ومن حد
 الاعتزان في التشيع والاقتصاد فيه الى حد السرف والافراط فيه وزعمت ان مقالة
 الزيدية خطيئة مقالة الرافضية وان مقالة الرافضة خطيئة مقالة الغالية وزعمت ان في
 أصل القضية والذي جرت عليه المادة ان كل كبير فأوله صغير وان كل كبير فانما هو
 قليل جمع قليل وأنشدت قول الراجز

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الافيل * وسحق النخل من القليل
 وأنشدت قول الشاعر

رب كبير هاجه صغير * وفي البحور تفرق البحور

وقلت وقال يزيد بن الحكم

فاعلم بني فانه * بالعلم ينتفع العليم ان الامور دقيقتها * مما يهيج له العظيم
 وقت وقال الآخر

صار جدا ما مزحت به * رب جد ساقه الارب

وأنشدت قول الآخر وهو قول عنزة (١)

ما تنظرون بحق وردة فيكم * تقضى (٢) الامور ورهط وردة غيب
 فديمث الامر الكبير صغير * حتى تظلم له الدماء تصب

وقالت كبشة بنت معدي كرب

جد عم بعبد الله آتاف قومه * بني مازن ان سب راعي الخزم

وقال الآخر اية نار قدح القادح * وأي جد بلغ المازح

وتقول العصى من العصية ولا تلد الحية الاحيية وعبت كتابي في خلق القرآن

كما عبت كتابي في الرد على المشبهة وعبت في القول في أصول الفتيا والاحكام كما عبت

(١) والعباب ان اليتيم الطرفة وهما من جملة أبيات في ديوانه (٢) ورواية الشنمري صغر البنون

الشد بر الجوار

السفس، در النور

البحر من تنوع
 النحلة الصغيرة

من البرر سب

العباب
 النور
 وهو ان ك

كتابي في الاحتجاج انظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه وعبت معارضة
 للزيدية وتفضيل الاعتزال على كل نحلة كما عبث كتابي في الوعد والوعيد وكتابي على
 النصراني واليهودي ثم عبث جملة كتابي في المعرفة والتمست تهجينها بكل حيلة
 وصغرت من شأنها وحططت من قدرها واعترضت على ناسخها والمنتمين بها فعبث
 كتاب الجوابات وكتاب المسائل وكتاب اصحاب الاطام وكتاب الحجة في ثبوت
 النبوة وكتاب الاخبار ثم عبث انكارى بصيرة غنام المرتد وبصيرة كل جاحد وماجد
 وتفريق بين اعتراض القمر وبين استبصار المحق وعبث كتاب الرد على الجهمية في
 الادراك وفي قولهم في الجهات وكتاب فرق ما بين النبي والتمني والفرق ما بين خليل
 والمخارق وبين الحقائق الظاهرة والاعلام الباصرة ثم قصدت الى كتابي هذا بتصغير
 لقدره وتهجين لنظامه والاعتماد على لفظه والتحقيق لمعانيه فزريت على نخته وسبكه
 كما زريت على معناه ولفظه ثم طعنت في الغرض الذي اليه نزعتنا والغاية التي اليها قصدنا
 على انه كتاب معناه انه من اسمه وحقيقته آتق من لفظه وهو كتاب يحتاج اليه
 المتوسط العامي كما يحتاج اليه الخاص ويحتاج اليه الرخيص كما يحتاج اليه خاذق أما
 الرخيص فالتعلم والدربة والترتيب والرياضة وللمتربن وتمكين العادة اذ كان جليسه
 يتقدم دقيقه واذ كانت مقدماته مرتبة وطبقات معانيه منزلة وأما الخاذق فلكنفاية
 المؤنة لان كل من التقط كتابا جامعا وبابا من أمهات العلم مجموعا كان له غنمه وعلى
 مؤلفه غرمة وكان له نفعه وعلى صاحبه كد مع تعرضه لمطاعن البغاة ولا اعتراض
 المنافسين ومع عرضه عقله المكدود على القول الفارغة ومعانيه على جهابذة وتحكيمه
 فيه المتأولين والحسدة ومتى ظفر بثله صاحب علم أو هجم عليه طاب فقه وهو وداع
 زافة ونشيط جام ومؤلفه متعب مكدود فقد كفى مؤونة جمعه وخزنه وطلبه وتبعه
 واغناه ذلك عن طول التفكير واستنفاد العمر وفن الحد وأدرك أقصى حاجته وهو
 مجتمع القوة وعلى ان له عند ذلك ان يجعل هجومه عليه من التوفيق وضمرد به بابا
 من التمسيد وهذا كتاب تسوي فيه رغبة الامم وتشابه فيه العرب والعجم

الرد على

معارضة

معارضة

معارضة

معارضة

معارضة

معارضة

لانه وان كان عمر يا اعرايا واسلاميا جماعيا فقد أخذ من طرف النلسفة وجمع معرفة
 السماع وعلم التجربة وأشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة واحساس
 الغريزة ويشتميه الفتيان كاشتميه الشيوخ ويشتميه الفاتك كما يشتميه الناس ويشتميه
 اللاعب ذو اللهو كما يشتميه الجسد ذو الخزم ويشتميه الغنبل كما يشتميه الارباب
 ويشتميه الغبي كما يشتميه النطن وعبتي بحكاية سرفول العثمانية والضرارية كما سمعتني
 أقول في أول كتابي وقالت العثمانية الضرارية كما سمعتني أقول قالت الراضة والزيدية
 فحكمت على بالنصب لحكايتي فهلا حكمت على بالنشيع لحكايتي وهلا كنت عندك
 من الغالية لحكايتي حجج الغالية كما كنت عندك من الناصبة لحكايتي قول الناصبة وقد
 حكينا في كتابنا قول الاباضية والصنيرية كما حكينا قول الازارقة والزيدية وعلى هذه
 الاركان الاربعة بنيت الخارجية وكل اسم سواها فالتما هو فرع ونتيجة واشتقاق منها
 ومحمول عليها والا كنا عندك من الخارجية كما صرنا عندك من الضرارية والناصبة
 فكيف رضيت بان تكون أسرع من الشيعة أسرع الى اعراض الناس من الخارجية
 اللهم الان تكون وجدت حكايتي عن العثمانية والضرارية أشبع وأجمع وأتم وأجود
 وعبتي بكتاب العباسية فهلا عبتي بحكاية مقالة من أبي وجوب الإمامة ومن يرى
 الامتناع من طاعة الائمة الذين زعموا ان ترك الناس سدى بلا قيم أرد عليهم وهملا
 بالاراع اربح لهم وأجدر ان يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل وغنيمة الآجل وان
 تركهم نشرًا لانظام ايم ابعدهم من المناسد وأجمع لهم على ان ارشد بل ليس ذلك بك
 ولكنه بهرك ما سمعت وملا صدرك الذي قرأت وأبملك وأبطرك فلم تتجه للحجة
 وهي لامعوضة ولم تعرف المقابل وهي لا بادية ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب
 المدخل ولم تعرف المعاد اذ جهلت الموارد رأيت ان سب الاولياء أشقى لدائك
 وأبلغ في شفاء سقمك ورأيت ان ارسال اللسان أحضر لذة وأبعد من النصب ومن
 اطالة النكرة ومن الاختلاف الى أرباب هذه الصنائة ولو كنت فطنت لعجزك
 وصلت نقصك بتمام غيرك واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك وحبس

ط
سنة
الاعراب

الاعراب
مبصر

ش
ل
ب
ن
و
سنة

سنة

سنة

سنة
سنة

على تقويم اشباهك كان ذلك أزين في العاجل وأحق بالمشوبة في الآجل وكنت ان
أخطأتك الغنيمة لم تخطك السلامة وقد سلم عليك المخالف بقدر ما ابتلى منك الموافق
وعلى انه لم يبتل منك الا بقدر ما ألزمته من مؤنة تثمينك والتشاغل بتقويمك وهل
كنت في ذلك الا كما قال العربي هل يضر السحاب نبج الكلاب والا كما قال لشاعر
هل يضر البحر أمسى زاخرا * ان رمى فيه غلام بحجر

وهل حالنا في ذلك الا كما قال الشاعر

ماضر تغلب وائل أهجوتها * أم بلت حيث تناطح البحران

وكما قال حسان بن ثابت

ما أبالي أنب بالحنن تيس * أم الحاني بظهور غيب لئيم

وما أشك انك قد جعلت طول اعراضنا عنك مطية لك ووجهت حامنا عنك

الى الخوف منك وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم يرحق الصفيح فجعل العنوة

سببا الى سوء القول فان عدت والله الذي فوق عرشه * منحتك مصقول الغرارين أزرقا

فان من الجهل ان تضرب الطلي وان تلمس العريضة حتى يفرقا وقال الاول

وضغائن داويتها بضغائن * حتى شفيت وبالحق ودحتودا

وقال الآخر

وما تعى عنك قوما أنت خائفهم * كمثل رقماك جهالا بجهال

فأقعس اذا حربوا واحرب اذا قعسوا * ووازن الشر مثقالا بمثقال

فانا وان لم يكن عندنا اسنان زفر بن الحارث ولا معارضة هؤلاء الشر بالشر

والجهل بالجهل والحمد بالحمد فان عندي ما قال المسعودي

فمسا تراب الارض منه خلقها * وفيه المعاد والمصير الى الحشر

ولا تأنفا ان ترجعا فتسلما * فما كسى (١) الافوا شر من الكبر

فلوشئت أولى فيكم ما غير واحد * علانية أو قال عندي في السر (٢)

البحر
الغرارين
الزفر

البحر
الظهير

فان انا لم آمر ولم أنه عنكما * ضحكت له كيما يلح ويستشمرى

وقال النمر بن تواب

جزى الله عنى حمزة بنه نوفل * جزاء مقل بالامانة كاذب

بما خبرت عنى الوشاة ليكذبوا * على وقد اويتها فى النواب

يقول أخرجت خبرها فخرج من أحب ان يما ب عندها ولو شئت ان تعارضك
لعارضناك فى القول بما هو أقبح أرا وأبقي وسما وأصدق قبلا وأعدل شاهدا وليس
كل من ترك المعارضة فقد صنف كما انه ايس من عارض فقد اتصرت وقد قال الشاعر
قولا ان فيهمته فقد كفتينا مؤونة المعارضة وكفيت نفسك لزوم العار وهو قوله

ان كنت لا ترهب ذمى لما * تعرف من صنفى عن الجاهل

فاخش سكوتى اذا ناهى نصت * فيك لمسمع خنا القائل

فلسامع الذم شريك له * ومطعم المأكول كالأكل

مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منجدر سائل

ومن دعى الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

فلا تهيج ان كنت ذا اربة * حرب أخى التجربة العاقل

فان ذا العقل اذا هجته * هجت به ذا خبل خابل

تبصر فى عاجل شدته * عليك غب الضرر الآجل

وقديتان ان العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم وقد قال الشاعر

والعفو عند ايب القوم وعظة * وبعضه لسفيه القوم تدرىب

فانا كنا أسأنا فى هذا التقرىب والتوقىف فالذى لم يأخذ فىنا بحكم القرآن ولا بأدب

الرسول عليه الصلاة والسلام ولم ينزع الى ما فى التطن الصحيحة والى ما توجه

المقاييس المطردة والامثال المضروبة والاشعار السائرة أولى بالاساءة وأحق باللائمة

قال الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر أخرى وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لا تجن

بينك على شمالك وهذا حكم الله تعالى وآداب رسوله والذي انزل به الكتاب ودل

عليه من حجج العقول فأما ما قالوا في المثل المضروب وقول الشعراء وذم الخطباء لمن أخذ انساناً بذنب غيره وما ضربوا في ذلك من الامثال كقول النابغة حيث يقول

في شعره ﴿ شعر ﴾

وكلفتني ذنب امرئ وتركته * كذي العري يكون غيرده وهو رافع
وكانوا اذا اصاب ابلهم العر كواوا السليم ليدفعه عن السقيم فاسقموا الصحيح
من غير ان يبرؤا السقيم وكانوا اذا كثرت ابل ائدهم فبلغت الالف فقتلوا عين الفحل
فان زادت الابل على الالف فقتلوا العين الاخرى وذلك المفق والمعى اللذان
سمعت في اشعارهم قال الفرزدق * غلبتك بالمفق والمعى وبيت المجتبي والخافقات *
وكانوا يقولون في موضع الكفارة والامنية كقول الرجل اذا بلغت ابل كذا وكذا
وكذلك غنى ذبحت عند الاوثان كذا وكذا عتيرة والعتيرة من نسك الرجبية والجمع
عتائر والعتائر من الظباء فاذا بلغت ابل ائدهم او غنمه ذلك العدد استعمل التأويل
وقال ائما قلت انى اذبح كذا وكذا شاة والظباء شاء كما ان الغنم شاء فيجعل ذلك
القربان شاء كله مما يصيد من الظباء فالذالك يقول الحارث بن حلزة اليشكري
عتنا باطلا وظلما كما تـ... تر عن حجرة الريبض الظباء

بعد ان قال

أم علينا جناح كندة ان يفسم غازيهم ومنا الجزاء
وكانوا اذا اوردوا البقر فلم تشرب اما الكدر الماء اولقلة العطش ضربوا الثور
ليقتحم الماء لائن البقر تتبمه كما تتبع الشول الفحل وكما تتبع ائن الوحش الحمار فقال
في ذلك عوض بن الجزع

تمنت طيء جهلا وجبنا * وقد خاليتهم فأبوا خلاني
هجوني ان هجوت جبال سامي * كضرب الثور للبقر الظماء
وقال في ذلك أنس بن مدرك في قتله سليك بن السليكة
انى وقتلى سليكا ثم أعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر

نفت للمرء اذنيك حليلته * وان يشد على وجعائها الثغر

وقال الهيثان النعمي

كحاضرب اليمسوب ان عاف باقر * وما ذنبه ان عافت الماء باقر

ولما كان الثور أمير البقر وهي تطيعه كطاعة اناث النحل لليمسوب سماه باسم
أمير النحل وكانوا يزعمون ان الجن هي التي تصد الثيران عن الماء حتى تمسك البقر
عن الشرب حتى تهلك وقال في ذلك الاعمشى

فاني وما كلفتموني وربكم * لا اعلم من أمسى أعتق واحربا

اكا لثور والجنى يضرب ظهره * وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

وما ذنبه ان عافت الماء باقر * وما ان تعاف الماء الا يضربا

كانه قل اذا كان يضرب أبدا لانها عافت الماء فكانها انما عافت الماء ايضرب

وقال يحيى بن منصور الذهلي في ذلك

اكا لثور والجنى يضرب وجهه * وما ذنبه ان كانت الجن ظالمه

وقال نهشل بن حري

أترك عارض وبنو عدي * وتغرم درم وهم براء

كدأب الثور يضرب بالبراري * اذا ما عافت البقر الظماء

وكيف تكلف الشعري سهيلا * وبينها الكواكب والسماء

وقال أبو نويرة بن الحصين حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العطارف

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي * ونصحي اذن هاديتني بالمحاق

ولاساق سرف المرءة صالح * بني ولا كلفت ذنب المطارق

وقال خراش بن زهير حين أخذ بذنب بن محارب

أكلف قتلى مشر است منهم * ولادارهم داري ولانصرهم نصرى

أكلف قتل العيص عيس شواهط * وذلك أمر لا يكلف له قدرى

* وقال الآخري *

إذا عركت عجل بناذنب طيبى * عر كنا بريم اللات ذنب بنى عجل
ولما وجد اليهودي أبا حنبل الضبابى فى منزله فخصاه فمات وأخذ حنبل
بنى عبس بجماعة اليهودى قال قيس بن زهير أتأخذنا بذنب غيرنا وتسالنا العقل
والقاتل يهودى من أهل تيماء فقال والله ان لوقتته هيف الريح لود يتهود فقال قيس
لبنى عبس الموت فى بنى ذبيان خير من الحياة فى بنى عامر ثم أنشأ يقول

أكلف ذا لحميين ان كان ظالما * وان كنت مظلوما وان كنت شاطنا

خصاه امرؤ من آل تيماء طائر * ولا يعدم الاذى والجن كائنا

فهلا بنى ذبيان أمك هابل * رهنت بهيف الريح ان كنت راهنا

اذاقت قدأفت من شر حنبل * أتانى بأخرى شره متباطنا

فقد جمعت اكبادنا تجتويكم * كما تجتوي سوق العضاة الكرازنا

ولما قتل لقمان بن عاد ابنته وهى صحر اخت اقيم قال حين قتلها الست امرأة
وذلك انه قد كان تزوج عدة نساء كلهن خنه فى أنفسهن فلما قتل أخراهن ونزل من
الجبيل كان أول من تلقاه صحر ابنته فوثب عليها فقتلها وقال وأنت أيضا امرأة وكان
قد ابتلى بأن أخته كانت حممة وكذلك كان زوجها فقالت لاحدى نساء لقمان هذه
ليلة طهرى وهى ليلتك فدعيني أنام فى هضجك فان لقمان رجل منجب فعسى ان يقع

علي فأنجب فوقع على أخته فحملت بلقيم فهو قول النمر بن توبل

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وإبنا

ليالى حمق فاستحصنت * عليه فعر به مظلم

فأحبها رجل محكم (٢) * فجمأت به رجلا محكما

فضربت العرب فى ذلك المثل بقتل لقمان ابنته صحر ا فقال خفاف بن ندبة

فى ذلك وعياش يدب لى المنايا * وما أذنب الاذنب صحر

وقال فى ذلك ابن أذينة

أتجمع تهيأما بليلي اذا نأت * وهجرانها ظلما كما ظلمت صحرا
وقال الحارث بن عباد

قربا مربط النعامه منى * لفتح حرب وائل عن حبال
لم أكن من جناتها علم الله وانى بجرها اليوم صال
وقال الشاعر وأظنه ابن المقفع

فلا تلم المرء في شأنه * فرب ملوم ولم يذنب

وقال آخر

لعل له عذرا وأنت تلوم * وكم لاثم قد لام وهو ملوم

وقال بعض العرب في قتل بعض الملوك لسنمار الرومي فانه لما علا الخورنق
ورأى بنيانا لم يرمثه ورأى في ذلك المستشرف وخاف ان هو استبته ان يموت
فبني مثل ذلك البنيان لرجل آخر من الملوك رمى به من فوق القصر فقال في ذلك
الكافي في شيء كان بينه وبين بعض الملوك

جزاني جزاء الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان سبهم حجة * يعل عليه بالقراميد والسكب

فلما رأى البنيان تم سجوته * وأض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب

وظن سنمار به كل حبة * وفاز لديه بالمودة والقرب

فقال اذنفوا بالملح من رأس شاهق * فذلك لعمركم من أعظم الخطب

وجاء المسامون يروى خلف عن سلف وتابعد عن سابق وآخر عن أول انهم لم يختلفوا في

عيب قول زياد لا خذن الولي بالولي والسعي بالسعي والجار بالجار ولم يختلفوا في امن

شاعرهم حيث يقول

اذا أخذ البريء بفير ذنب * تجنب ما يحاذره السقيم

قل وقيل لعمرو بن عبيد ان فلانا لما قدم رجلا ليضرب عنقه فقيل له انه

مجنون فقال لولا ان المجنون ياد عاقلا لحايت سبيله قال فقال عمر وما خلق الله النار

الا بالحق ولما قالت التعلبية للجحاف في وقعة البسر فرض الله فاك وأعمالك وأطال سهادك
 وأقل رقادك فوالله أن قتلت الانساء اعاليهن ثدى واسافلهن دمي فقال لمن حوله لولا
 ان تد هذه مثلها خلّيت سبيلها فبإغ ذلك الحسن فقال اما الجحاف فجدوة من نار جهنم
 قال وذم رجل عند الاحنف بن قيس الكفاءة بالاسمن فقال عند ذلك الاحنف رب
 مذموم لا ذنب له فبهذه السيرة سرت فينا وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن
 وان امرء أمسى وأصبح سالما * من الناس الاماجني لسعيد

وقلت وما بال أهل السلم والنظر وأصحاب النكر والعبير وأرباب النحل والعلماة
 وأهل البصر بمخارج الملل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والملاحاة
 وكتب الفراغ والخلعاء وكتب الملاهي والتمكاهات وكتب أصحاب الخصومات
 وكتب أصحاب المرء وكتب أصحاب العصبية وحمية الجاهلية لا هم لا يحاسبون
 أنفسهم ولا يوازنون بن ما عليهم ولهم ولا يخافون تصفح العلماء ولائمة الادباء وشنف
 الاكفء وشناة الجلساء فهلا أمسكت يرحمك الله عن عيها والظعن عليها وعن المشورة
 والموعظة وعن تخويف مافي سوء العاقبة الى ان تبلغ حال العلماء ومراتب الاكفء
 فاما كتابنا هذا فسنذكر جملة المذاهب فيه وسنأتي على التفسير ولعل رأيك عند ذلك
 ان يتحول وقولك ان يتبدل فتثبت أو تكون قد أخذت من التوقف بنصيب وأقول
 إن العالم بمافي من الاجسام على ثلاثة انحاء متفق ومختلف ومتضاد وكلها في جملة
 القول جماد ونام وكان حقيقة القول في الاجسام من هذدالقسمة ان يقال نام وغير نام
 ولوان الحكماء وضعوا الكل مالم ليس بنام اسما كما وضعوا للناس اسما لا تبعنا أثرهم
 وانما ننتهي الى حيث انتهوا وما أكثر ماتكون دلالة قولهم جماد كدلالة قولهم موات
 وقد يفترقان في مواضع بعض الاقتران واذا خرجت من العالم الافلاك والبروج
 والنجوم والشمس والقمر وجدتها غير نامية ولم تجدهم يسمون شيأ منها بجماد
 ولا موات وليس لانها تتحرك من تلقاء نفسها لم تسم مواتا ولا جمادا وناس يجعلونها
 مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة ويجعلونها احياء من الحيوان

مذموم
 شنف
 الظرفاء
 كفاءة
 المشورة
 الموعظة
 العاقبة
 التفسير
 التوقف
 بنصيب
 موات
 جماد
 الافلاك
 البروج
 النجوم
 الشمس
 القمر
 نامية
 مواتا
 جمادا
 احياء
 الحيوان

فكان حيواناً نوحى بحياته اليه وبناعه عليه واميرد واما عند منبه رتى ولامه في
 عند نه على خلافهم ونحن في هذا الموضوع قد ابرعن لغتنا وناس في لغتنا لا مذكرنا
 وناس يسون لارض جهاد ورتا بجمونها موتا ذ كانت ثابت قديمه وهي موت
 لارض وذلك كتوفه من حيا رت مو فيهي به وعه لاجهون ما، والنار والخبوء
 حمد ولامو ولايسونها حيوم سادمت كذلك ون كانت لا اضاف الى الماء والحس
 و لارض هي احد الاركان لاربعة التي هي الماء، والارض، والهواء، والنار ولاسمان
 لايته ورن عندهم لا لارض ثم ندى على قسمين حيون ونبات وحيون على
 ربة فدم شى، يثى، وشى، يثى وشى، يثى وشى، يسبح وشى، ينسح لان كل ضار يثى
 وليس شى يثى ولا يثى يثى ضار والنوع الذي يثى على ربة فدم ناس وبهاثم
 وسبع وحشرات على ان الحشرات رجة في المعنى الى مثا ككة صباع البهاثم والسباع
 لا تد في شدا كيه مع لاسه، النارفة لمروفة لبيات بالفسها لتميزت عند
 سمعها من أهل عند لغة وأصحب عند لسان واما يفردهما فردو ويجمع ما جمعوا
 واطير كل سبع وبهيمة وهامج والسباع من طير على ضربين فمنها العتق ولاحرار
 وجوارح ومنها البعث وهو كل ما عظم من الطير سبعة كان وبهيمة ذ ما يكن من
 ذوات السلاح ونجاب معتقة كالاسور وازخه والغربان وما شبهها من الثام السباع
 ثم حشاش وهو مصف حرمه وصافر شخصه وكان عليه السلاح كالزرق واليويو
 وادع رده، يجمع قبس من الطير ولكنه مما بطير والماج فيما بطير كالحشرات
 فيما يثى وطيوت من حشرات وهي سبع دخل في معنى السبعية من الافاعي
 وشعير، ولكن بس ذوات من اسمائها ون كانت من ذوات لايب واكلة للحوم
 وعند لاس وجميع البهاثم وملكها، كها، لاوكل وخنزير والقنفذ والغربان
 والشاهمرك وسدير وغير ذلك من البهاثم والسبع فمن جعل حيات سباعا وسمائها
 بذلك عند بعض اقوال والسبب فقد أصاب ومن جعل ذلك لها كلاس الذي هو
 العلامة كالكب واسب ولاسد فقد أخطأ ومن سباع الطير شكل يكون سلاحه

المخالب كالعقب وما أشبهها وشي، يكون سلاحه المشفير كالسور ووزجه والغرين
وانما جعلناها - باعتبارها - كآفة خوم ومن به اسم الطير، يكون سلاحه مشفير كالكركي و...
أشبهها ومنه ما يكون سلاحه لاسنان كابور وعضو ضوم، شبيه ومنه ما يكون سلاحه
الصياحي كالديكة ومنه ما يكون سلاحه سح كالجاري والشعب وسبع من الطير، كل محم
خالصا والهيمة ما كانت لحب خالص وفي الفن ندي بجمعيه من خلق المركب وتجمع مشترك
كلام سأنى عليه في موضعه ان شاء الله تعالى ومشارك عندهم كاعتقود انه ليس
بذي مخالب معنف ولا منسر وهو ينطق حب وهو مع هذا يصيد النحل ذا صدر
ويصيد الجرذ وما كل لحم ولا يرق فرخه كما نرى في قوامه من يفتد كما تنفع اللب
من الطير فرخها وشبهه بعضا من مشترك كثير وسند ذكر ذلك في موضعه
ان شاء الله تعالى وليس كل من طار بجناحين فهو من الطير فانه بعض الجائون وحسن
واليعاسيب والذباب وثرثير وجرذ ونمل والقرش والبعوض والارضة والنحل
وغير ذلك ولا يسمى بالطير وقد نقل ذلك في عند المذكر والسبب وقد يسمى
الديجاج طيرا ولا يسمى بذلك جرذ وجرذ طير ونمل مطروب به أشهر
والملائكة تطير ولها أجنحة وليست من الطير وجعفر بن أبي سائب ذو جناحين بقدر
يسما في الجنة حيث شاء وليس جعفر من الطير وسمه صارت يقع على ثلاثة أشياء
صورة وطبيعة وجناح وليس ريش وتعوده ولا بهرهم وخوفي يسمى صائر
لأبدمه كاستفظ ذلك عنه لأتري ان خدش ووعوط من طير وان كان من طير
س لهما ريش ولا زغب ولا ذكبر ولا نقب وهما مشهوران بحسن وولادة
بالرضاع ويظهر حجم لاذن وكثرة لاسنان ونعمه ذات ريش ومظهر وبعض
جناحين وليست من الطير وليس أيضا كل عامه سمكة وان كان من سمك سمك
كثير من معانيه الأتري ان في سمكة ماء وغرسة، وخضيرة ماء، وبيه ريش
لسنفاة وفيه الضفدع وفيه السراة وتبين ^{البيس} والشمع وندخس والمخين والمخ
تالي وغير ذلك من الاصناف والكوسج والمخجونس والكوسج المعروف

وعامة ذاب عيش في الماء ويبيت خارجا من الماء ويبيض في الشط ويبيض بيضه
صفرة وقيض وغرقى وهو مع ذلك مما يكون في الماء مع السمك ثم لا يخرج الحيوان
بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم كذلك يقال في الجملة كما يقال الصامت لما
لا يصنع صمما قط ولا يجوز عليه خلافه والناطق لما لم يتكلم قط فيحملون ما يرغون
ويثغون وينطقون ويصهل ويشحج ويخور ويغغم ويعوي وينبج ويذوق ويضغو ويهدر
ويصفر ويصوصي ويقوقى وينعب ويزار ويترب ويكش ويعج وعلى نطق الانسان
ذا جمع يعضه على بعض ولذلك أشباه كالتذكور والاناث اذا اجتمعوا وكالعير التي
تسمى اطيمة وكالظمن فان هذه الاشياء اذا وجدت بعضها الى بعض أو أخذ بعضها من
صوت لا يفهم ارادته الا ما كان من جنسه ولعمري ان التعميم عن الفرس والحمار
والكباب والسنور والبعير كثيرا من ارادته وحوالجه وتصوره كما نفهم ارادة الصبي
في مهدده ونفهمه وهو من جليل العلم ان بكاء يدل على خلاف ما يدل عليه ضحكه
ومن حممة الفرس عند رؤية النحل على خلاف ما يدل عليه حممته عند رؤية الحجر
ودعاء الهرة المهر خلاف دعائها الولدها وهذا كثير والانسان فصيح وان عبر عن نفسه
بالفارسية او بالهندية او بالرومية وليس العربي اسوء فهما الطامطة الرومي لبيان لسان
العربي فكل انسان من هذا الوجه يقال له فصيح فاذا قالوا فصيح واعجم فهذا هو
التأويل في قواهم اعجم واذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح واعجم فليس هذا
المعنى يريدون انما يقولون انه لا يتكلم بالعربية وان العرب لا تفهم عنه وقال كثير
فبورك ما اعطى ابن ليلى بانية * وصامت ما اعطى ابن ليلى وناطقه
ويقال جاء بما كسأى وصمت فالصامت مثل الذهب والفضة وقوله كسأى يعني
الحيوان كله ومعاد نطق وسكت فالصامت في كل شئ سوي الحيوان ووجدنا
كون العالم بما فيه حكمة ووجدنا الحكمة على ضربين شئ جعل حكمة وهو لا يعقل
الحكمة ولا عاقبة الحكمة وشئ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة

الشيء
الذي
لا يخرج
من
الحيوان
الذي
لا يخرج
من
الحيوان
الذي
لا يخرج
من
الحيوان
الذي
لا يخرج
من
الحيوان

الحجر المسمى بالفرس
المحصار

7

فأستوي بذلك الشيء العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة واختلافنا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل والآخر دليل يستدل فبكل مستدل دليل وايس كل دليل مستدلا فشارك كل حيوان سوى الانسان جميع الجماد في الدلالة وفي عدم الاستدلال وسموا ذلك بيانا واجتمع للانسان بان كان دليلا مستدلا ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجود استدلاله ووجود ما نتج له الاستدلال وسموا ذلك بيانا وجعل البيان على أربعة أقسام لفظا وخط وعقد وإشارة وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكنه المستدل من نفسه واقتياده فبكل فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان وحتى من الدلالة واودع من عجيب الحكمة فالاجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحة الشهادة على ان الذي فيها من التدبير والحكمة مخبران استخبره وناطق لمن استنطقه كما خبر الوزال وكسوف اللون عن سوء المال وكما ينطق السم وحسن النظر عن حسن الحال وقد قال الشاعر

فما جوا فائنوا بالذي انت اهله * ولو سكتوا اثنتا عنيك الحقايب

﴿وقال آخر﴾

متى تك في عدوا وصديق * تخبرك العيون عن القلوب

وقد قال العكلى في صدق شم الذئب وفي شدة حسه واسترواحه

يستخبى الريح اذا لم يسمع * به مثل مقراع الصفا الموقع

وقال عترة وهو يصف نعيب غراب

خرق الجناح كان لحي رأسه * جالمان بالاخبار هش مولع

وقال الفضل بن عيسى بن ابان في قصصه

سل الارض فقل من شق انهارك * وغرس اشجارك وجنى ثمارك

فان لم تجيبك حوارا اجابتك اعتبارا فموضوع الجسم ونصبته دليل على ما فيه

وداعية اليه ومهيبة عليه فالجماد الايكم الاخرس من هذا الوجه قد شارك في البيان

الانسان الى الناطق ومن جعل اقسام البيان خمسة فقد ذهب ايضا مذمها له جواز

في اللغة وشاهد في العقل فهذا حد قسمي الحكمة واهد معني ما استخزنهما الله تعالى من الوديمة والتسمة الاخرى ما وودع صدور صنوف سائر الحيوان من ضروب المعارف وفطرها عليه من غريب اهدايات وسخر حناجرهاله من ضرب النغم الموزونة والاصوات المعنزة والمخارج الشجية والاغاني المطربة فقد يقال ان جميع اصواتها معدلة وموزونة وموقعة ثم الذي سهل لهما من الرفق العجيب في الصنعة مما ذلله الله تعالى لمناقيرها واكثفها وكيف فتوح لهما من باب المعرفة على قدر ماهيا لها من الآلة وكيف اعطى كثيرا منها من الحس اللطيف والصنعة البديعة من غير تأديب وتثقيف ومن غير نفوهم وتلقين وعن غير تدريج وتمرين فبلغت بعنفوها وبمقدار قوي فطرتها من البديهة والارتجال ومن الابتداء والاقضاب ما لا يتقدر عليه حذاق رجال الرأي وفلاسفة علماء البشر يريد ولا آلة بل لا يبلغ ذلك من الناس اكمالهم خصالا واهتمامهم خلالات لا من جهة الاقضاب والارتجال ولا من جهة التمسف والاقضاب ولا من جهة التقدم فيه والتأني فيه والتأني له والترتيب لمقدماته وتمكين الاسباب المعينة عليه فصار جملة الانسان الثاقب الحس الجامع القوي المتصرف في الوجوه المتقدم في الامور يعجز عن غزو كثير منها وهو ينظر الى ضروب ما يحيى منها كما اعطيت العنكبوت وكما اعطيت السرفة وكما علم النحل بل وعرف التنوط من بديع المعرفة ومن غريب الصنعة في غير ذلك من اصناف الخلق ثم لم يوجد لهم العجز في انفسهم في اكثر ذلك الا بما قوى عليه المميج والخشاش وصغار الحشرات ليعلم الانسان ان ذا العقل والتمكين والاستطاعة والتصريف وذا التكلف والتجربة وذا التأني والمنافسة وصاحب الفهم والسابقة والمتبصر شان العاقبة متى احسن شيئا كان كل شيء دونه في الغموض عليه اسهل وجعل سائر الحيوان وان كان يحسن احدها ما لا يحسن احدثق الناس متى احسن شيئا عجيبا لم يتمكنه ان يحسن ما هو اقرب منه في الظن واسهل منه في الرأي بل لا يحسن ما هو اقرب منه في الحقيقة فلا الانسان جعل نفسه كذلك ولا شيء من الحيوان اختار ذلك فاحسنت هذه الاجناس بلا تعلم ما يمنع

على الانسان وان تعلم فصار لا يحاوله اذ كان لا يطعم فيه ولا يحسد اذ لا يؤمل
للحاق بهائم جعل تعالى وعزها تين الحكمتين بازاء عيون الناظرين وتجاه اسماع
المعتبرين ثم حث على التفكير والاعتبار وعلى الاتعاظ والازدجار وعلى التعرف والتبين
وعلى التوقف والتذكر فجعلها مذكرة منبهة وجعل النكر يذم في الخواطر وتجول
بأهلها في المذاهب ذلك اللرب العالمين فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا كتاب
موعظة وتعریف وتفقه وتنبیه وأراك قد عبته قبل ان تقف على حدوده وتتفكر في
فصوله وتتفكر آخره بأوله ومصادره بموارده وقد غلطك فيه بعض مارأيت من مزح
لم تعرف معناه ومن بطالة لم تطالع على غورها ولم تدر لم اجتابت ولا لأى علة تكلمت
وأى شىء أرى بها ولا أى جد احتمل ذلك الهزل ولا أى رياضة تجسست تلك البطالة
ولم تدر ان المزاح جدا اذا اجتلب ليكون علة للجد وان البطالة وقار ورزاة اذا تكلفت
لتلك العاقبة ولما قال الخليل بن احمد لا يصل احد من علم النجوالى ما يحتاج اليه حتى يتعلم
مالا يحتاج اليه قال ابو شمر اذا كان لا يتوصل الى ما يحتاج اليه الا بما لا يحتاج اليه
فقد صار مالا يحتاج اليه يحتاج اليه وذلك مثل كتابنا هذا لانه ان حملنا جميع
من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مر الحق وصعوبة الجد وثقل المؤونة وحماية
الوقار لم يصبر عليه مع طوله الا من تجرد العلم وفهم معناه وذاق من ثمرته واستشعر
قلبه من عزه ونال سروره على حسب ما يورث الملل من الكد والكثرة من السآمة
وما أكثر من يقاد الى حظه بالواجب وبالسوق العنيف وبالاخافة الشديدة ثم
لم ارك رضيت بالطعن على كل كتاب لى بعينه حتى تجاوزت ذلك الى ان عبت
وضع الكتب كيف مادارت بها الحال وكيف تصرف بها الوجوه وقد كنت اعجب
من عيبك البعض بلا علم حتى عبت الكل بلا علم ثم تجاوزت ذلك الى التشنيع
ثم تجاوزت ذلك الى نصب الحرب فعبت الكتاب ونعم الذخر والمعقدة هو ونعم
الجليس والعدة ونعم النشرة والنزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الايس لساعة لو حدة
ونعم المعرفة ببلاد الغربية ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب وعاء

ملىء علما وظرف حثي ظرفا وانا شجن مزاحا وجدا ان شئت كان أبين من
سجبان وائل وان شئت كان أعيا من باقل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت
عجبت من غرائب فرائده وان شئت الهبتك طرائفه وان شئت أشجبتك مواعظه
ومن لك بواعظ مله وبزاجر مفر وبناسك فاتك وبناطق أخرس وبيارد حار وفي
البارد الحار يقول الحسن بن هاني

قل لزهرير اذا انتحى لشداء * أقلل أو أكثر فانت مهذار
سختت من شدة البرودة حتى * صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي * كذلك الثلج بارد حار

ومن لك بطيب اعرابي ومن لك برومي هندي وبفارس يوناني وبقديم مولد
وبعيت ممتنع ومن لك بشيء يجمع لك الاول والآخر والناقص والوافر والخفي والظاهر
والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده
(وبعد) فمتى رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تقاب في حجر وناطقا ينطق عن
الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بتونس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بآهوى
آمن من الارض واكرم للسر من صاحب السر واحفظ للوديعه من ارباب الوديعه
واحفظ لما استخفظ من الآدميين ومن الاعراب المتعربين بل من الصبيان قبل
اعتراض الاشتغال ومن العميان قبل التمتع بتميز الاشخاص حين العناية تامه لم تنقص
والاذهان فارغة لم تنقسم والارادة وامره لم تشعب والطينه لينه فهى اقبل ما تكون
للطبايع والتفضيب رطب فهو اقرب ما يكون من العلق حين هذه الخصال لم يخلق
جديدها ولم يوهن غربها ولم تفرق قواها وكانت كما قال الشاعر

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قابا خاليا فتمكنا

وقال نميرة بن الطيب

لاتأمنوا قوما يشب صبيهم * بين التوابل بالعداوة ينشع

ومن كلامهم التعلم في الصفر كالنقش في الحجر وقد قل جران العود

كوحى فى الحجارة أو وشوم * بأيدي الروم باقية النور
وقال آخر وهو صالح بن عبد القدوس

وان من أدبته فى الصبي * كالعود يستقي الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا * بمد الذى قد كان فى يسه

﴿ وقال آخر ﴾

يقوم من ميل الغلام المؤدب * ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

﴿ وقال آخر ﴾

وتلوم عرسك بعمده اهرمت * ومن العناء رياضة المرم

وقد قال ذو الرومة لعيسى بن عمرا كتب شـري فالكاتب أحب الى من
الخط لان الاعرابى ينسى الكامة قد سهر فى طلبها لئانه فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها
ثم ينشدها الناس والكاتب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام وعبت الكتاب ولا أعلم جار
أبر ولا خيطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية ولا أقل
جناية ولا أقل املالا وباراما ولا احفل أخلاقا ولا أقل خلافا واجراما ولا أقل غيبة
ولا أبعد من عضيهة ولا أكثر اعجوبة وتصرفا ولا أقل تصلنا وتكلفنا ولا أبعد من
مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد فى جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعلم
قرينا أحسن موافاة ولا أعجل مكافاة ولا أحضر معونة ولا أخف مؤونة ولا شجرة
أطول عمرا ولا أجمع أمرا ولا أطيب ثمرة ولا أقرب مجتبي ولا أسرع ادراكا ولا أوجد
فى كل ابان من كتاب ولا أعلم تناجا فى حدثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه
وامكان وجوده يجمع من التدابير العجبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة
ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمية
ومن الاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والأمثال السائرة والامم البائدة
ما يجمع لك الكتاب قال الله عز وجل انبيه عليه الصلاة والسلام اقرأ وربك الأكرم
الذى علم بالقلم فوصف نفسه تبارك وتعالى بان علم بالقلم كما وصف

نفسه بالكرم واعتد بذلك في نعمه العظام وفي ايديه الجسام وقد قالوا القلم أحد
المساكين وقالوا كل من عرف النعمة في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان
القلم اعرف ثم جعل هذا الامر قرآنا ثم جعله في اول التنزيل ومستفتح الكتاب ثم
اعلم رحمك الله تعالى ان حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة في طبائعهم وخالقة
قائمة في جواهرهم وثابتة لا تزال بينهم ومحيطة بجماعتهم ومشملة على ادانهم واقصاهم
وحاجتهم الى ما غاب عنهم مما يعيشهم ويحييهم ويمسك بارماقهم ويصلح بالهم ويجمع
شملهم والى التعاون في درك ذلك والتوازر عليه كحاجتهم الى التعاون على معرفة
ما يضرهم والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق بأمرهم التي لم تنب عنهم فحاجة
الغائب موصولة بحاجة الشاهد لاحتياج الأدنى الى معرفة الأقصى واحتياج الأقصى الى
معرفة الأدنى مما ان متضمنة واسباب متصلة وحبال منعقدة وجمل حاجتنا الى معرفة
اخبار من كان قبانا كحاجة من يكون بعدنا الى اخبارنا ولذلك تقدمت في كتب
الله تعالى البشارات بالرسول ولم يسخر لهم جميع خلقه الا وهم يحتاجون الى الارتفاق
بجميع خلقه وجمل الحاجة حاجتين احدهما قوام وقوت والاخرى لذة وامتناع
وازدياد في الآلة وفي كل ما اجذل النفوس وجمع لهم المعتادو ذلك المقدر من جميع
المصنفين وفق اشكثرة حاجاتهم وشهواتهم وعلى قدر اتساع معرفتهم وبعد غورهم
وعلى قدر اعتماد طبع البشرية وفطرة الانسانية ثم لم يقطع الزيادة الا لعجز خلقهم عن
احتمالها ولم يجزان يفرق بينهم وبين العجز لا بعدم الاعيان اذا كان العجز صفة من
صفات الخلق ولعنا من نعمت العبيد لم يخاق الله تعالى احدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه
دون الاستمارة بيمض من سخر له فادانهم مسخر لاقصاهم واجلهم ليسر لادقهم
وعلى ذلك احوج الموك الى السوق في باب واحوج السوق الى الموك في باب وكذلك
الغنى والفقر والعبد وسيد ثم جعل الله تعالى كل شي للانسان خولا وفي يده مد
الامير اما بالاحتيال له والتلطف في ارادته واستمائه واما بالصولة عليه والتمك
به واما ان ياتيه سهوا ورهوا على ان الانسان لولا حاجته اليها لما احتال لها ولاصال

عليها الا ان الحاجة تفرق في الجنس والجهة والجهة وفي الخط والتقدير ثم تعبد الانسان بالتفكر فيها والنظر في امورها والاعتبار بما يري ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة وتلك الحاجات اللازمة بالنظر والتفكير وانتقب والتنقيب والتثبت والتوقف ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم اليها وتشاعرهم بمواقع الحكم فيها بالبيان عنها وهو البيان الذي جعله الله تعالى سببا فيما بينهم ومعبرا عن حقائق حاجاتهم ومعرفة للمواقع سد الخلة ورفع الشبهة ومداواه الخيرة ولان اكثر الناس عن الناس افهم منهم عن الاشباح المائلة والاجسام الجامدة والاجرام الساكنة التي لا يعرف ما فيها من رقائق الحكمة وكنوز الادب وينابيع العلم الا بالعقل الثاقب اللطيف وبالنظر التام النافذ وبالاداة الكاملة وبالاسباب الوافرة والصبر على مكره الفكر والاختراس من وجوه الخدع والتحفظ من دواعي العوي ولان الشكل افهم عن شكله واسكن اليه واصب به وذلك موجود في اجناس البهائم وضروب السباع والصبى عن الصبي افهم له وله آلف واليه انزع وكذلك العالم والعالم والجاهل والجاهل وقال الله عز وجل لنبية عليه الصلاة والسلام ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لان الانسان عن الانسان افهم وطبائه بطبائه آنس وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه ثم لم يرض لهم من البيان بصنف واحد بل جمع ذلك ولم يفرق وكثير ولم يقلل واظهروا ولم يخف وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون معانيهم والترجمان الذي اليه يرجعون عند اختلافهم في اربعة اشياء وفي خصلة خامسة وان نقصت عن بلوغ هذه الاربعة في جهاتهم فقد تبدل بجنسها الذي وضعت له وصرفت اليه وهذه الخصال هي اللفظ والخط والاشارة والعقد والخصلة الخامسة ما اوجد من صحة الدلالة وصدق الشهادة ووضوح البرهان في الاجرام الجامدة والصامتة والساكنة التي لا تبتين ولا تحس ولا تفهم ولا تتحرك الا بداخل يدخل علمها او عند ممسك خلى عنها بعد كان تقييده لها ثم قسم الاقسام ورتب المحسوسات وحصل الموجودات فجعل اللفظ للسامع وجعل الاشارة للناظر واشرك الناظر والامس في معرفة العقد الا بما فضل الله به

نصيب المناظر في ذلك على قدر نصيب اللامس وجعل الخط دليلا على ما غاب من حرجه عنه وسببا موصولا بينه وبين اعوانه وجعله خازنا لما لا يامن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه واتقنه وجمعه وتكاف الاحاطة به ولم يجمل للشام ولذائق نصيبا ولولا خطوط الهند اضاع من الحساب الكثير البسيط ونباطت معرفة التضاعيف ولعمدوا الاحاطة بالباورات وباورات الباورات ولو اذكروا ذلك لما اذكروه الا بعد تداخ المأونة ومنتقض المنة ولصاروا في حال معجزة وحسور الى حال مضية وكلال مد مع التشاغل بأموار لولا فقد هذه الدلالة لكان أربح لهم وارد عليهم ان يصرف ذلك الشغل في أبواب منافع الدين والدنيا وتنع الحساب معلوم والخلة في موضع فقده معروفة قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الاذان علمه البيان ثم قال والشمس والقمر بحسبان وبإيمان عرف الناس القرآن وقال الله تبارك وتعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فاجرى الحساب مجرى البيان بالقرآن وبحسبان منازل القمر عرفنا حالات المد والجزر وكيف تكون الزيادة في الالهة وانصاف الشهور وكيف يكون القصان في خلال ذلك وكيف تلك المراتب وتلك الاقدار ولولا الكتب المدونة والاخبار المتخلدة والحكم المخطوطة التي تحسن الحساب وغير الحساب لبطل أكثر العلم وانما سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكروا ولو تم ذلك لحرمتنا أكثر النفع اذ كنا قد علمنا ان مقدار حفظ الاسعواجل حاجاتهم وأوائها لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ولا يعني فيه غنا محمود ولو كانت عامة من يطاب العلم ويصطنع الكتب لا يزال حافظا لتبرسة كتبه لا عجزه ذلك وانكاف شططا ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به وفهمك لمعاني كلام الناس ينقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجردا و بعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملك والمعاون لك ما كان صياحا صرفا وصوتا مصمتا ونداء خالصا ولا يكون ذلك الا وهو بعيد من المناهضة وعطل من الدلالة فجعل الخط لامرأى الحاجات والصوت لامرأى من تلك قائلها والكتاب لامرأى من الحاجات

فاما الاشارة فاقرب المفهوم منها رفع الحواجب وكسر الاجفان ولى الشفاه وتحريك الاعناق وقبض جلدة الوجه وأبعدها ان تلوي بثوب على مقطع جبل تجاه عين الناظر ثم ينقطع عملها ويدرس أثرها ويموت ذكرها ويصير بعد كل شيء فضل عن انتهاء مدى الصوت ومنتهي الطرف الى الحاجة والى التناهم بالخطوط والكتب فإى نفع أعظم وأى مرفق أعون من الخط والحال فيه كما ذكرنا وليس للمتد حظ الاشارة فى بعد الغاية فلذلك وضع الله عز وجل القلم فى المكان الرفيع ونوه بذكره فى المنصب الشريف حين قال ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ فَاقْسِمُ بِالْقَلَمِ كَمَا أَقْسَمُ بِمَا يَخْتِ بِالقَلَمِ اذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ولا يشق غباره ولا يجرى فى حابته ولا يتكاف غايته لكن لما ان كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجتهم فى سائر الاماكن وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة دائمة واكدة وراهنة ثابتة وكانت الحاجة الى بيان القلم أمرا يكون فى الغيبة وعند النائية الا ما خست به الدواوين فان لسان القلم هناك أبسط وأثره أعم فلذلك قدموا اللسان على القلم فاللسان الآن انما هو فى منافع اليد والمرافق التى فيها والحاجات التى تبلغها فمن ذلك حظها وقسطها من منافع الاشارة ثم نصبها فى تقويم القلم ثم خطها فى التصوير ثم خطها فى الصناعات ثم خطها فى العمدة ثم خطها فى الدفع عن النفس ثم خطها فى إيصال الطعام والشراب الى الفم ثم التوضؤ والتمسح ثم انتقاد الدنانير والدراهم ولبس الثياب وفى الدفع عن النفس أصناف الرمي وأصناف الضرب وأصناف الطعن ثم النقر بالعود وتحريك الوتر ولولا ذلك لبطل الضرب كله أو عامته وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضرب الطبل والدف وتحريك الصفاقتين وتحريك مخارق خروق المزامير وما فى ذلك من الاطلاق والحبس ولولم يكن فى اليد الا امسك العنان والزمام والخطام لكان من أعظم الحظوظ وقد اضطر بوا فى الحكم بين العمدة والاشارة ولولا ان مغزانا فى هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما أحب ان يعرفه اخواننا وخطاؤنا فلا ينبغي لنا أيضا ان نأخذ فى هذا الباب من الكلام الا بعد الفراغ مما هو أولى بنا منه اذ كنت

لم تنازعني ولم تعب كتبي من طريق فضل ما بين العقد والاشارة ولا في تمييز ما بين
 للفظ وبينهما وانما قصدنا بكلامنا الى الاخبار عن فضيله الكتاب والكتاب هو
 الذي يودى الى الناس كتب الدين وحساب الدواوين مع خذنة نقله وصغر حجمه
 صامت ما أسكته وبلغ ما استنطقته ومن لك تسامر لا يتدبرك في حال شغلك
 ويدعوك في اوقات نشاطك ولا يحوجك الى التجمل له والندم منه ومن لك بزائر
 ان شئت جعل زيارته غيا ووروده خمسا وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك مكان
 بعضك وان لم مكتف بنفسه لا يحتاج الى ما عند غيره ولا بد لبيان اللسان من أمور
 منها اشارة اليد ولولا الاشارة لما فهموا عن خاص الخاص اذا كان أخص الخاص قد
 يدخل في باب العام الا انه أدنى طبقته وليس يكتفى خاص بالانظر عما أداه كما
 اكتفى عام العام والطبقات التي بينه وبين أخص الخاص والكتاب هو الجليس
 الذي لا يطربك والصديق الذي لا يفرقك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي
 لا يشترىك والجار الذي لا يستبطنك والاصحاب الذي لا يريد استخراج ما عندك
 بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالثفاق ولا يخال لك بالكذب والكتاب هو
 الذي ان نظرت فيه أطال امتاعك وشحد طباعك وبسط اسنانك وجود بيانك
 وفخم الفاظك ونجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصدقة الملوك
 وعرفت به في شهر مالا تعرفه من أفواه الرجال في دهر مع السلامة من الغرم ومن
 كد الطالب ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم ومن الجلوس بين يدي من أنت
 أفضل منه خلقا وأكرم منه عرقا ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الاغبياء
 والكتاب هو الذي يطعمك بالليل كطاعته النهار ويطعمك في السفر كطاعته في الحضر
 ولا يعتل بنوم ولا يعتربه كلال السهر وهو المعلم الذي ان افتقرت اليه لم يخفرك وان
 قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ربح
 أعاديك لم ينقلب عليك ومتى كنت منه متعلقا بسبب أو معتصما بأدنى حبل كان لك
 وبه غنى من غيره ولم يضطرك وحشة الوحدة الى جابس السوء ولو لم يكن من فضله

تسليم
 من
 من

مصحح

أستاذ طب
 من
 من

مصحح

مصحح

مصحح

١

٢

مصحح
 من
 من

عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع
ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر ومن عادة المارص ومن
ملازمة صفار الناس وحضور الماظم الساقطة ومعانيهم الناسدة وأخلافهم الردية
وجمالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة واحراز الاصل مع استفادة
الفرع ولولم يكن في ذلك الا انه يشغلك عن سُخْفُ المنى وعن اعتياد الراحة وعن
اللعب وكل ما أشبه اللعب لكان على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنة وقد علمنا ان
أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الضكاهات ساعات ايهم الكتاب وهو
الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروءة ولا
في صون عرض ولا في اصلاح دين ولا في تشهير مال ولا في رب صنيعه ولا في
ابتداء انعام وقال أبو عبيدة قل المهلب لبنيه في وصيته يا بني لا تقوموا في الاسواق
الا على زراد او وراق وحدثني صديق لي قال قرأت على شيخ شامي كتابا فيه
من ما أثر غطفان فقال ذهب المكارم الا من الكتب وسمعت أبا الحسن اللؤلؤي يقول
غبرت أربعة بين عام ما قلت ولا بيت الا والكتاب موضوع على صدرى وقال ابن
الجهم اذا غشيتي النعاس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة
قال فاذا اعتراني ذلك تناوت كتابا من كتب الحكم فأجدهن زازي للنوائد والارحة
التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز
التبدين أشد ايقاظا من نهيق الحمير وهدة الهدم وقال ابن الجهم اذا استجذنت
الكتاب واستجدته ورجوت منه الفائدة ورأيت ذلك فيه فلو تراني وأما ساعة بعد
ساعة أنظر كم بقي من ورقه مخافة استفادته وانقطاع المادة من قلبه وان كان المصحف
عظيم الحجم كثير الورق كثير العدد فقد تم عيشي وكل سروري وذكر العتي كتابا
لبعض القدماء فقال لولا طولها وكثرة ورقه لنسخته فقال ابن الجهم لكى ما رغبتني
فيه الا الذي زهدك فيه وما قرأت قط كتابا كبيرا فأخلاني من فائدة وما أحصى
كم قرأت من صفار الكتب فخرجت منها كما دخلت وقال العتي ذات يوم لابن

بارئهم بالسر
يا خي

سرايا
الزوار
بائع الكتب
تاريخ في التاريخ
أخبار مشاهير

الزوار
أخبار مشاهير

الزوار
أخبار مشاهير
عبد المسيح
عبد المسيح
عبد المسيح

الجهل ألا تعجب من فلان نظر في كتاب الافلديس مع جارية سلموية في يوم واحد وساعة واحدة فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة على انه حر مخير وثلاث امة مقصورة وهو احرص على قراءة الكتاب من سلموية على تعليم جارية قال ابن الجهم قد كنت اظن انه لم يفهم منه شكلا واحدا واراك تزعم انه قد فرغ من مقاله قال العتيبي وكيف ظننت به هذا الظن وهو رجل ذولسان وأدب قال لاني سمعته يقول لابنه كم أنفقت على كتاب كذا قال أنفقت عليه كذا انما رغبتني في العلم اني ظننت اني أنفق عليه قليلا وأكتسب كثيرا فاما اذا صرفت أنفق الكثير وليس في يدي الا المواعيد فاني لا أريد العلم بشيء فالانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ولا بد من ان تكون كتبه أكثر من سماعه ولا يعلم ولا يجمع العلم ولا يختلف حتى يكون الاتفاق عليه من ماله الذعنده من الاتفاق من مال عدوه ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب الذعنده من عشق التيمان وانفاق المستهزين بالبيان لم يبلغ في العلم مبلغا رضيا وليس ينتفع بانفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب ايثار الاعرابي فرسه باللبن على عياله وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل الاعرابي في فرسه وقال ابراهيم بن السندي مرة وددت ان الزنادقة لو يكونوا حرصا على المعالمة بالورق النقي الابيض وعلى تحلل الحبر الاسود المشرق البراق وعلى استجدادة الخط والارغاب لمن يخط فاني لم أء كورق كتبهم ورقا ولا كالخطوط التي فيها خطا واذا غرمت الا عظيما مع حبي للمال وبعض الغرم كان سخاء النفس بالاتفاق على الكتب دليلا على تعظيم العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات قلت لابراهيم ان اتفاق الزنادقة على تحصيل الكتب كاتفاق النصارى على البيع ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة وكتب مقاييس وسنن نبين وتبين اولو كانت كتبهم كتب تعرف الناس ابواب الصناعات او سبل التكسب والتجارات او كتب ارتفاعات ورياضات او بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والآداب وان كان ذلك لا يقرب من غنى ولا يبعد من مائمه لكانوا ممن قد يجوز ان يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في

١ -

٢ -

٣ -

التبيين والكنههم ذهبوا فيها مذهب الديانة على طريق تعظيم الملة فانما نناقشهم في ذلك
 كاتفاق المجوس على بيت النار وكاتفاق النصارى على صلبان الذهب أو كاتفاق الهند
 على سدنة البددة ولو كانوا أرادوا العلم لكان العلم لهم مُعْرَضاً وكتب الحكمة لهم
 مبدولة والطرق إليها سهلة معروفة فما بالهم لا يصنعون ذلك إلا يكتب ديانتهم كما
 يزخرف النصارى بيوت عباداتهم ولو كان هذا المعنى مستحسننا عند المسامحة أو كانوا
 يرون ان ذلك داعية الى العبادة وبعثة على الخشوع لبلغوا في ذلك بغنوههم ما لا تبلغه
 النصارى بغاية الجهد وقد رأيت مسجد دمشق حين استجاز هذا السبيل ملك من
 ملوكها ومن رآه فقد علم ان احدا لا يرومه وان الروم لا تسخروا انفسهم به فلما قام عمر
 ابن عبد العزيز جلله بالجلال وغطاه بالكراميس وطبخ سلاسل التناديل حتى ذهب
 عنها ذلك التلاؤ والبريق وذهب الى ان ذلك الضمير بجانب السنة الاسلام وان
 ذلك الحسن الرائع والمحاسن الدقاق مذهلة للتأوب ومشغلة دون الخشوع وان الهال
 لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفرقه ويعترض عليه والذي يدل على ما قلنا انه ليس في
 كتبهم مثل سائر ولا خبر طريف ولا صنعة ادب ولا حكمة غريبة ولا فلسفة ولا
 مسألة كلامية ولا تعريف صناعة ولا استخراج آلة ولا تعامير فلاحية ولا تدبير حرب
 ولا منازعة عن دين ولا منازعة عن نحلة وجل ما فيها ذكر النور والظلمة وتناكح الشياطين
 وتسافد العفاريت وذكر الصنديد والتهويل بعود الصبح والاخبار عن شقيلون وعن
 الهامة وهذروعي وخرافة وسخرية وتكذب لا ترى فيه موعظة حسنة ولا حديثا
 موثقا ولا تدبير معاش ولا سياسة عاقلة ولا ترتيبا خاصا له فأي كتاب جهل وي
 تدبير افسد من كتاب يوجب على الناس الاطاعة والتخرج بالديانة على جبهة
 الاستبصار والمحبة وليس فيه صلاح معاش ولا تصحيح دين وناس لا يحبون لاديننا
 او دنيا فاما الدنيا فاقامة سوقها واستمالة الخاصة ان يصور في صورة منالطة ويعود تمويه
 الدنيا والبحرج والدرهم الذي لا يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقة التميل فليس نقاشهم
 عليها من حيث ظننت وكل دين يكون اظهر فسادا احتاج من الترفيع وتمويه ومن

مستحسن

الكراميس

مهم

بينة

الاحتشاد له والتغليط فيه الى اكثر وقد علمنا ان النصرانية اشد انتشارا من اليهودية
تبعدا فعلى حسب ذلك يكون تزبدتهم في توكيده واحتفالهم في اظهار تعاليمه وقال
بعضهم كنت عند بعض العلماء فكنت اكتب عنه بعضا وادع بمضافات لي اكتب
كل ما تسمع فان مكان ما تسمع اسود خبير من مكان ايض وقال الخليل بن احمد
تكثرت من العلم لتعرف وتقال منه لتجنظ وقال ابو اسحاق القليل والكثير للكتب
والقليل وحده لاصدر وانشد قول ابن يسير

ما لو اعى كل ما اسمع * واحنظ من ذلك ما اجمع
ولم استفد خير ما قد جمعت لقليل هو العالم المصقع
ولكن نفسى الى كل نو * ع من العلم تسمعه تنزع
فلا انا احنظ ما قد جمعت ولا انا من جمعه اشبع
واحصر بالمي في مجلسي * وعلمى في الكتب مستودع
فمن يك في علمه هكذا * يكن دهره القهقري يرجع
اذما تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع

وقال ابن اسحاق كلف ابن يسير الكتب ما ليس عليهما ان الكتب لا تحي الموتى
ولا تحول الاحمق عاقلا ولا البليد ذكيا ولكن الطبيعة اذا كان فيها ادنى قبول
فالكتب تشحن وتنطق وترهف وتشفي ومن اراد ان يعلم كل شيء فينبغي لاهله ان
يدوود فان ذلك انما تصوره بشيء اعترافه من كان ذكيا حافظا فليقصد الى شيئين
والى ثلاثة اشياء ولا ينزع عن الدرر والمطارحة ولا يدع ان يمر على سمعه وعلى بصره
وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الاصناف فيكون عالما بخواص ويكون غير غفل من
سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ومن كان مع الدرر لا يحفظ شيئا الا انسى
ما هو اكثر منه فهو من الحنظ من افواه الرجال ابعد وحديثي موسى بن يحيى قال
ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدارسها كتاب الاوله ثلاث نسخ وقال ابو عمرو
ابن العلاء ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيتة ينظر في دفتر وجليسه

رسم
المعز
معا

فارغ اليد الا اعتقدت انه افضل منه وأعتقل وقال أبو عمرو بن العلاء قيل لنا يومان
 في دار فلان ناسا قد اجتمعوا على سوءة وهم جلوس على خيرة لهم وعندهم طنبور
 فتسورنا عليهم في جماعة من رجال الحى فاذا فتى جالس في وسط الدار وأصحابه حوله
 واذا هم بيض اللحا واذا هو يقرأ عليهم دفترافيه شعر فقال الذى سمى بهم السوءة في
 ذلك الببت وان دخلتموه عشرتم عليها فقلت والله لا أكشف فتى أصحابه شيوخ وفي
 يده دفتر علم ولو كان في نوبه دم يحيى بن زكرياء وأنشد رجل يونس النحوى
 استودع العلم قرطاسا فضيحه * فبئس مستودع العلم القراطيس

قال فقال يونس قائله الله ما أشد ضنائه بالعلم وأحسن صيائه له ان علمك من
 روحك ومالك من بدنك فضمه منك بمكان الروح وضع مالك بمكان البدن وقيل
 لابن داحة وأخرج كتاب أبى الشمقمق واذا هو في جلود كوفية ودقنين طائفتين
 بخط عجيب فليل له لقد اضئع من تجود بشعر أبى الشمقمق فقال لاجرهم والله ان
 العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ولو استطعت ان أودعه سويداء قباي أو أجمعه
 محفوظا على ناظرى لعمت ولقد دخلت على اسحاق بن سايما في امرته فرأيت
 السماطين والرجال مشولا كان على رؤسهم الطير ورأيت فرشته وبزته ثم دخلت عليه
 وهو معزول واذا هو في بيت كتبه وحواليه الاسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر
 والمخابر فما رأيت قط أفخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم لانه
 جمع مع المهابة المحبة ومع الفخامة الخلاوة ومع السودد الحكمة وقال ابن داحة كان
 عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس وينزل مقبرة
 من المقابر وكان لا يكاد يري الا وفي يده كتاب يقرأه فسئل عن ذلك وعن نزوله
 المقبرة فقال لم أرا وعظ من قبر ولا أمتع من كتاب ولا أسلم من الوحدة فقيل له
 قد جاء في الوحدة ما جاء فقال ما أفسدها للجاهل وضروب من الخطوط بعد ذلك
 تدل على قدر منفعة الخط قال الله تبارك وتعالى كراما كاتبين يعلمون ما تسعون وقال
 الله عز وجل في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة وقال فاما من أتى كتابه

سنيه وقال وأما من أوتي كتابه وراء ظهره وقال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
 عليك حسيبا ولو لم يتكلم أفعالهم الكائنات مخنونة لا يدخل ذلك الحفظ نسيان ولكنه
 تعالى وعز عم ن كتاب الخنونة ونسخته أوكد وأبلغ في الانذار والتحذير وأهيب في
 السدور وخط آخر وهو خط الحادي والقراف والزاجر وكان فيهم من جلس الخطاط
 لاسدي ولذلك قال شاعرهم في هجائهم ^{السنن} *سبوا البزعة من ربه*
 فاته عطاريط الخيس اذا غزوا * غناؤكم تلك الاخطيط في الترب
 وخطوط آخر تكون مستراحا للاسير والمهموم والمفكر كما يعترى المذكر من قرع
 السن والغضبان من تصنيق اليد وتجحيظ العين وقال تأبط شرا
 لتقرعن علي السن من ندم * اذا تذكرت يوما بعض أخلاقي
 وفي خط الحزين في الارض يقول ذو الرمة

أخبار
مفرد
مفرد
السنن
بطع

عشية مالي حيلة غير اني * بلنظ الحصى والخط في الدار ولع
 أخط وأعو الخط ثم أعيد * بكفي والغربان في الدار وقع
 وذكر النابغة صانع النساء وفزعهن الى ذلك اذا سبين واعتبرين وفكرن فقال
 ويخططن بالعيدان في كل منزل * ويخبآن رمان الثدي الزواهد
 وقد يفزع الى ذلك الخجل والتمثال كما يفزع اليه المهموم وهو قول القاسم بن أمية بن أبي الصلت
 لا ينكبون الارض عند سؤالهم * التماس العلات بالعيدان
 بل يبسطون وجوههم فترى لها * عند اللقاء كاحسن الالوان
 وقال حارث بن الكندي وذكر رجلا ساءه حاجة فاعتراه العيب باسنانه فقال
 وأض بكنه ختك ضرسا * يرينا انه وجع بضرس
 وربما عترى هؤلاء عند الحصى اذا كانوا في موضع حصى ولم يكونوا في موضع
 تراب وهو قول مربي القيس

السنن
خط
خط

فلات ردئي فوق رأبي قعدا أعد الحصى ما تنقضي حسراتي (١)

وقال أمية بن أبي الصات

نهرًا جاريا وبيتا عليا * يعترى المعتفين فضل نداكا
في تراخ من المكارم جزل * لم تلههم بلقط حصاكا

وقال الآخر وهو يصف امرأة قتل زوجها فهي محزونة تلقط الحصى
وبيضاء مكسال كأن وشاحها * على أم أحوى المقتاتين خذول

عقات لها من زوجها عدد الحصى * مع الصبح أوفى جنح كل أصيل

يقول لم أعطاها عقلا عن زوجها ولم أورثها الا اللهم الذي دعاها الى لقط الحصى

يخبر انه لمنعته لا يوصل منه الى عقل ولا قود ومما قالوا في الخط ما أنشدنا هشام بن محمد

ابن السائب الكلابي قال قال المقنع الكندي في قصيدة له مدح فيها الوليد بن يزيد

كالخط في كتف الغلام اجاده * بمراة واسد من اقلامه

قلم كخرطوم الحمامة مائل * مستحفظ للعلم من علامه

يسم الحروف اذا اشاء بناءها * لبيانها بالنقط من رارسامه

من صوفة نقت المداد سخامه * حتى تغير لونها بسخامه

يخفي فيقصم من شعيرة أنفه * كقلامة الاظفور من قلامه

وبأنفه شق تلام فاستوى * سقى المداد فزاد في تلامه

متعجم وهو الفصيح بكل ما * نطق اللسان به على استجمامه

وله ترجمة بالسنة لحم * تبيان ما يتلون من ترجمه

ماخط من شيء به كتابه * ما ان يوح به على استكتمه

وهجاؤه قاف ولا م بعدها * ميم معلقة باسفل لامه

ثم قال

قالت لجارتها الغزيرل اذا رأت * وجه المقنع من وراء ثامه

قد كان أبيض فاعتراه أدمة * فالعين تنكره من ادھيامه

كم من بوزل عامها مھرية * مرح الیدین ومن بوزل عامه

Handwritten marginal notes on the left side of the page, including phrases like "نهرًا جاريا", "بيتا عليا", "المعتفين فضل نداكا", "تراخ من المكارم جزل", "لم تلههم بلقط حصاكا", "محزونة تلقط الحصى", "وشاحها", "على أم أحوى المقتاتين خذول", "عقات لها من زوجها عدد الحصى", "مع الصبح أوفى جنح كل أصيل", "يقول لم أعطاها عقلا عن زوجها ولم أورثها الا اللهم الذي دعاها الى لقط الحصى", "يخبر انه لمنعته لا يوصل منه الى عقل ولا قود ومما قالوا في الخط ما أنشدنا هشام بن محمد", "ابن السائب الكلابي قال قال المقنع الكندي في قصيدة له مدح فيها الوليد بن يزيد", "كالخط في كتف الغلام اجاده", "بمراة واسد من اقلامه", "قلم كخرطوم الحمامة مائل", "مستحفظ للعلم من علامه", "يسم الحروف اذا اشاء بناءها", "لبيانها بالنقط من رارسامه", "من صوفة نقت المداد سخامه", "حتى تغير لونها بسخامه", "يخفي فيقصم من شعيرة أنفه", "كقلامة الاظفور من قلامه", "وبأنفه شق تلام فاستوى", "سقى المداد فزاد في تلامه", "متعجم وهو الفصيح بكل ما", "نطق اللسان به على استجمامه", "وله ترجمة بالسنة لحم", "تبيان ما يتلون من ترجمه", "ماخط من شيء به كتابه", "ما ان يوح به على استكتمه", "وهجاؤه قاف ولا م بعدها", "ميم معلقة باسفل لامه", "ثم قال", "قالت لجارتها الغزيرل اذا رأت", "وجه المقنع من وراء ثامه", "قد كان أبيض فاعتراه أدمة", "فالعين تنكره من ادھيامه", "كم من بوزل عامها مھرية", "مرح الیدین ومن بوزل عامه".

Handwritten marginal notes on the right side of the page, including phrases like "صمد حافظ", "مفرا حفص", "قد مره الاثر", "الذي يتجزى", "سبنا".

Handwritten notes at the bottom right, including "لقد رأيت", "مفرا حفص", "سبنا".

وهب الوليد برحاما وزمائها * وكذلك ذاك برحله وزمائه

وقويرح عتد أعد لنيه * ابن اللقوح فعاد ملء حزامه

وهب الوايد بسرجها وجامها * وكذلك ذاك بسرجه وجامه

اهدى المقنع للوايد قصيدة * كالسيف أرفف حده بحسامه

وله المآثر في قریش كلها * وله الخلافة بعد موت هشامه

وقال الحسن بن خنساء الجذامي في الخط

اليك سري بات يرقل عالم * أصم الصدى محرورف السن طائع

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا اذن بها هو سامع

كان ضمير القلب باح بسره * لديه اذا ما حثته الاصابع

لهريقة من غير فرث تمدد * ولا من ضلوع صفتها الاضالع

وقال الطائي يمدح محمد بن عبد الملك الزيات

ومابرحت صوراً اليك نوازعا * أعنتها مذرا سلتك الرسائل

لك القلم الاعلى الذي بثبانه * يصاب من الامر الكلى والمفاصل

لك الخلوات اللاء لولا تجيئها * لما اختلفت للملك تلك المحافل

لعاب الافاعي القاتلات لعابه * وأرى الجنا اشتارته أيدعوا سل

لهريقة طل ولكن وقعها * بآثارها في الشرق والغرب وابل

فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل

اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عاينه شعاب الفكر وهي حوافل

أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل

اذا استشعر الذهن المجلى وأقبلت * أعاليه في القرطاس وهي أسافل

وقدر مزته الخنصران وشددت * ثلاث نواحيه الثلاث الآامل

رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف * نضى وسمينا خطابه وهو ناحل

أرى ابن أبي مروان أمارة تؤد * فدان وأما الحكم فيه فيبادل

وقد ذكر البحري في كلمة له بعض كهول المسكر ومن أنيل ابنا كتبهم
الجلة فقال

واذا دجت أقلامه ثم اتحت * برقت مصابيح الدجى في كتبه
وكانوا يعملون الكتاب حفرا في الصخور ونقشا في الحجارة وحلقة مركبة في
البنيان فربما كان الكتاب هو النائي وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان تاريخا لامر
جسيم أو عهدا لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره
كما كتبوا على قبة عمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب
وعلى الركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى الاماكن المشهورة
والمواضع المذكورة فيضون الخط في أبعاد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس
واجدر ان يراها من مر بها ولا تنسى على وجه الدهر وأقول لولا الخطوط لبطلت
العهود والشروط والسجلات والصكوك وكل اقطاع وكل اتفاق وكل أمان وكل
عهد وعقد وكل جوار وحلف ولتعظيم ذلك والثقة به والاستناد اليه كانوا يدعون في
الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدية تعظيما للأمر وتبعيدا من النسيان ولذلك
قال الخارث بن حازة في شأن بكر وتغلب

واذكروا حلف ذي المجاز وما * قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدى وهل * ينقض مافي المبارق الاهواء

والمبارق ليس يراد بها الصحف والكتب ولا يقال للكتب مبارق حتى تكون
كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان وليس بين الرقوم والخطوط فرق ولولا
الرقوم لهلك أصحاب البز والغزول وأصحاب الساج وعامة المتاجر وليس بين الرسوم
التي تكون على الحافر كله والخف كله والظلف كله وبين الرقوم فرق ولا بين العقود
والرقوم فرق ولا بين الخطوط والرقوم كلها فرق وكلها خطوط وكلها كتاب أو في معنى
الخط والكتاب ولا بين الحروف المجموعة والمصورة من الصوت المقطع في الهواء
ومن الحروف المجموعة المصورة من السواد في القرطاس فرق واللسان يصنع في جربة

الفم وفي خارجه وفي اياته وباطن أسنانه مثل ما يصنع القلم في المداد والليقة والهواء والقرطاس وكلها صور وعلامات وخلق موائل ودلالات فيعرف منها ما كان في تلك الصور لكثرة تردادها على الاسماء ويعرف منها ما كان مصورا من تلك الالوان لطول تكرارها على الابصار كما استدلوا بالضحك على السرور وبالبكاء على الالم وعلى مثل ذلك عرفوا معاني الصوت وضروب صور الاشارات وصور جميع الهيات وكما عرف المجنون لقبه والكاب اسمه وعلى مثل ذلك فهم الصبي الزجر والاغراء وودع المخنوق الوعيد والتهدد وبمثل ذلك اشتد حضر الدابة مع رفع الصوت حتي اذا رأى سائسه حمم واذا رأى الحمام القيم عليه انحط للقط الحب قبل ان يلتقي له ما يلقطه ولولا الرسوم ونقوش الخواتم لدخل على الأموال الخلل الكثير وعلى خزائن الناس الضرر الشديد وليس في الارض أمة بها طرق أولها مسكة ولا جيل لهم قبض وبسط الا لهم خط فأما أصحاب الملك والمملكة والسلطان والجباية والديانة والعبادة فهناك الكتاب اتقن والحساب المحكم ولا يخرج الخط من الجزم والمسند المنعم كذا كيف كان ذلك فان الهيم وابن الكابي وأبو عبيدة فبكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الاشكال وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بان تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفي وكان ذلك هود يوانها وعلى ان الشعر يفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح وفضيلة المأثرة على السيد المرغوب اليه والمدح به وذهبت العجم علي ان تقيد مآثرها بالبنيان فبنوا مثل كرد بيداد وبني ازدشير بيضا اصطخرو بيضا المدائن والحضر والمدن والحصون والقناطر والجسور والنواويس قال ثم ان العرب أحببت ان تشارك المعجم في البناء وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران وقصر مارد وقصر مارب وقصر شعوب والابق الفرد ومارد قالوا ترد مارد وعز الابق وغير ذلك من البنيان قال ولذلك لم تكن الفرس تبيع شريف البنيان كما لا تبيع شريف الاسماء الا لاهل البيوتات كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الخضراء والشرف علي حيطان

الدار وكالعقد على الدهليز وما أشبه ذلك فقال بعض من حضر كتب الحكماء وما
 دوت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات والآداب والارفاق من القرون
 السابقة والامم الخالية ومن له بقية أبقى ذكرا وأرفع قدرا وأكثر ردا لان الحكمة
 أنفع لمن ورثها من جهة الانتفاع بها وأحسن في الاحمدوثة لمن أحب التذكر الجميل
 والكتب بذلك أولى من بنیان الحجارة وحيطان المدرلان من شأن الملوك أن
 يطمسوا على آثار من قبلهم وان يميتوا ذكر أعدائهم فتد هدموا بذلك السبب المدن
 وأكثر الحصون كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية وعلى ذلك هم في أيام الاسلام
 كما هدم عثمان صومعة غمدان وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل
 قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم أصحابنا بناء مدن الشامات ابني مروان
 وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ
 القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة وكتب ارسطا طاليس ومعه اة أفلاطون ثم بطليموس
 وذى بقراط وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور وقبل الدهور والاحقاب قبل
 الاحقاب ويدل على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حجر

ان بنى عوف ابتنوا حسنا * ضيعه الداخلون اذ غدروا
 ادوا الي جارهم خفارتة * ولم يضع بالمغيب من نصروا
 لاحيرى وفي ولاء عدس * ولا ات غير يحكمها الثغر
 لكن عوير وفي بذمتة * لا قصر عابه ولا عور

فانظر كم كان عمر زراة وكم كان بين موت زراة ومولد النبي عليه الصلاة
 والسلام فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام
 واذا استظهرنا بنياية الاستظهار فماتى عام قال وفضيلة الشعر مقصورة على العرب
 وعلى من تكلم بلسان العرب والشعر لا يستطيع ان يترجم ولا يجوز عليه النقل ومتى
 حول تقطع نظاه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه وصار
 كالكلام المنثور والكلام المنثور المبتدا على ذلك أحسن وأوقع من المنثور الذى حول

ولن تجد البتة مترجماني بواحد من هؤلاء العلماء هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم
 والحساب والاختون فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله عز وجل
 بما يجوز عليه مما لا يجوز عليه حتى يريد ان يتكلم على تصحيح المعاني في الطبائع
 ويكون ذلك معقودا بالتوحيد ويتكلم في وجوه الإخبار واحتمالاته لوجوده ويكون
 ذلك متضمنا بما يجوز على الله تعالى مما لا يجوز وبما يجوز على الناس مما لا يجوز وحتى
 يعلم مستقر العام والخاص والمقابلات التي تلقى الاخبار العامة المخرج فيجعلها خاصة
 وحتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر الذي هو أثر مما يخصه الخبر الذي هو قرآن
 وما يخصه العقل مما يخصه العادة أو المال الرادلة عن العموم وحتى يعرف ما يكون
 من الخبر صدقا أو كذبا وما لا يجوز ان يسمى بصدق ولا كذب وحتى يعرف اسم
 الصدق والكذب وعلى كم معني يشتمل ويجمع وعند فقد أي معني ينقب ذلك
 الاسم وكذلك معرفة المحال من الصحيح وأي شيء تأويل المحال وهل يسمى المحال
 كذبا أم لا يجوز ذلك وأي القولين أفحش المحال أم الكذب وفي أي موضع يكون
 المحال أقطع والكذب أشنع وحتى يعرف المثل والبديع والوحي والكتابة وفصل
 ما بين الخطأ والهدى والمقصود والمبسوط والاختصار وحتى يعرف ابنية الكلام
 وعادات القوم وأسباب تفاهمهم والذي ذكرنا قليل من كثير ومتى لم يعرف ذلك
 المترجم أخطأ في تأويل كلام الدين والخطأ في الدين أضرب من الخطأ في الرياضة
 والصناعة والفلسفة والكيمياء وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم واذا كان المترجم
 الذي قد ترجم لا يكمل لذلك أخطأ على قدر نقصانه من الكمال وما علم المترجم
 بالدليل عن شبه الدليل وما علمه بالاخبار النجومية وما علمه بالحدود الخفية وما علمه
 باصلاح سقطات الكلام واسقاط الناسخين للكتب وما علمه ببعض الخطرقة لبعض
 المقدمات وقد علمنا ان المقدمات لا بد ان تكون اضطرارية ولا بد ان تكون مرتبة
 وكالخط المنذور وابن البطريق وابوقرة لا يفهمان هذا موصوفا منزلا ومرتبيا مفصلا
 من معلم رفيع ومن اذق طيب فكيف بكتاب قد تداولته اللغات واختلاف الافلام

هذا هو
 الخطرقة
 في الهندسة

منه
 هذا هو
 الخطرقة
 في الهندسة

وأجناس خطوط المثل والامم ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى الى الحاذق
 بلسان العربية ثم كان العربي مقصرا عن مقدار بلاغة اليوناني لم يجد المعنى والناقل
 التصير ولم يجد اليوناني الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية بدا من الاعتقار
 والتجاوز ثم يصير الى ما يرض من الآفات لاصناف الناسخين وذلك ان نسخته
 لا يدمها الخطأ ثم ينسخ له من تلك النسخة من يزيد من الخطأ الذي يجده في
 النسخة ثم لا ينقص منه ثم يعارض بذلك من يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله
 اذا كان ليس من طاقته اصلاح السقط الذي لا يجده في نسخته ولربما اراد مؤلف
 الكتاب ان يصاح تصحيحا او كلمة ساقطة فيكون انشا عشر ورقات من حر اللفظ
 وشريف المعاني اسرع عليه من اتمام ذلك النقص حتى يردده الى موضعه من اتصال
 الكلام فكيف يطيق ذلك المعارض المستأجر والحكيم نفسه قد اعجزه هذا الباب
 واعجب من ذلك انه يأخذ بأمرين قد اصحح العاسد وزاد الصالح صلاحا ثم يصير هذا
 الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الاول
 ولا يزال الكتاب تتداوله الايدي الجانية والاعراض المفسدة حتى يصير غلطا
 صرفا وكذبا مصمما فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالافساد وتعاوره الخطاط
 بشر من ذلك او بمثله كتاب متقدم الميلاد دهرى الصنعة قالوا فكيف تكون
 هذه الكتب انفع لاهلها من الشعر المقفى قال الآخر اذا كان الامر على ما قسم
 والشان على ما نزلتم اليس معلوما ان شيأ هذه بقيته وفضله وسؤره وصبايته وهذا
 مظهر حاله على شدة الضيم وثبات قوته على ذلك الفساد وتداول النقص حرى
 بالتمظيم وحقيق بالتفضيل على البيان والتقديم على شعر ان هو حول تهافت وبقعه
 مقصور على اهله وهو يعد من الأدب المتصور وايس باليسوط ومن المنافع الاصطلاحية
 وليست بحقيقته بينة وكل شي في العالم من الصناعات والارفاق والآلات فهي
 جودات في هذه الكتب دون الاشعار وها هنا كتب هي بيننا وبينكم مثل كتاب
 ابلدس ومثل كتاب جالينوس ومثل المجسطي مما تولد الحجاج وكتب كثيرة لا تحصى

كريم السنه

عسر ذ عرس
 يدور الخعب
 ذ ع

فيها بلاغ للناس وان كانت مختلفة ومنقوصة مظلومة ومفسرة فالباقي كاف شاف والغائب منها كان تكميلا لتسلط الطبايع الكاملة (فأما فضيلة الشعر) فعلي ما حكينا ومنتهى نفيه الي حيث انتهى بناء القول . وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب والطب والمنطق والهندسة ومعرفة اللحون والفلاحة والتجارة وأبراب الاصباغ والعطار والاطعمة والآلات . وهم أتوكم بالحكمة وبالمنفعة التي في الحمامات وفي الاصطرابات والقرسطونات وآلات معرفة الساعات وصنعة الزجاج والنسيفساء والاسرنج والزنجنفور واللازورد والاشربة والانبجاث والاقشارجات* ولكم المينا والنشادر والشب وتعليق الحيطان والاساطين ورد مامل منها الي التقويم . ولحم صب الزردج واستخراج النس-تاشنج وتعليق الخيش واتخاذ الجازات وعمل الحراقات واستخراج شراب الداذي وعمل الدبابات وكان الحجاج) أول من أجرى في البحر السفن المقيرة المسورة غير المخرزة والمدهونة والمسطحة وغير ذوات الجؤجؤ وكان أول من عمل المحامل ولذا قال بعض رجاز الاكرياء

أول خلق عمل المحاملا * أخزاه ربي عاجلا وآجلا

(وقال آخر)

شيب أصدانغي فهن بيض * محامل لقمدها نقيض

(وقال القوم) لولا ما عرفوكم من أبواب الحمامات لم تعرفوا صنعة الشب ولولا غضارة الصين على وجه الارض لم تعرفوا النضار على أن الذي علمتم زاهر فيه التولد منقوص المنفعة عن تمام الصيني وعلى ان الشب لم تستخرجوه وإنما ذلك من الامور التي وقعت اتفاقا لسقوط الناطق من يد الاجير في الصفر الذائب فخفتم افساده فلما رأيتم ما أعطاه من اللون علمتم في الزيادة والنقصان وكذلك جميع ما تبيعكم . ولستم تخرجون في ذلك من أحد أمرين اما أن تكونوا استعملتم الاشتقاق من علم ما أورثوكم واما أن يكون ذلك تهيأ لكم من طريق الاتفاق وقد علمتم ان أول شأن الجازات أن أم جعفر أمرت الرحالين ان يزيدوا في سير النجبية التي كانت عليها وخافت فوت

الرشيدي فلمحركت مشت ضر وبان المشى وصنوفان السير فجب زت في خلال ذلك ووافقت امرأة تحسن الاحتيار وتفهم الامور فوجدت لذلك الجزراحة ومع الراحة لذة فأمرتهم ان يسيروا بها في تلك السير فمازالوا يقربون ويبعدون ويخطئون ويصيبون وهي في كل ذلك تصوبهم وتخطئهم على قدر ما عرفت حتى شدوا من معرفة ذلك ما شدوا ثم انها فرغتهم لاتمام ذلك حتى تم واستوى* وكذلك لا يخلو جميع أمركم من أن يكون اتفاقاً أو اتباع أثر

(ثم رجع بنا القول الى الترغيب في اصطناع الكتاب والاحتجاج على من ذرى على واضع الكتب) فأقول ان من شكر النعمة في معرفة مغاوى الناس وسرايدهم ومضارهم ومنافعهم ان يحتمل ثقل مؤثرهم في تقويمهم وأن توخي ارشادهم وان جهلوا افضل ما يسدى اليهم فلان يصان العلم بمثل بذله وان تستبقى النعمة فيه بمثل نشره على ان قراءة الكتب أبلغ في ارشادهم من تلاميهم اذ كان مع التلاقي يشتد التصنع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتقوى الحمية وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستعجاب من الرجوع والانفة من الخضوع وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة امتنعت من التعرف وعميت عن مواضع الدلالة ولاست في الكتب عالة تمنع من درك البنية واصابة الحجة لان المتوحد يدرسها والمنفرد يفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله وقد عدم من له يباهى ومن أجله يغالب. والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ويرجح قلمه على لسانه بأمر* منها ان الكتاب يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الاعصار وتباعد ما بين الامصار وذلك أمر يستحيل في واضع الكتاب والمتنازع في المسألة والجواب ومناقلة اللسان وهدايتة لا تجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته وقد يذهب الحكيمة وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى أثره ولو لا ما أودعت لنا الاوائل في كتبها وخذت من عجب حكمةتها ودوت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى

قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم ندرکه الا بهم لما حسن حفظنا من الحكمة واضعف
سببنا الى المعرفة ولو لجأنا الى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهي تجاربتنا لما تدرکه حواسنا
وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة وسقطت المهمة وارتفعت الغزيرة وعاد الرأي عتيما والخطر
فاسدا واكل الحسد وتباد العقل * وأكثر من كتبهم نفعا وأشرف منها خطرا وأحسن
موقعا كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة والاختبار عن كل حكمة وتريف كل سيئة
وحسنة وما زالت كتب الله تعالى في اللوح والصحف والمحار والمصاحف. وقال
الله عز وجل (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقال (ما فرطنا في الكتاب من شيء)
ويقال لاهل التوراة والانجيل أهل الكتاب وينبغي أن يكون سبيلا لمن بعدنا
كسبيل من كان قبلنا فينا على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا كما أن من
بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا فما ينتظر العالم باظهار ما عنده وما يمنع
الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد أمكن القول وصاح الدهر وحوى نجم التقيد
وهبت ريح العلماء وكسد الميؤ والجهل وقامت سوق البيان والعلم وليس يجد الانسان
في كل حين انسانا يدربه ومقوما يثقفه والسير على افهام الريض شديد وصرف
النفس عن مغالبة العالم أشد منه. والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيدا وبما يحتاج
اليه قائما وما أكثر من فرط في التعليم أيام خمول ذكره وایام حدائة سنه ولولا جواد
الكتب وحسنها وبيئها ومختصرها لما تحركت همم هؤلاء اطاب العلم ونزعت
الى حب الادب وأنفت من حال الجهل وان تكون في غمار الحشو ولدخل على
هؤلاء من الخلل والمضرة من الجهل وسوء الحال ما عسى ان لا يمكن الاخبار
عن مقداره الا بالكلام الكثير ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه تفقهوا قبل ان
تسودوا. وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاما
وهو لا يعد فقيها ولا يجعل قاضيا فما هو الا ان ينظر في كتب أبي حنيفة واشباه
أبي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تمر بابه فتظن انه

من بعض العمال وبالحرى ان لا يمر عليه من الايام الا اليسير حتى يصير حاكماً
على مصر من الامصار اولد من البلدان* وينبغي لمن كتب كتاباً ان لا يكتبه الا على
ان الناس كلهم له أعداء وكلهم عالم بالامور وكلهم متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى
يدع كتابه غفلاً ولا يرضى بالرأى الفطير فان لا ابتداء الكتاب فتنه وعجبا فاذا
سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرة أعاد
النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة انقص من

وزن خوفه من العيب ويتفهم معنى قول الشاعر

ان الحديث تفر الفوم خلوته * حتى يابح بهم عي واكثار

ويقف عند قولهم في المثل كل مجر في الخلاء يسر فيخاف ان يعتريه ما اعتري

من أجرى فرسه وحده أو خلا بمامه عند فقد خصومه وأهل المنزلة من أهل صناعته

ليعلم أن صاحب القلم يعتريه ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم

على خمسة أسواط فيضرب مائة لانه ابتداء الضرب وهو ساكن الطباع فأراه

السكون ان الصواب في الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة فزاد في

غضبه فأراه الغضب ان الرأى في الاكثار وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يتدبىء

الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة والحفظ مع الاقلال أمكن وهو

مع الاكثار أبعد (واعلم) أن العاقل ان لم يكن بالمتبع فكثيرا ما يتريه ما يعتريه من ولده ان

يحسن في عينه منه المقيح في عين غيره فليعلم ان لفظه أقرب نسبا منه من ابنه

وحركته أمس به رحما من ولده لان حركته شئ احداثه من نفسه وبداهته من عين

جوهره فصارت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخطة يتمخطها والنخامة تقذفها ولا سواء

اخراجك من جزئك شياً لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك

ولذلك تجدد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع

نعمته وليس الكتاب الى شئ أحوج منه الى افهام معانيه حتى لا يحتاج السامع

لما فيه من الروية وبحاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة

ويحطه من غريب الاعراب ووحشى الكلام وليس له ان يهذه جدا وينقحه ويصفيه
ويروته حتى لا ينطق الا بلب اللب وباللفظ الذى قد حذف فضوله وتعرّنه واسقط
زوائده حتى عاد خالصا لا شوب فيه فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا بان يجد لهم
افهاما مرامرا او تكرارا لان الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت افهامهم لا تزيد
على عاداتهم الا بان يعكس عليها ويؤخذ بها الا ترى ان كتاب المنطق الذى قد وسم
بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الامصار وبلغاء الاعراب ما فهموا واكثره وفي كتاب
اقليس كلام يدور وهو عربى وقد صفي ولو سمعه بعض الخطباء ما فهمه ولا يمكن ان يفهمه من
يريد تعليمه لانه يحتاج الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود للفظ المنطقي الذى استخرج من
جميع الكلام (قال معاوية بن ابي سفيان) رضى الله تعالى عنهما الصحار العبدى ما لا يجازى ان
تجيب فلا تبطل وتقول فلا تخطى قال معاوية او كذلك تقول قال صحار اقلني يا امير المؤمنين
لا تخطى ولا تبطل فلان سائلا سألك عن الايجاز فقلت لا تخطى ولا تبطل وبخضرتك خالد
ابن صفوان لما عرف بالبدية وعند اول وهلة ان قواك لا تخطى متضمن بالقول وقولك
لا تبطل متضمن بالجواب وهذا حديث كما ترى اثره ورضود ولو ان قائلا قال لبعضنا
ما الايجاز لظننت انه يقول الاختصار والايجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ
وقد يكون الباب من الكلام من اتى عليه فيما يسمع بطن طومار فقد أوجز وكذلك
الاطالة وانما ينبغى له ان يحذف بقدر ما لا يكون سببا لاغلاقه ولا تردده وهو يكتفى
من الافهام بشرطه فما فضل عن المقدار فهو الخطل (وقات) لابي الحسن الاخش
انت اعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها وما بالنان فهم بعضها ولا يفهم
اكثرها وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم قال انا رجل ما اضع
كتبي هذه لله وليست هى من كتب لدين ولو وضعتها هذا الموضع الذى تدعونى
اليه قلت حاجاتهم الى فيها وانا كانت غايتى المنالة فانا اضع بعضها هذا الموضع المفهوم
لتدعوهم حلاوة ما فهموا الى التماس فهم ما لم يفهموا وانما قد كسبت فى هذا التدبير
اذ كنت الى التمسك ذهبت ولكن ما بال ابراهيم انظام وفلان وفلان يكتبون الكتب

بعضهم
تكرار
الاعراب
بعضهم
ر
رط
الكلام
السجدة
التي

لله بزعمهم ثم يأخذها مثلي في موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ولا يفهم أكثرها
 (وأقول) لو أن يوسف السمطي كتب هذه الشروط أيام جلس سلمان بن ربيعة شهريز
 للتضياء فلم يتقدم إليه رجالان والقلوب سليمة والحقوق على أهلها موفرة لكان ذلك
 خطلاً ولفوا ولو كتب في دهره شروط سلمان لكان ذلك غرارة ونقصاً وجهلاً بالسياسة
 وبما يصلح في كل دهر . ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا وإذا
 أنشدوا الشعر بين السامطين في مديح الملوك أطالوا والاطالة موضع وليس ذلك
 بخطل ولا لقلل موضع وليس ذلك من عجزوا لولا أنني أتكل على أنك لا تميل باب
 القول في البعير حتى تخرج إلى الفيل وفي الذرة حتى تخرج إلى البعوضة وفي العقرب
 حتى تخرج إلى الحية وفي الرجل حتى تخرج إلى المرأة وفي الذباب حتى تخرج إلى
 الغراب والعقبان وفي الكلب حتى تخرج إلى الديك وفي الذئب حتى تخرج إلى السبع
 وفي الظلف حتى تخرج إلى الحافر وفي الحافر حتى تخرج إلى الخف وفي الخف حتى
 تخرج إلى البرثن وفي البرثن حتى تخرج إلى الخلب وكذلك القول في الطير وعامة
 الاصناف . فראيت أن جملة الكتاب وإن كثير عدد ورقه أن ذلك ليس مما يميل ويعتد
 على فيه بالاطالة لأنه وإن كان كتاباً واحداً فإنه كتب كثيرة وكل مصحف منها فهو
 أم على حدة فإن أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأول حتى يهجم على الثاني ولا
 الثاني حتى يهجم على الثالث فهو أبرار مستفيد ومستظرف وبعضه يكون مجاماً لبعض
 ولا يزل نشاطه زائدا ومتى خرج من آي القرآن صار إلى الأثر ومتى خرج من أثر
 صار إلى خبر ثم يخرج من الخبر إلى شعر ومن الشعر إلى نوادر ومن النوادر إلى حكم
 عقلية ومقاييس شهاد ثم لا يترك هذا الباب ولعله أن يكون أثقل والملا لليه أسرع
 حتى يفضي به إلى مزح وفكاهة والي سخف وخرافة ولست أراه سخفاً إذ كنت إنما
 استعمت سيرة الحكماء وآداب العلماء ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب
 والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف وإذا خاطب بني إسرائيل
 أوحى عنهم جملة مبسوطة وزاد في الكلام فأصوب العمل اتباع آثار العلماء والاحتذاء

المدخل

المدخل

المدخل

المدخل

المدخل

المدخل

المدخل

المدخل

المدخل

على مثال القدماء والّاخذ بما عليه الجماعة (قال ابن سير) في صفة الكتب في كلمة له
 أقبلت أهرب لا آلو ^{أعصر} مباءدة * في الارض منهم فلم يحصني الحرب
 فقصر أوس فما وّلت خناذقه * ولا النواويس فالماخور فالجرب
 فأیما موئل منها اعتصمت به * فمن ورائي حثيئاً منهم الطاب
 لما رأيت بأني لست معجزهم * فوتا ولاهربا قرّبت أحتجب
 فصرت في البيت مسرورا به جذلا * جارا لبوأة لاشكوى ولا شغب
 فردا يحديثي الموتى وتنطق لي * عن علم ما غاب عني منهم الكتب
 هم مؤنسون وآلاف غيت بهم * فليس لي في أنيس غيرهم أرب
 * لله من جساء لاجليسهم و * ولا عشيرهم وللـسوء مرتقب
 لا بادرات الاذي يخشى رفيقهم * ولا يلاقيه منهم منطق ذرب *
 ابقوالنا حكما تبقى منافها * أخزى الليلي على الايام والشعب
 فأیما آدبٍ منهم مدت يدي * اليه فهو قريب من يدي كتب
 ان شئت من محكم الآثار يرفعها * الى النبي ثقات خيرة نجب *
 أوشئت من عرب علما باولم * في الجاهلية أنبتني بها العرب
 أوشئت من سير الاملاك عجم * تنبي وتخبّر كيف الرأي والادب
 حتى كاني قد شامت عصرهم * وقد مضت دونهم من دهرهم حقب
 ياقائلا قصرت في العلم نهيمته * أمسى الى الجهل فيما قال ينتسب
 ان الاوائل قد بانوا بمعلمهم * خلاف قوامك ما بانوا وما ذهبوا
 مامات مثل امرىء ابقى لنا أديبا * نكون منه اذا مامات نكتسب
 (وقال) أبووجزة وهو يصف صحيفة كتب له فيها بستين وسقا
 راحت بستين وسقا في حقيبتها * ماحمت حملها الاذني ولا السدا
 ما ان رأيت قلوبا قبلها حمت * ستين وسقا وما جاءت به بلدا
 (وقال الراجز)

كما ندرس انفسه من المجلد

الخ...
 في...
 البراءة...
 ابراهيم...
 في...
 في...
 في...

تعلمي ان الدواة والقلم * تبقى ويفنى حادث الدهر الغنم
يقول كتابك الذي تكتبه على يبقى فتأخذني به وتذهب غنمي فيما يذهب (ومما)
يدل على نفع الكتاب أنه لو لا الكتاب لم يجز ان يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد
وواسط ما كان بالبصرة وما يحدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة
غدوة فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء .

٥ باب ذكر ما يعترى الانسان بعد الخشاء وكيف ما كان قبل الخشاء :-
(قالوا) كل ذى ريح منتنة وقيل ذى دفر وصنان وكرية المشمة كالنسر وما أشبهه
فانه متى خصى نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان فان الخصى يكون أثنى وصنانه
أشد ويعم أيضا خبث العرق سائر جسده حتى لتوجد لاجسادهم رائحة لان تكون
لغيرهم فهذا هذا وكل شي من الحيوان يخصى فان عظمه يدق فاذا دق عظمه استرخى
لحمه وتبرأ من عظمه وعاد رخصا رطبا ببدان كان عضلا صلبا والانسان اذا خصى طال
عظمه وعرض فبخالف أيضا جميع الحيوان من هذا الوجه وتعرض للخصيان أيضا طول اقدم
واعوجاج في أصابع اليد والتواء في أصابع الرجل وذلك من أول طعنهم في السن
وتعرض لهم سرعة التغير والتبدل وانقلاب من حشد الرطوبة والبضاضة وملاسة
الجماد وصفاء اللون ورقته وكثرة الماء وبريقه الى التكرش والكمود والى التقبض
والتحدد والى الهزال وسوء الحال فهذا الباب يعرض للخصيان ويعرض أيضا لبنات
الأكرة من أهل الزرع والنخل لانك ترى الخصى وكأن السيوف تلمع في لونه وكأنه
مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة وكأنه جمادة رطبة وكأنه قضيب فضة قد مسه ذهب
وكان في وجناته الورد ثم لا يابث كذلك الانسيات يسيرة حتى يذهب ذلك ذهابا
لا يعود وان كان ذا خصب وفي عيش رغد وفي فراغ بال وقلة نصب وكان من طرائف
ما يأتي به عبد الأعلى القاص قوله في الخصى . وكان لغلبة السلامة عليه يتوهم عليه
الغفلة . وهو الذي ذكر الفقير مرة في قصصه فقال الفقير . رفته سلفه وردأؤه علقه
وجردته فإتة . وسماكته شاة (قال) ثم ذكر الخصى فقال اذا قطعت خصيته قويت شهوته

وسخنت معدته ولانت جلده وانجردت شعرته وآسدت فحجته وكثرت دمهته
(وقالوا) الخصي لا يصامع كما لا تصامع المرأة وإذا قطع العضو الذي كان به خلا تاما
أخرجه ذلك من أكثر معاني النحول وصفاتهم وإذا أخرجه من ذلك الكمال
صيره كالبغل الذي ليس هو حمارا ولا فرسا وتصير طباعه مقسومة على طباع الذكر
أو الأنثى وربما لم يخص له الخلق ولم يصف حتى يصير كخالق من أخلاق الرجال
ويالحق بمثله من أخلاق النساء ولكنه يقع من زواج مكرها فيخرج إلى أن يكون مذنبا
لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وربما خرجت النتيجة وما يولد التركيب عن مقدار
معاني الأبوين كما يجوز عمر البغل عمر أبويه وكذلك ما عدنا في صدر هذا الكتاب (وقالوا)
والإنسان قوي معروفة المقدار وشهواته روفة في وجود حاجات النفوس مقسومة
عليها لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها
وباب المنكح من أكبرها وأقواها وأعمها ويدخل في باب المنكح ما في طبائعهم من
طلب الولد وهو باب من أبوابهم عظيم فنههم من يطبهه للكثرة والنصرة وللحاجة إلى
العدد والقوة ولذلك استلذت العرب الرجال وانقضت على نسب المولود على فراشه
وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول (قال الأشهب بن رميلة)

قال الاقارب لا تفررك كثيرنا * وأغن نفسك عنا أيها الرجل

عل بني يشد الله ككثرتهم * والنبغ يثبت قضباناً فيكتمل

(وقال الآخر)

عسى بني صبية صيفيون * أفاح من كان له ربيون

يشكوك كما ترى صغر البنين وضعف السن . وما أكثر ما يطاب الرجل الولد نفاسة بما له على بني
عمه ولا شائقة من أن تليه القضاة وترتع فيه الامناء فيصير ما كما الاولياء ويقضي به القاضى
الذمام ويصطنع به الرجال . وربما هم الرجل بطاب الولد ابقاء الذكر وللا رغبة في العقب أو على
جهة طاب الصواب في مباحاة المشركين والزيادة في عدد المسادين أو للكسب والكفاية
وللمدافعة والنصرة والامتناع وبقاء نوع الانسان ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه من حب

الذرية وكثرة النسل كما طبع الله تعالى الحمام والسناير على ذلك وان كان اذا جاءه الولد زاد في همه ونصبه وفي جنبه وبخله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الولد محببته • بخلة محبلة • فيجتمع في الولد المؤمن المعروف والمهوم الموجودة غير شئ • قصد له وليس في ذلك أكثر من طاب الطباع ونزوع النفس الى ذلك (وذكر) أبو الاخضر الحمام غير العاقبة بخلاف ما عليه أصحاب الزواج من الحيوان فقال عند ذكر سفاده * لا مبتغي الذر ولا بالمازل * لأن الانسان من بين الحيوان المزاوج اذا كره الولد عزل والمزاوج من أصناف الحيوانات انما غايتها طاب الذر والولد لذلك سخرت وله هيئة لما أراد الله تعالى من اتمام حوائج الانسان • والحمار لا يطاب الولد فيكون افرغه في الاتان لذلك ولا اذا كان لا يريد الولد عزل كما يعزل الانسان غير ان غايته قضاء الشهوة فقط ليس يذكر على باله ان ذلك الماء يخلق منه شئ • وعامة اكتساب الرجال وانفاقهم وهمهم وتصنعهم وتحسينهم لما يملكون انما هو مصروف الى النساء والاسباب المتعلقة بالنساء ولو لم يكن الا التمنص والتطيب والتطرز والتخضب والذي يمد لها من الطيب والصبغ والحلي والكساء والفرش والآنية اكان في ذلك ما كفى ولو لم يكن له الا الاهتمام بحفظها وحرصتها وخوف العار من جنائنها والجنابة عليها اكان في ذلك المؤنة العظيمة والمشقة الشديدة * فاذا بطل العضو الذي من أجله يكون اشتغال النفس بالأصناف الكثيرة من اللذة والألم فباضطراب ان تعلم ان تلك القوى لم تبطل من التركيب ولم تعدمها الخلقه وانما سُدَّ دونها بسد وأدخل عليها حجاب فلا بداها اذا كانت • وجوده من عمل لأن عمل كل جوهر لا يعدم الا بهدم ذاته فاذا صرفت من وجه فاضت من وجه ولا سيما اذا جت ونازعت ولا بد اذا زخرت وغزرت وطفت وطمت من ان تفيض أو تفتح لنفسها بابا ويايس بعد المنكح باب له • موقع كوقع المطعم فاجتمعت تلك القوى التي كانت للمنكح وما اشتغل عليه باب المنكح الى القوة التي عند المطعم فاذا اجتمعت القوتان في باب واحد كان ابلغ في حكمه وأبعد غاية في سبيله ولذلك صار الخصى آكل من أخيه لأنه وأبيه وعلى قدر الاستمرار يكون هضمه وعلى قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة

يكون الاستمراء لان الشهوة من اتين ابواب الاستمراء والحركة من اعظم الحرارة ودوام الاكل في الاناث اعم منه في الذكور . وكذلك الحجر دون الفرس وكذلك الرمكة دون البرذون وكذلك الرمكة دون الكباش وكذلك النساء في البيوت دون الرجال وما أشك ان الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربي عليه . مقطعا غير منظوم وهي بدوام ذلك منها يكون حاصل طعامها أكثر وهن يناسبن الصبيان في هذا الوجه لأن طبع الصبي سريع المضم سريع الكلب قصير مدة الاكل قليل مقدار الطعم فالمرأة كثيرة معاودتها ثم تبين بكثرة مقدار الماكول فيصير للخصي نصيبان نصيبه من شبه النساء ثم اجتماع قوى شهوته في باب واحد أعنى شهوة المنكح التي تحولت وشهوة المطعم (قال) وقيل لبعض الاعراب أى شئ آكل قال برذونة رغوث . ولشدة نهم الاناث صارت اللبوة أشد عراما وأنزق اذا طلبت الانسان لتأكله ولذلك صارت اناث الاجناس الصائدة كالاناث من الكلاب وما أشبه ذلك أحرص ما تكون عند ارتضاع جرائها حتى صار ذلك منها سببا للحرص والنهم في ذلك (ويعرض) له عند قطع ذلك العضو تغير الصوت حتى لا يخفى على من سمعه من غير ان يرى صاحبه انه خصي وان كان الذى يخاطبه ويناقله الكلام أخاه أو ابن عمه أو بعض أترابه من خولة جنسه وهذا المعنى يعرض لخصيان الصقابلة أكثر مما يعرض للخراسانية والسودان من السنند والحبشان وما أقل من تجده ناقصا عن هذا المقدار الا وله بيضة أو عرق فليس يحتاج في صحة تمييز ذلك ولا الى رقة الحس فيه الى حدق بقیافة بل تجدد ذلك شائعا في طباع السفلة والغبراء وفي اجناس الصبيان والنساء . ومتى خصي قبل الانبات لم ينبت واذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه تساقط كله الا شعر العانة فإنه وان نقص من غلظه ومقدار عدده فان الباقي كثير ولا يعرض ذلك لشعر الرأس فان شعر الرأس والحاجبين واشفار العينين يكون مع الولادة وانما يعرض لما يتولد من فضول البدن (وقد زعم) ناس ان حكم شعر الرأس خلاف حكم اشفار العينين وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر وهذه الخصال من اما كن شعر النساء والخصيان والنحولة فيه سواء وانما يعرض لسوي

ذلك من الشعر الحادث الاصول الزائد في النبات ألا ترى أن المرأة لا تصلع فناسبها من هذا الوجه فإن عرض له عارض فإتما هو من القرع لا من جهة النزاع والجلح والصلع وكذلك النساء في جميع ذلك * والمرأة ربما كان في قصاصم مقاديم شعر رأسها ارتفاع وليس ذلك بنزع ولا جلع إذ لم يكن ذلك حادثاً يحدثه الطمن في السن . وتكون مقاطع شعر رأسه ومنتهى حدود قصاصمه كمنقطع شعر المرأة ومنتهى قصاصمها وليس شعرها كلما دنا من موضع الملامسة والانجراد يكون أرق حتى يقل ويضمحل ولكنه ينبت في مقدار ذلك الجلد على نبات واحد ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعاً واحداً والمرأة ربما كانت سبلاء وتكون لها شعرات رقيقة زغبية كالعذار موصولة بأصداغها ولا يمرض ذلك للخصي إلا من علة في الخشاء ولا يرى أبداً بعد مقطع من صدغيه شيء من الشعر إلا من رقيقه ولا من كثيفه * وقد توجد المرأة ذات لحية وقد رأيت ذلك وأكثر ما رأته في عجائز الدهاقين وكذلك الغيب والشارب وقد رأيت ذلك أيضاً وهي ليست في رأي العين بخنثى بل انثى تامة إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذي يقوى حتى يظهر في غير ذلك المكان وليس يمرض ذلك للخصي (وقد ذكر) أهل بغداد أنه كان لابنة من بنات محمد بن راشد الخناق لحية وافرة وإنها دخلت مع نساء متنقيات إلى بعض الاعراس ترى العرس وجلوة العروس ففطنت لها امرأة فصاحت رجل والله وأحال الخدم والنساء عليها بالضرب فلم تكن لها حيلة إلا الكشف عن فرجها فبزعن عنها وقد كادت تموت * ويفضل أيضاً الخصي المرأة في الانجراد والزعر بأن تجد المرأة زباء الذراعين والساقين وتجرد ركب المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل . ويعرض لها الشعر في إبطها وغير ذلك . ولا يمرض للخصي ما يمرض للديك إذا خصى أن يذبل غضروف عرقه ولحيته . والخشاء ينقص من شدة الاسر وينقص مبرم القوى ويرخي مما قد العصب ويقرب من الهرم والبلى . ويعرض للخصي أن يشتد وقع رجله على ارض السطح حتى لو تفتت وقع قدمه وقدم اخيه الفجل لو وجدت لوقعه ووطئه شيئاً لا تجده لصاحبه وكان العضو الذي كان يشد توتير عرق النساء ومعالق الوركين ومعالق العصب

لما بطل وذهب الذي كان يمسكه ويرفعه فيخف لذلك وقع رجله صار كالذي لا يتماسك ولا يحمل بعضه بعضاً . ويعرض له أن أخوين صقائين من أم وأب لو كان أحدهما توأم أخيه أنه متى خصي أحدهما خرج الخصي منهما أجود خدمة وافظن لآبواب المعاطاة والمناولة وهو لها اتقن وبها اليق وتجدد أيضاً اذكي عقلاً عند المخاطبة فيخص بذلك كله ويبقى أخوه على غشاوة فطرته وعلى غباوة غريزته وعلى بلاهته الصقلية وعلى سوء فهم العجمية . ويد الانسان لا تكون الا خرقاء ولا تصير صناعاً ما لم تكن المعرفة ثقافاً لها واللسان لا يكون أبراً ذاهباً في طريق البيان متصرفاً في الانفاظ إلا بعد أن تكون المعرفة متخللة به منقلة له واضعة له في مواضع حقوقه وعلى اما كن حظوظه وهو آلة له في الاماكن العميية ومصرفة له في المواضع المختلفة * فأول ما صنع الخصاء بالصقائبي تركية عقله وارهاف حده وشحد طبعه وتحريك نفسه فلما عرف كانت حركته تابعة لمعرفته وقوته على قدر ما حجة * فأما نساء الصقالبة وصبيانهم فليس الى تحويل طبائهم ونقل خلقهم الى الفطنة الثابتة والى الحركة الموزونة والى الخدمة الثابتة الواقعة بالموافقة سبيل وعلى حسب الجهل يكون الخرق وعلى حسب المعرفة يكون الحدق وهذا جملة القول في نسايتهم وعلى انهن لا حظوظ لهن عند الخلوة ولا نفاذ لهن في صناعة اذ كن قد منعن فيهم المعاطاة ومعرفة المناولة . والخصيان مع جودة آلاتهم ووقارة طبائهم في معرفة أبواب الخدمة وفي استواء حالهم في باب المعاطاة لم تر أحداً منهم قط نفذ في صناعة تنسب الى بعض المشقة وتضاف الى شيء من الحكمة مما يعرف ببعده الروية والنوص بادامة الفكرة الاماذا كسروا من نفاذدامة في التحريك للاوتار فانه كان في ذلك مقداً وبه مذكورا الا أن الخصي من صباه يحسن صناعة الدبوق ويجيد دعاء الحمام الضواري وما شئت من صغار الصناعات (وقد زعم البصريون) ان خديجاً الخصي خادم مثنى بن زهير كان يجري مثنى في البصر بالحمام وفي صحة الفراسة واتقان المعرفة وجودة الرياضة وسند كراهته في باب القول في الحمام ان شاء الله تعالى . هذا قولهم فيمن خصي من الصقالبة . وملوكنا لعقول

خصيان خراسان أحمد وهم قليل ولذلك لم نأت من أمرهم بشيء مشهور وأمر مذكور (وأما السند) فلم يكن فيهم أيضا من الخصيان الا النفر الذين كان خصامهم موسى بن كعب وقد رأيت أنا بعضهم وزعم لي انه خصى اربعة هو أحدهم ورأيت الخصاء قد جذبه الى حب الحمام وعمل التلك والهراش بالديوك وهذا شيء لم يجر منه على عرق وإنما قاده اليه قطع ذلك العضو. فأما الخصيان من الحبشان والنوبة وأصناف السودان فان الخصاء يأخذ منهم ولا يعطيهم وينقصهم ولا يزيدهم ويحطهم عن مقادير اخوانهم كما يزيد الصقالبة عن مقادير اخوتهم لان الحبشي متى خصى سقطت نفسه وثقلت حر كته وذهب نشاطه ولا بد أن يمرض له فساد لأنه متى استقصى جبابه ولم يماسك بوله وسلس مخرجه واسترخى المسك له فان هم لم يستقصوا جبابه فأتما يدخل الرجل منزله من له نصف ذلك العضو وعلى انك لا تجد منهم خصيا ابداً إلا وبسرتة بجرة وبخنة شنيعة وذلك عيب شديد وهو ضرب من الفتق مع قبحة في العين وشنعة في الذكر وكل ما قبح في العين فهو مؤلم وكل ما شنع في النفس فهو مؤذ وما أكثر ما تجد فيهم الألع و ذلك فاش في باطن شفاهم ومتى كانت الشفاه هذلا وكانت المشافر منقابة كانت أظهر للطلع وهو ضرب من البرص والبياض الذي يمرض لغراميل الخليل وخصاؤها ضرب أيضا من البرص وربما عرض مثل ذلك الحشفة قضيب المختون إما لطبع الحديد وإما لقدم عهده بالاحداد وسقي الماء الا ان ذلك لا يعدو مكانه وكما عظمت الحشفة انبسط ذلك البياض على قدر الزيادة فيها وإنما ذلك كالبياض الذي يمرض من حرق النار وتشيطه وكالذي يمرض للصقالبة من التعالج بالكى وربما اشتد بياضه حتى يفحش ويرديه الا أنه لا يفشو ولا ينتشر الا بقدر ما ينسبطه. كانه يتحول صاحبه رجلا بعد أن كان صبيا وليس كالذي يمرض من البلغم ومن المرة. وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن وبعضه لا يذهب ولا يقف بل لا يزال يتفشي ويتسع حتى ربما سلخه ولا يذهب الا بان يذهب به شيء فيكون ذلك علامة له. ومن البهق الابيض ما يكون ملحقا بالبرص ولكن الذي هون أمره الذي ترون من كثرة بره الناس منه (ثم

الخصاء) يكون على ضروب ويكون في ضروب. فمن ذلك ما يعرض بعد الكبر للاحرار كما يعرض للمبيد وللرب كما يعرض للمعجم كما خصى بعض عباهاة اليمن علقمة بن سهل الخصي وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل حين وقع على هذا اسم الخصي وكان عبدا صالحا وهو كان جنب الجزيل وداعرا الفحلين الكريمين الى عمان وكان من نازليها وهو كان أحد الشهود على قدامة بن مظعون في شرب الخمر وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتقبل شهادة الخصي قال أما شهادتك فأقبل وهو علقمة بن سهل بن عمارة فلما سموه الخصي قالوا لعلقمة بن عبدة الفحل وعلقمة الخصي الذي يقول

فان يعدم الباقرن قبرا لجنتي * ولن يعدم الميراث مني المواليا
 حراص على ما كنت اجمع قبليهم * هنيأ لهم جمى وما كنت واليا
 ودايت في زوراء ثمت اعنقوا * لشأنهم وقد أفردونى وشانيا
 فاصبح مالي من طريف وتالد * اغيري وكان المال بالامس ماليا

وكما عرض للدلال ونومة الضحى من خصاء عثمان بن حيان والى المدينة لهما بكتاب هشام ابن عبد الملك فمن بنى مروان من يدعى أن عامل المدينة صحف لانه رأى في الكتاب أحص من قبلك من الخنثين فقرأها أخص من قبلك من الخنثين * وذكر الهيثم عن المكاتب لذي تولى قراءة ذلك الكتاب أنه قال وكيف يقولون ذلك ولقد كانت الخلاء معجزة بنقطة كأنها سهيل فقال البقظرى ما وجه كتاب هشام في احصاء عدد الخنثين وهذا لا معنى له وما كان لكتاب الاباء المعجزة دون الخلاء المهمة. وذكر عن مشايخ من أهل المدينة أنهم حكوا عنهما أنها قالوا الآن صرنا نساء بالحق كأن الامر لو كان اليهما لاختارا أن يكونا امرأتين قال) وذكر أنهما خرجا بالخصائين من الخصاء والتخنث من فتور الكلام ولين المفصل العظام ومن التفكك والتثني الى مقدار لم يروا أحدا بلغه لامن مخنثات النساء ولا من مؤنثى رجال * وكما عرض لابي همام السنوط من امتلاخ لحم مذا كيره وخصييه أصابه ذلك في البحر ، بعض المغازى فسقطت لحيته ولقب بالسنوط وخرج لذلك نهما وشرها. وقال ذات م لو كان النخل بعضه لا يحمل الا الرطب وبعضه لا يحمل إلا التمر وبعضه لا يحمل

الا الخزع وبعضه لا يحمل الا البسر وبعضه لا يحمل إلا الخلال وكنا متى تناولنا من
 الشمراخ بسرة خلق الله مكانها بسرتين لما كان بذلك بأس ثم قال استغفر الله لو كنت
 تمنيت أن يكون بدل نواة التمر زبدة كان أصوب (ومنه) ما يعرض من جهة الاوجاع
 التي تعرض للمذاكير والخصيتين حتى ربما امتلخهما طيب وربما قطع احدهما وربما
 سقطتا جميعاً من تلقاء أنفسهما والعوام يزعمون أن الولدان ما يكون من البيضة اليسرى
 وقد زعم ناس من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم أن ولد داود بن جعفر الخطيب
 المعتزلي إنما ولد له بعد أن نزعت بيضته اليسرى لأمه كان عرض له . والخصى الطيان
 الذي كان في مسجد ابن زغبان ولد له غلام وكان ليس له إلا البيضة اليمنى فجاء أشبه به من
 الذباب بالذباب والغراب بالغراب ولو أبصره أجهل خاق الله تعالى بفراسته وأبعدهم
 من قيافة ومن مخالطة النخاسين أو من مجالسة الاعراب لعلم انه سلاته وخلاصته
 لا يحتاج فيه الى محرز المدلجي ولا الى ابن كرز الخزاعي (ومن) أهل الملل من يخصى
 ابنه ويقفه على بيت العبادة ويجعله سادنا كصنيع الروم الا أنهم لا يحدثون في القضيب
 حدثاً ولا يتعرضون الا للثنيين كأنهم انما كرهوا الاولادهم إقبال نسائهم ودواهيهم
 فقط فأما قضاء الوطر وبلوغ اللذة فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك مبلغاً لا يبلغه
 الفحل كأنهم يزعمون انه يستقصى جميع ما عندها ويستجلبه لفرط قوته على المطاولة
 وكل خصاء في الدنيا فاما أصله من قبل الروم . ومن العجب أنهم نصارى وهم يدعون من
 الرأفة والرحمة ورقة القاب والكبد ما لا يدعيه أحد من جميع الاصناف . وحسبك
 بالخصاء مثله وحسبك بصنيع الخاصي قسوة ولا جرم أنهم بعثوا على أنفسهم من
 الخصيان من طاب الطوائل وتذكر الاحقاد ما لم يظنوه عندهم ولا خافوه من قبلهم فلام
 ينزعون ولا الخصيان ينكحون لان الرماية فيهم فاشية وان كان الخصى أسود أو أبلغ
 منهم وان كان جمع مع الرماية الثروة واتخذ بطرسوس وأذنة الضياع واصطنع الرجال
 واتخذ المقد والمغلة فمضرة كل واحد منهم عليهم تفي بمضرة قائد ضخم ولم تر عداوة قط
 تجوز مقدار عداوتهم لهم وهذا يدل على مقدار فرط الرغبة في النساء وعلى شهوة شديدة

للمباضعة وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا وهذه خصلة كريمة مع طلب المثوبة وحسن الاحدوثه (فأما الصابئون) فإن العابد منهم ربما خصى نفسه فهو في هذا الموضع قد تقدم الرومي فيما أظهر من حسن النية واتحل من الديانة والعبادة بخصلة الولد التام وبادخاله النقص على النسل كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي . وما زال خلدناؤنا واملو كنا يبعثون اليه ويسمعون منه ويسمر عندهم للذي يجدونه عنده من الفهم والافهام وطرف الاخبار ونوادير الكتب وكان قد أربى على المائة ولم أسمع قط بأغزل منه وان كان يصدق عن نفسه فما في الارض أزنى منه (حدیثي) محمد بن عباد قال سمعته يقول وجرى ذكر النساء ومحامهن من قلوب الرجال حتى زعموا أن الرجل كلما كان عليهن احرص كان ذلك أدل على تمام الفحولة فيه وكان اذهب له في الناحية التي هي في خلقتة ومعناه وطبعه اذ كان قد جعل رجلا ولم يجعل امرأة قال ابن عباد فقال لنا أستم تعلمون أني قد أريت على المائة فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهن السكبر ونفاد الذكر وموت الشهوة وانقطاع ينبوع النطفة قد أمات حنينه الى النساء وتفكيره في الغزل قال قلنا صدقت (قال) وينبغي أن يكون من عود نفسه تركهن مدداً وتحلى منهن سنين ودهرًا ان تكون العادة وتمرين الطبيعة وتوطين النفس قد حط من ثقل منازعة الشهوة ودواعي الباءة وقد علمتم ان العادة هي الطبيعة الثانية وقد تستحكم ببعض عمد هنجز ملازمة النساء قال قلنا صدقت (قال) وينبغي أن يكون من لم يذق طعم الخلوة بهن ولم يجالسهن متبدلات ولم يسمع حديثهن وخالتهن للقلوب واستمالتهن الأهواء ولم يرهن منكشفات عاريات اذا تقدم له ذلك مع طول انترك أن لا يكون بقي معه من داوعين شئ قال قلنا صدقت (قال) وينبغي ان يكون لمن قد علم أنه محبوب وان سببه الي خلاطهن محسوم أن يكون اليأس من أمتهن أسبابه الي الزهد والسلوة والي موت اخواطر قال قلنا صدقت (قال) وينبغي أن يكون من دعاه الزهد في الدنيا وفيما يحتويه النساء مع جمالهن وفتنة النساك بهن واتخاذ الانبياء لهن الي أن خصى نفسه ولم يكرهه عليه أب ولا عدو ولا سباه ساب أن يكون مقدار ذلك الزهد هو المقدار الذي يمت الذكر لهن

ويسرى عنه أم فقد وجودهن . وينبغي لمن كان في مكانه أن لا ينسى العزم ويختار
الارادة التي يصيب بها الى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات والى ما فيه من الأثم
ومع ما فيه من الخطر والى ما فيه من المثلة والنقص الداخلى على الخلقة أن تكون الوسوس
فى هذا الباب لا تمرره والدواعى لا تطروه قال قلنا صدقت (قال) وينبغي لمن سخط
نفسه عن السكن وعن الولد وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح أن يكون قد نسي
هذا الباب ان كان قد مر منه على ذكر . هذا وأنتم تعلمون أنى سمات عيني يوم خصيت
نفسى فقد نسيت كيفية الصور وكيف تروع وجهات المراد منها وكيف تراد فما كان
ذلك حرياً أن تكون نفسه - اهية لاهية مشغولة بالباب الذي احتمل له هذه المكاره قال
قلنا صدقت (قال) أو ليس لو لم أكن هرماً ولم يكن هاهنا طول اجتناب وكانت الآلة
قائمة الا أنى لم أذق حيواناً منذ ثمانين سنة ولم تثل عروقى من الشراب مخافة الزيادة
فى الشهوة والنقصان من العزم لكان فى ذلك ما يقطع الدواعى ويسكن الحركة ان
هاجت قال قلنا صدقت (قال) فاني بعد جميع ما وصفت لكم لأسمع نعمة المرأة فأظن
مرة ان كبدى قد ذابت وأظن مرة انها قد انصدعت وأظن مرة ان عقلى قد اختلس
وربما اضطرب فؤادى عند ضحك احدهن حتى اظن أنه قد خرج من فمي فكيف
الوم عليهن غيرى * فان كان حفظك الله تعالى قد صدق على نفسه فى تلك الحال بعد
أن اجتمعت فيه هذه الخصال فما ظنك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنة أو سبعين
سنة وما ظنك به قبل الخلاء بساعة وليس فى الاستطاعة ولا فى صفة الامكان أن
يحتجز عن ارادة النساء ومعه من الحاجة اليهن والشهوة لمن هذا المقدار الله تعالى أرحم
بخلقه وأعدل على عباده من أن يكلفهم هجران شئ قد وصله بقلوبهم - هذا الوصل
وأكد هذا التأكيد . وقد خصى نفسه من الصابئين رجال قد عرفناهم بأسمائهم
وأنسابهم وصفاتهم وأحاديثهم وفى الذي ذكرنا كفاية ان شاء الله تعالى (وقد ذكر)
ان عثمان بن مظعون استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فى السياحة فقال سياحة أمتى
الجماعة واستأذنه فى الخلاء فقال خصاء أمتى الصوم والصوم وجاء . فهذا خصاء الديانة

(فأما) من خصى الجلب على جهة التجارة فإنه يجب القضيب ويتمتع الاثنيان الا ان تقلصت احدهما من فرط القرع فتصير الى موضع لا يمكن ردها الا بعلاج طويل فللاخصي عند ذلك ظلم لا يفي به ظلم وظلم يربي على كل ظلم لانه عند ذلك لا ينفصل بموت المناس ويقطع ما ظهر له فان برى محبوب القضيب أو ذا بيضة واحدة فقد تركه لا امرأة ولا رجلا ولا خصيا وهو حينئذ ممن تخرج لحيته وممن لا يدعه الناس في دورهم ومواضع الخصوص من بيوتهم فلا يكون مع الخصيان مقربا ومكرما وخصيب العيش منعا ولا هو اذا رمى به في الفجول كان له مالا للفجول من لذة غشيان النساء ومن لذة النسل والتمتع بشم الاولاد فلم يزل عند الفجول مستضعفا محتمرا وعند الخصيان مجرحا مطر حافوا اسوأ حالا من السدم المعنى فلا أعلم قتله اذا كان القتل قتلة صريحة مريجة الا اصغر عند الله تعالى وأسهل على هذا المظلوم من طول التعذيب والله تعالى بالمرصاد **✽** وأما خصاء البهائم **✽** فإنه الوجود وهو ان يشد عصب مجامع الخصية من أصل القضيب حتى اذا ندرت البيضة وجحظت الخصية وجأها حتى يرضها فهي عند ذلك تذب وتخشف وتذوى وتستدق حتى تذهب قواها وتانسد التجارى اليها ويسرى ذلك الفساد الى موضع تربية النطفة فيمنعها من ان تكثر أو تعذب أو تحتر (ومنها) ما يكون بالشد والعصب وشدة التجزيق والعقد بالخيط الشديد الوثير الشديد القتل فاذا تركه على ذلك عمل فيه وحز أو أكل ومنعه من أن يجرى اليه الغذاء فلا يلبث ان ينقطع ويسقط (ومنه) الامتلاخ وهو امتلاخ البيضتين (فأما خصاء الناس) فان للاخصي حديدة مرهفة ممحاة وهي الحاسمة وهي القاطعة قال أبو زيد خصيت الدابة أخصيها خصاء ووجأها أوجؤها ووجاء ويقال برأت اليك من الخصاء أو الوجاء ولا يقال ذلك الا لما كان قريب العهد لم يبرأ منه فاذا برى لم يقله . وأما اخصاء فهو أن يسل اخصيتين والوجاء ان توجأ العروق والخصيتان على حالهما . والمعصوب من التيوس الذي تعصب خصيته حتى تسقطا . والواحد من اخصيان خصى ونخصي ويقال ملست اخصيتين أملكهما ملسا ومتمتتهما أمتنهما متنا وذلك ان تشق عنهما الصفتين

قتلها بما يمر وقهما . والصفن جلدة الخصيتين والخصاء في أحداث البهائم وفي الغنم خاصة يدع اللحم رخصا وندياعنذا فان خصاه بعد الكبر لم يتو خصاؤه بعد استحكام القوة على قلب طباعه . وأجود الخصاء ما كان في الصغر وهو يسمى بالفارسية برنخت يعني بذلك أنه خصي رطبا والخصى من خولها حمل للشحم لعدم الهيج والنعظ وخروج قواه عما يجامع الفحلة . وكثرة السناد تورث الضعف والمزال في جميع الحيوان (وقد ذكر) لمعاوية كثرة الجماع فقال ما اشتهر به أحد الا رأيت ذلك في منته . والديك يخصى ليرطب لحمه ويطيب ويحمل الشحم . وكانت العرب تخصى خولة الابل لئلا يأكل بعضها بعضا وتستبقى ما كان أجود ضرابا وأكثر نسلا وكل ما كان مساسا وكان شابا ولم يكن مذكارا وهم يسمون المذكار الحق الخفي . وما كان منها عيائا طباقا فمنها ما يجعل السدم المعنى . وإذا كان الفحل لا يتخذ للضراب شدوا ثيله شداً شديداً وتركوه يهدر ويقبب في الهجمة ولا يصل اليهن وان أردنه فاذا طلبن الفحل جىءن بهن بفحل قعسرى ويقولون لقوة لاقت قبيسا والقبيس من الجمال السريع الالتاح والقوة السريعة القبول الماء الفحل (وشكت) امرأة زوجها وأخبرت عن جهله بآيات النساء وعيه وعجزه وأنه اذا سقط عليها أطبق صدره والنساء يكرهن وقوع صدور الرجال على صدورهن فقالت زوجي عيائا طباقا وكل داء له داء (وقال الشاعر)

طباقا لم يشهد خصوما ولم يكن * ركابا الى أكوارها حين تعاف

وكانوا يخصون الخيل للتشبه بذلك وامله صبيها ليلة البيات واذا أكنوا الكمناء وكانوا هرابا (ويزعم) من لا علم له أن الخنزير في الخيل هو الخصى وكيف يكون ذلك كما قال مع قول خفاف بن ندبة * وخنزير خصية وخولا * وقال بشر بن أبي حازم

وخنزير ترى الغرمول منه * كطي البرد يطويه التجار

وليس هذا أراد بشر وإنما أراد زمان الغزو والحال التي يمتري الخيل فيها هذا المعنى كما قال جد الاحيمز

لا لا أعق ولا أحو * بولا أغير على مضر

لسكننا غزوي اذا * ضج المطنى من الدبر
وانما نخر بالغزو في ذلك الزمان واما الخنزير فهو الكريم التام وربما وصفوا به الرجل
(وقال كثير)

على كل خنزير الضحى ممتطراً * وخيفانة قد هذب الجرى آلهما
(وقال القطامي)

كل خنزير السراة مقلص * تخنث منه لحمه المتكاوس
(ومن الدليل) على انهم ربما جعلوا الرجل اذا ما مدحوه خنزيراً قول بعض القيسيين
من قيس بن ثعلبة

دعوت بني سعد إلى فشمرت * خنازير من سعد طوال السواعد
(وقال) عبد الله بن الحرث وكتب بها الى عبد الملك بن مروان حين فارق مصعبا
بأى بلاء أم بأية علة * يقدم قبلي مسلم والمهاب
ويدعي ابن منجوت امامي كأنه * خصى ذناب الماء من غير مشرب

فقلت ليونس أقوى فقال الاقواء أحسن من هذا قال فلما أخذته قيس نصبوه فجعلوا
يرمونه بالنبل ويقولون اذات منازل ترى فلما أتى مصعب برأسه قال لسويد يا أبا المنهال
كيف ترى قال أيها الأمير هو والله الذي أتى الماء من غير مشرب (وقال أعشى همدان)
وأبو بريذة الذي حدثه * فينا أذل من الخصى الريدج

(وتعرض) للخصى سرعة الدمعة وذلك من عادة طبائع الصبيان ثم النساء فانه ليس
بعد الصبيان أغزر دمعة من النساء وكفالك بالشيوخ الهرمين (ويعرض) للخصى العبث
والعب بالطير وما أشبه ذلك من أخلاق النساء وهو من اخلاق الصبيان ايضاً (ويعرض)
له الشره عند الطعام والبخل عليه والشح العام في كل شيء وذلك من أخلاق الصبيان
(وقال الشاعر)

كان أبارومان قيساً اذا غدا * خصي براذين يقاد رهيص
له معدة لا يشتهي الدهر ضعفها * وحنجرة بالدورقين تموص

(ويعرض) للاخصي سرعة الغضب والرضا وذلك من اخلاق الصبيان والنساء (ويعرض) له حب التمية وضيق الصدر بما أودع من السر وذلك من اخلاق الصبيان والنساء (ويعرض) له دون أخيه لأمه وأبيه ودون ابن عمه وجميع رهطه البصر بالرفع والوضع والسكنس والرش والطرح والبسط والصبر على الخدمة وذلك يعرض للنساء (ويعرض) له الصبر على الركوب والقوة على كثرة الركض حتى يجاوز في ذلك رجال الأتراك وفرسان الخوارج ومتى دفع اليه مولاه دابته ودخل الى الصلاة أو ليغتسل في الحمام أو ليعود مريضاً لم يترك أن يجري تلك الدابة ذاهباً وجائياً الى رجوع مولاه اليه (ويعرض) له حب الرمي بالنشاب للذي يدور في نفسه من حب غزو الروم (ويعرض) له حب ان تملكه الملوك على أن لا تقيم له الا القوت ويكون ذلك أحب اليه من أن تملكه السوقه وان ألقته بعيش الملوك (ومن) العجب أنهم مع خروجهم من شطر طبائع الرجال الى طبائع النساء لا يعرض لهم التخنيث وقد رأيت غير واحد من الاعراب مخنثاً متفككاً وموثلاً يسيل سيلاً ورأيت عدة مجانين مخنثين ورأيت ذلك في الزنج الاخاح وقد خبرني من رأى كدياً مخنثاً ولم أر خصياً قط مخنثاً ولا سمعت به ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف المانع منه ولكن كان الامر في ذلك الى ظاهر الرأي ولقد كان يبنى لهم أن يكون ذلك فيهم عاماً (ومما) يزيدني في التعجب من هذا الباب كثرة ما يعرض لهم من الخلاق مع قلة ما يعرض لهم من التخنيث مع مفارقتهم لشطر معاني الرجال الى شبه النساء (ويزعم) كثير من الشيوخ المعمرين وأهل التجربة المميزين أنهم اختبروا أعمار ضروب الناس فوجدوا أطول الأعمار في الخصيان أعم منه في مثل أعدادهم من جميع أجناس الرجال وأنهم تفقدوا أعمارهم وأعمار اخوتهم وبنو أعمارهم الذين لم يخصصوا فوجدوا طول العمر في الخصيان أعم ولم يجدوا في عموم طوال العمر فيهم واحداً نادراً كفلان وفلان من الفحول (وزعموا) أنهم لم يجدوا طول أعمارهم علة الا عدم النكاح وقلة استفرغ النطف لقوى أصلابهم (قالوا) وكذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم من الخليل والأبل والحمير والبقر والغنم والكلاب والدجاج

والحمم والديكة والمصافير أطول أعماراً من البغال (وكذلك) قالوا وجدنا أفلها أعماراً
المصافير وليس ذلك إلا لكثرة سفاد المصافير وقلة سفاد البغال وجعل هؤلاء القوم
زيادة عمر البغل على عمر أبويه دليلاً على أن قول الناس لا يمش أحد فوق عمر أبويه
خطأ وأوائك إنما عنوا الناس دون جميع الحيوان (وقالوا) قد وجدنا غرمول البغل أطول
من غرمول الحمير والفرس والبرذون وهؤلاء أعمامه وأخواله فقد وجدنا بعض
التاج المركب وبعض التروع المستخرجة أعظم من الأصل ووجدنا الحمم الزاغبي
أعظم من الورشان الذي هو أبوه ومن الحممة التي هي أمه ولم نجدده أخذ من عمر
الورشان شيئاً وخرج صوته من تقدير أصواتها كما خرج شجيج البغل من نهيق الحمير
وصهيل الفرس وخرج الزاغبي مسرولاً ولم يكن ذلك في أبويه وخرج مثقلاسي
الهداية وللورشان هداية وإن كان دون الحمم وجاء أعظم جثة من أبويه . ومقدار النفس
من ابتداء هديله إلى منقطعه أضعاف بمقدار هديل أبويه . وفوالج البخت إذا ضربت
في أنث البخت لم يخرج الحوار إلا أنانا قصير العنق لا ينال كلاً ولا ما . إلا بأن يرفعا
إليه فيصير لمكان نقصان خلقه جزور لحم ولا يكون من اليعملات ولا من السابقة
ولو عالوه وكفوه مؤنة تكليف المأكول والمشروب ثم بلغ إلى أن يصير جملاً
يمكنه الضراب . وكذلك الحائل إلى أن تصير ناقة فلو القحها الفحل لجاء ولدها أقصر
عنقاً من الفيل الذي لو لم يجعل الله تعالى له خرطومًا يتناول به طعامه وشرابه لمات
جوعاً وهزلاً وليس كذلك العراب . وإذا ضربت الفوالج في العراب جاءت هذه
الجواميز والبخت السكريمة التي تجمع عامة خصال العراب وخصال البخت فيكون
ما يخرج التركيب من هذين الجنسيتين أكرم وأنعم وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحول
العراب في أنث البخت جاءت هذه الأبل البهوتية فتخرج أقبح منظرًا من أبويها
وأشد أسراً من أبويها (وبعد) فإن هذه الشهرية الخراسانية يخرج لها أبدان فوق أبدان
أمهاتها وآبائها من الخليل والبراذين وتأخذ من عنق الخليل ومن وشاجة البراذين وليس
نتاجها كنتاج البرذون خالصاً والفرس خالصاً . وما أشبه قرابة الحمير بالركة والحجر

من قرابة الجمل الفالح البختي بقرابة القلوص الاعرابية . ويقال ان الحمر الوحشية
 بخاصة الاخدرية أطول الحمر أعمازا وانما هي من نتاج الاخدر فرس كان
 لازدشير بن بابك صاد حمارا وحشيا خمي عدة عانات فصر ب فيها فجا، أولاده منها أعظم
 من سائر الحمر وأحسن وخرجت أعمارها عن أعمار الخيل وسائر الحمر أعني حمر الوحش فان
 أعمارها تزيد على الاهاية مرارا عدة . ولا يعرفون حماراً وحشيا عاشا أكثر وعمر أطول
 من غير أبي سيارة غميلة بن أعزل فانهم لا يشكون انه دفع عليه بأهل الموسم أربعين
 عاما قال الاصمعي لم يكن غيراً وانما كان اتانا (وزعموا) وكذلك هو في كتبهم ان ملوك
 فارس كانت لهجة بالصيد الا أن بهرام هو المشهور بذلك في العوام * وهم يزعمون ان
 فيروز بن قبار الملك الفارسي ألح في طاب حمار أخدري وقد ذكر له ووصف فطاوله
 عند طلبه والتماسه وجد في ذلك فاج به عند طلبه الاغترام وأخرجته الحفيظة الى أن
 آلى أن لا يأخذه الا أسرا ولا يطارده الا فردا اقتداراً لخيار الارض الرخوة فحمل فرسه
 عليه فخطه في خيار فجمع جرابيزه وهو على فرسه ووثب فاذا هو على ظهره فتمص
 به فضم فخذيه فحطم بعض أضلاعه ثم أقبل به الى معظم الناس وهم وقوف ينظرون اليه
 وهو راكبه (قالوا) وكان الملك منهم اذا أخذ غيراً أخدريا وغير ذلك فاذا وجدته متينا
 وسماه باسم وأرخ في سواه يوم صيده وخلي سبيله (وكان) كثيراً إذا ما صاده الملك
 الذي يقوم به بعده سارفيه مثله تلك السيرة وخلي سبيله فعرف آخرهم صنيع أولهم وعرفوا
 مقدار مقادير أعمارها . ولولا ان ناسا من كل جيل وخصائص من كل أمة يلهجون
 ويكافون بتعرف معاني آخرين لدرست . ولعل كثيرا من هؤلاء يزري على أولئك
 ويعجب الناس من تفرغهم لما لا يجدي وتركهم التشاغل بما يجدي فالذي حجب لهذا
 ان يرصد عمر حمار أو ورشان أو حية أو ضب هو الذي حجب الي الآخر ان يكون
 صيادا الافاعي والحيات يتبعها ويطلبها في كل واد وموضع وجبل للترباقات وسخر
 هذا ليكون سائس الاسد والفهود والثمور والبيور وترك من تلقاء نفسه ان يكون
 راعي غنم * والذي فرق هذه الاقسام وسخر هذه النفوس وعرف هذه العقول لاستخراج

هذه العلوم من مدافها وهذه المعاني من مخايها هو الذي سخر بطايوس مع ما كنه
وفلانا وفلانا للتفرغ للامور السماوية ولرعاية النجوم واختلاف مسير الكواكب
وكل ميسر لما خاق له لتتم النعمة واتكامل المعرفة وانما تأبى التيسير للمعاشي (فأما
الصناعات) فقد تقصر الاسباب بعض الناس على أن يصير حائكا وتقتصر بعضهم على أن
يكون صيرفيا فهي وان قصرته على الحياكة فلم تقصره على خاف المواعيد وعلى
ابدال الغزول وعلى تشقيق العمل دون الاحكام والصدق وأداء الامانة ولم تقصر
الصيرفي على التظيف في الوزن والتغليظ في الحساب وعلى دس المموء تعالى الله
عز وجل عن ذلك علواً كبيراً * ولو كان أمر النتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من
التزاويح الى تقدير الرأي وما هو أقرب الى الظن لكانت الاخفاف تجري مجرى
الحوافر والاخفاف الأترى ان قرابة الضأن من الماعز كقرابة البخت من العراب والخيل
من الحمير وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك لان التيس على شدة غلمته لا يعرض
للنعجة وكذلك الكباش والعنز فضلا عن أن يكون فيها نتائج لانه قد يضرب
الجنس في الجنس الذي لا يلقحه ولا يكون اللقاح الا بعد ضراب ويطلب التيس
للنعجة قليلا وأقل من القليل وكذلك الكباش للعنز وأقل من ذلك ان لا يتلافح ولا
يمنع ذلك الولد البتة (وقد تجاسر) ناس على توأيد أبواب من هذا الشكل فادعوا أمورا ولم
يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان (زعموا) أن الزرافة خالق مركب من
بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية وبين الذئب وهو ذكر الضباع . وذلك
انهم لما رأوا ان أسماء هاب الفارسية (اشتركا ويلنك) وتأويل اشتر بعير وتأويل كاو بقرة
وتأويل يلنك الضبع لان الضباع عرج كذلك الذكر والاثني يكون بهما خماع كما
عرض للذئب القزل وكل ذئب أقلز وكما أن كل غراب يحجل كما يحجل المقيد من الناس
وكما ان العصفور لا يمشي ومشيه ان يجمع رجليه أبداً معا في كل حركة وسكون وقولهم
للزرافة اشتركا ويلنك اسم فارسي والفرس تسمى الاشياء بالاشتقاقات كما تقول للنعامة
اشتر مرغ وكانهم في التقدير قالوا هو طائر وحجل فلم نجد هذا الاسم أوجب

أن تكون النعامه نتاج ما بين الابل والطير ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متقاربين
 سموها بذيئك الشيثيين وهم يسمون الشيء المرء الخلو ترش شيرين وهو في التفسير
 حلوه حامض فجسر القوم فوضعوا التفسير اسما للزرافة حديثا وجعلوا الخلقه ضربا من
 التراكيب فقالوا قد يعرض الذئح في تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها فتلقح
 بولد يجيء خلقه ما بين خلق الناقة والضبع . فان كان انثى فيعرض لها الثور الوحشي
 فيضربها فيصير الولد زرافة . وان كان ولد الناقة ذكر أعرض للمهاة فألقحها فتلد زرافة
 (فهم) من حجر البتة أن تكون الزرافة الانثى تلتحق من الزرافة الذكر . وزعموا ان
 كل زرافة في الارض انما هي من النتاج الذي ركبوا وزعموا ان ذلك مشهور في
 بلاد الحبشة وأقاصى اليمن (وقال آخرون) ليس كل خالق مركب لا ينسل ولا يبيح
 نجله ولا يتلاقح نسله على ما حكينا من شأن الورداني والزاغبي . وهؤلاء وما أشبههم
 يفسدون العلم ويتهمون الكتبة وتغرثم كثرة أتباعهم ممن تجده مستهتراً بسماع الغريب
 ومغرما بالطرائف والبدائع ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار نصيبا من الثبت
 وحظا من التوقى لسلمت الكتبة من كثير من الفساد * وأنا رأيت طائرا له صوت
 غير حسن فقال لي صاحب الطيور انه من نتاج ما بين القمري والفاخته . وقناص
 الطير ومن يأتي كل أودية وغيضة في التماس الصيد يزعمون ان أجناسا من الطير
 الأوابد والقواطع تلتقى على المياه فتتسافد وأنهم لا يزالون يرون أشكالا لم يروها
 قط فيقدرون أنها من تلافح تلك المختلفة (وقال أبو زيد النحوي) وذكر عن لقي من
 الاعراب أنهم زعموا أن ذكر أم حبين هو الحرباء قال وسمعت اعرايا من قيس يقول
 لأم حبين حبينة والحبينة هو اسمها قال وقيس تسمى ذكر العظاءة العضر فوط (وقال
 يحيى الاغر) سمعت اعرايا يقول لا خير في العظاءة وان كان ضبا مكوونا (قال)
 فإذا سام أبرص والورل والوحر والضب والحلكاء كلها عنده عظاءة (وزعم يحيى بن
 عليم) ان الثعالب يسفد الهرة الوحشية فيخرج بينهما ولد وأنشد قول حسان بن ثابت
 رضي الله تعالى عنه

أبوك أبوك وأنت ابنة * فبئس البنى وبئس الأب
وأملك سوداء ما دونه * كأن أناملها العنق
بيت أبوك بها معرّساً * كما ساور الهرة الثعلب

(وأنشد) أبو عبيدة قول عبد الرحمن بن الحكم

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغالطة عن الرجل اليماني
أتعذب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن آلك من قریش * كرحم الفيل من ولد الاتان

(قال كيسان) ولائى شي قال * كرحم الفيل من ولد الاتان * إنما كان ينبغي أن يقول
كرحم الفيل من الخنزير قال أبو عبيدة أراد هو التبعيد بعينه وأنت تريد ما هو
أقرب (وزعم) بعض المفسرين وأصحاب الاخبار ان أهل سمنينة نوح كانوا تأذوا
بالفأر فعطس الأسد عطسة فرمى من منخره بزوج سنابير فلذلك السنور أشبه شئ
بالأسد وسلح الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير أشبه شئ بالفيل (قال كيسان) فينبغي
أن يكون ذلك السنور آدم السنابير وتلك السنورة حواءها وضحك القوم (ولما) رأى
أبو قردودة سمع القرقرة أكل عند النعمان مسلوخا بعظامه قال

بين النعمان وبين الكلب منبته * وفي الذئب ظئيرات وأخوال

يقول ان سمعاً ضرب في اعراقه نجل النعمان فهو يلتهم الحجر ويلتقم الحجارة فيظني الحجر
ويمغ الصخر وضرب في اعراقه الكلب الذي يرض كل عظم ولا يقبض عليه بكنهه
الا وهو واثق بفته ولا يسيغه الا وهو على ثقة من استمرائه . فاما الذئب فانه لا يروم
بفكيه شيئاً الا ابتلعه بغير معاناة عظامه كان أو غيره مصمماً كان أو أجوف ولذلك
قال الراجز

اطلس يخفي شخصه غباره * في فمه شفرته وناره

فأبو قردودة لم يرد ان الذئب والكلب خالاه وان النعمان نجله وانما قال ذلك على
المثل والتشبيه ولم يرد أن له ظمراً من الكلاب وخالاً من الذئب وليس ذلك على

قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس يانظف الخمار وتزايغ الظؤرة وأشباه الخؤلة
(وعلى) شبيه بذلك قال سلام بن قتيبة لبعض من ذكره وهو عند سليمان بن علي أيها
الاميران آل فلان اعلاج خاق الله وأوباشه لثام غدر شرابون مانقع لهم ثم هذا بعد في
نفسه نطنة خمار في رحم صناجة (وقال) لي أبو اسحق قال لي أبو العباس وأبو العباس
هذا كانه ختن ابراهيم على أخته وكان رجلا يدين بالنجوم ولا يقر بشيء من الحوادث
الابميجرى على الطباع (قال) أبو اسحق وقال لي مرة أتعرف موضع الخظوة من
خلوة النساء قلت لا والله لأعرفه قال بل أعلم أن لا يكون الخظ الا في نتاج شكابين
متباينين فالتقاؤهما هو الا كسير المؤدي الى الخلاص وهو ان تزواج بين هندية
وخراسانية فإنها لاتلد الا الذهب الابريز ولكن احرس ولدها ان كان الولد أنثى
فاحذر عليها من شدة لواط رجال خراسان وزناء نساء الهند واعلم ان شهوتها للرجال
على قدر حظوتها عندهم واعلم أنها ستسحق النساء على اعراق الخراسانية وتزنى
بالرجال على اعراق الهند واعلم انه مما يزيد في زناها ومساحتها معرفتها بالخطوة عند
الزناة وبالخط عند السحاقات (وقالوا) في اخلاق المركب ضروبا من الحق والباطل ومن
الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم ان الشبوط ولد الزخر من النبي وان الشبوط
لايخلق من الشبوط وانه كالبعغل وتركيبه وأنساله ورووا ذلك عن أبي وائلة اياس بن
معاوية (وزعموا) ان أم جعفر بنت جعفر بن المنصور حضرت في حوض لها ضخم أو بركة
كبيرة عددا كثيرا من الزخر والنبي وانها لم تخلط بهما غيرهما فمات أكثره وبقيت بقية
كانت الصميم في القوة وفي احتمال تغير المسكان فلم تحمل البيض حمامات بالشبابيط
(وزعم) حريث انه كان بأيدج فاذا سحابة ضحياء تكاد تمس الارض وتكاد تمس
ثم رؤسهم وانهم سمعوا فيها كصوات المجانيق وكهدير الفحول في الاشوال ثم انها
دفعت بأشد مطر رؤى أو سمع به حتى استسلموا للفرق ثم اندفعت بالضفادع
العظام ثم اندفعت بالشبابيط السماء الخزال فطبخوا واشتوا وملحوا وادخروا
(ورروا) عن أبي وائلة انه زعم ان من الدليل على ان الشبوط كالبعغل أن الناس لم يجدوا في

طول ما أكلوا الشبائط في جوفها بيض قط فان كان هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور
 بشدة العقل المنعوت بثقوب الفراسة ودقة النظنة صحيحاً فما أعظم المصيبة علينا فيه وما
 أخلق الخبر أن يكون صحيحاً وذلك اني سمعت له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان
 وأقسام الأجناس يدل على ان الرجل حين أحسن في أشياء وهمه العجب بنفسه انه
 لا يروم شيئاً فيمتنع عليه وغرّه من نفسه الذي غرّ الخليل بن احمد حين أحسن في
 النحو والعروض فظن انه يحسن الكلام وتأليف اللجون فكتب فيهما كتابين لا يشير
 بهما ولا يدل عليهما الا المرة المحترقة ولا يؤدي الى مثل ذلك الاخذلان من الله تعالى فان
 الله عز وجل لا يمجزه شيء * والشبوط حفظك الله تعالى جنس كثير المذكور قليل الاناث
 فلا يكون اناته أيضاً يجمع من البيض واذا جتمعن فلو جمعت بيض عشر منهن لما كان كشط
 بيض بنية واحدة فقد رأيت بعض الشبوط وذقته للتعرف فوجيده غير طائل ولا
 معجب وكل صياد تسأله فهو يبيك ان له بيضا ولكنه اذا كان يكون ضئيلاً قليلاً
 لان الشبائط في أصل العدد من أقل السمك وكذلك الجنس منه اذا كانت الانثى
 منه مذكارة على أنه رب نهر يكون أكثر سمكه الشبوط وذلك قليل كنهر رامهر من
 والشبوط لا يستر في البحار ولا يسكن الا في الاودية والانهار ويكره الماء المالح
 ويطلب الاعذب فالاعذب ويكون في الماء الجاري ولا يكون في الساكن وسند كر
 شأنه في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . ولم يصب أبو وائلة وكذبوا على
 أم جعفر فاذا قالوا في الزرافة ما قالوا فلا تأمنهم على ما هو دونه . وان كان من
 كذب على الموتى واستشهد الغيب أحذق فصاحب الزرافة قد استعمل بعض هذه
 الحيلة وصاحب الشبوط يكذب على الاحياء ويستشهد الحضور . وان كان الذي دعا
 الى القول في الزرافة أنهم جعلوا تركيب اسمه دليلاً على تركيب الخلق فالجاموس بالفارسية
 كاو ماش وتأويله ضاني بقري لأنهم وجدوا فيه مشابة الكباش وكثيراً من مشابة
 الثور وليس ان الكباش ضربت في البقر بخاءت بالجو اميس (وزعم) الفرس ان الحيوان
 كله الذي يلد حيواناً مثله مما يشي على أربع فوائم لا تخلو أجناسها من المعز والضأن

والجواميس عندهم ضأن البقر والبخت عندهم ضأن الابل والبراذين عندهم ضأن الخيل
(والناس) يقولون في الابل أقاويل عجيبة . فمنهم من يزعم ان فيها عرقا من سفاذ الجن
وذهبوا الى الحديث انهم انما كرهوا الصلاة في اعطان الابل لأنها خلقت من اعراق
الشياطين فجعلوا المثل والمجاز وجعلوا المجاز على غير جهته وقال ابن ميادة

فلما أتاني ما تقول محارب * تغنت شياطين وجن جنونها

(قال الأصبغي) المأثور من السيوف الذي يقال ان الجن عماته * وهم يسمون الكبر
والخنزروانة والنعرة التي تضاف الى أنف المتكبر شيطانا قال عمر حتى انزع شيطانه كما
قال حتى انزع النعرة التي في أنفه . ويسمون الحية اذا كانت داهية منها شيطانا وهو
قولهم شيطان الحماطة (قال الشاعر)

تعابح متنا حضرمي كأنه * تعابح شيطان بذي خروع قفر

شبه الزمام بالحية . وعلى مثل ذلك قال الشاعر

شناحية فيها شناح كأنها * حباب بكف الشاو من أسطع حشر

والحباب الحية الذكر وكذلك الایم . وقد نهى عن الصلاة عند غيبوبة الشمس وعند
طلوع القرص الى ان يتام ذلك وفي الحديث انها تطالع بين قرني شيطان . فللمعرب أمثال
واشتقاقا وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وارادتهم ولتلك الألفاظ
مواضع آخر ولها حينئذ دلالات آخر فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة
والشاهد والمثل فاذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا
الشأن هلك وأهلك (وزعم) ناس ان من الابل وحشياً وكذلك الخيل وقاسوا ذلك على
الحير والسنانير وما سوي ذلك من الحير والسنانير^(١) والحمام وغير ذلك فزعموا ان تلك الابل
تسكن أرض وبار لانها غير مسكونة ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلاء
اطاب (قالوا) وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض فيضرب في أذني هجمة من الابل
الأهلية . قالوا فالهريفة من ذلك التناج (وقال) آخرون هذه الابل الوحشية هي الحوش
وهي التي من بقايا ابل وبار فلما أهلكهم الله نهى الى كذا هلك الأثم مثل عاد وثمود والعاقلة

وطسم وجديس وجاسم بقيت إيلهم في إاما كنهم التي لا يطردها احد فان سقط الى تلك الجزيرة بعض الخلقاء أو بعض من اضل الطريق حثا الجن في وجهه فان الخ خباته فضربت هذه الوحوش في العماية فجاءت هذه المهريه وهذه المسجديه التي تسمى الذهبية (وأشده) ابن سعدان المكفوف عن أبي العميل قول الراجز
 ما دم ابلي عجم ولا عرب * جلودها مثل طواويس الذهب
 (وقال الآخر)

إذا اصطكت بضيق حجرتاها * تلافى المسجديه واللطيم
 والمسجد من أسماء الذهب (قالوا) وإنما سميت صاحبة يزيد بن الطرية حوشية على المعنى هذا وقال رؤبة * جرت رجانا من بلاد ربيعة وأما الذي زعم أنهم مطروا الشبوط فانه لما ظن ان الضفادع التي تصابب بسبب السرى حيث لا ماء ولا وحل ولا عين ولا شريعة فانهم ربما رأوها وسط الدور والدعنة والسنان ولم يشك انها كانت في السحاب وعلم انها تكون في الانهار ومنابع المياه وليس ذلك من الذكر والانثى قاس على ذلك الظن السمك ثم جسر فجعل السمك شبوطاً . وتلك الضفادع انما هي شيء يخلق تلك الساعة من طباع الماء والهواء والزمان وتلك التربة على مقادير ومقابلات وعلى ما يجري الله تعالى عليه نشأ الخلق (وقد) تعرف القرابة التي تكون في رأي العين بين الشكاين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافد ولا تلاقح كالضأن والمعرز وكالغار والجرذان فليس بالعجب في البقر والجواميس ان تكون كذلك . وقد رأينا الخلاسي من الدجاج والديكة وهو الذي تخلق من بين المولودات والهنديات وهي تحمل اللحم والشحم (وزعم) لى مسعود بن عثمان انه أهدي الى عمرو بن مسعدة دجاجة ووزن فيها سبعة عشر رطلا بعد طرح الاسقاط واخراج الحشوة . ورأينا الخلاسي من الناس وهو الذي يتخلق بين الحبشى والبيضاء والعادة من هذا التركيب انه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصابه ومثريه . ورأينا اليسري من الناس وهو الذي يخلق من بين البيض والهند لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الابوين وقوتهما ولكنه يجيء أحسن وأملح وهم يسءونه

الماء اذا خالطته الملوحة يبرأ قياساً علي هذا التركيب الذي حكينا عن البيض
والهنديات . ورأينا الخلاص من الكلاب وهو الذي يخلق بين السلوقى و كلب الراعي
ولا يكون ذلك من الزيني والقاطي . ومن كلاب الدور والحراس . وسنقول في السماع
والمسبار وفي غيرهما من الخلق المركب ان شاء الله تعالى (وذكروا) أنهم وجدوا أطول
أعمار الناس في ثلاثة مواضع . أولها سرو حمير ثم فرغانة ثم اليمامة وان في الاعراب
لأعماراً أطول على أن لحم في ذلك كذبا كثيراً والهند تزرى عليهم في هذا المعنى هكذا
يقول علماء العرب (وكان) عثمان ماش ويزال وجدعان يذكرون أنهم عدوا أربعين فتى
من فتيان قريش وثقيف اعدار عام واحد فأحصوا عشرين من قريش وعشرين من
ثقيف وتوخوا المتجاورين في الحلة والمتقاربين في الدور من الموفرين على النبيذ
والمقصورين على التنادم وأنهم أحصوا مثل ذلك العدد واشباه أولئك في السن ممن
لا يذوق النبيذ ولا يعرف شراباً الا الماء فذكروا أنهم وجدوا بعد مرور دهر عامة
من كان يشرب النبيذ حياً ومن لا يشربه قدمات عامتهم وكانوا قد بانوا في السن .
أما عثمان ويزال فكنا من المعمرين وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما وسنأتي
علي هذا الباب في موضعه من ذكر المعمرين ونميز الصدق فيه من الكذب وما
يجوز وما لا يجوز ان شاء الله تعالى (وما أكثر ما يعرض) للخصيان البول في التراش
وغير ذلك ولا سيما اذا بات أحدكم ممتثاً من النبيذ (ويعرض) لهم أيضاً شراب
والافراط في شهوته وشدة النهيم (ويعرض) لحم أيضاً إيثار المجبس وحب الصرف
وذلك أيضاً مما يعرض للنساء والافراط في شهوتهن وشدة الهمة لهن والغيرة عليهن .
ويحتامون ويجنبون ويفتسلون ويرون الماء غير الرائق ولا الغليظ الذي له ريح طلع
النخل (ويعرض) للخصى شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم أو مال
كثير أو جاه عمريض حتى ربما كان عند مولاه بعض من عسى أن يتقدم هؤلاء
المذكورين الذين يكون الخصى كلنا بهم وبتعظيمهم ومغرمًا بخدمتهم في الأدب
والحسب وفي بعد الهمة وكرم الشيمة فيعمد عند دخول ذلك الرجل الذي له

السلطان والجاه والمال الى متكأ هذا الأديب الكريم والحبيب الشريف
 فينزع من تحت مرفقه غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ويضعه له من غير أن
 يكون موضع المرافق بعيداً اذا كان ذلك مما يفوت بعض الثوت ويفعل ذلك وان
 كان يعاشر هذا الأديب الكريم . ولادوهو على يقين انه ليس من حكم الخصاء ن يرى
 ذلك الموسر وصاحب الجاه أبداً (وقد حرم بعضهم خصاء الخيل خاصة وبعضهم زاد على
 ذلك حتي حرم خصاء البهائم . وقال بعضهم اذا كان الخصاء انما اجتابه فاعله أو تكلفه
 صاحبه على جهة التماس المنفعة أو على طريق التجارة فذلك جائز وسبيله سبيل الميسم فان
 الميسم نار وأمه يجوز كل أم وقد رأينا ابل الصدقة . وسومة ووسمت العرب الخيل
 وجميع أصناف النعم في الاسلام على مثل صنيعها في الجاهلية . وقد كانت القسواء نافة
 النبي صلى الله عليه وسلم موسومة وكذلك العضباء (وقال آخرون) الخصاء غير شبيه
 بالميسم لان في الخصاء من شدة الألم ومن المثلة ومن قطع النسل ومن ادخال النقص
 على الاعضاء والنقص لمواد القوى ما ليس في الميسم وغيره وهو بقطع الألية أشبه
 والسمة انما هي لذعة والخصاء مجاوز لكل شدة (قال القوم) ولا بأس بقطع الالية اذا
 منعت بثقلها أو عظمها الشاذ من اللحاق بالقطع وخيف عليها من الذئب و قطع الالية في جواز
 القول أشبه من الميسم لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ وانما الحظ فيه لرب المال و قطع الالية
 من شكل الختان ومن شكل البطِّ وانقصد ومن جنس الوجور والبيطرة ومن جنس اللدود
 والحجامة ومن جنس السكي عند الحاجة و قطع الجارحة اذا خيف عليها الأكلة (قال
 الأولون) قل لعمرى ان للابل في السمات لأعظم المنافع لأنها قد تشرب بسماها ولا
 تذاذ عن الحوض اكراما لأربابها وقد تفضل فتؤوى وتصاب في الهواشات فتزد (قالوا)
 فاننا لا نسألکم الا عن سمات الخيل والبعال والحمير والنعم وبعده فكيف نستجيز أن
 نعمها بالاحراق بالنار لأمر عسى أن لا يحتاج اليه من ألف بعير بعير واحد ثم عسى أن
 لا يحتاج ذلك في جميع عمره الى شربة واحدة (وقال القوم) انما المياسم في النعم السائمة
 كالرقوم في ثياب البزاز ومتى ارتفعت الرقوم ومنعت المياسم اختلطت الأموال واذ

خطلت أمكن فيها الظلم والمظلوم باذل نفسه دون المعيشة والهضيمة (وقالوا) ليس قطع الآلية كالجحمة وكالثيء المصبور. وقد نهينا عن احراق الهوام وقيل لنا لا تعذبوا بمذاب الله تعالى والميهم نار وقطع الآلية من شكل قطع العروق وصاحب الجحمة يقدر أن يرى ان كان به تعلم الرماية شيئاً لا يأثم ولم يمه عن تعذيبه فيا يرد الشيء المصبور من العذاب مردداً بوجه من الوجود (وقال آخرون) ليس لك أن تحدث في جميع الحيوان حدثاً من نقص أو نقص أو إبلام لأنك لا تملك النشأة ولا يمكنك التعويض له فاذا أذن لك مالك العين بل اخترعه ومثيئه ذاته والقادر على تعويضه وهو الله عز وجل حل لك من ذلك ما كان لا يحل وايس لك في حجة العقل أن تصنع بها إلا ما كان به مصالحة كصلاح الدين وكالبيطرة (وقال آخرون) لنا أن نصنع كل ما كان يصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده مما لم يكن مرفوعاً عند بعضهم إلا أن يكون نهى ذلك البعض عن جماعتهم في طريق الخلاف والرد والمنارقة ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل فان ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكاف يعرف وجه الملام والمذعب في ذلك معروف وان كان خارجاً من ذلك الحد فقد علمنا أنه أيسح من طريق التعبد والمحنة كما جعل الله تعالى لنا ما أحل ذبحه من البهائم وكما جعل لنا أن نقتل القمل والبراغيث والبعوض وان لم يكن منها إلا مقدار الأذى فقط والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى والى كن لما أباح لنا خالق الشيء والقادر على تعويضه قتله كان قتله أسوغ في العقل مع الأذى من ذبح البهيمة مع السلامة من الأذى (قال) وايس كل ضرر ولا كل أذى حكم الله تعالى فيه باباحة القتل والله عز وجل بمقادير الأثوم وبحكم المختلف والمتنق والقليل من ذلك والكثير أحكم وأعلم. وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح اسحاق أو اسماعيل عليهما الصلاة والسلام فأطاع الولد وطواع الولد (والجواب) الماضي على قول من قال بالتعويض هو قول النظام وأكثر المتكلمين يعترضون عليه فيه * ولا يزال يرحمك الله تعالى بعض الملحدين من المعاندين أو بعض الموحدين من الأغبياء المنقوصين قد طعن في ملك

الخصى وبيعه وابتاعه ويذكرون الخصى الذي كان المقوقس عظيم القبط أهدها الى
 النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع مارية القبطية أم ابراهيم عليه السلام (قالوا) فقد
 ملك عليه الصلاة والسلام خصياً بعد أن عرفه وأحاط عاهه بأنه خصى وأنتم تزعمون ان
 الخصاء حرام وأن من اشترى من الخاصي خصياً ثم زاد على قيمته وهو خذل فقد أعان
 على الخصاء وحث عليه ورغب فيه وانه من أخش الظلم وأشد القسوة (وزعمتم) أن من
 فعل ذلك فهو شريك الخاصي في الاثم وإن حاله كحال المعروفين بالابتاع من المصوص
 (وقلم) وكذلك من شهد القمار وهراش الكلاب ونطاح الكباش وقتال الديوك
 وأصحاب المخارج وحرب الممتين الضالين (وقلم) لأن هذه المواضع لو لم تحضرها
 النظارة لما عملوا تلك الأعمال ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشرط الغلبة الرياء والسمة على
 قلوب الناس فكذلك الخاصي والمشتري والمبتاع من المشتري شركاء متعاونون وخاطا؛
 مترادفون (واذا) كان المبتاع يزيد في الساعة لهذه العلة والبائع يزيد في السوم لهذا السبب
 وقد أقررتم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبل له من المقوقس كما قبل مارية واستخدمه
 وجري عليه ملكه وأمره (فأههم) فبهك الله تعالى ما لنا محيب به في هذه المسئلة والله الموفق
 وعلى الله قصد السبيل ﴿ أقول ﴾ قبل كل شيء لا يخون هذا الحديث الذي رويته من أن
 يكون مرضي الاسناد صحيح المخرج أو يكون مسخوط الاسناد فاسد المخرج. فإن كان
 مسخوطاً فقد بطلت المسئلة. وإن كان مرضياً فقد علمنا انه ليس في الحديث أنه قبله
 منه بعد أن علم انه خصى وعلى أن قبول الهدية خلاف الابتاع لأن بائع الخصى إنما
 يحرم عليه التماس الزيادة وكذلك المبتاع إنما يحرم عليه دفع الزيادة إذا كان لو سلم اليه
 بذلك الثمن فخلاً أجل منه واشب وأخدم منه لم يزدده والبائع أيضاً لا يستام بالفعل
 سومه بالخصي وقبول الهدية وقبول الهبة وسبيل البيع والابتاع لا بأس به إذا كان
 على ما وصفنا وإنما هدية الخصى كهدية الثوب والعطر والدابة والفأ كبة ولأن
 الخصى لا يحرم ملكه ولا استخدامه بل لا يحل طرده ونفيه وعتقه جائز وجواز
 العتق يوجب الملك ولو باعه المالك على غير طلب الزيادة أو لو تاب من الخصاء

أو استحلّه . لأنّي إليه لما حرم على الخاصي نفسه استخدامه والخصي مال ومملك
 واستخدامه حسن جميل ولأن خصاءه إباد لا يمتقه عليه ولا يزيل عنه ملكه إلا بمثل
 ما وجب به ملكه (وأخرى) ان في قبول هدية ذلك المالك وتلقى كرامته بالا كرام
 تديراً وحكمة فقد بطت المسئلة والحمد لله كما هو أهله . وقد رووا مع ذلك أيضا ان
 زبناعا الجذامي خصى عبداً له وان النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه عليه فيما بلغنا والله أعلم .
 وربما سألو عن الشيء وايس القول فيه يقع في نسق القول في الخصى وفي الخلق المركب
 ولكن اذ قد أجبنا في مسئلة كلامية من مسائل الطعن في النبوة فلا بأس ان نضيف
 إليها أخرى ولا سيما اذا لم تطل فتزيد في طول الكتاب (وقد) لا يزال الطاعن يقول قد
 علمنا أن العرب لم يسموا حروب أيام الفجار بالمعجور وقريش خاصة الا أن القتال في
 البلد الحرام في الشهر الحرام كان عندهم جورا وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله
 عليه وسلم وعلى آله وهو ابن أربع عشرة سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً وقال
 شهدت الفجار فكانت أنبل علي عمومي ﴿ وجوابنا في ذلك ﴾ ان بني عامر بن صعصعة
 طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة بجزيرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال
 وقد علموا أنهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل ذلك
 خايماً مطروداً فاتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فدافعوا عن أنفسهم وعن أموالهم
 وعن ذراريتهم والتاجر لا يكون المسمى عليه ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيه عليه
 الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصرنا كما نصرت العرب على فارس يوم ذي قار به
 عليه الصلاة والسلام وبمخرجه وهذان جوابان واضحان قريبان والله الموفق للصواب
 واليه المرجع والمآب

﴿ ثم رجع بنا القول ﴾ الى ذكر عئاسن الخصي ومساويه . الخصي ينكح ويتخذ
 الجواري ويشهد شغفه بالنساء وشغفهن به وهو وان كان محبوب العوض فانه قد بقي له
 ماء حتى أن يكون فيه من ذلك ما عموأعجب اليهن . وقد يحتلم ويخرج منه عند الوطاء ماء
 ولكنه قليل متغير الریح رقيق ضعيف وهو يباشر بشقة ثم لا يمنعه من المعاودة الماء الذي

يخرج منه اذا كان قليل المقدار لا يخرج منه من القوة الى الضعف مثل الذي يمتري
من يخرج منه شيء يكون من انسان وهو أكثر وأكثراً وأحد ربحاً وأصح جوهراً
(والخصى) يجتمع فيه أمنية المرأة وذلك أنها تبغض كل سريع الافاقة البطيء الافاقة
كما تكره كل ثقيل الصدر وخفيف العجز والخصى هو السريع الافاقة البطيء الافاقة
المأمون الافاح فتيمة المرأة معه وهي آفة العار الأكبر فهذا أشد لتوفير لذتها وشهواتها
(واذا) ابتدأ الخصيان وحترن المبيد وذمبت الهيبة من قلوبهن وتمتد البعول والتصنع
لذوى الاقدار باجتلاب الحياء وتكلم الخجل ظهر كل شيء في قوى طبائهن
وشهواتهن فامكنها الشخير والصياح وأن تكون مرة من فوق ومرة من أسفل وسمحت
النفس بمكنونها وظهرت أقصى ما عندها وقد تجردت النساء من تؤثر النساء وتجد فيهن
من تؤثر الرجال وتجد فيهن من تؤثر الخصيان وتجد فيهن من تجمع ولا تفرق وتم
ولا تخص . وكذلك شأن الرجال في الرجال وفي النساء والخصيان فالمرأة تنازع الى
الخصى لان أمره أستر وعاقبته أسلم وتحرص عليه لانه ممنوع منها ولان ذلك حرام
عليها فلها جاذبان جاذب حرص كما يحرص على الممنوع وجاذب أمن كما يرغب في
السلامة (وقال الاصمعي) قال يونس بن عبيد لو أخذنا بالجزع اصبرنا قال الشاعر
وزادها كنا بالحلب أن منمت * أحب شيء الى الانسان ما منما

والحرص على الممنوع باب لا يقدر على الاحتجاز منه والاحتراس من خدعه الاكل
مبرز في الفطنة ومتمهل العزيمة طويل التجارب فاضل العتلى على قوى الشهوات وبئس
الشيء القرين السوء (وقالوا) صاحب السوء قطعة من النار وباب من هذا الشكل فيكم
أعظم حاجة الى ان تعرفوه وتفنوا عنده وهو ما يوضع الخبر السابق الى السمع ولا سيما
اذا صادف من السامع قلة تجربة فان قرن بين قلة التجربة وقلة التحفظ دخل ذلك الخبر
السابق الى مستقره دخولا سهلا وصادف موضعا وطيبا وطبيعة قابلة ونفسا ساكنة
ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخا لاحيلة في ازالته ومتى ألقى الى الفتیان شيء
من أمور الفتيات في وقت الفراغ وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة وقلة التشاغل

وكذلك متى التي الى الفتيان شيء من أمورهن وأموال الغلمان وعملك سكر الشباب
فكذلك تكون حالهم ون الشطار ليخلو أحدهم بالغلام الغريب فيقول له لا يكون الغلام
فتى أبداً حتى يصادف فتى فما الماء المذب البادر بأسرع في طباع العطشان من
كلمته اذا كان للغلام أدنى هوى في النبتة وأدنى داعية الى الشطارة . وكذلك اذا دخلت
المعجوز المذربة بالجارية الحديثة (وقال الشاعر) فيما يشبه وقوع الخبر السابق الى القلب
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الارض يأنفه الفتى * وحينئذ أبداً لأول منزل
(وقال مجنون بني عامر)

أنا نى هو اها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا
(وباب آخر) مما يدعو الى الفساد وهو طول وقوع البصر على الانسان الذى في طبعه
أدنى قابل وأدنى حركة عند مثله وطول التدانى وكثرة الرؤية هما أصل البلاء كما قيل
لا بنه الخس لم زينيت بعبدك ولم تزن بجر وما أغراك به قات طول السواد وقرب الوساد
ولو أن اقبح الناس وجها وأنتهم ريحا وأظهرهم فقرا وأسقطهم نفسا وأوضعهم حسبا
قال لامرأة قد تمكّن من كلامها ومكنته من سمعها والله يامولاتى وسيدتى لقد
أسهرت ايلي وأرقت عيني وشغلتي عن مهم أمري فما أعتل أهلا ولا مالا ولا ولداً
انقض طباعها وانسخ عتدها ولو كانت أبرع الخلق جمالا واكلمهم كالا وأماحهم ملحا
فان تهيأ مع ذلك من هذا المتعشق ان تدمع عينه احتاجت هذه المرأة ان يكون معها
ورع أم الدرد ، وه ماذة العدوية وراثة القيسية والشجا الخارجية واما قال عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه اضربوهن بالعري لأن الثياب هى المدعاة الى الخروج فى
الاعراس والقيام فى المناحات والظهور فى الاعياد . ومتى كثير خروجها لم يدمها أن
ترى من هو من شكل طبعا ولو كان بعلمها أتم حسنا والذي رأته انقض حسنا لكان
مالا تملكه الطرف مما تملكه والكان ما لم تملكه ولم تستكثر منه أشد لها اشتغالا
وأشد لها اجتذابا وذلك قال الشاعر

وللعين ماهي بالتلاد ولم يفد * هوى النفس شيء كافتيا الطرائف
(وقال سعيد بن مسلم) ان ترى حرمي ألف رجل على حال تكشف منها وهي لا تراهم
أحب الي من أن ترى حرمي رجلا واحداً غير منكشف (وقال الاول) لا يضرك
حسن من لم تعرف لانك اذا أتبتها بصرك وقد نقضت طبعك فعمت أنك لا تصل
اليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك كان الذي رأيت منها كالخلسة اذ كان ذلك
يقضي ما فيه من المنى ورجعت نفسه الى مكانها الأول لم يكن عليه من فقد ما رآه في
النوم أو مثله له الاماني مؤنسة (وقيل) لعقيل بن عاقمة لو زوجت بناتك فان النساء لحم
على وضم اذا لم يكن غايات قال كلا اني أجمعين فلا يأتون وأعرسهن فلا يظهرهن
فوافقت احدي كلمته قول النبي صلى الله عليه وسلم الصوم وجاء . وقال عمر استمعينوا
عليهن بالعري وقد جاء ان ترك الشعر مجفرة وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذي
ذكرنا فيه شأن الغيرة وأول الفساد وكيف ينبت وكيف يحصد (وقد) رأيت غير خصي
يتلوط ويطلب الغلمان على جهة الصداقة ويحمل في ذلك الحديد ويقا تل دون التجون
(وقد) كان في قطيعة الربيع خصي أثير عند مولاد عظيم المنزلة عنده وكان يثق به في ملك
يمينه وفي حرمه من بنات وزوجة وأخت لا يخلص شيئاً دون شيء فأشرف ذات يوم على
مربد له وفي المربد غم صفايا وقد شديدي شاة وركبها من مؤخرها يكومها فلما
أبصره برق وبعده وسقط في يديه وهجم عليه أمر لو يكون رآه من خصي لعدوه لما
فارق ذلك الهول أبداً قلبه فكيف وانما عين الذي عين فيمن كان يخلقه في نسائه
من حرمه وملك يمينه فينا الرجل وهو واجم قد برق وهو ينتظر اليه اذا رفع
الخصي رأسه فلما أثبت مولاد مرة مسرعاً نحو باب الدار ايركب رأسه وكان
لمولى أقرب الى الباب منه فسبته اليه وكان الموضع الذي رآه منه موضعاً لا يصعد
فحدث لشقائه أمر لم يجد مولاد بدأ من صعوده فلبث الخصي ساعة ينتفض من حمي
كبته ثم فاظ ولم يميس الا وهو في القبر . ولقرط ارادتهم النساء وبالخسرة التي نالهم
بالاسف الذي دخلهم أبعضوا الفحول بأشد من تباعض الاعداء فيما بينهم حتى ايس

بين الحاسد الباغي وبين أصحاب النعم المتظاهرة ولا بين الماثي المعني وبين راكب الهلاج
 الفاره ولا بين ملوك صاروا سوقة وبين سوقة صاروا ملوكا ولا بين بني الاعمام مع
 وقوع التنافس أو وقوع الحرب ولا بين الجيران المتشاكسين في الصناعات من التنفير
 والبغضاء بقدر ما يتحقق عليه الخصيان للفجور . وبغض الخصي للفجل من شكل بغض
 الحاسد الذي النعمة وليس من شكل ما يولده التنافس وتلاحقه الجنائيات * ولرجال كل فن
 وضرب من الناس ضرب من النسيك اذ لا بد لاحد منهم من النزوع ومن ترك طريقته الاولى
 فنسيك الخصي غزو الروم لما أن كانوا هم الذين خصوهم ولزوم أذنة والرباط بطرسوس
 وأشباهاها فظن عند ذلك أهل الفراسة ان سبب ذلك انما كان لان الروم لما كانوا هم
 الذين خصوهم كانوا متغايظين عليهم وكانت النفوس متطالبة الى التشفى منهم فأخرج
 لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتلهم وعلى الانفاق في كل شيء يبلغ منهم . ونسيك
 الخراساني ان يحج . ونسيك الجندي ان يدع الديوان . ونسيك المعنى ان يكثر التسبيح
 وهو يشرب النبيذ والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في جماعة . ونسيك
 الرافضي اظهار ترك النبيذ . ونسيك السوادي ترك شرب المطبوخ فقط . ونسيك
 اليهودي إقامة السبت . ونسيك المتكلم التسرع الى إكفار أهل المعادي وان يرمى الناس
 بالجبر أو بالتعطيل أو بالزندقة يريد أن يوهم أمورا (منها) ان ذلك ليس الامن تعظيمه
 للدين والاغراق فيه (ومنها) أن يقال لو كان نطقا ^(١) أو مرتابا أو محتجا على بلية لما رمي
 الناس ولرضي منهم بالسلامة وما كان ايرهم الا للز الذي في قلبه ولو كان هناك من
 ذل الريبة شيء لقطعه ذلك التعرض لهم أو التنبيه على ما عسى ان حركهم له ان يتحركوا
 ولم نجد في المتكلمين انطاف ولا أكثر عيوباً ممن يرمي خصومه بالكفر ~~وكان~~ أبو عبد
 الله الجماز ~~و~~ وهو محمد بن عمرو يتعشق جارية لآل جعفر يقال لها طغيان وكان لهم خصي
 نحفظها اذا أرادت بيوت المغنين وكان الخصي أشد عشقا لها من الجماز وكان قد حال

(١) (نطقا) من نطق كفرح وعني نطقا محرمة ونطقا فآهـم بربية وتالطخ بعيب

بينه وبين كلامها والدنو منها فقال الجواز

ما للمقيت سنان * وللظباء السلاح
ليس خصى بزنان * غاز بغير سلاح
(وقال أيضاً فيه وفيها)

نفسى الفداء لظبي * يحبنى وأحبه
من أجل ذاك سنان * اذا رآنى يسبه
هبه أجاب سنانا * ينيكه أين زبه
(وقال أيضاً فيهما)

ظبي سنان شريكى * فيه فبئس الشريك
فلا ينيك سنان * ولا يدعنا نديك
(وقال الماخورى) يذكر محاسن خصال الخصيان
ونساء لمطمنن مقيم * ورجال ان كانت الاسفار
(وقال مزرد بن ضرار)

اذا لام على المرد * اصيح زاذني حرصا
ولا والله ما اوقم * ما عمرت أو أخصى
(وقال آخر)

رماك الله من أير بأفمى * ولا عافاك من جهد البلاء
جزاك الله شرا من رفيق * اذا بلغت بي ركب النساء
أجبتنا في الكريمة حين نلقى * وما تنك تمعظ في الخلاء
فلا والله ما أمسى رفيقي * ولولا البول عوجل باخضاء
(وقال بعض عبد القيس)

ما كان مخدم ابن راضخة الخصا * يرجو المناكح في بنى الجارود
ومن انتكاس الدهر أن زوجتها * ولكل دهر عشرة بهجود
(١١ - حيوان)

لو كان منذر اذ خطبت اليهم * حيا لكان خصاك بالنعوذ

وقال أبو عبيدة * حدثني أبو الخطاب قال كان عندنا رجل أحدب فسقط في بئر فذمبت حدبته وصاد آدر فقبل له كيف نجدك والذي جاء شر من الذي ذهب^(١) * وأبو الحسن * عن بعض رجال الادب قال خرج معاوية ذات يوم يمشى ومعه خصي له اذ دخل على ميسون ابنة بجدل وهي أم يزيد فاستترت منه فقال أستترين منه وانما هو مثل المرأة قالت أرى أن المثلة به تحل ما حرم الله تعالى

— ذكر ما جاء في خصاء الدواب —

ذكر آدم بن سليمان * عن الشعبي قال قرأت كتاب عمر رضي الله تعالى عنه الى سعد ينهي عن حذف اذنان الخيل واعرافها وعن خصائها ويأمره أن يجري من رأس المائتين وهو أربعة فراسخ (وسفيان الثوري) عن عاصم بن عبد الله بن عمر أن عمر رضي الله تعالى عنه كان ينهى عن خصاء البهائم ويقول هل الانماء الا في الذكور (وشريك ابن عبد الله) قال أخبرني ابراهيم بن المهاجر عن ابراهيم النخعي أن عمر رضي الله تعالى عنه نهى عن خصاء الخيل (وسفيان الثوري) عن ابراهيم بن المهاجر قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لبعض عماله لا تجرين فرسا الا من المائتين ولا تخصين فرسا (قال) وسمعت نافعاً يقول كان عبد الله بن عمر يكره خصاء الذكور من الابل والبقر والغنم (وعبيد الله بن عمر) عن نافع أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يكره اخصاء ويقول لا تقطعوا ناهية خالق الله تعالى * وعبيد الله وأبو بكر ابنا نافع عن نافع قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تخصي ذكور الخيل والابل والبقر والغنم ويقول فيها نشأ الخلق ولا تصاح الاناث الا بالذكور (ومحمد بن أبي ذؤيب) قال سألت الزهري هل يخصاء البهائم بأس قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين نهى عن صبر الروح. قال الزهري واخصاء صبر شديد (وابو جعفر الرازي) قال حدثنا الربيع بن أنس عن أنس بن مالك في قوله

تعالى (ولا مرتهم فليغيرن خالق الله) قال هو الخصاء (و ابو جرير) عن قتادة عن
 عكرمة عن ابن عباس نحوه (ابو بكر المذلي) قال سألت الحسن عن خصاء الدواب فقال
 تسألني عن هذا لعن الله من خصى الرجال (ابو بكر المذلي) عن عكرمة في قوله
 تعالى (ولا مرتهم فليغيرن خالق الله) قال خصاء الدواب قال وقال سعيد بن جبير خطأ
 هو دين الله (نصر بن طريف) قال حدثنا قتادة عن عكرمة في قوله تعالى (فليغيرن
 خلق الله) قال خصاء البهائم فبلغ مجاهداً فقال كذب هو دين الله . فمن العجب ان الذي
 قال عكرمة هو الصواب ولو كان هو الخطأ لما جاز لأحد أن يقول كذب والناس
 لا يضعون هذه الكرامة في موضع خطأ الرأي ممن يظن به الاجتهاد وكان ممن له
 أن يقول ولو أن انسانا سمع قول الله تبارك وتعالى (فليغيرن خالق الله) قال انما يعنى
 الخصاء لم يقبل ذلك منه لأن اللفظ ليست فيه دلالة على شيء دون شيء واذا كان
 اللفظ عاماً لم يكن لأحد أن يقصد به الى شيء بعيد الا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ذلك مع تلاوة الآية أو يكون جبريل عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه
 وسلم لأن الله تبارك وتعالى لا يصر ولا ينوى ولا يخص ولا يعم بالتصديق وانما الدلالة
 بنية الكلام نفسه فصار الكلام هو الارادة وهو التصديق وليس بينه وبين الله تعالى
 عمل آخر كالذي يكون من الناس تعالى الله عن قول المشبهة علواً كبيراً ابو جرير
 عن عمار بن أبي عمار أن ابن عباس قال في قوله تعالى (ولا مرتهم فليغيرن خالق الله) قال
 هو الخصاء (و ابو جرير) عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس مثله (ابو داود النخعي)
 عن محمد بن سعيد عن عباد بن نسي عن ابراهيم بن محيرز قال كان أحب الخيل انى
 سلف المسلمين في عهد عمر وعثمان ومعاوية رضي الله تعالى عنهم الخصيان فانها أخفى
 للكمين والطلائع وابقى على الجهد (ابو جرير) قال أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم ير
 بأساً بخصاء الدواب (و ابو جرير) عن أيوب عن ابن سيرين انه لم يكن يرى بأساً بالخصاء
 ويقول لو تركت الفحولة لأكل بعضها بعضاً (وعمر ويونس) عن الحسن انه لم يكن يرى
 بأساً بخصاء الدواب (سفيان بن عيينة) عن ابن طاوس عن أبيه انه خصى بعيراً

* وانصل هذا الكلام بالكلام على العساير * وهي الاجناس المختلفة قال الكمي
 وتجمع المتفرقو * ن من الفراعل والعساير
 يرميهم بأنهم اخلاطو وعلوجون (وزعموا) ان السمع ولد الذئب من الضبع * ويزعمون
 ان السمع كالحية لا تعرف العال ولا تموت حتف أنفها ولا تموت الا بمرض يعرض لها
 ويزعمون انه لا يمدو شئ كمدو السمع وانه أسرع من الريح والطيور (وقال سهم بن
 حنظلة) يصف فرسه

فأعص العواذل وارم الليل في عرض * بذى شيب يقاسي ليله خيبا
 * كالسمع لم ينقب البيطار سرته * ولم يرجه ولم يفمزله عصبا *
 (وقال ابو كنانة يصف فرسا)

والعقاب الطلوب يضر بها الطال * ل وقد صوبت على عساير
 (وقال سؤر الذئب)

هو سمع اذا تمطر شيئا * وعقاب يحثها عساير
 يقول اذا اشتد هرب المطلب الهارب من الطالب الجاد فهو أحث للطالب واذا صار
 كذلك صار المطلب حينئذ في معني من يحث الطالب اذ صار افراط سرعته سببا
 لا فراط طالب العقاب (وقال ابن أخت تأبط شرأ)

مسبل بالحي أحوى رفل * واذا يمدو فسمع أزل

وانما قال أزل وجماله عادي ووصفه بذلك لانه ابن الذئب (وقال الاصمعي)

* يدبر عيني لاطة عسبارد * وقال في موضع آخر * كأن منها طرفه استعاره *
 وقال آخر * ياني بها السمع الأزل الأطلما * (وزعموا) أن ولد الذئب من

الكلبة الديسم (وروي) ابشار بن برد في ديسم الغنزي أنه قال

أديسم يابن الذئب من نسل زارع * أروي هجائي سادراً غير مقصر

وزرع اسم الكلب يقال للكلاب أولاد زارع (وزعم) صاحب المنطق ان أصنافاً أخر
 من السباع المتزوجات المتلافحات مع اختلاف الجنس والصورة معروفة النتاج مثل

الذئب التي تسند الكلاب في أرض رومية (قال) وتتولد أيضا كلاب سلوقية من شماب
 و كلاب (قال) وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاعويس وبين الكلاب تحدث هذه
 الكلاب الهندية (قال) وليس يكون ذلك من الولادة الأولى (وزعم) أن نتاج الأولى
 يخرج صعبا وحشيا لا يألف ولا يؤانف (وزعم) أن السكابة تعرض لهذا السبع حتي
 تلقح ثم تعرض لثله مرارا حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبل التلقين
 وأنهم يأخذون اناث الكلاب ويربطونها في تلك البرارى فتجىء هذه السباع
 وتسفدها وليس في الأرض أنثى تجتمع على حب سفادها ولا ذكر يجتمع له من النزوع
 الى سفاد الاجناس المختلفة أكثر في ذلك من السكاب والسكابة (قال) واذا ربطوا هذه
 الكلاب الاناث في تلك البرارى فان كانت هذه السباع هائجة سفدتها وان لم يكن
 السبع هائجا فالسكابة مأكولة (وقال أبو عدنان)

أيا باكي الاطلاع في رسم دمنة * ترود بها عين المها والجاذر
 وعانات جوال وهيق سفنج * وسنداوة فضناضة وحضاجر
 وسمع خني الرز ثبت ودوبل * وثرملة تعتاها وعسابر
 (وقد سمعنا) ما قال صاحب المنطق من قبل وما يليق بمثله أن يخلد على نفسه في المكتب
 شهادات لا يحققها الامتحان ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء وما عندنا في معرفة
 ما ادعى الا هذا القول. وأما الذين ذكروا في أشعارهم السمع والعسبار فليس في ظاهر
 كلامهم دليل على ما ادعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف فأدينا الذي قالوا
 وأمسكنا عن الشهادة إذ لم نجد عليها برهانا. وللناس في هذا الضرب ضروب من الدعوى
 و علماء السوء يظهرون تجوزها وتحقيقتها كالذى يدعون من أولاد السعالى من الناس
 كما ذكروا عن عمرو بن ربوع وكما يروى أبو زيد النجوى عن السعاللة التي أقامت
 في بني تميم حتى ولدت فيهم فلما رأته برقا يلمع من شق بلاد السعالى حنت وطار
 اليهم فقال شاعرهم

رأى برقاً فأوضع فوق بكر * فلاياً مأسال وما أناماً

(وأنشدني) أن الجن طرقتوا بعضهم فقال
 أتواناري فقلت منون أتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلما
 فقلت الى الطعام فقال منهم * زعيم نحسد الانس الطعاما
 ولم أعب الرواية وانما عبت الايمان بها والتوكيد لمعانيها فمأكثر من يروي هذا الضرب
 على التعجب منه وعلى أن يجعل الرواية سببا لتعريف الناس حق ذلك من باطله وأبو
 زيد وأشباهه مأمونون على الناس الا أن كل من لم يكن متكاما حاذقا وكان عند العلماء
 قدوة واماما فما أقرب افساده لهم من افساد المتمعد لافسادهم (وأنشدوا) في تثبيت
 أولاد السعلاة

أقول جمع من بوان ووتد * وحسن أن كانتني مالم أجد
 مالم تقل جيء بأبان أو أحد * أو ولد السعلاة أو جرو الاسد
 أو ملك الاعجام مأسورا بقصد

(وقال آخر)

ياقاتل الله بي السعلاة * عمرا وقابوسا شرار النات
 (وذكروا) أن جرهما كان من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم وكان الملك من الملائكة
 اذا عصى ربه في السماء أهبطه الى الارض في صورة رجل وفي طبيعته كما صنع بهاروت
 وماروت حين كان من شأنهما وشأن الزهرة وهي أناعيد ما كان فلما عصى الله تعالى
 بعض الملائكة وأهبطه الى الارض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما
 ولذلك قال شاعرهم

لاهم أن جرهما عبادكا * الناس طارف وهم تلادكا
 (ومن) هذا النسب ومن هذا التركيب والنحل كانت بلقيس مائة سبأ وكذلك كان ذو
 القرنين كانت أمه فيرى آدمية وأبود عبري من الملائكة . وكذلك لما سمع عمر بن
 الخطاب رضی الله تعالى عنه رجلا ينادي ياذا القرنين فقال أفرغتم من أسماء الأنبياء
 فارتفعتم الى أسماء الملائكة (وروي) لختار بن أبي عبيد ان عليا كان اذا ذكر ذا القرنين

قال ذلك الملك الأمصرط (وزعموا) ان التناكح والتلافيح قد يقع بين الجن والانس لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد وذلك ان الجنيات انما تعرض لصرع رجال الانس على جهة التمشق وطاب السفاد وكذلك رجال الجن انساء بني آدم ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء ونساء قوم للرجال والنساء. ومن زعم ان الصرع من المرأة رد قوله تعالى الذين يا كلون الربا لا تقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وقال تعالى لم يطعمهن انس قبلهم ولا جان فلو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك قط وليس ذلك في تركيبه لما قال الله تعالى هذا القول (وزعموا) ان النسناس تركيب ما بين الشق والانسان (وزعمون) ان خالقنا من وراء السد تركيب من النسناس والناس والشق ويا جوج وما جوج (وذكروا) عن الواق واق والدوال انهم نتاج ما بين بعض النبات والحيوان (وذكروا) ان امة كانت في الارض فأمر الله تعالى الملائكة فاجلوهم واياهم عنوا بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولذلك قال الله عز وجل لا دم وحواء ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فهذا يدل على ان ظلما كان (قال الأصبغي) أو خلف في أرجوزة مشهورة ذكر فيها طول عمر الحية

أرقش أن أسبط أوثني * حسبت ورسا خالط اليرنا

خالطه من هاعنا وهنأ * اذا أتى إدَّ الحداة استنا

(قال) وكان يقال لتلك الامة مهنا (وزعم المجوس) ان الناس من ولد مهنة ومهينة وانهما تولدا فيما بين ارحام الارضين ونطفة تين اندرتا من عيني ابن هريرة حين قتل * وحماقات اصحاب الاثني كثيرة في هذا الباب ولولا اني احببت أن تسمع نوعا من الكلام ومبلغ الرأي لتحدث لله تعالى شكراً على السلامة لما ذكرت لك كثيرا من هذا الجنس (وزعم) ابن هيثم انه رأى بالكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري صديق ابيس وختنه وانهم كانوا لا يشكون ان ابيس جده من قبل أمهاته. وسنتقول في ذلك بالذي يجب ان شاء الله تعالى وصلة هذا الكلام بحسبى بعد هذا ان شاء الله تعالى (وقلت) ولو تم

للكتاب معنى السبع وطبائه لما ألف لانسان واستوحش من السبع وكرد الغياض وألف
الدور واستوحش من البرارى وجانب القنار وألف المجالس والديار ولو تم له معنى
الهيئة في الطابع والخلق والذئب لما أكل الحيوان وكتاب على الناس نم حتى ربما كتاب
ووثب على صاحبه وكتاب على اهله (وقد ذكر ذلك طرفة فقال)

كنت لنا والدهور آونة * تقتل حال النعيم بالبؤس

ككتاب طعم وقد يريه * يعمله بالحليب في الغلس

ظل عليه يوما يفره * الا يلع في الدماء يتهس

(وقال) حاجب بن ذبيان المازنى في مثل ذلك

وكم من عدو قد أعنتم عليكم * بمال وساطان اذا سلم الحبل

كذي الكتاب لما أسمن الكتاب رابه * باحدى الدواهي حين فارقه الجهل

(وقال عوف بن الاحوص)

فاني وقيسا كالمسمن كابه * تخدشه أنيابه وأظافره

(وأنشد ابن الاعرابي لبعضهم)

وهم سموا كالبالياء كل بعضهم * ولو ظفروا بالحزم أسمن الكتاب

(وفي الأثر) سم كالك يأكلك * وكان * رجل من أهل الشام مع الحجاج بن

يوسف وكان يحضر طعامه فكتب الى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب وانه قد

سم فكتبت اليه امرأته

أتهدى لى القرطاس والخبز حاجتى * وأنت على باب الامير بطين

اذا غبت لم تذكر صديقا وان تقم * فأنت على مافى يدك ضنين

فأنت ككتاب السوء في جوع أهله * فيهزل أهل الكتاب وهو سمين

(وفي المثل) سم كلب في جوع أهله وذلك انه عند الصواف يصيب المال والاخرج يعرض

للنوق وعلى انه حارس محتس منه ومؤنس شديد الايحاش من نفسه واليف كثير

الخيانة على الذه وانما اقتنوه على ان يندرهم بموضع السارق وتركوا طرده لينبهم على

مكان المبيت ويدل على انه سرور عندهم قول الشاعر

أخي ان سرى كلب فبيت حلة * وجبجبة لاوطب ايلي تطلق

فهو سراق وصاحب بيت وهو نباش وآكل لحوم الناس الا انه يجمع سرقة الليل مع سرقة النهار ثم لا تجده أبداً يمشى في خزانه أو مطبخ أو عرسه دار أو في طريق أو في براري أو في ظهر جبل أو في بطن واد الا وخطمه في الارض يتشم ويستروح وان كانت الارض بيضاء وحصباء ودوية ملساء أو صخرة خلتا حرسا وجشما وشرها وطمعا نم حتى لا تجده أيضاً يري كلبا الا اشتم استه ولا يتشم غير هامنه ولا تراه يرمي بحجر أيضاً أبداً الا رجع اليه فعض عليه لانه لما كان لا يكاد يأكل الا شيئاً رموا به صار ينسى لفرط شرهه وغلبة الجشع على طبعه أن الرائي انما أراد عقرد أو قتله فيظن لذلك أنه انما أراد إطعامه والاحسان اليه كذلك يخيل اليه فرط النهم وتوهمه غلبة الشره ولكنه رمى بنفسه على الناس عجزاً واؤماً وفسولة ونقصاً وخاف السباع واستوحش من الصحارى ولما سمعوا بعض المفسرين يقول في قوله تعالى (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) إن المحروم هو الكلب وسمعوا في المثل يصنعوا المعروف ولو الى الكلب عطفوا عليه واتخذوه في الدور وعلى أن ذلك لا يكون الا من سفلتهم وانغميائهم ومن قل تقدره وكثير جهله ورد الآثار إما جهلاً وإما معاندة (وأما الديك) فن بهايم الطير وبغائها ومن كلولها والعيال على أربابها وايس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ولا من يطرب بصوته ويشجي بلحنه كالتقارى والديباسب والشغائين والوراشين والبلابل والفواخت ولا ممن يوثق بمنظره ويمتاع الابصار حسنه كالطواويس والتدارج ولا ممن يعجب بهدياته ويعقد الذمام باللفه ونزاعه وشدة أنسه وحنينه وتريده بارادته لك وتعطف عليه لحبه اياك كالحمام ولا هو أيضاً من ذوي الطيران منها فهو طائر لا يطير وبهيمه لا يصيد ولا هو أيضاً ممن يكون صيداً فيمتع من هذه الجهة ويراد لهذه اللذة (والخفاش) أمرط وهو جيد الطيران والديك كاس وهو لا يطير وأى شيء أعجب من ذى ريش أرضى ومن ذى جلدة هوائى وأجمع الخلق لخصال الخير

الانسان وايس الزواج الا في الانسان وفي الطير فلو كان الديك من غير الطير ثم كان
من لا يزواج اتمد كان قد منع هذه الفضيلة وعدم هذه المشاكاة الغريبة وحرم هذا
السبب الكريم والشبه المحمود فكيف وهو لا يزواج وهو من الطير الذي ايس الزواج
والالف وثبات المهود وطب الذرة وحب النسل والرجوع الى السكن والحزين الى الوطن
الاله والانسان وكل شيء لا يزواج فانما دخله النقص وخسر هذه الفضيلة من جهة
واحدة وقد دخل الديك النقص من جهتين ووصف ابو الاخضر الجمانى الحمار وغير
العانة خاصة فانه اُمثل في باب المعرفة من الاهلى فذكر كيف يضرب في الاتن ووصف
استبهامه عن طاب الولد وجهله بوضع الذرة وان الولد لم يجيء منه عن طلبه ولكن
الطنفة البرية من الاستقام اذا لاقت الارحام البرية من الاستقام وحدث التناج عن
الخلة وعن ماسويت عليه البنية وذكر ان نزود على الأتان من شكل نزود على العير
وانما ذلك على قدر ما يحضره من الشبق ثم لا ياتنت الى دبر من قبل الى ما يفتح
فقال لا مبتغي اضني، ولا بالمازل يقول هو لا يريد الولد ولا يزل والاشياء التي تألف
الناس ولا تريد سوهم ولا تحن الى غيرهم كالمصنور والخطاف والكلاب والنور والديك
لا يألف منزله ولا ربه ولا يحن الى دجاجة ولا طرورته ولا يحن الى ولده بل لم يدر
قط ان له ولدا ولودرى لكان على درايته دليل فاذا قد وجدناه ابيضه وفرار يجه الكائنة
منه كما نجد ما لم يلد وما ايس من شكاه ولا يرجع الى نسبه فكيف تعرف الامور الا
بهذا وشبهه وهو مع ذلك ابله لا يعرف أهل داره ومهوت لا يثبت وجه صاحبه وهو
لم يخلق الا عند وفي ظله وفي طعامه وشربه وتحت جناحه والكلب على ما فيه يعرف
صاحبه وهو والنور يعرفان أسنانهما وبالغناض وضعها وان طردا رجما وان أجمعا صبرا
وان أهينا احتملا والديك يكون في لدار من لان كان فروجا صغيراً الى أن صار ديكاً
كبيراً وهو ان خرج من باب لدار وسط على حائط من حيطان الجيران أو على موضع
من المواضع لم يعرف كيف لرجوع وان كان يرى منزله قريباً وسبيل المطاب يسيراً
ولا يذكر ولا يندكر ولا يهتدى ولا يتصور له كيف يكون الاهتداء ولو حن اطاب

ولو احتاج لالتمس ولو كان هذا الخبر في طباعه لظهور ولكنها طبيعة باهاء مستهينة طامحة
 وذاهلة ثم يسند الدجاجة ولا يعرفها هذا مع شدة حاجته اليهن وحرصه على السناد
 والحاجة تفتق الحيلة وتدل على المعرفة الا ما عليه الديك فانه مع حرصه على السناد
 لا يعرف التي يسند ولا يقصد الى ولد ولا يحضن بيضا ولا يعطفه رحم فهو من هاعنا
 أحق من الحبارى وأحق من الضب وقال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه كل شيء
 يجب ولده حتى الحبارى فضرب بها المثل كما ترى في الموق والغنلة وفي الجهل والبله
 وتقول العرب أعق من الضب لانه يأكل حسوله وكرم عند العرب حظ المرأة لقولهم
 أبر من هرة وأحق من ضب فوجهوا أكل الهرة أولادها على شدة الحب لها ووجهوا
 أكل الضب لها على شدة البغض لها وايس ينجوا منه شيء منها الا بشغله بأكل
 أخوته عنه وليس يجرسها مما يأكلها الا لئلا ياكلها ولذلك قال العماس بن عقيل لأبيه عقيل
 ابن عانة^(١)

أكلت بذك أكل الضب حتى * وجدت ممرارة الكلاب الويل
 فلو أن الأولى كانوا شهوداً * منعت فناء بيتك من بجيل
 وقال أيضاً *

أكلت بذك أكل الضب حتى * تركت بذك ليس لهم عدل
 وشبهه السيد بن محمد الحميري، عائشة رضي الله تعالى عنها في ذنبها الحرب يوم الجمل
 لقتال بنيتها بالهرة حين تأكل أولادها فقال
 جأت مع الأشقين في هودج * تزجي الى البصرة أجنادها
 كأنها في فعالها هرة * تريد أن تأكل أولادها
 وتقول العرب أيضاً أحق من جهينة وهي عرس الذئب لأنها تدع ولدها وترضع
 ولد الضبع قال وهذا معني قول ابن جزل الطعان

(١) وفي الاغاني ان الابیات لارطاة بن سهبة بخاطب بها عقيل لما ضربه بجيل فجاء ابنه عماس
 فالتقم له وكان عقيل قد طرد بذك قبل ذلك

كرضعة أولاد أخرى وضيعت * بنيتها فلم ترقع بذلك مرعما
ويقولون إن الضيع إذا صيدت أوقلت فإن الذئب يأتي أولادها بالاجم وأنشد الكميت
كما خامرت في حضنها أم عامر * لذي الجبل حتى عال أوس عيالها
وأوس هو الذئب وقال في ذلك

في كل يوم من ذوابه * ضغت يزيد على إباله
فلا حشونك مشقماً * أوساً أويس من الهباله

الأوس الاعطاء وأويس هو الذئب وقال في ذلك الهذلي
يأليت شعري عنك والآمرأئم * ما فعل اليوم أويس في الغنم
وقال أمية بن أبي الصلت

وأبو اليتامى كان يحسن أوسهم * وبجوطهم في كل عام جاحد

ويقولون أحق من نعامة كما يقولون أشرد من نعامة قالوا ذلك لأنها تدع الحضن على
بيضها ساعة الحاجة إلى الطعم فإن هي في خروجها ذلك رأت بيض أخرى قد خرجت
للطعم حضنت بيضها ونسيت بيض نفسها وأمل تلك أن تصاد فلا ترجع إلى بيضها
بالعراء حتى تهلك قالوا ولذلك قال ابن هرمة

فأني وتركي ندى الأكرمين * وقد حي بكفي زندا شجاحا

كتاركة بيضها بالعراء * ومابسة بيض أخرى جناحا

وقد تحضن الحمام على بيض الدجاج وتحضن الدجاجة بيض الطاووس فإما إن يدع
بيضه ويحضن بيض الدجاجة أو تدع الدجاجة بيضها وتحضن بيض الطاووس فلا فاما
فروج الدجاجة إذا خرج من تحت الحمامة فإنه يكون أكيس فاما الطاووس الذي يخرج
من تحت الدجاجة فيكون أقل حسناً وأبغض صوتاً وكل بيضة في الأرض فإن اسم
الذي فيها والذي يخرج منها فرخ الابيض الدجاج فإنه يسمى فروجا ولا يسمى فرخا
لأن الشعراء يجعلون الفروج فرخا على التوسع في الكلام ويجوزون في الشعر أشياء
لا يجوزونها في غير الشعر قال الشاعر

لعمري لأصوات المسكاكي بالضحى * وسوء تداعي بالمشى نواعبه
 أحب الينا من فراخ دجاجة * ومن ديك انباط تنوس غباغه
 وقال الشماخ بن ضرار

ألا من مبلغ خانان عني * تأمل حين يضر بك الشتاء
 فتجعل في جنابك من صغير * ومن شيخ أضرب به الفناء
 فراخ دجاجة يتبعن ديكاً * يلذن به اذا حمس الوغاء

قلت وأى شيء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك حتى يتفرغ الذكر محاسنها
 ومساويها والموازنة بينهما والتنويه بذكرها شيخان من عالية المتكلمين ومن الجلة
 المتقدمين وعلى أنهما متى أبرما مدعا الحكم وأفصحا بهذه القضية صار بهذا التدبير
 بهما حظ وحكمة وفضيلة وديانة وقدهما كل من هو دونهما وسيمود ذلك عذراً لهما
 اذا رأيتهما يوازنان بين الذباب وبنات وردان وبين الخنافس والجملان وبين جميع
 أجناس المهج وأصناف الحشرات والخشاش حتى البعوض والفراش والديدان والقردان
 فان جاز هذا في الرأي وتم عليه العمل صار هذا الضرب من النظر عوضاً من النظر
 في التوحيد وصار هذا الشكل من التمييز خلناً من التمديل والتجويز وسقط القول في
 النوع والوعيد ونسي القياس والحكم في الاسم وبطل الرد على أهل المال والموازنة
 بين جميع النحل والنظر في مرآة الناس ومصالحهم وفي منافعهم ومرافقهم لأن
 قلوبهم لا تتسع للجميع والسندهم لا ينطلق بالشكل وانما الرأي أن تبدأ من الفتق بالأعظم
 والاحوف فالأخوف وقات هذا باب من أبواب الفراغ وشكل من أشكال
 التطرق وطريق من طرق المزاح وسبيل من سبل المضاحك ورجال الجد غير رجال
 الهزل وقد يحسن الشيء بالشباب ويقبح مثله من الشيوخ ولو لا التحصيل والموازنة
 والابقاء على الأدب والديانة بشدة المحاسبة لما قالوا لكل مقام مقال ولكل زمان رجال
 ولكل ساقطة لاقطة ولكل طعام أكلة قد زعم أناس أن كل إنسان فيه آلة المرفق
 من المرافق وأداة المنفعة من المنافع ولا بد لتلك الطبيعة من حركة وانباطات ولا بد

لذلك السكامن من ظهور فان أمكنه ذلك بعثه والاسرى اليه كما يسري السم في البدن
وكما ينحى العرق كما أن البزور البرية والحبة الوحشية السكامنة في أرحام الارضين لا بد
لها من حركة عند زمان الحركة ومن التفتق والانتشار في إبان الانتشار وإذا صارت
الامطار لتلك الارحام كالنظفة وكان بعض الارض كالام الغازية فلا بد لسكل ندى
قوي أن يظهر قوته كما قال الأول

ولا بد للمصد وريوما من الذنث * ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ولذلك صار طاب الحساب أخف على بعضهم وطاب الطب أحب الي بعضهم
وكذلك النزاع الي الهندسية وشغف أهل النجوم بالنجوم وكذلك أيضاً ربما تحرك
له بعد الكبرة واصرف رغبته اليه بعد الكهولة على قدر قوة العرق في بدنه وعلي
قدر الشواغل له وما يمترض عليه فتجد واحدا يلهج بطاب الغناء واللحن وآخر يلهج
بشهوة القتال حتى يكتب مع الجند وآخر يختار وراقا وآخر يختار طاب الملك وتجد
حرصهم على قدر العال الباطنة المحركة لهم ثم لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب
دون الآخر إلا بجملة من القول ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم
لما اختار ذلك في جملة ولا تفسير اذ كان لم يجز منه على عرق ولا اختاره على أرث
وليس العجب من رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الأمور ويحركه في
بعض الجهات ولكن العجب ممن يموت مغنيا وهو لا طبع له في معرفة الوزن وايس
له جرم حسن فيكون ان فاته أن يكون معلما ومغني خاصة أن يكون مطربا ومغني عامة
وآخر قدمات على أن يذكر بالجود وان يسخر على الطعام وهو أنجل الخالق طبعا يتراه
كانا بأخذ الطيبات ومستهترا بالتكثير منها ثم هو أبداً منتقم وأبداً منتقم الطباع
ظاهر الخطأ سيء الجزع عند مؤاكلة من كان هو الداعي له والمرسل اليه والعارف
مقدار لقمه ونهاية أكله فان زعمتم ان كل واحد من هؤلاء انما هو رهن بأسبابه وأسير
في أيدي الله عذرتهم جميع اللائم وجميع المقصرين وجميع الفاسقين والضالين وان كان
الأمر التمكين دون التسخير أفليس من أعجب العجب ومن أسوأ التقدير والتمثيل

بين الديك والكلاب قد عرفنا قولك وفهمنا مذهبك فأما قولك وما بلغ من خطر الديك وقدر الكلاب فان هذا ونحوه كلام عبد لم يفهم عن ربه ولم يعقل عن سيده الا بقدر فهم العامة أو الطبقة التي تلي العامة كأنك فبهك الله تعالى تظن أن خالق الحياة والعقرب والتدبير في خالق الفراش والذباب والحكمة في خالق الذئب والاسد وكل مبعوض اليك أو محقر عندك أو مسخر لك أو واثب عليك ان التدبير فيه مختلف أو ناقص وان الحكمة فيه صغيرة او ممزوجة (اعلم) ان المصلحة في امر ابتداء الدنيا الي انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضرار بالنافع والمكروه بالسار والضعف بالرفعة والكثرة بالقلّة ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق أو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم ولم يكن علم ولا يعرف باب التدبير ولا دفع المضرة ولا اجتناب المنفعة ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تفاضل في بيان ولا تنافس في درجة وبطأت فرحة الظفر وعز الغابة ولم يكن علي ظهرها محق بحد عز الحق ومبطل بحد ذل الباطل وموفق بحد برد اليقين وشاك بحد نقص الحيرة وكره الوجوم ولم تكن للنفوس آمال ولم تشعبها الاطماع ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ومن جهل اليأس جهل الامن وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ومن الانس الذين فيهم الانبياء والاولياء الى حال السبع والبهيمة والى الغباوة والبلادة والى حال النجوم في السخرة فانها نقص من حال البهائم في الرفعة ومن هذا الذي يسرد أن يكون الشمس والقمر والنار والثلاج أو برجاً من البروج أو قطعة من الغيم أو يكون الحجر بأسرها أو مكياً من الماء أو مقداراً من الهواء وكل شيء في العالم فانما هو للانسان ولكل مختبر ومختار ولاهل العقول والاستطاعة ولاهل التبيين والروية وأين تقع اذة البهيمة بالعلوفة واذة السبع بلطمع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالاعداء ومن انفتاح باب العلم بعد ادمان القرع وأين ذلك من سرور السودد ومن عز الرياسة وأين ذلك من حال النبوة والخلافة

ومن عزها وساطع نورها وأين تقع الذرة درك الحواس الذي هو ملافاة المظلم والمشرب
 وملافاة الصوت المطرب واللون الموثق واللبسة اللينة من السرور بنفاذ الامر والنهي
 وبجواز التوقيع وبما يوجب الخاتم من الطاعة ويلزم من الحجة ولو استوت الامور
 بطل التمييز واذا لم تكن كافة لم تكن مشوبة ولو كان ذلك ابطلت ثمرة التوكل على الله
 تعالى واليقين بأنه الوزر والحافظ والكافي والرافع وان الذي يحاسبك أجود الاجودين
 وأرحم الراحمين وأنه يقبل اليسير ويهب الكثير ولا يهلك عليه الاهلك ولو كان
 الامر على ما يشبهه الغرير والجاهل بموانب الامور ابطل النظر وما يشهد عليه وما
 يدعو اليه واتعطت الارواح من ممانيتها والعقول من ثمارها ولمدمت الاشياء حظوظها
 وحقوقها فسبحان من جعل منافعا نعمة ومضارها ترجع الى أعظم المنافع وقسمها بين
 المذوم والمؤنس وموحش وبين صغير حقير وجليل كبير وبين عد وبر صدك
 وبين عقل يحرسك وبين مسلم يمتك وبين معين يعضدك وجعل في الجميع تمام
 المصلحة وباجتماعها تتم النعمة وفي بطلان واحد منها بطلان الجميع قياسا قائما وبرهاناً
 واضحا فان الجميع انما هو واحد ضم الي واحد وواحد ضم اليهما ولان السكل أبعاض
 ولان كل جملة فن أجزاء فاذا جوزت رفع واحد والآخر مثله في الوزن وله مثل علمته
 وحظه وانصيبه فقد جوزت رفع الجميع لانه ليس الاول بأحق من الثاني فالحق الذي
 رجوت فيه ابطال الاول والثاني كذلك والثالث والرابع حتي تأتي على السكل وتستترغ
 الجميع كذلك الامور المظلمة والاسباب المنفردة الا ترى أن الجبل ليس بادل على الله تعالى
 من الحصاة وليس الطاوس المستحسن بادل على الله تعالى من الخنزير المستقبح والنار
 والتاج وان اختلفا في جهة البرودة والسخونة فلهما لم يختلفا في جهة البرهان والدلالة
 وأضنك ممن يرى ان الطاوس اكرم على الله تعالى من الغراب وان التدرج اعز على الله
 تعالى من الخدأة وان الغزال احب الي الله تعالى من الذئب فانما هذه امور فرقتها الله
 تعالى في عيون الناس وميزها في طبائع العباد فجعل بعضها بهم أقرب شبيها وجعل
 بعضها النسيا وجعل بعضها وحشيا وبسببها عاديا وبسببها قاتلا وكذلك الدررة والخزرة

والثمرة والجرة فلا تذهب الى ماتريك العين واذهب الى مايريك العقل واللامور
حكمان حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة وقد علمنا أن خزنة
النار من الملائكة ليسوا بدون خزنة الجنة وان ملك الموت ليس بدون ملك السحاب
وان أتنا بالغيث وجاب الحياة وجبريل الذي ينزل بالعباد ليس بدون ميكائيل الذي
ينزل بالرحمة وانما الاختلاف في المطيع والمعاصي وفي طبقات ذلك ومواضعه والاختلاف
بين أصحابنا انهم اذا استووا في المعاصي استووا في العقاب واذا استووا في الطاعة
استووا في الثواب واذا استووا في عدم الطاعة والمعصية استووا في النازل هذا هو
أصل المقالة والقطب الذي تدور عليه الرحي وقد قال الله عز وجل (والذين والزيتون)
فزعم زيد بن أسلم ان التين دمشق والزيتون فلسطين وللغالية في هذا تأويل أرغب
عن التعبير عنه وذكره وقد أخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج القسم وما تعرف
دمشق الا بدمشق ولا فلسطين الا بفلسطين فان كنت انما تقف من ذكر التين على
مقدار طعم يابسـه ورطبه وعلى الاكتنان بورقه وأغصانه والوقود بعيدانه وانه نافع
لصاحب السبل وهو غذاء قوي ويصالح في مواضع من الدواء وفي الاضمة وانه
ليس شيء حلو الا وهو ضار بالاسنان غيره وانه عند أهل الكتاب الشجرة التي أكل
منها آدم عليه السلام وبورقها ستر السوء عند نزول العقوبة وان صاحب البواسير
بأكله يزلق عنه الثقل ويسهل عليه مخرج البول وتقف من الزيتون على زيتته والاصطباح
به وعلى التأدم بهما والوقود بشجرهما وما أشبه ذلك من أمرها فقد أسأت ظننا بالقرآن
بجهلت فضل التأويل وليس لهذا المقدار عظمها الله عز وجل وأقسم بهما ونوته بذكرهما
لو وقفت على جناح بعوضة وقوف معتبر وتأملته تأمل متفكر بمد أن تكون ناقب النظر
لليم الآلة غواصا على المعاني لا يعتريك من الخواطر الاعلى حسب صحة عقلك ولا من
شواغل الامازاد في نشاطك لملاآت مما توجدك العبارة من غرائب الطوامير الطوال
الجلود الواسعة الكبار ولرايت ان له من كثرة التصرف في الاعاجيب ومن تقبله في
بقات الحكمة ولرايت له من الغزر والريع ومن الحلب والدر ولا ينحس عليك من كوامن

المعاني ودقائقها ومن خفيات الحكم وينابيع العلم مالا يشهد معه تعجبك ممن وقف على ما في الديك من الخصال العجيبة وفي السكب من الامور الغريبة ومن اصناف المنافع وفنون المرافق وما فيها من المحن الشداد ومع ما اودعنا من المعرفة التي متى تجت لك تصائر عندك كبير ماتت معظم وقل في عينك كثير ماتت أكثر كانك تظن ان شيئاً وان حسن عندك في ثمنه ومنظره ان الحكمة التي هي في خلقه انما هي على مقدار ثمنه ومنظره وقد قال الله تعالى (ولوان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) والكلمات في هذا الموضع ليس يريد بها القول والكلام المؤلف من الحروف وانما يريد النعم والاعاجيب والصلاة وما أشبه ذلك فان كلا من هذه الثنون لو وقف عليه رجل رقيق اللسان صافي الذهن صحيح الفكر تام الاداة لما برح ان تحسره المعاني وتغمره الحكم وقد قال المتكلمون والروساء والجملة العظام في التمثيل بين الملائكة والمؤمنين وفي فرق ما بين الجن والانس وطباع الجن ابلد من طباع الانس ومن طباع الديك ومن طباع السكب وانما ذهبوا الى الطاعة والمعصية ويخيل الى انك لو سمعتهم يمثلان ما بين التدرج والطاوس لما اشتد تعجبك ونحن نرى ان تمثيل ما بين خصال الذرة والحمامة والنيل والبعير والشعلب والذئب أعجب واسنا نعى ان للذرة ما للطاوس من حسن ذلك الريش وتلاوينه وتعاريفه ولا ان لها غناء الفرس في الحرب والدفع عن الحریم لكانا اذا اردنا ما وضع التدبير العجيب من الخلق الخسيس والحسن اللطيف في الشيء السخيف والنظر في العواقب من الخلق الخارج من حدود الانس والجن والملائكة ولم نذهب الى ضخم البدن وعظم الحجم ولا الى المنظر الحسن ولا الى كثرة الثمن وفي القرد اعاجيب وفي الدب اعاجيب وايس فيهما كبير مرفق الا بقدر ما تكسب به القردة وانما قصدنا الى شيئين يشيع القول فيهما ويكثر الاعتبار مما يستخرج العلماء من خفي أمرها ولو جمعنا بين الديك وبين بعض ما ذكرت وبين السكب وبين بعض ما وصفت لا تقطع القول قبل أن يبلغ حد الموازنة والمقابلة وقد ذكرت ان بعض ما دعاك الى الاينكار عليهما والتعجب من أمرهما سقوط قدر السكب

ونذالته وبله الديك وغباوته وان الكلب لا بهيمة تامة ولا سميع تام وما كان ليخرجه من شيء من حدود الكلاب الى حدود الناس مقدار ما هو عليه من الانس بهم فقد يكون في الشيء بعض الشبه من شيء ولا يكون ذلك مخرجا لهما من أحكامهما وحدودهما وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الانسان بالقمر والشمس والغيث والبحر وبالأسد والسيف وبالحية وبالنجم ولا يخرجونه بهذه المعاني الى حد الانسان واذا ذموا قالوا هو الكلب والخزير وهو القرد والحمار وهو الثور وهو التيس وهو الذيب وهو العقرب وهو الجمل ثم لا يدخلون هذه الاشياء في حدود الناس ولا أسمائهم ولا يخرجون ذلك الانسان الى هذه الحدود وهذه الاسماء وسموا الجارية غزالا وسموها أيضا خشناً ومهرة وفاخته وحمامة وزهرة وقضيبا وخيزرانا على ذلك المعنى وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب فذكروا الاسد والثور والحمل والجدى والعقرب والحوت وسموها بالقوس والسنبلة والميزان وغيرها وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني

فصحوت والنمرى يحسبها * عم السماك وخالة النجم

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (نعمت العمة لكم النخلة). وهذا الكلام صحيح المعنى لا يعيبه الا من لا يعرف مجاز الكلام وليس هذا مما يطرد لنا ان نقيسه وانما تقدم على ما أقدموا ونحجم عما أحجموا وننتهي الى حيث انتهوا ونراهم يسمون الرجل جملا ولا يسمونه بعيراً ولا يسمون المرأة ناقةً ويسمون الرجل ثوراً ولا يسمون المرأة بقرة ويسمون الرجل حميراً ولا يسمون المرأة أتاناً ويسمون المرأة نعجة ولا يسمونها شاة وهم لا يضعون نعجة اسماً مقطوعاً ولا يجعلون علامة مثل زيد وعمرو ويسمون المرأة عنزاً أو ما علمت ان الانسان الذي خلقت السموات والأرض من أجله وما بينهما كما قال عز وجل (سخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً) منه انما سموه العالم الصغير سلاخ العالم الكبير لما وجدوا فيه من جمع اشكال ما في العالم الكبير ووجدنا له الحواس الخمس ووجدوا فيه المحسوسات الخمس ووجدوه يأكل اللحم والخب ويجمع بين ما تقبأته البهيمة والسبع ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد وغدير

الذئب وروغان الثعلب وجبن الصفرد وجمع الذرة وصنعة السرقة وجود الديك والف
الكب واعتداء الخمام وربما وجدوا فيه مما في البهائم والسباع خلقين أو ثلاثة ولا يبلغ
أن يكون جملاً بأن يكون فيه اعتداؤه وغيرته وصواته وحقده وصبره على حمل الثقل
ولا يلزم شبيه الذئب بقدر ما يتبهاً فيه من مثل غدره ومكره واسترواحه وتوحشه
وشدة نكره كما أن لرجل يصيب الرأي الغامض المرة والمرتين والثلاث ولا يبلغ ذلك
المقدار أن يقال له داعية وذو نكر أو صاحب بزلاء وكما يخطيء الرجل فيفحش خطأؤه
في المرة والمرتين والثلاث فلا يبلغ الأمر به أن يقال له غبي وابله ومشتوص وسموه
العالم الصغير لانهم وجدوه يصور كل شيء بيده ويحكي كل صوت يسميه وقالوا ولأن
أعضاءه مقسومة على البروج الاثني عشر والنجوم السبعة وفيه الصفراء وهي من نتاج
النار وفيه السوداء وهي من نتاج الارض وفيه الدم وهو من نتاج الهواء وفيه البانم
وهو من نتاج الماء وعلى طبائمه الاربع وضعت الأوتاد الاربعة فجعلوه العالم الصغير
اذ كان فيه جميع أجزائه واخلاقه وطبائمه ألا ترى ان فيه طبائع الغضب والرضي
وآلة اليقين والشك والاعتقاد والتمني وفيه طبائع الفطنة والغباوة والسلامة والنكر
والنصيحة والنش والوفاء والغدر والرياء والاخلاص والحب والبغض والجد والمزل
والبخل والجود والاقتصاد والسرف والتواضع والكبر والانس والوحشة والنسكرة
والاهبال والتميز والخبط والجبن والشجاعة والحزم والاضاعة والتبذل والتمزز والادخار
والتوكل والقناعة والحرص والرغبة والزهد والسخط والرضي والصبر والجزع والذكر
والنسيان والخوف والرجاء والطمع والياس والتنزذ والطبع والشك واليقين والحياء
والقحة والسكران والاشاعة والاقرار والانكار والعلم والجهل والظلم والانصاف والطب
والهرب والخذ وسرعة الرضي والحدة وبمد الغضب والسرور والحلم واللذة والآلام
والتأمل والتمنى والاصرار والندم والجراح والبذات والهي والبلاغة والنطق والحرس
والتصميم والتوقف والتغافل والتفان والعمو والمكافأة والاستطاعة والطبيعة وما
لا يحصي عدده ولا يعرف حده فالسكاب سبع وان كان بالناس أنيساً ولا تخرجه

الخصلة والخصلتان مما قارب بعض طبائع الناس الى أن يخرجهم من السكابية قال وكذلك الجميع وقد عرفت باطن شبه السكب باطن الانسان وشبهه ظاهر القرد بظاهر الانسان ترى ذلك في طرفه وتغميض عينه وفي ضحكته وفي حكايته وفي كنهه وأصابعه وفي رفعها ووضعها وكيف يتناول بها وكيف يجهز اللقمة الى فيه وكيف يكسر الجوز ويستخرج لبه وكيف يأتي كلما أخذ به وأعيد عليه وأنه من بين جميع الحيوان اذا سقط في الماء غرق مثل الانسان ومع اجتماع أسباب المعرفة فيه يفرق الآن يكتب معرفة السباحة وان كان طبعه أوفى واكمل فهو من ها هنا أنقص وأكل وكل شيء فهو يسهل من جميع الحيوانات مما يوصف بالمعرفة والفتنة وما يوصف بالغبوة والبلادة وليس يصير القرد بذلك المقدار من المقاربة الى أن يخرج من بعض حدود القرد الى حدود الانسان وزعمت ان مما يمنع من التمثيل بين الديك والسكب انه حارس محترس منه وكل حارس من الناس فهو حارس غير مأمون تبذله ولقد سألت زياد ليلة من الليالي من على شرطتكم قالوا بلج بن نشبة الجشمي فقال

وساع مع السلطان يسمي عليهم * ومحترس من مثله وهو حارس

ويقال ان الشاعر قال هذا الشعر في الفلافس النهشلي حين ولي شرطة الحارث بن عبد الله

أقلى على اللوم يا ابنة مالك * وذمى زمانا ساد فيه الفلافس

وساع مع السلطان يسمي عليهم * ومحترس من مثله وهو حارس

وليس يحكم لصغار المضار على كبارها بل الحكم للغامر على المغمور والقاهر على المقهور ولو قد حكينا ما ذكر هذا الشيخ من خصال السكب وذكر صاحبه من خصال الديك أيقنت أن العجلة من عمل الشيطان وان العجب بئس صاحب وقت وما يبلغ من قدر السكب ومن مقدار الديك أن يتفرغ لها شيخان من جلة المعتزلة وهم أشراف أهل الحكمة فأى شيء بلغ غفر الله تعالى لك من قدر جزء لا يتجزأ من رمل عاج والجزء الأقل من أول قطع الذرة للمكان السحيق والصحيفة التي لا عمق لها ولاى شيء

يعنون بذلك وما يبلغ من ثمنه وقدر حجمه حتى يتفرغ للجدال فيه الشيوخ الجللة والكهول
العلمية وحتى يختاروا النظر فيه على التسبيح والتهليل وقراءة القرآن وطول الانتصاب
في الصلاة وحتى يزعم أهله انه فوق الحج والجهاد وفوق كل بر واجتهاد فان زعمت
ان ذلك كله سواء طالت الخصومة معك وشغانتنا عما هو أولى بنا فيك على انك اذا
عممت ذلك كله بالذم وجلاته بالمعيب صارت المصيبة فيك أجل والعزاء عنها أعسر وان
زعمت ان ذلك انما جاز لأنهم لم يذهبوا الى اثمان الاعيان في الأسواق والى عظم الحجيم
والى ما يروق العين ويلائم النفس وانهم انما ذهبوا الى عافية الأمر فيه والى نتيجته
وما يتولد عنه من علم النهايات ومن باب الكل والبعض وكان ويكون ومن باب ما يحيط
به العلم او ما يفضل عنه ومن فرق بين مذاهب الدهرية ومذاهب الموحدين فان كان هذا
العذر مقبولاً وهذا الحكم صحيحاً فكذلك يقول في السكاب لأن السكاب ليس له
خطر ثمين ولا قدر في الصدر جايل لأنه ان كان كلب صييد فديته أربعون درهما
وان كان كلب ضرع فديته شاة وان كان كلب دار فديته زنبيل من تراب حق على
القاتل أن يؤديه وحق على صاحب الدار أن يقبله فهذا مقدار ظاهر حاله وكوامن خصاله
ودفأن الحكمة فيه والبرهانات على عجيبة تدبير الرب تعالى ذكره فيه على خلاف
ذلك فلذلك استجازوا النظر في شأنه والتشليل بينه وبين نظيره وتعلم أيضاً مع ذلك ان
السكاب اذا كان فيه مع خوله وسقوطه من عجيبة التدبير والنعمة السابغة والحكمة
الباقية مثل هذا الانسان الذي له خاق الله السموات والارض وما بينهما أحق بأن
يفكر فيه ويحمد الله تعالى على ما أودعه من الحكمة العجيبة والنعمة السابغة وقلت ولو
كان بدل النظر فيهما النظر في التوحيد وفي نفي التشبيه وفي الوعد والوعيد وفي التمديد
والتجوز وفي تصحيح الاخبار والتنضيل بين علم الطبائع والاختيار لكان أصوب
والعجب انك عمدت الى رجال لا صناعة لهم ولا تجارة الا الدعاء الى ما ذكرت والاحتجاج
بما وصفت والا وضع الكتب فيه والولاية والمداوة فيه ولا لهم لذة ولا هم ولا مذهب
ولا عجاز الا عليه واليه خين أرادوا أن يتسطوا بين الجميع بالخصص ويمدوا بين

الكل باعطاء كل شيء نصيبه حتى يقع التعديل شاملا والتقسيط جامعا ويظهر بذلك الخلق من الحكيم والمستور من التدبير اعترضت بالتمتعت والتعجب وسطرت الكلام وأطلت الخطب من غير أن يكون صوب رأيك اديب وشايعك حكيم وسأضرب لك مثلا قد استوجبت أغلظ منه وتمرضت لأشد منه واسكننا نستأني بك وتنتظر أوبتك وجدنا لجميع أهل النقص ولأهل كل صنف منهم نسكا يمتدون عليه في الجبال ويحتسبون به في الطاعة وطالب المئوبة ويفزعون اليه على قدر فساد الطبايع وضعف الأصل واضطراب الفرع مع خبث المنشأ وقلة الثابت والتوقف ومع كثرة التقلب والافدام مع أول خاطر فنسك المريب المرتاب من المتكلمين أن يتحلى برمي الناس بالريبة ويتزين باضافة ما ينجد في نفسه الى خصمه خوفا من أن يكون قد فطن له فهو يستر ذلك الداء برمي الناس به ونسك الخارجي الذي يتحلى به ويتزيا بجمله اظهار استعظام المعاصي ثم لا يلتفت الى مجاوزة المقدار والى ظلم العباد ولا يقف على ان الله تعالى لا يحب أن يظلم أظلم الظالمين وان في الحق ماوسع الجميع ونسك الخراساني أن يحج وينام على فناه ويفقد الرياسة وتهيا للشهادة ويبسط لسانه بالحسبة وقد قالوا اذا نسك الشريف تواضع واذا نسك الوضيع تكبر وتفسيره قريب واضح ونسك الكوفي والجنسدي طرح الديوان والزيارة للسلطان ونسك دهاقين السواد ترك شرب المطبوخ ونسك الخصي لزوم طرسوس واظهار مجاهدة الروم ونسك الرافضي ترك التبيذ ونسك البستاني ترك سرقة الثمر ونسك المغني الصلاة في الجماعة وكثرة التسبيح والصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم ونسك اليهودي التشدد في السبت واقامته والصوفي اظهار النسك بين المسلمين اذا كان فسلا ببعض العمل تطرف واظهر تحريم المكاسب وعادسا نلا وجعل مسأله وسيلة الى تعظيم الناس له واذا كان النصراني فسلا ندلا مبغضا للعمل ترهب ولبس الصوف لأنه واثق أنه متي لبس وتزيا بذلك الزي وتحلى بذلك اللباس واظهر تلك السببا انه قد وجب على أهل اليسر والثروة منهم أن يعولوه ويكفوه ثم لا يرضى بان ربح الكفاية باطلا حتى استطال بالمرتبة فاذا رمى المتكلم المريب أهل البراءة ظن انه

قد حول ريبته الى خصمه وحول براءة خصمه اليه واذ صار كل واحد من هذه الاصناف
 الى ما ذكرنا فقد بلغ الامنية ووقف على النهاية فاحذر ان تكون منهم (واعلم) انك
 قد اشبهتهم في هذا الوجه وصار عنهم في هذا المذهب

- ❦ باب ❦ -

مما قدمنا ذكره وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق يقال أجراء من الليث واجبن
 من الصفرد واسخى من لافظة واصبر على المحون من كلب واحذر من عتق وازهي
 من غراب واضع من شرفة واطلم من حية واندر من الذئب وأخبث من ذئب ضمير
 وأشد عداوة من عترب وأروغ من ثعلب وأحق من حبارى واهدى من قطة وكذب
 من فاختة والأم من كلب على جيفة وأجمع من ذرة وأضل من حمار أهلى وأعق من
 ضب وأبر من هرة وأنقر من الظليم وأضل من ورل وأضل من ضب وأضل من
 الحية فيعبرون عن هذه الاشياء بمباراة كالمباراة عن الناس في مواضع الاحسان والاساءة
 حتى كأنهم من الملوين والمشكورين ثم يعبرون في هذا الباب الآخر بدون هذا
 التعبير ويجعلون خيرهم مقصوراً على ما في الخلقة من الغريزة والقوى فيقولون أبصر
 من عقاب وأسمع من فرس وأطول ذمء من ضب وأصح من الظليم والثاني يشبه
 العبارة عن الحمد والذم والاول يشبه العبارة عن السلامة والشكر وانما قلنا ذلك لان
 كل مشكور محمود وايس كل محمود مشكور او كل ملوم مذموم وايس كل مذموم
 ملوما وقد يحمدون البلدة ويذمون الأخرى وكذلك الطعام والشراب وليس ذلك على
 جهة اللوم ولا على جهة الشكر لان الآخر لا يقع الا على جهة التخير والتكاف والا
 على ما يقال التعني بالاستطاعة والاول انما ينال بالخلقة وبمقدار من المعرفة ولا يبلغ أن
 يسمى عقلاً كما أنه ليس كل قوة تسمى استطاعة والله سبحانه وتعالى أعلم

- ❦ باب ❦ -

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد اصناف معائبها ومثالبها من ائوها
 وخبثها وضعفها وشرها وغدرها وبذائها وجهلها وتسرعها وتفتنها وقدرها وما جاء في

الآثار من النهي عن اتخاذها وإمساكها ومن الأمر بقتلها وطردها ومن كثرة جنائياها وقلة ودها ومن ضرب المثل بأومها ونذاتها وقبحها وقبح معاطاتها وعن سماجة نباحها وكثرة أذاها وتقدير المسلمين من درنها وانها كالخاق المركب والحيوان الملتق كالبغل في الدواب والزائبي من الحمام وانها لاسبع ولا بهيمة ولا إنسية ولا جنية وانها من الجن دون الجن وانها مطايا الجن ونوع من المسخ وانها تنبش القبور وتأكل الموتى وانها يعثرها الكلب من أكل لحوم الناس فاذا حكينا ذلك حكينا قول من عدد محاسنها وصنف مناقبها وأخذنا من ذكر أسماؤها وأنسابها واعراقها وتغذية الرجال إياها واستهتارهم بها وذكر كسبها وحراستها ووفائها وإفها وجميع منافعها والمرافق التي فيها وما أودعت من المعرفة الصحيحة والنظن العجيبة والحسن اللطيف والأدب المحمود وذلك سوي صدق الأسترواح وجودة الشم وذكر حفظها ونفاذها واعتمادها وأثبتها لصور أربابها وجيرانها وصبرها ومعرفة بحقوق الكرام واهانتها للثام وذكر صبرها على الجفما واحتمالها للجوع وذكر ذمامها وشدة منعها ومعاقدة الذمام منها وذكر يقظتها وقلة غفاتها وبعده أصواتها وكثرة نسلها وسرعة قبولها والقاحها وتصرف أرحامها في ذلك مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها وكثرة أعمامها وأخوالها وتردها في أصناف السباع وسلامتها من اعراق البهائم وذكر لغتها وحكايتها وجودة ثقافتها ومهنتها وخدمتها وجدها ولعبها وجميع أمورها بالأشعار المشهورة والاحاديث المأثورة وبالسكتب المنزلة والامثال السائرة وعن تجربة الناس لها وفراسنتهم فيها وما عاينوا منها وكيف قال أصحاب الفال فيها وبأخبار المتطيرين عنها وعن اسنادها ومنتهى اعمارها وعدد جرائها ومدة حماها وعن اسمائها وألقابها وسماتها وشتاتها وعن دوائها وأدوائها وسياستها وعن اللاتي لا تلقي منها وعن اعراقها والخارجي منها وعن أصول موالدها ومخارج بلدانها (وذكر) صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحوم الناس فقال قال الجارود بن أبي سمرة في ذلك

ألم تر أن الله ربي بحوله * وقوته أخزى بن عمرة مالكا

فمن كان عنه بالمغيب سائلا * فقد صار في أرض الرصافة هالكا
 تظل الكلاب العاديات ينشئه * اذا اجتنستورا من الليل حالكا
 وقال نقيع بن الصفار المخاربي من ولد محارب بن خضعة في حرب قيس وتغلب
 أفنت بني جشم بن بكر حربنا * حتي تعادل ميل تغلب فاستوى
 أكل الكلاب أنوفهم وخصاصم * فلتبك تغلب الأنوف وللخصاص
 وقال بن يعقوب الخزيمي وهو اسحاق بن حسان بن موسى في قتلى حرب بيفداد
 وهل رأيت القتبان في ساعة المـــــمرك معفورة مناخرها
 كل فني مانع حقيقته * يشقى به في الوغى مساعرها
 باتت عليه الكلاب تنهشه * مخضوبة من دم أظافرها
 وقال أبو الشمعة وهو مروان ابن محمد مولى مروان بن محمد ويكنى أبا محمد
 يوسف الشاعر فرخ * وجدوه بالأبلة
 حاني قد تلقى * كامن في جوف جله
 خيطوها خشية الكا * ب عليه بمسله

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي قال كنا عند الحسن اذا قبل وكيع بن أبي سواد جلس
 فقال يا أبا سعيد ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب ايصلي فيه فقال يا عجب ايمن بلغ في
 دماء المسامين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث فقام وكيع يتخارج في مشية كنتلج
 الجنون فقال الحسن ان الله في كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المعصية اللهم لا تجعلنا
 ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك (وقال) صاحب الديك أشياء من الحيوان تضاف
 الى تن الجلود وخبث الرائحة كريح أبدان الحيات وكتن التيوس وحنان عرفها وكتن
 جلد الكلب اذا أصابه مطر وضروب من التن في سوي ذلك نحن ذا كروها ان شاء الله
 تعالى وقال روح بن زباع الجذامي في امرأته وضرب بالكلب المثل

ريح الكراثم معروف له أرج * وريحها ريح كلب مسه مطر
 قال وكانت امرأة روح بن زباع أم جعفر بنت النعمان بن بشير وكان عبد الملك

زوجه اياها وقال انها جارية حسناء فاصبر على بذاء لسانها وقال الاخر
وريح مجروب وريح جله * وريح كلب في غداة كاه

وانشد أبو زيد في ذلك

كان ريحهم من خبث طعمتهم * ريح الكلاب ادماء سها . طار
ومما ذكر به السكاب من أكله العذرة قول الراجز

احرص من كلب على عني صبي

وقال مثل ذلك حنظلة بن عرادة لابنه السرندی

ما للسرندی أطال الله ايمته * خيل آباه بقمر البيد وادابجا

ريح خبيث يعاطي السكاب طعمته * وان رأى غنملة من جارة ولجا

ريته وهو مثل الفرخ أعظمه * والسكاب ياحس من تحت استه الردجا

يقال للذى يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عتي بكسر العين ويقال عتي
الصبي يعتي عتيا فاذا اشتد بطنه للسمن قيل ضرب ليسمن والعتي وهو العتية الغيبة وياه
عني ابن عمر حين قيل له هلا بايمت أخاك ابن الزبير فقال ان أخي وضع يده في قيئه ودعا
الى البيعة اني لانزع يدي من جماعة واضعافي فرقة وفي الحديث المرفوع الراجع في
هيبته كالراجع في قيئه وهذا المثل في السكاب ويقال أنخل من كلب على جيفة
وقال بعضهم في السكاب الجيفة أحب اليه من اللحم الغريض ويأكل العذرة ويرجع
في قيئه ويشعر ببوله فيصير في جوف فيه وانفه ويحذفه تلقاء خيشومه وقال صاحب
الكلب إن كنتم انما تستسقطون الكلب وتستسفلونه بهذا وأشباهه فالجيفة أتت من
العذرة والعذرة شر من القيء والجيفة أحب الى أشرف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط
الغريض الغض والاسد سيد السباع وهو يأكل الجيفة ولا يمرض لشرائع الوحش
وافتراس البهائم ولا للسابلة من الناس ما وجد في فريسته فضلة ويبدأ بعد شرب الدم
فيقرب بطنه ويأكل ما فيه من القيئة والتفل والحشوة والزبل وهو يرجع في قيئه وعند
ورث السنور ذلك وهو المضروب به المثل في النجدة والبسالة وهو في شدة الاندام

والصولة فيقال ماهو الا الاسد على برائه وهو أشد من الاسد وهو أجرأ من الليث
 العادي وفلان أسد البلاد وهو الاسد الا-ور وقيل لحمزة بن عبد المطلب أسد الله
 فيكفناك من نبل الاسد انه اشتق لحمزة بن عبد المطلب من اسمه ويقال للملك اصيد
 اذا ارادوا ان يصغوه بالكبر وبقلة الالتفات وبأن أنه في أسلوب ولأن الأسد
 يلتفت مما لأن عنقه من عظم واحد وقال أبو حاتم

هـ اذا مطر السماء عليكم * ورفعت رأسك مثل رأس الاصيد
 وقال الآخر

يذودون كلبا بالرماح وطياً * وتغاب والصيد النواظر من بكر
 وقال الآخر

وكم لي بهام من أب اصيد * نماه أب ماجد اصيد

وبعد فان الذي يأكل الجيفة لم يبعد من طبع كثير من الناس لأن من الناس من يشتهي
 اللحم الغاب ومنهم من يشتهي المنكسود وايس بين المنكسود وبين المصلوب
 اليابس كبير فرق وانما يذبحون الديكة والبطة والدجاج والدراج من أول الليل ليسترخي
 لحمها وذلك أول التجفيف فلاسد أجمع لهذه الخصال من الكلب فهلا ذكرتم بذلك
 للأسد وهو أنه ذكرأ وأبعد صيتا وأما ما ذكرتم من تنز الجلد ومن استنشاق البول
 فان للئيس في ذلك ما ايس للكلب وقد شاركة في الخذف ببوله تلقاء أنه وبأينه بشدة
 الصنان فان الامثال به أكثر ذكرأ وفي العنز أيضاً عيوب وفي توجيه الئيس ببوله
 الى حاق خيشومه قال الشاعر لبعض من يهجو

دعيت يزيد كي تزيد فلم تزد * فعاد لك المسمى فأسماك بالفجر
 وما الفجر الا الئيس بعقل بوله * عليه فيمذى في لبنان وفي نحر

وقال آخر في مثل ذلك

أعشان بن حيان بن أوم * عتود في مفارقه يبول
 ولو أني أشافهه لشالت * نعماته ويفهم ما يقول

وبعد فما يعلم من صنيع العنز في لبنها وفي الارتضاع من خلفها الأقباح
وقال ابن أحرر الباهلي في ذلك

إنا وجدنا بني سبهم وجاءهم * كالعنز تعطف روقها وترتضع
وقلم هجا ابن غادية السلمة كما بعض الكرام حين عزل عن ينبع فقتال لمن ظن أنه إنما
عزل لمكانه

ركبوك مرتحلًا فظهرك منهم * دبر الحرافق والنقار موقع
كالـكاب يتبع خانقيته وينتحي * نحو الذين بهم يمز ويمنع

وقال ابن هرمة النهري

فما عادت لذي يمن رؤسا * ولا ضرت بفرقتها نزارا
كعنز السوء تنطح من خلاها * وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع في الجرة وإعادة الفرث إلى الفم ليستقصى مضغه إلى السمج وأقدر
من الرجوع في القيء وقد اختار الله عز وجل تلك الطبيعة للأنعام وجعل الناس يسوا
لشيء من اللحم أشد أكلا به ولا أشد عجباً منكم ولا أصاح لأبدانهم ولا أغذا لهم
من لحوم هذه الأنعام افتائها ومسائها وقال صاحب الديك ما يشبهه عود الماشية في الجرة
ورجوعها في الفرث تطحنه وتسيغه الرجوع في القيء وقد زعمتم أن جرة البعير أنتن
من قيء الكلاب أطول غيوبها في الجوف وانقلابها إلى طباع الزبل وأنه أنتن من الثايط
وإنما مثل الجرة مثل الريق الذي ذكره ابن أحرر فقال

هذا الثناء وأجد أن يصاحبه * وقد يداوم ريق الطامع الأمل

فإنما مثل القيء مثل العذرة لأن الريق الذي زعمتم ما دام في فم صاحبه الذم السلوى
وامتاع من النسيم وأحسن موقعا من الماء البارد من العطشان المسهوم والريق كذلك
مالم يزابل موضعه ومتى زابل فم صاحبه إلى بعض جلده اشتدنته وعاد في سبيل القيء

فليريق والجرة في سبيل واحد كما أن التيء والمذرة في سبيل واحد ولو أن السكاب قلس حتى يمتلى منه فنه ثم رجع فيه من غير مبيانة له السكاب في ذلك أحق بالنظافة من الانعام في جرتها وجشيتها وأهلها وإن الارانب التحيض حيفناً نتماً فما عاف لحمها أصحاب التقدر لمشاركتها الانعام في الجرة فقال صاحب السكاب أما ما عبتوه من أكل المذرة فإن ذلك عام في الماشية المتخير لحمها على اللحمان لأن الابل والشاة كلها جلاله وهن على يابس ما يخرج من الناس أحرص وعلى أنها اذا تمودت أكل ما قد جف ظاهره وداخله رطب رجع أمرها الى ما عليه السكاب ثم الدجاج لا ترضي بالمذرة وبما يتي من الحبوب التي لم يات عليها الاستمراء والمضغ حتى تاتمس الديدان التي فيها فيجتمع نوعان من المذرة لأنها اذا أكلت ديدان المذرة فقد أتت على النوعين جميعاً ولذلك قال عبد الرحمن بن أم الحكم في هجائه الانصار بجيئث الطعام فضرب المثل بالدجاج من بين جميع الحيوان وترك ذكر السكلاب وهي له معرضة فقال

والأنصار أكل في قراها * نخبث الاطعمات من الدجاج

ولو قال والأنصار أكل في قراها * نخبث الاطعمات من السكلاب

السكاب الشعر صحيحاً مرضياً وعلى أن السكلاب متى شبت لم تعرض للمذرة والانعام الجلالة وكذلك الحافر قد جمعت ذلك كالحمض اذا كانت لها خلة فهي مرة تمندى به ومرة تخمض وقد جاء في لحوم الجلالة ما جاء وملو كنا وأهل العيش منا لا يرغبون في شيء من اللحمان رغبتهم في الدجاج وهم يقدمونها على البط والنواهض والقبيج والدرج نم وعلى الجداء والاعنق الحمر من بنات الصفايا وهم يعرفون طبعها وشهوتها وهم مع ذلك يأكلون الرواعي كما يأكلون السمات وأطيب ما في الانهار من السمك وأحسنها قدوداً وخرطاً وأسبها سبوطاً وأرفعها ثمناً وأكثرها تصرفاً في المالح والطري أو في التريش الشبوط وليس في الماء سمكة رقيقة الذكر ولا ذات خمول إلا وهي أحرص على أكل المذرة منها وإنها لا شدد طلبا لها من الخنزير في البر والبحري في البحر وقد علم الناس كيف استجابة أكل لحوم الخنازير وأكل الخنازير لها وكيف كانت

الأكاسرة والقياصرة يقدمونها ويفضلونها ولولا التعمد لجرى عندنا مجراه عند غيرنا وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لاذنابها محشواً وفي الجري قال أبو كادة هو آدم العميان وجيد في الكوشان ودواء في السكايتين وصالح لوجع الظهر وعجب الذنب وخلاف على اليهود وغيظ على الروافض وفي أكله أحياء لبعض السنن وإماتة بعض البدع ولم يفتاح عليه أكثر منه قط ومحنة بين المبتدع والسني هلك فيه فتيان مذ كانت الدنيا محل ومحرم وقال أبو اسحق هو قبيح المنظر عارى الجلد ناقص الدماغ يلقم المذرة ويتلع الجرذان وزعم لا يستطاع أكله إلا محشواً ولا يتصرف تصرف السمك وقد وقع عليه اسم المسخ لا يطيب مملوحاً ولا ممقوراً ولا كباباً ولا يختار مطبوخاً ويرمي كله إلا ذنبه والأصناف التي تعرض للمذرة كثيرة وقد ذكرنا الجلالات من الأنعام والجري والشبوط من السمك ويعرض لها من الطير الدجاج والرخم والهداهد وقد بلغ من شهوة الرخمة لذلك إن سموها الأنوق حتى سموها كل شيء من الحيوان يعرض للمذرة بأنوق وهو قول الشاعر

* ذرق الأنوقين القرني والجعل *

ولشدة طاب الجعل لذلك قال الشاعر

بيت في مجلس الأقوام يربؤهم * كأنه شرطي بات في حرس

ولذلك قال الشاعر

إذا أتوه بطعام وأكل * بات يعشى وحده التي جعل

هذا البيت يدل على عظم مقدار النجو فهجاه بذلك وعلى أن الجعل يقتات البراز وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل إن كان قاله وإنما قلت هذا لأن الشعر يرتفع عنه

والشعر قوله

نم جاز الخنزيرة المرضع القر * ثي إذا ما غدا أبو كلثوم

ثاويها قد أصاب عند صديق * من تريد ملبق مادوم

ثم انحي بجمده حاجب الشمس * فالتي كالمغاف المهديم

﴿ وقال الراجز ﴾

فردفة ناردة وصومعا * ثمت البان البخاتي جمعما
 جمجمة العواء تبى تنجما * ثمت خوا باركوا استرجما
 * عن جاثم يحسب كلباً أبقما *

وفي طاب الجمل لازبل قال الراجز وهو أبو الفصن الأسدي
 ماذا تلاقي طلحات الجرجه * من كل ذات نجنيق غمأجه
 ظل لها بين الحلال أرجه * من الضراط والنساء السمجه
 جئها قاعة منشجه * تعطيه عنها جملا مدحرجه

وقال يحيى الاغر تقول العرب سرك به جعله وقال الشاعر

اذا آتيت سايمي شب لي جعل * ان الشقي الذي يغري به الجمل
 يضرب هذا المثل للرجل اذا لصق به من يكره واذا كان لا يزال يراه يهرب منه
 قال يحيى وكان أصله ملازمة الجمل لمن بات في الصحراء فكأما قام لحاجة تبعه لانه
 عنده انه يريد العائظ وفي القرني يقول ابن مقبل

ولا أطرق الجارات بالليل قابعا * قبوع القرني أخلفته محاجره

والقبوع الاجتماع والتقبض والقرني دويبة فوق الخنفساء ودون الجمل وهو والجمل
 يتبعان الرجل الى الغلط ومن الطير الذي يضارع الرخمة في ذلك الهدهد منتن البدن
 وان لم تجده ما تلخا بشيء من العذرة لانه يبني بيته ويصنع أخوصه من الزبل وليس
 يتباه منه الا على قدر رغبته وحاجته في أن لا يتخذ بيتا ولا أخوصا الا منه فخامره
 التين فعاق بيده وجرى في اعراق أبويه اذ كان هذا التضيع عاما في جنبه وتعتري
 هذه الشهوة الذبان حتى انها لو رأت عسلا وقذرا السكات الى القدر أسرع وقال الشاعر

فما خانف وجه قد أطيل كأنه * ففما مالك يقصي المهوم على شبق

واعظم زهواً من ذباب على خرا * وأنجل من كاب عتور على عرق

ويزعمون ان الزبور لهج بصيد الذبان ولا يكاد يصيد الا وهو ساقط على عذرة

لفرط شهوته لها فيعرف الزبور ذلك فيجعل غنلته فرصة ونهزة قالوا وانما قلنا ذلك
لأننا لم نجده يروم صيده وهو - اقط على ثمرة فما دونها في الخلاوة وقال أبو الشمة ق
في ذلك

الطريق الطريق جاءكم الاحم * ق رأس الاتان والتذره
وابن عم الحمار في صورة الفية * ل وخال الجاموس والبقره
يمشى رويدا يريد خلعةكم * مشى خنزيرة الى عنده
وقال حماد عجرد في بشار بن برد العقيلي

ما صور الله شـبها له * من كل من من خلقه صوراً
اشبهه بالخنزير وجها ولا * بالكاب اعراقولا مكسرا
ولا رأينا أحداً مثله * أنجس أو أطفس أو أقدرا
لو طليت جلده عنبراً * لنتنت جلده العنبراً
او طليت مسكاً ذكياً اذا * تحول المسك عليه خرا

وقال ابو نواس في هجاء جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي

اذا ما مدحت في من خرى * اليس جزاءى أن اعطى الخرا
وقال اعرابي يهجو رجلاً يقال له جلمود بن أوس كان منتمن العرق
اني اذا عارضني تألما * ورعدت حافظه وبرقا
أهلكت جلمود بن أوس عرقاً * كان لحقاء فصار أحماً
أخبث شيء أحرقا وعرقاً

وقال حماد عجرد في بشار

يا ابن برد اخسأ مثل الكاب ٢ * في الخلق أنت لا الانسان
بل لعمرى لانت شر من الكاب * وأولى منه بكل هوان
ولريح الخنزير أطيب من ريحك * يا ابن الطيان ذي التبان
وقال بعض الشعراء في عبد الله بن عمير

غزا ابن عمير غزوة تركته * ثناء كريح الجورب المتخرق

وقال حماد عجرد في بشار

- قل اشقي الجدد في رمسه * ومن يفر الناس من رجسه
 لا تقرد بشار بن برد ولا * تحمل برغم القرد أو نخسه
 لا تقرد بالليث اغترار به * فما الذي أدناك من مسه
 يا ابن استهافا صبر على ضعفه * بناه يا قرد أو ضرسه
 نهارة أخبت من ليله * ويومه أخبت من أمسه
 وليس بالقلع عن غيبه * حتى يدلى القرد في رمسه
 ما خاق الله شبيها له * من جنه طراً ومن انسه
 والله ما الخنزير في نتسه * من ربهه بالعشر أو خمسه
 بل ريحه أطيب من ريحه * ومسه الين من مسه
 ووجهه أحسن من وجهه * ونفسه أنبل من نفسه
 وعوده أحسن من عوده * وجنسه أكرم من جنسه

وأنا حفظك الله تعالى استظرف وضعه الخنزير بهذا المكان وفي هذا الموضع حين يقول

وعوده أكرم من عوده * أين عود الخنزير من الكرم

فيحه الله تعالى وقال حماد عجرد في بشار بن برد

- إن ابن برد رأى رؤيا فأولها * بلا مشورة انسان ولا أثر
 رأي العمى نعمة لله سابغة * عليه اذ كان مكفوفاعن النظر
 وقال لو لم أكن أعمى لكنت كما * قد كان برداني في الضيق والعسر
 أكدت نفسي بالتطيين مجهدا * إما أجيراً وإما غير مؤتجر
 أو كنت إن أنا لم أقتع بفعل أبي * قصاب شاء شقي الجلد أو بقر
 كالخوتي دالبا أشقى شقاءهم * في الحر والبرد والادلاج والبكر
 فقد كفاني العمى من كل مكسبة * والرزق يأتي بأنواع من القدر

فصرت ذائب من غير ما طالب * إلا بمسئلي ان كنت في صفر
أضم شيئاً الى شيء فأحرزه * مما أجمع من تمر ومن كسر
من كان يعرفني لولم أكن زمناً * أو كان يبذل لي شيئاً سوى الحجر
فقل له لا هداك الله من رجل * فانها عمرة تربي على المرور
لا قد فطنت الى شيء تميش به * يا ابن الخبيثة قد وفقت في النظر
يا ابن التي نشزت عن شيخ مبيتها * لا يرميان يذي الهامات والعجر
أما يكفك عن شتمي ومنقصتي * ما في حرامك من تنن ومن ذفر
نفتك عنها عقيل وهي صادقة * فسل أسيد أو فاسئل أبا زفر
يا عبد أم الأطباء المستطب بها * من اللوى لت مولى الغرم من مضر
بل أنت كالكتاب ذلاً وأذلى وفي * ندالة النفس والخنزير والذقر
وأنت كالقردي تشويه منظره * بل صورة القردي أبهى منك في الصور

ووصف ابن أبي كريمة حشاله كان هو وأصحابه يتأذون بريجه فقال

ولى كنيف بجمد الله يطرقني * أرواح واري خيال غير فتار
له بدائع تنن ليس يعرفها * من البرية الا خازن النار
اذا أتاني بخيل زادني بدعا * كانه لهـج عمدا باضرار
قد اجتواني له الخلان كاهم * وباع مسكنه من قربه جاري
فمن أراد من البرسام أقتله * أو الصداع فره يدخلن داري
استكثف التنن في انفي لكثرتة * فليس يوجد فيه غير اضماري

وقيل للمحلول ويملك ما حفظت بيت شعر قط فقال بيتاً واحداً أشبهته خففته فقيل له
فهاه فقال أما أنا لا أحفظ إلا بيتاً واحداً قيل فكيف رزق منك هذا البيت
فأنشده فأنشدهم

كأنما نكبتها مدة * تسيل من مخطئة مجذوم

وزعم اصحابنا أن رجلاً من بني سعد وكان أثنى الناس إبطاً بلغه أن ناساً من عبد التيس

يعدونه برجل منهم فضى اليهم شدا فوافاهم وقد زيد ابطاه وهو يقول
 اقبلت من جبهة باعثينا * بذى حضيض يعطش المجنونا
 يزوى له من شمه الجبينا * حتى ترى لوجهه غضا-ونا
 نبئت عبد القيس يا بطونا

قال وفتح اعرابي على بئر وهو يقول
 ياربها اذا بدا صناني * كائني جاني عبيثراني
 وقال آخر

كان ابطى وقد طال المدا * لقحة خريء من كواميخ القرى

ويقال انه ايس في الأرض رائحة اتن ولا أشد على النفس من بخرفم او تنن حر ولا
 في الارض رائحة اعصم لروح من رائحة التناح (وقال صاحب السكاب) فما يرى الناس
 يعافون تسميد بقولهم قبل نجومها وتفتق بزورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع
 اللب منها حتى ربما ذروا عليها السماد ذرا ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب موضع اللب
 قوى العذرة بل من لحم بالعذرة وعلى انهم ما يصيبونها الا مغشوشة مفسدة وكذلك
 صنعهم في الريحان فأما النخل فلو استطاوا أن يطلوا بها الاجذاع طلبا لفعلوا وانهم
 ايوقدون بها الحمامات واثانين الملال وتنانير الخبز ومن اكرم سماءهم الابعار كلها
 والاختاء اذا جنت وما بين الثايط جافا والختاء يابسا وبين العذرة جافة ويابسة فرق وعلى
 انهم يعالجون بالعذرة وبخز السكاب من الرائحة والخالوق في اقصى مواضع التفرز وهو
 اقصى الخاق وموضع انابات ويضعونها على مواضع الشوكة ويعالجون بها عيون الدواب
 وقال مسيح الكناس انما اشتق الخير من اخرء وهو في النوم خير وساحة مدركة ألد
 من كوم العروس ليلة العرس ولقد دخلت على بعض الملوك لبعض الاسباب واذا به
 قعاص وزكام وثقل رأس واذا ذلك قد طاوله وقد كان باغنى انه كان هجر الجلوس على
 المقعدة وآيان الخلاء فأمرته بالعود الى عادته فما مرت به أيام حتى ذهبت عنه (وزعم)
 ان الدنيا منتنة الحيطان والتربة والانهار والادوية الا أن الناس قد غمروهم ذلك لتتن المحيط

بهم وقد محق حسهم له طول مكثه في خياشيمهم قال فن ارتاب بخبري فليقف في
الرد الى أن يتمحن ذلك في أول ما يخرج الى الدنيا عن بيت مطيب وايشم تشمم
المتشبت على أن البقاع تتفاوت في النتن فهذا قول مسيح الكناس (وزعم) لى سلمويه
وابن ماسويه مطيب الخلاء انه ليس على الارض جيفة اتن نتاولا اثقب ثقوبا من
جيفة بعير فظننت أن الذي وهمهما ذلك عسبتهما عليه وبغضهما لاربابه ولأن النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى آله هو المذكور في السكتب بركوب البعير وأنا أقول في النتن
والطيب شيئا لعلك ان تفقدته أن توافقني عليه وترضي قولي اما النتن فاني لم أشم شيئا
أتن من ريح حش مقير يبول فيه الخسبان ولا يصب عليه الماء فان لا يوالهم المتراكة
ولريح الغار وريح هوائه وما ينفصل اليه من ريح البالوعة جهة من النتن ومذهبا في
المكروه ليس بينه وبين الابدان عمل وانما يقصد الى عين الروح وصميم القلب ولا
سيما اذا كان الخلاء غير مكشوف وكان مغمو ماغير مفتوح فاما الطيب فاني لم أشم
رائحة قط احيا للنفس ولا أعصم للروح ولا أفتق ولا أغنج ولا أطيب خمرة من
ريح عروس اذا أحكمت تلك الاخلاط وكان عرف رأسها وبدنها سليما وان كانت
بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فانك ستجد ريحا تعلم انه ليس فوقها الا ريح الجنة
ومما قالوا في النتن وفي ريح جحر الظربان خاصة قول الحكم بن عبدل

أقيت نفسك في عروض مشقة * ولحصد أنفك بالمناجل أهون
أنت امرؤ في أرض أمك فلفل * جم وقلنا هناك الدندن
فبحق أمك وهي منك حقيقة * بالبر واللائف الذي لا يخزن
لاتدن فاك من الامير ونجمه * حتي يداوى ما بأنفك أهون
ان كان للظربان جحر مننتن * فلجحر أنفك يا محمد أتتن

وقال الربيع بن أبي الحقيق وذكر الظربان حين رمى قوما بأنهم يفسون في مجالسهم
لان الظربان أتتن خلق الله تعالى فسوة وقد عرف الظربان ذلك فجعله من أحد
سلاحه كما عرفت الجبارى ما في سلاحها من الآلة اذا قرب الصقر منها والظربان يدخل

على الضب جحره وفيه حسوله أو بيضه فيأتي أضيق موضع في الحجر فيسده بيديه
ويحول استه فلا يفسو ثلاث فسوات حتى يدار بالضب فيجز سكران مغشيا عليه
فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسوله وتقول العرب انه ربما دخل في
خلال الهجمة فيفسو فلا تتم له ثلاث فسوات حتى تتفرق الابل عن المبرك تتركه
وفيه قردان فلا يردها الراعي الا بالجهد الشديد فتال الربيع وهجاهم بريح التيوس

قليل غنائؤهم في الهياج * اذا ماتنادوا لامر شديد
وأنتم كلاب لدى دوركم * تهر هير العتور الصرود
وأنتم ظرابي اذ تجلسون * وما إن لنا فيكم من مزيد
وأنتم تيوس وقد تعرفون * بريح التيوس وقبح الجدود

قال ويقال افسى من الظربان ويسمى مفرق النعم يريدون من تن ريح فسائه ويقال
في المشل اذا وقع بين الرجلين شر فتباينا وتقاطعا فسايئهما ظربان ويقال أنتن من
ظربان لأنه الضب إنما ينخدع في جحره ويوغل في سر به لشدة طلب الظربان له وقال
الفرزدق في ذلك

ولو كنت في نار الجحيم لأصبحت * ظرابي من حمان عنى تشير

وكان أبو عبيدة يسمي الحمانى صاحب الاحم يريد هذا المعنى كما يسمي كل حمان ظربانا
وقال ابن عبد

لاتدن فاك من الأمير ونحوه * حتى يداوى ما بأفك أهرن

إن كان للظربان جحر مننتن * فاججر أفك يا محمد أنتن

في شعره الذي يقول

ليت الأمير أطاعني فشفيته * من كل من يكني القصيد ويلجن

متكوراً يحشو الكلام كأنما * باتت مناخره بدهن تمرن

وبنى لهم سجنا فكنت أميرهم * زمنافأضرب من أشاء واسجن

قل لابن آكلة المناص محمد * ان كنت من حب التقرب تجبن

- القيت نفسك في عروض مشقة * ولحصد أنفك بالمناجل أهون
 أنت امرؤ في أرض أمك فافل * جسم وفانلنا هناك الدندن
 فبحق أمك وهي منك حقيقة * بالبر واللاطف الذي لا يخزن
 لاتدن فاك من الامير ونحه * حتى يداوي ما بأنفك أهرن
 ان كان للظربان جحر منن * فاجحر أنفك يا محمد انتن
 فسل الامير وأنت غير موفق * وبنوا إليه للفصاحة معدن
 وسل ابن ذكوان تجده عالما * بسليقة العرب التي لا تخزن
 اذا أنت تجمل كل يوم غمصة * فتجيد ما عمت يداك وتحن
 أشبهت أمك غير باب واحد * ان قد خنت وانها لا تختن
 فلئن أصبت دراهما فدفنتها * وفتنت فيها وابن آدم يفتن
 فبما أراك وأنت غير مدرهم * اذ ذاك تقصف في القيان وزفن
 اذ رأس مالك لعبة بصرية * يضاء معرية عاها السوسن

وقال ابن عبدل أيضاً

- نحوت محمدا ودخان فيه * كريح الجمر فوق عطين جلد
 ركبت اليه في رجل أتاني * كريم يطاب المعروف عندي
 فقامت له ولم أعجل عليه * وذلك بعد تقرظي وحمدي
 فأعرض مكفحا عني كاني * أكام صخرة في رأس همد
 أقرب كل آصرة ليدنو * فما يزداد مني غير بعد
 فأقسم غير مستثن يمينا * أبا بخر لتتخمن ردى
 فلو كنت المهذب من تميم * خلفت ملامتي ورجوت حمدي
 نحوت محمداً فوجدت ريحا * كريح الكاب مات قريب عهد
 وقد لدعتني ثعبان تنن * سيبلغ ان سلمنا أهل نجد
 وأدنى خطمه فوددت أنى * قرأت دنوه منى بعد

- كما اقتدت المعادن من حواد * بخلمتها ولم ترجع بزند
 وقد أدنيت فاه إلى حتي * قتلت بذاك نفسي غير عمد
 وفارقها خواة فاستراحت * وكانت عنده كأسير قد
 وما يدنو إلى فيه ذباب * ولو طليت مشافره بقند
 يذقن حلاوة ويخفن موتا * زعافان همن له بورد
 فلما فاح فوه على فوحا * بمثل غثيشة الدبر المنسد
 فقت له تمنح بعيد عني * فما هذا بریح قنار رند
 وما هذا بریح طالا ولاكن * يفوح خراك فيه غير سرد
 فخدثني فان الصدق أدنى * لباب الحق من كذب وجحد
 أبت تجول في غنيج طحون * فاعلم إذ أنك به معدي
 فان أهديت لي من فيك حثني * فاني كالذي اهديت اهدى
 اكم شرذاً يسرن مغنيات * تكون فنونها من كل قند
 أما نخزي خزيت له اذا ما * رواها للناس من شيب ومرد
 لأرجو ان نجوت ولم يصبني * جوى اني اذن اسميد جد
 وقات له متى استظرفت هذا * فقال اصابني من جوف مهدي
 فقت له أما داويت هذا * فتمذر فيه آمالا بجهد
 فقال أما عامت له رقاء * فتسديه لنا فيما تسدي
 فقت له ولا الود عياً * له فيما أسر له وأبدى
 عليك بقيئة وبجعر كاب * ومثلي ذاك من لون كعقدى
 وحنثيت وكرات وثوم * وعودي حرمل ودماغ فهد
 وحنجرة ابن آوى ثم دفتي * ووزن شميرة من بزر فقد
 وكف زرحرح ولسان صقر * ومثالين من صوان رقد
 يدق ويلجن المنخول منه * ببول آجن وبجعر قرد

وتدفنه زمانا في شمير * وترميه فلا يبدا ولبرد
فدخن فاك ماعتقت منه * ولا يمجن بأظفار وند
فان حضر الشتاء وأنت حي * أزال الله عنك أمور رشد
فدحرجها بنادق وازدردها * متى رمت التكلم أي زرد
فتقذف بالمصل على مصل * بعلوم وشدق مسعود
وويلك ما لبطنك مذقعدنا * كان رويه إرزام رعد
فان لحكة الناسور عندي * دواء ان صبرت له سيجدي
يميت الدود عنك وتشهيه * ان أنت سنته من المقد
به وطليته بأصول سمدي * وشئ من جني نصف ورندي
أظني ميتا من نثن فيه * أهان الله من ناجاه بعدى

(وقال صاحب الديك) سنذكر اشعار العرب في هجاء الكلب مجردا على وجهه ثم
نذكر ما ذموا من خلاله واصناف أعماله وأبورا من صفاته ونبدأ بذكر هجائه في
الجملة قال بشار بن برد

عددت سويدا انذخرت وتولبا * ولالكب خير من سويد وتواب
* (وقال بشار آخر غيره) *

أذكر اذترعي على الحى شاءهم * وأنت شريك الكلب في كل مطعم
وتلحس ما في القعب من فضل سوره * وقد عاث فيه باليدين وبالنم
(وقال آخر)

وان شرابي لا تنب بوجهه * كلوم كأن كلبا يهارش أكلبا
ولا أقسم الاعكان بني وبينه * ولا أتوقاه وان كان مجربا
وهجا الأحوص ابناله فشهبه بجر و كلب فقال

أقبح به من ولدواشقق * مثل جري الكلب لم يفتح
ان ير سوء لم يقم فينبج * بالباب عند خلقه المستقبح

وقال أبو خدانة

يا ابن علي برح الخفاء * أنت لغير طلحة الفداء
قد علم الأشراف والأكفاء * أنك أنت الناقص اللقاء
حبّاق جدعه الدعاء * يغمه المنزر والرداء
بنو علي كلهم سواء * كانوا زينة جراء

وقال عبد بن الحسحاس وذكر قببح وجهه

أتيت نساء الخارئين غدوة * بوجه يراه الله غير جميل
فشبهتني كلبا واست بقوقه * ولا دونه ان كان غير قليل

وقال ابن دواب السعدي في هوان الكلب

لكسرى كان أعقل من تميم * ليالي فر من أرض الضباب
وأسكن أهله ببلاد ريف * وأشجار وأنهار عذاب
فصار بنو بنيها لها ملوكا * وصرنا نحن أمثال الكلاب
فلا رحم لاله صدى تميم * فقد أزرى بنا في كل باب

وأراد اللعين هجاء جرير وجرير من بني كليب فاشتق هجاءه من نسبه فقال

سأقضي بين كلب بنى كليب * وبين القين قين بنى عقاب
فان الكلب مطعمه خبيث * وان القين يعمل في سفال
كلا العبدين قد عامت معد * لئيم الاصل من عم وخال
فما بقيا على تركمانى * ولكن خفتما صرد النبال

وقال رجل من همدان يقال له الضحاح بن سعد يهجو مروان بن الحكم واشتق له

إسما من الكلب فجعله كلبا فقال

لج الـرار بمرون فقلت له * عاد الظالم ظالما همه المهرب
أين الفرار وترك الملك إن قبلت * ملك الهويتا فلا دين ولا أدب
فراشة الحلم فرعون العذاب وان * يطالب نداء فكاب دونه كلب

وقال آخر وجعل الكلب مثلاً في اللوم
 سرت ما سرت من لياها ثم عرست * على رجل بالمرج الأم من كلب
 وكذلك قول الأسود بن المنذر فانه قال
 فان أمراً أتم حوله * تحنون قبته بالقباب
 يهين سرائكم جاعدا * ويقتلكم مثل قتل الكلاب
 وقال سحيم بن نعيم

الست كليب الكلب وكلبة * لها عند أطناب البيوت هريير
 وقال النجراني في ذلك

من منزلي قد أخرجتني زوجتي * تهـرفي وجهي هريير الكلبة
 زوجتها فقيرة من حرفتي * قات لها لما أراقت جرأتي
 أم هـلال ابشري بالحسرة * وابشري منك بقرب الضرة
 ويقال للكلب فلحس وهو من صفات الحرص والالحاح ويقال فلان اسأل من
 فلحس وفلحس رجل من ابني شيبان كان حريصاً غنياً وملحناً ملحاً وكل طفيلي فهو
 عندهم فلحس والارشم الكلب والذئب وقد اشتق منه للانسان اذا كان يتشمم الطعام
 ويتبع مواضعه قال جرير في بعضهم

فتي حملته أمه وهي ضيفة * جاءت بيتن للضيافة أرشما

وقال جرير في استرواح الطعام

وبنوا لهجيم سخيفة أحلامهم * نط اللحي متشابهو الألوان
 لو يسمعون باكلة أو شربة * بمان أضحي جمعهم بمان
 متأبطين بنهم وبناتهم * صعر الحدود لريح كل دخان
 وقال سهم بن حنظلة الغنوي في ذلك

وأما كلاب فمثل السكلا * بلا يحسن الكلب الأهريرا
 وأما تميم فمثل البغيا * لأشبهن آباءهن الحميرا

وأما هلال فعطارة * تبع كباء وعطرا كثيرا
ومر جرير يوما بالمربد فوقف عليه الراعي وابنه جندل فقال له ابنة جندل انه قد طال
وقوفك على هذا الكلب الكلابي فالى متى وضرب بغلته فمضى الراعي وابنه جندل
فقال جرير والله لاثقن رواحلك فلما أمسى أخذ في هجائه فلم يأتها ما يريد فلما كان مع
الصبح انفتح له القول فقال

ففض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولو جمعت فقاح بني نمير * على خبث الحديد اذ الذبابا

ثم وقف في موقفه فلما مر به جندل قبض على عنان فرسه فانشده قوله حتى اذا بلغ
إلى هذا البيت

اجندل ماتقول بنو نمير * اذا ما الاير في است أليك غابا

قال فأدبر وهو يقول يقولون والله شرا وقال الشاعر وضرب بالكلب المثل في قببح
الوجه

سفرت فقلت لها هج فتهرقت * فذ كرت حين تهرقت ضبارا

وضبار اسم كلب له وقال كعب الاحبار لرجل وأراد سفرا أن لكل رفقة كلبا فلا
تكن كلب أصحابك وتقول العرب أحب كلب الى أهلهم الضاعن ومن الامثال وقع
الكلب على الذئب يأخذ منه ما أخذ ومن أمثالهم الكلاب كل البقر ومن أمثالهم في
الشؤم قولهم على أهابا دلت^(١) براقش وبراقتش كلبه قوم نجت على جيش مروا ليلا
وهم لا يشعرون بالخي فاستباحوهم واستدلوا على مواضعهم بنباحها قال الشاعر

ألم تر ان سيد آل شور * بنابه عضه كلب فماتا

وقال صاحب الكلب قديموت الناس بكل شيء وقد قال عبد الملك ابن مروان الاتعجبون
من الضحاك بن فيس يطاب الاخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبض ولا نبض
وقال عرجة ابن شريك يهجو اسلم بن زرعة ووطئت أباه عنز بالمربد فمات فقال

(١) ولفظ الميداني على أهابا نخي براقش

ولم أستطع اذبات مني معشرى * مكان قتيل العنز ان أتكلما

فيا ابن قتيل العنز هل أنت نائر * بزرة تيسا في الزرية أزرما

وقال أبو الغول في جعفر بن يحيى

أصبحت محتاجا الى الضرب * فى طب العرف الى الكلاب

قد وقع السب له وجهه * فصار لا ينحاش للسب

اذا شكى صب اليه الهوى * قال له مالى وللصب

أعني فتى يطعن في دينه * تشب معه خشب الصاب

قال وقت لابي عبيدة اليس بقع الكلاب أمثلها قال لا قلت ولم قال

وخفت هجاء هم لما تواصوا * كخوف الذئب من بقع الكلاب

قال ليس هكذا قال انما قال * كخوف الذئب من سود الكلاب

الأتري انه حين أراد الهجاء قال

كأنك بالمنازل بعد شهر * تخوض غمورة بقع الكلاب

ويدل على ذلك قول الجدلى

لعمري لجو من جواء سوقة * اسافله ميث وأعلاه أجرع

أحب الينا ان نجاور أهله * ويصبح منا وهو مرءى ومسمع

من الجوسق الملعون بالرى لائى * على رأسه داعي المنية يلمع

يقولون لى صبرا فقلت لطال ما * صبرت ولكن لأرى الصبر ينفع

فايت عطاءى كان قسم بينهم * وكان لى السكمان والحزن أجمع

وكان لهم أجرى هنيئا وأصبحت * بي البازل الكوماء بالرمل تضيع

أجعل نفسى عدل عاج كأنما * يموت به كلب اذا مات أبقع

قال فقد بين كما ترى ان الابقع شرها قال وقت فلم قال الشاعر

أرسات أسدا على بقع الكلاب فقد * أمسى شريدهم فى الارض فلالا

قال فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم واذا صغر شأن من هزموا فقد صغر شأن

المدوح بل انما قال أرسلت أسدا على سود الكلاب قال وانما جاء الحديث في قتل
سود الكلاب لان عقرها أكثر ما تكون سودا وذلك من غلبة أنفها وليس في
الأرض حيوان من بقرة وثور وحمار وفرس وكلب وانسان الا والسود أشدها شرا
وعصيا وأظهرها قوة وصبرا وقال أبو سعيد الخزومي في هجائه دعبلأ

يأنايت بن أبي سعيد أنها * دول واحربها بأن تنتقلا
هلاجمات لها كرمة دعبل * في أست كلب لايساوي دعبلأ
جنبت على قصـ واءتقل سوءة * الينا وكم من سوءة لاتها بها
وتزعم ان لم تخز سلم بن جندل * وقد خزيت بعد الرجال كلابها
وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفر بن يحيى
فما خاف وجهه قد أطيل كأنه * ففما لك يقضي المهوم على تثق
وأعظم زهو ام ذباب على خرى * وبخل من كلب عقور على عرق
وقال أبو الشمعة

أهل جود ونائل وفعال * غابو الناس بالندى والعطية
جنته زائرا فادنى مكاني * وتلقى بمرحب وتحمية
لا كمثل الأدم حارثة الأؤ * م شبيه الكليبة القلطيه
جنته زائرا فاعرض عني * مثل اعراض قحبة سرسيه
وتولى كأنه اير بفعل * غاب في دبر بغلة مصريه
وقال أيضاً

الا قولاً لشران الخازي * ووجه الكلب والتيس الشروط
له بطن يضال الفيل فيه * ودبر مثل راقود الذشوط
واير عارم لاخير فيه * كدور سنينة في بثق روط
ولحية حائك من باب قلب * موصلة الجوانب بالخيطوط
اذا نهض الكرام الى المعالي * تري سران يسفل في هبوط

له وجه عليه الفقر باد * مرقة جوانبه بنوط

﴿ وقال أيضا في ذلك ﴾

يارازق الكاب والخنزير في سمة * والطير والوحش في يهمارويه

لوشئت صيرته في حال فاقته * حتى تقر بتلك الحال عينيه

وقال جرير بن عطية يهجو الصلتان العبدي

أقول لها والدمع يغسل كحائها * متى كان حكم الله في كرب النخل

فأجابه الصلتان فقال

تعييرنا ان كانت النخل مالنا * وود أبوك الكاب لو كان ذا نخل

يميره جرير بأنه كان هو وأبوه من أصحاب النخل

وقال وضاح اليمن

وأكتم السر غضباناً في سكرى * حتى يكون له وجهه ومستمع

وأترك القول عن علم ومقدرة * حتى يكون بذاك النجد مطلع

لا فتوي قوة الراعي ركائبه * بيت يأوي إليه الكاب والولع

ولا العسيف الذي تشد عقبته * حتى يؤوب وباقى فعله قطع

وقال محمد بن عباد الكاتب مولى بجيلة وأبوه من سبي وابق وكاتب زهير وصديق

ثمانية يهجو أبا سعيد دعي بني مخزوم وبعد أن لقي منه ما لقي

فعلت نزار بك الذي اسـ * تاهلته نفيًا وضربا

فهبجت حطانا لاهجو * ثم مكابرة وأربا *

وأردت كما تشتقي * بهجائهم منهم فتربا

ووثقت انك ما سبـ * بت حماك تؤمك أن تسبا

كالـكاب ان يباح فايد * س جوابه الأخص كلبا

خفض عليك وقر مكا * نك لا تطف شرقا وغربا

واكشف قناع أليك فالآباء ليس تنال غصبا

وقال آخر يصف كلبا

ولدت كطعم الصر خدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدنان
ومبدلى الشحناء بيني وبينه * دعوت وقد طال السرى فدعاني
فوصفه كما ترى انه يبدى له البغضاء

وقال آخر

سرت ما سرت من ايلها تم عرسست * على رجل بالمرج الأثم من كلب
وقال راشد بن شهاب اليشكري

فلسن اذا هبت شمال عريّة * بكلب على لحم الجزور ولا برم

وقال كثير بن عبد الرحمن وهو يصف نعلا من نعال السكرام

اذا طرحت لم يطبي الكلب ريحها * وان وضعت في مجلس القوم شمت

وقال الاعمين في بعض أضيافه يخبر انه قراد لحم كلب وقد قال ابن الاعرابي انما وصف تيساً

فقلت لعبدى اقتلا داء بطنه * واعناجه اللامى لمن زوائد

بخاء ابخر شاوي شعير عليهما * كراديس من أوصال اعقد سافد

وقال دعبل بن علي

ولو يرزق الناس عن حيلة * لما نال كفا من التربة

ولو يشرب الماء أهل العنا * ف لما نال من مائهم شربه

واكنه رزق من رزقه * يعم به الكلاب والكلبه

باب ذكر من هجي بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس

قال سالم بن دارة الغطفاني

يا فتعسى لم اكنه له * لو خابك الله عليه حرمه

فما أكلت لحمه ولا دمه

وقال الفرزدق في ذلك

اذا اسدى جاع يوماً ببلدة * وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقال مساور بن هند

إذا اسدية ولدت غلاما * فبشرها بأوم في الغلام
يخرسها نساء بني دبير * بأخبث ما يكون من الطعام
تري أظفار أعتد لقيات * برائتها على وضم الشام
فهذا الشعر وما أشبهه يدل على أن اللعين إنما قراهم كبا ولم يقرهم تيسا وان الصواب
خلاف ما قال ابن الاعرابي وقال مساور بن هند أيضا

بني أسد ان تمحل العام فتمس * فهذا اذن دهر الكلاب وعامها
وقال شريح بن أوس يهجو بالمهوس الاسدى
وعيرتنا تمر العراق وبره * وزادك إيرا الكاب شيطه الجمر
وقال معروف الاسدى في أكلهم لحوم الناس

إذا ماضفت يوما فقمسيا * فلا تطعم له أبدا طعاما
فان اللحم انسان فدعه * وخير الزاد ما منع الحراما
وقد هجيت هذيل وأسد وبالغنبر وباهلة بأكل لحوم الناس قال حسان بن ثابت يذكر
هذيل

إن سرك الغدصر فالامزاجه * فأت الرجيع وسل عن دار لحيان
قوم تواصلوا بأكل الجار بينهم * فالكباب والشاة والانسان سيان
وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل
وأنتم أكلتم شجمة بن مخدم * زمانا فلا يأمنكم أحد بعد
تداعوا له من بين خمس وأربع * وقد نسل الاظفار وانسبا الجلد
ودفتم جبيرانه لرئيسكم * معاوية النساء يالك ما شكك
وقال الشاعر في ذلك في باهلة

ان عفاقا أكلته باهله * تمششوا عظامه وكاهله

* وأصبحت أم عفاقا ثا كله *

وهجاء شاعر آخر بالعنبر وهو يريد ثور بن شحمة وكان شريفاً وكان يقال له مجير الطير
فما مجير الجراد فهو مدحج بن سويد بن مرشد بن جبير فعير الشاعر ثور بن شحمة
بأكل الرجل العنبري لحم المرأة إلى أن أتى ثورا من الجبل فقال
عجبتكم ما صادكم علاج * من العنوق ومن النعاج
حتى أكلتم طفلة كالعاج

لما عيرد قال ثور

يأبنت عمي ما يدريك ما حسبي * إذ لا تجر خبيث الزاد اضلاعي
أني لذو مرة تخشى بوادره * عند الصياح نضل السيف قراع
ومن ظريف الشعر قول أبي عدنان
فما كلبة سوداء تغرى بناها * عراق من الموتى مراداً وتكدم
أتيح لها كلب فضت بعرقها * فهارشها وهي على العرق ٢
فتقف على هذا الشعر فانه من أعاجيب الدنيا وقال الشاعر يرحى
مابل كلب بني كليب سبنا * ان لم يوازن حاجبا وعقلا

وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور فقال له مالك انما رفعك قبر بتشير فقال شقيق
حين وضعك قبر بالمشقر يا ابن قتيل النساء وقتيل الكلاب قال وكان يقال لمسمع قتيل
الكلاب وذلك انه لجأ في الردة إلى قوم من عبد القيس فكان كلبهم ينبج عليه يخاف
أن يدل على مكانه فقتله فقتل به قال والعرب تقول أسرع من لحسة كلب انه ويقال
أحرص من لقوة وهي الكتابة وجمع القاء وفي المثل الأثم من كلب على عرق وانم كلب في
بؤس أهله وفي المثل اصنع المعروف ولو مع الكلب وقال ابن سيرين الكلب في النوم
رجل فاحش فان كان اسود فهو عربي وان كان أبقع فهو عجمي وقال الاصمعي عن
حماد بن سامة عن ابن أخت أبي بلال بن مرداس بن أدية قال رأيت أبا بلال في النوم
كأبا تذر ف عيناه وقال انا حوانا بعدكم كلابا من كلاب النار قال ولما خرج شعر بن
ذى الجوشن لقتال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما فرأى الحسين فيما يرى النائم

ان كلبا أتبع يابغ في دماءهم فأول ذلك بقتلهم شعر وكان منساخا برصا قال والمسلمون كلهم يسمون الخوارج كلاب النار وقال صاحب الديك لصاحب الكلب يصفه بالسرعة في الحضر وبالصبر على طول العدو وبسمة الاهاب وانه اذا عدا ضبع وبسط يده ورجليه حتى يمس قفصه الارض وحتى يشرط اذنيه بشباه اظفاره وانه لا يمتشي رجا مما يصيب الكلاب من الابهث فان كان كما تقولون فلم وصفت الشعراء الفرس وشبهته بضروب من الخلق وكذلك الاعضاء. وغير ذلك من أمره وتركوا الكلب في المنسا لا يلتفت اليه أحد وقال ابو دواد الأيادي في ذلك

عن لسان كجثة الورق الاحـ * مرجج الندى عليه العرار

ولم يذكره في شيء وقال حماد عجرد الكلابي

كأن لسانه ورق عليه * بدار مضية حج العرار

وقال امرؤ القيس

وخذ أسيل كالمسن وبركة * كجؤجؤ هيق دفه قدتمورا

ولم يذكره بشيء وقال عقبة بن سابق

عريض الخد والجـ * هبة والصهوة والجنب

ولم يذكره بشيء وقال امرؤ القيس

وسامعتان تعرف العتق فيهما * كسامتي مذعورة وسط بربر

ولم يذكره عند ذلك وقال عقبة بن سابق

ولها بركة كجؤجؤ هيق * وابان مضر ج بالخضاب

ولم يذكره بشيء وقال خفاف بن ندبة

عبل الذراعين سليم الشظا * كالسيد يوم نفرة الصادر

وقال امرؤ القيس

سليم الشظاء بل الشوى شنج النسا * اقب كتيس الحلب المدوان

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال عقبة بن سابق

وارساع كأعناق * طباء أربع غلب

وقال الجعدي

كان تماثيل ارساعه * رقاب وعول لدى مشرب

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال امرؤ القيس

لها منتان خظانا كما * أكب على ساعديه النمر

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال ابو دواد

يتشي كشي نعماتين * تبايعان اشق شاخص

وقال ابن الصمق

بجنب مثل العقبا * ب تخاله للضمير قدحا

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال ربعة بن جشم ويروي لامرئ القيس

وسافان كباها الصمان * ولحم حمايتها منبتر

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري

كان حمايتها اربان * تقبضتا خيفة الاجدل

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك

كان حمايتها كردوس مثل * مقاصة على ساق ظالم

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال الاعشى

اما اذا استقبلته فكأنه * جذع سما فوق النخيل مشذب

وذا تصفحه الفوارس مفضبا * فتقول سرحان الغضا المتصوب

اما اذا استدبرته فتسوقه * ساق يقمصها وظيف أحدب

منه وجاعرة كأن حمايتها * لما كشفت الجبل عنه أرنب

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال الاسمر الجعفي

اما اذا استقبلته فكأنه * بازيكفكف أن يطير وقد رأي

أما اذا استعرضته متمطرا * فتقول هذا مثل سرحان الغضا

اما اذا استدبرته فقسوقه * ساق قوص الوقع عارية النسا
ولم يذكره في شيء وقال ابو دواد

كاليد ما استقبته واذا * ولي تقول مالم ضرب
لام اذا استمرضته ومشي * متتابعا ما خانه عقب
يمشي كمشي نعامة تبث * اخرى اذا هي راعها خطب

وقال امرؤ القيس

له ايطاليا ظي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تنفل

وقال ابن سنان العبدي

أما اذا ما أقيت فطارة * كالجدع شدبة نفي المنجل
أما إذا ما أعرضت فقايلة * ضخم مكان حزامها والمركل
أما إذا شئت فمهي نعامة * تنفي سنا بكها صلاب الجندل

قال ابو عبيدة ومما يشبهه خلقه من خاق النعامة طول وظيفها وقصر ساقها وعمرى
نسيها ومما يشبهه من خلقه خاق الارنب صغر كعبيها ومما يشبهه من خلقه خلق الحمار
الوحشي غلظ لحمه وظلم فسوصه وسرته وتمحيص عصبه وتمكن ارسائه وعرض
صهوته قال صاحب السكاب قد قال ابو عبيدة ان مما يشبهه من خلقه خاق السكاب
هزت شدته وطول لسانه وكثرة ريقه وانحدار فسه وسبوغ ضلوعه وطول ذراعيه
ورحب جلده ولحوق بطنه وقال طفيل الغنوى يصف الخيل

تبادى مراحها الزجاج كأنها * ضراء أحست نباءة من مكاب

وقال طفيل أيضا

كان على اعطافه ثوب مانج * وان يلق كلب بين لحبيه يذهب

وقال صاحب الديك وأين يقع البيت والبيتان والثلاثة من جميع اشعار العرب وقال
صاحب السكاب لعلنا ان تبغنا ذلك وجدناه كثيرا ولكنك تقدمت في أمر ولم تشمر
الذي تعنى فلتقط من الجميع أكثر مما التقط والانسان شريف الاعضاء وقد تشبهه

• مواضع منه • مواضع من الفرس العتيق وما حضرنا من الاشعار الا قوله
وتري الكميت امامه * وكأنه رجل مغاضب

وقال الشاعر في ذلك

خوص تراح الى الصراخ اذا غدت * فعمل الضراء تراح للكلاب
وقد شبهوا بالكلب كل شيء وكان اسم فرس عامر بن الطفيل الكلب والمزنوق
والورد قال صاحب الديك قد قال أوس بن حجر ووصف الناقة ونشاطها والذي
يهيجها فقال

كان هرا جنيبا عند ممرضها • والتف ديك برجليها وخزير
فبلا قال والتف كلب كما قال والتف ديك وقال أبو حية
تزاورت عنه كان بدفها * هرا تنشب ضبعها بالاظفر
وقال الاعشي

بجلالة سرح كان بدفها * هرا اذا عمل المطي ظلالها
وقال عنتر بن شداد العبسي

وكانما ينأى بجانب دفها * الوحشي في هزج العشي مؤوم
هر جنيب كلما عطفت له * غضي التقاهما باليدين وبالقم
وقال المثقب العبدي

فسأل الهم عنك بذات لوث * عذافرة كطرقه القيون
بصادقة الوجيف كان هرا * يباريها ويأخذ بالوضين

قال صاحب الكلب انما يذكر في هذا الباب السباع المنعوتة بالمخالب وطول
الاضفار كما ذكروا الهروا بن آوى والكلب ايس يوصف بالمخالب وليس ان الهرا أقوى
منه الا ترى ان أوس بن حجر قال في ذلك

كان هرا جنيبا عند ممرضها * فذكر الموضع الذي يوصف بالمخالب والحدش والخمش
والنظفير فلما أراد ان يفزعها ويثورها حتى تذهب جافة في وجهها أو نادة أو كأنها مجنونة

من حال المرح والنشاط قال

﴿ والتف ديك برجليها وخنزير ﴾

قال أبو النجم

لو جرشن خاتنها لم يحفل * من شهوة الماء ورزء معضل
لو قال أوس (والتف شن برجليها وخنزير) لكان جائزاً لولا بيس الشن وقوله وأنه
ببس مما يلتوى على رجليها وقال آخر

كان ابن آوي موثق تحت غرزها * إذا هو لم يكلمم بنايه ظفراً
قال صاحب الديك حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس
بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل يمطي عطية ويرجع فيها إلا الوالد
يما يمطي ولده ومثل الذي يمطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل حتى إذا شبع
فأه ثم عاد في قيئه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجع
في هبته إلا الوالد من ولده والمائد في هبته كالمائد في قيئه وعن جعفر بن محمد عن
بيه عن عبد الله بن جعفر أن أبا بكر أمر بقتل الكلاب قال عبد الله بن جعفر
كانت أمي تحت أبي بكر وكان جرولي تحت السرير فقاتله يأبى وكأني أيضاً فقال لا تقتلوا
كلب ابني ثم أشار بإصبعه إلى الكلب أي خذوه من تحت السرير وأنا لأدري فقتل
إسماعيل بن أمية قال امتان من الجن مسختا وهما الكلاب والحيات ابن المبارك قال
تاعرف الرجل قدر نفسه صار عند نفسه أذل من الكلب قال صاحب الديك وذكر
كلب فقال من أوامه أنه إذا أسمته أكلك وإن أجمته أنكرك ومن أوامه أتباعه
من أهانه والفهم أن أجمعه لأنه أجهل من أن يأنس بما يؤنس به وأنشردوا بهم وأحرص
الحج من أن يذهب بمطعمه ما يذهب بمطامع السباع ومن جهله أيضاً أن لم يجده يحرس
سنين إليه بنجاحه وأربابه الذين ربوه وواسود إلا كحراسته لمن عرفه ساعة واحدة
، لمن أذله وأجمعه وأعطشه بل ليس ذلك منه حراسة وإنما هو فيه من فضل البذاء أو
حش وشدة التحرش والتسرع وقد قال الشاعر في ذلك

إذا تخازرت ومأبى من خزر * ثم كسرت العين من غير عور

أبزا ذبوزيت من كلب ذكر * اسود فراع تعوى في السحر

وانما ذلك شكل من شكل الجبين ولا الذي يعتري نساء السفلة من الصخب والكلاب
 جبان وفيه جرة واووم ولو كان شجاعا وفيه بعض التهييب كان أمثل ومن فرط الجبن انه
 يفزع من كل شيء وينبجه والبرذون ربما ربح البرذون مبتدئا وفاق وصل صهيلا
 في اختلاط وايس ذلك من فضل قوة يجدها في نفسه على المرء ووح ولكنه
 يكون جبانا فاذا رأي البرذون الذي يظن انه يعجز عنه أراه الجبن انه واقع به
 فعندها يفاق واذا فلق ربح وهذه العلة تعرض للمجنون فان المجنون الذي
 تستولى عليه السوداء ربما وثب على من لا يعرفه وليس ذلك الا لان المرء
 أوهمته انه يريد بسوء وان الرأي انه يبدأ بالضرب وعلى مثل ذلك يرمي بنفسه في
 الماء والنار فاما الذي شهدت أنا من أبي اسحق بن سيار النظام فانا خرجنا ليلة في
 بعض طرقات الابله وتقدمته شيئا والح عليه كلب من شكل كلاب الرعاء وكره ان
 يمدو فيغريه ويضربه وأنف أيضا من ذلك وكان أنفا شديدا الشكيمة أبناء للهيضة
 وكره ان يجاس مخافة ان يشر عليه بوله أو لعله ان يعضه فهرت ثوبه والح عليه فلم
 ينله بسوء فاما جزنا حده وتخلصنا منه قال ابراهيم في كلام له كثير يمدد خصاله
 المذمومة فكان آخر كلامه ان قال ان كنت سبع فاذهب مع السباع وعليك
 بالبراري والغياض وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم ولا تذكر قولي وحكايتي
 عنه بقول ما حون من قولي ان كنت سبع ولم أقل ان كنت سبعا وأنا أقول ان
 الاعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب لان سامع ذلك
 الكلام انما أعجبه تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك المادة فاذا دخلت
 على هذا الامر الذي انما أضحك بسخفه وبهض كلام العجمية التي فيها حروف
 الاعراب والتخفيف والتثميل وحولته الى صورة الفاظ الاعراب النصحاء وأهل
 المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدت صورته ثم قال أبو اسحاق ان

أطعمه اللص بالنهار كسرة خبز خلاله ودار حوله ليلا فهو في هذا الوجه مرتش وآكل سحت وهو مع ذلك اسمع الخلق صوتا واحق الخلق يقظة ونوما ينام النهار كله على نفس الجادة وعلى مدق الحوافر وفي كل سوق وملتقى طريق وعلى سبيل الخولة وقد سهر الليل كله بالصياح والصخب والنصب والتعب والغليظ والغضب وبالجنبيء والذهاب فيركبه من حب النوم على حسب حاجته اليه فان وطئته دابة فاسوء الخلق جزعا والامة لو ما واكثره نباحا وعواء فان سالم ولم تطاهاه دابة ولا وصيه انسان فايست تتم له السلامة لأنه في حال متوقع للبلية ومتوقع البلية في بلية فان لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأ حالا منه لأنه أسوأهم جزعا واقابهم صبيرا ولأنه الجاني ذلك على نفسه وقد كانت الطرق الخالية له معرضة وأصول الحيطان له مباحة وبعد فان كل خاق فارق أخلاق الناس فانه مذموم والناس ينامون بالليل الذي جعله الله تعالى سكننا وينتثرون بالنهار الذي جعله الله تعالى لحاجات الناس مسرحا قال صاحب السكاب لوشئنا أن نقول ان سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية لقائنا ولو كان خلاف ذلك الأذ لسكانت الملوك بذلك أولى وأما الذي أشرتم به من النوم في الطرق الخالية وعبتموه به من نومه على شارع الطارق والسكك العامرة وفي الاسواق الجامعة فكل امرئ أعلم ولولا ان السكاب يعلم ما يلقى من الاحداث والسفهاء وصبيان السكاب من رض عظامه بأنواعهم اذا وجدوه نائما في طريق ليس خال بحضرتة رجال يهابون ومشيجة يرحمون ويزجرون السفهاء وان ذلك لا يعتريه في مجامع الاسواق لقل خلافه عليك ولما رقد في الاسواق وعلى أن هذا الخلق انما يهترى كلاب الحراس وهي التي في الاسواق مأواها ومنازلها وبعد فمن أخطأ وأظلم ممن يكلف السباع أخلاق الناس وعادات البهائم وقد علمنا أن سباع الارض عن آخرها نمتهميج وتسرح وتلتمس المعيشة وتتلاقى على السفاد والعظام ليلا لأنها تبصر بالليل وانما نام الناس بالليل عن حوائجهم لأن التمييز والتفضيل والتبيين لا يمكنهم الا نهارا وليس لهم تعب المتحرك بدم من سكون يكون جما ما له ولولا صرفهم التماس الجمال الي الوقت الذي لولم يناموا فيه والوقت مانع

من التمييز والتبيين لكانت الطبائع تنقض فجعلوا النوم بالليل لضر بين أحدهما لأن الليل إذا كان من طبعه البرد والركود والخشورة كان ذلك انزع الى النوم ومادعي اليه لانه من شكاه والوجه الآخر فلأن ليل موحش مخوف الجوانب من الهوام والسباع ولأن الاشياء المبتاعة والحاجات الى تمييز الدنانير والدرهم والحبوب والبرور والجواهر واخلاق العطر والبنهار وما لا يحصى عدده فقادتهم طبائهم وسافتهم غرائزهم الى وضع النوم في موضعه والانتشار بالتصرف في موضعه على ما قدر الله تعالى من ذلك واحبه وأما السباع فانها تتصرف وتبصر بالليل واها أيضاً علل أخرى يطول ذكرها وأما ما ذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل وان المالك لم تجهل فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ولكن الملوك لكثرة أشغالها فضت حوائجها على مقدار النهار ولم يتسع لها فلما استعانت بالليل ولم يكن لها بدمن الخلوة بالتدبير المكتوم والسر المحزون وجمعت المقدار الناضل عن اتساع النهار الى المقدار الذي لا بد للخلوة بالاسرار منه أخذت من الليل صدرًا صالحًا فلما طال ذلك عليها أعانها المرات وخف ذلك عليها بالدربة وناس منهم ذهبوا الى تناول من الشراب وعلى أن سماع الصوت الحسن مما يزيد في المنية ويكون مادة للقوة وعلموا أن العوام اذا كانت لا تناول الشراب ولا تتكاف السماع على هذا المعنى أن ظنهم متيسر وتولها سيكثر فرأوا أن الليل أستر وأجدر أن يتم به باقي التدبير وقال الراجز * الليل أخفى والنهار أفضح * وقالوا في المثل الليل أنفى للويل وما زالت ملوك العجم تلهي المحزون بالسماع وتعلل المريض وأشغله عن التفكير حتى أخذت ذلك ملوك العرب عن ملوك العجم ولذلك قال ابن عسلة الشيباني

وسماع مدجنة تملنا * حتى ننام تناوم العجم

فصحوت والنمري يحسبها * عم السماك وخالة النجم

النجم واحد وجمع وانما يعني في البيت الثريا ومدجنة يعني سحابة دائمة وفيما يحكى عن امرأة من عقلاء نساء العرب واذا كان نساء العرب في الجملة أعتقل من رجال العجم

فاظنك بالمرأة منهم اذا كانت مقدمة فيهم فرووا جميعاً أن أم تأبط شراً قالت والله
 ما ولدته يتناول سقيته غيلاً ولا أبتة على مائة فأما اليتيم نخرج رجل المولود قبل
 رأسه وذلك علامة سوء ودليل على الفساد وأما سقي الغيل فارتضاع ابن الحبلي وذلك
 فساد شديد وأما قولها في المأفة فان الصبي يبكي بكاء شديداً متعباً موحماً فاذا كانت
 الأم جاهلة حركته في المهد حركة تورثه الدوار أو نومه بأن تضرب يدها على جنبه
 ومتى نام الصبي وتلك النزعة أو اللوعة أو المكروه قائم في جوفه ولم يعمل ببعض
 ما يليه ويضحكه ويسره حتى يكون نومه على سرور فيسرى فيه ويعمل في طباعه
 ولا يكون نومه على فزع أو غيظ أو نغم فان ذلك مما يعمل في الفساد والأم الجاهلة
 والمرقصة الخرقاء اذا لم تعرف فرق ما بين هاتين الحالتين كثير من هذا ذلك الفساد وترادف
 وأعان الثاني الأول والثالث الثاني حتى يخرج الصبي مأثقا وفي المثل صاحبي مئق وأنا
 تثق بضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرفيق والزميل وقد استفرغه الضجر لطول
 السفر فقلبه مثلان فأول شيء يكون في ذلك المثلث من المكروه ولم يحتمله بل يفيض
 ضجره عليه لامتلأه من طول ما قاسى من مكروه السفر فاحتاج حذاق الملوك
 وأصحاب العنايات التامة أن يداؤوا أنفسهم بالسمع الحسن ويشدوا من متهم بالشراب
 الذي اذا وقع في الجوف حرك الدم واذا حرك الدم حرك طباع السرور ثم لا يزال
 زائداً في مكيال الدم زائداً في الحركة المولدة للسرور هذه صنعة الملوك وعليه بنوا أمرهم
 جهل ذلك من جهله وعلمه من علمه وقال صاحب السكاب أما تركه الاعراض على
 اللص الذي أطعمه أياماً وأحسن إليه مراراً فأنما وجب عليه حفظ أهله لاحسانهم
 إليه وتعاهدهم له فاذا كان عهده بين اللص وبينه احدث من عهده بينه وبين أهله
 لم يكف السكاب النظر في العواقب وموازنته الامور والذي اضمر اللص من البيات
 غيب قد ستر عنه وهو لا يدري اجاء ليأخذ ما جاء ليعطى او هم امرؤه أو هو
 المتكاف لذلك ولعل أهله أيضاً يكونوا قد استحقوا ذلك منه بالضرب والاجاعة
 وبالسب والاهانة واما سماجة الصوت فالبغل اسمج صوتاً منه كذلك الطاووس علي

أنهم يتشائمون به وليس الصوت الحسن الا لاصناف الحمام من القمارى والدباصى
 و صناف الشمانين والوراشين فاما الاسد والذئب وابن آوى والخنزير وجميع الطير
 والسباع والبهائم فكذلك وانما لك ان تدم الكاب فى الشئ الذى لا يعم والناس
 يقولون ليس فى الناس شئ اقل من ثلاثة اصناف البيان الحسن والصوت الحسن
 والصورة الحسنة ثم الناس بعد مختلطون ممتزجون وربما كان من الناس بل كثيراً
 ما تجده وصوته اقبیح من صوت الكاب فلم تخصون الكاب بشئ عامه الخلق فيه أسوء
 حالاً من الكاب وأما عوائده من وطيء الدابة وسوء جزعه من ضرب الصبيان فجزع
 الفرس من وقع عذبة السوط أسوء من جزعه من وقع حافر برذون وهو فى هذا
 الموضع للفرس أشد منه مناسبة منه للحمار على ان الديك لا يذكر بصبر ولا جزع قال
 صاحب الديك حدثني العتيبي قال كان فى اليونانيين ممرور له نوادر عجيبة وكان يسمى
 ريسيموس قال والحكماء يروون له أكثر من ثمانين نادرة الاوهى غرة وعين من
 عيون النوادر فمنها انه كان كلما خرج من بيته مع الفجر الى شاطئ الفرات للغائط
 والظهور أتى فى أصل باب داره وفى دوارته حجرا كى لا ينصفق الباب فيحتاج الى
 معالجة فتحه والى رفعه كلما رجع من حاجته فكان كلما رجع لم يجد الحجر فى موضعه
 ووجد الباب منصفقا فكمن له فى بعض الامكنة فى بعض الأيام ايرى هذا الباب
 يصنع ما يصنع فيبيناهو فى انتظاره اذا قبل رجل حتى تناول الحجر فلما نجا عن مكانه
 انصفق الباب فقال له مالك ولهذا الحجر ومالك تأخذه فقال لم أعلم انه لك فقد
 علمت انه ليس لك قال وقال بعضهم ما بال ريسيموس يعلم الناس الشعر ولا يقول الشعر
 قال ريسيموس كالمسن الذى يشحد ولا يقطع ورآد رجل يا كل فى السوق فقال انا كل
 فى السوق فقال اذا جاع ريسيموس فى السوق أكل من السوق قال واسمعه رجل
 كلاما غليظا وسطا عليه وحش فى القول وتحمم عنه فلم يجبه فقيل له ما منكم من مكافأته
 وهو لك معرض قال أرأيت لو رمحك حماراً كنت ترمحه قال لا قال فان ينبح عليك
 كاب تنبح عليه قال لا قال فان السفينه إما ان يكون حماراً وإما ان يكون كلباً لانه لا يخلو

من شرارة تكون فيه أوجهل وما أكثر من يجتمعان فيه وقال صاحب الديك يقال
للسفيه إنما هو كلب وإنما أنت كلب نباح وما زال ينبج علينا منذ اليوم وكلب من هذا
ويا كلب ابن الكلب واخساً كلبا وقالوا في المثل امتاج الى الصوف من جز كلبه واجمع
كلبك يتبعك وأحب شيء الى الكلب خانقته وسمن كلبك يا كلك وأجوع من كلبة حومل
وكل الكلب يربض في الأرى فلا هو يا كل ولا يدع الدابة تعاتف وفي أمثالهم في الشؤم
(على أهلها دلت براقش) ^(١)

وبراقش كلبة نجت على جيش مروا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع الحى
فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم وقال صاحب الديك روى اسماعيل المسكى
عن أبي عطاء العطاردي قال سمعت ابن عباس يقول السود من الكلاب الجن والبقع
منها الجن ويقال إن الجن ضعفة الجن كما أن الجنى اذا كفر وظلم وتعدى وافسد قيل
شيطان وان قوى على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق السمع قيل مارد فان زاد
فهو عفريت فان زاد فهو عبقرى كما ان الرجل اذا قاتل في الحرب واقدم ولم يحجم فهو
الشجاع فان زاد فهو البطل فان زاد قالوا بهمة فان زاد قالوا ليث فهذا قول أبي عبيدة
وبعض الناس يزعم ان الجن والجن صنفان مختلفان وذهبوا الى قول الاعرابى حين
اتى بعض ابواب الملوك ايكاتب في الزمنى فقال في ذلك

ان تكتبوا الزمنى فانى لزمن * من ظاهر الداء وداء مستمكن

أيدت أهوى فى شياطين ترن * مختلف نجارهم حن وحن

وعن أبي عنبسة عن أبي الزبير عن جابر قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل
الكلاب حتى ان المرأة لتقدم بكلها من البادية فنقتله ثم نهانا عن قتلها وقال عليكم
بالأسود البهيم ذا النكتتين على عينيه فانه شيطان وعن ابى الزبير عن جابر
قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فكنا نقتلها كلها حتى قال انها
أمة من الامم فاقتلوا البهيم الاسود ذا النكتتين على عينيه فانه شيطان نافع وعبد الله

وأبو بكر أنبأنا نافع عن ابن عمر ونافع عن أبي رافع قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب فكنا نقتلها فانتهيت إلى ظاهر بني عامر وإذا عجوز مسكينة معها كلب وليس يقربها انسان فقالت ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان هذا الكلب يؤنسني وليس قربي أحد فرجع إليه فاخبره فأمر ان يقتل كلبها فقتله وقال في حديث آخر انه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال الآن استرحتم قالوا فقد صح الخبر عن قتل جميع الكلاب ثم صح الخبر بنسخ بعضه وقتل الاسود البهيم منها مع الخبر بانها من الجن والخن وان امتين مسختا وهما الحيات والكلاب ثم روي الاشعث عن الحسن قال ماخطب عثمان خطبة الا أمر بقتل الكلاب وذبح الحمام وعن الحسن قال سمعت عثمان بن عفان يقول اقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام قال وقال عطاء في قتل كلب الصيد اذا كان صائداً أربعون درهما وفي كلب الزرع شاة والحسن ابن عماره عن يعلى بن عطاء عن اسماعيل بن حسان ابن عبد الله بن عمر قال قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصيد بأربعين درهما وفي كلب الغنم بشاة وفي كلب الزرع بفرق من طعام وفي كلب الدار بفرق من تراب حق على القتال ان يؤديه وحق على صاحب الدار ان يقبضه قالوا والتراب لا يكون عقلا اذا كان في مقدار الفرق وفي قوله وحق على صاحب الدار ان يقبضه دليل على انه عقوبة على النهي عن اتخاذه وان ذلك على التصغير لامر الكلب وتحقيره على وجه الارغام للمالك ولو كان عوضاً او ثواباً او كان في طريق الاموال المحروص عليها لما اكره على قبضه احد ولو كان العنوا افضل قال وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره ابن ابي عمرو عن قتادة عن ابي الحكم ان ابن عمر سئل عن ذلك فقال المأثم على رب الدار الذي يملكها وعن ابن عمر قال من اتخذ كلبا ايس بكنب زرع ولا ضرع ولا صيد نقص من اجره كل يوم قيراط فقال رجل فان اتخذته رجل وهو كاره قال انما ائمه على صاحب الدار وصدقه ابن طيلسة المازني قال سألت الحسن قلت ان دورنا في الجنان وهي معورة وليس عليها ابواب افتري ان نتخذ فيها كلابا قال لا لا وعن ابن ابي شيبة عن سالم عن ابيه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتني كلبا إلا كلب صيد او كلب ماشية نقص من اجره كل يوم قيراطان وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من اقتني كلبا فانه ينقص من عمله كل يوم قيراط ويونس عن ابيه عن اسحاق قال حدثنا هنييرة بن خالد الخزامي قال انطلقت مع نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نعود رجلا من الانصار فلما اتهموا الى باب الدار نارت اكلب في وجوه القوم فقال بعضهم ابعض ما يبقي هؤلاء من عمل فلان شيئا كل كلب منها ينقص قيراطا في كل يوم هشام بن حسان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتخذ كلبا ايس بكلب صيد ولا زرع ولا ضرع فانه ينقص من اجره كل يوم قيراط والقيراط مثل جبل احد يونس عن ابي اسحاق عن مجاهد قال اقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة وكانت امرأة عمه تهاديه فلما كانت ذات يوم قالت له لو ارسلت الى الغنم فاستأنست برعائها وكلابها فقد نزلت قاصية فقال لولا كلابها فعلت ان الملائكة لا تدخل دارا فيها كلب الثوري عن سماك بن حرب ان ابن عباس قال على منبر البصرة ان الكلاب من الجن وان الجن من ضعفة الجن فاذا غشيكم منها شيء فأتقوا اليها شيئا او اطرودوه فان لها نفس سوء وهشيم عن المغيرة عن ابراهيم قالوا لم يكونوا ينهوننا عن شيء من اللعب وعن غلمان الكلاب قال صاحب الديك روى ابراهيم بن ابي يحيى الأسلمي عن محمد بن المنكدر عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال تقامر رجلا ن على عهد عمر بديكين فأمر عمر بالديكة ان تقال فأناذ رجل من الانصار فقال امرت بقتل امة من الامم تسبح الله تعالى فأمر بتركها وعن قتادة ان ابا موسى قال لا تتخذوا الدجاج في الدور فتكونوا اهل قرية وقد سمعتم ما قال الله تعالى في اهل القرى (اأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون) وهذا عندي من ابي موسى ليس على ما يظنه الناس لان تأويله هذا ايس على وجهه ولا يمكنه كره للفرسان ورجال الحرب اتخذوا ما يتخذونه الفلاح واصحاب التبعيض مع حاجته يومئذ لي تفرغهم لحروب المعجم وأخذهم في تأهب الفرسان وفي دربة رجال الحرب فان كان ذهب الى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويل مرغوب عنه (وقال صاحب الكلب)

لصاحب الديك فقد أمر عمر بقتل الديكة ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ونهي ابو
 موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء والديكة تدخل في هذا الاسم
 واسم الدجاج يجمعها جميعاً ورويتهم في قتل الحمام مثل روايتكم في قتل الكلاب ولم أركم
 ورويتهم ان الحمام مسخ ولا ان بعضه من الجن وبعضه من الحن ولا ان أمتين مسختا
 وكان أحدهما الحمام وزعمتم ان عمر لما أمر بقتل الديكة حين كره الهراش بها والقمار
 بها فامل كلاب المدينة في تلك الايام كثير فيها العقور وأكثرهاها من الهراش بها
 والقمار فيها وقد علمتم ان ولاية المدينة ربما دمروا على صاحب الحمام اذا خيف من قبل
 القمار وضنوا انه السرف وذكروا عنه الرمي بالبندق وخديعة أولادهم بالفراخ فما بالكم
 لم تخرجوا الكلاب من التأويل والعذر مثل الذي خرجتم للحمام والديكة ورويتهم فيه
 في الجسدي والضباب انهما كانتا أمتين مسختا وروى بعضهم في الاريانة انها كانت
 خياطة تسرق السلوك وانها مسخت وترك عليها بعض خيوطها لتكون علامة لها ودليلاً
 على جنس سرقتها ورويتهم في النارة انها كانت طحانة وفي سهيل انه كان عشاراً باليمن
 وفي الحية انها كانت في صورة جمل وان الله تعالى عاقبها حتى لا يطأها بالارض وقدم
 عقابها على عشرة أقسام حين احتمات دخول ابليس في جوفها حتى وسوس الى آدم
 من فيها وقتلهم في الوزغة والحدأة ما قاتم وزعمتم ان الابل خلقت من أعناق الشياطين
 وأنزلتم في ذلك أبيض التأويل وزعمتم ان الكلاب أمة من الجن مسخت والذئب
 أحق بأن يكون شيطاناً من الكلاب لانه وحشي وصاحب قمار وبه يضرب المثل في
 التمدي والكلب الوف وصاحب ديار وبه يضرب المثل والذئب خثور غدار والكلب
 وفي مناصح وقد أقام الناس في الديار الكلاب مقام السنابير للنار والذئب مضرة كله
 والكلب منافع فاضلة على مضاره بل هي غالبية عليها وغامرة لها وهذه صفة جميع هذه
 الاشياء النافعة والناس لم يطبقوا على أخذها عبثاً ولا جهلاً والقضاة والفقهاء والعباد
 والولاة والنسك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمحاسبة وأصحاب
 التكلف والتسامح جميعاً لم يطبقوا على ترك التكبير وعلى ما يشاهدوه منها في دور من

لا يعصهم ولا يمتنع عليهم الا وقد علموا انه قد كان لقتل الكلاب بأعيانها في ذلك الدهر معنى والا فالناس في جميع أقطار الارض لا يجتمعون على مسالمة أصحاب المعاصي الذين قد خلعوا عذرهم وبرزوا ضجتهم بل ما تري خذ ما يطعن على شاهد عند قاض بأن في داره كلبا ولا تري حكما يرد بذلك شهادة بل لو كان اتخاذ الكلاب مأورا به لما كان الا كذلك ولو انكم حمائم جميع الهداهد على حكم هدهد سايمان وجميع الغربان على حكم غراب نوح وجميع الحمام على حكم حمام السفينة وجميع الذئب علي حكم ذئب اهبان بن أوس وجميع الحمير على حكم حمار عزيز السكك ذلك حكما مردودا وقد تعرض لخصائص الأمور اسباب في دهر الانبياء ونزول الوحي لا يعرض مثلها في غير زمانهم قد كان جبريل عليه السلام يمشي في الارض على صورة دحية السكبي وكان ابليس يتراءى في السكك في صورة سرافة المدلجى وظهر في صورة الشيخ النجدى ومثل هذا كثير فان زعمتم ان النبي صلي الله عليه وسلم نظر الى رجل يتبع حماما طيارا فقال شيطان يتبع شيطانا فخبرونا عن يتبع الحمام من بين جميع سكان الافاق ونازلة البلدان من الحرمةيين والبصريين ومن بنى هاشم الى من دونهم اتزعمون انهم شياطين على الحقيقة وانهم من نجل الشياطين أو تزعمون انهم كانوا انسا فسخوا بعد جنا أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان على مثل قوله شياطين الجن والانس وعلى قول عمر لا تزعن شيطانه من نعرته وعلى قول منصور بن رواحة

فلما أتاني ما تقول ترقت * شياطين راسي وانشين من الخمر

وقد قال مرة ابو الوجيه العكلي وكان ذلك حين ركبني شيطاني قيل له وأي الشياطين تعني قال الغضب والعرب تسمي كل حية شيطانا وأنشد الاصمعي

تلاعب شبي حضرى كأنه * تمنع شيطان بذي خروج ففر

وقالت العرب ما هو الا شيطان الحماطة ويتولون ما هو الا شيطان يريدون القبح وما هو الا شيطان يريدون الفطنة وشدة العارضة وروي عن بعض الاعراب في وقعة كانت والله ما قتلنا الا شيطان برصا لان الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطان وكان

به برص وفي بني سعد بنو شيطان قال طنبيل الغنوي

* وشيطان اذ يدعوهم ويثوب *

وقال ابن ميادة

فلما أتاني ما تقول محارب * تغنت شياطين وجن جنونها

وقال الراجز

إني وإن كنت حديث السن * وكان في العين نبوءة عني

فان شيطاني كبير الجن

وقال ابو النجم

اني وكل شاعر من البشر * شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وهذا كاه على وجه المثل وعلى قول منظور ابن رواحة

أتاني وأهلي بالرماح فغمرة * مسب عويث اللؤم حي بني بدر

فلما أتاني ما يقول ترقصت * شياطين رأسي وانتشين من الخمر

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد باسناد له يرفعه قال خرافة رجل من بني عذرة استهوته

الشياطين فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث فقالت امرأة من نساءه هذا

من حديث خرافة قال لا وخرافة حق ورويتم ان شريك بن خناسة دخل الجنة

وخرج منها ومعه ورقة من ورقها وان عمر سأل الرجل المنفود الذي استهوته الجن

فقال ما كان طعامكم قال البعر والبول والرمة وسأل عن شرابهم فقال الجدق

وقال الاعشى

واني وان كلفتموني وربكم * لا علم من أمسي أعق وأحوبا

لسكاثور والجن يضر بظهرة * وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

وزعمتم ان الجن خنقت حرب بن أمية وخنقت مرداس بن أبي عامر وخنقت الغريص

المغني وانها قتلت سعد بن عباد واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد

فأتتم أمياء بالخرافات أقوياء على رد الصحيح وتصحيح السقيم ورد بان التنزيل والحديث

المشهور الى أهوائكم وقد عارضناكم وقابلناكم وقارضاكم وقالموا في الحديث انه من اقتني
كلبا ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا قنص فهو اثم فباتوا شيئا من جميع الحيوان يصلح
للزرع والضرع والقنص وبعد فهل اتخذوا كلب الضرع الايجرس الماشية وأولادها
من السباع وهل عند الكلب عند طروق الأسد والنمر والذئب وجميع ما يقتات للحيوان
من رؤساء السباع لاصياحه ونباحه وانذاره ودلالته وان يشغفها بعض الشغل ويهيج
بها بعض الهجة الى أن يلحق بها من يحمها ويتوفاي اليها من يذود عنها اذ ليس في
هذا القياس انامتي وجدنا دهراتكثر فيه اللصوص ويفشو فيه السرقة وتظهر فيه
الثقوب ويشيع فيه التسلق ممن اذا افضي الى منزل القوم لم يرض الا بالخرية ليس
دونها شيء اويأتي على الأنفس وهو لا يصل الى ما يريد حتى يمر على النساء مكشفات
ومن عسي اذا أخذ المرأة اخذيدان لا يرضى ان يتوعد بذبح الاولاد ان يتقى بالمال حتى
يذبح ومن عسي ان تمكن شيئا أو أمن قليلا ان يركب الحرم بالسوءة العظمى وبالتالي
لاشوى بها فهذه الحال أحق بالحراسة من تلك الاحوال وبعد فلم صار نساء الحرمين
يتزاورون ليلا ونساء المصريين يتزاورون نهاراً ونساء الحرمين لا يرين نهاراً ونساء
المصريين لا يرين ليلا الا لكابرات ولمكان كثيرة من يستقى ومن يتخوف للنتب
والتسلق واذا كان الامر كذلك فأى الأمور أحق بالتحصيل والحياطة وأيهما أشبه
بالتهريب والاصاعة اتخذ الكلاب التي لاتنام عند نوم من قد داب نهاره او
ترك اتخاذها ويقظة السراق على قدر نوم المرومين وعلى اهلنا جمعنا بين حرس
الاسواق وما يشتمل عليه من جراءة الناس وبين اتخاذ الكلاب لا تمتنعوا من ضمان
الحراسة ولا تمتنع كل محروس من اعطائه تلك الاجرة ولو وجد اللصوص ذلك من
أعظم النعم وأجود الفرض أو ما تعلمون ان هذا الحرم وهذه الخريجات وهذه العقائل
من الأموال أحق بالمنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة من حفظ النعم وحريم الراعي
وحرمة الأجير وبمدفان الذئب لاتجتمع على قطع واحد والذي يخاف من الذئب
السلة والخطفة والاستلاب والاختلاس والاموال التي في حوانيت التجار وفي منازل

أهل اليسار يأتيها من العدد والعدة ومن نجب أصحاب النجدة من يحتملها بمخافيرها
 مع ثقل وزنها وعظم حجمها ثم يجالدون على ذلك بسيوف الهند وبا الأذرع الطوال وهم
 من بن جميع الخليفة لولا أنهم قد احسوا من أنفسهم الجراءة وثبات العزيمة بما ليس من
 غيرهم لكانوا كغيرهم ولولا أن قلوبهم أشد من قلوب الأسد لما خرجوا على أن جميع
 خلق يطاؤونهم وعلى أن الساطان لم يولهم إلا لمكانهم والانداز بهم وعلى أنهم أن نذر
 بهم قاتلوا قتال من لا ينجيه إلا القتال وعلى أنهم إذا أخذوا ماتوا كراما ولعل المدينة
 قد كانت ذلك الدهر مأمونا عليها من أهل النساد وكان أكثر كلابها عقورا وأكثر
 فتيلها من بين مہارش أو مقامر والكلاب العقور والكلاب الكلب أشد مضره من
 الذئب المأمور بقتله وقد يعرض للكلاب الكلب والجنون لأمر منها أن تأكل لحوم
 الناس ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان وجهال الناس يقتلون الوزغ على أن
 ابعاء وأمهاها كانت تنفخ على نار ابراهيم وتنقل اليها الحطب فأحسب أن آباءها وأمهاها
 قد كن يعرفن فضل ما بين النبي والمنتبي وأنهن اعتقدن عداوة ابراهيم على تقصير في
 أصل النظر وعن معاندة بعد الاستبانة حتى فعلم ذلك كيف جازنا ان نزر وازرة وزر
 أخرى الا أن تدعو ان هذه التي نقتاها هي تلك الجاحدة للنبوة والكافرة بالربوبية وأنها
 لا تمانح ولا تتوالد وقد يستقيم في بعض الأمر ان تقتل أكثر هذه الاجناس اما من طريق
 المحبة والتمبذ واما اذا كان الله عز وجل قد قضى على جماعتها الموت ان يجري ذلك المجرى على
 ايدي الناس كما أجرى موت جميع الناس على يد ملك واحد وهو ملك الموت وبعد فعل
 النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا القول كان قاله على الحكاية لأقوايل قوم ولعل ذلك
 كان على معني كان يومئذ معلوما فترك الناس العلة وردوا الخبر سالما من العال مجردا
 غير مبرز وعل من سمع هذا الحديث شهد آخر الكلام ولم يشهد أوله ولعله عليه الصلاة
 والسلام قصد بهذا الكلام إلى ناس من أصحابه قد كان دار بينهم وبينه فيه شيء وكل
 ذلك ممكن سائغ غير مستنكر ولا مدفوع وقد رويتم في الكلب العقور وكيف يقتل
 في الحل والحرم فان كنتم فتيها فقد علمتم أن تسمية الغراب بالنفسق والفأرة بالنفوسة

ان ذلك ليس من شكل تسمية القاذق ولا من شكل تسمية إبليس وقد قالوا ماجرها
الافاجر ولم يجعلوا الفاجر إسما له لا يفارقه وقد يقال للناسق من الرجال خبيث وقد
قال صلى الله عليه وسلم من اكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلانا وهو
على غير قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين وقد قال بعض الرجاز وذكر ذنباً

أما أنك عني الحديث * اذ أنا بالفأط استغيث

والذئب وسط غنمى يعيث * وصحت بالفأط يا خبيث

وهذا الباب كثير وليس هذا موضعه وقد ذكرناه في كتاب الاسم والحكم وقد
يشبه الاسم الاسم في صورة تقطيع الصوت وفي الخط في القرطاس وان اختلفت
أما كنهه ودلائله فاذا كان كذلك فانما يعرف فضله بالمتكلمين به وبالحالات والمقالات
وبالذين عنوا بالكلام وهذه جملة وتفسيرها يطول وقالوا قد أمرنا بقتل الحية والعقرب
والذئب والاسد على معنى ينتظم بمعنيين أحدهما الامتحان والتعبد بشكر القلب وعمل
الجراحة لا على وجه الانتقام والعقوبة وأمرنا بضرب الباغى بالسيف اذا كانت العصي
لا تفني فيه على جهة الدفع وعلى جهة العقاب ولم تؤمر بالقصد الى قتله وانما الغاية في
دفع بأسه عنا فان أتى الى ذلك المقدر عليه كان كسارق مات من قطع يده وقاذف
مات من جلد ظهره وقد أمرنا بالقصد الى قتل الحيات والعقارب وان لم تعرض لنا في
ذلك الوقت لان جنسها الجنس المتناف متى هم بذلك وليس لنا أن نضرب الباغى بالسيف
الا وهو مقبل غير مدبر ولنا أن نقتل الحية مقبلة ومدبرة كما يقتل الكافر مقبلاً ومدبراً
ألا ان قتل الكافر يجمع الانتقام والعقوبة وليس في قتل الحية الا الامتحان وقد كان
يجوز أن يتمجن لجنسها أو الاحتمال لمنعها دون قتلها واذا ولى الباغى من غير أن يريد
الرجوع الى فئة خفكمه الأسر والحبس الى أن يونس منه النزوع وسبيل الاحناش
والسباع وذوات السموم من الهج والحشرات القتل مقبلة ومدبرة وقد أبيع لنا قتل
ضروب من الحيوان عند ما يبلغ من جنائياتها علينا الخدش فضلاً عن الجرح والقتل
كالبعوض والنمل والبراغيث والقمل والبعير قتله فساد فان صال على الناس كان قتله

صلاحا والانسان قتله حرام فان خيف منه كان قتله حلالا والحديث عن مسخ الضب
 و الجري وعن مسخ الكلاب والحدأة وأن الحمام شيطان من جنس المزاح الذي كنا
 كتبنا به الى بعض اخواننا من يدعى علم كل شيء فجعلنا هذه الخرافات وهذه القطن
 الصغار من باب المسائل فقلنا له ما الشنتناق والشيبان وتنكوير ودر كاذاب ومن
 قاتل امرأة ابن مقبل ومن خانق الغريص ومن هاتف سعد وخبرنا عن ابن أقيش
 وعن بني ابني ومن زوجهما وعن بني غزوان ومن امرأته وعن سماعة وزوبعة والميدعات
 وعن النقار ذي الرقبة وعن آصف ومن منهم أشعار باصغر سايم وعن أظيفش اسم كلب
 أصحاب الكهف وكيف صارت الكلاب لا تبسح من سماه وأين بلغ كتاب شرطهم
 وكيف حدثوا عن ابن عباس في النار والقرود والخنزير والقييل والارنب والعنكبوت
 والجري انهن كاهن مسخ وهل يحل لنا أن نصدق بهذا الحديث عن ابن عباس وكيف
 صارت الضباء ماشية الجن وكيف صارت الغيلان تغير كل شيء الا حوافرها ولم ماتت
 من ضربة وعاشت من ضربتين ولم صارت الأرانب والكلاب والنعام مراكب
 الغيلان ولم صارت الروايد مطايا السواحر وبأى شيء زوج أهل السماعة بن يربوع
 وما فرق ما بينه وبين عبد الله بن هلال وما فعلت الفتاة التي كانت سميت بصبر على
 يد حرمي وأبي منصور ولم غضب من ذلك المذهب ولم مضى على وجهه شفشف
 وما الفرق بين الغيلان والسعالى وبين شيطان الحصر وشيطان الجماعة ولم علق السمك
 المليح بأذنيه وما بال الفراخ تحمل بأجنحتها والفرارنج بأرجلها وما بال كل شيء أصل
 لسانه مما يلي القدم وطرفه مما يلي الهواء إلا لسان القيل وما قالت الهند لولا أن لسانه
 مقلوب لتكلم ولم صار كل ماضع وآكل يحرك فكاه الاسفل الا التماسيح يحرك فكاه
 لأعلى ولم صار لاجفان الانسان الاشدار وايس ذلك للدواب الا في الاجفان العالية
 وما بال عين الجرادة وعين الافعى لا تدوران وما بيضة العقر وما بيضة الديك ولم
 يمنع بيض الانوق وهل يكون لابق العقوق وما بال لسان سمك البحر وما بال
 الفريق من الرجال يطفو على قناره ومن النساء على وجهها ولم صار القليل اذا قتل يسقط

على وجهه ثم يقلبه ذكره وما بال شقشقة البعير وغرمول الخمار وكبد الكوسج
 النهار ودم الميت وخبرني عن الضفادع لم تصارت تنق بالليل واذا أوقدت النار أمسكت
 قالوا قد عارضناكم بما يجري مجرى النمساد والخرافة تردكم الى الاحتجاج بالخبر
 صحيح المخرج للظاهر فان أعجبتك هذه المسائل واستطرفت هذا المذهب فاقدر
 بسالتي الى أحمد بن عبيد الوهاب الكاتب والكلاب أصناف لا يحيط بها الا من
 طال الكلام وجملة ذلك ان ما كان منها للصيد فهي الضراء ووأحدها ضار وهي
 لجوارح والكواسب ونحن لانعرفها الا السلوقية وهي في اجراء الكلاب وعناقها
 الجلالية هجتها ومقاريفها وكلاب الرعاء من زينها وكرديها فهي كراتها وقد تصيد
 الكلاب غير السلوقية ولكنها تقصر عن السلوقية بميد او سلوق من أرض اليمن كان
 لها حديد جيد الطبع كريم العنصر حر الجوهر وقد قال الشاعر

تقد السلوق المضاعف نسجه * وتوقد بالصنّاح نار الحباب

وقال الاصمعي سمعت بعض الملوك وهو يرخص خلف كلب وقد دنا خطاه من عجب
 ذئب الظباء وهو يقول ايه فدتك نفسي وانشد لبعض الرجال * مفديات ومحميات *
 ال صاحب الديك فلما صار الكلب عندهم يجمع خصال الاؤم والنذالة والحرص والشده
 البداء والتسرع واشباه ذلك صاروا يشتهون من اسمه لمن هجوه بهذه الخصال وقال بشار

واستنغن بالوجبات عن ذهب * لم يبق قبلك لامرئى ذمعه

يرد الحريص على متالفه * والايث يبعث حينه كلبه

قال صاحب الكلب (كلما اشتقوا من اسمه للاشياء المحموده اكثر قال عامر بن الطفيل

ومدحج يسمي بشكته * محمرة عيناه كالكلاب

من ولد ربيعة بن نزار كلب بن ربيعة وكلاب بن ربيعة ومكاب بن ربيعة ومكابة بنو ربيعة
 فيهم من السباع أسد وضيعة وذئب وذؤيب وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من جميع السباع
 من الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب ومن هذا الباب كليب بن يربوع وكلاب
 بن ربيعة وكلاب ابن وبرة ومنه بنو الكلابة قال الشاعر

سيكديك من ابني نزار لوغب * بنو الكعبة الشم الطوال الاشاجع

والكعبة لقب مية بنت علاج بن شحمة العنبري وبنوها بنو الكعبة الذين سمعت بهم
تزوجها خزيمه بن من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فهي أمهم وفيها يقول شبيل بن
غزوة الضبمي صاحب الغريب وكان شيعيا من كبار الشيعة فصار خارجيا من الصفرية

بنو كابة هراة وابوهم * خزيمه عبدخامل الاصل او كس

وفي مية يقول ابوها وهو علاج بن شحمة

ان تك قدبان تية غربة * فقد كان ميالا يمل مزارها

دعها رجال من ضبيعة كابة * وما كان يشكي في المحول جوارعا

ومما اشتهق له من اسم الكعب من القرى والبلدان والناس وغير ذلك قولهم في
الوقعة التي كانت بأرض الكعبة الكعبة ومن ذلك قولهم حين نزلنا من السراة صرنا
الى نجد الكعبة وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس الى ازدشنوة من
السراة ان بني أخته قتلوا كابة لجارهم وكانوا أعدائه فغضب ومضي فسمى ذلك النجد
الذي هبط منه نجد الكعبة ويقولون كان ذلك عند طلوع كوكب الكعب ومن ذلك
قولهم عباد بن أنف الكعب ومن ذلك أبو عمر والكعب الجرمي وكان رجلا من
العلية عالما عروضا فرضيا وأبو عمرو الكعب النحوي وعاهوية كاب المطبخ وكان
أشرب الناس للنبيد وقد راهنوا بينه وبين محمد بن علي والكعب كاب الماء وكاب
الرحاء والفضبة التي يقال لها الكعب وكذلك الكعبة والكعبتان والكعلاب والكعلوب
وقال راشد بن شهاب في ذلك المعني

أمكن كلاب القنا من نخورد * وأخضب ما يدوم من استاهها بدم

فسوف يرى الاقوام ديني ودينكم * اذا كابت قين ومقرضة أزم

وقال الراجز

ما زال مذ كان غلاما يستتر * له على العير إكاف وشر

* والكعبتان والعلاة والوتر *

وقال أشهب بن رميلة وكان أول من رمى بنى مجاشع بأنهم قيون
 يا عجبا هل يركب القين النرس * وعرق القين على الخيل نجس
 وإنما أداته إذا جاس * السكبتان والعلاة والقبس
 وكان اسم المزنوق فرس عامر بن الطفيل السكاب وقد زعمت العلماء أن حرب أيام
 هراميت إنما كان سبيه ككاب قال صاحب الديك قد قيل للخوارج كلاب النار
 والنوائح كلاب النار وقد قال جنيد بن الراعي في وقوفه على جرير مالك تطيل الوقوف
 على كلاب بني كليب وقال زفر بن الحارث

يا كلب قد كلب الزمان عليكم * وأصابكم منا عذاب مرسل
 ان السماوة لا سماوة فالحقي * بمنابت الزيتون وابني ججدل
 وبأرضك في السواحل انها * أرض تذوب بها اللقاح وتهزل
 وقال حصين بن القايرثي^(١) عتيبة بن الحارث

بكر النعي بخير خندف كايا * بعتيبة بن الحارث بن شهاب
 قتلوا ذؤابا بعد مقتل سبعة * فشفي الغليل وربية المرتاب
 يوم الخليس بذئ القفار كأنه * كلب يضرب جماجم ورقاب

وقال آخر

لله در بنى الحداء من نفر * وكل جار على جيرانه كلاب
 اذا غدوا وعصى الطاح أرجابهم * كما تنصب وسط البيعة الصاب

وإذا كان العود سريع العلوق في كل زمان وكل أرض أو في عامة ذلك قالوا ما هو
 إلا كلب وقالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ابن جابر حين خرج من عنده واستأذنه إلى
 اهله نم ان لم تدركه ام كلبة يعني الحمى ومما ذكروا به العضو من أعضاء السكاب والسكابة
 والخلق منهما والصفة الواحدة من صفتاهما والفعل الواحد من أفعالهما قال رؤبة لا قينا

مطلا كنعاس السكاب يقول مطلا مقرطقا دائما وقال الشاعر في ذلك

يكون بها دليل القوم نجم * كمين السكاب في هبأ قباع

قال هذه ارض ذات غبرة من الحر لا يبصر القوم فيها النجم الذي يهتدي به إلا وهو كأنه عين الكلب لأن الكلب أبداً مغض غير مطبق الجفون ولا مفتوحها والهيبة الظلمة واحدها هاب والجمع هباً مثل غاز وغزاً والقباع التي قبعت في القتام واحدها قابع كما يقبع القنفذ وما أشبهه في جحره وانشد لابن مقبل

ولأطرق الجارات بالليل قابعاً * قبوع القرني أسلمته مجاحره

والقبوع الاجتماع والتقبض والقرني دويبة أعظم من الخنفساء وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب

ماضر تغاب وائل أهجوتها * أم بات حيث تناطح البجران

ان الاراقم لا ينال قديمها * كلب عوي مهتم الاسنان

وقال الشاعر في منظور بن زبان

ابئس ما خلف الآباء بعدهم * في الامهات عجان الكلب منظور

ومن هذا الضرب قول الاعرابي

لقد شان صغري والياها وزينا * لصغري فتى من أهلبها لا يزينا

كلاب لعاب الكلب ان ساق هجمة * يعذب فيها نفسه ويهينها

وقال عمرو بن معدى كرب

لما لله جرماً كلما ذر شارق * وجود كلاب هارشت فاز بأرت

وقال أبو سفيان بن حرب

ولو شئت نجيتي كيت طمرة * ولم أجعل النعماء لابن شعوب

وما زال مهري مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتي دنت لغروب

وقال عبد الرحمن بن زياد

دعته بمسروق الحديث وظالم * من الطرف حتى خاف بصبصة الكلب

وقال شريح بن أوس

وعيرتنا تمر العراق ونخله * وزادك إير الكلب شيطه الجمر

وقال آخر وهو هجو قوما

وجاءوا بنجر شاوى شعير عليهما * كراديس من أوصال اعتد سافد

وقال الحارث بن الوليد

ذهب الدين اذا رأوني متقبلا * هشوا وقالوا مرحبا بالمتقبل

وبقيت في خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت في منهل

وقال سبرة بن عمرو النعماني حين ارتشى ضمرة بن ضمرة النهشلي ونفر عليه عبادة

ابن أنف الكلاب الصيداني فقال سبرة

يا ضمير كيف حكمت أمك هابل * والحكم مسؤل به المتعمد

أحفظت عهداً أم رعيت أمانة * أم هل سمعت بمثابها لا ينشد

شنعاء فاقرة تجلج نهشلا * دنسا تغوربه الرفاق وتنجد

ان الرفاق أمال حكمك حبا * فلك اللقواء وراكب متجرد

فضح العشيرة واستمر كأنه * كلب يبصبص للعظال ويطرده

لا شيء يمدلها ولكن دونها * خرط القنادتها بشوكتها اليد

جوغان يلحس اسكتاز يفيته * غلم يثور على البرائن أعتمد

وقال مزرد بن ضرار

وان كناز اللحم من بكراتكم * تهر عليها امكم وتكالب

وليت الذي اتى فناءك رحله * لتقر به بالثعالب

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لا من باب الصفات وذكر الاعضاء وقال

ياسبر يا عبد بني كلاب * يا اير كلب موثق بباب

اكان هذا أول الثواب * يا ورلاً رفرق في سراب

لا يعلقنكم ظفري ونابي

وقال الآخر

كأن بني طيبة رهط سلمى * حجارة خارى يرمى النكلابا

وقال صاحب (الكتاب) ومما اشتق من اسم الكتاب في موضع النباهة كليب بن ربيعة هو كليب وائل ويقال انه قيل في رجلين من بني ربيعة ما لم يقل في أحد من العرب حتى ضرب بهما المثل وهو قولهم أعز من كليب وائل والآخر لآخر بوادي عوف قالوا وكانت ربيعة اذا اتجعت معه لم توفد ناراً ولم تحوض حوضاً وكان يحمي الكلاب ولا يتكلم عنده الا خنضاً ويحير الصيد ويقول صيد أرض كذا وكذا في جوارى لا يباح وكان له جرو كلب قد كتبه فربما تذف به في الروضة تعجبه فيجمعها الى منتهى عوائه ويلقيه بحريم الحوض فلا يرده بعير حتى تصدر ابله وفي ذلك يقول معبد بن شعبة التميمي

أظن ضرار اني سأطعمه * واني سأعطيه الذي كنت امنع
 اذا غرورقت عيناه واحمر وجهه * وقد كاد غيظاً وجهه يتبع
 تقدم في الظلم المبين عامداً * ذراعاً اذا ما قدمت لك إصبع
 كفعل كليب كنت أنبت انه * يخالط الكلاء المياه ويمنع
 يحير على افناء بكر بن وائل * أراب ضاح والظباء فترتع

وقال دريد بن الصمة

امرك ما كليب حين دلى * بحبل كلبية فيمن يميح
 بأعظم من بني سفيان بغيا * وكل عدوهم منه مرجح

وقال العباس بن مرداس

كما كان يبغيها كليب بظلمه * من العز حتى طاح وهو قتيلاها
 على وائل اذ برك الكتاب ما تحا * واذا تمنع الا كلاء منها حلولاها

وقال عباس أيضاً لكليب بن عيمة الظفري

الكليب انك كل يوم ظالم * والظلم انكد وجهه ملعون
 تبني بقومك ما اراد بوائل * يوم الغدير سميك المطعمون
 واخال انك سوف تاتي مثلها * في صفتحيك سنانه المسنون

وقال النابغة الجعدي

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم
رعي ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم

وقال قطران العبشمي

ألم تر جساس بن مرة لم يرد * حمى وأئل حتى اعتداه جهولها
اجر كليبا اذ رمي الزاب طعنة * حدث وأئلا حتى استخفت عقولها
باهون مما قلت اذ انت سادر * وللدهر والايام دال يديها

وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة

تحوز النساء تغاب ابنة وائل * بقتل كليب اذ ظنني وتخيلا
أثابته بالناب التي شق ضرعها * فاصبح موطوء الحى متدللا

وقال رجل من بني سدوس

وانت كليبي لكاب وكابة * لها حول اطناب البيوت هرير

وقال ابن مقبل العجلاني

بكت أم بكر اذ تبدد رهطها * وان أصبحوا منهم شريدوها لك
وان كلا حبيك فيهم بقية * لو ان المنايا حالها متماسك
كلاب وكعب لا يبيت أخوهم * ذليلا ولا تعبي عليه المسالك

وقال رجل من بني كلاب من الخوارج لمعاوية بن أبي سفيان

قد سرت سير كليب في عشيرته * لو كان فيهم غلام مثل جساس
الطاعن الطعنة النجلاء عاندها * كطردة البرد اعني فتقها الآسى

يقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق كان أول عمل وليه الحجاج بن يوسف تبالة
لما سار اليها وقرب منها قال للدليل أين هي وعلى أي سمت هي قال تسترك عنها هذه
لا كلمة قال لا أراني أميرا الا على موضع تسترني منه أكمة أهون بها على وكر
اجما فقيل في المثل أهون من تبالة على الحجاج والعامرة تقول لهو أهون على من

الاعراب على عمر كوك قال ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد ولي قبل ذلك ما ولي
وافتح ما افتتح وقتل من قتل قال للمنجم هل ترى ملكا يموت قال نعم ولست به
أرى ملكا يموت اسمه كليب وأنت اسمك الحجاج قال فأنا والله كليب أمي سميتي
به وأنا صبي فمات واستخلف على الخوارج يزيد بن أبي مسلم وعلي الحرب يزيد بن
أبي كبشة قال والعرب إنما كانت تسمى بكباب وحمار وحجر وجعل وحنظلة وقرد
علي التناؤل بذلك وكان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفال فإن
سمع انسانا يقول حجرا ورأى حجرا سمى ابنه به وتغال فيه الشدة والصلابة والبقاء
والصبر وأنه يحطم ما اتى وكذلك ان سمع انسانا يقول ذئبا أو رأي ذئبا تأول فيه الفطنة
والخب والمسكر والكسب وان كان حمارا تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة
والجلد وان كان كلبا تأول فيه الحراسة واليقظة وبعد الصوت والكسب وغير ذلك
ولذلك صور عبید الله بن زياد في دهليزه كلبا وكبشا وأسدا وقال كلب نايج وكبش
ناطح وأسد كالح فتطير الى ذلك فطارت عليه وقال آخر^(١) لو كان الرجل منهم^(٢) إنما كان
يسمى ابنه بحجر وجبل وكلب وحمار وثور وخنزير وجعل على هذا المعنى فهلا سمى
برذون وبغل وعتاب واشباه ذلك وهذه الاسماء من لغتهم قال الاول إنما لم يكن ذلك
لانه لا يكاد يري بغلا وبرذونا وامه لا يكون رأها قط وان كانت الاسماء عندهم عتيدة
لأموار لغتهم يحتاجون اليها يوما ما قالوا فقد كان يسمع بفرس وبغير كما كان يسمع بحمار
وثور وقد كان يستقيم ان يشتق منهما اشتقاقا محمودا بل كيف صار ذلك كذلك
ونحن نجده يسمى بنجم ولا يسمى بكوكب الا ان بعضهم قد سمى بذلك عبدا لله
وفيه يقول

كوكب ان مت فهي ميتتي * لامت الاله مايا كوكب

ووجدناهم يسمون بجبل وسند وطور ولا يسمون بأحد ولا بشير واجل وسلمي
ورضوي وصندد وحميم وهو تلقاء عيونهم متى اطعموا رؤسهم من خيامهم ويسمون
ببرج ولا يسمون بفلك ويسمون بقمر وشمس على جهة التنب أو على جهة المديح ولم

يسموا بأرض وسماء وهواء وماء الاعلى ما وصفنا وهذه الأصول في الزجر ابلغ كان
 جبلا ابلغ من حجر وطور اجمع من صخر وتركوا أسماء جبالهم المعروفة وقد سموا
 بأسدوليث وأسامة وضرغامة وتركوا أن يسموا بسبع وسبعة هو الاسم الجامع لكل
 ذي ناب ومخاب قال الاول قد تسموا أيضاً بأسماء الجبال فتسموا بابان وسلمى قال
 آخرون انما هذه أسماء ناس سموا بها هذه الجبال وقد كانت لها أسماء تركت لثقلها أو
 لعلة من العلال والا فكيف يسموا بسلمى وتركوا أجأ ورضوى وقال بعضهم قد كانوا
 ربما فعلوا ذلك على أن يتفق لواحد ولودو لمعظم جليل ان يسمع أو يري حمارا فيسمى
 ابنه بذلك وكذلك السكاب والذئب ولم يتفق في ذلك الوقت ان يسمع بذكر فرس ولا
 حجرا وهواء أو ماء فاذا صار حمار أو ثور أو كلب اسم رجل معظم تتابعت عليه العرب
 تطير اليه ثم يكثر ذلك في ولده خاصة بعده وعلى ذلك سميت الرعية بنيتها وبناتها بأسماء
 رجال الملوك ونسائهم وعلى ذلك صار كل على يكنى بابي الحسن وكل عمر يكنى بأبي حفص
 وأشبه ذلك فالأسماء ضروب منها شيء أصلى كالاسماء والارض والهواء والماء والنار
 وأسماء أخر مشتقات منها على جهة النقال وعلى شكل اسم الاب كالرجل يكون اسمه
 عمر فيسمى ابنه عميرا ويسمي عمير ابنه عمران ويسمي عمران ابنه معمرا وربما كانت
 الأسماء بأسماء الله عز وجل مثل ماسحي الله عز وجل أبا ابراهيم آزر وسعي ابيس
 بفساق وربما كانت الأسماء مأخوذة من أمور تحدث في الأسماء مثل يوم العروبة سميت
 في الاسلام يوم الجمعة واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة وسنقول في المتروك من
 هذا الجنس ومن غيره ثم نعود الى موضعنا الأول ان شاء الله تعالى ترك الناس مما
 كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للخراج آتاوة وكتولهم للرشوة
 ولما يأخذه السلطان الحملان والمكس وقال خارجي

أني كل اسواق العراق آتاوة * وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

وكما قال العبدى في الجارود

أ كابر المعلى خلتنا أم حسبتنا * صراري نعطي الماكسين مكوسا

وكما تركوا أنعم صباحا وأنعم ظلاما وصاروا يقولون كيف أصبحتم وكيف أمسيتم وقال
قيس بن زهير بن جذيمة ايزيد بن سنان بن أبي حارثة أنعم ظلاما أبا ضمرة قال نعمت
فمن أنت قال قيس بن زهير وعلى ذلك قال امرؤ القيس
لأنعم صباحا أيها الطال البالي * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وعلى ذلك قال الاول

أتوانارى فقت منون قالوا * سرة الجن قلت عموا ظلاما
وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيد المطاع أبيت اللعن كما قيل
• مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه *

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يحكي بحية الملوك ويقال له أبيت اللعن وتركوا ذلك
في الإسلام من غير أن يكون كفرا وقد ترك العبدان يقول لسيد ربي كما يقال رب
الدار ورب البيت وكذلك حاشية السيد والملك تركوا أن يقولوا ربنا كما قال الحارث بن
حازمة

ربنا وإبنا وأفضل من يـ * شي ومن دون ما لديه الثناء

وكما قال ابيد حين ذكر حذيفة بن بدر

وأهلكن يومارب كندة وإنه * ورب ممد بين خبت وعمرعمر

وكما عير زيد الخيل حاتما الطائي في خروجه من طيء ومن حرب الفساد الي بني بدر
حيث يقول

وفر من الحرب العوان ولم يكن * بها حاتم طبا ولا متطببا

وريب حصنا بعدن كان آبيا * ابوة حصن فاستتقال وأعتبا

أثم في بني بدر ولا ما يهنا * اذا ما تقضت حربنا أن تطربا

وقال عوف بن خلم حين رأى الملك إنه ربي ورب الكعبة وزوجه أم أناس بنت عوف
وكما تركوا أن يقولوا القوام الملوك بالسدنة وقالوا للجحمة^(١) وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى
عن أبي عبد الرحمن بن يونس بن حبيب النحوي حين أنشده شعر الاسدي

ومر كضفة صريحى أبوها * تهان لها الغلامه والغلام
قال فقات له فتقول للجارية غلامه قال لا هذا من الكلام المتروك وأسماءه زالت
مع زوال معانيها كالمربع والنشيطه وبقى الصفايا فالمربع ربع جميع الغنيمه الذى كان
خالصاً للرئيس وصار فى الاسلام الخمس على ماسنه الله تعالى وأما النشيطه فانه كان
لرئيس أن ياشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه اذا استحلاد وبقى الصفي وكان
لرسول الله صلي الله عليه وسلم من كل مغنم ومو كالسيف الالهزم والفرس العتيق
والدرع الحصينه والشئ النادر وقال ابن غنمة الضبي حليف بني شيبان فى مرثيته بسطام
ابن قيس

لك المربع منها والصنايا * وحكمك والنشيطه والفضول
والفضول فضول المقاسم كالشئ اذا قسم وفضات فضلة استهلكت كالأواؤة والسيف
والدرع والبيضة والجارية وغير ذلك وأسماء حدثت ولم تكن وإنما اشتقت لهم من
أسماء متقدمة على التشبيه مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام مخضرم كابي رجا
العطاردي بن سلمة وشقيق ابن سلمة ومن الشعراء النابغة الجعدي وابن مقبل وأشباههم
من الفقهاء والشعراء ويدل على ان هذا الاسم احدث فى الاسلام انهم فى الجاهلية
لم يكونوا يعلمون ان ناساً يسلون وقد أدركوا الجاهلية ولا كانوا يعلمون ان الاسلام
يكون ويقال ان أول من سمى الارض التى لم تحفر قط ولم تحرث اذا فعل بها ذلك
مظلومة النابغة حيث يقول

الآ الأ واري لا ياما أيتها * والنوى كاحوض بالمظلومة الجاهل

ومنه قيل سقاء مظلوم اذا أعجل عليه قبل ادراكه وقال الحادرة

ظلم البطاح له انهلال حريصة * فصنا النطاف له بعيد المقلع

وقال الآخر

قالت له مى بأعلى ذى سلم * لو ما تزورنا اذا الشعب أم

ألا بلى يايى واليوم ظلم

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه وقال الآخر

* انا بوزيب والنوم ظلم *

وقال ابن مقبل

عاد الاذلة في دار وكان بها * هرت الشقاشق ظلّامون ناجزر

وقال آخر

وصاحب صدق لم تناني أذاته * ظلمت وفي ظلمي له عامدا أجر

وقال آخر

لا يظلمون اذا ضيفوا وطابهم * وهم لجودهم في جزرهم ظلم

وظلم الجزور ان يعرّبوها وكان في الحق ان تحرّ نحرّاً وظالمهم الجزور أيضاً ان ينحروها

صحاحاً سماناً لاعلة بها قال ومن ذلك قولهم الحرب غشوم وانما سميت بهذا لانها تنال

غير الجاني قال ومن ذلك قولهم من أشبه أباه فما ظلم يقول قد وضع الشبه في موضعه

ومن الحديث المشتق اسم منافق لمن رآى بالاسلام واستسر بالكفر أخذ ذلك من

النافقاء والقاصماء والداماء ومثل المشرك والكافر ومثل التيمم قال الله تعالى (فتيّموا

صعيداً طيباً) أي تحروا ذلك وتوخّوه وقال (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) منه فكثير

هذا في الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء اذا

طالت صحبته وملا بسته له وكما سموا رجميع الانسان الغائط وانما الغيطان البطون التي

كانوا يحدرون فيها اذا أرادوا قضاء الحاجة للستر ومنه المذرة وانما المذرة النساء

والافنية هي المذرات ولكن لما طال القاءهم النجو والزلزل في أفنيّتهم سميت تلك

الاشياء التي رموا بها باسم المكان الذي رميت به وفي الحديث اتقوا عذراتكم وقال

ابن الرقيات

رحم الله أعظما دفنوها * بسجستان طالحة الطلحات

كان لا يحجب الصديق ولا يمسّ تل بالبخل طيب العذرات

والكنهم الكثرة ما كانوا يلقون نجوهم في أفنيّتهم سموها باسمها ومنه النجو وذلك

أن الرجل كان إذا أراد قضاء الحاجة تستر بنجوة والنجو الارتفاع من الأرض قالوا من ذلك ذهب ينجوا كما قالوا ذهب يتعوط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ثم اشتقوا منه فقالوا إذا غسل موضع النجو قد استنجي وقالوا ذهب إلى المخرج وإلى المتوضأ وإلى المذهب وإلى الخلاء وإلى الحش وإنما الحش القطعة من النخل وهي الحشان وكانوا بالمدينة إذا أرادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل لأن ذلك أستر فسموا المتوضأ الحش وإن كان بعيداً من النخل كل ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب للخبر لأن الاسم الحرؤ وكل شيء سواه من^(١) ورجيع وبراز وزبل وغائط فكله كناية ومن هذا الباب الملة والملة موضع الخبزة فسموا الخبزة باسم موضعها وهذا عند الأصمعي خطأ ومن هذا الشكل الراوية والراوية هو الجمل نفسه وهو حامل المزايدة فسميت المزايدة باسم حامل المزايدة ولهذا المعنى سمو حامل الشعر والحديث راوية ومنه قواهم ساق إلى المرأة صداقها قالوا وإنما كان يقال ذلك حين كانوا يدفعون في الصداق إبلاً وتلك الأبل يقال لها الناجخة وقال شاعرهم

وليس تلاذي من وراثة والدي * ولاشاد مالي مستفاد النوافج

وكانوا يقولون تهنيك الناجخة قال فإذا كانوا يدفعون الصداق عيناً وورقاً فلا يقال ساق إليها الصداق ومن ذلك أنهم كانوا يضربون على العروس البناء كالعقبة والخيمة والخيام على قدر الامكان فيقال بنبي عليها اشتقاقاً من البناء ولا يقال ذلك اليوم والعروس إما أن تكون مقيمة في مكانها وتحول إلى مكان أقدم من بنائها قال ومن ذلك قولهم في البغي المكتسبة بالفجور حبة وإنما القجاب السعال وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنت وتكسبت بالزنا قالوا حبت أي سمعت كناية وقال الشاعر * إن السعال هو القجاب

وإذا ما حبت واحدة * جاوب المبعدم منها فحجب

وكذلك كان كنايةهم في انكشاف عورة الرجل يقال كشف علينا متاعه وعورته وشواره والشوار المتاع وكذلك الفرج وإنما لا يروا الحر والاسم وكلمات للنبي صلى الله عليه

وسلم لم يتقدمه فيهن أحد من ذلك قوله اذا لا ينتطح فيها عنزان ومن ذلك قوله مات
حتف أنفسه ومن ذلك قوله يا خيل الله اركبي ومن ذلك قوله كل الصيد في جوف الفرا
وقوله لا يسمع المؤمن من حجر مرتين وقال عمر رضي الله تعالى عنه شذشنة أعرفها
من أخزم يعني شبه ابن العباس بالعباس واخزم نخل معروف بالكرم وأما الكلام الذي
جاءت به كراهية من طريق الروايات فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ايقل لقسيت نفسي كأنه كره صلى الله عليه وسلم
أن يضيف المؤمن الطاهر الى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه وجاء عن عمر ومجاهد
وغيرهما النهي عن قول القائل استأثر الله بفلان بل يقال مات فلان ولا يقال استأثر
الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا قال النخعي كانوا يكرهون أن يقال قراءة عبد
الله وقراءة سالم وقراءة أبي وقراءة زيد وكانوا يكرهون أن يقولوا سنة أبي بكر وعمر بل
يقال سنة الله وسنة رسوله ويقال فلان يقرء بوجه كذا وفلان يقرأ بوجه كذا وكره
مجاهدان يقولوا مسيجد ومصيحف للمسجد القليل الذرع والمصحف القليل الورق
ويقول هم وان لم يريدوا التصغير فانه بذلك شبيه وربما صغروا الشيء من طريق الشفقة
والرقة كتقول عمر أخاف على هذا العريب وايس التصغير بهم يريد وقد يقول الرجل
انما فلان أخي وصديقي وايس التصغير له يريد وذكر عمر ابن مسعود فقال كنيف
ملىء علما وقال سامة بن سلامة وقش يوم السقيفة^(١) انا جذيلها المحكك وعندتها المرجب
وهذا كتقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الحميرا وكتقولهم لأبي قابوس الملك أبو
قبس وكتقولهم دبت اليه دويبة الدهر وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقة المسلك
ويقال ان كل فعيل في أسماء العرب فانما هو على هذا المعنى كتقولهم المعيدى وكنحو
سليم وضمير وكليب وعقير وجميل وحميد وسعيد وجبير وكنحو عبيد وعبيد الله وعبيد
الرماح وطريق التحقير والتصغير انما هو كتقولهم نجيل ونذيل قالوا ورب اسم اذا
صغرت كان أملاً للصدر مثل قولك أبو عبيد الله هو أكبر في السماع من أبي عبد الله

وكعب بن جعيل هو أنخم من كعب بن جمل وربما كان التصغير خلقة وبنية لا يتغير
 كنجو الحميا والسكيت وجنيدة والقطيعة والمرطاء والسميراء والمليساء وايس هو
 كقولهم القصيري وفي كبيدات السماء والثريا وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
 عنه دقت الباب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت أنا فقال أنا
 كأنه كره قولي أنا وحدثني أبو علي الانصاري وعبد الكريم الغناري قالا حدثنا عيسى
 ابن حاضر قال كان عمرو بن عبيدة يجلس في داره وكان لا يدع بابه مفتوحا فاذا قرعه
 انسان قام بنفسه حتى يفتحه له فأتيت الباب يوما فترعته فقال من هذا فقلت أنا فقال
 ما أعرف أحدا يسمى أنا فلم أقل شيئا وقت خلف الباب اذ جاء رجل من أهل
 خراسان فقرع الباب فقال عمرو من هذا فقال رجل غريب قدم عليك يلمس العلم
 فقام له ففتح له الباب فلما وجدت فرجة أردت أن ألج الباب فدفع الباب في وجهي
 بعنف فأقت عنده اياما ثم قلت في نفسي والله اني يوم أنغضب على عمرو بن عبيد لغير
 رشيد الراي فأتيت الباب فقرعته عليه فقال من هذا فقلت عيسى بن حاضر فقام ففتح
 لي الباب وقال رجل عند الشعبي أليس الله قال كذا وكذا قال وما علمك وقال الربيع
 ابن خييم اتقوا تكذيب الله ليتق أحدكم أن يقول قال الله في كتابه كذا وكذا فيقول
 الله كذبت لم أقله وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لا يقل أحدكم أهريق
 الماء ولكن يقول أبول وسأل عمر رجلا عن شيء فقال الله أعلم فقال عمر قد خزينا ان
 كنا لا نعلم أن الله أعلم اذا سئل أحدكم عن شيء فان كان يعلمه قاله وان كان لا يعلمه
 قال لا علم لي بذلك وسمع عمر رجلا يدعو ويقول اللهم اجعلني من الاقلين قال ما هذا
 الدعاء قال اني سمعت الله عز وجل يقول قليل من عبادي الشكور وقال وما آمن
 معه الا قليل قال عمر عليك من الدعاء بما يعرف وكره عمر بن عبد العزيز قول الرجل
 لصاحبه ضعه تحت إبطك وقال هلا قلت تحت يدك وتحت منكبك وقال مرة وراث
 فرس بحضرة سليمان فقال ارفعوا ذلك النثيل ولم يقل ذلك الروث وقال الحجاج لاه
 عبد الرحمن بن الاشعب عمدت الى مال الله فوضعتة تحت كأنه كره أن يقول على عادة

الناس تحت استك فتالجج خوفا من أن يقول قدما أورفثا ثم قال تحت ذيلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقوان أحدكم لمملوكه عبدى وأمتي ولكن يقول فتاى وفتاى ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن يقول سيدى وسيدتي وكرهه . طرف بن عبد الله قول القائل للكتاب اللعم أخزه وكرهه عمران بن الحصين أن يقول الرجل لصاحبه أنعم الله بك عينا ولا أنعم الله بك عينا وقد كرهوا أشياء مما جاءت في الروايات لا تعرف وجوها فرأى أصحابنا لا يكرهونها ولا نستطيع الرد عليهم ولم نسمع لهم في ذلك أكثر من الكراهة ولو كانوا يردون الأمور مع عاها وبرهاناتها خفت المؤنة ولكن أكثر الروايات مجردة وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ودون الاخبار عن البرهان وان كانوا قد شاعروا النوعين مشاعدة واحدة قال ابن مسعود وأبو هريرة لاتسموا الغنم الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم وقد رفعوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم وأما قوله لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله فإحسن ما فسر ذلك عبد الرحمن ابن مهدي قال وجه هذا عندنا ان التوم قالوا وما يهلكنا الا الدهر فلما قال القوم ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الله يعني ان الذى أهلك القرون هو الله عز وجل فتوهم منه المتوهم انه انما أوقع الكلام على الدهر وقال يونس وكما غاطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان قل ومعهك روح القدس فقالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان قل ومعهك جبريل لان روح القدس أيضا من أسماء جبريل الأثرى أن موسى قال آيت ان روح الله مع كل أحد وهو يريد العصمة والتوفيق والنصاري تقول للمتنبى معه روح دكالا ومعه روح سيفرت وتقول اليهود معه روح بعربوث يريدون شيطانا فاذا كان نبيا قالوا روحه روح القدس وروحه روح الله وقال الله عز وجل وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا يعني القرآن وسمع الحسن رجلا يقول طلع سهيل وبرد الليل فكرر ذلك وقال ان سهيلا لم يأت ببحر ولا يبرد قط واهذا الكلام مجاز ومذهب وقد كره الحسن كما ترى وكره مالك بن أنس أن يقول الرجل للقيم والسجابة ما أخلقها للمطر وهذا كلام مجازه قائم وقد كرهه ابن أنس كأنهم من خوفهم عليهم العود في

شيء من أمر الجاهلية احتاطوا في أمورهم فمنعوا من الكلام الذي فيه أذني متعلق
 ورووا ان ابن عباس قال لا تقولوا والذي خاتمته على في فإتما يختم الله عز وجل على فم
 الكافر وكره قولهم قوس قزح وقال قزح شيطان وإنما ذهبوا الى التعويج والتلويح
 كأنه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهلية وكان أحب أن يقال قوس الله فيرفع
 من قدره كما يقال بيت الله وزوار الله وأرض الله وسماؤه وأسسه الله وقالت عائشة
 رضي الله عنها قولوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا تقولوا لاني بعدد
 فان لا تكن ذهبت الى نزول المسيح فما أعرف له وجهها الا أن تكون قالت لا تغيروا
 ما سمعتم وقولوا كما قيل لكم وأنظروا بمثله سواء وكره ابن عمر رضي الله عنهما قول
 القائل أسلمت في كذا وكذا وقال ليس الاسلام إلا الله عز وجل وهذا الكلام
 مجازه عند الناس سهل وقد كرهه ابن عمر وهو أعلم بذلك وكره ابن عباس رضي
 الله عنهما قول القائل أنا كسلان وقال عمر لا تسموا الطريق السكة وكره أبو العالية قول
 القائل كنت في جنازة وقال قل تبت جنازة كأنه ذهب الى أنه عني انه كان في جوفها
 وقال قل تبت جنازة والناس لا يريدون هذا ومجاز هذا الكلام قائم وقد كرهه أبو
 العالية وهي عندي شبيهة بقول من كرهه أن يقول أعطاني فلان نصف درهم وقال
 اذا قلت كيف تكيل الدقيق فليس جوابه أن تقول القفيز بدنيير ولكن يتناول
 القفيز ثم يكيل به الدقيق ويقول هكذا الكيلة وهذا من القول مسخوط وكره ابن
 عباس قول القائل الناس قد انصرفوا يريد من الصلاة قال بل قولوا قد قضاوا الصلاة
 وقد فرغوا من الصلاة وقد صلوا القوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم قال وكلام
 الناس كان ذلك حين انصرفنا من الجنازة وقد انصرفوا من السوق وانصرف الخليفة
 وصرف الخليفة الناس من الدار اليوم بخير وكنيت في أول المنصرفين وقد كرهه ابن
 عباس ولو أخبرونا بعلمته انتقمنا بذلك وكره حبيب ابن أبي ثابت أن يقال للحائض
 طامت وكره مجاهد قول القائل دخل رمضان وذهب رمضان وقال قولوا اشهر رمضان فلعل
 رمضان اسم من أسماء الله تعالى قال ابو اسحاق إنمأتى من قبل قوله تعالى شهر رمضان الذي

أنزل فيه القرآن فقد قال الناس يوم التروية ويوم عرفة ولم يقولوا عرفة كان ابو اسحاق يقول لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين وان نصبوا أنفسهم للامة وأجابوا في كل مسألة فان كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب اليهم وايكن عندهم عكرمة والسكبي والسدي والضحاك ومقاتل بن سليمان وابو بكر الاصم في سبيل واحدة فكيف أتق بتفسير واسكن الى صوابهم وقد قالوا في قوله عز وجل وان المساجد لله ان الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلى فيها بل انما عنى الجباه وكل ما سجد الناس عليه من يدو رجل وجبهة وأنف وثفنة وقالوا في قوله تعالى (انما ينظرون الى الابل كيف خلقت) انه ايسر يعني الجمال والنوق وانما يعنى السحاب واذا سئلوا عن قوله وطاح منضود قالوا الطاح هو الموز وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وان الناس غيروده قوله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقالوا في قوله تعالى (رب لم حشرتنى أعمي وقد كنت بصيرا) قالوا يعني انه حشره بلا حجة وقالوا في قوله تعالى (ويل للمطفئين الويل وادفى جهنم ثم قعدوا يصفون ذلك الوادي ومعنى الويل في كلام العرب معروف وكيف كان في الجاهلية قبل الاسلام وهو من أشهر كلامهم وسئلوا عن قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق قالوا الفلق واد فى جهنم ثم قعدوا يصفونه وقال آخرون الفلق المقطرة بلغة اليمن وقال آخرون فى قوله تعالى عينا فيها تسمى سببيلاً قالوا اخطأ من اصل بعض هذه الكهانة ببعض قالوا وانما هي سل سببيلاً اليها يا محمد فان كان كما قالوا فأين معنى تسمى وعلى أى شيء وقع قوله تسمى فتسمى ماذا وما ذلك الشيء وقالوا فى قوله تعالى وقالوا اجلودهم لم شهدتم علينا قالوا اجلود كناية عن الفروج كأنه كان لا يرى ان كلام الجلود من أعجب العجب وقالوا فى قوله تعالى كانا يا كلان الطعام ان هذا انما كان كناية عن الغائط كأنه لا يرى أن فى الجوع وما ينال أهله من الذلة والعجز والفاقة وانه ايسر فى الحاجة الى الغذاء ما يكتفى به فى الدلالة على أنهما مخلوقان حتى يدعى على الكلام ويدعى له شيئاً قد أغناه الله تعالى عنه وقالوا فى قوله تعالى وثيابك

فظهر انه انما عني قلبه ومن أعجب التأويل قول اللحياني الجبار من الرجال يكون على وجوده يكون جبارا في الضخم والقوة فتأول قوله تعالى ان فيها قوما جبارين قال ويكون جبارا على معني قتالا وتأول في ذلك (واذا بطشتم بطشتم جبارين) وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم (ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) اي قتالا بغير حق والجبار المتكبر عن عبادة الله تعالى وتأول قوله عز وجل (ولم أك جبارا عصيا) وتأول في ذلك قول عيسى (ولم يجماني جبارا شقيا) أي لم يجماني متكبرا عن عبادته قال الجبار المساط القاهر قال وهو قوله (وما أنت عليهم بجبار) أي مساط فتقهرهم على الاسلام والجبار الله وتأول أيضا الخوف على وجوده ولو وجدته في ألف مكان لقال والخوف على ألف وجه وكذلك الجبار وهذا كله يرجع الى معني واحد الا أنه لا يجوز أن يوصف به الا الله عز وجل وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضي ان أبي أوصى بثلاث ماله في الحصون قال اذهب فاشتر به خيلا فقال الرجل انه انما ذكر الحصون قال أما سمعت قول الاسمر الجمعي

ولقد علمت على تجنبي الوري * ان الحصون الخيل لا مدر القرى

فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل انه ما قيل للمدن والحصون حصون الا على التشبيه بالخيول وخبرني النوشزاني قال قلت للحسن القاضي أوصي جدي بثلاث ماله لأولاده وأنا من أولاده قال ليس لك شيء قلت ولم قال أو ما سمعت قول الشاعر
بنونا بنسو أبائنا وبناتنا * بنوهن أبناء الرجال الأباعد

قال فشكوت ذلك الى فلان فزادني شرا وقالوا في قوله ماساءك ونالك ٢ أبعدك قالوا وساءك برصك قال لقوله تعالى (تخرج بيضاء من غير سوء) وبأس التكلف وقال ابن قنمة وجمال أثقال اذا هي أعرضت * على الاصل لا يستطيعها المتكاف

وقال الله وهو يخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم (وما أنا من المتكافين) وائس يؤتى القوم الا من الطمع ومن شدة إعجابهم بالغريب من التأويل وسئل حفص بن غياث عن فقه أبي حنيفة فقال أعلم الناس بما لم يكن وأجهل الناس بما كان وقالوا في قوله تعالى (ثم

استثنان يؤتى عن النعيم) قالوا النعيم الماء الحار في الشتاء والبارد في الصيف ومن
الاسماء المحدثه التي قامت مقام الاسماء الجاهلية قولهم في الاسلام لمن لم يحج ضرورة
وانت اذا قرأت اشعار الجاهلية وجدتهم قد وضعوا هذا الاسم على خلاف هذا الموضوع
قال ابن مقروم الضبي

لو انهم عرضت لاشمط راهب * عبد الاله ضرورة متبتل
لذنا لهجتها وحسن حديثها * ولهم من ناموره بتنزل

والضرورة عندهم اذا كان ارفع الناس في مراتب العبادة وهو اليوم اسم للذي لم يحج
أما اعجز وأما التضييع وأما الانكار فهما مختلفان كما ترى فاذا كانت العرب يشتمون
كلاما من كلامهم واسماء من اسمائهم واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم والههم
وعلمهم وكان ذلك منهم صوابا عند جميع الناس فالذي اعلمهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق
وأوجب طاعة وكما ان له ان يتديء الاسماء فكذلك له ان يتدئها مما أحب قد سمي
كتابه المنزل قرآنا وهذا الاسم لم يكن حتى كان وجعل السجود للشمس كفرا فلا يجوز
ان يكون السجود لها كفرا الا وترك ذلك السجود بعينه يكون ايمانا والترك للشيء
لا يكون الا بالجراحة حتى كان بها الشيء وفي مقداره من الزمان وتكون بدلا منه
وعتبا فواحدة ان يسمى السجود كفرا واذا كان كفرا كان سجودا واذا كان سجودا
كان شركا والسجود ليس بجحد والجحد ليس بشرك الا ان تصرفه الى الوجه الذي
يصير اشراكا وقال طنبيل الغنوي

عواذب لم تسمع نوح وقامة * ولم تر ناراً تم حول مجرم

وانما أخذ ذلك لاجميع من نباح السكاب وذكروا أن الظبي اذا أسن ونبت لقرونه
شعب نبح وهو قول ابن دواد

وقصرى سح الاثنا نباح من الشعب ٢

يعني من جهة الشعب وأشد بعضهم

وينبح بين الشعب نجاً كأنه * نباح سلوق أبصرت ما يريها

ويبيضها الهزل المسود غيرها * كما يبيض عن حمض المراحم نبيها
لان الظبي اذا هزل أبيض والبعير يشيب وجهه من أكل الحمض وكذلك قال ابن الجلاء
شابت ولم تدن من ركبها

كما قال الآخر

أكلن حمضاً فالوجود شيب * شربن حتى نرح القليب
وقد تصير الناقة الحمراء اذا أتمت حبشية ولذلك قال الشاعر

حمراء لا حبشية الا تمام * وما أشبه ذلك بقول العبدى
وداويتها حتى شدت حبشية * كأن عليها سندسا وسدوسا

والدواء اللبن فلذلك تصير الهرس اذا ألت شعرها وطرت تستديان هذا اللون وقال
خالد بن الصقعب النهدي

هبطنا بعد عهدك بطن خبت * تظل حماه . مثل الخصوم

كان عريك ايكته تللاع * به جمعان من قبط وروم

نباح المدهد الحولى فيه * كنبج السكاب فى الانس المقيم

ويقال ان المدهد ينبج وربما جعلوا المدهد الذي ينبج الحمام الذكر قال الشاعر وهو
يصف الحمام الذكر كيف يصنع فيها

واذا استترت أرن فيها ههد * مثل المداك خضبته بجساد

وقال طفيل فى النبوح والجماعات

واشعث ترهاد النبوح مدفع * عن الزاد مما خلف الدهر محتمل

وقال الجعدى

فلما دنونا لصوت النباح * ولا نبصر الحى الا التماسا

وقال ابن عبدل

آليت اذ آليت مجتهداً * ورفعت صوتاً مابه بمحج

لا يدرك الشعراء منزاتي * فى الشعر ان سكتوا وان نجوا

وقال عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الحى منا • وشذ بنا قتادة من يائنا

وقال بعض العلماء كلاب الحى شعراؤهم وهم الذين ينبجون دونهم ويحمون اعراضهم

وقال آخرون وإن كلاب الحى كل عقور وكل ذى عيون أربع

وأما قوله

لمرك ما خشيت على أبى • رماح بنى مقيدة الحمار

ولكني خشيت على أبى • رماح الحى أو اياك حار

والطواعين هي عند العرب رماح الجن وفي الحديث أن الطاعون وخز من الشيطان

وقال أبو سلمى

لا بد للسودد من ارماع • ومن سفبه دائم النباح

ومن عديد يتقى بالراح

وقال الاعشى

مثل أيام لنا نعرفها • هر كلب الناس فيها ونبح

رزن الأحلام في مجالسهم • كلما كلب من الناس نبح

وقال

سينبح كلبى جاهدا من ورائكم • وأغنى غنائى عنكم أن أؤنبا

وقال أبو ذؤيب

ولا هرها كلبى ايبعد هرها • ولو نبختنى بالشكاة كلابها

كلابها شعراؤها وهو قول بشر بن أبى خازم

وانى والشكاة لآل لام • كذات الضغن تمشي فى الرفاق

وقال أبو زيد

ألم ترنى سكنت لأيا كلابهم • وكى كنت عنكم أكلبى وهي عقر

قال صاحب السكاب قد علمنا انكم تبتعم على السكاب كل شيء هجى به وجماعم ذلك
 دليلا على سقوط قدره وعلى اؤم طبعه وقد رأينا الشمراء قد هجوا الاصناف كلها فلم
 يفت منهم انسان ولا سبع ولا بهيمة ولا طائر ولا هجج ولا حشرة ولا رفيع من
 الناس ولا وضع الا أن يسلم بعض ذلك عليهم بالخمول فكذلك بالخمول دقة واؤمًا
 وقلة ونذالة وقال أمية بن أبي عائذ لا يأس بن سهم

فأبلغ إبسا ان عرض ابن أختكم * رداؤك فاصبر خشية أو تبدل
 فان تك ذا طول فاني ابن أختكم * وكل ابن أخت من ندى الخال مغتل
 فكمن أسدا أو ثعلبا أو شبيهه * فهما تكن أنسب اليك وأشكل
 فما ثعلب الا ابن أخت ثمالة * وان ابن أخت الليث ريبال أشبل
 وان تجد الآساد أخوال ثعلب * اذا كانت الهيجا تلوذ بمدخل

فهذا من الثعلب وقال مزرب بن ضرار

وان كناز اللحم من بكراتكم * تهر علينا أمكم وتكالب

وليت الذي القى فناءك رحاه * لتقر به بالت عليه الثعالب

فقد وضع الثعلب كما تري بهذا الموضع الذي كفاك به نذالة قال ابن هرمة

فما عادت بذى يمن رؤسا * ولا ضرت لفرقها نزارا

كعنز السوء تنطح من فلالها * وترام من يمد لها الشفارا

وهذا قول الشاعر في العنز وقال ابن أحرر

إنا وجدنا بنى سهم وجاملهم * كالعنز تعطف روقها فترضع

وقال الفرزدق

على حين لم أترك على الأرض حية * ولا نابجا الا استقر عقورها

وكان نقيع اذ هجاني لاهله * كباحثة عن مديّة تستثيرها

فهذا قولهم في العنز ولا نعلم في الأرض أقل شرا ولا أكثر خيرا من شاة وقال الخزيمي

بالرجال لقوم قد مللتهم * أرى جوارهم احدي البليات

دئب رضيع وخنزير تمارضها • عتارب وجنت وجنا بحيات
 ماخضكم بالناس خير كسبهم * مصرح السحت سمود الامانات
 فهذا قولهم في العتارب والحيات والضباع واخنازير وقال حماد عجرد في بشار
 قد كان في حين غزالة شاغل • للقرد عن شتمى وفي ثوبان
 أو في سميرة أختها وشرادها * لجونها مع سذلة الحبان
 أو بيت ضيق عرسه وركوبها • شر البغاء بأوكس الأثمان
 هذا قول حماد في القرد وقال حماد في بشار بن برد أيضا

ولكن معاذ الله لست بقاذف * بريثا لسواق القوم نوائح
 وما قلت في الأعمى لجبل وأمه • ولكن بأمر بين لي واضح
 سأعرض صفحاع حصين لأمه • واست عن القرد بن برد بصافح

وقال الآخر

لما أتيت ابني يزيد بن خثعم * أرى القرد واخنزير محتببان
 أمام بيوت القوم من آل خثعم • وراء قببجات الوجود بطان

وقال العتابي

أسجد القرد السوء في زمانه • وان تلقاك بخنزوانه
 لاسيما مادام في ساطانه • وقال أبو الشمقمق
 ان رياح الأوم من شمه • لا يطعم الخنزير في ساجه
 كنفاه قنل ضل مفتاحه • قد يأس الحداد من فتجه

وقال خائف بن خليفة

فسبحان من رزقه واسع • يعم به القرد والقرده

وهذا كثير ولعمري لو جمع كاه الكان مثل هجاء الناس للكاب وكذلك لو جمع جميع
 ما مدح به الاسد فما دونه والامثال السائرة التي وقعت في حمد هذه الاشياء لما كانت
 كما هي في مقدار مدح الكاب فهذه حجبتنا في مرتبة الكاب على جميع السباع والبهائم

ولما قال معبد في قتل الكلب وتلا قول الله عز وجل (واتل عليهم نبأ الذين آتينا آياتنا فانسأخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شأنا لرفعناه بها وإكفنه أخذنا إلى الأرض واتبع هواه فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فأقصدنا القصص القصص) قال أبو اسحاق وان كنت انما جمعت الكلب شر الخلق بهذه العلة فقد قال علي نسق هذا الكلام (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل) فالذي قال في الابل والبقر والغنم أعظم فأسقط من أقدارها بقدر معنى الكلام وأدنى ذلك ان تشرك بين الجميع في الدم فانك متى انصفت في هذا الوجه دعاك ذلك إلى أن تنصفها في تتبع مالها من الاشعار والامثال والاخبار والآيات كما تتبعت ما عليها وقال صاحب الكلب سنفرب مثلا بيننا يكون عدلا اذا استوى القبيلان في تقادم الميلاد

ثم كان أحد الابوين كثير الدرء والفرسان والحكماء والاجواد والشعراء وكثير السادات في العشائر وكثير الرؤساء والارعاء وكان الآخر قليل الدرء والعدد ولم يكن فيهم خير كثير ولا شر كثير خملوا أو دخلوا في غمار العرب وعرفوا في معظم الناس وكانوا من المغرورين ومن المنسيين فسلموا من ضروب الهجاء ومن أكثر ذلك وسلموا من أن يضرب بهم المثل في قلة ونذالة اذا لم يكن شر وكان محابهم من القلوب محل من لا يفيظ الشعراء ولا يحسد هم الا كفاء وكانوا كما قال حميد بن ثور

وقولا اذا جاوزتما أرض عامر * وجاوزتما الحبين نهدا وخشما

نزيعان من جرم بن ريان انهم * أبوان يريقوا في الهزاهز محجما

وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الدرء وكان فيهم خير كثير وشر كثير ومثالب ومناقب لم يساوا من ان يهجووا ويضرب بهم المثل ولعل أيضا ان تنق لهم أشعار تتصل بمحبة لرواد ومثال تسير على السنة العلماء فيصير حينئذ من لا خير فيه ولا شرأ مثل حلالا في العامة ممن فيه الفضل الكثير وبعض النقص والاسيما اذا جاؤروا من يأكلهم وحالتوا من لا ينصفهم

كما لقيت غني أو باهلة ولو أن عباسا قامت في بني عامر ضعف ما أقامت لذهب شطر شرفها ولكن قيس بن زهير لما رأى دلائل الشر قال لأصحابه الذل في بني غطفان خير من العز في بني عامر وقد يكون القوم حلالوا مع بني أعمامهم فاذا رأوا فضاهم عليهم حسدوهم وان تركوا شيئا من انصافهم اشتد ذلك عليهم وتعاضوا بهم بأكثر من قدره فدعاهم ذلك الى الخروج منهم الى أعدائهم فاذا صاروا الى آخرين نهكواهم وحملوا عليهم فوق الذي كانوا فيه من بني أعمامهم حتى يدعوهم ذلك الى الندم على مفارقتهم فلا يستطيعون الرجوع حمية واتقاء وخفاة أن يعودوا لهم الى شيء مما كانوا عليه ولا المقام في حلقائهم الذين يرون من احتقارهم ومن شدة الصولة عليهم وقد خرج الاضطرب بن قريع السعدي من بني سعد بخاور ناساً فلما رأى مذهبهم وظلمهم وتهكمهم قال بكل واد بنو سعد فارساها مثلاً وقد كان عباس بن ربيعة الرّ على سيد بني سليم وقد ناله ضميم في بعض الامر فابي الضميم فلما حاول منا فرتهم بني غنم أعز منه فقال في كلمة له

وأهكم تزجي التوام ابعاها * وأم أخيكم كزرة الرحم عافر

وزعم ان أبا عمرو أنشده هذا الشعر وخبر عن هذه القصة في يوم من أيامه فدمعت عينه خائف شبيل بن عمرو بالطلاق انه لعربي في الحقيقة اغنية أو لرشدة فن القبائل المتقدمة الميلاد التي في شطرها خير كثير وفي الشطر الآخر شرف وضعة مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ومثل فزارة ومرة وثمالة ومثل عباس وعبد الله بن غطفان ثم يحيى وباهلة واليمسوب والظفاوة فالشرف والخطر في عباس وذبيان والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم ومثل باهلة وغنى مما لقيت من صوائب سهام الشعراء وحتى كأنهم آلة لمدارج الاقدام ينكب فيها كل ساع ويمثر بها كل ماش وربما ذكروا اليمسوب والظفاوة ومارية البعما وأشجع الخنثى ببعض الذكر وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم وجلّ معظم البلاط يقع بغني وباهلة وهم أرفع من هؤلاء واكثر فضولا ومناقب حتى صار من لا خير فيه ولا شر عنده أحسن حالا ممن فيه الخير الكثير وبعض الشر وصار مثاهم كما قال الشاعر

اضرب بذى طاححة الطاحات مبتدأ * ببخل اشعث واستثبت وكن حكما
 تخرج خزاعة من اؤم ومن كرم * ولا تفركها اؤما ولا كرم
 وقد ظرف في شعره فظام خزاعة ظلما عبقريا وقال في مثل ذلك الشعر الرقيان الاسدى
 بحسبك في القوم ان يعلموا * بانك فيهم غني مفر
 وانت مليخ كلجم الحوار * فلا أنت حلو ولا أنت مر
 وكما قال الشاعر في علماء بن حبيب حيث يقول

أرى العلماء كالعاباء * لا حلوا ولا مر

شبيخ من بني الجارو * دلا خير ولا شر

فهذا ونحوه من أشد الهجاء والنجول اسم لجميع أصناف النقص كلها أو عامتها ولكنه
 كالسرو عند العلماء وليس ينفعك العامة اذا ضرتك الخاصة ومن هذا الضرب تميم بن
 مر وثور وعكل وتيم ومزينة ففي عكل وتيم ومزينة من الشرف والفضل ما ليس في
 ثور وقد سلم ثور الامن الشى اليسير مما لا يرويه الا العلماء ثم حات البالية وركد الشر
 والتحف الهجاء على عكل وتيم وقد شعثوا بين مزينة شيئا ولكنهم حبههم الى المسلمه
 قاطبة ما تهايا لهم من الاسلام حين قل حظ تيم فيه وقد نالوا من ضبة مع ما في ضبة من
 الخصال الشريفة لان الاب متى نصر ولده في العمد على ولد اخيه فقد ركبهم الآخرون
 بكل عزيمة حتى يروا تسليم المربع اليهم خطأ والسير تحت الاواء والحمل على أم والهم
 في النوائب وحتى ربما كانوا كالعضاريط والعسفاء والاتباع وفي الاتباع والدخلاء
 ثم لا يجدون من ذلك بدا كانهم متى امتنعوا خذلوا فاستباحوهم فأروا ان النعمة أربح
 لهم وقد أعان غيلان على الأحنف بكلمة فقال الأحنف عبيد في الجاهلية اتباع في
 الاسلام فان هربوا تفرقوا فصاروا أشلاء في البلاد فصار حكمهم حكم من درج وحكم
 ابيهم حكم من لم يعقب وان هم حالنوا اتقرباء فذلك حيث لا يرفعون رؤسهم من الذل
 والغرم والخلف ضربان فأحدهما كانضمام عبس وضبة واسد وغظفان فان هؤلاء أقوياء
 لم ينهكوا كما نهكت باهلة وغني لحاجة القوم اليهم ونخشونة مسهم ان تذكروا على حال فقد

لقت ضبة من سعد وعبس من عامر وأسد من عيينة بن حصن مما لقوا وقد رأيت
مشقة ذلك على النابغة وكيف كرد خروج أسد من بني ذبيان وعيينة بن حصن وان
كان أسود من النابغة وأشرف فان النابغة كان أحزم وأعتل وقد سامت ثور وابتليت
عكل وتيم ولولا الربيع بن خيثم وسفيان الثوري لما علمت العامة أن في العرب قبيلة
يقال لها ثور ولشريف واحد ممن قتلت تيم أكثر من ثور وما ولد وكذلك بالعنبر قيد
ابتليت وظلمت وبخست مع ما فيها من الفرسان والشعراء ومن الزهاد ومن الفقهاء ومن
القضاة والولاة ومن نوادر الرجال اسلاميين وجاهليين وقد سامت كعب بن عمرو
فانه لم ينالها من الهجاء الا الخمس والنتف ورب قوم قد رضوا بنحو لوهم مع السلامة على
العامة فلا يشعرون حتي يصب الله تعالى على قم رؤوسهم حجارة القذف بايات يسيرها
شاعر وسوط عذاب يسير به الراكب والمثل كما قال الشاعر

ان منا ففحة لدارم * كما الظلم ففحة البراجم

وقال الشاعر

وجدنا الحر من شر المطايا * كما الحبطات شر بني تميم

فما الميسم في جلد البعير باعاق من بعض الشعر واذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في
قوم لهم النباهة والعدد والنعال مثل نمير يصير أهله الى ماصارت اليه نمير وغير نمير فما
ظنك بالظالم وبمناف وبالحبطات وقد بلغ مضره جرير عليهم حيث قال
ففض الطرف انك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا

الى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قوماء آخرين

وسوف يزيدكم ضعة هجاءى * كما وضع الهجاء بني نمير

وحتى قال أبو الرديني

أتوعدني لتقتلني نمير * متى قتلت نمير من هجاها

ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء وهذا من أول كرمها كما بكى
مخارق بن شهاب وكما بكى علقمة بن علاثة وكما بكى عبد الله بن جدعان من بيت خراش

ابن زهير وما زال يهجو من غير أن يكون كان رآه ورأى جماله وبهائه ونبله الذي يقع في النفوس من تفضيله ومحبته من اجلاله والرفقة عليه أمسك ألا ترى أن النبى وغان بن مالك بن عمرو بن نمير ليس يعرفهم بالعجز والقلة لا دغفل من حنظلة والا النخار العذري والا السكيس النيرى والاصحار العبدى والا ابن شريفة وابن أبى السطاح وأشباههم ومن شابه طريقهم والافتباس من مواريثهم وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب فالرجل منهم عربى تميمى فهو يعطى حق القوم فى الجملة ولا يقتضى ما عليه وعلى رهطه فى الخاصة والحرمات اسوا حالا فى العامة من هذه القبائل الخامة وهم عد واجد وبلية اخرى ان يكون القبيل متقادماً الميلاذ قليل الذلة قليل السيادة وتبها ان يصير فى ولد اخوتهم الشرف الكامل والعدد التام فيستبين لمكانهم منهم من قلاتهم وضعفهم لكل من رآهم أو سمع بهم أضعاف الذى تم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف اخوتهم ومن شؤم الاخوة ان شرفهم ضمة اخوتهم ومن يمن الأولاد ان شرفهم شرف من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم كعبد الله بن دارم وجرير بن دارم فلو ان الفقيه لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جاراً كان خيراً له واتقد ضعفت قریش لما جاءت به من الخصال الشريفة التامة من أركان كنانة سنام الارض وجبها وعينها التى تبصر بها وأنفها التى بها تعطس فما ظنك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم وبنى نهشل بن دارم وبنى مجاشع بن دارم ثم رأى بنى فقيم بن جرير بن دارم وكذلك كل أخوين اذا برع أحدهما وسبق وعلا الرجال فى الجود والافضال أو فى القروسة أو فى البيان فان كان الآخر وسطاً من الرجال قصداً بحسن ما أورد فى الطبقة السفلى لتبين البراعة فى أخيه فصارت قرابته التى كانت مفخرة هي التى بلغت به أسفل السافلين وكذلك عنزة بن اسد فى ربيعة ولو كان سودد ربيعة مرة فى عنزة ومرة فى ضبيعة أضجم لكان خيراً لهم اليوم ولود كثير من هؤلاء القبائل التى سلمت على الشعراء أو على العوام أن يكون فيهم شطر ما للمنزىين من الشرف ولو أن الناس وازنوا بين خصال القبائل خيرها وشرها لكانوا سعداء وقال صاحب

الكلب ذكرت عيوب الكلب فقلت الكلب اذا كان في الدار محق أجور أهل الدار حتى يأتي على اقصاه الا ان اجور اذا أخذ منها كل يوم وزن قيراط والقيراط مثل أحد لم يابث على ذلك ان يأتي على آخرها وقت في الكلب أشد الاذى على الجمار والضيف والدخيل يتمتع النوم ليلا والقائلة نهائياً وان يسمع الحديث ثم الذي على سامع النباح من المؤنة من الصوت الشديد ولو لم يكن في الكلب ما يؤذى بشدة صوته الا بادامة مجاوبة الكلاب لكان في ذلك مما يؤذى بشدة صوته الا بادامة مجاوبة الكلاب لكان في ذلك مما ينغص العيش ويمنع من الكلام والحديث وقال ارطاة ابن سهيبة في بعض افتخاره

واني القوام الى الضعيف موهنا * اذا اغدق الستر البخيل الموا كل
دعا فاجابته كلاب كثيرة * على ثقة مني بما أنا فاعل
ومادون ضيفي من تلاد تحوزه * يد الضيف الا أن تصان الحلائل

وقال ابن هرمة

ومستنجح نهيت كلبى لصوته * وقت له قم في اليناع جـاوب
جاء خفي الصوت قدمه الضوى * بضربة مسنون الفرارين قاضب
فرحبت واستبشرت حتى بسطه * وتلك التي التي بها كل آتب

وقال آخر

هجمنا عليه وهو يكتم كابه * دع الكلب ينبح انما الكلب نابع

وقال مزرد بن ضرار

نشأت غلاما اتقى الدم بالقري * اذا ضاف ضيف من فزارة راغب
فان آب سار اسمع الكلب صوته * آتي دون نبح الكلب والكلب دائب

وقال بشار بن برد

سقي الله القباب بمل عبدى * وبالشرقيين أثار القباب
وأياما لنا فصرت وطالت * على فرعان نائمة الكلاب

وقال رجل من بني عبد الله بن غطفان

إذا أنت لم تستبق ود صحابة * على دخن أكثرت بث المعاتب
وانى لاستبقي أمرء السوء عدة * لعدوة عريض من الناس جانب
أخاف كلاب الابددين ونجها * اذا لم تجاوبها كلاب الافارب

وقال أحيحة بن الجلاح

مأحسن الجيد من مليكة * واللبات اذ زانها ترائبها
ياليتنى ليلة اذا هجع النا * س ونام الكلاب صاحبها

وقلت وفي الكلب قدرة في نفسه واقذاره أهله لكثرة سلاحه وبوله على انه لا يرضى
بالسلاح على السطوح حتى يحفر ببرائه وينقب باضافره وفي ذلك التخريب ولو لم يكن
الا انه يكون سبب الوكف وفي الوكف من منع النوم ومن افساد حر المتاع ما لا يخفى
مكانه مع ما فيه من عض الصبيان وتفزع الولدان وشق الثياب والتعرض للزوار ومع
ما في خلقه أيضا من الطبع المستدعي للصبيان الى ضربه ورجه وتهيبجه بالعبث ويكون
سببا لعقرهم والثوب عليهم وقلت وبئس الشيء هو في الدار وفيها الحرم والازواج
والسرارى والحظيات المعشوقات وذلك ان ذكره أيرظاهر الحجم وهو أما مقبوع وأما
قائم وليس معه ما يواريه وربما انتشط وانعظ بحضرتين واعلم ان يكون مغيبات أو محتاجات
الى ما يحتاج اليه النساء عند غيبه خابن واذا عجز عن أن يمهين وقد رمي ضايبي بن الخثر
البرجمي أم أناس من العرب ان الكلب الذي كان يسمى قرحان كان يأتي أمهم حتى استعدوا
عليه وحبسه في ذلك عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه ولولا ان المعنى الذي رماهم به
كان مما يكون ويجوز ويخاف مثله لما بلغ منه عثمان ما بلغ حتى مات في حبسه^(١) وفي ذلك
يقول ضايبي بن الحارث

نجشم نحوى وقد قرحان شقة * تظل بها الوجناء وهى حسير

(١) قوله حتى مات في حبسه اتفق أهل الاخبار أن ضايباً كسر ضاع عثمان رضى الله عنه

يوم الدار وأن الججاج قتل ضايباً لما ولى العراق

فزودتهم كلبا فراحوا كأنما * حباهم بتاج المرزبان أمير
فأمكم لا تتركوها وكابكم * فان عقوق العوالات كبير
اذاعايات من آخر الليل دخنة * يبيت له فوق السرير هير

وزعم اليعطرى انه ابصر رجلا يكوم كابة من كلاب الرعاء ومر بذلك الزب العظيم في
ثمرها والثمر منها ومن السبع كالحمر من المرأة والظبية من الاتان والحجر والحياء من
النافة والشاة فزعم انها لم تعقد عليه ولا ندرى امكنته ام اغتصبها نفسها واما الناس ففي ملح
أحاديثهم ان رجلا أشرف على رجل وقد ناك كابة فعمدت عليه فبقي أسيرا مستجذبا
يدور معها حيث دارت قال فصاح به الرجل اضرب جنبها فاطاقته فرفع رأسه اليه فقال
أخزاه الله أي نيك كابات هو وخبرني من لأرد خبره انه أشرف من سطح له قصر
الحائط فاذا هو بسواد في ظل التمر في أصل حائط واذا انين كابة فرأى رأس انسان
يدخل في التمر ثم يرجع الى موضعه من ظلمة التمر فتأمل انسان في ذلك فاذا هو بحارس
نيك كابة قال فزحمته واعامته انى قد رأيت فصبحتني من الغد يقرع الباب على فقلت له
ما حاجتك وما جاء بك فالتد ظننت انك ستركب البحر أو تمضى على وجهك الى البرارى
قال جمعت فذاك أسألك ان تستر على ستر الله عليك وأنا أتوب على يديك قال قات
ويلك فإشتهيبت من كابة قال جمعت فذاك كل رجل حارس ليس له زوجة ولا نجل
فهو نيك إنانا الكلاب اذا كن عظام الأجسام قال فقلت فإخاف ان تمضه قال لورام
ذلك منها غير الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخاها في كسائه في ليالى البرد والمطر
لما تركته وعلى انه ان أراد يوعبه كاه لم تستقر له قال ونسيت ان أسأله فهل تعقد على
أيور الناس كما تعقد على أيور الكلاب فالتيته بعد ثلاثين سنة فقال لأدرى لعلها لا تعقد
عليه لانه لا يدخله فيها الى أصله وامل ذلك أيضا انما هو شيء يحدث بين الكلب والكابة
فاذا اختلفا لم يقع الاتحام قال فقلت فطيب هو قال قد نكت عامة أنث الحيوانات
فوجدتهن كاهن أطيب من النساء قلت وكيف ذلك قال ماذك الا لشدة الحرارة قال
فطال الحديث حتى انس فقلت له فاذا دار الماء في صلبك وقرب الذراع قال فربما التزمت

الكلبة وأهويت الى تقبيلها ثم قال أما ان الكلاب أطيب شيء أفواها وأعذب شيء ريقا ولكن لا يمكن ان أتيكها من قدام ولو ذهبت أن أتيكها من خلف وثبت رأسها الى ان أقبلها لم آمن ان تظن بي اني أريد غير ذلك فتكدم في ووجهي قال فقلت فاني أسألك بالذي يستر عليك هل نزلت عن هذا العمل منذ أعطيتني صنعة يدك بالتوبة قال ربما حننت الى ذلك فاحتبس بعمدك قال وقت وانك لاتحن اليها قال والله اني لأحن اليها ولقد تزوجت بعدك امرأتين ولى منهما رجال ونساء ومن تعود شيئا لم يكذب يصبر عنه قال فقلت له هل تعرف اليوم في الحراس من يتيك الكلاب قال نعم خذ محموية الأحمر وخذ يشجب الحارس وخذ قفا الشاة وخذ فارسا الحامي فان فارسا كان حارسا وكان قيم حمام وكان حلقيا فزعم انه ناك الكلاب خمسين سنة وشاخ وهزل وقبح وتشنج حتى كان لا يتيكه أحد قال فلم يزل يحتمل لسكب عنده حتى ناكه قال وكان معه بمخير حتى قتله اللصوص ثم أشرف على فاس هذا المحتسب الاحدب وهو يتيك كلبة فرماه بحجر فدمغه قال فالكلاب كما ترى تهم بالنساء ويديكها الرجال وتتيك الرجال وليس شيء أحق بالنفي والاغراب والاطراد وبالقتل منها ونحن من السباع العادية الوحشية في راحة الا في الفرق فان لها عراما على بعض الماشية وجناية على شرار العامة وكذلك البهائم وما عسى أن يبلغ من وطئ بعير ونطح كبش أو خمس سنور أو ربح حمار ولعل ذلك يكون في الدهر المرة والمرتين ولعل ذلك أيضا لا ينال الا عبدا أو خادما أو سائسا وذلك محتمل فالكلاب مع هذه الآفات شركاء الناس في دورهم وأهاليهم قال صاحب السكب ان كنتم الى الاذى بالسلاح تذهبون والي قسطين السطوح بالبرائن تملون والي تنن السلاح وقدر المأكول والمشروب تقصدون فالسنور أكثر في ذلك وقد رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك انه قال هن من الطوافات عليكم فاذا كان ذلك في السنابير مغتفرا لا تنفعاهم بها في كل الفأر فمنافع الكلاب أكثر وهي بالاعتقاد أحق وفي اطلاق ذلك في السنور دليل على أنه في الكلاب أجوز وأما ما ذكرتم من العاظة فاعمرى انه ما ينبنى للغيور أن يقيم الفرس ولا البرذون والبغل

والحمار والئيس في المواضع التي تراها النساء والكاب في ذلك أحسن حالا وقد كره
ناس ادخال منازلهم الحمام والديكة والدجاج والبط خاصة لان له عند السفاد قضيبياً يظهر
وكذلك الئيس من الطباء فضلاً عن تيوس الصفايا فهذا المعنى الذي ذكرتم يجرى في
وجوه كثيرة وعلى أن الحمام خاصة من الاستشارة والكسم بالذنب والتقبيل الذي
ليس الناس مثله ثم التقبيل والتغزل والتنفس والاتبهاج بما يكون منه بعد الفراغ
وركوب الانثي للذكر وامكانها لغير ذكرها ما يكون أهيج للنساء ما ذكرتم فلم أفر دتم
الكاب بالذكر دون هذه الامور التي اذا عاينت المرأة غرمول واجد منها حقرت
بعلمها أو سيدها ولم يزل ظل ذلك الغرمول يعارضها في النوم وينهبها ساعة الغفلة ويحدث
لها التمني لما لا تقدر عليه والاحتقار لما تقدر عليه وتركتم ذكر ما هو أجل وأعظم الى
ما هو أخس وأصغر فان كنتم تذهبون في التشنيع عليه الى ما يعقرن الصبيان عند
العبث والتعرض والتحكك والتهيج والتحرش فلو أن الذي يأتي صبيانكم الى الكاب
من الاحاح بأصناف العبث والصبيان أقسى الخلق وأقاهم رحمة أنزلوه بالاحنف بن
قيس وقيس بن عاصم بل بحاجب بن زرارة وحصن بن حذيفة يخرجوا الى أقبج مما يخرج
اليه الكاب ومن ترك منهم الاخذ فوق يد ابنة فهو أحق باللائمة وبعد فما وجدنا كلباً
وثب على صبي فقمره من تلقاء نفسه وانه ليردد عليه وهو في المهدي وهو لحم على وضم
فلا يشمه ولا يدنو منه وهو أكثر خلق الله تعالى تشمها واترواحا وما في الارض
كلب يلقى كلباً غريباً إلا شم كل واحد منهما أست صاحبه ولا في الارض مجوسى
يموت فيحزن على موته ويحمل الى الناوس إلا بعد أن يدني منه كلب يشمه فانه لا
يخفى عليه في شمه عندهم أحي هو أم ميت للطافة حسه وانه لا يأكل الاحيا فأما
اليهود فانهم يتعرفون ذلك من الميت بأن يدهنوا أستهم ولذلك قال الشاعر وهو يرمي
ناسا بدين اليهودية

اذامات منهم ميت مسحوا أستهم * بدهن وحفوا حوله بقـرام

وقالوا فاذا ذكرتم جنائيات الكلاب فواحد من جنائيات الديكة اعظم من جنائيات

الكلاب لأن عبد الله بن عثمان بن عفان ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مات من نقر ديك في دار عثمان نقر عينه فسكان سبب موته فقتل الديك اعتره رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم من كثير مما تستعظمونه من جنائيات الكلاب وقد نقر ديك عين ابن حسكة بن عباد أو عين ابن أخته وقد نقر ديك عين ابن الريان بن أبي المسيح وهو في المهدي فاعور ثم ضربته الحجرة فمات ووئب ديك فطعن بعصيته في عين بنت ثمامة ابن أشرس قال ثمامة فأتاني الصريح فوالله ما وصلت اليها حتى كمد وجهها كله والحدود الانف والوجنتان وغارت العينان وكان شأن هذا الديك فيما زعم ثمامة عجيباً من العجب ذكر أن رجلاً ذكر أن ديكاً عنده بقال لهم يقاتل به الكلاب قال فأتيت البقال الذي عنده فسألته عن الديك فزعم أنه قد وجه به الى قتال الكلاب وقد تراهوا في ذلك فلم أبرح حتى اشتريته وكنت أصونه وجمالته في مكينة فخرجت يوماً لبعض مصلحة وأقبلت بنفي هذه لتنظر اليه فكان هذا جزاءى منه قال وديك آخر أقبل الى رأس زيد بن عمر حتى وطئ في ذؤابته ثم أقبل ينقر دماغه وعينه فقال رجل من قريش لمن حضر ذلك من الخدم أطر دوا الديك عن ذؤابة زيد طال ما كان لا تطؤها الدجاج والكلاب ان كان كما يقول فان له يدا تسبح وأخرى تأسوا بل ما يدفع الله بحراسته ونجاب من المنافع بعد ما أكثر وأغمر وهو الغامر لا المنعمور والفاضل لا المنضول والديك يفتأ العيون وينقر الأدمغة ويقتل الاتمس ويشج ولا يأسوا فشره صرف وخيره مزوج الا أن يزعموا أنه يحرس من الشيطان فيكون هذا من القول الذي يحتاج الى البرهان وعارض منافع الكلاب وحراستها أموال الناس من اللصوص ومنع السباع من الماشية وموضع نفع الكلب في المزارع وذلك عيان ونفعه عام وخطبه عظيم بما يدعى من حراسة الديكة للشيطان لم يكابل ولم يوازن ولم يعرف المقايسة ولا وقف قط على معنى المقاتلة ودل بذلك على أن مبالغ رأيه لا يجوز رأى النساء ويكون العواء للكلب والدب والتفصيل وقال النابغة^(١)

(١) قوله قال النابغة صوابه الحطية

المأك جارم فتركتهونى * لكاي في دياركم عواء

وقال الشاعر

واني امرؤ لا تقشعر ذؤابتي * من الذئب يعوي والغراب المحجل

وقال الشاعر

ومستنج تستكشط الريح ثوبه * ليستقط عنه وهو بالثوب معصم

عوي في سواد الليل بعد اعتسافه * لينبج كلب او ليفزع نوم

بخاوبه مستسمع الصوت للقري * له مع إتيان المهبين مطمم

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا * يكامه من حبه وهو أعجم

وقال ذو الرومة

به الذئب محزوننا كان عواءه * عواء فصيل آخر الليل محثل

وقال آخر

ومهل طامسة اعلامه * يعوي به الذئب وتزقو هامه

وقال عقيل بن علفة يهجو (زبان) بن منظور

لا بارك الله في قوم يسودهم * ذئب عوى وهو مشدود على كور

لم يبق من مازن الا شرارهم * فوق الحصاص حول زبان بن منظور

وقال غيلان بن سلامة

ومرس حين المشاء به * الحبس فالانواء فالعقل

قد بشه وهنا وارقتي * ذئب القلاة كانه جندل

فتركته يعوى بقفرتة * والكل صائب فقرة شكل

باتوفة جرداء يجزعها * لجب يلوح كانه سحل

وقال مغلس بن تميم

عوى منهم ذئب فطرب عاديا * على فعليات مستشار سخيمها

اذهن لم يلحسن من ذى قرابة * دماهاست أجسادها ولحومها

وقال الأحمر السعدي

عوي الذئب فاستأنست بالذئب اذعوى * وصوت انسان فككت أطير
وقال آخر

وعاوعوي والليل مستجلس الندى * وقد زحنت للنور تالية النجم
وذلك أن الرجل اذا كان باغيا أوزائرا أو ممن يلتمس القرى ولم ير بالليل نارا عوى ونيج
لتجيبه الكلاب فيهتدى بذلك الى موضع الناس وقال الشاعر
ومستنبح أهل الثري يلمس القرى * الينا وممساها من الارض نازح
وقال عمرو بن الاهتم

ومستنبح بعد الهدو دعوته * وقدحان من سارى الشتاء طروق
فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلاب وقال صاحب الكلاب ومما قالوا في أنس
الكلاب وإلفه وحبه لأهله ولمن أحسن اليه وقال ابن الطائرية
يا أم عمرو أنجزى الموعودا * وارعي بذاك أمانة وعهودا
ولقد طرقت كلاب أهلك بالضحي * حتى تركت عقورهن رقودا
يضربن بالاذئاب من فرح بنا * متوسدات أذرعنا وخدودا
وقال الآخر

لو كنت أحمل خمرا يوم زرتكم * لم ينكر الكلاب انى صاحب الدار
لكن أنيت وريح المسك ينعمني * والعنبر الورد أذكيه على النار
فانكر الكلاب ريحي حين أبصرني * وكان يعرف ريح الزق والقار

وقال أبو الطمجان القيني فى الألف وهو يمدح مالك بن حمار الشهخي

سأمدح مال الكافي كل ركب * لقيتهم واترك كل رذل
فما أنا وبالبركة من مخاض * عظام جلة سدس وبزل
وقد عرفت كلابهم ثيابي * كأنى منهم ونسيت أهلى
نمت بك من بني شهخ زياد * لهاماشت من فرع وأصل

وقال الشاعر في أنس الكلاب وألقها يذكر رجلا

- عنيف بتسواق المشار ورعيها
- ولكن بتلقام الثريد رفيق
- سنيدي ظل الكلاب يعض ثوبه
- له في ديار الغايات طريق

وقال الآخر

بات الحويرث والكلاب تشمه * وسرت بأبيض كالملال على الطوى

وقال ذو الرمة

رأيت كلاب الحى حتى ألفتنى * ومدت نسوج العنكبوت على رحل

وقال حسان بن ثابت

- أولاد جفنة حول قبرا أبيهم
- قبرا بن مارية الكريم المنضل
- بيض الوجوه نقيه حجاتهم
- شم الاتوف من الطراز الاول
- يغشون حتى مآهر كلابهم
- لا يسألون عن السواد المقبل

وفي هذا المعنى قال الشاعر

- وبوات بيتك فى معلم
- رحيب المباعة والمسرح
- كنييت العفاة كلاب الضرام
- وقبح الكلاب مستنبح
- ترى دعس آثار تلك المطى
- أخايد كك اللقم الأفيح
- ولو كنت فى نفع زائغ
- لكنت على الشرك الأوضح

وفي مثل ذلك وليس في ذكر الف الكلاب ولكنه مما ينبغي ان يكون مجموعا الى هذه

الأشعار وبك الى ذلك حاجة شديدة قال أمية بن أبى الصات

لا الغيايات متواك ولكن * فى ذرى مشرف القصور ذراكا

وقال البزار الحلبي فى المعنى الأول

الف الناس فيما ينبجهم * من أسيف يبتنى الخير وحر

وقال عمران بن عصام^(١)

لعبيد العزيز على قومه * وغيرهم ممن غامرهم
 فبابك أئين أبوابهم * ودارك أهلة عامره
 وكلك أنس بالمعتنين * من الأم بابتها الزائر
 وكفك حين ترى السائيا * من أندى من النملة الماطره
 فبك العطاء ومنا الشاء * بكل محبرة سائر

وقال هلال بن خشم

انى لعف عن زيارة جارتى * واني لمشئوه الى اغتياها
 اذا غاب عنها بعلمها لم اكن لها * زؤورا ولم تأنس الى كلابها
 وما انا بالدارى أحاديث سرها * ولا عالم من ابي حول ثيابها
 وان قراب البطن يكفيك ماؤه * ويكفيك سواة الامور اجتنابها
 وقال حاتم الطائي وهو حاتم بن عبد الله ويكنى أبا سفانة وكان أسره ثور بن شجمة
 العنبرى مجير الطير

اذا ما بخيل الناس هرت كلابه * وشق على الضيف الغريب عقورها
 فاني جبان الكلب بيتي موطا * جواد اذا ما النفس شح ضميرها
 ولكن كلابي قد أقرت وعودت * قليل على من يعترها هيرها
 وقال صاحب السكاب ان كثيرا من هجاء الكلب ليس يراد به الكلب وانما يراد به
 هجاء رجل فيجعل الكلب وصلة في الكلام ليبلغ ما يريد من شتمه وهذا أيضا مما يرتفق
 الناس به من أسباب الكلاب ولذلك قال الشاعر

من دون سيبك لون ليل مظم * وحفيف ناخفة وكلب موسد
 وأخوك محتمل عليك ضعيفة * ومسيف قومك لائم لا يحمده
 والضيف عندك مثل اسود سالح * لا بل أحبهما اليك الاسود

فهذا قول الشاعر وقال الآخر

وما يك في من عيب فاني * جبان السكاب مهزول الفصيل

فهو لم يرد مدح الكلب بالجبن وإنما أراد نفسه حين قال وحنيف ناخثة وكلب موسد
 فان كان الكلب انما أسرته أهله فانما اللؤم على من أسره وإنما هذا الضرب كقوله
 قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لأمههم بولى على النار
 ومعلوم ان هذا لا يكون واسكن حقر أمرهم وصغرهم وقال ابن هرمة
 واذا تور طارق مستنبح * نبت فداته على كلاب
 وقال ابن مهية

جلبنا الخيل من شعبي تشكى * حوافرها الدوابر والنسورا
 فلما ان طلعت بين جمعى * وأهل الجوف ان قتلوا غرورا
 ولم يك كلبهم ليفيق حتى * يهارش كلبهم كلبا عقورا

ومعلوم ان هذا لا يكون انما هو مثل وقال أعرابي

أخو ثقة فديحسب المجد فرصة * الى أهله أوذمة لا تخفر
 حبيب الى كلب الكريم نباحه * كربه الى الكوماء والكلب أبصر

وقال ابن هرمة

وفرحة من كلاب الحى يتبعها * شحم يزف به الداعي وترعيب

فهذا قول هؤلاء وقال الآخر

هجمنا عليه وهو يطعم كلبه * دع الكلب ينبح انما الكلب نابح

وقال الآخر

وتطعم كلب الحى من خشية القري * ونارك كالعذراء من دونها ستر

وقال أعشى بنى تغلب

اذا احتات معاوية بن عمرو * على الاطواء خذت الكلابا

فالكلب مرة • طعموم • ومرة مخنوق • ومرة • وسد • ومحرش • ومرة يجعله جباناً • ومرة

وثابا كما قال الراعي فى الخطيئة

الأفصح الله الخطيئة انه * على كل ضيف ضافه فهو ساحل

وقمنا اليه وهو يخفق كإبه * دع الكلب ينبع انما الكلب نابع

وقال اعشي بنى تغاب

بكيت على زاد خبيث قريته * الاكل عبي على الزاد نابع

وقال الفرزدق

ولا تنزع الا ضياف الا إلى فتى * اذا ما أبي ان ينبع الكلب أو قدأ

وقال الآخر

دع الكلب ينبع انما الكلب نابع

وقال الآخر

الا كل كلب لا أبالك نابع

وقال الفرزدق

اذا ما أبي ان ينبع الكلب أو قدأ

ومتى صار الكلب يأبى النباح فهذا يدل على أنهم يتشنون بذكر الكلب ويرتفقون به لا على ان هذا الامر الذى ذكروه قد كان على الحقيقة وقال الآخر وهو جرير

ولو كنت في نجران أو بعمامة * اذن لأتاني من ربيعة راكب

يثير الكلاب آخر الليل وطؤه * كضب العرار خطوه متقارب

فبات يميننا الربيع وصوبه * وينظر من لقاعة وهو كاذب

فذكر تقارب خطوه واخفاء حركته وانه مع ذلك قد آثر الكلاب من آخر الليل

وذلك وقت نومها وراحته وهذا يدل على تيقظها ودقة حسها وفيما ذكروا من حالة

الكلب لسبب القرى من البرد والذى ياتي وكيف الشأن في ذلك قال اعشى باهلة

وأجحر الكلب مبيض الصقيع به * والجأ الحي من تنفاحه الحجر

وقال الخطيئة

اذا أبحر الكلب الصقيع اتقينه * بأباج لا خور ولا ففرات

وقال ابن هرمة

أصل الجار المعصب والاضـياف وهنأ إذا تحبوا الدنيا
كيف يلقونني إذا نبح الكلب * ب وراء الكسور نبجا خفيأ
ومشي الحباب الميس الى البأ * ب فلم يقرأ صفر الحى ريبأ
لم تكن خارجية من تراث * حادث بل ورثت ذاك عليأ

وقال الاعشي

وتبرد برد رداء العرو * س فى الصيف رقرقت فيها البعيرا
وتسخن ايلة لا يستطيع * مع نبا حابها الكلب الاهريرا

وقال الهذلي

وايلة يصطلي بالفرث جازرها * يختص بالنعري المثرين داعيها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * من الشتاء ولا تسرى أفاعيها

وقال الفرزدق

إذا احمر آفاق السماء وهتكت * كسور بيوت الحى نكباء حرجف
وجأ قريع الشول قبل الفلما * يزف وجاءت قبيله وهي زحف
وهتكت الاطناب كل دفرة * لما تاءك من عاتق النى أعرف
وباشر راعيها الصلى بباينه * وكف لحر النار ما يتعرف
وقائل كلب الحى عن نار أميله * ايربض منها والصلأ متكشف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه * على سروات النيب فطن مندف

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى

(أوله باب احتجاج صاحب الكلب بالاشعار المعروفة)

الجزء الثاني من كتاب

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب



حقوق الطبع محفوظة لماتزم طبعه

الحاج محمد أفندي سائبي المغربي التونسي

سنة ١٣٢٣ هـ و ١٩٠٥ م

دار النشر: دار نشر محمد علي حيدر

فهرست

﴿ الجزء الثاني من كتاب الحيوان ﴾

صيفه

- ٢ باب احتجاج صاحب الكلاب بالاشعار المعروفة والامثال السائرة والأخبار
الصحيحة والاحاديث المأثورة وما أوجد العيان فيها وما استخرجت التجارب
منها من أصناف المنافع والمرافق وعن مواضع أخلافها المحمودة وأفعالها المرادة
- ٣ مطلب في أن دماء الملوك والاشراف تشفي من داء الكلاب
- ٦ مطلب في تفسير قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه) الآية
- ١٥ ما يستدل به على فراهة الكلاب
- ٢١ أرجوزة أحيحة بن الجلاح في الكلاب
- ٢٣ باب آخر في الكلاب وشأنه
- ٢٨ ومما يدل على قدر الكلاب ما يجري على ألسنة الناس
- ٦١ باب ما يشبهه بالكلاب وليس هو منه
- ١٠٢ » ما يحتاج الى معرفته

﴿ تم الفهرست ﴾

بسم اسد الرحمن الرحيم

باب

(احتجاج صاحب الكتاب بالأشعار المعروفة والأمثال السائرة والأخبار الصحيحة)
 (والأحاديث المأثورة وما أوجد العيان فيها وما استخرجت التجارب منها من)
 (أصناف المنافع والمرافق وعن مواضع أخلاقها المحمودة وأفعالها المرادة)

(ونبدأ بقول العرب) إن دماء الملوك شفاء من داء الكلب ثم نذكر الأبواب

لما قدمنا في صدر كلامنا هذا قال بعض المزينين

أرى الخلان بعد أبي عمير * بحجر في ألقاهم هو جفاء
 من البيض الوجوه بني سنان * لو أنك تستضيء بهم أضواء
 لهم شمس النهار إذا استقلت * ونور ما يغيبه العماء
 بناء مكارم وأساءة حليم * دماؤهم من الكلب الشفاء

وقال النرزق

من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء الحنة والخبل

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

عاودني النكس فاشتفيت كما * تشفى دماء الملوك من كلب

وقال ابن عباس السكندی ابني أسد في قتالهم حجر بن عمرو

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم * تريقون تاء ورا شفاء من الكلب

وقال الفرزدق

ولو تشرب الكلابي المراض دماءنا * شفيتها وذو الخبل الذي هو أداف
 وذلك أنهم يزعمون أن دماء الأشراف والملوك تشفى من عضّة الكلب الكلب وتشفى
 من الجنون أيضاً كما قال الفرزدق : ولو تشرب الكلابي المراض دماءنا شفيتها . ثم قال
 وذو الخبل الذي هو أداف . وقد قال ذلك عاصم بن النرية وهو جاهلي
 وداويته مما به من مجنة * دم ابن كبال والنظاسي واقف
 وقادته دهرأ تميمه جده * وايس اشبي كاده الله صارف
 وكان أصحابنا يزعمون أن قولهم دماء الملوك شفاء من الكلب على معنى أن الدم الكريم
 هو النار المنيم وأن داء الكلاب على معنى قول الشاعر
 كلب من حس ما قد مسه * وأفانين فؤاد محتبل
 وعلى معنى قولهم : كلب يضرب جماجم ورقاب . فإذا كلب من الغيظ والغضب
 فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب وايس أن هناك دما في الحقيقة يشرب
 ولولا قول عاصم بن النرية (والنظاسي واقف) لكان ذلك التأويل جائزاً . وقول
 عوف بن الاحوص

ولا العنقاء ثعابة ابن عمرو * دماء القوم للكلبي شفاء

وفي الكلب يقول الاعشى

أراني وعمر ابننارِق منسم * فلم يبق إلا أن يجن وأكلب

ألا ترى أنه فرّق بينهما ولو كان كما قال اييد بن ربيعة

يسمى خزيمة في قوم ليلكهم * على الجهالة هل^(١) بالمرء من كلب

لكان ذلك على تأويل ما ذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر

وأمر أميرى قد أظعمت فإتما * كواه بنار بين عينيه مكاب

وهذا عندي لا يدخل في الباب الاول وقد جعلوه منه .

قال صاحب الكتاب : وزعمتم أنه يبلغ من فضل قوة طباع الديك في الإلقاح أنه متى سفد دجاجة وقد احتشت بيضاً صفاراً من نتاج الريح والتراب قلبها كلبها حيواناً ولو لم يكن سفدها إلا مرة واحدة وجماعته في ذلك بغاية الفجلة فطباع الكلب أعجب إلتقاحاً وأثقب وأقوى وأبعد لان الكلب إذا عض إنساناً فأول ذلك أن يحيله نبأحا مثله وينقله الي طباعه فصار ينبس ثم يحبله ويلقحه باجراء صفار بيولها علائقاً صور الكلاب على بعد ما بين العنصرين والطبعين والجنسين والذي يتولد في أرحام الدجاج أقرب مشاكلة^(١) إلى طباع الديك . والكلب وهو العجب العجيب لأنه أحبل ذكراً من خلاف جنسه ولأنه مع الإيجال والإلقاح أحاله نبأحا مثله فتلك الأدراس وتلك الكلاب الصغار أولاد ونتاج وإن كان لا يبقى . وقد تعلمون أن أولاد البغلات من البغال لا تبقي . وأن اللقاح قد يقع وإنما منع البغل من البغلة بهذا العلة . قال أبو اليقظان وغيره : كان الأسود بن أوس بن الحجرة أثنى النجاشي ومعه امرأته وهي بنت الحارث أحد بنى عاصم بن عبيد بن ثعلبة فقال النجاشي لأعطينك شيئاً يشفي من داء الكلب فأقبل حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت فأوصي امرأته أن تتزوج ابنه قدامة بن الأسود وأن تعلمه دواء الكلب ولا يخرج ذلك منهم الى أحد فتزوجته نكاح مقت وعلمته دواء الكلب فهو إلى اليوم فيهم فولد الأسود قدامة وولد قدامة الحبل وأمه بنت الحارث فكان الحبل يداوى من الكلب فولد الحبل عقبة وعمرا فداوى ابن الحبل عيينة بن مرداس وهو ابن فسوة الشاعر فبال مثل اجراء الكلب علائقاً ومثل صور النمل والأضراس فقال ابن فسوة حين برئ :

ولولا دواء ابن الحبل وعلمه * هررت اذا ما الناس هرر كلابها

وأجزع عبد الله أولاد زارع * مولمة أكتافها وجنوبها

وأولاد زارع الكلاب . وأما قوله : لولا دواء ابن الحبل وعلمه هررت . فإنما ذهب

(١) وفي نسخة أخرى « وأعجب من بيض الريح والتراب على كل حال » وأقرب الخ

إلى أن الذي يعضه الكلب الكلب ينبیح نباح الكلاب ويهره يهرها وقال محمد بن حفص وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة : عض رجلا^(١) كلب كلب فأصابه داء الكلب فبال علقاً في صورة الكلاب فقالت بنت المستنشر

أبلك أدراعاً وأولاد زارع * وتلك لعمرى نهبية المتنجب^(٢)

وحدثني أبو الصهباء عن رجال من بني سعد منهم عبد الرحمن بن شبيب قالوا عض سنجير الكلب الكلب فكان يعطش ويطلب الماء بأشد الطاب فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا لا أريد وهكذا يصيب صاحب تلك العضة . وذلك أنه يعطش عنها أشد العطش ويطلب الماء أشد الطاب فإذا أتوه به هرب منه أشد الهرب فقال دلم (وهو) عبد ابني سعد

لقد جئت يا سنجير أجلو مائة^(٣) * إباؤك للشئ الذي أنت طاب

وهي أبيات لم أحفظ منها إلا هذا البيت . و ذكر مسلمة بن محارب وعلى بن محمد عن رجاله أن زياد ا كتب دواء الكلب وعاقته على باب المسجد الأعظم ليعرفه جميع الناس وأنا حفظك الله تعالى رأيت كلباً مرة في الحي ونحن في الكتاب فعرض له صبي يسمى مهدياً من أولاد القصابين وهو قائم بمحو لوحه فعض وجهه فنقم ثنيته دون موضع الجنين من عينه اليسرى فخرق اللحم الذي دون العظم إلى شطر خده فرمى به ملقياً على وجهه وجانب شدة وتترك مقلته صحيحة وخرج منه من الدم ماظننت أنه لا يمش معه وبق الغلام مبهوتا قائماً لا ينس وأسكته الفزع وبق طائر القلب ثم خيط ذلك الموضع ورأيت بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكتاب^(٤) وايس في وجهه من الشتر إلا موضع الخيط الذي خيط فلم ينبح إلى أن برى ولا هراً ولا دعا بماء حتى إذا رآه صاح ردوه ولا بال جروا ولا علقا ولا أصابه مما يقولون قليل ولا كثير ولم أجد أحداً من تلك المشايخ يشك أنهم لم يروا كلباً قط أو كلب ولا أفسد

(١) من بلغنبر « كافي النسخ التي بأيدينا » (٢) وفي نسخة أخرى « نهبية المتعجب (٣) وفي نسخة

أخرى « أحلو مائة » فليحجر (٤) المكتب

طبعاً منه . فهذا الذي عاينت وأما الذي بلغني عن هؤلاء الثقات فهو الذي قد كتبت له
وفي الكتاب الكتاب أنشد الأعرابي

حياكم الله فإنني منقلب * وإنما الشاعر مجنون كلب

أكثر ما يأتي على فيه الكذب

إما أن يكون الشعر لهميان وإما أن يكون للرقيات وأنشدني

فإن كنته و كلبي فعندي شفاؤكم * وفي الجن إن كان اعتراك جنون

وأنشدني

وما أدري إذا لاقيت عمرا * أكلبي آل عمرو أم صحاح

قال فأما المكاب^(١) الذي يصيب كلابه داء في رؤسها يسمى الحجام فتكوى بين أعينها

— مسألة كلامية —

وسنذكر مسألة كلامية وإنما نذكرها لكثرة من يعترض في هذا ممن ليس له علم
بالكلام ولو كان أعلم الناس باللغة لم ينفعك في باب الدين حتى يكون عالماً بالكلام
وقد اعترض معترضون في قوله عز وجل (وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانساخ منها
فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع
هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا) فزعموا أن هذا المثل لا يجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام
لأنه قال « وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانساخ منها » فما يشبهه حال من أعطي شيئاً
فلم يقبله ولم يذكر غير ذلك بالكاب الذي إن حمات عليه نبح وولي ذاهبا وإن تركته
شدت عليك ونبح مع أن قوله يلهث لم يقع في موضعه وإنما يلهث الكلب من عطش
شديد وحر شديد ومن تعب . وأما النباح والصياح فمن شيء آخر . قلنا له إن قال ذلك
مثل القوم الذي كذبوا بآياتنا فقد يستقيم أن يكون المراد لا يسمى مكذبا ولا يقال
لهم كذبوا إلا وقد كان ذلك منهم مرارا فإن لم يكن ذلك فليس بعيد أن يشبهه الذي

أوتي الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليها وطلبه لها بالكاب في حرصه وطلبه فإن الكاب يعطي الجهد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات. وشبه رفضه وقذفه لها من يديه وردده لها بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها بالكاب إذا رجع ينبع بعد إطرادك له وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها والحرص عليها. والكاب إذا أتعب نفسه في شدة النباح . مقبلا إليك ومدبرا عنك لث واعتراه ما يعثره عند التعب والعطش . وعلى أننا مانرني بأبصارنا إلى كلابنا وهي رابضة وادعة إلا وهي تلهث من غير أن تكون هناك إلا حرارة أجوافها والذي طبعت عليه من شأنها إلا أن لهث الكاب يختلف بالشدة واللين

وقال صاحب الكاب ليس الديك من الكاب في شيء فمن الكلاب ذوات الاسماء المعروفة والألقاب المشهورة . ولكرامها وجوارحها وكواسبها وأحرارها وعتاقها أنساب قائمة ودواوين مخلدة وأعراق محفوظة ومواليد محصاة مثل كلب جذعان وهو السلب بن البراق بن يحيى بن وناب بن مظفر بن محارش . وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها قال مزرد ابن ضرار

فعَدَّ قريض الشعر إن كنت معذرا * فإن غزير الشعر ماشاء^(١) قائل
لنعت ضباحي طويل شقاؤه * له رقيبات وصفراء ذابل
يقين له مما يبرى وأكاب * تقاقل في أعناقهن السلاسل
سخام ومقلا والقنيص وسلب * وجدلان^(٢) والسرحان والمتناول
بنات سلوقيين كانا حيانه * فأت فأودى شخصه فهو خامل
وأيقن إذ ماتا بجوع وخلة * وقال له الشيطان إنك عائل
فظوف في أصحابه يستثيبهم * فأب وقدأ كدت عليه المسائل
إلى صبية مثل المغالي وخرمل * رواد ومن شر النساء الخرامل
فقال لها هل من طعام فإنني * أذم اليك الناس أملك هابل

فقلت نعم هذا الطوي و. أوه * وصحترق من خايل الجلد قاحل
 فلما تناهت نفسه من طعامه * وأوسى طليحاً ما يعاينه باطل
 تعشي يريد النوم فضل ردائه * فأعيا على العين الرقاد البلاب

فدكر في هذا الشعر ووقف على فصوله حتى تعرّف غناء الكلاب عنهم وكسبها عليهم
 ووقفها منهم . وقال لبيد في ذكرها وذكر أسماءها

أترودعن وأيقنت أن لم تزد * أن قد أحم من الختوف حمامها
 فتقصدت منها كساب وضرجت * بدم وغودر في المكر سجامها

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب التي تقتل بقر
 الوحش وإذا كان الشعر مديحاً وقال كانت ناقتي بقره من صفتها كذا أن تكون
 الكلاب هي المقتولة ليس على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها ولكن الثيران ربما جرحت
 الكلاب وربما قتلتها وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة والكلاب هي السالمة
 والظافرة وصاحبها الغانم وقال لبيد في هذا القول الثاني غير القول الأول وذلك على
 معني ما فسرت لك فقال في ذلك وذكر أسماءها

فأصبح وانشق الضباب وهاجه * أخوفةرة يسلي وكاحا وسائلا

عرانس كأنشاب ترمى نحوورها * بريّ دماء الهاديات نوافلا

ومن أسماءها قولهم : على أهلها جنت براقش . ومن أسماءها قول الآخر ضبار^(١)

سمرت فقلت لها هج فتبرقعت * فدكرت حين تبرقعت ضبارا

وقال الكميّ الاسدي

فبات وبات عليه السما * من كل جانب تهطل

مكبا كما اجتتج المالكبيّ على النصل إذ طبع المنصل

ثم ذكر أسماء الكلاب فقال

وفي ضبين حقف تراجعته * خطاف وسرحة والأجدل

وأربمة كقداح السوا * لا غايات ولا عبّل

وقال الآخر

بتنا وبات جليد^(١) الليل يضربنا * بين البيوت قرانا نبح درواس

إذا ملا بطنها ألبانها حلبا * باتت أغنيته وضرى ذات أجراس

ودرواس اسم كلب والوضرى استه وغناؤها الضراط وقال ضابي بن الحارث في ذلك

قترملت بدم فراح وقد * أوفى للحاق وحن مصرعه

وقال الآخر ولو هيا له الله * من التوفيق أسبابا

لسمى نفسه عمراً * وسمى السكب وثابا

ومثل هذا كثير والسكب أشد ما يكون حرصا إذا كان خطاه يمس عجب ذنب

الظبي والارنب والثور وغير ذلك مما هو من صيده ولذلك قال الشاعر

ربما أغدومعي كابي * طالبا للصيد في صحب

فشمرنا للقنيص معا * فدفعناه الى أظب

فاستدرته فدرّ لها * يلطم الرفقين بالترب

فادرا وهي لاهية * في حمير الحاج والقرب

فقري جماعهن^(١) كما * قد مخلولان من عصب

ثم قال غير يعفور أهل به * جاف دفيه عن القاب

ضم لحية بمخطمه * ضمك الكسرين بالشعب

واتحى للباقيات كما * كسرت شفواء من لهب

فتمايا التيس حين كبا * ودنا فوه من العجب

ظل بالوعساء ينفضه * أرما منه على الصاب

تلك لذاتي وكنت فتي * لم أقل من لذة حسي

وأما قوله غير يعفور أهل به فالأهلال الذي ذكر هو شيء يعتريه في ذلك

(١) وفي « نسخة أخرى » جليلا (٢) الجماع من كل نبي مجتمع أصله ومنه جماع البدن الرأس

تخرج من جوفه صوت شبيه بالعواء وهو ما بين العواء والأنين وذلك من خلق
الحرص وشدة الطاب وخوف الفوات ويقال أهلت السماء اذا صبت واستهت اذا
ارتفع صوت وقعها ومنه الالهلال بالحج وقال ابن احرر

يهل بالفرقد ركبائها * كما يهل الراكب المعتمر

ومنه استهلال الصبي ولذلك قال الاعرابي رأيت من لا أكل ولا شرب ولا
صاح واستهل اليس ذلك بطلّ واذا ضبع الكلب وهو أن يمد ضبعه كله ولا يكون
كالجمار الضيق الإبطين. والكلب في افتراش ذراعيه وبسط رجليه حتى يصيب قصّة
الارض أكثر من الفرس وعند ذلك ما ينشط أذنيه حتى يدميهما ولذلك قال الحسن
ابن هاني وقد طال ما نعت بهما

فانصاع كالكوكب في انحداره * لفت المشير موهناً بشاره

شداً اذا أخصف في احضاره * خرّق أذنيه شيباً أظفاره

وأول هذه الارجوزة

لما غدا الثعلب من وجاره * ياتمس الكسب على صفاره

وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب لانه كان عالماً راوية وكان قد لعب بالكلاب
زماناً وعرف منها مالا تعرفه الأعراب وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب
مستقصاة في أراجيزه هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحدق بالصنعة وان
تأملت شعره فضاته الا ان تعترض عليك فيه العصبية او ترى ان اهل البدو ابدأ
أشعر وان المولدين لا يقارونهم في شيء فان اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر
الحق من الباطل مادمت مغلوباً قال الحسن بن هاني

لما غدا الثعلب من وجاره * ياتمس الكسب على صفاره

عارضه في شتن^(١) امتياره * مضمّر يمدح في سداره

في حلق الصفر وفي اسياره * منضمة قصراد من اضماره

قد نحت التسليم من اقطاره * من بعد ما كان الى اصباره
 نحتا كسته الحور من عشاره * ايام لا يحجب عن اظآاره
 وهو طلى لم يدن من اشغاره * في منزل يحجب عن زواره
 يساس فيه طرفي نهاره * حتى اذا أحمد في اختياره
 وآض مثل التلب من نضاره * كأب خالق ملتقى اشغاره
 حجر غضى يدمن في استغاره * كأن لحية لدى افتراره
 سك مسامير على طواره * يضم قطريه من اض-طراره
 وان تمطى تم في اشباره * عشرأ اذا اقدر في اقتداره
 سمع اذا استروح لم تماره * إلا بأن يطاق من عنذاره
 فانصاع كالكوكب في ايجادره * لفت المشير موهنا بشاره
 شدا اذا خصف في احضاره * خرق عينيه شبا اظفاره
 حتى اذا ما انساب في غباره * عافر ماخرق في عناره
 فتلتل^(١) المفصل من فقاره * وشق عنه جانبي صدره

* ما خير الثعلب في ابتكاره *

وقال في كلب سليمان بن داود الهاشمي وكان الكلب يسمى زبوراً

اذا الشياطين رأات زبوراً * قد قلد الحلقة والسيورا
 بكت لخزان الغلا ثبوراً * ادمى ترى في شدقه تأخيرا
 ترى اذا عارضته مضرورا * خناجرا قد نبتت سطورا
 مشتبكات تنظم السجورا * أحسن في تأديبه صغيرا
 حتى توفي السبعة الشهورا * من سنة وبلغ الشهورا
 وعرف الايحاء والصفيرا * والكف ان تومي أو تشيرا
 يعطيك اقصي حصره المذخورا * شدآ ترى من همزه الأظفورا

(١) قال في القاموس تلتل الشيء حركة واقلقه وزعزعه وزلزله وسار شديداً وساق عنيفا

منتشطا من أذنه سيورا * فما يزال والنما تامورا
 من ثعاب غادره مجزورا * أو أرنب كورها تكويرا
 أو ظبية تغرورشا غيرا * غادرها دون الطلا عقيرا
 فامتع الله به الأميرا * ربي ولا زال به مسرورا

وقد قال كما ترى

شدا ترى من همزه الاظفورا * منتشطا من أذنه سيورا
 يأبي قوله حتى يوفي السبعة الشهورا * من سنة وبلغ الشغورا
 فان السكاب اذا أشغر برجله وبال فذلك دليل على تمام بلوغه للالفاح وهو
 من الحيوان الذي لم يحتلم * وأما احتلام الغلام فيعرف بأور . منها انفراق طرف
 الارنبه ومنها تغير ريح إبطيه ومنها الانياب ومنها غاظ الصوت ومن الغلمان من لا يحتلم
 وفي الجوارى جوار لا يحضن وذلك في النساء عيب وليس مثله من الرجال عيبا وقد
 رأيت رجالا يوصفون بالقوة على النساء وبعضهم لم يحتلم إلا مرة أو مرتين وبعضهم
 لم يحتلم البتة وقد قال الحسن بن هانئ مثل ذلك في أرجوزة أخرى
 يمرى اذا كان الجزاء عبطا * براننا سحجم الاثافي ملطا
 * ينشط أذيه بهن نشطا *

وهذه الارجوزة أولها

عددت كبا لا طراد ساطا * مقاداً قلائداً وملطا
 فهو الجميل والحبيب رهطا * ترى له شدقين خطا خطا
 يمرى اذا كان الجزاء عبطا * براننا سحجم الاثافي ملطا
 ينشط أذيه بهن نشطا * تحال مادمين منها شرطا
 ما إن يقعن الارض إلا فرطا * كأنما يعجان شيئا لقطا
 أعجل من قول قطاء قطا * فاحتاج خزان الصحاري الرقطا
 يلقين منه حكما مشتطا * للعظم حطما والاديم عطا

والشعراء اذا أرادوا سرعة القوائم قالوا كما قال
يخفي التراب بأظلاف ثمانية * ومسهن اذا اقبلن تحاييل
وقال الآخر

وكأنما جهدت اليته * ان لآتمس الارض اربعة
فأفرط الولد في صفة السرعة وليس ذلك بأجود فقال شاعر منهم يصف كلبة
بسرعة العدو كأنما يرفع مالا يضع وقال الحسن * ما ان يقعن الارض الا فرطا *
وقال الحسن بن هانيء في نعت كلب

انعت كلبا اهله في وده * قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده * يظل مولاه له كعبده
بيت أدنى صاحب من مهده * وان غدا جلاه ببرده
ذو غرة محجل بزنده * يلذ منه العين حسن قدده
ياحسن شذقيه وطول خده * تلقى الظباء عنقا من طرده
يشرب كأساشدها في شده * يالك من كلب نسيج وحده
وقال في صفاتها وسماتها وأنسابها وألقابها وتغذية أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك
قداغندي والظير في مئواتها * لم تعرب الافواه عن لغاتها
با كلب ترح في فراتها * تعد عين الوحش من أفواتها
قد نحت التقريح وارياتها * من شدة التسهيم واقتمياتها
وأشفق القانص من حفاتها * وقات قيد أحكمتها فباتها
وأدن للصيد معلماها * وارفع لنا نسبة أمهاها
فجاء يزهبها على شياتها * شم العراقيب موثقاتها
غمر الوجوه ومحجالاتها * مشرقة الاكناف موفياتها
فوذ الخراطيم مخرطاتها * سودا وصفرا وخننجياتها
مسميات ومقلباتها * حمرا وبيضا ومطوقاتها

- مختبرات من سلوقياتها * كان أقماراً على لباتها
 ترى على أنخاذها سماتها * منديات ومحياتها *
 مفروشة الأيدي شربثاتها * شم العراقيب مؤلفاتها
 حمد الأظفير مكبراتها * زل المواخير عملساتها
 تعدعين الوحش من أقواتها * تسمع في الآثار من راحاتها
 من نهم الصيد ومن خواتها * لتتقأ الارنب عن حياتها
 إن حياة الكاب في وفاتها * حتى ترى القدر على مشفاتها
 كثيرة الضيفان من عناتها * تقذف جالها^(١) بجوزى شاتها

فقد قال كما ترى

- تسمع في الآثار من راحاتها * من نهم الصيد ومن خواتها
 وهذا هو معناها الاول وأما قوله * تعد عين الوحش من أقواتها * فعلى قول
 أبي النجم تعد عانات اللوى من مالها وزعموا أن قوله كطاعة الأشمط من كسانه وهو
 كما قال الآخر كطاعة الأشمط من برد سمل وقال الحسن بن هانئ
 لما تبدى الصبح من حجابيه * كطاعة الاشمط من جلبابه
 وانعدل الليل الى مآبه * هجناه كاب ظالمنا هجنا به
 خرطه القانص واعتدي به * يمزه طوراً على استصعابه
 فانضاع للصوت الذى عنى به * كلعان البرق من سحابه
 كأن عينيه لدي ارتيابه * فصاعقيق قد تقابلا به
 حتى اذا عنره هاهابه * بابا به يا بـمد ما بابابه
 ينتس المقود من جرابه * من مرح يعلو اذا عملا به
 وميعية تعرف من شبابه * كان متنيه لدي أسرابه

(١) الجول الغم الكثيرة العظيمة والكتيبة الضخمة وجماعة الابل وجماعة الخيل والوعل المسن

متناشجاع لج في النسيابه * كأنما الاظفور في قرابه
 موسى صناع رد في نصابه * يثرط^(١) وجه الارض في ذهابه
 كأن نسرانا توكلنا به * يعنو على ماجر من ثيابه
 إلا الذي أشر من هدايه * يري سوام الوحش يحتوي به
 * وعين أسد ظفوره ونابه *

وقال في ثعلب أفلت منه مرارا

قد طال ما أفلت يا ثعلالا * وطالما وطالما وطالما
 جات بكلي يومك المجالا * ما طلت من لايسأم المطالا

وقال أبو نواس أيضا

يارب بيت لقضاء سبب * بعيد بين السمك والمظنب
 لقيته قد بكروا بأكلب * قد أدبوها أحسن التأذب
 من كل أوفى مستبان المنكب * يشب في النور شباب المعرب
 ينشط أذنيه بجد الخلب * فما ثنى وثيقة من أرنب
 وجلده مسلوبه من ثعلب * مقلوبة الفروة أو لم تقاب
 وجحش عانات لام التواب * ومرجل يهدر هدر المصعب
 * صفة ما يستدل به على فراهية الكلاب وشياتها وسياستها *

قال بعض من يجيد ذلك أن طول ما بين يدي السكاب ورجليه بعد أن يكون قصير الظهر من علامة السرعة قال ويصفونه بأن يكون صغير الرأس طويل العنق غليظهما وأن يشبه بعض خلقه بعضا وأن يكون أغضف مفرط الغضف ويكون بعيد ما بينهما ويكون أزرق العينين طويل المقلتين تأتي الحدقة طويل الخطم واسع الشدقين تأتي الجبهة عريضها وأن يكون الشعر الذي تحت حنكه كأنه طاقة ويكون غليظا وكذلك شعر خديه ويكون قصير اليدين طويل الرجلين لأنه اذا كان كذلك كان

(١) قال في القاموس ثرط البعير والثور القيا سرحينهما على الارض رقيقا

أسرع في الصمود بمنزلة الأرنب قالوا ولا يكاد يالحق الأرنب في الصمود إلا كل
 كاب قصير اليدين طويل الرجلين وينبغي أن يكون طويل الصدر غليظا ويكون مايلي
 الأرض من صدره عريضا وأن يكون غليظ العضدين مستقيم اليدين مضموم الأصابع
 بعضها الى بعض واذا مشى أو عدا أو هوى جدرانا لا يصير بينها من الطين وغير ذلك
 مايفسدها . ويكون ذكي الدواد نشيطا ويكون عريض الظهر عريض ما بين منفاصل
 عظامه عريض ما بين عظمي أصل الفخذين الذين يصيبان أصل الذنب وطويل
 الفخذين غليظهما شديد لحمهما ويكون رزين المحمل رقيق الوسط طويل الجلدة التي
 بين أصل الفخذين والصدر ومستقيم الرجلين ولا يكون في ركبته اغناء ويصير قصير
 الساقين دقيقتيها كأنهما خشبة من صلابتهما وليس يكره أن تكون الاناث طوال
 الأذنان ويكره ذلك للذكور واين شعرها يدل على القوة وقد يرغب ذلك
 في جميع الجوارح من الطير وذوات الاربع من لين الريش لذوات الريش . واين الشعر
 لذوات الشعر من عتاق الخيل علامة صالحة قال وينبغي أن يكون الكلب شديد
 المنازعة للمتود والسلسلة . ولا يكون العظم الذي يلي الجنبين من عظام الجنبين صغيرا
 في قدر ثلاث أصابع . وزعم أنهم يقولون إن السود منها اقلها صبرا على البرد والحر
 وإن البيض افره اذا كن سود العيون قال ومن علامة القره التي ليس بعدها شيء ان
 يكون على ساقيه او على أحدهما او على رأس الذنب مخب وينبغي ان يقطع من الساقين
 مايمنعه من العدو وذكر أن خير الاشياء التي تطعمه الكلاب الخبز الذرة قد يابس
 ويكون الماء الذي يستقاه يصب عليه شيء من زيت فان ذلك كاللنت المحض للخيل
 ويشتد عليه عدوه وقال خير الطعام في إسمان الكلاب رأس مطبوخ واكارع بشعرها
 من غير أن تطعم من عظامها شيئا والسمن اذا طعم منه قدر ثلاث سكرجات مرتين
 أو ثلاث مرات فان ذلك مما يسمنه ويقال إنه يعيد الهرم شابا حتى يكون ذلك في
 الصيد وفي المنظر والعظم . والتريد من ارداء ماأكله للعدو ومما يكون غذاء ومن خير
 شيء يداوي به الكلب من وجع البطن والديدان أن يطعم قطعة الية وصوف شاة

معجوناً بسمن البقر فانه يانق كل دود وقذر في بطنه وخير ما يعالج به للحفا ٢ أن يدهن
أسفه ثلاثة ايام ويجم فيها ولا يستعمل . أو يمسح على يديه ورجليه القطران وذكر عن
خزيمة بن طرخان الاسدي من اعمل همدان انه قال ليس من علاج الكلب خير من
أن يحقن وقال يقال كدى الجرو يكدي كداء وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه
قبي وسعال حتى تكوى بين عينيها ويقال أ كدى الرجل الكداء إذا لم يظهر بحاجته
والكدية من الارض ارتفاع في صلابة ويقال في الماء حفر فأ كدي . وزعم صاحب
المنطق أن الكلاب اذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح فتبرأ . وزعم أن
الكلاب تأتي حشيشة تمر فيها بعينها فتأكل منها فتبرأ وزعم صاحب المنطق أن العقاب
تأكل الحيات وأن بينهما عداوة لأن الحية أيضاً تطاب بيضها وفراخها (قال) والغداف
يقاتل البومة لأن الغداف يخطف بيض البومة نهراً وتشد البومة على بيض الغداف
ليلاً فتأكله لأن البومة ذليلة بالنهار ردية النظر وإذا كان الليل لم يقو عليها شيء من
الطير والعاير كلها تعرف البومة بذلك وضعياً فاذا رأيتها فهي تطير حولها البومة وتفترجها
ونتنف ريشها ومن أجل ذلك صار الصيادون ينصبونها للطير . والغداف يقاتل
ابن عرس لياً كل بيضه وفراخه قل وبين الحدأة والغداف قتال لأن الحدأة تخطف
بيض الغداف لأنها أشد مخالب وأسرع طيراناً . وبين الاطرنغالة ٢ والشقراق^(١) قتال
لانه يقتل الأطرنغالة ويطالبه . وبين العنكبوت والعظاية عداوة والعظاية تأكل
العنكبوت وعصفور الشوك يعبث بالحمار وعبثه ذلك قتال له لأن الحمار إذا مر بالشوك
وكانت به بدرة ٣ او جرب نحكك به ولذلك متى نهق الحمار سقط بيض عصفور الشوك
وفراخه تخرج من عشها ولهذا العلة يطير العصفور وراء الحمار وينقر رأسه . والذئب
مخالف للثور والحمار والثعالب جميعاً لأنه يأكل اللحم الني ولذا يقع على البقر والحمير
والثعالب . وبين الثعالب والزررق خلاف لهذه العلة لأنهما جميعاً يأكلان اللحم والغراب

(١) الشقراق ويكسر الشين أو كقرطاس والشقراق بالفتح والكسر والشقراق كسفرجل

تخالف الثور ويخالف الحمار جميعاً ويطيير حولهما وربما نقر عيونهما (وقال الشاعر)

عاديتنا لارات في تباب * عداوة الحمار للغراب

ولا أعرف هذا من قول صاحب المنطق لأن الثعلب لا يجوز أن يعادي من بين أحرار الطير وجوارحها الزرق وحده وغير الزرق أكل اللحم وإن كان سبب عداوته له اجتماعهما على أكل اللحم فليبغض العقاب من الطير والذئب من ذوات الأربع فإنها آكل للحم والثعلب إلى أن يحسد ما هو أقرب وذلك أولى في القياس فلو زعم أنه يعم أكلة اللحم بالعداوة حتى يعطي الزرق من ذلك نصيبه كان ذلك أجور وأعل المترجم قد أساء في الأخبار عنه قال والحية تتقاتل الخنزير وتقاتل ابن عرس وإنما تقاتل ابن عرس إذا كان مأواهما في بيت واحد لأن الخنزير يأكل الحيات ويزعمون أن الذي يأكل الحيات القنفاذ والأوعال والخنزير والعقبان قال فالحية تعرف هذا من الخنزير فهي تطالبه قال والغراب مصادق الثعلب والثعلب مصادق الحية والأسد والنمر مختلفان قال وبين الفيلة اختلاف شديد وكذلك ذكورها وإناؤها وهي تستعمل الأنياب إذا قاتل بعضها بعضاً وتعتمد بها على الحيطان فتهدمها وتزحم النخلة بمنجها فتصرعها وإذا صعب من ذكورها شيء احتالوا له حتى يكوموه^(١) آخر فإذا كامه خضع أبداً وإذا اشتد خلقه وصعب عصبوا رجليه فسكن ويقال إن البعير إذا صعب وخافه القوم استمعانوا عليه فبهركوه وعقلوه حتى يكوموه فخل آخر فإذا فعل ذلك به ذل وأما أصحابنا فحكوا وجود العداوة التي بين الفيل والسنور وهذا أعجب وذهبوا إلى فزع الفيل من السنور ولم يروه يفرع مما هو أشد وأضخم وهذا الباب على خلاف الأول كأن أكثر ذلك الباب بنى على عداوة الاكفاء والشاة من الذئب أشد فرقا منها من الاسد وإن كانت تعلم أن الاسد يأكلها وكذلك الحمام يعتريه من الشاهين مالا يعتريه من العقاب والبازي والصقر وكذلك النارة من السنور وقد يأكلها ابن عرس وأكثر ذلك يقتلها ولا يأكلها وهي من السنور أشد فرقا والدجاجة تأكلها أصناف من السباع

(١) يكوموه يسكجه وأصل الكوم يستعمله في ذوات الخافر

والثعلب يطالبها مطالبة شديدة ولو أن دجاجا على رف مرتفع أو كفن على أغصان شجرة شاهقة ثم مرتحتها كل صنف مما يأكلها فإنها تكون مستمسكة بها معتصمة بالأغصان التي عليها فإذا مرتحتها ابن آوى وهن الف لم تبق واحدة منهن إلا رمت بنفسها إليه والسبع لا يأكل الحار والسنور لا يذوق الحموضة ويجزع من الطعام الحار والله تعالى أعلم (ثم) رجع بنا القول إلى مناخر الكلب ونبدأ بكل ما أشبه فيه الكلب الأسود والانسان وبشيء من صفات العظال قال صاحب المنطق في كتابه الذي يقال له الحيوان في موضع ذكر فيه الاسد قال اذا ضرب الاسد بمخالبه رأيت موضع آثاره في أقدار شرط الحجم أو يزيد قليلا إلا أنه من داخل أوسع خرزا كأن الجماد ينضم على سم مخالبه فيأكل ما هنالك فأما عضته فان دواءها دواء عضه الكلب قال ومما أشبه فيه الكلب الاسد انطباق أسنانه ومما أشبه فيه الكلب الاسد النهم فان الاسد يأكل أكلًا شديدًا ويمضغ مضغًا متداركًا ويتلع البضع الكبار من خاق ٢ الرغبة ومن الحرص وكذلك يخاف الفوت ولما نازع السنور من شبهه صار اذا القيت له قطعة لحم فإما أن يحملها أو يأكلها حيث لا تراه وإما أن يأكلها وهو يكثر التلقت وان لم يكن بحضرتة سنور ينازعه والكلب يعض على العظم ايرضه فإن مانعه شيء وكان مما يسيغه ابتلعه وهو واثق بأنه يستمره ويسيفه والنهم يمرض للحيات والحية لا تمضغ وإنما تتلع ذوات الراسات وهي غير ذوات الانياب فإنها تمضغ المضغة والمضغتين وان ابتلعت شيئًا فيه عظم أتت عودًا شاخصًا فاتوت عليه فخطمت العظم والحية قوية جدا قال والأسد وإن كان مما لا يفارق الغياض لا يفارق الماء فانه قليل الشرب للماء وليس ياتي رجعه إلا مرة في اليوم وربما كان في اليومين والثلاثة ورجعه يابس شديد اليبس متعلق شبيه برجيع الكلب ويشبهه أيضا من جية أخرى وذلك أنهما جميعا اذا بالاشغرا والكلب من أسماء الاسد لقراءة ما بينه وبين الكلب والكلب يشبه الخنزير فإن الخنزير يسمن في أسبوع وإن جاع أياما ثم شبع شبعة تبين ذلك تينا ظاهرا ألا تراه ينزع إلى محاسن الحيوان ويشبهه أشرف السباع وكرأم البهائم

ويقال ليس في الارض خل من جميع اجناس الحيوان لذكوره حجم ظاهر الا الانسان والكلاب وليس في الارض شيئاً يشابهان من فرض ارادة كل واحد منهما لطباع صاحبه حتى يلتحم عضو الذكر بعضو الانثى حتى يصير التحامهما التحام الخلقة والبنية كالتحام الملامسة والملازمة إلا كما يوجد التحام قضيب الكلب اثمن الكتابة وقد يلزق القراد ويفس العلق مقاديرهم في جوف اللحم حتى يرى صاحب القراد انه ثؤلول وما انقراد المضروب به المثل في الاتحام لا دون التحام الكلابين ولذلك اذا ضربوا المثل للاتباعين بالسيوف والمثقتين للصرع فالتف بعضهم ببعض قالوا كأنهم الكلاب المتعاضلة وليس هذا النوع من السفاد الا للكلاب فزعم صاحب المنطق وغيره ان الذباب في ذلك كالكلب وكان اسماعيل بن غزوان قد تعشق جارية كانت لموسى بن عمران وكانت اذا وقعت وقعة اليه لم تمكث عنده إلا بقدر ما يقع عليها فاذا فرغ ابست خلفها وطارت وكان اسماعيل يشتهي المعاودة وأن يطيل الحديث ويريد القرص والشم والتقبيل والتجريد وليعلم أنه في الكوم اثنتان والثالث أجدر أن ينظر وأجدر أن يشتفي فكان ربما ضجر ويدكرها بقلبه وهو في المجلس فيقول يارب امسخني واياها كلابين ساعة من الليل والنهار حتى يشغباها الاتحام عن التفكير في غضب مولاتها إن احتبست وفي الكتابة عجوبة أخرى وذلك أنه يسفدها كلب أبقع وكلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدى الى كل سافد شكاه وشبهه في أكثر ما يكون ذلك وأما تأويل الضالع في قول الخطيب

تسديتها من بعد منام ظالع الكلاب وأخي ناره كل موقد
قال الاصمعي يظلع الكلاب لبعض ما يمرض للكلاب فلا ينعمه ذلك من أن
يهيج في زمن هيج الكلاب فإذا رأى الكتابة المستحرمة^(١) لم يطعم في معاضتها والكلاب
منبهة تنبح فلا تزال تنتظر وقت فترة الكلاب ونومها وذلك من آخر الليل وقال
أحيحة بن الجلاح مما قيل في الكلاب من الرجز

(١) المستحرمة طباخة العجل يقال حرمت الذئبة والكلبة حرماً بالكسر أرادت العجل

- وفتية من آل ذهل في الذرى * من الرقاشيين في أعلا الملا
بيض بها ايل كرام المنتمى * باتوا يسرون الى صوح الموى
ينفون عن أعينهم طيب الكرى * إلا غشاها بمد ما طال السرى
يعدين إبلاء التتى على التتى * حتى اذا ما كوكب الصبح بدا
ماجوا بغضف كاليما سب خسا * ثلاثة تقاص حزان الصوى
وحيبة الأشراف عصف في رقا * تلوى بأدئاب قليلات اللجا
سمعات الضمره من طول الطوى * من كل مصبور القرى عاري النسا
محلج المتين منجوض الشوى * شرنبث البرثن خنفاق الحشا
تخاف منه القص من غير جنا * مسنة صفراء في جيد صنفا
يلهب الغائط من غد ان عدا * يقادح المرو وشذآن الحصا
حتى اذا استجس في رأد الضحى * مر بأوفى علم به الربا *
أرانباً من دونها سرباً ظبا * نواشظاً^(١) من أنس الى خلا
فوضي يدعثرن أفاحيص^(٢) القطا * لعائن واستلثين من غير ظما
مبالغات في نهيم وصاى * كما أما أعينها جمر الغضا
ثم تطلعن معاً كالبرق لا * فى أرض بهونى ولا نوح الهوا
كأنها من شرطها لما انبرى * كواكب ترمى الشياطين بها
يدمرن بالايثار زمراوايا * حتى اذا ما كن منهن كها
دارت عليهن من الموت رجا * مخربين ومحدثين الشبا
نوامذ يطلعن معبوظ الدما * بين ذايغ الروض مرضوض الصى
وبين مغرى النياط فلسطا * كأنه مبهل اذا دعا *
ومائل الفودين مجلوز القنا * يعقر بالاكباد منها والى

(١) نواشظاً جمع ناشظ والنشظ سرعة في اختلاس (٢) يدعثرن أي يكسرن ولاه جص

* وبالقلوب وكراديس الطلي *

وقال أيضاً

لما تبدى الصبح من حجابيه * وانعدل الليل الى مآبه
 خرطه القاميس وغتدى به * في متود يردع من جدابه
 يمزده طوراً على استصعابه * ونارة ينصب لانصبابه
 كأنما يفتر من أيبابه * عن مرهف الس من جرابه
 يرثه أنف الأرض في ذهابه * حتى ذأشرف من حدابه
 بعد انحدار الطرف وانقلابه * بروضته القناع الى أعجابه
 أرسله كالسهم ذغالى به * يكاد أن ينسل من إهابه
 كلعمان البرق في سحابه * حتى اذا ما كاد أو حارابه
 فانصاع للصوت الذى يدعي به * كأنما أدمج فى أحصابه
 ما بين حبيبه الى أفرابه * مستهتر الغدوة فى إبابه

وقال أيضاً

ما البرق فى ذى عارض لماح * ولا انتضاض الكوكب المنصاح
 ولا نباتات لداو بالمتاح * ولا أنسياب الحوت بالنداح
 حتى دنا من راحة السباح * جد فى السرعة من سرباح
 فكاد عند نمل المزاح * ذرى نخائل الاشباح
 يضير فى جلد بلا جناح * يفتر عن مثل شبا الرماح
 فكلم وكم ذى جعدة لباح * ونازب^(١) أعذر ذى طماح
 * غادره مضرج الصناح *

باب آخر في السكاب وشأنه

قال طنبيل الغنوي

أناس إذا ما أنكر السكاب أهله * حموا جارهم من كل شغواء تطالع
يقول إذا تكبروا في السلاح لم تعرفهم كلابهم ولم يدع جميع أصحاب المعارف إلا
أن السكاب أشد ثباتاً وأصدق حساً وفي ذلك يقول الآخر

فلا ترفعي صوتنا وكوفي قصية * إذا صوت لداعي وأنكرني كابي
يقول إياك والصياح إذا عانت الجيش وقوله أنكرني كابي يخبر أن سلاحه تام
من الدرع والمغفر والبيضة فإذا تكبر^(١) بسلاحه أنكره كبه فينبجه وأما قوله ذ
خرس الفحل وسطا الحجون^(٢) وصاح الكلاب وعق لولد فأما قوله ذ خرس الفحل
فان الفحل إذا عاين الجيش وبوارق السيوف لم يلتفت لفت حجون وأما قوله
وصاح الكلاب فان الكلاب في تلك حالة تبيع ربها كما تبيع سرعان خيل اليهم
لأنها لا تعرفهم من عدوهم وأما قوله وعق لولد فان المرأة ذ صبحتهم الخيل ونادى
الرجال يا صباحاه ذهات عن ولدها وشغها لرب عن كل شيء فجعل تركها حتمال
ولدها والمطف عليه في تلك حالة عتوقا منها وعو قوتهم نرات بهم أمور لا ينادى
وليدها وإنما استعاروا هذه الكلمة فصيروها في هذا الموضع من هذا المكان وقد
ذكر ذلك مزرد بن ضرار وغيره فقال

تبرات من شتم الرجال بتوبة * إلى الله مني لا ينادى وليدها

وقال آخر

إذا عمي السكاب في ديمة * وأخرسه الله من غير صر

وقال الآخر

ظهرتم على الأحرار من إمد ذلة * وشتموة عيش لا ينادى وليدها

(١) أي دخل في سلاحه من كفر فوق دبره، إذا بس فوق نوب (٢) الحجون كلابان

والذي يخرسه أفراط البرد والحاح المطر كما قال الهذلي

وليلة يصطلي بالفرث جازرها * يختص بالنقري الثمرين داعيها

لا ينبح السكب فيها فيرواحدة * من الصقيع ولا تسرى أفاعيها

وقال ابن هرمة

واسأل الجار والمعصب ولاضيا * ف وهنأ إذا تحموا لديا

كيف يافونني إذا نبج الك * اب وراه الكسور نجأ خفيا

يقول السكب وان أخرسه البرد الذي يكون مع المطر ولريح التي تظطر بالصحارى

المطيرة فتبرد فان السكب وان ناله ذلك فان ذلك من خصب وليس ذلك من صر

والسكب اذا أخت عايه السحاب بالامطار فى أيام الشتاء لني جنة فتى أبصر غيما نجه

لانه قد عرف ما يابى من مثله وفي المثل لا يضر السحاب نباح الكلاب فقال الشاعر

ومالي لا أغزو وللدهر كرة * وقد نجت نحو السماء كلابها

يقول قد كنت أدع الغزو مخافة العطش على الخليل والانفس فما عذرى اليوم

والغدوان كثيرة ومنافع المياه موجوده والكلاب لا تنبح السحاب الا من الحاح

المطر وترادفه وقال الافوه الأودي فى نبج الكلاب السحاب وذلك من وصف الغيم

له هيدب دان ورعد ولجة * وبرق تراه ساطعاً يتابج

فباتت كلاب الحى تنبجن مزانه * ونضحت بنات الماء فيها تمعج

وقال أبو خالد النميرى ود كر فرعون ذا الأوتاد عند أبي حية النميرى فقال أبو حية

السكب خير منه وأحزم قال فقييل له كيف خصصت السكب بذلك قال لائف

الشاعر يقول

ومالي لا أغزو وللدهر كرة * وقد نجت نحو السماء كلابها

وقال الفرزدق

فانك ان تهجوا حنيفه سادراً * وقبلك قد فاتوا يد المتناول

كفرعون أذيرى السماء بسهمه * فردعاه السهم أوفوق ناضل

فهذا يرمي السماء بجهله وهذا ينبح السحاب من جودة فطنته فهذا جزم أن الكلب انما عرف مخرج ذلك الشيء المؤذى له حتى ينبح بالقياس لانه انما ينبح بعد أن توالى عليه الاذى من تلك الجهة وكان فهذا يتمصب للكلب فقالت له وكذلك الحمار اذا رفعت عليه السوط مرة من تحتك مرة اخرى فالتقياس علم أن السوط متى رفع حط ومتى حط أصابه ومتى أصابه ألم فما فضل الكلب في هذا الموضوع على الحمار والحمار هو الموصوف بالجهل قال الفرزدق

وقد ينبح الكلب السحاب ودونها * مبهامة تعشي نظرة التماثل

وقال الآخر

مالك لا ينبح يا كلب الدوم * قد كنت نباحا فما بال اليوم

قال كان هذا رجل ينتظر غير آله تقدم فكان اذا جاءت العير ينبح فاحتبست عليه العير فقال كالمتمنى وكالمنتظر المستبطيء مالك لا ينبح أي ما للعير لا تأتي وقال حجج إياس بن معاوية فسمع نباح كلب فقال هذا كلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد أرسل فأتهموا الى الماء فسألوهم فكان كما قال فقال له غيلان أبو مروان كيف علمت أنه موثق وأنه أطلق قال كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد فلما أطلق سمعته يقرب مرة ويبعد مرة ويتصرف في ذلك وقالوا مر إياس بن معاوية ذات ليلة بماء فقال أسمع صوت كلب غريب قيل له كيف علمت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح الآخر فسألوا فاذا هو غريب مربوط والكلاب تذبجه وقال بعض العلماء كلب أبقع وفرس أبلق وكبش أملح^(١) وتيس أبرق^(٢) ونور أشيه^(٣) ويقال كلب وكلاب وكليب ومعز وماعز ومميز وقال لبيد

(١) يقال كبش املح اذا كان اسود يبلو شعره بياض وقيل نقى البياض وقيل ليس بخالص البياض بل فيه عفرة وفيه ماحمة وزن غرفة (٢) الابرق كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض فهو ابرق يقال تيس ابرق وعنز برقاء (٣) اشوه من الشية وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره والماء عوض من الواو الذاهبة من اوله والجمع شيات يقال نور اشيه كما يقال فرس ابلق وتيس اذرا (٤) - حيوان

فبتنا حيث أمسينا قريباً * على جسدين تتبعنا الكلاب

وقال علقمة بن عبدة

وتصبح عن غب السرى وكأنها * مرواة تخشي القنيص شوب

تعفّق بالأرطي لها وأرادها * رجال فبذت نبلهم وكلات

وقال عباد بن مجبر السعدي

فن للخيل بعد أبي سراج * اذا ما أشنح الضر الكايا

وهؤلاء كلهم جاهليون وقال حموية الحرسي وأنشدني

كانك بالمبارك بعد حين * تخوض عمارة بقع الكلاب

وأنشدوه

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد * أمسي شريدهم في الأرض فألاً

فقال لا خير في بقع الكلاب البتة وسود الكلاب أكثرها عتوراً وخير الكلاب

ما كان لونه يذهب الى ألوان الأسود من الصفرة والحمرة والتبقيع هجئة وخير السناير

الخلنجية وخير كلاب الصيد البيض قالوا إن الأسود لا يراش الحمر والصفير والسود

للذئب وهي شرها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الكلاب أمة من الأمم

لا أمرت بقتلها ولا يكن اقلوا منها كل أسود بهيم وكل شيء من الحيوان اذا اسود

شعره أو جلده أو صوفه كان أقوى ابدنه ولا تكن معرفته بالمحمودة وزعم أن الحمام

الهدئا إنما هو في الخضير والنمر فاذا اسود الحمام حتى يدخل في الاحتراق صار مثل

الزنجي الشديد البطش القليل المعرفة والأسود لا يجيء من البعد لسوء هدايته

والأبيض وما ضرب فيه البياض لا يجيء من الغاية لضعف قواه وعلى قدر ما يعتريه

من البياض يعتريه من الضعف فالكلب هو الأصفر والاحمر والحمام هو الاخضر

والأنمر والسنور هو الخانجي المسال وسائر الألوان عيب وقد يكون فيها ومنها

الخارجي كما يكون من الخيل والكنه لا يكاد يجيب ولا تعدو الامور المحمودة منه

رأسه وقد يكون ربما شبه وقرب من النجابة فاذا كان كذلك كهذه الأمهات والآباء

وقال محمد بن ابراهيم قدمت امرأة الى مكة وكانت ذات جمال وعفاف وبراعة
وشارة فأعجبت ابن ابي ربيعة فأرسل اليها يخافت شعره فلما أرادت الطواف قالت
لأخيها اخرج معي نخرج معها وعرض لها عمر فلما رأى أخاها عرض عنها فأندشت
قول جرير

قريش زاهدة
شارة

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتنى حوزة المستاسد الضار
هذا حديث ابي الحسن وأما بنو مخزوم فيزعمون أن ابن ابي ربيعة لم يحل إزاره
على حرام قط وإنما كان يذهب في نسبه الى أخلاق ابن ابي عتيق فان ابن ابي عتيق
كان من أهل الطهارة والعفاف وكان من سمع كلامه توهم انه من أجرا الناس على
فاحشة وما يشبهه الذي يقول بنو مخزوم ما ذكروا عن قريش والمهاجرين فأنهم يقولون
ان عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة إنما يسمى بعمر بن الخطاب وانه ولد ليلة مات عمر
فلما كان بعد ذلك ذكروا فساد هذا وصلاحي ذلك فقوالوا أي باطل وضع وأي حق
رفع ومثل هذا الكلام لا يقال لمن يوصف بالعنة الثابتة ولبعض المزاح في لعب الصبيان
بالكلاب واستهتارهم بها كتبت شرح الى معلم ولد له كان يدع الكتاب ويأبى بالكلاب

عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة

استهتارهم بالكلاب

- ترك الصلاة لأكل يابو بها * طاب المهراش مع الغواة الرجس
- ولياتينك ناديا بصحيفة * يعدو بها كصحيفة المتامس
- فاذا خلوت فمضه (١) علامة * أوعظه ووعظه لاديب الاكيس
- وإذا هممت بضربه فببذرة * وإذا ضربت به ثلاثاً فاحبس
- واعلم بأنك ما فعلت فإنه * مع ما يجرعني أعز الأنفس

بئس
ويعان
رؤس

تعدو
بها
بصحيفة
المتامس

وسط

وهذا الشعر عندي لأعشي بن سليم في ابن له وقد رأيت ابنه هذا شيخاً كبيراً وهو
يقول بشعر وله أحاديث كثيرة خريفة (وقال) صاحب الكلب ومما يدل على قدر
الكلب كثيراً ما يجرى على السنة الناس من مدحه بالخير والشر وبالحمد وبالذم حتى
ذكر في القرآن مرة بالحمد ومرة بالذم وبمثل ذلك ذكر في الحديث وكذلك في

شعر

(١) يقال عظه فلاناً وأعضه بهته وقال فيه ما لم يكن

في الأشعار والامثال حتى استعمل في الاشتقاقات وجرى في طريق النال والطيرة
وفي ذكر الرؤيا والاحلام ومع الجن والخن والسباع والبهائم فإن كنتم إنما قضيتهم عليه
بالشر والنقص وباللوم وبالسقوط لأن ذلك كله قد قيل فيه فالذي قيل فيه من الخير
أكثر ومن الخصال المحمودة أشهر وليس شيء أجمع لخصال النقص من الخول لأن
تلك الخصال المخالفة لذلك تعطى من النباهة وتقيم من الذكر على قدر المذكور من
ذلك كما لا تكون الخصال التي تورث الخول مورثة للنباهة فلذلك خصال النباهة في
مجانبة الخول لأن الملووم أفضل من الخامل وسَمِعَ الترجمان بن مريم بن هبيرة رجلاً
يقول ما جاء الحارث بن شريح بيوم خير قط قال الترجمان إن لا يكون جاء بيوم خير فقد
جاء بيوم شر وبعد فأى رئيس كان خيره محضاً عدم الهيبة ومن لم يعمل بإقامة جزاء
السيئة والحسنة وقتل في موضع القتل وأحيى في موضع الإحياء وعنا في موضع
العفو وعاقب في موضع العقوبة ومنع ساعة المنع وأعطى ساعة الأطاء خالف الرب
في تدييره وظن أن رحمته فوق رحمة ربه وقد قالوا بعض القتل أحياء للجميع وبعض
العفو اغراء كما أن بعض المنع اعطاء ولا خير فيمن كان خيره محضاً وشر منه من كان
شره صرفاً ولكن أخطأ الوعد بالوعيد والبشر بالعبوس والإعطاء بالمنع والحلم
بالإيقاع فإن الناس لا يهابون ولا يصلحون إلا على الثواب والعقاب والإطعام
والاخافة ومن أخاف ولم يقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم يجز وعرف بذلك
ومن عرف بذلك دخل عليه بحسب ما عرف منه نخير الخير ما كان ممزوجاً وشر
الشر ما كان صرفاً ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده لكان الله عز وجل
أولى بذلك الحكم وفي إطباق جميع الملوك وجميع الأئمة في جميع الأقطار وفي جميع
الأعصار على استعمال المكروه والمحجوب دليل على أن الصواب فيه دون غيره وإذا
كان الناس إنما يسطيحون على الشدة واللين وعلى العفو والانتقام وعلى البذل والمنع
وعلى الخير والشر عاد ذلك الشر خيراً وذلك المنع إعطاءً وذلك المكروه محبوباً وإنما
الشأن في العواقب وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدوم ومن الانقطاع أبعد

من سر به

٥

أدوم ما بعد
الرفيع السبير

وقال الشاعر وهو يمدح قوما

أنا لعلنا نلذذنا
بكم نلذذنا
أنا لعلنا نلذذنا
بكم نلذذنا

ان يسألوا الخير يعطوه وان جهدوا * فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
وان توددتهم لانوا وان شهبوا * كشفت أذماراً حرب غير أنماراً

أنا لعلنا
الذي لم
الذي لم

وقال العتبي

ولكن بنو خير وشركايبهما * جميعاً ومعرفة ألم ومنكر

وقال بعض من ارتجز يوم جيلة

أنا الغلام الأعسر * الخير في والشر
والشر في أكثر *

عساف
أنا لعلنا نلذذنا
بكم نلذذنا
أنا لعلنا نلذذنا
بكم نلذذنا

وقال عبد الملك بن مروان لفر بن الحارث وقد دخل عليه في رجالات قيس ألت
امراً من كندة قال وما خير من لا يتقي حسداً ويدعي رغبة وقال ثمامة الشهرة
بالشر خير من أن لا أعرف بخير ولا شر وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من
الماضين بتباين الناس فيه وقال ألا ترى أن علياً رضي الله تعالى عنه قال يهلك في
فتيان محب مفرط ومبغض مفرط وهذه صفة أئمة الناس وأبعدم غاية في مراتب
الدين وشرف الدنيا ألا ترى أن الشاعر يقول

أرى العلياء كالعليا * لا حلوا ولا مر
شبيخ من بني الجارو * دلا خير ولا شر

وقال الآخر

أنا لعلنا
الذي لم

عيرتني يا شككتي أمي * أسود مثل الحمل الأحم
ينطح عرض الجبل الأحم * ليس بذى القرن ولا الأجم
وإذا كان الرجل أبرع الناس براعة وأظهرهم فضلاً وأجمعهم نخلصال الشرف ثم كانت
كل خصلة مساوية لاختها في التمام ولم تغلب عليه خصلة واحدة فان هذا الرجل
لا يكاد يوصف إلا بالسيادة والرياسة خاصة اذا لم يكن له مسند عما يكون هو الغالب
عليه وقالوا فيما يشبهه ما ذكرنا وان لم يكن هو بعينه قال الشاعر

هينون لينون أيسارذوو يسر * سواس مكرمة أبناء أيسار
 من تلاق منهم نقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وقد قال مثل الذى وصفنا جعفر الضبي في الفضل ابن سهل أيها الأمير اسكتني
 عن وصفك تساوى أفعالك في السوودد وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكر
 جميعها سبيل وان أردت وصف واحدة اعترضت أختها اذ لم تكن الأولى أحق
 بالذكر ولست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها ولذلك قالوا أحلم من الأحنف وما
 هو الا في حلم معاوية وأحلم من قيس بن عاصم ولم يقولوا أحلم من عبد المطلب ولا
 هو أحلم من هاشم لأن الحلم خصلة من خصاله كتمام حلمه فلما كانت خصاله متساوية
 وخلالها مشرفة متوازية وكلها كان غالباً ظاهراً وقاهراً غامراً تسمى بأجمع الأشياء
 ولم يسم بالخصلة الواحدة فيستدل بذلك على أنها كانت أغلب خصال الخير عليه واذا
 بلغ السيد في السوودد الكمال حسده من الاشراف من يظن أنه الأحق به ونفرت
 به عشيرته فلا يزال سيفه من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيد
 عشيرته فهجاه ومن طالب عيباً وجده فان لم يجد عيباً وجد بعض ما اذا ذكره وجد
 من يغلط فيه ويحمله عنه ولذلك هجى حصن بن حذيفة وهجى زرارة بن عدس
 وهجى عبد الله بن جعدان وهجى حاجب بن زرارة وانما ذكرت لك هؤلاء لأنهم
 من سوودد هم وطاعة القبيلة لهم لم يذهبوا فيمن تحت أيديهم من قومهم ومن حلفائهم
 وجيرانهم مذهب كليب بن ربيعة ولا مذهب حذيفة بن بدر ولا مذهب عيينة بن
 حصن ولا مذهب لقيط بن زرارة ولان لقيطاً لم يأمر بسحب صخرة بن ضمرة إلا
 وهو لو بقى لجاوز ظلم كليب وتهمك عيينة فإن هؤلاء وإن كانوا سادة فقد كانوا
 يظلمون وكان بين أن يظلموا وبين أن يحتملوا ظلاماً ممن ظلمهم ولا بد من الاحتمال
 كما لا بد من الانتصار وقد قال عز وجل (ولكم في القصاص حياة) والى هذا المعنى
 رجع قول الحكيم الأول بعض القتل إحياء للجميع وعامة هؤلاء السادة لم يكن
 شأنهم أن يردوا الناس الى أهوائهم والى الانسياق لهم بعنف السوق وبال حرب في

بنى يسر وهما ذر
 بقية من القدم لليسر
 البئر البئر
 البئر البئر

القيود بل كانوا لا يؤثرون الترهيب على الترغيب والخشونة على التليين وهم مع ذلك قد هجوا بأقبح الهجاء ومتى أحب السيد الجماع والرئيس الكامل قومه أشد الحب وحاطهم على حسب حبه لهم كان بغض أعدائهم له على حسب حب قومه له هذا اذا لم يتوأتب اليه ولم يعترض عليه من بني عمه واخوته من قد أطعمته الحال باللاحاق به وحسد الاقارب أشد وعداوتهم على حسب حسدهم وقد قال الأولون رضا الناس شيء لا ينال وقد قيل لبعض العرب من السيد فيكم قال الذي اذا أقبل هبناه واذا أدبر اغتبناه وقد قال الأول بغضاء السوء موصولة بالملوك والسادة وتجري في الحاشية تجرى الملوك وايس في الأرض عمل أكد لأهله من سياسة العوام وقد قال المهذلي يصف صعوبة السياسة

وان سياسة الافوام فاعلم * لها صعدها مطالبها طويل

وقال آخر في شبهه بهذا المعنى

ودون الندى في كل قاب ثنية * لها مصمد حزن ومنحدر سهل

وود الفتى في كل نيل ينيله * اذا ما انقضى لو أن نائله جزل

وقال عامر بن الطفيل

وإني وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر من وراثته * أبى الله أن أسمو بأمو ولا أب

وايكنى أحمى حماها وأتى * أذاها وأرى من رماها بمنكب

وقال زياد بن ظبيان لأبيه عبيد الله بن زياد وزيايد يفرغر بنفسه الأوصى بك الأمير

قال لا قال ولم قال اذا لم^(١) لالحى الابوصية الميت فالحي هو الميت وقال آخر

في هذا المعنى والعز لا يأتي بغير تطالب . وقال بشامة ابن القدير في خلاف ذلك

وان يثبت أن يكون . منه كان

وجدت أبي فيهم وجدى كليهما * يطاع ويؤتى أمره وهو محتبي

فلم أتعلم للسيادة فيهم * ولكن أتيت طائفاً غير متعب
ومن الناس من يقول إن العيش كله في كثرة المال وصحة البدن وخمول الذكر
وقال من يخالفه لا يخلو صاحب البدن الصحيح والمال الكثير من أن يكون بالأمر
علماً أو يكون بها جاهلاً فإن كان بها عالماً فعلمه بها لا يتركه حتى يكون له من القول
والعمل على حسب علمه لأن المعرفة لا تكون كعدمها لأنها لو كانت موجودة غير
عاملة لكانت المعرفة كعدمها وفي القول والعمل ما أوجب التباهة وأدنى حالاته أن
تخرجه من حد الخمول ومتى أخرجه من حد الخمول فقد صار معرضاً لمن يقدر على
سلبه وكما أن المعرفة لا بد لها من عمل ولا بد للعمل من أن يكون قولاً أو فعلاً والقول
لا يكون قولاً الا وهناك مقول له والفعل لا يكون فعلاً الا وهناك ممنوع له وفي
ذلك ما أخرج من الخمول وعرف به الفاعل واذا كانت المعرفة هذاً عملها في التنبيه
على نفسها فالمال الكثير أحق بأن عمله الدلالة على مكانه والسعاية على عمله والمال
أحق بالتميمة وأولى بالشكر وأخذع لصاحبه بل يكون له أشد قهراً ولحيه أشد فساداً
وان كانت معرفته ناقصة فبقدر نقصانها يجهل مواضع اللذة وان كانت تامة فبقدر
تمامها ينفي الخمول ويجاب الذكر وبعد فليس يفهم فضيلة السلامة وحقائق رشد
العاقبة الذين ليس لهم من المعرفة الا التشديق والاخلال أوساط الناس ومتى كان ذلك
كذلك لم يعرف المدخل الذي من أجله يكره ذو المال الشهرة ومن عرف ذلك على
حقه وصدقه لم يدعه فيه لذلك حتى يدل على فهمه وعلى أنه لا يفهم هذا الموضع
حتى يفهم كل ما كان في طبقتهم من العلم وفي أقل من ذلك ما يبين به حاله من حال
الخامل وشروط الأمانى غير شروط جواز الأفعال وإمكان الأمور وليس شيء أذل
ولا أسر من عز الأمر والنهي ومن الظفر بالأعداء ومن عقد المنز في أعناق
الرجال والسرور بالرئاسة وبثمرة السيادة لأن هذه الأمور هي نصيب الروح وحظ
الذهن وقسم النفس فأما المطعم والمشرب والمنكح والمشمة وكل ما كان من نصيب
الحواس فقد علمنا أن كل ما كان أشد نهماً وأرغب كان أتم لوجدانه الطم وذلك قياس

على مواقع الطعم من الجائع والشراب من العطشان واسكننا اذا مثلنا بين التفضيلة التي مع السرور وبين لذة الطعام وبين ما يحدث له الشره من ألم السهر والالتهاب والقلق وشدة الكلب رأينا أن صاحبه منفضول غير فاضل هذا مع ما يسب به ومع حمله له على التبيح وعلى أن نعمته متى زالت لم يكن أحد أشقى منه هذا مع سرور العالم بما وهب الله لهم من السلامة من آفة الشره ومن فساد الاخلاط وبمدفلا يخلو صاحب الثروة والصامت الكثير الخامل الذكر من أن يكون ممن يرغب في المركب الفاره والثوب اللين والجارية الحسنة والدار الجيدة والمطعم الطيب أو يكون ممن لا يرغب في شيء من ذلك فان كان لا يرغب في هذا النوع كله ولا يعمل في ماله للدار الآخرة ولا يجب بالاحدوثة الحسنة ويكون ممن لا تمدولذته ان يكون كثير الصامت فان هذا حمار أو أفسد طبعاً من الحمار وأجهل من الحمار وقد رضي أن يكون في ماله أسوء حالاً من الوكيل وبعد فلا بد للمال الكثير من الحراسة الشديدة ومن الخوف عليه فان اعمل الحراسة له وتمب في حفظه حسب الخوف خرج عليه فضل فان هو لم يخف عليه ولا يكون في سبيل التوكل فهو في طباع الحمار وفي جبهه والذي اوجب له الخمول ليؤديه إلى سلامة المال له قد أعطاه الله تعالى من الجهل مالا يكون معه الا مثل مقدار لذة في أكل الخببط وان هو ابتاع فردد الدواب وفره الخدم والجواري واتخذ الدار الجيدة والطعام الطيب والثوب اللين واشبهه ذلك فتد دل على ماله ومن كان كذلك ثم ظهرت له ضيعة فاشية أو تجارة مربحة يحتمل مثل ذلك الذي يظهر من نفقته والا فانه سيوجد في اللصوص عند أول من يقطع عليه أو مكابرة تكون أو تمب يؤخذ لاهله المال العظيم ولو عنى بقوله الخمول وصحة البدن والمال فذهب الى مقدار من المال مقبولاً ولكن ما لمن كان ماله لا يجاوز هذا المقدار متهيؤ الخمول في طبقات كثيرة وامرئ ان الخمول يكون في طبقات كثيرة قال أبو نخيلة

شكرت ان الشكر حبل من التقى * وما كل من أقرضته نعمة يقضى

(١) فاحييت من ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكرا به من بعض
قالوا ولسقوط الخامل من عيون الناس قات الاعرابية لانها اذا جلست مع
الناس فان احسنت ان تقول كما يقولون فقل والا نخالف تذكر وأما الاصمعي فزعم
انها قالت نخالف ولو بان تعاق في عنقك أير حمار وايس يقول هذا القول الا من
ايس يعرف شكر الغنى وتقاب الاموال الى ما خلقت له وقطعها عتقها وخنمها عذرها
وتيه أصحابها وكثرة خطاهم في حفظها وسترها وعجزهم عن إماتة حركتها ومنعها من
جميع ما تنازع العمل عليه وقد روينا في الملح ان رجلا قال لصاحب له أبوك الذي
جهل قدره وتعدى طوره فشق العصى وفرق الجماعة لاجرم لقد هزم ثم أسر ثم قتل
ثم صلب قال له صاحبه دعني من ذكر هزيمة ابى ومن أسره وقتله وصابه أبوك هل
حدث نفسه بشيء من هذا قط وايس الى الناس بعد الهمم وقصرها وانما تجرى
الهمم بأهلها الى الغايات على قدر ما يعرض لهم من الاسباب الا ترى ان أبعد الناس
همة في نفسه وأشدهم تلفتا الى المراتب لا تنازعه نفسه الى طاب الخلافة لان ذلك
يحتاج الى نسب والى أمر قد وطئ له بسبب كسبب طاب أوائل الخوارج الخلافة
بالدين وحده دون النسب فان صار من الخوارج فقد حدث له سبب امكان الطاب
أكدى أم نجح وقد زعم ناس من العلماء ان رجلا خطبت للسيادة والنباهة والطاعة في
العشيرة وكذلك القبيلة ربما سعدت بالحظ وربما حظيت بالجد وانما ذلك على قدر
الاتفاق وانما هو كالمعافي والمبتي وانما ذلك كما قال زهير

وجدت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطيء يعمر فيهمم *

وكما تخطي بعض الاشعار وبعض الامثال وبعض الالفاظ دون غيرها ودون
ما يجرى مجراها أو يكون أرفع منها قالوا وذلك موجود في المرزوق المحروم
وفي الحارث والذي تجوز عليه الصدقة من حاذق بصناعته وكثير الجولان في تجارته
وقد بلغ فرغانة مرة والاندلس مرة ونقب في البلاد وربيع في الآفاق ومن حاذق

يشاور ولا يستعمل ثم لا تجدهما يستبينان من سوء الحال وكثرة الدين ومن صاحب
 حرب منكوب وهو الليث على برائته مع تمام العزيمة وشدة الشكيمة ونفاذ البصيرة
 ومع المعرفة بالملكيدة والصبر الدائم على الشدة فيكم من بيت شعر قد سار واجود منه
 مقيم في بطون الدفاتر لا تزيده الايام الا نحو لا كما لا يزيد الذي دونه الا شهرة ورفعة
 وكم من مثل قد طار به الحظ حتى عرفته الائمة ورواه الصبيان والنساء وكذلك حظوظ
 البرسان وقد عرفت شهرة عنصرة في الامامة ونباهة عمرو بن معدى كرب وضرب
 الناس المثل بمبيد الله بن الحر وهم لا يعرفون بل لم يسموا قط بعتيبة بن الحارث بن
 شهاب ولا بسطام بن قيس وكان عامر بن الطفيل اذ ذكر منها نسباً ويذكرون
 عبيد الله بن الحر ولا يعرفون شعبة بن زهير ولا زهير بن ذؤيب ولا عباد بن
 الحصين ويذكرون اللسن والبيان والخطيب ابن القرية ولا يعرفون سحبان وائل
 والعامية لم يصل ذكر هؤلاء اليهما الا من قبل الخاصة والخاصة لم تذكر هؤلاء دون
 اولئك فتركت تحصيل الامور والموازنة بين الرجال وحكمت بالسابق الى القلب
 على قدر طباع القلب وهيبته ثم استوت عال العامة في ذلك وتشابهت والعامية والبيعة
 والاغنياء والسفلة كانهم اعذار عام واحد وهم في باطنهم اشد تشابهاً من التوأمين في
 ظاهرهما وكذلك هم في مقادير العقول وفي الاعتراض والتسرع وان اختلفت الصور
 والنعم والاسنان والبلدان وذكر الله عز وجل رد قريش ومشركي العرب على النبي صلى
 الله عليه وسلم قوله فذكر الناظرهم وجهد معانيهم ومقاديرهم التي كانت في وزن
 ما يكون من جميع الائمة الى انبيائهم فقال تشابهت قلوبهم وقال اتوا صوابه ثم قال وخضتم
 كالذي خاضوا ومثل هذا كثير الا ترى أنك لا تجدهم بداً في كل بلدة وفي كل عصر
 للحاكة فيهم على مقدار واحد وجهة واحدة من السخط والحق والعباوة والظلم وكذلك
 النحاسون على طبقاتهم من اصناف ما يبيعون وكذلك السما كون الغلاسون وكذلك
 اصحاب الخلقان كلهم في كل دهر وفي كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة وكل
 حجام في الارض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ وان اختلفوا في البلدان والاجناس

والاسنان ولا ترى مسجوناً ولا مضروباً عند السلطان الا وهو يقول انى مظلوم
ولذلك قال الشاعر

لم يخاق الله مسجوناً تسائله * ما بال سجنك الا قال مظلوم

وايس في الارض خصمان يتنازعان الي حاكم الا كل واحد منهما يدعى عدم الانصاف
والظلم علي صاحبه وايس في الارض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه
الغلط في شعره وفي ولده الا أن الناس في ذلك على طبقات من الغلط فهم العرق
المغمور ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطا ومنهم من يكون خطؤه مستوراً
لكثرة صوابه فما أحسن حاله ما لم يمتحن بالكشف ولذلك احتاج العاقل في استحسان
كتبه وشعره من التحفظ والتوقى ومن اعادة النظر والتهمة الى اضعاف ما يحتاج اليه في
سائر ذلك والعامية تحكم أن حاتمًا أجود العرب ولو قدمته على هرم الجواد لما اعترضته
عليهم ولكن الذي يحدث عن حاتم لا يبلغ مقدار مارووه عن كعب بن مامة لان
كعبا بذل نفسه في أعطية الكرم وبذل المجهود فساوي حاتمًا من هذا الوجه وبانيه
ببذل المهجة ونحن نقول إن الاشعار الصحيحة المقدر الذي يوجب اليقين بان كعباً
كان كما وصفوا ٢ فلو كان الامر في هذا الى الجدود والحظوظ والاتفاقات والى عال
باطنة تجري الامور عليها وفي النوص عليها وفي معرفتها بأعيانها عبر لما جرت الامور
على هذه المجارى ولو كان الامر فيها مفوضاً الى تقدير الراى لكان ينبغي لغالب بن
صمصمة أن يكون من المشهورين بالجود دون هرم وحاتم فان زعمت أن غالباً كان
اسلامياً وكان حاتم في الجاهلية والناس بماثر العرب في الجاهلية أشد كلفاً فقد صدقت
وهذا أيضاً ينبئك أن الامور في هذا على خلاف تقدير الراى وانما تجرى في الباطن
على نسق قائم وعلى نظر صحيح وعلى تقدير محكم فقد تقدم في تعيينهما وتسويتيهما من
لا تخفي عليه خافية ولا يفوته شئ ولا يعجزه والا فما بال أيام الاسلام ورجالها لم
تكن أكبر في النفوس وأحل في الصدور من رجال الجاهلية مع قرب العهد وعظم
خطر ماملكوا وكثرة ماجادت به أنفسهم ومع الاسلام الذي شملهم وجعله الله تعالى

أولي بهم من أرحامهم ولو أن جميع ما أثر الجاهلية وزنت به وبما كان في الجماعات اليسر
من حالات قریش في الاسلام لأزبت عليها أو انكأت مثلها فليس لتقدر الكلب
ولديك في أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومخايبهما من صدور العامة أسبقنا هذا الكلام
وبدأنا بهذا القول وأسما نقتف على أثمانهما من الفضة والذهب ولا إلى أقدارهما عند
الناس وإنما نتظر فيما وضع الله عز وجل فيهما من الدلالة عليه وعلى إتقان صنمه وعلى
عجيب تدبيره وعلى لطيف حكمته وفيما استخرجهما من عجائب المعارف وأودعهما من
غوامض الاحساس وسخر لهما من عظام المنافع والمرافق ودل بهما على أن الذي البسهما
ذلك التدبير وأودعهما تلك الحكمة يجب أن يفكر فيهما ويعتبر بهما ويسبح الله عز
وجل عندهما فغشي ظاهرهما بالبرهان وعم باطنهما بالحكم وهيج على النظر فيهما
والاعتبار بهما ليعلم كل ذى عقل أنه لم يخلق الخلق سدى ولم يترك الصور هملا وليعلموا
أن الله عز وجل لم يدع شيئاً غملاً غير مرسوم ونشراً غير منظوم وسدى غير محفوظ
وأنه لا يخطفه من عجيب تقديره ولا يعطاه من حل تدبيره ولا من زينة الحكم وجلال
قدرة البرهان ثم عم ذلك بين الضآبة والقرآنة إلى الافلاك السبعة وما دونها من
الاقاليم السبعة وقد قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد تجه هذا الكلام في وجوه
أحدها أن تكون هاهنا ضروب من الخلق لا يعلم بمكانهم من الناس ولا بد أن
يعرف ذلك الخلق معنى نفسه أو يعلمه صفوة الله وملائكته أو تعرفه الانبياء أو يعرفه
الناس لا يجوز إلا ذلك أو يكون الله عز وجل إنما عني أنه خلق أسباباً ووهب عللاً
وجعل ذلك رفقاً لما يظهر لنا ونظماً وكان بعض المفسرين يقول من أراد أن يعرف
معنى قوله ويخلق ما لا تعلمون فليؤد ناراً في وسط غيضة أو في صحراء برية ثم ينظر
إلى ما يغشي النار من أصناف الخلق من الحشرات والهمج فإنه سيرى صوراً ويعرف
خاتماً لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئاً من ذلك العالم وعلى أن الخلق الذى يغشي
ناره على قدر اختلاف مواضع الغياض والبحار والجبال ويعلم أن ما لم يبلغه أكثر وأعجب
وما أورد هذا التأويل وأنه ليدخل عندي في جملة ما تدل عليه الآية ومن لم يقل ذلك

لم يفهم عن ربه ولم يفقه في دينه كأنك لا ترى أن في ديدان الخمل والملح والديدان التي تتولد في السموم اذني وعرض لها العفن وهي بمد قوائل عبرة وأعجوبة ولأن التفكير فيها مشحذة للاذهان ومنبهة لذوى الغفلة وتحليل لعقدة البلادة وسبب لاعتماد الروية وانفساح الصدور وعز في النفوس وحلاوة تقناتها الروح وثمره تغذى العقل وترق في الغايات الشريفة وتشرف الى معرفة الغايات البعيدة وكأنك لا ترى ان في فارة البيش^(١) وفي السمندل آية غريبة وصنعة عجيبة وداعية الى التفكير وسببا الى التعجب وكأنك لا ترى ان في الجمل الذي متي دفنته في الورد سكنت حركته وبطل في رأى العين روحه ومتي اعدته الى الروث انحلت عقده وعادت حركته ورجع حسه أعجب العجب وأحكم الحكم وأي شيء أعجب من الخلد وكيف يأتيه رزقه وكيف يهيء له ما يقوته وهو أعمى لا يبصر وأصم لا يسمع وبليد لا يتصرف وابله لا يعرف ومع ذلك انه لا يجوز باب حجره ولانه لا يتكاف سوى ما يجلب اليه رازقه ورازق غيره وأي شيء أعجب من طائر ين يراهما الناس من أدنى حدود البحر من شق البصرة الى غاية البحر من شق السند أحدهما كبير الجثة يرتفع في الهواء مصعداً والآخر صغير الجثة يتقاب عاينه ويعبث به فلا يزال مرة يرفرف حوله ويرتقى على رأسه ومرة يطير عند ذنابه ويدخل تحت جناحه ويخرج من بين رجليه فلا يزال بغمه وبكره حتى يتقيه بذرق فاذا ذرق شحافاه فلا يخطيء اقصى حاقه حتى كأنه ربما به في بر وحتى كان ذرقه محتاجا مدحاة بيد اسوار فلا الطائر الصغير يخطيء في التلق وفي معرفته أنه لا رزق له إلا الذي في ذلك المكان ولا الكبير يخطيء التشديد ويعلم أنه لا ينجيه منه إلا أن يتقيه بذرقه فاذا أوعى ذلك الذرق واستوى في ذلك الرزق رجع شعبان ريان بقوت يومه ومضي الطائر الكبير لطيته وأمرها مشهور وشأنهما ظاهر لا يمكن دفعه ولا تهمة المخبرين عنه فجعل تعالى وعز بعض الوحوش كسوبا محتمالا وبعض الوحوش

(١) البيش بالكسر نبات وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان وترباه فارة البيش وهي فارة

متوكلاً غير محتمل وبعض الحشرات يدخر لنفسه رزق سنه وبعضاً يتكلى على
الثقة بان له كل يوم قدر كفايته رزقاً معداً وأمرأاً متطوعاً وجعل الهمج يدخر
وبعضه يتكسب وبعض الذكور يعول ولده وبعض الذكور لا يعرف ولده وبعض
الاناث تخرج ولدها وبعض الاناث تضيع ولدها وتكفل ولد غيرها وبعض
الاجناس معطوفة على كل ولد من جنسها وبعض الاناث لا تعرف ولدها بعد
استغنائها عنها وبعض الاناث لا تزال تعرفه وتعطف عليه وبعض الاناث تأكل ولدها
وكذلك بعض الذكور وبعض الاجناس يعادي كل شئ ويكسر بيضها أو يأكل أولادها
وجعل يتم بعض الحيوان من قبل أمهاتها وجعل يتم بعضها من قبل آبائها وجعل بعضها
لا يلتصق الولد وان أتاه الولد وجعل بعضها مستفرغ الهم في حب لذرة والناس الولد
وجعل بعضها يزواج وبعضها لا يزواج ليكون للمتوكل من الناس جهة في تكسبه
واتخطر على بالهم أسباب البر والمعوق وأسباب الحظر والتربية وأسباب الوحشة من
الارحام الماسة وليمكان افتران المعاني واختلاف المال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لبعضهم إعقابها وتوكل وقال لبلال انفق بلال ولا تخش من ذى العرش افلا لا
فافهموا هذا التدبير وتعلموا هذه الحكيم واعرفوا مداخيلها ومخارجها وفرقها ومجموعها
فان الله عز وجل لم يرد في كتابه ذكر الاعتبار والحث على التفكير والترغيب في
النظر وفي التثبت والتعرف الا وهو يريد أن تكونوا علماء من تلك الجهة حكماً من
هذه التبعة ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى كما أنه لولا الاستدلال بالادلة
لما كان لوضع الدلالة معنى ولولا تمييز المضار من المنافع والردي من الجيد بالعيون
المجمولة لذلك لما جعل الله عز وجل العيون المدركة ولولا أن الانسان الحساس اذا
كانت الامور المميزه عنده أخذ ما يحتاج اليه وترك ما يستغنى عنه وما يضر من أخذه
فياً أخذ ما يحب ويدع ما يكره ويشكر على المحبوب ويعصبر على المكروه حتى يذكر بالمكروه
كيفية العقاب ويذكر بالمحبوب كيفية الثواب ويعرف بذلك كيفية التضاعيف ويكون
ما يفهمه راد عاله وممتحناً بالعصبر عليه وما يسره باسطاله وممتحناً بالشكر عليه وللعقل في

خلال ذلك مجال وللأرى تقاب وتنشؤ للخواطر أسباب ويتهيأ لصواب الرأى أبواب
 وتكون المعارف الحبيبة والوجدانات الغريزية وتمييز الأمور بها الى ما يميز عنه العقول
 وتحصر المقاييس وليكون عمل الدنيا سلماً الى عمل الآخرة وليترقى من معرفة الخواص
 الى معرفة العقول ومن معرفة الروية من غاية الى غاية حتى لا يرضى من العلم والعمل
 الا بما أداه الى الثواب الدائم ونجاة من العقاب الدائم وسند كر طرفاً مما أودع الله
 عز وجل الكلب مما لا تحسنه أنت أيها الانسان مع احتقارك له وظلمك اياه وكيف
 لا تكون تلك الحكيم لطيفة وتلك المعاني غريبة وتلك الاحساس دقيقة ونحن نعلم ان
 أدق الناس حساً وأرقهم ذهناً وأحضرهم فهماً وأصحهم خاطراً وأكبرهم تجربة وعلماً لورام
 الشيء الذي يحسنه الكلب في كثير من حالات الكلب لظهر من عجزه وخرقه وكلال
 حسه وفساد حسه ما يعرف بدونه ان الأمور لم تقسم على مقدار رأيه ولا على مبلغ
 عقله وتقديره ولا على محبته وشهوته وأن الذي قسم ذلك لايحتاج الى المشاورة والمعاونة
 والى مكافئة ومرادفة ولا الى تجربة وروية ونحن اذا كرون من ذلك جملان شاء الله تعالى
 (اعلم) ان الكلب اذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المقتل وغير المقتل
 وعرف العنز من التيس وهو اذا أبصر القطيع لم يقصد الا قصد التيس وان علم انه
 أشد حضراً وأطول وثبة وأبعد شوطاً ويدع العنز وهو يرى ما فيها من نقصان
 حضرها وقصر قاب خطوها ولكنه يعلم أن التيس اذا عدا شوطاً أو شوطين حقب
 ببوله وكل الحيوان اذا اشتد فزعه فانه سيعرض له أما سلس البول والتقطير وأما
 الاسر والحقب وكذلك المضروب بالسياط على الاكتاف وبالعصى على الاستاء وأما
 أكثر ما يعترهم البول والغائط وكذلك صار بعض الفرسان الابطال اذا عاين العدو
 قطر الى أن يذهب عنه هول الجنان واذا تعب التيس لم يستطع البول مع شدة الحضر
 ومع النفر والجزع ووضع القوائم معاً ورفعها معاً فما أسرع في الطرف فيثقل عدوه
 ويقصر خطوه ويمتريه البهر حتى يلحقه الكلب فيأخذه والعنز من الظباء اذا اعترها
 البول من شدة الفزع لم تجمه وحذفت به كإيزاغ المحاض الضوارب لسعة السبيل

وسهولة الخرج فتصير لذلك أدوم شداً وأصبر على المطاولة فهذا شيء في طبع الكلب معرفة دون سائر الحيوان والكلب المحرب لا يحتاج في ذلك الى معاناة ولا الى تعلم ولا الى روية ولا الى تكلف قد كفاه ذلك الذي خاق العتل والعافل والمعقول والداء والدواء والمداوي والمداوي وقسم الأموور على الحكمة وعلى تمام مصلحة الخليفة ومن معرفة الكلب ان الكلب يخرج الى الصيد في يوم الأرض فيه ملبسة من الجليد ومغشاة بالثلج قد تراكم عليها طبقة على طبقة حتى طبقتها واستغاض فيها حتى ربما ضربته الريح يبردها فيعود كل طبق منها وكأنه صفاة ملساء أو صخرة خافقاً حتى لا يثبت عليها قدم ولا خف ولا حافر ولا ضلف بالثبوت الشديد أو بالجهد والتفريق ففضى الكلاب بالكلب وهو إنسان عاقل وصياد محرب وهو مع ذلك لا يدري أين حجر الأرنب من جميع بسائط الأرض ولا موضع كناس ظبي ولا ممكن ثعلب ولا غير ذلك من مواج وحوش الأرض فيتخرق الكلب بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله ويتشمم ويتبصر ولا يزال كذلك حتى يقف على أفواء تلك الججرة وحتى يثير لذي فيها بتنفيس الذي فيها وذلك ان أنفاسها وبخار أجوافها وأبدانها وما يخرج من الحرارة المستكنة في عمق الأرض مما يذيب ملاقها من فم الحجر من الثلج الجامد حتى يرق وان لم يثقب وذلك خفي غامض لا يقع عليه ناقص ولا راع ولا قائف ولا فلاح وايس يقع عليه الا الكلب الصائد الماهر وعلى أن الكلب في تبيع الدراج والاصعاد خانف الارانب في الجبل الشاهق من الرفق وحسن الاهتداء والتأني مما لا يخفى مكانه على البيازو الكلابيين وقد حدثني صديق لي انه حبس كلبه في بيت وأغلق دونه الباب في الوقت الذي كان طباخه يرجع فيه من السوق رومه للحم ثم أخذ سكيناً بسكين فنبح الكلب ورام فتح الباب لتوجهه أن الطباخ قد رجع من السوق بالوظيفة وهو يحمد السكين ليقطع اللحم قال فلما كان العشي صنعنا به مثل ذلك لتعرف حاله في معرفة الوقت فلم يتحرك قال وصنعت ذلك بكلب لي آخر فلم يطاق الا قلنا يسيراً فلم يابث ان رجع الطباخ فصنع بالسكين مثل صنيعه فطاق حتى رام فتح الباب قال فقامت والله ان كان عرف الوقت

بالرصد فتحرك له فلما لم يشم ربح اللحم عرف انه ليس بشيء ثم لما سمع صوت السكين والوقت بعد لم يذهب وقد جئ باللحم من الطبخ وهو في البيت او عرف فضل ما بين احداد السكين واحداد الطباخ إن هذا أيضاً اعجب وإن اللحم يكون بني وبينه الذراعان والثلاث الاذرع فما أجد ريحه الا بعد ان أذيه من أنفي وكل ذلك عجب ولم أجد أهل سكة اصطفا نوس ودار جارية وباعة سرية بين منقر يشكون أن كلباً كان يكون في أعلا السكة وكان لا يجوز محرس الحارس أيام الاسبوع كله حتى إذا كان يوم الجمعة أقبل قبل صلاة الغداة من موضعه ذلك الى باب جارية فلا يزال هناك مادام على معلق الجزار شيء من اللحم وباب جارية تخر عنده الجزري في جميع أيام الجمع خاصة وكان ذلك لهذا الكلب عادة ولم يره أحد في ذلك الموضع في سائر أيام الجمعة حتى اذا كان غداة الجمعة أقبل فليس يكون مثل هذا الا عن مقدارية بمقدار ما بين الوقتين ولعل كثيراً من الناس ينتابون بعض المواضع في يوم الجمعة أما لصلاة وأما لغير صلاة فلا يمد فيهم النسيان من أنفسهم والاستذكار لغير الكلب لم ينس من نفسه ولم يتذكر بغيره وزعم هؤلاء بأجمعهم انهم تفقدوا شأن هذا الكلب منذ انبأوا لصنعه فلم يجدوه غادر ذلك يوماً واحداً فهذا هذا وأنشد أبو الحسن ابن خالويه عن أبي عبيدة لبعض الشعراء

يعود عنه جاره وشقيقه * وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

قال أبو عبيدة قيل ذلك لان رجلاً خرج الى الجبان ينتظر ركابه فاتبعه كلب كان له فضرب الكلب وطرده وكره ان يتبعه ورماه بحجر فأبى الكلب الا ان يتبعه فلما صار الى الموضع الذي يريد فيه الانتظار ربح الكلب قريباً فبينما هو كذلك إذ ناه أعداءه له يطلبونه بطائلة لهم عنده وكان معه جاره له وأخوه دنياً فأسلماه وهربا عنه فخرج جراحات ورمى به في بئر غير بعيدة القعر ثم حث عليه التراب ثم غطى رأسه ثم كتم فوق رأسه منه والكلاب في ذلك يرحم ويهر فلما انصرفوا أتى رأس البئر فما زال يعمى وينبش عنه ويحشو التراب بيده ويكشفه عن رأسه حتى أظهر رأسه فتنفس وردت

اليه الروح وقد كاد يموت ولم يبق منه الا حشاشة فبينما هو كذلك اذ مر ناس فانكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يخبر عن قبر فنظروا فاذا هم بالرجل على تلك الحال فاستالوه فأخرجوه حيا وحملوه حتى أدوه الى أهله فزعم أن ذلك الموضع يدعي ببئر الكلب وهو متيامن عن النجف وهذا العمل يدل على وفاء طيبي والى عزيرى ومحاماة شديدة وعلى معرفة وصبر وعلى كرم وشكر وعلى غناء عجب ومنفعة تفوق المنافع لأن ذلك كاه كان من غير تكاف ولا تصنع وقال مؤمن بن خاقان لاعرابى من بني أسد وقد أكل جرو كلب اتا كل لحم الكلب وقد قال الشاعر

إذا أسدى جاع يوماً ببلدة * وكان سميناً كلبه فهو آكله

أكل هذا قرماً الى اللحم قال فأنشد الاسدى يقول

وصباً يحظ لايت طعاما وشهوة * فسائل أخى الخلاء ان كنت لا تدرى

قال وذلك الاسدى لا يحرص على شيء من اللحم حرصه على لحم الكلب وأما العامة فتزعم أن لحوم الشاء أحب للجان اليه قالوا ولذلك يطيف الاسد بجنبات القرى طالبا لاغترار الكلب لان وثبة الاسد تعجل الكلب عن القيام وهو رابض حتى ربما دعاهم ذلك إلى اخراج الكلب من قراه إلا أن يكون بقرب ضياعهم خنازير فليس حينئذ شيء أحب اليهم من أن تكثر الاسد عندهم وانما يخرجون عنهم في تلك الحالات الكلاب لانهم يخافونها على ما هو عندهم انفس من الكلب وهذه مصلحة في الكلب ولا يكون ذلك الا في القرى التي تقرب الفيضة أو المأسدة وقال بعض الدهافين قولاً لا تدرى كيف هو غير أنهم لا يشكون انه انما يطاب الكلب لحنته عليه لا من طريق أن لحمه أحب للجان اليه وإن الاسد لا يأتى منافع المياه وشطوط الانهار فيما كل السرطين والفضادع والزق والسلاحف وانه أشده من أن يختار لحمًا على لحم قال وانما يكون ذلك منه اذا اراد المتطرف من حمير القرية وشائها وسائر دوابها فاذا لج الكلب فى النباح اتتهوا ونذروا بالاسد فكانوا يبين أن يحرصوا أموالهم وبين أن يجهجوا به فيرجع خائباً فاذا اراد ذلك بدء بالكلب لانه يأمن الانذار ثم بيتون في أعلى القرية

بما فيها فانما يطالب الاسد الكلاب لهذه العلة وسمعت حديثاً من شيوخ ملاحى
الموصل وأنا هائب له ورأيت الحديث يدور بينهم ويتقبله جميعهم وزعموا أن الاسد
ربما جال قلس السفينة فيتشبث به ليلاً والملاحون يمدون السفينة فلا يشكون أن
القلس قد التف على صخرة او تعاق بجذم شجرة ومن عادتهم أن يبعثوا اول المدادين
ليجله فاذا رجع اليه الملاح ليمده تمدد الاسد بالارض ولزق بها ونمض عينيه كيلا
يبصر ويصها بالليل فاذا قرب منه وثب عليه فخطنه فلا يكون للملاحين هم الا إلقاء
أنفسهم في الماء وعبورهم اليه وربما أكله الا ما بقى منه وربما جر فريسته الى عربسه
وعرسته والى أجراءه وأشباله وإن ذلك على أميال قالوا فليس الديك من بابة الكلاب
لانه ان ساوره قهره قهرا ذريما وسلاح الكلاب الذى هو فيه اقوى من صيصة
الديك الذى فى رجله وصوته الذى أهدم وعينه أيقظ والكلاب يحمي نفسه ويحمي
غيره ويعول أهله فيكون لصاحبه غنمه وليس عليه غرمه ولما ترحم الدواب
من الناس ولما تحذف وتجمح وتنطح وتقتل اهابا في يوم واحد أكثر مما يكون من
جميع الكلاب فى عام والكلب ينطح فيعقر ويقتل من غير أن يهاج ويعبث به
والبرذون يعض ويرمح من غير أن يهاج به ويعبث وأنت لا تكاد ترى كلبا يعض
أحد الا من تهيج شديد وأكث ذلك أيضاً انما هو النباح والوعيد والكلاب يعرف
وجه صاحبه وأمه ووجه الزائر نعم ربما غارب عند صاحبه حولا كاملا فاذا
أبصره قادم اعتراه من الفرح والبصبة والاتواء الذى يدل على السرور وعلى شدة
الحنين بما لا شيء فوقه وحدثني صديق لى قال كان عندنا جر وكاب وكان عندنا خادم لهجا
بتقريبه مولعا بالاحسان اليه كثير المعايمة له فغاب عني الى البصرة أشهراً فقلت لبعض
من عندي أنظنون ان فلانا يعنى الكلاب يثبت اليوم صورة فلان يعنى خادمه الغائب
وقد فارقه وهو جرو وقد صار كلبا يشغره ببوله قالوا ما نشك انه نسي صورته وجميع
بركان يبره قال فينا انا جالس فى الدار اذ سمعت من قبل باب الدار نباحه فلم أركش
ناجحه من التأنب والتعبث والتوعد ورأيت فيه ببصبة السرور وحنين الا انى ثم لم

البث ان رأيت الخادم طالما علينا وان الكلب يلتف على ساقيه ويرتفع الى نخديه
وينظر في وجهه ويصيح صياحا يستبين فيه الفرح واتقد بلغ من افراط سروره اني ظننت
انه عرض ثم كان بعد ذلك يغيب الشهرين والثلاثة ويمضي الى بغداد ثم يرجع الى
المسكر بعد ايام فاعرف بذلك الضرب من البصبصة وبذلك النوع من النباح ان
الخادم قدم وحتى قلت لبعضهم عندي ينبغي ان يكون فلان قد قدم وهو داخل عليكم
مع الكلب وزعم لي انه ربما التي لهذا الجرو الى ان صار كلبا تاما بعض الطعام فيا كل
منه ما اكل ثم يمضي بالباقي ليخبأه وربما القى اليه الشيء وهو شبعان فيجمله حتى يأتي
به بعض الخبأ فيضعه هناك حتى اذا جاع رجع اليه فأكله وزعم لي غلامني وغيرهم من
أهل الدرب انه كان ينبح على كل راكب يدخل الدرب الى عراقيب برذونه سائسا
كان أو صاحب دابة الا انه كان اذا رأى محمد بن عبد الملك داخلا الى باب الدرب
أو خارجا منه لم ينبح البتة لاعليه ولا على دابته بل كان لا يتف له على الباب ولا على
الطريق والسكنه يدخل الدهليز سريعا فسأت عن ذلك فبانني انه كان اذا قبل صاح
به الخادم وهو له بالضرب فيدخل الدهليز وانه ما فعل ذلك به الا ثلاث مرات حتى
صار إذا رأى محمد بن عبد الملك دخل الدهليز من تلقاء نفسه فاذا جاوز وثب على عراقيب
دواب الشاكرية ورأيت هذا الخبر عندهم مشهورا قل وكنا اذا تقدمنا دنا من الخوان
فرجناه مرة أو مرتين فكان لا يقربنا لمكان الرجم ولا يبعد عن الخوان لعله الطمع فان
القينا اليه شيئا أكله ثم ودنا من أجل ذلك بعض الدنو فكنا نستظهر عليه فيرمي باللقمة
فوق مريضه بأذرع فاذا أكلها زد في الطمع فقر به ذلك من الخوان ثم يجوز موضعه
الذي كان فيه ولولا ما كنا نقصد اليه من امتحان ما عنده ليصير ما يظهر لنا حديثا لكان
اطعام الكلب والسور من الخوان خطأ من وجوده أو لها ان يكون تضرية مضرية
له وتدربة حتى ان منها ما يمد يده الى ما على الخوان وربما تناول بفيه ما عليها وربما فاه
الذي أكله وربما لم يرض بذلك حتى يمود في قيئه وهذا كله مما لا ينبغي ان يحضره
الرئيس ويشهده رب الدار وهو على الحاشية اجوز فأتا علماء الفرس والمهند واطباء

اليونانيين ودهاة العرب وأهل التجربة من نازلة الامصار وحناق المتكلمين فانهم
يكرهون الاكل بين يدي السباع يخافون نفوسها وعيونها للذي فيها من الشره
والحرص والطب والكلب ويحلم عند ذلك من أجوافها من البخار الردي وينفصل
من عيونها من الأمور المفسدة التي اذاخالط طبائع الانسان نقضتها وقد روى مثل ذلك
عن الثوري عن سماك بن حرب عن ابن عباس أنه قال على منبر البصرة إن الكلاب من
الحن وان الحن من ضعفة الجن فاذاغشيك منهاشيء فأطردوها فان لها أنفوس سوء، ولذلك
كانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والاشربة على رؤسهم وهم يأكلون مخافة النفس والعين
وكانوا يأمررون بأشباعهم قبل ان يأكلوا وكانوا يقولون في السنور والكلب إما ان
تطرده قبل ان تأكل وأما ان تشغله بشيء يأكله ولو بعظم ورأيت بعض الحكماء
وقد سقطت من يده لقمة فرفع رأسه فاذا عين غلامه تحمق نحو لقمته واذا الغلام
يزدرد ريقه لتعاب فيه من الشهوة وكان ذلك الحكيم جيد اللقم طيب الطعام يضيق
على غلامه فيزعمون ان نفوس السباع وأعينها في هذا الباب أردى وأخبث وبين هذا
المعنى وبين قولهم في اصابة العين الشيء العجيب المستحسن شركة وقراءة وذلك انهم
قالوا قد رأينا رجالا لا ينسب ذلك اليهم وفيهم من اصابه العين مقدار من العدد لا نستطيع
ان نجعل ذلك النسق من باب الاتفاق وايس الى رد الخبر سبيل لمواترته ومرادفته
ولان العيان قد حقه والتجربة قد ضمت اليه وفي الحديث المأثور في العين التي
أصابت سهل بن حنيف فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بالذي أمر وذلك
مشهور وقالوا لولا فاصل ينفصل من عين المستحسن الى بدن المستحسن حتى يكون
ذلك الداخل عليه هو الناقص لقوادما جاز أن يلقى المكروه من انسان في خيره وموضعه
من غير تماس ولا تصادم ولا مناضل ولا عامل لا في معموله ولا يجوز أن يكون
المقتل بعد صحة معنى بدنه ولا تنقض الاخلاط ولا تنزائل الا لأمر يعرض لانه
حينئذ يكون ليس بأولى بالانتقاص من جسم آخر وان جاز للصحيح ان يقتل من غير
حادث جاز للعليل أن يبرء من غير حادث وكذلك القول في الحركة والسكون واذا

جاز ذلك كان الغائب قياساً على الحاضر الذي لم يدخل عليه شيء من مستحسن له فإذا
 كان لا بد من معنى قد عمل فيه فليس لذلك المعنى وجه إلا أن يكون انفصل إليه شيء
 عمل فيه والا فكيف يجوز أن يعتل من ذات نفسه وهو على سلامته وتام قوته ولم يتغير
 ولم يحدث عليه ما يغيره فهو جسم ثابت في السلامة من الاعراض سواء وهذا جواب
 المتكلمين جامماً لا قطار الكلام. متمكناً في الصنعة يصاح للرياسة حتى يكون الذي
 يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلاسفة والمعلم عندنا هو الذي
 يجمعهما والمصيب الذي يجمع بين تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع حقائقها من الاعمال
 ومن زعم أن التوحيد لا يصح إلا بإبطال حقائق الطبائع فقد حمل عبزه على الكلام في
 التوحيد وكذلك إذا زعم أن الطبائع لا تصح إذا قررتها بالتوحيد ومن قال فقد حمل
 عبزه على الكلام في الطبائع وإنما يأنس منك المالح إذا لم ير عك التوقيع على التوحيد إلى
 تحسن حقوق الطبائع لأن في رفع أعمالها رفع أعيانها وإذا كانت الاعمال الدالة
 على ذلك قد دفعت الدلائل فقد أبطلت المدلول عليه وامرئى أن في الجمع
 بينهما بعض الشدة وأنا أعوذ بالله تعالى أن أكون كلما غمز فتانى باب من الكلام
 صعب المدخل نقضت ركناً من أركان مقالتى ومن كان كذلك لم ينتفع به فإن قال
 قائل وما بلغ من أمر هذا الفاضل الذى لا يشمر به التوم الحضور ولا الذى انفصل
 منه ولا المار بينهما المتقى له بيده و ليس دونه شيء وكيف لم يعمل فى الاقرب دون
 الأبعد والاقرب إنسان مثله وامله أن يكون طبعه أشد اجتذاباً الآفات وبمد فكيف
 يكون شيء يصرع الصحيح ويضعف القائم وينقض القوى ويمرض الاصحاء ويصدع
 الصخر ويهشم العظم ويقل الثور ويهدى السمار ويجرى فى الجراد مجرد فى النبات ويجرى
 فى الموات مجرد فى الحيوان ويجرى فى الصلابة والملاسة جريه فى الاشياء السخيفة الرخوة
 وهو مما ليس له صدم كصدم الحجر أو غرب كغرب السيف أو حد كحد السنان وليس
 من جنس السم وليس من جنس الغذاء فيحمل على نفوذ الغذاء وليس من جنس السحر
 فيقال إن المار عملوا ذلك من طريق طاعتهم للمزائم فاعل ذلك إنما كان شيئاً وافق

شيثاً قيل لهم قد تعلمون كيف مقدار سم الجرادة أو سم الأفعى وكيف لو وزنتم الجرادة قبل لسعها وبعده لو جدمتموها على حال واحدة وأنت ترى كيف تفسخ عتد بدن الفيل وكيف تنقص قوى البعير من غير صدم الحجر أو حد حكد السنان فان قات وهل ناب الافعي وإبرة العقرب إلا في سبيل حد السنان فلنا إن البعير لو كان انما يفسخ الطعن العقرب بإبرتها لما كان ذلك لا يبلغ منها مقدار التحسن فقط ولكنه لا بد أن يكون ذلك لأحد أمرين إما أن تمج العقرب فيه شيئاً من إبرتها فيكون طبع ذلك السم كالصل والزندبيل وإما أن يكون طبع ذلك الدم اذا لاقاه طبع ذلك الناب وتلك الابرة أن يحمل فيقتل بالاجاد أو يذيب فيقتل بالاذابة فأيهما كان فان الأمر على ما صدرتم به المسألة ولا تنازع بين الاعراب والاعراب ناس إنما وضعوا بيوتهم وسط السباع والاحناش والهمج فهم ليس يعبرون إلا بها ولا يعرفون سواها وقد أجمعوا ان الافعي اذا هرمت لم تطعم ولا يبقى في فهادم وانها تنكز بانفها ولا تطعن به ولا تعض فيها فيبلغ النكز بها ما كان يبلغ قبل ذلك اللدغ وهل عندنا في ذلك الا تكذيبهم والرجوع الى الفاصل الذي أنكرتموه لان أحداً لا يموت من تلك النخسة وان كان ليس هناك أكثر من تلك الغمزة وقال العجاج أو ابنه رؤبة

كنتم كمن أدخل في حجر يدا * فاخطا الافعي ولاقى الاسودا

ثم قال * بالشم الا بالسم منه أقصدا * وقال الآخر

أصم ماشم من خضراء أيسها * أو مس من حجر أو هاه فانصدعا

وقد حدثني الاصمعي بفرق ما بين النكز وغيره عند الاعراب وههنا أمثال نضربها وأمور قد عاينتموها يذال بها المعنى عندهم ويسهل بها المدخل قولوا لنا ما بال المعجين يكون في أقصى الدار ويقلق انسان بطبخه في أدنى الدار فلا يفسح ذلك المعجين أبداً ولا يحتمر فما ذلك الفصل وكيف يقولون يصدم ذلك كصدم الحجر أو يغرب كغرب السيف وكيف لم يعرض ذلك الفساد في كل معجون هو أقرب اليه من ذلك المعجين وعلى ان نكز الحية التي تصف الشعراء بان المنكوز

ميت لا محالة في سبيل ما حدثني به حذاق الاطباء ان الرجل يصيب الحية من دواهي الحيات بمصاة فيموت الضارب لانهم يرون ان شيئاً فصل من الحية تجرى فيها حتى داخل الضارب فقتله والاطباء أيضا والنصارى اجراء على دفع الرؤيا والمين وهذه الغرائب التي تحكى عن الحيات وصرع الشيطان الانسان من غيرهم فاما الدهرية فنكرة للشياطين والجن والملائكة والرؤيا والرقى وهم يرون ان امرهم لا يتم لهم الا بتشاركة اصحاب الجهات وقد نجد الرجل يتنفخ شحم الحنظل وبينه وبين صاحبه مسافة سالحة فيجد في حلقه حرارة الحنظل وكذلك السوس اذا عولج به وبينه وبين الاسنان مسافة متوسطة نجد في حلقه حلاوة السوس وناصف الحنظل لا تزال عينه تهمل مادام ينقته ولذلك قال أبو عبيدة وهو الذي يقول^(١)

كأني غداة البين يوم تحملوا * لدى سمرات الحى نافف حنظل

يخبر عن بكائه ويصف درود متهمة في اثر الحمول فشمه بنافف الحنظل ذكره امرؤ القيس في شعره

عوجا على الطال الخيل لعلنا * نبكي الديار كما يبكي ابن حذام

ويزعمون أنه أول من بكى في الديار وقد نجد الرجل يقطع البصل ويكسر

الخروب فتدمع عيناه ونظر الانسان يديم النظر في العين الحمرة فتعتري عينه حمرة

والعرب تقول لهو اعدى من الثوباء كما تقول لهو اعدى من الجرب وذلك ان من

تشاب مرارا وهو تجاه عين انسان اعتري ذلك الانسان الثناؤب ورأيت ناسا من

الاطباء وهم فلاسفة المتكلمين منهم معمر ومحمد بن الجهم وابراهيم بن السندي يكرهون

دنيا الطامث من اناء الابن المسوطه أو تعالج منه شيئاً فكأنهم يرون ان لبدنها مادام

ذلك المرض يعرض ابارئحة لها حدة وبخار غايظ يكون لذلك المسوط مفسدا

ولا تبعدن هذا من فلبك تباعدا يدعوك الى انكاره والى تكذيب أهله فان آيت

الانكار ذلك فما تقول في فرس تحسن تحت صاحبه وهو في وسط موكبه وغبار

الموكب قد حال بين استبانته بعضهم لبعض وليس في الموكب حجر ولا رمكة فإلتفت

صاحب الحصان فيرى حجرا او رمكة على قاب عرض او عرضين او غلوة او غلوتين
حدثني كيف شم هذا الفرس تلك الفرس الانثى وما باله يدخل دارا من الدور وفي
الدار الاخرى ذكر فيتخصى مع دخوله من غير معاينة وسماع صهيل وهذا الباب
سيمقع في موضعه ان شاء الله تعالى وقال ابو سعيد عبد الملك بن قريش كان عندنا رجلان
يعينان الناس فمر أحدهما بحوض من حجارة فقال تالله ما رأيت كما يوم قط فبطل الحوض
فرقتين فأخذاه أهله فضيبود بالحديد فرأيه نائية فقال وأيك لقل ما اضرت
اهلك فيك فتطائر اربع فرق قال وأما الآخر فإنه سمع صوت بول وراء حائط فقال
انه اين الشخب فقالوا له انه فلان ابنك قال وانقطع ظهرا الله قالوا له لا بأس عليك
قال لا يبول والله بعد ما ابدأ قال فما بال حتى مات قال لأصممي ورأيت ان ارجلا
عيونا يدعي عليه بقود قال اذا رأيت الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني
وقال وسمع بقرة تحاب فأعجبه صوت شخبها فقال آيتهن هذه تخافوا عينه فقالوا الفلانية
الأخرى ورواها عنها فهلكتنا جميعا المورى بها والمورى عنها وقد جعل الناس كما ترى
على العين مالا يجوز ومالا يسوغ في كتاب من المجازات وقول الذى عان اذا رأيت
الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني من أعظم الحجيج في الفاصل من صاحب العين
الى المعين قال ويقال ان فلانا لعينون اذا كان يستشرف للناس ليصيبهم بعين ويقال
عنت فلانا أعينه عينا اذا أصبته بعين ورجل معين ومعيون اذا أصبته بالعين وقال
عباس بن مرداس

قد كان قومك يحسبونك سيداً * واخاك أنك سيد معيون
ويقال للعيون إنه لنفوس وما أنفسه أي ما أشد عينه وقد أصابته نفس او عين
وأما قول القائل ان من أؤم الكلب وغدره أن اللص اذا أراد دار أهله أطم الكلب
الذى يحرسهم قبل ذلك مرارا ليلاً ونهاراً ودنا منه ومسح ظهره حتى يثبت صورته
فاذا أتاه ليلاً أطم اليه الدار بما فيها فان هذا التأويل لا يكون إلا من نتيجة سوء
الرأى فان سوء الرأى يصور لأهله الباطل في صورة الحق وفيه بعض الظلم للكلب

وبعض المعاندة للمحتج عن السكاب وقد ثبت للسكاب استحقاق المدح من حيث
أراد أن يهجو منه فإن كان السكاب لفرط الغم وشكره كف عن اللص عند ذكر
احسانه وأثبت صورته فمأكثر من يفرط عليه الحياء حتى ينسب إلى الضعف والكره
وحتى ينسب إلى الغفلة وربما شاب الرجل بعض الفطنة ببعض التغافل ليكون أتم لكرمه
فإن الفطنة إذا تمت منعت من أمور كثيرة ما لم يكن الخيم كرتياً والعرق سايماً وإنك
أيها المتأول حين تكاف السكاب مع ما قد عجل إليه اللص من اللطف والاحسان أن
يتذكر نعمة سالفة وأن يحترس من خديعة المحسن إليه مخافة أن يكون يريد باكرامه
سوء لحسن الرأي فيه بعيد الغاية في تفضيله ولو كان للسكاب آلة يعرف بها عواقب
الأمور وحوادث الدهور وكان يوازن بين عواجلها وأوجابها وكان يعرف مصادرها
ومواردها ويختار أنقص الشرين وأتم الخيرين ويتثبت في الأمور ويخاف الغيب
ويأخذ بحجة ويعرف الحجة من الشبهة والثقة من الريبة ويتثبت في العلة ويخاف زيع
الهوى وسرف الطبيعة لكان من كبار المكافين ومن رؤس الممتحنين والمادة القائمة
والسن الذي لا يخطي ولا يغادر النظام الذي لا ينقطع ولا يختلط في ذوى التمكين
والاستطاعة وفي ذوى العقول والمعرفة إن أبدانهم متى أحست بأصناف المكروه
والحجوب وازنوا وقابلوا وغيروا وميزوا بين أتم الخيرين وأنقص الشرين ووصلوا كل
مضرة ومنفعة في العاجل والآجل وتبعوا مواقعها وتدبروا مساقطها كما يعرفوا
أوزانها واختاروا بمد ذلك أتم الخيرين وأنقص الشرين فأما الشر صرفاً والخير
محصلاً فانهم لا يتوقفون عندهما ولا يتكافون الموازنة بينهما وإنما ينتظرون في المكروه
وفي بعض ما يخشى في معارضته ولا يوثق بهراه وبمكتشفه فيحملهونه على خلاص
الذهن كما يحمل الذهب على الكير وأما ذوات الطبايع المسخرة والغريزة الجهولة إنما
تعمل من جهة التسخير والتنبيه كالسم الذي يقتل بالكمية ولا يغذو كالغذاء الذي يغذو
ويقتل بالمجازاة بمقدار الاحتمال وإن هياً الله عز وجل أصناف الحيوان المسخرة لدرء
مآلاته العقول اللطيفة بأفئته بغير معاناة ولا روية ولا توقف ولا خوف من عاقبة

ومتى تقدمت أهل العقول المبسوطة المتمكنة بطلوعها المقصورة غير المبسوطة لم
يتمكنها أن تعرف من تلك الطبيعة ما كان موازياً لتلك الأمور بديهية ولا فكرة وإذا كانت
كذلك فليس بواجب أن تكون كلما أحسنت أمراً أمكنها أن تحسن ما كان في وزنه
في الغموض والالطاف وفي الصنعة التي لا تمكن الابحس التاني ويعد الروية
وبمقابلة الأمور بعضها ببعض وهذا الفن لا يسان إلا عند من جهته العقل ويمكنه
لاستدلال والكف عنه والقطع له إذا شاء وباتمامه إذا شاء وبالوغ غايته والانصراف
عنه الى عقبيه من الافعال ومن جهته تعرف العال ويمكنه اكراد نفسه على المقاييس
والتكاف والتاني ومتى كانت الآلة موجودة فانها تنبيك على مكانها والا كان وجودها
كعدمها وبأحسن الفرزي تشعر صاحبها بمكانها لا يحتاج في ذلك الى تلقين وإشارة
والى تعليم وتأديب وان كان صاحب الآلة أحمق من الحبارى وأجهل من العقرب
والعافل الممكن لا يفضل في هذا المكان على الاشياء المسخرة ولا ينفصل منها في
هذا الباب وليس عند البهائم والسباع الا ما صنعت له ونصبت عليه وألهمت معرفته
وكيفية تكلف أسبابها والتعلم لها من تلقاء نفسها فاذا أحسن العنكبوت نسج ثوبه
وهو من أعجب العجب لم يحسن عمل بيت الزبور واذا صنع النحل خلاياه مع عجب
القسمة التي فيها لم يحسن أن يعمل مثل بيت العنكبوت والسرفرة التي يقال أصنع من
سرفرة لا يحسن أن يبني مثل بيت الأرضة على جناء هذا العمل وغلظه ودقة ذلك
العمل ولطافته وليس كذلك العافل وصاحب التمييز ومن ملك التصرف وحول
الاستطاعة لانه يكون ليس بنجار فيتعلم النجارة وله بعد الحدق الانتقال الى الفلاحة
ثم ربما ملها بعد أن حدقها وصار الى التجارة وقال صاحب الكلب وزعمت أن قولهم
أسمع من لافظة ان اللافظة لديك لانه يعرض على الحبة بطرفي منقاره ثم يحذف بها
قدام الدجاجة وما رأينا أحداً من العلماء ومن الذين رووا هذا المثل يقول ذلك والناس
في هذا المثل رجلان زعم أحدهما أن اللافظة العنز لأن العنز ترعى في روضة وتأكل
من معلقها وهي جائمة فيدعوها الراعي وصاحبها باسمها الى الحلب فتترك ما هي فيه

حتى تنهك حباً وقال الآخر اللافظة الرحي لانها لا تمسك في جوفها شيئاً مما صار في بطنها وكيف تكون اللافظة الديك وايس لنا أن نالحق في هذه الكلمة ناه التأنيث في الاسماء المذكورة واللافظة مع هاء التأنيث أشبه بالعنز والرحي وإنما سمينا الجمل راوية وحامل العلم راوية وعلامة حين احتج أهل اللغة على ذلك ولا يختلفوا فيه وكيف ولا اختلاف بينهم ان الديك خارج من هذا التأويل وإن اختلافهم بين العنز والرحي وبعد فقد زعم ثمامة بن أثرس رحمه الله تعالى أن ديكته مرو تطرد الدجاج عن الحب وتنزع الحب من أفواه الدجاج وقال صاحب الديك قولهم أسمع من لافظة لا يلبق بالرحي لان الرحي صخرة صماء والذي يخرج مافي بطنها المدبر لها والعرب انما تمدح بهذه الاسماء الانسان وما جرى مجراه في الوجود الكثرية ليكون ذلك مشجدة للاذهاب وداعية الى السباق وبلوغ الغايات وأما ترك الشاة للعلف فليس بالفظ للعلف الا أن يحملوا ذلك على المجازات البعيدة وقد يكون ذلك عند بعض الضرورة والشاة ترضع من خلفها حتى تأتي على أقصى ابن في ضرعها وتثر العلف وتقب المحب وتنطح من قام عليها وأما ما بغذائها وهي من أموق البهائم وزوجها شميم الحيا منتن الريح يبول في جوف فيه وفي حلق خياشيمه وتقول العرب ما هو الا تيس في سفينة اذا أرادوا به الغباوة وما هو الا تيس اذا أرادوا به نتن الريح والعنز خرقاء وأبوها وهو التيس أخرق منها وأمر الديك وشأنه كيف يلفظ ما قد صار في منقاره وكيف يؤثر به طروفته من ذات نفسه شيء يراه الناس ويراه جميع العباد وهذه المكرومة وهذا التعزل وهذا الايثار شيء يراه الناس لم يكن في ذكر قط ممن يزواج الا الديك والديك أحق بهذا المثل فان كنتم قد صدقتم على العرب في تأويل هذا المثل فهذا غلط من العرب وعصبية للبن وعشق الدقيق والمثل انما يلفظ به رجل من الاعراب وليس الاعرابي بقدوة الا في الجر والنصب والرفع وفي الاسماء وأما غير ذلك فقد يخفى فيه ويصيب فالديك أحق بهذا المثل الذي ذكرنا وسائر خصاله الشريفة والذي يدل على ان هذا الفعل في الديك انما هو من جهة الغزل لا غير وانه لا يفعل

ذلك اذا هريم وعجز عن السناد وانصرفت رغبته عنهم وهو في أيام شبابه انهم وأحرص على المأكل وأضن على الحب فماله لم يؤثرهن به عند زهدد ويؤثرهن عند رغبته وما باله لم يفعل ذلك وهو فروج صغير وصنع ذلك حين أطاق السناد فتركه لذلك في العجز عنهم وبذله في الاوقات القوت عليهن دلائل على ذلك قلنا وهذا بين لا يردده الا جاهل أو معاند وقال صاحب الكلب لسنا ننكر خصال الديك ومناقبه من الاخبار المحموده ولولا ذلك ما مثلنا بينه وبين الكلب ومن يمثل بين العسل والخل في وجه الحلاوة والحوضه وكيف يفضل شيء على شيء وليس في المفضل شيء من الفضل والذي قاتم من قذفه الحب قدام الدجاج صحيح وليس هذا الذي انكرنا وانما انكرنا موضع المثل الذي صرفتموه الى محبتكم وتركتم ما زال الناس يقلدونهم الشاهد والمثل وان جاز لكم ان تردوا عليهم هذا المثل جاز لكل من كرهه مثلاً أو شاهدا ان يرد عليهم كما ردتم وفي ذلك افساد أمر العرب كله فان زعمت ان الديك كان أحق به خصوصاً ككثير ولسنا نحيط بأوائل كلامهم على أي مقادير كانوا يضعونها ومن أي شيء اشتقوها وكيف كان السب ورب شيء انكرناه فاذا عرفنا سببه أقررنا به وقال الحسن مر اياس بن معاوية بديك ينقر حباً ولا يفرقه فقال ينبغي ان يكون هريماً وان الحرم اذا التى له الحب لم يفرقه ليجتمع الدجاج حوله والحرم قد فئيت رغبته فيهن فليس همه الا نفسه ورووا عنه انه قال اللافظة الديك الشاب وانه يأخذ الحبة يؤثر بها الدجاج والحرم لا يفعل ذلك وانما هو لا فظة ما دام شاباً وقال صاحب الكلب وذكر ابن سيرين عن أبي هريرة ان كلباً مر بامرأة وهو يلهث عند بئر فنزعت خفيها فسقته فغفر الله تعالى لها وعنه قال غفر الله لبعثي أو المؤمنة مر بها كلب فنزعت خفيها فسقته وقال صاحب الكلب وقال ابن راحة ضرب ناس من السلطان جارا لهم ولبيوه وسحبوه وجروده وله كلب قد رباه فلم يزل ينبح عليهم ويشقق ثيابهم ولولا ان المضروب المسحوب كان يكفه ويزجره لقد كان عقر بعضهم أو منعه منهم قال ابراهيم النظام قدمتم السنور على الكلب ورويت ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب واستحياء السنائر وتقريرها

وربدها كقوله عندم - أله عنها انهن من الطوافات عليكم وكل منعمة عند السنور انما هي أكل الفأر فقط وعلى انكم فلما تجدون سنوراً يطاب الفأر فان كان مما يطاب ويأكل الفأر ولم يمدمكم ان يأكل حمامكم وفراخكم والمصافير التي يتلمى بها أولادكم والبطائر يتخذ حسنه وحسن صوته والذي لا بد منه الوثوب على صفار الفرار يبيع فان هو عفا عن أموالكم لم يعف عن أموال جيرانكم ومنافع الكلاب لا يخصصها الطوامير والسنور مع ذلك يأكل الاوزاع والمقارب والخنافيس وبنات وردان والحيات ودخالات الاذان والفار والجرذان وكل خبيثة وكل ذات سم وكل شيء تعافه النفس ثم فاقم في - مؤر السنور ومؤر الكلاب ما فاقم ثم لم ترضوا به حتى أضفتوه الى نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا رحم الله ابراهيم النظام ولا من قال بقوله ولا يشك الناس ان ايس في السباع أطيب أفواها من الكلاب وكذلك كل انسان سائل الريق سائل اللعاب والخلوف لا يعرض للمجانين الذين تسيل أفواهم ومن كان لا يعتربه الخلوف فهو من البخر أبعد وكان أن طول انطباق الفم يورث الخلوف فكثرة تحب الافواه بالريق تنفي الخلوف وحتى ان من سال فوه من اللعاب فاما فضوا له بالسلامة من فيه وان استنكهوه مع أشباهه وجدوه طيبا وان كان لا يقرب سواه كان على الريق وكذلك يقال ان أطيب الناس أفواها الزنج وان كانت لا تعرف سنوها سواها كما على ان الكلاب سبع وسباع الطير وذوات الاربع موصوفة بالبخر والذي يضرب به في ذلك المثل للأسد وقد ذكره محمد بن عبدل في هجائه محمد بن حسان فقال

فذكهته كذكهة اخدرى * شقيم شابك الاياب ورد

وقال بشار

وافسي من الظربان في ايلة الكرى * واخاف من صقر وان كان قد طم
يهجو بها حماد مجرد ويقال ايس في الهائم أطيب أفواها من الطباء وزعم علماء
البصريين وذكر أبو عبيدة النحوي وأبو اليقظان سحيم بن حفص وأبو الحسن المدائني

وذكر ذلك عن محمد بن حفص عن مسleme بن محارب وهو حديث مشهور في
 مشيخة أصحابنا من البصريين ان طاعونا جارفا جاء على أهل دار فلم يشاك أهل
 تلك المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير وقد كان فيها صبي يرتضع ويحبو ولا يقوم
 على رجله فعمد من بني من المطعونين من أهل تلك المحلة الى باب تلك الدار فسدده
 فلما كان بعد ذلك بأشهر تحول فيها بعض ورثة التوم ففتح الباب فلما أفضى الى عرصه
 الدار إذا هو بصبي يلعب مع أجراء كلبة وقد كانت لاهل الدار فراه ذلك فلم يلبث
 ان أقبت كلبة كانت لاهل الدار فلما رآها الصبي حبا اليها فأمكنته من أطبائها ففسها
 فظنوا أن الصبي لما بقي في الدار وصار منسياً واشتد جوعه ورأى أجرائها تستقي من
 أطبائها حبا اليها فعطفت عليه فلما سقته مرة أدامت ذلك له وأدام هو الضاب والذي
 لهم هذا المولود مص إبهامه ساعة يولد من بطن أمه ولم يعرف كيفية الارتضاع
 هو الذي هداه الى الارتضاع من أطباء الكلبة ولم تكن الهداية شيئاً معمولاً في
 طبيعته لما مص الإبهام وحامة الثدي فلما أفرط عليه الجوع واشتدت حاله وطابت
 نفسه وتلك الطبيعة فيه دعت تلك الطبيعة وتلك المعرفة الى الطلب والدنو فسبجان من
 دبر هذا وألهه وسواه ودل عليه ومثل هذا الحديث ما خبر به عن بابويه صاحب
 الحمام ولو سمعت بقصصه في كتاب اللصوص عامت أنه بعيد من الكذب والتزويد
 وقد رأته وجالسته ولم أسمع هذا الحديث منه ولكن حدثني به شيخ من مشايخ
 البصرة ومن النزول بحضرة مسجد محمد بن زغبان وقال بابويه كان عندى زوج
 حمام مقصوص وزوج حمام طيار وفرخان من فراخ الزوج الطيار قال وكان في العرفة
 ثقب في أعلاها وقد كنت جمعت قدام الكوة رقاً ليكون مستقماً لما يدخل ويخرج
 من الحمام فتمتدت في ذلك مخافة أن يعرض لي عارض فلا يكون للطيار منفذ
 للتكسب ولورود الماء فبينما أنا كذلك إذ جاءني رسول السلطان فوضعني في الحبس
 فنسيت قدر الزوج الطيار والفرخين وما لهما من الثمن وما فيهما من الكرم ومت من
 رحمة الزوج المقصوص وشغلني الاهتمام بها عن كثير مما أنا فيه ففقت أما الزوج الطيار

فأما يخرجان ويرجمان ويزقان وأما أن يسأما وأما أن يذها وأما أن يذها وقد كنت ربيتها حتى تحسناً وورداً فإذا شب الفرخان ونهض مع أبويهما وسقطا على المعلاة فاما أن يثبتا وأما أن يذها ولكن كيف يكون حال المقصوصين ومن أسوأ حالا منهما نخلي سبيلي بعد شهر فلم يكن لي هم إلا النظر الى ماخات خاني من الحمام وإذا الفرخان قد ثبتا وإذا ازوجان قد ثبتا وإذا الزوجان الطياران ثبتا على حالهما إلا أني رأيتهما زافين إذ علامة ذلك في موضع الغيب وفي القوطتين وفي أصول المناخير وفي عيونهما فقلت فيكيف يكونان زافين مع استغناء فرخيهما عنهما ولا أشك في موت المقصوصين ثم دخلت الغرفة فإذا هما على أفضل حال فاشتد تعجبي من ذلك فلم البث ان دنوا الى أفواه الزوج الكبار يصنمان كما يصنع الفرخ في طب الزق ورأيتهما حين زقاها فإذا هما لما اشتد جوعهما وكانا يربانهما يزقان المرخين ويريان المرخين كيف يستطمان ويستزقان حمهما الجوع وحب العيش وتاهب العطش وما في طبهما من الهداية على أن طلبا ما يطاب الفرخ فرقاها ثم صار الزق عادة في الطيار والاستطعام عادة في المقصوص ومن الحمام حمام يزق فراخه ولا يزق شيئاً من فراخ غيره وإن دنا منه مع فراخ غيره وشاكل فرخيه في السن واللون طردها ولم يزقها ومن الحمام ما يزق كل فرخ دنا منه كما أن من الحمام حمام لا يزق فراخه البتة حتى يموت وإنما تعظم البلية على الفرخ إذا كان الأب هو الذي لا يزق لأن الولادة وعامة الحضن والسكفل على الأم فإذا ظهر الولد فإماة الزق على الأب كأنه صاحب الميل والكاسب عليهم وكلام التي تلد وترضع وأعجب من هذا الطائر الذي يقال له كاسر العظام فإنه يبلغ من بر الفراخ كليهما بعد القيام بشأن فراخ نفسه أنه يماهد فرخ العقاب الثالث الذي تخرجه من عشها لأنه أشده وأرغب إدناً وأقرب قلباً وأسوء خافاً من أن يحتمل إطعام ثلاثة وهي مع ذلك سريرة الجزع فتخرج ما فضل عن فرخين فإذا أخرجته قبله كاسر العظام وأطعمه لأن العقاب من اللاتي تبيض ثلاث بيضات في أكثر حالاتها قال وغير رجل من بني اسد بأكل لحوم الكلاب وذهب الى قوله

يا فتعسى لم أكلته لمه * لو خافك الله عليه حرمه
* فما أكلت لحمه ولا دمه *

قال فقال الاعرابي اما علمت أن الشدة والشجاعة والبأس والقوة من الحيوان في ثلاثة أصناف العقاب في الهواء والنساح في ساكن الماء والاسد في ساكن الغياض وليس في الارض لحم أشهى الى التمساح ولا الى الاسد من لحم الكلب فان شاتم فعدوه عدواً لهما فانهما يأكلانه من طريق الغيظ وطب الثار وان شاتم فتولوا غير ذلك وبنو أسد أسد الغياش وأشبهه شئ بالأسد فلذلك تشبهي من اللجان أشباهها الى الأسد والدليل على أنهم أسد وفي طباع الأسد انك لو أحصيت جميع القتلى من سادات العرب وعن فرسانهم لو جدت شطرها أو قريباً من شطرها لبني أسد قالوا ثم بعد ذلك كاه إن الكلب لا يرضى بالنوم والربوض على بياض الطريق وعلى غفر التراب وهو يرى ظهر البساط ولا يرضى بالبساط وهو يجد الوسادة ولا يرضى بالمطرح دون مرافق المطرح فمن نبهه في نفسه أن يتخير أبداً أنبل موضع في المجلس وحيث يدعه رب المجلس صيانة له وبقاء عليه الا ان يتصور فيه من لا يجوز الا أن يكون صدره فلا يقصر الكلب دون أن يرقى عليه وقد كان في حجج معاوية في اتخاذ المتصورة بعد ضرب أياه بالسيف أنه أبصر كلباً على منبره هذا على ما طبع عليه من إكرام الرجل الجميل اللباس حتى لا ينجح عليه ان دنا من باب أهله مع الثوب على كل أسود وعلى كل رث الهيئة وعلى كل سفينة تشبه حاله حال أهل الرية ومن كبره وشدة تجبره وفرط حمايته وانفته واحتقاره انه متى نبح على رجل في الليل ولم يمنعه حارس ولم يمكنه الفوت فدواؤه عند الرجل انه لا ينجح منه إلا أن يقعد بين يديه مستخزياً مستسلماً وانه اذا رآه في تلك الحال دنا منه فذفر عليه ولم يهجه كأنه حين ظفر به وراه تحت قدرته انه يسمه بميسم ذل كما كانت العرب تجز نواصي الاسرى من الفرس ان ذ رامت أن تخلي سبيلها وتمن عليها ولو كلف العربي عن جز ناصيته نوسمه لأسير من الشعر والقوافي الخلدات البواقى التي هي أبهى من الميسم بما هو أضر عليه من جز

ناصيته ولعله لا يبلغ أهله حتى يستوي مع سائر شعر رأسه ولكن ذل الجزء لا يزال يلوح
 في وجهه ولا يزال له أثر في قلبه وذكر أن مطرف بن عبد الله كان يكره أن يقال
 لكاب الخسأ وما أشبه ذلك وفي دعائه على أصحاب الكاب الذي كان أربابه لا ينعونه
 من دخول مصلاه قال اللهم انعمهم بركة صيده دليل على حسن رايه فيه قالوا ومصر
 المسيح بن مريم في الحواريين بحيفة كاب فقال بعضهم ما أشد نتن ريحه قال فهلا
 قت ما شد بياض اسنانه قالوا وقال رجل لكاب خسأ ويالك فقال همام بن الحارث
 الويل لأهل النار والهراش الذي يجري بينها وهو شر يكون بين جميع الأجناس
 المنفقة كابرذون والبرذون والبعير والبعير والحمار والحمار وكذلك جميع الأجناس فأما الذي
 يفرط ويتم ذلك فيه ويتمتع ناس من الناس ويقع فيه الفهار ويتخذ لذلك وينفق عليه ويغالي به
 فالكاب والكاب والكبش والكبش والديك والديك والسمان والسمان فأما الجراد
 فانه لا يقتل الجراد حتى يشد رجل احدهما في طرف خيط ويشد الجراد الآخر
 بالطرف الآخر ويكون بينهما من المساراة والاتفات والعض والحش وارقة الدم
 وفري جلود ما لا يكون بين شيئين من الانواع التي يهارش بها والذي يحدث للجراد
 طبيعة القتال لرباط نفسه فان تقطع الخيط وانحل العتد اخذ هذا شرقا وهذا غربا
 ولم ياتفتا أبداً وذقبات جحرة الفأر وخلاهما الموضع فينهما شر طويل ولكنه
 لا يدو لوعيد والصخب ولا ياتقى منهما انان أبداً وحدثني ثمامة بن اشرس قال كان
 بنى في حبس جحر فأر وتقاءه جحر آخر فيرى لكل واحد منهما وعيداً وصباحاً
 ووثوباً حتى يظن أنهما سيقتلان ثم لا يحتجزان حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه فيينا
 كل واحد منهما في غابة ووعيد إذ مر هارباً حتى دخل جحره فما زال كذلك حتى
 أتى الله تعالى بانفراج وخلي سبيلي وزعم أن السلوقية الطويلة المناخر اجود شما والشم
 العجيب ولسن للضيف من ذلك إلا ان ذلك في طلب الذكور الاناث والاناث
 للذكور خاصة وما شتم لما كول وسترواح الطم فليسباع في ذلك ما ليس لغيرها وان
 الفأر يشم وان الذر وتتم ليشم وان السنابير تشم وكذلك الكاب وله في ذلك

فضيلة ولا يبلغ ما يبلغ الذئب وقال إعرابي
 كان أبو الصحيم من أربابها * صب عليه الله من ذئبها
 اطلس لا ينحاش من كلابها * يآهم الطائر في اهائها
 * في الجرية الاولى فلا مشى بها *
 الا تراه يجتهد في ذئب لا ينحاش من الكلاب

هـ باب ما يشبه بالكاب وليس هو منه هـ

واذا جرى الفرس المحجل شبهوا قوائمه بقوائم الكاب اذا ارتفعت في بطنه
 فيصير تحجيلها كأنه اكاب صغار تعدو كما قال العماني
 كأن تحت البطن منه اكابا * بيضاً صفاراً ينتهشن المنقبا
 وقال البدرى
 كأن أجراء كلاب بيض * دون صفاقيه الى التغريض
 وقال الآخر

كأن قطاً أو كلاباً أربعاً * دون صفاقيه اذا ما ضبعاً
 ويصفون الطلع اول ما يبدو صفاراً باذان الكلاب البيض وقال في ذلك الراجز
 أذنت جماراً على سحيمض * يخرج بهد النجم والتبميض
 * طاماً كآذان الكلاب البيض *
 ويوصف صوت الشخب في الاناء بهرير هراش الكلاب وقال إعرابي
 كأن خلفها اذاً ماهراً * جرو كلاب هورشاً فهراً
 وقال الآخر
 كأن صوت شخبها المسخنفر * بين الأباهيم وبين الخنصر
 * هراش اجراء ولما تنفر *

وقال أبو داود

طويل طامح الطرف * الى وهو هة الكاب

وزعم الهيثم بن عرابي قال كان رجل يسمى كلباً وكان له بني يلعب في الطير فيقال له رجل ابن من انت فقال ابن ووف ووف ووف ويحبون ان يكون ذنب الكاب الصائد يابساً ليس له من اللحم قليل ولا كثير ولذلك قال * تلوى باذئاب قليات اللحم
وقال الشاعر

اني وطاب ابن غلاق ليقر بني * كاطاب الكاب يعني الطارق في الذيب
الطارق الشحم اليسير يقال ليس به طرق ويقال ليس في الأرض فرخ ولا جرو
ولا شيء من الحيوان أسمن ولا أرطب ولا أطيّب من اجراء الكاب وهي أشبه شيء
بالحمّ فان فراخ الحمام أسمن شيء ما دامت صغاراً من غير ان تسمن فاذا بلغت لم تقبل
الشحم وكذلك اولاد الكلاب وقال الآخر

واغضف الأذن طلوى البطن مضطمر * لَوَ هُوَ رَدَمَ الخيشوم همرار
الاصمعي قال قال اعرابي أصابنا سنة شديدة ثم أعنتها سنة تتابع فيها الامطار
فسمت الماشية وكثرت الالبان والاسمان فسمن ولدان الحي حتى كان است أحدهم
جرو تمطى أبو الحسن قال قال أبو العباس أمير المؤمنين لابي دلامة سل قال كلباً قال
ويلاك ما تصنع بالكاب قال قلت أصيد به قال فلك كلب قال ودابة قال ودابة قال وغلاما
يركب الدابة ويصيد قال وغلاماً قال وجارية قال وجارية قال يا أمير المؤمنين كلب وغلام
وجارية ودابة هؤلاء عيال ولا بد من دار قال ودار قال ولا بد لهؤلاء من غلة ضيمة
قال أقطعك مائة جريب عامرة ومائة جريب عامرة قال وأي شيء العامرة قال ليس
فيها نبات قال إنا أقطعك خمسمائة جريب من فيافي بني أسد عامرة قال قد جمعنا لك
المائتين عامرتين كما هم قال أبقى لك شيء قال نعم اقبل يدك قال أما هذه فدعها قال
ما نمت عيالي شيئاً أهون عليهم فتد امنه أبو الحسن عن أبي مریم قال كان عندنا بالمدينة
رجل قد كثر عليه الدين حتى توارى من غرمائة ولزم منزله فأناه غريم له عليه شيء
يسير فتألف حتى وصل اليه فقال له ما تجعل لي ان أنا دللتك على حيلة تصير بها الي

الظهور والسلامة من غرمائك قال أفضيك حقتك وأزيدك مما عندي مما تقر به عينك فتوثق منه بالآيمان فقال له اذا كان غدا قبل الصلاة مر خادمك يكنس بابك وفناءك ويرش وبيسط على دكانك حمرأً ويضع لك متكأ ثم امهل حتى يصبح ويمر الناس ثم تجلس وكل من يمر عليك ويسلم انبج له في وجهه ولا تزيدن على النباح أحداً كائناً من كان ومن كلك من أهلك أو خدمك أو من غيرهم أو غريم أو غيره حتى تصير الى الوالي فاذا كلك فانبج له واياك أن يزيده أو غيره على النباح فان الوالي اذا أيقن ان ذلك منك جسد لم يشك انه قد عرض لك عارض من مس فيخلى عنك ولا يفرى عليك قال ففعل ثم به بعض جيرانه فسلم عليه فنبح في وجهه ثم مر آخر ففعل مثل ذلك حتى تسامع غرماؤه فأناه بعضهم فسلم عليه فلم يزد على النباح ثم آخر فتعلقوا به فرفعوه الى الوالي فسأله الوالي فلم يزد على النباح فرفعه معهم الى القاضي فلم يزد على ذلك فأمر بحبسه أياماً وجعل عليه العيون وملك نفسه وجعل لا ينطق بحرف سوى النباح فلما رأى القاضي ذلك أمر باخراجه ووضع عليه العيون في منزله وجعل لا ينطق بحرف الا النباح فلما تقرر ذلك عند القاضي أمر غرماءه بالكف عنه وقال هذا رجل به لم فكشيت ما شاء الله تعالى ثم ان غريمه الذي كان علمه الحيلة أنه متقاضياً لمدته فلما كلمه جعل لا يزيد على النباح فقال له ويلك يا فلان وعلي أيضاً وأنا علمت ان هذه الحيلة فجعل لا يزيد على النباح فلما يئس منه انصرف يأساً مما يطالبه به قال أبو الحسن عن سلمة بن خطاب الازدي قال لما تشاغل عبد الملك بن مروان بمحاربة مصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم فقالوا له قد أمكنتك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم مع بعض لوقوع بأسهم بينهم فالرأى لك ان تغزوه الى بلادهم فانك ان فعلت ذلك بهم نلت حاجتك فلا تدعهم حتى تنقضى الحرب التي بينهم فيجتمعوا عليك فهام عن ذلك وخطأ رأيهم فأبوا عليه الا ان يغزوا العرب في بلادهم فلما رأى ذلك منهم أمر بكليين فخرش بينهما فافتتلا قتالا شديداً ثم دعا بشعب نخلاء فلما رأى الكلبيان الشعب تركا ما كانا فيه وأقبلوا عليه حتى قتلاه فقال ملك الروم كيف ترون

هكذا العرب تقتتل بينها فاذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا فمرفوا صدقه ورجعوا
عن رأيهم قال وقال المغيرة لرجل خاصم اليه صديقاً له وكان الصديق توعده بصداقة
المغيرة فاعامه الرجل ذلك وقال ان هذا يتوعدني بمعرفتك اياه وزعم انها تنفعه عندك
قال أجل انها والله لتنفع وانها لتنفع عند الكلب المتور فاذا كان الكلب العقور كذلك
فما ظنك بميره وأنت لا تصيب من الناس من تنفع عنده المعرفة من الف واحد وهذا
الكرم في الكلاب عام والكلاب يحرس ربه ويحمي حريمه شاهداً وغائباً وذاكراً وغافلاً
ونائماً ويقظان ولا يقصر عن ذلك وان جنوه ولا يخذلهم وان خذلود والكلاب أيقظ
الحيوان عينا في وقت حاجتهم الى النوم وانما نومه نهاراً عند استغنائهم عن حراسة ثم لا
ينام الا غراراً والا غشاشاً وأناب ما يكون النوم عليه وأشد اسكاراله ان يكون
كما قال رؤبة * لايت مطالاً كنعاس الكلب * يعني بذلك القرمطة في المواعيد
وكذلك فانه أنوم ما يكون ان يفتح عينه بقدر ما يكفيه للحراسة وذلك ساعة وهو في
هذا كله أسمع من فرس وأحذر من عمق مع بعد صوته وقيل لرجل من العرب ما
الجمال فقال غوور العينين واشراف الحاجبين ورحب الأشداق وبمد الصوت
هذا مع قلة السامة والصبر على الجفوة واحتمال الجراحات الشداد وجوائف الطعام
ونوافذ السهام واذانله ذلك لم يزل ينظفه بريقه لمعرفته بان ذلك هو داوؤه حتى يبرء
لا يحتاج الى طيب ولا الى مرهم ولا الى علاج وتقول العرب الضب أطول شيئاً ذمماً
والكلب أعجب في ذلك منه وانما عجبوا من الضب لانه يغير ايلته مذبوها منفرى الأوداج
ساكن الحركة حتى اذا قرب من النار تحرك كأنهم يظنون انه قد كان حياً وان كان
في الميتم ميتاً والافعي يبق أياماً تحرك فاما الذي يمتريه الاختلاج بعد جموده
ليسلة فاحم البقر والجزر تختلج وهي على المعاليق اختلاجاً شديداً والحية يقطع ثنها
الأسنل فتعيش وينبت ذلك المقطوع قال والكلب أشد الاشياء التي تعيش على الجراح
التي لا يعيش عليها شيء الا الكلب والحنزير والخنفساء والكلب أشد الاشياء فكاً
وأرهنها ناباً وأخيبها فما وأكثرها ريقاً يرمي بالعميم المدمج فيعلم بالفريزة انه ان

عضه رضه وان باعه استمرأه وهو الوف للناس مشارك من هذا الموضع المصافير والخطاطيف
والحمم والسنانير بل يزيد على ذلك في باب الخاص وفي باب العام فاما باب الخاص فان
من الحمم من هو طوراني وحشى ومنه ما هو آف أهلي والخطاف من القواطع غير
الأوابد اذا قطع الى الأنس لم يبين بيته الا في أبعاد المواضع من حيث لا تناله أيديهم
فهو مقسوم على بلاده وبلاد من اضطرته اليه الحاجة والمصافير تكون في القرب
حيث تمتنع منهم في أنفسهم والكلاب مخالطة لها ملابسة ليس منها وحشى وكلها أهلي
وليس من القواطع من الأوابد ما يكون آنس بالناس من كثير مما يوصف بالانس
والالف من الناس دون سواهم وفي السنانير الوحشية والاهلية وعلى ان الف الكلاب
فوق الف الانسان الألو ق وهو في الكلاب أغرب منه في الحمم والمصنور لانه سبع
والحمم بهيمة والسبع بالسباع أشبه فتركها ولم يناسبها ورغب عنها وكيف وهو يصيد
الوحوش ويمنع جميع السباع الا فساد فذلك أحمد له وأوجب لشكره ثم يصير في كثير
من حالاته آنس بالناس منه بالكلاب ذنية وقصره ٢ ولا تراه يلاعب كلباً ما دام
انسان يلاعبه ثم لم يرض بهذه القرابة وهذه المشاكلة وبمقدار ما عليه من طباع
الخطاف والحمم والمصنور وبمقدار ما فضأها الله تعالى به من الانس حتى صار الى غاية
المنافع سلماً والى أكثر المرافق لحارس الناس ولحارس أموالهم بد من كلب وكلما كان
أكثر كان أحب اليه ولا بد لأقاطيع المواشي من الكلاب والافانها نهب للذئاب
ولغير الذئاب ثم كلاب الصيد حتى كان أكثر أهل البيت عيالاً على كل كلب وقد
صار اليوم عند الكلاب من الحكايات وقبول التلقين وحسن التصريف في أصناف اللعب
وفي فطن الحكايات وفي الجوارح المذلة لذلك المصروفة فيه ما ليس عند الأدب والقرود
والفيل والغنم المكية والبيغا والكلب الزيني الصيني يسرج على رأسه ساعات كثيرة من
الليل فلا يتحرك وقد كان في بني ضبة كلب زيني صيني يسرج على رأسه فلا نابض فيه
نابض ويدعونه باسمه ويرمي اليه ببضعة لحم والمرجة على رأسه فلا يتميل ولا يتحرك
حتى يكون القوم هم الذين يأخذون المصباح من رأسه فاذا ازيل رأسه وثب على اللحم

فأكله درّ ب فدرّب وثقّف فثقف وأدب فقبيل وتعاق في رقبتة الزنبلة والدوخلة وتوضع فيها رقعة ثم يمضى الى البقال ويحجى بالحوائج ثم صار القراد وصاحب ٢ الرياح ثم يستخرج فيما بين الكلب والقرد ضرباً من العمل واشكالاً من الفطن حتى صاروا يطحنون عليه فاذا فرغ من طحنه مضوا به الى النعمك فينعمك كما ينعمك حمار المكاري وبغفل الطحان وقراءة أخرى بينه وبين الانسان انه ليس شيء من الحيوان لذكركه حجم باد الا الكلب والانسان والكلب بعد هذا أصبح من حية ولا يتعاق به في ذلك الثور وذلك فضيلة له على القرد مع كثرة فطن القرد وتشبهه بالانسان لان كل حيوان في الأرض فانه اذا اتى في الماء الغمر سبح الا القرد والفرس الأعسر والكلاب أسبجها كلها حتى انه لا يتقدم في ذلك على البقرة والحية وفي طباع ارحام الكلاب أعجوبة لانها تلتح من اجناس غير الكلاب ويلتحمها كما يلتحم منها وتلتحم من كلاب مختلفة الالوان فؤدى شبه كل كلب وتمتلى ارحامها اجراء من سفاد كلب ومن مرة واحدة كما تمتلى من عدة كلاب ومن كلب واحد وايست هذه النضيلة الا لارحام الكلاب قالوا والزنج صنمان قبيلة زنجية فوق قبيلة وهما صنمان النمل والكلاب فقبيلة هم الكلاب وقبيلة هم النمل فخر هؤلاء بالكثرة ونخر هؤلاء بالشدّة وهذا ان الاسمان هاما اختاراهما لانفسهما ولم يكرها عليهما قل ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يالهب بن أبي لهب أكلت كلب الله فأكله لأسد فواحدة ٢ قد ثبت بذلك ان الأسد كلب الله والثانية ان الله نبارك وتعالى لا يضاف اليه الا العظيم من جميع الخير والشر فاما الخير فقولك بيت الله وأهل الله وزوار الله وكتاب الله وسماؤه الله وأرض الله وخلائق الله وكليم الله وروح الله وما أشبه ذلك وأما الشر فبكرة ولهم دعه في لعنة الله وسخط الله ودعه في نار الله وسعيه وما أشبه ذلك وقد يسمى المسامون والناس كلباً وقد زعم آخرون ان بنات آوى والشعاب والضباع والكلاب كلها كلاب ولذلك تسامد وتلاقح وقال آخرون اعمرى انها الكلاب اذا أردتم ان تشبهوها فاما ان تكون كلاباً بالعمة أو عاتين والوجود التي تخالف فيها الكلاب أكثر فان هذا مما لا يجوز وقول من زعم ان الجواميس بقر وان الخيل

حمر أقرب الى الحق من قولكم وقول من زعم ان الجوا ليس ضان البقر والبقر ضان
 أيضاً ولذلك سموا بقر الوحش نعاجا كانهم انما ابتغوا اتفاق الاسماء وما بال من زعم
 ان الاسد والذئب والضبع والشعاب وابن آوى كلاب أحق بالصواب ممن زعم ان
 الجوا ليس ضان والبقر ضان الماعز كلها شيء واحد وهذا أقرب الى الامكان لتشابهها
 في الظلف والقرون والسكبوش وانها تجتر والسنور والتهيد والنمر والبهير والاسد والذئب
 والضبع والشعاب الى ان تكون شيئاً واحداً أقرب وعلى انما لم نبتين الى الساعة ان
 الضباع والكلاب وبنات آوى والذئب تتلافح وما رأيناها على هذا قط ولا عسباراً ولا
 كل ما يعدون وما ذكرهم لذلك الا من طريق الاخبار عن السرعة أو عن بعض
 ما يشبه ذلك فأما التلافح والتركيب العجيب الغريب فالاعراب أظن والكلام
 عندهم أرخص من أن يكونوا وصنوا كل شيء يكون في الوحش وكل شيء يكون
 في السهل والجبل مما اذا أجمع جميع اعاجيبه لم يكن أظرف ولا أكثر مما يدعون من
 هذا التسايف والتلافح والتركيب في الامتزاجات فكيف يدعون ما هو أظرف
 والذي هو أعجب وأرغب الى ما يستوى في معرفته جميع الناس وقال آخرون ليس
 الكلب من أسماء الأسد كما ان ليس الاسد من أسماء الكلب الا على ان تمدحوا كلبكم
 فيقول قائلكم ما هو الا الأسد وكذلك القول في الأسد اذا سميت، وود كلباً وذلك عند
 ارادة التصغير والتحقير والتأنيب والتقريع كما يقال ذلك للانسان على جهة التشبيه فان
 كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا قط وان كان قاله فعلى صلة كلام أو على
 حكاية كلام وقال صاحب الكلب قد وضع الأمر وتامنا الناس بالقبول في ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال أكل كلب الله وهو يعني الأسد ومن رفع هذا الحديث فقد
 أنكر علامات الرسول صلى الله عليه وسلم والناس قد سموا الناس بكلب وكليب
 وكلاب وأكلب ومكاليب ومكالبه بنو ربيعة وكليب بن ربيعة بن عامر وفي العرب
 من القبائل كلب وبنو السكابة وبنو كلاب وأكلب بن ربيعة بن نزار عمارة ضخمة
 وكلب بن وبرة جذم من الاجذام وعم نثر جمجمة وكل سادات فهو يكنى أبكليب

ومن ذلك عمرو ذوا الكلب وأبو عمرو الكلب الجرمي وأبو عامر الكلب النحوي وكيف لا يجوز مع ذلك ان يسمى الأسد بالكلب وكل هؤلاء أرفع من الأسد وقد قالوا كلب الماء وكناب الرحي والضبة التي في الرحل يقال لها الكلب والكلاب الخشبية التي تمنع الحائط من السقوط وتشخص في القناطر والمسنيات والكلاب الذي في السماء ذو الصور ويقال داء الكلب وقد اعتراه في الطعام كلب وقد كلب عليهم في الحرب ودناء التوم لا كلب شفاء ومنه الكلبة والكلبتان والكلاب والكلوب ثم المسكب والمكلب وهذا مختلف مشتق من ذلك الأصل ومنه علوبة كلب المطبخ وحموية كلب الجن ولما شهد أبو علقمة المزني عند سوار بن عبد الله أو غيره من القضاة توقف في قبول شهادته قال له أبو علقمة لم توقف في اجازة شهادتي قال بانني انك تلمب بالكلاب والصقور قال من خبرك اني العب فقد أبطل واذا بانك اني اصطاد بها فقد صدقك من ابناك واني اخبرك اني جاد في الاصطياذ بها غير لاعب ولا هازي فقد وقف المبلغ بك على فرق ما بين الجدو اللعب قال ما وقف ولا وقتته عليه فاجاز شهادته وقد قال الله تعالى يسألونك ماذا أحل لهم فقال لنبيه قال أحل لكم الطيبات وما عامتكم من الجوارح مكابين فاشتق الكلب صائد وجارح كاسب من باز وصقر وعتاب وفهد وشاهين وزرق ويؤيؤ وباشق وعتاق الارض من اسم الكلب وهذا يدل على انه أعمها نقماً وأبعدها صيتاً وأنبها ذكراً ثم قل تعاموهن مما عامكم الله فلكوا مما أمسكن عابكم واذكروا اسم الله عليه فذكر عليهم لها إذ أضاف ذلك الى نفسه ثم أخبر عن أدبها وانها تمسك على أربابها لا على أنفسها وزعم أصحاب الصيد ان ليس في الجوارح شيء أجدر ان يمسك على صاحبه ولا يمسك على نفسه من الكلب قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً أخبر كما ترى عن دعائهم واخلاصهم ثم قال جل وعز فضررنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ثم قال عز وجل نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم

هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ان ندعو من دونه
 الها لقد قلنا إذا شططاً ثم قال فإووا إلى الكهف يا بشر إنكم ربكم من رحمة وبيبي إلكم من
 أمركم مرفقاً وترى الشمس إذا طمت تزاور عن كذبهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم
 ذات الشمال ثم قال إمد هذه الصنة لحالمهم وللمكئين لهم من قلوب الساميين والاعجوبة
 التي أتاهم بها وكتبهم بأسط ذراعيه بالوصيد ثم قال لو اطلمت عليهم لوليت منهم فراراً
 ولملت منهم رعباً فخبير أنهم لم يستصحبوا من جميع من يألف الناس ويرتفقون به
 ويسكنون إليه شيئاً غير الكلاب فإن مما يألف الناس ويرتفقون به ويسكنون إليه
 الفرس والبعير والحمار والبغل والثور والشاة والحمم والديكة كل ذلك مما يرتفق
 ويستصحب في الأسفار وينقل من بلد إلى بلد والناس يصطادون بغير الكلاب
 ويستمتعون بأمر كثيرة فخبير عنهم إمد أن جعلهم خياراً أبراراً أنهم لم يختاروا استصحاب
 شيء سوى الكلاب وليس يكون ذلك من الموفقين المعصومين المؤيدين إلا خاصة في
 الكلاب لا تكون في غيره ثم أعاد ذكر الكلاب ونبه عن حاله بان قال عز
 وجل اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابناو اعليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غابوا
 على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم
 كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بما يعامهم
 إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً وفي قولهم في الآية
 ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
 دليل على أن الكلاب رفيع الحال نبيه الذكر إذ جعل رابعهم وعطف ذكره على ذكرهم وأشتق
 ذكره من أصل ذكرهم حتى كأنه واحد منهم ومن أكتفهم أو من أشباعهم أو مما يقاربهم ولو لا
 ذلك لقال سيقولون ثلاثة معهم كلب لهم وبين قول القائل معهم كلب لهم وبين قوله رابعهم
 كلبهم فرق بين وطريق واضح فإن قلتم هذا كلام لم يحكه الله تعالى عن نفسه وإنما حكه
 عن غيره وحيث يقول ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم وقد صدقتم
 والصفة على من ذكرتم لأن الكلام لو كان منكراً لانكره الله تعالى ولو كان

مميّابا لله فاذا حكاه ولم يعبه وجعله قرآنا وعظمه بذلك المعنى مما لا ينكر في
 القتل ولا في اللغة كان الكلام ذا كان على هذه الصفة مثلا اذ كان الله عز وجل المنزل
 له ومثل ذلك مثل بعض المخالفين في القدر فانه سأل بعض أصحابنا فقال هل تعرف
 في كتاب الله تعالى انه يخبر عن الاستطاعة انها قبل الفعل قال نعم اتي كثير من ذلك
 قوله تعالى قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه
 اقوى أمين قل للمخالف سألتك ان تخبرني عن الله فاخبرني عن عفريت لو كان بين
 يدي ابرقت في وجهه قال صاحبنا اما سليمان النبي صلى الله عليه وسلم فقد ترك التكبير
 عليه ولو كان مثل هذا القول كثيرا واقتراء على الله ومغالبة وتوقضا للمشيئة الى
 نفسه لكان سليمان ومن حضره من المسلمين من الجن والانس احق بالانكار بل لم يكن
 العفريت في هذا الموضع هو الذي يسرع فيه ويذكر الطاعة ولا يتقرب فيه بذكر ساعة
 النفوذ وبشرف فيه بأن معه من القوة الجمولة ما يهبها لمثله قضاء حاجته فيكذب ثم لا
 يرضى بالكذب حتى يقول ولا مستنكر او يدعى قوة لا تجعل له ثم يستقبل
 بالاقتراء على الله تعالى والاستبداد عليه ولا استغناء عنه وبيننا من قدم ملك الجن والانس
 والرياح والطيور وتسير الجبال ونطق كل شيء ثم لا يزجره فضلا عن ان يضربه
 ويسجنه فضلا عن ان يقتله وبعد فان الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القول قرآنا
 ويترك التنبيه على ما فيه من العيب الا والقول كان صدقا مقبولا وبعد فان هذا القول
 قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاه على الناس وما زالوا يتلونه في مجالسهم
 ومخاريبهم فما كان في جميع هؤلاء وحده يعرف معرفتك او يغضب لله تعالى
 غضبك قال صاحب الكتاب لو عرضت جميع أهل البدو في جميع الآفاق من
 لأرض ان يصيب أحد خيمة واحدة ايس عندهم كتاب واحد فما فوق الواحد لما
 وجدته وكذلك كانوا في الجاهلية وعلى ذلك هم في الاسلام فمن رجع بالتخطئة على
 جميع طوائف لائم والنائب والاعتراض على جميع اختيارات الناس فليتهم رأيه
 فان رأى الفرد ولا سيما المسود لا يفي برأى واحد ولا يرى الاستشارة حضا وكيف

بان يني لجميع أهل من العرب والعجم والدليل على ان البدو قد يكون في اللغة لها جميعاً قول الله عز وجل (وجاء بكم من البدو من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) ولو ابتلي صاحب هذا القول بان ينزل البادية لتحول رأيه واستبدل به رأى من قد جرب تقرب الكلب وابعاده وقال أحمد الحارثي لا تصير القرية قرية حتى يصير فيها حائك ومعلم قال أبو عباد يمجنون اذا صارت إلى هذا فتد صارت مدينة والكلب اثباته وجه صاحبه ونظاره في عينيه وفي وجهه ووجهه له ودنوه منه حتى ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤثر ولا يوجع وهي الاضراس التي لو نشبها في الصخر لنشبت والأنياب التي لو انحلبها على الحصا لرضها وقد تراه وما يصنع بالعظم المدمج وبالفقرة من الصاب القاسي الذي ليس بالنخر البالي ولا بالحديث العهد بالثودك الذي يابن معه بالمضغ ويطيب فتراد كيف يرضه ويفتته ثم ان مانعه بعض الممانعة ووافق منه بعض الجوع كيف يتابعه وهو واثق باسترائه وهضمه أو باذابته وحله وله ضروب من النعم واشكال من الاصوات وله نوح وتطريب ودعاء وخوار وهزير وعواء وبصبصة وثيء يصنعه عند الفرح وله صوت شبيه بالانين اذا كان يغشى الصيد وله اذا لعب أشكاه في غدوات الصيف شيء بين العواء والانين وله وطؤ للحصاة مثله بان لو وطئ الحصاة على أرض السطوح لا يكون مثله وطؤ الكلب يربى على وزنه مرارا واذا مر على واد جامد ظاهر الماء تنكب مواضع الخريز في أسفاه قال الشاعر ورأى رجلا اسمه وثاب واسم كلبه عمرو

فقال ولو هيأله الله * من التوفيق أسبابا

لسمى نفسه عمرا * وسمى الكلب وثابا

قال والكلبة كثيرة الاطباء وكذلك الخنزيرة وللنهدة أربعة أطباء من لدن صدرها وقرب إبطها الى رفقها وللفيل حلان يصفران عن جثته وهما ممسايلى لصدر مثل الانسان والذكر في ذلك يشبه بالرجل لان للرجل ثديين صغيرين عن جثته ويقال ان الكلاب واقية من عبث السفهاء والصبيان بها قال دريد بن الصمة حين ضرب

امرأته بالسيف ولم يقتلها

أقر العين ان عصب يداها * وما ان يمصبان على خضاب
فأبهاهن ان لهن جادا * وواقية كواقية الكلاب
وقال آخر ان يقنا الله من شرها * فان الكلاب لها واقية
ويروى * سينجيه من شرها شره * وقال غيره
واتقد قتلتك بالهجماء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال بشر بن المتمر

رأى الناس رأيا في طلاب الثرى * فكلامهم من شأنه الخثر
* كاذوب تنهبها أكساب لها عواء ولها زفر

قال ويقال قزح الكلب ببوله يقزح قزحاً اذا بال قال وقال أبو الصقر يقزح
ببوله حين يبول وشعر الكلب يشفر اذا رفع رجله بال أو لم يبل ويقال شفرت بالمرأة
أشفرها شفرا اذا رفعت رجلها للنكاح قال ويقال عاظل الكلب معاظلة يعني السفاد
قال أبو الزحف

كشيه الكلب مشي للكلبة * يبنى العظام مصغرا بالسوءة

قال ويقال كلب عاظل وكلاب عظل وعظالي وقال حسان بن ثابت الانصاري
واست بخير من يزيد وخالد * واست بخير من معاظلة الكلب

قال مالك بن عبد الله الجمدي يوم فيف الرياح حدثني أبي لقد نظرت يومئذ الى بني
عبد الحارث بن نمير فما شبهتهم الا بالكلاب المتعاظلة حول اللواء وقال أبو براء
عاصر بن مالك ملاعب الاسنة لأعبه الحارث واليوم ١ قال فقال منذ يومئذ قال
والسلوقية منسوبة الى سلوق من بلاد اليمن لها سلاح جيد وكلاب فرود وقال القطامي
معها ضوار من سلوق له * طوراً تعانده وتنفعه

قالوا وايس في الارض بهيمة فلا تزال تنوله ٢ وتعاظله مرت عليه الأيام كان وقت
منه باله أطول حتى اذا قوى على أكل اللحم أو العشب فطامته قال ابويد في مثل ذلك

أفلك أم وحشية مسبوعة * خذات وهادية الصوار قوامها
 خذساء ضيعت النير فلم يرم * عرض الشقايق طوفها وبغامها
 لمفر قهد تنازع شلوه * غبس كواسب لا يمن طعامها
 صادفن منها غرة فاصبها * ان المنايا لا تطيش سهامها
 لان البقرة اذا كانت بحضرة ولدعالم تضيعة ومنعت السباع منه وقانات دونه بقرونها
 أشد القتال حتى نجييه أو تمطب (كان) ابن اسان الحمرة يكنى أبا كلاب وكان زوج حي
 المدنية يقال له ابن أم كلاب وقل الشاعر يذكرها
 وما وجدت وجدى به أم واحد * ولا وجد حي بابن أم كلاب
 رأنه طويل الساعدين شمر دلا * كما انبثت من قوة وشباب
 وقال آخر يصف عيون الكلاب اذا أبصرت الصيد
 مجزعة غضف كأن عيونها * اذا آذن القناص بالصيد عضرس
 مجزعة في اعنائها جزع وهو الودع يجعل في القلائد يقول تبيض عيونها حين تختل
 الصيد والمضرس هاهنا البرد وقال الآخر
 خوص تراح الى الصراخ اذا عدت * فعل الضراء تراح الكلاب
 وقال آخر وذكر الضراء وهو يصف الشيخ وضعفه
 ومنها ان يقاد به بعير * ذلول حين تهترش الكلاب
 وقال وهم عند الحاجة يمدون الكلاب والمطية وأنشد
 فاعقب خيراً كل أهوج مبرج * وكل معدات العلالة صلدم
 وقال الآخر * معديات ومليقات *
 وأنشد قول ابن ذؤيب في شبهه بالمعنى الأول
 شغف الكلاب الضاريات به * فاذا يرى الصبح المصدق يفرع
 يقول هذه الثيران لما قد لبس مع الصبح والاشراق من الكلاب حتى صار يرى
 ساطع الصبح فرع وذلك انها تمطر ليلتها فتشرق في الشمس فعندها ترسل عليها
 (١٠ - حيوان - ني)

الكلاب ويقال ان أكثر ما يمرض الذئب للغمم مع الصبح وانما رقب فترة الكلب
وكلاله لانه بات ايلته دائماً يحرس وقل اعرابي وكسر ذئب شاة له مع الصبح فقال
أودى بوردة أم الورد ذو غسل * من الذئب اذا ماراح أو بكرا
لولا انها وسائلات لها غرر * ما انفكت العين تدرى دمعها دررا
كأنما الذئب اذ يعدو على غنمي * في الصبح طاب وتركان فانارا
* أعتامها اعتامه شئن برأته * من الضواري اللواتي تقصم القصر

ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل من الخير ما قال وسماه زيد الخير ما سألته
زيد شيئاً ولا ذكر له حاجة الا انه قال يا رسول الله فينا رجلان يقال لأحدهما ذريح
والآخر يكنى أبادجانة ولها أكلب خمسة تصيد الطباء فما ترى في صيدهم فأنزل الله
عز وجل (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين
تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) فأول شيء يعظم
في عينك شأن الكلب أن هذا الوافد الكريم الذي قيل له ما قيل وسمى بما لم يسم به أحد
لم يسأل الا عن شأن الكلب وثانية وهي أعظمها ان الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آيات محكما
احل لكم الطيبات فسمى صيدها طيباً ثم قال وما علمتم من الجوارح مكلبين مخبراً عن
قبولها للتعليم والتأديب ثم قال مما علمكم الله ولولا ان ذلك الباب من التعليم والعلم مرضى عند
الله عز وجل لما أضافه الى نفسه ثم فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه فأول
شيء يعظم به في عينك امساكه عليك وهكذا يقول أصحاب الصيد ان كل صائد فأنما
يمسك على نفسه الا الكلاب فانه يمسك على صاحبه ولو كان اجواب لزيد الخيل سنة
من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ان كان في ذلك لرفعة فكيف والكتاب فوق السنة وقد
روى هشام ان ابن عباس سمي كلاب ذريح هذه وكلاب أبي دجاجة فقال المختلس
وغلاب والذئب وساهب وسرحان والمغناطيس وزعم الاطباء ان من اجود أدوية
الذئبة والخانوق ان يفتح في حاق من كان ذلك به ما جف من رجيع الكلاب وأجود
ذلك ان يكون يتغرغر به وربما طلوه على جلد لحوم الحديد المحمي وأجود رجيع

الكلاب ان يشتد بياضه وليس يمتريه البياض الا عن أكل الطعام وذلك ردىء
للقانص منها والجمور قد تبيض اذا كان قوت صاحبها اللبن وانك قال ابو كلاب
وهو ابن اسان الحمرة ومربه رجل من بني اسد فقال قد علمت الرب يامعشر بني
اسد انكم أشدها بياض بجمور فمكف عليه فضر به بالسين حتى برد وذلك انه غيره
بانهم لا يعرفون البقل ولا يعرفون الا اللبن وقال الشاعر يهجو ناساً منهم

عراجلة ببيض الجمور كأنهم * بمنرج الغيطان شهب العناكب

والعرب تقول اللحم أقل الطعام بخرا وقال صاحب الكلب وما لديك وللكلاب
والكلاب ينزل فيها القرآن ويحدث فيها السنن ويشتق من أسماء الناس والاسد ولها
أسماء معروفة واعراق مذنوبة وبلدان مشهورة والباب وسمات ومناب ومقامات
وما لديك الا ما تقول العوام انه اذا كان في الدار ديك أبيض افرق لم يدخله شيطان
وليس يقوم خبر ذلك ولو كان ذلك حتماً بشؤمه لان القوم تقضى على من كان في
داره ديك ابيض افرق بالزندقة والذين يقولون ان الدار اذا كان فيها ديك افرق لم
يدخلها شيطان هم الذين يقولون من أكل لحم سنور أسود لم يضره سحر واذا دخت
الدار بالدخنة التي سموها بدخنة مريم او باللبان لم يكن عليها لعنار الدار سبيل فان
مرت ساحرة تطير سقطت وهم الذين لا يشكون ان من نام بين البابين تحبظ له العنار
وخبلته الجن قال ويقال لولد الكلب والذئب والسنور وأشباه ذلك جرو ويقال للصغير
من الحنظل على مثل ذلك جره وقال النمر بن تواب

يجرو يلني في سقاء كأنه * من الحنظل العامي جرو . فلاق

ومما زاد في ذكر الكلب قول السيد بن محمد في شأن عائشة في الحديث لذي روه
وكان السيد رافضياً غالباً وليس في ذكره شرف ولكنه أجمع للفن

تهوى من البلد الحرام فنبهت * بمد الهدو كلاب أهل الخووب

قال ويقال صرفت الكلبة صرافاً وصرافاً وظلمت تظلم ظلوياً ومن الامثال في
ذلك لا افعل حتى ينام ظالع الكلاب قال الاصمعي هذا باطل انما ذلك اذا صاب الكلب

ما يظلع منه لم يطق سفاذ الكلبة حتى تهذا الرجل وحتى تمل الكلاب النباح وتفوق
وتحتاج الى النوم أصول النعب واذا كان في ذلك الوقت يانمس الظالع ورام سفاذ
الكلبة لم يعرف ظله الا الكلبة وأنشد فقال

تسديتها من بعد مانام ظالع ال * كلاب وأخي ناره كل موقد
وأنشد غيره جران العود

وكان فؤادي قد صحانم هاجه * حمانم ورق بالمدائن هتف
كان الهزيل الظالع الرجل وسطها * من البغي شريب يفرد مترف
وقالوا أبيتاً في غير هذا الباب قال الاعرابي

نزلنا بعباد فاشلي كلابه * علينا فكمدنا بين بايه نوكل
فوقات لاصحابي أسر الهمم * اذا اليوم أو يوم التيامة أطول

وقال آخر

أعددت للضيفان كلباً ضارياً * عندي وفضل هراوة من ارزن
وقال في خلاف ذلك مالك بن خريم الحمداني

وواحدة الا أبيت بفره * اذا ما سوام المي بات مصرعا
وثانية ان لا تفزع جارتى * اذا كان جار القوم فيهم منفرعا
وثالثة ان لا اصمت كلبناً * اذا نزل الأضياف حرصا لتوزعا

قال ويقال لحز الكلب الاناء، فهو ياجزه لحزاً ولحسه فهو ياحسه لحساً قال أبو يزيد
وذلك اذا لحس الاناء من باطنه والقرو مائة الكلب فاذا كان للكلب فانما هو من
اسفل كوز أو ما شبه ذلك ولا فالقرو اسفل نخلة يجير ويقوب ويتبذفيه وقال الاعشى
رمي بها البيد اذا عرضت * وات بين القرو والمعاصر

في مجدل شيد بياته * يزل عنه ضمير الطائر *

ومما يحاجي به الناس بعضهم بعضاً ان يقولوا أتعرفون شيئاً اذا قام كن أقصر منه اذا
قعد يريدون الكلب لان الكلب قموده قواؤه وهو اذا اقمي كان أرفع لسمكه وأرفع

في الهواء طويلا منه اذا قام وقال عمرو بن لجأ

عليه حيوف مستقدم * متقع كافاء الكلب بالمصم
ويقال أغمي الكلب افعاء ولا يقال قعد ولا جلس وفي الحديث أنه نهي ان يقمي
احدهم في الصلاة افعاء الكلب قال صاحب الكلب يعرف فتاء الكلب وهرمه
بالاسنان فاذا كانت سوءا كانت دايلا على كبره واذا كانت بيضا حادة دات على الفناء
والحدائة وقال أسنان الذكر اكثر واصناف الحيوان المشقوفة الافواه كالكلب والاسد
والفهد موصوفات بشدة المماضيغ والذك والخراطيم كالكلب والخنزير والذئب فأشبهه
الكلب الاسد في شجوه الهم واتساعه وعلى ان شجوهه على مقدار جسمه وأشبه الذئب
والخنزير في طول الحطم وامتداد الخرطوم ولذلك كان شديد التقاب جيد الاسترواح يجمع
الكلب دون هذه الاصناف ما يصالح للارض والحطم كما جمع ما يصالح الالبتلاع والالتهام
والحطم الاستمراء والاسد حريص واسع الشجوه فهو يتلع البضوءة التي لوراها الانسان
لم يظن ان حلقه يتسع لمرور ذلك ويقال ان عنقه عظم واحد والتم لا تجول فيه وهو في ذلك
قائل الريق فلا يساس في حاته ما يعرفه بل يتلع لقرطنهم وشجوه لحبيه ضمفي ذلك
المقدار وقد زعم ناس ان الذي يدل على ان عنق السبع عظم واحد ضمعه عن تصريفه
عنقه فلا يتنفث الا معا فيسمى الا صيد وقال جران العود في صفة الذئب
شد المماضيغ منه كل ماتنت * وفي الذراعين والخرطوم تسهيل

وقالوا في أسنان الذئب وفي اسنان بعض الحيات بأنها مطولة في الفكين يذهب بأنه
عظم مخلوق في الفك وانه لا يشغر وأنشدوا

مطلن في اللحيين مطالا الى * رأس وأشداق رحييات

والحيات توصف بسعة الاشداق والافاعي خاصة هي المنعوتة بذلك وقال الشاعر
وهو جاهلي

ويدير عينا للوقاع كأنها * سمراء طاحت من نقيض برير

وكان شديقه اذا استعرضته * شدقا عجوز مضمضت لظهور

ومما أشبهه فيه الكلب الانسان والاسد ان كل واحد من هذه الاجناس انما له بطن واحد
وبعد البطن المما الا ان بعض اطباها أعظم من بعض ويناسبها في الذي ذكرنا الذئب
والذئب فما أكثر ما يناسب الكلب فلذلك صارا يتناكحان ويتلافحان وهذا قول
صاحب المنطق قال واما الكلب أشبه شيء بامعاء الحية وهذا أيضاً مما يزيد في قدره
لانه اما ان يشبه الانسان واما ان يشبه رؤساء السباع ودواهي الحشرات وكلما كانت
هذه المعاني فيه أكثر كان قدره أكبر قال والكلاب يحلم ويحتم وكذلك النرس
والحمار والصبي يحلم ولا يحتم والثور في هذا كله كالصبي ويعرف ذلك في الكلب اذا
تفرغ وأنعم وزعم ان الاحتلام قد عوين من النرس والبرذون والحمار قالوا وليس
العضال والتحام النرجين الا في الكلب والذئب ومن اراد ان يفرق بين الكلاب اذا
تعاضت وتساقت رام أمراً عسيراً قالوا والحيوان الذي يطاول عند السناد معروف
مثل الكلب والديك والغنكبوت والجل وان لم يكن هناك التحام واذا اراد المنكبوت
السناد جلبت الاثني خيوط نسجها من الوسط فاذا فعات ذلك فعل الذكر مثل ذلك
فلا يزالا يتدانيان حتى يتشابكان فيصير بطن الذكر قبالة بطن الاثني وذلك شبيهه
بمادات الضفادع وقال ابو الحسن عن بعض الاعراب قال اذا مجم الرجل على الذئب
والذئبة وهما يتسافدان وقد التجم الفرجان قنلها ذلك لما جم عليهما كيف شاء لانهما
قليلا ما يوجد ان كذلك لان الذئب وحشي جدا وشهي جداً صاحب قفرة وخلوة
وانفراد وتباعده واذا اراد الذئبة توخي موضعاً من القفار لا يطؤد الأيس خوفاً على
نفسه ومنعا بلدى يجد في المطاولة من اللذة وحدثنني أحمد بن المثنى قال خرجت الى
صحراء خوخ لجناية جنيتها وخفت الطاب وأنا شاب اذ عرض لي ذئب فكنت
كلما درت من شق استدار بي فاذا درت له دار من حاني وأنا وسط بركة لا أجد
معيماً إلا بشيء أسند اليه ظهري وأصابني الدوار وأيقنت بالهلاك فيبنا انا كذلك وقد
أصابني ما أصابني وذلك هو الذي اراده الذئب وقدره اذا ذئبة قد عرضت وكان من
الصنع وتأخير الأجل ان ذلك كان في زمن احتياجها وتسافدها فلما عاينها تركني

وقصد نحوها فالتعلم ان ركبها وقد كنت قرأت في بعض الكتب انها تلتحم فتقومت
سهمي وهما ينظران الى فالما لم أر عندهما زكيرا حتى فتلهم ما قال ومما بعد للكتاب انها كثير ما تلتحم
وتلتحم لحال الدفء أو الحصب والكلاب والخنزير في ذلك سواء ولا يكاد غيرهما من
الاصناف يتلاقح في ذلك الزمان فالكلاب كما ترى يتنازع أيضا مواضع الاساءة والمحاسن
في جميع الحيوان قال وإناث الكلاب تصعب اخلاقتها اذا كان لها جراء وكل شيء
له بيض أو جراء أو فراخ فأسوء ما يكون خلفا وأنزق وأكثر ما يكون إذا وأعرم
وإذا كان كذلك الا إناث البقر والكلاب كلما كان أسن كان صوته أجهر وأغاظ
قال والكلاب ينزوا اذا تمت له ستة أشهر وربما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر
والكلبة الأنثى تحمل واحدا وستين يوما أطول ما يكون ولا تضع قبل ان يتم حملها
ستون يوما ولا يبقى الجرو ولا يتربى اذا قصر عن ذلك والآنثى تصاح ان ينزى
عليها بعد ستة أشهر والكلبة والحجر ٢ والمرأة وغير ذلك يكون أول نتاجها أصغر جثة
وكذلك البيض اذا كان بكرا وكذلك ما يخرج منه من فروج او فرخ وذكور الكلاب
تهبج قبل الإناث في السن والإناث تهبج قبلها في وقت حركتها وكلما تأخر وقت
الحدث الى تمام الشباب كان أقوى لولده والكلاب لا تريد السفاد عمرها كله بل
الى وقت معلوم وهي تلتحم الى أن تبلغ ثمانى عشرة سنة وربما ابتدرت الكلبة قبلت
العشرين والكلاب اجناس كثيرة الكلاب السلوقى يسفد اذا كان ابن ثمانية أشهر
والآنثى تطالب ذلك قبل الثمانية وذلك عند شغور الذكر بهوله والكلبة تحمل من نزو
واحد وقد عرف ذلك الذين عرفوا الكلاب وحضروا ليعرفوا ذلك قال والكلبة
السلوقية تحمل سدس السنة ستين يوما وربما زادت على ذلك يوما او يومين والجرو اذا
وضع يكون أعمى اثني عشر يوما ثم يبصر والكلبة تسفد بعد وضعها في الشهر الثاني
ولا تسفد قبل ذلك ومن اناث الكلاب ما تحمل خمس السنة يعني اثنين وبعين يوما
وإذا وضعت الجراء تكون عمياء اثنين وعشرين يوما ومن اصناف الكلاب ما يحمل

ربع السنة أعني ثلاثة أشهر وتضع جراء وتبقى كذلك سبعة عشر يوماً ثم ترضع جراءها
 على عدد أيامها التي لا تبصر فيها وزعم أن إناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام
 وعلامة ذلك ورم أثمارها ولا تقبل السفاد في ذلك الوقت بل في السبعة التي بعدها
 ليكون ذلك تمام أربعة عشر يوماً أكثر ما يكون وربما كان كذلك لتمام ستة
 عشر يوماً قالوا وإناث الكلاب تأتي بعد وضع الجراء رطوبة غليظة بلغمية وإذا
 وضعتها بعد الجراء اعتراها هزل وكذلك عامة الإناث وإبها يظهر في أطبائها قبل أن
 تضع بخمسة أيام أكثر ذلك وربما كثير اللبن في أطبائها قبل ذلك بسبعة أيام وربما
 كان ذلك في مقدار أربعة أيام وإبها يظهر ويجود إذا وضعت من ساعتها قال فاما
 السلوقية فيظهر لبها بعد حماها بثلاثين يوماً ويكون لبها أول ما تضع غليظاً فإذا أزم
 رق ودق ولبن الكلاب يخالف لبن سائر الحيوان بانماظ بعد لبن الخنازير والارانب
 وقد تكون علامة مبلغ سفادها مثل ما يعرض للنساء من ارتفاع الثديين ومعرفة
 ذلك عسيرة وهذه علامات تظهر لإناث الكلاب وذكورة الكلاب ترفع أرجلها
 وتبول لتمام ستة أشهر ومنها ما لا يفعل ذلك إلى أن يبلغ ثمانية أشهر ومنها ما
 يجعل قبل ذلك قال وتقول بقول عام إن الذكور تتعمل ذلك إذا قويت فاما الإناث
 فهي تبول مقمية ومنها ما تشفر وأكثر ما تضع الكتابة اثنا عشر جرواً وذلك في الفرط
 وأكثر ذلك الحنة والسنة وربما وضعت واحداً فاما إناث السلوقية فهي تضع
 ثمانية اجراء واناثها وذكورها تسفد ما نقت ويعرض للكلاب السلوقية عرض
 خاص وهي أنها كلما بقيت كانت أقوى على السفاد وذكورة السلوقية تعيش عشر
 سنين والإناث تعيش اثني عشر سنة وأكثر اجناس الكلاب تعيش أربع عشرة سنة
 والخاص تبقى عشرين سنة قال وإناث الكلاب أطول عمراً من الذكور وكذلك
 هي في الجملة وأيسر يأتي الكلب من أسنانه سناً ما خلا النابين وإنما يليقهما إذا كان
 ابن أربعة أشهر قل ومن أجل ذلك أن الكلاب لا تأتي غير هذين النابين يشك
 بعض الناس أنها لا تأتي سناً البتة قال وللكلاب ثلاثة أصناف من المرض وأسماؤهم

الكلب بفتح اللام والذبحه والنفوس والكلب جنون فان عرض لشيء من الحيوان
كلب أيضاً أمانه ما خلا الانسان وهو داء يقتل الكلاب وتقتل به الكلاب كل
شيء عضته إلا الانسان فانه يعالج فيسلم قال وداء الكلب يمرض للجوار فأما الجنون
وذعاب العقل فإنه يصيب كل شيء فمن ذلك ما يصيب الدواب فان منها ما يصرع كما
يصرع المجنون والسائس من لدواب الذعاب العقل وقد كان شأن عين الطيب عجباً
وذلك انه كان يصرع وافق انه كان له بغل يصرع فكان ربما اتفق أن يصرعاً جميعاً وقد
رأى ذلك كثير من أصحابنا البصريين والصرع عام في الحيوان ليس يسلم منه صنف
منها حتى لا يعرض له منه شيء والانسان فوق جميع الحيوان تغدياً وكذلك هو في
العقل والمعرفة والاحتيال له مع دفع المضرة واجتلاب المنفعة وما أكثر ما يعترتهم
ذلك ومن ذلك ما يذهب ومن ذلك ما لا يذهب وقد كان يختيشوع المتطبيب عرض
له ذلك وقد كان عرض لعبد المالك بن قريظ فذهب عنه وربما عرض للرجل الذي
لا يظن به ذلك في بيان ولا تبين ولا في أدب ولا في اعتدال من الاخلاط والصحة
من المزاج ثم لا يمرض من ذلك إلا مالا حيلة له فيه كما يمرض ابشر بن أبي عمرو
ابن العلاء النحوي المازني وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسديين فما زالوا
كذلك حتى ماتا ولم يبلغنا انهما صرعا والموتة جنس من الصرع إلا أن صاحبه اذا
أفاق عاد الى كمال عقله كأنهم والسكران والمغشى عليه وان عاش صاحب الموتة في
ذلك مائة عام وليس يلقى شيء من الحيوان في هذا الباب كما يلقى الورشان وأما السكر
فليس شيء من الحيوان إلا وهو يسكر واختلاف سكره كاختلاف سكر الانسان
فإن من الناس من تراه يتحدث وهو يشرب فلا تنكر منه شيئاً حتى يغلب عليه نوم
السكر ضربة واحدة ومنهم من تراه والنبيذ يأخذ منه الأول فالأول وتراه كيف
نقل حركته ويغلف حسه ويتمحق حتى يطيش عليه السكر بالعبث ويطبق عليه النوم
ومنهم من يأخذه بالعبث لا يعدوه ومنهم من لا يرضى بدون السيف والا بأن
بضرب أمه ويطلق امرأته ومنهم من يعتره البكاء ومنهم من يعتره الضحك ومنهم

من يعتريه الملق والتفدية والتسليم على الجالس والتقبيل لرؤوس الناس ومنهم من يرقص
ويثب ويكون ذلك على ضربين أحدهما من المرض وفضل الأشر والآخر تحريك
المرارة وهي علة الفساد وهيجان الآفة وكل هذه الحالات والصور والنعوت والاجناس
والتوايد الذي يخلف في طبائع الناس وطبائع لأشربة وطبائع البلدان والأزمان
والاسنان وعلى قدر الاعراق ولاخلاق وعلى قدر القلة والكثرة وعلى قدر التصريف
والتوفيق وقد وجدود في جميع أصناف الناس والحيوان الا أن في الناس واحدا لم
توجد في سائر الحيوان قط فان في الناس من لا يسكر البتة كان محمد بن الجهم وأبو
عبد الله العمى وكان بين عميل زبيد بن حميد اذا شرب عشرة أرطال وبين عقله اذا
ابتدأ الشرب مقدار صالح وأما العمى فان بني عبد الملك الزبديين دعوني مرة ليعجبوني
منه ولم ينهوني على هذه الخفاصة التي فيه لا ككون أنا الذي أتبه عليه فدخات على
رجل ضخم فبدم غليظ اللسان غليظ المعاني عليه من الكلام أشل ٢ المؤنة وفي معانيه
اختلاف ليس منها شيء يواتى صاحبه ولا يعاونه ولا يشاركه ولا يتأبه وحتى ترى
أن أذنه في شق ولسانه في شق وحتى تظن أن كلامه كلام محموم أو مجنون وان كل واحد
منها يقطع نظام المعالي ويخاطب بين الأسافل والأعلى فشرب القوم شرب الهيم
وكانت لهم أجساد مدبرة وأجواف منكرة وكنت كأني رجل من النظارة فما زال
العمى يشرب رطلا بمد رطل ويرق لسانه ويخل عقده ويصفو ذهنه ويذهب كبره
ولو قلت انى لم أر مثله حسن نفس كنت صادقا فالتفت الى القوم أجمعهم فقالوا لولا
هذا العجب ما عاك اليوم مع حدثائنا عهدنا بك وزعم العمى وكان كثير المنازعة عند
التمتضاة انه كان اذا قارب العشرة الارطال ثم نارع الخصوم كان ذلك اليوم الذي يفوت فيه
ذرع الخصوم للحن بحجته ويستميل فيه رأى القاضى المنعقد فى مجلسه الطويل القطوب
في وجه من نازع اليه وقال الشاعر

وجدت أقل الناس عقلا إذا انتشى * أقلهم عقلاً إذا كان صاحبا
تزيد حسي الكاس السفية سفاهة * وتترك أخلاق الرجال كما هيا

قال وهذا شر بعض المولدين والأعاريب لا تخطي هذا الخطأ قد رأينا أسفه
 الناس صاحياً أحلم الناس سكران وهو مرداس صاحب زهير ورأينا أحسن الناس
 خافاً وأوزنهم حلماً حتى اذا صار في رأسه رطل كان أخف من فراشة وأكثر نزواً
 من جرادة رمضة فان المثل بها يضرب وكان - بب ماله عرف أصحابنا سكر البهائم
 أن محمد بن علي بن - إيمان الهاشمي لما شرب على علوية كلب المدايح وعلى الدهمان
 وعلى شراب البصريين وعلى كل من نزع اليه من الأقطار ونحوه من الشراب
 الجواد من الشراب أحب أن يشرب على الإبل من البخاتي والعراب ثم على الطائف
 من الجواميس والبقر ثم على الخيل العتاق والبراذين فلما فرغ من كل عظيم الجثة واسع
 الجفرة صار الى الشاء والظباء ثم صار الى النسور والسكاب والى ابن عرس وحتى أنام
 حاوي فأرغبه فإمكان احتمال لأفواء الحيات حتى يصب في حاق أجوافها بالاقاع
 المدينة وبالمساعط ويتخذ لكل شيء شكاه وكان مسلماً تواتيه الأمور وقطيعه الرجال
 فأبصروا تلك الاختلافات في هذه الاجناس المختلفة فخيرني أبو اسحاق ابراهيم النظام
 وقد كان جالساً حيناً وكان ابراهيم مأمون للسان قليل الزال والزيغ في باب الصدق
 والكذب ولم أزعم انه قليل الزيغ والزال على أن ذلك قد كان يكون منه وان كان
 قليلاً بل إنما قلت على مثل قولك فلان قليل الحياء وأنت لست تريد هناك حياء البتة
 وذلك انهم ربما وضعوا القليل في موضع ليس وإنما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه
 وجودة قياسه على العارض والخطار والسابق الذي لا يوثق بمثله فلو كان بدل تصحيحه
 القياس التماس التصحيح الأصل الذي كان قاس عليه أمره على الخلاص والكنهه كان
 يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظناً فاذا اتقن ذلك وأيقن جزم
 عليه وحكامه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه والكنهه كان لا يقول سمعت
 ولا رأيت وكان كلامه اذا خرج مخرج الشهادة المقاطعة لم يشك السامع انه إنما حكى
 ذلك عن سماع قد امتحنه أو عن معاينة قد بهرته فخدثي ابراهيم قال شهدت أكثر
 هذه التجربة التي كانت منهم في إسكار البهائم وأصناف السباع واتمد احتمال لأسد

١
 ٢
 ٣
 ٤
 ٥
 ٦
 ٧
 ٨
 ٩
 ١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

٤
فصل في

صحة

مقيم الاظفار ينادى عليه العجب العجب حتى سقاه وعرف مقداره في الاحتمال فزعم
 انه لم يجد في جميع الحيوان املح سكرًا من الظبي ولولا انه من الترفه لكانت لايزال
 عندي الظبي حتى أسكره وأرى طرائف ما يكون منه قال وإناث الكلاب السلوقية
 أسرع تعلمًا من المذكورة قال وجميع أصناف السباع ذكورتها اجراءً وأمضلي وأقوى
 الا الفهود والذئبة والمامة تزعم ان اللبوة أجراً من الأسد وليس ذلك بشيء وهو
 أنزق وأحد وأفرق من الهجيرة وأبعد من التصمم وشدة الصولة قال بشر بن سعيد
 كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عمرو بن مرند نزل ببني اخت له
 في سكة بني مازن وبنو أخته من قريش نخرج رجالهم الى ضياعهم وذلك في شهر
 رمضان وبقيت النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في الدار الا كلب يعس فرأى بيتاً
 فدخل وانصفق الباب فسمع الحركة بعض الاماء فظنوا ان اصأ دخل الدار فذهبت
 احدهن الى أبي الأعز واطيس في الحي رجل غيره فاخبرته فقال أبو الأعز ما يتفني اللص
 منا ثم أخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت فقال إيه يا أمان أما والله انك
 بي اعرف واني بك أيضاً اعرف فهل أنت الا من اصول بني مازن شربت حامضاً خبيثاً
 حتى اذا دارت الافداح في رأسك منتك نفسك الأمانى وقات دور بني عمرو والرجال
 خلوف والنساء يصلين في مسجد من فاسرقهن سوءة والله ما يفعل هذا الاحرار
 ايس والله ما منتك نفسك فاحرج والا دخات عليك فصدمتك مني العتوبة لايم
 الله انخرجن اولاهنن هتفة مشؤمة عليك يا قتي فيها الحيان عمرو وحنظلة وبصير
 أسرك الى تباب ويجيى بعد بعد الحصى ويحيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا
 واثن فعات لتكونن اشأم مولود في بني تميم فما رأى انه لا يجيبه أخذه باللين وقال
 اخرج يا بني وانت مستور انى والله ما أرك تعرفني ولو عرفني لقد فعت بقولى
 واعلم انى الى أنا عمرو بن مرند أبو الاعز المرندي وأنا خال القوم وجددة ما بين
 أعينهم لا يصونى في أمر وأنا لك بالذمة كنفيل خفيير أصيرك بين شجمة أذنى وعاتقى
 لا تضار فاخرج فانى في ذمتي والا فان عندي قوصرتين احدهما الى ابن أختي

صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

٤
صحة

البار الوصُول نخذ احدها فاتبذ^١ ما حلالا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وكان الكلب اذا سمع الكلام اطرق واذا سكث وثب يريغ^٢ المخرج فتهافت الاعرابي
أى تضاحك ثم قال يا لأم الناس وأوضعهم الاياني لك أنا منذ الليلة في واد وأت في
آخر اذا قلت لك السوداء والبيضاء تسكت وتطرق فاذا سكث عنك تريغ^٣ المخرج وولته
لتخرجن بالعفو عنك أو لالجن عليك البيت بالعقوبة فلما طال وقوفه جاءت جارية من
إما. الحى فقالت اعمرابى مجنون والله ما أرى في البيت شيئا ودفعت الباب فخرج
الكلب شدا وحاد عنه أبو الأعرس مستلقيا وقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفنانى
منك حربا ثم قال تالله ما رأيت كالمثلية ما أراد الا كلبا أما والله لو علمت بحاله لو لجت
عليه قال صاحب الديك في الديك الشجاعة وفي الديك الصبر عند اللقاء وهم لا يجدون
الصبر تحت السياط والعصا الا ان يكون ذلك موصولا بالصبر في الحرب على وقع
السلاح وفي الديك الجولان وهو ضرب من الروغان وجنس من تدبير الحرب يفيه
الثقافة والتسديد وذلك انه يقدر ايقاع صيصيته بعين الديك ويتقرب الى المذب فلا
يخطئ^٤ وهم يتعجبون من الجزار ويضربون به المثل اذا كان لا يخطئ^٥ الالبه ومن الاجام
اذ كان لا يخطئ^٦ المفصل ولذلك قالوا في المثل يطبق الحز ولا يخطئ^٧ المفصل وهذا
القول يذمون به ويمدحون والديك في ذلك أعجب وله مع الطعنة سرعة لوثبة
والارتفاع في الهواء وسلاحه طرير^٨ وفي موضع عجب وايس ذلك الاله وبه سمي
قرن الثور صيصية ثم سموها الآطام التى كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء
صياصي قال الله عز وجل وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صيصيمهم
والعرب تسمى الجارح وذا الجنة^٩ صاحب سلاح فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به
صيصية سموها قرن الثور الذى يجرح صيصية وعلى انه يشبهه في صيصية صورته
بصيصية الديك وان كان أعظم ثم لما وجدوا تلك الآطام معافلهم وحصونهم وجنهم
وكانت في مجرى الترس والدرع والبيضة أجروها مجرى السلاح ثم سموها صياصي
ثم سموها شوكة الحائك التى بهاتيا السداة واللحمة صيصية اذا كانت مشبهة بها في

(١) طرعه
(٢) المخرج
(٣) المخرج
(٤) صبر
(٥) شدا
(٦) خطئ
(٧) خطئ
(٨) طرير
(٩) صبر
صبر الجارح

الصورة فان كانت أطول شيئاً ولانها مائة من فساد الحوك والغزل ولانها في يده
 كالسلاح متى شاء ان يجأ به انساناً وجأ به وقال دريد بن الصمة
 نظرت اليه ولرماح تنوشه * كوقع الصياصي في النسيج الممدد
 وقد تسمى العرب ابرة العقرب شوكة كما تسمى صيصية الديك شوكة وهي من
 هذا الوجه شبيهة بشوك النخل ويقل لمن ضربته الحمرة قد ضربته الشوكة لان
 الشوكة اذا ضربت انساناً فأكثر ما تعثر به من ذلك الحمرة وقد قال القطامي في تسمية
 ابرة العقرب شوكة

حان يمدك
 ان ترانقش
 حان برون من الحيات
 اسنالك
 حان الرجح في الظلم

سرى في جليد الأرض حتى كأننا * تخزم بالاطراف شوك العقارب
 وتوصف الحجر وتشبه بالشوكة لان الشوكة غليظة المتأخر لطيفة المقادم والشوك
 والسلاء سواء وقال في ذلك علقمة بن عبدة يصف الحجر

تضم دحل

سلاءة كعصا الهندية على بها * ذوفيشة من نوى قران معجوم
 ومن سمى ابرة العقرب حمة فقد أخطأ وانما الحمة سموم ذوات الشعر كالدير والزناير
 وذوات الاثياب والاسنان كالافاعي وسائر الحيات وسموا ذوات الابر من العقارب
 فانما البيش وما أشبهه من السموم فليس يقال له حمة وهاعنا أم ورلهاسموم في خراطيمها
 كالذبان والبعوض وأشياء من الحشرات تعض وربما قتلت كالشبهت وسام أبرص
 والطبوع شديد الأذى والرتيلا ربما قتلت والصحيح دون ذلك وعقارب طيارة ولم
 نرهم يسمون جميع السموم بالحمة فقلنا مثل ما قالوا أو تهيينا الى حيث انتهوا وقد يعرف بمض
 الناس بأنه متى عض قتل كان منهم صفوان أبو جشم الثقفي وداود انقراد وسيقع هذا
 الباب في موضعه على ما يمكننا ان شاء الله تعالى والناس يسمون الرجل اذا بلغ من
 حرصه ان لا يدع ذكراً غلاماً كان أو رجلاً أو خصباً كان أو خلاً الا نكحه من
 فرط غامته ومن قوة خائنه صيصية ويقولون ما فلان الا صيصية وهو عندهم اسم
 لمن اشتد لواطه تشبهاً منهم بصيصية الديك في الحدة والصلابة وللديك اتصا به
 اذا قام ومباينته صورة في العين بصورة الدجاجة وايس هذا الفرق الواضح من جميع

الإناث والذكور موجودا الا فيه وليس ذلك للجمام والحمامة ولا للحمار والحمارة ولا للبرذون والرمكة ولا للفرس والحجر ولا للجمل والناقة وليس ذلك الا لهذه النجولة لانها كالرجل والمرأة والتيس والضائفة والديك والدجاجة وكالنخلة والفحل والنخلة المطعمة الا تري انك لو رأيت ناقة مقبلة لم تدرا ناقة هي أم جمل حتى تنظر الى موضع القبل والضرع والى موضع الحيا وكذلك العنز وكذلك جميع ما وصفت الا ان يدعوا ان للعامة أو لبعض الخاصة في ذلك خصوصية ولذلك ضربوا المثل بالتيس والنخلة والفحل فاشتقوا من هذا الفحل وهذا أيضا من خصال الديك ثم للديك لحية ظاهرة وايسر تكون اللحي الا للجمل فانه يوصف بالمشنون والاللتيس والالارجل وقال الراجز في الجمل

مخلتط المشنون كالتيس الاحم * سام كان رأسه فيه وذم

اذضم من قطريه هياج قطم

ثم الديك بمد صاحب اللحية والفرق وقالت امرأة في ولدها وزوجها
أشهب ذي رأس كراس الديك

أما قولها أشهب فانه تريد ان شعر جسده قد ابيض من الكبر وانما جمات شعر رأسه كراس الديك لانه كان مخضوب الرأس واللحية بالحمرة ثم لم ترض له بشبه الرجال من هذا الوجه حتى جمات رأسه أفرق وذلك شئ من الجمال والوقار والفضل لا يتبأ للناس مع كمالهم وتماهم الا بالتكاف والاحتيال فيه ثم يبلغ من شدة تعجله ومن قوته على السفاد وعلى الباب الذي يفخر به الانسان اذا كان ذا حظ منه وهو مما يذكي النفس لانه كمنحو ما ذكر عن التيس المراطى وكنحو ما تراهم يبركون للبختي التالنج عدة فلاص فاذا ضرب الاولى تخافوا عليها ان يخطبها وهو في ذلك قد رمى بمائه مرارا أقلته الرجال على التي تليه في القرب حتى يأتي على الثلاث والاربع على ذلك المثال وما دعاهم الى تحويله عن الثالثة الى الرابعة الا تخوفهم من العجز منه وزعم أبو عبدالله البرص العمي وكان من المعتزلين ان التيس المراطى قرع في أول يوم من أول هيجه نيغا وثمانين قرعة والناس يحكون ما يكون من المصفور في الساعة الواحدة من العدد

الكثير والناس يدخلون هذا الشكل في باب الفضل وفي باب شدة العجلة وتظاهر القوة والديك يكون له وحده الدجاج الكثير فيوسه باقطا وسناداً وقد قلنا في حالة البيض الكثير الترابي وقبه اياه بسفاد الى الحيوانية وعلى الذي يخصيه انما يخرج له من بين الزمكاوموضع القطاة يبيضين عظيمتين مروفيتين وأنا رأيت ديكا هنديا تسهم دجاجة هندية فلم يتمكن منها فرأيت لطافته حين مجها وقد ذاق عن ظهرها عن مذرة وكانت الدار مشارة لتجمل إستانا فاذا تلك المجة كالبزقة البيضاء فاحدها بمض من كان معنا فشمها حين رأي بياضها وخشورتها وكثرتها اعلم هل تناسب ريحها ريح نطفة الانسان وريح طاع الفحل فلم يجد ذلك ثم معرفة الديك بالليل وساعاته وارتفاع بني آدم بمعرفته وصوته يعرف آناه الليل وعدد الساعات ومقادير الاوقات ثم يقسط أصواته على ذلك تقسيطا موزونا لا ينادر منه شيئا ثم قد علمنا ان الليل اذ كان خمس عشرة ساعة أنه يقسط أصواته المعروفة بامدد عليها كما يقسطها والليل تسع ساعات ثم يصنع فيما بين ذلك من القسمة واعطاء الحصص على حساب ذلك فليعلم الحكماء انه فوق الاسطرلاب وفوق الجزر والمد على منازل القمر وحتى كان طبعه فلك على حدة فجمع المعرفة المعجبية والرعاية المعجبية ورب معرفة تكون نبيلة وأخرى لا تكون في طريق النبالة وان كانت المراف كلها منفصلة مقدرة الا انها في منازل ومراتب وليس في الارض معرفة بدقيق ولا جليل وهي في نفسها شريفة كريمة والمعرفة كالأبصار والجبل كله عمى والعمى كله شين ونقص والاستبانة كالأخبر وفضل ثم له امد ذلك ارتفاق الناس لهذا المعنى منه ومن ذلك امد صوته وانه يدل على ان موضعه ما هو ملأوس ولذلك قالوا الا يكون البين قرية حتى يصقع فيها ديك وليس في الارض طائر أملح ماجا من فروج وليس ذلك الاسم الا لولد الديك والا فكل شيء يخرج من البيض فانما هو فروج والفروج حين تصدع عنه البيضة يخرج كاسيا عارفا بموضع لقط الحب وسد الخلة وهو أصيد للذباب من السوداني ويخرج مع الولادة بلا فصل ومع ما أعطي من محبة النساء ورحمة الرجال وحسن رأي من جميع الدر ثم اتباعه لمن دعاه والله لمن قربه ثم ملاحظة

صوته وحسن قده ثم الذي فيه مما يصح له الفروج ويتفرج فيه وكان جعفر بن سميد يزعم ان الديك أحمد من الطاوس وانه مع جماله وانتصابه واعتداله وتعلقه اذا مشى سليم من مقابح الطاوس ومن تشاؤم أهل الدار من قبح رجله ونذالة مرآته وزعم أنه لو ملك طاوسا لابس رجله خفا وكان يقول وانما يفخر له بالتلاوين وبلك التعاريج والتهاويل التي لألوان ريشه وربما رأيت الديك النبطي وفيه شبهه بذلك الا ان الديك أجمل من التدرج لمكان الاعتدال والانتصاب والاشراف وأسلم من العيوب من الطاوس وكان يقول ولو كان الطاوس أحسن من الديك النبطي وتلاوين ريشه لكان فضل الديك عليه بفضل القدو والخرطوب بفضل حسن الانتصاب وجودة الاشراف من مقدار فضل حسن الوانه نعلي الوان الديك واكان السليم من العيوب في العين والعين فيه أعمال لا اعتراض تلك الخصال القبيحة على حسن الطاوس في عين الناظر اليه وأول منازل الحمد السلامة من الذنب وكان يزعم أن قول فلان أحسن من الطاوس وما فلان الا طاوسا وأن قول الشاعر * جلودها مثل طواويس الذهب

وانهم لما سموا جيش بن الاشعث الطواويس اكثره من كان يجتمع فيه من الفتيان المنموتين بالجمال وأمالان العامة لا تبصر الجمال والفرس رائع كريم أحسن من طاوس في الارض وكذلك الرجل والمرأة وانما ذهبوا من حسنه الى حسن ريشه فقط ولم يذهبوا الى حسن تركيبه وتنصبه لحسن البازي وانتصابه ولم يذهبوا الى الاعضاء والجوارح والى الثياب والهيئة والرأس والوجه الذي فيه وكان جعفر يقول لما لم يكن في الطاوس الاحسنه في الوانه ولم يكن من المحاسن ما يزاها ذلك ويجاذبه وينازعه ويشغل عنه ذكر وتبين وظهر وخصال الديك كثيرة وهي متكافئة في الجمال ونقول لم يكن لعبد المطلب في قريش نظير كما انه ليس في العرب لقريش نظير وكما انه ليس في العرب للناس نظير وذلك حين لم تكن فيه خصلة أغلب من أختها وتكاملت فيه وتساوت وتوافت اليه فكان الطبع في وزن المعرفة فقالوا عند ذلك سيد الأبطح وسيد الوادي وسيد قريش واذا قالوا سيد قريش فمدوا قلوبا سيد العرب واذا قالوا سيد

العرب فقد قالوا سيد الناس ولو كان مثل الاحنف الذي برع في حله وبرع في سائر
 خصاله لذكره بالحلم ولذلك ذكر قيس بن زهير في الدهاء والحارث بن ظالم في الوفاء
 وعتيبة بن الحارث في النجدة والثقافة ولو أن الاحنف بن قيس رأى حاجب بن
 زرارة أو زرارة بن عدس أو حصن بن حذيفة أفندهم على نفسه وهؤلاء عيون أهل
 الوبلا يذكرون بشئ دون شئ لا استواء خصال الخير فيهم وفي منحول شمر الزبافة

فالميت الامانة لم تخنها * كذلك كان نوح لا يخون

وابس لهذا الكلام وجه وإنما ذلك كقولهم كان داود لا يخون وكذلك كان موسى
 لا يخون عليهما السلام وعم وان لم يكونوا في حال من الحالات أصحاب خيانة ولا تجوز
 عليهم فان الناس انما يضربون المثل بالشيء النادر من فعل الرجال ومن
 سائر أمورهم كما قالوا عيسى بن مريم روح الله وموسى كليم الله وابراهيم خليل
 الرحمن صلى الله عليهم وسلم ولو ذكر ذكر الصبر على البلاء فقال كذلك كان أيوب
 لا يجزع كان قولاً صحيحاً ولو كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمة
 أعطيت حقها ولو ذكر الاحتياك وتجرع الغيظ فقال وكذلك كان معاوية لا يسفه
 وكان الاحنف لا يفحش لكان كلاماً مصر وفاقاً عن جهته ولو قال كذلك كان حاتم لا
 يخذل لكان ذلك كلاماً معروفاً وان كان القول قد وقع موقعه وان كان حاتم لا يدرف
 بقلة الاحتمال وبالسرعة الى المكافاة ولو قال سأبئك فمنعتني وقد كان الشعبي لا يمنع
 وكان النخعي لا يقول لا لكان غير محمود في جهة البيان وان كان ممن يعطى ويختارنم
 على لا وان كان لما لم يكن ذلك هو المشهور من أمرها لم تصرف الامثال اليها ولم
 تضرب بهما قال جعفر وكذلك القول في الديك وجماله الكثرة خصاله وتوازن خلاله
 ولأن جمال الديك لا يابح بذكره الا البصراء بتقدير الجمال والتوسط في ذلك
 والاختلاط والتقصيد ومما يكون مزوجاً خالصاً وحسن الطاوس حسن لا تعرف
 العوام غيره فلذلك لهجت بذكره ومن الدجاج الخلاسي والهندي ومن الدجاج
 الزنجي ومنها الكسركري ومن الديكة ما يخصى فلا يبلغه في الطيب والسمن شئ

وان اشتد لحمه وان كان غير خمصي فقد يمدح ذلك من وجه هو رد عايه من باب الفخر
ومن رخاوة اللحم واستطابة الاكل وعلى أنه لو كان أدناده من بعض سباع الطير أو
عدا خلقه إنسان فكان يريد أخذه حتى اذا فسخه البهر ارتد في موضعه لا يبرحه ثم
ذبحه على المكان لجمع به الخصال كلها ولو تاق في عنقه حجر ليمته بعد أن ذبحه أو
أولج بطنه شيئاً من حلتيت لجمع به الخصال فانه من أعمل فيه البورق وقشور البطيخ في
اللحم المنضل وهو بعد غيور يحمي دجاجته وقال لراجز

* يغار والغيرة خالق في الذكر * وقال الآخر * النحل يحمي شوله ممتولا *
ولحم الدجاج فوق جميع اللحمان في الطيب والبياض وفي الحسن والملوك تقدمه
على جميع الفراخ والزاواض والبط والدراج وهم للدراج آكل منهم للجداء الرضع
وللعنق الحمر من أولاد الصفايا والدجاج أكثر اللحوم تصرفاً لأنها تطيب سواء ثم
حاراً وبارداً ثم تطيب في البز ما ورد ثم تطيب في المراثيس ويحدث لها به نفحة لا
تصاب مع غيرها وتطيب طبيخاً وتطيب فصوصها وان قطعها مع اللحم دسم ذلك
اللحم وتصلح للحشاري وللملاقسطي وتصلح في الاسنرجات وسمينها يقدم في
السكباجة على البط الا أنها تطعم المقصود وايس ذلك للبط قال والديكة دجاج اذا
ذكرت في جملة الجنس وهذا الباب مما تغاب فيه الاناث على الذكورة وقال آخرون
لا واكن الديك نفسه دجاجة إلا أنهم أرادوا ابنته بأنه ذكر فقوالوا ديك كما يسمون
الذكر والانثى فرسا بلاها فاذا أرادوا أن يثبتوا إناثها قالوا حجر وان كانت حجرا
نهي فرس وقال الأخطل

نازعته في الدجى الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقفة الساري
وقد بين ذلك القرشي حيث يقول

أطردوا الديك عن ذؤابة زيد * كان ما كان لا تطاه الدجاج
ذلك انه كان رأى رأس زيد بن عمر في دار يوسف بن عمر فجاءه ديك فوطئ
عمره ونقره في لحمه لياً كله قالوا قد أخطأ من زعم أن الديكة إنما تجابوب بل إنما ذلك

منها شيء يتوافق في وقت وايس ذلك بتجاوب نباح الكلاب لأن الكلب لا وقت له وإنما هو صامت ساكت ما لم يحس بشيء يفرغ منه فإذا أحس به نبح وإذا سمع نباح كلب آخر أجاب ثم أجاب ذلك آخر ثم أجابها الكلاب الأول وتبين انه المجاوب جميع الكلاب والديك ليس من أجل انه أنكر شيئاً اذا استجاب أو سمع صوتاً صفع وإنما يصفع لشيء في طبعه اذا قابل ذلك الوقت من الليل هيجه فعدد أصواته في الوقت لذي يظن انه تجاوب فيه الديكة كعدد أصواته في القرية وليس في القرية ديك غيره وذلك هو في الموايت والملة التي لها يصقم في وقت بعينه شائعة فيها في ذلك الوقت وايس كذلك الكلاب قد تنبح الكلاب في الحربية وكلاب في بني سعد غير نابحة وايس يجوز أن تكون ديكة المهالبة تصنع وديكة المسامة ساكنة فان أراد مرید بقوله إن الديكة تجاوب على مثل قول العرب هذه الجبال تناظر اذا كان بمضها قبالة بعض واذا كان الجبل من صاحبه بالمكان الذي لو كان إنسان رآه جاز ذلك وعلى هذا المثل قال النبي صلى الله عليه وسلم في نار المشركين ما قال حيث قال لا تتراءى ناراهما ومع قول الشاعر * لا تتراءى قبورها * وقال ابن مقبر العجلاني

سئل الدار من جنبي جبير فراهب • وحيث ترى هضب القايب المصبح
وتقول العرب اذا كنت بمكان كذا وكذا حيث ينظر اليك الجبل نخذ عن
يسارك أو عن يمينك وقال الراجز * وكلما ترى شيخ الجبال ثيرا * وشيخ الجبال
عنده أبو قبيس وقال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاخير أنا بري، من كل مسلم
مع كل مشرك قيل ولم يارسول الله قال لا تتراءى ناراهما وقال الكسائي تقول العرب
دارى تنظر الى دار فلان ودورنا تناظر وقال الله تبارك وتعالى وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون وإنما قال القوم في تجاوب الديكة بيت شعر سمعوه للطرمح جهلوا
• معناه وهو

فيا صبح كهش عبر الليل مصعدا * نيم وينها كالعفاء الموشح
ذا صاح لم يخذل وجاوب صوته * حماش الشوى يصدحن من كل مصدح

وكذلك غلطوا في قول عبد الله بن الطيب

اذ صفق الديك يدعو بعض أسرته * الى الصباح وهم قوم معازيل
 وإنما أرادوا توافي ذلك منها مما جملها دعاءً وتجاوباً على ما فسرناه قل صاحب
 الكلب لولا أنا وجدنا الحمار المضروب به المثل في الجهل يقوم في الصباح وفي ساعات
 الليل مقام الديكة لتمد كان ذلك قولاً ومذهباً غير مردود ولو أن متفقاً يتفق ذلك
 من الحمار لوجده منظوماً يتبع بعضه بعضاً على عدد معلوم ولو وجد ذلك متسوماً على
 ساعات الليل ولكن لقائل ان يقول في نهيق الحمار في ذلك الوقت ليس على تجاوب
 إنما ذلك شيء يتوافق مما لا استواء العلة ولم تكن للديك الموصوف بأنه فوق الاستطراب
 فضيلة ليست للحمار وعلى ان الحمار أبعد صوتاً وقد بلغ من شدة صوته ما ان حان
 أحمد بن عبد العزيز ان الحمار ما ينام قيل له وما ذلك قال لاني أجد صياحه ليس بصياح
 شيء انبه تلك الساعة ولا هو صياح من يريد ان ينام بعد انقضاء صياحه هذا والحمار
 هو الذي ضرب به القرآن المثل في إمد الصوت وضرب به المثل في الجهل فقال كمثل
 الحمار يحمل أسفاراً فلو كان شيء من الحيوان أجهل بما في بطون الأسفار من الحمار
 لضرب الله المثل به دونه وعلى ان فيه من الخصال ما ليس في الديك وذلك ان
 العرب وضعت من الامثال التي هي له في عشرة أماكن فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كل الصيد في جوف الفراء وكفالك به مثلاً اذا كان لرسول الله عليه وسلم في
 تفضيل هداية أبي سفيان وقالت العرب انكح من الفراء والفراء مهجوز مفتوحة الفاء
 مجموعة فراق الشاعر

بضرب كاذان الفراء فضوله * وطعن كايترغ الخاض النوزع

وتقول العرب العير أو في لدمه وقولهم من ينك العيرينك نياكا وقلوا الجحش اذ فاتك
 الاعيار وقالوا اصبر من عير أبي سيارة لانه كان دفع بأهل الموسم على ذلك الحمار أربعين
 عاماً وقالوا ان ذهب عير فعير في الرباط وقالوا في المديح اصاحب الرأي جحيش وحده وعيير
 وحده والعير يضرب والمكواة في النار وقالوا احمارا يحمل أسفاراً وأضل من حمار أهله

وأخزى الله الحمار مالا لا يزكى ولا يذكى وقد حيل بين العير والزوان فالذى مدح به أكثر فقد وجدنا الحمار أبعد صوتاً ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميز عدداً معلوماً إلى الصبح إلا أن له في الأسفار فضيلة والحمار أجمل الخلق فليس ينبغى المديك أن يقضي له بالمعربة والحمار قد ساواد في سيد علمه ثم باينه أن الحمار أحسن هداية والديك أن سقط على حائط جاره لم يحسن أن يهتدى إلى داره وإن خرج من باب الدار ضل وضلاله من أسنن كضلاله من فوق قل صاحب الديك حدثونا عن صالح ابن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال صرخ ديك عند النبي صلى الله عليه وسلم فسبه بعض أصحابه فقال لا تسبه فإنه يدعو إلى الصلاة وعن ابن الماجشون عن صالح ابن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن يزيد بن خالد الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سب الديك وقال أنه يؤذن للصلاة الحسن بن عمارة عن عمرو بن مرة وعن سالم مولى أبي الجمد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن مما خان الله تعالى لديك عرفه تحت العرش وبرائه في الأرض السفلى وجناحه في الحوى فإذا ذهب ثلثا الليل وبقي ثلثه ضرب بجناحه ثم قال سبحو الملك القدوس سبح قدوس أي أنه لا شريك له فعند ذلك تضرب الطير بأجنحتها وتصيح الديكة وأبو العلاء عن كعب أن لله تعالى ديكا عنقه تحت العرش وبرائه في أسنن الأرضين فإذا صاحت الديكة يقول سبحان الملك القدوس الملك الرحمن لا اله غيره قال والديكة أكيس شيء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الديك الأبيض صديقي وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع دور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه معه في البيت وروى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالديكة وزعم أصحاب التجربة أنه كثيراً ما يرون الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق أنه لا يزل ينكب في أهله وماله ومما في المحاجة أن يقال كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرج من البيضة فقالوا يعاق بمنقاره فإن تحرك فهو ديك وإن لم يتحرك فهو دجاجة قال الشاعر في حسن الدجاجة ونبل الديك

غدت بشرية من ذات عرق * أباند هناه من حلب العصير
 وأخرى بالعتقل ثم رحنا * نرى المصفور أعظم من بعير
 كأن الديك ديك بني نمير * أمير المؤمنين على السرير
 كان دجاجهم في الدار رقطا * بنات الروم في قص الحرير
 فبت أرى الكواكب دانيات * ينان أنامل الرجل القصير
 ادافهن بالكافرين عني * وأمسح جانب القمر المنير

وقال صاحب الكلب الاشياء التي تألف الناس لا تريد سواهم كالصنوبر والخطاف
 والكلب والسنور والديك مما يتخذ الناس وايس مما يحن اليهم فيقطع البلاد نزاعاً
 فيكون كالتواطع من الطير التي تريد كالحطاف ولا هو من الأوابد كالمصفور الذي
 حيث ما دار رجع اليهم ولا هو كالكلب الذي يعرف سواهم ولا هو كالأهلي من
 السنائر التي متى الفهم لم تفارقهم وتمس بالليل وتطوف في القبائل من دار الى دار
 ثم لا يكون مرجعها إلا اليهم والديك في خلاف ذلك كانه ثم لا يألف منزله ولا
 يعرف ربه ثم لا يحن الى دجاجة ثم لا تتوق نفسه الى طروقة ولا يشتاقي الى ولده
 ولا يعرف الذين غنوه وربوه بل لم يدر قط ان له واداً ولو كان درى لكان على
 درايته دليل فاذا قد وجدناه لفرارجه وبيضه المخلوقة منه ومن نجله كما نجد الملم يلد
 ولما ليس من شملكه أيضاً ولا يرجع الى نسبه فكيف لا نقضي عليه بالنقص اذا كانت
 الامور لا تعرف الا بهذا وشبهه وهو لا يعرف أهل داره ولا يثبت وجه صاحبه
 الذي لم يخلق الا عنده وفي ظله وتحت جناحه ولم يزل في رزقه وعياله والحمام ترجع
 اليه من مائتي فرسخ ويصطاد فيتحول عن وطنه عشر حجج ثم هو على ثبات عهده
 وقوة عقده وعلى حفاظه والقه والنزاع الى وطنه فان وجد فرجة ووافق جناحه وافيّاً
 وافاه وصار اليه وان كان جناحه مقصوصاً حذف الى أهله وتكاف المضي الى سكنه
 فاما بلغ وإما أعذر والخطاف يقطع اليهم من حيث لا يباغته خبر ولا يطؤده صاحب
 سفر على ان لا نراه يتخذ وكره اذا صار اليهم الا في أحسن موضع ولا يحمله الانس

بهم على ترك التجرر منهم والحزم في ملابستهم ولا يحمله الخوف منهم على منع نفسه
 لذة السكون اليهم ولا يخس الارتفاق بهم حفظه والمصافير لا تقيم في دار إلا وهي مسكونة
 فان هجرها الناس لم تقيم فيها المصافير والسنور يعرف ربة المنزل ويألف فرخ الحمام
 ويعايب فر ربيع امدار ان سرق وربط شهرأ عاد عند انفلاته وانخلال رباطه والهرة تعرف
 ولدها وان صار مثاها وان أطعمت شيئاً حملته اليه وأثرته به وربما التي اليها الشيء فتدنو
 لتأكله ويقبل ولدها فتسك عنه وترضه له وربما طرح لها الشيء ووادها غاب عنها
 ولها ضروب من النغم وأشكال من الصياح فتصيح ضرباً من الصياح يعرف أهل
 الدار انه صياح الدعاء لا غير ذلك ويقال أبر من هرة ومتى أرادت ما يريد صاحب
 الغائط أتت موضع تراب في زاوية من زوايا الدار فتبجته حتى اذا جمعت له مكاناً
 كهيئة الحفرة جمعته فيها ثم غطته من ذلك التراب ثم تسمت أعلى ذلك التراب وما
 ظهر منه فان وجدت شيئاً من الرثعة زدت عليها تراباً فلا تزال كذلك حتى تعلم انها
 قد أخفت المرئى والمشوم جميعاً فان هي لم تجد تراباً خشت وجه الارض أو ظهر
 السطح حتى تبلغ في الحفر المبلغ ومن ستر ذلك المجهود وزعم ناس من الاطباء ان
 السنور يعرف وحده ربيع رجعه فانما يسترد لمكان ثم الفار له فانها تفر الى تلك الرثعة
 وتغطيه لما يكون من خالق من أخلاق الأسد ما يشا كل فيه الأسد في الخلق على
 قدر ما يشا كاه في الخلق وتمدد ذلك كثير والديك لا تراد الا سلاحاً ثم لا يتوقى ثوب
 رب الدار ولا فرسه ولا بساطه هذا وحياته التراب ولم يدفن نفسه فيه ويدخله في
 أصول ريشه ثم لا ترى سلاحاً أنتن منه لا يشبه ذرق الحمام وصوم النعام وجرم الكاب
 ثم مع ذلك لا تراد الا سائلاً رقيقاً ولو كان مدحرجاً كأبعاد الشاء والابل والظباء
 ومتماقياً بإساً كبير الكاب والاسد ثم لو كان على مقدار نته لكان أهون في الجملة وقال
 أبو نواس في ديكت بمض أصحبه

آذيتنا بديك السلاح • فنحننا من منتن الارواح

وقال صاحب الكاب و • من مرافق الكاب ان الخنازين يظاهر بعضهم بمضاً فلا

يكونون في البلاد الامعاء ولا يسافرون الا معافر بما استولوا على درب بأسره أو على طريق بأسره ولا ينزلون الا في طريق نافذ ويكون خاف دورهم إما صحارى وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك وفي كل دار كلاب مربوطة ودفوف وطبول ولا يزالون يجملون على أبوابهم . معلم كتاب منهم فاذا خنق أهل دار منهم انساناً ضرب النساء بالدفوف وضرب بعضهم الكلاب نسمع المعلم فصاح بالصبيان إنجوا وأجابه أهل كل دار بالدفوف والصنوج كما يفعل نساء أهل القرى وهيجوا الكلاب فلو كان الخنوق حماراً لما شعر بمكانه أحد كما كان ذلك بالرقعة وكيف أخذوا أهل درب بأسره وذلك ان بعضهم رغب في ثوب كان على حمال وفيه دريهمات معه فالتقى الوهق في عنقه فغشى عليه ولم يمت وتحرك بطنه فأتى المتوضأ وتحرك الحمال والساجور في عنقه فرجعت نفس الحمال فلما لم يحس بأحد عنده قصد نحو باب الدار وخرج وزيادة في عنقه وتلقته جماعة فاخبرهم الخبر وتصايح الناس فاخذوا عن آخرهم وقد كان بالكوفة شبيه بذلك وفي غيرها من البلدان فقال حماد الراوية وذكر المرميين بالخنق من

القبائل وأصحاب القبائل والنحل وكيف يصنع الخنق وسمى بعضهم فقال

إذا سرت في عجل فسر في صحابة * وكندة فاحذرهما حذارك للخسف
وفي شيعمة الاعمى زياد وغيلة * وقشب وأعمال مخذلة القذف
وكلهم شر على ان رأسهم * حميدة والميلا وصاحبة الكسف
متى كنت في حيي بجيلية فاستمع * فان لهم قصفاً يدل على حتف
إذا اعتزموا يوماً على خنق زائر * تداعوا عليه بالنباح وبالعزف
وأما ذكره لبني عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بني عجل وأما ذكره

كندة فقد أنشدنا سفيان بن عيينة وأبو عبيدة النجوى

إذا ما سرك العيد * ش فلانأخذ على كنده

ومن كندة أبو قصبه أخذ بالكوفة وقتل وصاب وكان بالكوفة ممن يأكل لحوم
الناس عدية المدينة الصغرى وكان بالبصرة رادويه صاحب قصاب رادويه وأما

الاعمى في بني ضبة الذي ذكره فهو المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة وهم صنف ممن يعمل في الخنق بطريق المنصورية والمغيرة هذا من موالى بجيلة وهو الخارج على خالد بن عبد الله القسري وعند ذلك قال خالد وهو على المنبر اطعموني ماء وفي ذلك يقول بحر بن نوفل

وقلت لما اصابك اطعموني * شرابا ثم بات على السرير

للاعلاج ثمانية وشيخ * كبير السن ذى بصر ضرير

وأما حميدة فقد كانت لها رياسة في الغالية وهي ممن استجاب لليلى الشباية الناعظية والميلي صاحبة أبي منصور صاحب المنصورية وهو الكسوف قالت الغالية اياه عنى الله تبارك وتعالى وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم وقد ذكره أبو السرى معدان الاعمى السميطي في قصيدته التي صنف فيها الرافضة ثم الغالية وقدم السميضية على جميع اصناف الشيعة فقال

ان ذالكسوف صدال كيل * وكيل زول من الازوال

تركوا بالعرء داء دويا * ضل فيه تطف الماحمال

منهم جاعل العسيب اماما * وفريق يرض زند الشمال

وفريق يقول انا براء * من علي وجندب وبلال

وبراء من الذى سلم الامم * على قدرة بغير قتال

وفريق يدين بالنصر حتما * وفريق يدين بالاهمال

لان الكيمياء لا تجيز الوكالة في الامة وتقول لا بد من امام صامت أو ناطق ولا بد من علم يمد الناس اليه اعناقهم وأبو منصور يقول بخلاف ذلك وأما قوله

وفي شيعة الأعمى زياد وغيلة * وقشب وأعمال مجزلة القذف

فتمد قال معدان حبشى وكافر سبياني * حربى وناسخ قتال

تلك تيمية وهاتيك صمت * ثم دين المغيرة المغتال

خنق مرة وشنق بخار * ثم رضى بالجدل المتوالى

لان من الخناقين من يكون جامعاً وبذلك يسمونه اذا جمع الخنق والتشميم وحمل معه
 في سفره حجرتين مستديرتين مدهامكين واهامين فاذا خلا برجل من اهل الرفقة
 استدبره فرما بأحدهما فجدوته وكذلك ان كان ساجداً فان دمه الاول سابه وان
 هو رفع رأسه طبق بالآخر وجهه وكذلك ان الفناد ناثماً أو غافلاً ولقد صعب منهم
 ناس رجلا خرج من الري وفي حقوه هميان فكان لا يفارق معظم الناس فلما رأوه
 قد قرب من مفرق الطارقتين ورأوا احتراسه وهم نزول أماناً في صحراء وأماناً في بعض
 سطوح الخانات والناس متشاغلون بأمرهم فلم يشمر صاحب الحميان نهائياً والناس
 حوله الا والوهق في عنقه وطارحه الآخر حين القاه في عنقه ووثب اليه وجلس على
 صدره ومد الآخر برجليه والقي عليه ثوباً وأذن في أذنه فقام اليهم بعض أهل الرفقة
 كالمعين والمنفجع فقالوا له مكانك فانه ان رآك خجل واستحى فأمسك التوم عنهم
 وارتحل التوم وأعجلوا بصاحبهم فلما خلوا به أخذوا ما أحبوا وتركوا ما أحبوا ثم حملوه
 على أيديهم حتى اذا برزوا رموه في بعض الأودية وقد ذكر أعشى همدان السبيلية
 وشأنهم في كرسى المختار

شهدت عليكم انكم سبيلية * وانى بكم ياشرطة الكفر عارف
 وأقسم ما كرسيمكم بسكينة * وان كان قدامت عليه اللغائف
 وان ليس كالتابوت فينا وان سعت * سنام حواليه وفيهم زخارف
 وانى امرؤ أحببت آل محمد * وآثرث وحيا ضمته المصاحف
 وان شاكرًا طافت به وتمسحت * باعواد ذاو دبرت لاتساءف
 ودانت به لابن الزبير رقابنا * ولا غبن فيها أو تحز السوالف
 واحسب عقباها لآل محمد * فينصر مظلوم ويأمن خائف
 ويجمع ربي أمة قد تشتت * وهاجت حروب بينهم وحسائف

أبو عبيدة الحسيفية الضغينة وجمعها حسائف وما أكثر من قتل نفسه بيده اما
 لخوف المثلة واما لخوف التعذيب والهوان وطول الاسر وقد كان الحكم بن الطميل

أخو عامر بن الطفيل وأصحابه خنقوا أنفسهم في بعض الأيام فعيروا بذلك تعبيرا شديداً
فقال خراشة ابن عامر بن الطفيل

وقدمتهم للموت ثم خذاتهم * فلا واث تنفس عليك تحاذر
فهل تبافني عامرا إن أقيته * أسليت عن سلمان أم أنت ذاكر
فإن وراء الحى نزلان أليكة * مضمخة آذنها والغدائر
وانكم إذ تخنقون نفوسكم * لكم تحت اظلال المضاء جرائر

وقال عمرو بن الورد في يوم ساقوق ويذكر خنق الحكيم بن الطفيل وأصحابه أنفسهم فقال

ونحن صبغنا عامرا في ديارها * علالة ارماح وعضبا مذكرا
بكل رقيق الشفرتين مهند * ولدن من الخطي قد طار أسعرا
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم * ومقتاهم عند الوغي كان أعذرا
اشد الحليم منهم عقد حلة * الاياتى الامر الذى كان أعذرا

وقال أبو زيد في كلب له كان يساور الاسد ويمنعه من الفساد حين حطمه الاسد
وكان اسمه أكدر فقال

أحال أكدر مختالا كمادته * حتى اذا كان بين الحوض والعطن
لاقى الذى جال الاطواد داهية * أشوت وأكدر تحت الليل في قرن
حطت به سنة ورهاء تطارده * حتى تنهى الى الاهوال في سنن
الى مقارب خطو الساعدين له * فوق السراة كذفرى القمارح الفصن
ربال ضامى لا فخم ولا ضريع * كابل على خطبه العجلان فى سكن
فاسريا وهما سنا همومهما * الى عرين كمش الارمل اليفن
هنا بما عقلت اظفاره بهم * وذن أكدر غير الامن والحسن
حتى اذا ورد القروال وانتهت * لحسنه أن احدى سنه سدن
بادى جناحهما حصاء قد أفات * لمن يهزن تعبيرا على سدن
أتين أكدر أن تموا ثمانية * ان قد تحال أهل البيت باليمن

نخاف عزتهم لمادنا لحم * خاص اكدر مشفيا من الوسن
 باربع كلها في الخلق داهية * غضف عليهم ضافي اللحم واللبن
 الفاه متخذ الانياب جنته * وكان بالليل ولاجا إلى الجنين
 (وقال) صاحب الكلب قال امرابي واكل ذيب شاة له تسمى وردة وكنيتها أم وردة
 أودى بوردة أم الورد ذو عسل * من الذئاب اذا ماراح أو بكرأ
 لولا ابها و سايلات لها غرر * ما تفككت العين تدرى دمها دررا
 كأنما الذئب اذ يعدو على غنمى * فى الصبح طاب وتركان فاتأرا
 اعتمامها اعتمامه شئن برائه * من الضواري اللواتى تقصم القصرأ

قال فى هذا الشعر دليل ان الذئب انما يعدو عليها مع الصبح عند فتور الكلب عن
 النباح لانه بات ليلته كلها دابا يقظان يحرس فاما جاء الصبح جاء وقت نوم الكلاب
 وما يمتريها من النعاس ثم لم يدعوا الله على الذئب بأن يأكله الأسد حتى يختاره
 ويعتمامه الا والأسد يأكل الذئاب ويختار ذلك وانما استطاب لهم الذئب بفضل شهوته
 للحم الكلب (وقال) صاحب الديك لم تر شريفا قط اجاز شاعرا بكلب ولا حبابه زائرا
 قدرا يتهم بجيزون الشعراء بالدجاج واعظم من ذلك أن لقيم الدجاج لما قال فى افتتاح
 خبير وهو يعنى النبي صلى الله عليه وسلم

رمى قطة من النبي بفياق * شبيهة ذات مناكب وفقار

وهب له دجاج خبير عن آخرها رواه أبو عمر والمدائنى عن صالح ابن كيسان ولتلك
 الدجاج قيل لقيم الدجاج (وقال) صاحب الكلب قال أبو الحسن كان اياس بن
 معاوية وهو صغير ضعيفا دقيقا دميما وكان له أخ أشد حركة منه وأقوى فكان
 معاوية يقدمه على اياس فقال له اياس يومئذ قدمت أخى على وسأضرب لك مثلي
 ومثله هو مثل الفروج حين تنفلق عنه البيضة يخرج كافيها بنفسه يلتقط ويستخفه
 الناس وكلما كبر انتقص حتى اذا تم فصار دجاجة لم يصاح الا للذئب وانا مثل فرخ
 الحمام حين تنفلق عنه البيضة عن ساقط لا يتدر على حركة فابواه يغذوانه حتى يقوى

ويثبت ريشه ثم يحسن إمد ذلك ويظن فيجد به الناس ويكرهونه ويرسل من المواضع
 البعيدة فيجيء فيسان ذلك ويكرم فقال أبو داند أحسن المثل فقدمه على أخيه فوجد
 عنده أكثر مما كان يظن فيه (قال) صاحب الكتاب وقد أغفل إياس في هذا القول
 بمض . صالح الدجاج وذلك أن الدجاج من له أن يخرج من حد الصفر والكيس إلى
 أن يدخل في حد الكبر واحتمال اللحم والشحم يكون أخبث حالا لأنه لا يصلح فيه
 للذبح وقد خرج من حد الكيس والاستصلاح وإياس هو الذي يقول است بنجب
 والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبي ويخدع الحسن

باب ما يحتاج إلى معرفته

يقال فرج المرأة والجمع فروج وهو القبل والفرج كناية والاسم الحروجمه احرارح
 وقال الفرزدق

أني أتود جملا مراحا * في قبلة موقرة أحرارا

قالوا وإنما جمعوه على احرارح لان الواحد حرح هكذا كان أصله وقد يستعار ذلك
 وهو قليل قال الشاعر

تراها الضبع أعظمهن رأسا * جراهمة لها حرة وثيل

فلم يرض الاستعارة حتى ألحق فيها الهاء وهو الكعشب وقال الفرزدق

إذا بطحت فوق الأثافي رفعها * بشديين مع نحر كريم وكعشب

وقال الاغاب * حياكة عن كعشب لم يصحح * وهو الاخشم وقال الراجز

بأنة الرجل فما تضمها * وقال ومد يسمى الشكر بفتح الشين واسكان الكاف

وأشددوا وكنت كليله الشبها هبت * تمنع الشكر أتأها القبيل

أفضاعا وأما قوله

قد أقبت عمرة من عراقها * ملصقة الدرج بخاق باقها

قال وهو ان أراد الحر فليس ذلك من أسمائه ولكنه سماه بذلك على المزاح قالوا والظبية
 اسم الفرج من الحافر والجمع الظبيات وقد استعاره أبو الاحرز فجعله للخنف فقال
 ساورها عند القروء الوحم * في الارض ذات الظبيات اجهم
 وقد قال الاول

فجاء بفرمول وفلك مدملك * فخرق ظبيها الحصان المشبق
 وهو من الظلف والخلف الحيا والجمع أحبية وهو من السبع ثور وقد استعاره الأخطل
 للظلف فقال

جزى الله عنا الاعورين ملامة * وعبلة ثور الثورة المتضاخم
 فلم يرض ان استعاره من السبع للبقرة حتى جعل البقرة ثورة وقد استعاره النابغة
 الجعدي للحافر كما استعاره الأخطل للظلف فقال
 بريذنة بلّ البراذين ثورها * وقد شربت من آخر الليل أيلان
 وقد قالوا برذونة وقال الراجز

ترحزحي اليك يا برذونه * ان البراذين اذا جريته

* مع الجياد ساعة أعيينه *

وقد استعاره آخر فجاءه للنعجة فقال

وما عمرو الانعجة شاخسية * تحرك تحت المكبش والثفر وارم

والشاخسية ضأن في تغلب وقد استعاره آخر فجعله للمرأة فقال

نحن بنو عمرة في انتساب * بنت سويد أكرم الضباب

* جلدتنا من ثورها المنجاب *

ويقال لجردان الحمار غرمول وقد يقال ذلك للانسان وقضيب البعير وهو اسكل شئ

ومقلم الجمل فقط ومن السباع المقررة وأصله للكلب والذئب وقال جرير

اذا روين على الخنزير من سكر * نادين يا أعظم القسين جردانا

ويقال صرفت الكلبة صرافا وصر وفا وضامت تظلع ظلوعا وقالوا في الأمثال لأفعل

حتى ينام ظالم الكلاب أي الصارف ولم يعرف الاصمعي ظلمت الكلبة بمعنى صرفت
 واستحرمت وجعات واستجمات واستطارت والذئبة في ذلك كالكلبة قال ويقال
 في السباع قد وضعت وولدت ورمضت مثل ما يقال للناس والغنم قال ويقال في السباع
 كلبة وكلب وذئبة وذئب وبرذون وبرذونة وأنشد

أريت إذا ماجات الخليل جولة * وأنت على برذونة غير طائل

ويقال رجل ورجل وامرأة ونساء وليس لها جمع من واحدها ويقا بعير وناقه
 وجل ولا يقال جملة ولا بعيرة وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ وشيخة ويقال كبش
 ونعجة ولا يقال كبشة كما لا يقال اسدة ويقال أسد وابوة ويقال لبوات وذئبة
 وذئب وقال الشاعر

كأنهما ضبعانة في مغارة * وذئبة محل أم جروين تعال

ويقال انسان وانسانة وسبع وسبعة وحمام وحمامة وجمار وجمارة وسرحان وسرحانة
 وسيد وسيدة ومقل ومقلة والقي والتمة وقال رؤبة * جد وجدت القة من الألق *
 وزعم انه يقال ضبع وضبعة وثعلب وثعلبة وأصحابنا لا يقولون هذا ويضحكون من
 يقولون ضبعة عرجاء ويقال ثرملة ويقال من الفرائخ فرخ وفرخة ومن الغمور ثمر وثمره
 قال ويقال ذبيح وذبيخة وضبعان وضبعانة وجيئل وجيئة ويقال عقرب وعقربة والعقربان
 الذكر وحده وقال الشاعر

كان مرعى أمكم إذ غدت * عقربة يكومها عقربان

ومن الضفادع ضفدع وضفدعة ومن القنفذ قنفذ وقنفذة وشبهه ومن القروذ
 قرد وقردة ويقال إتمة وقشة ولا يقال الق وقش ويقال لولد القرد رباح والأبى القة
 وقال الشاعر والتمة نزع رباحها * والسبل والنوفل والنمر

ومن النعام مقل ومقلة وهيقة وصعل وصعلة وسفنج وسفنجة وانمام ونعامه
 والواحد من فرائخها الرأل والجمع رئال ورأل وأرؤل ولا تى رألة وحقانة
 والجمع حقان وقد يكون الحقان أيضاً للواحد ويقال لها فلاص والواحدة فلوص ولا

يقال فلوصة ويقال ضميم ولا يقال ضايعة ويقال تميم ولا يقال تميمية وتسمى من لا يرب
أرب ولا يقال أرنبة ولذا كرخزرو ويقال الأثني عكرشة وتولدها خرنق ويقال هذه أرب
وهذه عقاب ولا يقال هذا لأرب ولا هذا لعقاب ومن التبع
فما تمك بين عورفات تيجر بر من عكرشة زرع

قال ويقال لولد الكلب جرور ولا يجرور وهو درص وجمع درص ورس من عظم
الكلب الكلب بن كادرص الكلاب وجرور الكلب يكون تميمي مشرد يه وكن كثير
وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع ويقال بعض جرور وتبع وجصص
فتح عينيه شيئاً وصاصاً إذا لم يفتح عينيه ويدان فل عند مة بن جحش وسكران
ابن عمرو والمسلمين بهلاد حبشة فاصاصتم ثمون بعض رجز في بعض القبائل
أقبح به من ولد وأشجع من مثل جرور الكلب ما يفتح
في لير سار لم يتم في يفتح باباب عند حجة المستفتح

ويقال لولد الأسد جرور وجرور وجرور وجرور وجرور وجرور وجرور وجرور وجرور
أشبال وشبول وقت زهير

ولانت شجع حين تبعه لا يـ فصل من لبث أبي أحر

وحدثني صديق لي قال أعجب أح لمان خبت ثعب وكان صاحب فمض وفوس
ما أعجب أمر الثعلب يفصل بين الكلب و كلاب فيجذل الكلاب ثم يرمي لهم بخور
عليه ولا يحتال مثل تلك حيلة الكلب لأن الكلب لا يخفي عليه ميت من الموت
عليه ولا ينفع عنده الثموت وذلك لا يخفى من موت من يموت من الموت من الموت
منه كلب لأنه لا يخفي عليه مغمور حس أو حي أو ميت والكلاب عا ساءت فحس
يستدل به الجوس قل وذاك في هجرت عى لعاب في مطبق ومي في ح وهو
ميت منتفخ فصدت عنه فدم البث ح ختمى كلاب من أحس به موت
بعد ان تحاير عن نسين فبدأت عن ذلك ود ذلك من فعبه معروف وهو
وينفخ خواصره ويرفع فوائمه فلا ينسك من راد من ناس له ميت مراد من

أذكر إتماخ بدنه فأنعجب من ذلك إذا مررت في الرقاق الذي في أصل دار العباسية ومنفذه إلى . أزن فاذا جروكاب . هزول سى الغداء قد ضربه الصبيان وعثروا ففر منهم ودخل الرقاق فرمى بنفسه في أصل اصطوانة وتبعوه حتى هجموا عليه فاذا هو قد تمرد فضربوه بأرجلهم فلم يتحرك فأنصرفوا عنه فلما جاوزوا تأملت عينه فاذا هو يفتحها ويغمضها فلما بمدوا عنه وأمرهم عدا وأخذ في غير طريقهم فأذهب الذي كان في نفسي للثعاب إذ كان الثعاب ليس فيه إلا الروغان والمكر وقد ساواه الكلب في أجود حيله ومع الكلب بمد ما ليس معه إلا أن يفخر بفروته في موضع انتفاع الناس به فجرح الكلب للذئبة أنفع منه إذ كان في الذئبة الموت وليس يقوم مقامه شيء وجد الثعاب منه عوض (قال) صاحب الديك شرار عباد الله من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نجد شعراء الناس شبهوا أولئك الغاتلين بشيء سوى الكلاب قال أبو نضلة الأبار في قتل سلم بن أحوز المازني صاحب شرطة نصر بن سيار الليثي يحيى بن زيد وأصحابه فقال

ألم تر ليثاً ما الذي ختمت به * لها الويل في سلطانها المتخاذل
كلاب تعاوت لا هدى الله سبابها * فجاءت بصيد لا يحل لا كل
بنفسى وأهلي فاطمي تقنصوا * زمان عمي من أمة وتخاذل
لقد كشفت للناس ايث عن استها * وغاب قبيل الحق دون القبائل

(قال) صاحب الديك وروى هشيم عن المغيرة عن ابراهيم قال لم يكونوا ينهوننا عن شيء من اللعب ونحن غلمان إلا الكلاب وذكر محمد بن العجلان المدائني عن زيد بن أسلم أنه كان لا يري بأساً بالبيض الذي يتقاصر به الفتيان أن يهدي إليه منه شيء أو يشتريه فياً كاه وهشام بن حسان قال سئل الحسن عن البيض يلعب به الصبيان يشتريه الرجل فياً كاه فإير به بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه والجوز الذي يلعب به الصبيان وحاتم بن اسماعيل الكوفي قال حدثنا عبد الرحمن بن حرمة عن سعيد بن المسيب أنه لم يكن يري بأساً بالبيض الذي يلعب به الصبيان قال وحدثني

ابن جريج قال وأخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير قال أخبرني أبو الطفيل انه سمع علي بن أبي طالب يقول اقلوا الحيات ذا الطنيتين والكلب الأسود البهم ذا الزتين قال والعزة حوة تكون بعينيه (قال) صاحب الكلب قد أخبرني أبو حرب عن منصور القصاب قال سألت الحسن عن البيض الذي يتقاصرون به فكرهه وما رأينا قط أحداً يريد الادلاج ينتظر صقاع الديك وإنما يوالي الديك بين صياحه قبيل الفجر ثم مع الفجر الى أن ينسط النهار وفيما بين الفجر وامتداد النهار لا يحتاج الناس الى الاستدلال لأن يصوت الديك ولها في الاسحار أيضاً بالليل الصيحة والصيحتان وكذلك الحمار على أن الحمار أبعد صوتاً وأجدر على أن ينده كل نائم لحاجة ان كانت له وما رأينا صاحب سحور يستعمله وكذلك صاحب الأذان وما رأينا ان يتكلم في وقت أذانه على صياح الديك لأن صورة صوته ومقدار مخرجه في السجر الأكبر كصياحه قبل الفجر وصياحه قبل الفجر كصياحه وقد نور الفجر وقد أضاء النهار ولو كان بين الصيحتين فرق وعلامة كان امري ذلك دليلاً ولكنه من سمع هتافه وصقاعه فانتما يفرع الى مواضع الكواكب والى مطلع الفجر الكاذب والصادق والديك له عدة أصوات بالنهار لا يغادر منها شيئاً وتلك أوقات لا يحتاج فيها الناس اليه وملكوا وعلموا يستعملون بالنهار الاسطرلابات وبالليل المنكبات ولحم بالنهار سوى الاصطرلابات خطوط وظل يعرفون به ما مضى من النهار وما بقي ورأيناهم يتفقدون المطالع والمجاري ورأينا أصحاب البساتين كل من كان بقرب الرياض يعرفون ذلك بريح الأزهار ورأينا الروم ونصارى القرى يعرفون ذلك بمركات الخنازير وبكورها وغدوها وأصواتها ولذلك قالوا في وصف الرجل له وثبة الأسد وروغان الثعلب وانسلاّب الذئب وجمع الذر وبكور الخنزير والرعي يعرف ذلك في بكور الابل وفي حنينها وغير ذلك من أمرها وللحمام أوقات صياح ودعاء مع الصبح وقبيل ذلك على نسق واحد ولكن الناس انما ذكروا ذلك في الديك والحمار لا تمتد أصواتها وهديل الحمام ودعاؤه لا يجوز بميداً الا ما كان من الوارشين والنواخت في

رؤوس الفئس، أعالى لأشجار مامبرى ن ذلك لما يسمع من موضع صالح البعد وللصافير
والخطاطيف وعمامة الطير مما يصفر، وأمر صرر وما يهدل مع العجر الى بعيد ذلك
صياح كثير ثم لندى لا يدع الصياح فى الأشجار مع الصبح أبداً الصوع والصداء
والعمامة والبومة فهذه من الطير وقد كتبنا فى غير هذا الموضع الأشعار فى
ذلك من وقد أصبح مع الصبح البوم والصداء والحمام والصوع والخطاطيف والصفير
والخيم فى ذلك الوقت أكثر من الديك كما قال الوليد بن يزيد فى ذلك

سأبغى أك فى العير * قفى أن شأت أو سيري
فما أن ذنا الصبح * بأصوت الصافير ي

وقال كاسم أبو عمرو المنان

ياليلة لي فى حوران ساهرة * حتى تكلم فى الصبح المصافير

فالمصافير والخطاطيف والخيم والحمام والصدوان وأصناف البوم كلها تقوم مقام الديك
وقال ثعلبة بن صمير المزني

تمبير ما يدرك ن رب فية * يبيض لوجوه ذوى ندى وما أثر
حسب الكاهة لا تدم بح * سبط لا كف لى الحروب ساعر

بأكرتهم بسباء جمت من * قبل الصبح وقبل لغو الطائر

قال ويقال لصوت الديك الداء والزق والخاف والصرخ والصفق وهو يهتف ويصقم
ويزقو والصرخ وهو حرن العود

تميل أك ندى وإقبيت لوى * كى من جوان القى المتقصف
والهى كذا مغنم قد جوبه * وترغب عن جزل المطاء وتصدف

فوعك الشط ندى بين أمانه * وأعتك حتى تسمع الديك يهتف

وقال المزيق العبدي

وقد أخذت رجلاي فى جنب نرزها * نسيفا كأفوص القطاة المطرق

أخيت بنجو يصرخ لىك عندها * وباتت بقع كارى النبت سملق

وقال لبيد

لذن ان دعا دياك الصباح بسحرة * الى قدر ورد الخماس المتأوب
ويقال للطائر الذي يخرج من وكرد بالليل البومة والصدى والحامة والضوع والوطواط
والخفاش وغراب الليل يصيد بعضها والغار وسام أبرص والقطا وصغار الحشرات
وبعضها يصيد البعوض والفراش وما أشبه ذلك والبوم يدخل بالليل نطى كل طائر
في بيته ويخرجه منه ويأكل فراخه وبيضه وهذه الاسماء مشتركة وقال خزيمه بن أسلم
فلا تزقون لي هامة فوق مرقب * فان زقاء الهمام أخبت خابت

وقال عبد الله بن حازم أو غيره

فان تك هامة بهراة تزقو * فقد أزقت بالروين هاما

وقال توبة بن الحمير

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني جنديل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدامن جانب القبر صائح

وقال الراجز

ومنهل طامسة اعلامه * يعوي به الذئب ويزقو هاهمه

وأشدني في الصداء

تجشمت من جراك والبوم والصدى * له صائح ان كنت أسريت من أجلي

وقال سويد بن أبي كاهل في الضوع

ان يضرني غير اب يحسدني * فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع

قال في قراءة ابن مسمود ان كانت الازقية واحدة ونفخ في الزقية يريد الصور

وصوت الدجاجة التوقاة تقول هي تقوقى وقال اعرابي

اليس يرى عيني جبيرة زوجها * ومحجرها قامت عليه النوائج

تجنهها لا أكثر الله خيره * رمي صاء قد شابت عليها المسائح

لها أنف خنزير وساقا دجاجة * ورؤيتها ترح من العيش تارح

قول لعجيب السوني

لأنه لا غرر لمن شهرة * حتى صاب بلفظ من مطلوب

من جروني فقهه بات بكنك * زرق لدجاج بخمزا اليم قيب

وقول أبو الأسود نمطي

ألم يري دجاجة نبي * غش ذم النصح ما يتقبل

وقول صاحب كتاب وشرطي في دجاج ونذكر كان من هجاء وهجاء من أخذها
وشبهها في وجه من وجود قول رجز

فبين من بر ومن - وج * يحيي قدم من لا دلج

فبم دجاج - عي دجاج * يشون فوجا في فوج

مشي لمرشحي لدجاج

وقول عبد المتين حجاج

قال مرض أبو العباس عبي * ويركب في عروض من عروض

ويجمل ودد يوم العيرى * ويغضني فاني من بغض

شعره ما يسو كل جرح * ويخبر كمرضى نغمه مبيض

فدنيك من ذم حلت يوم * تمناني بجم معونة ربوض

نمي حب خون ودك غش * وبست خبزة الشيخ مريض

كنا في ذمك عبي حجاج * فزانت بي موقوفية ربوض

هرة غيبسة نجت كادو * فذجذب ذم بركت نقبض

ودت مراد في زاوية وهي ترافض - ذم

وهبته من - ذم فوك * ومن هبتل قد عا حنيت

شبه ذني رأس كراس مبيت

تريد بقودا شبه كنه شيخ وشعر حسله ببيض ون حيته حمر ، وقد قول الشاعر

وهو لا غشي

وَبني المنذر الاشاعب بالحلي* رة يمشون غدوة كالسيوف
وَأَمَّا أَرَادَ الْعَشِيَّ أَنْ يَعْظُمَ وَيَفْخَرُ أَمْرَهُمْ وَشَأْنَهُمْ بَأَنَّ يَجْعَلُهُمْ شِيُوخًا وَأَمَّا قَوْلُهَا ذِي
رَأْسٍ كَرَأْسِ الدِّيكِ فَتَمَاتَعَنِي أَنَّهُ مَخْضُوبُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ وَقَالَ الْآخِرُ

حلت خويلة في حي مجاورة * أهل المدائن فيها الديك والنبل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية * منهم فوارس لا عزل ولا ميل

قال ابن أحر

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * لا يبتغي دونها سهل ولا جبل
الإكتمالك فينا غير ان لنا * شوقا وذلك مما كلفت جلال
هيئات حتى غدو أم من بحر منزلهم * حتى بغير ان صاح الديك فاحتملوا
وقال أبعد حلول بالركاء وجمال * غدا سارحا من حولنا وناشرا
تبدلت اصطبلا وتلا وجرة * وديكا اذا ما آنس الفجر فرفرا
وبستان ذي ثورين لا اين عنده * اذا ما طغا ناطوره وتعشعرا

وقال أوس بن حجر

كان هرا جنيباً عند مغرضها * والف ديك برجليها وخنزير

وقال الحكم بن عبدل

مررت على بغل تزفك نعسة * كأنك ديك مائل الرأس أعور
تخيرت أثوابا لزينة منظر * وأنت الى وجهه يزيدك أفقر

وقال النمر بن توب

أعذني رب من حصر وعي * ومن نفس اعالجها علاجا
ومن حاجات نفسي فاعصمني * فان لمضمرات النفس حاجا
وأنت وليها وبرئت منها * اليك وما قضيت فلا خلاجا
وأنت وهبتها كوما جلادا * أرجي النسل منها والتماجا
وتأمرني ربيعة كل يوم * لاشربها وأقتني الدجاجا

وما تغني الدجاج الضيف عنى * وايس بنافعي الانضاجا
 اءاكلها وقد لا قيت فيها * مزار العامن والضرب الثجاجا
 وتذهب باط الاغمدوات صحي * على لاعدها تخناج اختلاجا
 جموم الشدة شائلة الدنابا * تغزل بيض غمرتها سراجا
 وشهد في الكريهة كل يوم * اذا لاصوت خالعت المعجاجا

وقال عبد الرحمن بن الحكم

والانصار اكل في قرانها * نخبث لاطمات من الدجاج

وقال الآخر لصاحبه

اذبتا بديكك السلاح * فنجنا من منتن الارواح

وقالوا هو اسلح من جبارى سامة الخوف ومن دجاجة ساعة الامن وقال عقيل بن علفمة

وهل اشهدن خيلا كان غبارها * بأسفل عاكدة دواخن تنضب

تبت على رمض كان عيومهم * فتوح لدجاج في الودى المعصب

(وقال) صاحب لديك حدث الاصمعي قال اخبرني الملاء بن اسلم قال اردت الخروج الى

مكة المعظمة شرفها الله تعالى فجاءني هشام بن عتبة وهو اخوذى الرمة فقال لي

يا ابن اخي انك تريد سفراً يحضر الشيطان فيه حضور لا يحصره في غيره فاتق الله

وصل الصلوات لوقتها فانك معها لا تنال فصاها وهي تفك واعلم ان لكل رفقة

كاتباً يبيع عليهم فان كان نهب شركوه فيه ون كان عار نقاده دونهم فلا تكن كلب

الرفقة وقدروا شبيها بذلك عن تبيع بن كعب وقل زيد نخيل

يا نصر نصر بنى قميث * انتم ائمة يابن الاشتر

يتبعن فضيلة يركاب * عض الكلاب بعجبه فاستفرا

قال فلما قدم زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال برح فتى ان لم تدركه أم كلبه

يعني الحمى وقال جرير في البيت

اذا أنت لافيت البيت وجدته * شح على لراد الخيث من الكلاب

وقال صاحب السكاب وقد قال عمرو بن معدى كرب
وقد كنت اذا ما الحسى يوماً كرهوا صاحي
ألف الخيل بالخيل * لـ واكفى النبع بالنبع
قال ومن الاستعارات من اسم السكاب قول الرجل منهم ان اوطن نفسه على شيء قد
ضريت جروه وضريت عليه وقال أبو النجم
حتى اذا ما أبيض جرو التتفل * وبدات والدهر ذو تبدل
وقال من * لخنظل العامى جرو مفاق * وقال عتبة الأعرور
ذهب الذين احبهم * وبقيت فيمن لأحبه
اذ لا يزال كريم قو * مي فيهم كلب يسبه
نفرتم علينا بصيد السكاب وهجرتم الديك اذ كان مما لا يصيد ولا يصاد به وقد وجدنا
العرب يستدلون الصيد ويحقرون العياد فن ذلك قول عمرو بن معدى كرب
ابني زياد أنتم في قومكم * ذنب ونحن فروع أصل طيب
نصل الخميس الى الخميس وأنتم * بالقهر بين مربق ومكلب
لا يحسبن بنو طليحة حربنا * سوق الحمير بحانة فالكوكب
حيد عن المعروف سمى أبيهم * طاب الوعول بوفضة وبأكلاب
حتى يكهن بعد شيب شامل * ترحاله من كاهن متكذب
وأما قول زهير

وان يقتلوا فيشتقى بدمائهم * وكانوا قديما من منايهم القتل
فهذا البيت نفسه ليس يدل على قولهم ان كل من كان به جنون أو كلب ثم
حسا من دم ملك أو سيد كريم أفاق وبرئ وقد ضربوا صاحب السكاب أمثالا في
شدة طلبه الماء وفي شدة فراره منه اذا عاينه وقالوا وقام فالما المطلوب اذا عاينه من غير
أن يمسه وهو الطالب له ولم يحرص عليه الا من حاجة اليه فكيف صار اذا رآه صاح
قالوا وقد يمتري الناظر الى الماء والذي يديم التجديق اليه وهو يمشي على قطرة أو جرف

و جسر الدوار فانه ربما رمى بنفسه من تلقاء نفسه الى الماء وان كان لا يحسن السباحة
 وذلك انما يكون على قدر ما يصادف ذلك من المرار ومن الطباع فمن فعل ذلك
 بنفسه أبو الجهم محمد بن مسعود فكاد يموت حتى استخرج ومنهم منصور بن
 اسماعيل التمار وجماعة قد عرفت حالهم وهذا كما يعترى الذي يصيبه الأسن من
 البخار المختنق في البئر اذا صار فيها فانه امتقى واستخرج وقد تغير عقله وأصحاب الركايا
 يرون ان دواءه ان ينفوا عليه دائرة أثمبلا وان يزمل تزمبلا وان كان في تموز وآب ثم
 يخرس ان كان قريباً من رأس البئر فانه ان لم يخل بينه وبينها طرح نفسه في تلك
 البئر انما سمياً في أول ما ينتج عينه ويرجع اليه اليسير من عقله حتى يكفي نفسه فيها
 من ذات نفسه في الموضع الذي قد اتى منه ما لقي وقد كان عنده معلوماً ان القوم
 لو تركوه طرفة عين لهلك هكذا كان عنده أيام صحة عقله فلما فسد أراه الفساد ان الرأي
 في العود الى ذلك الموضع وكما يعترى المرور حتى يرجم الناس فان المرة تصور له أن
 لدى رجه قد كان يريد رجه فيرى ان الصواب ان يبدأ بالرجم وعلى مثل ذلك تربه
 المرة أن طرحه نفسه في النار أجود وأحزم وأيس في الأرض إنسان يذبح نفسه
 أو يختنق أو يتردى في بئر أو يرمى نفسه من حلق الامن خوف المثلة أو التعذيب أو
 التعبير وتقربع الشامتين أو لان به وجمعاً شديداً فيجرك عليه المرة فيجمل لذلك بدنه
 ويسخن جوفه فيطير من ذلك شيء الى دماغه أو قلبه فيوهمه ذلك ان الصواب
 في قتل نفسه وان ذلك هو لراحة وان الحزم مع الراحة ولا يختار الخنق الوادع الراجح
 الرافع السليم العقل والطباع وللغليظ ربما رما بنفسه في هذه المهالك وقذف به في هذه
 المهوى وقد يعترى الذي يصعد على مثل سنسيرة أو عقربوب أو خضراء زوج فانه
 يعتريه أن يرميه بنفسه من تلقاء نفسه فيرون عند ذلك ان يصعد اليه بمض المعاودين
 الحبريين ولا يصنع شيئاً حتى أن يأسد عينيه ويختال لانزاله فهذا المعنى عام فمن كانت طبيعته
 تنور عند مثل هذه العلة وما أكثر من لا يعتريه ذلك وقد قال الناس في عذر هؤلاء
 ولان فيهم ضرربا من الاقاويل وانما تكلمنا على المغلوب فاما من كانت هذه العوارض

لا تفسد عقله ولا تنقص استطاعته فليس بيننا اختلاف في أنه مملوم على ان الزامه الالامة
لا يكون الا من بمد خصومة طويلة لا يصاح ذكرها في هذا الباب (وقال صاحب
السكراب) الغراب من لثام الطير وليس من كرامها ومن بغائها وليس من احرارها
ومن ذوات البرائن الضعيفة والقصار السكبية وليس من ذوات الخالب المعقنة والاذنار
الجارحة ومن ذوات المنافير وليس من ذوات المناسر وهو مع ذلك قوي البطن لا
يتماطي الصيد وربما راوغ العصفور ولا يصيد الجراد الا ان يلتقها في سدم من الجراد
وهو فسل ان اصاب جيفة نال منها والامات هزالا ويتمم كما يتمم بهائم الطير
وضعافها وليس بهيمة لمكان اكله الجيف وليس بسبع اعجزه عن الصيد وهو مع
ذلك يكون حالك السواد شديد الاحتراق ويكون مثله من الناس الزنج فانهم شرار
الناس وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً كمن بردت بلاده فلم تطبخه الارحام أو سخنت
فأحرقتة الأرحام وانما صارت عقول أهل بابل وأفليمها فوق العقول وجمالهم فوق
الجمال لعله الاعتدال والغراب اما ان يكون شديد الاحتراق فلا يكون له معرفة
ولا جمال واما ان يكون أبقع فيكون اختلاف تركيبه وتضاد أعضائه دليل على فساد
أمره والبقع الام من السود وأضعف ومن الغرابان غراب الليل وهو الذي ترك
أخلاق الغرابان وتشبهه باخلاق البوم ومنها غراب البين وغراب البين نوعان أحدهما
غرابان صغار معروفة بالضعف واللاؤم والآخر انما لزمه هذا الاسم لان الغراب اذا
بأن أهل الدار للنجمة وقع في مراض بيوتهم ويتلمس ويتمم فيتشاءمون به
ويتطهرون منه اذ كان لا يمتري منازلهم الا اذا بانوا فسموه غراب البين ثم كرهوا
اطلاق ذلك الاسم له مخافة الزجر والطيبة وعلمو انه نافذ البصر صافي العين حتي قالوا
أصفي من عين الغراب كما قالوا أصفي عن عين الديك فسموه الأعور كما كنوا
عن الطير الاعمي بالبصير وبها اكتني الأعشي بمد ان عمى ولذلك سمو الملدو والمنهوش
سليما وقالوا للمهالك من الفيافي المماوز وهذا كثير والفرقان جنس من الغرابان وهي لثام
جيداً من أجل تشاءمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاعتراب والغريب وليس

في الأرض بارح ولا تطيح ولا تعيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءم به الآ
والغراب عندهم أنكدم منه يرون ن صاحبه أكثر أخبارا وان لزجر فيه أعم وقال عنقرة
خرق الجناح كان لحبي رأسه * جلاءن بالاخبار هس مومع
وهو عندهم عاروه يتمايرون باكل لحمه ولو كان ذلك منهم لانه يأكل الاحوم ولانه
سبع فكانت الضواري والجوارح أحق بذلك عندهم وقد قال وعلة الجرمي
فما بالمار ما عيرتمونا * سواء الناهضات مع المبيض
فما لحم الغراب لنا بزاز * ولا سرطان أنهار البريض

قال والغرابان جنس من الأجناس التي أمر بقتلها في الحل والحرم وسميت بالقسوق
وهي فواسق اشتق لها من اسم ابليس وقالوا رأيت فيما يرى النائم انه يسقط أعظم
صومعة بالمدينة غراب فقال سعيد بن المسيب يتزوج أفسق الناسقين امرأة من أهل
المدينة فلم يابثوا الا أياما حتى كان ذلك وقالوا في المثل لا يرجع فلان حتى يرجع
غراب نوح وأهل البصرة يقولون حتى يرجع شيط من مرو وأهل الكوفة يقولون
حتى يرجع مسمر من سجستان فهو مثل في كل موضع من المكروود وزعم الاصمعي
عن خائف الأحمر انه قال رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أبيض ولا أسمج ولا أنفض
ولا أفذر ولا أثن منة وزعم ان فراخ الغرابان أثن من الهدهد على أن الهدهد مثل
في النتن فذكر عظم رأس وصغر بدن وطول منقار وقصر جناح وأسرط اسود
وساقط النفس ومثني لريح وصاحب المنطق يزعم ان رؤية فرخ العقاب أمر صعب
وشيء عسير واست أحسن ان أفضى بينهم والغرابان عندنا بالبصرة أو ابد غير قواطع
وهي تفرخ عندنا في رؤوس النخل الشائخة والاشجار العالية فالغراب عند العرب مع
هذ كاه قد خدع لديك وتعب به ورهنه عند تخار وتخلص من الغرم وأغلقه عند
تخار فصار له الغنم وعلى لديك الغرم ثم تركه تركا ضرب به المثل فان كان
معنى الخبير على ظاهر لفظه ولديك هو المغبون والمخدوع والمسخور به ثم كان المتطلب
به أنذل الطير والأهمل وإن كان هذا القول منهم يجري مجرى الامثال المضروبة فلولا

أن علياً الديك في قلوبهم دون محل الغراب على أوم الغراب ونذالته وموته وفاته
 معرفته لما وعوده في هذا الموضع فإن أردتم معرفة ذلك فانظروا في أشعارهم المعروفة
 وأخبارهم الصحيحة ثم ابدؤا بقول أمية بن أبي الصلت فقد كان داهية من دواهي
 ثقيف وثقيف من دهامة العرب وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان هم بادئ
 النبوة وهو يعلم كيف الخصال التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً إذا اجتمعت له نعم
 وحتى ترشح لذلك بطاب الروايات ودرس الكتب وقد بان عند العرب علامة
 ومعروفاً بالجولان في البلاد رواية وفي كثير من الروايات مع أحاديث العرب أن الديك
 كان نديماً للغراب وأنهما شربا الخمر عند خمار ولم يطمياه شيئاً وذهب الغراب ليأتيه
 بالثمن حين شرب ورهن الديك نخاس به فبقي محبوساً وأن نوحاً صلى الله عليه وسلم
 حين بنى في اللجة أياماً بمث الغراب فوقع على جيفة ولم يرجع ثم بعث الحمامة لتنظر
 هل ترى في الأرض موضعاً يكون للسفينة مرفأً واستجمعت على نوح الطوق الذي في
 عنقها فرشاها بذلك أي فجعل ذلك جعلاً لهما وفي جميع ذلك يقول أمية بن أبي الصلت
 بأية قام ينطق كل شيء * وخان أمانة الديك الغراب

يقول حين تركه في أيديهم وذهب وتركه والعامية تضرب به المثل وتقول ما هو إلا
 غراب نوح ثم قال

وأرسلت الحمامة بمد سبع * تدل على المهالك لا تهاب

تلمس هل ترى في الأرض عينا * وغايته من الماء العباب

جاءت بعد ما ركضت بقطف * عابها الشاة والطين الكباب

فلما فرسوا الآيات صاغوا * لهما طوقا كما عند السخاب

إذا ماتت تورثه بنها * وإن تقتل فليس لهما استلاب

كذى الأفعي يربها لديه * وذى الجني أرسله تباب

* فلا رب المنية يأمنها * ولا الجني أصبح يستتاب

الجني إبليس لذنوبه والأفعي هي الحية التي كلم إبليس آدم من جوفها ومن لاعمه عنده

يروى أيضاً أن إبليس قد دخل جوف الحمار مرة وذلك أن نوحاً لما دخل السفينة
تمنع الحمار مسروداً ونكده وكان إبليس قد أخذ بذنبه وقال آخرون بل كان في جوفه
فلما قال نوح للحمار ادخل يا ماعون ودخل الحمار دخل إبليس معه إذ كان في جوفه
قال فلما رآه نوح في السفينة قال يا ماعون من أدخلك السفينة قال أنت أمرتني قال
ومتى أمرتك قال حين قلت ادخل يا ماعون ولم يكن ثم ماعون غيبي قال أمية بن
أبي الصامت

هو أهدى كل ما يثر النسا * س أمائل باقيات سفورا
خاق النخل مصدمات تراها * تقصف اليا بسات واخضورا
ولتماسيح ولتمائل والأيل شتى والريم واليعفورا *
وصواراً من النواشط عينا * ونعاماً خواضباً وحميرا
وأسوداً عواديا وفيولاً * وذياباً والوحش والخنزيرا
وديوكاتدعو الغراب اصباح * وإوزين أخرجت وصقورا

قال ثم ذكر الحمامة فقال

سمع الله لابن آدم نوح * ربنا ذو الجلال والافضال
حين أوفى بذى الحمامة والناس * س جميعاً في فلحكم كالعيال
فأتمه بالصدق لما رشهاها * وتقطف لما غدا عثكال

ووصف في هذه القصيدة أمر الحمامة والغراب صفة ثانية وغير ذلك وبدأ بذكر
السفينة فقال

ترفع في جرى كان أطيطه * صريف محل يستعيد الدواليا
على ظهر جون لم يعد اراكب * سره وغيم البس الماء راجيا
فصارت بها أيامها ثم سبعة * وست ليال دأبات عواطيا
تشق بهم تهوى بأحسن أمره * كأن عليها هاديا ونواتيا
وكان لها الجودي نهيا وغاية * وأصبح عنه موجه متراخيا

- وما كان أصحاب الحمأة جيفة * غدات غدت منهم تضم الخواصيا
رسولا لهم والله يحكم أمره * بين لحم هل يونس الثوب باديا
بخاءت بتطف آية مستبينة * فأصبح منها موضع الطين جاربا
على خطمها واستوهبت ثم طوقها * وقالت ألا تجعل الطوق حاليا
ولا ذهبيا انى أخاف نبالهم * يخالونه مالي وليس بماليا
وزدنى على طوقى من الحلى زينة * تصيب إذا أتبت طوقى خضابيا
وزدنى لطرف العين منك بنعمة * وارث اذا مات طوقى حماميا
يكون لا ولى جالا وزينة * ويهوين زيني زينة أن يرانيا
ثم عاد أيضا فى ذكر الديك فقال

- ومرهنه عن الغراب حبيبه * فأوفيت مرهونا وخلفا مساييا
أدل على الديك انى كما ترى * فأقبل على شأنى وهماك ردايا
أمنتك لا تلبث من الدهر ساعة * ولا تصفها حتى تؤب مايا
ولا تدركك الشمس عند طلوعها * فأعاقق فيهم أو يطول ثوايا
فرد الغراب والرداء يحوزه * الى الديك وعدا كاذبا وأمانيا
* بأية ذنب أو بأية حبة * أدعك فلا ندعو علي ولا ليا
فانى نذرت حجة أن أعوقها * فلا تدعوني مرة من وراثيا
تطيرت منها والدعاء يعوقني * وأزمت حجا أن أطير أمانيا
فلا تبتأس انى مع الصبح باكر * أوافى غدا نحو الحجيج الغواديا
لحب أمرى فأكته قبل حجتي * وأثرت عميدا شأنه قبل شانيا
هنالك ظن الديك إذ زل دولة * وظال عليه الليل أن لا مفاديا
فلما أضاء الصبح طرب صرخة * الا ياغراب هل سمعت ندائيا
على وده لو كان ثم محبيه * وكان له ندمان صدق موتيا
وأمسى الغراب يضرب الارض كلها * عتقا وأضحى الديك فى التمدائيا

فذلك مما أسهب الخمر له * ونادم ندمانا من الطير عاديا
قال ومن الطير من يلقم فراخه مثل العصفور لان العصفور لا يزق وكذلك اشباه
العصفور ومن الطير ما يزق فراخه مثل الحمام وما أشبه ذلك كبهائم الطير الخالصة لان
الدجاجة تأكل اللحم وتلغ في الدم وولدها حين يخرج من البيض يخرج كاسياً مليحاً
كيسابيراً بما يمشيه وتقوته ولا يحتاج الى تليق سباع الطير والعضاير لاولادها لان
اولادها ذلم ترضع ولم تلتقط الحب كالفرارنج اول ما يخرج من البيض ولم تزقها
الآباء ولا الامهات كجناس حمام فلا بد لها من تليقم والفروج مشترك الطبيعة قد
أخذ من طبائع اجوارح نصيباً وهو أكله للحم وحسوه للدم وأكله للديدان وما هو
أقدر من الذباب والعصفور أيضاً مشارك الطباع لانه يجمع بين كل الجبوب واللحمان
وبين لقط الجبوب وصيد اجناس كثيرة من الحيوان كالتمل اذا طار وكالجراد وغير
ذلك وليس في الأرض رأس أشبه برأس الحية من العصفور والعصفور يتعالى ويطير
ويهدى ويستجيب ولقد بلغني انه قد رجع من قريب من فرسخ وهي تكون عندنا
بابصرة في الدور فاذا أمكنت الثمار لم تجد منها الا اليسير فيصير من القواطع الى قاسي
التخل وذلك انها ذامرت بعصافير القرى وقد سبقت الى ما هو اليها اقرب جاوزتها
الى ما هو ابعد ثم تقرب الايام الكثيرة الى ما هو ابعد ثم تقرب الايام الكثيرة
المقدار في المسافة أكثر مما ذكرت من الفرسخ ضعافا والعصافير لا تقيم في دور
الامصار اذا شخص أهلها عنها الا ما كان منها مقبلاً على بيض أو فراخ فانه ليس في
الأرض طائر أحسن على ولده ولا أشد تعظماً من عصفور والذي يدل على ان في طبعها
من ذلك ما ليس في طبع سواها من الطير لذي تجد من أشعار بعضهم لبعض اذا
دخلت الحية الى جحر بعضهن لتأكل فرخاً او تبتلع بيضاً فان لأبوي الفرخ عند ذلك
صياحاً وناقماً وطييراً وتدفيئاً وترفيئاً فوق الجحر ودونه وحواليه فلا يبقى عصفور من
حيث يسمع صياحها أو يسمع أصواتها الا جئن ارسالاً مسعدات يصنعن معها كما
يصنعن وايس في الأرض صدق حذراً منه ويقال انه في ذلك لاكثر من العمق

والغراب وخبرني من يصيد المصافير قال ربما كان المصفور ساقطاً على حائط سطح
بحدائي فيغمني صياحه ووحدة صوته فأصيح اليه وأومئ بيدي وأشير كاني أرميه فأطير
حتى ربما أهويت الى الارض كاني أتناول شيئاً كل ذلك لا يتحرك له فان مست يدي
أدنى حصاة أو نواة وأنا أريد رميها طار قبل ان تستمكن منها يدي وايس في الطير
أكثر عدد سفاد من المصافير ولذلك يقال انها أقصر الطير أعماراً ويقال انه ايس
شيء مما يألف الناس ويعايشهم في دورهم أقصر عمراً منها يعنون من الخيل والبغال
والحمير والبقر والغنم والكلاب والسنانير والخطاطيف والزرابير والحمام والدجاج ولا
يقدر المصفور على المشي وليس عنده الا التقزان ولذلك يسمى التقاز وانما يجمع رجليه
ثم يثب وذلك في جميع حركاته وفي جميع ذهابه ومجيئه فهي الصقور المصافير والتقاز
وان هو مشي هذه المشية التي هي تقزان على سطح وان ارتفع سمكه فيمكانك تسمع
لوطئه وقع حجر لشدة وطئه ولصلابة مشيه وهو ضد الفيل لان انساناً لو كان جالسا
ومن خلف ظهره فيل لما شعر به لخفة وقع قوائمه مع سرعة مشي وتمكين في الخطى
والرخم والنسر سباع وانما قصر به اعدم السلاح فاما البدن والقوة فتتوق جميع الجوارح
ولكنها في معنى الدجاج لمكان البرائن ولعدم الخالب ولقد رأيت سنوراً وثب على
فرخ عصفور فاخصاه فتناول الفرخ بمض الغلمان فوضعه في البيت فكان أبوه يجيء
حتى يطعمه فلما قرب وكاد يطير جعله في قنص فرأيت أباه يجيء يتخرق السنانير وهي
تهم به حتى يدخل اليه من أعلى فتتح الباب وهي تهم بالوثوب والاختطاف له حتى
يسقط على القنص فينازعه ساعة فاذا لم يجد الى الوصول سبيلاً طار فسقط خارجاً من
البيت ثم لا يصبر حتى يعود فكان ذلك دأبه فلما قوى فرخه أرسلوه معه فطارا جميعاً
وعرفنا انه الاب دون الام لسواد اللحية قال ولدليل على ان صوت الديك كرية في
السماع غير مطرب قول الشاعر

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح صياحا
أوفى على سعف الجدار بسدفة * غردا يصفق بالجناح جناحا

قال ويدل على صغر قدر الدجاج عندهم قول بشار بن برد الاعمى

بجدك يا ابن أفرع نأت مالا * الا ان اللئام له سم جسدود

فمن نذر الزيادة في الهدايا * اقلت دجاجة فيمن يزيد

قال واذا كثرت الدجاج في دار أو اصطبل أو قرية لم يكن عدد بيضها وفراريجها على حسب ما كان يبيض القليل منهم ويفرخه يعرف ذلك تجار الدجاج ومن أخذها للغلة وهي بمصر ترعى كما يرعى النعم ولها راع وقيم والموت الى الدجاج سريع جداً والمادة في صغار فراريجها على ما عليها نبت فراخ الحمام لان الفروج تتصدع عنه البيضة فهو كئيس ظريف مليح مقبول محب غنى بنفسه مكنت بمعرفة بصير بموضع معيشته من لقط الحب ومن صيد الذباب وصغار الطير من الهوام ويخرج كاسياً حتى كأنه من أولاد ذوات الأربع ويخرج سريع الحركة شديد الصوت حينه يدعى بالنقر فيجيب ولا يقال له قرقر ثلاث مرات حتى يلقنه فان استدبره مستدبر ودعاه عطف عليه وتبع الذي يطعمه ويلعبه وان تباعد من مكانه الاول فهو آف شيء ثم كلما مرت عليه الأيام ماق وحمق ونقص كيسه وأقبل قبجه وأدبر ملحه فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان يحب له الى ضد ذلك ويصير من حالة الى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه وفراريجه وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه ولا يكاد يقبل الشحم حتى يلحق بأبيه وكذلك ان كانت انثى لا تقبل السمن ولا تحمل اللحم حتى تكاد تلحق بأمرها في الجنة والنرخ يخرج حارصاً ساقطاً نقص من أن يقال له مائق وأقبح شيء وهو في ذلك عارى الجلد مختلف الاوصال متقارب الأعضاء ضعيف القوة عظيم المنقار فكلاما مرت به الايام زادت في لحمه وشحمه وفي معرفته وبصره حتى اذا بلغ خرج منه من الأمور المحمودة ما عسى لو ان واصفاً تتبع ذلك لملأ منه الاجلاد الكثيرة ثم اذا جاز حد النرخ الى حد النواهض الى حد العتق والمخالب قل لحمه وذهب شحمه على حساب ذلك ينقص فاذا تم وانتهى لم تكن في الارض دابة ولا طائر أقل شحماً ولا أخبت لحماً منه ولا أجدر ان لا يقبل شيئاً من السمن ولو تخير واله فورا المسمنات وما يسمن به ما

سمن وسألت عن السبب الذي صار له الدجاج اذا كثرت قل بيضهن وفراخهن
 فزعموا انها في طباع النخل فان النخلة اذا زحمت أختها بل اذا مس طرف سمعها
 طرف سمع الاخرى وجاورتها ضيقت عليها في الهواء وكذلك اطراف العروق في
 الارض كان ذلك كرباعا عليها ونما قالوا فتدانيها وتضاعفها وأنفاسها وأنفاس أبدانها يحدث
 لها فسادا قال وكما ان الحمام اذا كثرت في الكنة والشريعة احتاجت الى شمس والى ماء
 تغتسل فيه في بعض الاحايين والى ان تكون بيوتها مكنونة في بعض الاوقات
 ومرشوشة والالم يكن لها كبير بيض على انه اذا كان لها الدفء في الشتاء والكن
 في الصيف لم تغادر الدهر كله ان تبيض قال صاحب الديك نخرتم للكاب بكثرة
 ما اشتق للاشياء من اسم الكاب وقد اشتق لاكثر من ذلك العدد من البيض فقالوا
 لقلانس الحديد يبيض وقالوا فلان يدفع عن بيضة الاسلام وقالوا قال عل بن أبي
 طالب رضى الله عنه أنا بيضة البلد وفي موضع الدم من قولهم

تأبى قضاة ان تدرى لكم نسباً * وابنا نزار وأنتم بيضة البلد

ويسمى رأس الصومعة والقبة بيضة ويقال لاجاس اذا كان مورا غير مطول يبيض
 جائمة ويقال للوعاء الذي يكون فيه الجبن والخراج وهو لذي يجتمع فيه القبيح بيضة
 وتسمى قلانس الحديد بيضا وقال الأشر بن عبادة

يكف غروبها ويغض منها * وراء القوم خشية ان يلاموا

مظاهر بيضتين على دلاص * به من وقعة أخرى كلام

وقال النابغة فصبحهم ماملمة رداحاً * كان رؤوسهم بيض النعام^(١)

وقل العجيز السلولى

اذا البيضة الصماء عضت صفيحة * مجرباؤها صاحت صياحاً وصات

ولما أنشدوا أبا عباد النمرى قول ابن ميادة وهو الرماح

ولقد غدوت على الفتى في رحله * قبل الصباح يتمتع نشاج

(١) وبروي فصبحهم بها صباء صرفاً * كان رؤوسهم قبض النعام وعنه لروبة فأصح

جاد القلال له بدر صبابة * حمراء مثل سخينة الوداج
 حبست ثلاثة أخرس في دارة * قوراء بين جوازل ودجاج
 تدع القوي كأنه في نفسه * ملك يعصب رأسه بالتاج
 ويظل يحسب كل شيء حوله * نجب المراق نزان بالاحداج
 خين سمه أبو عباد يقول

حبست ثلاثة أخرس في دارة * قوراء بين جوازل ودجاج

قال لو وجدت نخرًا زيتية ذهبية أصفي من عين الديك وعين الغراب ولما اب الجندب
 وماء المناصل وأحسن حمرة من النار ومن نجيم غزال ومن قوة الضباع لما شربتها
 حتى أعلم أنها من عسير الأرجل وأنها نبات القرى ومالم تكدر في الزقاق وان المنكبوت
 قد نسجت عليها وإنما لم تصر كذلك الاوسط دسكرة وفي قرية سوادية وحولها
 دجاج وفراريج وان لم تكن رطاء أو فيها رقط فأنها لم تتم كما أريد وأعجب من هذا اني
 لا أشتنع بشربها حتى يكون بأثمها على غير الإسلام ويكون شيخاً لا ينصح بالعربية
 ويكون قيصه متقطعاً بالثمار وأعجب من هذا ان الذي لا بد منه ان يكون اسمه ان
 كان مجوسياً شهر يازومازيار وما أشبه ذلك مثل أديرواردان ويازان فان كان يهودياً
 فاسمه مانشا واشلوما وأشباه ذلك وان كان نصرانياً فاسمه يوشع وشمعون وأشباه
 ذلك ويقال حمس الشر وأحمس اذا اشتد ويقال قد احتمس الديكان احتماساً اذا اقتتلا
 فقتلا شديداً ويقال وقع الطائر يقع وقوعاً وكل واقع فصدده الوقوع ومكانه موقعه
 والجمع موقع وقل لراجز

كان متنية من النفي * مواقع الطير على الصفي

يقال صفا وصفي والنفي مانفا لرشاء من الماء وما تنفيه مشافر الابل من الماء المدير فشبه
 مكانه على ظهر الساق والمستقي بذرق الطير على الصفا ويقال وقع الشيء من يدي وقوعاً
 وسقط من يدي سقوطاً ويقال وقع الربيع بالارض ويقال سقط وقال الراعي
 وقع الربيع وقد تقارب خطوه * ورأى بعقوته أزل نسولا

قال وكان عندنا فروج وفي الدار سنابير تعابث الحمام وفراخه وكان الفروج يهرب منها الى الحمام فجاءنا بدراج فترك الحمام وصار مع الدراج ثم اشتريا فروجا كسكريا للذبح فجعلنا في قفص فترك الدراج ولزم قرب القفص فجئنا بدجاجة فترك الديك وصار مع الدجاجة فذكرت قول الغرير عبد بنى فزارة وكانت باذنه ضربة ان الاووم يسرع في جميع العطش لا يقرب العنز الضأن ما وجدت المعز وتنفر من الخباب ولا تناس بالخلف فجعلها كما ترى تنفر ولا تناس منزله وكذلك حدثنا الاصمعي قال قلت للمتجعب ابن نيهان وكانت باذنه ضربة أكان تميم مسلما قال ان كان هو الذي سعى ابنه زيد مناة فما كان مسلما والا يكن هو الذي سماه فلا أدري ولم يقل ولا يكن هو سماه فقد كان مسلما والوأم المشاكاة وقالوا تقول العرب لولا الوأم لهلك الأنام وقال بعضهم تأويل ذلك لولا ان بعض الناس اذا رأى صاحبه قد صنع خيرا فتشبه به لهلك الناس وقال الآخرون انما ذهب الى أنس بعض الناس ببعض كأنه قال انما يتعايشون على مقادير الأنس الذي بينهم ولو عمتهم الوحشة عمتهم الهلكة وقال قوم ابن مالك في الوأم

علام أوأم البخلاء فيها * فاقعد لا أزور ولا أزار

وقال الاخطل

نازعته في الدجي الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

وقال جرير

لما مررت على الدير بن أرقنى * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

قالوا وقد وجدنا الديكة والدجاج وأفعلها مذكورات في مواضع كثيرة قال ذو الرمة

كان لا صوت من إنغالهن بنا * أو اخر الميس أصوات الفراريج

وقال الهذلي ومن أينها بعد ابدانها * ومن شحم أبا جها المهبط

تصبيخ جنادبه ركدا * صياح المسامير في الواسط

فهو على كل مستوفز * سقوط الدجاج على الحائط

وقال مروان بن محمد

ضبع ماورثه راشد * من كيلة الاكداس في صفه

فرب كدس قد علا رومسه * كالديك اذ يملو على رفته

ويقال في المثل الذي يعطى لاي مود في مثلها كانت بيضة الديك فان كان معروف له قيل بيضة العقر ويقال دجاجة بيوض في دجاج بيض وبيض باسكان موضع العين من الفعل من لغة سفل مضر وضم موضع العين من نظيره من الفعل مع الفاء من لغة أهل الحجاز ويقال عمد الجرح بعمد عمدا اذا أعصر قبل ان ينضج فورم ولم يخرج بيضته وذلك الوعاء والغلاف الذي يجمع المدة يسمى بيضة واذا خرج ذلك بالعصر من موضع العين فقد أفاق صاحبه ويقال حضن الطائر فهو يحضن حضناً ويقال هو السافد من الطير والتماطل من السباع ويقال قط الحمام الحمامة وسفدها ويقال قى الفحل يقعو قعوا وهو ارساله بنفسه عايتها في ضرابه والفحل من الخف يضرب وهو القعو والضراب ومن الظائف والحافر ينزو نزوا وكذلك السنابير والظائم يقعو وكل الطير يقعو قعوا وأما الخف والظائف فانه يقعو بمد التسنم وهو ضرابه كاه ما خلا التسنم وأما الظائف خاصة فهو قافط يقال قنط يقنط فقطأ والقنط نزوة واحدة وايس في الحافر الا النزوا قال وتوضع بيض الطاوس تحت الدجاجة وأكثر ذلك لان الذكر يعبت بالانثى اذا حضنت قال ولهذا اعلة كثير من إناث طير الوحش يهربن بيضهن من ذكورتها ثم لانضعه بحيث يشعربه ذكورتهم قال ويرضع تحت الدجاجة بيضتان من بيض الطاوس لا تقوى على تسخين أكثر من ذلك على انهم يتعهدون الدجاجة بجميع حوائجها خوفاً من ان تقوم عنه فيفسده الهواء قال وخصا ذكور أجناس الطير يكون في أول السفاد أعظم وكل ما كان من الطير أعظم سفادا كانت خصيته أعظم مثل الديك والقبج والحجل وخصية المصفور أعظم من خصية ما يساويه في الجثة مرتين قال وكل ما كان من الدجاج أصغر جثة يكون أكبر لبيضه وبيض الدجاج يكون يبيض بيضا كثيراً وربما باض بيضتين في يوم واحد واذا عرض له ذلك كان

من أسباب موته وقال آخر في صفة الديك

ماذا يؤرقني والنوم يعجبني * من صوت ذى رعشات ساكن الدار
كان حماسة في رأسه نابت * من آخر الليل قد همت بأثمار

وقال الطرماح

فيصبح كمش غير الليل مصعباً * يتم وفيه ذا الغناء الموشح
إذا صاح لم يخذل وجاب صوته * حماش الشوى يصدحن من كل مصدح

قال والفروج إذا خرج من بيضه عن حضن الحمام كان أكيس له وبيض الطاوس
إذا لم تحضنه الاثني التي باضته خرج الفرخ أتما وأصغر قال وإذا أهملت الدجاجة
فليس لأواخر ما تبيض صفرة وقد عاينوا للبيضة الواحدة محتين خبرني بذلك جماعة
ممن يعرف الامور وإذا لم يكن للبيضة مح لم يخاق من البيضة فروج ولا فرخ لانه
ليس له طعام يغذوه ويربيه اذا كان فيه محتان وكان البياض وافرأ ولا يكون ذلك
للمسنات فاذا خلق الله تعالى من البياض فروجين وهناك محتين تربى الفروجان وتم
خلق لان الفرخ انما يخاق من البياض والصفرة غذاء الفروج قال ويقال قفط الطائر
يقفط قفطا وسفد يسفد سفادا وهما واحد ويكون السفاد للكباب والشاة ويقال قفط
الحمام يقمط قمطا ويقال ذرق الطائر يذرق ذرقا وخزق يخزق خزقا ويقال ذلك للانسان
فاذا اشتق له من الخدقة نفسه ومن اسمه الذي هو اسمه قيل خرى وهو الخرو
والخراة ويقال للحافر راث يروث وللمز والشاة يمر ييمر ويقال للنعام صام وللطير
نجو واسم نجو النعام الصوم واسم نجو الطير العرة وقال الطرماح

في شناطي أقن بينها * عرة الطير كصوم النعام

ويقال للصبي عقى مأخوذ من العقى ويقال لحم الطير ويقال لحم طائر كحاما أى أضمه
لحما واتخذ له ويقال هي لحمة النسب ويقال ألحمت الثوب إلحاما وألحمت الطائر إلحاما
وهي لحمة الثوب ولحمة بالفتح والضم ومن خصال الديك المحمودة قولهم في الشرب صفي
من عين الديك وإذا وصفوا عين الحمام النقيع بالحمرة أو عين الجراد قالوا الكأنها عين

الديك وإذا قالوا أصفى من عين الغراب فأنما يريدون حدته ونفاذ البصر وفي عين الديك
يقول الأعشى

وكأس كمين الديك باكرت حدها * بغرتها اذغاب عنها بغائها

وقال آخر

وكأس كمين الديك باكرت حدها * بفتيان صدق والنواقيس تضرب

وقال آخر

قدمته على عقار كمين الدير - ك صفا زلالها الرأووق

وقال الآخر

ثلاثة أحوال وشهرا محرما * تضى كمين العتران المجاب

والعتران من أسماء الديك وسماه بالمجاب كما سماه بالعتران وإذا صفوا الماء والشراب
بالصافي قالوا كأنه الدمع وكأنه ماء قطر وكأنه مفصل وكأنه امام الجندب إلا أن هذا

الشاعر قال

مطبقة - الآنة بابلية * كان حملا عا عيون جنادب

وقال آخر

وما قرقف من أذرعات كانها * إذا سكبت من ذنها ماء مفصل

والمفاصل ماء بين السهل والجبل وقال أبو ذؤيب

مطافيل أبكار حديث نتاجها * تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وقال أبو نجيم إنما عنوا مفاصل فقار الجمل لأن لكل مفصل حقا فيستتقع فيه مالا تجد

ماء أبدا أصفى ولا أحسن منه وإن رق ولا قول أصحابنا وقال مرة قطرب وهو محمد

ابن المنتشر النحوى والله لاملان البصر من كلب وأسمع من كلب وأنهم من كلب

فقبل له أنشدنا في ذلك ما يشبه قولك فأنشد قوله

ياربة البيت قومي غير صاغرة * حظي^(١) اليك رجال القوم فالقربا

في ليلة من جمادى ذات اندية * لا يبصر الكلب من ظلماتها الطنبا
 لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى^(١) يجز على خيشومه الذنبا
 وأنشد هذا البيت في ثقب بصره والشعر لمرقة بن محكان السعدي ثم أنشد في ثقب السمع
 خفي السرى لا يسمع الكلب وطأه * أتى دون نبح الكلب والكلاب داب
 (قال أبو الحسن) قال نصر بن سيار اللبثي كان عظام الترك يقولون للتماث العظيم القيادة
 لا بد أن تكون فيه عشر خصال من أخلاق الحيوان سخاء الديك وتحن الدجاجة وقلب
 الأسد وحيلة الخنزير وروغان الثعلب وختل الذئب وقد كتبتا هذا في باب مال الدجاج
 والديك لان صاحب هذا الكلام قسم هذه الخصال فاعطى كل جنس منها خصلة
 واحدة وأعطى جنس الدجاج خصلتين وعباد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن زيد قال
 كان مكحول يسافر بالديك وعنه في هذا الاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الديك صديقي وصديقي وعدو الله يحفظ داره وأربع دور من حواليه
 (والمسيب) بن شريك عن الاعمش نحسبه عن ابراهيم قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لا تدبجوا الديك فان الشيطان يفرح به قال وايس جناح الا وفيه عشرون ريشة
 فاربعة قوادم واربعة مناقب واربعة ابا عن واربعة طلي واربعة خواف ويقال سبع قوادم
 وسبع خواف وسائر له لقب قال وكل شيء من ذوات الاربع فركبته في يديه وركبة
 الانسان في رجله قال والانسان كفه في يده والطائر كفه في رجله قال وفي الفم ثيتان
 ورباعتان ونابان وضاحكان وأربعة ارجاء سوى ضرس الحكم والنواجذ والعوارض
 سواء ومثلها أسفل (قال) صاحب الديك والدجاجة يتماثل بذكرها ولذلك لما ولد سعيد
 ابن العاص عنبسة بن سعيد قال لابنه يحيى أي شيء تحله قال دجاجة بفراريجها يريد احتقاره
 بذلك اذ كان ابن أمة ولم يكن ابن حرة فقال سعيد أو قيل له ان صدق الطير ايكون
 أكثرهم ولداً فهم اليوم أكثرهم ولداً وهم بالكوفة والمدينة وقال الشاعر
 غدوت بشرية من ذات عرق * أبا الدهناء من حلب العصير

وأخرى بالعتق ثم سرنا * نرى العصفور أعظم من بعير
 كأن الديك ديك بني نيمير * أمير المؤمنين على السرير
 كان دجاجهم في الدار رقطاً * بنات الروم في قص الحرير
 فبت أرى الكواكب دانيات * ينان أنامل الرجل القصير
 ادافعهن بالكيف عني * وأمسح جانب القمر المنير

قال ويوصف بالدعاء وبالمنطق قال لبيد بن ربيعة

وصدمه منطق الدجاج عن القص * صد وضرب الناقوس فاجتبا

وقال لادن ان دعاديك الصباح بسحرة * الى قدر ورد الخامس المتأوب

(قال أبو الحسن) حدثني اعرابي كان ينزل بالبصرة قال قدم اعرابي من البادية فأزله
 وكان عندي دجاج كثير ولي امرأة وابنان وابنتان منها فقلت لامرأتي بادري واشوي
 لنا دجاجة وقدميها الينا نتغداها فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابنتي
 وابنتي والاعرابي قال فدفعنا اليه الدجاجة فقلنا له اقسمها بيننا نريد ان نضحك منه
 فقال لا أحسن القسمة فان رضيت بقسمتي قسمتها بينكم قلنا فانا نرضى فأخذ رأس
 الدجاجة فقطعها فناولني وقال الرأس للرأس وقطع الجناحين وقال الجناحان للابنين
 ثم قطع الساقين فقال الساقان للابنتين ثم قطع الزمكي وقال المعجز للمعجز وقال الزور
 للزائر قال فاخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا قل فلما كان من الغد قلت لامرأتي اشوي
 لنا خمس دجاجات فلما حضر الغداء قلت اقسم بيننا قال اني أظن انكم وجدتم في أنفسكم قلنا
 لا لم نجد في أنفسنا فاقسم قال اقسم شفعاً أو وتراً قلنا اقسم وتراً قال أنت وامرأتك ودجاجة
 ثلاثة ثم رمى اليها بدجاجة ثم قال وابنتك ودجاجة ثلاثة ثم رمى اليها بدجاجة ثم قال
 وابنتك ودجاجة ثلاثة ثم رمى اليها بدجاجة ثم قال أنا ودجاجتان ثلاثة وأخذ دجاجتين
 وسخر بنا قال فرأنا ونحن ننظر الى دجاجتيه فقال ماتنظرون لعالمكم كرهتم قسمة الوتر
 لايجي الا هكذا فهل لكم في قسمة الشنع قلنا نعم فضمهن اليه ثم قال أنت وابنتك
 ودجاجة أربعة ورمي اليها بدجاجة ثم قال والمعجوز وابنتها ودجاجة أربعة ورمي اليهن

بدجاجة ثم قال أنا وثلاث دجاجات أربعة وضم اليه الثلاث ورفع يديه الى السماء وقال اللهم لك الحمد أنت فهمتنيها (قال صاحب الكلب) من أعظم منافع الديك والدجاج على سائر الحيوان ان الفروج يخرج من البيضة كاسبا يكفى نفسه ثم يجمع كيس الخلاة وكيس المعرفة وذلك كله مع خروجه من البيضة فتد زعم صاحب المنطق ان واد العنكبوت يأخذ في النسيج ساعة يواد وعمل العنكبوت عمل شاق واطيف دقيق لا يبالغه الفروج ولا أبو الفروج على ان ما مدحوا الفروج به من خروجه من البيضة كاسيا قد شرکه في حاله غير جنسه وكذلك ذوات الاربع كما تولد كواسي كواسب كواد الشاء وفراخ القبيج والدراج وفراخ البط الصيني في ذلك كله لاحقة بالفروج وتزيد على ذلك انها تزداد حسنا كلما كبرت فقد سقط هذا الفخر ومن الشعر الذي قيل في الديك مما يكتب للهزل وايس للجد والفائدة قول أبي الشعمق

هتفت أم حصين * ثم قالت من ينيك

فتحت فرجا رحيباً * مثل صحراء العتيك

فيه وز فيه بط * فيه دراج وديك

قال ومما فيه ذكر الدجاج وايس من شكل ما بيننا كلامنا عليه ولكنه يكتب لما فيه من العجب قال الهامر ز قال صاحب الاهواز ماراينا قوم اعجب من العرب أتيت الاحنف ابن قيس فكامته في حاجة لي الى ابن زياد وكنت قد ضامت في الخراج فيكمه فاحسن لي وحط عني فاهدت اليه هدايا كثيرة فغضب وقال انا لا نأخذ على معونتنا اجرافما كنت في بعض الطريق سقطت من رداي دجاجة فلحقني رجل منهم فقال هذه سقطت من رداك فأمرت له بدرهم ثم لحقني بالابلة فقال أنا صاحب الدجاجة فأمرت له بدرهم ثم لحقني بالاهواز فقال أنا صاحب الدجاجة فقلت له ان رأيت زادي بعد هذا كله قد سقط فلا تعلمني وهو لك (قال صاحب الكلب) كان يقال لابي العاصي بن الربيع بن عبد العزيز بن عبد شمس وهو زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاخيه كنانة بن الربيع جرو البطاء قال صاحب الديك لصاحب الكلب وسنضرب لك المثل الذي ضربه المورياتي للديك

والبازي وذلك ان خلاد بن زيد الأرقط قال بنا أبو أيوب المورياتي جالس في أمره
 ونهيه اذ أتاه رسول أبي جعفر فالتقى لونه وطارت عصفير رأسه وأذن بيوم باسه
 وذعر ذعرا تقض جبوته واستطار فؤاده ثم عاد طاق الوجه فتمه جينا من حاله وقتلناه
 انك لطيف انخاصة قريب المنزلة في ذعب بك الذعر واستفزكك الوجع فقال سا ضرب
 لكم مثلاً من أمثال الناس زعموا ان البازي قال للديك ما في الارض شيء أقر وفاء منك
 قال وكيف قل أخذك أهلك بيضة فخصنوك ثم خرجت على أيديهم فاطمءنوك على
 اكفهم وانشأت بينهم حتى اذا كبرت حسرت لا يدنو منك أحدا لا طرت هاهنا وهاهنا
 وضججت وصحت وأخذت أنا من الجبال فعاموني وألقوني ثم يخلى عني فأخذ صيدي
 في الهواء فاجئ به الى صاحبي فقال له الديك انك لورأيت من البراة في سفافيدهم مثل
 ما رأيت من الديوك لكنت أنقر مني ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم لم تمعجبوا من خوفي
 مع ما ررون من تمكن حالي (قال صاحب الكتاب) ذكر محمد بن سلام عن سعيد بن
 صخر قال أرسل مسلم بن عمرو بن عم له الى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال له
 لا أعلم لي بالخيل وكان صاحب قنص قال أنت صاحب كلاب قال بلى قال فانظر كل
 شيء تستحسنه في الكلاب فاستعمله في الفرس فقدم بخيل لم يكن في العرب مثلاً قال محمد
 ابن سلام استأذن رجل على امرأة فمات له ماله من حاجة قالت الجارية يريد أن يذكر
 حاجة قالت لها حاجة الديك لي الدجاجة (محمد) بن سلام عن سلام أبي المنذر قال
 حبس خالد بن عبد الله الكعبي بن زيد وكانت امرأته تختلف اليه في ثياب بهيئة
 حتى عرفها البوابون فلبس يوماً ثيابها وخرج عليهم فسمى في شعره البوابين النواجح
 وسمي خالد المشلي

خرجت خروج القدح قدح بن مقبل * على الرغم من تلك النواجح والمشلي
 على ثياب الغاميات وتحتها * صريفة عزم أشبهت سلة النصل
 (قال وأخبرنا خشرم) قال سمعت فلانا يقول يسأل الحسن قال ان الصبيان يأتوني
 ببيضتين مكسورتين يأخذون مني صحيجة واحدة قال ليس به بأس (محمد) بن سلام عن

بعض أشياخه قال قال مصعب بن الزبير على مسجد البصرة ابعض بنى أبي بكره انما كانت أمكم مثل الكلبة ينزوع عليها الاعتر والاسود والابقع فتؤدى الى كل كلب شبهه هذا في هذا الموضع هجاء وأصحاب الكلاب يرون هذا من باب النجاسة وان ذلك من صحة طباع الارحام حين لا تختلط النطف فتجي جوارح الاولاد مختلفة مختلطة وقال صاحب الكلب في وصية عثمان الخياط للشطار للصوم اياكم اياكم وحب النساء وسماع ضرب العود وشرب الزبيب المطبوخ وعليةم بانخاذ الغلمان فان غلامك هذا أنفع لك من أخيك وأعون لك من ابن عمك وعليةم ببيد التمر وضرب الطنبور وما كان عليه الساف واجعلوا النمل باقلاء وان قدرتم على النفسق والريحان وشاهبتر ثم ان قدرتم على الياسمين ودعوا لبس العمام وعليةم بالتمناع والفانسوة كفروا خلف شرك واجعل لهوك الحمام وهارش الكلاب واناك والسكباش والعب بالصقورة والشواهين واياكم والفهود فلما انتهى الى الديك قال والديك فان له صبيرا ونجدة وورغانا وتدبيراً وإعمالاً للسلاح وهو يهر بهر الشجاع ثم قال وعليةم بالترد ودعوا الشطرنج لاهابها ولا تلعبوا في الترد الا بالطويالتين والودع رأس مال كبير وأول منافعه الحدق باللقف ثم حدثهم بحديث يزيد ابن مسعود القيسي (وقال صاحب الديك) ذكر محمد بن سلام عن يحيى بن النضر عن أبي أمية عبد الكريم المعلم قال كان الحسن بن ابراهيم يكره صيد الكلب الأسود البهيم وأنشد صاحب الكلب قول أحمد بن زياد بن أبي كريمة في

صفة صيد الكلب قصيدة طويلة أولها

وغب غمام مزقت عن سماه * شامية حصاء جون السحاب
 مواجهه طلق لم يرد رجاءها * تذاب بارواح الصبا والجناب
 بمث وأثواب الدجي قد تقاصت * لغرة مشهوب من الصبح ثاقب
 وقد لاح ناعى الليل حتى كانه * لسارى الدجافى الفجر فنديل راهب
 بهاليل لا يثنيهم عن عزيمة * وان كان جم الرشد لوه القرائب
 بتجنيد غضف كالقداح لطيفة * مشرطة آذانها بالنجاب

- تخال سياتا من سلاها منوطة * طوال الهوادى كالتداح الشواذب
 اذا فترشت جبتا اثاربت بتنته * عجاوا وبالكدان نار الجباب
 يفوت خطاها الطرف سبعا كأنها * سهام مغال أو رجوم الكواكب
 طراد الهوادى لاحبا كل شتوة * بطامية الأرجاء مررت المسارب
 تكاد من الاخراج تسأل كلما * رأت شبحاً لولا اعتراض المناكب
 تسوف وتوفى كل نشز وفدقد * مرابض أبناء النفاق الأرانب
 كان بها ذعرا يطير قلوبها * أنين المكابى أو صرير الجنادب
 تدير عيوناً ركبت في براطل * كجهر الغضا خزر دواب الأنايب
 اذا ما استحثت لم يحن طرفيها * لمن ضراء أو مجارى المقناب
 وان باصا صاب مدى الدهر أمسكت * عليه بدون الجهد سبل المذاهب
 تكاد تفرى الاهدب عنها اذا انتجت * لنبأة شخت الجرم عارى الرواجب
 كان غصون الخيزران متونها * اذا هي جالت فى طراد الثعالب
 كواشر عن أنيابهن كوالح * مذاقة الآذان شوس الحواجب
 كان بنات القنفر حين تفرقت * غدون عايها بالنايا الشواعب

ثم وصف النور

- بذلك أبى الصيد طورا وتاره * بمخطفة الاكفال رحب التراب
 مرقة الاذنايب ثم ظهورها * مخطفة الآماق غاب الفوارب
 مذربة ورق كان عيونها * حواجل تستدى متون الرواكب
 اذا قابتها فى الفجاج حسبها * سنا ضرم فى ظلمة الليل ناقب
 موامة قبج الجباه عوايس * تخال على أشداقها خط كاتب
 نواصب آذان اطاف كأنها * مداهن الأحراس من كل جانب
 ذوات أناف ركبت فى أكفها * نوافذ فى صم الصخور نواشب
 ذراب بلا ترهيف قين كأنها * تعقرب أصداع الملاح الكواعب

فوارس ما لم تلق حربا ورحلة * اذا آنتت بالبيد شهب الكتاب
 ترود تسكين يكون دريئة * لمن بذى الاسوار فى كل لاجب
 تضاهل حتى لا تكاد تبينها * عيون لدى الضرات غير كواذب
 حراص يفوت البرق أمكث جريها * ضراء مبيلات بطول التجارب
 توسد اجياد الفوارس اذرعاً * مزمنة تحكى عتاق الجناب
 (قال دعبل الشاعر) أقنا عندسهل بن هارون فلم نبرح حتى كدنا نموت من الجوع
 فلما اضطررناه قال يا غلام ويلك غدنا قال فأتينا بقصعة فيها مرق فيه لحم ديك ايس
 قبلها ولا يمدھا غيرها لا تحز فيه السكين ولا تؤثر فيه الاضراس فاطلع فى القصعة
 وقاب بصره فيها ثم أخذ قطعة خبز يابس فلقب جميع ما فى القصعة حتى فقد الرأس
 من الديك وحده ثم رفع رأسه الى الغلام فقال أين الرأس فقال رميت به قال ولم
 رميت به قال لم أظنك تأكله قال ولاى شىء ظننت انى لا آكله فوالله انى لامقت من
 يرمى برجليه ثم قال له لو لم أكره ما صنعت الا للطيرة والقال لكرهته الرأس رئيس
 وفيه الحواس ومنه يصدح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه قرنه الذى يتبرك به وعينه التى
 يضرب بها المثل يقال شراب كمين الديك ودماعه عجيب لوجع الكلىة ولم أر عظام قط
 أهش تحت الاسنان من عظم رأسه فهلا اذ ظننت انى لا آكله ظننت ان العيال
 يأكلونه وان كان بالغ من نبلك انك لا تأكله فان عندنا من يأكله أو ما علمت
 انه خير من طرف الجناح ومن الساق والعنق انظر أين هو قال والله ما أدري أين
 رميت به قال لكنى ادري انك رميت به فى بطنك والله حسيدك

﴿ تم الجزء الثانى من كتاب الحيوان بحمد الله تعالى وحسن عونه ﴾

﴿ ويتلوه الجزء الثالث ان شاء الله اوله ذكر الحمام ﴾



الجزء الثالث من كتاب

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصرى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب

حقوق الطبع محفوظة المأتم طبعه

الحاج محمد أفندي ساسني المغربي البوسني

سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م

مطبعة التمسك بحمد علي بن حسين

فهرست

﴿ الجزء الثالث من كتاب الحيوان ﴾

	صحيفه
باب ذكر الحمام	٢
» في صدق الظن وجودة الفراسة	١٨
» من المديح بالجمال وغيره	٢٨
» آخر في مثل ذلك من الفضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً	٣٣
» من الفطن وفهم الرطانات والكنائيات والفهم والافهام	٣٨
» ذكر خصال الحرم	٤٣
» ذكر الحمام	٤٥
» ومن كرم الحمام	٦٩
» ليس في الارض جنس يعتره الاوضاح	٧٥
» الحمام طائر لئيم	٧٨
» آخر	٧٩
» القول في أجناس الذبان	٩٢
» رجع القول الى ذكر الذبان	١١٨
» باب القول في الغربان	١٢٧
» فيمن يهجي ويذكر بالشؤم	١٥٠
» في مديح الصالحين والفقهاء	١٥٤
» القول في الجملان والخنافس	١٥٦

	صفحة
الهدد » » »	١٦٠
الرخم » » »	١٦٣
الخفاش » » »	١٦٥

﴿ تم الفهرست ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

❦ باب ذكر الحمام ❦

وما أودعها الله عز وجل من ضروب المعرفة ومن الخصال المحمودة وتعرف
 بذلك حكمة الصانع واتقانه وصنمه المدبر وان كنا قد أواللناك بالجد وبالاحتجاجات
 الصحيحة والمزوجة لتكثر الخواطر وتشهد العقول فاستنشطتك ببعض البطالات
 وبذكر العمال الظريفة والاحتجاجات الغريبة فرب شعر يباع بفرط غباوة صاحبه مالا
 يبلغه أحر النوادر وأجود المعاني وأنا استظرف أمرين استظرفا شديداً أحدهما استماع
 حديث الاعراب والأمر الآخر احتجاج متنازعين في الكلام وهما لا يحسنان منه
 شيئاً فانها يشيران من غريب الطيب ما يضحك كل كلالن وان تشدد وكل غضبان
 وان أحرقه لهيب الغضب ولو ان ذلك لا يخل لكان في باب اللهو والضحك والسرور
 والبطالة والتشاغل ما يجوز كل فن وسندكر من هذا الشكل عللا ونورد عليك من
 احتجاجات الاغبياء حججاً فان كنت ممن يستعمل الملاللة وتعجل اليه السامة كان هذا
 الباب تخطيطاً لقلبك وجماماً لقوتك وانبتدي النظر في باب الحمام فقد ذهب الكلال
 وحدث النشاط وان كنت صاحب علم وجد وكنت ممرناً وموقفاً وكنت الف تفكير
 وتقمير ودراسة كتب وحلف تبين وكان ذلك عادة لك لم يضررك مكانه من الكتاب
 وتخطيه الى ما هو أولى بك وعلى انى قد عزمتم وانته الموفق انى أوشح هذا الكتاب
 وأفضل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر وضروب الاحاديث ليخرج قارئ هذا

الكتاب من باب الى باب ومن شكل الى شكل فاني رأيت الاسماع تمل الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والاورتار النصيحة اذا طال ذلك عليها وما ذلك الا في طريق الراحة التي اذا طالت أورتت الغفلة واذا كانت الاوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة كان هذا التدبير لما طال وأكثر أصاح وما غايتها من ذلك كله الا ان تستفيدوا خيراً وقال أبو الدرداء اني لأجم نفسي ببعض الباطل كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يماها فن الاحتجاجات الطبية ومن العمل المايبة ما حدثني به ابن المديني قال تحول أبو عبد الله الكرخي اللجاني الى الحربية فادعى انه فقيه وظن ان ذلك يجوز له لمكان لحيته وسمته قال فالتى على باب داره البوارى وجلس اليه الجيران فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الله رجل أدخل إصبعه في انفه فخرج عليها دم أي شي يصنع قال يحتجم قال قدمت طبيباً أو قدمت فقيها وحدثني شمعون الطيب قال كنت يوماً عند ذى اليمينين طاهر بن الحسين فدخل عليه أبو عبد الله المروزي فقال يا أبا عبد الله مذكم دخات العراق قال منذ عشرين سنة وأنا صائم منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبد الله سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين وحدثني أبو الجهاد قال ادعى شيخ عندنا انه من كندة قبل ان ينظر في شيء من نسب كندة فقات له يوماً وهو عندي ممن أنت يا فلان قال من كندة قلت من أيهم أنت قال ليس هذا موضع الكلام عافاك الله ودخات على ختن بريرة وكان شيخاً ينتحل قول الإراضية فسمعه يقول العجب ممن يأخذ النوم وهو يزعم الاستطاعة مع العقل قلت ما الدليل على ذلك قال الأشعار الصحيحة قلت مثل ماذا قال مثل قوله * ما ان يقعن الارض الافرطا * وكقوله أيضاً

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجامود صخر مطه السيل من عل

وكقوله

اكف يدي عن ان تمس أكفهم * اذا نحن أهوينا وحاجتنا معا

ثم أقبل علي فقال أما في هذا مقنع قلت بلى وفي دون هذا وذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال قال رجل من أهل الكوفة لهشام بن الحكيم أتى الله عز وجل في عدله وفضله كلفنا ما لا نطيق ثم يعذبنا قال قد والله فعل ولكننا لا نستطيع ان نتكلم

به وحدثني محمد بن الصباح قال بينا أبو يوسف اتقاضى يسير بظهير الكوفة وذلك بعد
ان كتب كتاب الخيل اذ عرض له مرور عندنا طبيب الخلق فقال له يا أبا يوسف قد
أحسنت في كتاب الخيل وقد بقيت عليك مسائل في الذنن فان أذنت لي سألتك
عنها قل بعد أذنت لك فصل قال أخبرني عن الحر كافر هو أو مؤمن فقال أبو يوسف
دين الحر دين المرأة ودين صاحبة الحر ان كانت كافرة فهو كافر وان كانت مؤمنة فهو
مؤمن قال ما صنعت شيئاً قل فقل أنت اذا لم ترض بقولي فقال الحر كافر قال وكيف
علمت ذلك قل لان المرأة اذا ركمت أو سجدت استدير الحر القبلة واستقبلت هي
القبلة ولو كان دينه دين المرأة لم يمنع كما تمنع هذه واحدة يا أبا يوسف قال صدقت
فأذن لي في أخرى قال نعم قال أخبرني عنك اذا أتيت صحراء فبهجت على بول وخرأ
كيف تعرف أبول امرأة هو أم بول رجل قال والله ما أدري قال أجل والله ما أدري
قال فتعرف أنت ذلك قال نعم اذا رأيت البول قد سال على الخراو بين يديه فهو بول
امرأة وخرأ امرأة واذا رأيت البول بعيداً من الخرا فهو بول رجل وخرأ رجل قال
صدقت قال وحكي لي جواب مسائل فبسيئ منها مسألة فعاودته فاذا هو لا يحفظها
(وحدثني) أبواب الاعور قال قائل للحجاج العباسي ما بال شعراؤنا إذ انابت أسرع
والتم قال اقربيه من السماء والماء هطل عليه وحدثني محمد بن حسان قال وقتت على نوفل
عريف الكناسين وذا موسوس قد وقف عليه وعنده كل كناس بالكراخ فقال له
الموسوس ما بين بنت ورددن تدع عمر البئر وفيه كل خرا وهو لها مسلم وعليها موفر
وتجرأ تطاب الماطخة التي في أمت أحدنا وهو قاعد على المتعمد فتلزم نفسها الكفاة
الغائضة وتعرض للقتل وإنما هذا الذي في استاهنا قيراط من ذلك الدرهم وقد دفعنا
اليها من الدرهم وفرا قال فضحك القوم فخر ك نوفل رأسه ثم قل أنتضحكون قد والله
سأل الرجال فحببو وأما كما فقد والله فكبرت فيها منذ سنين والكنكم لا تنظرون
في شيء من أمر صناعتكم لاجرم أنكم لا ترفمون بدأ فقال نوفل قد علمنا ان الرطب
أطيب من التمر وحديث أطرف من العتيق والشئ من معدنه أطيّب والنما كفة من
أشجارها أطرف قال ففضب شربان مسيح الكناس ثم قل والله لقد وبختنا وهوات

علينا حتى ظننا انك ستجيب بجواب لا يحسنه أحد ما الأمر عندنا وعند أصحابنا هكذا قال فقال لنا الموسوس بالجواب عافاكم الله فاني مانت البارحة من النكرة في هذه المسألة قال مسيح لو ان لرجل ألف جوارى حسناً ثم عتقن عنده ابردت شهوته عنهن وفترت ثم ان رأى واحدة دون أخسهن في الحسن صبا اليها ومات من شهوتها فبنت وردان تستظرف تلك اللطافة وقد مات الأولى وبعض الناس الفطير أحب اليه من الخمير وأيضاً ان الكثير يمنع الشهوة ويورث الصدود قال فقال الموسوس واستحسن جواب مسيح بمد ان كان لا يرى جواباً الا جواب نوفل لا تعرف مقدار العالم حتى تجلس الى غيره أنتم أعلم أهل هذه المدرة ولقد سألت علماءها عنه منذ عشرين سنة فما تخصص أحد منهم الى مثل ما تخصصتم اليه وقد والله أنتم عيني وطاب بكم عيشي وقد علمنا ان كل شيء يستلب استلاباً انه ألد وأطيب ولذلك صار الديب الى الغلمان ونيكهم على جهة الضبط ألد وكل شيء يصيبه الرجل فهو أعز عليه من المال الذي يوجب له قال وحدثني أبان بن عثمان قال قال الحجاج بن يوسف والله اطاعني أوجب من طاعة الله لان الله تعالى يقول اتقوا الله ما استطعتم فجعل فيها مشنوية وقال واسمعوا وأطيعوا ولم يجعل فيها مشنوية ولو قلت لرجل ادخل من هذا الباب فلم يدخل حل لي دمه قال (وأخبرني) محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال قال رجل من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة نحن أشد حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله منكم يا أهل المدينة فقال المدني فما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله قال وددت اني وقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن وصل اليه يوم أحد ولا في غيره من الأيام بشيء يكرهه الا كان بي دونه فقال المدني أفعدنك غير هذا قال وما يكون غير هذا قال وددت ان أبا طالب كان آمن فمهر به النبي صلى الله عليه وسلم وانى كافر وحدثني أبان بن عثمان قال قال ابن أبي ليلى اني لأسير رجلا من وجوه أهل الشام أذمر بحمال معه رمان فتناول منه رمانة فجعلها في فمه فعميت من ذلك ثم رجعت الى نفسي وكذبت عيني حتى مر به سائل فقير فاخرجها فناوله اياها قال فعلمت اني رأيتها فقلت له رأيتك قد فعلت عجباً قال وما هو قلت رأيتك أخذت رمانة من حمال وأعطيتها سائلاً

قال وراك ممن يقول هذا القول أما علمت اني أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت
عشر حسنات قال فقال ابن أبي ليلى أما علمت انك أخذتها فكانت سيئة وأعطيتها
فلم تقبل منك وقال لربيع قات لاعرابي أتهزأ أم اسرايل قال اني اذا لرجل سوء
قات فتجر فلسطين قال اني اذا قوتى قال (وحدث) حماد بن سامة قال كان رجل في
لجاهلية معه عجن يتناول به متاع الحاج سرقة فاذا قيل له سرقت قال لم أسرق
إنما أسرق عجني قال فقال حماد لو كان هذا اليوم حيا لكان من أصحاب أبي حنيفة
قال وحدثني محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أما تشتهي بناتي زرق العميون
نقية البطون سود الظهور وأرغنة حارة لينة وخلا حاذقا قال بلي قال فنهض بنا قال الرجل
فنهضت معه ودخل منزله قال فأومأ لي ان خذ تلك السلة قال فكشفتها فاذا برغيفين
يابسين وسكرجة كالمخ شبت قال فجعل يأكل قال فقال لي تعال كل فقات وأين السمك
قال ما عندي إنما قات لك تشتهي قال وسين حفص بن غياث عن فته أبي حنيفة قال
كان أجهل الناس بما يكون وأعرفهم بما لا يكون وأما علة خشنام بن هند فان خشنام
ابن هند كان شيخا من الغالية وكان ممن يذأردن يسمى أبا بكر وعمر قال الجبت
والظاغوت ومنكر ونكير وف وتف وعوير وكان لا يزال يدخل داره حمار كساح
ويضربه مائة عصى على أن أبا بكر وعمر في جوفه ولم أرقض أشد احتر قامته وكان مع
ذلك بيديا وصاحب حمام ويشبه في القمد ونحرط شيوخ الحربية وكان من غير صميمهم
وكان له بني تلبعه فكان يرثي أمه عند كل حق وبطل وعند كل جد وهزل فقات له
يوما ونحن عند بني ريمي ويحك بأي شيء استحل ان تقذف أمه بنزنا فقال لو كان على
في ذلك حرج لم تقذفها قات فم تزوجت امرأة ليس في قذفها حرج قال اني قد
احتات حيلة حتى حل لي من أجهل ما كان يحرم قات وما تلك الحيلة قال أنا رجل حديد
وهذا غلام عارم وقد كنت طابت أمه فكنت إذ فتريت عليها ثمت فقات في نفسي
ان أعبت بها وخذتها حتى أتيتها مرة واحدة حل لي بعد ذلك فتري عليها بل لا يكون
قولي حينئذ فرية وعلمت ان زينة واحدة لا تعدل عشر آلاف فرية فانا اليوم أصدق
ولست أكذب والصادق ماجور اني والله ما أشك ان الله اذ علم اني لم أزن بها تلك

المرّة الا من خوف الاثم اذا قدّمها أنه سيجعل تلك الزينة طاعة لله تعالى فتلت أنت الآن على ان زناك طاعة لله تعالى قال نعم قال الشيخ الاباضى وهو ختن أبى بكر بن برة وجرى يوماً ذكر التشيع والشيعة فانكر ذلك واشتد غضبه عليهم فتوهمت ان ذلك انما اعتراه للاباضية التي فيه وما على ان سألته فانه يقال ان السائل لا يعدمه ان يسمع في الجواب حجة أو حياة فتلت وما أنكرت من التشيع والشيعة قال أنكرت منه مكان الشين التي في أول الكلمة لاني لم أجد الشين في أول كلمة قط الا وهي مسخوطة مثل شؤم وشر وشيطان وشغب وشح وشمال وشجر وشيب وشين وشراسة وشنج وشك وشوكة وشبث وشوكة وشرك وشارب وشطير وشطور وشعر وشنانى وشتم وشتم وشطرنج وشنعة وشناعة وشوصة وشتر وشحوب وشجة وشطون وشاطن وشن وشلل وشيص وشاطر وشاطرة وشاحب قلت ماسمعت متكلما قط يقول هذا ولا يبلغه ولا يقوم لهؤلاء القوم قائمة بعد هذا قال وتعشي أبو كعب القاص بطفشيل كثير اللوبيا وأكثر منه وشرب نبيذ تمر وغاس الى بعض المساجد ليقص على أهله اذا انفتل الامام من الصلاة فصادف زحاما كثيرا ومسجدا مستورا بالبواري من البرد والريح والمطر واذا محراب غائر في الخائط واذا الامام شيخ ضعيف فلما صلى استدبر المحراب وجلس في زاوية منه يسبح وقام أبو كعب فجعل ظهره الى وجه الامام ووجهه الى وجوه القوم وطبق المحراب بجسمه وفروته وعمامة وكسائه ولم يكن بين فقحته وبين أنف الامام كبير شئ وقص وتحرك بطنه فاراد ان يتفرج بفسوة وخاف ان تصير ضراطا فقال في قصصه قولوا جميعا لا اله الا الله وارفعوا بها أصواتكم وفسا فسوة في المحراب فدارت فيه وجشمت على أنف الشيخ واحتملها ثم كده بطنه فاحتاج الى أخرى فقال قولوا لا اله الا الله وارفعوا بها أصواتكم فارسل فسوة أخرى فلم تخطيء أنف الشيخ واختفت في المحراب نخر الشيخ أنه فصار لا يدري ما يصنع ان هو تنفس قتلته الرائحة وان هو لم يتنفس مات كربا فزال يدارى ذلك وأبو كعب يقص فلم يلبث أبو كعب ان احتاج الى أخرى وكلاما طال لبثه تولد في بطنه من التنفخ على حسب ذلك فقال قولوا جميعا لا اله الا الله وارفعوا بها أصواتكم فقال الشيخ من

الحراب لا تقولوا لا تقولوا قد قتلتني إنما يريد ان يفسو ثم جذب اليه ثوب أبي كعب
 وقال جئت الى هاهنا لتفسوا أو تقص فتال جئنا لتقص فاذا نزلت ببيعة فلا بد لنا ولكم
 من الصبر فضحك الناس واختلط المجلس وأبو كعب هذا هو الذي كان يقص في
 مسجد عتاب كل أربعة فاحتبس عليهم في بعض الأيام وطال انتظارهم له فبينما هم كذلك
 إذ جاء رسوله فقال يقول لكم أبو كعب انصرفوا فاني قد أصبحت مخموراً (وأما)
 علة عبد العزيز فان عبد العزيز كان له مال وكان اذا جاء وقت الزكاة وجاء التواد
 بفلان مؤاجر قال يا غلام ألك أم لك خالات فيقول الغلام نعم فيقول خذ هذه
 العشرة الدراهم أو خذ هذه الدنانير من زكاة مالي فادفعها اليهن وان شئت ان
 تأزمني بعد ذلك على جية المكارمة وان شئت ان تنصرف فانصرف فيقول ذلك
 وهو واثق ان الغلام لا يمتعه بعد أخذ الدراهم وهو يعلم أنه ان يبلغ من صلاح طباع
 المؤجرين ان يؤدوا الأمانات فعبر بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاة الا عند أمهات
 المؤجرين واخواتهم وخالاتهم (وحدثني) محمد بن عباد بن كاسب قال قال لي النضل
 ابن مروان من طباطب الكوفيين وأغنيائهم ان ولدك مائة ذكر فسمهم كلهم
 محمداً فانك ستري فيهم البركة أو تدري لأي شيء أكثر مالي مات لا والله ما أدري
 قال إنما أكثر مالي لأنى سميت نفسي فيما بيني وبين الله محمداً واذا كان اسمي عند الله
 محمداً فما أبالي ما قول الناس وشبه هذا الحديث قول المروزي مات لاجد ابن رباح
 الجوهري اشترت كساءً أبيض طبرياً باربعائة درهم وهو عند الناس فيما ترى عيونهم
 قومي يساوي مائة درهم قال اذا عم الله أنه طبرى فما علي مما قال الناس وكان عندنا
 حارس يكنى أبا خزيمه فمات يوماً وقد خطر على بالي كيف اكتنى هذا العليج الا لكن
 أبا خزيمه ثم رأيت فمات له خبرني عنك أكان أبوك يسمى خزيمه قال لا فات جدك
 أو عمك أو خالك قال لا فات فلان ابن يسمى خزيمه قال لا فات فلم اكتنيت أبا خزيمه
 وأنت علاج الكن وأنت فقير وأنت حارس قال هكذا اشتهيت مات فلأى شيء اشتهيت
 هذه الكنية من بين جميع الكنى قال ما يدريني مات فتبيعها الساعة بدينار وتكتني بأى
 كنية شئت قال لا والله ولا بالدينار وما فيها وحدثني مسعدة بن طارق مات للزيادي

ومررت به وهو جالس في يوم غيم حار ومد على باب داره في شروع نهر الحوانان باردية واذا ذلك البحر ينجر في أنفه قال فقات له بعث دارك وخذاك من دار جدك زياد ابن أبي سفيان وتركت مجاسك في ساباط عيث وأثرايك على رحبة بنى هاشم وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم ورضيت به جاراً قال نات أطول آالي في قرب هؤلاء قلت لو كنت بقرب المقابر فقات نرات هذا الموضع الآعاط به والاعتبار كان ذلك وجهاً ولو كنت بقرب المسددين فقات لا تذكر بهذه النيران والكيران نار جهنم كان ذلك قولاً ولو كنت اشتريت داراً بقرب المطارين فاعتلت بداب رائحة الطيب كان ذلك وجهاً فاما قرب البزارين فقط فهذا مالا أعرفه أفلك فيهم دار غلة أو هل لك عايتهم ديون حالة أو هل لك فيهم أو عندهم فلان يؤدون الضريبة أو هل لك معهم شركة مضاربة قال لا قات فما ترجو اذا من قربهم (وحدثني) ثمامة بن أثرس قال كان رجل ممرور يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم ولا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجزع ذاهباً وجائياً في شدة الحر والبرد حتى اذا أمسى نزل اليهم وتوضأ وصلى وقال اللهم اجعل لنا من هذا فرجا ومخرجاتم انصرف الى بيته فكان كذلك حتى مات (وحدثني) المكي قال كان رجل يقود أعمى بكراء وكان الاعمى ربما عثر العثرة ونكب النكبة فيقول اللهم ابدل لي به قائداً خيراً منه قال فقال القائد اللهم ابدل لي به أعمى خيراً منه (وحدثني) يزيد مولى اسحاق بن عيسى قال كنا في منزل صاحب لنا اذ خرج واحد من جماعتنا ليقيل في البيت الآخر فلم يلبث الا ساعة حتى سمعناه يصيح أوه أوه قال فنهضنا بأجمعنا اليه فزعين فقلنا له مالك واذا هو نائم على شقه الايسر وهو قابض على خصيته بيد فقات له لم صحت قال اذ غمزت خصيتي اشتكيتها واذا اشتكيتها صحت قال فقلنا له لا تغزها بعد حتى لا تشتكي قال نعم ان شاء الله تعالى قال يزيد وكانت لعيسى بن علي مولاه عجوز خراسانية تصرخ بالليل من ضربان ضرس لها فكانت قد أرقت الامير اسحاق فقات له انها مع ذلك لا تدع أكل التمر قال فبعث اليها بالعادة فقال أتا كلين التمر بالهار وتصيحين بالليل فقات اذا اشبهت أكلت واذا أوجعتني صحت (وحدثني) ثمامة قال مررت في غب مطر والارض ندية

والسقاء متفينة والريح شمال وذا شيخ أصغر كأنه جرادة وقد جلس على قارعة الطريق
وحجام زنجي يحججه وقد وضع على كاهله وأخذ يديه حاجم كل محجمة كأنها قعب وقد
مض دمه حتى كاد أن يستقرغه قال فوقفت عليه فقات يا شيخ لم تحتجم قال لمكان هذا
الصدر الذي بي (وحدثني) ثمانية قال حدثني سعيد بن مسلم قال كنا بخراسان في منزل
بعض الدهاقين ونحن سباب وفينا شيخ قال فأنا رب المنزل بدهن طيب فدهن بعضنا
رأسه وبعضنا حقيقته وبعضنا مسح شاربه وبعضنا مسح يديه وأمرها على وجهه وبعضنا
أخذ بطرف إصبعه فأدخل في أنفه ومسح به شاربه وتعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبها
في أذنه فقتلنا له ويحك خالفت أصحابك كما هم هل رأيت أحدا إذا أتوه بدهن صبه في
أذنه قال فلما مع ذلك تضررتني (وحدثني) سمعة بن طارق قال والله إنا لو قوف على
حدود دار فلان لالتسمة ونحن في خصومة إذا قبل سيد بن تميم ومؤمرهم والذي يصلي
على جنازتهم فلما رأيتاه مقبلا اليانا مسكنا عن الكلام فاقبل علينا فقال حدثوني عن هذه
الدار هل ضم منها بعضها إلى بعض أحدنا قال سمعة فأنا منذ سنين أفكر في كلامه
ما أدري ما عني به (وحدثني الخليل) بن يحيى السلولى قال نازع التميمي بعض بني عمه في
حائط فبعث اليانا المشهد على شهادته فأناه جماعة منهم الحميري والزهرى والزيادى
والبكروى فلما دبرنا اليه وقف بنا على الحائط وقال أشهدكم جميعا أن نصف هذا الحائط
لى قال وقدم بن عم له لى عمر بن حبيب وأدعى عليه الف درهم فقال ابن عمه ما أعرف
مما قال قبيلا ولا كثيرا ولا له على شىء قال أصالحك الله تعالى فاكتب بإنكاره قال فقال
عمر لا تكلم لا يفوتك متى أردته فهو بين يديك قال وقات لابن عتاب الجرار الا ترى
عبد العزيز العزى وما يتكلم به فى قصصه قال وأى شىء قال آيت الله تعالى لم يكن
خافنى وأنا الساعة أعور قال ابن عتاب آيت الله تعالى لم يكن خافنى وأنا الساعة أعمى
مقطع اليدين ولرجلين ودخل أبو عتاب على عمر بن هذاب وقد كف بصره والناس
يعزونه فقبل بين يديه وكان كالجمل الخجوم له صوت جهير فقال يا أبا أسيد لا بسؤك
ذهابها فلورأيت ثوبها فى ميزانك تبيت ان الله تعالى قد قطع يديك ورجليك ودق
ظرك وأدى صامك وبيننا داود بن المعتز الصبيري جالس متى أذمرت به امرأة جميلة

لها قوام وحسن وعينان عجيبتان وعليها ثياب بيض فنهض داود فبه أشمك انه قام لاتباعها
فبهت غلامي ليعرف ذلك فلما رجعت له قد علمت انما قلت لك بما فليس ينفعك الا
الصدق ولا يخيبك مني الجحود وانما غابتي ان اعرف كيف ابتدئت القول وأى شيء فات
له او علمت انه سيأتي بأبدة وكان ما بالاً وابد قال ابتدئت القول بان فات لولاء ما يك
من سيما الخير لم أتبعك قل فضحك حتى استندت الى الحائط ثم قالت انما ينفع ممالك
من اتباع مثلي والطمع فيه ما يرى من سيما الخير فلما اذ قد صار سيما الخير هو الذي
يطمع في النساء فان الله وانا اليه راجعون وتبع داود بن المتمر امرأة فلم يزل يطربها حتى
أجابت ودلها على المنزل الذي يمكنها فيه ما يريد فتقدمت الناجرة وعرض له رجل
فشغلها وجاء الى المنزل وقد قضى القوم حوائجهم وأخذت حاجتها فلم تنظره فلما أنعم ولم
برها قال أين هي قالوا والله قد فرغنا وذهبت قال فأى طريق أخذت قالوا والله ما
ندري قال فان عدوت في أثرها حتى أقوم في جامع الطريق أتروني ألقها قالوا والله
ما تلحقها قال فقد فاتت الآن قالوا نعم قال فمسي أن يكون خيراً فلم أسمع قط بانسان
يشك ان السلامة من الذنوب خير وسأل بعض أصحابنا أبا القمان المروزي عن الجزء
الذي لا يتجزء ما هو قال الجزء الذي لا يتجزء على بن أبي طالب عليه السلام فقال
له أبو العينا محمد أفايس في الارض جزء لا يتجزء غيره قال بلى حمزة جزء لا يتجزء
وجعفر جزء لا يتجزء قال فما تقول في العباس قال جزء لا يتجزء قال فما تقول في أبي
بكر وعمر قال أبو بكر يتجزء قال فما تقول في عثمان قال يتجزء مرتين والزبير يتجزء
مرتين قال فأى شيء تقول في معاوية قال لا يتجزء فقد فكركنا في تأويل أبي عمران حين
جعل الأنام اجزاء لا تتجزء الى أي شيء ذهب فلم نقع عليه الا ان يكون كان أبو القمان
اذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزء هاله ذلك وكبر في صدره وتوهم انه
الباب الاكبر من علم الفلاسفة وان الشيء اذا عظم خطره سموه باجزاء الذي لا يتجزء
قد تسخفنا في هذه الاحاديث واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر وسند كبر قبل ذكرنا
في الحام جلا من غرر ونوادر وأشعار ونسب وفقر من قصائد قصار وشو رد وأبيات
لنعطي قارئ الكتاب من كل نوع تذهب اليه النفوس نصيباً ان شاء الله وليكن

ضرب من الحديث ضرب من اللفظ والكل نوع من المعاني نوع من الاسماء فالسخيض
 للسخيض والخفيف للخفيف والجزل للجزل والافصاح في موضع الافصاح والسكناية
 في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال وان كان موضع الحديث على
 انه مضحك وماهي وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب
 عن جهته وان كان في افظه سخيف وابدت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع
 على ان يسر النفوس بكرها وياخذ باكظامها وبمض الناس اذا انتهى الى ذكر الحر
 والاير والنيك ارتدع واظهر التعزز واستعمل باب التورع وأكثر من تجده كذلك
 فانما هو رجل ليس له من المنافع والكرم والتبيل والوقار الا بقدر هذا الشكل من
 التصنع ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق الا عن اوم مستعمل ونذالة متمكنة وقد
 كان لهم في عبد الله بن عباس مفتح حين سمعه بعض الناس ينشد في المسجد الحرام
 وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير نك لميسا

فقيل له في ذلك فقال انما الرفث ما كان عند النساء قال شبيب بن يزيد الشيباني ليلة في بيت
 عتاب بن ورقاء * من ينك المير ينك نياكا * وقال الضحاک لو كان ذاك القول رفقا
 لكان قطع لسانه احب اليه من ان يقول هجرا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين
 دخل على بعض الامراء فقال له من في هذه البيوت فلما قيل له عقائل من عقائل
 العرب قال علي من يطل اير ابيه ياتطق به فعلي رضي الله تعالى عنه يقدم في تنزيه
 للفظ وشرف المعاني وقال ابو بكر رضي الله عنه حين قال بديل بن ورقاء لاني صلي
 الله عليه وسله جئتنا بعجرائك وسودائك ولو قدس هؤلاء وخز السلاح لقد اساءوك
 فقال ابو بكر رضي الله عنه عضضت يبظر اللات وقد رووا مر فوعا قوله من
 يمدرتي من ام سباع مقطعة البظور ولو كان ذلك الموضع موضع كناية هي المستعملة
 واما فلو لم يكن لهذه الاماظ وواضع استعملها اهل هذه اللغة وكان الرأي ان لا يلفظ
 بها لم يكن لاول كونها معنى الاعلى وجه الخطا لكان في الحزم والصون لهذه اللغة
 ان ترفع هذه الاسماء منها وقد اصاب كل الصواب لذي قال لكل مقام مقال واما قد
 دخل علينا فتى حدث كان قد وقع الى اصحاب عبد الواحد بن زيد ونحن عند موسى

ابن عمران فدار الحديث الى ان قال الدتي افطرت البارحة على رغيف وزيتونة وما علم الله من امرى فقال موسى ان من الورع ما يفضه الله علم الله واظن ورعك هذا من ذلك الورع وكان العتيبي ربما قال فقال لى المؤمن كذا وكذا حين صار النجم على قمة الرأس او حين جازى شياً او قبل ان يوارى هامتي هكذا هو عندي وفي اغاب ظني واكره ان اجزم على شىء وهو كما قلت ان شاء الله تعالى وقريباً ما نقلت فيتوقف في الوقت الذى ليس من الحديث فى شىء وذلك الحديث ان كان مع طلوع الشمس لم يزد ذلك خيراً وان كان مع غروبها لم ينقصه ذلك شيئاً هذا وامل الحديث فى نفسه لم يكن قط ولم يصل هو فى تلك اليلة البتة وهو مع ذلك زعم انه دخل على اصحاب الكهف فعرف عددهم وكانت عليهم ثياب شثنية وكابهم ممعط الجلد وقد قال الله عز وجل لنبىه صلى الله عليه وسلم لو اطلمت عليهم لو ايت منهم فراروا لمئنت منهم رعباً وسندكر من نوادر الشعر جملة فان نشطت لحفظها فاحفظها فانها من اشعار المذاكرة قال الثقفى

من كان ذا عضد يدرك ظلامته * ان الدليل الذى ليست له عضد

تابوا يدها اذا ما قبل ناصره * وتأنف الضيم ان أثرى له عدد

وقال أبو قيس بن الاسلت

انى امرؤ^(١) مستبسل حازر * للدهر جلد غير مجزاع

الكيس والقوة خير من ال * إشفاق والقمية والماع^(٢)

وقال عبدة بن الطبيب

رب حباناً باموال مخولة * وكل شىء حباه الله تخويل

والمرء ساع لامر ايس يدركه * والعيش شح واشفاق وتأميل

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يردد هذا النصف الآخر ويعجب من

جودة ما قسم وقال المتلمس

وأعلم علم حق غير ظن * وتقوى الله من خير العتادي

لحفظ المال ايسر من فناه * وضرب فى البلاد بغير زادى

وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبق الكثير مع الفساد

وقال آخر

وحفظك ما لا قد عنيت بجمعه * أشد من المال الذي أنت طالبه

وقال حميد بن ثور الهلالي

أشغل عنا يابن عم فلا ترى * من البخل لا سوف تعتل بالشغل

وقال ابن أحر

هذا الشقاء وأجدران صاحبه * وقد يدوم ريق الطامع الأمل

وقال ابن مقبل

هل الدهر الا تارتان فنهـ ما * أموت وأخري ابتغى العيش أ كدح

وقال عمرو بن هند

وان الذي ينهاكم عن طلابها * يناغي نساء الحي في طرة البرد

نعلى والأيام تنقض عمرنا * كما تنقض الأيام من طرف الزند

وقال أمية ان كان قالها

ربما تجزع النفوس من الامـ * ر له فرجة كحل العقال

وقال آخر

رمتي وستر الله بيني وبينها * عشية آرام الكناس رهم

الارب يوم لو رمتي رمتها * ولكن عهدي بالنضال قديم

رهم التي قالت لجارت بيتها * ضمنت اليك ان لا يزال يهيم

وقال آخر

لم أعطها يدي إذ ذبت أرشها * ألا تطاول غصن الجيد للجيد

كما تطاعم في خضراء ناعمة * مطوقات أصاغت بعد تفريد

فان سمعت بهلك للبخيل قتل * بعدد وسحقاله من هالك مودى

وقال أبو الأسود الدؤلي

المرء يسمى ثم يدرك جده * حتى يزير بالذي لم يفعل

وترى الشقى اذا تكامل غيه * يرمى ويتذف بالذى لم يعمل
وقال آخر

وان امرأ يمسى ويصبح سالما * من الناس الا ما جنا لسميد
وقال أكرم بن صيفي

نربي ويهلك أبؤنا * وبيناربي نائنا فئنا
وقال بعض المحدثين

فالآن أسمحت للخطوب فلا * يلقي فؤادى من حادث يجب
قالبى الدهر فى قوالبه * وكل شئ ليومه سبب
وقال آخر

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكم يصير الى التراب
الا ياموت لم أر منك بدا * أبيت فما تخيف ولا تحبى
كانك قد هجمت على مشيبى * كما هجم المشيب على الشباب
وقال منهم آخر

يانفس خوضى بحار العلم أوغوصى * فالناس من بين مفهوم ومخصوص
لا شئ فى هذه الدنيا يحاط به * الا احاطة منقوص بمنقوص
وأنشد الاحير

باقب منطاق اللسان كأنه * سيد تنصل من حجور سمالى
وقال الآخر

يراقب لحما من سهيل كأنه * اذا ما بدا من دجية الليل يطرف
وقالوا قال خلف الاحمر لم أر أجمع من بيت لامرئ القيس وهو قوله

أفاد وجد وساد وقاد * وعاد وزاد وزاد وأفضل
وقالوا وقال خلف الاحمر لم أر أجمع من بيت امرئ القيس

له ايطلا ظي وسافا نعامة * وارضاء سرحان وتقريب تنقل
وقالوا ولم نرى التشبيه كقوله حين شبه شيئين بشيئين فى حالتين مختلفتين فى بيت

واحد وهو قوله

كان قلوب الطير رطباً ويايساً * لدى وكرها العناب والحشف البالى
وسنذكر قطعة من أشعار النساء قات اعراية
رأت نضو أسفار أمية شاحبا * على نضو أسفار فجن جنونها
فقات من أى الناس أنت ومن تكن * فأنك مولى فرقة وقرينها
وقات امرأة من خثعم

فان نسألونى من أحب فأنى * أحب وبيت الله تكب بن طارق
أحب الفتى الجمعد السلولى ناضلا * على الناس معتادا لضرب المفارق
وقات أخرى

وما أحسن الدنيا وفي الدار خالد * وأقبحها لما تجهز غاديا

وقات أم فرق العطفانية

فما ماء مزن أى ماء تقوله * تحدر من غرطوال الذوائب
بمنمرج أو بطن واد تحدرت * عايه رياح الصيف من كل جانب
فني نسف الريح القذا عن متونه * فما إن به عيب يكون لعائب
بطيب ممن يقصر الطرف دونه * تقي الله واستحياء بعض العواقب

وقال بعض المستاق

وأنت الى كافني دلج السرى * وجون القطا بالجاهتين جثوم
وأنت النى أورث قاي حرارة * وقرحت قرح القاب وهو كليم
وأنت النى أحفظت قبي فيكاهم * بميد الرضا داني العبود كظيم

فقات المشوقة

وأنت لدى أخلفتني ما وعدني * وأسمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزاني للناس حتى تركتني * لهم غرضا أرى وأنت سليم
فلو ن قولاً يكلم الجسم قد بدا * بجلدي من قول الوشاة كلوم

وقال آخر

شهدت وبيت الله انك غادة * رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزيني بمودة * ولا أنا للهجران منك مطيق

فأجابته

شهدت وبيت الله انك باردال * ثنايا وان الخصر منك رقيق
وانك مشبوح الذراعين حاجم * وانك إذ تخلو بهن رفيف

وقال كعب بن سعد الغنوي

وحدثتني إنما الموت بالقرى * فكيف وهانا هضبة وقليب
وما وسماع كان بين محبة * بذى شربة تجرى عليه جنوب
ومنزلة في دار صدق وغبطة * وما أفتات في حكم على طيب

وقال دريد بن الصمة

رئيس حروب لا يزال ربيثة * مشيح على محرورف الصاب ملبد
صبور على رزء المصائب حافظ * من اليوم اعتاب لاحاديث في غد
وهون وجدى انى لم أفل له * كذبت ولم أنجل بما مالكت يدى

وقطعة من البديع قولهم

إذا حداها صاحبي ورجما * وصاح في آثارها فاسمعا
يتبعهن منهن حلالا أتاعما * أدمك في ماء المهاوى منقعا

وقال الراجز في البديع المحمود

قد كنت إذ حبل صباك مدمش * وإذا أهاضيب الشباب تمنش

ومن هذا البديع المستحسن منه قول حجر بن خالد بن مزيد

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد * كفعل أبي قابوس حزما ونائلا
يساق الغمام الغر من كل بلدة * اليك فأضحى حول بيتك نازلا
فأصبح منه كل واد حملته * وان كان قد حوى المرائع سائلا
فان أنت تهلك يهلك الباع والندا * وتضحى قلوب الحمد جرباء حائلا
فلا ملك ما يباغتك سعيه * ولا سونة ما يمدحك باضلا

باب في صدق الظن وجودة الفراسة

قال أوس بن حجر

مليح نجيح أخو مازق * نقاب يحدث بالغائب
وقال أبو الفضة قاتل أحمد بن شميطة

فان لا يأتكم خبر يقين * فان الظن ينقص او يزيد

وقيل لابي الهذيل انك اذا راوغت وأعتلت وأنت تكلم النظام فاحسن حالاتك ان
يشك الناس فيك وفيه قال خمسون شكاً خيراً من يقين واحد وقال كثير في عبد الملك

رأيت أبا الوايد غداة جمع * به شيب وما فقد الشبابا

فقات له ولا أعيأ جوابا * اذا شابت لدات المرء شابا

ولكن تحت ذلك الشيب حزم * اذا ما قال امريض أو أصابا

وايس في جودة الظن بيت شعر أحسن من بيت اللمعان قيس

وأبغى صواب الظن اعلم انه * اذا طاش ظن المرء طاشت مقاديره

وقال الله عز وجل واتم صدق عليهم ايليس ظنه وقال ابن أبي ربيعة في الظن

ودعاني الى الرشاد فؤاد * كان للفنى مرة قد دعاني

ذلك دهر لو كنت فيه قريني * غير شك عرفت لي عصياني

وتقابلت في الفراش ولا ته * لم الا الظنون أين مكاني

وقال ابن أبي ربيعة في غير هذا الباب

وخل كنت عين النصح منه * اذا نظرت ومستمماً مطيماً

أطاف بفيه فهيت عنها * وقت له أرى أمراً شنيعاً

أردت رشاده جهدي فلما * أبى وعصى آئينها جميعاً

وقال معبد بن حماد البارقي

الشعر اب المرء يعرضه * والقول مثل مواقع النبل

منها المقصر عن رميته * ونوافذ يذهبن بالخصل

وأبيات للمحدثين قال العتابي

- وكم نعمة آتى بها الله جزلة * مبرأة من كل خلق يذمها
فساط اخلاقا عليها ذميمة * تماورنبا حتى تفرى أديها
ولوعا وأشفاقا ونطقا من الخنا * بموراء يجرى في الرجال نيمها
وكنت امرء لو شئت ان تبلغ المدى * بلغت بأذني نعمة تستديها
ولكن فطام النفس أعسر محملا * من الصخرة الصماء حين تروها
وقال أيضا

- وكنت امرء هيابة تستفزني * رضاعي بادني ضجة تستاينها
أواني أمير المؤمنين بهمة * توغل في نيل المعالي فنونها
رعي أمة الاسلام فهو امامها * وأدى اليها الحق فهو أمينها
ويستنتج العنقاء حتى كأنما * تغافل في حيث استقر جنينها
وما كل موصوف له الحق يهتدى * ولا كل من أم الصوى يستبينها
مقيم بمستن العلى حيث تلتقى * طوارق أفكار الخطوب وعونها
وقال الحسن بن هاني

- قولا لهارون امام المهدي * عند احتفال المجلس الحاشد
نصيحة الفضل واشفاقه * أخلي له وجهك من حاسد
بصادق الطاعة دينها * ووحد الغائب والشاهد
أنت على ما بك من قدرة * ما أنت مثل الفضل بالواجد
أوجده الله فما مثله * اطاب ذاك ولا ناشد
وايس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في وحد

وقال عدي بن الرقاع العاملي

- وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كموب قناته * حتى يقيم ثقافته مناده
وعامت حتى لست أسأل عالما * عن حرف واحدة لكي ازددها

صلى الاله على امرئ ودعته ه واثم نسمة عليه وزادها
قال واجتمع ناس من الشعراء باب عدى بن الرقاع يريدون مما تلتهم ومساجلتهم فخرجت
اليهم بنت له صغيرة فقات

تجهم من كل اوب ومنزل * على واحد لازاتم قرن واحد

وقال عبد الرحمن بن حسان الانصارى وهو صغير

الله يعلم انى كنت مشتغلا * في دار حسان اصطاد اليعاسيا
وقال لأبيه وهو صبي ورجع اليه وهو يبكى ويقول اسمني طائر قال فصفه لي يا بنى قال
كأنه ثوب خبيرة فل حسان قال ابني الشعر ورب الكعبة وكان الذى اسمه زنبور
وقال سهل بن هارون وهو يختلف الى الكتاب لجار لهم

٢ نبت يفاك مبطونا فقات له * فبل تمائل أو يأتيه عواد

وقال طرفة وهو صغير

يلاك من قبرة بعمير * خلالك الجو فبيضى واصفري

وقال بعض الشعراء

إذا ما مات ميت من تميم * فسرك ان يعيش نجى بزادى

بخبيرا أو باجم أو بسمن * أو الشئ المانف فى البجادى

تراه يطوف بالآفاق حرصا * لياكل رأس اتمان بن عاد

وقال الاصمعي الشئ المانف فى البجاد لوطب وقال العربى

لا بكرت تاحى قتيلة بعدما * بد فى سواد الرأس أبيض واضح

لتدرك بالامساك والمنع نروة * من المال أفنتها السنون الجوائح

فقات لها لا تمذاني فنت * بذكر الندى تبكى على النوائح

وقال بشار أبياتا تجوز فى المذاكرة وفى باب لحزم وفى باب المشورة وناس

يجعلونها غيره وهى قوله

إذا بلغ لرائى المشورة فاستمن * برأى نصيح أو نصيحة حازم

ولأخسب الشورى عليك غضاضة * مكان الخوافى راية للتوادم

وادن من القربي المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى امرء غير كاتم
وماخير كف أمسك الغنأختها * وماخير نصل لم يؤيد بقاءم
فانك لا تستطرد لهم بالمنى * ولا تباع العليا بغير المكارم

وقال بعض الانصار

وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشيخ له شفاء
وبعض القول ليس له عماد * كخض الماء ليس له اناء

وقال تأبط شرا ان كان قالها

شامس في القر حتى اذا ما * ذكرت الشعرى فبرد وظل
وله طعمان ارى وشرنى * وكلا الطعمين قد ذق كل
مسبل في الحى أحوى رفل * واذا يغدو فسمع ازل
ووراء الثار منه ابن أخت * مصع عقده ما تحل *
مطرق يرشح سما كما * أطرق أغمي ينث الدم صل
* خبر ما نابنا مصمئل * جل حتى دق فيه الأجل
كل ماض قد تردى بماض * كسنا البرق اذا ما يسل
فأسقنيها ياسواد بن عمرو * ان جسمي بعد خالي نخل

وقال سلامة بن جندل

سأجزيك بالود الذي كان بيننا * أصمصع انى سوف أجزيك صمصما
سأهدى بثلاث اليك هدية * توافيك لو حات بيوتك املعا
مان يك محموداً أبوك فإننا * وجدناك محمود الخلائق أروعا
فان شئت أهدينا اليك ثماننا * وان شئت أهدينا اليك مائة معاً

فقال صمصمة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد الثناء وأحمد والمدح أحب

لينا وكان أحمد بن جندل أسيراً في يده نخل سبيله من غير فداء وقال أوس بن حجر

في هذا الشكل من الشعر وهو يقع في باب الشكر وأحمد

لعمر ك ما مات ثواء نوبها * حليلة اذا في مراسي ومتمعد

واسكن نائمت باليدن ضلالتى * وحمل بنفاج فالقنافذ عودى
 وقد عبرت شهرى ربيع كايها * بحمل البلايا والخباء الممدى
 ولم تلها تلك التكاليف لها * ككشأت من أكرومة وتخوذى
 سنجزك أو يجزك عنا ثوب * وحسبك أن يثني عليك وتحمدا

وقال أبو يعقوب الأعمور

فلم أجزء إلا المودة جاهداً * وحسبك مني أن أودوا أحدا
 وأشياء تضاف إلى الأيجاز وحذف النضول قال بعضهم ووصف كلاباً في حال شدها
 وعدوها وفي سرعة رفع قوائها ووضمها فقال * كأنما ترفع ما لم يوضع *
 ووصف آخر ناقة بالنشاط والقوة فقال * إلا أنها صناع * وقال الآخر
 * الليل أخفى والنهار أفضح * ووصف الآخر فرساً فقال * في كنهه معطية منوع *
 وقال الآخر

ومهمه فيه السراب يسبح * يداب فيه القوم حتى يطاحوا
 * كأنما باتوا بحيث أصبحوا *

ومثل هذا البيت الآخر

وكأنما بدر وصيل كثيفة * وكأنما من عافل أرمام
 ومنه قول الآخر

تجاوزت حمرن في ليلة * وقات وساس من الحرمل
 ومن البيت لأول قوله * عادني لهم فعتاج * كل هم إلى فرج * وهذا الشعر
 لجعيفرن الموسوس وقال الآخر

لم أفض من صحبة زيد أربي * فني ذنبتهم لم يفضب
 يفض باسمون لم يعجب * ولا يفضن بالمتاع المحقب
 موكل النفس بحفظ الغيب * أقصى رفيقيه له كالأقرب
 وقال دكين وقد تعملت ذميل العنس * بالسوط في ديمومة كالترس
 * إذ عرج الليل بروج الشمس *

وقال دكين أيضاً

بموطن يذيط فيه المحتسى * بالمشرفيات لطاف الأنفس

وقال الراجز

طال عليهم تكاليف السرى * والنص في حين المجير والضحي

حتى عجاهن فما تحت العجى * رواعف يخضبن مبيض الحصى

وفي هذه الارجوزة يقول

* وضحك البرق بهائم بكى *

ومن الایجاز المحذوف قول الراجز ووصف سهمه حين رمى غيراً كيف صرعه وهو

يقول * حتى نجما من جوفه وما نجما * ومما يجوز في باب الاتعاظ قول المرأة وهي

تطوف بالبيت

أنت وهبت الفتية السلاح * وهجمة يحار فيها الطالب

وغنما مثل الجراد السارب * متاع أيام وكل ذاهب

وقال الفرار وكان سيد عنزة في الجاهلية

أهلكت مهري في الرهان لجابة * ومن اللجاجة ما يضر وينفع

وقال الاخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

وقال حارثة بن بدر

طربت بغانور وما كدت أطرب * سفهاها وقد جربت فيمن يجرب

وجربت ما ذا العيش إلا تعلقة * وما الدهر الا منجنون يقاب

وما اليوم إلا مثل أمس الذي مضى * ومثل غد الجائئ وكل سيذهب

وقال حارثة بن بدر الفزاري أيضاً

اذا الهم أمسى وهو داء فالقه * ولست بمضيه وأنت تعادله

فلا تنزلن أمر الشديدة بأمرئ * اذا رام أمراً عوقته عواذله

وقل للفتواد ان نزا بك نزوة * من الروع افرخ أكثر الروع باطله

وقال الحارث بن يزيد وهو جد الاحيمر السعدي وهو يقع في باب الغزو وتمدحهم
بعد المغزى

للا ائق ولا احو * ب ولا اغير على مضر
ابكنا نغزوى اذا * ضج المصطي من الدبر

وقال ابن مخنف المازني

انك درى يوم صحراء كابة * اصببت فما ذاكم على بعار
الم نك من اسلابكم قبل ذاكم * على وقابوس ويوم سنفار
ونحن ناردنا الحى بكر بن وائل * الى سنة مثل الشهاب ونار
وموم وطاعون وحى وحصبة * وذى ابدغشى المهجيج ضارى
وحكى عدو لا هو ادة عنده * ومنزل ذل في الحياة وعار

وقال آخر

خذوا العفل ان اعطاكم التوم عنفلكم * وكونوا كمن سيم الهوان فأتبعوا
ولا تكثروا فيها الضباب فاه * مخا السيف ما قال ابن ذرارة أجمعا

وقال أبو ليلى

كان مطاها كردوس فخل * منلصة على سافى ظليم

وقال أبو سلمي

لا بد للسود من ارماح * ومن سفيه دثم النباح

* ومن عديد يتنى بالراح *

وقال لهذلي وان سيادة لا قوم فاعلم * لما سمعاه مطاها طويل

وقال الحارث بن بدر وان شدة سفيان بن عيينه

خلت لديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء نفردى باسود

وقال أبو نخيلة

وان يقوم سودوك اناقة * الى سيدلو يظفرون بسيد

وقال إبليس بن قبادة فى الاحنف بن قيس

وان من السادات من لو اطعته * دعاك الى نار يفور سميرها

وقال آخر

فأصبحت بعد الحلم في الحى ظالماً * تخمط فيهم والمسود يظلم

وقال حمصيصة بن حذيفة

أيظلمهم قسراً فتباً لسعيه * وكل مطاع لا أبالك يظلم

وكان أنس بن مدركة يقول

عزمت على إقامة ذي صباح * لأمر ما يسود من يسود

وقال آخر

إني رأيت أبا العوراء مرتفقاً * بشط دجلة يشري التمر والسمكا

كشدة الخيل تبقي عند مذودها * والموت أعلم اذ قفي بمن تركا

هذه مساعيك في آثار سادتنا * ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

وقال شتيم بن خويلد

* وقت لسيدنا يا حليد * هم انك لم تأس أسوا رفيقا

أعنت عليا على شأوها * تعادي فريقاً وتبقي فريقاً

زجرت بها ليلة كلها * جئت بها مريداً حنفة قيقا

وقال آخر

أيت ابن قشراء العجان فلم أجد * لدى بابه إذناً يسر ولا نزلا

وإن الذي ولاك أمر جماعة * لأنقص من يمشي على قدم عملا

وقال آخر

ورثنا المجد عن آباء صدق * أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا المجد الرفيع تماورته * بناء السوء أو شك أن يضيعا

وقال الآخر

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه * أنا السيد المفضي اليه المعمم

ولم يعطهم خير أبوأن يسودهم * وهان عليهم رغبه وهو أظلم

وقال الآخر

تركت لبحر درهميه ولم يكن * ليـدفع عني خاني درهما بحري
فقلت لبحر خذهما واصطارفهما * وأنفقهما في غير حمد ولا أجر
أتمتع سؤال المشيرة بمد ما * تسميت بحراً واكثيت أبا الفمر

وقال الهدلى

وكنت اذا ما لدعرا حدث نكبة * أقول شوى مالم يصبين صميمي

وقال آخر في غير هذا الباب

سقى الله أرضاً يعلم الضب أنها * بعيد من الادواء طيبة البقل
بنايته في رأس نشز وكديّة * وكل امرئ في حرفة العيش ذوعقل
وحدثني المكي قال نظر أبو الحارث الى بردون يستقى عليه ماء فقال المرء حيث يضع
نفسه هذا لو قد هملج لم يتل بما ترى وقال عبد العزيز بن زرارة السكلابي
وما لبث اللبيب بغير حفظ * بأغني في المعيشة من قتيل
رأيت الحظ يستر كل عيب * وهيهات الحظوظ من العقول

وقال الآخر

ذهب الذين أحبهم سلفاً * وبقيت كالمتهور في خالق
من كل مطوى على حنق * متضجع يكفي ولا يكفي

وقال آخر

ومولى كعبد العين أما لقائه * فيرضى وأما غيبه فظنون

ويقال للمراثي ولمن اذا رأى صاحبه تحرك له وأراد الخدمة والسرعة في طاعته فاذا
غاب عنه وعن عينه خالف ذلك إنما هو عبد عين وقال الله عز وجل (ومن أهل
الكتاب من أن تأمنه بقرنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك
إلا ما دمت عليه قائماً) وقد ذكرنا أبياتاً تضاف الى الإيجاز وقلة الفضول ولي كتاب
جمعت فيه آيا من القرآن لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف وبين الزوائد والفضول
والاستعارات فاذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ

القليلة فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) وهاتان
الكلماتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل
الجنة فقال (لا مقطوعة ولا ممنوعة) جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني وقال
اعرابي من بني أسد

يقولون ثمر ما استطعت وانما * لوارثه ما ثمر المال كاسبه
فكاهه واطعمه وخالسه وارثا * شحيجا ودهرا تعتريك نوابه

وقال رجل من بني عبس

أبلغ فؤادي لقد حركتموا رجلا * لا يعرف النصف بل قد جاوز النصفنا
كان امرأ ناثراً والحق يغابه * بجانب السهل سهل الحق واعتسفا
وذاكم أن ذل الجار حالفكم * وان انفكم لا يعرف الأثفا
ان المحكم ما لم يرتقب حسبا * أو يهرب السيف أو حد القناجنفا
من لا ذ بالسيف لاقى قرضه عجبا * موتا على عجل أو عاش منتصفا
بمعوا الحياة بها إذ نام طالبها * إماروانا وإما مية أنفا *
ليس امرؤ خالداً والموت يطلبه * هاتيك أجساد عاد أصبحت جيفا
أبلغ لديك أبا كعب مغفلة * ان الذي بيننا قد مات أو دنفا
كانت أمور نجابت عن حلومكم * ثوب العزيمة حتى انجاب وانكشنا
إني لأعلم ظهر الضغن أعدله * عنى واعلم أين آكل الكتنا

وقال أسقف نجران

منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا نمتى
وطلوعها بيضاء صافية * وغروبها صفراء كالورس
اليوم اعلم ما يجيء به * ومضى بفصل فضائه أمس

وقال آخر

وكل ذى غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب
من يسأل الناس يجرموه * وسائل الله لا يخيب

أفح بما شئت فقد يبلغ * بالضعف وقد يخدع الأريب
 المرء ما عاش في تكذيب * طول الحياة له تهذيب

وقال آخر

إذا الرجال ولدت أولادها * واضطربت من كبر أعضادها
 وجمت أوصابها تمتادها * فهي زروع قد دنى حصادها
 وقالت بنت عيسى بن جعفر وكانت مملكتها محمد المخلوع حين قتل
 أبكيك لا للنعيم والأنس * بل للمعالي والرحم والفرس
 أبكي على فارس جمت به * أرملي قبل ليلة العرس

وقال سلم الخاسر

تبدت فقات الشمس عند طلوعها * بجيد نبي اللون من أثر الورس
 فلما كررت الطرف قات لصاحبي * على مرية ماها هنا مطلع الشمس

وقال الآخر

كفي حزناً بدفك ثم أتى * نفضت تراب قبرك عن يديا
 وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

باب من المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم المقيلي

يزين سنا الماذي كل عشية * على غنلات الزين والمتجمل
 وجوه لو أن المدلجين اعتشوا بها * صدعن الدجي حتى ترى الليل يخجلي

وقال الشمردل

إذا جرى المسك يندي في مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم
 يشبهون ملوكاً من تجلتهم * وطول أنفسية الأعناق واللحم

وقال القتال الكلابي

يألتني والمنا ليست بنافعة * لملك أو الحصن أو اسيار
 طوال أنضية الاعناق لم يجدوا * ربح الاماء اذا راحت بازفار
 لم يرضعوا الدهر الاثدي واضحة * لو اضح الوجه يحمى باحة الدار

وقال آخر

اذا كان عقل قائم ان عقانا * الى الشاء لم تحلل علينا الاباعر
 وان امرء بمدى يبادل ودكم * بود بني ذبيان مولى لخاسر
 أوئك قوم لايهان هديهم * اذا صرحت كحل وهبت أعامر
 مداليف بالخيل العتاق اذا عدوا * بايديهم خطية وبواتر

وقال أبو الطمجان التميمي في المعنى الذي ذكرنا

كم فيهم من سيد وابن سيد * وفي بمقد الجارحين يفارقه
 يكاد الغمام الغرير عدان رأي * وجوه بني لأم ويزل بارقه

وقال لقيط بن زرارة

واني من القوم الذين عرفتم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
 نجوم سماء كلما غار كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
 أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه

وقال بعض التميميين يمدح عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة

بحق إمرئ مرو عتبية خاله * وأنت لقعقاع وعمك حاجب

وقال طفيل الغنوى

وكان هريم من سنان خليفة * وعمره ومن أسماء لما تغيبوا
 نجوم ظلام كلما غاب كوكب * بداساطع في حندس الليل كوكب

وقال الخزيمي يمدح بني خزيم من آل سنان بن أبي حارثة

بقية أقوام من العزلو خبت * لظلت معد في الدجى تتكسع

اذا قر منهم تغور أو خبا * بدامر في جانب الليل يلعب

وقال بعض غنى وهو يمدح جماعة أخوة أنشدنيها أبو قطن الذي يقال له شهيد الكرم

- خبر نساءى بني عمرو فانهم * أولو فضول وانفال واطهار
ان يسألو الخير يعطوه وان جهدوا * فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
وان توددتهم لانوا وان شهروا * كسفت اذمار حرب غير انغار
من تلق منهم تغل لا قيت سيدهم * مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وقال رجل من بني هاشم

انى لمن معشر أفتى أولئهم * قيل الكفاة الا أين المحامونا

لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم إياه يعنونا

وايس يذهب منا سيد أبداً * الا اقلينا غلاما سيدا فينا

وفي المعنى الاول يقول النابغة الذبياني

وذلك لان الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منها كوكب

وفي غير ذلك من المدح يقول الشاعر

وأنت حيا في الحروب محليهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم

وإذا قام بالدعوى حامل الذكر والنسب فلا يحسده من أكتفائه أحد وأما مذكور

بين النقيبة وبالظفر التابع فذلك أجود ما يكون وأقرب الى تمام الامر وقال الفرزدق

تذكر حبي ودبكر بن وائل * وما كان ودى عنهم يتصرم

قوارص تأبني ويحتقرونها * وقد يملا القطر الاناء فينعم

وقال الفرزدق

وقالت أراه واحداً لا أخاله * يؤمله في الوارثين الاباءد^(١)

املك يوماً ان تراني كأنما^(٢) * بني حوالى الاسود الحوارد

فان تميما قبل ان يلد الحصا * أقام زماناً وهو في الناس واحد

وقال الفرزدق أيضاً

فان كان سيف خان أو قدراتي * لميقات يوم حتمه غير شاهد

(١) وروي يؤمله يوماً ولا هو والد (٢) وروي فقلت عني أن تبصرني كما

فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا يدي ورقاء عن رأس خالد
 كذلك سيوف الهند تبو ظلماتها * ويقطعن أحياناً مناط القلائد
 وإن أحببت أن تروى من قصار القصائد شعراً لم يسمع بمثله فالتمس ذلك في قصار
 قصائد الفرزدق فانك لم تر شاعراً قط يجمع التجويد في القصار والطوال غيره وقد
 قيل للكهيمت الناس يزعمون أنك لا تقدر على القصار قال من قال الطوال فهو على القصار
 أفدر هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأي والظن ولم نجد ذلك عند التحصيل على ما قال
 وقيل لعقيل بن علفة لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق وقيل
 لجرير إلى كم تهجوا الناس قال اني لا أبتدى ولكني أعتدى وقيل له لم لا تقصر قال
 الجماع يمنع الاذى قال عبيد بن الابرص

نبئت أن بني جديلة أو عبوا * من سلمى لنا وتنبكبو
 وأبو الفراخ على خشاش هشيمة * متنبك إبظ الشمال ينعب
 ظعنوا بمران الوشيح فما ترى * خاف الاسنة غير عرق يشخب
 وتبدلوا اليعسوب بعد الههم * صنما ففروا يا جديلا وأوعبوا

وقال آخر

ألم تر حسان بن ميسرة الذي * يجوع إلى جيرانه كيف يصنع
 متى ريب ما تنفك منه عصابة * إليه سراً يحصدون ويزرع
 وقال آخر مثل قوله * يريد أن يعربه فيعجمه * وقال آخر * كان من يحفظها يضيعها *

وقال آخر * أهوج لا ينفعه التثيف * وقال بعض المحدثين

إذا حاولوا أن يشمبوها رأيتها * مع الشعب لا تزداد الا تداعيا

وقال صالح بن عبد القدوس

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه

إذا أرعوى عاد إلى جهله * كذى الضنا عاد إلى نكسه

ومثل هذا قوله

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن الغناء رياضة الحرم

وقال الحسن بن عرفطة

ليهنيك بغض في الصديق وخطه * وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه
وانك مشنوء الى كل صاحب * قلاك ومثل الشريكرد جانبه
وانك مهدهاء الخنا نطف الثنا * شديد السباب رافع الصوت غالبه
فلم أرمثل الجبل يدعو الى الرخا * ولا مثل بغض الناس غمض صاحبه
وقال الاصمعي قال الزبرقان بن بدر خصلتان كبيرتان في أمرى السوء شدة السباب
وكثره اللطام وقال ابن نضلة

لمعري لرهط المرء خير بقية * عليه ولو عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذانداً * كثيراً ولا ينيبك مثل الجرب
اذا كنت في قوم عدى است منهم * فكل ما علمت من خبيث وطيب
فان تلبس بي خيل دودان لأرم * وان كنت ذا ذنب وان غير مذنب
قل ولما تأذى الأضبط بن قريع في بني سحيم تحون عنهم الى آخرين فأذوه فقال بكل
واد بنو سعد وقال سحيم بن وثيل

الايس زين الرجل قطع وتمرق * وليكن زين الرجل يامى راكبه
وقال اعرابي

فأوجد ملواح من الهيم خليت * عن الماء حتى جوفها يتصلصل
تحوم وتفشاهما العصي وحولها * أقاطيع انعام تعمل وتسهل
بأكثر مني غلة وتقطعا * الى الورد الا اني أنجمل
وقال خالد بن علقمة بن الصهبان في عيب أخذ العتل والرضى بشيء دون الدم فقال
وان الذي أصبحتم تحلبونه * دم غير ان اللون ايس بأحمر
فلا توعدوا أولاد حيان بعدما * رضيتم وحوامم بسالة مشفرا
وأحكم فرداً يقصم الذيل جالباً * اذا عب منها في النقية بربرا
اذا سكبوا في العقب من ذى إناهم * رأوا لونه في العقب ورداً وأشقرا

❦ باب آخر ❦

* في مثل ذلك من الغضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً *

قال الاشهب بن رملية في ذلك

هذه المقادة من لا يستقيد لها * وأعضو صب السير وار تد المساكين
من كل أشعث قدماء عمامة * كانه من ضرار الضيم مجنون
وقال في شبيه ذلك أبو الغول الطهوي

فدت نفسى وما ملكت يميني * معاشر صدقت فيهم ظنوني
معاشر لا يملون المنايا * اذا دارت رحى الحرب الطحون^(١)
ولا يجزون من خير بشر^(٢) * ولا يجزون من غاظ باين
ولا تبلى بسالتهم وان هم * صلوا بالحرب حيناً بعد حين
هم أحوا^(٣) حمى الوقبا بضرب * يؤلف بين أشتات المنون
فنكب عنهم درء الاعادى * وداووا بالجنون من الجنون

وقال ابن الطرية

حمراء تامكة السنم كأنها * جعل يهودج أهله مظعون
جادت بها يوم الوداع يمينه * كالتا يدي عمرو الغداة يمين
ما إن يجود بمثلها في مثلها * الا كريم الخيم أو مجنون

وفي هذا المعنى يقول حسان أو ابنه عبد الرحمن بن حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاس * ود مالم يماص كان جنونا
ان يكن غث من رقاش حديث * فبما نأكل الحديث سمينا

وفي شبيهه بذلك قول الشنفرى

فدقت وجات واسبكرت وأكمت * فلو جن انسان من الحسن جنت

وقال القطامي حين وصف افراط ناقته في المرح والنشاط

(١) وروي الزبون (٢) وروي ولا يجزون من حسن بسوء (٣) وروي منعو

يتبعن نامية العيين تحسبها * مجنونة أو ترى مالا ترى الابل
وقال ابن احرر في معنى التشبيه والاشتقاق

بهجل من فساد فر الخزامى * تهادى الجرياء به الحنينا

تفتأ فوقه القلع السوارى * وجن اخازباز به جنونا

وفي مثل ذلك يقول الأعشي

واذا الغيث صوبه وضع القمد * ح وجن التلاع والآفاق

لم يزد هم سفاهة نشوة الخ * ر ولا اللهم وفيهم والسباق

وقال آخر في باب المزاح والبطالة مما أنشده أبو الاصبع بن ربي

أتوني بمجنون يسيل لعابه * وما صاحي الا الصحيح المسلم

وأنشد ابراهيم بن هاني وعبد الرحمن بن منصور

جنونك مجنون واست بواجد * طبيباً يداوى من جنون جنون

وكان ابراهيم لا يقيم شعرا ولا أدري كيف أقام هذا البيت وكان يدعى بحضرة أبي اسحاق

علم الحساب والكلام والهندسة والاحون وانه يقول الشعر فقال أبو اسحاق نحن لم نمتحنك

في هذه الامور فإناك أن تدعيها عندنا كيف صرت تدعي قول الشعر وأنت اذا رويته لغيرك

كسرتنه قال فإني هكذا طبعت أن أقيمه اذا قلت وأكسره اذا أنشدت قال أبو اسحاق

ما بمد هذا الكلام كلام وفات لاعرابي أيما أشد غلظة المرأة أو الرجل فأنشد

فوالله ما أدري وإني لسائل * الأير أدنى للفجور أو الحر

وقد جاء هذا مرخيا من عنانه * وأقبل هذا فاتحا فاه يهبر

وأنشد بعضهم

أصبح الشيب في المنفارق شاعا * واكتسي الرأس من بياض قناعا

ثم ولي الشباب الا قليلا * ثم يأتني التمايل الانزاعا

وأنشد محمد بن يسر

قامت تخاصرني لقبها * خودتا طرنا عم بكر

كل يرى ان الشباب له * في كل مبلغ لذة عذر

وقال الآخر في خلاف ذلك انشدني محمد بن هاشم السيدري

فلا تعذراني في الإساءة انه * أشمر الرجال من ربي فيعذر

وقال ابن قنبر

فليت فلوصى عريت اذ رحلتها * الى حرمي دارمي بن جعفر

الى معشر لا يخلصون نعالهم * ولا يلبسون السبت مالم يخصر

وقال العارم بن حكيم وهو أبو نقير

لقد زادني حبا لنفسي اني * بغيض الى كل امرئ غير طائل

اذا مارآني قطع الطرف بينه * وبني فعل العارف المتجاهل

ملأت عليه الارض حتى كأنها * من الضيق في عينه كفته حائل

وقال آخر

اذا أبصرتني أعرضت عني * كأن الشمس من قبلي تدور

وقال الخزيمي وذكر عمه

أصغى إلى قائدي ليخبرني * اذا التقينا عن يميني

أريد أن أعدل السلام وان * أفضل بين الشريف ولدون

أسمع مالا أرى فأكردان * أخطى والسمع غير مأمون

لله عيني التي جفت بها * دهرها تولى فما تواتيني

لو كنت خيرت ما أخذت بها * تعمير نوح في ملك قارون

وقال بعض القدماء

ألم تر حوشباً أضحى يتي * قصورا نفعها ابني نفياله

يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ايله

وقال أبو يعقوب الخزيمي

إن ياخذ الله من عيني نورها * ففي لساني وقلي منهما نور

قلي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف ماثور

وقال بعض الاعراب يذكر الخصب والجدب

مطرنا فلما أن روينا تهادرت * شتاشق فيها رائب وحليب
ورابت رجالا من رجال ظلامه * وعدت ذحول بينهم وذنوب
وانصت ركاب للصبي فتراجعت * لمن بما هاج الحليب خبيب
وظن فناء الحلى حتى كأنه * رحي منهل من كرهن نجيب
بني ممنا لا تعجلوا ينضب الثرى * قليلا ويشقى المترفين طيب
فلو قد تولى النبت وابتزت القوى * وحنث ركاب الحلى حين ثوب
وصار عنوق الجود وهي كريمة * على أهاهاذ وجدتين عشوب^(١)
أولئك أيام تبين ما الفتى * أكاب سكيت أم أثم نجيب

وقال ولما ولي حارثة بن بدر سرف كتب إليه أنس بن أبي إياس

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جرذاً فيهم آخون وتسرق
وباد تيمماً بالفنى إن للفنى * لسانا به المرؤ الهيوبه ينطق
فان جميع الناس إماما مكذب * يقول بما هوى وإماما مصدق
يقولون أقوالا ولا يعرفونها * ولو قيل هاتوا حقة ولم يحققوا

وقال بعض الاعراب

فلما رأينا القوم ساروا بجمهم * رعيننا الحديث وهو فينا مضيع
وأدر كنا من عنز قيس حفيظة * ولا خير فيمن لا يضر وينفع

ويقال ان رجلا قال لبعض السلاطين الدنيا بما فيها حديث فان استطعت ان تكون
من أحسنها حديثاً فافعل وقال حذيفة بن بدر اصاحبه يوم جفر الحياة حين أعطاهم
بلسانه ما أعطاك والكلام السائر وأنشد الاصمعي

كل يوم كأنه يوم أضحى * عند عبد العزيز أ ويوم فطر

وقال وذكر لي بعض البغداديين أنه سمع مدينا مر بباب الفضل بن يحيى وعلى بابه
جماعة من الشمراء فقال

ما لقينا من جود فضل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء
 ول الاصمعي قال لي خلف الاحمر الفارسي اذا تطرفت ساكت والنبطي اذا تطرف اكثر
 الكلام وقال الاصمعي لاعمري كيف فلان فيكم قال مرزوق احمق قال هذا الرجل الكامل
 وقال اعمري لرجل كيف فلان فيكم قال غني حظي قال هذا من اهل الجنة (الاصمعي)
 ما اخبرني جوسق قال كان يقال بالبدو اذا ظهر البياض قل السواد واذا ظهر السواد قل
 الازرق قال الاصمعي يعني بالسواد التمر وبالبياض اللبن والاقط يقول اذا كانت السنة
 طيبة كثير الاقط واللبن وقل التمر واذا كانت السنة مجدية كثير التمر وقل اللبن وقال اذا
 كان العام خصبا ظهر البياض يعني الاقط واذا كان جديبا ظهر السواد يعني التمر وتقول
 الابس اذا زخرت الأودية بالماء كثير السممن واذا اشتدت الرياح كثير الحب وحدثني
 محمد بن سلام عن شعيب بن حجر قال جاء رجل على فرس فوقف بماء من مياه العرب فقال
 اذ لكم الريح التي تكب البعير قالوا لا قال فتدري المارس قالوا لا قال فكما تكون يكون
 ما بكم وحدثني العتيبي قال هجمت على بطن بين جبلين فلم أر واديا أخصب منه واذا
 ربل يتوكأون على مساحيهم واذا وجوه مهجنة واللوان فاسدة فقلت واديكم أخصب
 و وأنتم لا تشبهون المخاصب قال فقال شيخ منهم ليس لنا ربح وقال النمر بن توب
 كان حمدة أو عزت لها شهبها * في العين يوما تلاقينا بأرمام
 ميثاء جاد عليها وأبل هطل * فأمرعت لاحتيال بمد أعوام
 إذا يحف ثراها بلها ديم * من كوكب بزل بالماء سجام
 لم يرعها أحد وارتبها زمنا * فأور من الارض محفوقا باعلام
 تسمع للطير في حافنها زجلا * كان أصواتها أصوات حوام
 كأن ربح خزامها وحنوتها * بالليل ريح يلتجوج وأهضام
 قال فلم يدع معني من أجله يخضب الوادي ويتم نبته إلا ذكره وصدق النمر
 والاسدي في ذكر الخصب ورطوبة الاشعاب ولدونة الاغصان وكثرة الماء
 وكان أرجلنا بجو محصب * بلوى عنيزة من مقيل الترمس
 في حيث خالطت الخزامي عمرخا * يأتيك قابس أهلها لم يقبس

ذهب الى أنه قد بلغ من الرطوبة في أغصانه وعيدانه أنها إذا حاك بعضها ببعض لم
 يقدح وفي شبيهه بذلك يقول الآخر وذهب إلى كثرة الألوان والازهار والانوار
 كأنها من زبل وشاره * والحلى حلي التبر والحجارة
 * مدفع ميثاء الى قراره *
 وقال بشار وحديث كأنه قطع الروض وفيه الحمراء والصفراء

بَابُ مِنَ النَّظْمِ وَفَهْمِ الرُّطَانَاتِ وَالْكُنَايَاتِ وَالنَّهْمِ وَالْإِفْهَامِ *

(الاصمعي) قل كانت امرأة ممنجية من الحى وتحب العزلة وكان لها غنم فطرقها
 اللصوص فقالت لابنتها اخرجي من هاهنا حيان والحمارس وعامراً والحارث وراس
 عتر وبازق وراعيها بيها فلما سمعوا ذلك ظنوا أن عندها بنيتها وقال الاصمعي مرة
 فلما سمعت حسهم قالت اخرجي سلاح بني من هاهنا قال وسلاح جمع سلاح وحيان
 والحمارس أسماء تيوس لها قال الاصمعي تزوج رجل امرأة فساق إليها مهرها ثلاثين
 شاة وبمئ بها رسولاً وبمئ بزق خمر فعمد الرسول فذبح شاة في الطريق فأكلها
 وشرب بعض الزق فلما أتى المرأة نظرت إلى تسع وعشرين ورأت الزق ناقصاً
 فعلمت أن الرجل لا يبعث إلا بثلاثين وزقاً مملوءة فقالت للرسول قل لصاحبك إن
 سحياً قدرتم وإن رسولك جاءنا في الحاق فلما أناه الرسول برسالة قال يا عدو الله أكلت
 من الثلاثين شاة شاة وشربت من رأس لزق فاعترف (الاصمعي) قال أخبرني شيخ
 من بني المنبر قال أسر بنوا شيبان رجلاً من بني المنبر قل دعوني حتى أرسل إلى
 صاحبي يقدوني قالوا على أن لا تكلم الرسول إلا بين أيدينا قل نعم قال فقال للرسول إن
 أهلي فقل إن الشجر قد أوردق وقل إن النساء قد اشتكت وجررت القرب ثم قال له
 أتعتل قل نعم قال إن كنت أعتل فهاهنا قال الليل قال أراك أعتل انطلق إلى أهلي فقل لهم
 عروا جملي الاصمعي واركبوا ناتي الحمراء وسلوا حارثاً عن أمري وكان حارث صديقاً
 له فذهب الرسول فأخبرهم فدعوا حارثاً فقص عليه لرسول القصة فقل أما قوله إن

الشجر قد أورق فقد تسلم القوم وأما قوله إن النساء قد اشتكت وجررت القرب
 فيقول قد أخذت الشكا وجررت القرب للغزو وأما قوله هذا الليل فإنه يقول أتاكم جيش
 مثل الليل وأما قوله عروا جمالي الأصهب فيقول ارتحلوا عن الصمان وأما قوله اركبوا
 نافتى الحمراء فيقول انزلوا الدهناء وكان القوم قد تهيئوا الغزوهم يخافون أن يندرمهم وهم
 لا يشعرون فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم وكذلك صنع المطاردي في شأن جيلة وهو
 كرب بن صنوان وذلك أنه حين لم يرجع لهم قولاً حين سألوه أن يقول وري بصرتين
 في إحداهما شوك والآخرى تراب فقال قيس بن زهير هذا رجل مأخوذ عليه أن لا يتكلم
 وهو يندركم غدرا وشوكة قال الله عز وجل (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون
 لكم) قال ابن نخيلة

لما رأيت الدين دينا يؤفك * وأمست القبة لا تمسك
 يفتق من أعراضها أوهيتك * سرت من الباب قطارد كدك
 منها اللدجوجي ومنها الارماك * كالليل إلا أنها تحرك

وقال منصور النمرى

ليل من النقع لاشمس ولاقر * إلا جبينك والمدرية الشرع
 وقال آخر كأنهم ليل إذا استفزوا * أو لجة ليس لها ساحل
 وقال آخر كأنما نهاره إذا جهر * ايل وزور وعرة ذاوعر

سار سرى من قبل العير فجر

وفي هذا الباب وليس منه يقول بشار

كأنما النقع يوماً فوق أروسهم * سقف كواكبه البيض المباتير

وهذا المعنى قد غاب عليه بشار كما غاب عنتره على قوله

فترى الذباب بها يغني وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

غرداً يحك ذراعاه بذراعاه * فعل المكب على الزناد الاجذم

فلو ان امرأ القيس عرض في هذا المعنى لعنترة لا فتضح وقال بعضهم غير هذا

وفلاة كأنما اشتمل الليـ*ل على ركعها بانشاء حام

خضت فيها الى الخليفة باك * رفة بحري ظهيرة وظلام

وقال آخر

سسمياتي خلفا بخلة قدحت * ولا جديد اذ لم يلبس الخلق
يا أيها المتجلى غير شيمته * ومن خلائقه الاقتصاد والمائق
ارجع الى خيمك معروف ديدنه * ان الخلق يأتي دونه الخلق

وقال آخر

أودى خيار من معاشر كلامهم * وسأب بعدك يا كليب مجلس
وتنازعوا في كل أمر عظيمة * لو قد تكون شهادتهم لم يابسو
وأيات أبي نواس على أنه مولد شاطر شعرون شعره مهمل في ضرق الناس في مجلس
كليب وهو قوله

على خبز سماعيل وقيية نبخل * وقد حل في در الأمان من لا كل
وما خبزته لا كأوى يرى بها * وما تروى في خزون ولا السهل
وما خبزته لا كمنقاء مغرب * تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية * سوى صورة ما ن تمر ولا نخلي
وما خبزته لا كليب بن وائل * ليلى يحمى عزه منبت البقل
وإذ هو لا يستب خصمان عنده * ولا القول مرفوع نجد ولا هزل
فإن خبز سماعيل حل به ندى * صاب كليباً لم يكن ذلك عن بذل
والكن قضاء ليس يصنع دفعه * بحية ذى دعى ولا بكر ذى عقل

والفصيحة هذه حاشم. منها ولا تطب خصوصاً فيها ذممه العرب ولا عراب والبدو
والخضر من سائر العرب أشعر من شعره لا مصدر ولا قرى من المولدة والثانية ٢ وليس
ذلك بواجب له في ما هو وقد رأيت أشاعهم يهزحون شعره مولدين ويستسقون من
رواها ولم رد ذلك قط الا في رواية للشعر غير بصير بن جوعر مبروى ولو كان له بصر
اعرف موضع جليد من كان وفي أي زمان كان وأما قد سمعت أبا عمرو وقد بلغ من
استجداته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كان رجلاً حتى أحضره دواة

وقرطاسا حتى كتبهما له وأنا أزعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ولولا ان أدخل في بمض القيل لزعمت ان ابنه أشعر منه ومما قوله

لا تحسبن الموت موت البلي * وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أفضح من ذلك لذل السؤال

وذهب الشيخ الى استحسان المعنى والممانى مطروحة في الطريق يعرفها المعجمى والعربى والبدوى والتروى وانما الشأن فى اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفى صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير وقد قيل للخليل بن أحمد مالك لا تقول الشعر قال الذى يجيئني لا أرضاه والذى أرضاه لا يجيئني فانا أستحسن هذا الكلام كما استحسن جواب الاعرابى حين قيل له كيف تجدك قال أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد وقيل لابن المقفع مالك لا تجود البيت والبيتين والثلاثة قال ان جودتها عرفوا صاحبها فقال له السائل وما عليك ان تعرف بالطوال الجياد ونقول ان العرق بين المولد والاعرابى أن المولد يقول بنشاطه وجميعه باله فيشبهه اللاحقة باشعار أهل البدو واذا أمن انحلت قوته واضطرب كلامه وفي شبهه بمعنى مهمل وأبى نواس فى التعميم والاطراق عند السادة يقول الشاعر فى بمض بنى مروان

فى كفه خيزران ريحه عبق * فى كف أروع فى عمر نينه شمع
يفضى حياء ويفضى من مهابته * فما يكلم الا حين يتسم
ان قال قال بما يهوى جيمهم * وإن تكلم يوماً ساخت الكلم
كم هاتف بك من داع وهاتفه * يدعوك يا قثم الخيرات يا قثم

وقال أبو نواس فى مثل ذلك

فترى السادات مائلة * لسليل الشمس من قره
فهم شتى ظنونهم * حذر المطوى من خبره
وقال ابراهيم بن هرمة فى مدح المنصور وهو شبهه بهذا وليس منه
له لحظات فى خفا من سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل

فأم الذي أمنت آمنة الردى * وأم الذي أوعدت بالمثل ناكل
وقال مهامل وهو يقع في باب حلف وكذب بعد

دفعت عنه الرماح مجتهداً * حفظا لحافي وحفظ ذي يمني
أذكر من عهدنا وعهدهم * عهداً وثيقاً بمنجر البدن
مابل بجر كنا بصوقها * وما أناف الصخور من حصن
يزيده الليل والنهار معا * شداخر اطالجوع في الشيطان

وقال ضائب بن حيننا التغلبي

ولسنا كأقوام قريب محاهم * ولسنا كمن يرضيكم بالتملق
فسائل شريكاً نائباً ومحكماً * غداة نكر الخيل في كل خندق
لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا * لتخدم ليلى أمه بموقف
فقام ابن كلثوم إلى السيف مضرباً * فأمسك من ندمانه بالخنق
وعمه عمداً على الراس ضربة * بذى شطب صافي الحديد محقق

وقال المتلمس

على كلهم آسى وللأصل زامة * فزحرح عن الأدنين أن يتصدعوا
وقد كان اخواني كريماً جوارهم * واكن أصل العود من حيث ينزع

وقال المتلمس

ولو غير اخوالى أرادوا نقيصتى * جمات لهم فوق العرازين مديما
وما كنت إلا مثل فاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجندما
يداه أصابت هذه حتف هذه * فلم تجرد الاخرى عليها مقديما
فأطرق إطراق الشجاع ولو يري * مساعا انابيه الشجاع الصما
أحارث إنا لو تساقط دماؤنا * ترايلن حتى لا يمس دم دما

قال وسألت عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابي مرثد الخنفي والله لأننا
أشد بغضاً لك من الأرض للدم قال لأن الدم الجارى من كل شئ بين لا يفيض في
الأرض ومتى جف ففرقه رأيت مكانه أبيض الا أن صاحب المنطق قال في كتابه

في الحيوان كذلك الدماء الادم البعير وقال النمر بن تواب
 إذا كنت في سمد وأمك منهم * غريباً فلا تفررك أمك من سمد
 وقال وإن ابن أخت القوم مصنى إنأؤه * إذا لم يزاحم خاله بأب جلد
 وقال آخر

تخيرته الله الفداة لدينه * على علمه والله بالعلم أفرس
 وقال آخر

وما ترك الهاجون لي في أديمكم * مصحاً ولا كني أرى مترقماً
 وقال العجلي أو الكملي لنوح بن جرير
 ولقد رأونا والقضا متخون * يانوح إن أباك لا يوفينا
 وقال عمرو بن معد يكرب

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع
 وصله بالزمام فكل أمر * ممالك أو موت له ولوع

وقال المقنع الكندي

وصاحب السوء كالداء العمياء إذا * ما أرفض في الجوف يجرى هاهنا وهنا
 يني ويخبر عن عورات صاحبه * وما رأى عنده من صالح دفنا
 كهر سوء إذا رفعت سيرته * رام الجراح وإن خنضته حرنا
 إن يحيي ذلك فكن منه بمعزلة * أو مات ذلك فلا تعرف له جنا

باب ذكر خصال الحرم

فن خصاله أن الكلب يصيد الطي ويبريقه ويعارضه فإذا دخل الحرم كف
 عنه ومن خصاله أنه لا يسقط عليه اللحم ما دام صحيحاً ومن خصاله أنه إذا حاذى أعلى
 الكعبة عرف من الطير كالليمام وغيره انفرت فرقتين ولم يلمها طائر منها ومن خصاله
 إذا أصاب المطر الباب الذي من شق العراق كان الخصب والمطر في تلك السنة في شق
 العراق وإذا عم جوانب البيت كان المطر والخصب عاماً في سائر البلدان ومن خصال

الحرم ان حصى الجمار يرمى بها في ذلك المرمى مذ يوم حج الناس البيت على طوال الدهر ثم كانه على مقدار واحد ولولا موضع الآية والعلامة والاعجوبة التي فيها القديكان ذلك كالجبال هذا من غير أن تكسحه السيول ويأخذ منه الناس ومن سنتهم ان كل من علا الكعبة من العبيد فهو حر لا يرون الملك على من علاها ولا يجزمون بين علوها وبين الملك وبمكة رجال من الصالحاء لم يدخلوا الكعبة قط وكانوا في الجاهلية لا يبنون بيتا صريحا تعظيما للكعبة فكان أول من بني بيتا صريحا حميد بن زهير أحد بني أسد ابن عبد العزى ثم البركة والشفاء الذي يجده من شرب من ماء زمزم على وجه الدهر وكثرة من يقبم عليه يجد فيه الشفاء بعد ان لم يدع في الارض حمة الا أنما وأقام عندها وشرب منها وانتفع فيها هذا مع شأن النيل والطيور الابابيل والحجارة السجيل وانها لم تزل أمنا واقفا لا تؤدى إتابة ولا تدين للملوك ولذلك سمي البيت المتيق لانه لم يزل حراما لم يملكه أحد وقال حرب ابن أمية في ذلك

أبا مطر هلم الى صلاح * فتكفيك الندامي من قریش

فتأمن وسطهم وتعيش فيهم * أبا مطر هديت خير عيش

وتنزل بلدة عزت قديما * وتأمن ان يزورك رب جيش

وقال الله عز وجل (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وانخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وقال عز وجل حكاية عن ابراهيم (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) (والمدينة) هي طيبة واطيبها قيل تانظ خبثها وينصع طيبها وفي ريح ترابها ونسيم هوائها والنعمة التي توجد في سككها وفي حيطانها دليل على انها جمات آية حين جمات حرمها وقيل من خرج من منزل مطيب الى استنشاق الهوى والبرية في كل بلدة لا بد عند الاستنشاق والتثبت من ان يجد ما منقته فذلك على طبقات من شأن البلدان الاما كان في مدينة الرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا صباح والمطر والبحور والتضوع من الرائحة الطيبة اذا كان فيها أضعاف ما يوجد له في غيرها من البلدان وان كان الصباح أجود والمطر أنغر والبخور آمن وربت بلدة يستحيل فيها المطر

وتذهب رائحته كقصبه الاهواز وقد كان الرشيدهم بالافامة بانطاكية وكره أهلها ذلك فقال شيخ منهم وصدقه يأمر المؤمنين ليست من بلادك ولا بلاد مثلك لأن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينفع منه بكثير شيء والسلاح يصدأ فيها ولو كان من فارق الهند ومن قلع اليمن ومطرها ربما أقام شهرين ليس فيه سكون فلم يقربها ثم ذكر المدينة فقال وان الجورية السوداء لتجعل في رأسها شيئاً من بلح وشياً من نضوح مما لا قيمة له لهوانه على أهله فتجد ذلك خمر طيبة وطيب راحة لا يمد له بيت عروس من ذوى الافدار حتى ان النوي المنتع الذي يكون عند أهل العراق في غاية التمن اذا طال انقاعه يكون عندهم في غاية الطيب والله سبحانه وآعالى أعلم

باب ذكر الحمام

قال صاحب الحمام والحمام وحشى وأهلي وبيوتى وطورانى وكل طائر يعرف بالزواج وبحسن الصوت والهديل والدعاء والترجيع فهو حمام وإن خالف بعضه بمضا في الصوت واللون وفي بعض النوح والهديل والدعاء والترجيع فهو حمام وقد يختلف الدجاج على مثل ذلك ولا يخرجها من أن تكون دجاجا كالديك الهندي والخلاسي والنبطي ومثل السندي والزنجي وغير ذلك وكذلك الأبل العرب والبخت والفواج والمباري والصراصير ايات والحوش والنجب وغير ذلك من خول الأبل ولا يخرجها من أن تكون إبلا وما ذاك إلا كخالفه الجرذان والنار والتمل والذرو ومثل اختلاف في الضأن والممز وأجناس البقر الالهية والبقر الوحشية وكقراية ما بينهما وبين الجواميس وقد تختلف الحيات والعقارب بضروب الاختلاف ولا يخرجها من أن تكون عقارب وحيات وكذلك السكلاب والغربان وحسبك بتفاوت ما بين الناس كالزنج والصقالبة في الشعور والألوان وكأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومثل الكنمانين والعمالقة فقد تخالف الماعزة الضانية حتى لا يقع بينهما تسافد ولا تلاح وهي في ذلك غنم وشاء قال والقمرى حمام والفاخته حمام ولورشان حمام والسفزين حمام وكذلك اليمام واليعقوب وضروب أخرى كلها حمام ومفاخرها التي فيها ترجع الى حمام الذي

لا يعرف لا يهتد لاسم (قل) وقد زعم أقلية من أصحاب الفراسة ان الحمام يتخذ لضروب
 منها يتخذ اللانس والنساء والبيوت ومنها ما يتخذ للرجال والسباق ومن مناقب الحمام
 حبه للناس ونس الناس به وانك لما تر حوايا ناطق أعدل موصفاً ولا أقصد مرتبة من
 الحمام وأسفل الناس لا يكون دون ان يتخذها وأرفع الناس لا يكون فوق ان يتخذها
 وهي شتي يتخذها مابين الحمام الى رجل الحمام والحمام مع عموم شهوة الناس له ليس
 شيء مما يتخذونه هم أشد شفقة ولا أشد صيانة منهم بالحمام ثم تجد ذلك في الخصيان
 كما تجده في النحول وتجد في التتبان كما تجده في الشيوخ وتجد في النساء كما تجده في
 لرجل والحمام من الطير المذمومين وليس من الحيوان الذي تظهر له عورة وحجم
 قضيب كالسكاب والحمار وشبهه ذلك فيكون ذلك مما يكون يجب على لرجال ان
 لا يدخلوه دورهم (قل) مثنى بن زهير ومن العجب ان حمام ملق والسكران موق
 فأشده بن بشير بيت الخزيمي

وأعدته ذخر الكحل مائة * وسهم المذايا بالذخار موانع

ومني رأى إنسان عطشان الديك والذجاجة يشربان الماء أوراى ذبياً ركبا ياطعن الماء
 اطع ذهب عطسه من فبح حمو لداك نغبة نغبة ومن اطع السكاب وانه ليرى
 الحمام يشرب الماء وهو ريان فيشتهى ان يكون في ذلك الماء مومه والديك والسكاب
 في طاب السند كما قل أبو لاحزر الخزيمي لا يبتغي الضر ولا بالماذل *
 والحمام أكثر ممانه لدره وحباب لو لم يذكري أنه قد أودع لاني ما يكون منه
 لو لم يندم في عهد العس فمثل النصب وشقيق الخوص وأشبه ذلك من العيدان
 الغور يراق حتى يمال الخوص وأشبه ذلك وينسجده نسجا مداخل وفي الموضع
 الذي قد أخذوه صطفاً ما قد رجحون الحمامة ثم نسجدهم الملك لاخوصه حروفا غير مرتفعة
 لتخلف بيض وتمنمه من المدحرج ليكون رفدا لصاحب الحظن وسندا للبيض ثم
 يتم وزن ذلك المكن وشبهه في ذلك الغر موص وتلك لاخوصه يسخنانها ويرفانها
 وإطيانها وينقيان عنها حبابها لأول وينحدمان لها طبيعة اخرى مشتقة من طبائعهما
 ومستخرجة من رثعة بدنهما وقوهما الفاضلة من ارحامهما مع الحضانة والانارة لكن

لا تنكسر البيضة بيس الموضع وإنما ينكر طبائعا طباع المكان ويكون على مقدار
من البرد والسخانة والرخاوة والصلابة ثم إن ضربها المخاض وطرقت بيضتها فنبضات
أرحامها بدرت إلى الموضع الذي قد أعدته وتحامات إلى المكان الذي أخذته وصنمته لا
أن يفزعها رعد قاصف أو ريح عاصف فانها ربما رمت بهادون كنهها وظل عشاها وبغير
موضعها الذي اختارته والرعد ربما مرق عنده البيض وفسد كالمراة التي تسقط من النزاع
ويموت جنينها من الروع وإذا وضعت البيض في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان
الحضن ويتعاورانه حتى إذا بلغ ذلك البيض مداه وانتهت أيامه وتم ميقاته الذي وضعه
خالقه ودبره صاحبه انصدع البيض عن الفرخ نخرخ عارى الجلد صغير الجناح قليل
الحيلة منسد الحلقوم فيعينانه على خلاصه من بيضه وترويجه من ضيق هوانه وهما
يعلمان أن الفرخين لا تتسع حلوقهما وحواصلهما للغذاء فلا يكولها عند ذلك ثم لأن
ينفخا في حلوقهما الريح انتسع الحوصلة بعد التجامها وتنفثق بعد ارتفافها ويعلمان
أنه إن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله في أول غذائه أن يزق بالطعم فيزق بالاماب
المختلط بقواها وقوى الطعم وهم يسمون ذلك الاماب اللبأ ثم يعلمان أن طبع حواصلها
يضعف عن استهراء الغذاء وهضم الطعم وأن الحوصلة تحتاج إلى دبع وتقوية وتحتاج
إلى أن يكون لها بمض المتانة والصلابة فيأكلان من صروح أصول الحيطان وهي
شيء بين الملح والحض وبين التراب الخالص فيزقان النرخ حتى إذا علما أنه قد ندبع
واشدد زقاه بالحلب الذي هو أقوى وأطرى فلا يزالان يزقانه بالحلب والماء على مقدار
قوته ومبالغ طاقته وهو يطالب ذلك منهما ويبض نحوها حتى إذا علما أنه قد أطاق للقط
منعاه بعض المنع ليجتاج إلى اللقط فيتعوده حتى إذا علما أن ذاته قد تمت وإن سبابه
قد اجتمعت وانهما أن فطماه فطما مقطوعا مجذوذا قويا على اللقط وبلغ لنفسه منتهى حاجته
ضرباه إذا سألهما الكفاية ونفياه متى رجع اليهما للعادة ثم تنزع تلك الرحمة العجيبة
منهما له وينسيان ذلك العطف المتمكن عليه ويذهلان عن تلك الأثرة والسكد المضني
من الغد وعليه والرواح إليه ثم يتبديان العمل ابتداءً ثانياً على هذا النظام وعلى هذه
المقامات فسبحان من عرفهما وألهما وهنأهما وجعلهما دلالة لمن استدل ومخبراً

صادقا لمن استخبر ذلكم لله رب العالمين وما أعجب حالات العلم الذي يصير في أجواف
الحيوان وكيف تتصرف الحالات وتختلف في أجناسها الوجود فمنها ما يكون مثل
زق الحمام الفرخه وتزق في معنى التقي أو في معنى التقي وليس هما وجرة البعير والشاة
والبقرة في معنى ذلك وليس به والبعير يريد أن يعود في خضمه الأول واستقصاء
طعمه وربما كانت لجره رجيبا والرجيع أن يعود على ما نداد عليه مرة حتى ينزعه
من جوفه ويناقه عن جهته والحمام يخرج من حوصلة ومن مسكنه وقرابه وموضع
حاجته واستمره بالأثرة والبر الى حوصلة ولده ملك ذلك وطابت به نفسه ولم تتعاط
عليه نفسه ولم يتقدر من صنيعه ولم تحبث نفسه ولم يغير شهوته وامن لذاته في إخراجها
أن تكون كاذبته في ادخاله وانما اللذة في مثل هذا كالجاري كنجوما يمتري مجري
القطرة من استلذاذ مرور القطرة فهذا شأن قاب الحمام ما في جوفه واخرجه بعمد
ادخاله والتماس اخرجه على أنه رجعه ونحوه الذي لا يخرج له ولا فرج في سواه وقد
يعتري ذلك الانسان لما يعرض من الداء فلا يعرف إلا الاكل والتقي ولا يعرف النجوالا
في الحين على بعض الشدة وليس ما عرض بسبب آفة كالذي يخرج على أصل تركيب
الطبيعة والسنور والكاب على خلاف ذلك كله لانها يخرجانه بعارض يعرض لهما من
خبث النفس ومن الفساد ومن التثوير والانتقاض ثم يعود ان بعمد ذلك فيه من ساعتها
مشتهين له حريصين عليه والانسان اذا ذرعه ذلك لم يكن شيء أبغض اليه منه وربما
استتقاء وتكاف ذلك لبعض الامر وليس التكاف في هذا الباب الاله وذوات
الكروش كآبها تقمص نجبتها فاذا اجادت منعه أمادته وجره هو الثرى وأشد من
ذلك أن يكون رجيبا فينبى تجيد مضعها ومادتها الى مكانها لان ذلك لا يجوز
أفوها وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير بوجه من الوجود ثم الذي تري من
كسحه بذبه وارتفاعه بصدده ومن ضربه بجناحه ومن فرحه ومرحه بعمد قطه
والفرغ من شهوته ثم يعتره ذلك في الوقت الذي يفتر فيه الكح الناس وتلك الخصلة
يفوق بها جميع الحيوان لان الانسان الذي هو أكثر الخلق في قوة الشهوة وفي
دوامها في جميع السنة وأرغب الحيوان في التفرغ والتمتع والشكل والتقبيل أفتر

ما يكون إذا فرغ عندها ركبته الفتور ويجب فراق الزوج الى أن يعود الى نشاطه وترجع اليه قوته والحمام أنشط ما يكون وأفرح وأقوى ما يكون وأمرح مع الزهو والشكل واللاهو والجدل أبرد ما يكون الانسان وأفتره وأقطع ما يكون وأفسره هذا وفي الانسان ضروب من القوى أحدها فضل الشهوة والأخرى دوام الشهوة في جميع الدهر والأخرى قوة التصنع والتكلف وأنت اذا جمعت خصاله كلها كانت دون قوة الحمام عند فراغه من حاجته وهذه فضيلة لا ينكرها أحد ومزية لا يجدها أحد ويقال ان الناس لم يجدوا مثل نشاط الحمام في وقت فترة الانسان الا ما وجدوه في البغال فان البغال تحمل أثقالها عشية فتسير بقية يومها وسائر ليلتها وصدر نهارها من غدها حتى إذا حطوا عن جميع ما كان محملا من أصناف الدواب أحملها لم يكن لشيء منها همة ولا لمن ركبها من الناس إلا المراغة والماء والعلف وللانسان الاستلقاء ورفع الرجلين والعمز والتأوه الا البغال فاتها في وقت إعياء جميع الدواب وشدة كلالها وشغلها بانفسها مما مر عليها ليس عليها عمل الا أن تدلى أيورها وتنمط وتضرب بها بطونها وتحطها وترفعها وفي ذلك الوقت لو رأى المسكاري امرأة حسناء لما انتثر لها ولا هم بها ولو كان منعظا ثم اعتراه بمض ذلك الاعياء انسي الانماط وهذه خصاصة تخالف فيها البغال جميع الحيوان وترغم العملة انها تلتبس بذلك الراحة وتتداوى به فليس العجب إن كان ذلك حقا الا في امكان ذلك لها في ذلك الوقت وذلك لا يكون إلا عن شهوة وشبق مفرط وشبه آخر وشكل من ذلك كالذي يوجد عند الاتراك عند بلوغ المنزل بعد مسير الليل كله وبعض النهار فان الناس في ذلك الوقت ليس لهم الا ان يمددوا ويقيدوا دوابهم والتركى في ذلك الوقت اذا عين ظيبيا أو بمض الصيد ابتداء الرقص بمثل نشاطه قبل أن يسير ذلك السير وذلك وقت يهيم فيه الخارجي والخصى أنفسهما فانهما المذكوران بالصبر على ظهر الدابة وليس في الارض بهيمة تفلط ولدها عن اللبن دفعة واحدة بل تجد الظبية أو البقرة أو الاتان أو الناقة إذ ظنت ان ولدها قد أطاق الاكل منعه بمض المنع ثم لانزال تترك ذلك المنع وترتبه وتدرجه حتى اذا علمت ان به غنى عنها ان هي فطمته فطاما لارجعة فيه منعه كل المنع

والعرب تسمى هذا التدبير من البهائم التغير ولذلك قال لبيد

لمعنى قهيد تنازع شلوه * غبس كواسب ما يمن طعامها

وعلى مثل هذه السيرة والمادة يكون عمل الحمام في فراخه وخصلة أخرى محموددة في الحمام وذلك أن البغل المتولد بين الحمار والرمكة لا يبقى له نسل والزاعبي المتولد فيما بين الحمام ولورشاش يكثر نسله ويطول عمر ولده والبخت والنواج إن ضرب بعضها بعضا خرج الولد منقوص الخلق لا خير فيه والحمام كيف ما أدوته وكيف ما زاوجت بين متقها ومختلها يكون تام الخلق مأمول الخير فمن نتاج الحمام إذا كان مراكبا مشتركا كالزاعبي والورداني وعلى أن للورداني غرابة لون وظرافة وللزاعبي فضيلة في عظم البدن والفراخ وله في الحديد والقرقرة ما ليس لأبويه حتى صار ذلك سببا للزيادة في ثمنه وعلة للحرص على أخاذه والغنم على قسمين ضأن ومعز والبقر على قسمين أحدهما الجواميس إلا ما كانت من بقر الوحش إذا اختلفا لم يكن بينهما تسافد ولا تلاقح فهذه فضيلة للحمام في جملة الانسان والا لقاح واتساع الارحام لاصناف القبول وعلى أن بين سائر اجناس الحمام من الوراشين والقاري والفواخت تسافد وتلاقح ومما أشبه فيه الحمام الناس أن ساعات الحضان أكثرها على الانثى وإنما يحضن الذكر في صدر النهار حضنا يسيرا والانثى كالمراة التي تكفل الصبي فتنظمه وتمرضه وتمهده بالتمهيد والتجريك حتى إذا ذهب الحضان وانصرم وقته وصار البيض فراخا كالميل في البيت يحتاجون إلى الطعام والشراب صار أكثر ساعات الرق على الذكر كما كان أكثر ساعات الحضان على الانثى ومما أشبه فيه الحمام الناس قال مشي بن زهير وهو إمام الناس في البصرة بالحمام وكان جيد الفراسة حاذقا بالملاج عارفا بتدبير الخارجى إذا ظهرت فيه مخيلة الخير والخارجى عندهم المحبول وعالمًا بتدبير العريق المنسوب إذا ظهرت فيه علامات النسولة وسوء الهداية وقد يمكن أن يخلف ابن قريشيين ٢ وابددين من بيضة وإنما فضلنا نتاج العملية على نتاج السفلة لأن نتاج النجابة فيهم أكثر والسقوط في أولاد السفلة أعم فليس بواجب أن يكون السفلى لا يلد إلا السفلى والمالية لا يلد إلا العلية وقد يلد المجنون

العاقل والسخى البخيل والجمل القبيح وقد زعم الاصمعي أن رجلاً من العرب قال لصاحب له إذا تزوجت امرأة من العرب فانظر إلى أخوالها وأعمامها وإخوتها فإياها لا تخطيء الشبه بواحد منهم وإن كان هذا الموصى والحكيم جعل ذلك حكماً عاماً فقد أسرف في القول وإن كان ذهب إلى التخويف والزجر والترهيب كي يختار لنفسه لأن المتخير أكثر نجاته فقد أحسن وقال مثنى بن زهير لم أر شيئاً قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيت مثله في الذكر والانثى من الحمام رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها كالمرة لا تريد إلا زوجها وسيدها ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من لذكورة ورأيت امرأة لا تمنع يد لامس ورأيت الحمامة لا تزيف إلا بعد طرد شديد وكثرة طاب ورأيتها تزيف لأول ذكر يريدها ساعة يقصد إليها ورأيت من النساء كذلك ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكراً آخر لا تعدوه ورأيت مثل ذلك من النساء رأيتها تزيف لغير ذكرها وذكرها يراها ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطير أو يحضن ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور ورأيت الحمامة تقمط الحمامة ورأيت أنثى كانت لا تقمط الإناث ورأيت أخرى تقمط الإناث فقط ولا تدع أنثى تقمطها ورأيت ذكراً يقمطها ويدعها حتى تقمطه ورأيت ذكر يقمط الذكور وتقمطه ورأيت ذكراً يقمط الذكور ولا يدعها تقمطه ورأيت أنثى تزيف للذكورة ولا تدع شيئاً منها يقمطها قل ورأيت هذه الاصناف كلها في السحاقات من المذكرات والمؤنثات وفي الرجال الحلقيين واللواطين وفي الرجال من لا يريد النساء وفي النساء من لا يريد الرجال قال وامتنعت على خصلة فوالله لقد رأيت من النساء من تزني أبداً ولا تتزوج وتساحق أبداً ولا تتزوج أبداً ورأيت حمامة ذكراً يقمط مائى ولا يتزوج ورأيت حمامة تمكن كل حمام أرادها من ذكر وأنثى وتقمط الذكور والاناث ولا تتزوج ورأيتها تتزوج ولا تبيض وتبيض فيفسد بيضها كالمرة تتزوج وهي عاقر وكالمرة تند وتكون خرقاء ورهاء ويعرض لها الغاظة والعقوق للأولاد كما يعترى ذلك العقاب وأما أنا فقد رأيت الجناء للأولاد شائعاً في اللواتى حملن من الحرام ولربما ولدت من زوجها فيكون عطفها وتحننها كتحنن الغنيمات الستيرات فما هو إلا أن تزني أو تقحب

فكان الله لم يضرب بيها وبين ذلك شبكة رحم كأنها لم تلده قال مثنى ابن زهير ورأيت
ذكر آله انيان وقد باضتا منه وهو يحضن مع هذه ومع تلك ويزرق مع هذه ومع
تلك ورأيت أنثى تبيض بيضة ورأيت أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاث بيضات وزعم
أنه إنما جزم بذلك فيها ولم يظه بالذكر لأنها قد كانت قبل ذلك عند ذكر آخر وكانت
تبيض كذلك ورأيت أنا حمامة في المنزل لم يعرض لها ذكر الا اشتدت نحوه بمحبة
وتزرق وتسرع حتى تنفر أين صادته منه حتى يصد عنها كالحمارب منها وكان زوجها
جميلا في العين رائما وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين وبنات بنات وكان في العين كانه
أشب من جميع بنيه وقد بلغ من حظوته انى قن ما رأته أراد واحدة من عرض
تلك الحمام الاناث فاهتمت عليه وقد كن يمتنن من غيره فبينما أنا ذات يوم جالس
بحيث أراهن اذ رأيت تلك الانثى قد زافت لبعض بيها فقامت لخادمى ما الذى غيرها
عن ذلك الخلق الكريم فقال لى رحلت زوجها من القاطول فذهب ولهذا شهر فقامت
هذا عذر قال مثنى ابن زهير وقد رأيت الحمامة تزارج هذا الحمام ثم تحول منه الى
آخر ورأيت ذكرا يفعل مثل ذلك فى الاناث ورأيت الذكر كثير النسل قويا على
القمط ثم يصفى كما يصفى الرجل اذا أكثر من النسل والجماع ثم عدد مثنى ابوابا غير
ما حفظت مما يصاب مثله فى الناس وزعموا أن مثنى كان ينظر الى القائق والخائف فيظن
أنه يجي من الغاية وكان اذا ظهر إبتاع حمام أغلوه عليه وقالوا لم يطالبه إلا وقد رأى
فيه علامة الحجى من الغاية وكان يدس فى ذلك فقطنوا له وتحفظوا منه فربما يشتري
ذصفه وشبهه فلا يقصر عند الرجل من الغاية وكان له خصى يقال خديج يجرى مجراه
فكنا اذا نظرنا فى شأن طائر لم نخلف فراستهما قال والحمام تبيض عشرة أشهر من
السنة فاذا صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تهده باض فى جميع السنة
قالوا والدجاجة تبيض فى كل السنة خلا شهرين ومن الدجاج ما هو عظيم الجثة يبيض
بيضا كبيرا وما أقل ما يحض ومن الدجاج ما يبيض ستين بيضة وأكثر الدجاج العظيم
الجثة يبيض بيضا كبيرا قال أما الدجاج التى نسبت الى أبى ربانوس الملك فهو طويل
البدن وبيض فى كل يوم وهى صعبة الخلق وتقتل فراريجها ومن الدجاج الذى يربى

في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم ومن الدجاج ما اذا باض كثيراً مات سريعاً لذلك
الفرض قال والحطاف تبيض مرتين في السنة وتبني بيتها في أوثق مكان وأعلام فأما
الحمام والفواخت والاطارغلات والحمام البري فانها تبيض مرتين في السنة والحمام
الاهلي يبيض عشر مرات وأما القبيج والدراج فهما يبيضان بين العشب ولا سيما فيما طال
شيئاً والتوى واذا باض الطير بيضاً لم تخرج البيضة من حد التحديد والتلطيف بل يكون
الذي يبده بالخروج الجانب الاعظم وكان الظن يسرع الى أن الرأس المحدد هو الذي
يخرج أولاً وما كان من البيض مستطيلاً محدد الاطراف فهو للاناث وما كان مستديراً
عريض الاطراف فهو للذكور قال والبيضة عند خروجها لينة القشر غير قاسية ولا
يابسة ولا جامدة قال والبعض الذي يتولد من الريح والتراب اصغر والطف وهي
أطيب من الآخر ويكون بيض الريح من الدجاج والقبيج والحمام والطاوس والاوز
قال وحضن الطائر وجثومه على البيض صلاح لبدن الطائر كما يكون صلاحاً لبدن
البيض وكذلك الحضن على الفراخ والذرايح والاوز وربما هلك الطائر عن ذلك السبب
وزعم ناس أن بيض الريح انما يتكون من سفاد متقدم وذلك خطأ من وجهين أما
أحدهما فان ذلك قد عرض من فراريج لم يرين ديكاً قط والوجه الآخر أن بيض الريح
لم يكن منه فروج قط الا أن يسفد الدجاجة ديك بعد أن يمضي ايضاً خلق البيض قال
وبيض الصيف المحضون أسرع خروجاً منه في الشتاء ولذلك تحضن الدجاجة البيضة
في الصيف خمس عشرة ليلة قال وربما عرض غيم في الهواء أو رعد في وقت حضن
الطائر فيفسد البيض وعلى كل حال ففساده في الصيف أكثر والموت فيها في ذلك
الزمان أعم وأكثر ما يكون فساد البيض في الجنائب ولذلك كان ابن الجهم لا يطلب
من نسائه الولد الا والريح شمال وقال بعضهم يسمى بيض الريح البيض الجنوبي لأن
أصناف الطير تقبل الريح في أجوافها وربما افترخ بيض الريح بسفاد كان لونه يكون
متغيراً وإن سفد الانثى طائر من غير جنسها غير خلق المخلوق الذي كان من الذكر
المتقدم وهو في الديكة أعم ويقولون ان البيض يكون من أربعة أشياء فمنه ما يكون من
السفاد ومنه ما يكون من النسيم اذا وصل الى أرحامهن وفي بعض الزمان ومنه شيء

يعتري الحجل وما شاكلة في الطبيعة فان الانثى ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من جهة الذكر في بعض الزمان فتحتشي من ذلك بيضاً ولم أرهم يشكون ان النخلة المطعمة تكون بقرب النحال وتمت ريحه ففأفتح بتلك الريح وتكتفي بذلك قال وبيض أبكار الطير أصغر وكذلك أولاد النساء الا أن تسع الارحام وتفتح الجوانب ويكون هديل الحمام ضئيلاً فاذا زق مراراً ففتح الزق جملة عينه وحوصاته تخرج الصوت أغلظ وأجهر وهم لا يثقون بحيات ولد البكر من النساء كما يثقون بحيات الثاني ويرون أن طبيعة الشباب والابتداء لا يعطيان شيئاً الا أخذته تضايق مكانه من الرحم ويحبون أن تبكر بجارية وأظن أن ذلك إنما هو أشدة خوفهم على الذكر وفي الجملة لا يثقون للبكر الذكر فان كان البكر ابن بكر تشأء وابه فان كان البكر ابن بكرين فهو في الشؤم مثل قيس بن زهير والبسوس فان قيساً كان أزرق وبكر ابن بكرين ولا أحفظ شأن البسوس حفظاً أجزم عليه قال وأما الحمام فانه اذا ققط تنفث وتكبر ونفض ذنبه وضرب بجناحه وأما الاوز فانه اذا سفد أكثر من السباحة واعتراه في الماء من المرح مثل ما يعتري الحمام في الهواء قال وبيض الدجاج يتم خاقه في عشرة أيام وأكثر شيئاً وأما بيض الحمام ففي أقل من ذلك والحمامة ربما احتبس البيض في جوفها بعد الوقت لأمر تعرض لها اما لأمر عرض امشها واما لتنف وإما لعلة وجع من أوجاعها وإما صوت رعد فان الرعد اذا اشتد لم يبق طائر على الأرض وتقع إلا عدا فزعاً وإن كان يطير الارمى بنفسه الى الأرض قال عاتمة بن عبدة

رغافوقهم سقب السماء فد حض * بشكته لم يستب وسليب

كانهم صابت عليهم سحابة * صواعقها طيرهم ديب

قال ونيس التقييل إلا للحمام والانسان ولا يدع ذلك ذكر الحمام إلا بعد الهرم وكان في أكثر الظن انه أحوج ما يكون ذلك التهييج به عند الكبر والضمف وتزعم العوام أن تسافد الغربان هو تطاعمها بالمنافير وان القاحها إنما يكون من ذلك الوجه ولم أر العلماء يعرفون هذا قال وإناث الحمام اذا تسافدت أيضاً قبل بعضهن بعضاً

ويقال إنها تبيض عن ذلك ولكن لا يكون عن ذلك البيض فزاح وأنه في سبيل
 ببيض الرج قال ويستبين خاق الفراخ اذا مضت لها ثلاثة أيام بلياليها وذلك في شباب
 الدجاج وأما في المسان منها فهو أكثر وفي ذلك الوقت توجد الصغرة من الناحية
 لعدياء من البيضة عند الطرف المحد حيث يكون أول نقرها فثم يستبين في بياض البيضة
 مثل نقطة من دم وهي تختليج وتحرك والنرخ إنما يخلق من البياض ويفتدي الصغرة
 ويتم خلقه لعشرة أيام والرأس وحده يكون أكبر من سائر البدن قال ومن الدجاج
 ما يبيض بيضاً له صفرتان في بعض الأحيان خبرني بذلك شبيث من ثقة أصحابنا
 (وقال صاحب المنطق) وقد باضت فيما مضى دجاجة ثماني عشرة بيضة لكل بيضة
 محتان ثم سخفت وحضنت فخرج من كل بيضة فروجان ما خلا البيض الذي كان
 فاسداً في الأصل وقد يخرج من البيضة فروجان ويكون أحدهما أعظم جثة
 وكذلك الحمام وما أقل ما ينادر الحمام أن يكون أحد الفروجين ذكراً والآخرا أنثى قال
 وربما باضت الحمامة وأشباهاها من الفواخت ثلاث بيضات فأما الاطرغلات فالفواخت
 فانها تبيض بيضتين وربما باضت ثلاث بيضات ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين
 وربما كان واحداً فقط قال وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مرور الحول عليه كاملاً
 والحمامة في أكثر أمرها يكون أحد فرخها ذكراً والآخرا أنثى وهي تبيض أولاً
 البيضة التي فيها الذكر ثم تقيم يوماً وليلة ثم تبيض الأخرى وتحضن ما بين السبعة
 عشر يوماً إلى العشرين على قدر اختلاف طباع الزمان والذي يعرض لها من العال
 والحمامة أبر بالبيض والحمام أبر بالفراخ وجميع أجناس الطير مما يأكل اللحم فلم يظهر لنا
 أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة واحدة ما خلا الخطاف فإنه يبيض مرتين والعقاب
 يبيض ثلاث بيضات فيخرج لها فرخان واختلافوا فقال بعضهم لأنها لا تحضن الا
 بيضتين وقال آخرون قد تحضن ويخرج لها ثلاثة أفراخ ولكنها تربي واحدة استثقالا
 للتكسب على ثلاثة وقال آخرون ليس ذلك الا بما يعتمرها من الضعف عن الصيد كما
 يعتمري النفساء من الوهن والضعف وقال آخرون العقاب طائري الخلق ردى التربية
 وليس يستعان على تربية الأولاد الا بالصبر وقال آخرون لكنها شديدة النهم والشهره

واذا لم تكن أم الفراخ ذات أثر لها ضاعت وكذلك قالوا في العمق عند إضاعتها فراخها
 حتى قالوا احق من عمق كما قالوا احذر من عمق وقالوا واما الفرخ الذي يخرج
 العقاب فان المكانة وهي طائر يقال لها كاسر العظام تقبله وتربيته والعقاب يحضن ثلاثين
 يوماً وكذلك كل طائر عظيم الجنة مثل الاوز واشباه ذلك فاما الوسط فهو يحضن عشرين
 يوماً مثل الحدأة ومثل أصناف البزات كالبواشق واليائي والحدأة تبيض بيضتين وربما
 باضت ثلاث بيضات وخرج منهن ثلاثة فراخ قالوا واما العقبان السود الالوان فانها
 تربي وتحضن وجميع الطير المعتف المخاب تطرد فراخها من أعشها عند قوتها على الطيران
 وكذلك سائر الاصناف من الطير فانها تطرد الفراخ لانزفها ماعدا الغداف فانها لانزال
 لولدها قابلة وحالها متقدمة وقال قوم ان العقبان والبزاة التامة والجهاد انك والسمنان
 والزمابج والزراثة انها كلها تقبان واما الشواهين والصقور والبوازي فانها اجناس آخر
 واما الأوز فانها تحضن دون الذكورة واما الغربان فبلي الاناث الحضن والذكورة
 تأتي الإناث بالطمعة واما الحجل فان الزوج منهما يهيشان للبيض عشرين وبيضتين
 مقسومتين عليهما فيحضن أحدهما الذكر والآخر الأنثى وكذلك هما في التربية وكل
 واحد منهما يعيش خمساً وعشرين سنة ولا تلحق الأنثى البيض ولا يلحق الذكر الا بعد
 ثلاث سنين قال واما الطاوس فاول ما تبيض فانها تبيض ثلاث بيضات وتبيض أيضاً
 بيض الريح والطاوس يلقى ريشه في زمن الخريف فاذا بدأ أول ورق الشجر يسقط واذا
 بدأ الشجر يكتسى ورقاً بدأ الطاوس يكتسى ريشاً قال وما كان من الطير الثقيل الجنة
 فليس يبيضه عشاً من أجل أنه لا يجيد الطيران ويثقل عليه النهوض ولا يتخاق
 مثل الدراج والقيج وفراخ الطاوس والتدراج يخرج كدرا ريج الدجاج وكذلك فرا ريج
 البط الصيني فان هذه كلها تخرج من البيض كاسية تلتقط من ساعتها وتكفي نفسها قال
 اذا دنا الصياد من عش القبجة ولها فراخ مرت بين يديه مرأ غير معين وأطمعته في نفسها
 فيتبعها فتد الفراخ في رجوعها الى موضع عشها والفراخ ليس معها من الهداية مامع
 أمها وعلى ان التبجة سيئة الدلالة والهداية وكذلك كل طائر يعجل له الكيس
 والكسوة ويعجل له الكسب في صغره وهذا إنما اعتبرها القرابة ما بينها وبين الديك

قال فاذا أمن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها طارت وقد نحت الى حيث لا يهتدى الرجوع منه الى موضعها فاذا سقطت قريباً دعها بأصوات لها حتى يجتمعن اليها قال وإناث القبيج تبيض وهي تفر بييضها من الذكر لان الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذكر في طاب السفاد والقبيج الذكر يوصف بالقوة على السفاد كما يوصف الديك والحجل والمصنور قال فاذا شغلت عنه بالحضن طلب مواضع يبيضها حتى يفسده فإذ ذلك ترناد الاثى في مخافى اذا أحست بوقت البيض واذا قاتل بعض ذكورة القبيج بعضاً فالملوب منها مسفود والغاب سافد وهذا يعرض للديكة ولذكور الدراريح فاذا دخل بين الرمكة ديك غريب فما أكثر ما تجتمع عليه حتى تسفده وسفاد ذكورة هذه الاجناس انما يعرض لها لهذه الأسباب فاما ذكورة الحمير والخنازير والحمام فان ذكورها تلب على بعض من جهة الشهوة وكان عند يعقوب بن صباح الاشعبي هران ضخمان أحدهما يكوم الآخر متى أراد من غير إكراه ومن غير أن يكون المسفود يريد من السافد مثل ما يريد منه السافد وهذا الباب شائع في كثير من الاجناس الا أنه في هذه أوجد (ثم رجع بنا القول الى ذكر) الحمام من غير انتساب بذكر غيره زعم صاحب المنطق ان البزاة عشرة أجناس فقها ما يضرب الحمامة والحمامة جائمة ومنها ما لا يضرب الحمام الا وهو يطير ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طيرانه ولا في حال جثومه الا ان يجدد في بعض الاغصان أو على الانشاز والاشجار فعدد أجناس صيدها ثم ذكر ان صاحب الحمام لا يخفى عليه في أول ما يرى البازي في الهواء أي البزاة هو وأى نوع ضده فيخالف ذلك ولمعرفة الحمام بذلك من البازي إشكال أول ذلك ان الحمام في أول نهوضه يفصل بين الذنبر والعقاب وبين الرخمة والبازي وبين الغراب والصقر فهو يرى الكركي والطيوان ولا يستوحش منهما ويرى الزررق فيتضاءل فان رأى الشاهين فقد رأى السم الذعاف الناقع والنعجة ترى الفيل والزنديل والجاموس والبيير فلا يهزها ذلك وترى السبع وهي لم تره قبل ذلك وعضو من أعضاء تلك البهائم وهي أهول في العين وأشنع ثم ترى لأسد فتخافه وكذلك البير والنمر فان رأت الذئب اعترها منه وحده مثل ما عترها

من تلك الاجناس لو كانت مجموعة في مكان واحد وليس ذلك عن تجربة ولا لان
منظاره أشنع وأعظم وليس في ذلك عليه الا ما طبعت عليه من تمييز الحيوان عندها
فليس يستنكر ان تفصل الخيمة بين البازي والبازي كما فصات بين البازي والكركي
فان زعمت انها تصرب غراب فنتار الكركي أشنع وأفطع وأطول وأعرض فاطرف
منقار ايباغه (قال صاحب الديك) وكيف يكون للحمام من الحركة والنقطة ما تذكرون
وقد جاء في الحديث (كونوا باهاء كالحمام) وقال صاحب الديك تقول العرب أخرق من
حمارة ومما يدل على ذلك قول عبيد بن الابرص

عيوا بأمرهم كما * عيت ببيضتها الحمارة

جاءت لها عودين من * شم وأخر من شمارة

فان كان عبيد إنما عنى حمارة من حمام كما هذا الذي أنتم به تفخرون فقد أكثرتم في ذكر
تدبيرها مواضع يضا وأحكاه بالصنعة أعشتها وأفاحيضا وإن قائم إنه إنما عنى بعض
أجناس الحمام الوحشي والبري فقد أخرجتم بعض الحمام من حسن التدبير وعبيد
لم يخص حماما دون حمام (وحدث أسامة بن زيد) قال سمعت بعض أشياخنا منذ زمان
يحدث ان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أراد أن يذبح الحمام ثم قال لولا أنها
أمة من الأئمة لامرت بذبها ولكن قصوهن على أنها إنما تذبح لرغبة من يتخذهن
ويلاعبهن من الفتيان والاحداث والسطار وأصحاب المراهنة والقمار والذين يشرفون
على حرم الناس والجيران ويخدعون بفراخ الحمام أولاد الناس ويرمون بالجلالاق
وما أكثر من قد قاعينا بهشم أنفا وهم فما وهو لا يدري ما يصنع ولا يتف على
مقدار ما ركب به التوم ثم ذهبت جنائته هدرأ ويعود ذلك الدم مظلولا بلا عقل ولا
قود ولا فصا ولا أرش فكان صاحبه مجهولا وعلى شبيهه بذلك أراد عمر رضي الله عنه
أن يذبح لديكته وأمر النبي صلى الله عليه وسلم يقتل الكلاب فهو قتيما ذكرنا دليل على ان أكل
لحوم الكلاب لا يمكن من دينهم ولا أخلاقهم ولا كان في دواعي شهواتهم ولولا ذلك
لما جاء الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما بذب
الديكته والحمام وقتل الكلاب وفي تفريقهم بينها دليل على افتراق الحالات عندهم قال

حدثني أسامة بن زيد وإبراهيم بن أبي يحيى أن عثمان شكوا إليه الحمام وأنه قال من أخذ منهن شيئاً فهو له وقد علمنا أن اللنظ وإن كان قد وقع على شكاية الحمام فإن المعنى إنما هو على شكاية أصحاب الحمام لأنه ليس في الحمام معنى يدعو إلى شكايته (قال وحدثنا عثمان) قال سئل الحسن عن الحمام الذي يصطاده الناس قال لا تأكله فإنه من أموال الناس فجعله مالا ونهى عن أكله بغير إذن أهله وكل ما كان مالا فبيعه حسن واتباعه حسن فكيف يجوز لشيء هذه صفته أن يذبح إلا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن أتخذه لما لا يحل قال ورووا عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال نهى عثمان عن اللاب بالحمام وعن ربي الجلاحق فهذا يدل على ما قلنا والناس يقولون آمن من حمام مكة ومن غزلان مكة وهذا شئ على جميع الاستنساخ لا يرد ذلك أحد ممن يعرف الامثال والشواهد قال عقبه الاسدي لابن الزبير

ما زلت منذ حجج بمكة ماجدا * في حيث يامن طائر وحمام

فلتنهضن العيس تنفخ في البرا * تجتبن عرض مخارم الاعلام

أبنو المغيرة مثل آل الخويلد * يا لرجال خلفه الاحلام

وقال الذابغة في الغزلان وامنها كقول جميع الشعراء في الحمام

والمؤمن العائذات الطير تمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسعد

ولو ان الظباء ابتليت بمن يتخذها مثل الذي ابتليت به الحمام ثم ركبوا المسامين في الغزلان بمنزل ما ركبوهم به في الحمام اساروا في ذبح الغزلان كسيرتهم في ذبح الحمام وقالوا إنه ليلبغ من تعظيم الحمام حرمة البيت الحرام ان أهل مكة يشهدون عن آخرهم انهم لم يروا حماماً قط سقط على ظهر الكعبة الا من علة عرضت له فاذا كانت هذه المعرفة اكتساباً من الحمام فالحمام فوق جميع الطير وكل ذى أربع وان كان هذا

إنما كان طريق الالهام فليس ما يلهم كما لا يلهم وقال الشاعر في أمن الحمام

لقد علم القبائل ان بيتي * تفرع في الذوائب والسنام

وأنا نحن أول من تبني * بمكته البيوت من الحمام

وقال كثير أو غيره في بني سهم في أمن الحمام

امن الله من يسب عليا * وحسينا من سوقة وإمام
 أيسب المطيبون جسدوا * والكرام الاخوال والاعمام
 يأمن الطير والحمام ولا يأمن * من آل الرسول عند المقام
 رحمة الله والسلام عليهم * كلما قام القائم الإسلام

وذكر شأن بن الزبير وشأن بن المنبهي قتل

ومن يرهد الشيخ ناخيف من بني * من الناس يعلم أنه غير ظالم
 سمى النبي المصطفى وابن عمه * وفكك أغلال ونفعا غارم
 أبي فهو لا يشري مدي بفضاله * ولا يتقى في الله أومة لأثم
 ونحن بحمد الله نتلوا كتابه * حاولا هذا الخيف خيف لمخارم
 بحيث الحمام آمنات - وواكن * وتلقى المدو كالولي المسالم

(وقال صاحب الحمام) أما العرب والاعراب والشعراء فقد أطبقوا على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده وهي التي استجابت عليه الطوق الذي في عنقها وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحلية ومنحها تلك الزينة بدناء نوح عليه السلام حين رجعت إليه ومما من الكرم ما مما وفي رجاها من الطين والحماة ما برجاها فموضت من ذلك الطين خضاب لرحاين ومن حسن لدلالة والطاعة طوق العنق وفي طوقها يقول الفرزدق

فمن يك خائفا لأدات شمري * فتهد من الهجاء بنو حرام
 هم قادروا - منهم وخافوا * فلائد مثل أطواق الحمام

وقال في ذلك بكر بن الظراح

إد شات غناني بيعداد قينة * وإن شات غناني لحمام المطوق
 لباسي الحمام أو زرد مصفر * ودرع حديد أو فيس مخاق

فذكر الطوق ووصفها بالعتاة والاطراب وكذلك قال حميد بن ثور

رفود الضحى لا تعرف جبرة القمصا * ولا الجيرة الاذنين لا تجشما
 وابست من اللاهي تكون حديثها * أمام بيوت حلى أن وانما *

وماهاج هذا الشوق الاحمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما

مطوقة خطباء تصدح كلما * دنا الصيف وانجاب الربيع فانجما

ثم قال بعد ذكر الطوق

اذا شئت غنتي باجزاع بيشة * أو النخل من ثلث أو ياملما

عجبت لها انى يكون غناؤها * فصيحاً ولم تنفر بمنطقها فما

ولم أر محزوناً له مثل صوتها * ولا عريباً شاقه صوت أعجا

وقال في ذكر الطوق وأن الحمامة نواحة عبيد الله بن أبي بكر وهو شهيد يوم الطف

وهو صاحب ابن صاحب

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلاً * ولا مثلاً في غير جرم تطلق

أعانتك لأناسك ما هبت الصبا * وما ناح قرى الحمام المطوق

وقال جهم بن خلف وذكرها بالنوح والغناء والطوق ودعوة نوح وهو قوله

وقد شافني نوح قمرية * طروب العشى هتوف الضحى

من الورق نواحة باكرت * عسيب إشاء بذات الفضا

تغنت عليه بلجن لها * يهيج للصب ما قد مضى

مطوقة كسيت زينة * بدعوة نوح لها إذ دعا

أضأت فرنجاً فطافت له * وقد علقته حبال الردى

فلم أر باكية مثلاً * تبكي ودمعتها لا ترعى

فلما بدا اليأس منه بهكت * عليه وما ذا يرد البكا

وقد صاده ضرم ملجم * خفوق الجناح حثيث النجا

حديد الخبال غارى الوظيف * فضار من الورق فيه قفا

ترى الطير والوحش من خوفه * جوامز منه إذا ما اغتدي

(قال صاحب الديك) وأما قوله

مطوقة كساها الله طوقاً * ولم يخص بها طيراً سواها

كيف لم يخصص بالاطواق غير الحمام والتدارج أحق بالاطواق وأحسن أطواقها وهي في ذكورتها أعم وعلى أنه لم يصف بالطوق الحمامة التي فاخرتم بها الديك لان الحمامة ليست بمطوقة وإنما الاطواق للذكورة الوراشين ثم نواع الطير وهو انفاها ومغنياتها ولذلك قال شاعركم حيث يقول * أعاتاك لا أنسأك ما هبت الصبا * البيتين وقال الآخر

وقد شافني نوح قمرية * طروب العشى هتوف الضحي

ووصفها فقال

مطوقة كسيت زينة * بدعوة نوح لها إذ دعا

فان زعمتم ان الحمام والقمرى واليمام والنواخت والديسى والشفانين والوراشين حمام كله قلنا إنا نزعنا أن ذكورة التدارج وذكورة القبيج وذكورة الحجل ديوك كلها فان كان ذلك كذلك فالنحر بالطوق نحن أولى به (قال صاحب الحمام) العرب تسمي هذه الاجناس كلها حماما جتمعوا بالاسم العام وفرقوها بالاسم الخاص ورأينا صورها متشابهة وان كان في الاجسام ابيض الاختلاف وفي الجثث كذلك وكذلك المناقير ووجدناها تشابه من طريق الزواج ومن طريق الدعاء والغناء والنوح وكذلك هي في التقودود وصور الاعناق وقصب الريش وصفة الرؤوس ولا لرجل والسوق والبرائن والاجناس التي عدت لم ليس يجمعها اسم ولا بلدة ولا صورة ولا زواج وليس بين الديكة وبين تلك الذكورة نسب الا انها من الطير الموصوفة بكثرة السفاد وان فراخها وفراريجها تخرج من بيضها كاسية والبطن طائر مثل وقد ينبغي ان تجعلوا فرخ البطة فروجا والاشي دجاجة والذكر ديكاً ونحو نجد حمام ونجد الوراشين تتسافدون وتتلاقح مع ما ذكرنا من التشابه في تلك لوجوه وهذا كله يدل على ان اعضاءها من ابيض كالبيضت والعراب ونسج ما بينهما مكابراذين والعتاق وكلها خيل وتلك كلها ابل وليس بين التدارج والقبيج والحجل والدجاج هذه الامور التي ذكرنا وعلى اننا قد وجدنا الاطواق عامة في ذوات الاوضاع من الحمام لان فيها من الالوان ولها من الشيات وأشكال الوان الريش ما ليس افيها من الطير ولو احضجنا بالتسافد دون التلاقح لكان لتماثل مقال ولكنها

وجدنا ما يجمع الخصلتين لانا قد نجد سفهاء الناس ومن لا يتقذر من الناس ولا يحدث
ومن تشدد غلته عند احتلامه وتقل طروفته وتطول غربته كما زب من لرعاء فن
هذه الطبقة من الناس لم يرعوا ناقة ولا بقرة ولا شاة ولا اتانا ولا ركة ولا حجر
ولا كابة إلا وقد وقوا عليها واولوا ان في نفوس الناس وشهواتهم ما يدعو الى هذه
القاذورة لما وجدت هذا العمل شائعا في اهل هذه الصفة ولو جمعتهم جمعت أكثر من
أهل بغداد والبصرة ثم لم يلقح واحد منهم شيئا من هذه الاجناس وعلى أنها تتلقى
ذلك بالشهوة المفرطة وقد خبرني من اخواني من لا اتهم خبره ان مملوكا كان لبعض
أهل القطيعة اعني قطيعة الربيع وكان ذلك المملوك يكوم بغلة وانها كانت تودق وتلمظ
فانها في بعض تلك الوقعات تاخرت وهو موعب فيها تطاب لزيادة فلم يزل المملوك
يتأخر وتتأخر البغلة حتى اسندته الى زاوية من زوايا الاصلبل فاضطمته حتى برد
فدخل بعض من دخل فرآه على تلك الحال فصاح بها وخر الغلام ميتا وأخبرني
صديق لي قال بلغني عن بزدون لوزقان المتكلم انه كان يسمح للبالغ والحميز والبراذين
حتى تكومه قال فافبت يوما في ذلك الاصلبل فتناوت الحرفة فوضعت رأس عود
الحرفة على مرأته وهو أكثر من ذراع ونصف وانه خشن غليظ غير محكوك ولا مابن
فدفمته حتى باغ أقصى العود وأمتنع من لدخول ببدن الحرفة خاف انه ماراه ناظر
ولا أنثى (قال صاحب الحمام) فهذا فرق ما بيننا وبينكم وذكر ما وصف به الحمام من
الاشمار ومن حسن الغناء والاطراب والنوح والشجا قال الحسن بن هانئ

إذا ننته الغصون جلالي * فينان ما في أديمه جرب
يهب شوقي وشوقين معا * كأنما يستخفنا الطرب
تبيت في ماتم حمائه * كما ترن الفواقد الساب

وقال آخر

لقد هتفت في جنح ليل حمامة * على فنين تبكي وانى لنائم
فقلت اعتذارا إذا عندك وإنني * لنفسي مما قد سمعت للأثم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتني بالبكاء الحمام

وقال نصيب

ولو قبل مبعكها بكيت صبابة * بسمدي شذيت النفس قبل التندم
 ولكن بكت قبلي فهبج لي البكا * ببعكها ففات الفضل لا تقدم

وقال امرئ

عليك سلام نده قاطمة اقوى * على ان فبي لالتراق كلام
 قريح بتغريد الحمام اذا بكت * وان هب يوما للجنوب نسيم
 مجنون او غيره

ولو لم بهجني الرثخون لها جني * حمام ورق في الديار وفوق
 تجاوبن فاستبكين من كاذموى * نوح لا تجرى لهن دموع
 الا يا سيالات الاخايل باللوى * عايكن من بين السيل سلام
 ارى الوحش اجلا لا ليكن بالضحي * لهن الى افنا كمن بغام
 واني لمجلوب لي الشوق كلما * نرهم في افنا كن حمام

وقال عمرو بن الوليد

حال من دون ان احل به النا * يوصرف النوى وحرب عقام
 فتبدات من مساكن قومي * والقصور التي بها الاطام
 كل قصر مشيد ذى اواس * تنغني على ذراه الحمام *

وقال آخر

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فتمد هاجلي مسراك وجدا على وجد
 ان همت ورقاه في رونق الضحي * على غصن غصن الثبات من الرند
 بكيت كما يكي الوليد ولم تكن * جامدا وأبدت لذي كنت لا تبدي
 وقد زعموا ان لحب اذ نأى * ين وان النأى يشفي من الوجد
 بكل تدويننا فلم يشف ما بنا * على ان قرب لدر خير من البعد
 (وقال صاحب الحمام) للحمام مجاهيل ومروفات وخارجيات ومنه بيت ولذي
 يشتمل عليه دواوين اصحاب الحمام أكثر من كتب النسب التي تضاف الى ابن

الكلبي والشرقي بن النطاشي وابن أبي اليقظان وأبي عبيدة النحوي بل الى دغفل بن
حنظلة وابن لسان الحمرة بل الى صحار العبدى والى أبي السطاح اللخمي بل الى
المختار العدوي وصبح الطائي بل الى ميجور بن غيلان الضبي والى سطيج الديلي بل
ابن شربة الجرهمي والى زيد بن الكيس النمرى والى كل نسابة راوية وكل متفنن
علامة ووصف الهديل المازني مثنى بن زهير وحفظه لانساب الحمام فقال والله لحو
أنسب من سعيد بن المسيب وقتادة بن دعامة للناس بل هو أنسب من أبي بكر
الصديق رضى الله عنه لقد دخلت على رجل اعرف بالامهات المنجيات من سحيم
ابن حفص وأعرف بما دخلها من الهجته والاقراف من يونس بن حبيب قال ومما أشبه
فيه الحمام الناس في الصور والشمال ورقة الطباع وسرعة القبول للاتقاد انك اذا
كنت صاحب فراسة فربك رجال بعضهم كوفي وبعضهم بصرى وبعضهم مدني
وبعضهم شامي وبعضهم يمني لم يخف عليك أمورهم في الصور والشمال والقود والنغم أنه
بصرى وأنه كوفي وأنه شامي وأنه يمني وأنه مدني وكذلك الحمام ألا ترى صاحب حمام
تخفي عليه نسب جماعته وجنسها وبلادها اذا رآها وللحمام من النضية والفخران الحمام
الواحد يباع بخمسة دنانير ولا يبلغ ذلك باز ولا شاعين ولا صقر ولا عقاب ولا
طاوس ولا تدرج ولا ديك ولا بغير ولا حمار ولا بغل ولو أردنا ان نحقق الخبر بان
بردينا أو فرساً يبع بخمسة دنانير لما قدرنا عليه الا في حديث السمير وأنت اذا أردت
أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ثم دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك
بلا معاناة وفيه أن الحمام اذا جاء من الغاية يبع الفرخ لذكر من فراخه بعشرين ديناراً
أو أكثر ويبتع الأثنى بعشرة دنانير أو أكثر ويبتع البيضة بخمسة دنانير فيقوم
الزوج منهما مقام ضيعة حتى ينهض بمؤنة العيال ويقضي الدين وتبني من غلاته وأثمان رقبته
الدور والجنان وتبتاع الحوايت المغلة وهذا وهي في ذلك الوقت ملهى عجيب ومنظر أليق
ومعتبر لمن فكر ودليل لمن نظر ومن دخل الحجر فرآى قصورها المبنية لها بالسماان
وكيف افتران تلك الغلات وحفظ تلك المؤونات ومن شهد ارباب الحمام وأصحاب
الهدى وما يهتملون فيها من الكلف الغلاظ أيام الزجل في حملها على ظهور الرجال

وقبل ذلك في بطون السفن وكيف تفرد في البيوت وتجمع اذا كان الجمع أمثل وتفرق
 إذ كانت التفرقة أمثل وكيف تغفل الاناث عن ذكورها الى غيرها وكيف يخاف عليها
 الضوى اذا تقاربت أنسابها وكيف يخاف على اعراقها من دخول الخارجيات فيها
 وكيف يحتمل في صحة طارقتها وخطابها لانه لا يأمن ان يقطع الاثنى ذكر من عرض الحمام
 فيضرب في النجل بنصيب فتمتريه المجنبة والبيضة عند ذلك تنسب الى طرفها وهم لا
 يخو طون أرحام نسايتهم كما يخو طون أرحام المنجيات من إناث الحمام عند زجلها من الغاية
 ولذين يعملون الحمام كيف يختارون اصحاب العلامات وكيف يخبرون الثقة في موضع الصدق
 والامانة والبعد من الكذب والرشوة وكيف يتوخون ذا التجربة والمعرفة اللطيفة
 وكيف تسخو انفسهم بالجمالة الرفيعة وكيف يختارون لحمها من رجال الامانة والجلد
 والشفقة والبصر وحسن المعرفة لعلم ذلك عند صاحب الديك والسكاب انهما لا يجريان
 في هذه الحلبه ولا يتماطيان هذه القضية قال وللحمام حسن الاهتداء وجودة الاستدلال
 وثبات الحفظ والذكر وقوة النزاع الى اربابه والالف لوطنه وكفكاف أهتداء ونزاعا
 أن يكون طائر من بهائم الطير يجي من ركة لا بل من العليق من حوساء ومن
 الصنصاف لا بل من النقراس ومن اؤاؤة شم الدليل على انه يستدل بالمقل والمعرفة
 والذكورة والعناية انه يجي من الغايه عن التدرج والتدرب والتنزيل ولدليل على علم اربابه
 بان تلك المقدمات قد نجمت فيه وعمان في طباعه انه اذا بلغ الرقة غمز وانه قطره الى
 الدرب وما فوق للدرب من بلاد الروم بل لا يجعلون ذلك تميزاً لمكان المقدمات
 والترتبات التي قد عمات فيه وحدقته ومرنته ولو كان الحمام مما يرسل بالليل لكان
 مما يستدل بالنجوم لانا رأينا ان يازم بطن الفرات أو بطن دجلة أو بطون الاودية التي
 قد صربها وهو يرى ويبصر ويفهم انحدار الماء ويعلم بمد طول الجولان بمد الرجال
 إذا اشرف على الفرات أو دجلة أن طريقه وطريق الماء واحد وأنه ينبغي ان ينحدر معه
 وما أكثر ما يستدل باجوا أو من الطارق إذا أعتبه بطون الأودية فاذا لم يدرك أمصعد
 هو أم منحدر تعرف ذلك بالريح وبموضع قرص الشمس في السماء وإنما يحتاج الى
 ذلك كانه اذا لم يكن وقع بمد على رسم يعمل به عليه فربما كره حتى يرحل به شمالاً

وجنوبا وصبا ودبوراً الأراسخ الكثيرة وفوق الكثيرة وفي الحمام الغمر والجرب وهم لا يخاطرون بالانغمار لوجهين أحدهما أن يكون الغمر عريفاً فصاحبه يظن به فهو يريد أن يدربه ويمرنه ثم يكافه بعد الشيء الذي اتخذ له وبسببه اصطبعه وأما أن يكون الغمر مجهولاً فهو لا يبقى ويشقى نفسه وتوقع الهداية من الانغمار المجاهيل وخاصة أخرى أن المجهول إذا رجع مع الهدى المروفات فحمله معها إلى الغاية فجاء سابقاً لم يكن له كبير ثمن حتى تتلاحق به الأولاد فإن انجب فيهن صار أبداً مذكورا وصار نسبياً يرجع إليه وزاد ذلك في ثمنه فأما الجرب غير الغمر فهو الذي قد عرفوه بالورود والتخصب لانه متى لم يقدر على أن يتقضى حتى يشرب الماء من بطون أو سائر الأودية والانهار والغدران ومواقع المياه ولم يتخصب بطاب بزور البراري وجاع وعطش الشمس مواضع الناس واذا مر بالفري والعمران سقط واذا سقط أخذ بالباكس وبالفقاعة وباللقف وبالبنق وبالمنخ ورمي أيضاً بالجلعاءق وبغير ذلك من أسباب الصيد والحمام أنيس ملقى غير موقى وأعداؤه كثير وسباع الطير تطابه أشد الطلب وقد يترفع مع الشاهين وهو للشاهين أخوف فالحمام أطير منه ومن جميع سباع الطير ولكنه يذعر فيجهل باب المخلص ويمتريه ما يعترى الحمام من الأسد إذا رآه والشاة إذا رأت الذئب والفارة إذا رأت السنور والحمام أشد طيراناً من سباع الطير إلا في التقاض وانحدار فان تلك تخط انحطاط الصخور متى القيت وأمة من سباع الطير أو خنالة من بهائم الطير أو طرف على غرفة وخيط ممدود فيكها يعترها عند ذلك التقصير عند ما كانت عايه اذا طارت في غير جماعة وان ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذ كثرن من الحمام فانهن كلما التففن وضاق موضعن كان أشد لطير انهن وقد ذكر ذلك النابغة الذبياني في قوله

واحكم حكمكم فتاة الحمي اذ نظرت * الى حمام شرع وارد لئلا
يخفه جانباً نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم تكجل من الرم
قالت الا ليم هذا الحمام لنا * الى حمامتنا ونصفه فقد
فخسبوه فانفوه كما حسبت * تسعا وتسعين لم تقص ولم تزد

الكلمات مائة فيها حمامتها * وأسرت حسيبة في ذلك العدد

قال الاصمعي لما أراد مدح الخاسب وسرعة إصابته شدد الأمر وضيقه عليه ليكون
أحمد له إذا أصاب بخمله حزر طيراً والطير أخف من غيره ثم جعله حماماً والحمد أسرع
الطير وأكثرها إجهاداً في السرعة إذا أكثر عددهن وذلك أنه يشتد طيرانه عند
المسابقة والمنافسة وقال يحنه جانباً ويقبمه فاراد أن الحمام إذا كان في مضيق من
الحواء كان أسرع منه إذا إتسع عليه النضاء وصاحب الحمام قد كان يدرّب ويمرن
وينزل في الرجال والغاية يومئذ أفصر فكيف يصنع اليوم بتعريفه الطريق وتعريفه
الورود والتخصب مع بعد الغاية والبغداديون يختارون للرجال من الغاية الإناث
والبصريون يختارون الذكور فحجة البغداديين أن الذكور إذا سافر وبعد عهده بمقط
الإناث وتآفت نفسه إلى السناد ورآي أنشاد في طريقه ترك الطاب إن كان بعد في
الجولان أو ترك السير إن كان وقع على التصد ومال إلى الانثى وفي ذلك السناد كله
وقال البصري الذي ذكر أحن إلى بيته لمكان أنشاد وهو أشد متناً وأقوى بدناً وهو أحسن
اهتداءً فنحن لاندع تقديم الشيء القائم إلى معني قد يمرض وقد لا يعرض وسمعت
سرفوحة الساعبي من نحو خمسين سنة وهو يقول لعبد السلام بن أبي العمان اجعل
كعبة حمامك في صحن دارك فإن الحمام إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلاة لم يصل
إلى معلاته إلا بجمع النفس والجناحين وبالهبوض ومكابدة الصعود أشد منه وقوى
جناحه ولحمه ومتى أراد بيته فاعتاج إلى أن يتكس ويحجى منقضاً كان أقوى على
الارتفاع في الموى بعد أن يروي وقد تعامون أن الباطنين أشد من الظاهرتين وإن
النقرس لا يصيب الباطنين في رجله ليس ذلك إلا أنه يصعد إلى العلالى فوق الكساويح
درجة بعد درجة وكذلك نزوله فلو درّبتم الحمام هذا الترتيب كان أصوب ولا يعجبي
تدريب العاتق وما فوق العاتق إلا من الأماكن القريبة لأن العاتق كالنتاة العاتق
وكالصبي الغرير فهو لا يمدّه ضعف البدن وقلة المعرفة وسوء الالف ولا يعجبي أن
تتركوا الحمام حتى إذا صار في عدد المسان واكتهل وولد البطون بعد البطون
وأخذ ذلك من قوة شابهه حمامود على الرجل وعلى التمرين ثم رميتم به أقصى غاية لا

ولكن التدريب مع الشباب وانتهاء الحدة وكمل القوة من قبل ان تأخذ القوة في النقصان فهو يلقن بقوته مع الحدائه وبمرف بخروجه من حد الحدائه فابتداء به التعليم والتمرين في هذه المنزلة الوسطى وهم اذا أرادوا ان يمرنوا الفراع اخرجوها وهي جامعة حتى اذا القوا اليها الحب أسرع النزول ولا تنجح والريح عاصف فنخرج قبل المغرب وانتصاف النهار وحدافهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام فان لذكورة يعتمرها النشاط والطيران والتباعد ومجاوزة القبيلة فان طارت الذراع معها سقطت على دور الناس فرياضتها شديدة وتحتاج الى معرفة وعناية والى صبر ومطاوله لأن الذي يراد منها اذا احتيج اليه بعد هذه المقدمات كان أيضاً من العجب العجيب وحدثني بعض من أثق به ان يعقوب بن داود قل لبعض من دخل عليه وقد ذهب عنى اسمه ونسبته بعد ان كنت عرفته أما ترى كيف اخلف ظننا وأخطأ رأينا حتى عم ذلك ولم يخص أما كان فى جميع من اصطنعناه واخترناه وتفرسنا فيه الخير وأردنا به واحداً تكفيننا معرفته والاحتجاج عنه حتى صرت لا أفزع الا بهم ولا أداب الا باختيارهم قال فقال له رجل ان الحمام تختار من جهة النسب ومن جهة الخلقة ثم لا يرضى له أربابه بذلك حتى ترتبه وتنزله وتدرجه ثم تحمل الجماعة معه بعد ذلك الترتيب والتدريب الى الغاية فيذهب الشطر ويرجع الشطر أو شبهها بذلك أو قريباً من ذلك وأنت عمدت الى حمام لم تنظر فى أنسابها ولم تتأمل مخيلة موضع الخير فى خلقها ثم لم ترض حتى ضربت بها ضربة واحدة الى الغاية فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر ان لا يرجع اليك واحد منها وإنما كان العجب فى الرجوع فاما فى الضلال فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر وعلى أنه لو رجع منهم واحد أو أكثر من الواحد لكان خطأك وفراً عليك ولم ينتقصه خطأ لأنه ليس من الصواب ان يجيء طائراً من الغاية على غير تدريب

باب ومن كرم الحمام

الالف والانس والنزاع والشوق وذلك يدل على ثبات العهد وحفظ ما ينبغي ان يحفظ وصون ما ينبغي ان يسان وانه خلق صدق فى بني آدم فكيف اذا كان ذلك الخلق فى بعض

الطير وقد قالوا عمر الله البلادان بحب الاوطان قال ابن الزبير ليس الناس بشيء في تقاسمهم أرفع منهم باوطانهم وأخبر الله عز وجل عن طبائع الناس في حب الاوطان فقال (قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال (ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلو أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) وقال الشاعر
 وكنت فيهم كطور ببلدته * فبم ان جمع الاوطان والمطرا

فتجده يرسل من موضع فيجئ ثم يخرج من بيته إلى اضيق موضع وإلى زحام وفنار فيرسل من البعد من ذلك فيجئ ثم تكون الحرارة أن يغمر به الرقة إلى أوثرة فيجئ ويستترق من منزل صاحبه فيقتص ويغبر هناك حولا وأكثر من الحول حين يابت جناحه يحن إلى القه وينزع إلى وطنه وان كان الموضع الثاني أنفع له وانعم لباله فيهب فضيل ما بينهما الموضع تربته وسكنه كالانسان الذي لو أصاب في غير بلاده الريف لم يقع ذلك في قلبه وهو يعاجهم على ان يعطي عشر ما هو فيه في وطنه ثم ربما باعه صاحبه فاذا وجد مخلصا رجع إليه حتى ربما فعل ذلك مرارا وربما طار دهره وجال في البلاد وأنت الطيران والتقلب في الهواء والنظر إلى الدنيا فيبدو لصاحبه فيقتص جناحه ويأقيه في ديماس فينبت جناحه فلا يذهب عنه ولا يتغير له نعم حتى ربما جد وهو مقصوص فاما صار إليه واما بلغ عذرا ومتى قص أحد جناحيه كان أعجز له عن الطيران ومتى قصهما جميعا كان أقوى له عليه ولكنه لا يمدد لأنه اذا كان مقصوصا من شق وحيد اختلف خاتمه ولم يمدد وزنه وصار أحدهما هوائيا والآخر أرضيا فاذا قص الجناحان جميعا طار وان كان مقصوصا فتد بلغ بذلك التعديل من جناحه أكثر مما كان يبلغ اذا قص أحدهما وترك الآخر وافيافا للكلب الذي تدعون له الالف وثبات العهد لا يبلغ هذا وصاحب الديك الذي لا يفتخر للديك بشيء من الوفاء والحفاظ والالف حق أن لا يمرض في عذ الباب قال وقد يكون الانسان شديد الحضر فاذا قطعت إحدى يديه فأراد المد وكان خطوود قصير وكان عن ذلك القصد والسنن اذهب وكانت غاية عبوده أقرب وخبرني من شئت من أشدها الغيتان ان نباتة الاقطع وكانت يده قطعت من دوين المنكب وكان ذلك في شقه الأيسر فكان اذا صار إلى

القتال وضرب بسيفه فان اصاب الضريبة ثبت وان اخطأ سقط لوجهه اذ لم يكن جناحه يمسكه ويثقله حتى يعتدل بدنه وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة وقد قال الله تعالى (الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء) ان الجناحين كاليدين واذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة واذا كانت ثلاثة كان صاحب الثلاثة كالمذاق من الطير الذي أحده جناحيه مقصوص فلا يستطيع الطيران لعدم التمديل واذا كان احد جناحيه وافيًا والآخر مقصوصًا اختلف خلقه وصار بهضه يذهب الى أسفل والآخر الى فوق وقالوا انما الجناح مثل اليد ووجدنا الايدي والارجل في جميع الحيوان لا تكون الا أزواجًا فلو جعلتم لكل واحد منهم مائة جناح لم ننكر ذلك وان جماتوها انقص بواحد أو أكثر بواحد لم نجوزه قيل لهم قد رأينا من ذوات الابع ما ليس له قرن ورأينا ماله قرنان أملسان ورأينا ماله قرنان لهما شعب في مقادير القرون ورأينا بعضها جما ولاخواتها قرون ورأينا منها مالا يقال لهاجم لانها ليست لها شكل ذرات القرون ورأينا بعض الساعدة قرون نابتة في عظم الرأس أزواجًا وأفرادًا ورأينا قرونا جوفافها قرون ورأينا قرونا لا قرون فيها ورأيناها مصمتة ورأينا بعضها ينصل قرنه في كل سنة كما تساخ الحية جلدها وتنفض الأشجار ورقها وهي قرون الايائل وقد زعموا أن للحمار الهندي قرنا واحداً وقد رأينا طائرًا شديد الطيران بلا ريش كالخفاش ورأينا طائرًا لا يطير وهو وافي الجناح ورأينا طائرًا لا يمشي وهو الزرزور ونحن نؤمن بان جعفر الطيار بن أبي طالب له جناحان يطير بهما في الجنان جعلاً له عوضاً من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين في يوم مؤتة وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق فقد يستقيم وهو سهل جائز شائع مفهوم ومعقول قريب غير بعيد أن يكون اذا وضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه لا يسير الا بالازواج فاذا وضع على غير هذا الوضع وركب غير هذا التركيب صارت ثلاثة أجنحة وفوق تلك الطبيعة ولو كان الوطواط وضع في خلطه واعضائه وامتزاجه كسائر الطير لما كان بلا ريش وقد زعم البحريون ان صوره يسقط قط وإنما يكون سقوطه من لدن خروجه من بيضه أن تم قصب ريشه ثم يطير

فليس له رزق الا من بعموض الهواء وأشباه البعوض الا انه قصير العمر سريع الانحطام
وليس يستنكر أن يرح الصائر ويمجن غير عجنه الاول وقد يجوز أيضاً أن يكون
موضع الجناح الثالث بين الجناحين فيكون الثالث للثاني كالثاني للاول وتكون كل
واحدة من ريشة عاملة في التي نالها من ذلك الجسم فتستوي في القوي وفي الحمص
واعمل الجناح الذي أنكره الماحد لضيق العطن أن يكون مركز قوادمه في حاق
الصاب واعمل ذلك الجناح أن تكون لريشة الاولى منه مئنة للجناح الايمن والمئنة مئنة
للجناح الايسر وهذا مما لا يضيق عنه الوهم ولا يعجز عنه الجواب فاذا كان ذلك ممكناً
في معرفة العبد بما أغارده الرب جل وعز كان ذلك في قدرة الله أجوز وما أكثر من
يضيق صدره لقلة علمه وقد تاملوا أن كل ذي أربع فانه إذا مشى قدم إحدى يديه ولا
يجوز أن يستعمل اليد الاخرى ويقدمها بعد الاولى حتى يستعمل الرجل المخالفة لتلك
اليدان كانت اليد المتقدمة اليمنى حرك الرجل اليسرى وإذا حرك الرجل اليسرى لم يحرك
الرجل اليمنى وهي أقرب اليه واشبه بها حتى يحرك اليد اليسرى وهذا كثير في طريق
اخرى فقد يقال إن كل انسان فالتما ركبته في رجله وجميع ذوات الاربع فالتما ركبها في
أيديها وكل شيء ذي كف وبنان كالانسان والقرود والاسد والضب ولذب فكفه في
يده والطائر كفه في رجله وما رأيت أحداً ليس له يد الا وهو يعمل برجليه ما كان
بيديه وما أنف على شيء من عمل الايدي الا وأنا قد رأيت قوماً يتكاثرونه بأرجلهم
واتم رأيت واحداً منهم راهن على أن يفرغ برجليه ما في دستيحية بيده في قناني رطليات
وفقاعيات فراهنوه وأزعجني أمر فتركته عند ثقات لا أشك في خيبرهم فزعموا انه
وفي وزد قات قد عرفت قواكم وفي قواكم زاد قالوا هو انه اوصب من
رأس دستيحية حوالى افواه القناني كما يعجز عن ضبطه جميع أصحاب الكمال في الجوارح
لما أنكرنا ذلك واتد فرغ مفيها في جميع القناني فما ضيع أوقية واحدة وخبرني الخزامي
عن خليل أخيه انه متى شاء أن يدخل في بيت ايلا بلا مصباح وينرغ في قناني فلا
يصب اسناراً واحداً فعله وحكي لي الخزامي هذا الصنيع عن رجل ولد أعمى أو عمى
في صباه كان يعجبني منه أقل فلما من تعود أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما أشد

عليه أن يفعله وهو مغفوض العيين فان كان أخوه قد كان يقدر على ذلك اذا غمض عينيه فهو عندي عجب وان كان يبصر في الظامة فهو قد أشبهه في هذا الوجه السنور والنار فان هذا عندي عجب آخر وغرائب الدنيا كثيرة عند كل من كان كائنا بتعارفها وكان له في العلم أصل وكان بينه وبين التبيين نصيب وأكثر الناس لا تجدهم الا في حالتين اعراض عن التبيين وإهمال النفس واما في حالة تكذيب وانكار وتسرع الى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب والرغبة في الفوائد ثم يرى بعضهم ان له بذلك التكذيب فوائد وان ذلك باب من التوقى وجنس من استمظام الكذب وانه لم يكن كذلك الا من حاز الرغبة في الصدق أو تبين الشيء معاندة للاقرار وقهرا بالحق والذي أمر الله تعالى به ورغب فيه وحث عليه ذكر الجواز والترتيب في ذلك التثبت وأن يكون الحق في ذلك هو ضالتك والصدق هو بعيتك كائنا ما كان وقع منك بالموافقة ام وقع منك بالمكروه ومتى لم تعلم ان ثواب الحق وثمره الصدق أجدي عليك من تلك الموافقة لم تقع على أن تعطى التثبت حقه قال وهم يصفون الرماد الذي بين الاثافي بالحمامة ويجعلون الاثافي أضماراً لها للانحناء الذي في أعلى تلك الاحجار ولانها كانت معطنات عليها وحانيات على أولادها قال ذو الرمة

كأن الحمام الورق في الدار اجتم * على خرق بين الاثافي جواز له
شبه الرماد بالفراخ قبل أن تنهض والجشوم في الطير مثل الربوض في الغنم وقال الشماخ
وارث رماد كالحمامة مائل * ونؤيين في مظلومتين كداهما
وقال أبو حية

كان بها حمامات ثلاثا * مثلن ولم يطرن مع الحمام

وقال العرجي

وأمر ببط أفراس وخيم مصرع * وهاب كجثمان الحمامة هامد

وقال البعيث

وسفع ثوين العام والعام قبله * وسحق رماد كالنصيف من العصب

وقالوا في نوح الحمام قال جرير العود

واستقبلوا وديانوح الحمام به * كأنه صوت أنباط مراكيل

وقالوا في ارتفاع مواضع بيوتها وأعشاشها قال الاعشي

ألم تر أن العرض أصبح بطنه * نخيلاً وزرعاً نباتاً وفصافصا

وذى شرفات يقصر الطرف دونه * ترى للحمام الورق فيه قوامصا

وقال عمرو بن الوايد

فتبدت من مساكن قوى * والقصور التي بها الآطام

كل قصر مشيد ذى أواس * تتغني على ذراه الحمام

والحمام أيضاً ربما سكن أجراف الركايا ولا يكون ذلك الا للوحشى منها وفي البير

التي لا تورد قال الشاعر

بدلوا غير مكربة أطابت * جماما في مساكنه فطارا

يقول استقى بلمنوة من هذه البئر ولم يستق بدلوه وهذه بئر قد سكنها الحمام لانها لا

تورد وقال جهم بن ضابئ

وقد هاج شوقى ان تغنت حمامة * مطوقة ورقاء تصدح في الفجر

هتوف تبكي ساق حر وان ترى * لها دومة يوماً على خدها تجري

تغنت باحن فاستجابت لصوتها * نوائح بالاصناف في فنن الصدر

اذا فترت كرت باحن شجونها * تهيج لانسب الحزين جوى الصدر

دعتهن مطراب العشيات والضحي * بصوت يهيج المسهام على الذكر

فلم أر ذا وجد يزيد صبابة * عليها ولا ثمكلى تبكى على وكر

فاسعدنها بالنوح حتى كأنما * شربن سلافا من معتقة الخمر

تجاوبن لحنا في الغصون كأنها * نوح ميت ينتدبن على قبر

بسرة واد من بباله مونتق * كسا جانبيه الزهر وأتم بالزهر

ويقال هدر الحمام يهدر قال ويقال في الحمام الوحشى من القمارى والفواخت والديابى

وما أشبه ذلك قد هدىل يهدل هديلاً فإذا طرب قيل غمرد يغرد تغريداً والتغريد

يكون للحمام والانسان وأصله من الطير وأما أصحابنا فيقولون ان الجمل يهدر ولا يكون

باللام والحام يهدل وربما كان بالراء وبعضهم يزعم ان الهديل من أسماء الحمام المذكور قال الراعي وإسمه عبيد بن الحصين

كهداهد كسر الرماة جناحه * يدعو بقارعة الطريق هديلا

وزعم الاصمعي ان قوله هتوف تبكي ساق حر انما هو حكاية صوت وحشى الطير من هذه النواحيات وبعضهم يزعم ان ساق حر هو الذكر وذهب الى قول الطرماح في تشبيه الرماد بالحام فقال

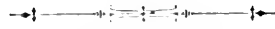
بين أظآر بمظلومة * كسرات الساق ساق الحمام

وقال آخر يصف فرساً .

ينجيه من مثل حمام الاغلال * رفع يد عجلي ورجل شمالال

* يظماً من تحت وتروي من عال *

حمام الاغلال جمع غلال وهو الماء الذي يجرى بين ظهري الشجر قال والمعنى ان الحمام اذا كان يريد الماء فهو أسرع لها وقوله شمالال أي خفيفة



— — — — — باب — — — — —

ليس في الارض جنس يعتره الاوضاح والشيات ويكون فيها المصمت والبهيم أكثر ألواناً من أصناف التخاسين ما يكون في الحمام فنهاما يكون أخضر مصمتاً وأسود مصمتاً وضروباً من ذلك كلها مصمتة الا أن الهداية للخضر والنمر فاذا ابيض الحمام فمثله من الناس الصقلابي فإن الصقلابي قطر خاص لم تفضجه الارحام في البلاد التي شمسها ضعيفة وإن أسود الحمام فانما ذلك إحتراق ومجاوزة لحد النضج ومثل به من الناس الزنج فان أرحامهم جاوزت حد الانضاج الى الاحراق وكشفت الشمس شعورهم فتقبضت والشعر إذا أدنيت من النار تجعد فان زدته تقاقل فان زدته احترق وكما ان عقول سودان الناس وحمراهم دون عقول السمر كذلك بيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية وأصل الخضرة انما هو لون الريحان والبقول ثم جعلوا بعد الحديد أخضر والسماء خضراء حتى سمو بذلك الكحل والليل قال الشماخ بن ضرار

* فنازعت جلبابا من الليل أخضرا * وقال الراجز

حتى إنتضاه الصبح من ليل خضر * مثل إنتضاه البطل السيف الذكر

* نضو هوى بال على نضو سفر *

وقال الله عز وجل (ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) قال خضروان من الرى سودا وان ويقال ان المراق نما سمى سوادا بلون السمف الذى فى النخل ومائه والاسودان الماء والتمر والابيضان الماء واللبن والماء أسود إذا كان مع التمر وبيض إذا كان مع اللبن ويقولون سود البطن وحمى الكلا ويقولون سود الاكباد يريدون المداوة كالأحقاد احرقوا الاكباد ويقال للحافر اسود البطن لان الحوافر لا يكون فى بطنها شحم ويقولون نحن بخير ما رأينا سواد فلان بين أظهرنا يريدون شخصه وقالوا بل يريدون ظله فاما خضر محارب فانما يريدون السوود وكذلك خضر غسان ولذلك قال الشاعر

ان الحضارمة الخضر الذين غدوا * أهل البريض ثمان منهم الحكيم

ومن هذا المعنى قول القرشي فى مدح نفسه

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة فى بيت العرب

وإذا قالوا فلان اخضر القفا فانما يعنون به انه قد ولدته سوداء وإذا قالوا فلان اخضر البطن فانما يريدون انه حائك لان الحائك بطنه اطول الترافة بالخشبة التى يطوس عليها الثوب يسود وكان سبب مداوة العروضي لابراهيم النظام انه كان يسميه الاخضر البطن والاسود البطن فكان يكشف بطنه للناس يريد بذلك تكذيب ابى اسحاق حتى قال له اسماعيل بن غزوان انما يريد انك من أبناء لحاكمه فعاداه لذلك فاذا قيل أخضر النواجد فانما يريدون انه من أهل القرى ممن يأكل الكراث والبصل وإذا قيل لثور خاضب فانما يريدون ان البقل قد خضب اخلافة بالخضرة وإذا قيل للظلم خاضب فانما يرون حمرة وطيفة فانها يحمران فى القيظ وإذا قيل للرجل خاضب فانما يريدون الخشاء فإذا كان خضابه بغير الخشاء قالوا صيغ ولا يقال خضب ويقولون فى شبهه بالباب الاول الاحمران الذهب والزعفران والابيضان الماء واللبن والاسودان

الماء والتمر ويقولون أهلك النساء الاحمران الذهب والزعفران وأهلك الناس الاحمر
الذهب والزعفران واللحم والخمر والجديدان الليل والنهار وهما اوانان والمصر الدهر
والمصران صلاة العصر والعشاء والمصران الغداة والعشي قال الشاعر

وأمله المصيرين حتى يمانى * ويرضى بنصف الدين والانف زانم

ويقال البايغان بالخيار وانما هو البايغ والمشتري فدخل المبتاع في البائع وقال الله عز
وجل (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك) دخلت الام في اسم الأبوة كأهم
يجمعون على ابنه الاسمين كالجريين والمسامين والزهديين والبصريين وايس ذلك
بالواجب وقد قالوا سيرة العمرين وأبو بكر فوق عمر قال الفرزدق

أخذنا بأفاق السماء عليكم * لنا قراها والنجوم الطوالع

وأما قول ذى الرمة

وليل كجلباب العروس ادرعته * بأربعة والشخص في العين واحد

فانه ليس يريد لون الجلباب ولكنه يريد سبوغه قال وكذلك قول الاعرابي حين قيل
له بأي شيء تعرف حمل شانك قال اذا استفاضت خاصرتها ودجت شعرتها فالداجي
هاهنا اللابس قال الاصمعي ومسعود الفزارس الاترونه يقول كان ذلك وثوب
لأسلام داج وأما لفظ الأصمعي فانه قال كان ذلك منذ دجا الاسلام يعني انه البس
كل شيء (ثم رجع بنا القول) الى ذكر شيات الحمام وزعموا ان الاوضح كلها ضعف
قليلها وكثيرها الا ان ذلك بالحصص على قدر الكثرة والقلة كذلك هي في جميع
الحيوان سواء مستقبلها ومستدبرها وذلك ليس بالواجب حتى لا يفادر شيئاً البتة لان
الكلبة السلوقية البيضاء أكرم وأصيدوا صبر من السواد (والبياض في الناس) على
ضروب فالعيب منه البياض المغرب والأشقر والأحمر أقل في الضعف والفساد واذ
كان مشتقاً من بياض البهق والبرص والبرش والمغرب عند العرب لاخير فيه البتة
والفقيع لاينجب وليس عنده الاحسن بياضه عند من اشتبهى ذلك وزعم ابن سلام
الجمحي انه لم يرقط بلقاء ولا ابلق سابقاً وقال الاصمعي لم يسبق الحلبة الهضم قط لانهم
يمدحون الحجر من الخليل كما قال

خيط على زفرة قم ولم * يرجع الى درقة وهضم
 ويقولون ان الفرس بعينه وباطنه (وخبرني بعض اصحابنا) انه رأى فرساً للامون باثاء
 سبقت الحلبه وهذه نادرة غريبة والحمام طائر ألوف ألوف ومحجب موصوف بالنظافة
 حتى ان ذرقه لا يعاب ولا تن له كصلاح الدجاج والديكة وقد يهالج بذرقه صاحب
 الحفاة والفلاحون يجدون فيه أكثر المنافع والخباز ياتي الشئ منه في الخمير لينتخ
 العجين ويعظم الرغيف ثم لا يستبين ذلك فيه ولذرقه غلات يعرف ذلك اصحاب الحجر
 وهو يصاح في بعض وجوه الدبغ

باب

الحمام طائر ائيم قاسى القلب وإن بر بزعمكم ولد غيره وصنع به كما يصنع
 بفرخه وذلك انهما يحضنان كل بيض ويزقان كل فرخ وما ذلك منها الا في
 الفرط فاما لؤمه في طريق الغيرة فانه يرى بعينه الذكر الذى هو أضعف منه وهو
 يطرد أنشاه ويكسح بذنبه حولها ويتطوس لها ويستميلها وهو يرى ذلك بعينه ثم لم
 يرقط ذكراً وئب ذكراً عند مثل ذلك فاذا فات انه يشتمد عليه ويمنعه اذا
 اجتمعت له وأرد ان يملوها فكل ذكر وأئي هنالك يفعل ذلك وايس ذلك من الذكر
 الغريب من طريق الغيرة ولكنه ضرب من البخل ومن النفاسة واذا لم يكن من
 ذكرها لا مثل ما يكون من جميع الحمام عم ان ذلك منه ليس من طريق الغيرة قال
 وأما ما ذكرتم من ان الحمام معطوف على فراخه مادامت محتاجة الى الرق فاذا استغنت
 نزعته منها الرحمة فليس ذلك كبقائه الحمام طائر ايس له عهد وذلك ان الذكر ربما كانت
 معه لآئي السنين ثم يتقل عنه وتوارى شهرا واحدا ثم اظهر له مع زوج أضعف منه
 فيراها طول دهره وهى الى جنب بيته وتبرآه فكانه لا يعرفها بعد معرفتها
 الدهر الطويل وتما غابت عنه الايام اليسيرة فليس يوجد ذلك اجهل الذى يعامل به
 فرخه بعد ان كبرت الا على الغباوة وسوء الذكر وإن الفرخ حين استوى ريشه
 وأشبه غيرد من الحمام جهل الفضل الذى بينهما فان كان يعرف أنشاه وهو يجدها مع

ذكر ضعيف وهو مسلم لذلك وقانع به وقيل الأكثر أن به فهو من قوم في أصل الطبيعة (قال) وباب آخر من أومه القسوة وهي الأم اللوم وذلك أن الذكور ربما كان في البيت طائر ذكر قد اشتد ضعفه فينقر رأسه والآخر مستخذله قد أمكنه من رأسه خاضعاً له شديد الاستسلام لأمره فلا هو يرحمه لضمنه وعجزه عنه ولا هو يرحمه لخضوعه ولا هو يمل وأيس له عنده وترثم ينقر يافوخه حتى ينقب عنه ثم لا يزال ينقر ذلك المكان بعد النقب حتى يخرج دماغه فيموت بين يديه فلو كان مما يأكل اللحم واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً إذ لم يعد ما طبع الله عليه سباع الطير فإذا رأينا من بعض بهائم الطير من القسوة ما لا نرى من سباع الطير لم يكن لنا إلا أن نقضى عليه من اللوم على حسب مبادئه لشكل البهيمة ويزيد في ذلك على ما في جوارح الطير مثل السبعية

﴿ باب ﴾

زعم أبو الأصبع بن ربيعي قال كان روح أبو همام صاحب المعنى عند مثنى بن زهير فينما هو يوماً وهو معه في السطح إذ جاء جماعة فصعدوا فلم يلبث أن جاء آخرون ثم لم يلبث أن جاء مثاهم فأقبل عليهم فقال أي شيء جاء بكم وما الذي جمعكم اليوم قالوا هذا اليوم الذي يرجع فيه من اجبل الحمام من الغاية قال ثم ماذا قالوا ثم نتمتع بالنظر إليها إذا أقبلت قال لكنتي أتمتع بتغميض العين إذا أقبلت وترك النظر إليها ثم نزل وجلس وحده وقال مثنى بن زهير ذات يوم ما تلهي الناس بشيء مثل الحمام ولا وجدنا شيئاً مما يتخذة الناس ويأب به ويأهي به يخرج من أبواب الهزل إلى أبواب الجند كالحمام وأبو اسحاق حاضر فغاظه ذلك وكظم على غيظه فلما رأى مثنى سكوته عن الرد عليه طمع فيه فقال يبلغ والله من كرم الحمام ووفائه وثبات عهده وحنينه إلى أهله أني ربما قصصت الطائر دهرًا بعد أن طار عندي دهرًا فمتي نبت جناحه كنباته الأول لم يدعه سوء ضمني إليه إلى الذهاب عني ولربما بعته فيقصه المبتاع حينئذ فما هو إلا أن يجد في جناحه قوة على النهوض أتاني جادفاً أو غير جادف وربما فعات ذلك به مراراً كثيراً كل ذلك

لا يزداد إلا وفاء قال أبو اسحاق ما أنت فاراك دائماً تحمده وتذم تفكك وان كان رجوعه اليك من الكرم إن اخرجك له من الاثوم وما يعجبني من الرجال من يقطع نفسه لصلاة طائر وينسى ما عليه في جنب اللبيمة ثم قال خبرني عنك حين تقول رجعت الى مرة بعد مرة وكلما زهدت فيه كان في أرغب وكلما باعدته كان لي أطاب اليك جاء واليك حين أم الى عشه الذي درج منه والى وكرد الذي رني فيه رأيت أن لو رجعت الى وكرد وبيته ثم لم يجردك والناك غائباً أو ميتاً كان يرجع الى موضعه الذي خلفه وعلى انك تعجب من هدايته وما لك فيه مقال غيره فإما شكرك على ارادته لك فقد تبين خطاؤك فيه وإنما بقي الآن حسن الاهتداء والحنين الى الوطن وقد أجمعوا على أن الرخم من تمام الطير وبغاها وايسر من عناؤها وأحرارها وهي من قواطع الطير ومن موضع مقطوعها الى مرجعها اليه من عندنا أكثرها طول من مقدار أبعادها غايةا مما هي فإن كانت وقت خروجها من أوطانها الينا خرجت تقطع الصحارى والبرارى والجزائر والغياض والبحار والجبال حتى تصير الينا في كل عام فإن قلت انها ليست تخرج الينا على سمت ولا على هداية ولا دلالة ولا على إمامة وعلامة وإنما هربت من الثلوج والبرد الشديد وعلمت انها تحتاج الى الطعم وان الثلج قد ألبس ذلك العالم فخرجت هاربة فلا تزال في هربها الى أن تصادف أرضاً خصبا ودفاً فتقيم عند أدنى ما تجرد فما تقول فيها عند رجوعها ومرفقها بانحسار الثلوج عن بلادها أليست قد اهتدت طريق الرجوع ومعلوم عند أهل تلك الاطراف وعند أصحاب التجارب وعند القاصص ان طير كل جهة اذا قطعت رجعت الى بلادها وجبالها وأوكارها والى غياضها وأعشها فتجد هذه الصفة في جميع القواطع من الطير كرامها وبنائها وبهاؤها كسباعها ثم لا يكون اهتداؤها على تمرين وتوطين ولا عن تدريب وتجرب ولم تتقن بالتعليم ولم تثبت بالندبير والتقويم فاقطع لانفسها تصير الينا ولا لنفسها تعود الى أوكارها وكذلك لا يولد من الحمام لانفسها ترجع والى الوطن الف مشترك مقبوم على جميع الطير فقد بطل جميع ما ذكرت ثم قال وأعجب من جميع قواطع الطير قواطع السمك الاشهور والجران والبزسوج فإن هذه الانواع تأتي دجلة البصرة من أقصى البحار

تستعذب الماء في ذلك الايمان كأنها تخمض بحلاوة الماء وعذوبته بمد ملوحة البحر كما تخمض الابل فتطاب الحمض وهو مالح بمد الخلطة وهو ماء حلو عذب والأسد اذا كثرت من حسو الدماء والدماء حلوة وأكل اللحم واللحم حلو طالبت الملح استمتع به وتجعله كالحمض بمد الخلطة ولولا حسن موقع الملح لم يدخله الناس في أكثر طعامهم والأسد يخرج للتملح فلا يزال يسير حتى يجد ملاحه وربما اعتاد الاسد مكاناً فيجده ممنوعاً فلا يزال يقطع الذراسخ الكثيرة وبعد ذلك فاذا تملح رجع الى موضعه وغيضته وعريته ومحاربه وعريسه وان كان الذي قطع خمسين فرسخاً ونحن بالبصرة نعرف الاشهر التي يقبل الينا فيها الاشبور وأصناف السمك وهي تقبل مرتين في كل سنة ثم نجدها في إحداهما أسمن الجنس فيقيم كل جنس منها عندنا شهرين الى ثلاثة أشهر فاذا مضى ذلك الاجل وانقضت مدة ذلك الجنس قبل الجنس الآخر فهم في جميع أقسام شهور السنة من الشتاء والربيع والصيف والخريف في نوع من السمك غير النوع الآخر الا ان البرسبوج يقبل الينا قاطعاً من بلاد الزنج يستعذب الماء من دجلة البصرة يعرف ذلك جميع الزنج والبحريين وهم يزعمون ان الذي بين البصرة والزنج أبعد مما بين الصين وبينهما وانما غاط ناس فزعموا ان الصين أبعد لان بحر الزنج حفرة واحدة عميقة واسعة وأواجهها عظام ولذلك البحر ريح تهب من عمان الى جهة الزنج شهرين وريح تهب من بلاد الزنج تريد جهة عمان شهرين على مقدار واحد فيما بين الشدة واللين الا أنها الى الشدة أقرب فلما كان البحر عميقاً والريح قوية والامواج عظيمة وكان الشراع لا يحط وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع النفوس ولا يعرفون الجيب والميل صارت الأيام التي تسير فيها السفن الى الزنج أقل قال والبرسبوج - ك يقطع أمواج الماء ويسبح الى البصرة من الزنج ثم يعود ما فضل عن صيد الناس الى بلاد دودو وبحره وذلك أبعد مما بين البصرة الى العين المرار الكثيرة وهم يصيدون من البحر فيما بين البصرة الى الزنج ولا نرى من البرسبوج شيئاً في إبان مجيئها الينا ورجوعها عنا والا فالبحر منها فارغ خال فعامه الطير أعجب من حمامك وعامه السمك أعجب من الطير والطير ذوجنا حين يحلق في الهواء فله سرعة لدرك وبلوغ الغاية والطيران وله إدراك العالم بما فيه بعلامات ومارات

إذا هو حلق في الهواء وعلى فوق كل شيء والسمة تسبح في غمر البحر والماء ولا تسبح في أعلاه ونسيم الهواء والذي يمش به الطير لو دام على السمك ساعة من نهار لقتله وقال ابن أبي العنبر بن أبي نخيلة الراجز وذكر السمك

تممه الذشزة والنسيم * فلا يزال مغرقا يعوم

في البحر والبحر له حميم * وأمه الولدة الرءوم

* تلهمه جهلا وما يريم *

يقول الذشزة والنسيم الذي يحبي جميع الحيوانات اذا طال عليه الحوم واللاخن والعفن والرطوبات الغليظة فذلك يغم السمك ويكره وأمه التي ولدته تأكله لان السمك يأكل بمضه بعضا وهو في ذلك لا يريم هذا الموضع وقال رؤبة

والحوت لا يكفيه شيء يلهمه * يصبح عطشان وفي الماء فمه

يصف طباعه واتصاله بالماء وأنه شديد الحاجة اليه وإن كان غرقا أبدا

(وأنشدني) محمد بن يسمير لبعض المدنيين يهجو رجلا وهو قوله

لورآى فى السقف فرجا * لزنا حتى يموتا

أو رآه وسط بحر * صار فيه الدهر حوتا

قال يقول في الفوص في البحر وفي طول اللبث فيه وقال الذكواني وهو يصف الضفدع

يدخل فى الاشدق ماء ينصفه * كما ينق والنقيق يتلفه

قال يقول الضفدع لا يصوت ولا يتهيا له ذلك حتى يكون فى فيه ماء واذا أراد ذلك

أدخل فكه الاسفل فى الماء وترك الاعلى حتى يبلغ الماء نصفه والمثل الذى يتمثل به

الناس فلان لا يستطيع أن يجيب خصومه لان فاه ملآن ماء وقال شاعرهم

وما نسيت مكان الامريك بذا * يا من هويت ولكن فى فى ماء

وانما جعلوا ذلك مثله حين وجدوا الانسان اذا كان فى فمه ماء على الحقيقة لم يستطيع

السلام فهو تأويل قول الذكواني * يدخل فى الاشدق ماء ينصفه * بفتح الياء وضم

الصاد فانه ذهب الى قول الشاعر

وكنت اذا جارى دعا لمضوفة * اشمر حتى ينصف الساق مئزرى
وكقول الآخر (فان الظن ينصف أو يزيد) وهذا ليس من الانصاف لذى
هو العدل وانما هو من بلوغ نصف الساق واما قوله * كما ينق والنقيق يتلفه * فإنه ذهب
الى قول الشاعر

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر
وقل معني سمعناه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه فى كتب الاطباء
والمتكلمين الا ونحن قد وجدنا قريباً منه فى أشعار العرب والاعراب وفى معرفة
أهل لغتنا وملتنا ولولا أن يطول الكتاب لذكرت لك الجميع وعلى أنى فذكرت تفسير
أشعار كثيرة مع شواهد كثيرة مما لا يعرفه الا الرواة للتحرز من خوف التطويل (وقال)
اقلهون صاحب الفراسة اجعل حمام النساء المسرولات اعظام الحسان ذوات الاختيال
والتبختر والهدير واجعل حمام الفراخ من غير ذوات الانساب الثريفة والاعراق
الكريمة فإن الفراخ انما تكثر عن حسن التعهد ونظافة التراميص والبروج واتخذ لها بيتاً
محموراً على خلقة الصومعة مخفوفاً من أوله الى مقدار ثلثي حيطانه بالتماريد واتكن واسعة
وليكن بينها أحجاز وأجود ذلك أن تكون تماريدها مخفورة والحائط على ذلك المثال وتعمد
البرج بالسكنس والريش وليكن مخرجين من كوى فى أعلى الصومعة وليكن مقتصدا
فى السعة والضيق بقدر ما يدخل منه ويخرج الواحد وان استطعت ان يكون البيت بقرب
مزرعة فافعل فان أعجزك المنسوب منها فالتمس ذلك بالفراصة التى لا تخطىء ولما يخطىء
المنفرس وقال ليس كل الهدي ٢ تقوى على الرجعة من حيث ارسلت لان منها ما تفضل
قوته على هدايته ومنها البطيىء وان كان قويا ومنها السريع وان كان ضعيفا على قدر
التحقيق والاعتزام ولا بد لجميعها من الصرامة ومن التعليم أولاً والتوطين آخراً وقال
جميع الفراسة لا تخرج من أربعة أوجه اولها التقطيع والثانى الحجه والثالث الشمائل
والرابعة الحركة فالتقطيع انتصاب العنق والخلقة واستدارة الرأس من غير عظم
ولا صغر مع عظم القرطمتين واتساع المنخرين وانهرات الشدقين وهذان من أعلام
السكرم فى الخليل للاسترواح وغير ذلك ثم حسن خلقة العينين وقصر المنقار فى غير رقة

ثم إسماع الصدر وامتلاء الجؤجؤ وطول المنق واشراف المنكبين وطول القوادم في غير
إفراط ولحوق بعض الخوافي ببعض وصلابة القصب في غير انتفاخ ولا يبس واجتماع
الخلق في غير الجمودة والكراسة وعظم الفخذين وقصر الساقين والوظينين وقصر
الذنب وخفته من غير تفنين وتفوق ثم توفد الخلدتين وصفاء اللون فهذه اعلام القراءة
في التقطيع واما اعلام المحسة فوثاقة الخلق وشدة اللحم ومثانة المصّب وصلابة القصب
واين الريش في غير دقة وصلابة المنقار في غير دقة وأما اعلام الشمائل فقلة الاختيال
وصفاء البطن وثبات النظر وشدة الخدر وحسن الثقب وقلة الرعدة عند النزع وخفة
الهبوض اذا صار وترك المبادرة اذا تمظ واما اعلام الحركة فالطيران في علو ومد العنق
في سمو وقلة الاضطراب في جو السماء وضم الجناحين في جو السماء وتدافع الركض
في غير اختلاط وحسن التصد في غير دوران وشدة المد في الطيران فاذا أصبته جامعاً
لهذه الخصال فهو الطائر السكامل والا فبقدر ما فيه من المحاسن تكون هدايته وفراسته
قال فاعلموا ان الحمام من الطير الرقيق الذي تسرع اليه الآفة وتعمود الادواء وطبيعته
الحرارة واليبس وأكثر أدوائه الخنان والكباد والعطاس والسل والتمل فهو يحتاج الى
المكان البارد والنظيف والى الجيوب الباردة كالمسدس والماش والشعير المنخول والترطم
له بمنزلة اللحم الانسان لما فيه من قوة الدم فما يعالج به الكباد الزعفران والطيرزد وماء
الهندبا يجعل في سكرجة ثم يؤجر ذلك أو عجم في حاقه مجا وهو على الريق ومما يعالج
به الخنان ان يلين اسنانه يوماً أو يومين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح بذلك بها حتى
تتساخ الجلد العلياء التي عشت على اسنانه ثم يطلى بعسل ودهن الورد حتى يبرأ ومما
يعالج به السن ان يطعم الماش المقشور ويحج في حاقه من اللبن الحليب ويقطع من
وظيفه عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلبى المفصل ومما يعالج به القمل ان يطلى أصول
ريشه بالزيق لحدان بدهن البنفسج يفعل به ذلك مرات حتى يسقط قمله ويكنس مكانه
الذي يكون فيه كنساً نظيفاً وقال اعلم ان الحمام والطير كلها لا يصاح التعمير به من البعد
وهدايته على قدر التعاليم وعلى قدر التوطنين وأولى ذلك ان يخرج على ظهر سطح يملو
عابه ويغصب عليه علم يعرفه ويكون طيرانه لا يجاوز محله وأن يكون عاقبه بالفداة والعشي

يلقى له فوق ذلك السطح قريباً من عامه المنصوب له حتى يألف المكان ويتعود الرجوع إليه ولكن ينظر من أي شيء يتخذ العلم فانه لا ينبغي أن يكون اسود ولا يكون شيئاً تراه من البعد اسود وكل ما كان أعظم كان أدل ولا ينبغي أن يطيره وزوجته معاً ولكن ينتف أحدهما ويطير الآخر ويخرجان الى السطح جميعاً ثم يطير الوافي الجناح فانه ينازع الى زوجته وإذا عرف المكان ودارد ورجع وألف ذلك الموضع ونبت ريش الآخر صنع به كذلك وأجود من ذلك أن يخرجوا الى السطح وهما مقصوصان حتى يألفا ذلك الموضع ثم يطير أحدهما قبل صاحبه ويصنع بالثاني كما صنع بالاول وما أشبه قوله هذا بقول ما سر جويه فانه وصف في كتابه طباع جميع الالبان وشربها للدواء فلما فرغ من الصفة قال وقد وصفت لك حال الالبان في أنفسها ولكن انظر الى من يسميك اللبن فانك أبداً تحتاج الى تنظيف ثوبك وتحتاج الى من يعرف مقدار علتك من جنس اللبن وجنس اللبن من جنس علتك ومثل ذلك قول نجار كان عندي دعوته اتعليق باب ثمين كريم فقلت له ان إحكام تعليق الباب شديد ولا يحسنه من مائة نجار نجار واحد وقد يذكر بالحذق في نجارة السيوف والقباب وهو لا يكمل تعليق باب على تمام الاحكام والقباب عند العامة أصعب ولهذا أمثال فمن ذلك ان الغلام والجمارية يشويان الجدى والحمل وهما يحكمان الشيء وهما لا يحكمان شيء جنب ومن لا علم له يظن ان شيء البعض أهون من شيء الجميع فقال لي قد أحسنت حين أعلمتني انك تبصر العمل فإن معرفتي بمعرفتك تمنعني من التشقيق فعلمته فاحكم تعليقه ثم لم يكن عندي حلقة لوجه الباب إذا أردت إصفاقه فقلت له أكره ان أجلسك الى أن يذهب الغلام الى السوق ويرجع ولكن اثقب لي موضعاً فلما ثقبه وأخذ حقه ولأني ظهره للانصراف والتفت الى فقال قد جودت الثقب ولكن النظراى نجار يدق فيه الرزة فانه ان أخطأ بضربة واحدة شق الباب فعلمت انه يفهم صناعته فحما تاماً وبمض الناس إذا أراد أن يعلم زوجاً قصهما ولم ينتفهما وبين التفت والقص بون بعيد والقص لا يرجع بالتفت والتفت لا يوهن المنكبين فاذا تفت الطائر مراراً ثم يقو على الغاية ولم يزل واهن المنكبين ومتى أخطأ عليه فنتفه وقد جنت أصوله وقربت من

الطرح كان أهون عليه وكما كان النبات أطراً كان أضمر عليه وأنه يبلغ من مضرتة
أن الذكر لا يجيد الاقحاح والانسى لا يجيد التبول وربما نمت الانسى وقد احتشت بيضاً
وقد قاربت أن تبض فتبطنى بعد وقتها لا يام وربما أضمر ذلك بالبيض قال وإذا بلغ
الثانى يبلغ الاول في استواء الريش والاهتداء الى العلم طير جميعاً ومنعاً من الاستقرار
إلا أن يظن بهما الاعياء والكلال ويوطن لهما المزا جل برا وبحراً من حيث يبصران
إذا هما ارتقعا في السمات ونفس العلم واقاصي ما كانا يريا منها عند التباعد في الدوران
والجولان فإذا رجعا من ذلك المكان مررت رجما من ابعد منه وقد كانوا مررة بعجمهم
ان يزلجوا من جميع التوطنات ما لم تبعد مرتين فلا يزال كذلك حتى يابغا الغاية ويكون
أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ليتذكره فيرجع اليه وان خيف عليه ان يكون قد
مل زوجته عرضت عليه زوجة أخرى فإذا تسنها مرة حيل بينه وبينها يومه ذلك
ثم عرضها عليه قبل أن يحمى فإذا طاف بها نحيب عنه ثم حمل الى الزجل فان
ذلك أسرع له وقال اعلموا أن أشد المزا جل ما قلت أعلامه كالصحرارى والبحارى قال
والطير تختلف في الطباع اختلافاً شديداً فمنها القوى ومنها الضعيف ومنها البطيئ ومنها
السريع ومنها لدهون ومنها الكور ومنها القليل الصبر على العطش ومنها الصبور
وذلك لا يخفى فيهن عند التعميم والتوطنين في سرعة الاجابة والابطاء فلا يمدون غاية
الضعيف ولدهول والقليل الصبر على العطش ولا ترجان ما كان منشوئاً في بلاد الحرفى
بلاد البرد ولا ما كان منشوئاً في بلاد البرد في بلاد الحار لا ما كان بعد الاعتياد ولا يصبر
على طول الطيران في غير هوائه الا بطول الإقامة في ذلك المكان ولا تستوى حاله
وحال من لا يمدو دونه والهواء الذى يقرب من طباع هوائه قال ولا بد أن يعلم
الورود فإذا أردت به ذلك فأورده العيون والعدران والانهار ثم خل بينه وبين النظر الى
الماء حتى تكف بصره بأصابعك عن جهة الماء وتوسع المورد الا بقدر ما كان يشرب
فيه من المساقى ثم أوسع له إذا عب قليلاً بقدر ما لا يروعه ذلك النظر وليكن معطشاً
فانه أجدر أن يشرب تفعل به ذلك مراراً ثم تفصح له المنظر أولاً أولاً حتى لا ينكر
ما هو فيه فلا تزال به حتى يعتاد الشرب بغير سترة قال وأعلم ان الحمام الاهلى الذى

عاش الناس وشرب من المساقى ولقط في البيوت بخيل بالوحدة ومستوحش بالغرابة قال واعلم أن الوحشى يستأنس والاهلي يستوحش بالغرابة فال واعلم انه ينسي التأديب اذا أهمل كما يتأدب بعد الإهمال واذا أزعجت فلا تخطف به من نصف الغاية الى الغاية ولكن رتب ذلك فانه ربما إعتاد المحبى من ذلك البعد وان أرسلته من أقرب منه تحير وأراد أن يتدى أمره ابتداء وهم اليوم لا يفعلون ذلك لأنه اذا بلغ الرقة أو فوق ذلك شيئاً صار عقده وصار له ثمن وغلة فهو لا يرى ان يخاطر بشيء له قدر ولكنه ان جاء من حيث درب لانه ان ذهب لم يذهب شيء له ثمن ولا طائر له رياضة واپس له إسم ولا ذكر وان جاء شيء كبير وخطير وان جاء من الغاية فقد حوى به ملكا على هذا اليوم وقال لا ترسل المزاق حتى تستأنف الرياضة له ولا تدع ما تعده للرجال ان يحضن بيضا ولا يجثم عليه فان ذلك مما ينقصه ويقبحه ويعظم له رأسه لانه عند ذلك يسمن وتكثر رطوبته فتتدف الحرارة تلك الرطوبة الحادة العارضة الى رأسه فان ثقب البيض وزق وحضن احتجت الى تضميره وإستئناف سياسته ولكن ان بدلك أن تستفرغه فانقل بيضه الى غيره بعد ان تعلمه بعلامة تعرفه بها إذا انصدع وان أصاب الحمام أيضاً فزع وذعر عن طاب شيء من الجوارح له فايك (ن تعيده الى الزجل حتى ترضمه وتستفرغه فان ذلك الذعر لا يفارقه ولا يسكن حتى يحضن ثم تستأنف به التوطين وان أردت أن تستكثر من الفراخ فاعزل الذكور عن الاناث شهراً أو نحوه حتى يصلح بعضها على بعض ثم أجمع بينها فان بيضها سيكثر ويقل سقطه ومروقه وكذلك كل أرض أثرت وكذلك الحيات لما كان من الحيوان حائلاً قال الاعشى

من سرة الهجان صلبها العر * ض ورعي الحمى وطول الحيات

وقال الجارث بن عباد وجعل ذلك مثلاً

قربا مربط النعامه مني * اتحت حرب وائل عن حيات

(وقال اقليمون) صاحب الفراسة لصاحبه وأنا محدثك عن نفع الحمام بحديث يزيدك رغبة فيها وذلك أن ملكين طاب أحدهما ملك صاحبه وكان المطلوب أكثر مما لا وفن رجلاً وأخصب بلاداً وكانت بينهما مسافة من الارض بعيدة فلما بلغه ذلك دعا خاصته

فشاورهم في أمره وشكى اليهم خوفه على ملكه فقال له بعضهم دامت لك أيها الملك
السلامة ووقيت المكر وومان الذي نأنت له نفسك قد يحتال له بالسير من الطامع وليس
من شأن العاقل التفرير وليس بعد المناجزة بقية والمناجز لا يدري لمن تكون الغلبة
والتمك بالثمة خير من الاقدام على الفرر وقال بعضهم دام لك العز ومد لك في البقاء
ليس في الذل درك ولا في الرضا بالضميم بقية فالرأي اتخاذ الحصون وإذ كاه العيون
والاستعداد للقتل فن الموت في عز خير من الحياة في ذل وقال بعضهم وقيت وكنيت
وأعطيت فضل المزيد الرأي أن تطاب مصاهرتة والخطبة اليه فان الصهر سبب الفة
تقم به الحرمة وتبث به المودة ويحل به صاحبه نحل الاولياء ومن حل من صاحبه
هذا النحل لم يخن مما غزاه ولم يتنوع منه بشيء إمتنع منه فالتمس خلطته فانه ليس بعد
الخطاة عداوة ولا مع الشركه . باينة فقال له الملك كل قد أشار برأي والكل مدة
وأنا ناظر في فواكم وبالله العصمة وبشكره تم النعمة وأظهر الخطبة الى الملك الذي
فوقه وأرسل رسلا وأهدى هدايا وأمرهم بمصاندة جميع من يصل اليه ودس رجالا
من ثقائه وأمرهم بأخذ الحمام في بلاده وتوطئته واتخذ أيضا عند نفسه مئان فرفعهم
من غاية الى غاية فجعل هؤلاء يرسلون من بلاد صاحبهم وجعل من عند الملك يرسلون
من عند الملك وأمره بكتابته بخبر كل يوم وتعليق الكتب في أول اذنان الحمام
فصار لا يخفى عليه شيء من أمره وأطمعه الملك في التزويج واستقررد وطاوله وتابم
الهدايا ودس لحرسه رجالا يلاطفونهم حتي صاروا يديتون بأبوابه معهم فلما كتب
أصحابه اليه بفرتهم وصل الخبر اليه من يومه فسار اليه في جند قد اتخبهم حتي اذا كان
على اياة أو بعض اياة أخذت بجماع الطرق ثم ياتهم ووثب أصحابه من داخل المدينة
وهو من خارج وجنده فتجروا الابواب وقتلوا الملك وأصبح قد غاب على تلك المدينة
وعلى تلك المملكة فعظم شأنه وأعظمته الملوك وذكر فيهم بالحزم والكيده وانما كان
سبب ذلك كاه الحمام قال وأحدثك عن الحمام أيضا بحديت آخر ففي أمر النساء
ولرجال وما يصاب من اللذة فيهن والصواب في مما آتهن قال وذلك أن رجلا أتاني
مرة فشكى لي حاله في فتاة عافها فتزوجها وكانت جارية حسناء وكانت بكر ذات

عقل وحياء وكانت غريبة فيما يحسن النساء من استمالة أهواء الرجال ومن أخذها
 بنصيبتها من لذة النساء فلما دخل عليها امتنعت عليه ودافعته عن نفسها فزاولها بكل
 ضرب كان يحسنه من لطف وادخل عليها من نسائه ونسائها من يظن أنها تقبل
 منهم فاعيتهم حتى أهتم برفضها مع شدة وجدها فأتاني فشكا ذلك الى مرة فامرته
 أن يفردها ويخليها من الناس فلا يصل اليها احد وأن يضعف لها الكرامة في اللطف
 والاقامة لما يصلحها من مطعم ومشرب وملابس وطيب وغير ذلك مما تلهو المرأة به
 وتعجب به وان يجعل خادما أعجمية لا تفهم عنها وهي في ذلك عاملة ولا تتعبها الا
 بالإشارة ولا تستوحش اليها والى كل من يصل اليها من النساء حتى تشتبهى أن تجد من
 يراجمها الكلام وتشكو اليه وحشة الوحدة وأن يدخل عليها أزواجا من الحمام
 ذات صورة حسنة وتحمل وهدير فيصيرهن في بيت نظيف ويحمل لهن في البيت
 تمر يد وبين يدي البيت حجرة نظيفة ويفتح لها من بيتها بابا فيصرن نصب عينها
 فتاهوبهن وتنظر اليهن وتجعل دخولك عليها في اليوم دفعة لا تزيد فيها على النظر
 الى ذلك الحمام والتسلي بهن والاستدعاء لهن الى الهدير ساعة ثم تخرج فانها لا تلبث
 ان تتفكر في صنيعهن اذارات حالهن فإن الطبيعة لا تلبث حتى تحركها ويكون اوفق
 المقاعد لها الدنو منها وأغاب المراهي عليها النظر اليهن لان الحواس لا تؤدى الى
 النفس شيئا من قبل السمع والبصر والذوق والشم والحسة الا تحرك من العقل في قبول
 ذلك أو رده والاحتيايل في أصابته أو دفعه والكراهة له أو السرور به بقدر ما حرك
 النفس منه فاذا رأيت الغالب عليها الدنو منها والتأمل لهن فادخل عليها امرأة مجربة
 غزلة تأنس بها وتوقظها لصنيعهن وتعجبها منها وتستميل فيكرتها اليهن وتصف لها
 موقع اللذة على قدر ماتري من تحريك الشهوة ثم اخرج المرأة عنها وحاول الدنو منها
 فإن رأيت كراهة أمسكت وأعدت المرأة اليها فإنها لا تلبث ان تتمكنك فإن فعات
 ما تحب وأمكنك بمض الامكان ولم تبلغ ماتريد فأخبرني بذلك قال وقت له مر
 المرأة فلتسألها عن حالها في نفسها وحالها عندها فلعل فيها طبيعة من الحياء منمتها من
 الانبساط ولعابها لا تلمس فاقبلها على ما قبلها من الخرق وأشار عليها بالمتابعة وقالت

اعتبري بما ترين من هذا الحمام فقد ترين الزوجين كيف يصنعان قالت قد تأملت ذلك
فمجت منه ولسنت أحسنه فقالت لها لا تمنعي يده ولا تحمل على نفسك الهيبة وان
وجدت من نفسك شيئاً تدعوك اليه لذة فاصنعيه فإن ذلك يأخذ بقلبه ويزيد في
محبتك ويحرك ذلك منه أكثر مما أعطاك فلم يلبث أن نال حاجته وذهبت الحشمة وسقطت
المدارة فكان سبب الصنع لهما والخروج من الوحشة الى الانس ومن حال الفرفة
الى حال الاتفاق الحمام وما أكثر من الرجال من ليس يتنعمه من إدخال الحمام الى نسائه الا
هذا الشيء الذي حث عليه صاحب الفراسة وذلك ان تلك الرؤية قد تذكر وتشتهى
وتحزن وأكثر النساء بين ثلاثة أحوال إما امرأة قد مات زوجها فتجربك طباها خطر
بأمانتها وعفافها والمغيبية في مثل هذا المعنى والثالثة امرأة قد طال لبثها مع زوجها فقد
ذهب الاستطراف وماتت الشهوة وإذا رأت ذلك تحرك منها كل ساكن وذكرت ما
كانت عنه بمنسوحة والمرأة سلمية الدين والمرض والقلب ما لم تهجس في صدرها
الخواطر ولم تتوهم حالات اللذة وتحرك الشهوة فاما اذا وقع ذلك فمزها أضعف العزم
وعزها على ركوبها الهوى أقوى العزم فاما الابكار الغريبات فهن الى أن يؤخذن
بالقراءة في المصحف ويحتمل لمن حتى يصرن الى حال التشبيخ والجهن والفرارة وحتى لا
يسمن من أحاديث الباه والغزل قليلا ولا كثيرا أحوجا واقتدرت عجوز سنديية ظهر بهير
فما أقبل بها البهير وأدبر وطمر ففخضها مرة محض السقاء وجعلها مرة كأنها
ترهز فقالت باسمها وهي سنديية أعجمية أخزى الله هذا الزميل فإنه يذكر بالشر تريد
أخزى الله هذا الجمل فإنه يذكر بالشر حدثنا بهذا النادر محمد بن عباد بن كاسب
وحدثنا بهي الانصاري أن عجوزاً من الاعراب جاءت في طريق مكة الى قتيان
يشربون نبيذا فسقوها فدحا فطابت نفسها وتبست ثم سقوها فدحا آخر فاحمر وجهها
وضحكت فسقوها فدحا ثالثاً فقالت خبروني عن نسائيكم بالمراق أيشر بن من هذا
الشراب فقالوا نعم فقالت زين ورب الكعبة وزعم ابراهيم الانصاري المبتلى ان عباس
ابن يزيد بن جرير دخل مقصورة لبعض جواريه فابصر حماماً قد قط حمامة ثم كسح
بذنبه ونفث ريشه فقال لمن هذا الحمام فقالوا الفلان خادمك يريدون خصياً له فقدمه

فضرب عنقه وقال الحطيئة لفتيان من بني قرييب وكانوا ربما جاءوا بقرب خيمته
فيغني بعضهم غناء الركبان فقال يا بني قرييب إياي والغناء فانه داعية الى الزنا
وأما أبو احمد التمار المتكلم فانه شاهد صاحب حمام في يوم مجي حمامه من واسط
وكانت واسط يومئذ الغاية فراه كلما قبل طائر من حمامه سر ورقص فقال له والله اني
لا أرى منك عجباً أراك تفرح بازجال حمام من واسط وهو ذلك الذي كان وهو
الذي جاء وهو الذي إهتدى وانت لم تجي، ولم تهتد وحين جاء من واسط لم
يجي، معه بشيء من خبز أبي حمزة ولا بشيء من مقاريض واسط وبزبون واسط
ولا جاء معه ايضاً بشيء من خطمي واسط ولا بشيء من جوز ولا بشيء من
زبيب وقد مر بكسكر فاين كان عن جداء كسكر وعن دجاجها وسمكها وصنابها
وسعتر كسكر ذهب صحيحاً نشيطاً ورجع مريضاً كسلان وقد عرفت ما عرفت
فقل لي ما وجهه فحرك فقال فرحي اني أرجو أن أبيعهُ بخمسين ديناراً قال ومن
يشتره منك بخمسين ديناراً قال فلان وفلان فقام ومضى إلى فلان وفلان فقال زعم
فلان أنك تشتري منه حماماً جاء من واسط بخمسين ديناراً قال صدق فقال له لم تشتريه
بخمسين ديناراً قال لانه جاء من واسط قال فاذا جاء من واسط فلم تشتريه بخمسين
ديناراً قال لاني أبيع الفرخ منه بثلاثة دنائير والبيضة بدينارين قال ومن يشتري
منك قال مثل فلان وفلان فاخذ نمله ومضى الى فلان فقال زعم فلان أنك تشتري
منه فرخاً من طائر جاء من واسط بثلاثة دنائير والبيضة بدينارين قال صدق قال فقل
لي لم تشتري فرخه بثلاثة دنائير قال لأن اباه جاء من واسط قال ولم تشتريه بثلاثة
دنائير اذا جاء أبوه من واسط قال لاني أرجو أن يجي، من واسط قال واذا جاء
من واسط فأى شيء يكون قال أبيعهُ بخمسين ديناراً قال ومن يشتريه منك بخمسين
ديناراً قال فلان فتركه ومضى الى فلان فقال زعم فلان ان فرخاً من فرخه اذا جاء
أبوه من واسط اشترته أنت منه بخمسين ديناراً قال صدق قال ولم تشتريه بخمسين
ديناراً قال فأعاد عليه مثل قول الاول فقال لارزق الله من يشتري حماماً جاء من
واسط بخمسين ديناراً ولا رزق الله من لا يشتره بقليل ولا بكثير وأبو احمد هذا هو

الذي قال وهو يعظ بعض المسرفين لو ان رجلا كانت عنده الف الف دينار ثم انفقها كلها لذهبت وانما سمع قول القائل لو ان رجلا عنده الف الف دينار فأخذ منها ولم يضع عليها اسكان خليقا ان يأتي على اكثرها وهو القائل في قصصه واتقد عظم الله حق الجار وقال فيه قولا استحيي والله من ذكره وهو الذي قال لبعضهم بلغني ان في بستائك شيئا تهمني فاحب ان تهب لي منه أمرا من أمر الله عظيم وكان زجالا قبل ان يكون تماراً وزعم سليمان الزجال واخوه ثابت انه قبل ان يكون تماراً قال يوما وذكر حمام حين زهد في بيع الحمام وذكر بعض الملوك فقال اما فلان فانه لما بلغني انه يلبس بالحمام سقط من عيني والله سبحانه وتعالى اعلم

❖ باب القول في اجناس الذبان ❖

بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وعلى ابرار عشرته الطيبين الاخيار اوصيك أيها القارئ المتفهم وأيها المستمع المنصت المتصفح أن لا تحقر شيئا ابداً أصغر جثته ولا تستصغر قدره لقلة ثمن ثم إعلم ان الجبل ليس بأذل على الله من الحصاة ولا الملك المشتعل على علمنا هذا بأذل على الله من بدن الانسان وان صغير ذلك ودقيقة كعظيمة وجليلة ولم تفترق الامور في حقائقها وانما افترق المفكرون فيها ومن اهمل النظر وانغل مواضع الفرق وفصول الحدود فمن قبل ترك النظر ومن قبل قطع النظر ومن قبل النظر من غير وجه النظر ومن قبل الاخلال ببعض المقدمات ومن قبل ابتداء النظر من جهة النظر واستتمام النظر مع انتظام المقدمات اختلفوا فهذه الخصال هي جماع هذا الباب لا ما لم نذكره من باب العجز والنقص فإن الذي امتنع من المعرفة من قبل التقصان الذي باب في الخلقية باب على حدة وانما ذكرنا باب الخطايا والصواب والتقصير والتكميل فإياك ان تسيء الظن بشيء من الحيوان لاضطراب الخلق وانما تتركيب ولاه مشنوء في العين اولانه قبل النفع والرد فإن الذي يظن انه اقلها نفعا لعله ان يكون اكثرها رداً ان لا يكون ذلك من جهة عاجل أمر الدنيا كان ذلك في أجل ثواب الدين وعقابه

باقيا ومنافع الدنيا فانية زائلة فلذلك قدمت الآخرة على الاولى فاذا رأيت شيئا من
 الحيوان بعيدا من المماونة وجاهلا سبيل المكافئة أو كان مما يشتد ضرره وتشتد
 الحراسة منه كذوات الاياب من الحيات والذبان وذوات المخالب من الاسد
 والنمور وذوات الاير والشمر من العتارب والديبر فاعلم أن مواقع منافعها من
 جهة الامتحان والبلوى ومن جهة ما أعد الله عز وجل للصابرين ولمن فهم عنه وعلم أن
 الاختيار والاختبار يكونان والدنيا كلها شر صرف أو خير محض فان ذلك
 لا يكون الا بالمزاوجة بين المكروه والمحجوب والمولم والملاذ والمحقر والمعظم والمأمون
 والخوف فاذا كان الحظ الاوفر في الاختبار والاعتبار وبها يتوسل الى ولاية الله عز
 وجل وإلى كرامته وكان ذلك انما يكون في الدار الممزوجة من الخير والشر والمشاركة
 المركبة بالنفع والضرر المشوبه باليسر والعسر فليعلم موضع النفع في خلق المعقرب ومكان
 الصنع في خلق الحية فلا يحقرن الجرجس والقراش والذر والذباب ولتقف حتى تتفكر
 في الباب الذي رميت اليك بجملة فانك ستكثر حمد الله عز وجل على خلق الهمج
 والحشرات وذوات السموم والانياب كما تحمده على خلق الاغذية من الماء
 والنسيم فان أردت الزراية والتحقير والمداوة والتصغير فاصرف ذلك كله الى الجن
 والانس واحقر منهم كل من عمل عملا من جهة الاختبار يستوجب به الاحتقار ويستحق
 به غاية المقت من وجهه والتصغير من وجهه فان انت ابغضت من جهة الطبيعة
 واستثقت من جهة الفطرة ضريين من الحيوان ضربا يملك بسوءه وضربا يملك بشدة
 أشره لم تلم الا أن عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما لذلك وانما خلقهما لتصبر على
 اذاهما ولان تنال بالصبر الدرجة التي تستحق ان تنالها بالصبر والصبر لا يكون الا على
 حال مكروه فسواء عليك كان المكروه سهيا وثابا او كان مرضا قاتلا وعلى انك
 لا تدري لعل النزع والعنز والخنزرة أن يكون أشد من لدغ حية وضغمة سبع فلا يكون
 حرقه كحرق اللسع والم كالم الدهق فاعلم هناك من الكرب ما يكون موقعه من
 النفس فوق ذلك وقد علمنا ان الناس يسمون الانتظار لوقع السيف على العنق جهد
 البلاء وليس ذلك الجهد من شكل لدغ النار ولا من شكل الم الضرب بالعصا فانهم

فهمك الله موافق النفع كما يعرفها اهل الحكمة واصحاب الاحساس الصحيحة ولا تذهب في الامور مذهب العامة وقد جعلك الله تعالى من الخاصة فانك مسئول عن هذه الفضيلة لانها لم تجعل اعباء ولم تترك هملا واصرف بفضلك الى مرئيد ظلمك لا يراقب فيك الا ولا ذمة ولا مودة ولا كنانا ولا سنة وكلما زادك الله عز وجل نعمة ازدادوا عليك حنقا ولك بفضا وفر كل الفرار واهرب كل الحرب واحترس كل الاحتراس ممن لا يراقب الله عز وجل فانه لا يخاو من أحد أمرين اما ان يكون لا يعرف ربه مع ظهور آياته ودلالاته وسبوغ آياته وتتابع نعمائه ومع برهانات رسله وبيان كتيبه واما ان يكون به عارفا وبديته موقنا وعليه محترئا وبحرماته مستخفا فان كان بحقه جاهلا فهو بحقك اجمل وله أنكر وان كان به عارفا وعليه محترئا فهو عليك أجرا وحقك أضيع ولا ياديك ا كفر فاما خلق البعوضة والنملة والفراشة والذرة والذباب والجملان واليماسيب والجراد فايك ان تهاون بشأن هذا الجند وتستخفف بالآلة التي في هذا الذر فربت امة قد أجلاها عن بلادها النمل ونقلها عن مساقط رؤسها الذر واهلكت بالقراد وجردت بالجراد وعذبت بالبعوض وأفسد عيشها الذبان فهي جنديان أرادا الله عز وجل ان يهلك بها قوما بعد طغيانهم وتجبرهم وعتوهم ليعرفوا او ليعرف بهم ان كثير أمرهم لا يقووم بالقليل من أمر الله عز وجل وفيها بدم معتبر لمن اعتبر وموعظة لمن فكر وصلاح لمن استبصر وبلوى ومحنة وعذاب وقمة وحجة صادقة وآية واضحة وسبب الى الصبر والفكرة وهما جماع الخير في باب المعرفة والابانة وفي باب الأجر وعظم المثوبة وسند كر جملة من حال الذبان ثم نقول في جملة ما يحضرننا من شان الغربان والجملان ويقال في موضع الدم والهجاء ما هم الافراش نار وذباز طمع ويقال اطياش من فراشة وأزهي من ذبان وقال الشاعر

كان بني ذوية رهط سلمى * فراش حول نار يصطالينا

يطفن بجرها ويقعن فيها * ولا يدرين ماذا يتقينا

والعرب تجعل الفراش والنمل والزنابير والذبر كلها من الذبان وأما قولهم أزهي من ذباب فلان الذباب يسقط على أنف الملك الجبار وعلى موق عينيه لئلا كله فيطرده ولا

ينطرد والانف هو النخوة وموضع التجبر وكان من شأن البطارقة وقواد الملوك اذا
أنفوا أن ينخروا كما ينخر الثور عند الذبح والبرذون عند النشاط والانف هو موضع
الخزوانة والنمرة واذا تكبرت الناقة بعد أن تاتج فانها تزم بانفها والاصيد الملك
الذي تراه أبداً من كبره مائل الوجه وشبهه بالاسد فليل أصيد لان عنق الاسد من
عظم واحد فهو لا يلتفت الا بكاه فلذلك يقال للتمكبر إنما أنفه في أسلوب ويقال
أرغم الله أنفه وأذل معطسه وستعمل ذلك وأنفك راغم والرغام التراب ولولا كذا
وكذا لهشمت أنفك فانما يخصون بذلك الانف لان الكبر يضاف اليه قال الشاعر

يارب من يبغض اذوادنا * رحن على بغصائه واغتندين

لو نبت البقل على أنفه * رحن اليه اصلا قد اتين

ويقال بعير مذبوب اذا عرض له ما يدعو الذبان الى السقوط عليه وهم يعرفون العرة
اذا فشت أو أصابت بعيراً بسقوط الذبان عليه والسقوط الذبان على البعير يحتمل
الجمال للسلطان اذا كان يسخر إبله وهو لذك كارد واذا كان في جماله الجمل النفيس
أو الناقة الكريمة فانه يعمد الى الخضخاض فيصّب فيه شيئاً من دبس ثم يطلى به ذلك
البعير واذا وجد الذبان ربح الدبس تساقطن عليه فيدعى عند ذلك ان به عرة ويحمل
الشاهد له عند السلطان ما يوجد عليه من الذبان فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم
بالحيل من أيدي السلطان ولا يظن ذلك السلطان الا انه متى شاء ان يبيع مائة اعرابي
بدرهم فعل والعرة عندهم تسمى وطباع الابل أقبل شيء اللادواء التي تعدى فيقول
الجمال عند ذلك للسلطان لو لم أخف على بعيري هذا الممر ان يعدي لم أبال واكني
أخاف إعداء العر ومضرتها في سائر مالي فلا يزال يستعطفه بذلك ويحتمل له ويميله
حتى يخلي سبيله ويقال ان الذبان لا يقرب قدراً فيه كجاة كجلا يدخل سام ابرص بيتاً فيه
زعفران ومن أصابه عض الكاب الكاب حموا وجهه من سقوط الذبان عليه قالوا وهو
أشد عليه من ديب الزهر على البعير والنبر دويبة اذا دبت على البعير تورم وربما كان
ذلك سبب هلاكه قال الشاعر وهو يصف سمن إبله وعظم أبدانها

حمر تحقبت المحيل كأنما * بجلودهن مدارج الانبار

وايس في الارض ذباب الا وهو اقدح ولا في الارض بعير الا وهو أعلم كما أنه ليس
في الارض ثور الا وهو أفتس وفي ان كل بعير أعلم يقول عنتره
وجليل غايه تركت نجدلا * تمكوفريسته كشدق الاعلم
كما انه قال كشدق البعير اذ كان كل بعير أعلم والشعراء يشبهون الضربة بشدق
البعير ولذلك قال الشاعر

كم ضربة لك تحكي فافراسية * من المصاعب في اشداقها شنع

وقال الكميث * مشافر قرحي اكن البريرا * واذا قيل الاعلم علم انه البعير كما انه
اذا قيل الاقدح علم انه الذبان قال الشاعر

ولانت اطيش حين تغدو سادرا * حذر الطعان من القدوح الاقدح

يعني الذبان لانه اقدح ولانه أبدا يحك باحدى ذراعية على الاخرى كأنه يقدح بعود
من صرخ أو عفار أو عرجون أو غير ذلك مما يقدح به ولا يعلم في الارض شاعر تقدم
في تشبيهه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب او في معنى شريف كريم او في بديع مخترع
إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده او معه ان هو لم يقدر على لفظه فيسرق بعضه
او يدعيه بأسره فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه كالمعنى الذي
تنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم وأعاريض أثمارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك
المعنى من صاحبه أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال إنه خطر على بالي من
غير سماع كما خطر على بال الاول هذا اذا قرعوه به الا ما كان من عنتره في صفة
الذباب فانه وصفه فأجاد وصفه فتجأى معناد جميع الشعراء فلم يعرضوا له ولقد عرض
له بعض المحمدين ممن كان يحسن القول فبلغ من استكراهه ذلك المعنى و من اضطرابه
فيه انه صار دليلا على سوء طبعه في الشعر قال عنتره

جادت عايبها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدريم

فترى الذباب بها يعني وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

غر دايحك ذراعه بذراعه * فمل المكب على الزناد الا جزم

قال يريد فعل الاقطع المكب على الزناد والاجزم المقطوع اليدين فوصف الذباب اذا

كان واقفا ثم حك إحدى يديه بالأخرى فشهبه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح
بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك ولم اسمع في هذا المعنى بشعر ارضاء غير شعر
عنترة وقد كان عندنا في بني العروبة شيخ منهم منكر شديد المارضة فسمعتني اقول
قد جاء في الحديث ان تحت جناح الذباب البين شفاء وتحت جناحه الايسر سما فاذا سقط
في ابناء او في شراب او في مرق فغمسوه فيه فإنه يرفع عند ذلك الجناح الذي تحته الشفاء
ويحط الذي تحته السم فقال بأبي انت وامى هذا يجمع العداوة والمكيدة وقد كان
عندنا أناس من الازد وهم ابن حذر وابن حذر هذا عدولى من أهل تنوخ وكان
يتصعب لاصحابه من بني تميم وكانوا على نبيذ فسقط ذباب في قدح بعضهم فقال له
الآخر غط التيمى ثم سقط آخر في قدح بعضهم فقال الباقون غط التيمى فلما
كان في الثالثة قال ابن حذر غطه فإن كان تيمى يارب وان كان ازديا طفا فقال صاحب
المنزل ما يسرنى انه كان قال بعضهم مرقا وانما عني ان ازدي عمان ملاحون والذباب
ضروب سوى ما ذكرناه من الفراش والنحل والزنابير فهنا الشعراء وقال الرجز

* ذبان شعراء وبيت ماذل * وللكلاب ذباب على حدة تخاق منها ولا تريد سواها
ومنها ذباب الكلاب والرياض وكل نوع منها يألف ما خاق منه قل أبو النجم
مستأسد ذبانه في غيطال * يقان لارائد أعشبت إنزل
والعرب تسمى طنين الذبان والبعوض غناء وقال الاخطل في صفة الثور
فرد تغنيه ذبان الرياض كما * غني الغواة بصبح عند أسوار
وقال حضرمي بن عامر في طنين الذباب

ما زال أهواء القوائد بيننا * شتم الصديق وكثرة الاقارب

حتى تركت كان أمرك بينهم * في كل مجتمع طنين ذباب

ويقال ما قولى هذا عندك الا طنين ذباب ولذباب وقت تهيج فيه للسفاد مع قصر
أعمارها وفي الحديث ان عمر الذباب اربعمون يوما ولها أيضا وقت هيج في أكل
الناس وعضهم وشرب دماءهم والذبان في وقت من الاوقات من حنوف الابل
والدواب والذباب والبعوض من ذوات الخراطيم ولذلك اشتد عضها وقويت على

خرق الجلود الغلاظ وقال الراجز

مثل السفاة دائم طينها * ركب في خرطومها سكينها

وقالوا ذوات الخراطيم من كل شيء أقوى عضا ونابا وفكا كالذئب والخنزير والكلب
وأما الفيل فإن خرطومه هو أنفه كما إن لكل شيء من الحيوان أنفا وهو يده ومنه يضني
وفيه يجرى الصوت كما يجرى الزامر الصوت في القصبة بالنفخ ومتى تضاعط الهواء
صوت على قدر الضغط أو على قدر الثقب والذباب اسم الواحد والذبان اسم الجماعة وإذا
أرادوا التصغير والتقابل ضربوا بالذبان المثل كما قال الشاعر

رأيت الخبز عنر لديك حتى * حسبت الخبز في جو السمجاب

وما روحتنا لتذب عنا * ولكن خفت مرزية الذباب

وقال آخر

لما رأيت القصر أغلق بابه * وتعلقت همدان بالاسلاب

أيقنت أن إثارة ابن مجرب * لم يبق منها قيس بن ذباب

قال بعضهم لم يذهب إلى مقدار أثره وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحرر

ما كنت عن قومي بمهتضم * لو إن معصيا له أمر

كانتني منح البعوض فقد * أقصرت لأنجح ولا غدر

قال وإيس شيء مما يطير يبلغ في الدم وإنما يبلغ في الدماء من السباع ذوات الأربع وأما

الطير فأنها تشرب حسو أو عبة بعد عبة ونقبة بعد نقبة وسباع الطير قليلة الشرب

للماء والاسد كذلك قال أبو زيد الطائي

تذب عنه كف بهار مق * طير اعكوفاكذو دالعرس

إذا ونى ونية دلفن له * فهن من والغ ومنهنس

قال والطير لا تلغ وإنما يبلغ الذباب وجعله من الطير وهو وان كان يطير فليس

ذلك من أسمائه فاذ قد جاز أن يستعير له اسم الطائر جاز أن يستعير للطير ولغ السباع

فيجعل حسوها وإنما وقال الشاعر

سراع إلى ولغ الدماء رماحهم * وفي الحرب والهيجاء أسدضراغم

قال وفي الذباب خصتان من الخصال المحمودة أما أحدهما فتقرب الحيلة اصرف اذاها
ودفع مكروها فن أراد اخراجها من البيت فليس بينه وبين أن يكون البيت على
المقدار الاول من الضياء ولكن مع السلامة من التأذي بالذبان إلا أن يفتق الباب
فانهن يتبادرن الى الخروج ويتسابقن في طاب الضوء والحرب من الظلمة فإذ
أرخي الستر وفتح الباب عاد الضوء وسلم أهله من مكروه الذباب فإن كان في الباب
شق والاجاء في المغاق أحد البابين من صاحبه ولم يطبقه اطباقا وربما خرجن من
الفتح الذي يكون بين أسفل الباب والعتبة والحيلة في إخراجها والسلامة من أذاها
يسير وليس كذلك البعوض لأن البعوض إنما يشتد أذاه ويقوى ساطانه ويشتد
كلبه في الظلمة كما يقوى سلطان الذباب في الضياء وليس يمكن الناس أن يدخلوا
منازلهم من الضياء ما يمنع عمل البعوض لان ذلك لا يكون الا بدخال الشمس
والبعوض لا يكون الا في الصيف وشمس الصيف لا صبر عليها وليس في الارض
ضياء انفصل من الشمس الا ومعه نصيبه من الحر وقد يفارق الحر أيضاً في بعض
المواضع والضياء لا يفارق الحر في مكان من الاماكن فإمكان الحيلة في الذباب يسير
وفي البعوض عسير والفضيلة الاخرى أنه لولا أن الذبابة تأكل البعوضة تطاها واتمها
على وجوه حيطان البيوت وفي الزوايا لما كان لاهلها فيها قرار وذكر محمد بن الجهم
فيما خبرني عنه به بعض الثقات انه قال لهم ذات يوم هل تعرفون الحكمة التي استفدناها
في الذباب قالوا لا قال بلى انما تأكل البعوض وتصيدها وتافطها وتفتنيها وذلك اني
كنت أريد القائلة فأمرت باخراج الذباب وطرح الستر فاعلق الباب قبل ذلك
بساعة فاذا خرجن حصل في البيت البعوض وقوى ساطانه وقوته فبكنت أدخل الى
القائلة فيأكلني البعوض أكلا شديداً فأتيت ذات يوم المنزل في وقت القائلة فاذا ذلك
البيت مفتوح والستر مرفوع وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك في يومهم فلما اضطجعت
للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً وقد كان الغضب يشتد على الغلمان فنمت في عافية فلما
كان من الغد عادوا الى اغلاق الباب واخراج الذباب فدخلت الشمس القائلة فاذا البعوض
كثير ثم أغلقوا اغلاق الباب يوماً آخر فلما رأته مفتوحاً شتمتهم فلما صرت الى القائلة

لم أجد بعوضة واحدة فقات في نفسي قد أراني تمت في يومي التضيق وامتنع من النوم في أيام التحفظ والاحتباس فدل لا أجرب ترك اغلاق الباب في يومي هذا فان تمت ثلاثة أيام لا التي من البعوض أذى مع فتح الباب علمت ان الصواب في الجمع بين الذبان والبعوض فان الذبان يفتيه وان صلاح أمرنا في تقريب ما كنا نباعد ففعلت ذلك فاذا الامر قد تم فصرنا ان أردنا خراج الذبان أخرجناها بأيسر حيلة وإذا أردنا فناء البعوض أفتيناهما بأيسر حيلة فهاتان خصلتان من منقوب الذبان وكان محمد بن الجهم يقول لا تنهائونا بكثير مما تريدون من علاج القوابل والمجانز فان كثيراً من ذلك انما وقع اليهم من قدام اطباء كاذبان ياني في الاثم ويسحق معه فيزيد في نور البصر ويقوى النظر ويشد مرارة الاشفاق في حافات الجنون وقت له مرة قيل لما سرجويه ما بال الأكرد ٢٠ مسكان البساتين مع أكلهم الكراث والتمر وشربهم ماء السواقي على الملح أقل الناس خفشاناً وعشياناً وعورا قال إني فكرت في ذلك فم أجد له علة الا طول وقوع أبصارهم على الخضرة قال ابن الجهم ومن أهل السفالة ناس يأكلون الذبان لا يرمدون وائس لذلك اكلوا وانما هم كأهل خراسان الذين يأكلون فراخ الزنابير والزنابير ذبان وأصحاب الجبن الرطب يأخذون الجبنة التي قد نغت دوداً فيسكتها حتى يخرج ما فيها من الدود في راحته ثم يغمجها كما يغمج السويق وكان الفرزدوق يقول ليت أنهم دفعوا الى نصابي من الذبان ضربة واحدة بشرطان آكله لراحة الابد منها وكان كما زعموا شديد التقدر لها منها وقال ثمامة وقع الذبان في مرق بعض القصاص وعى وجهه فقال كثير الله يكن القبور وحكى ثمامة عن هذا القاص انه سمعه يعباد ان يقول في قصصه اللهم من علينا بالشهادة وعلى جميع المسلمين وقال لي للمكي مرة انما نهر الذبان أربعين يوماً فأت هكذا جاء في الاثر وكنا يومئذ بواسط في أيام المسكر وليس بمد أرض الهند أكثر ذباباً من واسط وربما رأيت الحائط وكان عليه مسجاً شديد السواد من كثرة الذبان الذي عليه فقلت للمكي أحسب الذبان يموت في كل أربعين يوماً وان شئت في أكثر وان شئت في أقل ونحن كما ترى ندوسها بارجاننا ونحن ها هنا مقيمون منذ أربعين يوماً بل منذ أشهر وما

رأينا ذباباً واحداً ميتاً فلو كان الامر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الاحياء قال ابن الدبابة
 إذا أرادت ان تموت ذهبت الى بعض الحزايب قات فانا قد دخلنا كل حزبة في الدنيا
 ما رأينا فيها قط ذباباً ميتاً وكان المكي طيباً طيب الحجاج ظريف الحيل عجيب العال وكان
 يدعى كل شيء على غاية الاحكام ولم يحكم شيئاً قط من الجليل ولا من الدقيق وإذا قد
 جرى ذكره فمأحدثك ببعض أحاديثه وأخبرك عن بعض عاله اتلمى بها ساعة ثم
 نعود الى ذكر الذبان أدعى هذا المكي البصر بالبراذين ونظر الى برذون واقف قد
 التي صاحبه فيه اللجام فرآى فاس اللجام وأين بلغ منه فقال لي العجب كيف لا يذره
 التي وأنا لو أدخلت إسبغى في حلقى لما بقى في جوفى شيء الا خرج قات الآن عامت
 انك تبصر ثم مكث البرذون ساعة يلوك لجامه فاقبل علي فقال لي كيف لا يبرد
 اسنانه قلت انما يكون عند البصرء مثلك ثم رأى البرذون كما لاك اللجام والحديدة
 سال لعابه على الارض فقال لي ان البرذون أفسد الخلق عقلاً ولولا ذلك لكان ذهنه
 قد صفي قات له قد كنت أشك في بصرك بالدواب فاما بعد هذا فلست أشك فيه
 وقات له مرة ونحن في طريق بغداد ما بال الفرسخ في هذه الطريق يكون فرسخين
 والفرسخ يكون أقل من مقدار نصف فرسخ فنكرطويلاً ثم قال كان كسرى يقطع للناس
 الفراسخ فاذا صانع صاحب القطيعة زادوه واذا لم يصانع نقصوه وقات له مرة علمت
 ان الشاري حدثني ان الخلوع بعث الى المأمون بجراب فيه سمسم كانه يخبر ان عنده
 من الجند بمعد ذلك وان المأمون بعث اليه بديك أعور يريد ان طاهر بن الحسين
 يقتل هؤلاء كلهم كما يلقط الديك الحب قال فان هذا الحديث أنا ولدته ولكن انظر
 كيف سار في الآفاق وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة (ثم رجع بنا القول الى صلة كلامنا في
 الاخبار عن الذبان) فأما سكان بلاد الهند فانهم لا يطبخون قدرًا ولا يعملون حلواً
 ولا يكادون يأكلون الا ليلاً لما يتهافت من الذبان في طعامهم وهذا يدل على عفن
 التربة وخن الهواء وللذبان يعاسب وحجلان ولكن ليس لها قائد ولا أمير ولو كانت
 هذه الاصناف التي يحرس بعضها بعضاً وتتخذ رئيساً يدبرها ويحوطها انما أخرج ذلك
 منها العقل دون الطبع وكالشيء يخص به البعض دون الكل لكان الذراحي بذلك

من الكراكي والفرانيق والثيران والكان الذيل أحق به من البعير لانه ليس للذئب قائد ولا حارس ولا يعسوب يحميها ويحميها بعض المواضع ويوردها بعضها وكل قائد فهو يعسوب ذلك الجنس المتوود وهذا الاسم مستعار من فحل النحل وأمير العسالات وقال الشاعر وهو يعنى الثور

كما ضرب اليعسوب اذ عاف باقر * وما ذنبه اذ عافت الماء باقر

وكما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه في صلاح الذبان وفساده فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه وعلى ذلك المعنى قال حين مر بعبد الرحمن بن عتاب قتيلاً يوم الجمل له في عليك يعسوب قريش جدعت انفي وشفيت نفسي قالوا وعلى هذا المعنى قيل يعسوب الطفاوة وزعم بعض الحكماء انه لا ينبغي ان يكون في الارض شيء من الاشياء اتن من العذرة فكذلك لاشيء اقدر من الذبان والقمل واما العذرة فلولا انها كذلك لكان الانسان مع طول رؤيته لها وكثرة شبه لها من نفسه في كل يوم صباحاً ومساءً لقد كان ينبغي ان يكون ذلك قد اذهب تقدره له على الايام او يحرق او يدخله النقص فثباتها ستين عاماً واكثر واقبل على مقدار واحد في انف الرجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك وقد رأينا المرات والمعادت موصنيهما في الطبائع وكيف تهون الشديده وتقال الكثير فلولا انها فوق كل شيء من التتن لما ثبتت هذا الثبات وامرض لها ما يمرض لسائر التتن وبعد فلو كان إنما يشم شيئاً خرج من جوف غيره ولم يخرج من جوف نفسه لكان ذلك أشبه فاذا ثبتت في أنفه على هذا المقدار من التتن وهو منه دون غيره وحتى صار يجده أنتن من رجيع الاجناس فليس ذلك الا لما قد خص به من المذكور وكذلك القمل في القمل الذي إنما يخلق من عرق الانسان ومن رائحته ووسخ جلده وبخار بدنه وكذلك الذبان لخاططة لهم في جميع الحالات، والملابسة لهم دون جميع الهوام والهمج والطيور والبهايم والسباع حتى تكون الؤم من كل ملازم وأقرب من كل قريب حتى ما تمتع عليه شيء من بدن الانسان ولا من ثوبه ولا من طعامه ولا من شرابه لم يازم شيئاً قط كازومه حتى أنه يسافر السفر البعيد من مواضع الخصب فيقطع البراري والقفار التي ليس فيها ولا بقربها نبات ولا ماء ولا حيوان ثم مع ذلك يتوخي عند الحاجة

الى الغائط في تلك البرية أن يفارق أصحابه فيتباعد في الارض وفي صحراء خلتها فاذا تبرز فتى وقع بصره على برازه رأى الذبان ساقطاً عليه فقبل ذلك ما كان يراه فان كان الذباب شيئاً يتخلف له في تلك الساعة فهذه أعجب ما رآه وما أوردناه واكثر مما قلنا وان كان قد كان ساقطاً على الصخور الملس والبقاع الجرد في اليوم القماظ وفي الهاجرة التي تشوى كل شيء وينتظر مجيئه فهذا اعجب مما قلنا وان كانت قد تبعته من الامصار اياماً سائرة معه واما ساقطة عليه فلما تبرز انتمت عنه الى برازه فهذا تحقيق لقوانا انه لا يلزم الانسان شيء لزوم الذباب لان المصافير والخطاطيف والزرارير والسنانير والكلاب وكل شيء يالف الناس فهو يقيم مع الناس فاذا مضى الانسان في سفره فصار كالموت وحش وكلنازل بالفقر فكل شيء أهلي يألف الناس فانما هو مقيم على ما كان من الغنم لهم لا يتبعهم من دور الناس الى منازل الوحش الا الذبان قال فاذا كان الانسان يستقدر الذبان في مرقة وفي طعامه هذا الاستقدار ويستقدر القمل مع محله من القرابة والنسبة هذا الاستقدار فمعلوم ان ذلك لم يكن الا لما خص به من القدر والا فيبدون هذه القرابة وهذه الملابس تطيب الانفس عن كثير من المحبوب قال وفي الذبان خبر آخر وذلك انهم ربما تعودن المبيت على خوص فسيلة وأقلاها من فساتل الدور أو شجرة أو بلة باب أو سقف بيت فيطردن اذا اجتمعن لوقتهن عند العشاء ليلتين أو ثلاث ليلال فيتفرقن أو يهجرن ذلك المكان في المستقبل وان كان ذلك المكان قريباً وهو لمن معرض ثم لا يدعن ان يلتمسن مبيتاً غيره ولا يعرض لمن اللجاج في مثل ذلك مثل الذي يمرض لمن من كثرة الرجوع الى العيين والاتف بعد الذب والطرده وبعد الاجتهاد في ذلك وقال محمد بن حرب ينبغي أن يكون الذبان سما ناقماً لان كل شيء يشتم اذاه بالامس من غيره فهو بالمداخلة والملابسة اجدران يؤذي وهذه الافاعي والثعابين والجرار قد تمس جلودها ناس ولا وتضرهم الا بان تلبس ابرة العقرب وناب الافعي الدم قد نجد الرجل يدخل في خرق انفه ذباب فيجول في اوله من غير ان يجاوز روث انفه وارنبته فيخرجه الانسان من جوف انفه بالنفخ وشدة النفس ولم يكن له هنالك لبث ولا كان منه عض وليس الا بما مس بقوائمه واطراف جناحيه فيقع ذلك المكان

من انفه من الدغدغة والآ كال والحسكة مالا يصنع الخردل وبصل الترجس ولبن
التين فليس يكون ذلك منه الا وفي طبيعه من مضادة طباع الانسان مالا يبلغه مضادة
شيء وان افراط قال وايس الشأن في انه لم يخمش ولم يجرح ولم يعض ولم يخذش
وانما هو على قدر مضادة الطباع للطباع وعلى قدر القرابة والمشاكاة قد نجد الانسان
يقم بتمض الفتيلة وصوتها عند قرب إنطفاء النار والبعوض البالي يكون قد خالط الفتيلة ولا
يكون الصوت بالشر وانكن الانغماس به والتكرمه يكون في مقدار ما يعتره من أشد
الاصوات ومن ذلك المكروء الذي يدخل على الانسان من غطيظ الذنم وايست تلك
الكراهة امة الشدة والصلابة ولكن من قبل الصورة والمقدار اذ لم يكن من قبل الجنس
وكذلك صوت احتكاك الآجر الجديد بمضه بعض وكذلك شجر الآجام على الاجراف
فان النفس تكرهه كما تكره صوت الصاعقة ولو كان على ثقة من السلامة من الاحتراق
لما احتفل بالهباءة ذلك الاحتفال وامل ذلك الصوت وحدد ان لا يقتله فأما الذي
نشاهد اليوم الامر عليه فانه متى قرب منه قتله وامل ذلك انما هو لان الشيء اذا اشتد صوته
فسبح القوة او امل الهواء الذي فيه الاسان والمحيط ان يحمي ويستخر للذي قد شارك
ذلك الصوت من النار وهم لم يجدوا الصوت من النار شديدا جدا إلا ما خالط منه النار
وقال ابن حرب الذبان قوت خاق كثير من خاق الله عز وجل وهو قوت الفراريج
والخنافس والعنكبوت والخلد وضروب كثيرة من الهمج همج الطير وحشرات
السباع فاما الطير والسودايات والحضائيات والشاهركات وغير ذلك من اصناف
الطير وأما الضباع فانه تأكل الجيف وتدع في افواها فضولا وتفتح افواها للذبان
فاذا احتشت ضمت عليها فهذه انما تصيد الذبان بنوع واحد وهو الاختطاف
والاختلاس واعجالها عن الوثوب اذا تعلقته بأطراف المناقير أو كبعض ما ذكرنا من
الطبايق الغم عليها فاما الصيد الذي ليس للسكاب ولا لعتاق الارض ولا للفهد ولا لشيء
من ذوات الاربع مثله في الخندق والختل والمدارة وفي صواب الوثبة وفي التسدد
وسرعة الخطف مثل الذي يقال له اللايث وهو الصنف المعروف من المناكب بصيد الذبان
فانك تجده اذا عاين الذبان ساقطا كيف يلطخي بالارض وكيف يسكن جميع جوارحه

للوسبة وكيف يؤخر ذلك الى وقت الغرة وكيف يريها انه عنها لاد فانك ترى من ذلك شيئاً لم ترمثه من فهد قط وان كان الفهد موصوفاً ممنوعاً واعلم انه قد ينبغي ان لا يكون في الارض شئ اصيد منه لانه لا يطير ولا يصيد الا ما يطير ويصيد طائراً شديداً الحذر ثم يصيد صياداً لان الذباب يصيد البعوض وخذيمتك للخداع اعجب ومكرك بالما كراغرب فكذلك يكون صيد هذا الثمن من العنكبوت وزعم الجرداني ان الوزغ تحتل الذبان وتصيدها صيداً حسناً شبيهاً بصيد الليث قال والزبور حريص على صيد الذباب ولكنه لا يطعم فيها إلا أن تكون ساقطة على خرء دون كل تمر وعسل لشده عجبها بالخرء وتشاغلها به فعند ذلك يطعم فيه الزبور ويصيده وزعم الجرداني وتابعه كيسان ان الفهد انما اخذ ذلك عن الليث ومتى رآه الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه فظننت انهما قد ادى ذلك بعض من اذا مدح شيئاً اسرف فيه ويزعمون ان السبع الصيود اذا كان مع سبع هو اصيد منه تعلم منه واخذ عنه وهذا لم أحقه فاما الذي لا أشك فيه فان الطائر الحسن الصوت المالحن اذا كان مع نوائح ومغنيات فيمكن يقرب الطائر من شكاكه وهو أحذق منه وأمهز جاوبه وحكاه وتعلم منه او صنع شيئاً يقوم مقام التعلم والبرذون يراض فيعرف ما يراد منه فيعين على نفسه وربما استأجروا للطير رجلا يعلمها فاما الذي رأته أنا في البلابان فقد رأيت رجلا يدعى لها فيطارحها من شكل اصواتها وفي الطير ما يخترع الاصوات واللحون التي لم يسمع بمثابها قط من المؤلف للحون من الناس فإنه ربما أنشأ الحنالم يمر على سماع المغنين قطواً كثير ما يجدون ذلك من الطير في القمارى وفي السودانيات ثم في الكرارة وهي تأكل الذبان اكلا فريداً ويقال إن اللجاح في ثلاثة أجناس من بين جميع الحيوان الخنفساء والذباب والدودة الحمراء فانها في إبان ذلك تروم الصمود الى السقف وتمر على الحائط الامس شيئاً قليلاً فتسقط وتعود ثم لا تزال تزداد شيئاً ثم تسقط الى ان تمضى الى باطن السقف وربما سقطت ولم يبق عليها الا مقدار اصبع ثم تعود والخنفساء تقبل قبل الانسان فيدفعها فتبعد بقدر تلك الطردة والدفعة ثم تعود أيضاً فيصنع بها اشد من تلك ثم تعود حتى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ويكون غضبه سبباً لقتلها وما زالوا كذلك وما زالت

كذلك حتى سقط الى المقاييس ان الخنافس تجاب الرزق وان ذنوها دليل على رزق
حاضر من صلة أو جائزة أو ربح أو هدية أو حظ فصارت الخنافس ان دخلت في
قبصهم ثم نفذت الى سراويلاتهم لم يقولوا لها قليلا ولا كثيرا وأكثر ما عندهم اليوم
المدفع لها بمض الرفق ويظن بمضهم انه إذا دافعا فعدت ثم دافعا فعدت ثم دافعا
فعدت ان ذلك كلما كان أكثر كان حظه من المال الذي يؤمله عند مجيئها أكثر
فانظر أية واقية دائمة حافظة وأي حارس وأي حصن ان شاء الله تعالى لها بهذا القول
وأي حفظ لها حين صدقوا هذا التصديق والطمع هو الذي أثار هذا الامر من
مدافنه والفقير هو الذي سبب هذا الطمع واجتلبه ولكن الويل لها ان الحت على غنى
عالم وخاصة إن كان مع حدوته وعامه حديدا عجولا وقد كانوا يقتلون الذباب الكبير
الشديد البطش الملح في ذلك الجهير الصوت الذي تسميه العوام أمير الذبان فكانوا
يحتالون في صرفه وطرده اذا كرههم بكثرة طنينه وزجله وهماهم فانه لا يغير فلما
سقط اليهم انه مبشر بقدم غائب وبرء سقيم صاروا اذا دخل المنزل وأوسمهم شرا
لم يهجه أحد منهم واذا أراد الله عز وجل ان ينسى في أجل شيء من الحيوان هيئ ذلك
سببا كما أنه إذا أراد أن يقصر عمره هيئ له سببا فتعالى الله علوا كبيرا (ثم رجع بنا
القول) الى الحاح الذبان كان انا بالبصرة قاضي يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس
حالا كما قط ذميا ولا ركينيا ولا قورا حايما ضبط من نفسه ومملك من حركته مثل
الذي ضبط ومملك كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي
مجلسه فيجتي ولا يتكى فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا ياتفت ولا يحل حبوته
ولا يحل رجلا على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة
منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك
حتى يقوم الى العصر ثم يرجع مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد
الى محله بل كثيرا ما كان يكون ذلك اذا بقى عليه من قراءة العهود والشروط والوائت
ثم يصلي العشاء وينصرف فالحق يقال لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة
الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب كذلك كان شأنه في

طوال الأيام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يده ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم فينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفي السباطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول إلى مؤق عينيه فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يعض وجهه أو يذب بإصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصده إلى مكان لا يحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعا ذلك إلى أن يوالي بين الاطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد إلى مؤقه بأشد من مرته الأولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أواهاه قبل ذلك فكان احتمالها وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل خرك أجنانه وزاد في شدة الحركة وألح في فتح العين وفي تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده ففعل وعيون القوم إليه ترمقه وكانهم لا يريدونه فتنحى عنه بقدر ما رديده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ثم ألجأه إلى أن يذب عن وجهه بطرف كفه ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمثائه وجلسائه فلما نظروا إليه قال أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجيبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت أني عند نفسي من أضعف الناس فقد غلبني وفضحني أضعف خاتمه ثم تلا قوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقده منه ضعف الطالب والمطلوب وكان بين اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيباً في أصحابه وكان أحد من لم يطعم من عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمقالة فأما الذي أصابني أنا من الذبان فاني خرجت أمشي من عند ابن المبارك أريد دير الربيع ولم أقدر على دابة فررت في عشب ونبات ملثف كثير الذبان فسهط ذباب من ذلك الذبان على أنفي فطردته فلم أقدر فتحوّل إلى عيني فزدت في تحريك يدي فتنحى عني بقدر شدة حركتي وذبي عن عيني ولذبان الكلام والغياض والرياض وقع ليس لغيرها ثم عاد إلى فعدت عليه ثم عاد فعدت بأشد

من ذلك فما عاد استعمات كمي فذبت به عن وجهي ثم عاد وأنا في ذلك احث السير
 أو لم بسرعتي انقطاعه عني فلما عاد نزع طياساني من عنق فذبت به عني بدل كمي
 فلما عاود ولم أجده حيلة استعمات المدو فمدوت منه شوطاً لم أتكاف مثله مذكنت
 صبيلاً فتلقاني الأندلسي فقال لي مالك يا أبا عثمان هل من حادثة قلت نعم أريد أن أخرج
 من موضع الذبان على فيه سلطان فضحك حتى جالس وانقطع عني وما صدقت بانقطاعه
 عني حتى تباعد جداً والمساكر أبداً كثيرة الذبان فإذا ارتحلوا لم ير المقيم بمد الظاعن
 منها إلا اليسير وزعم بعض الناس أنهم يتبعن المساكر ويستقطن على المتاع وعلى جلال
 الدواب فاعجاز البراذين التي عليها حتى تؤدي إلى المنزل الآ خر قال المبكي يتبعوننا أيوذونا
 ثم لا يركبون إلا أعناقنا ودوابنا ويقول بعضهم بل إنما يتخاق من تلك العفونات
 والابخرة والانفاس فاذا ذهب ذلك خف ويزعمون أنهم يعرفون ذلك بكثرة في
 الجناب وبقائها في الشمائل قالوا وربما سدنا فم الآنية التي فيها الشراب بالصمامة فاذا
 نزعناها وجدنا ذباباً صفاراً وقال ذو الرمة

وايقن ان القمع صارت نطاقه * فراشاً وان البقل ذاو ويابس

وأخبرني رجل من ثقيف من أصحاب النبيذ أنهم فلقوا السفرجلة أيام السفرجل للنقل
 والأكل وليس هناك من صفار الذبان شيء البتة ولا يمددهم أن يروا على مقاطع
 السفرجل ذباباً صفاراً وربما رصدوها وتأملوها فيجدونها تعظم حتى تلحق بالكبار في
 الساعة الواحدة قال وفي الذبان طبع كطبع الجمالان فهو طبع غريب عجيب ولولا أن
 العيان قهر أهله لكانوا خائفاء أن يدفعوا الخبر عنه فان الجمال إذا دفن في الموردمات
 في المين وفنيت حركته كماها وعاد جامداً تارزاً ولم يفصل الناظر اليه بينه وبين الجمال
 الميت ما أقام على تأمله فاذا أعيد إلى الروث عادت اليه حركة الحياة من ساعته وجربت
 أن ذلك في الخنفساء فوجدت الأمر فيها قريباً من صفة الجمال ولم يبلغ كل ذلك لقربة
 بين الخنفساء والجمال ودخت يوم على ابن أبي كريمة وإذا هو قد أخرج من اجانة كان
 فيها ماء من غسالة أوساخ الثياب وإذا ذبان كثيرة قد تساقطن فيه من الليل فتن هكذا
 كان في رأى العين فقبرن كذلك عشبتن وليتهن والغد إلى انتصاف النهار حتى

انتفخن وعفن واسترخين واذا ابن أبي كريمة قد أعد آجرة جديدة وفئات آجر جديد
 وإذا هو يأخذ الخمس منهن والست ثم يضمهن على ظهر الآجرة الجديدة ويذر عليهن
 من دقاق ذلك الآجر الجديد المدقوق بقدر ما ينعمرها فلا تلبث أن يراها قد تحركت
 ثم مشت ثم طارت الا أنه طيران ضعيف وكان ابن أبي كريمة يقول والله لا دفنت ميتاً
 أبداً حتى ينتزقت وكيف قال إن غلامي هذا نصير مات فأخرت دفنه ابعض الأمر
 فقدم أخوه تلك الليلة فقال ما أظن أخي مات ثم أخذ فتيلتين ضخمتين فروّاهما دهناً
 ثم أشعل فيهما النار ثم اطفأهما وقربهما الى منخريه فلم يلبث أن تحرك وها هو ذا قد تراه
 قلت له ان اصحاب الحروب الذين يغسلون الموتى والاطباء عندهم في هذا دلالات
 وعلامات فلا تحمل على نفسك في واحد من أولئك أن لا تستره بالدفن حتى يجيف
 والمجوس يقربون الميت من أنف السكاب ويستدلون بذلك على أمره فعلامت ان
 الذي عايناه من الذبان قد زاد في عزمه (والنعر ضرب من الذبان) والواحدة نكرة
 وربما دخلت في أنف البعير أو السبع فتورم أنفه للذي يلقى من المكروء بسببه
 فالعرب تشبه ذا الكبر من الرجال اذا صعر خده وزم بأنفه بذلك البعير في تلك الحال
 فيقال عند ذلك فلان في أنفه نكرة وفي أنفه خنزوانة وقال عمر والله لا أقمع عنه أو أطير
 نعرتة (ومنها) إقمع وهو ضرب من ذبان الكلاب وقال أوس

ألم تر أن الله أنزل مرثه * وعفر الأطباء في الكناس تقمع

وذلك مما يكون في الصيف وفي الحر والذبان جند من جند الله شديد الأذى وربما
 كان أضر من الدبر في بعض الزمان وربما أتت على القافلة بما فيها وذلك أنها تفتش
 الدواب حتى تضرب بأنفسها الارض وهي في المفاوز وتسقط فيهلك أهل القافلة لانهم
 لا يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم وكذلك تضرب الرعاء بأبليهم والجمالون
 بجملهم عن تلك الناحية ولا يسلكها صاحب دابة ويقول بعضهم لبعض بادروا قبل
 حركة الذباب وقبل ان تحرك ذباب الرياض والكلاب والزنابير لا تكاد ترمي إذا سمعت
 بأذناها والذبان تغمس خراطيمها في جوف لحوم الدواب وتحرق الجلود الغلاظ حتى
 تنزف الدم نزفا ولها مع شدة الوقع سموم وكذلك البعوضة ذات سم ولو زيد في

بدن البعوضة وزيد في حرقة اسمها الى ان يصير بدنها كبदन الجرادة فإنها أصغر من العقارب لما قام له شيء، والسكان أعظم باية من الجرادة النصبية أضغافا كثيرة وربما رأيت الحمار وكأنه منمر أو مصفر فإنهم مع ذلك يجلبون حمرهم ويبرقونها وما يدعون موضعا الاستروه بجهدهم فربما رأيت الحمير وعليها الرجال بأيديهم المناخس والمذاب وقد ضربت بأنفسها لأرض واستسامت للآوت وربما رأيت صاحب الحمير اذا كان أجيرا يضربها بالعضا بكل جهده فلا تلبث ولا يس جلد البقرة والحمار والبعير عنده خطر واقدم رأيت ذبابا سقط على سائفة حمار كان تحتي فضرب بأذنيه وحك راسه بكل جهة أنا أتأمله وما يقع عنه فعدمت بالسوط لانحنيه به فترا عنه ورأيت مع نزوه عنه الدم وقد انفجر كأنه كان يشرب الدم وقد سد الخرج بفيه فلما انحاد طلع وتزعم العامة أن الذبان يخرب ما شا قالوا لانا نراه يخرب على الشيء الأسود أبيض وعلى الأبيض أسود ويقال قد ونم الذباب في معنى خرب الانسان وعمرا الطائر وصام النعام وذرق الحمام قال الشاعر

وقد ونم الذباب عليه حتى * كان ونيه نقط المداد

وليس طول كوم البعير اذا ركب الناقة والخنزير اذا ركب الخنزيرة باطول ساعة من لبث ذكور الذبان على ظهور الائنات عند السفاد والذباب من الخلق الذي يكون مرة من السفاد والولادة ومرة من تعفن الأجسام والفساد الحاد في الاجرام والبقلاء اذا عتق شيئا في الاقباء استحل كاه ذبابا فربما اغفلوه في تلك الاقباء فيعودون الي الاقباء وقد آتوا من الكوي والخروق فلا يجدون في الاقباء إلا القشور والذباب الذي يخفق من البقلاء يكون دودا ثم يعود ذبابا ما أكثر ما ترى البقلاء متهبا في داخله شيء كأنه مسجوق اذا كان الله قد خلق فيه الذبان وطيرده منه وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق ولو تم جناحه اتمد كان طار وحدثني بعض أصحابنا عن شيخ من اهل الجزيرة قال كنت أحب البقلاء وارتد إنا البصرة وإما بمداد ذهب عني حفظه فصرت في سفينة حملها بقلاء فمات في نفسي هذا والله من الحظ وسعادة الجد ومن التوفيق والتسديد ولقد ربح من وقع له مثل هذا الذي وقع لي اجلس في هذه السفينة على هذا البقلاء فأكل

منه نيا ومطبوخا ومقلوا وارض بمضه وأطحنه وأخمله مرقا وإداما وهو يغذى
غذاء صالحا ويسمن ويزيد في الباء فابتدأت فيما أمته ودفعنا السفينة فأبكرت
كثرة الذبان فلما كان الغد جاء منه ما لم أقدر معه على الاكل والشرب وذهبت القائلة
وذهب الحديث وشغلت بالذب على أنهم لم يكن يبرحن بالذب وان أكثر من أن
أكون أقوى عليهم لاني كنت لأطرد مائة حتى يخلفها مائة مكانها وهن في أول
ما يخرجن من الباقلاء كان بهن زمانة فلما كان طيرانهن أسوأ لحالي فقلت لاملاح ويلان
أي شيء معك حتى صار الذبان يتبعك قدو الله أكلت وشربت قال وايس تعرف
القصة قلت لا والله قال من هذه الباقلاء ولولا هذه البلية لجأنا من الركاب كما يجيئون
الى أصحابنا وما أظنك إلا من قد اغتفر ليلين الكراء وحب التفرد بالسفينة فسألته أن
يقربني الي بعض الفرض حتى أكثرني من هناك الى حيث أريد فقال لي أنتحب أن
أزودك منه قلت ما أحب ان التقي أنا والباقلاء في طريق أبدأ ولذلك كان أبو شمر لا
يأكل الباقلاء وكان أخذ ذلك عن معمر أبي الأشعث وكذلك كان عبد الله بن
مسامة بن محارب والوكيعي ومعمر وأبو الحسن المدائني برهة من دهرهم وكان يقول
لولا أن الباقلاء عنفسد الطبع ردي يخنر الدم ويغاضه ويورث السوداء وكل بلاء
لما ولد الذبان والذبان أقدر ما طار ومشي وكان يقول كل شيء ينبت منسكوسا فهو ردي
للذهن كالباقلاء والباذنجان وكان يزعم ان رجلا هرب من غرمائه فدخل في غابة
باقلاء فتستر عنهم بها فاراد بعضهم إخراجه والدخول فيها طلبه فقال أحكمهم وأعلمهم
كفكم له بموضعه شرأ وكان يقول سمعت ناسا من أهل التجربة يخافون بالله انه ما قام
أحد أربعين يوماً في منبت باقلاء وخرج منه الا وقد أسقمه سقماً لا يزال جسمه وزعم
ان الذي منعت أصحاب الاذهان والتربية بالسمم من أن يربوا السمسم بنور الباقلاء الذي
يمرفون من فساد طبعه وانه غير مأمون على الدماغ وعلى الخيشوم والصماخ ويزعمون
ان عمله القصد الى الاذهان بالفساد وكان يزعم ان كل شيء ردي للعصب فانه يكون
رديا للذهن وان البصل يفسد الذهن إذ كان رديا للعصب وكان يقول سواء على أكلت
الذبان أو أكلت شيئاً لا يولد الا الذبان وهو لا يولده والنسب لا يلد الشيء إلا وهو

أولى الأشياء به وافر بها إلى طبيعته وكذلك جميع الأرحام وفيما ينتج أرحام الأرض وأرحام
الحيوان وأرحام الأشجار وأرحام الثمار فيما يتولد منها وفيها وبيننا أنا جالس يوماً في
المسجد مع فتیان من المسجديين مما يلي أبواب بني سائيم وأنا يومئذ حدث السن إذ أقبل
أبو سيف المروور وكان لا يؤذى أحداً وكان كثير الظرف من قوم سرة حتى وقف علينا
ونحن نري في وجهه أثر الجدة ثم قال مجتهداً والله الذي لا إله إلا هو إن الخرا حلوا
ثم والله الذي لا إله إلا هو يمينا نانية يسألني الله عنها يوم القيامة فقلت له أشهد أنك
لا تأكله ولا تذوقه فمن أين علمت ذلك فإن كنت علمت أمراً فعلنا بما علمك الله
قال رأيت الذبان يسقط على التيزد الحلوا ولا يسقط على الحار ويقع على العسل ولا
يقع على الخل واره على الخرا أكثر منه على التمر افر يدون حجة أبين من هذه فقلت
يا أبا سيف بهذا وشبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب (ثم رجع بنا القول في ذكر
خلق الذبان من الباقلاء) وقد أنكر ناس من العوام وأشبهاء العوام أن يكون شيء
من الخلق كان من غير ذكر وأنثى وهذا جهل بشأن العالم وبافسام الحيوان وهم
يظنون أن على الدين من الافرار بهذا القول مضررة وایس القول كما قالوا وكل قول
يكذبه الميان فهو خش خطأ واسخف مذهباً وأدل على معاندة شديدة أو غفلة مفرطة
وان ذهب الذاهب الى أن لا يقیس ذلك على مجاز ظاهر الرأي دون القطع على غیب
حقائق العلل فاجراه في كل شيء وقال قد لا يدفعه العيان أيضاً مع انكار الدين له وقد
علمنا ان الانسان يأكل الطعام ويشرب الشراب وایس فیها حية ولا دودة فيخلق
منها في جوفه الوان من الحيات وأشكال من الديدان من غير ذكر ولا أنثى ولكن
لا بد لذلك الولاد واللقاح من ان يكون عن تناكح طباع وملاقات أشياء تشبه بطباعها
الأرحام وأشياء تشبه في طباعها ما تمحلت الأرحام وقد قال الشاعر

فاستنكح الليل البهيم فالتقت * عن هيجه واستنتجت أحلاما

وقال الآخر

وإذا الأمور تناكحت * فالجود أكرمها نتاجا

وقال ذو الرمة

وانى لملاج اذا ما تناحت * مع الليل أحلام الهدان المثلث
وقال علي بن معاذ

للبدر طفل في حصان الهوى * متزلق من رحم الشمس
وقال دكين الراجز

وقد تعالت ذميل العنس * بالسوط في ديمومة كالندس
* اذ عرج الليل بروج الشمس *

وقال أمية بن أبي الصات

والأرض نوخها الاله طروقة * للماء حتى كل زبد مسند
والأرض مقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نوء
وذكر أمية الأرض فقال

والطوط نزرعه فيها فنايسه * والصوف نجتزه ما أدفا الوبر
هي القرار فما نبغى لها بدلا * ما أرحم الارض الا اننا كفر
وطمنة الله في الاعداء نافذة * تعي الاطباء لا يلوى لها السبر

ثم رجع اليها فقال

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت * ونحن أبناؤها لو اننا شكر

وتقول العرب الشمس أرحم بنا فاذا سمع السامع منهم ان جالينوس قال عليكم بالبقلة
الرحيمة يريد السلقة استشنعه السامع واذا سمع قول العرب الشمس أرحم بنا وقول أمية
* ما أرحم الارض إلا اننا كفر * لم يستشنعه وهما سواء فاذا سمع أهل الكتاب
يقولون ان عيسى ابن مريم أخذ في يده اليمنى غرفة وفي اليسرى كسرة خبز ثم قال
هذا أبى وهذه أمي لكسرة الخبز والماء استشنعه فاذا سمع قول أمية

والارض نوخها الاله طروقة * للماء حتى كل زبد مسند

لم يستشنعه والاصل في ذلك أن الزنادقة أصحاب الفاظ في كتبهم وأصحاب تهويل لانهم
حين عدمو المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل مالو الى تكلف ما هو أخصر وأيسر
وأوجز كثيراً ولكل قوم الفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب

كلام منشور وكل شاعر، وصاحب كلام موزون فلا بد من أن يكون قد لهج والف
الفاظاً بأعينها أيديرها في كلامه، وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ فصيار
حظ الزائدة من الالفاظ التي سبقت الى قلوبهم واتصت بطباقتهم ووجرت على
اللسنهم التناكح والتتبع والمزاج والنور والظلمة والدفاع والبقاع والساتر والناصر
والمنجل والبطلان والوجدان والأثير والصدق وعمود الصبح وأشكالاً من
هذا الكلام نصاً وإن كان غريباً من فوضى مجوراً عند أهل ملتنا ودعوتنا
وكذلك هو عند عوامنا وجمهورنا ولا يستعمله الا الخاص والا المتكلمون وأنا
أقول في هذا قولاً وأرجو أن يكون مرضياً ولم أقل أرجو لاني أعلم فيه خلافاً ولكني
أخذت بأداب وجود أهل دعوتي وماتى وانتي وجزيرتي وجزيرتي وهم العرب وذلك
أنه قيل لصحاف العبدى ما يقول لرجل لصاحبه عند تذكيره أياديه واحسانه قال اما
نحن فإننا نرجو أن نكون قد باعنا من اداء ما يحب علينا ما باعنا مرضياً وهو يعلم انه قد وفاه
حقه الواجب وتفضل بما لا يجب قل صحار كانوا يستحبون أن يدعوا للقول متنفساً
وإن يتركوا فيه فضلاً وإن يجافوا عن حق إن أرادوا لم يمنوا منه فلذلك قلت أرجو فافهم
فهمك الله تعالى فإن رأي في هذا الضرب من هذا اللفظ أن أكون مادمت في المعاني
التي هي عبارتها والمادة فيها أن اللفظ بالشئ العتيد الموجود وأدع التكليف لما عسى
أن لا يسهل ولا يسهل الا بعد لرياضة الطويلة وأرى أن اللفظ بالفاظ المتكلمين مادمت
خائضاً في صناعة الكلام مع خاص أهل الكلام فإن ذلك افهم عندي واخف لمؤتمهم
على واكل صناعة الفاظ قد حصت لاهابها بمدام تجان سواها فلم تلزق بضاعتهم الا بمدان
كانت مشاكلة بينها وبين تلك المعاني الصناعة وبيعح بالمتكلم ان يفتقر الى الفاظ
المتكلمين في خطبة أو رساله أو في مخاطبة العوام والجار أو في مخاطبة أهله وعنده
وامته أو في حديثه إذ حدث أو خبره إذ أخبر وكذلك من الخطايا أن يجب الفاظ
الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل والسكل مقام مقال والسكل
صناعة سكل (ثم رجع بنا القول) الى ما يحدث الله عز وجل من خاتمه من غير ذكر ولا
أنتي فلنأنا انه لا بد في ذلك من تلاقي أمرين يقو ان مقام الذكر والانتى ومقام الارض

والمطر وقد تقرب الطبايع من الطبايع وان لم تتحول في جميع معانيها كالتقطعة والدم
وكاللبن والدم وقد قال صاحب المنطق اقول بقول عام لا بد لجميع الحيوان من دم او من شكل
يشاكل الدم ونحن قد نجد الجيف يخلق منها الديدان وكذلك العذرة وكذلك الجوسى
كلما تبرز ذر على برازه شيئاً من التراب ائلا يخلق منها ديدان والجوسى لا يتعوط في
الآبار والبلايع لانه بزعمه يكرم بطن الارض عن ذلك ويزعم ان الارض احدا
الاركان التي ثابتت العوالم الخمسة اعياها بزعمهم البرسارس والبرمارس وباردس
وكارس وحريرة امنة وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد اسرس ولذلك لا يدفنون
موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ويضعونهم في النواميس وضعا قالوا ولو استطعنا ان
نخرج تلك الجيف من ظهور الارض وأجواف الاحرار كما أخرجناها من بطون الارض
لقلنا وهم يسون يوم القيامة روز سهرهار كانه يوم تقوم الجيف فن بعضهم لا بدان الموتى
سهوها باسمج اسماءهم قاوا وعلى هذا المثال أعظمنا النار والماء ولبسأبا حق بالتعظيم من
الارض وبعد فنحن نزرع الصمامة من رؤوس الآنية التي يكوفها بعض الشراب فتجد
هنالك من الفراش ما لم يكن عند ذكر ولا اشي وانما ذلك لاستحالة بعض اجزاء الهواء
وذلك الشراب إذا انضم عليه ذلك الوعاء وهذا قول ذي الرمة وتأويل شعره حيث يقول
وأبصرت ان النقع صارت اطافه * فراسا وان البقل ذاو ويا بس

وكذلك كل ما تخلق من جمار النخلة وفيها من ضروب الخلق والطير واشباه ذلك بنات ووردان
وان الذي يسمى بالفارسية تاردادوكالسوس والقوادح والارضة ووايس بين بنات ووردان
والزنابير فرق ولا بين الزنابير والدبرواخنافس فرق ولا بين العصافير والزرايزر فرق فاذا
فرغوا خشاش الارض صاروا الى بغائهم الى احرارهم الى الطواويس والتدارج والفراريج
والزماج حتى يصعدوا الى الناس قيل لهم ليس ذلك كذلك ينبغي انكم بدياً ان تعرفوا الطبيعة
والعادة الغريزة من الطبيعة العامة والممكن من الممتنع وان الممكن على ضربين فمنه الذي
لا يزال يكون ومنه الذي لا يكاد يكون وما علة الكثرة والقلة ويعرفون ان الممتنع أيضاً
على ضربين فمنه ما يكون علة موضوعة يجوز دفعها وما كان منه لالعلة التي لا يجوز دفعها
وهي على كل حال علة وبين الامتناع الذي لالعلة له غير الشيء وجنسه وينبغي ان تعرفوا فرق

ما بين الحال المتنع وما يستحيل كونه من الله عز وجل وما يستحيل كونه من الخلق
 فاذا عرفتم الجواهر وحفظوها من القوي فمعد ذلك فتماطوا الانكار والافرار والا
 فكونوا في سبيل المتعلم أو في سبيل أثر الراحة ساعة على ما يورث كد التعلم من راحة
 لا بد قد يكون أو نجى على جهة التوايد وشئ يمد في الوهم من غيره لان حقائق
 الأمور ومغيبات الاشياء لا ترد الى ظاهر الرأي وانما يرد الى الرأي ما دخل في باب
 الجزم والاضافة وما هو أصوب وأقرب الى نيل الحاجة وليس عند الرأي علم بالنصح
 والا كداء كنجو مخارج الزجاج من الرمل وإمتناع الشبه والزئبق من أن يتحول في
 طبع الذهب والنفضة والزئبق أشبه بالنفضة المائعة من الرمل بالزجاج الفرعوني والشبه
 الذهب بالذهب الا برز أشبه من الرمل بفائق الزجاج النقي الخاص الصافي ومن
 العجب ان الزجاج وهو مولد قد يجرى مع الذهب في كثير من اواخر الذهب اذ
 كان لا يغير طبعه ماء ولا أرض والنفضة التي ليست بمواده اذا دفنت زماناً غير
 طويل استجحات أرضاً فأما الحديد فإنه في ذلك سريع غير بطيء وقد زعم ناس ان
 الفرق الذي بينهما انما هو ان كل شئ له في العالم أصل وخيرة لم يكن كالشيء الذي يكتب
 ويحتلب ويانق ويلزق وان الذهب لا يتلو من أن يكون ركناً من الأركان قديماً منذ
 كان الهواء والماء والناز والأرض فإن كان كذلك فهو أبعد شئ من أن يولد للناس مثله
 وان كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض بان يصادف من الأرض جواهر أو من
 الهواء الذي في خلالها جواهر أو من الماء للملابس لها جواهر أو من النار المحصور فيها
 جواهر مع مقدور من طول مرور الزمان ومقدار من مقابلات البروج فإن كان
 الذهب إنما هو نتيجة الجواهر على هذه الاسباب فواجب ان لا يكون الذهب أبداً
 الا كذلك فيقال لهؤلاء أرضهم النار التي خلقت من صلب جرد ورحم فارة وزعمتم
 انها فارة على مقابلة من لاور السماوية والهوائية والارضية وكانت نتيجة هذه الخصال
 مع استبقاء مدة صفات التسايف وجدنا فارة أخرى تهبها من أرحام الارضين ومن
 حضانه لهُ ومن تلقيح لها ومن المقابلات السماويات والهوائيات فالزمان أصار
 جميع ذلك سبباً للنارة مثلها وكذلك كما عددنا فنأين يستحيل ان يحلها إنسان بين

مائة طبيعة ومائة جوهر أما من طريق التبديد والتقريب ومن طريق الظنون والتجريب
 ومن طريق أن يقع ذلك اتفاقاً كما صنع الناطف الساقط من يد الأجير في مذاب
 الصفر حتى أعطاه ذلك اللون وجلب ذلك النفع ثم ان الرجال دبرته وزادت ونقصت
 حتى صار شها ذهبيا هذا مع النوشاذر المولد والحجارة السوداء فلو علم ان ذلك قائم
 الجوهر في العتل مطرد في الرأي غير مستحيل في النظر ولكننا وجدنا العالم بما فيه
 من الناس منذ كانوا فان الناس ياتسون ويتصبون له ويكافون به فلو كان هذا الأمر
 يحى من وجه الجمع والتفريق والتركيب ومن وجه الاتفاق لقد كان ينبغي أن يكون
 ذلك قد ظهر من الوف سنين وألوف إذ كان هذا المقدار اقل ما تؤرخ به الامم وكان
 هذا مقبولا غير مردود وعلى انه لم يتبين لنا منه انه يستحيل ان يكون الذهب الا من
 حيث وجد وليس قرب كون الشيء في الوهم بموجب لكونه ولا بمداه في الوهم
 بموجب لامتناعه ولو ان قائلنا قال ان هذا الامر قد يحتاج الى ان تنهيا له طباع الأرض
 وطباع الماء وطباع النار ومقادير حركات الفلك ومقدار من طول الزمان فتمت لم تجتمع
 هذه الخصال وتكمل هذه الأمور لم يتم خلق الذهب وكذلك قد يستقيم ان يكون
 قد تنهيا لو احد ان يجمع بين شكل الجواهر فزجها على مقادير وطبخها على مقادير واعانها
 مقدار من الزمان وقابلت مقداراً من حركات الاجرام السماوية وصادفت العالم بما فيه
 على هيئة وكان بعض ما جرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً فلما اجتمعت جاء منها ذهب
 فوق ذلك في خمسة آلاف سنة مرة ثم اراد صاحبه المعاودة فلم يقدر على امثال مقادير
 طبائع تلك الجواهر ولم يضبط مقادير ما كان قصداً اليه في تلك المدة واخطا ما كان
 وقع له اتفاقاً ولم يقابل من النلك مثل تلك الحركات ولا من العالم مثل تلك الهيئة فلم
 يعد له ذلك فان قال لنا هذا القول وقال أثبتوا لي وضع احالته ولا تحتجوا بتباعد الأمور
 فيه فانا نقر لكم بتباعدها هل كانت عندنا في ذلك قول مقنع والدايل الذي تلج به
 الصدور وهل عندنا في استطاعة الناس ان يولدوا مثل ذلك الابان يعرض هذا القول
 على العقول السليمة والافهام التامة ويردوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والكتب
 فاذا وجدنا هذه الامور كلها باقية له كان ذلك عندنا هو المقنع وليس الشأن فيما يظهر

اللسان من الشك فيه والتجوز له والمكن اي رده الى العقل فانه سيجمده منكرها ونافيا
 فاذا كان العقل سايبا من آفة المرض ومن آفة التخجيل والتخجيل ضروب تخجيل من
 المرار وتخجيل من الشيطان وتخجيل آخر كالرجل يعمد الى قاب رطب لم يتوقع وذهن
 لم يستمر فيجمه على الدقيق وهو بعد لا يفي بالجليل ويخطي المقدمات متكشفا بلا اماراة
 فرجع حيران بلا يقين وغير زمنا لا يعرف الا الخواطر الفاسدة التي متى لاقى القاب
 على هذه الهيئة كانت ثمرتها الخيرة والقاب الذي يفسد في يوم ولا يداوى في سنة
 والبناء الذي ينقض في ساعة ولا يبني مثله في شهر

— — — — —

— ثم رجع بنا القول الى ذكر الذبان —

قيل العلوية كلب المطبخ أى شئ معني قولهم هذا نبيذ ينفع جانبه قال يريد ان
 الذبان لا يدنو منه وكان الرقائبي حاضراً فأشدد قول ابن عبدل

عشش العنكبوت في معدنى * ان ذا من رزيتى اعظيم
 ليتنى قد عمرت ذنى حتى * ابصر العنكبوت فيه يعوم
 غرقا لا يغيبه الدهر الا * زيد فوق رأسه مركوم
 مخرج كفه ينادى ذبابا * ان اغثنى فانى مغوم
 قال دعنى فان اطيق دنوا * من شراب يشمه المزكوم

والذبان يضرب به المثل في الفذر وفي استطابة النتن فاذا عجز الذباب عن شم شئ فهو
 الذي لا يكون اتن منه ولذلك حين رمى ابن عبدل محمد بن حسان بن سعيد بالبحر قال

وما يدنوا الى فيه ذباب * ولو طابت مشافره بقنيد
 برون حلاوة ويختن موتا * وشيكا ان محمنا له بورد

ويقال لكل أبحر أبو ذبان وكانت فيما زعموا كنية عبد الملك بن مروان وأشدد قول
 ابن خرابة

امسى ابو ذبان مخاوع الرسن * خلع عنان قارح من الرسن
 * وقد صنفت بيعتنا لابن الحسن *

وقال رجل يهجو هلال بن عبد الملك الهناني

ألا من يشتري مني هلالا * مودته وخائنه بفاس
وابراً للذئب يتباع مني * هلالا من خصال فيه خمس
فنهن النعناع والمكوى * وآثار الجروح وأكل ضرس
ومن أخذ الذباب باصبعيه * وان كان الذباب برأس جمس

قالوا وضرب الله عز وجل لضعف الناس وعجزهم مثلاً فقال (يا أيها الناس ضرب مثل
فأتمموا له ان الذين تدعون من دين الله ان يخفوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلمهم الذباب
شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) فقال بعض الناس قد سوى بين
الذبان والناس في العجز وقالوا فقد يولد الناس من الثعابين الفراس وهذا خناق على قوله
(واذ نخاق من الطين كهيئة الطير) وعلى قوله (أحسن الخالقين) وعلى قول الشاعر

وأراك تفرى ما خاقه * وت وبعض القوم يخاق ثم لا يفرى

قبل لهم إنما أراد الاختراع ولم يرد التقدير وأما قول ابن مبادة

الا لانبالي ان تخندف خندف * ولسنا نبالي أن يطن ذبابها

فإنما جعل الذباب هاهنا مثلاً وقد وصفه في موضع تحقير وتصغير وهو مثل قوله

بني أسد كونوا لمن قد علمتم * موالى ذات للهوان رقابها

ولو حاربنا الجن لم نرفع القنا * عن الجن حتى لا تهر كلابها

وليس يريد الكلاب ويقال هو ذباب العين وذباب السيف ويقال تلك أرض مذبة أي

كثيرة الذباب وقال أبو الشمقمق في هجائه لبعض من إبتلى به

أسعج الناس جميعاً كلهم * كذباب ساقط في مرقعة

وسمعت أبا حكيم الكيموي وهو يقول للامة بن أشرس فلما لکم اننا ندلکم على الا کبير

فاستثقتم الغرم وأردتم الغنم بلا غرم وقلنا لکم دعونا نصنع هذه الجسور التي تبدها

المدود ونخر بها المداري نحن نعمل لکم مسببات بنصف هذه المؤونة فنبتی لکم أبداً ثم

قولوا للمدود ان تجتهد جهدها وللمداري ان تبلغ غايتها وقولوا الى الذباب ما ترجون

منه وتشتهون من البعوض وما رغبتکم في الجرجس لم لا تدعوني أخرجها من بيوتکم

بالمؤونة اليسيرة وهو يقول هذا القول وأصحابنا يضحكون وابن مسافر جالس يستمع فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به الى منزله فغداه وكساه وسقاه ثم قال له أحببت أن تخرج البعوض من داري وأما الذباب فاني أحتمله قال ولم تحتمل الأذى قد جاءك الله بالمرج قال فافعل قال لا بد لي من أن أخلط أدوية قال فكم تريد قال شيئاً يسيراً قال فكم مبلغه قال أريد خمسين ديناراً قال ويحك خمسون يقال لها يسير قال أنت لست تشتهي الراحة من قذر الذبان واسع البعوض ثم لبس نعليه وقام على رجله فقال له أقصد قال إن قعدت قبل أن آخذها ثم إشتريت دواء بمائة دينار لم تنفع به فاني لست أدخل هذه الدخنة الا للذين إذا أمرتهم بأخراجهن اخرجوهن ولا تشك اني لست أقصد الا القمار فما هو الاصك سمه بذكر القمار فذهب عقله ودعاه بالكيس ليزن الدنانير فقال له لا تشق على نفسك هاتهما بلا وزن وعدد وإنما خاف ان تحدث حادثة أو يقع شغل فتفوت فعدها وهو زرع فعاط بمشرة دنانير فلما انصرف وزنها وعدها فوجدنا دنانير تنقص فكتب اليه يقتضيه الفضل فضحك أبو حكيم حتى كاد يموت ثم قال تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل يختلف اليه ويدافعه حتى قال له ثامة ويالك يا مجنون قد ذهب المال والسخرية مستورة فان نافرته فضحت نفسك وربحت عداوة شيطان هو والله أضر عليك من عمار بيتك الذين ليسوا يخرجون عنه الذباب والبعوض بلا كلفة مع حق الجوار قال هم سكانى وجيرانى قالوا لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكرامة لكانت الخمسون ديناراً مائة دينار ومما قيل في أصوات الذباب وغنائها قال المثقب العبدى

وتسمع للذباب اذا تغنى * كتغريد الحمام على الغصون

وقال آخر حر مساره تغنى * في غياطه ذبابه

وقال أبو النجم أتعترى ذبابة تعاله * من زهر الروض الذى يكاله

وقال أيضاً فالروض قد نور في عزائه * مختلف الالوان في أسمائه

نوراً تحال الشمس في حمرائه * مكالا بالورد من صفرائه

يجابوب المكاء من مكانه * صوت ذباب العشب في درمائه

يدعوا كذى العقب من مكانه * صوت مغن مدنى غنائه

وقال الشماخ

يكافها ان لا تخفّض صوتها * أهاريج ذبان على عود عوسج
 بعيدمدى التطريب أول صوته * سيحل وأعلاه نشيج أنحسج
 والاجناس التي توصف بالغناء أجناس الحمام والبعوض وأصناف لذبان من
 دبر والنحل والشعراء والقمع والنمرا وليس لذبان الكلب غناء ولا لما يخرج من الباقلاء
 ل الشاعر

تذب عنها بايث ذابل * ذبان شعراء وصيف ماذل
 ذبان الشعراء حمر قال والذبان التي تهلك الابل زرق قال الشاعر
 تربعت والدهر ذو تصنق * خالية بذني سيب موق
 الامن أصوات الذباب الازق * ومن نقائق الفلا المنفق
 اذباب الذي يسقط على لدواب أصفر وقل أرطاة ابن سبية لزميل بن أمزير
 أزميل إني إن أكن لك جازيا * أعكر عليك وان تزع لاتسبق
 انى امرؤ تجد الرجال عداونى * وجد لركاب من الذباب الازرق
 وامر بك الشعر الذي يصالح للمثل وللحنظ فلاناس حضاك من حنظله وقال المتلمس
 فهذا أوان العرض حى ذبابة * زناييره ولازرق المتلمس
 وسمى المتلمس وقال ابن ميادة

بعنتريس كان الدبر يلمسها * اذا تغرد حاد خلفها طرب
 وليل على أن أجناس النحل والدبر كلها ذبان ما حدث عباد بن صهيب واسماعيل
 المدع عن الاعمش عن عطية بن سعيد العوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ذباب فى النار الا النحلة وقال سليمان سمعت مجاهدا يكره قتل النحل واحرق
 العم يعنى فى الغزو وحدثنا عنبة قال حدثنا حنظلة السدوسى قال أنبأنا أنس بن مالك
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر الذباب أربعةون يوما والذباب فى النار وقد
 اخب الناس فى تأويل قوله والذباب فى النار وقال قوم الذباب خلق خلق النار كما
 خلق الله تعالى ناسا كثيرا للنار وخلق أطفالا للنار فهو لاء قوم خلعوا عندهم فصار

أحدهم اذا قال ذلك عدل من الله عز وجل فقد بلغ أقصى العذر ورآى أنه اذا أضاف اليه عذاب الاطفال فقد مجده ولو وجد سبيلا إلى أن يقول ان ذلك ظلم لقاله ولو وجد سبيلا إلى أن يزعم أن الله تعالى يخبر عن الشيء أنه يكون وهو لا يكون ثم يقول الا ان ذلك صدق لقاله الا انه يخاف السيف عند هذه ولا يخاف السيف عند تلك وان كانت تلك أعظم بسبب الترية من هذه وبعضهم يزعم أن الله عز وجل إنما عذب اطفال المشركين لينعم بهم آباؤهم ثم قال المتعاملون منهم بل عذبهم لانه هكذا شاء ولان هذاه فليت شعري يحتسب بهذا القول في باب التمجيد لله تعالى لان كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود وكل من لم يخف سوط أمير أتى قبيحا فالذى يحس ذلك التقيح ان صاحبه كان في امن أو لانه آمن يمتنع من مطالبة الساطان فكيف وكون الكذب والظلم والعبث واللاهو والضحك كله محال ممن لا يحتاج اليه ولا تدعوا اليه الدواعي وزعم ابو اسحاق ان الطاعات إذا استوت استوى أهلها في الثواب وان المعاصي إذا استوت استوى أهلها في العقاب وإذا لم يكن منهم طاعة ولا معصية استتوا في التفضيل وزعم ان أجناس الحيوان يحس ويألم في التفضيل سواء وزعم أن اطفال المشركين والمسلمين كلهم في الجنة وزعم انه ايس بين الاطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق ولا بين السباع في ذلك وبين البهائم فرق وكان يقول ان هذه السبعية والبهيمية لا تدخل الجنة ولكن الله عز وجل ينقل تلك الارواح خالصة من تلك الآفات فيركبها في أى الصور الحسان أحب وكان ابو كلدة ومعمار وابو الهذيل وصحصح يكرهون هذا الجواب ويقولون سواء عند خواصنا وعوامنا قلنا ان ارواح كلابنا تدخل الجنة أو قلنا ان كلابنا تدخل الجنة ومتى ما اتصل كلابنا بذكر الكلب على أى وجه كان فكأننا عندهم قد زعمنا أن الجنة فيها كلاب والكلاب نزعنا ان جميع ما خلق الله تعالى من السباع والبهائم والحشرات والهمج قبيح المنظر مؤلم أو حسن المنظر منذ ما كان كالخيل والغباء والطواويس والتداريخ فإن تلك الجنة وتلك أولياء الله عز وجل بمنظرها وما كان منها قبيحا في الدنيا مؤلم المنظر جملة الله عذابا إلى عذاب أعدائه في النار اذ جاء في الاثر ان الذباب في النار وغير ذلك من الخلق فانما يراد به هذا المعني

وذهب بعضهم الى أنها تكون في النار وتلذ بذلك كما ان خزنة جهنم والذين يتولون
 من الملائكة التعذيب يلدون موضعهم من النار وذهب بعضهم الى ان الله تعالى يطعمهم
 على استلذ النار والعيش فيها كما طبع حيوان الثايج والخل على العيش في أما كتبها وذهب
 آخرون الى ان الله عز وجل يحدث لا بدانهم علة لاتصل النار اليها وتتم قلوبهم وابدانهم
 من وجه آخر كما شاء وقالوا قد وجدنا الناس يحتلون لانفسهم في الدنيا حيلة حتى يدخل
 أحدهم بعض الناس بذلك الطلا ولا تضره النار وهو في معظمها وموضع الجماع منها
 ففضل ما بين قدرة الله وقدرة عباده كفضل ما بين قوة حر نار الدنيا والآخرة وذهب
 بعضهم الى أن سبيلهم فيها كسبيل نار ابراهيم فانه لما قذف فيها بعث الله عز وجل ملكا
 يقال له الظل فكان يحدثه ويؤنسه فلم تصل النار الى أذاه مع قربه من طبع ذلك الملك
 وكيف دار الأمر في هذه الجوابات فإن أخسها واشنعها أحسن من قول من زعم أن
 الله تعالى يعذب بنار جهنم من لم يسخطه ولا يعقل كيف يكون السخط ومن العجب
 أن بعضهم يزعم أن الله تعالى انما عذبه لينعم آباءه وانما يفعل ذلك من لا يقدر على أن يوصل
 اليهم ضعف الاغتمام وضعف الألم لذي ينالهم بسبب انائهم فأما من يقدر على الاتصال
 ذلك المقدر الى من يستحقه فكيف يوصله ويصرفه الى من لا يستحقه وكيف يصرفه
 الى من لا يستخطه دون من اسخطه وقد سمعوا قول الله عز وجل (يود المجرم لو يفتدى
 من عذاب يومئذ بنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا
 ثم ينجيه كلا انها لظي نزاعة للشوى) وكيف يقول هذا القول من يتلو القرآن (ثم يرجع
 بنا القول الى الذبان) وأصناف الذبان والذبان أجهل الخلق لأنها تغشى النار من ذات
 أنفسها حتى تحترق وقال الشاعر

ختمت النواد على حبا * كذاك الصحيفة بالخاتم
 هوت بي الى حبا نظرة * هوي الفراشة للجاحم

وقال آخر

كان مشافر النجدات منها * اذا مامسها قمع الذباب
 بأيدي متائم متساعدات * نعال السبت أو عرب الثياب

وقال بعض الشعراء يهجو حارثة بن بدر الغداني

زعمت عذانة أن فيها سيداً * ضحياً يوازنه جناح الجندب

وزعم ناس أنه قال

يرويه ما يروى الذباب فينتشى * سكرًا ويشبمه كراع الجندب

قالوا لا يجوز أن يقول يرويه ما يروى الذباب ويوازنه جناح الجندب ثم يقول ويشبمه

كراع الأرنب وأما سماعي فهو الرواية الأولى

يرويه ما يروى لذباب فينتشى * سكرًا ويشبمه كراع الأرنب

وانما ذكر كراع الأرنب لأن يد الأرنب قصيرة ولذلك تسرع الصمود ولا يلحقها من

الكلاب الاكل قصير اليد وذلك محمود من الكلاب والفرس يودف بقصر الذراع

وحدثني الحسن بن إبراهيم العلوي قال مررت بخالي واذا هو وحده يضحك فأذكرت

ضحكك لأنني رأيتك وحده فأذكرته لأنه كان رجلاً زميتاً ركيناً قليل الضحك فسألته

عن ذلك فقال أتاني فلان يعني شيخاً مديناً وهو مذعور فقات له ما وراءك فقال أنا

ولله هارب من بيتي قلت ولم قال في بيتي ذباب أزرق كلما دخات دار في وجهي وطار

حولى وطن على أذني فاذا وجد مني غنلة لم يخطيء مؤق عيني هذا والله أبه ودأبي

دهراً معه قات له إن شبيهه الذباب بالذباب كشبهه الغراب بالغراب فعمل الذي آذاك

اليوم أن يكون غير الذي آذاك أمس وامل الذي آذاك أمس غير الذي آذاك أول

أمس فقتل عقب ما ملك إن لم تكن أعرفه منذ خمس عشرة سنة فهذا هو الذي

أضحكني وقال الخليل بن يحيى قد رأيت الخنزير يركب الخنزيرة عامة نهاره ورأيت الجمل

يركب الناقة ساعة من نهاره وكنت قبل ذلك أعبط المصفور والمعصم وان الذكر وان

كانت سريع النزول عن ظهر لائشي فإنه لسرعة العودة والكثر العدد كانه في معنى

الخنزير وجمن حتى رأيت الذباب وفطنت له فاذا هو يركب لذبابه عامة نهاره فقال له محمد

ابن عمر البكر أوى ليس ذلك هو السفاد قال أما الذي رأت العينان فهذا حكمه فان

كنت تريد أن تطيب نفسك بانكار ما تعرف مما قسم الله عز وجل بين خلقه من

فضل الله فدونك ويزعمون أن المولى في ذلك ما ليس عند غيره

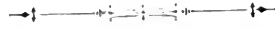
وأشده ابن داحة في مجلس أبي عبيدة قول السيد الحميري

أترى ضهاكا وإينها وإين إينها * وأبا فحافة آكل الذباب
كانوا يرون وفي الأمور عجائب * يأتي بهن تصرف الأزمان
ان الخلافة في ذؤابة هاشم * فيهم تصوير وهيبة السلطان

وكان ابن داحة رافضياً وكان أبو عبيدة خارجياً صنفياً فقال له ما معناد في قوله آكل الذباب فقال لأنه كان يذب عن عطر ابن جدعان قال ومتى احتاج المطارون الى المذاب قال غلطت إنما كان يذب عن حيسة ابن جدعان قال فابن جدعان وهشام بن المغيرة كان يحاس لاحدهما الحيسة على عدة أنطاع فكان يأكل منها الراكب والقائم والقاعد فابن كانت تقع مذبة أبي فحافة من هذا الجبل قال كان يذب عنها ويدور حولها فضحكوا منه فهجرت مجاسه سنة قال وفي باب تحقير الذبابة وتصغير قدرها يقول الرجل لو كانت الدنيا تساوي عند الله تعالى جناح ذباب ما أعطى الكافر منها شيئاً وعندنا بالبصرة في الذباب أعجوبة لو كانت بالشامات أو بمصر لأدخلوها في باب الظلم وذلك ان التمر يكون مصبوباً في بيادر التمر في شق البساتين فلا ترى على شيء منها ذبابة لاني الليل ولا في النهار ولا في البرد ولا في انصاف النهار نعم وتكون هناك المعاصر ولأصحاب المعاصر ظلال ومن شأن الذباب الفرار من الشمس الى الظل وإنما تلك المعاصر بين تمر رطبة ودبس ثم لا تكاد ترى في تلك الظلال والمعاصر في انصاف النهار وفي وقت طلب الذبان البكن الادون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبان وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشق الذي فيه البساتين فان تحول شيء من تلك البادية الى جميع ما يقابلها في نواحي البصرة غشيه من الذبان ما عسى أن لا يكون بأرض الهند أكثر منه وليس بين جزيرة نهر ديبس وبين موضع الذبان الا فيض البصرة ولا بين ما يكون من ذلك بنهر أذرب وبين موضع الذبان مما يقابله الا فرسخان وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ولا تكون تلك المسافة الا مائة ذراع أو يزيد شيئاً أو أنقص شيئاً وأعجوبة أخرى وهي عندي أعجب من كل شيء صدرنا به جملة القول في الذباب فن العجب أن يكون بعض الحيوان لا ينام كالعصافير والتنوط فانها اذا كان الليل فان

أحد هاتين من غصن الشجرة ويضم عليه رجله وينكس رأسه ثم لا يزال يصيح حتى يهرق النور والآخر لا يزال يتنقل في زوايا بيته ولا يأخذه القرار خوفا على نفسه فلا يزال كذلك وقد تمت قبل ذلك مما على ظهور الأشجار مما يشبهه بالليف فنشه ثم مثل منه حبلا ثم عمل منه كهيئة القنطرة ثم جعله مدلا بذلك الجبل وعقدته بطرف غصن من تلك الأغصان إلا أن ذلك بترصيع ونسج ومدخلة عجيبية ثم اتخذ عشه فيه ويأوى إليه مخافة على نفسه والأعراب يزعمون أن الذئب شديد الاحتراس وأنه يراوح بين عينيه فتكون واحدة مطبقة نائمة والأخرى مفتوحة حارسة ولا يشكون أن الأرنب تنام مفتوحة العينين وأما الدجاج والكلاب فإنما تعرف عتولهما في النوم ثم ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس فاما للدجاج فإنه يفعل ذلك من الجبن وأما للكلب فإنه يفعل ذلك من الاحتراس وجاءوا كلهم يخبرون أن الفرائق والكرابي لا تنام أبداً إلا في أبعاد المواضع من الناس وأحرزها من صغار سباع الأرض كالتملب وابن آوى وأنها لا تنام حتى تتلد أمرها رئيساً وقائداً وحافظاً وحارساً وإن الرئيس إذا أعيان رفع إحدى رجله ليكون أيقظ له وساطان النوم معروف فأى رجل ممن يفرق في البحر ليعتصم بالشرع وبالعود وبغير ذلك وهو يعلم أن النوم متى خالط عينيه استرخت يده ومتى استرخت يده باينه الشيء لذي كان يركبه واستعصم به وأنه متى يأتيه لم يقدر عليه ومن عجز عن اللحاق فقد عطب ثم هو في ذلك لا يخلو إذا سهر ليلة أو ليلتين من أن يغلبه النوم ويقهره وأما أن يحتاج إليه الحاجة التي يريد الرائي الخوان وفساد العنق المغمور بالعادة الحادثة أنه قد تمكن أن يفنى وينتبه في أسرع الاوقات وقبل أن تسترخي يده كل الاسترخاء وقبل أن يباينه الخشبة أن كانت خشبة وليس في جميع ما رأينا وروينا في ضروب نوم الحيوان أعجب من نوم الذبان وذلك أنها ربما جمعت أوها دورة الباب وقد غشوه بطانة ساج أو لس كأنه صفاة فإذا كان الليل لزمت به وجمعت قوائمها مما يليه وعانقت أهدنها إلى الهواء فإن كانت لا تنام البتة ولا يخالطها عزوب المعرفة فهذا أعجب أن تكون أمة من أمم الحيوان لا تعرف النوم ولا تحتاج إليه وإن كانت تنام ويعزب عنها ما يعزب عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا فما تخلوا

من أن تكون قابضة على مواضع قائمها ممسكة بها أو تكون مرسله لها فان كانت مرسله لها فكيف لم تسقط وهي اقل من الهواء وان كانت ممسكة لها فكيف يجامع التشدد والتثبيت النوم ونحن نرى كل من كان في يده كيس دراهم أو حبل أو عصا فإنه متى خالط عينه النوم استرخت يده وتفتحت أنامله ولذلك يتأهب المحتال للعبد الذي في يده عنان دابة مولاه ويتناوم له وهو جالس لان من عادة الأنسان اذا لم يكن بحضورته من يشغله ورأى إنسانا يتأهب وينعس فتى استرخت يده أو قبضته عن طرف العنان وقد خامرته سكر النوم ومتى صار الى هذه الحال ركب المحتال الدابة ومر بها



❦ باب القول في الغربان ❦

اللهم جنبنا التكلف وأعدنا من الخطأ واحمنا العجب بما يكون منه والثقة بما عندنا واجعلنا من المحسنين (نذكر على إسم الله) جل القول في الغربان والاختبار عنها وعن غريب ما أودعت من الدلالة واستخزنت من عجيب الهداية وقد كنا قدما ما تقول العرب في شأن منادمة الغراب الديك وصدافته له وكيف رهنه عند الخمار وكيف خاس به وسخر منه وخذعه وكيف خرج سالما غير غارم وغائما غير خائب وكيف ضربت به العرب الأمثال وقالت فيه الأشعار وأدخلته في الاشتقاق لزوجها عند عيافتها وقيامتها وكيف كان السبب في ذلك فهذا الى ما حكى الله عز وجل من خبر ابني آدم حين قربا قربانا فحسد الذي لم يتقبل منه المتقبل منه فقال عند ما عم به من قتله وعند امساكه عنه والتخمية بينه وبين ما اختار لنفسه (إني أريد ان تبوء بأثمي وأثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) ثم قال (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه) حتى قال القائل وهو أحد ابني آدم ما قال فلولا أن للغراب فضيلة وأمورا محمودة وآلة وأشياء ليست لغيره من جميع الطير لما وضعه الله تعالى في موضع تأديب الناس ولما جعله الواعظ والمذكر بذلك وقد قال الله عز وجل (فبعث الله غرابا يبحث

في الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه) فاخبر انه مبعوث وانه هو اختاره لذلك من بين جميع الطير قال صاحب الديك جمات الدليل على سوء حاله وسقوط الدليل على حسن حاله وارتفاع مكانه وكلما كان ذلك المقرع به أسفل كانت الموعظة في ذلك أبلغ ألا تراه يقول (يا ويلى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخي فأصبح من النادمين) ولو كان في موضع الغراب رجل صالح أو إنسان عاقل لما حسن به أن يقول يا ويلى أعجزت أن أكون مثل هذا العاقل الناضل الكريم الشريف إذ كان دواءً وحقيراً فقال أعجزت وأنا إنسان أن أحسن ما يحسنه هذا الطائر ثم طائر من شرار الطير وإذا أراد ذلك في طائر اسود محترق فيبيح السمائل ردى الشية ليس من بهائم الطير المحموده ولا من سباعها الشريفة وهو بمد طائر يتكده به ويتطير منه آكل الجيف ردى الصيد وكلما كان أجهل وانذل كان أبلغ في التوبيخ والتقريع وأما قوله فأصبح من النادمين فلم يكن به على جهة الإخبار أنه كان قتله ليلاً وإنما هو كقوله (ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا قتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله) ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل في الكلام من عادات الناس كان من فر من الزحف ليلاً لم يزمه وعيد وإنما وقع الكلام على ما عليه الاغاب من ساعات أعمال الناس وذلك هو النهار دون الليل وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن حين دفعوا اليه خواتنا الخارجي ليقته وقالوا ان قتله برئت الخوارج منه وان ترك قتله فقد أبدى لنا صفحته فتأول صالح عند ذلك تأويلاً مستذكراً وذلك أنه قال قد نجد التقية تسيف بالكفر والكفر بالاسان أعظم من القتل والتذف بالجارحة فاذا جازت التقية في الاعظم كانت في الاصغر أجوز فلما رأى هذا التأويل يطرد له ووجد على حال بصيرته ناقصة وأخبر بأنه إنما التمس عذراً ولزق الحجة تلزيقاً قال أى يوم أقتل خواتنا على هذا الضرب من التأويل الحريص على الحياة ولو كان حين قال أى يوم أقتل خواتنا إنما معني النهار دون الليل كان عند نفسه اذا قتله تلك القتلة ليلاً لم يأتهم به وهذا أيضاً كقوله تعالى (ولا تقوان لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس لسكان اذا قال من أول الليل انى فاعل ذلك

غداً في السحر أو مع الفجر أو قال الغداة إني فاعل يومي كله وإياتي كلها لم يكن عليه حنث ولم يكن مخالفاً إذا لم يستسن وكان إذا لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه اسم غداً فاما كلما خالف ذلك في اللفظ فلا وليس التأويل كذلك لأنه جل وعلا إنما ألزم عبده أن يقول إن شاء الله أبقى عادة المتألى وإثلاً يكون كلاهما ١٠، ولفظه يشبه لفظ المستبد والمستغنى وعلى أن يكون عبده ذلك ذا كرا لله لأنه عبده مدبر ومقرب ميسر ومصرف مسخر وإذا كان المعنى فيه والغاية التي جرى إليها اللفظ إنما هو على ما وصفنا فليس بين أن يقول أفعال ذلك بعد طرفه وبين أن يقول أفعال ذلك بعد سنة فرق وأما قوله (فأصبح من النادمين) فليس أنه كان هنالك ناس قتلوا أخوتهم وندموا فصار هذا القاتل واحداً منهم وإنما ذلك على قوله لا دم وحواء عليهما السلام (ولا تقربا هذه الشجرة فتكرونا من الظالمين) على معني أن كل من صنع صنيعكما فهو ظالم وعجبت من ناس ينكرون قولنا في الاستثناء وقد سمعوا الله عز وجل يقول (إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ألبصر منها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) مع قوله عز وجل (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا إن يشاء الله) (العرب تسمى الغراب بن داية) لأنه إذا وجد دبيرة في ظهر البعير أو في عنقه قرحة سقط عليها ونقره وعقره حتى يبلغ الدايات قال الشاعر

نجبية قوم دابها القت والنوى * بيثرب حتى نهبها متظاهر
فقلت لها سيرى فما بك علة * سنامك ماوم ونا بك فاطر
فثلك أو خيراً تركت رذيه * تقاب عينيها إذا مر طائر

ومثله قول الراعي

فلو كنت معذوراً بنصرك طيرت * صقورى غربان البعير المقيد
هذا البيت لعنترة في قصيدة له ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيد ذي الدبر إذا وقعت عليه الغربان وإذا كان بظهر البعير دبيرة غرزوا في سنامه إما قوادم نسرا سود وإما خارقة سوداء لتفزع الغربان منه ولا تسقط عليه قال الشاعر وهو ذو الخرق الطهوي
لما رأته إبلي حطت حمولتها * هزلى عجا فاعليها الريش والخرق

قالت ألا تبغى عيشاً نعيش به * عما نلاقى فشر العيشة الرنق
وقال آخر كأنها ريشة في غارب جرد * في حينما ضربته الريح بنصرف
وقد يوضع الريش في أسنمتها وتفرز فيها لغير ذلك وذلك أن الملوك كانت تجعل الريش
علامة للجملها تحميها بذلك بشرف أصحابها قال الشاعر
يهب الجلال بريشها ورعائها * كالليل قبل صباحه المتباج
ولذلك قالوا في الحديث فرجع النابغة من عند النعمان وقد وهب له مائة من عصفيره
بريشها وللريش مكان آخر وهو أن الملوك إذا جاءتها الخرائط بالظفر غرزت فيها قوادم
ريش سود وقال الشاعر

سأرفع قولاً للحصين ومالك * تطير به الغربان شطر المواسم
وتروى به الهيم الظاء ويطبي * بأملها الغازين سجع الحمام
يعني غربان الليل وأما قوله وتروى به الهيم الظاء فمثل قول المسامح
عانت يا حارث عند الورد * بجاذل لا وجل التود
* ولا يمني بابتناء الحمد *

وقالوا في البعير إذا كان عليه حمل من تمر أو حب فيقدم الأبل بفضل قوته ونشاطه
فعرض ما عليه للغربان قال الراجز

قد قلت قولاً للغراب إذ حجبل * عليك بالعود المسانف الأول
* من بعد ما مشت على غير عجل *

ومثله يقدمها كل أمون مظمان * حمراء من معرضات الغربان
ويقال أصح بدنا من غراب وأبصر من غراب وأصفي عيناً من غراب وقال ابن ميادة
الأطرقتنا أم أوس ودونها * حراج من الظلماء يعشى غرابها
فبتنا كأننا بيتنا الظمية * من المسك أودارية وكلمها

يقول إذا كان الغراب لا يبصر في حراج الظلماء وواحد الحراج حرجة وهي ها هنا
مثل جعل كل شيء التف وكشف من الظلام حراجاً وإنما الحراج من الصدر وأشبهه
الصدر يقول فإذا لم يبصر فيها الغراب مع حدة بصره وصفاء مقلته فما ظنك بغيره

وقال أبو الطمجان القيني

إذا شاء راعياها استقى من وقية * كمين الغراب صفوها لم يكدر
والوقية المكان الصاب الذي يمسك الماء، والجمع الوقائع قال وأنشد محمد بن العلاء في الوقائع
إذا ما استبأوا الخيل كانت أكنفهم * وقائع الأبوالماء والماء أبرد
يقول إذا كانوا في فلاة فاستبأوا الخيل في أكنفهم فشرى أبوالماء من العطش ويقال
شهد الوقية والوقية بمعنى واحد قال الشاعر

لعمري لقد أبت وقية راهط * على دفر داء من الشر باقيا

وقال الحارث

لعمري لقد أبت وقية راهط * لمر و ان صدعا بينا متباينا

وقال الاخطل

لقد أوقع الجحباب بالشر وقية * إلى الله منها المشتكى والمعول

وفي صحة بدن الغراب يقول الآخر

ان معاذ بن مسلم رجل * قد ضج من طول عمره الابد

شاب رأس الزمان واكتهل الده * ر وأثواب عمره جدد

يانسر لقمان كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يالبد

قد أصبحت دار آدم خربت * وأنت فيها كأنك الوتد

تسال غربانها اذا حجبت * كيف يكون الصداع والرمد

ويقال في أرض لا يطير غرابها قال النابغة

ولرھط حراب وقد سورة * في المجد ليس غرابها بطار

جمعه مثلاً يعني أن هذه الأرض تبلغ من خصبها أنه إذا دخلها الغراب لم يخرج منها

لان كل شيء يريد في زهو الغراب يقول حسان في بديع بني قريش

إن الفرافصة بن أحوص عنده * شجن لامك من نبات عتاب

أجمت أنك أنت الأم من مشى * في فخش مومسة وزهو غراب

ويقال وجد فلان ثمرة الغراب كأنه يتبع عندهم أطيب الثمر ويقال إنه لا حذر من غراب

وأشد سواداً من غراب وقد مدحوا سواد الغراب قال عنتره

فيها إثنان وأربعون حلوبة * سودا كخافية الغراب الاسحم

وقال أبو دواد

تنقى الحصى صعدا شرقى منسما * نقي الغراب باعلى أنفه الفردا

والمغاريد كم صغار وأشد

خج مأمومة في قعرها لجت * قاسي الطيب فذاها كالمغاريد

وقد ذكرنا شدة منقاره وحدة بصره في غير هذا المكان وقالوا في مدح السواد

قال امرؤ القيس

والعين قاذحة واليد سابحة * والاذن مصغية واللون غريب

وفي السواد يقول ربعة بن أيوب الأسدي قاتل عتيبة بن الحارث بن شهاب

ان المودة والهودة بيننا * خلاني كسحق اليمنة المنجاب

الابجيش لا يكت عديده * سود الجلود من الحديد غضاب

وفي المثل لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب وقال العرجي

لا يحول النواد عنه بود * أبداً أو يحول لون الغراب

وقال ساعدة بن جؤية

شاب الغراب ولا فؤادك ناركا * عهد الغضوب ولا عتابك يعتب

ومما يذكر للغراب ما حدث به أبو الحسن عن أبي سليم ان معاوية قال لابن هودة بن

شماس الباهلي اتمدعمت أن أحمل جمعا من باهلة في سفينة ثم أغرقهم فقال أبو هودة

اذا لا ترضى باهلة بدمتكم من بني أمية قال اسكت أيها الغراب الابقع وكان به برص

فقال أبو هودة ان الغراب ربما درج الى الرخمة حتى ينقر دماغها ويقلع عينها فقال

يزيد بن معاوية ألا تقتله يا أمير المؤمنين فقال له ونهض معاوية ثم وجهه بمد في سرية

فقتل فقال معاوية ليزيد هذا أخفى وأصوب وقال آخر في نقر الغراب العيون

أنوعد أسرتي وتركت حجراً * يربغ سواد عينيه الغراب

ولو لاقت علماء بن جحش * رضيت من الغنيمة بالاياب

وقال أبو حية في أن الغراب يسمونه الاعور تطيرا منه

وإذا يحمل قنودها بتؤفة * غرت تليح من الغراب الاعور
لانها تخاف من الغربان لما تعلم من وقوعها على الدبر ومما يمدح به الشاعر لون الغراب
قال أبو حية

غراب كان أسود حال كيا * الا سقيا لذلك من غراب

وقال آخر

زمان على غراب غداف * فطيره الدهر عني فطارا
فلا يبعد الله ذاك الفدا * ف وإن كان لاهوا الادكارا
فأصبح موضعه بالضا * محيطا خطاما محيطا عذارا

وقال أبو حية في غير ذلك وهو مما يعد للغراب

كان عصيم الورس منهن حاسد * بما سال من غربانهم من الخطر
والغراب ضروب ويقع هذا الاسم في أما كن فالغراب حد السكين والنفاس فاس جديدة
الغراب وقال الشماخ

فأنحى عليها ذات حد غرابها * عدو لا واسط العضاه . شارز
المشاركة المعادة والخاشنة والغراب حد الورك ورأسه الفقارة التي تلي الظهر تبدأ من
مؤخر الردف والجمع غربان قال ذو الرمة

وقربن بالزرق الحائل بما * تقوب من غربان أورا كما الخطر
تقوب تقشر ما على أورا كما من سلاحها وبولها من ضربها بأذنانها وكل غراب فقد يقال
له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم الا غراب البين نفسه فانه غراب صغير وانما
قيل لكل غراب غراب البين لسقوطها في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها قال أبو
خولة الرياحي

فليس يربوع الى العقل فاقة * ولا دنس يسود منها نياها
فكيف بنوكي مالك ان كفرتم * لهم هذه أم كيف بعد خطابها
مشائم يسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا بين غرابها

ومن الدليل على أن الغراب من شرار الطير ما رواه أبو الحسن قال كان ابن الزبير يقعد مع معاوية على سريريه فلا يقدر معاوية أن يتنعم منه فقال ذات يوم أما أحد يكفيني ابن الزبير فقال الوليد بن عقبة أنا أكفيك يا أمير المؤمنين فسبق فتقدم في مقدمه على السرير وجاء ابن الزبير فتقدم دون السرير ثم أنشد ابن الزبير

يسمى أبانا بمد ما كان نافعاً * وقد كان ذكوان يكنى أبا عمرو

فأنحدر الوليد حتى صار معه ثم قال

ولولا حرة مهدت عليك * صفة ما عدتم في النفير

ولا عرف الزبير ولا أبوه * ولا جالس الزبير على السرير

وددنا أن أمكم غراب * فكنتم شرطي في الطيور

قل أبو زيد إذا كان الشتاء قطعت الينا الغربان أي جاءت بلادنا فهي قواطع الينا فاذا كان الصيف فهي رواجع والطير التي تقيم بأرض شتاءها وصيفها أبدأ فهي الاوابد والاوابد أيضاً هي الدواهي يقال جاءنا بأبادة ومنها أوابد الوحش ومنها أوابد الاشمار والاوابد أيضا الابل اذا توحش منها شيء فلم يقدر عليه الا بعقر وأنشد أبو زيد في الاوابد

ومنهل وردته التقاطا * طام فلم نلف به فراطاً

* لا القطا أو بد اعطاطا *

ويقال نفق الغراب ينفق نفقاً بعين معجمة ونقب نقيباً بعين غير معجمة فاذا مرت عليه السنون الكثرية وغاظ صوته قيل شحج يشحج شحيجا وقال ذو الرمة ومستشججات بالفرق كأنها * مثاكيل من صيابة النوب نوح

والنوبة توصف بالجزع وأصحاب الابل يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والروم للابل يرون أنهم يصاحون على ما يشاء وتصاح على قيامهم عليها ومن العجب أن حال الروم تصاح في البدو مع الابل ودخول الابل بلاد الروم هو هلا كهها فاما السند فان السندی صاحب الحربة اذا صار الى البدو وهو طفل خرج أفصح من أبي مهدي ومن أبي مطرف الغنوى ولهم طبيعة في الصرف لا ترى بالبصرة صيرفيا الا وصاحب كيسه سندی

واشترى محمد ابن السكن أبارواح السندی فكسب له المال العظيم فقتل صيد لاني
عندنا الاوله غلام سندی فبلغوا أيضاً في البرها والمعرفة بالعقابر وفي صحة المعاملة
واجتلاب الحرفاء مبلغاً حسناً وللسند في الطبخ طبيعة ما أكثر ما نجبون فيه وقد كان
يحيي أراد أن يحول أجزاء الخيل عن صبيان الحبشان والثوبة الى صبيان السند فلم
يفلحوا فيه وفي السند حلوق جياذ وكذلك بنات السند والغراب يسمي أيضاً حاتمًا
وقال عوف بن الجزع

ولسكنما أهجو صفي بن ثابت * منيعة لاقته من الطير حاتمًا

وقال آخر

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحاتم

وأشد لحاتم بن عدى

وليس بهيباب إذا شد رحله * يقول عداني اليوم واق وحاتم

ولسكنه يمضي على ذلك مقدا * إذا صدعن تلك الهناة الخثارم

والخثارم هو المتكبر من الرجال وأما قوله واق وحاتم خاتم هو الغراب والواق هو
الصدر كأنه يرى أن الزجر بالغراب إذا اشتق عن اسمه الغرابة والاغتراب والغريب
فان ذلك حتم ويشتق من الصدر التصريد والصدر هو البرد على ذلك قوله

دعاصرد يوماعلى غصن شوحط * وصاح بذات البين فيها غرابها

فقلت أنصريد وشحط وغربة * فهذا لعمرى نايها وإغترابها

ويقال أغرب الرجل إذا اشتد ضحكه فهو مغرب قال والعنقاء المغرب العقاب لانها
تجىء من مكان بعيد قال وأصل التطير إنما كان من الطير من جهة الطير إذا مر بارحا
وسانحا أو راه يتفلى وينتف حتى صاروا اذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم أو
الأعضب أو الابتزجروا عند ذلك وتطيروا عندها كما تطيروا من الطير اذا رأوها على
تلك الحال فكان زجر الطير هو الأصل ومنه اشتقوا التطير ثم استعملوا ذلك في كل
شئ والغراب لسواده إن كان أسود ولاختلاف لونه ان كان أبقع ولانه غريب لا يقطع
اليهم ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم يتقم الا عند مبانيهم لمساكنهم ومن ايلتهم

لدورهم ولانه ايس شئ من الطير أشد
 حديد البصر فقالوا عند خوفهم من
 وغراب البين لانه عند بينوتهم يوجد
 الدبر حتى يبلغ الى ديات العنق وما اتصل
 سمت العرب المنهوش بالسليم والبرية بالمعالي
 وسوا الغراب بحاتم اذ كان يحتم الزجر
 ومن جرد الجراد ومن ان الجراد ذات
 العرب بباب الطيرة عقدوا الرتائم وعهد
 القداح الامر والناهي والمربص وهن
 من اسم الشئ الذي يعاينون ويسمعون

تغني الطائر ان بين ايسلى
 فكان البان ان بان سليمان

فاشتق كما ترى الاغتراب من الغرب و
 جرى يوم رحنا بالجمال يزفها
 فأما العقاب فهي منها عقوبة
 فلم يجد في العقاب الا العقوبة وجعل السحاح هو الغراب البارح وصاحب البين واشتق
 منه الغريب المطوح ورآى السهمى غرابا بانه ينتف ريشه فلم يجد في البان الا البينونة
 ووجد في الغراب جميع معاني المكرود فقال

رأيت غراباً واقفاً فوق بانه * ينتف أعلا ريشه ويطايره
 فقلت ولو أنى أشاء زجرته * بنفسى للهندي هل أنت زاجره
 فقال غراب باغتراب من النوى * وبالبان بين من حبيب نحاذره
 فذكر الغراب بأكثر مما ذكر غيره ذكر بعد شأن الريش وتطايره وقال الأعمش
 مانيف اليوم في الطير الروي * من غراب البين أو تيس برح
 فذكر الغراب من الطير اذ تقدم ذكر طير وجعله من الطير في معنى التطير وقال النابغة

لدورهم ولانه ايس شئ من الطير اشد على ذوات الدبر من ابلهم من الغربان ولانه
 حديد البصر فقلوا عند خوفهم من عينه الأعور كما قالو غراب لاغترابه وغربته
 وغراب البين لانه عند بينوتهم يوجد في دورهم ويسمونه بن داية لانه ينقب عن
 الدبر حتى يبلغ الى دايات العنق وما اتصل بها من خرزان الصلب وفقار الظهر وللطيرة
 سميت العرب المنهوش بالسليم والبرية بالمعازة وكنوا الاعمى ابا بصير والابود ابا البيضاء
 وسوا الغراب نجاةم اذ كان يحتم الزجر به على الامور فصارت طائرهم من التعيد والنطيح
 ومن جرد الجراد ومن ان الجراد ذات الوان وجميع ذلك دون النطير بالغراب ولايمان
 الدرب باب الطيرة عقدوا الرتائم وعشروا اذا دخلو القرى تعشير الحمار واستعملوا في
 القداح الامر والناهي والمتربص وهن غير قداح الايسار ويدل على انهم يشتهون
 من اسم الشئ الذي يعاينون ويسمونه قول بشار بن المضر

تفني الطائر ان بين ليلي * على غصنين من غرب وبان

وكان البان ان بان سليمان * وفي الغراب اغتراب غير دان

فاشترى كما ترى الاغتراب من الغرب والبيوننة من البان وقال جرير العود

جري يوم رحنا بالجمال يزفها * عقاب وشحاج من البين يبرح

فأما العقاب فهي منها عقوبة * وأما الغراب فالغريب المطوح

فلم يجد في العقاب الا العقوبة وجعل السحاج هو الغراب البارح وصاحب البين واشترى
 منه الغريب المطوح ورآى السهمى غرابا على بانه ينتف ريشه فلم يجد في البان الا البيوننة
 ووجد في الغراب جميع معاني المذكور فقل

رأيت غراباً واقماً فوق بانه * ينتف أعلا ريشه ويطايره

فقات ولو أنى أشاء زجرته * بنفسى لاهندى هل أنت زاجرته

فقال غراب باغتراب من النوى * وبالبان بين من حبيب نحاذره

فذكر الغراب بأكثر مما ذكر غيره ثم ذكر بعد شأن الريش وطاريره وقال الأعشى

ما نعيم اليوم في الطير الروح * من غراب البين أو تيس برح

فجعل التيس من الطير اذ تقدم ذكر الطير وجعله من الطير في معنى التطير وقال النابغة

زعم البوارح أن رحاننا غدا * وبذاك خبرنا الغراب الأسود
وقال عنتره ظعن الذين فراهم أتوقع * وجرى بينهم الغراب الابقع
خرق الجناح كان لحي رأسه * جمان بالأخبار هس وواع
فزجرته أن لا يفرخ طيره ^(١) * أبداً ويصبح خانقا يتفجع
ان الذين نعت لي بفراقهم * هم أسهروا ليلى التمام فاجعوا

فقال وجرى بينهم الغراب لانه غريب ولانه غراب البين ولانه ابقع ثم قال خرق
الجناح تطيرا أيضاً من ذلك ثم جعل لحي رأسه جلمين والجلم يتقطع وجعله بالأخبار هشا
مولعا وجعل نعيه شجيجه كأنه المفقوم قال فالغراب أكثر من جميع ما يتطيره في
باب الشؤم الا تراهم كما ذكرنا مما يتطرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه وقد يذكرون
الغراب ولا يذكرون غيره ثم اذا ذكروا كل واحد من هذا الباب لم يمكنهم ان يتطيروا
منه الا من وجه واحد والغراب كثير المعاني في هذا الباب فهو المقدم في الشؤم قال
صاحب الغراب الغراب وغير الغراب في ذلك سواء والاعراب ان شاء اشتق من الحكامة
وتوهم فيها الخير وان شاء اشتق منها الشر وكل كلمة تحتل وجوها ولذلك قال الشاعر

نظرت وأصحابي بطن طوياع * ضحياً وقد افضى الى اللب الجبل
الى ظبية تعطوسياً لا تصوّره * يجاذبها الافئاف ذو جدد طفل
فقات وعفت الجبل جبل وصالحها * تجدد من سلمك وانصرم الجبل
وقلت سبأ لا قد تسأت مودتي * تصور غصونا صار جثانها يعلو
وعفت الغرير الطفل طفل أت به * فقات لاصحابي مضيك جهل
رجوعي حزم وامترأى ضلة * كذلك كان الزجر بصدقني قبل

وقال ابن قيس الرقيات

بشر الظبي والغراب بسعدى * مرحباً بالذى يقول الغراب
وقال آخر بدا اذ قصدنا عامدين لاهلها * سنيح فقال القوم مر سنيح
وهاب رجال ان يقولوا وجمعوا * فقات لهم جار الى ربيح

ساز
الذوق
فقد انزلنا خزان
مجاناً بالاعراب
همومه
لا مقص
بارد المورثه كما زينا
عطا بغير
سبأ لا
صاء بصر
الجدد انصرنا
الطفل
الظبي
الظبي
الظبي

عقاب بأعقاب من النار بعدما * مضت نية لاستطاع طروح
 وقالوا دم دامت مودة بيننا * وعادلنا غض الشباب قريح
 وقال صحابي هدهد فوق بانه * هدي وبيان في الطريق يلوح
 وقالوا حمامات ختم لقاؤها * وطلح فزيرت والمطحي طابع
 قالوا فهو اذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمي وان شاء قال وقالوا حمامات ختم
 لقاؤها واذا شاء اشتق البين من البان واذا شاء اشتق منه البيان وقال آخر

بعضهم

وقالوا عقاب فات عقبي من الهوى * دنت بمد هجر منهم ونزوح
 وقالوا حمامات ختم لقاؤها * وعادلنا حلو الشباب ربيع
 وقالوا تغني هدهد فوق بانه * فقلت هدى نغدوا به ونروح
 ولو شاء الاعرابي اذا رأى سواد الغراب سواد سودد وسواد الانسان شيخه وسواد
 العراق سمف نخله والاسودان الماء والنمر وأشباه ذلك اقاله قال وهو لاء باعيانهم الذين
 يصرفون الزجر كيف شاؤوا واذا لم يجدوا من وقوع شيء بعد الزجر بداهم الذين اذا بدلهم في
 ذلك بد أنكروا الطيرة والزجر البتة وقد زعم الاصمعي أن النابغة خرج مع زبان بن
 يسار يريدان الغزو فبينما هما يريدان الرحلة اذ نظر النابغة واذا على ثوبه جرادة تجرد ذات
 ألوان فتطير وقال غيري الذي خرج في هذا الوجه فلما رجع زبان من تلك الغزوة سال ما غانما قال

تخبر طيرة فيها زياد * اتخبره وما فيها خبير
 اقام كان لقمان بن عاد * اشار له بحكمته مشير
 تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
 بلى شيء يوقد بمض شيء * واحيانا وباطله كثير

فزعم كما ترى زبان وهو من دهاة العرب وساداتهم ان الذي يجدونه إنما هو شيء من
 طريق الاتفاق وقال

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

هذه

وهذا لا ينقض الاول من قوله إلا واحدة فانه ان جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير لم
 ينقض قوله في الاتفاق وان ذهب الى ان مثل ذلك قد يكون ولا يشمر به اللاهي عن ذلك

والذى لا يؤمن بالطيرة فاما المتوقع فهو في بلاء مادام متوقعا وان وافق بعض المكروه
جملة من ذلك ويقال ان ابن الزبير لما خرج مع اهله من المدينة الى مكة سمع بعض اخوته يشد
وكل بنى أم سيمسون ايلة * ولم يبق من اعيانهم غير واحد

فقال لآخيه مادعاك الى هذا قل امانى ما أردته قال ذلك أشد له وهذامنه إيمان شديد
بالطيرة كما ترى وممن كان لا يرى الطير المرقش من بنى سدوس حيث قال

فاذا الأشائم كالايا * من والايامن كالاشائم
فكذلك لاخير ولا * شر على أحد بدائم

قال سلامة بن جندل

ومن تعرض للفربان يزجرها * على سلامته لا بد مشؤم^(١)

وممن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك الحارث بن حلزة وهو قوله قال أبو عبيدة أشدنيها
عمرو وليست الا هذه الاسات وسائر التصيدة مصنوع مولد وهو قوله

* يا أيها المزعم ثم اثني * لا يثنيك الحادى ولا الشاحج
ولا قميئد أعضبت قرنه * هاج له من مرلج هائج
يدنا الفتى يبعي ويسمى له * تاح له من أمره خالج
يترك ما رقق من عيشه * يعيش منه هائج هامج^(٢)

وقال الاصمعي قال مسلم بن قتيبة أضلت ناقة لي عشراء وانا بالبدون خرجت في طلبها
فتلقاني رجل بوجهه شين من حرق النار ثم تلقاني رجل آخذ بخظام بعيره وهو يشد
فأئن بغيت لها البغا * ذفا البغا بواجدينا

ثم من بعد هذا كله سألت عنها بعض من لقيته فقال لي التمسها عند تلك النار فأتيتهم فاذ
هم قد نجوها حوارا وقد أوقدوا لها نارا فاخذت بخظامها وانصرفت وأخبرني أبو إسحاق
ابراهيم بن سيار النظام قال جمعت حتى أكلت الطين وما سرت لي ذلك حتى قببت قلبي
اتذكر هل بها رجل أصيب عنده غداء وعشاء فما قدرت عليه وكان على جبة وثيصان
فنزعت القميص الاسفل فبعته بدرهمات وقصدت الى فرضة الاهواز اريد قعبية

الى بنى سيمسون

شاه
اشاحج
عسرة الدار
الخدوس
تيتا
الصفحة

الاصمعي

(١٦)

(١٧)

(١٨)

(١٩)

الاصمعي

الأهواز وما اعرف بها احدا وما كان ذلك الاشئ^{سببا} اخرجه الضجر وبعض التعرض
فوفيت الفرضة فلم اصب فيها سفينة فتطيرت من ذلك ثم اني رأيت سفينة في صدرها
خرق وهشم فتطيرت من ذلك أيضا واذا فيها حمولة فقات للملاح تحماني قال نعم فأت
مالك قال داود وهو بالفارسية الشيطان فتطيرت من ذلك ثم ركبت معه تصك
الشمال وجبى ويثر ليل الصقيع على رأسي فلما قربنا من الفرضة صحت يا مال وما
لحاف لي سعل ومضربة خاق وبمض مالا بد لثلي منه فكان أول جمال أجنبي أعور
فقات ابقار كان واقفا بهم تكري ثورك هذا الى الخان فلما ادناه من متاعي اذا الثور
اعضب القرن فازددت طيرة الى طيرة فقات في نفسي لرجوع اسلم لي ثم ذكرت
حاجتي الى اكل الطين فقات ومن لي بالوت فلما صرت في الخان وأنا جالس فيه ومتاعي
بين يدي وأنا اقول ان انا خاتمته في الخان وايس عنده من يحفظه ففس الباب وسرق
وان جلست احفظه لم يكن حبي^{سبب} الى الاهواز وجه فيينا أنا جالس اذ سمعت قرع الباب
قات من هذا عافاك الله تعالي قال رجل يريدك فقات ومن أنا قال أنت ابراهيم فقات
ومن ابراهيم قال النظام قات هذا خناق اوعدوا رسول سلطان ثم اني تحاملت وفتحت
الباب فقال ارساني اليك ابراهيم بن عبد العزيز ويقول نحن وان كنا اختلافنا في بعض
المقالة فانا قد نرجع بمد ذلك الى حقوق الاخلاق الحربية وقد رايتك حين مررت على
حال كرهتهم منك وما عرفتك حتى خبرني عنك بعض من كان معي وقال ينبغي ان يكون
قد زرعته حاجة فان شئت فاقم بمكان شهر الاوشهرين فعمسى ان سمعت اليك ببعض
ما يكفرك زمانا من دهرك ون اشبهت الرجوع فهذه ثلاثون مثقالا نخذها وانصرف
وانت أحق من عذرفهجم والله على امركاد يغضني اما واحدة فاني لم اكن ملكة قبل
ذلك ثلاثين دينار في جميع دهرتي والثانية انه لما بطل مقامي وغيبتي عن وطني وعن
أصحابي الذين هم على حال أشكل بي وافهم عني والثالثة ما بين لي من أن الطيرة باطل وذلك
أنه قد تابع على منهاضروب ولو حدة منها كانت عندهم معطبة قال وعلى مثل ذلك
الاشتقاق يعمل لذين يعيون لرؤيا وبالبصرة من شأن الغربان ضروب من العجب لو
كان ذلك بمصر او بعض السهات لكان عندهم من أجود الطاسم وذلك أن الغربان
دعيتهم

ربما
شبه
ربما
ربما
ربما

ربما
ربما
ربما

ربما
ربما
ربما

ربما
ربما
ربما

تقطع الينافى الخريف فتري النخل وبعضها مصرومة وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان
 وليس منها شيء يقرب نخلة واحدة من النخل الذي لم يصرم ولو لم يبق عليها الا عذق واحد
 وانما اوكار جميع الطير المصوت في اقلاب تلك النخل والغراب اطيروا اقوى منها لا يجترى
 ان يسقط على نخلة منها بعد ان يكون قد بقي عليها عذق واحد ومنقار الغراب ممول وهو
 شديد النقر وانه ايصل الى الكمامة المندفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها
 وهو ابصر بموضع الكمامة من اعرابي يطلبها في منبرج الأجر د والقصيص في يوم له
 شمس حارة وان الاعرابي ليحتاج الى ان يرى ما فوقها من الأرض فيه بعض الانتفاخ
 والانصداع وما يحتاج الغراب الى دلائل وقال ابو دواد الأيادي

تنفي الحصاصعدا شرق منسما ^{نصف ابيير} * نفي الغراب باعلى انفه الفردا ^(٤٤)

ولو ان الله عز وجل اذن للغراب ان يسقط على النخلة وعليها الثمرة لذهبت وفي ذلك
 الوقت لو ان انسانا نقر العذق نقرة واحدة لانتزعامة مافية ولما كت غلات الناس
 ولكنك تري منها على كل نخلة مصرومة الغربان الكثيرة ولا ترى على التي تليها
 غربا واحدا حتى اذا صرموا ما عليها تساقن الى ماسقط من الثمر في جوف الليف
 وأصول الكرب ليستخرجه كما يستخرج الشالك الشوكة فان فائل انما اشباح تلك
 الاعداق المدلاة كالخرق السود التي تفرز والطيران تقع على البزور وكالقوادم السود
 تفرز في اسنمة ذوات الدبر من الابل لكيلا تسقط عليها الغربان وكأنها اذا رأت
 سواد الاعداق فرعت كما يفزع الطير من الخرق السود قال الآخر قد نجد جميع
 الطير الذي يفزع بالخرق السود فلا يسقط على البزور يقع كله على النخل وعليه الحمل وهل
 لعامة الطير وكور الا في اقلاب النخل ذوات الحمل قال الآخر يشبه ان تكون الغربان
 قطعت اليناف من مواضع ليس فيها نخل ولا اعداق وهذا الطير الذي يفزع بالخرق السود انما
 خلقت ونشأت في المواضع التي لم تزل ترى فيها النخيل والاعداق ولا تعرف لذلك علة سوى
 هذا قال الآخر وكيف يكون الشأن كذلك من الغربان غربان اوبد بالعراق فلا تبرح
 تمشش في رؤوس النخل وتبيض وتفرخ الا انها لا تقرب النخلة التي يكون عليها الحمل
 والدليل على انها تمشش في نخل البصرة في رؤوس اشجار البادية قول الاصمعي

الغراب يفتك باليناف
 (١) يقرب النخلة
 (٢) يفتك
 (٣) يفتك
 (٤) يفتك
 (٥) يفتك
 (٦) يفتك
 (٧) يفتك
 (٨) يفتك
 (٩) يفتك
 (١٠) يفتك
 (١١) يفتك
 (١٢) يفتك
 (١٣) يفتك
 (١٤) يفتك
 (١٥) يفتك
 (١٦) يفتك
 (١٧) يفتك
 (١٨) يفتك
 (١٩) يفتك
 (٢٠) يفتك
 (٢١) يفتك
 (٢٢) يفتك
 (٢٣) يفتك
 (٢٤) يفتك
 (٢٥) يفتك
 (٢٦) يفتك
 (٢٧) يفتك
 (٢٨) يفتك
 (٢٩) يفتك
 (٣٠) يفتك
 (٣١) يفتك
 (٣٢) يفتك
 (٣٣) يفتك
 (٣٤) يفتك
 (٣٥) يفتك
 (٣٦) يفتك
 (٣٧) يفتك
 (٣٨) يفتك
 (٣٩) يفتك
 (٤٠) يفتك
 (٤١) يفتك
 (٤٢) يفتك
 (٤٣) يفتك
 (٤٤) يفتك
 (٤٥) يفتك
 (٤٦) يفتك
 (٤٧) يفتك
 (٤٨) يفتك
 (٤٩) يفتك
 (٥٠) يفتك
 (٥١) يفتك
 (٥٢) يفتك
 (٥٣) يفتك
 (٥٤) يفتك
 (٥٥) يفتك
 (٥٦) يفتك
 (٥٧) يفتك
 (٥٨) يفتك
 (٥٩) يفتك
 (٦٠) يفتك
 (٦١) يفتك
 (٦٢) يفتك
 (٦٣) يفتك
 (٦٤) يفتك
 (٦٥) يفتك
 (٦٦) يفتك
 (٦٧) يفتك
 (٦٨) يفتك
 (٦٩) يفتك
 (٧٠) يفتك
 (٧١) يفتك
 (٧٢) يفتك
 (٧٣) يفتك
 (٧٤) يفتك
 (٧٥) يفتك
 (٧٦) يفتك
 (٧٧) يفتك
 (٧٨) يفتك
 (٧٩) يفتك
 (٨٠) يفتك
 (٨١) يفتك
 (٨٢) يفتك
 (٨٣) يفتك
 (٨٤) يفتك
 (٨٥) يفتك
 (٨٦) يفتك
 (٨٧) يفتك
 (٨٨) يفتك
 (٨٩) يفتك
 (٩٠) يفتك
 (٩١) يفتك
 (٩٢) يفتك
 (٩٣) يفتك
 (٩٤) يفتك
 (٩٥) يفتك
 (٩٦) يفتك
 (٩٧) يفتك
 (٩٨) يفتك
 (٩٩) يفتك
 (١٠٠) يفتك

ومن زرنك مثل مكن الضباب * يناوح عيد انه السيمكان
 ومن سكر فيه عش الغراب * ومن خيشوان وبيضان جان
 وقال ابو محمد الفقهـي وهو يصف نخل هجـة
 يتبعها عدس جـرائض * اكاف نهاض هـصور ناهض
 * بحيث يفتش الغراب النابض *

والعامّة تطير من الغراب اذا صاح صيحة واحدة فاذا نبي تفتات به والبوم عند اهل مرو
 يتفال به لان اسمه بالفارسية بارمال يريد نبي وبالبريه خلاف والخلاف غير الوفاق
 والريحان يتفال به لانه مشتق من الروح ويتطير منه لان طعمه مر وان كان في العين
 والانف مقبولاً وقال شاعر من المحدثين

أهدى له أحبابه أرجحة * فبكي وأشفق من عيافة زاجر
 متطيراً مما أتاه فطعمه * لوان باطنه خلاف الظاهر

(والفرس) تحب الآس وتكره الورد لأن الورد لا يدوم والآس دائم قال واذا صاح
 الغراب مرتين فهو شر واذا صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر الجزاء ويقال ان
 بين الغراب والحمار عداوة كذا قال صاحب المنطق وانشد لبعض النحويين
 عاديتنا لازات في تباب * عداوة الغراب للحمار

وانشد وأصاب هامد من ذي جنود * ودون صداعه حمى الغراب
 وزعم لي داهية من دهاة العرب الحواريين أن الافاعي واجناس الأحناس تأتي
 أصول الشيح والحرمال تستظل وتستريح اليه ويقال أغرب من غراب وانشد قول
 مضر بن لقيط

كأني وأصحابي وكرهني عليهم * على كل حال من نشاط ومن سأم
 غراب من الغربان بياض فرد * رين لحاماً بالمرض على وضم
 وقد اعترض قوم عايناه في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة والنال وزعموا
 انه ليس لقوله كان يعجبه النال الحسن ويكره الطيرة معني وقالوا ان كان ليس لقول
 القائل يا هالك وانت باغ وجه ولا تحقيق فكذلك اذا قال يا واجد ليس له تحقيق

وليس قوله يا مفضل ويا مهلك أحق بأن يكون لا يوجب ضلالا ولا هلاكا من قوله
يا واجد ويا ظافر من أن لا يكون يوجب ظفرا ولا وجودا فلما أن يكونا جميعا يوجبان
وإما أن يكونا لا يوجبان قيل لهم ليس التأويل ما إليه ذهبتم لو أن الناس أمروا فائدة الله
عز وجل ورجوا عاقبته عند كل سبب ضعيف وقوى لكانوا على خير ولو غلطوا في
جهة الرجاء لكان لهم بنفس ذلك الرجاء خير ولو أنهم بدلوا ذلك فمطعوا أممهم ورجاءهم
من الله تعالى لكان ذلك من الشر والعلل أن يسمع كلمة في نفسها مستحسنه ثم أحب بمد
ذلك أو عند ذلك أن يحدث طمأئنا فيما عند الله تعالى كان نفس الطمع خلاف اليأس وإنما
خبر أنه كان يعجبه وهذا إخبار عن الفطرة كيف هي وعن الطبيعة إلى أي شيء تنقلب
وقد قيل لبعض الفقهاء ما القال قال إن تسمع وانت مفضل يا واجد وانت خائف يا سالم ولم
يقبل إن القال يوجب لنفسه السلامة ولكنهم يحبون له إخراج اليأس وسوء الظن وتوقع
البلاء من قلبه على كل حال وحال الطيرة حال من تلك الحالات ويحبون أن يكون
لله راجيا وإن يكون حسن الظن فإن ظن أن ذلك المرجو يوافق بتلك الكلمة فترح
بذلك فلا بأس وقال الأصممي هرب بعض البصريين من بعض الطواغيت فركب
ومضى بأهله نحو سفوان فسمع غلاما له أسود يحدو خلفه وهو يقول

إن يسبق الله على حمار * ولا على ذى مائة مطار

أو يأتي الحين على مقدار * قد يصبح الله أمام الساري

فلما سمع ذلك رجع بهم قال والفرمان تسقط في الصحاري تلتبس العظم ولا تزال
كذلك فاذا وجبت الشمس نهضت إلى أوكارها معاً وقال ما تختلط البقع بالسود المصمتة
قال ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الحده السوداء ومنها صغار وفي مناقيرها اختلاف
في الألوان والصور ومنها غربان تحكي كل شيء سمعته حتى أنها في ذلك أعجب من
البيضاء وما أكثر ما يختلف منها عندنا بالبصرة في الصيف فإذا جاء القيظ قلت وأكثر
للمختلفات منها البقع فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين لتتال مما يسقط من التمر في
كرب النخل وفي الأرض ولا تقرب النخلة إذا كان عليها عذق واحد وأكثر هذه
لغربان سود ولا تكاد ترى فيهن البقع وقال الأصممي قال خاف لم أر قط أبيض من

فرخ الغراب رأيته مرة فاذا هو صغير الجسم عظيم الرأس عظيم المنقار اجرد اسود الجلد
ساقط النفس متفارب الاعضاء قل وبعضها يقم عندنا في القيظ واما في الصيف فكثير
واما في الخريف فالدم واكثر ما تراد في سطوحنا في الفيظ والصيف البقم واكثر ما تراه
في الخريف والشتاء في البيوت وفي جبل تكريت في تلك الايام غرابان سود كامل
الحد، عظام وناس يزعمون ان تسافدها على غير تسافد الطير وانها تضاف بالمنافير
وتلقح من هناك

(نذكر شيئا من نوادر واشعار من احاديث من حارها وباردها) قال سحيم كان ابن
ميادة يستحسن هذا البيت لارطاة بن سبية

فقات لها يا ام بيضاء انه * هريق شبابي واستشق اديمي

وكان الاصمعي يستحسن قول الطرماح بن حكيم في صفة الظالم

مجتاب شملة برجد اسرته * فدر وسلم ما سواد البرجد

ويستحسن قوله في صفة الثور

يبدو وتضمره البلاد كانه * سيف على شرف يسلم ويفعد

وكان ابو نواس يستحسن قول الطرماح

اذ اقتبضت نفس الطرماح اخلقت * عرى المجد وامتري عنا القصائد

وقال كثير

اذ المال لم يوجب عليك عطاؤه * صديعة بر او خليل توامقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة * فلم يفتاتك المال الا حقايقه

وقال سهل بن هارون يمدح يحيى بن خالد

عد وتلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما نعمته كان احزما

قال وكان ربهى بن الجارود يستحسن قوله

فخير منك من لا خير فيه * وخير من زيارتك القعود

وقال الاعشى

فدنطن المير في مكنون فائه * وقد يشيط على أرماحنا البطل

لا تآتهمون وان ينهي ذوى شطط * كالطامن يذهب فيه الزيت والقتل
وقال الملاء بن الجارود

أظهروا للناس نسكا * وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلوا * وله حجوا وزاروا
وله قاموا وقالوا * وله حلوا وساروا
لو غدا فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

وقال الآخر في مثل ذلك

شمر ثيابك واستعد لقابل * واحكك جبينك للقضاء بثوم
وامش الديب اذا مشيت لحاجة * حتى تصيب وديمة ليتيم
وقال ابو الحسن كان يقال من رق وجهه رق علمه وقال عمر ثقة هو اقبل أن تسودوا وقال
الاصمعي وصات بالملح وكسبت بالعلم ومن الاشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخدم
مقبيل مدبر خفيف جفيف * دسم الثوب قد شوى سمكات
من شبايك لجة ذات غمر * حذب من شحومها زمنات
فذكر بينهما فانها سميعتانك ساعة وقال الشاعر

ان اجز علقمة بن زيد سعيه * لا اجزه ببلاء يوم واحد
لاحبني حب الصبي وذني * ذم البندي الى الغنى الواجد
ولقد شفيت غليلتي ونقعتها * من آل مسعود بماء بارد

وقال رجل من جرم

نبئت اخواني ارادوا نقيصتي * بشنعة فيها تابل السم منقعا
سأركبها فيكم وأدعي مفرقا * وان شتمتم من بعد كنت مجعما
وقال يونس بن حبيب ما أكلت في شتاء شيئاً قط الا وقد برد ولا أكلت في صيف
شيئاً الا وقد سخن وقال أبو عمر المدني لو كانت البلايا بالحصص ما نالني كما نالني اختلفت
الجارية بالشاة الى التياس إختلافا كثيراً فرجعت الجارية حاملاً والشاة حائلاً وقال
جعفر بن محمد الخلاف موكل بكل شيء حتى القذا في الماء في رأس الكوز فان اردت

ان تشرب الماء جاءت الى فيك وان أردت ان تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت
وقال اسماعيل بن غزوان بكرت اليوم الى أبي عمران فاستقبلي واحد فلزم الجادة التي
أنا عليها فلما غشيتي انحرفت عنه يمينا فأنحرف معي فعدت الى سمتي فعدت فعدت ثم
عدت فعدت فلولا ان صاحب برذون فرق بيننا لكان الى الساعة يدكني فدخلت الى
أبي عمران فدعني فعدته فأهويت بلقمتي الى الصباغ فأهوى اليه بعضهم فنحيت يدي
فنجح يده ثم عدت فعدت ثم نحيت فنحيت فقلت لأبي عمران ألا ترى ما نحن فيه قال
سأحدثك بأعجب من هذا أنا أكثر من منذ سنة أشفق أن يراني عون الخياط فلم
يتفق لي أن يراني مرة واحدة فلما كان أمس ذكرت لأبي الحارث الصنيع في
السلامة من رؤيته فاستقبلي أمس أربع مرات وذاكر محمد بن سلام عن محمد بن
العاسم قال قال جرير أنا لا أتدي ولكن أعندي وقال أبو عبيدة قال الحجاج أنا
حديد حدود حسود قال وقال قديد بن منيع لجديع بن علي لكم حكم الصبي على أهله
وقال أبو اسحاق وذكر أنسا هو والله أنرف من زينب بنت مالك وأخرق من
امرأة وأظلم من صبي قال لي أبو عبد الله ما ينبغي أن يكون في الدنيا مثل هذا النظام
قات وكيف قال مررت بيوما فقلت والله لا أمتحنه ولا أسمن كلامه فقات له ما عيب
الزجاج قال يسرع اليه الكسر ولا يقبل الجبر من غير ان يكون ففكر أو ارتدع قال
وقال حماد بن مالك بن سليمان ودكر عامر بن الطفيل فقال كان لا يضل حتى يضل
النجم ولا يعطش حتى يعطش الجمل ولا يهاب حتى يهاب السيل كان والله خيرا ما يكون
حين لا تظن نفس بنفس خيرا وقال ابن الاعرابي قال اعرابي اللهم لا تنزلني ماء
سوء فأكون امرء سوء يقول يدعوني فإله الى منعه وقال محمد بن سلام عن حماد بن
سلامة عن الأزرقي بن قيس ان الأحنف كان يكره الصلاة في المقصورة فقال له بعض
القوم يا أبا نجر لم لا تصلي في المقصورة قال وأنت لم لا تصلي فيها قال لا ترك وهذا
الكلام يدل على طروق من الخير كثيرة ودخل عبد الله ابن الحسن على هشام في ثياب
سفره فقال اذكر حوائجك فقال عبد الله ركابي مناخة وعلى ثياب سفرى فقال انه
لا تجدني خيرا لك من الساعة قال أبو عبيدة بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن

الحسن فارس الىه انى أخاف عليك طواعين الشام وإنك لا تنعم أهلك خيراً لهم منك
فالحق بهم فان حوائجهم ستسببك وكان ظاهر ما يكامون به ويرونه جيلاً مذكوراً
وكان معنهم الكراهة لمقامه بالشام وكانوا يرون جماله ويعرفون بيانه وكاله فكان ذلك
العمل من أجود التدبير فيه عند نفسه وأنشد

تليح من الموت الذى هو واقع * وللموت باب أنت لا بد داخله

وقال آخر

الموت باب لنا لا بد ندخله * فليت شمري بعد الباب ما الدار

لو كنت أعلم من يدري فيخبرنى * أجنة الخلد أو أنا أم النار

وقال آخر اصبر لكل مصيبة ونجد * واعلم بان المرء غير مخاد

فاذا ذكرت مصيبة تشجي بها * فاذا ذكر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر والشمس تنعى ساكن الدنيا * ويسعد لها القمر

أين الذين عليهم * ركم الجنادل والمدر

أنفاسهم غلس العشا * مهبزاً جنمة السجر

ما للقلوب رقيقة * وكان قلبك من حجر

ولعمل ماتبقى وعو * ذلك كل يوم يهتصر

وقال زهير

ومن يوف لا يذمم ومن يفص قلبه * الى مظمن البر لا يتجمجم

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

ومن لا يزل يستر حل الناس نفسه * ولا يعفها يوماً من الذم ينسدم

وقال وجار البيت والرجل المناوى * امام الحي عقدهما سواء

جوار شاهد عدل عليكم * وسيان الكفالة والتلاء

فان الحق مقطعة ثلاث * يمين أو نثار أو جلاء

فتفهم هذه الاقسام الثلاثة كيف فصلها هذا الاعرابى وقال أيضاً

فلو كان حمد يخذ الناس لم تمت * وليكن حمد المرء ليس بمخذ

وليكن منه باقيات وراثه * فأورث بنيك بمضها وتزود

تزود الى يوم المات فانه * وان كرهته النفس آخر معهد

وقال الأسدی

فاني أحب الخلد لو استطيعه * وكان خلد عندي ان أموت ولم ألم

وقال الحادرة

فأنوا علينا لا أبا لأبيكم * باحساننا ان الثناء هو الخلد

وقال الغنوي

فاذا بلغتكم أرضكم فتجدنوا * ومن الحديث متالف وخلود

وقال آخر

فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم * جزاء العطاش لا يموت من ارتأ

وقال زهير

والأثم من شر ما تصول به * والبر كالغيث نبتة أمرء

أى كبير ولو شاء ان يقول والبر كالماء نبتة أمرء استقام الشمر وليكن كان لا يكون له

معنى وإنما أراد ان يكون النبات عن الغيث أجود ثم قال

قد أشهد الشارب المذبل لا * معروفه منكرو ولا حصر

في فتية ليني المآزر لا * ينسون أحلامهم اذا سكروا

يشوون للضيف والعفاة ويو * فوف قضاء اذا هم نذرو

يمدح كما ترى أهل الجاهلية بالوفاء بالنذر أنشدني حبان بن عتيان عن أبي عبيدة من

الشوارد التي لا أرباب لها قوله

أن يغدروا أو يفجروا * أو يخلوا لم يخفـلوا

يفدوا عليك مرجليـ * من كانهم لم يفعلوا

كأبي برافش كل يو * م لونه يتبدل *

وقال الصلتان السعدى وهو غير الصلتان العبدى

أشباب الصغير ووافني الكبير * ركر الغداة ومر العشي
 اذا ليلة هزمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فني
 نروح ونفدوا لحاجتنا * وحاجة من عاش لا تقضي
 يموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقي
 إذا قت يوماً لدى معشر * أروني السرى أروك النبي
 ألم ترى لقمان أوصى بني * وأوصيت عمراً فنعم الوصي
 وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

أنشدني محمد بن زياد الاعرابي

ولا تلبث الاطعام من ليس عنده * من الدين شيء ان تميل به النفس
 ولا يلبث الدحس الاهاب تحوزه * بجممك أن ينهاه عن غيرك الترس
 وأنشدني ابو زيد النحوي لبعض القدماء

ومهما يكن ريب المنون فاني * أرى قر الليل المعذر كالفنا
 يعود ضئيلاً ثم يرجع دائماً * ويعظم حتى قيل قد ناب واستوي
 كذلك زيد المرء ثم انتقاصه * وتكراره في أثره بعد ماضى

وقال أبو النجم

ميز عنه فنزما عن فنزاع * جذب الليالي أبطي أو اسرعى
 أفناه قيل الله للشمس اطامي * ثم اذا وارك أفق فارجمي

وقال عمرو ابن هند

وان الذي ينهك عن طلابها * يناغي نساء الحى فى طرة البرد
 يعمل والايام تنقص عمره * كما تنقص النيران من طرف الزند

وقال ابن ميادة

هل ينطق الربيع بالعلياء غيره * سافى الرياح ومستف له طنب
 وقال ابو العتاهية * أسرع فى نقص امرء تمامه * وقال

ولم القناه فى كل شيء * حركات كأنهن سكون

وقال ابن ميادة

أشأفك بالقنع الغداة رسوم * دوارس أدنى عهدن قديم
 ياجن وقد حر من عتي حجة * كلاح في ظهر البنان وشوم
 وقال في مرفقيها اذا ما عوتقت حجج * على الضجيع وفي اياها شنب
 وقال ابن ميادة في جعفر بن سليمان وهو يعني أمير المؤمنين المنصور
 وما لكم يا ابني سليمان قاسم * بجهد النبي اذ يقسم الخير قاسمه
 فينذركما بيت رفيع بناؤه * متى ياق شيئاً محدناً فهو هادمه
 لكم كبش صدق شذب الشوك عنكم * وكسر قرني كل كبش يصادمه

باب في من يهجا ويذكر بالشوم

قال دعبل بن علي في صالح الافقم وكان لا يصحب رجلا الامات او قتل اوسقطت منزلته
 قل الامين امين آل محمد * قول امرئ شفق عليه محامي
 اياك ان تغتر عنك صنيعه * في صالح بن عطية الحجام
 ليس العنائع عنده بصنائع * اكنهن طوائف الاسلام
 أضرب به نحر المدو فإنه * جيش من الطاعون والبرسام
 وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة

لله لالى قتيل * أبدا في كل عام
 قتل الفضل بن سهل * وعلى بن هشام
 وعجيفاً آخر القوم * م باكناف الشام
 وغدا يطاب من يقـ * تل بالسيف الحسام
 فاعاذ الله منه * أحمد خير الانام

وقال عيسى بن زئب في الصحرى وكان مشووما

يا قوم من كان له والد * يا كل ما يجمع في الدهر
 فان عندى لابنه حيلة * يموت ان صحبة الصحرى

كانما في كفه مبرد * يبرد ما طال من العمر
 وقال الاعشى فما ان على قلبه غمرة * وما ان بعظم له من وهن
 وقال الكميت لم يقل عند زلة لهم * كرو المماذير انما حسوا
 وقال آخر

فلا تمدراني في الاساءة انه * شرار الرجال من يسيء فيعذر
 وقال العتابي

رحل الرجاء اليك مرتعبا * حسدت عليه نواب الدهر
 ردت عليك ندامتي ابنى * وثني اليك عنانه شكري
 وجمعت عتبك عتب موعظة * ورجاء غفوك منتهى عذري
 وقال اعشى بكر

قلدتك يا سلامة ذا الافضـ * سال والشئ حيث ما جملا
 والشعر يستنزل الكريم كما * استنزل رعد السحابة السبلا
 لو كنت عدا جمعت اذا * ماورد القوم لم تكن وشلا
 انجب آباؤه الكرام به * اذ نجلاه فنعم ما نجلا
 استأثر الله بالبقاء وبالـ * حمد وولى الملامة الرجلا

وقال الكرار الحرمازي

لو كنتم شاء لكنتم نقدا * أو كنتم ماء لكنتم زبدا
 أو كنتم قولا لكنتم فندا

وقال الاعشى في الثياب

فعلى مثلها ازور بنى قيدـ * س اذا شط بالحبيب الفراق
 المهينين ملهم في زمان الـ * سوء حتى اذا افاق أفاقوا
 وإذا ذوالفضول ضن على الموـ * لى وصارت لخيمها الاخلاق
 ومشى القوم بالعماد الى الـ * رزحى واعيا المسيم أين المساق
 أخذوا وفضلهم هناك وقد تجـ * رى على عرقها الكرام العتاق

- وإذا النيث صوبه وضع القد * ح وجن التلاع والآفاق
 لم يزد هم سفاهة شرب الخ * ر ولا اللو فيهم والسباق
 واضعا في سرة نجران رحلى * * ناعما غير أنني مشتاق
 في معالي أربابهن عجال * * عن ثواء وهمهن المراق
 درمك غدره لنا ونشيل * * وصبوح مبارك واغتباق
 وندامي بيض الوجه وهو كان ال * * شرب منهم مصاعب افناق
 فيهم الخصب والسماحة والنج * * دة جماوا الخاطب المسلاق
 وايون لا يسامون ضيا * * ومكيشون والحلوم وثاق
 وترى عجاسا يفص به المح * * راب بالقوم والشباب رفاق

وقال أيضا في الثياب

- أزور يزيد وعبد المسيح * * وقبسا هم خير أربابها
 وكعبة نجران حتم عليه * * لك حتى تحمل بابوها
 اذ الحبرات تلوت بهم * * وجروا أسافل هداها

وفي الثياب يقول الآخر

- اسيلم ذاكم لاحقا بمكانه * * امين ترجي أر لاذن تسمع
 من النفر البيض الذين اذا اتوا * * وهاب لرجال حاكمة الباب ففتموا
 جلا الاذفر الاحوى من المسك فوقه * * وطيب الدهان رأسه فهو انزع
 إذا النفر السود اليمانون حاولوا * * له حوك برديه أجادوا واسموا

وقال الجمدي

- أتاني نصرهم وهم بعيد * * بلادهم بارض الخيزران
 يريد أرض الخصب والاعصان اللينة وقال أصحح الشاعر
 في كفه خيزران ريحها عبق * * بكف أروع في عمرينه شمم
 لان الملك لا يختصر الا بعود لدن ناعم وقال آخر
 تجاوبها أخرى على خيزرانة * * يكاد يدنيها من الارض لينها

وقال آخر

ثبتم ثبات الخيزراني في الثرى * حديثا متى ما يأتاك الخير ينفعا
وقال المسيب بن علس

فصار لهم إلا في صديق * كأن وطأهم موتى الضباب
وقال المسيب بن علس

قادت فؤادك اذ عرضت لها * حسن في كل عين من تود^(١)
وقال عبد الله بن معاوية

وعين الرضا عن كل عيب كيلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا
وقال روح بن همام

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين أخي الرضى عن ذلك تعمى
وقال الفرزدق

الا خبروني أيها الناس انما * سألت ومن يسأل من الناس يعلم
سؤال امرئ لم يعقل العلم صدره * وما السائل الواعي الأحاديث كالعلمي

وقيل لرجل اني لك هذا العلم قال لسان - وول وقاب عقول وقال التابغة
قَاب مَضْلُوهُ بَيْنَ جَلِيَّةِ * وغودر بالجولان حزم ونائل

مضلوهُ دافنوه على حد قوله تعالى إذا ضللنا في الارض وقال الخليل

أضلت بنو قيس بن سعد عميدها * وفارسها في الدهر قيس بن عاصم
وقال زهير أو غيره في سنان بن أبي حارثة

إن الرزية لارزية مثلها * ما تبتنى غطفان يوم أضلت

ولذلك زعم ان سنان بن ابي حارثة خرف فذهب على وجهه فلم يوجد ويزعمون ان
ثلاثة نفر هاءوا على وجوههم فلم يوجدوا طالب بن ابي طالب وسنان بن ابي حارثة
ومرداس بن ابي عامر وقال جرير

واني لأستحي أخي أن أرى له * على من الفضل الذي لا يرى ليا

(١) وهذا الشعر لابن أبي ربيعة وبدل على ذلك ان بحره يخالف بحر الشعر الاول

وقال امرؤ القيس

وهل يعمن الا خلى منعم * قائل الهموم ما بيت بأوجال

وقال الاصمعي هو كقولهم استراح من لا عقل له

وقال ابن أبي ربيعة

وأعجبها من عيشها ظل غرفة * وريان ملتف الحدائق أخضر

ووال كفاها كل شيء يهونها * فابست لشيء آخر الدهر تسهر

— باب في مدح الصالحين والفقهاء —

قال أنس بن الحياض يمدح مالك بن أنس

يأبى الجواب فما يرجع هيبه * والسائلون نواكس الاذقان

هدى التقى وعز سلطان التقى * فهو المطاع وليس ذا سلطان

وقال أنس بن الحياض في بعضهم

فتى لم يجالس ما لسا مندان نشا * ولم يقتبس من علمه فهو جاهل

وقال آخر

فانت بالليل ذئب لا حريم له * وبالنهارة على سمت ابن سيرين

وقال الخليل بن احمد وكان عنده الحظ والجد فقال اما الجد فلا اقول فيه شيئا واما

الحظ فاخزي الله الحظ فانه يبلى الطالب اذا اتكل عليه ويعز المطلوب اليه من مذمة

الطالب وقال ابن شبرمة

لو شئت كنت ككرز في تعبده * أو كابن طارق حول البيت والحرم

قد حال دون لذيد العيش خوفهما * وسارعا في طلاب العز والكرم

وقال آخر يرثى الاصمعي

لا دردر خطوب الدهر اذا جعت * بالاصمعي لقد أبت لنا أسفا

عش ما بلك في الدنيا فلست ترى * في الدهر منه ولا من علمه خلفا

وقال الحسن بن هانئ في مرثية خلف الاحمر

لو كان حي واثلا من التلف * لواءات شعواء في ذرى الشعف
 * أم فربح أحرزته لطف * مزغب الاكفا ٢ ولم يا كل بكف
 هاتيك أم عصماء في أعلا الشرف * تظل في الطباق والنزع الالف
 اودي جماع العلم مذاودي خلف * قلندم من العيالم الخسف *
 وقال يرثيه في كلمة

بت اعزى الفؤاد عن خلف * وبات دمى ان لا يغض يكف
 أنسى الرزايا ميت جعت به * أضحي رهينا للترب في جدف
 كما ينسى برفقه خاق ال * افهام في لاخرق ولا عنف
 يجوب عنك التي عشيت لها * حيران حتى تشفيك في لطف
 لا يهم الحاء في القراءة بالخاء * ولا لامها مع الالف *
 ولا مضلا سبل الكلام ولا * يكون إسناده على الصحف
 وكان فيما مضى لنا خاف * فليس إذ مات عنه من خلف
 وقال آخر في ابن شبرمة

إذا سألت الناس ابن المكرمه * والعز والجرثومة المقدمه
 وابن فاروق الامور المحكمه * تتابع الناس على ابن شبرمه
 وقال ابن عرفطة

لهنيك بغض للصديق وظنة * وتحديثك الشيء الذي انت كاذبه
 وانك مهدى الخناظف الحشا * شديد السباب رافع الصوت غالبه
 وقال النابغة الجعدي

أبالي البلاء واني امرؤ * إذا ما تبينت لم أرتب
 وليس يريدانه في حال بيانه غير مراتب وانما يعني ان بصيرته لاتتغير وقال ابن الجهم
 ذات يوم انالا اشك قال له المسكى وانالا أكاد أوقن وقال طرفه
 وكرى اذا نادي المضاف محنبا * كسيد الغضا في الطخية المتورد
 وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بكنهه تحت الحباء الممدد *

أرى قبر نحماس بخیل بماله * كقبر غوی فی البطالة مفسد
 لعمرک إن الموت ما أخطأ الفتي * لیسکا الطول المرخی وثیاه بالید
 أرى الموت إعداد النفوس ولا أرى * بعیدا غدا ما أقرب الیوم من غد
 وظلم ذی القربی أشد مضاضة * علی المرء من وقع الحسام المهند
 وفی كثرة الأیدی علی الظلم زاجر * إذا حضرت أیدی الرجال بمشهد

باب القول فی الجمالان والخنافس

وستقول فی باب المحقرات من حشرات الارض وفی المذکور من بفاث الطیر
 وخشاشه مما تقعات العذرة وتوصف باللؤم ویتمقدر بلمسه وأكل لحمه كالخنفساء والجمل
 والهدامد والرخم فان هذه الاجناس أطاب للعذرة من الخنازير فاول ما نذكر من
 أعاجيبها صداقة ما بین الخنافس والمقارب وصداقة ما بین الحیات والوزغ وزعم
 الاعراب أن بین ذكورة الخنافس وذكورة الجمالان تسافد وانهما ینتجان خلقا
 ینزع الیهما جمیعا ونشد حسام الأور عن سیبویة النجوي عن بعض الاعراب فی
 هجائه عدواً له كان شمید السواد

عادینا یخنفسا أم الجمل * عداوة الأوعال حیات الجبل
 من كل عود هرف الناب عتل * ینخرق ان مس وان شمم قتل
 وثبت أكل الاوعال للحیات الشعر المشهور الذی فی أیدی أصحابنا وهو
 عل زیداً أن یلاقی مرة * فی التماسی بعض حیات الجبل
 غیر العینین مقطوع القفا * لیس من حیات حجر والقال
 یتوارى فی صدوع مرة * وبذی الخنفة كالقدح المؤل
 وترى السهم نلی أشداه * كشماع الشمس لاحت فی طفل
 طرد الا روی فما تقر به * ونفی الحیات عن بیض الجبل

وانما ذکر الأروی من بین جمیع ما یسکن الجبال من أصناف الوحش لأن الأروی
 من بینها تأكل الحیات للعداوة التي بینها و بین الحیات والأروی انما الاوعال وأحدثها

أروية والناس يسمون بناتهم باسم الجماعة ولا يسمون البنات الواحدة باسم الواحدة
منها لا يسمون بأروية ويسمون بأروي وقال شماخ بن ضرار

فأروي وإن كرمت علينا * بأذنى من موقفة حرون

وقال أبو زيد في جماعة الأروية

فمالك من أروي تعاديت بالعمى * ولايت كلاباً مطلاً ورامياً

يقال تعادى القوم وتفاقدوا إذا مات بعضهم على أثر بعض وقالت في ذلك ضباعة بنت
قرط في مرثية زوجها هشام بن المغيرة

إن أبا عثمان لم انسه * وإن صمتي عن بكاء لحوب

تفاقدوا من معشر ما لهم * أي ذنوب صوبوا في القلب

وأما قوله ونفى الحيات عن بيض الحجل فإن الحيات تطاب بيض كل طائر وفراخه
وبيض كل طائر مما يبيض على الأرض أحب إليها فما أعرف لذلك علة إلا سهولة
المطاب والآيائل تأكل الحيات والخنازير تأكل الحيات وتعاديها وزعم صاحب المنطق
إن بين الحمار والغراب عداوة وأنشدنا بعض النحويين

عاديتنا لآلات في تباب * عداوة الحمار للغراب

وأنشد ابن أبي كريمة لبعض الشعراء في صريع الغواني

فما ربح السذاب أشد بفضا * إلى الحيات منه إلى الغواني

ويقال أُلج من الخنفساء وأخش من فاسية وهي الخنفساء وأخش من فالية الأفاعي
والفساء يوصف به ضربان من الخلق الخنفساء والظربان وفي لجاج الخنفساء يقول
خلف الأحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب

أُلج لجاجاً من الخنفساء * وأزهى إذا ما شئ من غراب

وقال الرقاشي ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام في جنبه فقال لي امرأتي الخنفساء
أصبر منه ولقد رأيت صبياً من صبيانكم البارحة وأخذ شوكة وجعل في رأسها فتيلة
ثم أوقدها ناراً ثم غمرها في ظهر الخنفساء حتى أنفذ الشوكة فمهرنا ليلتنا وإنما التجول

في الدار وتصيح لنا وإني لأظنها كانت مقرباً لانتدائها قال وقال العتابي العواسا
الحامل من الخنافس وأنشد * بكر اعواسا تعاسا قال ومن أول أعاجيب
الجمال أنه يموت من ريح الورد ويعيش إذا أعمد * قال ويضرب بشدة سواد
لونه المثل قال الراجز وهو يصف أسود سألنا

منهرة الشدقين عود قد كل * كأنما من ليط جمال

والجمال يظل دهر الأجناح له ثم ينبت له جناحان كأنما من ليط جمال
ثم ينبت له جناحان وذلك عند هلكته والدعاميص * قال حينما بلا أجنحة ثم تصير
فراشا وبعضاً وأيس كذلك الجراد والذبان لأن أيس تصير على مقدار من العر
ومرور من الأيام وزعم ثمامة عن يحيى بن خالدان البرقي قد استجبل بعوضة والجمال
يحرص النيام فكما قام منهم قائم فمضى لحاجته تبلى في أنما يريد الغائط
وأنشد لبعضهم

بيت في منزل الأفوام يربؤهم * كأنه من بيت في حرس

وأنشدوا لبعض الأعراب في هجائه رجلاً بالفسولة كأنه لا كل وبمظم حجم النجو
ثم إذا أضحي تلدى واكتحل * لجار من فوشل

* رزق الأنوقين القرني وال

سعي القرني والجمال اذ كانا يقتاتان الزبل أنوقين وهي نخة وهي تقات العذرة
وقال الأعشى

يارخما قاط على منجوب * يعجل في المطيب

المطيب الذي يتطيب بالحجارة أي يتطيب بها وهم يربؤهم بالزبل أنوق كل شيء يقتات
النجو والزبل إلا أن ذلك على التشبيه لها بالرخم في هجائه وقال آخر

يا أيها المانحي نهج القبل * يدعوك فكما قام يصل

رافع كفيه كما يقرى الجمال * وقد أتت بطنه حتى أت

* غيظاً فأسمى ضغنه قد اعلى

والقبل ما قبل عليك من الجبل وقوله أتت أي امتلا غيظاً قصراً في هجائه وقال الجعدي

منع الفدر علم أهمم به * وأخو الفدر اذا هم فعمل
 خشية الله في رجل * إنما ذكرى كمنار بقبل
 وقال الراجز وهو يهجو منهم بالفسولة وبكثرة الاكل وعظم حجم النجو
 * بات يمشى وحده الوجل * وقال عنتره

اذا لا قيت جمعي أبان * فاني لائم للجمعد لا حي
 كسوت الجمعد مد بني أبان * ردائي بعد عراى واقتضاحي

ثم شبهه بالجمال فقال

كان مؤشرا لمدن حجلا * عروجا بين أقبلة ملاح
 تضمن نعمت فدا عليها * بكورا أو تهجر في الرواح

وقال الشماخ

وان يلقيا شاوا بأبي هوى له * معرف أطراف الذراعين أفاح
 والشأ وها هنا الروث كان كثير حتى ألحقه بالشأ الذي يخرج من البئر كما يقول أحدهم
 اذا أراد أن يتقى البئر أخح من تلك البئر شأوا أو شأوين يعني من التراب الذي قد
 سقط فيها وهو شيء كهيئة زنبيل الصغير والشأ والطاق والشأ والقوت والمرض الافاح
 الذي عني هو الجعل لان الجعل في قوائمه تحزير رية تعريج وللجعل جناحان لا يكادان
 يريان الا عند الطيران شدة سوادها وشبهها بجلاده وشدة تمكثها في ظهره قال
 الشاعر حيث عدد الخو وحث الامين على محاسبتهم

واشدد يدك بزيد ظفرت به * واشف الارامل من دحروجة الجعل
 والجعل لا يدحرج الا ايا بساً أو بعة وقال سعد بن زهير يهجو بلال بن رباح
 مولى بني بكر

وذاك من نوبى له زفر * كانه جعل يمشى بقرواح

وسند كرشانه وشأنه في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكان
 بالكوفة رجل من ولد عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي يكنى أبا الخنافس
 راضياً بذلك ولم تكن اكنية لقباً ولا نبزاً وكان من الصفا وله هيئة ورواء وسألته

هل كان في أبائه من يكنى أبا الخنافس فان أبا المقارب في آل سلم مولى بني العباس كثير على اتباع أثر وكان أبو الخنافس هذا اكتبى به ابتداء وقال لي الفضل العنبري يقولون للضب أطول شيء ذماء والخنافس أطول منه ذماء وذلك انه يغرز في ظهرها شوكة ناقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لاهل الدار وهي تدب بها وتجول وربما كانت في تضاعيف جبل قت أو في بعض الحشيش والعشب والخلافة تصير في قم الجمل فيبتعلها من غير ان يعضم الخنفساء فاذا وصات الى جوفه وهي حية جالت فيه فلا تموت حتى تقتله فاصحاب الابل يتعاورون تلك الاوارى والملاوفات خوفا من الخنافس وقال حواس ابن المتعطل في حسان ابن بجذل

هل يهلكني لا أبا لكم * دنس الثياب كطابخ القدر

جعل تمطى في عمائه * زمر المروءة نافس الشبر

لربابة سوداء حنظلة * والمماجز التدبير والوبر

فاما الهجاء والمدح ومفاخرة السودان الحمران فان ذلك كله مجموع في كتاب الهجاء والصرحاء وقدمنا في صدر هذا الكتاب جملة في القول في الجعلان وغير ذلك من الاجناس اللثيمة والمستفدرة في باب التن والطيب فبكرها اعادته في هذا الموضع والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

باب القول في الهدهد

وأما القول في الهدهد فان العرب والاعراب كانوا يزعمون ان القزعة التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من بره لأمه لان أمه لما ماتت جعل قبرها على رأسه فهذه القزعة عوض عن تلك الوهدة والهدهد طائر منتن الريح والبدن من جوهره وذاته قرب شيء يكون منتنا من نفسه من غير عرض يعرض له كالتيوس والحيات وغير ذلك من اجناس الحيوان فاما الاعراب فيجعلون ذلك التن شيئا خامره لسبب تلك الجيفة التي كانت مدفونة في رأسه وقد قال في ذلك أمية أو غيره من شعرائهم فاما أمية فهو الذي يقول

تعلم فان الله ليس كصنعه * صنيع ولا يخفى على الله ما جدد
وبكل منكرة له مروفة * أخرى على عين بما يتمدد
جدد وتوسيم ورسم علاوة * وخزان مفتوحة لا تنسد
عمن أراد بها وجاب عيانه * لا يستقيم الخالق يتزيد
غيم وظلماء وغيم سحابة * ان مان كفر وابتزاه الهدد
يبقى القرار لامه ليجنبا * فبني عليها في قفاها يهد
مهدا وطيثا فاستقل بحمله * في الطير يحملها ولا يتأود
من أمه جزي بصالح حملها * ولدا وكلف ظهره لا تنقد
فتراه يضبح ماشيا بجزارة * فيها وما اختلف الجديد المنشد

ويزعمون ان الهدهد هو الذي كان يدل سايان عليه السلام على مواضع الماء في
قصور الارضين اذا اراد استنباط شيء منها ويروون ان نجدة الحروري ونافع بن الازرق
قالا لابن عباس رضي الله تعالى عنهما انك تقول ان الهدهد اذا نقر الارض عرف مسافة
ما بينة وبين الماء والهدهد لا يبصر النجح دوين التراب حتى اذا نقر التمرة انضم عليه
الفخ قال لهما ابن عباس اذا جاء القدر عمى البصر ومن امثالهم اذا جاء الحين غطى العين
وابن عباس ان كان قال ذلك فانما عنى هدهد سايان عليه السلام بيمينه فان القول فيه
خلاف القول في سائر الهداهد وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه
ان شاء الله تعالى وقد قال الناس في هدهد سايان وغراب نوح وحمار عزير وذئب
اهبان بن اوس وغير ذلك من هذا الفن أقاويل وسنقول في ذلك بجملة من القول
في موضعه وقد قال صاحب المنطق وزعم في كتاب الحيوان ان لكل طائر
يمشش شكلا يتخذ عشه منه فيختلف ذلك على قدر اختلاف المواضع وعلى اختلاف
صور تلك القراميص والأفاحيص وزعم ان الهدهد من بينها يطاب الزيل حتى اذا
وجده نقل منه كما تنقل الارضة من التراب ويبني منه بيتا كما تبني الارضة ويضع خرو
على خرو فاذا طال مكثه في ذلك البيت وفيه أيضاً ولد وفي مثله تربي وبدنه نحو تلك
الرائحة واخلاقه أيضاً ان يورث ابنه اللبن الذي علقه كما اورث جده أباه وكما

أورثه أبوه قال ولذلك يكون منتنا وهذا وجه ان كان معلوماً أنه لا يتخذ عشه الامن
الزبل فاما ناس كثير فيزعمون ان رب بدن يكون طيب الرائحة كنفارة المسك التي
ربما كانت في البيوت ومن ذلك ما يكون منتن البدن كالذي يحكى عن الحيات والافاعي
والتمابين ويوجد عليه التيوس وذكر صاحب المنطق ان الطير الكبير الذي يسمى
باليونانية اعتيوليس يحكم عشه ويتقنه ويجعله مستديراً مداخله كانه كرة معمولة ورووا
نهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه فيفرش به عشه ولا يمش
لا في أعلى الشجر المرتفعة المواضع قال وربما عمد الناس الى سهام فيشدون بهارصاصا
ثم يرون بها عشتها فيسقط عليهم الدارصيني فيلتقطونه ويأخذونه ويزعم البحريون ان
طائرين يكونان بلاد الصقالية أحدهما يظهر قبل قدوم السفن اليهم وقبل أن يمكن
البحر من نفسه انخروجهم ومتاجرهم فيقول الطائر قرب أمد فيعلمون بذلك أن الوقت
قد دنا وان الامكان قد قرب قالوا ويجي به طائر آخر وشكل آخر فيقول سماروا وذلك
في وقت رجوع من قد غاب منهم فيسمون هذين الجنسين من الطير قرب وسماروا
كانهم سموها بقولهما وتقطع أصواتهما كما سميت العرب ضربا من الطير القطالان القطا
كذلك تصيح وتقطع أصواتها قطا كما سموا البيغا بتقطع الصوت الذي ظهر منه فيزعم
أهل البحر أن ذئب الطائرين لا يطير أحدهما أبداً إلا في إناث وأن الآخر لا يطير
أبداً إلا في ذكورة وزعم لي بعض الاطباء ممن أصدق خبره أن الشفنين إذا
هالكت أمراة لم يتزوج أبداً وإن طال عليه التعزب وان هاج تسفد ولم يطاب
الزواج وحكوا أن عندهم طائرين أحدهما وافي الجناحين وهو لم يطرقط والآخر
وافي الجناحين واسكنه من لدن ينهض للطيران فلا يزال يطير ويقنتات الفراش
وشبه الفراش ونه لا يسقط الا ميتا لانهم ذكروا انه قصير العمر واست أدفع خبر
صاحب المنطق عن خبر صاحب الدارصيني وان كنت لا أعرف الوجه في ان طائرا
ينهض من وكرة في الجبال أو بفارس أو باليمن فيؤم وممد نحو بلاد الدارصيني وهو
لم يجاوز موضعه ولا قرب منه و ليس يخلو هذا الطائر من أن يكون من الأوابدون
كان من القواطع فكيف يقطع الصحصحجان الأماس ويطون الأودية واعضاب الجبال

بالتدويم في الاجواء وبالخفي على السمات لطاب ما لم يرد ولم يشبهه ولم يذوقه وأخرى فإنه لا يجاب منه بمنقاره ورجليه ما يصير فرشاً له ومهاداً إلا بالاختلاف الطويل وليس بالوطي الوثير ولا هوله بطمام فانا وان كنت لا أعرف العلة فاستنكر لأمر من هذه الجهة فانكر هذا وقال أبو الشيص في الهدهد

لا تأمن على سرتى وسررم * غيري وغيرك اوظي القراطيس
أو طائراً سألبيه وانتهه * مازل صاحب تخفير وتأسيس
سود برائنه ميل ذوائبه * صفر جمالته في الحسن مغموس
قد كان هم - ايمان ايدبحه * لولا سماعته في ملك بلقيس

وقد قدمنا في هذا الكتاب في تضاعفه عدة مقطعات في أخبار الهدهد

— باب القول في الرخم —

يقال ان لئام الطير ثلاثة الغربان والبوم والرخم ويقال إنه قيل للرخمة ما أحمتك قالت وما حمتي وأنا أقطع في أول القواطع وأرجع في أول الرواجع ولا أضير في التحسير ولا أغتر بالتبكير ولا أسقط على الحمير وقد ذكرنا تفسير هذا وقال الكمي

ان قيل يارخم النطقي * في الطير نكث برضا

وقال أبو الحسن المدائني أمر بعض ملوك العجم الجلندي بن عبد العزيز الأزدي وكان يقال له في الجاهلية عرجدة فقال له صدلي شر الطير وإشوه بشر حطب واضعه شر الناس فصاد رخمة وشواها بمر وقرها الى خوزني فقال له الخوزني أخطأت في كل شيء أمرك به الملك ايس الرخمة شر الطير وايس البقرة شر الحطب وايس الخوزني شر الناس ولكن صد له بومة وإشوها بدفلي واضعها نبطياً ولد زنا فتمس وأتى الملك فآخبره فقال ليس يحتاج الى ولد زنا يكفيه أن يكون نبطياً والغراب يقوى عن الرخمة والرخمة أعظم من الغراب وأشد والرخمة تلمس لبيضها المواضع البعيدة ولأما كن الوحشية والجبال الشاخمة وصدوع الصخر فذلك يقال في بيض الأنوق ما يقال وقال عتيبة بن شماس

ان أولى بالحق في كل حق * ثم أولى بان يكون حقيقيا
 من أبوه عبد العزيز بن مروان * ن ومن كان جده جده الفاروقا
 رد أموالينا علينا وكانت * في ذرى شاهق تفوت الأنوقا

وطاب رجل من أهل الشام الفريضة من معاوية بن جاد له بها فقال لولده فأبى فسأل
 لعشيرته فقال معاوية طاب الأبق العقوق فلما لم ينله أراد بيض الأنوق و ليس يكون
 العقوق الا من الاثان فاذا كانت من الباق كانت باقاه وهذا كقولهم زل في سلا جمل
 الجمل لا يكون له سلا وقد يرون بيض الأنوق ولكن ذلك قليل ما يكون وأقل
 من النليل لان بيضها في المواضع الممتعة وليست فيها منافع فيتعرض في طلبه لا مكروه
 وأنا اظن ان معاوية لم يقل كما قالوا ولكنه قدم في اللفظ بيض الانوق فقال طاب
 بيض الانوق فلما لم يجده طلب الابق العقوق وأما قول ابن احرر

تمشي باوظفة شديد أسرها * رثم السنابك لايني بالجدجد
 فقد أصحبه طائرا ذا شرة * وفؤاد درجل كمرف الهدهد

فقد يكون الا أن يكون عنا هذا الهدهد لان ذكورة الحمام وكل شيء غنا من
 الطير وهدر ودعا فهو هدهد ومن أراد كمرف الهدهد فليس من هذا في شيء وقد
 قال الشاعر في سفة الحمام

وإذا استشرن ارن فيها هدهد * مثل المداد خضبته بجساد

وخطب رجل جميل امرأة وخطبها رجل ذميم فتزوجت الذميم لماله وتركته فقال

لا يا عبد الله ما تأمروني * باحسن من صلي وأقبحهم بعلا
 يدب على أحشائها كل ليلة * ديب القرني بات يقر ونقاسها

والاجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة كاخنازير ولدجاج والكلاب والجراد وغير
 ذلك وايضا لا تبلغ مبلغ الجمل و لرخمة وقال ابن أبي كريمة كنت عند أبي مالك عمر
 بن كركرة وعنده امرابي جري ذكر القرني قال فقلت له أتدرف القرني قال وما
 لي لا أعرف القرني فومئ له ربما لم يكن غنائي الا القرني يخشخش لي قال فقلت انها
 دوية تأكل العذرة قال ودجاجكم يأكل العذرة قال بعض المدنيين لبعض الاعراب

تأكلون الحيات والمقارب والجمالان والخنافساء فقال تأكل كل شئ إلا أم حبين
فقال المدني آهين أم الحبين العافية قال وأسبأنا ابن جريج عن ابن شهاب عن عبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة عن بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الدواب
أربع لا يقتلن النملة والنحلة والصراد والمدهمة

﴿ القول في الخفاش ﴾

فأول ذلك ان الخفاش طائر وهو مع انه طائر من عرض الطير فانه شديد الطيران
كثير التكفي في الهواء سريع التقب فيه ولا يجوز ان يكون طامه الا من البعوض
وقوته الا من القراش ثم لا يصيده الا في وقت طيرانه في الهواء وفي وقت ساطانه
لان البعوض انما يتسلط بالليل ولا يجوز ان يبلغ ذلك الا بسرعة اختطاف
واختلاس وشدة طيران واين اعطاف وشدة متن وحسن تأن ورفق في الصيد وهو
مع ذلك كله ليس بذى ريش انما هو لحم وجلد فطيرانه بلا ريش عجب وكما كان أشد كان
عجب ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة وهو طائر ضعيف قوى البصر
قليل شعاع العين الفاصل من الناظر ولذلك لا يظهر في الظلمة لانها تكون غامرة
لضياء بصره غالبية لمقدار شعاع ناظره ولا يظهر نهارا لان بصره يضعف ناظره
ويلتعم في شدة ضوء النهار ولأن الشئ المتلألئ ضار بعيون الموصوفين بحدة البصر
ولان شعاع الشمس بمخالفة مخرج أصوله وذهابه يكون رادعا لشعاع ناظره ومفرقا
له فهو لا يبصر ليلا ولا نهارا فلما علم ذلك واحتاج الى الكسب والطعم التمس الوقت
الذى لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامرا قاهرا وعاليا غالبا ولا من الضياء ما
يكون مغشيا رادعا ومفرقا مانعا فالتمس ذلك في وقت غروب القرص وبقية الشفق
لانه في وقت هيج البعوض وأشياء البعوض وهو وقت ارتفاعها في الهواء ووقت
انتشارها وطب ارزاقها فالبعوض يخرج للطعم وضعمه دماء الحيوان وتخرج خنثايس
لطلب الطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق فيصير ذلك هو رزقه وهذا ايضا
مما جعل الله في الخفاش من الاعاجيب ويزعمون أن السك لاذن والمسوحة من

جميع الحيوان انها تبيض بيضا وأن كل أشرف فهو يلد ولا يبيض ولا يدري ان
الحيوان إذا كان أشرف الاذان وإذا كان ممسوحا باض ولأذان الخفافيش حجم ظاهر
وشخص بين وإن كانت من الطير فان هذا لها فهي تحبل وتلد وتبيض وترضع
والناس يتقدرون من الاراب والضباع فكان الحيض وقد زعم صاحب المنطق
ان دوات الاربع كلها تحيض على اختلاف اجناسها في القلة والكثرة والحرارة والصفرة
والرقة والعاظ قال ويبغ من ضمن انثى الخفافيش بولدها، ومن خوفها عليه انها تحمله
تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها وربما أرضعته وهي تطير وتقوى من ذلك ويقوى
ولدها على ما لا يقوى عليه الحمام والشاهمرك وسباع الطير وقال معمر أبو الاشعث
ربما إرتمأت الخفافيش فتحمل معها الولدين جميعا فان عاقت بينهما والخفاش من الطير
وايس له منقار مخروطية وله فم فيها بين مناسر السباع وأفواه البوم وفيه أسنان حداد
صلاب من أطراف الحنك إلى أصول الفك الا ما كان من نفس الفك الخطم وإذا
قبضت على الفرخ وعضت عليه لتطير به عرفت درب أسنانها فمرفت أي نوع ينبغي
أن يكون ذلك المص فتجعله ازما ولا تجعله عضاً ولا نشباً ضغطياً كما تفعل الهرة
بولدها فانها مع ذرب أليابها وحده أضفوها ورقتها لا تندش لها جلودا لانها تمسكها
ضربا من الامساك وتأزم عليه ضربا من لازم قد عرفته والكل شيء حده يصاح
وبمجاوزته والتقصير دونه يفسد وقد نرى العائر يفوص في الماء نهاره ثم يخرج منه
كالشعرة سلاتها من المعجين غير مبتل الريش ولا لثق الجناحين ولو أن أرفق الناس
رفقا رهن على أن يغمس طائر منبأ في الماء نمسة . حدة ثم حلي سرتها ليكون هو الخارج
منه الخرج وهو منعجن الريش منفسد النظر منقوص التأليف والكان أجود ما يكون
طير نأ أن يكون كالجاذف فهذا أيضا من أعاجيب الخفاش ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال
وتوسط القياقي واقلاب النخل . سالى الاغصان ودغل الرياض وصدع الصخر وجزائر البحر
ومحيثها تطلب مساكن الناس وقربهم ثم اذا أصات الى بيوتهم وقربهم قصدت الى
ارفع مكان واحسنه والى بعد الموضع من مواضع الاختبار واعراض الحوائج ثم
الخفاش بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر حتى يجوز في ذلك العقاب والورشان

لى الذسر ويجوز حد النيلة والأسد وحمير الوحش الى اعمار الحيات ومن اعاجيب الخفاش ان ابصارها تصاح على طول العمر والصبر على فقد الطم فتقول ان اللواتى يظهرن فى القمر من الخفافيش المسنات المعمرات وان اولادهن اذا بلغن لم تقو ابصارهن على ضياء القمر ومن اعاجيبها انها تضخم وتجسم وتقبل الشحم على الكبر وعلى السن وقد زعم صاحب المنطق ان الكلاب السلوقية كلما دخت فى السن كان اقوي لها على المعاظة وهذا غريب جدا وقد علمنا ان الغلام احد ما يكون واشبق وانكح واحرص عند اول بلوغه ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر وتمرض له آفة ولا تزال الجارية من لدن ادراكها وبلوغها وحدة شهوتها على شبيه بمقدار واحد من ضمف الارادة كذلك عامتهن فاذا اكهان وبلغت المرأة حد النصف فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه فانما تهيج الشهوة عند سكون تهيج السكران وعند اِدبار شهوة وكلان حده واما قول النساء واشباه النساء فى الخفافيش فانهم يزعمون ان الخفاش اذا عض الصبي لم ينزع سنه من لحمه حتى يسمع نهيق حمار وحشي فما انسى فزعى من سن الخفاش ووحشتى من قربه ايماننا بذلك القول الى ان بلغت وللنساء واشباه النساء فى هذا وشبهه خرافات عسى ان نذكر منها شيئا اذا بلغنا الى موضعه ومن الطير ذوات الاربع ما يكون ناقده البصر بالليل ومنها ما يكون سىء البصر فاما ان النارة والسنور واشياء اخر ا بصر بالليل فهذا باطل والانسان ردى البصر بالليل والذي لا يبصر منهم بالليل تسمية العرس بشكور وتاويله انه اعمى بالليل وليس له فى لغة العرب اسم اكثر من انه يقال لمن لا يبصر بالليل هديد ما سمعت الا بهذا فاما الاغطش فانه السىء البصر بالليل والنهار جميعا واذا كانت المرأة مقربة العنق فكانت ردية البصر قيل لها جهراء وانشد الاصمعي فى غير النساء

جهراء لا تألوا اذا اظهرت * نظرا ولا من عيلة تغني

وذكروا ان الاجهر الذى لا يبصر فى الشمس وقوله لا تألوا أى لا تستطيع وقوله اظهرت صارت فى الظهيرة والعميلة الفخر قال يعنى به نساءه وقال يحيى بن منصور فى هجاء بعض الصعق ياليتني والمني ليست بمغنية * كيف اقتصاصك من نار الاحابيش

شكجون ، واليهوم كما فعلوا * ام تمضمون كغماض الخفافيش
وقال أبو الشمة ق وهو مروان بن محمد

أنا بالاهواز نخزو * ن وبالبحرة داري

في بني سمد وسمد * حيث أهلي وفراري

صرت كالخفاش لا أرى * صر لا في النهار

وقال الأخطل التغلبي

وقد غبر العجلان حيناً إذا بكى * على الزاد القمه الوليدة في الكسر

فيصبح كالخفاش يد لك عيه * فقبج من وجهه لثيم ومن حجر

وقالوا السجدة مقصورة سمع الخفافيش والجمع سحاج كما ترى وقالوا في اللغو وهم يهون الخفافيش

أي شعراء الناس لا تخبروني * وقد ذهبوا في الشعر في كل مذهب

بجادة انسان وصورة طائر * وأظنار يربوع وأياب ثعاب

هشام صاحب الدستواي قال حدثنا قتادة عن زرارة بن أوفي عن عبد الله بن عمر انه قال

لا تفتلوا الضفادع فان نقيقهم تسبيح ولا تفتلوا الخفافيش فانه اذا خرب بيت المقدس

قال يارب سلطني على البحر حتى أسمع قهم حماد عن سامة قال حدثنا قتادة عن زرارة بن

أوفي قال قال عبد الله بن عمر لا تفتلوا الخفافيش فانه يستأذن في البحر أن يأخذ من

مائه فيطفيء نار بيت المقدس حيث حرق ولا تفتلوا الضفادع فان نقيقها تسبيح وعثمان

ابن سمد القرشي قال سمعت الحسن يقول نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل

الوطوط وأمر بقتل لا وزع قال والخفافيش يأتي الرمانة وهي على شجرتها فينقب

عنها فبأكل كل شيء فيها حتى لا يدع الا القشر وحده وهم يحفظون الرمان من الخفافيش

بكل حيله قال ولحوم الخفافيش موافقة للشواهي والصقورة قال والبازي ولكن كثير من

جوارح الطير وهي تسمن عنها وتصح أبدانها عليها ولها في ذلك عمل محمود نافع عظيم

النفع بين الأثر والله سبحانه وتعالى أعلم

الجزء الرابع من كتاب

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصرى المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب

حقوق الطبع محفوظة للمترجم طبعه

الحاج محمد أفندي نسائي المغربي النوسني

سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م

مطبعة التمام في بيروت

فهرست

﴿ الجزء الرابع من كتاب الحيوان ﴾

	صحيفه
٢ القول في الذرة والنمل	
١٢ باب جملة القول في الفرد والخنزير	
٢٠ رجع القول الى ذكر الخنزير	
٣٨ القول في الحيات	
٤١ ومن أعاجيب الحيات	
٧٧ أصوات خشاش الارض	
٧٨ باب من ضرب المثل للرجل بالداهية ولاحي الممتنع بالحية	
٩٨ الطير على ضربين	
١٠٢ جملة القول في الظالم	
١٠٦ باب آخر وهو أعجب من الاول	
١٢٠ القول فيما اشتق له من البيض اسم	
١٤٧ القول في النيران وأقسامها	
١٤٨ باب آخر	

﴿ تم الفهرست ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نبدأ في هذا الجزء بامون الله وتأييده بالقول في جملة الذرة والنملة كما شرطنا به آخر المصحف الثالث ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد علمنا ان ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب والدفع عن الحریم ولكننا اذا أردنا وضع العجب والتمجيب والتنبيه على التدبير ذكرنا الخسيس القليل والسخيف المهين فأريناك ما عنده من الحس اللطيف والتقدير الغريب ومن النظر في العواقب ومشاكاة الانسان ومزاجته والانسان هو الذي سخر له هذا الفلك بما يشتمل عليه وقد علمنا ان الذرة تدخر للشتاء في الصيف وتقدم في حال المهلة ولا تضعيع أوقات امكان الحزم ثم يبلغ تفقدها وحسن خبرها والنظر في عواقب أمرها انها تخاف على الجبوب التي أدخرتها للشتاء في الصيف أن تعفن وتسوس ويقبأها بطن الأرض فتخرجها الى ظهرها لئيسها ويعيد اليها جفوفها وايضربها النسيم وينفي عنها اللغن والفساد ثم ربما كان بل يكون أكثر مكانها ندياً وخافت ان يبت بقرب موضع القطير من وسط الحبة وتعلم انها من ذلك الموضع تبديء وتبت وتقلب فهي تفاق الحب كله انصافاً فاما اذا كانت الحب من حب الكزبرة فلقته ارباعاً لان انصاف حب الكزبرة يبت من بين جميع الجبوب فهي على هذا الوجه مجاوزة لقطنة جميع الحيوان حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس ولها مع اخافة شخصها وخفة وزنها في الشم والاسترواح ما ليس لشيء وربما

أكل الانسان الجراد أو بمض ما يشبه الجراد فتسقط من يده الواحدة أو صدر
الواحدة وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذر عهد في ذلك المنزل فلا يابث ان تقبل ذرة
قاصدة الى تلك الجرادة فتروها وتحاول قلبها ونقلها وجرها فإذا أعجزتها بعد ان بلغت
عذرا مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث ذلك الانسان ان يراها قد أقبلت وخلفها
كالخيط الأسود الممدود حتى يتعاون عليها فيجمانها فأول ذلك صدق الشهم لما لا يشمه
الانسان الجائع ثم بعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة
وأكثر من مائة مرة وليس شيء من الحيوان يتقوى على حمل ما يكون ضعفه مراراً
غيرها وعلى انها لا ترضى باضعاف الاضعاف الا بعد انقطاع الانفاس فان قلت وما علم
الرجل ان التي حاولت نقل الجرادة فمجزت هي التي أخبرت صويحباتها من الذر وانها
كانت على مقدمتهن قاننا لطول التجربة ولا نألم نر ذرة فطحاوت نقل جرادة فمجزت
عنها ثم رأيناها راجعة إلا رأينا معها مثل ذلك وان كنا لا نفصل في العين بينها وبين
اخواتها فانه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا وعلى اننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو
مضت الى جحرها فارغة فتلقاها ذرة الا واقفتها ساعة وخبرتها بشيء فدل ذلك على
انها في رجوعها عن الجرادة انما كانت لاشباهها كالرائد لا يكذب أهله ومن
العجب انك تشكر انها توحى الى أختها بشيء والقرآن قد نطق بما هو أكثر من ذلك
أضعافاً وقال رؤبة بن العجاج

لو كنت علمت كلام الحىكل * علم سليمان كلام النمل

وقال الله تعالى (فلما أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني
أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) فقد أخبر القرآن انها قد عرفت سليمان فأثبت عينه
وان علم منطقها عنده وأنها أمرت صويحباتها بما هو أحزم وأسلم ثم أخبر انها تعرف
الجنود من غير الجنود وقد قالت وهم لا يشعرون ونخالل أيها المنكر تشبهه بحالهن
إنك لم تعرف قبل ذلك ان لها بيانا وقولا ومنطقا يفصل بين المعاني التي هي بسبيلها
فعلها مكانة ومأهورة منهية ومطيمة عاصية فأول ذلك ان المسألة عن مسائل الجهالات

وان من دخات عايه الشبهة من هذا المكان الناقص الرؤية وذنى الفكرة وقد علمنا
وهم ناس ولهم فضيلة في الفريزة وفي الجنس والطبيعة وهم ناس الى ان يتهوا الى وقت
البلوغ ونزول الغرض حتى لو وردت ذرة لشربت من أعلاه وقال أبو دهبيل

أرب هذا الليل فاكتمنا * وأمر النوم فامتعا
في قباب وسط دسكرة * حولها الزيتون قد ينما
خرفة حتى اذا ارتبعت * سكنت من جاق بيما
عند غيرى فالتمس رجلا * يأكل التتوم والسلماء
ذلك شيء است آكاه * وأراه ما كلا فظعا

وقال أبو النجم في مثل ذلك

وكان نشاب الرياح سنبلة * واخضر نباتا سدره وحرمله
وأبيض الاقاعه وجدوله * وأصبح الروض لويأ حوصله
وأصفر من تلح فليح بقله * وأنحت من خرساء فالح خردله
وانشق عن فصيح سواء عنطاه * وانتفض البرذون سودا فلقاه
واختلف النمل فطار يقاه * طار عن المهر يسيل سنبله

قال أبو زيد الحمكة القملة وجمعه حمك وقد ينقاس ذلك في الذرة قال أبو عبيدة قرية النمل
من الزاب وهي أيضا جرثومة النمل وقال غيره قرية النمل ذلك التراب والحجر بما فيه
من الدر والحب والمازن والمازن هو البيض وبه سموا ما زن قال أبو عمر والزبال ما
حات النملة بفيها وهو قول ابن مقبل

كرم النجار حي ظهره * فلم يرنو بركوب زبالا

وأنشد ابن نخيم

هلكوا بالرعاف والنمل طورا * ثم بالنحس والضباب الذكور
وقال الأصمى في تسلط الله الدر على بعض الأئمم
لحقوا بالزهويين فأمسوا * لا ترى عقده دارهم بالمبين
سلط الله فازرا وعميقا * ن فجازهم به إسطون *

يتبع الغار والمسافر منهم * تحت ظل الهدى بذات الغصون
 فازر وعيقان صنغان من الذر وكذلك ذكره عن دغفل الناس ويقال إن أهل تهامة
 هلكوا بالرعاف مرتين قال هشام بن المغيرة قال أمية ابن أبي الصات في ذلك
 نزع الذر في الحياة وغنا * وأراه العذاب والتدميرا
 أرسل الذر والجراد عليهم * وسنينا فاهلكتهم وهورا
 ذكر الذر أنه يفعل الشـروان الجراد كان شورا

وقرأ أبو اسحق قوله عز وجل (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطيروفهم
 يوزعون حتى إذا أتوا على وادي النمل) فقال كان ذلك الوادي معروفا بوادي النمل فكانه
 كان حصى فكيف ينكر ان يكون (حصى النمل) ربما أجات أمة من الامم عن بلادهم واتقد
 سألت أهل كسكر فقات شعيركم عجب وأرزكم عجب وسمنكم عجب وجسد اؤكم عجب
 وبطكم عجب ودجاجكم عجب فلو كانت لكم أعناب فقلوا كل أرض كثيرة النمل لاتصلح
 فيها الاعناب ثم قرأ (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) فجعل تلك الحجره مساكن
 والعرب تسميها كذلك ثم قال (لا يحطمنكم سايمان) فجاءت من اسمه وعينه وعرفت
 الجند من قائد الجند ثم قالت وهم لا يشعرون فكانوا معذورين وكنتم ملومين وكان
 أشد عليكم فلذلك قال (فتبسم ضاحكا من قولها) لما رأى من غورها وتسديدها وه مرفها
 فعند ذلك قال (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
 صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) قال ويقال الطف من ذرة واضبط
 من نملة قال والنملة ايضا قرحة تعرض للساق وهي معروفة في جزيرة العرب قال
 ويقال انسب من ذرة فاما قوله

لو يدب الحولى من ولد الذر * رعليها لاندبها الكوم

فان الحولى منها لا يعرف من مسكنها وانما هو كما قال الشاعر

تلقط حولى الحصافى منازل * من الحى امست بالجيبين باقما

قال وحولى الحصاصنارها فشببه بالحولى من ذوات الأربع (ابن جريج عن ابن شهاب)
 عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من الدواب أربع لا يقتلن النملة والنحلة والصراد والمهدهد (وحدثنا عبد الرحمن)
ابن عبد الله الميموني قال حدثنا الحسن بن سعيد مولى علي بن عبد الرحمن بن عبد
الله قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فانطلق لحاجته فجاها وقد أوقد رجل
على قرية نمل امامي شجرة وامامني أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل
هذا اظننها اظننها ويحيي بن ايوب عن ابي زرعة بن جرير قال انا انا ابو زرعة عن ابي
هريرة قال نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فمضته نملة فقام الى نمل كبير تحت
شجرة ففتنهم فتميل له افلا نملة واحدة وعبد الله ابن زياد المدني قال اخبرني ابن شهاب
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فقرصته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها
ثم أمر بقرية النمل فاحرقت فأوحى الله اليه ان قرصتك نملة اهاكت امة من
الأمم يسبحون الله تعالى فهلا نملة واحدة (يحيي بن كثير) قال حدثنا عمر بن المغيرة بن
الحارث الزياتي عن هشام ابن الدستواي قال ان النمل والذرا اذا كانا في الصيف كله
ينقلان الحب فاذا كان الشتاء وخذن ان يبت فلقنه (هشام بن حسان) ان اهل الاحنف
ابن قيس التوا من النمل اذى فأمر الاحنف بكرسي فقال لثمنه او لنحرقن عليك او
لنفعان او لنفعا قال فذهبن وعوف بن ابي جميلة عن قدامة بن زهير قال قال ابو موسى
الاشعري ان لكل شئ سادة حتى ان للنمل سادة (عبد الله بن زياد) المدني قال انا ابن
شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول خرج نبي من الانبياء بالناس يستسقون فاذا هم نملة رافعة رأسها الى
السماء فقال ذلك النبي ارجعوا فقد استجيب لكم من اجل هذا النمل (مسعود بن
كدام) قال حدثنا زيد القمي عن ابي الصديق الباجي قال خرج سليمان بن داود
عليها الصلاة والسلام يستسقى فرأى نملة مستسقية على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء
وهي تقول اللهم انا خاتق من خاتقات ايس بنا غنى عن سقيك فاما ان تسقيننا وترزقنا
واما ان تميتنا وتهلكنا فقال ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحدثني) ابو الجهم
قال سأل ابو عمرو المكفوف عن قوله تعالى (حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة

يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سايمان وجنوده وهم لا يشمرون فتبسم ضاحكا من قولها) فقلت له ان نذيرا يعجب منه نبي من الانبياء ثم يعظم خطره حتى يضحك لعجيب قال فقال ليس التأويل ما ذهبت اليه قال فانه قد يضحك النبي عليه السلام من الانبياء من كلام الصبي ومن نادرة غريبة وكل شيء يظهر من غير معدنه كالنادرة تسمع من الجنون فهو يضحك فتبسم سايمان عندي على انه استظرف ذلك المقدار من النملة فهذا هو التأويل (وقال أبو الجهم) سألته عن قول أبي موسى ان لكل شيء سادة حتى الذر قال يقولون ان ساداتها اللواتي يخرجن من الجحر يرتدن بجماعتها ويستبقن الى شم الذي هو من طعامهن وقال زهير

وقال سافضى حاجتى ثم أتيت * عدوى بألف من ورائى ملجم
فشد ولم تفرع بيوت كثيرة * لدى حيث ألت رحلها أم قشم

(قال بعض العلماء) قرية النمل قال ويقال في لسانه حباسة اذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان فاذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجمية قيل في لسانه حكاة والحكل من الحيوان كانه ما لم يكن له صوت يستبان باختلاف مخارجه عند حرجه وضجره وطابه ما يندوه أو عند هياجه اذا أراد السفاد أو عند وعيد لقتال وغير ذلك من أمره (وتزعم الهند) أن سبب ماله كثير كلام الناس واختلفت صور العاظمم واتسمت على قدر اتساع معرفتهم ومخارج كلامهم ومقادير أصواتهم في اللين والشد وفي المد والقطع كثرت حاجاتهم واكثر حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف العاظمم واتسمت على قدر اتساع معرفتهم قالوا أخوانج السنانير لا تعد وخمسة أوجه منها صياحها إذا ضربت ولذلك صورة وصياحها اذا دعت أخواتها والآفبات ولذلك وجه وصياحها اذا دعت أولادها للطم ولذلك صورة وصياحها اذا جاءت ولذلك صورة فلما قلت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات قلت وجوه مخارج الاصوات وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها وقالوا ثم من الأشياء ما يكون صوتها خفيا فلا يفهمه عنها الا ما كان من شكلها ومنتهي ما يفهم صاحبه بضروب الحركات والاشارات والشمال وحاجاتها ظاهرة جلية وقليلة العدد بسيرة ومعها من المعرفة ما لا يقصر عن ذلك المقدار ولا

يجوزه راضة الابل والرعاء ورواض الدواب في المروج والسواس وأصحاب القنص
بالكلاب والفهود يعرفون باختلاف الاصوات والهيآت والتشوف واستحالة
البصر والاضطراب ضربا من هذه الاصناف ما لا يعرف مثله من هو أعدل منه
اذالم يكن له من معاينة اصناف الحيوان ما لغيرهم فالحكل من الحيوان هذا الشكل وقد
ذكرناه مرة قال رؤبة

لوانني عمرت عمر الحسل * اوانني اوتيت علم الحكل

علم سليمان كلام النمل

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي وهو الذي يقال له العماني في بعض قصائده
في بيد الملك بن صالح والعماني ممن يعد ممن جمع الرجز والقصيد كعمرو بن لجأ وجريز
ابن الخطفا وابي النجم وغيرهم قال العماني

ويلعلم قول الحكل لو أن ذرة * تساور أخرى لم يفته سوادها

يقول الذر الذي لم يسمع لمناجاته صوت لو كان بينها سواء لفهمه والسواد هو السواد
وطول السواد قال أبو كبير الهذلي

ساورت عنها الطالبين فلم أنم * حتى نظرت الى السماك الأعزل

وقال النمر بن تواب

واقده شهدت اذا القداح توحدت * وشهدت عند الليل مو قد نارها

عن ذات أواية أساور ربهما * وكان لون الملح تحت سفارها

وقد فسرنا شأن الحكل وقال التيمي الشاعر المتكلم وأنشد لنفسه وهو يهجو ناسا
من بني تغلب معروفين

عجم وحكل لا تبين ودينها * عبادة أعلاج عليها البرانس

فصل بين الحكل والمعجم فجعل ذوات المعجم مثل ذوات الحافر والخالف والخف
وجعل الحكل كالذر والنمل والخنافس والاشكال التي ليست تصيح من أفواهاها فقال
لي يومئذ خص النردان الذي يقال فيه حتى كان والله نصرانيا ثم صار يخبر عن
النصارى كما يخبر عن الاعراب قال الأصمعي للمفضل لما أنشد المفضل جعفر بن

سليمان قول أوس بن حجر

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء توأبا جدعا
 لجعل الذال معجمة وفتحها وصحف وذهب الى الاجذاع قال الاصمى انما هي توأبا
 جدعا الدال مكسورة وفي الجدع يقول أبو زيد
 ثم استقاها فلم يقطع نظامها * عن التضبب لا عبل ولا جدع
 وانما ذلك كقول ابن حنبل الأشمى

وأرسل مهملا جدعا وخفا * ولا جدع النبات ولا جديب
 فنفتح المفضل ورفع بها صوته وتكلم وهو يصيح فقال الأصمى لو نفخت بالشبور
 لم ينفمك تكلم بكلام النمل واصب والشبور شيء مثل البوق والكلمة بالفارسية
 وهو شيء يكون لليهود إذا أراد رأس الجالوت أن يحرم كلام رجل منهم نفخوا عليه
 بالشبور وليس تحريم الكلام من الحدود القائمة في كتبهم ولكن الجائليق ورأس
 الجالوت لا يمكنهما في دار الاسلام حبس ولا ضرب فليس عندهما الا أن يغرما الممل
 ويحرموا الكلام على أن الجائليق كثيرا ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر الذي له من
 السلطان ناحية وكان طيمانو رئيس الجائليق قد هم بتحريم كلام عون العبادى عند ما بلغه
 من اتخاذ السرارى فتوعده وحلف لئن فعل ايسلامن وكما ترك الاشفييل وميخاييل
 وتوفيل وسوعين وهنويل وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الروم يقتل وان كان
 ذارأى سملوا عينيه ولم يقتلوه فتركوا سنهم فيه وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك في
 كتابنا على النصرى فان أردته فاطابه هنالك وقال عمر بن أبي ربيعة

لو دب ذرفوق ضاحي جلدها * لأبان من آثارهن حدورا

والحدر والورم الأثر يكون عن الضرب وقد يسمي بتملة ونميلة ويكتنون بها وآسها
 بذر واكتنوا بأبي ذر ويقال سيف في منته ذر وهو ذر السيف وقال ابن ضبة

وقد أغدو مع الفتيا * ن بالخنجر والبتر

وذى البركة كالتابو * ت والحزم كالقمر

* معى قاضية كالماسح في منته كالذر

وقد أعسر الضربة * تأتي شئنا الشبر
 وقال الآخر تكاد لريح ترميها صرارا * وترجف إن يلمعها خمار
 ونحسب كل شيء قيل حقا * ويرعب قلبها لذر الصغار
 وقال أوس بن حجر في صفة السيف
 كان مدب النمل يتبع الدبا * ومدرج ذر خاف بردافسهلا
 على صفحة من بمدحين جلالة * كفي بالذي أبى وأنت منصلا
 قال وخطب إلى عقيل بن عافمة بمض بنائه رجل من الحرقة من جهينة فاخذه فشدته
 قاطا ودهن أسننه برب وقطه وقربه من قرية النمل فاكل النمل حشوة بطنه وقال
 ذو الرمة

وقرية لاجن ولا أنسية * مدخله أبوابها بنيت شزرا
 نزلناها ما نبتني عندها القرى * ولا سكنها كانت لمنزانا قدرا
 وقال أبو العتاعية

أخبث بدارهمها أشب * حبل الفروع كثيرة شعبه
 أزرا سياستها بمن صرعت * فبقدر ما تقلاوا به رتبته
 وإذا استوت للنمل أجنحة * حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال البيهقي

وهولى كبيت النمل لاخير عنده * لمولاه الا سميته بنميم
 قال وقد سمعت بعض الاعراب يقول انه لنام نمل على فوهلم كذب على نمل إذا أرادوا
 أن يخبروا أنه نام وقال حميد بن ثور في تهوين قوة الذر
 منعمة لو يصبح الذر ساريا * على جلد ما بضت مدارجه دما
 وقال الله عز وجل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)
 قال وقيل لعائشة رضى الله تعالى عنها وقد تصدقت بحبة غنم أتصدقين بحبة غنم
 قالت إن فيها لما قيل ذر ومما قيل في الشعر من اللغز
 فإذا وجناح له حافر * وليس يضر ولا ينفع

يعني النمل فزعم أن للنمل حافرا وإنما يخفر جحره وليس يخفره بفمه وعذب عمرو بن
هبيرة سميد بن عمر الجرشي بأنواع العذاب فتبيل له إن أردت أن لا يفتح أبداً فزعم
أن ينفخوا في دبره النمل ففعلوا فلم يفتح بعدها قالوا وأجناس من الحيوانات تدخر
وتشبه في ذلك بالإنسان ذى العقل والرؤية وصاحب النظر في العواقب والتمكيز في
الأمور مثل الذر والنمل والفأر والجرذان والعنكبوت والنحل إلا أن النحل لا يدخر
من الطعام إلا جنسا واحداً وهو العسل وزعم اليعقوبى أنك لو أدخلت نملة في جحر
ذر لا كتبتها حتى تأتي على عامتها وذكر أنه قد جرب ذلك وقال صاحب المنطق إن
الضباع تأكل النمل أكلًا ذريعا وذلك أن الضباع تأتي قرية النمل في وقت إجماع
النمل فتلمس ذلك النمل بلسانها شهوة شديدة وإرادة قوية قالوا وربما أفسدت الأرضة
على أهل القرى منازلهم وأكلت كل شيء لهم ولا يزالوا كذلك حتى ينشبهوا في تلك
القرى النمل فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة حتى تأتي على آخرها وعلى أن النمل
مد ذلك سيكون له أذى إلا أنه دون الأرضة تمديا وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً
من تلك القرى حتى تتم لاهلها السلامة من النوعين جميعاً وزعم بعضهم أن تلك الأرضة
عيانها تستحيل نملاً وليس فئاؤها إلا كل النمل لها واسكن الأرضة نفسها تستحيل نملاً
على قدر ما تستحيل منها يري النقص في عددها ومضرتها على الأيام قل وبالنمل
ضرب المثل يقال جاءوا مثل النمل والزنج نوعان أحدهما يخفر بالمدد وهم يسمون النمل
الآخر يفخر بالصبر وعظم الإبدان وهم يسمون الكلاب وأحدهما يكبو والآخر ينبو
الكلاب تكبو والنمل تنبو قال ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له وقد

ل الشاعر

وإذا استوت للنمل أجنحة * حتى يطير فقد دنا عطبه

إذا صار النمل كذلك أخضبت العصافير لأنها تعطدها في حال طيرانها وتقتل
في يصب في أفواه بيوتها القطران والسكرية الأصفر ويدس في أفواهها الشعر وقد
ربنا ذلك فوجدناه باطلا انتهى

باب جملة القول في القرد والخنزير

وفي تأويل المسيح وكيف كان وكيف يمسح الناس على خلقتهما دون كل شيء وما فيها من العبرة والحنة وفي خصالهما المذمومة وما فيها من الأمور الحمودة وما الفضل الذي بينهما في النقص وفي الفضل وفي الذم وفي الحمد وقد ذكر الله عز وجل في القرآن العنكبوت والذرة والتمل والكباب والحمار والنحل والهدهد والغراب والذئب والفيل والخيول والبغال والحمير والبقر والبعوض والامز والضأن والبقرة والنعجة والحوت والنون فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً في الذلة والضعف وفي الوهن وفي البذاء والجهل وقال الله عز وجل (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) فقلها كما ترى وحقرها وضرب بها المثل وهو مع ذلك جل وعلا لم يمسح أحداً من حشو أعدائه وعظائهم بعوضة وقال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يحاقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وإنما قرع الطالب في هذا الموضوع بانكاره وضعفه إذ عجز ضعفه عن ضعف مطلوب لا شيء أضعف منه وهو للذباب ثم مع ذلك لم نجده جل وعلا ذكر أنه مسح أحداً ذباباً وقال وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت فدل بوهن بيته على وهن خلقه فكان هذا القول دليلاً على التصغير والتقليل وإنما لم يقل إني مسخت أحداً من أعدائي عنكبوتاً وقال تعالى (مثله كمثل الكباب إن تحمل عليه ياهث أو تتركه ياهث) فكان في ذلك دليل على ذم طباعه والأخبار عن تسرعه وبذائه وعن جهله في تدبيره وتركه وأخذه ولم يقل إني مسخت أحداً من أعدائي كلباً وذكر الذرة فقال (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرد ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرد) فكان ذلك دليلاً على أنه من الغايات في الصغر والقله وفي خفة الوزن وقلة الرجحان ولم يذكر أنه مسح أحداً من أعدائه ذرة وذكر الحمار فمثل الحمار يحمل أسفاراً فجعله مثلاً في الجهل والغفلة وفي قلة المعرفة وغلظ الطبيعة ولم يقل إني مسخت أحداً من أعدائي حماراً وكذلك جميع ما خلقه وذكر من أصناف الحيوان بالذم والحمد فأما غير ذلك مما

ذكر من أصناف الحيوان فإنه لم يذكره بدم ولا نقص بل قد ذكر أكثر من بالأ. وورد
المحمودة حتى صار إلى ذكر القرد فقال (وجعل منهم القردة والخنازير) فلم يكن لهما في
قلوب الناس حال ولم يكن جعل لهما في صدور العامة والخاصة من القبح والتشويه ونذالة
النفس ما لم يجعله شيء غيرهما من الحيوان لما خصها الله تعالى بذلك وقد علمنا أن العقرب
أشد عداوة وأذى وأفسد وأن الأفعى والثعبان وعامة الاجناس أبقض اليهم وأقتل لهم
وأن الأسد أشد صولة وأنهم عن دفعهم له أعجز وبغضهم له على حسب قوته عليهم وعجزهم
عنه وعلى حسب سوء أثره فيهم ولم نره تعالى مسخ أحداً من أعدائه على صورة شيء
من هذه الاصناف ولو كان الاستبدال والاستتقال والاستسقاط أراد لكان المسخ
على صورة نبات وردان أولى وأحق ولو كان التحقير والتصغير أراد لكانت الصوابة
والخرجسة أولى بذلك ولو كان إلى الاستصغار ذهب لكان الذر والقمل والذباب أولى
بذلك والدليل على قولنا قوله تبارك وتعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طامها
كأنه رؤس الشياطين) وليس أن الناس رأوا شيطاناً قط على صورة ولكن لما كان
الله قد جعل لهما في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكرهته
وأجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجح بالايحاش والتنفير وبالاخابة
والتقريع إلى ما قد جمعه الله في طباع الاولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف
طبائع جميع الأمم وهذا التأويل أشبهه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس
الشياطين نبات يذبت باليمن وقال الله عز وجل لنبيه (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً
على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا
أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم) فذكر أنه رجس
وذكر الخنزير وهو أحد المسوخ ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف
الحرام وأباح ما وراء ذلك القرد وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث وهو عند
كثير منهم يحتمل المعارضة فلولا أن في الخنزير معنى منقداً مما سوى المسخ وسوى
ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل وقبح الصوت وأكل العذرة مع الخلاف الشديد
واللواطه المفرطة والاخلاق السمجة ما لبس في القرد الذي هو شريكه في المسخ لما

ذكره دونه وقد زعم ناس ان العرب لم تكن تأكل القروود وكان من تنضر من كبار القبائل وملوكها يأكل الخنزير فأظهر لذلك تحريمه اذ كان هناك عالم من الناس وكثير من الاشراف والوضماء والملوك والسوقة يأكلونه أشد الأكل ويرغبون في لحمه أشد الرغبة قالوا ولأن لحم القرد ينهى عن نفسه وبكى الطبايع في الزجر عنه غنمه ولحم الخنزير مما يستطاب ويتواصف سبيل لحم القرد كسبيل لحم الكباب بل هو شر منه وأخبث وقد قال الشاعر للاسدى الذى لم يأكل لحم الكباب

يا فقمسى لم أكلته لئله * لو خافك الله عليه حرمه

* فإكلك لحمه ولا دمه *

وليس يريد بقوله لو خافك الله عليه ان الله يخاف على شئ أو يخاف من شئ وليكنه لما كان الكباب عنده مما لا يأكله أحد ولا يخاف على أكله الا المضطر جعل بدل قوله أمن الكباب على أكل لحمه إن الله هو الذى لم يخف ذلك فيجرمه وهذا مما لا تقف الاعراب عليه ولا تتبع الوهم مواضعه لان هذا فى باب يدخل فى باب الدين فيما يعرف بالنظر وقد يأكل أجراء الكلاب ناس ويستطيبونها فيما يزعمون ويقولون ان جرو الكباب أسمن شئ صغيرا فاذا شب استحال لحمه كأنه يشبه بفرخ الحمام مادام فرخا وناهضا إلى أن يستحجم ويستدوما أكثر من يأكل السنائير والذين يأكلونها صنفان من الناس أحدهما التى المغرور الذى يقال له أنت مسحور ويقال له من أكل سنورا أسود بهيما لم يعمل فيه السحر فياً كاه لذلك فاذا أكله هُذد الملة وقد غسل ذلك وعصره اذهب الماء زهومة ولم يكن ذلك الخدوع مستقذر ما استطابه وامله أيضاً أن يكون عليه ضرب من الطعام فوق الذى هو فيه فاذا أكله على هذا الشرط ودبر هذا التدبير ولم ينكره عاوده فاذا عاوده صار ذلك ضراوة له والصنف الآخر أصحاب الحمام فإكثر ما ينصبون المصائد للسنائير التى ياتون منها فى حماهم وربما صادف غيظ أحدهم وحنقه وغضبه عليه أن السنور منقرط السمى فيدع قتله وينبجه فاذا فعل ذلك مرة أو مرتين صار ضراوة عايبها وقد يتقذر الرجل من أكل الضب والورل والارنب فما هو الا أن يأكله مرة لبعض التجربة أو لبعض الحاجة حتى صار ذلك سبباً الى أكلها حتى يصير

هم الحلال الي ان يصيروا أرغب فيها من أهلها وها هنا قوم لا يا كلون الجراد
الاعرابي السمين ونحن لا نعرف طعاما أطيب منه والاعراب انما يا كلون الحيات
على شبيه بهذا الترتيب ولهذا العوارض وزعم بعض الاطباء والنلاسة ان الحيات
والافاعي تؤكل نية ومطبوخة ومشوية فلها تغذو غذاء حسنا وزعم أبو زيد انه
دخل على رؤبة وعنده جرذان قد شواهن فاذا هو يأكلهن فانكر ذلك عليه فقال رؤبة
هن خير من اليرابيع والضباب وأطيب لانها عندكم تاكل الخبز والتمر واشباه ذلك وكفناك
باكل الجرذان ولولا أن الحيات في الصدور من جهة السموم كانت من جهة التقدر
أسهل امراً من الجرذان وناس من الصقابة يا كلون الذبان وأهل خراسان يعجبون
بأخذ البزموارد من فراخ الزناير ويعافون أذئاب الجراد الاعرابي السمين وليس
بين ريح الجراد اذا كانت مشوية وبين ريح العقارب مشوية فرق والطعم تبع للرائحة
خبثها خبيثها وطيبها طيبها وقد زعم ناس ممن يا كلون العقارب مشوية ونية انها كالقراخ
السمان وكان الفضل بن يحيى بوجه خدمه في طاب فراخ لزنابرياً كلها وفراخها ضرب
من الذبان فأما لحوم البراذين فقد كثير علينا وفينا حتى أنسنا به وزعم بعضهم أنه لم
يا كل أطيب من رأس بردون وسرته فأما السرة والمعرفة فإنهم يراحمون بها الجداء
والدجاج ويقدمون الاسرام المحشوة ومن أصحابنا من يا كل السراطين أ كلا ذريعاً
فأما الرق والكوسج فهو من أعجب طعام البحرين وأهل البحر يا كلون الليل
وهو اللحم الذي في جوف الاصداف والاعرابي اذا وجد اسود ساخناً رأى فيه مالا
يرى صاحب الكسمير في كسميره وخبرني كم شئت من الناس أنه رأى أصحاب
الجن والرطب بالاهواز وقراها يأخذون القطعة الضخمة من الجن والرطب وفيها
ككواء الزناير وقد تولد فيها الديدان فينفضها وسطراحتها ثم يقمحها في فيه كما يقمح
السويق والسكر أو ما هو أطيب منه وقد خبر الله تعالى عن أصحاب النقم وما أنزل
الله من العذاب وما أخذ من الشكل والمقابلات فقال (فسكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من
أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته السيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا)
وقال (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الهيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم

طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من - حجيل) وايس من هذه الاصناف شيء أبلغ في المثلة
والشئعة من أن جعل منهم القردة والخنازير فالخنزير يكون أهلياً ووحشياً كالحمير
والسنانير مما يعايش الناس وكلها لا تقبل الآداب وان النهود وهي وحشية تقبل كلها
كما تقبل البوازي والشواهين والصقور والزرزق واليؤؤ والغراب وعناق الارض
وجميع الجوارح الوحشيات ثم يفضلها النهدي بخصلة غريبة وذلك ان كبارها ومسانها
أقبل للآداب وان تقادمت في الوحش من أولادها الصغار وان كانت تقبل الآداب
لان الصغير اذا أدب فبلغ خرج حبيباً. واكلا والمسن الوحشى يخاص لك كاه حتى
يصير أصيد وأنفع وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك وان كان الجميع يقبل
الأدب والخنزير وان كان أهلياً فانه لا يقبل الادب على حال حتى كأنه وان كان بهيمة
في طباع ذئب وذلك ان إعرابياً أخذ جرو ذئب وكان التقطه التقاط فقال أخذته وهو
لا يعرف أبويه ولا عملها وهو غر لم يصد شيئاً فهو اذا ربناه والفناه أنفع لنا من
الكلب فلما شب عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها فقال الاعرابي

أكلت شويتى وريت فينا * فمن أدراك أن أباك ذيب

فلذئب وجرو الذئب اذا كانا سبعين واحشيين ثم من أشد الوحش توحشاً وألزمها
للقنار وأبعدها من العمران والذئب أغدر من الخنزير والخنوص وهما بهيمتان وأما
ضرره وإفساده فما ظنك بشيء يمتني له لأسد ولذلك ان الخنزير اذا كانت بقرب
ضباع قوم هلكت تلك الضباع وفسدت تلك الغلات وربما طاب الخنازير بعض
العروق المدفونة في الارض فيخرب مائة جريب ونابه ليس يغابه معول فإذا اشتد
عليهم البلاء تمنوا أن يصير في جنبهم أسد ولربما صار في ضياعهم الأسد فلا يهيجونه ولا
يؤذونه ولو ذهب انسان ليحفر له زبية منعمه أشد المنع إذ كان ربما حى جانبهم من
الخننازير فقط فما ظنك بإفسادها وما ظنك بهيمة يمتني أن يكون بدلها أسد ثم مع ذلك
اذا اجتمعوا للخننازير بالسلاح وبالآلات والادوات التي تقتل بها فربما تقتل الرجل
منهم أو عقره المقر الذي لا يندمل لانه لا يضرب بنابه شيئاً الا قطعه كأننا ما كان
فلو قتلوا في كل يوم منها مائة وقتت في كل يوم انساناً واحداً لما كان في ذلك عوض

والخنزير تطاب العذرة وليست كالجلالة لانها تطاب أحرها وأرطها وأنتها وأقرها عهدا بالخروج فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر قبل ذلك وبمده ابروز الناس للعائط فيعرف من كان في بيته نائما في الاسحار ومع الصبح أنه قد أصجر وأصبح باصواتها ووررها ووقع أرجلها الى تلك الغيطان وتلك المتبرزات ولذلك ضربوا المثل بكور الخنزير كما ضربوا المثل بحذر الغراب وروغان الثعلب على ان الثعلب ليس باروغ من الخنزير ولا أكد للفارس ولا أشد إتماما لصاحبه فأما قبيح وجهه فلو ان القبيح والافلاس والغدر والكذب تجسم وتصور لما زادت على قبيح الخنزير وكل ذلك بعض الاسباب التي مسخ لها الانسان خنزيرا وان القرد لسمح الوجه قبيح كل شيء وكفاك به أنه للمثل المضروب ولكنه في وجه آخر مابح فاجه يعترض على قبحه فيمازجه ويصالح منه والخنزير أقبح منه لأنه ضرب مصمت بهم فصار أسمح ببعيد (وحدثني) بعض اهل العلم ممن طال ثوائده في أرض الجزيرة وكان صاحب أخبار وتجربة وكان كلفا بحج التبيين معترضا للامور يجب ان يفضى الى حقائقها وتثبيت أعيانها بملها وتميز أجناسها وتعرف مقادير قواها وتصرف أعمالها وتقل حالاتها وكان يعرف للعلم قدره وللبيان فضله قال ربما رأيت الخنزير الذكر وقد أجدأ أكثر من عشرين خنزيرا الى مضيق والى زاوية فينزون عليه واحداً واحداً حتى يبلغ آخرهم وخبرني هذا الرجل وغيره من أهل النظر وأصحاب الفكر أنهم رأوا مثل ذلك من الحمير وذكروا ان ذلك إما تأنيث في طبعه وإما ان يكون له في أعيانها من الاستحسان شبيه بالذي يعترى عيون بعض الرجال في الفلمان والاحداث الشباب وقد يكون هذا بين الغرائق والكراكي والتسافدين الذكور والائثى والسافدو المسفود اذا كانوا من جميع الذكورة كثير في جميع أصناف الحيوان الا أنه في جميع الخنازير والحمير أفضى فأما تسافد الحمام الذكر للأنثى والائثى للذكور فأكثر من ان يكون فيه تنازع (وباب آخر) مما ذكر صاحب المنطق فزعم ان من الخنازير ماله ظلف واحد وليس لشيء من ذوات الانيات في نابه من القوة والذرب ما للخنزير الذكر وللجمل والفهد والكلب قال والانسان لا يلقي اسنانه وكذلك الحمافر والخف قال والخنزير لا يلقي اسنانه البتة ويقال ان عبداً

الصمد بن علي لم يفرق قط وانه دخل قبره باسنان الصبا وزعم بعضهم ان اسنان الذئب مخلوقة في الفك مطبوخة في نفس العظم وذلك مما توصف به اسنان الحية قال الشاعر

مطان في اللحيين مطال الى الـ * رأس واشداق رحيمات

والشاعر يمدح الشيء فيشدد أمره ويقوى شأنه وربما زاد فيه ولعل الذي قال في الذئب ما قال هذا اراد ولا يشكون ان الضبع كذلك قال وليس يجمل مرق لحم الحيوان السمين مثل الخنزير والفرس واما ما كان كثير الترب فرقه تجمل مثل مرق لحم المعزى قال والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج فلا يدع خنزيرا الا قتله ويدنوا من الشجرة ويدلك جلده ثم يذهب الى الطين والحماة فيتلطخ به فاذا تساقط عاد فيه قال وذكرورة الخنازير تطرد الذكورة عن الاناث وربما قتل احدهما صاحبه وربما هلكا جميعا وكذلك الثيران والكباش والتيوس في اقاطيمها وهي قبل ذلك الزمان متسامة والجل في تلك الحالات لا يدع جملا ولا انسانا يدنوا من هجمته والجل خاصة يكره قرب الفرس ويقاتله ابا ومثل هذا يمرض للذئبة والذئب والاسد ليس ذلك من صفاتها لان بعضها لا يأوي الى بعض بل ينفر د كل واحد بلبوته واذا كان للذئبة الانثى جراء سمات اخلاقتها وصعبت وكذلك اناث الخيل والفيل يسوء خلقها في ذلك الزمان والفيالون يجمعونها النزو لانها اذا نزت جهت جهلا شديدا واعتراها هيج لا يقام له واذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله وارسلوه في الفيلة الوحشية فاما الخنزير والكلب فانهما لا يجعلان على الناس لمكان الالفه قال وزعم بعض الناس ان اناث الخيل تمتلي ريحها في زمان هيجها فلا يبا عدون الذكورة عنها واذا اعتراها ذلك ركضت ركضا شديدا ثم لا تأخذ غربا ولا شرقا بل تأخذ في الشمال والجنوب ويمرض مثل هذا المرض لاناث الخنازير فاذا كان زمن هياج الخنازير تطاطى رؤسها وتحرك اذنانها تحريكا متتابعات وتغير اصواتها اذا طلبت السفاد واذا طلبت الخنزيرة السفاد بال بولا متتابعات قال واناث الخنازير تحمل اربعة اشهر واكثر ما تحمل عشرون خصوصا واذا وضعت اجراء كثيرة لم تقو على رضاعها وتربيتها قال واناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة وربما كان من اكثر واذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح وترخي اذنانها فاذا فعلت ذلك تكتفي بنزوة واحدة

ويعلم الذكر الشعير في اوان النزو ويصالح للانثى والخنزيرة تضع في اربعة اشهر والشاة في خمسة والمرأة والبقرة في تسعة اشهر والحافر كله في سنة قال ومتي قامت العين الواحدة من الخنزير هلك وكثير من الخنزابير تبقى خمسة عشر عاما والخنزير ينزو اذا تم له ثمانية اشهر والانثى تريد الذكر اذا تمت لها ستة اشهر وفي بعض البلدان ينزو اذا تم له اربعة اشهر والخنزيرة اذا تمت لها ستة اشهر ولكن اولادهما لا تنجب كما يريدون وأجود النزو ان يكون ذلك منه وهو ابن عشرة اشهر الى ثلاث سنين واذا كانت الخنزيرة بكرًا ولدت جراء ضعافا وكذلك من كل شيء وقال الله تبارك وتعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم اياه تعبدون) ثم ذكر الطيبات فقال (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وإن تستقسموا بالاذلام ذلكم فسق) ثم قال (هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه وجعل منهم القرودة والخنزير وعبد الطاغوت أو ائمتك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) وقوله تعالى (طيبات) تحتل وجوها كثيرة يقولون هذا ماء طيب يريدون العذوبة واذا قالوا للبر والشعير والارز طيب فانما يريدون انه وسط وانه فوق الدون ويقولون فم طيب الريح وكذلك البر يريدون انه سليم من التتن ليس ان هناك ريحا طيبة ولا ريحا مننتة ويقولون حلال طيب وهذا لا يحل ولا يطيب لك وقد طاب لك أي حل لك كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) قال طويس المغني لبعض ولد عثمان بن عفان لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى ابيك الطيب يريد الطهارة ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة الى ابيك المبارك لم يحسن ذلك لان قولك طيب انما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام وقد قال الشاعر * والطيون معافد الارز * وقد يخنو الرجل بالمرأة فيقول وجدتها طيبة يريد طيبة الكوم لذيدة نفس الوط. واذا قالوا فلان طيب الخلق فانما يريدون الظرف والملح وقال الله عز وجل (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) يريد ريحا ليست بالضعيفة ولا القوية ويقال لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس

منه وقال الله عز وجل (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) وقال
(لقد كان لسباب في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا
له بلدة طيبة ورب غفور) وذلك اذا كانت طيبة الهواء والنواكه خصيبة وقال (ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) ثم قال
(الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك
مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) وفي هذا دليل على ان التأويل في امرأة نوح
وامرأة لوط عليهما السلام على غير ما ذهب اليه كثير من اصحاب التفسير وذلك انهم حين
سمعوا قوله عز وجل (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا
تحت عبد من عبادنا صالحين نخاتهما فلم يفنيا عنهما) فدل ذلك على انه لم يمن الخيانة
في الفرج وقد يقع اسم الخيانة على ضرب اولها المال ثم يشتق من الخيانة في المال
النفس في النصيحة والمشاورة وليس لاحد ان يوجه الخبر اذا نزل في أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم وحرم الرسل على اسمعج الوجوه اذا كان للخبر مذهب في السلامة
أو في المقصود على ادنى العيوب وقد علمنا ان الخيانة لا تحظي الى الفرج قد تبدى
بالمال وقد يستقيم ان يكونا من المنافقين فيكون ذلك منها خيانة عظيمة ولا تكون
نساؤهم زواني فيلزمهم اسماء قبيحة وقال الله عز وجل (اذا دخلتم بيوتا فسلموا على
انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) وقال (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا)
وقال (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة) وقال تعالى
(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال (ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة) ومثل (كلمة طيبة كشجرة طيبة) وقال (وظلنا عليكم الغمام وانزانا عليكم
الم والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) بقوله طيب يقع في مواضع كثيرة وقد
فصلنا بعضها في هذا الباب

ثم رجع بنا القول الى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما
مسنوفا أو لحم خنزيرفانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد

فان ربك غفور رحيم) الا تراه قد ذكر اصناف ما حرم ولم يذكرها باكثر من
التحريم فلما ذكر الخنزير قال فانه رجس فجعل الخنزير وإن كان غير ميتة او ذكر
الذابح عليه اسم الله رجسا ولا نعلم لهذا الوجه الذي خصه الله به من ذكر المسخ
فاراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب وكان ذلك القول ايس مما يضر الخنزير
وفيه الزجر عن محارمه والتخويف من مواضع عذابه وينبغي ان يكون مسخ صورة
القرد فهلا ذكره في التحريم مع اصناف ما حرم ثم خصه ايضا أنه من بينا رجس
وهو يريد مذهبه وصفته فلنا إن العرب لم تكن تأكل القروود وتامس صيدها الاكل
وكل من تنصر من ملوك الروم والحبشة والصين وكل من تمجس من ملك أو سوقه
فانهم كانوا يرون لحم الخنزير فضيلة وان لحومها مما تقوم اليه النفوس وتنازع اليه الشهوات
وكان في طباع الناس من التكره للحوم القردة والتقذر منها ما يفنى عن ذكرها فذكر
الخنزير اذ كان بينهما هذا الفرق ولو ذكر ذلك والحق القرد بالخنزير لموضع التحريم
لكان ذلك إنما كان على وجه التوكيد لما جمعه الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقذر
ولا غير ذلك وقال الله عز وجل (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومها) الآية وقد اثنائك كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه
فمنها ما يكون كالكذب والظلم والغشم والعدو وهذه امور لا تحل على وجه من الوجوه
ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الانسان الطفل وجعل في العقول التبيين بان خالق
الحيوان أو المالك له والقادر على تعويضه يقبح ذلك في السماع على السنة رساله وهذا مما
يحرم بعينه وبذاته وانه حرم لعلة قد يجوز دفعها والظلم نفسه هو الحرام ولم يحرم لعلة
غير نفسه وباب آخر هو ما جاء من طريق التمسك وما يعرف بالجملة ويعرف بالتمسك ومنه
ما يكون عقابا ويكون مع أنه عقاب امتحانا واختبارا كمنحو ما ذكر من قوله ذلك جزينا ثم
بنغيهم وكنحو اصحاب البقرة الذين قيل لهم اذبحوا بقرة فاني اريد ان اضرب بها القليل
ثم احببها جميعا ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة قد ذبحوها كانوا غير مخالفين فلما
ذمبوا مذهب التلخي والتعامل ثم التعرض والتعنت في طريق التمتع صار ذلك سبب
تغليظ الفرض وقد قال الله عز وجل (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل

نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا) قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ومثله (ربنا لا تحملنا مالا طاقت لانا به واعف عنا) يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ويجوز ان يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض وقد يجوز اذا على قول من قال لا استطيع النظر الى فلان على منى الاستقبال وباب آخر من التحريم وهو قوله (كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) وقال مروان بن محمد

يمشى رويدا يريد ختلكم * كشي خنزيرة الى غذرة
وقال آخر نعم جار الخنزيرة المرضع الفر * ثي اذا ما غدا ابو كلثوم
طاويا قد اصاب عند صديق * من تريد ما بدمادوم
ثم انحنى بجمره حاجب الشمس * فالقي كالمعالف المهدم

(وقال ابو الحسن) وقد جرير على هشام فقال الحضرمي ايكم يشتمه فقالوا ما احد يقدم عليه قال فانا اشتمه ويرضى ويفضحك قال فقام اليه فقال انت جرير قال نعم قال فلا قرب الله دارك ولا حيسا منارك يا كلب فجعل جرير يبتلع ثم قال له رضيت في شرفك وفضلك وعنافك ان تهاجي الفاجر العاجز يعني الفرزدق فضحك فحدث صديق لى ابو الصام السندي بهذا الحديث قال فشعري اعجب من هذا لاني شتمت البخلاء فشتمت نفسي بأشد مما شتمتهم فقال وما هو قال قولى

لا ترى بيت هجاء * ابدا يسمع مني
لهجا ارفع ممن * قدره بصغر عني

(قال ابو الحسن) كان واحد يسخر بالناس ويدعي انه يرقى من الضرس اذا ضرب على صاحبه فكان اذا اتاه من يشتكى ضرسة قال له اذا رقاها اياك ان تذكر اذا صرت الى فراشك القرد فإنك ان ذكرته بطات الرقيه فكان اذا آوى الى فراشه اول شيء يخطر على باله ذكر القرد ويبيت على حاله من ذلك الوجع فيغدو الى الذى

رقاه فيقول له كيف كنت البارحة فيقول بت وجما فيقول لملك ذكرت القرد فيقول
نعم فيقول من ثم لم تنتفع بالرقية وقال بعض ظرفاء الكوفيين

فإن يشرب أبو فروخ اشرب * وإن كانت معتمة عقسارا

وإن يأكل أبو فروخ آكل * وإن كانت خنائصا صفاراً

وقال يزيد بن معاوية

فن مبلغ القرد الذي سبقت به * جياذ أمير المؤمنين اتان

تعلق أبا قيس بها إن اطعتني * فليس عليها أن هاسكت ضمان

(وزعم الجرداني أن بشار الاعمي لم يجزع من هجاء قط) كجزءه من بيت حماد

عجرد حيث يقول (ويا اقبح من قرد * إذا ما عمي القرد)

وقال بشر بن المهدي

اتخطر للاشراف حذيم كبرة * وهل يستعد القرد للخطر ان

ابن قصر الاذئاب ان يخطر وابها * واؤم قروود وسط كل مكان

لقد سمنت قردا نكم آل حذيم * واحسابكم في الحى غير سمان

وقال الاصمعي عن أبي الاشهب عن أبي السليل قال ما أبالي أخنزيرا رأيت يجر برجله أو

مثل عبيد ينادي يال فلان (الاصمعي) عن أبي ظبيان قال الخزرهم البنات الذين بنوا الصرح

وإسمهم مشتق من الخنزير ذهب الى اسمه بالفارسية هنر جمع العرب خزر

خنزيرا الى هذا ذهب (وقال الناس في المسخ) بأقوال مختلفة فهم من زعم ان المسخ

لا يتناسل ولا يبقى الا بقدر ما يكون موعظة وعبرة فقطعوا على تلك الشهادة ومنهم

من زعم أنه يبقى ويتناسل حتى جعل الضب والجربى والارانب والكلاب وغير ذلك

من أولاد تلك الامم التي مسخت في هذه الصور وكذلك قولهم في الحيات وقالوا في

الوزغ إن أباهما لما صنع في نار ابراهيم وبيت المقدس ما صنع أصمه الله وأبرصه ففيس

سام أبرص فهذا الذي نرى هو من ولده حتى صار في قتله الاجر العظيم ليس على ان

الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئاب اذا خافها على المسلمين وقالوا في سهيل وفي

الزهرة وفي هاروت وماروت وفي فزى وعبرى وفي أبوى ذوى القرنين وجرهم ما قالوا

فأما القول في نفس المسخ فإن الناس اختلفوا في ذلك فأما الدهرية فهم في ذلك صنفان
 منهم من جعل المسخ وأقر بالخسف والريح والطوفان وجعل الخسف كالزلازل وزعم
 انه يقرب من القذف بما كان من البرد الكبار وأما الحجاره فإنها لا تجيء من جهة
 السماء وقال استأجوز لاما اجتمعت عليه الامة انه قد يحدث في العالم فأنكر المسخ البتة
 وقال الصنف الآخر لا ينكر ان يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ما فيهم ويفسد
 تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الايام كما عمل ذلك في طباع لزنج وطباع بلاد الصقالبة
 وطباع بلاد أوج و أوج وقد رأينا العرب وكانوا اعرابا حين نزلوا اخر اسان كيف
 انسلخوا من جميع تلك المعاني وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الابل والدواب وجميع
 ماشيتهم من سبع وبهيمة على طباعهم وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضرا
 أو ترها في غير الخضرة على غير ذلك وترى القملة في رأس الشاب الاسود الشعر سوداء
 وترها في رأس الشيخ الابيض الشعر بيضاء وترها في رأس الاشمط شمطاء وفي لون
 الجمل الأورق ورفاء فإذا كانت في رأس الخضب بالحمرة تراها حمراء فإن نصل خضابه صار
 فيها اشكاله من بين بيض وحمرة وقد نرى حررة بني سليم وما اشتمت عليه من انسان
 وسبع وبهيمة وطائر وحشرة فتراها كلها سوداء وقد خبرنا من لا يحصى من الناس
 انهم قد أدر كوارجالا من نبط بيسان ولهم أذنان إلا تكن كأذنان التماسيح والاسد
 والبقر والخيل والا كاذناب السلاحف والجرذان فقد كان لهم عجوب طوال كالاذناب
 وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجمعيات على وجهه شبه القرد وربما رأينا الرجل
 من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ الا القليل وقد يجوز ان يصادف ذلك الهواء
 الناسد والماء الخبيث والتربة لردية ناسا في سنة هؤلاء المشوهين والانباط ويكونون
 جهالا فلا يرتحلون ضئانة بمساكنهم وأوطانهم ولا ينتقلون فإذا طال ذلك عليهم زاد في
 تلك السمور وفي تلك الاذنان وفي تلك الالوان السمور وفي تلك الصور المناسبة للقرود
 فالواول معروف ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يمرض ان الموضع الذي قلب صور قوم
 الى صور الخنازير هو الموضع الذي نقل صور قوم الى صور القرود وقد يجوز ان
 تكون هذه الصور انقلبت في مهب الريح الشمالي والاخرى في مهب الجنوب ويجوز

بالله الذي سحر
 طوبى

الاصغر
 ابراهيم بن
 ابراهيم بن
 ابراهيم بن

الاسد بن
 ابراهيم بن
 ابراهيم بن
 ابراهيم بن
 ابراهيم بن

الاسد بن

ان يكون ذلك كان في دهر واحد ويجوز ان يكون بينهما دهر ودهور قالوا فلسنا ننكر المسخ ان كان على هذا الترتيب لانه ان كان على مجرى الطابع وما تدور به الادوار فليس ذلك بناقض لقولنا ولا مثبت لقولكم قال أبو اسحق الذي قلتم ليس بمجال ولا ينكر ان يحدث في العالم برهانات وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الاعاجيب والدلائل والآيات ونحن إنما عرفنا ذلك من قبلهم ولولا ذلك لكان لدى قلتم غير ممتنع ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ثم خبر بذلك نبي أو دعا به نبي لكان ذلك أعظم الحجة (فأما) أبو بكر الاصم وهشام بن الحكم فانهما يقولان بالقلب ويقولان إنه اذا جاز ان يقاب الله خردلة من غير ان يزيد فيها جسما وطولا جاز أن يقاب ابن آدم قرءاً من غير أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً وأما أبو اسحق فقد كان لولا ما صح عنده من قول الانبياء وإجماع المسلمين على أنه قد كان وإنه قد كان حجة وبرهاناً في وقته لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع وقوله هذا قول جميع من قال بالطابع ولم يذهب مذهب جهنم وحفص القروي وقال ابن العيسى يذكر القرد

لا

فبها غداة الرمل يا قرد حذيم * تؤامرهما في نفسها تستشيرها

قال وسأل سائل في تحريم الخنزير عن مسألة فمنهم من أراد الطعن ومنهم من أراد الاستفهام ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من جهة الفتيا اذا كان قوله خلاف قولنا قالوا إنما قال الله (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) فذكر اللحم دون الشحم ودون الرأس ودون المخ ودون العصب ودون سائر أجزائه ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها فكذلك الدم لان القول وقع على جملته ما فاشتمل على جميع خصائصهما بلفظ واحد وهو العموم وليس ذلك في الخنزير لانه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذكر اللحم والعظم فرق ولا بين اللحم والشحم فرق وقد كان ينبغي في قياسكم هذا القول حرمت عليكم الميتة والدم وشحم الخنزير ان تحرموا الشحم وإنما ذكر اللحم فلم تحرموا الشحم وما بالكم تحرمون الشحم عند ذكر غير الشحم فهلا حرمتهم للحم بالكتابة وحرمتهم ما سواه بالخبر الذي لا يدفع فان بقيت خصلة أو خصلتان مما لم تصيبوا ذكره في

سائل

كتاب منزل وفي أثر لا يدفع رددتوه الى جهة العقل فلنا ان للناس عادات وكل ما يعرف كل شيء بموضعه وإنما ذلك على قدر استعمالمهم له وانتماعهم به وقد يقول الرجل لو كيله اشترى بهذا الدينار لحما أو بهذه الدراهم فيأخيه باللحم فيه الشحم والمظم والمرق والمصب والفضروف والدواد والطحال والرئة وبعض أسقاط الشاة وحشو البطن والرأس لحم والسماك أيضاً لحم وقال الله تعالى هو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها فإن كان الرسول ذهب الى المستعمل من ذلك وترك بعض ما يقع عليه إسم لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه فاذا قال حرمت عليكم لحماً فكأنه قال لحم الشاة والبقرة والجزور ولو أنت رجلاً قال أكلت لحماً وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً لم يكن كاذباً وللناس ان يضعوا كلامهم حيث أحبوا إذا كان لهم مجاز إلا في المعاملات فإن قلت فما تقول في الجلد فليس للخنزير جلد كما أنه ليس للانسان جلد الا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته وإنما الجلد ما يسلخ ويدحس فيتبرأ مما كان به ملتزقاً ولم يكن ملتجماً كنفق ما بين جلد الحوصلة والعرقين فإن سألت عن الشعر وعن جلد المنخنة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع فأنى أزمم ان جلده لا يدبغ ولا ينتفع به الا الأسا كلفة والقول في ذلك أنه كاه محرم وإنما ذلك كقوله تعالى (ومن يؤلمهم يومئذ دبره) وكقوله عز وجل (ولا تقوان لشيء إني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً وإن كان لا يعمل بالثقب والمنشار ونحوه ولا يضرب بالمضاع ونحو ذلك وتسميه خبازاً إذا كان يطبخ ويمجن وتسمي المير الطيمه وإن لم يكن فيها ما يحمل المطر الا واحد وتقول هذه ظعن فلان لا يوادج إذا كانت فيها امرأة واحدة ويقال هؤلاء بنو فلان وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال فلما كان اللحم هو العمود الذي اليه يقصد وصار في أعظم الأجزاء قدراً دخل سائر تلك الأجزاء في اسمه ولو كان الشحم معتزلاً من اللحم ومفرداً في جميع الشحام كشحوم الكلا والثروب لم يحجز ذلك واذا تكلمت على المفردات لم يكن المنخ لحماً ولا الدماغ ولا المظم ولا الشحم ولا الفضروف ولا الكروش ولا ما أشبه ذلك فلما قال (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) وكانت هذه الاشياء

المشبهة باللحم تدخل في باب العموم في اسم اللحم كان القول واقعا على الجميع وقال الشاعر
 من يأنصا صبحا يريد غدا أنا * فالهام منفضة لدى الشحام

لحم فضيغ لا يعني طابخا * يؤتى به من قبل كل طعام

واذا قد ذكرنا بعض الكلام والمسائل في بعض الكلام فسنذكر شأن الهدهد والمسألة
 في ذلك قال الله عز وجل (وتنفق الطير فقال مالي لأرى الهدهد أم كان من الغائبين
 لأعذبه عذابا شديداً أولاً ذبحه أولاً يأتيني بساطان مبين) ثم قال (فكث غير بعيد)
 يعني الهدهد فقال لسليمان المتوعدله بالذبح عقوبة له والعقوبة لا تكون الا على المعصية
 لبشرى آدمي لم تكن عقوبته الذبح فدل ذلك على ان المعصية إنما كانت له ولا تكون
 المعصية لله الا ممن يعرف الله أو ممن كان يمكنه ان يعرف الله تعالى فترك ما يجب
 عليه من المعرفة وفي قوله لسليمان (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين
 إني وجدت أمراً تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) ثم قال بعد ان
 عرف فضل ما بين الملوك والسوقة وما بين النساء والرجال وعرف عظيم عرشها
 وكثرة ما أوتيت في ملكها قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
 وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون) فعرف السجود للشمس
 وأنكر المعاصي ثم قال (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم
 ما يخفون) ويتمجب من سجودهم أمير الله ثم علم ان الله يعلم غيب السموات والارض ويعلم
 السر والعلانية ثم قال (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وهذا يدل على أنه أعلم من ناس
 كثير من المميزين المستدلين الناظرين قال سليمان (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين)
 ثم قال (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم قول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ
 اني أتى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا على وأتوني
 مسلمين) فلما جاء سليمان قال (أتمدوني بما لآتاني الله خيراً مما آتاكم بل أنتم بهديتكم
 تفرحون) وذلك أنها قالت (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها
 أذلة وكذلك يفعلون واني مرسل اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) قال سليمان
 للهدهد (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون

قال يا أيها الملائكة يا أيها النبي بمرسها قبل أن يأتيوني . سامين قال عن ريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ، أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) فظن في جميع ذلك طاعنون فقال بعضهم قد ثبت أن الهدهد يحتمل العتاب والعتاب والتكليف والثواب والولاية ودخول الجنة بالطاعة ودخول النار بالمعصية لان المعرفة توجب الامر والنهي والامر والنهي يوجبان الطاعة والمعصية والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والمداوة فينبغي للهدهد أن يكون فيها المدو والولي والكافر والمسلم والزندق والدهرى وإذا كان حكم الجنس حكما واحدا لزم الجميع ذلك وان كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة والنملة والقملة والفيل والقرد والخنزير والحمام وجميع هذه الامم تقدمها عليه في المعرفة فينبغي أن تكون هذه الاصناف المتقدمة عليه في عقول هذه الامة والانبياء وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والاعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام فان الحمام كان رائد نوح على نبينا وعليه السلام وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد من هذا النوع قلنا ان الله تعالى لم يقل (وتفقد الطير فقال مالي لأرى ههدد) من عرض الهدهد فلم يقع قوله على الهدهد جملة ولا على واحد منها غير مقصود اليه ولم يذهب الى الجنس عامة واسكنه قال (وتفقد الطير فقال مالي لأرى الهدهد) فادخل في الاسم الالف واللام فجعله معرفة فدل بذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه وكان كغراب نوح وحمار عزيز وكذلك ذئب أهبان بن أوس فقد كان لله فيه وفيها تدبير وليجعل ذلك آية لانيائه وبرهانا لرسله ولا يستطيع أعقل الناس أن يعمل عمل أجره الناس كما لا يستطيع أجرأ الناس ان يعمل أعمال أعقل الناس فبأعمال الجبانين والعقلاء عرفنا مقدارهما من صحة أذهانهما وفسادهما وباختلاف أعمال الاطفال والكهول عرفنا مقدارهما في الضعيف والقوة وفي الجهل والمعرفة وبمثل ذلك فضلنا بين الجماد والحيوان والعالم وأعلم منه والجاهل وأجهل منه ولو كان عند

السياع والبهائم ما عند الحكماء والادباء والوزراء والخلفاء والائمة والانبيا لا ثمرت تلك العقول باضطرار إثمار تلك العقول وهذا باب لا يخطئ فيه الا المائية وأصحاب الجهالات فقط فاما عوام الامم فضلا عن خواصهم فهم يعمدون من ذلك مثل ما تعلم وانما يتفاضل بالبيان والحفظ وينسق المحفوظة فاما المعرفة فنحن فيها سواء ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه وافادته واقدار معارف أبواب الحيوان وما يظهر منها وبذلك الادلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت وبين الجماد والحيوان (فان قال الخصم) ما نعرف كلام الذئب ولا معرفة الغراب ولا علم الهدهد فاننا نحن ناس نؤمن بان عيسى عليه السلام خلق من غير ذكر وانما خاق من أنثى وأن آدم وحواء خلقا من غير ذكر وأنثى وان عيسى تكلم في المهد وان يحيى بن زكريا نطق بالحكمة في الصبا وان عقيما القح وان عاقرا ولدت وباشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة فالسبب الذي به عرفنا أنه قد كان لذلك الهدهد مقدار من المعرفة دون ماتوهمتم وفوق مامع الهدهد ومتى سألتونا عن الحجة فالسبيل واحدة ونحن نقر بان من دخل الجنة من المجانين والاطفال يدخلون عقلاء كاملين من غير تجارب وتمرين وترتيب فمسألتكم عما اللهم الهدهد هي المسألة عما اللهم الطفل في الجنة فان قال قائل فان ذلك القول كله الذي كان من الهدهد انما كان على الالهام والتسخير ولم يكن ذلك عن معرفة منه فلم قال لأعدبه عذابا شديدا ولا ذبحنه (قلنا) فانه قد يتوعد الرجل ابنه وهو بعد لم يجر عليه الاحكام بالضرب الوجيع ان هو لم يأت السوق او يحفظ سورة كذا وكذا فلا ينفه أحد على ذلك الوعيد ويكذب فيضربه على الكذب ويضرب صبيا فيضربه لانه ضربه وهو في ذلك قد حسن خطه وجاد حسابه وشدا من النجو والعرانض شدوا حسنا ونفع أهله وتعلم اعمالا وتكلم بكلام أجاب في القتيا بكلام فوق معاني الهدهد في اللطافة والنموض وهو في ذلك لم يكمل لاحتمال الغرض والولاية والمداوة (فان قال) فهل يجوز لاحد ان يقول لابنه إن أنت لم تأت السوق ذبحتك وهو جاد قلنا لا يجوز ذلك ونما جاز ذلك في الهدهد لان سليمان ومن هو دون سليمان من جميع العالم له ان يذبح الهدهد والحمام والديك والعناق والجدي والذبح سبيل من سبل مناياهم فلو ذبحه سليمان لم يكن في ذلك

الا بقدر التقديم والتأخير والا بقدر ضرب ما بين أن يموت حتف أنفه أو يموت بالذبح
 وامل صرف ما بينهما لا يكون الا بمقدار ألم عشرين درة وامل نتف جناحه يفي بذلك
 الضرب واذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهد بعينه حق ما دات عليه الآية ولم يجز
 ذلك في جميع الهداهد ولم يكن كمن ينكر قدرة الله على ان تتركب عضورا من المصافير
 ضربا من التراكيب يكون ادهى من قيس بن زهير ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك
 بالمصافير اظهرت كذلك دلائل على انالو تأوانا الذبح على مثال تأويل قولنا في ذبح
 ابراهيم اسماعيل عليهما السلام انما كان ذلك ذبحا في المعنى غيره أو على معنى قول
 القائل اما أنا فقد ذبحته وضربت عنقه وليكن السيف خانتي أو على قولهم المسك الذبيح
 أو على قولهم فجئت وقد ذبحني العطش لكان ذلك مجازا ولو ان صبيا من صبياننا سئل
 قبل ان يبلغ فرض البلوغ بساعة رأى ملكة سبيا في جميع حالاتها لما كان بميدا ولا
 ممتعا ان يقول رأيت امرأة ملكة ورأيتها تسجد للشمس من دون الله ورأيتها تطيع
 الشيطان وتعصي الرحمن ولا سيما ان كان من صبيان الخلفاء والوزراء او من صبيان
 الاعراب والدليل على ان ذلك الهدهد كان مسخرا ويسرا تخفيه الى اليمن ورجوعه
 من ساعته ولم يكن من الطير القواطع فرجع الى وكره والدليل على ذلك ان سليمان
 عليه السلام لم يقل نعم قد رأيت كل ما ذكرت وانت لم تعلم حين مضيت بطالاهاربا
 من العمل أتكدي أم تخرج أو ترى العجوبة أو لا تراها وليكنه توعده على ظاهر
 الرأي وانفرد القول ايظهر الآية والعجوبة ثم طعن في ملك سليمان وملكة سبيا ناس من
 من الدهرية وقال زعمتم ان سليمان سأل ربه (رب عبلي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي)
 وان الله تعالى أعطاه ذلك فملكه على الجن فضلا عن الانس وعلمه منطق الطير وسخر له
 الريح فسكنت الجن له خولا والرياح له مسخرة ثم زعمتم وهو اما بالشام واما بسواد
 العراق أنه لا يعرف باليمن ملكة هذه صفتها وملكنا اليوم دون سليمان في القدرة
 لا يخفي عنهم صاحب الخزر ولا صاحب الروم ولا صاحب الترك ولا صاحب النوبة
 وكيف يجهل سليمان موضع هذه الملكة مع قرب دارها واتصال بلادها وليس دونها
 بحار ولا اوعار والطريق نهج الخف والحافر والتقدم فكيف والجن والانس طوع

يمينه ولو كان حين خبره الهدهد بمكانها اضرب عنها صنفاً لكان لقائل ان يقول ما
 أتاه الهدهد الا باصر يعرفه فهذا وما أشبهه دليل على فساد اخباركم قلنا ان الدنيا اذا
 خلاها الله وتدير أهلها ومجاري أمورها وعاداتها كان امرى كما تقولون ونحن نزعم
 ان يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم كان أئبه أهل زمانه لانه نبي ابن نبي وكان يوسف
 وزير ملك مصر ومن النباهة بالموضع الذي لا يدفع وله البرد واليه يرجع جواب الاخبار
 ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ولا يوسف مكان يعقوب عاينها السلام دهرًا من
 الدهور مع النباهة والقدرة واتصال الدار وكذلك القول في موسى بن عمران ومن كان
 معه في التيه فقد كانوا أمة من الاثم يكسمون أربعين عاما في مقدار فراسخ يسيرة
 ولا يهتدون الى المخرج وما كانت بلاد التيه الامن ملاعبهم ومنتزهاتهم ولا يعدم مثل
 العسكر الادلاء والجمالين والمكارين والفيوح والرسا والتجار ولكن الله صرف
 أوهامهم ورفع ذلك القصد من صدورهم وكذلك القول في الشياطين الذين يسترقون
 السمع في كل ليلة فتقول انهم لو كان كلما أراد مرید منهم ان يصعد ذكر انه قد رجم
 او رجم صاحبه وانه كذلك منذ كان لم يصل معه أحد الى استراق السمع كان سخالا ان
 يروم ذلك احد منهم مع الذكر والعيان ومثل ذلك قد علمنا ان ابليس لا يزال عاصيا
 الى يوم البعث ولو كان ابليس في حال المصيبة ذكر اخبار الله تعالى انه لا يزال
 عاصيا وهو يعلم ان خبره صدق كان محالا ان تدعوه نفسه الى الايمان ويطمع في ذلك
 مع تصديقه بانه لا يختار الايمان ابداً ومن المحال ان يجمع بين وجوب الاستطاعة وعدم
 الدواعي وجواز الفعل ولو ان رجلا علم يقينا انه لا يخرج من بيته يومه ذلك كان محالا
 ان تدعوه نفسه الى الخروج مع علمه بانه لا يفعل ولكن ابليس لما كان مصرّوف
 القلب عن ذكر ذلك الخبر دخل في حسد المستطيعين ومثل ذلك ان النبي صلى الله
 عليه وسلم لما بشره الله بالظفر وتمام الامر وبشر اصحابه بالنصر ونزول الملائكة ولو
 كانوا لذلك ذا كرين في كل حال لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة واذا لم يتكافؤوا مؤونة
 لم يؤجروا ولكن الله تعالى بنظره اليهم رفع ذلك في كثير من الحالات عن أوهامهم
 ليحتملوا مشقة القتال وهم لا يعلمون ان يغلبون ام يقتلون ام يقتلون ومثل

ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بمدان تحدام
الرسول بنظمه ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه ولو طمع فيه لتكافه ولو تكاف بهضمهم
ذلك نجاء بأمر فيه أدنى شبهة اعظمت القصة على الاعراب واشباه الاعراب والنساء
واشباه النساء ولا أتى ذلك لاسلمين عملا واطابوا المحاكاة والتراضى ببعض العرب وليكثر
القبيل والقال فقد رأيت أصحاب مسيامة وأصحاب بني النواحة إنما تعلقوا بما ألف لهم مسيامة
من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه انه إنما عدا على القرآن فسلبه وأخذ بمضه
وتعاطي أن يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له فان كان
الدهرى يريد من أصحاب العبادات والرسل ما يريد من الدهرى الصنف الذي لا
يقر الا بما أوجده العيان وما يحرى مجرى العيان فقد ظلم وقد علم الدهرى ان لنا ربا
يخترع الاجسام اختراعا وانها حي لا بحياة وعالم لا بعلم وانها شيء لا ينقسم وليس بذي طول
ولا عرض ولا عمق وان الانبياء تحي الموتى وهذا كله عند الدهرى مستنكر وانما كان
يكون له علينا سبيل لو لم يكن الذي ذكرنا جائزا في القياس واحتجنا الى تثبيت الربوبية
وتصديق الرسالة فاذا كان ذلك جائزا وكان كونه غير مستنكر ولا محال ولا ظلم ولا
عيب فلم يبق له الا أن يسألنا عن الاصل الذي دعا الى التوحيد والى تثبيت الرسل وفي
كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع
ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به وفيه مسطوران سليمان بن داود غير
حينما وهو ميت معتمد على عصاه في الموضع الذي لا يحجب عنه انبي ولا جني والشياطين
منهم المكشود بالغل الشديد ومنهم المحبوس والمستعبد وكانوا كما قال الله تعالى
(يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات) وقال
(والشياطين كل بناء وغواص وآخزين مقرنين في الاصفاد) وانه غير كذلك
حينما وهو تجاه أعينهم فلا هم عرفوا سجية وجوه الموتى ولا هو اذ كان ميتا سقط
سقوط الموتى وثبت قائما معتمد على عصاه وعصاه ثابتة قائمة في يده وهو قابض
عليها وليست هذه الصفة صفة موتانا وقال (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا
دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا

في العذاب المهين) ونحن دون الشياطين والجن في صدق الحس ونفوذ البصر ولو كنا من بعض الموتى بهذا المكان لما خفي عنا أمره وكان أدنى ذلك ان نطن ونرتاب ومتى ارتاب قوم وظنوا وماجوا وتكلموا وشاوروا واقتنوا وثبتوا ولا سيما اذا كانوا في العذاب وراوا تابشير الفرج ولولا المعرفة التي ياتمها الله تعلى على قلب من أحب وأن الله يقدر على ان يشغل الالهام كيف شاء ويذكر بما يشاء وينسى ما يشاء لما اجتمع أهل داره وقصره وسوره وربضه وخاصته ومن يخدمه من الجن والانس والشياطين على الاطباق بانه حي كذلك كان عندهم فحدث ما حدث من موته فلما لم يشعروا به كانوا على ما لم يزالوا عليه فعلمنا ان الجن والشياطين كانت توهم الاغبياء والعوام والحشوة والسفلة أن عندهما شيئاً من علم الغيب والشياطين لا تعلم ذلك فاراد الله أن يكشف من أمرهم للجهال ما كان كشفه للعلماء فهذا وأشباهه من الامور نحن الى الاقرار به مضطرون بالحجج الاضطرارية فليس لخصوصنا حيلة الا أن يوافقونا وينظروا في العلة التي اضطرتنا الى هذا القول فان كانت صحيحة فالصحيح لا يوجب الا الصحيح وان كانت سقيمة علمنا أن ما أوتينا من تأويلنا وأما قوله (لا عذبته) فان التعذيب يكون بالحبس كما قال الله عز وجل (لو كانوا يمامون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) وانما كانوا محبوسين وقد يقول العاشق لمعشوقته يامعذبتى وقد عذبتي ومن العذاب ما يكون طويلاً ومنه ما يكون قصيراً ولو خسف الله تعالى بقوم في أقل من عشر ساعات لجاز لقاتل أن يقول كان ذلك يوم أحل الله عذابه ونقمته ببلاد كندوكندا (وقال أبو ناصرة الخنزير ربما قتل الاسد) وما أكثر ما يلحق بصاحب السيف والرمح فيضربه بنابه فيقطع كل ما لقيه من جسده من عظم وعصب حتى يقتله وربما احتال أن ينتطح على وجهه على الارض فلا يعني ذلك عنه شيئاً وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقوع السهم ونفوذها فيه وهو مع ذلك أروغ من ثعلب اذا أراد الفارس واذا عدا أطمع في نفسه كل شيء واذا طواب أعيا الخليل العتاق والخنزير مع ذلك أنسل الخلق لان الخنزيرة تضع عشرين خنوصاً وهو مع كثرة أنساله من أقوى الفحول على السفاد ومع القوة على السفاد هو أطولها مكثاً في سفاده فهو بذلك أجمع الفحولة بهذا واذا كان الكلب

والذئب . ووصفين بشدة القلب اطول الخطم فالخنزير أولى بذلك وللفيل ناب عجيب
والكنه انصر عنقه لا يبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ به الناب ، بلغا وانما يستعين بخرطومه
وخرطومه هو أنفه والخطم نسير الخرطوم قال أبو ناصرة وله طيب وهو طيب
لحمه ولحم أولاده . وإذا أرادوا وصف اختلاف ودك السكر كرى في مرق طبيخ
قالوا كان أهائه أهالة خنزير لانه لا يسرع اليها الجلود وسرعة جمود أهالة الماعز في الشتاء
عيب وللضأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ولا يلحق بالخنزير واذ انقص من الانسان
عظم واحتيج الي صلاته في بعض الامراض لم يلتحم به الاعظم الخنزير واذ ضرب
فصاح لم يكن السامع يفصل بين صوته وبين صوت صبي مضروب وفي إطباق
جميع الائم على شهوة أكله واستطابة لحمه دليل على أن له في ذلك ما ليس لغيره والجوس
ترعى أن المنخقة والموقوذة والمتردية وكلما اعتبط ولم يمت حتف أنفه فهو أطيب لحماً
وأحلى لان دمه فيه والدم حلو دسم وإنما عافه من عافه من طريق العادة والديانة لامن
طريق الاستقدار ولزهد الذي يكون في أصل الطبيعة وقد عاف قوم الجرى والضباب
على مثل ذلك وشغف به آخرون وقد كانت العرب فالجاهلية تأكل دم الفصد وتفضل
طعمه وتخبر عما يورث من القوة قال وأي شيء أحسن من الدم وهل اللحم الادم استحال
كما يستحيل اللحم شحماً ولكن الناس اذا ذكروا معناه ومن أين يخرج وكيف يخرج
كان ذلك كاسراً لهم وما نأمن شهوته وكيف حال النار في حسنها فانه ليس في الارض جسم
لم يصنع أحسن منه ولولا معرفتهم بقتالها واحراقها واتلافها والالم والحرقه المولودين عنها
لتضاعف ذلك الحسن عندهم وإنهم ابرونها في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في
الصيف ليس ذلك الا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها وكذلك جلاء السيف فان
الانسان يستحسن قد السيف وخرطه وطبعه وبريقه واذ اذكر صنيعه والذي هي
له بداله في أكثر ذلك وتبدل في عينه وشغله ذلك عن تأمل محاسنه ولولا علم الناس
بمداوة الحياة لهم وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدبا ولا ترعى حق تربية ثم رأوا
شيئاً من هذه الحياة البيض المنقشة الظهور لما يتوها ونوموها الا في المهدي مع صبيانهم
فيقول اصاحب هذه المقالة تحريم الاغذية إنما يكون من طريق العبادة والمحنة وليس

أن جوهر شيء من المأكول يوجب ذلك وإنما قلنا إنا وجدنا الله تعالى قد مسح عبادة بن عباده في صور الخنزير فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل لم نقل الا هذا (والقرود يضحك) ويطرب ويقمى ويحكي ويتناول الطعام بيديه ويضعه في فيه وله أصابع وأظفار وينقى الجوز ويأانس الانس الشديد ويلقن باللقين الكثير وإذا سقط في الماء خر بق ولم يسبح كالانسان قبل أن يتعلم السباحة فلم تجد الناس للذي اعتدى القرد من ذلك دون جميع الحيوان علة الا هذه المعاني التي ذكرتها من مناسبة الانسان من قبلها ويحكي عنه من شدة الزواج والغيرة على الأزواج ما لا يحكى مثله الا عن الانسان لأن الخنزير يغار وكذلك الجمل والفرس الا أنها لا تزوج والحمار يغار ويحمى عاتقه الدهر كله ويضرب فيها كضربه لو أصاب أتاناً من غيرها وأجناس الحمام تزوج ولا تغار واجتمع في القرد الزواج والغيرة وهما خصلتان كريمتان واجتماعهما من مفاخر الانسان على سائر الحيوان ونحن لم نر وجه شيء غير الانسان أشبه صورة وشبهها على ما فيه من الاختلاف ولا أشبهه فمما ووجهها بالانسان من القرد وبما رأينا بعض وجه الحمار إذا كان ذا خطم فلا نجد بينه وبين القرد إلا اليسير وتقول الناس أكيس من قشة وأملح من رباح ولم يقل أحد أكيس من خنزير وأملح من خنوص وهو قول العامة القرد قبيح وليكنه مليح وقال الناس في الضب إنه مسخ وقالوا انظر الى كفه وأصابمه فكيف والقرد أصابمه أشبهه وأصنع فقدمت القرد على الخنزير من هذا الوجه (وأما) القول في لحمه فانا لم نزعم أن الخنزير هو ذلك الانسان الذي مسح ولا هو من نسله ولم ندع لحمه من جهة الاستعداد لشهوته في العذرة ونحن نجد الشبوط والجري والدجاج والجراد يشاركنه في ذلك وليكن للخصال التي عددنا من أسباب العبادات وكيف صار أحق بان تمسخ الاعداء على صورته في خلقته قال وقت مرة لعبيد الكلابي وأظهر من حب الأبل والشغف بها ما دعاني الى ان قات له أيتها وبينكم قرابة قال نعم لها فينا خوولة إني والله ما أعني البخاتي وليكني أعني العرب التي هي أعرب قات له مسخك الله تعالى بميرا قال الله لا يمسخ الانسان على صورة كريم وإنما يمسخه على صورة لئيم مثل الخنزير والقرد فهذا قول إعرابي جلف تكلم على فطرته وقد تكلم المخالفون في

قوله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيتهم
حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون)
وقد طعن ناس في تأويل هذه الآية بغير علم ولا بيان فقالوا وكيف يكون ذلك وليس
بين أن مجيئ في كل هلال فرق ولا بينها اذا جاءت في رأس الهلال فرق ولا بينها
اذا جاءت في رأس السنة فرق وهذا بحر البصرة والابلة يأيتهم ثلاثة أشهر معلومة
معروفة السمك الاشبور فيمرفون وقت مجيئه وينتظرونه ويمرفون وقت انقطاعه
ومجيئ غيره فلا يمكنهم الحال الا قليلا حتى يقبل السمك من ذلك البحر في ذلك
الوان فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة وذلك في كل سنة مرتين
لكل جنس ومعلوم عندهم انه يكون في أحد الزمانين أسمن وهو الجراف ثم يأيتهم
الاشبول على حساب مجيئ الاشبول والجراف فاما الاشبول فهو يتقطع اليهم من بلاد
الزنج وذلك معروف عند البحريين وان الاشبول في الوقت الذي يتقطع إلى دجلة
البصرة لا يوجد في الزنج وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة وربما
اصطادوا منها شيئا في الطريق في وقت قطعها المعروف وفي وقت رجوعها ومع ذلك
أصناف من السمك كالارسان والرق والكوسج والبردو الكرونح كل ذلك معروف
الزمان متوقع المخرج وفي السمك أوابد وقواطع وفيها سيطرة لا تقم وذلك الشبه يصاب
ولذلك صاروا يتكلمون بخمسة السنة يهدونها سوى ما تعلقوا به من غيرها ثم القواطع
من الطير قد تأتينا إلى المراق منهم في ذلك الابان جماعات كثيرة تقطع الينائم تمود
في وقتها قلنا لهؤلاء القوم لقد أصبتم في بعض ما وصفتم وأخطأتم في بعض قال الله
تعالى (إذ تأتيتهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم) ويوم السبت
يدور مع الاسابيع والاسابيع تدور مع شهور القمرية وهذا لا يكون مع استواء من
الزمان وقد يكون السبت في الشتاء والصيف والخريف وفيما بين ذلك وليس هذا
من باب أزمان قواطع السمك وهييج الحيوان وطاب السنفاذ وازمان الفلاحة وأوقات
الجزر والمد وفي سبيل الانواء والشجر كيف يتقضى الورق والثمار وكيف تسليخ
الحيات والايائل كيف تأتي قرونها والطيير كيف تنطق ومتى تسكت ولو قال لنا قائل

إني نبي قلناله وما آيتك وما علامتك فقال اذا كان في آخر تشرين الآخر اقبل اليكم
الاشبور من جهة البحر ضحكوا منه وسخروا به ولو قال اذا كان يوم الجمعة أو يوم
الاحد اقبل اليكم الاشبور حتى لا يزال يصنع ذلك في كل جمعة عامنا اضطرارا اذا
عابنا الذي ذكر على نسقه أنه صادق وأنه لم يعلم ذلك الا من قبل خالق السمك تعالى
الله عن ذلك وقد أقرنا بعجيب ما نرى من مطالع النجوم ومن تناهي المد والجزر على
قدر امتلاء القمر ونقصانه وزيادته ومحاقه وإسرااره واستدارته وكل شيء يأتي على هذا
النسق من المجارى فانما الآية فيه لله وحده على وحدانيته فاذا قال قائل لاهل شريعة
ولا اهل مرسى من أصحاب بحر أونهر أو واد أو عين أو جدول تأييم الحيتان في كل
سبت أو قال في كل رمضان ورمضان يتحول الا زمان في الشتاء والصيف والربيع
والخريف والسبت يتحول في جميع الا زمان فاذا كان ذلك كانت تلك الاعجوبة فيه دالة
على توحيد الله تعالى وعلى صدق صاحب الخبر وأنه رسول ذلك المسخر لذلك الصنف
فكان ذلك المحيي، خارجاً من النسق القائم والمادة المعروفة وهذا الفرق بذلك بين
والحمد لله قال الله تعالى (فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وفي
الموضع الذي ذكر أنه مسخ ناساً خزائير وقد ذكر القروود ولم يذكر أنه مسخ قوماً
قروود ولم يمسخ منهم خزائير واذا كان الامر كذلك فالمسوخ على صورة القرد أشنع اذ
كان المسوخ على صورتها أعم وكان العقاب به أكبر وان الوقت الذي قد ذكر أنه قد
مسخ ناساً قرووداً فقد كان مسخ ناساً خزائير فلم يدع ذكر الخزائير وذكر القروود
الا والقروود في هذا الباب أوجع وأشنع وأعظم في العقوبة وأدل على شدة السخط
هذا قول بعضهم قال ويقال لموضع الانف من السباع الخطم والخراطوم وقد يقال ذلك
للخنزير والفتنطيسة والجمع الفناطيس وقال الاعرابي * كان فناطيسها كرا كرا الابل *
وقال صاحب المنطق لا يكون خنزير ولا أيل بحريا وذكرا أن خزائير بعض البلدان يكون
لها ظلف واحد ولا يكون بارض نهساوند حمار اشدة برد الموضع ولان الحمار سرد
وقال في أرض كذا وكذا لا يكون بها شيء من الخلد وإن نقله انسان اليها لم يحفر ولم
يتخذ بها بيتا وفي الجزيرة التي تسمى صقلية لا يكون بها صنف من النمل الذي يسمى

أقرشان وأهل الكتابين ينكرون أن يكون الله تعالى مسخ الناس قروداً وخنزير
وانما مسخ امرأة لوط حجراً كذلك يقولون

التول في الحيات

اللهم جنبنا التكاف واعذنا من الخطل واحننا من العجب بما يكون منا والثقة بما
عندنا واجعلنا من المحسنين (حدثنا أبو جعفر) المكفوف النجوى المنبري وأخوه روح
الكتاب ورجال من بني المنبر أن عندهم في رمل بالمنبر حية تصيد المصافير وصغار
الطير بأعجب صيد زعموا أنها إذا انتصف النهار واشتد الحر في رمال بالمنبر وامتمت
الأرض على الحافي والتمتعل ورمض الجندب نمت هذه الحية ذنبها في الرمل ثم
انتصبت كأنها ربح مركز أو عود نابت فيجئ الطائر الصغير أو الجرادة فإذا رأى عودا
قائما وكرد الوقوع على الرمل لشدة حره وقع على رأس الحية على أنها عود فاذا وقع
على رأسها قبضت عليه فان كان جرادة أو جملاً أو ماض ما لا يشبهها مثله ابتلعته وبقيت على
انتصابها وان كان الواقع على رأسها طائراً يشبهها مثله أكلته وانصرفت وان ذلك دأبها
ما منع الرمل جانبه في الصيف والقيظ في انتصاف النهار والمهاجرة وذلك أن الطائر
لا يشك أن الحية عود وأنه سيقوم له مقام الجذل للحرباء إلى ان يسكن الحر ووهج
الرمل وفي هذا الحديث من العجب ان تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة
وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والمواد وفيه قلة كثرات الحية بالرمل الذي
عاد كالجمر وصالح أن يكون ملة وموضعا للخبرة ثم يشتمل ذلك الرمل على تلك الحية
ساعات من النهار والرمل على هذه الصفة فهذه أعجوبة من اعاجيب ما في الحيات
(وزعم لي) رجال من الصقالبة خصيان وخول ان الحية في بلادهم تأتي البقر فتنتطوي
على نخدي البقرة وركبتها إلى عمر قبيها ثم تشخص صدرها نحو اخلاف ضرعها حتى
تلتقم الخلف فلا تستطيع البقرة أن تترمره فلا تزال تمص اللبن وكلما مصت استرخت
فاذا كادت تتأف أرسلتها وزعموا أن تلك البقرة اما أن توت واما ان يصيبها في ضرعها
فساد شديد تعسر مداواته والحية تعجب باللبن واذا وجدت الافاعي الاناء غير مخمر

كرعته فيه وربما محت فيه ماصار في جوفها فيصيب شارب ذلك اللبن أذى ومكروه
 كثير ويقال ان اللبن مختصر وقد ذهب ناس الى العمار على قولهم ان الثوب الممصفر
 مختصر فظن كثير من العلماء أن المعنى في اللبن انما يرجع الى الحيات والحية تعجب
 باللذات والبطيخ وبالخرف والخردل المزخرف وتكره ربح السذاب والشيخ كما تكره
 الوزغ ربح الزعفران وليس في الارض شئ جسمه مثل جسم الحية الا والحية اقوى
 بدنا منه أضمافا ومن قوتها انها اذا ادخات رأسها في جحرها أو في صدع الى صدرها
 لم يستطع اقوي الناس وهو قابض على ذنبها بكفى يديه ان يخرجها اشدة اعتمادها
 وتعاون أجزائها وليست بذى قوائم لها أظفار أو مخالب لها أظلاف تشبها في الارض
 تشبث بها وتعتمد عليها وربما انقطعت في يد الجاذب لها من انها لدنة ملساء علكة
 فيحتاج الرقيق في أمرها عند ذلك ان يرسلها من يديه بعض الارسال ثم ينشطها
 كالختطف والمختلس وربما انقطع ذنبها في يد الجاذب لها فاما أذنان الافاعي فانها ثابتة
 ومن عجيب ما فيها من هذا الباب أن نابها يقطع بالكارفينب حتى يتم نباته في أول من
 ثلاث ليال والخطاف في هذا الباب خلاف الخنزير لان الخطاف اذا قامت احدى
 عينيه رجعت وعين البرذون يركبها البياض فيذهب في أيام يسيرة وناب الافعى يخال
 له بان يدخل في فيها حمض أترج ويطبّق لحية الاعلى على الاسفل فلا تقتل بعضها
 أياما صالحة والمغناطيس الجاذبة للحديد اذا حرك عليه الثوم لم يجذب الحديد والافعى
 لا تدور عينها في رأسها وهي تلد وتبيض وذلك أنها اذا طرقت بيضا تحطم في جوفها
 فترمي بفراخها اولادا حتى كأها من الحيوان الذى يلد حيوانا مثله وفي الافاعي من
 العجب انها تذبج حتى يفرى منها كل ودج فتبقى كذلك أياما لاتموت فأمرت الحامى
 فقبض على خرزة عنقها فقالت له اقبضها من الخرزة التى تليها فقبضها ففتح بينها بقدر
 سم الابرة حتى بردت ميتة وزعم أنه قد ذبج غيرها من الحيات فعاشت على شبيه بذلك
 ثم انه فصل تلك الخرزة على مثال ماصنع بالافعى فماتت بأسرع من الطرف وكل شئ
 ممسوخ البدن ليس بذى أيدي ولا رجل فإنه يكون شديد البدن كالسمك والحية وزعم
 أحمد بن غالب قال بأعني حواء ثلاثين افعى بدينارين واهدي الى خمس اصطادها من

قبالة القاب في تلك الصحارى على شاطئ دجلة قال واردتها للترياق فقال لي حين
جاءني بها قل لي من يعالجها فقلت فلان الصيدلاني فقال ليس عن هذا سألتك قل لي
من يذبحها ويسلخها قال قلت هذا الصيدلاني بعينه قال أخاف أن يكون مغروراً من
نفسه انه والله ان اخطأ موضع المفصل من قناعا وحر كته أسرع من البرق فإن كان
لا يحسن ولا يدري كيف يتغفله فبنقره نقره لم ينلح بعدها أبداً ولكني سأطوع لك
بأن أعمل ذلك بين يديه قال فبعثت اليه وكان رأسه الحونة فيغفل الواحدة فيقبض
على قفاها بأسرع من الطرف ثم يذبحها فإذا ذبحها سال من أفواها لعاب ايض
فيقول هذا هو السم الذي يقتل قال بخالت يده جولة وقطرت من ذلك اللعاب قطرة
على طرف قيص الصيدلاني قال فتعشى ذلك القاطر حتى صار في قدر الدرهم العظيم
ثم إن الحواء امتحن ذلك الموضع فهافت في يده وبقيت الافاعي مذبوحة في الطست
يكدم بعضها بعضاً حتى أمسينا قال وبكرت على أبي رجاء الى باب الجسر أحدثه
بالحديث فقال لي وددت أني رأيت موضع القطرة في قيص الصيدلاني قال
فوالله ما رمت حتى مررت الى الصيدلاني فارتبه موضعه واصحابنا يزعمون ان لعاب
الافاعي لا يعمل في الدم الا أن احمد بن المثنى زعم أن من الافاعي جنساً لا يضر الفرائج
من بين الاشياء ولا أدري اى الخبرين أبعد أخبر ابن غالب في تفسير الثوب او خبر
ابن المثنى في سلامة الفروج نطى الأفي (وزعم) محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء
بالليل كأنها مصابيح عيون الاسد والتمور والسنانير والأفاعي فبينما نحن عنده اذ دخل
عابه بعض من يجاب الافاعي من سجستان ويعمل الترياقات ويبيعها أحياء ومعمولة
فقل له حدثهم بالذي حدثتني به من عين الافاعي قال نعم كنت في منزلي نائماً في ظلمة وقد
كنت جمعت رؤوس أفاعي كن عندي لأربي بها واغنت تحت السرير رأساً واحداً
ففتحت عيني تجاه السرير في الظلمة فرأيت ضياء الا أنه ضئيل ضعيف رقيق فقلت
عين غول أو بمض أولاد السعالى وذهبت نفسي في الوان من المعاني فتمت فقدحت
ناراً وأخذت المصباح مني ومضيت نحو السرير فلم اجد تحته الا رأس أفي فأطفت
السراج ونمت وفتحت عيني فاذا ذلك الضوء على حاله فهضت فصنعت كصنعتي الأول

حتى فعلت ذلك مرارا قال فقلت آخر مرة لا أرى شيئاً إلا رأس أعمى فلو نجيتيه
فنجيته وأطفأت السراج ثم رجعت الى منامى ففتحت عيني فلم أر الضوء فعلمت أنه من
عين الافعى ثم سألت عن ذلك فاذا الامر حق واذا هو مشهور في أهل هذه الصناعة
قال وربما قبض الرجل الشديد الاسر والقوة القبضه على قفا الحية فتاتف عليه فتصرعه
وفي صعودها وفي سعيها خلف الرجل الشديدا الحضر أو عند هربها حتى تقوت وتسبق
وليست بذات قوائم وانما تناسب على بطنها وفي تدافع اجزائها وتعاونها في حركتها
الكل من ذات نفسها دليل على افراط قوة بدنها ومن ذلك أنها لا تمضغ وانما تبلع فربما كان
في البضعة أو في الشيء الذي ابتلعه عظم فتأني جذم شجرة أو حجرا شاخصا فتنطوي
عليه انطواء شديدا فيتحطم ذلك العظم حتى يصير رفاتا ثم يقطع ذنبها فينبت ثم تعيش
في الماء ان صارت في الماء بعد ان كانت برية وتعيش في البر بعد ان طال مكثها في الماء
وصارت مائة قال وانما أتمها هذه القوة واشتدت فقر ظهرها هذه الشدة لكثرة
أضلاعها وذلك ان لها من الاضلاع عدد أيام الشهر وهي مع ذلك أطول الحيوان عمرا
ويزعمون أن الحية لاتموت حتف أنفها وإنما تموت بعرض يعرض لها ومع ذلك فإنه
ليس في الحيوان شيء هو أصبر على جوع من حية لانها ان كانت شابة فدخات في
حائط صخر فتتبعوا موضع مدخلها بوتد أو بحجر ثم هدموا هذا الحائط وجدوها
هناك منظوية وهي حية فالشابة تذكر الضمر عند هذه العلة فان هزمت صغرت في
بدنها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعم وقد قال الشاعر وهو جاهلي

فابعث له من بعض أعراض اللمم * لميعة من حنش أعمى أصم
قد عاش حتى هو لا يشى بدم * فكأما أقصد منه الجوع سم
وهذا القول لهذا المعنى وفي هذا الوجه يقول الشاعر

داهية قد صغرت من الكبر * صل صغاما ينطوى من القصر
طويلة الاطراف من غير تفر * كأنما قد ذهبت بها الفكر

جاء بها الطوفان أيام زخر

(ومن أعاجيبها) أنها وان كانت موصوفة بالشره والنهم وسرعة الابتلاع فلها في الصبر

في أيام الشتاء ما ليس للزهيد ثم هي يمد يسير بها الخال الى أن تستغني عن الطم ثم قد يزعمون أن تبصر دوية يقال لها الشمس يتخذها الناطور اذا اشتد خوفه من الثعابين لان هذه الدابة تنقبض وتنضم وتصل وتسدق حتى كأنها فريدة أو قطعة حبل فاذا عضها الثعبان والظوي عليها زفرت وأخذت بنفسها وزخرت جوفها فالتفخ فتعمل ذلك وقد انطوى عليها فتقطعه قطعا من شدة الزخرة وهذا من أعجب الاحاديث والثعابين احدى القوائل يزعمون أنها ثلاثة اجناس لا يجع فيها رقية ولا حيلة كالثعبان والافعى والهندية ويقال إن ما واهها فانما يقتل مع ما يمدها من الفزع فقد يفعل الفزع وحده فكيف إذا قارنه سمها ان لم يقتل أمرض يزعمون أن رجلا قال تحت شجرة فتدات عليه حية منها فمضت رأسه فالتبه محجر الوجه خك رأسه ويلتفت فلم ير شيأ فوضع رأسه ينام وأقام مدة طويلة لا يرى بأسا فقال له بعض من كان رأى حاله ثم تقاصبها عنه وهر وبها منه هل عامت من أى شئ كان انبأهك تحت الشجرة قال لا والله ما علمت قال بلى فان الحية الفلانية نزلت عليك حتى عضت رأسك فلما جلست تقاصت عنك وتراجعت ففزع فزعة وصرخ صرخة كانت فيها نفسه وكأنهم توهوا أنه لما فزع واضطرب وقد كان ذلك السم منهورا ممنوعا فزال ما منه واوغله ذلك الفزع حتى تفتحت منافسه الى موضع الصميم والدماغ وعمق البدن فأنحل موضع العقدة الذي التقت عليه أجزاءه وأخلطه وأنشد الاصمى * ونكشته نهشه بمنبذ *

وأنشد لابي دواد الايادى

فأنا تفتخيم كعب الى المن * طاق ان النكيشة الاخام

قال فالنزع إما ان يكون يوصل السم الى المقاتل واما ان يكون معين له كتمعاون الرجلين على نزع وتراحم لا يجزمون على ان الحية من القوائل البنية الا ان تقتل اذا عضت النائم والمغشي عليه والطفل الغرير والمجنون الذي لا يعقل وحتى تجرب عليه الادوية وكنت يوما عند أبى عبد الله أحمد بن أبى دواد وكان أخذ داود عنده سلمويه وابن ما سوية وبختيشوع بن جبريل فقال هل ينفع الترياق من نهشة أفعى فقال بعضهم اذا عضت الافعى فادركت قبل ان تنقب نفع الترياق وان لم تدرك لم ينفع لانهم ان قتلوا

من الترياق قتله السم وان كثروا منه قتله الفاضل عن مقدار الحاجة فات فان ابن
المعجوز خبني بأنها ليست تنقلب لمج السم وافرأغه ولسكن الافمي في نابها اعصل واذا
عضت استفرغت اذخال الناب كله وهو احجن اعصل فيه مشابه من النقص فاذا انقلبت
كان أسهل لنزعه وسله فاما لصب السم وافرأغه، فلا قال والله لعله ما فات ما اسرع
ما شككت ثم فات له فانما وضمو الترياق واجتأبوا الافاعي وضنوا وعزموا على انه
لا ينفع الا بدرك الافمي قبل ان تنقلب وكيف صار الترياق بمد الانقلاب لا يكون
الا في احدي منزلتين اما ان يقتل بكثرة واما ان لا ينفع بقاته فكان الترياق ليس نفعه
الا المنزلة الوسطى التي لا تكون فاضلة ولا ناقصة ولسكني اقول لك كيف يكون
نفعه اذا كان الترياق جيداً قويا وعوجل فسقى المقدار الاوسط قبل ان يبلغ الصميم
ويغوص في العميق وعلى هذا وضع وهم كانوا احزم واحذق من ان يتكافوا شيئا
ومقداره من النفع لا يوصل الى معرفته ويقول بعض الخذاق ان سقى الترياق بمد
النهش بساعة او ساعتين موت المتهوش ثم فات له وما عامك وبأى سبب عامت
أنها تمج من جوف نابها شيئا وامه ليس هنالك الا مخالطة جوهر ذلك الناب لدم
الانسان او لسنا قد نجد من الانسان من بعض صاحبه فيقتله ويكون معروفاً بذلك
وقد تقرون أن الهندية والثعبان يقتلان إما لمخالطة الريق الدم وإما لمخالطة السن
الدم من غير ان تدعوا ان أسنانهما مجوفة وقد اجمع جميع أصحاب التجارب ان الحية
تضرب بقصبة فتكون اشد عليها من العصا وقد يضرب الرجل على جسده
بقضبان اللوز وقضبان الرمان وقضبان اللوز أعلك وألذن ولسكنها اسم وقضبان
الرمان أخف وأسخف ولسكنها أعطب وقد يطأ الانسان على عظم حية أو ابرة عقرب
وهما ميتتان فيلقى الجهد وقد يخرج السكين من الكبر وهو محمي فيغمس في اللبن
فتي خالط الدم قام مقام السم من غير أن يكون مج في لدم رطوبة غليظة أو رقيقة
وبعض الحجارة يكوى بها وهو رخو الاورام حتى يفرقها ويحمصها من غير أن يكون
نقد اليها شيء منه وليس الا الملاقاة فان فات وامل قوي قد انفصت من أتياب الافاعي
الى دماء الناس وقدروا أنه قيل جالينوس إن هاهنا رجلا يرقى العقارب فتموت أو

تخل فلا تعمل فرآه يرقها ويتغل عليها فدعا به بحضرة جماعة وهو على الربق ودعا
بندائه فتغدى معه ثم دعي له بالعتارب فتغل عليها فلم يجد لها به يصنع شيئاً الا أن يكون
ريقاً وهو حديث يدور بين أهل الطب وأنت طيب فلم أرد في يومه ذلك قال شيئاً
الا من طريق الحزر والحدس والبلاغات وسوم الحيات ذوات الانياب والعتارب
ذوات الابر إنما تعمل في الدم بالاجاد والاذابة وكذا سوم ذوات الشعر والقرون
والجم إنما تعمل في العصب ومنها ما يعمل في الدم وحدثني بعض أصحابنا قال كنت
إما برماي وأما بارى وهما بلاد حيات وأفاعي ونحن في عرس إذ أدخلوا الخدر
العروس فابطؤا عليه شيئاً فانغى وتلوت على ذراعه أفمى فذهب ينفضها وحجمت على ذراعه
وقد يقال ذلك اذا كانت العضة في صورة شرط الحجام فصرخ وجاؤا يتعادون فوجدوها
فقتلوا وسقود في تلك الليلة ابن أربعين عنزاً كلما استقر في جوفه قعب من ذلك اللبن
قاء فيخرج منه كأمثال الفحال الأبيض فيه طرائق من دسم تلود خضرة حتى استوفى
ذلك اللبن كله قال فعندها قال شيخ من أهل القرية ان كنتم أخرجتم ذلك السم
فقد أخرجتم نفسه معه قال فغبر أياماً بأسوء حال ثم مات قال وكنت أعجب من سرعة
إستحالة اللبن وجوده قلت والحيات البرية اذا هرمت تنسمت النسيم فاكتفت
به وكذلك الضباب اذا هرمت قال ولا يكون ذلك للمائة من حيات الغياض وشطوط
الانهار ومنافع المياه قال والحيات المائية إما أن تكون برية أو جبلية فاكتسحتها
السيول واحتملتها في كثير من أصناف الحشرات والدواب والسباع فتوالدت تلك
الحيات وتلاقت هناك وأما أن تكون كانت أمهاتها وآبؤها في حيات الماء وكيف
دارت الامور فان الحيات في أصل الطبع مائية وهي تعيش في الندى وفي الماء
وفي البر وفي البحر وفي الصخر والرمل ومن طباعها أن ترق وتلطف على سكان
أحدها أطول العمر والآخر لا يمد من الريف وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض
قال وكل شيء في الماء مما يعيش السمك مما أشبه الحيات كالماء ماهي والانكليس
وأنها كلها على ضربين فاحدهما من أولاد الحيات انقابت بما عرض لها من طباع
البلد والماء والآخر من نسل سمك وحيات وتلاقت اذا كان السمك قريباً من طباع

تلك الحيات والحيات في الاصل مائة وكأها كانت حيات وقد زعم أهل البصرة أن مسان الكوفة قريباً من مسان البصرة قابته البلدة ويزعم أهل الحجاز أن نخل النار جيلى هو نخل المقل ولكنه انقلب لطباع البلدة وأشهاد ذلك كثير ويزعمون أن الفيلة مائة الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها قال والذئب أيضاً وان كان عنده الحرم منها لا يجترى بالنسيم فانه من الحيوان الذي يفتح فاه للنسيم ليرد جوفه من الالهيبي الذي يعترى السباع ولان ذلك يمد قوته ويقطع عنه ببرودته ولطافته الريق فان كان ذاسجر احتشى ريحا وربما جاع الاسد فتعمل فعل الذئب فالاسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر لان الاسد شديد النهم رغيب حريص شره وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لا يأكل شيئاً والذئب وان كان أفقر منزلا وأقل خصبا وأكثر كدماً وإخفافا فلا بد له من شئ يلقيه في جوفه فاذا لم يجد شيئاً استعمار النسيم والناس اذا جاعوا واشتد جوعهم شدوا على بطونهم العائم فان استقلوا والاشدوا الحجز وأنشدوا

كسيد الغضى العادى أصل جراءة * على شرف مستقبل الريح يلحج

كانه يجمع استدخال الريح والنسيم فاعله أن يجد ريح جرائه وقال الراجز

يستبخر الريح اذا لم يسمع * بمثل مقراع الصفا للموقع

والظلم يكون على بيضه فيشم ريح القانص من أكثر من غلوة ويبعد * عن رئاله فيشم ريحها من مكان بعيد وأنشدني يحيى بن لحيم بن زومة قال * أشم من هيق وأهدى من حمل * وأنشدني عمر بن كركرة * مازال يشتم اشتمام الهيق * قال وإنما جعله ذئب غضاً لانهم يقولون ذئب الخمر أخبث ويقولون شيطان الحماطة يريدون الحية وكل حية خفيفة الجسم فهي شيطان والثقال لا تنشط من أرض الى أرض وتثقل عن متابعه المستطيلات الخفاف وقال طرفة

تلاعب مثنى خضرمى كانه * تفتح شيطان بدى خروج ففر

الكرمانى عن أنس ولا أدري من أنس هذا في صفة ناقة

شنا حية فيها شناح كانه * حباب بكف الشاء من أسطع حشر

والحباب الحية الذكر وكما يقولون ذئب الخمر يقولون أرنب الخلة وتيس الرمل وضب

السحابة والسحابة بقلبة تحسن حاله من أكلها وكذلك يقولون ماهو الا فننذ بركة لانه
 يكون أخبث له وذلك كانه على قدر طبائع البلدان والاعذية العاملة في طبائع الحيوان
 ألا ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض تبت لم يزل ضاحكاً سروراً من غير عجب
 حتى يخرج منها ومن أقام بالموصل حولاً ثم تفقد قوته وجد فيها فضلاً ومن أقام
 بالاهواز حولاً فتنفق قوته ذو فرائسة وجد النقصان فيه بينما كما يقال في حمى خيبر وطحال
 البحرين ودمايل الجزيرة وقال الشماخ

كان قطة خيبر زودته * بكور الورد رنته القلوع

وقال أوس بن حجر

كان به أدحية خيرية * يعود عليه وردها وفلاها

وقال آخر * كان حمى خيبر تله * وكذلك القول في وادى جحفة وفي مبيعة وفي

أصول النخل حيث كان وقال عبد الله بن همام السلولى فى دمايل الجزيرة

أنيج له من سوطه المي جانب * غايظ القيصرى لحمه متفاوس

تراه اذا يتضي يحك ككنا * به من دمايل الجزيرة ناخس

فحدثني أبو زفر الضارى قال مات ضرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنة بالدماميل

قات والله ان هذا اعجب قال كلا انما احتماها من الجزيرة وكذلك القول في طواعين الشام

قال أحد بنى المنيرة فيمن مات منهم بطواعين الشام ومن مات منهم بطعن الرياح

أيام تلك المغازى

من ينزل الشام ويمرس به * فالشام ان لم يفنه كاذب

أفني بني ربطة فرسانهم * عشرين لم يقصص لهم شارب

ومن بني العمائم مثلهم * لمثل هذا عجب العاجب

طعن وطاعون منايهم * ذلك ما خط لنا الكتاب

قال ولما قدم عبد الله بن الحسن بن الحسن رضى الله عنهم على عمر بن العزيز رضى الله

عنه فى حوار له فلما رأى مكانه بالشام وعرف سنه وسمته وعقله ولسانه وصلاته

وصياحه فلم يكن شئ أحب اليه من أن لا يراه أحد من أهل الشام فقال له إني أخاف

عليك طواعين الشام فانك ان تغتم أهلك أكثر منك فالحق بهم فان حوائجك ستسبقك اليهم ثم قدم على هشام فكره عبد الله ان يدخل منزله حتى يأتيه في ثياب سفره خفاة شرطته فلما اعلمه الحاجب مكانه ودخل عليه وعيانه كره ان يقيم بها طرفة عين قال اذكر حوائجك قال احط رحلي واضع ثياب سفرى واتذكر حوائجى قال انك ان تجدني في حال خيرالك منى الساعة يريد ان القلوب ارفى ما تكون اذا تلاقى العيون عن بمد عهد وايس ذاك اراد والعامه تشدد

من يسكن البحرين يعظم طحاله * ويغبط بما في بطنه وهو جائع ونظر دكين الراجز الى بن العباس محمد بن ذؤيب النقيمي الراجز وهو غايم مصفر مطحول وهو يمتح على بكرة ويرتجز فقال من هذا العماني فلزمته هذه النسبة وحدثني يوسف الزنجي انه لا بد لسلك من قدم من شق العراق الى بلاد الزنج ان لا يزال جربا ما أقام بها وان أكثر من شرب نبيذها أو شراب النار جيل طمس الخمار على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه الا الشئ اليسير وخبرني كم شئت من الفزة أن من أطال الصوم بالمصيصة في أيام الصيف هاج به المرار وان كثيرا منهم قد جنوا من ذلك الاحتراق فاما قضية الاهواز فانها قلبت كل من نزلها من بني هاشم الى كثير من طباعهم وشمائهم ولا بد للهاشمي قبيح الوجه كان أو حسنا أو دما كان أو بارعا رائعا من أن يكون لوجهه وشمائله طبائع يبين بها من جميع قریش وجميع العرب فلقد كادت البلدة ان تنقل ذلك فتبدله ولقد تخفيه وأدخات الضيم عليه وبينت أثرها فيه فما ظنك بصنيعها في سائر الاجناس وفساد عقولهم واؤم طبع بلادهم لا تراهم مع تلك الاموال السكثيرة والضياع الفاشية يحبون من البنين والبنات ما يحبه أوساخ أهل الامصار على الثروة واليسار وان طال ذلك والمال منهية كالماء وقد يكتب الرجل من غيرهم المويل اليسير فلا يرضى لولده حتى يفرض له المؤدبين ولا يرضى للسانه بمنزل الذي كان يرضاه قبل ذلك وليس في الارض صناعة مذكورة ولا أدب شريف ولا مذهب محمود لهم في شئ منه نصيب وان حسن ولم أربها وجنة حمره لصبي ولا صببية ولاد ما ظاهرا ولا قريبا من ذلك وهي قتالة للغرباء وعلى أن حماها خاصة ليست للغريب

بأسرع منها إلى القريب ووباءها وحماها في وقت انكشاف الوباء ونزوع الحمى عن جميع البلدان
 وكل محبوم في الأرض فإن حماه لا تنزع عنه ولا تفارقه وفي بدنه منها بقية فاذا نزعته عنه
 فقد أخذ منها عند نفسه البراءة إلى ان يعود إلى الخاطئ وأن يجمع في جوفه الفساد وليست
 كذلك الا هواز لانها تعاود من نزعته عنه من غير حدث كما تعاود أصحاب الحدث
 لانهم ليسوا يؤتون من قبل النهم ومن قبل الخاطئ والاكثر وانما يؤتون من عين
 البلدة وكذلك جمعت سوق الا هواز الافاعي في جبالها الطاعن في منازلها المطبل عليها
 والجرارات في بيوتها ومقابرها ومنابرها ولو كان في العالم شيء هو شر من الافعى
 والجرارة لما فصرت قصبه الا هواز عن توليده وتلقيحه وتليينه انما من ورائها سباح
 ومناقع مياه غليظة وفيها انهار تسقيها مسائل كنفهم ومياه أمطارهم ومتوضئهم واذا
 طلعت الشمس وطال مقامها وطأت مقابها لذلك الجبل قبل الصخرة التي فيها تلك
 الجرات فاذا امتلات بسا وحرارة وعادت جرة واحدة قذفت ما قبات من ذلك عليهم
 وقد تحدث السباح وتلك الانهار بخارا فاسدا فاذا التقى عليهم ما تحدث السباح وما قذفه
 ذلك الجبل فسد الهواء وبفساد الهواء يفسد كل شيء يشتمل عليه ذلك الهواء وحدثني
 ابراهيم بن عباس بن محمد بن منصور عن شيخه من أهل الا هواز عن القوابل أنهم
 ربما قبان الطنل المولود فيجدنه في تلك الساعة محموما يدرفن ذلك ويتحدثن به ويعرض
 لفراخ الحيات مثل الذي يعرض لفراخ الخطاطيف فان نازعا لوزع عيون فراخ الخطاطيف
 وفراخ الحيات اعدت بصيرة وزعم ان الساجفات والرق والضفدع مما لا بد له من
 التنفس ولا بد لها من مفارقة الماء وانها تبيض وتكتسب الطعم وهي خراجة من
 الماء وذلك لانسب التي بينها وبين الضب ون كان هذا برياً وهذا بحرياً ويزعمون انما
 كان في البر من الضب والورل والحرباء والحادي وشحمة الأرض والوزغ والعطاء مثل
 لذي في البحر من الساجفات والرق والتمساح والضفدع وان تلك الاجناس البرية وان
 اختلفت في أمورها فانها قد تشابه في أمورها وهذه الاجناس البحرية من تلك ككباب الماء
 من كباب الأرض وقد زعم صاحب المنطق ان تلك الحية من سام أبرص من العطاء
 والتمساح تسكن في أعشمتها اربعة أشهر شديدة البرد لا تطعم شيئاً وان سائر الحيات

تسكن بطن الارض فاما الافاعي فلها تسكن في صدوع الصخر وليس لشيء من الحيوان من الصبر عن الطعم ما لهذه الاجناس وإن الفيل ليناسبها من وجهين أحدهما من طول العمر فإن منها ما قد عاش أربع مائة سنة والوجه الآخر ان الفيلة مائة وأن كان بعضها لا يسكن الماء قال وسعت يونس بن حرب يقول داهية القبر قال وقيل ذلك لانها ربما سكنت بقرب ماء إما غدير وإما عين فتحس ذلك الموضع وربما غير ذلك الماء في المنقع حيناً وقد حتمته وقال الكذاب الحرمازي

يا بن المعلى نزلت احدى الكبر * داهية الدهر وصماء العبر

قال وسأل الحكم بن مروان بن زنباع عن بني عبد الله بن غطفان قال ان أيقظتها لسعتك وان تركتها لم تضرك وذكر عن سعيد بن صخر قال نهش رجل من أهل البادية كثير المال فاشفى على الموت فاتاهم رجل فقال أنا أرقبه فإنا تعطوني فارقه عن ثلاثين درهما فرقا وسقاه أشياء ببعض الاخلاط فلما أفاق قال الراقي والمداوي حتى قال الملدوغ وما حقه قالوا ثلاثون درهما قال أعطيه من مالى ثلاثين درهما في نفثات نفثها وحمض سقاه لا تعطوه شيئاً وحدثني بعض أصحابنا عن سكر الشطرنجى وكان أحق القاصين وأحدثهم بلعب الشطرنج وسأته عن خرق كان في خزامة أنفه فقالت له ما كان هذا الخرق فذكر أنه خرج الى الجبل يتكسب بالشطرنج فقدم البلدة وليس معه الا درهم واحد وليس يدرى أين يجع أم يخفق ويخمد وصاحبه الذى اعتمده أجمده أم لا فورد على حواء وبين يديه جون عظام فيها حياة جليمة والحية اذا عضت لم تكن غايتها النهش والعض وإن ترضى بالنهش ولكنها لا تعض الا للاكل والابتلاع وربما كانت الحيات عظاما جدا ولا سموم لها ولا تنقر بالعض كحيات الجولان وفي البادية حية يقال لها الخنثا والخنثا من الحيات تأكل الفار وأشبهه الفار ولها وعيد منكر ونفخ واطهار للصولة وليس وراء ذلك سيما والجاهل ربما مات من الفزع منها وربما جمعت الحية السم وشدة الجرح والعض والابتلاع وخطم العظم فوقف سكر على الحواء وقد أخرج من جوفته أعظم حيات فى الارض وادعى نفوذ الرقية وجودة الترياق فقال له سكن خذ منى هذا الدرهم وارتنى رقية لا

تضرني معها حية أبدا قال فاني أعمل قال فارسيل قبل ذلك حية حتى ترقيني بمد
ان أعضني فان أفقت عامت ان رقيتك صحيحة قال فاني أعمل فاختر أيهن شئت فأشار
الى واحدة مما تعض الاكل دون السم فقال دع هذه فان هذه ان قبضت على لحمك
لم تفارقك حتى تقطعك قال فاني لا أريد غيرها وظن أنه امتازواها عنه لفضيلة فيها
قال أما اذ أبيت الا هذه فاختر موضعا من جسدي حتى أرسلها عليه فاختر أنه
فناشده وخوفه فأبى الا ذلك أو يرد عليه درهمه فأخذها الحواء وطواها على يده كي
لا بدعها تنكر فتقطع أنفه من أصله ثم أرسلها عليه فلما أنشبت أحدنايها في شق أنفه
صرخ عليه صرخة جمعت عليه أهل تلك البلدة ثم غشى عليه فأخذ الحواء فوضع في
السجن وقتلوا تلك الحيات وتركوه حتى أفاق كأنه أجن الخلق فتطوعوا بحمله فحملوه
مع المكارى وردوه الى البصرة وبني أثربها في أنفه الى ان مات قال وأشياء من
الحشرات لا تأخذ لنفسها ولا لبيضها ولا أولادها بيوتا بل تظلم كل ذى جحر جحره
فتخرجه منه أو تأكله إذ ثبت لها والعرب تقول للمسبي أظلم من حية لان الحية
لا تأخذ لنفسها بيتا وكل بيت قصدت نحوه هرب أهله منه وأخلوه لها والورل يقول
على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا وكل شدة ياقاها ذو جحر منها فهي تلقى مثل ذلك
من الورل والورل أظلم جرما من الضب وزعم انهم يقولون أظلم من ورل كما يقولون أظلم
من حية وكما يقولون أظلم من ذئب ويقولون من استرعى الذئب ظلم وبرائن الورل
أقوي من برائن الضب والضباب تحفر اججرتها في الكدا والورل لا يحفر لنفسه بل
تخرج الضب من بيته فتزعم الاعراب أنها بما صارت لا يحفر لان أسنانها أكل من
أسنان النار فهي لا ترى ان تعاني ذلك وحفر غيرها ومماناته يكفها وفي ضرب المثل
بظلم الحية يقول مضر بن القبيط

لعرك إني لو أخاحم حية * الى فقمس ما انصفتني فقمس

اذا مات الداء بيني وبينهم * سماحاطب منهم لا خير يقبس

فما ليكم طلبي الى كانكم * ذاب الغضى والذئب بالليل أطلس

وجعله أطلس لانه حين تشد ظامة الليل فهو أخفى له ويكون حينئذ اخبت له وأضرى

وقال جرير بن نشبة العدوي ابني جعفر بن كلاب وضرب جور الحية والذئب في الحكم مثلاً فقال

كأنتي حين احبو جعفرنا مدحي * استقيهم طرق ماء غير مشروب
ولو اخاصم أفمي نابها اثنق * او الاساود من سم لاهاضيب
لكتم البأ معها وكان لها * باب باسفل ساق او بمرقوب
ولو اخاصم ذئبا في اكيته * جاءني جمعكم يسمي مع الذئب

قال والحية واسعة الشجو والتم لها خطم ولذلك ينفذنا بها وكذلك كل فم واسع الشجو كفم الاسد فاذا اجتمع له سعة الشجو وطول اللحين وكان ذا خطم وخرطوم فهو اشد له كالخنزير والذئب والكلب ولو كان لرأس الحية خطم كان اشد لعضتها ولكنه جلد قد انطبق على عظمين رقيقين مستطيلين بفكها الاعلى والاسفل وكذلك اذا هوى الرجل بحجر أو عصي رأيتها تلوى رأسها وتحتال في ذلك وتمنعه بكل حيلة لانها تعلم وتحس بضعف ذلك الموضع منها وهو مقتل وما اكثر ما يكون في اعناقها تخصير ولصدورها اغياب وذلك في الافاعي اعم وذلك الموضع المستدق انما هو شئ كهيئة الخريطة وكهيئة فم الجراب ضم الانساء ٢٠ ثني الغضون فاذا شئت ان تفتح انفتح لك فم واسع ولذلك قال ابراهيم بن هانيء كان فتح فم الجراب يحتاج الى ثلاثة أيد ولولا ان الجمالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتعا حتى يستعين بيدي إنسان وهذا مما يعد في مجون ابن هانيء وكذلك حلوق الحيات واعناقها وصدورها قد تراها فتراها في العين رقيقة ولا سيما اذا فرطت في الطول وهي تبلع فراخ الحمام والحية انهم واشره من الاسد والاسد يبلغ البضعة العظيمة من غير مضغ وذلك لما فيه من فضل الشره وكذلك الحية وهما واثقان بسهولة وسعة المخرج مما عظمها وزاد في فزع الناس منها الذي يرويه اهل الشام واهل البحرين واهل انطاكية وذلك اني رأيت الثلث الاعلى من منارة مسجد انطاكية أظهر جدة من الثلثين الاسفلين فمات لهم ما بال هذا الثلث الاعلى اجد واطرى قالوا لان تسميتنا ترفع من بحرنا هذا فكان لا يمر بشئ الا اهلكه فر على المدينة في الهواء محاذيا لرأس هذا المنارة

وكان اعلى مما هي عليه فضربه بذنبه ضربة خرقت من الجميع اكثر من هذه المقدار فاعادوه بعد ذلك ولذلك اختلف في المنظر ولم يزل اهل البقاع يتدافعون امر التنين ومن العجب انك تكون في مجالس وفيه عشرون رجلا فيجري ذكر التنين فينكره بعضهم واصحاب التثيت يدعون الميان والموضع قريب ومن يعاينه كثير وهذا اختلاف شديد والاعراب تقول في الاصله قولاً عجيباً تزعم ان الحية التي يقال لها الاصله لا تمر بشيء الا احترق مع تهاويل كثيرة وأحاديث شنيعة وتزعم الفرس أن الاجد هاني اعظم من البعير وأن لها سبعة رؤوس وربما قتلت ناسا فتبتلع من كل جهة فم ورأس انسانا وهو من أحاديث الباعة او المعجزة وقد زعم صاحب المنطق انه قد ظهرت حية لها رأسان فسئلت اعرابيا عن ذلك فزعم أن ذلك حق فقلت له فن اي جهة الراسين تسمي ومن ايها تأكل وتمض فقال فاما السمي فلا تسمي ولكنها تسمي الى حاجتها بالقلب كما يتقلب الصبيان على الرمل واما الأكل فانها تتعشى بضم وتغدى بضم واما الغض فانها تمض برأسها مما فاذا به الكذب البرية وهذه الاحاديث كلها مما يزيد في الرعب منها وفي تهاويل امرها ومثل شأن التنين مثل امر غرائق الاسد فان ذكره يجرى في المجلس فيقول بعضهم انا رأيتُه وسمعتُه وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قول جميع المحدثين ان من اعظم ما خلق الله الحية والسرطان والسمك وتقول الاعراب ان الحية اطول عمرا من النسر وان الناس لم يجدوا حية قط ماتت حتف انفها وانما تموت بالامر الذي يمرض لها وذلك لأمر منها قولهم إن فيها شياطين وان فيها من مسخ وأن ابليس انما وسوس الى آدم والى حواء من جوفها وزعم لي الفضل بن اسحاق انه كان لابيهِ ^(١) وأن طول كليهما تسعة عشر ذراعا ومن الحيات الجرد والزعر وذلك فيهما من ^(٢) ومنها ذوات شعر ومنها ذوات قرون وانما يتخاق لها في كل عام قنسر وغلاف فاما مقادير اجسامها فقط واما الجلود فإن الارمني زعم أنه كان عندهم رجل ينقشر من جلده وينسأخ في كل شهر مرة قال فجمع ذلك فوجد فيه ماء جراب او قال اكثر وأما الذي لا أشك في انه قد زاد في اقدارها في

النفوس وعظم من اخطارها وهول من امرها ونبه على ما فيها من الآيات العجيبة والبرهان
النيروالحجة الظاهرة في قلب العصاحية وفي ابتلاعها ما هول به القوم وسحروا من
اعين الناس وجاؤا به من الافك قال الله عز وجل (وقال موسى يا فرعون انى رسول
من رب العالمين حقيقى على أن لا اقول على الله الا الحق (الى) فارسل مسمى بنى اسرائيل
قال إن كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان
مبين) الى قوله (فألقوا حبالهم وعصيهم) فان قلت انه انما حول العصا ثعبانا لانهم
جاؤا بحبال وعصي خولوها في اعين الناس كأنها حيات فلذلك قلب الله العصاحية
على هذه المعارضة ولو كانوا حين سحروا اعين الناس جعلوا حبالهم وعصيهم ذبابا في
اعين الناس ونمور الجمل الله عصى موسى ذنبا او نمرا فلم يكن ذلك لخاصة في بدن الحية
قلنا الدليل على باطل ما قلتم قول الله تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى
أتوكأ عليها واهس بها على غمى ولى فيها ما آرب اخرى قال القها يا موسى فالتقاها فإذا
هى حية تسعي) وقال الله عز وجل (اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا) الى قوله (والى
عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك
من الامنين) فقلبت العصا جانا وليس هناك حبال ولا عصى (وقال الله لئن آخذت
إلهسا غيرى لا جعلناك من المسجونين) قال اولو جئتكم بشئ مبين قال فأت به ان كنت
من الصادقين فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين فقلب العصا حية كان في حالات
شتا فكان هذا مما زاد في قدر الحية وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه ان لا
يميته الله لديفا وتأويل ذلك انه صلى الله عليه وسلم مستعاذ بالله ان يموت لديفا وأن تكون
ميتته بأكل هذا العدو الا وهو من اعداء الله بل من اشد هم عداوة وقال النبي صلى
الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا او قتله نبي كأنه كان في المعلوم
ان النبي لا يقتل احدا ولا يفتق ذلك إلا في شرار الخلق ويدل على ذلك الذى اتفق
من قتل ابى بن خلف بيده والنضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط ومعاوية بن ابى
المغيرة بن أبى العاصى صبرا وحدث عن عبد الله بن ابى هند قال حدثنى صيفى بن
ابى ايوب انه سمع ابا بشير الانصارى يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من

هؤلاء السبع كان يقول اللهم اني اعوذ بك من الهدم واعوذ بك من التردى واعوذ بك من النغم والفرق واعوذ بك من الحرق والهدم واعوذ بك ان تخبطني الشيطان عند الموت واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لديفا وطلحة ابن عمرو قال حدثني عطاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من الاسد الاسود واعوذ بك من الهدم قال ويقال للحية صغرت تصغر صغيرا والرجل يصغر بالطير للتغفير وبالذواب وببعض الطير للتعايم وتتخذ الصفارة للحمام وللطير في المزارع قال اعشي همدان يهجو رجلا

وإذا جثا للزرع يوم حصاده * قطع النهار تأوها وصغيرا

والحية مشقوقة اللسان سوداؤه وزعم بعضهم ان لبعض الحيات اسانين وهذا عندي غلط واظن انه لما رأى افتراق طرفي اللسان قضى بأن له اسانين ويقال بأن للضب أبرين ويسمى إير الضب ترك قال الشاعر

كضب له طر كان كانا فضيلة * على كل حاف في الانام وناعل

قال أبو خلف النمري سئل أبو حية النيرى عن إير الضب فزعم ان إير الضب كلسان الحية الاصل واحد والفرع اثنان وبعض أصحاب التفسير يزعم ان الله عاقب الحية حين أدخلت ابليس في جوفها حتى كالم آدم وحواء وخذعها على لسانها بمشرخصال منهاشق اللسان قالوا فذلك ترى الحية اذا ضربت للقتل كيف تخرج لسانها لترى الضارب عقوبة الله كأنها تسترحم وصاحب هذا التفسير لم يقل ذلك الا الحية كانت عنده تتكلم ولولا ذلك لانكر آدم كلامها وإن كان ابليس لا يحتال الا من جهة الحية ولا يحتال بشئ غير ممود ولا مشبه قال ويقال أرض محواة ومحياة من الحيات كما يقال أرض مضضية وضبية من الضباب وفأرة من الفار وقال الاصمعي في تفسير قولهم في المثل هذا أجل من الحرش ان الضب يقل لابنه اذا سمعت صوت الحرش فلا تخرجن قال وذلك أنهم يزعمون ان الحرش تحربك اليد عند جحر الضب ليخرج اذا ظن انه حية قال وسمع ابنه صوت الحفر فقال يا أبة هذا الحرش قال يا بني هذا أجل من الحرش فارسلها مثلا (أسماء مايا كل الحيات) بين الحيات وبين الخنازير عداوة والخنازير

تأكلها أكلاً ذريعاً وسوم ذوات الانياب من الحيات ومن ذوات الأبر سبعة في الخنازير وهي تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً فإذ لك لا ترضى بقنابها حتى تأكلها وتأكل الحيات العقبان والايابل والاراوى والاوغال والسنانير والشاهمرك والقنفذ لأن القنفذ أكثر ما يقصد الى الافاعي وإنما يظهر بالليل قال الراجز * فنديل دائم التجاب * وهذا الراجز هو أبو محمد القعسى وكذلك يشبه النمام والمداخل والديس بالقنفذ لخروجه بالليل دون النهار ولا حتماله الافاعي قال عبدة بن الطبيب

أعصو الذى يلقي القنفاذ بينكم * متصصا وهو السمام الانقع
 يرخى عقارب ليعث بينكم * حرباً كما بعث العروق الاخضع
 حران لا يشفى غليل فؤاده * عسل بماء في الاتاء مشعشع
 لا تأمنوا قوماً يشب صديهم * بين القوابل بالمدواة ينشع
 وهذا البيت الآخر يضم الى مجنون بنى عامر

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا
 ويضم اليه قول ابن أود الطينة * تقتل الطباع ما كانت اينة * ثم قال عبدة ابن الطبيب
 فى صلة الايات التى ذكر فيها القنفذ والتميمة

ان الذين تروهم خلائكم * يشفى صداع رؤسهم ان تصرعوا
 قوم اذا دمس الظلام عليهم * جددعوا قنفاذ بالتميمة تمزع
 وهذا الشعر من غرر الاشعار وهو مما يحفظ وقال الاودى

كقنفذ القن لا تخفى مدارجه * خب اذا نام عند الناس لم يميم
 وفى عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها لا تقبلوا قنفذ ولا ورلا تصيدونه
 لانها بلاد افاعي وأكثر ما يجتلب أصحاب صنعة الترياق وخواون الافاعي من
 سجستان وذلك كسب لهم وحرفة ومتهجر ولولا كثرة قنفاذها لما كان لهم بها قرر
 والقنفذ لا يبالي أى موضع قبض من الافعى وذلك أنه ان قبض على رأسها أو على
 قفاها فهي مأكولة على أسهل الوجوه وان قبض على وسطها أو على ذنبها جذب
 ما قبض عليه فاستدار وتجمع ومنحه سائر بدنه فتى فتحت فاهها لتقبض على شئ منه

لم تصل الى جلده مع شوكة النابت فيه والافمى تهرب منه وطلبه لها وجراثة عليها على حسب هربها منه وضعفها عنه وأما فولهم أضل من حية وأضل من ورنل وأضل من ضب فلما الحية فانها لاتخذ لنفسها بيتا والذكر لا يقيم في الموضع وإنما يقيم على بيضها بقدر ماتخرج فراخها وتقوى على الكسب والتماس الطعم ثم تصير الانثى سيارة فتى وجدت حجرا دخات واثقة بان الساكن فيه بين أمرين إما أقام فصار طعاما لها وإما هرب فصار البيت لها ما أقامت فيه ساعة كان ذلك من ليل أو نهار وقد رأيت بيض الحية وكسرتها لأتعرف ما فيها فإذا هو بيض مستطيل اكد اللون أخضر وفي بعضه هش ولمع فاذا داخله فلم أر قيحا قط ولا صديد اخرج من جرح فاسد إلا والذي في بيضها أسمى منه واقدر ويزعمون انها كثيرة البيض جدا وأن السلامة في بيضها دون ذلك وان بيضها يكون منضدا في جوفها طولاً على عرار واحد وعلى خيط واحد وهي طويلة البطن والارحام وعدد اضلاعها عدد ايام الشهر وكان ذلك بعض ما زاد في شدة بدنها كنت بعجت بطن عقرب اذ كنت بمصر فوجدت فيه اكثر من سبعين عقارب صفار كل واحدة نحو ارزة حرره أبو بكر السروكني (والخاق الكثير الذر) الدجاج والضب اكثر بيضا من الدجاجة والخنزيرة تضم عشرين خنوصا ويخرج من اجواف العقارب صفار كثيرة العدد جدا وعمامة العقارب اذا حبلت كان حنفتها في اولادها لان اولادها اذا استوى خلقها اكلت بطون الامهات حتى تثقبها وتكون الولادة من ذلك الثقب فتخرج والامهات ميتة وأكثر من ذلك كاه ذرة السمك لان لانسان لو زعم أن بيضة واحدة من بعض الاشبور عشرة آلاف بيضة لكان ذلك اعظم ما تحمل ولدقة جثته وصغره ولكن يعترها أمران أحدهما الفساد والآخر أن الذكورة في أوان ولادة الاناث تتبع أذنانها فكلا زحرت بشئ التقمته والهمته ثم السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً ويزعمون أن الكثرة في الاولاد إنما تكون من العفن واللخن وعلى قدر كثرة المائية وقتها فذهبوا الى أن أرحام الروميات والنصرانيات أكثر لخن ورطوبة لان غسل الفروج بالماء البارد مراراً في اليوم مما

يطيب الارحام وينفي اللخن والعفن ويزعمون أن المرأة اذا كان فرجها نظيفاً وكانت
ممطرة قوية المنة قل حملها فان أفرطت في السمن عادت عاقراً وسمان الرجال لا يكاد
يمتريهم ذلك وكذلك العاقر من إناث الابل والبقر والغنم والنخل اذا قويت النخلة
وكانت شابة وسمن جمارها صارت عاقراً لا تحمل فيجتالون عند ذلك بادخال الوهن
عليها وقد طمن في ذلك ناس فقالوا إن في الضب على خلاف ما ذكرتم قد تبيض
الانثى سبعين بيضة فيها سبعون حسلاً ولولا أن الضب يأكل ولده لانتفشت الصحارى
ضباباً والضب لا يحفر الا في كدية وفي بلاد الدرار واذا هربت تبلغت بالنسيم وهذا
كله مما يستدل به على بعض طبعها من اللخن والعفن قيل لهم قد يمكن أن يكون ذلك
كذلك في جميع صفاتها الا في أرحامها فقط وليس للحيات - فناد معروف ينتهي اليه
علم ويقف عليه عيان وايس عند الناس في ذلك الا الذي يرون من ملاقات الحبة والتواء كل
منهما على صاحبه حتي كأنهما زوج خيزران مفتول أو خلخال مفتول فأما أن يقفوا
على عضو يدخل أو فرج يدخل فيه فلا والعرب تذكر الحيات باسمائها وأجناسها فاذا
قالوا أيم فأنما يريدون الذكر دون الانثى ويذكرونه عند جودة الانسياب وخفة
البدن كما تذكر الشعراء في صفة الخليل والجرادة الذكر دون الانثى فهم وان الحقوا لها
فانما يريدون الذكر قال بشر بن أبي خازم * جرادة هبوة فيها إصفرار * لان الانثى لا
تكون صفراء وانما الموصوف بالصفرة الذكر لان الانثى تكون بين حالتين إن جلى بيضا
فهي مثقلة وإما أن تكون سرأت وقذفت بيضا فهي أضعف ما تكون قال الشاعر
أتذهب سلمى في اللام ولا نرى * وفي الليل أيم حيث شاء يسبب
واذا انسابت في الكشبان ولرمل يبين مواضع مزاحفها وعرفت آثارها وقول آخر
كان مزاحف الحيات فيها * قبيل الصبح آثار السياط
وكذلك يعرفون آثار العزاء وأنشد ابن الاعرابي
بها ضرب أذنان العزاء كأنها * ملاعب ولدان تخط وتمصع
وقال الآخر وهو يصف حيات
كان مزاحفها انسع ه جررن فرادى ومثنائها

وقال تمامة الكبي

كأن مزاحف الهدلى صباحا * خدود رضائع خذات تواما
والهدلى من الحيات قال جرير أو غيره
ومن ذات إصغاء سهوب كأنها * مزاحف هدلى يتها متباعد
وقال بعض المخدئين وذكر حال البرامكة كيف كانت والى أى شيء صارت
وإذا نظرت إلى الثرى بعراصيم * قلت الشجاع بها ثوى والارقم
وقال البعيت

ففي حماته أمه وهي ضيفه * فجاءت بيتن للضيافة أرثما
مدافع جرعات كان عمر وقها * سارب حيات يسربن سمها
ولا ثوب ولا جناح ولا ستر عنكبوت الا وقشر الحية أحسن منه وأرق وأخف وأنعم
وأعجب صنعة وتركيباً ولذلك وصف كثير قيص ملك فشبهه بساخ الحية حيث يقول
إذا ما أفاد المال أودي بفضله * حقوق فكره العاذلات يوافقه
يجرر سربالا عليه ككأنه * سبي الهدلى لم تقطع سرادقه

والسبي الساخ والجلد قال الشاعر * وقد نصل الاظفار وانسبأ الجلد * وتزعم العرب
ان النعام والافاعي صم لانسمع وكذلك هما من بين جميع الخلق وسندكر من ذلك
في هذا الموضوع طرفاً وتؤخر الباقي الى الموضوع الذى نذكر فيه جملة القول في النعام
وقد ابتلينا بضميرين من الناس ودعواهما كبيرة احدهما يبلغ من حبه للغريب ان يجعل
سمه هدفا لتوايد الكذابين وقابه تزار الغرائب الزور والى كانه بالغريب وشغفة بالطرف
لا يقف على التصحيح والتمييز فهو يدخل الغث فى السمين والممكن فى الممتع ويتعلق
أذنى سبب ثم يدفع عنه كل الدفع والصنف الآخر وهو ان بعضهم يرى ان ذلك
لا يكون منه عند من يسمه يتكلم الا من خاف التقذر من الكذب فزعم ناس ان
الدليل على ان الافاعي صم قول الشاعر

انمت انضاضا من الحيات * صم لا يسمع لارقات

وقد ذكروا بالصم اجناسا من خبيثات الحيات وذهبوا الى امتناعها من الخروج عند

رقية الراقي عند رأس الحجر فقال بمضهم

و ذات قرنين من الافاعي * صماء لا تسمع صوت الداعي
ويزعمون أن كل لفضاض أفي وقال آخر

ومن حنش لا يجيب الرقا * ة ارقش ذى حمة كالرشا

أصم سميع طويل السببا * ت منهرت الشدق عارى النسا

فزعم انه أصم سميع بخازله ان يجعله أصم بقوله ومن حنش لا يجيب الرقا وقال الآخر

أصم أعمى لا يجيب الرقا * يفتر عن عصل حديدات

والافعى ليس باعمى وعينه لا تنطبق وإن قامت عينه عادت وهو قائم العين كمين

الجرادة كأنها مسمار مضروب ولها بالليل شعاع خفي قال الراعى يصف الافعى

ويدنى ذراعيه اذا ما تبادرا * الى رأس صل قائم العين أسفع

وهذه صفة سليم الافعى فيجوز ان يكون الشاعر وصفها بالتمنع من الخروج بالصمم

كما وصفها بالعمى لمكان السبات وطول الاطراق قال الشاعر

أصم سميع طويل السبات * منهرت الشدق عارى القرا

وقال آخر

منهرت الشدق رقود الضحى * سار طمور بالدجنات

وتارة تحسبه ميتاً * من طول إطراق وإخبات

يثبته الصبح وطورا له * نفخ ونقب فى المغارات

ويعلم انه وصف أفي بقوله

أصم أعمى لا يجيب الرقا * يفتر عن عصل حديدات

* منهرت الشدق رقود الضحى * الخ ثم ذكر أياها فقال

قدمن عن ضرسيه وأستأخرا * الى صماخين وهوات

فجمله أعصل الاياب منهرت الاشدق ثم وصفها بالسبات وطول الاطراق وبسرعة

النشطة وخفة الحركة اذا همت بذلك وكانت تعظم وقد وصفها امرأة جاهلية بجميع

هذه الصفات الا أنها زادت شيئاً والشعر صحيح وليس فى ايدى اصحابنا من صفة الاىاعى

مها ووقد رأيت عند دواد بن محمد الهاشمي كتابا في الحيات اكثر من عشرة اجلاد ما يصح منها مقدار جلد ونصف ولقد ولدوا على اسان خلف الاحمر والاصمى ارجازا كثيرة فما ظنك بتوليدهم على السنة القدماء واقدم ولدوا على اسان جحشويه في الحلاق اشعار اما قالها جحشويه فلو تقدروا من شيء تقدروا من هذا الباب والشعر الذي في الافمي

قيد كاد يقتلني أصم مرقش * من جبم والخطب غير كبير
خلقت لها زمه عزيز ورأسه * كالقرص أفتح من دقيق شعير
ويدير عيننا للوقاح كأنها * سمراء طاحت من نفيض برير
وكان مائهاها بكل تنوفا * ملقك كفة منجل ما طور
وكان شديقه اذا استعرضته * شذفا عجوز مضمضت لظهور

فقد زعم كما ترى انها تدير عينا وزعم الاول انها قائمة العين الا أن تزعم انها لم ترد بالادارة أن مقلتها تزول عن موضعها ولكنها ارادت انها جواله في ادراك الاشخاص البعيدة والقريبة والمتيامنة والمتياسرة وقد يجوز ان يكون إنما جعلها سميمة لدقة الحس وكثرة الاكتراث وجودة الشم لاجودة السمع فان الذين زعموا ان النعام صماء زعموا انها تدرك من جهة الشم والعين جميع الامور التي كانت تعرفها قبل السمع لو كانت سميمة وقد قال الشاعر في صفة الحية

تهوى الى الصوت والظلماء عاكفة * تعود السيل لاقى الجيد فاطلما

هذا بعد ان قال

إني وما تبغني منى كمتس * صيدا وما نال منه الري والشبعا
أهوى إلى باب جحر في مقدمه * مثل العسب ترى في رأسه نزعا
اللون أربد والانياب شائكة * عصا ترى السم يجرى بينها قطعا
أصم ما ثم من خضراء أيسها * أو ثم من حجر أوهاه فانصدعا

فقد جعلوا لها أنيابا عصلا ووصفها بغاية الخبث وزعم أنها تسمع فهؤلاء ثلاثة شعراء فان قلت إن المولد لا يؤمن عليه الخطأ إذ كان دخيلا في ذلك الامر وليس كالأعرابي

الذي انما يحكى الموجود الظاهر له الذي عليه نشأ وبمعرفة غنى فالماء الذين اتسعوا في علم العرب حتى صاروا اذا اخبروا عنهم بخبر كانوا الثقات فيما بيننا وبينهم هم الذين نقلوا الينا وسواء علمنا جملة كلاماً او حديثاً منشوراً او جملة رجزاً او قصيداً موزوناً ومتى اخبرني بعض هؤلاء بخبر لم استظهر عليه بمسألة الاعراب ولكنه ان تكلم وتحدث فانكرت في كلامه بعض الاعراب لم اجمل ذلك قدوة حتى اوقفه عليه لانه ممن لا يؤمن عليه الاحن الخفي قبل التفكير فهذا وما اشبهه حكمه خلاف الاول والرقية تكون على ضروب فمنها الذي يدعيه الحواء والرقاء وذلك يشبهه بالذي يدعيه ناس العزائم على الشياطين والجن وذلك انهم يزعمون ان في تلك الرقية عزيمة لا يمتنع منها الشيطان فيكيف العامر وان العامر اذا سئل بها اجاب فيكون هو الذي يتولى اخراج الحية من الصخر فان كان الامر على ما قالوا فما ينبغي ان يكون بين خروج الافاعي الصم وغيرها فرق اذا كانت العزائم والرقا والنفث ليس شيئاً يعمل في نفس الحية وانما هو شيء يعمل في الذي يخرج الحية واذا كان ذلك فالسهميع والاصم فيه سواء وكذلك يقولون في التحبيب والتبقيض وفي الذشرة وحل العقدة وفي التعقيد والتحليل ويزعمون ان الجن لا تجيب صاحب العزيمة حتى يتوحش ويأتى الخرابات والبراري ولا يأنس بالناس ويشبه بالجن ويفسل بالماء القراح ويتبخر باللبان الذكر ويراعى المشتري فاذا دق ولطف وتوحش وعزم اجابته الجن وذلك بعد ان يكون بدنه يسالح هيكلها لها حتى يلذ دخوله وارى منازلها وان لا يكره ملابسته والكون فيه فان هو ألح عليها بالعزائم ولم يأخذ لذلك أهبتها خبلته وربما قتلتها لانها تظن انه مبي توحش لها واحتمى وتطق فقد فرغ وهو لا يجيب بذلك فقط حتى يكون المعزم مشاكلاً لها في الطباع فيزعمون ان الحيات انما تخرج اخراجاً وان الذي يخرجها هو الذي يخرج سدورها من اجساد الناس اذا عزم عليها والرقية الاخرى بما يعرف من التعويد وقل سمعت ابا عبيدة يقول قد جاءكم احدكم يسترقىكم فارقوه قال فمؤذوه ببعض العوائد والوجه الآخر مشتق من هذا ومحمول عليه كالرجل يقول مازال فلان يرقى فلاناً حتى لان واجاب وقد قالت الشمراء في الجاهلية والاسلام في رقى الحيات وكانوا يؤمنون

بذلك وإصدقون به وسنخبر بأقوال المتكلمين في ذلك وبالله التوفيق ومن زعم أن
الخراج الحية من جحرها إلى الرابي إنما كان للعزيمة والاقسام عايتها ولائها إذا فهمت
ذلك أجابت ولم تمتنع وكان أمية بن أبي الصلت لا يعرف قولهم في أن العمارهم الذين
يجيبون العزائم بأخراج الحيات من بيوتها وفي ذلك يقول

والحياة الذكر الرقشاء أخرجها * من جحرها أمات الله والقسم
إذ دعا بالاسم بالانسان أو سمعت * ذات الاله بدا في مشيها رزم
من خلفها حمة لولا الذي سمعت * قد كان ثبها في جحرها الحمم
ناب حديد وكف غيروا دعة * والخاق مختلف في القول والشيم
إذا دعين بأسماء أجبن لها * انصاف يمتديه الله والكلم
لو لا مخافة رب كان عندها * عرجاء تطاع في أياها غشم
وقد بلته فذاقت إرض صدقة * فليس في سمعها من رهبة صمم
فكيف يأمنها أم كيف تألفه * وايس بينهما قربي ولا رحم

يقول لو أنها أخرجت حين استجالت بالله لما خرجت إذ ليس بينهما قربي ولا رحم ثم
ذكر الحية والناب وقال آخرون إنما الحية مثل الضب والضبع إذا سمع بالله والهدم
والصوت خرج ينظر والحواء إذا دنا من الجحر رفع صوته وصدق بيديه وأكثر من
ذلك حتى يخرج الحية كما يخرج الضب والضبع وقال كثير

وسوداء مطراق لي من الصفا * أنى إذ الحانوت دناء فضاء لها

والتصدية التصنيق قل الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية الاية
فلم يكاء صوت بين النفخ والصفير والتصدية تصفيق اليد باليد فكان الحواء يحتمل بذلك
للحياة ويوه من حضر أنه بالرقية أخرجها وهو في ذلك يتكلم ويعرض إلا أن ذلك صوت
رفيع وهو لو رفع صوته ببت شعر أو بخرفة المكان ذلك والذي يظهر من العزيمة عند
الحية سواء وإنما ينكر الصوت كما ينكره الضب وغير ذلك من الوحش ثم قال
كفنت يدا عنها وأرضيت سمعها * من القول حتى صدقت ما وعي لها
واشعرتها نفشا بليغا فلو ترى * وقد جمات أن ترعني النفث بالها

تسلاتها من حيث ادركها الرقي * الى الكف لما سلمت وانسلاتها
فقال كما تري كنففت يداعنها وارضيت سمعها البيت ثم قال * واشهرتها انشا بليغا فلو تری *
وقال الاعشي

ابا مسمع ابى امرؤ من قبيلة * بنى لى عزاء موتها وحياتها

فلا تانس الافمى يديك تريدها * اذا ما سمعت يوما اليها سمى لها

وقال آخر يدعو به الحية فى افطاره * فان ابى شم سفا وجاره

والسفا التراب اليابس بين التربين يقال سفا وسفا والحواء الراقى يرى الناس أنه اذا
رأى جحر حية لم يخف عليه أجحرجية هوام جحر شئ غيرد فان كان جحر حية لم يخف
عليه اهي فيه ام لا ثم اذا رقى وعزم فأمتمعت من الخروج وخاف أن يكون أفمى صاء
لا تسمع واذا راعها ليأخذها فاخطأ لم يأمن من أن تنقره نقرة لا يفتح بدمها ابدأ
فهو عند ذلك يستبرى بأن يشم من تراب الجحر فلا يخفى عليه اهي أفمى ام حية من سائر
الحياة فلذلك قال * يدعو به الحية فى افطاره * البيت والوجار الجحر وزعم لى بمض
الحوائين ان للحيات نتنا وسهكا وأن ريح الافمى معروفة وايس شئ اعلى ولا أعق
ولا أسرع اخذا لرأحة من طين أو تراب فإنه إذا شم من طينة الجحر لم يخف عليه
وقال اعتبر ذلك بهذا الطين السداني والراهطي اذا التقي فى الزعفران والكافور او غير
ذلك من الطيب فانه متى وضع الى جنب روثه أو عذرة قبل ذلك الجسم والرفاء يوم
الناس اذا دخل دورهم لاستخراج الحيات أنه يعرف أما كتبها برائحتها فلذلك يأخذ
قصبه ويشعب رأسها ثم يطعن بها فى سقف البيت والزوايا ثم يشمها ويقول مرة فيها
حيات ويقول مرة بلى فيها حيات على قدر الطمع فى القوم وفى عقولهم (وأمر الصوت
عجيب وتصرفه فى الوجوه عجب) فمن ذلك أن منه ما يقتل كصوت الصاعقة ومنها
ما يسر النفوس حتى يفرط عليه السرور فتتلاق حتى ترقص وحتى ربهامى الرجل بنفسه
من حلق وذلك مثل هذه الاغانى المطربة ومن ذلك ما يكمد ومن ذلك ما يزيل
العقل حتى يفشى على صاحبه كنجو هذه الاصوات الشجية والقرآت الملحنة وايس
يعتريهم ذلك من قبل المعانى لانهم فى كثير من ذلك لا يفهمون معانى كلامهم وقد

بكى ما سر جويبه من قراءة ابى الخوخ فقيل له كيف بكيت من كتات الله ولا تصدق به
قال إنما أ بكاني الشجا وبلاصوات ينومون الصبيان والاطفال والدواب تصر آذانها إذا
غنى المسكاري والابل تصر آذانها إذا حدا في آ ناره الحادي وتزداد نشاطاً وتزيد في
مشيه وتجمع بها الصيادون السمك في حظائرهم التي يتخذونها له وذلك أنهم يضربون بعصى
هم ويعطمون فتقبل اجناس السمك شاخصة الابصار مصفية الى تلك الاصوات حتى
تدخل في الحظيرة ويضرب بالطساس للطيير وتصاد بها ويضرب بالطساس للاسد
وقد اقبلت فتروها تلك الاصوات وقال صاحب المنطق الايابل تصاد بالصفير والغناء
وهي لانسام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الصوت فيسهلونها بذلك ويأتون من
خلفها فان رأوها مسترخية الاذان وثبوا عليها وإن كانت قائمة الاذنين فليس اليها سبيل
والصفير تسقى به الدواب الماء وتنفر به الطير عن البذور وزعم صاحب المنطق أن
الرعد الشديد إذا وافق سباحة السمك في أعلا الماء رمت ببعضها قبل إنتهاء
الاجل فيسمع الرعد الشديد فيتمطل عليها اياما بعد الوقت وقال أبو الوجيه العكلى
أحب السحابة الخرساء ولا أحبها فتيل له وكيف ذلك قال لانها لا تخرس حتى تمتلئ
ماء وتصب صباً كثيراً ويكون غيثاً طيباً وفي ذلك الحيا الا أن الكرامة لا تكون على قدر
الغيث ذهب الى ان الرعد في الكرامة عملاً وقال جعفر بن سعيد سأل كسرى عن الكرامة
فقيل له لا تكون بالمطر دون الرعد ولا بالرعد دون المطر قال فقال كسرى رشوا بالماء
وأضربوا بالطبول وكان من جعفر على التملح وقد علم جعفر أن كسرى لا يجهل
هذا المقدار فالحية واحدة من جميع اجناس الحيوان الذي للصوت في طبعه عمل
فاذا دنا الهواء وصفق بيديه وتكلم رفعاً صوته حتى يزيد خرج اليه كل شيء كان في
الجحر فلا يشك من لا علم له أن الحية خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية وأن
العامر أخرجها تعظيماً للمزينة ولان المعتزم مطاع في العامر والعمامة أسرع شيء الى
التصديق وفي أن البدن هيكل لها يقول سليمان الاعمي وكان اخاه سلم بن الوليد
الانصارى وكانوا لا يشكون بأن سليمان هذا الاعمي كان من محبي بشار الاعمي وانه
كان يختلف اليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدين وهو الذي يقول

إن ذا العلم ممتبِر * لطلوب العلم مقتبِه
 هيكل للروح ينطقه * عرفه والصوت من نفسه
 لا تعظ الا اللبيب فسا * يعدل الضلع على قوسه
 رب مغروس يماش به * فقدنه كف مغترسه
 وكذلك الدهر مآتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وكانت العرب تقول كان ذلك إذ كان كل شيء ينطق وكان ذلك والحجارة رطوبة قال أمية

وإذهم لا لبوس لهم تقيهم * واذ صم السلام لهم رطاب
 بآية قام ينطق كل شيء * وخان أمانة الديك الغراب
 وأرسات الحمامة بمد سبع * تدل على المهالك لا تهاب
 تلمس هل ترى في الارض عينا * وعائنة بها الماء العباب
 نجاءت بمدمار كضت بقطف * عليها الناط والطين الكباب
 فلما فرسوا الآيات صاعوا * لها طوقا كما عقد السخاب
 اذا ماتت تورثه بينها * وإن تقتل فليس له انسلاب

فذكر رطوبة الحجارة وأن كل شيء قد كان ينطق ثم خبر عن منادمة الديك الغراب واشترط الحمامة على نوح وغير ذلك مما يدل على ما قلنا ثم ذكر الحية وشأن إبليس وشأنها فقال

كذى الافعى تربيتها لديه * وذى الجنى أرسلها تساب
 فلا رب البرية يأمنها * ولا الجنى أصبح يستتاب

فان قلت إن أمية كان أعمرأياً وكان مدرباً وهذا من خرافات أعراب الجاهلية وزعمت أن أمية لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب فاني سأشدك لعدى بن زيد وكان نصرانياً دياناً وترجمانا وصاحب كتب وكان من دهاة أهل ذلك فذكر عدى بن زيد يذكر شأن آدم ومعصيته وكيف أغواه وكيف دخل في الحية وان الحية كانت في صورة جمل فسخها الله عقوبة لها حين طاعت عدوه على وليه فقال

قضى استمة ايام خليقة * وكان آخرها أن صور الرجال

دعاد آدم صوتا فاسجاب له * بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا
 تمت أورثة الفردوس بعمرها * وزوجه صنعة من ضلعه جملا
 لم ينهه ربه عن نعيم واحدة * من شجر طيبان شم أو أكل
 فكانت الحية الرفشاء اذ خلقت * كما تري ناقة في الخلق أو جملا
 فعمدا لاني عن أكابا نيبيا * بأمر حواء لم تأخذ له الدغلا
 كلاهما خاط اذبرا ابوسهما * من ورق التين ثوبالم يكن غزلا
 فلاطها الله اذ اغوت خليفته * طول الايالي ولم يجعل لها أجلا
 تمشى على بطنها في الدهر ما عمرت * والترب تأكله حزنا وإن سهلا
 فابقيا أبوانا في حياتهما * وأوجد الجوع والاصاب والملا
 وأوتيا الملك والإنجيل نقرؤد * نشفي بحكمته أحلامنا عللا
 من غير ما حاجة الا ليجعلنا * فوق البرية أربابا كما فعلا

(فرووا) أن كعب الاحبار قال مكتوب في التوراة إن حواء عند ذلك عوقبت بعشر
 خصال وإن آدم لما أطاع حواء وعصى ربه عوقب بعشر خصال وإن الحية التي
 دخل فيها ابليس عوقبت أيضا بعشر خصال وأول خصال حواء التي عوقبت بها
 وجع الافتضاض ثم الطاق ثم النزاع ثم بقناع الرأس وما يصاب الوحم والنفساء من المكروه
 والقصر في البيوت والحيض وأن الرجال هم القوامون عليهم وإن تكون عند الجماع
 هي الاسفل (وأما خصال آدم) صلى الله عليه وسلم فالذي انتقص من طوله وبها جملة
 الله يخاف من الطوام والسباع وتكد العيش ويتوهم الموت ويسكني الارض
 وبالعمري من ثياب الجنة وبأوجاع نعل الدنيا وبمقاساة التحفظ من ابليس وبالحماسية
 بالظرف وبما شاع عليه من سم المصايد (وأما الحية) فبها عوقبت منقص جناحها وقطع
 أرجلها وشمسي على بطنها وبدمر جدها حتى يفصل عري من حية وبشف لسانها ولذلك
 كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لتريمهم العقوبة وبما أتى عليها من عداوة الناس
 وبمخافة الناس وبجملة لها أول ما من من اللحم والدم وبالذي ينسب اليها من الكذب
 والظلم فاما الظلم فقولهم أظلم من حية وأما الكذب فانها تنطوى في الرمل على الطريق

وتدخل بمض جسدها في الرمل فتظهر كأنها طبق خبز ران ومنها حيات بيض قصار
تجمع بين أطرافها على طرق الناس وتستدير كأنها طوق خالخال أو سوار ذهب
أو فضة ولما تلقى على نفسها من السبات ولما تظهر من الحرب من الناس وكل ذلك إنما
تفرهم وتصطادهم بتلك الحيلة فذلك هو كذبها قال وعوقبت الأرض حين شربت دم
ابن آدم بمشر خصال أنبت فيها الشوك وصير فيها النيباني وخرق فيها البحار ومالج
أكثر ماؤها وخالق فيها الهوام والسباع وجعلها قراراً لا يبليس والماصين وجعل جهنم
فيها وجعلها لا تربى ثمرتها الا في الحر وهي تمذب بهم الى يوم القيامة وجعلها توطؤ
بالاخفاف والحوافر والاطلاف والتوادم وجعلها مالحة الطعم ثم لم تشرب بعد دم ابن
آدم دم أحد من ولده ولا من غير ولده قال ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه لا يي مريم الحنفي لأننا أشد لك بغضاً من الأرض للدم وزعم صاحب المنطق
أن الأرض لا تشرب الدم الا يسيراً من دمها الا بل خاصة واذا أرادوا أن يمتحنوا
جودة العسل من رداءته قطروا على الأرض منه قطرة فان استدارت كأنها قطعة زئبق
ولم تأخذ من الأرض ولم تعطه فهو المساذي الخالص الذهبي فان كان فيه غشوشة
نفتت القطرة على ما فيها وأخذت من الأرض وأعطتها وان لم يقدروا على اللحم
الفريض دفنوه وغرقوه في العسل فانهم متى رجعوا ففسده عنه وجدوده غصاً طرباً
لانه ذهبي الطباع ليس بينه وبين سائر الاجرام شيء فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ
منه وكذلك الذهب اذا كان مدفوناً وهذه الاحاديث وهذه الاشعار تدل على أنهم
قد كانوا يقولون إن الصخور كانت رطبة لينية وإن كل شيء قد كان يعرف وينطق
وأن الاشجار والنخل لم يكن عليها شوك وقد قال العجاج أو رؤبة

أو عمر نوح زمن الفطحل * والصخر مبتل كطين الوحل

وأنا أظن أن كثيراً مما يحكى عن كعب أنه قال مكتوب في التوراة إنه إنما قال
نجد في الكتب وهو إنما يعني كتب الانبياء والذي يتوارثونه من كتب سايدان وما
في كتبهم من كتب أشعياء والذين يروون عنه في صفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وأشبهه ذلك فان كانوا صدقوا عليه وكان الشيخ لا يوضع الاخبار فما كان وجه كلامه

عندنا الاعلى ماقات لك وفي أن الحية قد كانت تسمع وتنطق يقول النابغة في المثل
الذى ضربه وهو قوله

أليس لنا مولى يحب سراحنا * فيمذرنا من مرة المتناصره
ليهنأكم أن قد اقيم بيوتنا * محمل عبيدان المحلا باقره
وإني لللاق من ذوى الضغن نكبة * بلا عثرة والنفس لا بد عاثره
كالحق ذات الصفا من حليفها * وما انفكت الامثال في الناس ساثره
فقات له ادعوك للعقل وافراً * ولا تشينني منك للظلم بادره
فواقبها بالله حتى تراضيا * فكانت تديه الجزع خفياً وظاهره
فاما توفي العقل الا اقله * وجارت به نفس عن الخير جائره
تفكر أني يجمع الله شمله * فيصبح ذامل ويقتل واتره
فطل على فاس يحد غرابها * ليقتلها والنفس للقتل حاذره
فلما وقعا الله ضربة فاسه * ولله عين لا تغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا * على العقل حتى تجزي لى آخره^(١)
فقات يا رب لله أفعل إني * رأيتك ختاراً يمينك فاجره
أباك تهر لا يزال مواجها * وضربة فاس فوق رأسى فانره

فذهب النابغة في احيات مذهب أمية بن أبي الصات وعدى بن زيد وغيرهما من
الشعراء وأنشدني عبد الرحمن بن كيسان

فيكان رطيباً يوم ذلك صخرها * وكان نضيدا طالجها وسياها

فزعم كما ترى أن الصخور كانت لينة وأن الاشجار الطالح والسيال كانت خضيدة لا
شوك عليها وزعم بعض المفسرين وأصحاب الاخبار أن الشوك إنما اعتراها في صبيحة
اليوم الذي زعمت النصراني فيه أن المسيح ابن الله وكان مقاتل يقول حدثنا بذلك
أبو عتيل السهواني وكان أحد رواة والحاملين عنه أن الصخور كانت لينة وان قدما
ابراهيم عليه السلام أثرتا في تلك الصخرة كتأثير أقدام الناس في ذلك الزمان الا أن

(١) وروي فقال تعالى نجعل الله بيننا • على مالنا أو تجزي لى آخره

الله تعالى توفي تلك الآثار وعفي عليها ومسحها ومحامها وترك أنر مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم والحجة إنما هي في إفراده بذلك ومحو ما سواه من آثار أقدام الناس ليس أن ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان وطئ على صخرة يابسة فأثر فيها وأنا أقول على تثبيت ذلك بالحجة ونعوذ بالله من الهذر والتكاف وانتحال ما لا أقوم به أقول إنه لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم ولولا مكان المعترلة لهلكت العوام من جميع النحل فإن لم أقل ولولا أصحاب ابراهيم وابراهيم لهلكت العوام من المعترلة فاني أقول إنه قد أنجح لهم سبلا وفتق لهم أموراً واختصر لهم أبواباً ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة وأنا أزعم أن الناس يحتاجون ندباً إلى طيبة ثم إلى معرفة ثم إلى إنصاف وأول ما ينبغي أن يتبدى به صاحب الانصاف أمره أن لا يعطى نفسه فوق حقاها وأن لا يضمها دون مكانها وان يحفظ من شئين فان نجاته لا تتم الا بالتحفظ منهما أحدهما تهمة الاف والآخرة تهمة السابق الى القاب والله الموفق وما أكثر ما يعرض في وقت الباب على هذا الكتاب وإطالتي الكلام وأطنابي في القول بيت ابن هرمة حيث يقول

ان الحديث نذر القوم حلوته * حتى يلج بهم عي وإكثار

وقولهم في المثل كل مجر في الخلاء يسر وأنا أعوذ بالله ان أغر من نفسى عند غيبة خصمي وتصفح العلماء لكلامي فاني أعلم أن فتنة اللسان والقلم أشد من فتنة النساء والحرص على المال وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الارادة فيه أول ذلك العلة الشديدة والثانية قلة الاعوان والثالثة طول الكتاب والرابعة انى لو تكلمت كتاباً في طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجوهر والصفرة والتوليد والمداخلة والفرائر والنحاس لكان أسهل وأقصر أياماً وأسرع فراغاً لانى كنت لأفرع فيه الى تلفظ الاشعار وتببع الامثال واستخراج الآتى من القرآن والحجج من الرواية مع تفرق هذه الامور في الكتب وتباعد ما بين الاشكال فان وجدت فيه خلا من اضطراب لفظ ومن سوء تأليف ومن تقطيع نظام ومن وقوع الشئ في غير موضعه فلا تذكر بعد ان صورت عندك حالى التي ابتدأت عليها

كتابي ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه اذ كنت لم أتمس به الا افهامك مواقع
 الحجج لله وتصاريف تدبيره والذي أودع أصناف خاتمه من أصناف حكمته لما
 تعرضت لهذا المذكور فان نظرت في هذا الكتاب فانظر فيه نظر من يلمس لصاحبه
 الخارج ولا يذهب مذهب التعمت ومذهب من اذا رأى خيراً كتبه واذا رأى شراً
 أذاعه وليعلم من فعل ذلك انه قد تعرض لآب ان أخذ بثله وتعرض له في قوله
 وكتبه ان ايس ذلك الا من سبيل العقوبة والاخذ منه بالظلامة فلينظر فيه على مثال
 ما أدب الله به وعرف كيف يكون النظر والتفكير والاعتبار والتعليم فان الله عز وجل
 يقول (واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه)
 فينبغي ان تكون اذا مررت بذكر الآيات والاعجوبة في الفراشة والخرجسة ان لا تحقر
 تلك الآيات وتصغر تلك الاعجوبة اصغر قدرهما عندك واقلة معرفتهما عندك معرفتك
 واصغر أجسامها عند جسمك ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم من ذلك
 التدبير كما قال الله عز وجل (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل
 شيء) ثم قال (نخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بحسنها) ثم قال الله تعالى (واذنقنا الجبل
 فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه قومهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه) وقد قال
 عامر بن عبد قيس الحكيم اذا خرجت من القلب وقمت في القلب واذا خرجت من
 اللسان لم تجاوز الاذن وإنما أعيدت نفسي بالله ان أقول لاله وأعيدك بالله ان تسمع الا
 له وقد قال الله عز وجل (وإن تدعهم الى تضلتي لا يبتدوا وتراهم ينظرون اليك وهم
 لا يبصرون) فاحذر من ان تكون منهم ومن ينظر الى حكمة الله وهو لا يبصرها وان
 يبصرها بفتح العين والسماع لا اذن ولكن بالتوقف من القلب والتثبت من العقل
 وتخفيظه وتمكينه من اليقين والحجة الظاهرة ولا يراها من يعرض عنها وقد قال الله
 عز وجل (ولا تكفونوا كالمذنبين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) وقال (ان شر الدواب عند الله
 الصم البكم الذين لا يعقلون) ولو كانوا صما بكما وكانوا هم لا يعقلون لما عيرهم بذلك
 كما لم يعير من خلقه معوها كيف لم يعقل ومن خلقه أعمى كيف لم يبصر وكما لم يكرم
 الدواب ولم يعاقب السباع ولكنه سمي البصير المتعالي أعمى والسميع المتصائم أصم

والعاقل المتجاهل جاهلا وقد قال الله عز وجل (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحبي الموتى وهو على كل شيء قدير) فانظر كما أمرك الله وانظر من الجهة التي ذلك منها وخذ ذلك بقوة قال تعالى (خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه) (ثم رجع بنا القول الى ما في الحيات من العلم والعبارة والنائدة والحكمة) ولذلك قال أبو ذر الغفاري لقد تركنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وما يمر بنا طائر الا وعندنا من شأنه علم وهذا القول صحيح عن أبي ذر ولم يخص أبو ذر خشاش الظاهر من بغائرها واحرارها ولا ما يدخل في باب المميج وقد أريناك من تحقيق قوله طرفا ولعلك ان جمعت نظرك الى نظرنا لم تستتم هذا الباب فقد قال الشاعر

خليلي ليس الرأي في رأي^(١) واحد * أشيرا على اليوم ماتريان

وقال الاحنف ما من الناس أحد الا وقد تعلمت منه شيئا حتى من الامة الورهاء والعبء الاوره والحيات مختلفات الجهات جدا وهي من الائم التي يكثر اختلاف اجناسها في الضرر والسم وفي الصغر والعظم وفي التعرض للناس وفي الحرب منهم فنها ما لا يؤذي الا ان يكون الناس قد آذوها مرة واما الاسود فانه يحقد ويطاب ويكن في المتاع حتى يدرك بطائله وله زمان يقتل فيه كل شيء منهشيه وأما الافمي فليس ذلك عندها ولكنها تظهر في الصيف مع أول الليل اذا سكن وهج الرمل وضاهر الارض فتأني قارة الطريق حتى تستدير وتطحن كأنها رحي ثم تعلق بذئبا بالارض وتشخص رأسها لتلا يدركها السبات معترضة لتلا يطأها انسان او دابة فتنهشه كأنها تريد ان لا تنهش الا بان يعترض لها وهي قد تعرضت لهشه باعتبارها في الطريق وتناومها عليه وهي من الحيات التي ترصد وتوصف بذلك قال معقل بن خويصة

ابا معقل لا توظفنيكم بغاضتي * رؤس الامم في سر صددها مره

يريد بافالا عي العرم في مرصدتها وكل منقطة نهى عرمه من سده وسير ذلك وقد خر

وكم طوت من حاش وراصد * للسفر في اعلى البيت فاصد

والافمي تقتل في كل حال وفي كل زمان والسجاع يواب ويفوم على ذنبه وربها بلغ

رأسه رأس الفارس وليس يقتها اذا تطوقت على الطريق وفي المناهج او اعترضتها
 لتقطع اعابرة الى الجانب الآخر شئ كفاطيع اشياه اذ امرت بها وكذلك الابل الكثيرة
 اذ امرت فان الحية اذا وقعت بين ارجلها كان همتها نفسها ولم يكن لها همة الا التخلص
 بنفسها لئلا تعجلها بالوطي فان نجت من وطئ أيديها لم تنج من وطئ أرجلها وإن
 سامت من واحدة لم تسلم من التي تليها الى آخرها وقال عمر بن الخطاب وهو يصف إبلة
 * تدرض الحيات في عاساسها * وقال ذو الاهداهم * تعجلها عن نهشها والمنكر * ومن ذلك
 ان العقرب تقم في يد السور فيلمب بها ساعة من الليل وهي في ذلك مسترخية
 مستخذية لا تضربه والسنانير من الخلق الذي لا تسرع السوم فيه وربما بات الافمي
 عند رأس الرجل وعلى فراشه فلا تنهشه وأكثر ما يوجد ذلك من القاص والراعي
 قال الشاعر

بيت الحية النضناض منه * مكان الحب مستمع السرار
 قال الحب الحبيب والنضناض من الحيات الذي يحرك لسانه وعن عيسى بن عمر قال قلت لذي
 الرمة ما النضناض فاخرج لسانه يحركه وإنما يصف القانص وأنه بيت بالفقر ومثله
 قول ابى النجم

يحكيها الغروال في غروالها * جرى الرحي تجرى على ثفالها

الغروال المكان وفي ذلك يقول ابو وجرة

بيت جارتها الافمي وسامر * ربد به عاذر منهن كالجرب

وقوله ربد يريد البعوض وعاذر اترقال وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمي فلما اصبح
 يحيى رأى بينهما أفمي مستوية فوثب يحيى ليقتها فقال له دارم قد اعتمتها وحررتها ولم
 تقتها وهي ضجيمتي من اول الليل فقال يحيى

اعوذ بربي أن ترى لى صحتي * يطيف بنا ليلا محرر دارم

من الخرس لا ينجو صحيحا سليمها * وإن كان معقودا بجلى التمام

(والعقارب في ذلك دون الحيات) الا الجرات فانها ربما باتت في لحاف الرجل الليلة
 بأسرها وتكون في قبصه عامة يومها فلا تلمسه فهي بالافمي اشبه فلما سائر العقارب

فإنها تقصد إلى الصوت فإذا ضربت إنساناً فرت كما يصنع المنيء الخائف للعقارب
والمعرب لا تضرب الميت ولا المغشى عليه ولا النائم إلا أن يحرك شيئاً من جسده فإنها
عند ذلك تضربه ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسلمها ولا تصادق من الحيات إلا كل
أسود ساخ وحدث أبو إسحاق الميكي قال كان في دار نصر بن الحجاج السلمي عقارب
إذا سمعت قنات فذب ضيف لهم على بعض أهل الدار فضربته عقرب على مذاكيره
فقال نصر يعرض به

و دارية إذا نام سكانها * أقام الحدود بها العقرب

إذا غفل الناس عن دينهم * فأن عقاربها تضرب

قال فادخل الناس بها حواء وحكوا له شأن تلك العقارب فقال إن هذه العقارب
تستقي من أسود ساخ ونظر إلى موضع في الدار فقال احفرواها هنا خفروا عن أسودين
ذكر وأنتي ولذلك خصيتان ورأوا حول الذكر عقارب كثيرة فقتلواها (قال) وقال
الفضل بن عباس حين راهنه عقرب بالشعر وقيل لسكك واحد منهما است في شيء حتى
تغلب صاحبك فقال الفضل

قد تجر العقرب في سوقنا * لا مرحباً بالعقرب التاجر

كل عدو يتقى مقبلاً * وعقرب تخشى من الدابة

كل عدو كيده في استه * فغير ذي أيد ولا ضاره

قد ضاقت العقرب واستيقنت * بان لا دنيا ولا آخرة

ان عادت العقرب عدنا لها * وكانت النمل لها حاضره

وأسم ام حارثة بن بدر عقرب وآل أبي موسى يكتبون بأبي العقارب ومن هؤلاء الذين
يكتبون بالعقرب ابن أبي العقرب الليثي الخطيب الفصيح الراوية ورووا ان عقرباً سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعنها الله فإنها لا تبالي من ضربت وقال الضبي أنا عقرب أضر
ولا أنفع وكان الرجل تسمه الجرادة بمسكر مكرم أو بجنديسابور فقتله وربما نثر لحمه
وربما تغفن وأنتن حتى لا يدنو منه أحد الا وهو مخمر انفه مخافة إعدائه ولا سيما ان كان
قد نال من اللحم وهو لا يعلم ان الوخزة التي وخزها كانت من جرارة وكانوا اذا شعروا

بها دعوا حجما ما يحجم ذلك الموضع ويمصه قبل أن يتفشي فيه السم ويدخل تلك المداخل
 فكان الحجام لا يحجمهم حتى يقبض دنائير كثيرة وانما كانوا يجودون له بذلك لما كان
 اصحابهم في ذلك من الهرج وما على الحجام في ذلك من الضرر وذلك أن وجهه ربما
 اسماز واربد وربما عطلت مقادير أسنانه وتوجعت عليه فيلقى من ذلك الجهد وذلك
 لما كان يتصل الى فيه من بخار الدم ومن ذلك السم المخالط لذلك الدم ثم انهم بعد
 ذلك حشوا أذباب الحجام بالقطن فصار القطن لا يمنع قوة المص والجدب ولم يدعه يصل الى فم
 الحجام ثم انهم بعد مدة سنين اصابوا نابتة في بضع الشنب فاذا عاجلوا المسوع بها
 حسنت حاله والجرارات، تألف الاحواء التي تكون بحضرة الاتنين وتألف الحشوش
 والمواضع النارية وسمها نار وقيل لما سرجويه قد نجد المقرب تاسع رجلين فقتل
 أحدهما ويقتلها الآخر وربما نجت ولم تمت كما انه ربما عقرت ولم تقف ونجدها تضرب
 رجلين في ساعة واحدة فيختلفان في سوء الحال ونجدها تختلف مواضع ضررها على
 قدر الأغذية وعلى قدر الأزمات وعلى قدر مواضع الجسد ونجد واحدا يتعالج
 بالامسوس فيجمده ونجد آخر يدخل يده مدخل حار من غير أن يكون فيه ماء
 فيجمده ونجد آخر يعالجه بالبخالة الحارة فيجمدها ونجد آخر يحجم ذلك الموضع فيجمده
 ونجد كل واحد من هؤلاء يشكو خلاف ما يوافق ثم إنا نجده يعاود ذلك العلاج عند
 لسعة أخرى فلا يجمده (قال) ما سرجويه لما اختلفت السموم في أنفسها بالجنس والقدر
 وفي الزمان وباختلاف ما لقاه اختلف الذي وافقه على حسب اختلافه وكان يقول إن
 قول القائل في المقرب شر ما تكون حين تخرج من جحرها ليس يعنون من ليلتها
 وإذا كان لا بد من أن يكون لها نصيب من الشدة ولكنهم انما يعنون في أول ما
 تخرج من جحرها عند استقبال الصيف بعد طول مكثها في غير عالمنا وغدائنا وأنفاسنا
 ومعايشنا والعامية تزعم انها شر ما تكون اذا ضربت الانسان وقد خرج من الحمام لتفتح
 المسام وسعة المجارى وسخونة البدن ولذلك صار سمها في الصيف أشد هذا قول أبي
 اسحاق كانه كان يروى ان الهواء كلما كان أحر وكان البدن أسخن كان شرا ونحن
 ندم بصرخون من سمها الليل كله واذا طامت الشمس سكن ما بهم فاذا بقيت فضلة

من تلك الجارحة في الشمس فإما كثير ما يسكن وسمومها بالليل أشد لا أن يزعم أن أجواف الناس في برد الليل أسخن وفي حر النهار أقر وزعم لي في بعض العلماء ممن قد روى الكتب وهو في إرث منها أن حية يقال لها الدساس تلد ولا تبيض وإن أنثى النور لم تضع نمرًا قط إلا ومعه أفعى والاعراب تزعم أن البكامة تبقى في الأرض فتطر مطارة صيفية فيستحيل بمضها أفعى فسمع هذا الحديث مني بعض الرؤساء الطائيين فزعم لي أنه عين بكاة ضخمة فتأملها فإذا هي تحرك فتهض اليها فتقامها فإذا هي أفعى هذا ما حدثه عن الاعراب حتى برئت إلى الله من عيب الحديث وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكل اللحم والعشب وزعم أن الحيات أظهر كلبا من جميع الحيوان مع قلة شرب الماء وإن الاسد مع نهمه قليل شرب الماء قال ولا تضبط الحيات نفسها إذا شمّت ريح السذاب وربما اصطيدت به وإذا أصابوها كذلك وجدوها وقد سكرت قال والحيات تبتلع البيض والفراخ والعشب وزعم أن الحيات تساخ جلودها في أول الربيع عند خروجها من أعشمتها وفي أول الخريف وزعم أن الساخ يتدى من ناحية عيونها أولا قال ولذلك يظن بعض من يمانها أنها عمياء وهي تساخ من جلودها في يوم وليلة من الرأس إلى الذنب ويصير داخل الجلد هو الخارج كما يساخ الجنين من المشيمة ولذلك جميع الحيوان المحرز الجسد وكل طائر لجناحه غلاف مثل الجعل والدبر وكذلك السرطان يساخ أيضاً فيضعف عند ذلك عن المشى وتساخ جلودها مراراً والساخ يصيب عامة الحيوان أما الطير فحسبها وأما ذوات الحوافر فساخها عقاقبها وساخ الايائل القاء قرونها وساخ الأشجار إسقاط ورقها والاسروع دويبة تساخ فتصير فراشة وقال الطرماس شعراً

وتجرد الاسروع وأطرد السفا * وجرت بحالها الجراد القرد

وانساب حيات الكتيب وأقبات * ورق الفراش لما يشب الموقد

يصف الزمان والدعموص ينسلخ فيصير إما بعوضة وإما فراشة وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك أن البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة وإن البعوضة التي من سلخ دعموص ربما تصلحت برغوثاً والنمل تحدث لها أجنحة ويتغير خلقها وذلك هو سلخها وهيكلها يحين

عند طيراتها والجراد ينسأخ على غير هذا النوع قال الرازي

* مامونة تسأخ لونا لونين *

قال وعض السباع ذوات الاربع ولدغ الهوام بختاف بقدر اختلاف البلدان كالذي يبلغنا عن أفاعي الرمل وعن جرارات قرى الاهواز وعقارب الصين وثما بين مصر وهندريات الخرابات وفي الشبثان والزنابير والريالات ما يقتل فأما الطبوع فانه شديد الأذى وللصمغ أذى لا يبلغ ذلك وقال صاحب المنطق ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية طبهون حية صغيرة شديدة اللدغ إلا أن تعالج بحجر يخرج من بعض قبور قدماء الملوك ولم أفهم هذا ولم كان ذلك وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها كانت أردأ ما تكون سماً مثل العقارب والافاعي (قال) والايال إذا أتي قرونه علم أنه قد أتي سلاحه فهو لا يظهر وكذلك ان سمن علم أنه يطاب فلا يظهر وكذلك أول ما نبت قرنه يمرضه للشمس ليصاب ويجف وإن لدغت الايل حية أكل السراطين فلذلك نظن ان السراطين صالحة للديغ من الناس قال وإذا وضعت أنثى الايل ولداً أكلت مشيمتها فتظن أن المشيمة شيء يتداوى به من علة النفاس والدبة فانها إذا هربت دفعت جراها بين يديها وإن خافت على أولادها غيبتها وإذا ألحقت صعدت في الشجر وحمت معها جراها قال والفهد إذا عراه الداء الذي يقال له خانق الفهود أكل العذرة فبرئ منه قال والسباع تشتهي رائحة الفهود والفهد يتغيب عنها وربما فر بعضها منه فيطعم في نفسه فإذا أراد السبع وثب عليه الفهد فأكاه قال والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه حتى يأتي طائر فيأكل ذلك فيكون طعاماً له وراحة للتمساح قال وأما الساجفأة فانها إذا أكلت الافمي أكلت صعترًا جبلياً وقد فعلت ذلك مراراً فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصعتر مراراً كثيرة فإذا كثرت من ذلك هلكت قال واما ابن عرس فانه اذا قاتل الحية بدا باكل السذاب لأن رائحة السذاب مخالفة للحية كما أن سام أبرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران قال والكلاب اذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح قال ونظن أن ابن عرس يخالط لطير بحيلة الذئب للغم فانه يذبجها كما يفعل الذئب بالشاة قال وتقاتل الحيات المشتركة في الطعم وزعم أن القنافذ لا يخفي عليها شيء من جهة الريح

خفي فلا أفرق ان تفخي * وان ترحى كرحي المرحي
 أصح من نحنة واح * يحكي سعال النشز الابح
 قال الفحيح صوت الحية من فيها والكشيش والنشيش صوت جدها اذا حكمت بمضه
 ببعض قال الراجز في صفة الشخب والحاب
 حلبت للابرش وهو مغض * حمراء منها شخبة بالمخض
 ليست بذات وبرمبيض * كان شخب صوتها المرفض
 * كشيش أفبي أجمعت لعض *
 ويقال للضب والورل كش يكش كشيشا وأنشد أبو الجراح
 ترى الضب إن لم يرهب الضب غيره * يكش له مستنكراً ويطاوله



باب من ضرب المثل للرجل الداهية ولاحي الممتنع بالحية
 قال ذو الاصبع العدواني

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض
 * بنى بعضهم ظلما * فلم يرع على بعض
 وفيهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض
 يقال فلان حية الوادى وما هو الاصل اصلال والصل الداهية والحية قال النابغة
 ماذا رأينا به من حية ذكر * انضاضة بالرزبا صل اصلال
 وقال آخر

صل صفا تنظف أيايه * سهام ذيفان مجيرات

وقال آخر

مطرق يرشح سماكها * أطرق أفبي ينفث السم صل

ومن أمثالهم صمي صمام وصمي ابنة الجبل وهي الحية قال الكميت

إذا أتى السفير لها ونادى * بها صمي ابنة الجبل السفير

ومن أمثالهم جاء بأم الربيق على أريق أم الربيق أحدى الحيات وأريق الطبق ضربوا به

مثلا في الدواهي وأصلها من الحيات قال

إذا وجدت بواد حية ذكرا * فاذهب ودعني أمارس حية الوادي
وفي المثل أدرك القوقعة لاتأكلها الهويمة يعني الصبي الذي يدرج ويتناول كل شيء سنجله
ويهوى به الى فيه كانه قال لومه أدركيه لاتأكله الهامة وهي الحية وهو قوله في التعميد
ومن كل شيطان وهامة ونفس وعين لومه وقال الاخطل في جمعهم الرجل الشجاع
واذا الراي الداهية حية وكذلك يعملون اذا أرادوا تعظيم شأنها واذا أرادوا ذلك
فما أكثر ما يعملون الحية ذكرا قال الاخطل

أبئت كلبا تمنني أن يسافهنا * وطال ما سافهونا ثم ما ظفروا

كفتمونا رجلا قاطعي قرن * مستحلقين كما يستحلق السرر

ليست عليهم اذا عدت خصالمهم * خصل وليس لهم أيجاب ما قرؤا^(١)

قد أنذروا حية في راس هضبته * وقد أتهم به الانباء والنذر

باتوا رفودا على الامهاد ليلهم * وياهم ساهر فيها وما شعروا^(٢)

ثم قالوا أمات الماء حيته^(٣) * وما يكاد ينام الحية الذكر

وما أكثر ما يذكرون حية المساء لان حية المساء فيها تفاوت إما أن تكون لا تضر
كبير ضرر واما أن تكون اقل من الحيات والافاعي ويقال إن الهنديات انما تصير
في البيوت والدور والاصطبلات والخرابات لانها تحمل في القضب وفي اشباه ذلك
والحيات تأكل الجراد أكل شديدا فربما فتح رأس كزره وجرايه وجوالقه الذي يأتي
الجراد وقد ضربه برد السحر وقد تراكم بعضه على بعض لانها موصوفة بالصرده والحيات
توصف بالصرده وكذلك الحمير والماعز من القم ولذلك قال الشاعر

بليت كما يبلى الوكاء ولا أرى * جنابا ولا أكناف ذرودة تخاق

الووى حيازيمي بهن صباية * كما يتلوى الحية المشرق

(١) وروى ليست عليهم ديات يأخذون بها * ولا يكون لهم ايجاب ما قرؤوا

(٢) وروى باتوا نياما على الانماط ليلهم * وليه ساهر فيها وما شعروا

(٣) وروى * هناك قالوا انام الماء حيته *

وانما تشرق اذا أدركها برد السحر ولم تصر بعد الى صلاحها وخرجت بالليل تكاتب العلم كما يفعل ذلك سائر السباع فربما اجترف صاحب السكرز للجراد فأدخله كرزه وفيه الافمي وأسود السالخ حتي ينقل ذلك الى الدور فربما اتى الناس منها جهداً وقال بشر بن المعتز في شعره المزوج

يا عجباً والدهر ذو عجائب * من شاهد وقبه كالغائب
وحاطب يحطب في بجاده * في ظلمة الليل وفي سواده
يخطب في بجاده الايم الذكر * والاسود السالخ مكروه النظر

فمن ذكر حية الماء عبد الله بن همام السلولى فقال

حكية الماء لا تنماش من أحد * صاب المراس اذا ما حلت النطق

وقال الشماخ بن ضرار

خوص العيون تبارى في أزمتهما * اذا تفصدن من حر الصياخيد
* وكاهن تبارى ثنى مطرد * حكية الماء ولى غير مطرود

وقال الاخطل

ضفادع في ظلماء ايل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وقال أيضا

هلم ابن صفار فان قتالنا * جهارا وما منا ملاوذة العذر
فانك في قيس لنال مذذب * وغيرك منهم ذو الثناء وذو الفخر
ونحن منعنا ماء دجلة منكم * ونمنع ما بين العراق الى البشر
الايبان صفار فلا ترم العلى * ولا تذكر حيات قومك في الشعر
فما تركت حياتنا لك حية * تحرك في أرض براح ولا بحر

وقال تقيع بالكحيل

فان تك قتلاكم بدجلة غرقت * فما أشبهت قتلي حنين ولا بدر
نواوا إذ لقونا بالكحيل كما نوى * شمام الى يوم القيامة والحشر
بدجلة حالت حربنا دون قومنا * وأوطاننا ما بين دجلة فالحصر

ولو كنتم حيات بحر لكنتم * كدات الكحيل اذ تقوون في القمر
فالايم الحية الذكر يشبهون به الزمام وربما شبهوا الجارية المجدولة الخميصة الخواصر
في مشيها بالايم لان الحية الذكر ايس له غيب وموضع بطنه مجدول غير متراح وقال
ابن ميادة

قدمت على السملاة تنفض مسجها * وتجدب مثل الايم في بلد نقر
تيم خير الناس من آل حاضر * وتحمل حاجات تضمنها صدرى
وقال الآخر في حمرة عين الافمي

لولا الهراوة والكدنفاذ اوردنى * حوض المنيسة قتال لمن علقا
أصم منهرة الشدقين ملتبد * لم يفد الا المنايا من لدن خلقا
كأن عينيه مسما كان من ذهب * جلاهما مدوس التلاق فابتلعا

وقال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ابن ميادة

وعند القرارى العراقى عارض * كأن عيون القوم في نبضة الحجر
وفي حمرة العين من جهة الخلة يقول أبو قردودة في ابن عمار حين قتله النعمان
إني نهيت ابن عمار وقلت له * لا تأمنن أحمر العينين والشعره
إن الملوك متى تنزل بساحتهم * تطر بنارك من نيرانهم شرره
ياجنفة كازاء الحوض قد هدمت * ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحبره

وأكثر ما يذكرون مر الحيات بأسمائها دون صفاتها الافمي والاسود والشجاع والارة
قال عمر بن لجأ * يلزق بالصخر لزوق الأرقم * وقال آخر

ورفع أولى القوم وقع خرادل * ووقع نبال مثل وقع الأسارد
وفي بعض كتب الانبياء أن الله تبارك وآمالى قال لبني اسرائيل يا أولاد الأفامى
وتقال رماه الله بأفمى جارية وهى التي تجرى وكلما كبرت فى السن صفرت فى الجسم
وأنشده الاصمعي فى شدة اسوداد أسود صالح

مهرونة الأشداق عود قد كمل * كأنما فيظ من ليط جعل

وقال جرير فى صفة عروق بطن السنان

وأعور من نهان أما نهاره * فأعمى وأما ليله فبصير
 رفعت له مشبوبة يلتوي بها * يكاد سناها في السماء يطير
 فلما استوت جنباه لآعب ظله * عروض أفاعي الجاهلتين ضرير
 قال ويقال أبصر من حية كما يقال أسمع من فرس وأسمع من عقاب وقال الراجز
 * أسمع من فرخ العقاب الأشجع * وقال آخر
 أسود شرى لآفت أسود خفية * تساقوا على حرد دماء الأسود
 ضرب المثل بجنسين من الأسود اذ كان عنده الغاية في الشدة والهول فلم يقنع بذلك
 حتى رد ذلك كله إلى سموم الحيات وفي هول منظر الأسود يقول الشاعر
 من دون سيبك لون ليل مظلم * وحفيف ناخلة وقاب موسد
 والضيف عندك مثل أسود ساخ * لا بل أحبها إليك الأسود
 ويصفون ذوائب النساء فإذا بانوا الغاية شهوها بالأسود قال جرير العود
 ألا لا تعرف امرأة نوفلية * على الرأس منها والترائب أوضع
 ولا فاحم يسقى الدهان كأنه * أسود يزهاها لعينك أبطح
 قال وخرشا القشرة الغليظة بمد أن تنقب فيخرج ما فيها وجماعة الخراش غير مهموز
 قال وخرشا الحية ساخها حين تساخ وقال هذا أسود ساخ وهذان أسودان ساخان
 وأسود ساخة وقال مرقس

إن يفضبوا يفضب لذاكم كما * ينسل عن خرشائه الأرقم
 وكانوا يرون أن تملق الحلي وخشخشة الخلاخيل على السليم مما لا يفيق ولا يبرأ إلا
 به وقال زيد الخيل

أيم يكون النمل منه ضجيمه * كما عاقت فوق السليم الخلاخل
 وخبرني خالد بن عقبة من بني سلامة بن الأكوع وهو من بني المسبيع أن رجلاً من
 حزن من بني عذرة يسمى أسباط قال في تمليقهم الحلي على السليم
 أرقنت فلم تطم لي العين مهجماً * وبت كما بات السليم مقرعاً
 كأنني سليم ناله كلم حية * تري حوله حلي النساء مرصماً

وقال الذيباني

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أياها السم نافع
يسهد من لييل التمام سايها * لحلي النساء في يديه تمافع
قال ويقال لسان طاق ذلق ويقال للسايم إذ الدغ قد طاق وذلك حين ترجع إليه
نفسه وهو فول الذابغة

تبادرها الراقون من سوء سمها * تطلقه طوراً وطوراً تراجع
وقال العبدي إن كان قاله

تبيت المهوم الطارقات تمدني * كما تعترى الأهوال رأس المطاق
وأنشد

تلاقي من تذكر آل ليلى * كما ياتي السليم من العمداد
والمداد الوقت يقال إن تلك الالسة لتمتاده إذا عاده الوجد في الوقت الذي لسع فيه
وذكر النبي صلى الله عليه وسلم السم الذي كان في الحمل المصلي الذي كانت اليهودية
قدمته إليه فنال منه فقال إن تلك الأكلة لتمتادني وفي الحية قشرها وهو أحسن من
كل ورقة وثوب وجناح وطارئ وأعجب من ستر العنكبوت وغرقى البيض ويقال
في مثل إذا مدح الخف اللطيف والقدم اللطيفة قالوا كأنه لسان حية وبالحية يتداوى
من سم الحية وللدغ الأفاعي يؤخذ الترياق الذي لا يؤخذ إلا بمنون الأفاعي قل كثير
وما زالت رقائك تسل ضغني * وتخرج من مكانها ضبابي
وترقيني لك الحادون حتى * أجابك حية تحت الحجاب

جوير بن اسماعيل عن عمه قال حجبت فأنا في وقعة من قوم إذ نزلوا منزلنا ومنا
امرأة فنامت فأنثت وحية منطوية عليها قد جمعت رأسها مع ذنبا بين نديها فهالها
ذلك وأزعجنا فلم نزل منطوية عليها لا تضرها بشيء حتى دخنا انصاب الحرم فانسابت
فدخات مكة فقضينا نسكننا وانصرفنا حتى إذا كنا بالمكان الذي انطوت عليها فيه
الحية وهو المنزل الذي نزلنا نزلت فنامت واستيقظت فإذا الحية منطوية عليها ثم
صفرت الحية فإذا الوادي يسيل حيات عليها فمشتها حتى نقت عظامها فتمت لجارية

كانت لها وبحك اخبرينا عن هذه المرأة قالت بفت ثلاث مرات كل مرة تأتي بولد فاذا وضعت شـ جرت النور ثم ألقته فيه قال (ونظرت امرأة) الى علي والزبير وطاحة رضى الله تعالى عنهم وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التوافقات من هذا الذي كأنه أرقم يتماظ قيل لها الزبير قالت فن هذا الذي كأنه كسر ثم جبر قيل لها علي قالت فن هذا الذي كأن وجهه دينار هرقلى قيل لها طاحة وقال أبو زيد نهشت أنهش نهشاً والنهش هو تناولك الشيء بفيك فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه وكذلك نهشت الحية وأما نهش السبع فتناوله من الدابة بفيه ثم يقطع ما أخذ منه فوه ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً وهو انتزاع اللحم بالثنايا للأكل ويقال نشطت العقدة نشطاً إذا عقدته بالنشوطة ونشطت الابل تاشط نشطاً إذا ذهبت على هدى أو غير هدى نزعاً أو غير نزع ونشطته الحية فهي تاشطه نشطاً وهو أن تمضه عضاً ونكزته الحية تنكزه نكزاً وهو طعنها الانسان بنها فالتكز من كل دابة سوى الحية العوض ويقال نشطته شعوب نشطاً وهي المنية قال وتقول العرب نشطته الشموب فتدخل عليها التعريف ويسمون النهيش سلماً على الطيرة قال ابن ميادة

كأنى بها لما عرفت رسوماً * قتيل لدى أيدى الرقاة سليم

ومما يضربون به المثل بالحيات فى دواهي الامر كقول الاقبيلى العتيبي

لقد علمت وخير القول أنفه * ان انطلاقي الى الحجاج تفرير

اثن ذهبت الى الحجاج يقتلي * انى لاحق من تحدى به العير

مستحلياً صحناً تدمي طوائمها * وفى الصحائف حيات منا كير

وقال الاصمعي يقال للحية الذكر أيم وأيم مثقل ومخفف نحو لين ولين وهين وهين

قال الشاعر

هينون لينون أيسار ذرويسر * سواس مكرمة أبناء أيسار

وأنشد فى تخفيف الأيم وأشديده

واتقد وردت الماء تشرب به * زمن الربيع الى شهور الصيف

الاعواسر كالمراض معيدة * بالعسل مورد أيم متغضف

الصيف يعنى مطراً الصيف والمواسر يعنى ذئاباً رافعة أذناها والمراط السهام التى قد
تمرط ريشها ومعيدة يعنى معاودة للورد يقول هو مكان الخلالة يكون فيه الحيات
وترده الذئب ومتغضف يريد بمضه على بمض يريد تاني الحية وأنشد لابن هند
أودي بأمر سليمي لا طيئ ابد * حكية منطو من بين أحجار
وقال محمد بن سعد

قربحة لم تدنيها السياط ولم * تردد عمراكا ولم تعصر على كدر
كنطوى الحية لنضناض مكنها * فى الصدر مالم يهيجها على زور
الليث لايث منسوب أطافره * والحية الصل نجل الحية اذكر

وقال ذو الرمة

وأحوى كايم الضال أطرق بمدما * حبا تحت فينان من الظل وارف
قال ويقال انبشت الحية اذا تفرقت وكثرت وذلك عند اقبال الصيف قال أبو النجم
* وأنبش حيات الكشيف الاهيمل * وقال الطرماح
وتجرد الاسروع وأطرد السفا * وجرت بحالها الحداب القردد
وأنساب حيات الكثيب وأقبات * زرق النراش لما يشب الموفد
قال ويقال جباً عليه الاسود من حجره اذا فجاه وهو يجبأ جباً وجبوا وقال رجل
من بني شيبان

وما من ريب المون بجبأ * وما أمان سيب الاله يانس
قال ويقال واللبن محتضر فغبط اناك كأنهم يرون أن الجن تسرع فيه على تصديق
الحديث فى قول المنقود لعمر حين سأله وقد استهوته الجن ما كان طاماهم قال الرمة
يريد العظم البالى قال فما شربهم قال الجندف قال وهو كل شراب لا يخمر وتقول الاعراب
ليس ذلك الا فى اللبن وأما الناس فيذهبون الى أن الحيات تسرع فى اللبن وكذلك سام
أبرص وكذلك الحيات تسرع فى كثير من المرق وجاء فى الحديث لا تبيتوا فى العصفر
فانها محتضرة أى يحضرها الجن والعمار وقال الشاعر فيما يحكون به من ذكر الأفي
رماك الله من أير بأفي * ولا عافاك من جهد الهلاء

أجبنا في الكريهة حين تاقى * ونمظا ما تنفتر في الخلاء
فلولا الله ما أمسى رفيق * ولولا البول عوجل بالخصاء

وقال أبو النجم

نظرت فأعجبها الذي في درعها * من حسنها ونظرت في سر باليا
فراحت لها كنفلاينو، بخصرها * وعثا روادفه وأختم نأيا
ورأيت منتشر العجان مقبضا * رخوا حمائله وجلدا باليا
أدنى له الركب الحايق كأنما * أدنى إليه عقاربا وأفاعيا

وقال آخر

مريضه أثناء الهادي كأنما * تخاف على أحشائها أن تقطعا
تسبب إنسياب الأيم أخصره الندى * يرفع من أطرافه ما ترفعا
وقال إياس بن الأرت

كأن مرعى أمكم سوءة * عقربة يكومها عقربان
أكليلها زول وفي شواها * وخز حديد مثل وخز السنان
كل امرئ قديتي مقبلا * وأمكم قديتي بالمجان

وقال آخر المضيئة

تبت تدهده القدان حولي * كأنك عند رأسى عقربان
فلو أطعمتني حملا سينا * شكرتك والطعام له مكان
وقال النابغة فلو يستطيعون دبت انا * مذاكي الافاعي وأطفالها

وقال رجل من قريش

ما زال أمر ولادة السوء ينتشرا * حتى أظلم عليهم حية ذكر
ذو مرة تفرق الحيات صواته * عف الشمال قد شدت له المرر
لم يأتهم خبر عنه يابن له * حتى أتاهم به عن نفسه الخبر
وقال بشار تزل القوافي عن لساني كأنها * حماة الأفاعي ريقهن قضاب
فكم من أخ قد كان يأمل نفعكم * شجاع له ناب حديد ومخاب

أخ لو شكرتم فعله لمعضضتم * رؤس الافاعي عض لا يتهيب
 وقال الحارث دعي الوليد في ذكر الأسود بالسهم من بين الحيات
 فان أنت أقررت الفداة بنسبتي * عرفت والا كنت فقعا بقرد
 ويشمت أعداء ويجذل كاشح * عمرت لهم سما على رأس أسود
 (قال آخر)

ومعشر منتع لي في صدورهم * سم الأساود يغلي في المواعيد
 وسمتهم بالقوافي فوق أعينهم * وسم المعيدى أعناق المقاحيد
 وقال أبو الأسود

ليتك آذنتي بواحدة * جماتها منك خرا الأبد
 تحاف أن لا تبرني أبدا * فان فيها بردا على كبدي
 ان كان رزقي اليك فارم به * في ناظري حية على رصدي

وقال أبو السفاح يرثي أخاه يحيى بن عميرة ويسميه بالشجاع

يعدو فلا تكذب شداته * كما عد الليث بوادي السباع
 يجمع عزها واناة مما * ثم ينباع إنباع الشجاع

وقال المتلمس

فأطرق اطراق الشجاع ولويري * مسانغا لنايه الشجاع اصمما
 وقال معمر بن القيس أو ابن ذى القروح

شموس يظل القوم معتصبا به * وان كان ذا حزم من القوم عاديا
 أبيت كإببات الشجاع الى الذري * وأعدو على همي وان بت طاويا
 واني أهض الضيم مني بصارم * رهيف وشيخ ماجد فد بني ليا

وهكذا صفة الافمي لانها أبدا نابتة مستوية فان أنكرت شيئا فنشطها كابرق الخاطف
 ووصف آخر أفمي فقال

وقد أراني بطوي الحس * وذات قرنين كجوز الترس
 نضناضة مثل انشاء الرس * تدير عينا كمشاب القبس

لما التقينا بمضيق شكس * حتى فذعت قوتها بخمس
 وهم يهاجون بأكل الأفاعى والحيات قال الشاعر
 فإياكم ولريف لا تقرينه * فان لديه الموت والحتم قاضياً
 هم طردوكم عن بلاد أبيكم * وأنتم حاول تشتمون الأفاعيا
 وقال عمر بن أبي ربيعة

ولما فذعت الصوت منهم وأطهت * مصاييح شبت بالمشاء وأنور
 وغاب ضمير كنت أرجو مغيبه * وروح رعيان وهوم سحر
 ونفضت عني الليل أقبات مشية * الجباب وركني خيفة التوم أزور
 ضرب كاثوم بن عمرو المثل بسم الاساود فقال

لنوم على ترك الغناء لأهله * طوي الدهر عنها كل طرف وتالد
 رأت حولها النسوان يرفان في الكسا * مقلدة أجيادها بالقلائد *
 يسرك اني نالت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
 وان أمير المؤمنين أعضنى * ممضها بالمرهفات الفوارد
 دريني تجني مياتي مطامنة * ولم أتجهم هول تلك الموارد
 فان كريمات المعالي مشوبه * بمستودعات في بطون الاساود

وفي التشنيع لحيات جبل يقول للعين المنقرى لرؤبة بن العجاج

انى أنا بن جلال ان كنت تعرفني * يارؤب والحية العما في الجبل
 أبا الارجيز يا بن الاوم يومدنى * وفي الارجيز جاب الاوم والكسل

الاصمعي قال حدثني ابن أبي طرفة قال مر قوم حجاج من أهل اليمن مع المساء برجل
 من هذيل يقال له ابو خراش فسألوه القرى فقال لهم هذه قدر وهذه مسقاء وبذلك
 الشعب ماء فقالوا ما وقيتنا حق قرانا فأخذ القرية فمقلدها يسقيهم فنهشته حية قال أبو
 اسحاق بلغني وأنا حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اجتثاث فم القرية
 والشرب منه قال فمكنت أقول ان لهذا الحدث اسأنا وما في الشرب من فم قرية حتى
 يجي فيها هذا النهم حتى قيل ان رجلا شرب من فم قرية فوكمته حية فمات وأن

الحيات تدخل في أفواه القرب عامت أن كل شيء لا أعرف تأويله من الحديث ان له مذهباً وإن جهاته وقال الشاعر في سلسخ الحية

حتى اذا تابع بين سلسخين * وعاد كالميسم أمم القين

أقبل وهو وائق بثنتين * بسمة الرأس ونهش الرجلين

قال كأنه ذهب الى أن سمه لا يكون قاتلاً مجهزاً حتى تأتي عليه سنتان وزعم بعضهم أن السلسخ للحية مثل البزول والقروح للخف والحافر قال وايس ينسلسخ إلا بعد سنين كثيرة ولم يقفوا من السنين على حد وزعم بعضهم أن الحية تسلسخ في كل عام مرتين والسلسخ في الحيات كالتحسير من الطير وأن الطير لا تجتمع قوبة إلا بعد التحسير وتنام نبات الريش وكذلك الحية تضعف في أيام السلسخ ثم تشتد بعد (قال الأصمعي) أخبرني أبو رفاعة شيخ من أهل البادية قال رأيت في المنام كأنني أتخطا حيات فطرت السماء فجعلت أتخطا سيولا (وحكى الأصمعي) أن رجلاً رأى في المنام في بيوته حيات فسأل عن ذلك ابن سيرين أو غيره فقال هذا رجل يدخل منزله أعداء المسلمين وكانت الخوارج تجتمع في بيته وقال العرجي في ديب السم في المنهوش

وأشرب جلدي حبها ومشي به * ككشي حميا الكأس في جلد شارب

يدب هواها في عظامي وحبها * كما دب في المسوع سم العقارب

وقال العرجي في العرما من الأفاعي وكونها في صدوع الصخر فقال

تأتي بليل ذو سعادة فسائها * بها حافظ هاد ولم أرق سلما

كمثل شهاب النار في كف قابس * إذا الريح هبت من مكان تضرما

أبر على الأجواد حتى تبادروا * حماه محاماة من الناس فاحتما

يظل مشيخاً سامعاً ثم انها * إذا بمث لم تال الا تقدمما

قال ويقال تطوت الحية وأنشد العرجي

ذكرتني اذ حية قد تطوت * برقاً عند عمره في الثياب

وقال السلسخ أو البعيث

وأطرق أطراق الشجاع ولوجرى * على حد نايه الذعاف المسم

والأجناس التي تذكر بالنباح الكلب والحية والظبي اذا أسن والمهدهد. وقد كتبنا ذلك مرة ثم قال أبو النجم

والاسد قد تسمع من زئيرها * وبات الا فني على محفورها
تأسيرها يحنك في تأسيرها * مر الرحي تجري على شعيرها
كرعدة الجزاء أو هديرها * تضرم القضاء في نورها
توقر النفس على توفيرها * تعلم الاشياء في تنقيرها
* في عاجل النفس وفي تأخيرها *

(وسنذكر مسألة وجوابها) وذلك أن ناساً زعموا أن جميع الحيوان على أربعة أقسام شيء يطير وشيء يمشى وشيء يعوم وشيء ينساح وقد قال الله عز وجل (والله خالق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء) وقد وضع الكلام على فسمه أجناس الحيوان وعلى تصنيف ضروب الخلق ثم قصر عن الشيء الذي وضع عليه كلامه فلم يذكر ما يطير وما يعوم ثم جعل ما ينساح مثل الحيات والديدان ما يمشى والمشي لا يكون الا برجل كما أن العنكبوت لا يكون الا بفرع والريح لا يكون الا بحافر وذكر ما يمشى على أربع وهاهنا دواب كثيرة تمشى على ثمان قوائم وعلى ست وعلى أكثر من ثمان ومن تفقد قوائم السرطان وبنات وردان وأصناف العناكب عرف ذلك فلما قد أخطأتم في جميع هذا التأويل وحده فما الدليل على أنه وضع كلامه في استقصاء أصناف القوائم وبأي حجة جزتم على ذلك وقد قال الله عز وجل (وقودها الناس والحجارة) وترك ذكر الشياطين والنار لهم آكل وعذابهم بها أشد فترك ذكرهم من غير نسيان وعلى أن ذلك معلوم عند المخاطب وقد قال الله عز وجل (خالقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً) أخرج من هذا العموم عيسى ابن مريم وقد قصد في مخرج هذا الكلام جميع ولد آدم وقال (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) أدخل فيها آدم وحواء ثم قال على صفة الكلام (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه) أخرج منها آدم وحواء وعيسى ابن مريم وحسن ذلك اذ كان الكلام لم يوضع على جميع ما تعرفه النفوس من

جهة استعصاء اللفظ فتقوله (فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع) فهو مما يمشى على أربع كان على هذا المثال الذي ذكرنا وعلى أن كل شيء يمشى على أربع فهو مما يمشى على رجلين والذي يمشى على ثمان هو مما يمشى على أربع وعلى رجلين وإذا قلت لي على فلان عشرة آلاف درهم فقد خبرت أن لك عليه ما بين درهم إلى عشرة آلاف وأما قولكم إن المشي لا يكون إلا بالرجل فينبغي أيضا أن تقولوا فإذا هي حية تسمى أن ذلك خطأ لأن السمي لا يكون إلا بالأرجل وفي هذا الذي جهلتموه ضروب من الجواب اما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر ما هو إلا كأنه حية وكان مشيته مشية حيه يصفون ذلك ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب وذكور الحيات ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء أكثر من أن نقف عليهم ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعيها اسكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل وان قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه فن عادة العرب أن تشبه به في حالات كثيرة قال الله تعالى (هذا نزلهم يوم الدين) والعداب لا يكون نزلاً ولكنه أجراه مجرى كلامهم كقول حاتم حين أمره بفصد بئر وطعنه في سنامه وقال هذا فصدته^(١) وقال الآخر

فقلت يا عمرو أطمعني تمرا * فكان تمرى كهرة وزبرا

وذم بعضهم الفأر وذكر سوء أثرها في بيته فقال

يا عجل الرحمن بالعقاب * اعامرات البيت بالخراب

يقول هذا هو عمارتها كما يقول الرجل ما نرى من خيرك ورفسك إلا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتكك في أعضاءنا وقال النابغة في شبهه بهذا وليس به

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قرع الكتاب

ووجه آخر أن الاعراب تزعم وكذلك قال ناس من الحوائين والرقائين أن للحية خزوزاً في بطنه فإذا مشي قامت خزوزه وإذا ترك المشي تراجمت إلى مكانها وعادت تلك المواضع ممساة ولم توجد بمين ولا لمس ولا يبلغها الاكل حواء دقيق الخس وليس ذلك بأعجب من شمشقة الجمل العربي فإنه يظهرها كالدلو فإذا هو أعادها إلى لهاته

تراجع ذلك الجلد الى موضعه فلا يقدر أحد عليه بلمس ولا عين وكذلك عروق
الكلام الى المثانة التي تجرى فيها الحصا المتولد في الكلى اذا قذفها في تلك العروق الى
المثانة فاذا بال الانسان انضمت العروق واتصلت بأما كتبها والتجمت حتى كان موضعها
كسائر ما جاوز تلك الاماكن ووجه آخر وهو أن هذا الكلام عربي فصيح اذ كان
الذي جاء به عربياً فصيحاً ولو لم يكن قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ثم كان كلام
الذي جاء به وكان ممن يجهل الاحن ولا يعرف مواضع الاسماء في لغته لكان هذا
خاصة مما لا يجمله فلو أنما لم نجمل لمحمد صلى الله عليه وسلم فضيلة في نبوة ولا منزلة في
البيان والفضاحة لكاننا لانجد بدا من أن نعلم أنه كواحد من الفصحاء فهل يجوز عندكم
أن يخطئ أحد منهم في مثل هذا في حديث أو وصف أو خطبة أو رسالة فزعم أن
كذا وكذا يمشى أو يسمى أو يطير وذلك الذي قال ليس من لغته ولا من لغة أهله
فعلوم عند هذا الجواب وعند ما قبله أن تأويلكم هذا خطأ وقال الله عز وجل (ان
أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكفون) وأصحاب الجنة لا يوصفون بالشغل وإنما ذلك
جواب لقول القائل خبرني عن أهل الجنة بأي شيء يتشاغلون أم لهم فراغ أبداً فيقول
المجيب لا ماشغاهم الا في افتضاض الابكار وأكل فواكه الجنة وزيارة الاخوان على
نجائب الياقوت وهذا على مثال جواب عامر بن عبد قيس حين قيل له وقد أقبل من
جهة الحلبه وهو بالشام من سبق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فمن صلى قال
أبو بكر قال إنما أسألك عن الخيل قال وأنا أجيبك عن الخير وهو كقول المفسر حين
سئل عن قوله لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فقال ليس فيها بكرة وعشى وقد صدق
القرآن وصدق المفسر ولم يتناكرا ولم يتنافيا لأن القرآن ذهب الى المقادير والمفسر
ذهب الى الوجود من دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها وعلى ذلك المعنى روى
عن عمر أنه قال متعتان كانتا علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهي عنهما وأضرب
عليهما قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويضربون اذاركوا فنهى عن ذلك امام
من الأئمة وضرب عليه بعمد أن أظهر النسخ وعرفهم أن ذلك من المنسوخ فيكان قائلاً
قال أتهاننا عن شيء وقد كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيقول نعم وقد قدم

الاحتجاج في الناسخ والمنسوخ ومن العجب أن ناسا جعلوا هذا القول على المبر من عيوبه فان لم يكن المعني فيه على ما وصفنا فما في الارض أجهل من عمر - بين يظهر الكفر في الاسلام على منبر الجماعة وهو انما علاه بالاسلام ثم في شيء ليس له حجة فيه ولا علة وأعجب منه تلك الامة وتلك الجماعة لم تنكر تلك الكرامة في حياته ولا بعد موته ثم ترك ذلك جميع التابعين وأتباع التابعين حتى أفضى الامر الى أهل دهرنا هذا وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عثمان على أن سير رجلا وهذا لا يقوله الا جاهل أو معاند وعلى تأويل قوله (هذا نزلهم يوم الدين) قول جهنم يصلونها فبئس المهاد وقال تعالى (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزانتها لم يأتيكم رسال منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذورنكم انما يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) فجعل للنار خزائن وجعل لها خزنة كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة ولو أن جهنم فتحت أبوابها ونحى عنها الخزنة ثم قيل لكل لص في الارض وكل خان في الارض دونك فقد أبيضت لك لما دنا منها وقد جعل لها خزائن وخزنة ونما هذا على مثال ما ذكرنا وهذا كثير في كلام العرب والآي التي ذكرنا في صدق هذا الجواب كلها حجج على الخوارج في انكارهم المنزلة بين المنزلتين وقال خلف الاحمر في ذكر الحيات

يرون الموت دوني إن رأوني * وصل صفا لتأبيه ذباب
من المتجربات بكهف طود * عرام ما يرام له جناب
أبي الحاورن أن يطأوا حماه * ولا تسرى بعقوته الذئاب
كأن دما أمر على قراد * وقطرانا أمر به كباب
اذما استجرش الاصوات أبدى * لسانا دونه الموت الضباب
اذا ما الليل ألبسه دجاه * سرى أسمى تصيح له الشعاب

فقات الحيات بن عتي قال موسى بن جابر الحنفي

طرد الاروى فما تقر به * ونفا الحيات عن بيض الحجل

قال لان الذئاب تأكل الحيات فلم قال خلف الاحمر * ولا تسرى بعقوته الذئاب * قال لان الذئاب تأكل الحيات فظننت أنه حدس ولم يقل بعلم وقال الزياتي في يحي بن أبي حفصة

- إني ويحى وما يبني كما تمس * صيدا أو ما نال منه الرّي والشبما
 أهوى إلى باب حجر في مقدمه * مثل العيب ترى في رأسه قزعا
 اللون أربد والأياب شائلة * عصلا ترى السم يجرى بينهم اقطعا
 يهوى إلى الصوت والظالم عاكفة * تعود السيل لاقى الحديد فاطاما
 لو نال كنفك آبت منه مخضبة * بيضاء قد جلت أيابها قدعا
 بيعت بوكس قليل فاستقل بها * من الهزال أبوها بعد ما ركما

فرد عليه يحيى فقال

- كم حية ترهب الحيات سولته * يحيى لريديه قد غادرته قطما
 يلقين حية قف ذا مساورة * تسقى به القرن من كأس الردي جرعاً
 تكاد تسقط منهن الجلود لما * يعلم من منه إذا عاينه قدعا
 أصم ما شم من خضراء أيابها * أومس من حجر أو هاد فأنصدعا

وقال آخر

- وكم طوت من حنش راصد * للسفر في أعلا الثنيات
 أصم أعمى لا يجيب الرقا * يفتر عن عسل حديدات
 منهرت الشدق رقد الضحي * سار طمورا في الدجنات
 ذى هامة رقاء منطوحة * من الدواهي الجبلديات
 وصل صنفا تظف أيابه * سهام ذيفان مجبيرات
 طان في اللحيين طلابي * رأس وأشدق رحبيات
 قد من عن ضرسين واستأخرت * إلى سماخين ولحوات
 يسبته الصبح وطورا له * نفخ ونفث في المغارات
 وتارة تحسبه ميتا * من طول أشراق واخبات

وقال آخر وهو جاهلي

- لا هم بن كان أبو عمرو ظلم * وخاني في علمه وقد علم
 فامثله في بعض اعراض الاعم * ليمية من حنش أعمى أصم

اسمر زحافاً من الرقط القدم * فدعاش حتى هو لا يشي بدم
 فكل ما أفضل منه الجوع شم * حتى اذا أمسى أبو عمرو ولم
 يس منه مضض ولا سقم * قام وودّ بعدها ان لم يقيم
 * ولم يقيم لا بل ولا غم * ولا خوف راعه ولا لهم
 حتى دنا من أس نضناض أصم * نخاضه بين الشرك والقدم
 بمذرب أخرجه من جوف كم * كأن وخزنا به اذا انتظم
 * وخزة إشفي في عطوف من آدم *

ومخالب الاسد وأشباه الاسد من السباع تكون في غاق إذا وطئت على بطون أكتفها
 ترفعت المخالب ودخات في أحكام لها وهو قول أبي زيد

بمجن كالمحاجن في فتوح * يقبها قصة الارض الدخيس

وكذلك أنياب الافاعي هي مالم تمض فصونة في أحكام الأتراد يقول

بمذرب أخرجه من جوف كم * نخاضه بين الشرك والقدم

وقال آخر أنمت نضناضاً كبير الظفر * مولده ومولد ابن الطاهر

كانا جميعاً ولدا في شهر * يظل في سراى بعيد القمر

* بين حوافي صدر وصخر * وقال

وكيف وقد أسهرت عينك تبني * عنادا انابي حية قد تربدا

من الصم يكفي مره من امابه * وماعاد الا كان في العود أحمدا

وقال خلف الأحمر وهي مخلوطة فيها شيء وله شيء من الغبرة وما علمت أن أحداً

وصف عين الأفي على معرفة واختبار غيره وهو قوله

أفي زحوف المين مطراق البكر * داهية قد صغرت من الكبر

صل صفاء ينطوى من القصر * طويلة الاطراف من غير حصر

كأنما قد ذهبت به الفكر * شقت له العيان طولاً في شتر

مهروتة الشدقين حولاء النظر * جاء بها الطوفان أيام زخر

كأن صوت جلدها اذا استدر * نشيش حجر عند طاه مقتدر

هشام بن عروة قال أخبرني أبي أن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها كانت تقتل الوزغ
(يحيى) ابن أبي أنيسة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت سمعت رسول الله
عليه وسلم يقول للوزغ فويسق قالت ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتله
قال قالت عائشة رضی الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتله
(عبد الرحمن بن زياد) قال وأخبرني هشام عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للوزغ الفويسق أبو بكر المذلي عن معاذ عن عائشة قالت دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم علي وفي يدي عكاز فيه زج فقال يا عائشة ما تصنعين بهذا
قلت أقتل به للوزغ في بيتي قال إن فعلت فإن الدواب كلها حين التي إبراهيم صلى الله
عليه وسلم في النار كانت تعافى عنه وإن هذا كان ينفع عليه فصم وبرص وهذه
الأحاديث كلها يحتاج بها أصحاب الجهالات ومن زعم أن الأشياء كلها كانت ناطقة
وأنها أمم مجراها مجرى الناس وتأولوا قوله (تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر
يعاير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقالوا قال الله عز
وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) وقوله تعالى (يا جبال أوبي معه والطير)
وقال (وان من الحجارة لما تتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وان منها لما يهبط من خشية الله) فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهبها
وذهب ابن حافض ومن لف لفته من أصحاب الجهالات، مذهبها وذهب ناس من غير
المتكلمين وآبوا ظاهر الحديث وظاهر الاشعار وزعموا أن الحجارة كانت تعقل
وتنطق، انما سبب المنطق فقط فأما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه قالوا والوطواط
والصرد والضفدع مطيعات ومثانات والمقرب والحية والحدأة والغراب والوزغ والكلب
واشبه ذلك عاصيات، معقبات، ولم افق على واحد منهم فاقول له ان الوزغة التي تقتلها
على انها كانت تضرم النار على إبراهيم أمي هذه أم هي من أولادها فأخوذ هي بذنب
غيرها أم تزعم انه في المأموم ان تكون تلك الوزغ لا تلد ولا تبص ولا تفرخ الا من يدين
بدينها ويذهب مذهبها وايس هؤلاء ممن يفهم تأويل الاحاديث وأي ضرب منها

يكون مردودا وأى ضرب منها يكون . وتأولا وأى ضرب منها يقال إن ذلك إنما هو حكاية عن بعض القبائل ولذلك أقول لولا مكان المتكاهن لما كنت العوام واختلطت واسترقت ولولا المعتزلة لهلك المتكاهن (شريك) عن النخعي عن ايث عن نافع أن ابن عمر كان يقتل الوزع في بيته ويقول هو شيطان (هشام بن حسان) عن خالد الرملي قال لم يكن شيء من خشاش الارض الا كان يطغى النار عن ابراهيم الا الوزع فانه كان ينفخ عليه (حنظلة بن أبي سفيان) قال سمعت القاسم بن محمد يقول ان الاوزاع كانت يوم حرق بيت المقدس تنفخه والوطاوط باجنحتها (شريك) عن النخعي عن جابر عن ابن عباس قال الوزع شريك الشيطان أبو داود الواسطي قال أخبرنا أبو هاشم قال من قتل وزعة حط الله عنه سبعين خطيئة ومن قتل سبعا كان كعتق رقبة (هشام) بن حسان عن واصل مولي أبي عيينة عن عقيل عن يحيى بن يعمر قال لأن أقتل مائة من الوزع أحب الى من أن أعتق مائة رقبة وهذا الحديث ايس من شكل الأول لان يحيى بن يعمر لم يزعم أنه يقتله لكفره أو لكفر أبيه ولكنها دابة تطاعم الحيات وتزاقها وتقارها وربما قتلت بعضها وتكرع في المرق والابن ثم تجعه في الاناء فينال الناس بذلك مكروه كبير من حيث لا يعلمون وقتله في سبيل قتل الحيات والمقارب وأهل الحجر يعلمون منها سموما انفذ من سم البيش ومن ريق الافاعي وذلك أنهم يدخلون الوزع قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ويضعونها في الشمس أربعين يوما حتى تختلط بالزيت وتصير شيئا واحدا فان مسح السجين منه على رغيف مسحة يسيرة فأكل منه عشرة أنفس ماتوا ولا أدري لم توخوا من مواضع الدفن عتب الابواب يحيى ابن أبي أئيسة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال أمرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بأربع ونهانا عن أربع مرنا أن نجيف أبوابنا وأن نحمر آيتنا وأن نوكي أقميتنا وأن نطفي سرجنا فان الشيطان اذا وجد بابا مجافا لم يفتحه وانا مخمرا لم يكشفه وسقاء موكا لم يحمله وان الفويسقة تأتي المصباح فتضرمه على أهل البيت ونهانا عن أربع نهانا عن اشمال الصماء وان يمشى أحدنا في النعل الواحدة أو الخف الواحد وأن يجتبي الرجل منافي الثوب الواحد ليس عليه غيره وأن يستاقى أحدنا على ظهره ويرفع إحدى رجليه على الاخرى وهذا

الحديث ليس هذا موضعه وهو يقع في باب جملة القول في النار وهو يقع هذا الذي يلي القول في المنام (ما جاء في الحيات) من الحديث شعبة أبو بطام قال أخبرني أبو قيس قال جئت الى عاتمة بن قيس وربيعة بن خيثم فقلت افعلوا خيراً تجزوا خيراً وقال عاتمة من استطاع منكم أن لا يرى الحية الا قتلها الا الى مثل الميل فانها جان وأنه لا يضره قتل حية أو كافر اسماعيل المكي عن أبي اسحاق عن عاتمة قال قال عبد الله بن مسعود من قتل حية فقتل كافر أنتم سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول من قتل حية أو عقرباً قتل كافرًا وهذا مما يتعلق به أصحاب بن حافض وتأويله في الحديث الآخر عبد الرحمن بن عبد الله السمودي قال سمعت القاسم بن عبد الرحمن يقول قال عبد الله من قتل حية أو عقرباً فكأنما قتل كافرًا فعلى هذا المعنى يكون تأليف الحديث - سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما سألنا من مذحاربنا من سعيد بن عروبة عن قتادة قالت عائشة من قتل حية مخافة إنبائها فعليه لعنة الله والملائكة (الربيع بن صبيح) عن عطاء الخراساني قال كان فيما أخذ على الحيات أن لا يظهن فن ظهر منهن حل قتله وقتلهن كقتال الكفار ولا يترك قتلها إلا شاك وهذا مما يتعلق به أصحاب ابن حافض (محمد بن عجلان) قال سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألنا من مذحاربنا من (ابن جريج) قال أخبرني عبد الله بن عمر قال أخبرني أبو الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول اقتلوا من الحيات ذا الطيبين والسكب الأسود البهيم ذا القرنين قال والفرقة حوة تكون بمينيه قال صاحب المنطق (الطير على ضربين) أوابد وقواطع ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وان لم يكن ذا سلاح فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يمدوها ومنه المشترك الطباع كالمصفور والدجاج والغراب فانها تأكل كل النوعين جميعاً وكطير الماء يأكل السمك ويلقط الحب ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً مثل جنس النحل العسل الذي غذاؤه شيء واحد وجنس العنكبوت فان طعم النحل العسل والعنكبوت يمش من صيد الذباب ومن الحيوان ماله مسكن وماوى كالخلد والنار والنمل والنحل والضب ومنه مالا

يُخذ شيئاً يرجع إليه لان ذكورة الحيات سيطرة وانها انما تقيم في المكان الى تمام خروج الفراخ من البيض واستغناء الفراخ بأنفسها ومنها ما يكون يأتى الى شقوق الصخور والحيطان والمدخل الضيقة مثل سام أبرص قال والحيات تألفها كما تألف العقارب الخنافس والمظايا تألف المزابيل والخرابات واوزغ قريبة من الناس (در دشت) إن المظايا ليست من ذوات السموم وإن سام أبرص من ذوات السموم لانه لما قدم يقيم السموم كان الحظ الاوفر لكل شئ سبق الى طابه كالافاعي والثعابين والجرارات وإن نصيب الوزغ نصيب وسط قصد لا يكمل أن يقتل ولكنه يراق الحية فتميره مما عندها ومتى دبر الوزغ جاء منه السم اتمثال أسرع من سم البيش ومن اعاب الافاعي فأما المظاية فانها احتبست عن الطلب حتى نفذ السم وأخذ كل شئ سقطه على قدر السبق والبكور فاما جاءت المظاية وقد بقي السم دخلها من الحسرة ومما علاها من السكر حتى جمات وجهها الى الخرابات والمزابيل فاذا رأيت المظاية تمشي مشياً سريعاً ثم تقف فان تلك الوقفة إنما هي لما يمرض لها من التذكر والحسرة على ما فاتها من نصيبها من السم ولا أعلم المظاية في هذا القياس إلا أكثر شروراً من اوزغ لاهها لولا افراط طباعها في الشرارة لم يدخلها من قوة الهمم مثل الذي دخلها ولم يستهن الناس من اغتباط الوزغ بنصيبه من السم بقدر ما استبان من شكل المظاية وتسلاها واحضارها وبكائها وحزنها وأسفها على ما فاتها من السم يزعم زرادست وهو مذهب المجوس أن الفارة من خلق الله وأن السنور من خلق الشيطان وهو بليس وهم من فاذا قيل له كيف تقول ذلك والدائرة منسدة تجذب فتيلة المصباح فتحرق بذلك البيت والقبائل الكثيرة والمدن العظام والارياض الواسعة بما فيها من الناس والحيوان والأموال وتقرض دقات العلم وكتب الله ودقائق الحساب والصكك والشروط وتقرض الثياب وربما طابت القطن لتأكل بزره فتدع الاحاف غردلا وتقرض الجرب وأوكية الاسقية والازقاق والقرب فتخرج جميع ما فيها وتقع في الآنية وفي البرر فتعوت فيه وتحوج الناس الى مؤن عظام وربما عضت رجل النائم وربما قتلت الانسان بعضتها والقار بخراسان ربما قطعت اذن الرجل وجردن

أنطاكية تفجر عنها السنانير وقد جلا عنها قوم وكرهها آخرون لمكان جردانها وهي التي تجرت المسناة حتى كان ذلك سبب الحسر بارض سبأ وهي المضروب بها المثل وسيل العرم مما تؤرخ بزمانه العرب والعرم المسناة وإنما كان جردا وتقتل النخل والتفيل وتخرب الضيمة وتأتي على أفرحة الركاب والحضر وغير ذلك من الاموال والناس ربما اجتابوا السنانير ايدفعوا بها بوائن الفار فكيف سار خاق الضار المنفسد من الله وخلق النافع . من الضرر من خاق الشيطان والسنور يمدى به على كل شيء خلقه الشيطان من الحيات والعقارب والجملان وبنات وردان والتمارة لاتقع لها ومؤونها عظيمة قال لأن السنور لوبال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة فهل سمعت بحجة قط أو بحيلة أو بأضحوكة أو بكلام ظهر على تلقيح هرة يبلغ مؤن هذا الاعتلال فالحمد لله الذي كان هذا مقدره تقولهم واختيارهم وأنشد أبو زيد

والله لو كنت لهذا خالفا * لكنت عبدا لكل البارصا

يعني جماع سام أبرص أبرص وسام أبرص وربما قتل أكله وايس يؤكل الامن الجوع الشديد وربما قتل السنانير وبنات عرس والشاهمرك وجميع اللغامات وقال آخر

كان التوم عشوا لحم ضان * فهم بعجون قد ماتت طلاهم

وهو شئ يمرض عن أكل دسم الضان وهو أيضا ياتي على دسمه النعاس وقد يفعل ذلك الحبق والخشخاش يسمى بالفارسية أباركوا وتأويله رمان الخس وإنما اشتق له ذلك إذ كان يورث النعاس كما يورثه الخس وأكل الطعام الذي فيه سماني يورث الدور وزعموا أن صبيا من الأعراب فيما مضى من الدهر صاد هامة على قبر فظنها سماني فأكها ففئت نفسه فقال * نفسي تمقس من سماني الاقبر * ويقال غئت نفسه غثيانا وغثيا وانمت تمقس تمقس وتمقس تمقس اذا غثيت وأخبرني صباح بن خافان قال كنت بالبادية فرأيت ناسا حول نار فسألت عنهم فقالوا قد صادوا حيات فهم يشوونها ويأكلونها إذ نظرت لي رجل منهم ينهش حية قد أخرجها من حجر فرأيته إذ منعت عليه يدها كما يمد عصب لم ينضح فما صرفت بصري عنه

حتى ليطلبه فما لبث أن مات فسألت عن شأنه فتبين لي عجل عليها قبل أن تخضع وتعمل
النار في متنها وقد كان في بغداد وفي البصرة جماعة من الحواريين يأكل أحدهم أى
حية أشرت إليها في جوائته غير مشوية وربما أخذ المرارة وسط راحته فاطعها بلسانه
ويأكل كل عشرين عقربانة نية بدرهم وأما المشوى فان ذلك عنده عرس وقال كثير

وما زالت رقاك تسل ضفني * فتخرج من مكانها ضبابي

وترقيني لك الحاوون حتى * أجابت حية خائف الحجاب

وقال أبو عدنان وذكر أبا ثروان الخارجي حين صار إلى ظهر البصرة وخرج إليه من
خرج من بني نمير

حسبت غيرا يا ابن ثروان كالالي * لقيتهم بالامس ذهلا وبشكرا

كما ظن صياد العصافير أن في * جميع الكوى جهلا فراخا وأطيرا

فأدخل يوما كفه جحر أسود * فشرشره بالفهش حتى أشرشرأ

أراد قول رؤية

كنتم من أدخل في جحر يدا * فأخطأ الأفي ولاقي الأسودا

لو مس حر في جحر تفصدا * بالشم لا بالاسم منه قصدا

فقدم الأسود على الأفي وهذا يقوله من يعرف مقدار سم الحيات وقال غنتره

حلفنا لهم والخيل تردى بنا معاً * نزالكم حتى تهروا العواليا

عوالى سم من رماح ردينة * هرب الكلاب يتمين الافاءيا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا ذا الطفتين والابتر شبه الخيطين على ظهره بخصوص

المقل وأنشدت لأبي ذؤيب

عفت غير نؤي الدار لا يأيدنه * وأقطع طفي فدعت في المعالف

والطفي خوص المقل وهم يصفون بطن المرأة الحيفةا الحيمصة البطن بطن الحية وهى

الأيمن وقال المعجاج

وبطن أيمن وقواما عسلجا * وقال أدهم بن أبي الزبيرى

وشبه نفسه بحية

وما أسود بالأس ترتاح نفيه * اذا حلبة جاءت ويطرق للحس
 به نقط حمير وسود كأنما * تنضح نضجا بالكحيل وبالورس
 أصم قطارى يكون خروجه * قبيل غروب الشمس ملاحظ الدمس
 له منزل أنف بن قنرة يفتدى * به السم لم يظهر نهارا الى الشمس
 يقيل اذا ما قال بين شواهدق * نزل العتاب عن نقاقها الملس
 باجراني يابنة القوم مقدا * اذا الحرب دبت أو ابست لها البس
 فأجابه عنتره الصابي فقال

عداك تمنا من أراقم أرضنا * بأرقم يسقي السم من كل منطف

وقال عنتره

أترجوا حية يابن بشر بن مسهر * وقد علقت رجلاك في ناب أسودا
 أصم جبالي اذا عض عضه * ترايل عنه جلده فتبددا
 بسلم صفا لم يبد للشمس قبها * اذا ما رآه صاحب اليم أرعدا
 له ربة في عنقه من قيصه * وسأرد عن منته قد تقددا
 رعود ضحيات كأن لسانه * اذا سمع الاجراس مكحال أرمدا
 يفيت النفوس قبل أن يقع الرقا * وان أبرق الحاوى عليه وأرعدا

وقال آخر

لا نبت العشب في واد تكون به * ولا يجاورها وحش ولا شجر
 ربداء شائكة الاياب ذابلة * ينبوا من اليبس عن يافوخها الحجر
 لو سرحت بالند ما مسها بلل * ولو تكنفها الحاوون ما قدروا
 قد حاووها فما قام الرقاة لها * وخالوها فما نالوا ولا ظفروا
 تقصر الورل المعادي بضربتها * نكزا ويهرب عنها الحية الذكر

جملة القول في العظيم

فما فيه من الاعاجيب انه يفتدى الصخر ويتلمع لحجارة ويعمدلى المرو من الحجارة التي

توصف بالملاسة ويتبع الحصى والحصا أصاب من الصخر ثم يبعه ويذبه من قانصته حتى
يجمه كالماء الجارى ويقصد اليه وهو واثق باستمراره وهضمه وأنه له غداء وقوام
وفي ذلك أعجوبتان احدهما التغذى بما لا يتغذى به والاخرى استمراره وهضمه
لشيء الذى لو التى فى شئ ثم طبخ أبدا ما انحل ولا لان والحجارة هو المثل المضروب
فى الشدة قال الشاعر * حتى يلين لضرس الماضع الحجر وقال آخر

مأطيب العيش لو أن الفتى حجر * تنبوا الحوادث عنه وهو ما يوم

ووصف الله قلوب قوم بالشدة والقسوة فقال (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقال فى
التشديد (النار وقودها الناس والحجارة) لأنه حين حذر الناس أعاءهم أنه يابى العصاة
فى نار تأكل الحجارة ومن الحجارة ما يتخذ الصائغون علاة دون الحديد لأنه أصبر على
دق عظام المطارق والغطيسات فجوف النعامة يذيب هذا الجوهر الذى هذه صفته
وقال ذو الرمة

وذلك أم خاضب بالسئى مرتمة * أبو ثلاثين أمسى فهو منقلب

شخت الجزيرة مثل البيت سائر * من المسوح خدب شوق خدب

كان عيذه مسما كان من عشر * صقبان لم يثمر عنهما النجب

ألهاء ماء وتنوم وعقبته * من لأتح المرو والمرعى له عقب

(وقال أبو النجم)

والمرء يلقى به الى معائه * فى سرطه مار على التوائه

تمر فى الحلق على عليائه * تمعج الحية فى عشته

* هاد ولو جاد بحو صلاحه *

ومن زعم أن جوف الظليم انما تذيب الحجارة بقبض الحرارة فقد أخطأ واىكن لا بد
من مقدار للحرارة نحو غرائز أخرى وخصايص أخرى ان القدر الذى يوقد تحتها لا يام
واللاىلى لا تذوب وساد لك على أن القول فى الخاصيات والمقابلات والغرائز حق الأ
ترى أن جوف السكب والذيب يذبان العظام ولا يذبان نوى التمر ونوى التمرأرخى
وأين وأضعف من العظام المصمتة وما أكثر ما تهمضم العظم وقد يهضم العظم جوف

الاسد وجوف الحية اذا ازدردت بضع اللحم بالشره اللهم وفيها بعض العظام والبراذين التي يحل أجوافها الثقت والبنين رونالا تستمرى الشمير والابل تقبض بأسنانها على أغصان أم غيلان وله شوك كسياصى البقر والقضبان حاككة يابسة جردو صلاب ممتينة تستمرئها وتجمها اناطا ولا تقوى على هضم الشمير المنتقع وايس ذلك الا بالخصائص والمقابلات وقد قدر كل شئ شئ ولو لا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانفاس في الماء مرة ومرة يتلطح بالطين ومرة يجمله أهله على ريث الدكان ولو دفعوا اليك مسالة شديدة المتين لما أدخلتها في جلد الجاموس الا بعد التكاف والابعض الاعتماد ولذى سخر جلد الجاموس حتى انفري وانصدع لطمنة البعوضة وسجر جلد الحمار لطمنة الذباب وسخر الحجارة لجوف الظالم والعظم لجوف الكلب هو الذى سخر الصخر الصاب لا ذناب الجراد اذا أرادت أن تاتي بيضها فانها في تلك الحال متى عقدت ذبيها في ضاحي صخرة انصدعت لها ولو كان انصداعها من جهة الاسر ومن قوة الآلة ومن الصدع وقوة الغمز لانصدعت لما هو في الحس أشد وأقوى ولكنه على جهة التسخير والمقابلات والخصائص وكذلك عود الخلفاء مع دقته ورخاوته ولين انمطافه اذا نبت في عمق الارض وتلقاد الاجر والخزف الغليظ ثقب ذلك عند نياته وشبابه وهو في ذلك عبقر نضير وزعم لى ناس من أهل الاردن أنهم وجدوا الخلفاء قد خرقت جوف النار وزعم لى أبو عتاب الجزار أنه سمع الاكرة يخبرون أنهم وجدوه قد خرقت فلما بصريا وايس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس ولكنه يكون على قدر ملافاة الطباع ويؤمنون أن الصاعقة تسقط في حانوت الصيقل فتذيب السيوف بطبعها وتدع الاعتماد على شبيهه بحالها وتسقط على الرجل ومعه الدراهم فتسبك الدراهم ولا يصيب الرجل أكثر من الموت والبحريون عندنا بالبصرة والابلة التي تكون عنها الصواعق لا يدعون في صحون دورهم وأعلى سطوحهم شيئا من الصفر الارتفاع ولانها عندهم تنقض من أصل مخارجها على مقدار من محاذاة الارض ومقابلة المكان فاذا كانت الصفر لها ضاحيا عدت اليه عن سنها وما أنكر ما قالوا وقد رأيتهم يتعملون ذلك وقد تسقط النواة في تراب المتوضأ فاذا صهرج نبت فاذا انتهى الى الصاروج أمسك

وإن كان الصارج رقيقاً فإن قير وجعل غائظة بقدر طول الإبهام نبت ذلك النوى حتى يحترق ذلك القار ولو رام رجل خرقه بمسار أو سلة لما بلغ إرادته حتى يشق على نفسه والذي سخر هذه الأمور القوية في مذهب الرأي واحساس الناس هو الذي سخرى القمم والطيجن والمرجل والطست لإبرة العقرب فما أحصى عدد من أخبرني عن الحوائين من أهل التجارب أنها ربما خرجت من جحرها في الليل لطاب الطعام ولما نشاط وغرام فتضرب كلما قيت واقيةا من حيوان أو نبات أو جماد وزعم لي خاقان بن صبيح واستشهد المثنى بن بشر وما كان يحتاج خبره إلى شاهد لصدقه أنه سمع في داره نقرة وقمت على ثقم وقد كان سمع بهذا الحديث فنهض نحو الصوت فإذا هو بعقرب فتعاورها هو والمثنى بنعالمها حتى قتلاها ثم دعوا بماء فصباه في القمم في عشيتيها وهو صحيح لا يسيل منه شيء فمن تعجب من ذلك فليصرف بديا تعجبه إلى الشيء الذي تقذفه بديها العقرب في بدن الانسان والحير والبغل فيفسكر في مقدار ذلك من القلة والكثرة فقد زعم لي ناس من أهل المسكر أنهم وزنوا جرادة بعد أن التقوها فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد فان كان الشيء المتذوف من شكل الحار فلم قصرت النار عن مبلغ عمله وان كان من شكل الشيء البارد فلم قصر النالج عن مبلغ عمله فقد وجب الآن أن السم ليس يقتل بالحرارة ولا بالبرودة اذا كان بارداً ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه فقد دل مذكرنا على أن جوف النعامه ليس يذيب الصخر الأماس بالحرارة ولكنه لا بد على كل حال من مقدار من الحرارة مع خاصيات أخر ليس بذات أسماء ولا تعرف الأبالوهم في الجملة والسم يقتل بالكم والكيف والجنس والكم المقدار والكيف الحد والجنس غير الجوهر وذاته وتزعم الهند أن السم انما يقتل بالغرابة وأن كل شيء غريب خالط جوف حيوان قتله وقد أبى ذلك ناس فقالوا وما باله يكون غريباً اذا لاقى العصب واللحم وربما كان عاملاً فيهما جميعاً بل ليس يقتل إلا بالجنس وليس تحس النفس إلا بالجنس ولو كان الذي يميت حسبها انما يميته لأنه غريب جازاً أيضاً أن يكون الحساس انما حس لأنه غريب ولو كان هذا جائزاً لقليل في كل شيء وقال ابن الجهم لولا أن الذهب المائع والفضة المائعة يجمدان اذا صارا

في جوف الانسان واذا جمد لم يجاوزا . كأنهما المكان من القوائل بالغرابة وهذا القول دعوي في النفس والنفس تضيق جداً و باقرات للقدماء في النفس الاجلاد الكثيرة انما يستدل ببقاء تلك الكتب على وجه الدهر الى يومنا هذا ونسخ الرجال لها امة بعد امة وعمر ا بعد عمر على جهل أكثر الناس بالكلام والمتكلمون يريدون أن يعلموا كل شيء ويأبى الله ذلك فهذا باب من أعاجيب الظالم

باب آخر وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاءه الحجر حتى ينفذ الى جوفه فيكون جوفه هو العامل في اطفائه ولا يكون الحجر هو العامل في احراقه وأخبرني أبو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام وكنا لا نرتاب بحديثه اذا حكى عن سماع أو عيان أنه شهد محمد بن عبد الله ياتي الحجر في النار فاذا عاد كالحجر قذف به قدمه فاذا هو يبتلعه كما يبتلع الحجر وكنت قلت له إن الحجر سخييف سريع الانطفاء اذا اتى الرطوبات ومتى أطبق عليه شيء يحول بينه وبين النسيم خمد والحجر أشد امساكاً لما يتداخله من الحرارة وأثقل ثقلاً وألرق لزوقاً وأبطأ انطفاء فلواحميت الحجارة وأحمها ثم قذف بها اليه فابتلع الاولى فارتبت به فلما ثنى وثالث اشتد تعجبي له فقلت له لو احميت اواقي الحديد ما كان منها ربع رطل ونصف رطل فيفعل فابتلعه فقلت هذا أعجب من الاول والثاني وقد بقيت علينا واحدة وهو أن ننظر أيستمرى الحديد كما يستمرى الحجارة ولم يتركنا بعض السفهاء وأصحاب الخرق ان نتعرف ذلك على الايام وكنت عنيت على ذبحه وتفقيش جوفه وقانصته فاعلم الحديد يكون قد بقي هناك لاذئاباً ولاخارجاً فعمد بعض ندمائه الى سكين فأحمى ثم ألقاه اليه فابتلعه فلم يجاوز اعلى حلقه حتى طاع طرف السكين من موضع مذبحه ثم خر ميتاً فنعنا بخرقه من استقصاء ما اردنا وفي النعامة انها لا طائر ولا بهير وفيها من جهة المنهم والخزامة والشق الذي في أنفه مالا بهير وفيها من الريش والجناحين والذنب والمنقار مالا طائر وفيها الى ما فيها من شكل الطائر حدقها ونقلها الى البيض وما كان فيها من شكل البعير لم يخزجها ولم ينقلها الى الواعر ٢ وسماها أهل فارس اشتر مراك كأنهم قالوا هو

طائر وبمير وقال يحيى بن نوفل

فأنت كساقط بين الحشايا * تصير الى الخبيث من المصير
ومثل نعامه تدعى بميرا * تعاضمها اذا ما قيل طيرى
فان قيل احملى قالت فاني * من الطير المربة بالوكور
(ثم هجا خالداً فقال)

وكنت لدي المغيرة عبدسوء * تصول من الخفاة لازمير
لاعلاج ثمانية وعالج * كبير السن ذي بصر ضرير
هفت بكل صوتك اطعموني * شرابا ثم بلت على السرير

وانما قيل ذلك في النعامه لان الناس يضربون بها المثل للرجل اذا كان ممن يعتل في
شئ يكفونه بعله وان اختلف ذلك التكليف وهو قولهم انما أنت نعامه اذا قيل لها
احملى قالت انا طائر واذا قيل لها طيرى قالت انا بمير وتزعم الاعراب ان النعامه
ذهبت تطلب قرنين فرجعت مقطوعة الاذنين فلذلك يسوونه الظالم ويصفونه بذلك
وقد ذكر أبو العباس الهذلي ذلك فقال

وأخال إن أخاكم رعنانة * اذ جاءكم بتعطف وسكون
يمشى اذا يمشى ببطن جائع * صفر ووجه ساهم مدهون
فعدا يموت ولا يرى في بطنه * مثقال حبة خردل موزون
أو كالنعامه اذ غدت من بيتها * لتصاغ قرناها بمير أذنين
فاجتثت الاذنان منها فاثنت * صلما، ليست من ذوات قرون

(ويقولون ذهب الغراب يتعلم) مشية العصفور فلم يتعلمها ونسي مشيته فلذلك صار
يحجل ولا يقفز قفزان العصفور والبرغوث والجرادة ذات قفز ولا تمشى مشية
الديك والصقر والبازي ولكن تمشى مشية المقيد أو الحجل قال أبو عمران الاعمى
في تحويل قضاة الى قحطان بن نزار

كما استوحش الحى المقيم ففارقوا الـ * خليط فلا عز الذين تحموا
كتارك يوما مشيه من سجية * لاخرى ففاته فأصبح يحجل

(ومن أعاجيبها) أنها مع عظم عظامها وشدة عدوها لا يخفيها وفي ذلك يقول الأعمى الهدلى

على حث البراية زنجري الس * واعد ظل في شرى طوال

يعني ضالما شبه عدو فرسه والحث السريع والشرى الخنظل وبرايته قوته على ما يبريه

من السير والسواعد مجاري مخه في العظم وكذلك مجاري عروق الضرع يقال لها السواعد

قال وذن أنما قيل لها ذلك لأن بعضها يساعد بعضها كأنه من التمارن أو من المساواة

قال والزنجري الاجوف ويقال ان قصب عظم الظالم لا يخ له وقال أبو النجم

* ها وبطل المخ في هوائه * وواحد السواعد ساعد (وقال صاحب المنطق)

ليس المخ الا في الجوفة مثل عظم الاسد وفي بعض عظامه مخ يسير وكذلك المخ قليل

في عظام الخنازير وليس في بعضها منه شيء البتة ومن أعاجيبها أنها مع عظم بيضها تكثر

عدد البيض ثم تضع بيضها طولا حتى لو مدت عليها خيطا لما وجدت لها منها خروجاً

عن الاخرى تعطي كل بيضة من ذلك قسطه ثم هي مع ذلك ربما تركت بيضها وذهبت

تلمس الطعام فتجد بيض أخرى فتحضنه وربما حضنت هذه بيض تلك وربما ضاع

البيض بينهما وأما عدد بيضها وربما لها فقد قال ذو الرمة

أذاك أم خاضب بالسيء مرتبه * أبو ثلاثين أمسى وهو منقاب

وفي وضعها طولا وعرضها على خط وسطها يقول

وما بيضات ذى لبد بخف * سقين بزاجل حتى رويانا

وضمن فكاهن على غرار * هجان اللون لم تفرع جنينا

تيت تحفهن بمر فقها * وتاحفهن هفها فاحفينا

وقال الآخر

تهوى بنا ملزمات في مرافقها * فتل صلاب مياسير معاجيل

يداهاة ورجلا خاضب أشق * كأنه من جناه الشرى مخلول

هيق هجف وزفانية مرطا * زعراء ريش جناحها هذاميل

كأنما مثني أقماع ما هصرت * من الفقار بليتها نائل

تروحا من سنام العرق فالتبطا * الى الفقار التي فيها المداخيل

اذا سهل بشؤبوب فقد فعت * بما أصاب من الارض الافعيل
فصادف البيض قد أبدت مناكبها * منها الرآل لها منها سراييل
فكبا ينققان البيض أعينها * كأنها المدق البساس مغسول
والشعراء يشبهون القدر الضخمة التي تكون بمنزل العظيم واشباهه من الاجواد بالنعامة
قال الرماح ابن ميادة

(١) وقات لها لا تمجلى * كذلك تقرى الشوك مالم تزد

الي جامل مثل النعامة يلتقى * عوازه فوق (٢)

جامع يعني القدر وجعلها مثل النعامة وقال ابن ميادة يمدح الواليد بن يزيد
نتاج المشار اذا المنقيات شئت * روابدها مثل النعام العواطف

وقال الفرزدق

وقدر كيزوم النعامة أحشمت * بأجفال خشب زال منها هيشما

وضحك أبو كلدة حين أنشد شعر ابن النطاح وهو قوله

والذئب يلعب بالنعام الشارد * قال وكيف يلعب بالنعام والذئب لا يعرض ابيض النعام
وفراخه حين لا يكونان حاضرين أو يكون أحدهما لانهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه
الى الانثى وأعجلته الانثى فركضته ركضة تلقيه الي الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو
يمجزها هربا واذا حاول ذلك منه أحدهما تقو عليه قال فيكيف يقول والذئب يلعب بالنعام
الشارد وهذه حاله مع النعام (وزعم) ان نعامتين اعتورتا ذئبا فهزمته وصاده شجرة
فجلدهما فنقره أحدهما فتناول الذئب رأسه فقطعه ثم نزل الى الآخر فساوره فهزمه
والظليم يوصف بالجبين ويوصف بالنفار والتوحش وقال سهم بن حنظلة في مجائه بني عامر

إذا مارأيت بني عامر * رأيت جفاء ونوكا كثيرا

نعام تجر بأعناقها * ويمنمها نوكها أن تطيرا

والنعامة تتخذها الناس في الدور وضررها شديد لانهار بما رأته في أذن الجارية أو الصبية
قرطافيه حجر أو حبة أو لؤلؤ فتخطئه لتأكله فيكم أذن قد خرقتها وربما رأته ذلك في

لابة العبي أو الصبية فتضربه بمنقارها فربما خرقت ذلك المكان ومما يشبهه به الفرس

مما في الظليم قول امرئ القيس بن حجر

وخذ أسيل كالمسن وبركه * كجؤجؤهيق دفه قد تمورا

وقال عبدة بن شاس

وله بركة كجؤجؤهيق * ولبان مخرج بالخصاب

وقال أبو داود الايادي

يمشي كشي نعماتين * يتابمان أشق شاخص

وقال آخر كان حماه كردوس نحل * متلصاة على شقي ظالم

وقال أبو دواد الايادي

كالسيد ما استقبلته واذا * ولي تقول ما لم ضرب

لام اذا استقبلته وشي * متتابعا ما خانه عقب

يمشي كشي نعماة تبعث * أخرى اذا ماراعها خطب

القول فيما اشتق له من البيض اسم

قال العديس الكنعاني باضت البهي أي سقطت نصالها وباض الصيف وباض القيط

اشتد الحر وخرج كل ما فيه من ذلك وقال الاسدي

جئنا وقد باض الكرى من عيوننا * فتى من عيون المقرفين مسلما

وقال أمية بن أبي الصات

ركبت بيضة البيات عليهم * لم نحسوا منها سراها نذيرا

وقال الراعي يهجو ابن الرقاع

لو كنت من أحد يهجا هجوتكم * يا ابن الرقاع ولكن است من أحد

تأبي قضاء لم تقبل لكم نسبا * وابنا نزار وأتم بيضة البلاد

وفي المديح قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنا بيضة البلاد ومنه بيضة الاسلام وبيضة

القبه أعلاها وكذلك الصومعة والبيض فلانس الحديد وقال أبو حية النمري

وصد الغايات البيض عني * وما إن كان ذلك عن تعالي

رأين الشيب باض على لداتي * وأفسد ما على من الجمال

وبيض الجرح والحراج والجبين الوعاء الذي يجمع فيه الصديد إذا خرج برئ وصالح وقد يسمون ما في بطون اناث السمك بيضا وما في بطون الجراد بيضا وان كانوا لا يرون قشراً يشتمل عليه ولا فيضاً يكون لما فيه حضناً والخرشاء قشرة البيض إذ خرج ما فيه وسلخ الحية يقال له الخرشاء وقال الأعشي في تشبيهه لدناء الحساء بالبيضة

أوبيضة في الدعص مكنونة * أودرة سيمت إلى تاجر

وقال في بيض الحديد

كأن نعام الدوِ باض عليهم * إذا شام يوماً للصربخ الممدد

وقال الأعشي

أينما من البطحاء يبرق بيضنا * وقد رفعت نيرانها فاستقلت

وقال زيد الخيل

كأن نعام الدوِ باض عليهم * فأحداهم تحت الحديد خوارب

قال ويقال تقيضت البيضة والاناء والقارورة تقيضاً إذا انكسرت فقا فاذا هي لم تنفلق فهي متلازقة فهي منقاضة انقياضاً وقيض البيضة قشرتها اليابسة وغرقها القشرة الرقيقة التي بين اللحم وبين الصميم قال والصميم الجلدة قال ويقال غرقات البيضة إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقة قال الرداد غرقات الدجاجة بيضا فالبيضة غرقات والخرشاء مفرقات الجلدة الغليظة من البيضة بعد أن تثقب فيخرج ما فيها من البال وجماعها الخراشي غير مهموز قال وقال رداد خرشاء الحية سلخها حين يسالخ جدها قال وتعدى إعرابي عند بعض الملوك فدبت على حلقة قلة فتناولها ففصعها بيها، وسبأته ثم قتالها فقالوا له ويملك ما صنعت فقال بأبي أتم وأمي ما بقى إلا خرشاءها وقال المرقش إن تفضبوا تفضب لذاكم كما * تسلسل من خرشائها الأرقم

(١)

وقال دريد بن الصمة في بيض الحديد

قال ويقال في الحانر نرى ينزو وأما الظائم فمما يقيموا مثل البعير يقال قاع يقوع قعيا
وقيعاءً وقعما يقيموا قعواً فهذا ما يسوون فيه بينه وبين البعير ويقال خف البعير والجمع
أخفاف ومنهم البعير والجمع مناسم وكذلك يقل للنعامه وقال الراعي
ورجل كرجل لاخدرى يشياها * وظيف على خف النعامه أروح
وقال جران العود

لهام مثل أظفار الكناء ومنهم * أزج كظنوب النعامه أروح
قال والزاجل ماء الظائم وهو كالكرارض من ماء الفحل وأنشد ابن أحرر
وما بيضات ذى ابد هجف * ستين بزاجل حتى رونا
وقال الطرماح

سوف تدنيك من لميس سبنداة * أمارات، بالبول ماء الكراض
وربما استعاروا المناسم قل الشاعر
توعدي بالسجن والآدات * إذا غدت تأظبت أدات
* تربط بالحبل أكبر عات *

قال ويقال لولد النعام الرال والجمع رئال ورئلان وحفان وحفانة للواحدة والجمع حفان
وحسكل ويقال هذا خيط نعام وخيطان وقال الأسود بن يعفر
وكان مرجهم مناقف حنظل * لعب الرئال بها وخيط نعام
ويقال قطيع من نعام ورعالة من نعام وقال الاصمعي الرعالة القطعة من النعام
والسرب من الظباء والقطا والاجل من الظاف وقال طفيل الغنوي في بيضة الحلي
وما أشبه ذلك

صوائغ تاني بيضة الحلي بعدما . أذاعت بريمان الشباب المغرب
قال ويقال للظائم اذا رمي في هذا النبات ساعة وفي هذا ساعة قد عضب يمضب
تمضيبا وأنشدني لدي الرمة

الهاه آه آه ونوم وعقبته . من لائح المرور والمرعى له عقب
قال ويقال للرجل اذا كان صغير الاذنين لاصتقنين بالرأس أصمغ وامرأة صمغاء

ويقال خرج السهم أصمع إذا ابتلت قذذه من الدم وانضمت وقال أبو ذؤيب
 * سها نخروريشة متصمع * ويقال أنانا بشريدة متصممة إذا رقتها وحدد رأسها وصومعة
 الراهب منه لأنها دقيقة الرأس وفلان أصمع القاب إذا كان ذكياً حديداً وقال طرفة
 لعمرى لقدمرت عواطس حمة * ومني قبيل الصبح ظبي مصمع

أراد ماضيا وقال الشاعر في بيضة البلاد

أقبلت ترضع بكرة لاخطام لها * حسبت رهطك عندي بيضة البلاد

ويشبهه عظام حجاجم الرؤوس ببيض النعام وقال الاعرج القيني

بكينا بالرماح غداة طروق * على قتلي بناصفة كرام

حجاجم غودرت بحمام عرق * كان فراشها ببيض النعام

وقال مقاتل بن طلحة

رأيت سجيا فاقد الله بيها * تديك بأيديها وتأبي أيورها

وقال السحيمي يرد عليه

مقاتل بشرها ببيض نعامة * وأن لم تبشرها فأنت أميرها

وقال أبو الشيص الخزاعي في بيضة الخدر

وأبرز الخدر من ثنيه بيضته * وأعجل الروع نصل السيف مخترط

فم تفديك منا كل غايية * والشيخ يفديك والولدان والشمط

وقال جحش بن نصيب

كان فلاق الهام تحت سيوفنا * خذاريف بيض عجل النقف طائر

وقال مهمل في بيضة الخدر

وتجول بيضات الخدور حواسرا * يمسح فضل ذوائب الأيتام

وهو وما قبله يدلان على أنهم لا يشبهون ببيض النعام إلا الابتكار قال الشاعر

وبيض فلقنا بالضحى من متونها * سماوة بيض كالخباء المقوض

هجوم علينا نفسه غير أنه * متى يرم في عينه بالشخص ينهض

يعنى بالبيض بيض النعام وسماوة الشيء شخصه لأن الظلم لما رآهم فرع ونهض وهذا

وشبيه بهذا أن الشيخ الضميف في مشيته شبيه بهدجان الرأل وقال أبو المرفف

أشكو اليك وجماً بركبتى * وهدجانا لم يكن في مشيتي

* كهدجان الرأل حول النفق *

وقال آخر واست أدري أيهما حمل على صاحبه

أشكو اليك وجماً برفقي * وهدجانا لم يكن في خاقي

* كهدجان الرأل حول النفق *

ولم يفضحه إلا قوله أشكو اليك وجماً برفقي لأن الأول حكي أن وجعه في المكان

الذي يصيب الشيوخ ووجع المرفق مثل وجع الأذن وضربان الضرس ليس من

أوجاع الكبر في شيء وقال ابن ميادة وذكر بني نعامة من بني أسد وقد كان قطري بن

الفجاءة يكني أبا نعامة

فهل ينعني أن أسير ببلدة * نعامة مفتاح المخازي وبابها

وهجا دريد بن الصمة رجلاً جعل البيضة الفاسدة مثاله ثم الحق النسرة بأحرار الطير

وكرامها ومارأتهم يعرفون ذلك لنسرة فقال

فأني على رغم العذول لنازل * بحيث التقي عيط وبيض بني بدر

أيا حكم السوات لآتهج واضطجع * فهل أنت إن هاجيت إلا من الحصر

وهل أنت إلا بيضة مات فرخها * نوت في سلوخ الطير في بلد فقر

حواها بغاث شرطيير علمتها * وسلاء ليست من عقاب ولا نسر

ويقال للأني من ولد النعام فلوص على التشبيه بالنعام من الأبل وهذا الجمع إلى ما جعلوه

له من اسم البعير وإلى ما جعلوا له من الخلف والنم والخزامة وغير ذلك قال عنتره

تأوى به قلص النعام كما أوت * حزق يمانية لأعجم طمطم

وقال شماخ بن ضرار

* قلوص نعام زفها قد تمورا *

ووصف لبسد الزئال فقال

فأضحت قد خات الاغراراً * وعرفا بمد احياء حلال

ونظام من خواصب مزانفات * كأن رثالها ورق الامال

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

لعمرك ان إلك في قريش * كإل العيل من رال النعام

وقد عاب عليه هذا البيت ناس وظنوا أنه أراد التبعيد فذكر شيتين قد يتشابهان من وجوه وحسان لم يرد هذا وإنما أراد ضعف نسبه في قريش وأنه حين وجد أدني نسب اتحل ذلك الذنب وقال الفرزدق وذكر الفرس الذي يقال له النعامة وهو فرس الحارث ابن عباد التي يقول فيها

قربا مربط النعامة مني * لفتح حرب وائل عن حيل

وقول الفرزدق

تريك نجوم الليل والشمس حية * كرام بنات الحارث بن عباد

نساء أبوهن الاغر ولم تكن * من الازد في جاراتها وهداد

أبوها الذي قاد النعامة بعدما * أبت وائل في الحرب غير تهاد

وقد مدحوا بنات الحارث بن عباد هذا فمن ذلك قوله

جاؤا بحارشة الضباب كأنهم * جاؤا ببنت الحارث بن عباد

ويلحق هذا البيت بموضعه من قولهم باض السيف ومن باض القيظ وقال مفرس

بداعية قد باكر الصيف ماءها * وباضت عليها شمسه وحراره

وابن النعامة فرس حرز بن لوزان وهو الذي يقول لامرأته حين أنكرت عليه ايثاره

فرسه باللبن^(١)

كذب العتيق وماء شن بارد * ان كنت سائلني غبوقا فاذهي

إني لاخشي أن تقول خليلي * هذا غبار ساطع فتلب

إن العدو لهم اليك وسيلة * إن يأخذوك تكجلى وتخضبي

ويكون مركبك القعود وودجه * وابن النعامة يوم ذلك مركبي

وقال أبو بكر الهذلي

وقم النعمات الرجال بربدها * بدفعن بين شمشع ومهال
وقال ذو الاصبع المدواني

ولي ابن عم على ما كان من خاتق * مخالف لي اقلية وتقليني
أزرى بنا أناشات نعمتنا * نخالي دونه بل خاتة دوني

وقال أبو دواد لا يادى في ذكر الصيد وذكر فرسه

وأخذنا به الضرار وقتلنا * بحقير بنانه أضرار *
وأتى يبتغي تفرس أم البية * ض شدا وقد تعالى النهار
غير جمعف أوبد ونعام * ونعام خلالها أنوار *
في حوال المقارب العمر فيها * حين ينهضن بالصباح عذار

ثم قال

يتكشفن من صرائع ست * قسمت بينهن كأس عقار
بين ربداء كالمصاة أفق * وظالم مع الظالم حمار
ومهاين حرس ورنال * وسيوف كأنها أوتار

ووصف عاتمة بن عبدة ناقة وشبهها بأشياء منها ثم أطنب في تشبيهه إياها بالظالم

تلاحظ السوط شرا وهي ضامة * كما تجس طاوى الكشع وشوم
كأنها خاضب زعر قوائمه * أجني له باللوى شرى وتنوم
يظل في الخنظل الخبطان يتقفه * وما استطف من التنوم مخدوم
فوه كشق المصا لا يأتينه * أساك ما يسمع الاصوات مصلوم
يكاد اسمه يختل مقاته * كأنه حاذر النخس مشوم *
حتى تذكر بيضات وهيجه * يوم رذاذ عليه الريح مغيوم
فلا تزيد في مشيه نفق * ولا الزيف دوين الشد مشوم
ياوي الى حسك زعر حواصلها * كأنهن إذا بركن جرثوم
وضاعة كمصى الشرع جوؤه * كأنه بتناهي الروض عاجوم
حتى تلافى وقرن الشمس مرتفع * أدحي عرسين فيه البيض مركوم

يومي اليها بانقاض وتقنقة * كما تراطن في أفدائها لروم

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه * بيت أطافت به خرقاهم هجوم

تحفه هقلة سطعاه خاضبة * تحييه بزمار فيه ترنيم

(الأصمعي) قال أخبرني رجل من أهل البصرة قال أرسل شيخ من نقيف ابنه فلانا ولم يحفظ اسمه الى ابن سيرين فكلمه بكلامه وأم ابنه هذا قاعدة ولا يطن أنها تظن فقال له يا بني اذهب إلى ابن سيرين فقل له رجل رأي أن له نعمة أطحن قال فقلت له ذلك فقال هذا رجل اشترى جارية نخبأها في بني حنيفة قال جئت أبي فاخبرته فذافرتة أمي وما زالت به حتي اعترف أن له جارية في بني حنيفة وما أعرف هذا التأويل ولولا أنه من حديث الأصمعي مشهور ما ذكرته في كتابي (وأما قول الشاعر) لهذلي في مسيلمة الكذاب في احتياله وتمويهه وتشبيهه ما يحتمل به من أعلام الانبياء بقوله بيضة فارور وراية شادن * وتوصيل مقصوص من الطير جائف

قال هذا شعر أنشدناه أبو الزرقاء سهم الخثعمي هذا أكثر من أربعين سنة والبيت من قصيدة قد كان أنشدنيها فلم أحفظ منها إلا هذا البيت فذكر أن مسيلمة طاف ببل النبي في الأسواق التي كانت بين دور المعجم والعرب يلتقون فيها للتسوق والبياعات كمنحوسوق الابله وسوق لقه وسوق الأنبار وسوق الحيرة قال وكان يلتمس تعلم الخيل والنيرجات واختيارات النجوم والمتنبئين وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء وأصحاب الزجر والخط ومذهب الكاهن والعياف والساحر وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تابعه قال فخرج وقد أحكم من ذلك أمورا فمن ذلك أنه صب على بيضة من خل قاطع والبيض اذا أطيل إنقاعه في الخل لان قشره الاعلاحي اذا مددته استطال وصدق وأمتد كما يمتد الملك أو على قريب من ذلك قال فلما تم له فيها ما حاول وأمل طولها ثم ادخلها فارورة ضيقة الرأس وتركها حتى جفت وبست فلما جفت انضمت وكما انضمت استدارت حتى عادت كهيئتها الأولى فأخرجها إلى مجاعة وأهل بيته وهم أعراب وادعي بها أعجوبة وأنها جمعت له آية فآمن به في ذلك المجلس مجاعة وكان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام وقد كان يراهن في منزل مجاعة مقاصيص

وقع النعامات الرجال بربدها * يدفعن بين شمشع ومهال
وقال ذو الاصبع المدواني

ولى ابن عم على ما كان من خاتق * مخائف لى اقلية ويتقاني
أزرى بنا أناشات نعامتنا * نخائي دونه بل خاتمه دونى

وقال أبو دواد الأيادى فى ذكر الصيد وذكر فرسه

وأخذنا به الضرر وقتنا * بتحفير بنانه أضمار *
وأنى يتبغى تفرس أم البية * ض شدا وقد تعالى النهار
غير جمعف أوابد ونعام * ونعام خللاها أثار *
فى حوال المقارب العمر فيها * حين ينهضن بالصباح عذار

ثم قال

يتكشفن من صرائع است * قسوت بينهن كأس عقار
بين ربداء كالمصلاة أفق * وظالم مع الظالم حمار
ومها تين حرس ورنال * وسيوف كأنها أوتار

ووصف عاتقة بن عبدة نافته وشبهها بأشياء منها ثم أطب فى تشبيهه إياها بالظالم نبي فى

تلاحظ السوط شزر أوهي ضارة * كما توجس طاوى الكشح وشوم
كأنها خاضب زعر قومه * أجنى له بالوى شرى وتوم
يظال فى الخنظل الخبطان يقفه * وما استطف من التتوم مخدوم
فوه كشق المعصلا يأتينه * أمك ما يسمع الاصوات مصلوم
يكاد منسه يختل مقاته * كأنه حاذر المنخس مشوم *
حتى تذكر بيضات وهيجه * يوم رذاذ عليه الريح مغيوم
فلا تزيد فى مشيه نفق * ولا الزيف دون الشد مشوم
ياوي الى حسكل زعر حوصاها * كأنهن إذا بركن جرثوم
وضاعة كمصى الشرع جوجوه * كأنه بتناهى الروض عاجوم
حتى تلافى وقرن الشمس مرتفع * أدحي عرسين فيه البيض مركوم

الأص
لم يحف
ال ل
لك ق
ى وه
ه من
سيلة
ال ه
ن قص
كنحو
النيرج
يجر و
لعه قال
البيض
متد ب
خلها
ضمت
راب
سل ما

بومي اليها بانقراض وتقنقة * كما تراطن في أفدائها الروم

صملا كأن جناحيه وجؤجؤه * بت أطاقت به خرفاه هجوم

نحفه هفلة سطماء خاضبة * تجيبه بزمار فيه ترنيم

(قال أخبرني رجل من أهل البصرة قال أرسل شيخ من نقيف ابنه فلانا

إلى ابن سيرين فكلمه بكلام وأم ابنه هذا قاعدة ولا يظن أنها تقطن

أذهب إلى ابن سيرين فقل له رجل رأي أن له نعامه أطحن قال فقات له

هذا رجل اشترى جارية نخبأها في بني حنيفة قال جئت أبي فاخبرته فذافرت

ن به حتى اعترف أن له جارية في بني حنيفة وما أعرف هذا التأويل ولولا

يث الأصممي مشهور ما ذكرته في كتابي (وأما قول الشاعر) الحمدلى في

ذاب في احتياله وتمويهه وتشبيهه ما يختال به من أعلام الانبياء بقوله

قارور وراية شادن * وتوصيل مقصوص من الطير جانف

عمر أنشدناه أبو الزرقاء سهم الخثعمي هذا أكثر من أربعين سنة والبيت

قد كان أنشدنيها فلم أحفظ منها إلا هذا البيت فذكر أن مسيلمه طاف ببل

سواق التي كانت بين دور المعجم والعرب يلتقون فيها للتسوق والبياعات

الابلة وسوق لقه وسوق الأبار وسوق الحيرة قال وكان يلتبس تعلم الخيل

واختيارات النجوم والمنتبين وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء وأصحاب

ومذهب الكاهن والعياف والساحر وصاحب الجن الذي يزعم أن معه

ج وقد أحكم من ذلك أمورا فمن ذلك أنه صب على بيضة من خل قاطع

أطيل إنقاعه في الخلل لان قشره الاعلا حتى اذا مدته ستطال وسندق

د الملك أو على قريب من ذلك قال فلما تم له فيها ما حاول وأمل طولها

رة ضيقة الرأس وتركها حتى جفت وبيست فلما جفت انضمت وكما

تندارت حتى عادت كهيتها الأولى فأخرجها إلى مجاعة وأهل بيته وهم

يحي بها أعجوبة وأنها جمعت له آية فأمن به في ذلك المجلس مجاعة وكان قد

يشأ في لون ريش أزواج حمام وقد كان يراهن في منزل مجاعة مقاصيص

فالتفت بعد أن أراهم الآية في البيض الى الحمام فقال لمجاعة إلى كم تمذب خلق الله بالقص ولو أراد الله لطير خلاف الطيران لما خلق لها أجنحة وقد حرمت عليكم قص أجنحة الحمام فقال له مجاعة كالمتمنت فسل الذي أعطاك في البيض هذه الآيه أن ينبت لك جناح هذا الطائر الذكر الساعة فقلت لهم أما كان أجود من هذا وأشبهه أن يقول فسل الذي أدخل لك هذه البيضة فم هذه القارورة ان يخرجها كما أدخلها قال فقال كان القوم كانوا أعرابا ومثيل هذا الامتحان من مجاعة كثير ولعمري إن المنبئ يخذع ألقا مثل قيس بن زهير قبل أن يخذع واحداً من آخر المتكلمين وان كان ذلك المتكلم لا يشق غبار قيس فيما قيس بسبيله قال مسيامة فان أنا سألت الله ذلك فاتبه له حتى يطير وأنتم ترونه أتعلمون انى رسول الله اليكم قال نعم قال فاني أريد أن أتاجي ربي وللمنجاة خلوة فانهمضوا عنى وان شئتم فادخلوه هذا البيت وادخلونى معه حتى أخرجه اليكم الساعة وافي الجناحين يطير وأنتم ترونه ولم يكن القوم يسمعون بتقرير الحمام ولا كان عندهم باب الاحتياط في أمر المحتالين وذلك ان عبيدا الكيس فاته المقدم في هذه الصناعة لو منعهو الستر والاختفاء لما وصل إلى شئ من عمله جل ولادق ولكان واجداً من الناس فلما خلا بالطائر اخرج الريش لذي قد هياه فأدخل طرف كل ريشة كما كان معه في جوف ريش الحمام المقصوص من عند المقطع والقص وفضيب الريش أجوف وأكثر الأصول حداد وصلاب فلما وفي الطائر ريشه صار في الدين كأنه برزون موصول الذنب لا يعرف ذلك الا من ارتاب به والحمام بنفسه قد كان له أصول ريش فلما غرزت تمت فلما أرسله من يده طار وينبني أن لا يكون فعل ذلك بطائر قد كانوا قطوه بعد أن ثبت عندهم فلما فعل ذلك ازداد من كان آمن به بصيرة وآمن به آخرون لم يكونوا آمنوا به ونزع منهم في أمره كل من كان مستبصراً في تكذبه قال ثم إنه قال لهم وذلك في مثل ليلة منكرة الرياح مظلمة في بعض زمان البوارح ان الملك على أن ينزل إلى والملائكة تطير وهي ذوات أجنحة ولحبي الملك زجل وخشخشة وقمعة فمن كان منكم ظاهراً فليدخل منزله فان من تأمل اختطف بصره ثم صنع راية من رايات الصبيان التي تعمل من الورق الصيني ومن الكاغد وتعمل

لها الاذنان والاجنحة وتعلق في صدورهما الجلال وتُرسل يوم الربح بالخيط الطوال الصلاب قال فبات القوم يتوقعون نزول الملك ويلاحظون السماء وأبطأ عنهم حتى قام جل أهل اليمامة وطلبت الريح وقويت فأرسلها وهم لا يرون الخيوط وللليل لا يبين عن صورة الرق وعن دقة الكاغد وقد توهموا قبل ذلك الملائكة فلما سموا ذلك ورأوه تصارخوا وصاح من صرف بصره ودخل بيته فهو آمن فأصبح القوم وقد أطبقوا على نصرته والدفع عنه فهو قوله

بيضة قارور وراية شادن * وتوصيل مقصوص من الطير جائب

فقلت لسهم يكون مثل هذا الأمر العجيب فلا يقول فيه شاعر ولا يشيع به خبر قال وكما كان في الارض عجب أو شيء غريب فقد وجب أن يشيع ذكره ويقال فيه الشعر ويجمل زمانه تاريخاً السنن معشر العرب نزعهم أن كسرى أبرويز وهو من أحرار فارس من الملوك الاعاظم وسليل ملوك وأبو ملوك مع حزمه ورأيه وكلمه خُطب إلى النعمان بن المنذر وإلى رجل يرضى أن تكون امرأته ظئراً لبعض ولد كسرى وهو عامله ويسميه كسرى عبداً وهو مع ذلك أحيمر أقيشر أمانن اشلاء قصي بن معد وأمانن عرض خلم وهو الذي قالوا تزوج مومسة وهي الفاجرة ولا يقال لها مومسة الا وهي بذلك مشهورة وعرفها بذلك وأقام عليها وهجى بها ولم يخجل بهجائهم ومما زاد في شهرتها قصة المرقش وناكها قررة بن هبيرة حين سبها فعلم بذلك وأقام عليها ثم لم يرض حتى قال لها هل مسك قالت وأنت والله لو قدر عليك لمسك فلم يرض بها حتى قال لها صفيه لي فوصفته حتى قالت كان شعر خديه حلق الدرع وبال على رأسه خلف ابن نواله الكيناني عام حج ونصره عدى بن زيد بأحق سبب وخطب أخوه المنذر إلى عبيدة بن همام فردده أقبح الرد وقال

أتوني ولم أرض مايتوا * وقد طرقتوني بأمر نكر

لأنكح أيهم منذراً * وهل ينكح العبد حر أبجر

ثم مع ذلك خطب إليه كسرى بمض بناته فرغب بها عنه حتى كان ذلك سبب هربه وعله لقتله فهل رأيت شاعراً في ذلك الزمان مع كثرة الشعراء فيه ومع افتخارهم بالدي

كان منهم في يوم جلولى ويوم ذى قار وفي وقائع المثني بن حارثة وسعد بن أبي وقاص فهل سمعت في ذلك بشعر صحيح ظريف المخرج كما سمعته في جميع مفاخرهم مما لا يدانى هذا المنفخر واقد خطب بعض اخوانه الى رجال من نزار من غير اهل البيوتات فرغبوا عنهم وأم النعمان سلمى بنت الصائغ يهودى من أنباط الشام ثم كان بخله لفضل غير محمود وقد قال خلف بن الايهم لحسان بن ثابت قد دخلت على ورايتي فاين أنا من النعمان قال والله مع هذه المثاب كماها قد رغب بنفسه عن مصاهرة كسرى وهو من ابيه الكسور وكما كان أبرويزاً عظيم خطراً كانت ألقته أخيراً للعرب وأدل على ما يدعون من العلو في النسب وكان الامر مشهوداً ظاهراً وموروداً على الاسماع مستفيضاً فاذا قد تهباً أن يكون مثل هذا الامر الجليل والمنفخر العظيم والعرب أخيراً الامم ومع ذلك قد اغفلوه فشان مسيلمة أحق بأن يجوز ذلك عليه وأنشدني يوسف لبعض شعراء بني حنيفة وكان يسمى مسيلمة ويكنى أبا نمامة

لهني عليك أبا نمامه • لهني على ركني شمامه

* كم آية لأبيهم * كاشمس تطالع من نمامه

وقد كتبنا قصته وقصة ابن النواحة في كتابنا الذي ذكرنا فيه فصل ما بين النبي والمثني وذكرنا جميع المثنيين وشأن كل واحد منهم على حدته وبأى ضرب كان يَحْتال وذكرنا جملة احتيالاتهم والابواب التي تدور عليها مخارقتهم فإن أردت أن تعرف هذا الباب فاطاب هذا الكتاب فانه موجود وقد هجا عبد القيس خفاف البرجمي النعمان بن المنذر في الجاهلية وذكر والده الصائغ فقال

لعن الله ثم ثني بالعم * ابن ذالصائغ الظلوم الجهولا

يجمع الجيش ذا الألو ف يغزو • ثم لا يرزه العدو فتيلاً •

وكان سهم الحنفي يلى طبرستان لعن بن زائدة مع حداثة سنه يومئذ وكان له مروءة وقدر في نفسه وبنو حنيفة مع كثرة عددهم وشدة بأسهم وكثرة وقائهم وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم حتى كانوا يمدون بكرها كماها ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم وفي إخوانهم عجل فصيد ورجز وشعراء ورجازون وليس

ذلك المكان الخصب وانهم أهل مدر وآكلو تمر لأن الاوس والخزرج كذلك وهم في الشعر كما قد علمت وكذلك عبد القيس النازلة قريش البحر فقد تعرف أن طعامهم أخبث من طعام أهل اليمامة وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً وهم وإن كانت شعرهم أقل فإن ذلك التليل يدل على طبع في الشعر غيب وليس ذلك من قبل ردة الغذاء ولا من قلة الخصب الشاغل والغنا عن الناس وإنما ذلك عن قدر ما قدمه الله لهم من المظوظ والفرائز والبلاد والاعراق مكانها وبنو الحارث بن كعب قبيل شريف يجرون مجاري ملوك اليمن ومجاري سادات أعراب أهل نجد ولم يكن لهم في الجاهلية كبير حظ في الشعر ولهم في الاسلام شعراء منقوتون وبنو بدر كانوا منجمين وكان ما أطلق الله به السنة العرب خيراً لهم من تصبير الشعر في أنفسهم وقد يحضبالشعرناس ويخرج آخرون وإن كانوا مثاهم أو فوقهم ولم تمدح قبيلة في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم ولم يتبها من الشاهد والمثل لما دح في أحد من العرب ماتبها ابني بدر وقد كان في ولد زرارة أصابه شعراء كلقيط وحاجب وغيرهما من ولده ولم يكن لحذيفة ولا حصن ولا عيينة بن حصن ولا لحمل بن بدر شعر مذكور وقد كان عبد العزيز بن مروان أخطأ في الشعر من كثير من خلفائهم ولم يكن أحدهم أصحابنا من خلفائنا وأئمتنا أخطأ في الشعر من الرشيد وقد كان يزيد بن مزهد وعمه ممن أخطأه الشعر وما أعلم في الارض نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً (الصم من الحيوان) تقول العرب ضربان من الحيوان لا يسمعان الاصوات وذلك عام في الافاعي والنعام واعتمد من ادعي للنعام الصم بقول علقمة

فوه كسقى العصا لا ياتينه * سأك ما يسمع لاصوات مصلوم

قال ولا يصلح أن تكون مافي الموضع الذي ذكر لأن ذلك يصير كقول القائل لتمر حلو والناج بارد والنار حارة لا يحتاج الى أن يخبرن الذي يسمع هذا الصوت لانه لا مسموع الا الصوت قال خصمه فقد قال علقمة بن عبدة

حتى تلافى وقرن الشمس مرتفع * ادحي عرسين فيه البيض مرقوم

يوحى اليها بانقاض ونقطة * كما تراضن في أفدائها لروم

ثم قال تخفة هقلة سفماء خاذلة * تجيبه بزمار فيه ترنيم
واحتج من زعم أنها تسمع بقوله

وضخم صنم بين ضمير ورحله * ويبيض آؤام بين ميث ومدنب
متى ماتشأ تسمع عواراً بقفرة * تجيب زماراً كاليراع المثقب

وقال الطرماح

يدعو العوار بها الزمار كأنه * أيم تجاوبه النساء العود
قال وصوت النعامة الذكر العوار وصوت الانثى الزمار وأنشد الذي زعم الهذلي أنها
لا تسمع قول أسامة بن الحارث الهذلي

تذكرت إخواني فبت مسهدا * كما ذكرت بردا من الليل فاقدنا
امرئى لقد أمهت في نهي خالد * الى الشام اما يعصينك خالدا
وأمهت في اخوانه فكأنما * تسمع بالنهاى النعام المشردا

وقال الذي زعم أنها تسمع فقد قال الله عز وجل (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم
وأعمى أبصارهم) ولو عني أن عمائم كعمى العميان وصممهم كصمم الصمان لما قال (أفلا
يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وإنما ذلك كقولهم (انك لا تسمع الموتى ولا
تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) وكيف تسمع المدبر عنك ولذلك يقال ان الحب
يمى ويصم وقد قال الهذلي * تسمع بالنهاى النعام المشردا * والشارد النافر عنك
لا يوصف بالفهم ولو قال تسمع بالنهاى وسكت كان أبلغ فيما يريد وهو كما قال الله تعالى
(ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) قال الراجز

ردى ردى ورد قضاة صما * ككدرية أعجبها بردُ الما

أي لأنها تسمع صوتا يثنيها ويردها وأنشد قول الشاعر

دعوت خليداً دعوة وكأنما * دعوت به ابن الطود أوهو أسرع

والطود الجبل وابنه الحجر الذي يتهدده منه كقولهم * كجلمود صخر حطه السيد من عل *

وقال الراجز

ومنهل أعور إحدى العينين * بصيرة الاخرى أصم الاذنين

كأنه كان في ذلك المهل بيران والآبار أعين فغورت حدى البيرين وتركت
الاخري وقوله أصم الاذنين لان كان عنده في الارض فضل وخلا حيث لا يسمع
فيه صوت جملة إذ كان لا يسمع صوتاً أصم وان كان ذلك لتقدم الاصوات قال وقد قال
الحارث بن حازمة قولاً يدل على أنها لا تسمع حيث قال

ولقد أستعين يوماً على الهـ * ثم اذا خف بالثوى الثواء

بزفوف كأنها هقـلة * أم رئال دوية سـفماء

ثم قال آنت نبأة وافزعها القنـاص عصرا وقد دنا الأـماء

فترى خلفهن من سرعة المشـ * بي منينا كأنه اهباء

ولو قال افزع القنـاص ولم يقل آنت نبأة والنبأة الصوت لكان لـكم في ذلك فـقال
وقال امرؤ القيس

وصم صلاب ما تعين من الوجـا * كان مكان الردف منه على رال

وانما يـمنى انها مصمـمة غير جوفاء وقال الآخر

قل ما بـدالك من زور ومن كذب * حلمى أصم وأذنى غير صماء

يريد أن حـامه ليس بسـخيف متـخلخل وليس بـخفيف سار ولكنه مصمـمت وقال الشاعر
* واسأل من صماء ذات صـليل * وانما يريد أرضاً يابسة ورملة نشافة تسال الماء
أى تريده وتبتلعه وهى في ذلك صماء وقد قال الله لناس يـسمعون (صم بكم عمى فهم
لا يرجعون) وذلك على المثل وقال (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع ألا
دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يـمـقلون) وذلك كله على ما فسرنا وقال (والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم لم يـخـروا عليها صما وعميانا) وقال أيضاً (انما أنذركم بالوحي ولا يـسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مـدبرين) وقال عنـترة

ظللنا نـكر المـشر فيـة فيهم * وخر صان صم السـمـهري المـثقف

وقال العجـير السـلولى

وقد جذب القوم المصائب مؤخرا * ففهمن عن صامع الرجال حـسور

فضـل نداء العصب مـلقى كأنه * سـلا فرس تحت الرجال عـقور

قرنين فقطعوا أذنيها ليجملوها مثلا في الموق وسوء التدبير فاذا ذكر الشاعر الظالم
 وذكر أنه مصلم الأذنين فاعلم يريد هذا المعنى فكثير ذلك حتى صار قولهم مصلم
 الأذنين مثل قولهم صكاء وسواء قال صكاء أو قال نعامة كما أنه - واء قال خنساء أو قال
 مهابة ونعجة وبقرة وظبية لأن الأطباء والبقرة كلها فطس خنس وإذا سمعوا امرأة
 خنساء فليس الخنس والنفطس يريدون بل كأنهم قالوا مهابة وظبية ولذلك قال المسيب
 ابن علس في صفة الناقة

صكاء ذعلبة إذا استقبلتها * خرج إذا استدبرتها هلوع

فنتفهم هذا البيت فإنه قد أحسن فيه جدا والصكك في الناس والاصطكك في رجلى
 الناقة عيب فهو لم يكن ليصفها بما فيه عيب ولكنه لا يفرق بين قوله نعامة وكذلك
 لا يفرقون بين قولهم اعلم وبين قولهم نعم قال الراجز

اني لمن أنكر أو توسما * أخو خنائير يقود الاعلما

كأنه يقول يقود بعيرا وهو كقول عنزة

وحليل غاية تركت مجدلا * تمكرو فريصته كشدق الاعلم

فقال من ادعي للنعام الصمم أما قولكم من الدليل على أن النعامة تسمع قول الشاعر
 * تدعوا النعام به المرار * وقوله

متى تأتتا تسمع عمارا بقفرة * يجيب زمارا كالبراع المنقب

وقوله آنت نباءة وأفزعها القسنصاص عصرا وقد دنا الامساء

فليس ذلك أراد (وقد يراك الاخرس) من الناس والاخرس أصم فيعرف ما تقول بما
 يرى من صورة حركة كما يعرف مما يرك من اشارتك وبدعوك وبطاب اليك بصوت
 وهو لم يسمع صوتك فقط فيقصد اليه ولكنه يريد تلك الحركة وتلك الحركة تولد الصوت
 أرادته هو أو لم يرده ويضرب فيصيح وهو لم يقصد الى الصياح ولكنه متى أدار
 لسانه في جوحة الفم بالهواء الذي فيه والنفس الذي يحضره جماع الفم حدث الصوت
 وهذا انما غايته الحركة فيعرف صورة تلك الحركة والاخرس من يرى الناس يصفون
 بأيديهم عند دعاء انسان أو عند الغضب والجهد فيعرف صورة تلك الحركة لطول

تردادها على عينيه كما يعرف سائر الاشارات واذا تعجب ضرب يديه كما يضربون
 فالنعامة تمرق صورة إشارة الرتلان وارادتها فتعقل ذلك وتجاوبها بما تعقل منها من
 الاشارة وغدت لمركتها اصوات ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما في التناغم على ذلك
 والعرب تقول اشتم من نعامة واشتم من ذرة قال الراجز * اشتم من هيق وامدي من جمل *
 وقال الحرمازي في أرجوزته * وهو يشتم اشتمام الهيق * قال واخبرنا ابن الأعرابي أن
 اعرابياً كلم صاحبه فراه لا يفهم عنه ولا يسمع كلامه فقال أصلم كصلم النعامة وقد يكون
 الفرس في الموكب وخلفه على قاب غلوتين حجر أورمكة فيشخص تحت راحته من غير
 أن تكون صهات والذئب يشتم ويستروح من ميل والذرة تشتم ما ليس له رنج مما لو
 وضعت على أنفك ما وجدت له رائحة وان أجدت التشمم كرجل الجرادة تنفذها من
 يدك في موضع لم ترفيه ذرة قط فلا تلبث أن ترى الذر إليها كالخيط الاسود الممدود
 وقال الشاعر وهو يصف استرواح الناس

وجاء كمثل الرال يتبع انفه * لعقبه من وقع الصخور فعاقع

فان الزال يشتم رائحة أبيه وأمه والسبع والانسان من مكان بعيد وشبهه به رجلا جاء
 يتبع الريح فيشتم وقال الآخر

والمرء لم يفضب لمطاب أنفه * أو عرسه لكرهه لم يفضب

ومطلب أنفه فرج أمه لان الولد اذا تمت ايامه في الرحم فلامكانه وكرهه وضاق به موضعه
 فطلب بأنفه موضع المخرج مما هو فيه من السكرب حتى يصير أنفه ورأسه على فم الرحم
 تلقاء فم المخرج فالاناء والمكان يرفعانه في تلك الجهة والولد ياتمس تلك الجهة بأنفه
 ولولا انه يطاب الهواء من ذاته ويكره مكانه من ذاته ثم خرج الى عالم آخر خلاف
 عالمه الذي ربي فيه لمت كما يموت السمك اذا فارقه الماء واكن الماء كان قابلاً لطباع
 السمك مريداً له كان في مفارقتة له عطبه وكان في مفارقة الولد لجوف البطن واغتذته
 فضلات الدم شيئاً من طباعه وطباع المكان الذي كان له مرة مسكناً فلدك قل
 الشاعر الجاهلي * والمرء لم يفضب لمطاب أنفه * البيت يقول متى لم يحم فرج أمه
 وامراته فليس ممن يفضب من شيء يؤول اليه وزعم المتكلمون ان الاخرس أصم وأنه

لم يوت من العجز عن المنطق لشيء في لسانه ولكنه إنما أتى في ذلك لأنه حين لم يسمع صوتاً قط مؤلفاً أو غير مؤلف لم يعرف كيفيته فيقصد إليه وان جميع الصم ليس فيهم مصمت وانما يتقاربون في الشدة واللين فبعضهم يسمع الهددة والصاعقة ونميق الحمار اذا كان قريباً منه والرعد الشديد لا يسمع غير ذلك ومنهم من يسمع السرار واذا رفعت له الصوت لم يسمع ومتى كلمته وقرت الشكاية في أذنه فهم عنك كل الفهم وان تكلمت على ذلك المقدار في الهواء ولم يكن ينفذ في قناة تحسره وتجمعه حتى يؤديه الى دماغه لم يفهمه فالاصم في الحقيقة انما هو الاخرس والاخرس إنما سمي بذلك على التشبيه والقاربة ومتى ضرب الاصم من الناس انساناً أو شيئاً غيره ظن انه لم يبالغ حتى يسمع صوت الضربة قال الشاعر

أشار بهم لمع الاصم فاقبلوا * عرائن لا يأتيه للنصر مخاب

وقال الاسدي

وأوصيكم بطمان الكمامة * فقد تعلمون بأن لا خلودا

وضرب الجماجم ضرب الاصم * حنظل شأنه يجنى الوليداً

وقال الهذلي

فالطمن شعشعة والضرب مقمعة * ضرب الممول تحت الديمة العضدا

وانما جملة تحت الديمة لان الاغصان والاشجار تصير الدن واعلاك فيحتاج الذي

يضر ب تلك الاصول قبل المطر الى عشر ضربات حتى يقطع ذلك المضروب فاذا

أصابه المطر احتاج الى أكثر من ذلك والشدني يجي الاغر

كضرب القيون سبيك الحديد * ديوم الجناب ضربا وكيدا

فلم اعرفه فسأت بمض الصياقلة فتال نم هذا بين مروف إذا أخرجنا الحديد

من الكير في يوم شمال واحتاجت في القطع الى مائة ضربة احتاجت في قطعها يوم

الجنوب الى أكثر من ذلك والى أشد من ذلك الضرب لان الشمال يبس ويقصف

والجنوب يرطب ويلدن والانسان بدأ اخرس اذا كان لا يسمع ولا يتبين الاصوات

التي تخرج من فيه على معناه ويقال في غير الانسان على غير ذلك قال كثير

ألم تسألني يا أم عمرو فتخبرني * سمعت واسقاك السحاب البوارق
 بكيا الصوت الرعد خرس روائح * ونعق ولم يسمع لمن صواعق
 وتقول العرب ما زلت تحت عين خرساء والمين السحابة تبقي أياما تمطر وإذا كثرت
 ماؤها وكشف ولم يكن فيها مخارق لم تمدح ببرق ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد
 والرعد يكون في الأصل قبله ولكن الصوت لا يصل اليك في سرعة البرق لان البارق
 والبصر أشد تقاربا من الصوت والسمع وقد ترى الانسان وبينك وبينه رحله فيضرب
 بمصا اما حجراً واما دابة واما ثوبا فترى الضرب ثم تمكث وقتا الى أن يأتيك الصوت
 فاذا لم تصوت السحابة لم تبشر بشيء ولم يكن لها رزسميت خرساء واذا كانت الصخرة
 في هذه الصفة سميت صماء قال الاعشي

وإذا تجيء كتيبة ملدومة * مكروهة يخشى الحكمة نزالها

وعلى غير هذا المعنى قال كثير

كأنني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لوتمشي بها المعصم زات

ومن هذا الشكل قول زهير

وتنوفه عمياء لا يجتازها * الا المشيع ذوالقواد الهادي

قفر هجعت بها واست بنائم * وذراع ملقية الجران وسادي

ووقعت بين فتود عنس ضامر * لحاظه طفل العشى سنادي

فجعل التنوفه عيباً حين لم تكن بها أمارات ودابة يقال لها الزيادة عمياء تشبه الفارة
 وليست بالخلد لان الخلد اعمي وليس بأصم والذباب يكون في الرمل وقال الشاعر
 * فهو ذباب حائر لا يسمع الاذان رعداً * (وكل مولود في الارض يولد اعمي)
 ان كان تأويل العمى أنه لا يبصر الا بعد أيام فثمة ما يفتح عينيه بعد أيام كالجرذ الا اولاد
 الدجاج فان فراريجها تخرج من البيض كاسية كاسية وقال أبو الشمقمق وجعل الابر
 أعمي اصم على التشبيه فقال

فسلم عليه فآر الطرف ضاحكا * وصوت له بالحارث بن عباد

بأصلع مثل الجرو جهم غضنفر * معاود طعن جائف وسناد

أصم وأعمى ينفض الدهر رأسه * يسير على مهل بغير قياد

ومن زعم ان النعامة تسمع يدل على ذلك قول طرفة

هل بالديار الغداة من خرس * أم هل بربع الجميع من أنس

سوي مهابة تقرو أسرته * وجوذر يرتمي على كنس

أو خاضب يرتمي بهقاته * متى ترعه الأصوات يهتجس

فقد قال طرفة كما ترى * متى ترعه الأصوات يهتجس * وقال الآخر جوابنا في هذا

هو جوابنا فيما قبله وروى الهيثم بن عدي وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة قال تضارط

اعرابيان عند خالد بن عبد الله أحدهما تميمي والآخر أزدي فضرط الأزدي ضرطة

ضائلة فقال التميمي

حبقت عجيظاً مجتلاً ولو أنى * حبقت لأسمعت النعام المشردا

فركر المنجنيق وصوته * يبذ هزيم الرعد بدءاً عمردا

(وزعم) أبو عمرو والشيباني عن بعض العرب ان كل عربي كان يلقب نعاماً فانما يلقب

بذلك لشدة صممه وأنه سأل عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بأنفه وعينه ولا يحتاج

معهما الى سماع وانشدني

جئتك مثل الحقل يشتم راله * ولا عرف الاشوءها وشميمها

وزعم أن لقب بهس نعاماً وأنه لقب بذلك لانه كان في خناق نعاماً وكان شديد

الصمم مأثفاً فأنشد لعدي بن زيد

ومن حذر الايام ما حزن أنفه * فصير وخاض الموت بالسيف بهس

نعامة لما صرع القوم رهطه * تبين في أثوابه كيف يلبس

وقال المتنخل الهدلى وذكر سيفاً

منتخب اللب له ضربة * حدباء كالعظم من الخزلع

يقول هذا السيف اهوج لاعتقل له والحدب في هذا الموضع الهوج وتهوى الشيء

لا يتالك ويقال للسيف لايبالى مالتى وقال الاعشى في غير هذا الباب

حوصلة الرال في جريها * اذا جللت بعد أقعادها

كحوصلة الرال يصف الخمر بالحمرة جليت أخرجت وهو مأخوذ من جلوة العروس
القاعدة اذا قدمت عن الطاب ومثله في الخمر قول علقمة

تأوى الى حسكل حمر حواصله * كأنهن اذا بركن جرنوم
وقال الاخنس بن شهاب

تظل بهاربرد النعام كأنها * اماء تزجي بالمساء حواطب
تزجي ترفع وذلك أنه يشغل حملها فتمشى مشية النعامه وقال الراجز

واذا الرياح تروحت بعشوية * رتك النعام الى كثيف العرفج
والرتك مشى سريع يقول تبادر الى الكشيف تستتر به من البرد وقال

* رتك النعامه في طريق حام * وايس لقول من زعم ان الظليم اذا عدا استقبل الريح
قال عبدة بن الطبيب يصف الثور

يستقبل الريح فهو مشتبك * لسانه عن شمال الشدق معدول
ووصف الذيب طفيل الغنوى فقال

كسيد الغضا ماوى أضل جراه * على شرف مستقبل الريح يلهث
ويلحق بموضع ذكر الضرب الشديد فولههم في المثل ضربناهم ضرب غرائب الابل
قال أبو حية

جديرون يوم الروع ان يخضبوا القنا * وان يتركوا الكبش المدجج ناويا
ضربناهم ضرب الحسا ما غرائب * واذا جاءك عطاشا المساحر اراضوا ربا
واذا جاءت عطاشا قد بلغ منها العطش واليبس قيل جاءت تصل أجوافها صليلا قال الراعي
فسقوا صوادي يسمعون عشية * للماء في أجوافهن صايلا

قال وأنشدنا أبو مهبدة لمزاحم العقيلي

غدت من عايه بعد ماتم ظمؤها * تصل وعن قبض بزيزاء مجهل
قال الزيزاء المكيان الفايط وقال آخر

ألم تعلمي يأم حسان اني * اذا عبدة نهنتها فتجات

رجعت الى صدر كجرة حنتم * اذا فرغت صفرا من الماء صلت

(وزعم ابن أبي العجوز الحوا) ان الافاعي سم فلذلك لا تجيب الرقا ثم زعم لي في ذلك المجلس ان أمير المؤمنين المنصور أراد امتحان رقى جد وأن يتعرف صحتها من سقمها فأمرهم فصاعوا له أفمى من رصاص جاءت ولا يشك الناظر فيها ثم أمر بالزأفها في موضع من السقف وأنه أحضره وقال ان هذه الافاعي قد صارت في هذه الدار وقد كرهتها لمكانها فان احتات لي برفية أو بما أحست أحسنت اليك قال ان أردت ان آخذها هربت ولكن أرقبها حتى تنزل فرقاها فلما رآها لا تتحرك زاد في رفع صوته والتي قناعه فلما رآها لا تتحرك نزع عمامته وزاد في رفع صوته فلما رآها لا تتحرك نزع قانسوته وزاد في رفع صوته فلما رآها لا تتحرك نزع ثيابه وزاد في رفع صوته حتى أربد وتمرغ في الارض فلما فعل ذلك سأل ذلك الرصاص وذاب حتى صار بين أيديهم فأقر عند ذلك المنصور بجودة رقيته فقات له ويك زعمت قبيل ان الافاعي لا تجيب

الرقى لانها لا تسمع وهي حيوان ثم زعمت انها أجابت وهي جماد وقال الشاعر
وربداء يكفيها الشميم ومالمها * سوى الربد من انس بتلك الجاهل
يخبر أن النعام لا تستأنس بشئ من الوحش وان الثم يغنيها في فهم ما تحتاج اليه وهي مع ذلك اذا صارت الى دور الناس فليس معها من الوحشة منهم على قدر ما يذكرون وفي الوحش ما يأنس وفيها ما لا يأنس وقال كثير

فانسمت لا أنساك ما عشت ليلة * وان شحطت دار وشط مزارها

وما استن رقرق السراب وما جرت * بييض الربا أنسيها ونوارها

ووصف بلاداً فقاراً غير ما نوسة فقال

ما ترى العين حولها من أنيس * قربها غير رابدات الرئال

خصها بالذكر لانها أنفر وأشد وأقل أنسا من جميع الوحش وقال الاحير كنت آتي الطيبي حتى آخذ بذراعيه وما كان شئ من بهائم الوحش ينكرني الا النعام وأنشد قول ذى الرمة

* وكل أحم المقتلين كأنه * أخوالانس من طول الخلاء المغفل

يدل على ذلك في قدر ما شاهدنا أنهم يخرجون الى الصحارى الاغفال التي لم يدعروا صيدها ولا يطاؤها الناس فيأتون الوحش فوضى هملا وهم كلابهم وفهودهم تتلوى بايديهم فيتقدمون الى المواضع التي لو كانوا ابتدأوا الصيد من جهتها لآخذوا ما أخذوا فاذا نفرت وحوش هذه الارض ومرت بالارض المجاورة لها نفرت سكان تلك الارض مع هذه النوافر ولا تعود تلك الصحارى الى مثل ما كانت عليه من كثرة الوحش حينئذ ومتى لم تنفرها الاعراب بالكلاب والقسي وانصب الجبال رامت بقربهم ثم دنت منهم أولا فالولا حتى تطأ اكناف بيوتهم وهي اليوم في حيز المعتصم بالله والواق بالله على هذه الصنعة وخبرني ابراهيم بن السندی قال خبرني عبد الملك بن صالح واسحق بن عيسى وصالح صاحب الموصل ان خالد بن برمك بنا هو على سطح من سطوح القري مع خطبة وهم يتفدون وذلك في بعض منازلهم حين فسدوا من خراسان الى الجبل قال وبين خطبة وبين الاعداء مسيرة ايام وايال قال فبينما خالد يتفدا معه وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير وحين علقوا على دوابهم ونصبوا قدورهم وقربوا سفرهم قال فنظر خالد الى الصحراء فرآى اقاطيع الظباء قد اقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط المسكر فقال لخطبة ايها الامير ناد في الناس ياخيلى الله اركبي فان العدو قد حث اليك السير وغاية اصحابك ان يسرجوا ويلجئوا قبل ان يروا سرعان الخيل فقام خطبة مذعورا فلما لم ير شيئا يروعه ولم ير غبارا قال لخالد ما هذا الراى قال ايها الامير لا تشاغل بي وبكلامي ونادى في الناس اما ترى اقاطيع الوحش قد اقبلت فارقت مواضعها حتى خالطت الناس ان ورما جمعا عظيما قال فوالله ما اجموا واسرجوا حتى رأوا ساطع الغبار ولا تلبسوا وتساحوا حتى رأوا الطليعة فما التأموا حتى استوى اصحاب خطبة على ظهور خيولهم ولولا نظرة خالد بن برمك وفراسته لقد كان ذلك الجيش اصطلم (وكان ابراهيم السندی) يخدمنا من صدق حس ابيه في الشم بشىء ما يحكى مثله الا عن السباع والذر والنعيم وزعم ان ابيه قال ذات يوم اجد ربح بول فارة ثم تشمم واجال انفه في المجلس فقال هو في تلك الزوية فنظروا فاذا على طرف البساط من البلل بقدر الدرهم او اوسع شيئا فقتضوا منه بول

فأرآة قال وشهدته مرة واطرطه قيام على رأسه فى السماطين فقال أجد ربح جورب
عفن منتن فتشمنا بأجمعنا فلم نجد شيئاً ثم تشم وقال انزعوا خف ذلك فترعوا خفه
فكلما مد النازع له شيئاً بدا من لفافته فما زال النتن يكشف ويزداد حتى خلع خفه ونزعه
من رجله فظهر من نتن لفافته ما عرف به صدق حسه ثم قال انزعوا الآن اخفافكم
بأجمعكم فلا بد من ان لا يكون فى جميع اللانائب منتن غير لفافته أو تكون لفافته أنتها
فترعوا فلم يجدوا فى جميعها لفافة منتنة غيرها وأنشدوا

غزا ابن عمير غزوة تركت لنا * نساء كنتن الجورب المتخرق

(وليس الذى يحكى من صدق الحس فى الشم) عن بعض الناس وعن النعام والسباع
والنار والذر وضروب من الحشرات مما نطق به القرآن العظيم من شأن يعقوب
ويوسف عليهما الصلاة والسلام حين يقول تعالى (قال أبوهم انى لاجد ربح يوسف لولا
أن تفندون قالوا تالله إنك لنى ضلالك القديم) وكان هذا من يعقوب بسد ان قال
يوسف اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيراً وأتونى بأهلكم أجمعين
ولذلك قال (ولما فصات العير قال أبوهم انى لاجد ربح يوسف لولا أن تفندون) ثم قال
(فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً) وإنما هذا علامة ظهرت له خاصة
اذ كان الناس لا يشتمون أرواح أولادهم اذا تباعدوا عن أنوفهم ومافى طاقة الحصان
الذى يجرد ربح الحجر مما يجوز الغلوتين والثلاث فكيف يجد الانسان وهو بالشام ربح
ابنه فى قميصه ساعة فصل من أرض مصر ولذلك قال (ألم أقل لكم انى أعلم من الله
مالا تلمنون) (وقد غبر موسى) وهو يسير أربعين عاماً لا يذوق ذواقاً وجاع
أهل المدينة فى تلك الحطمة حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدون
الحجر على بطونهم من الجوع والجهد وكان النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين
الظاهرين يقول إنى است كأحدكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقئنى (ورجال) ممن
ينتحل الاسلام يظهرن التقذر من الصيدويرون أن ذلك من القسوة وأن أصحاب الصيد
لتؤديهم الضراوة التى اعترتهم من طروق الطير فى الأوكار ونصب الحبال للظباء التى
تقطع عن الحشنان حتى تموت هزلاً وجوعاً واشلاء السباع على بهائم الوحش ستسلم

أهلها إلى القسوة وإلى التهاون بدماء الناس والرحمة شكل واحد ومن لم يرحم الكتاب لم يرحم الظبي ومن لم يرحم الظبي لم يرحم الجدى ومن لم يرحم العصفور لم يرحم العبي وصغار الأُمور تؤدي إلى كبارها وليس ينبغي لأحد أن يتهاون بشيء مما يؤدي إلى القسوة يوماً ما وأكثر ما سمعت هذا الباب من ناس من الصوفية ومن انصارى لمضاهاة النصارى سبيل الزنادقة في رفض الذبائح والبيض لرافقة لدماء ولزهد في أكل اللحمان وقد كان يرحمك الله على الزنديق أن لا يأتي ذلك في سباع الطير وذوات الأربع من السباع فأما قتل الحية والعقرب فما كان ينبغي لحم البتة أن يقتلوا في قتلها طرفة عين لأن هذه الأمور لا تخلو من أن تكون شرّاً صرفاً أو يكون ما فيها من الخير مغموراً بما فيها من الشر والشر شيطان والظلمة عدو النور فاستحياء الظلمة وأنت قادر على إمامتها لا يكون من عمل النور بل قد ينبغي أن تكون رحمة النور لجميع الخلائق والناس إلى استنقاذها من شرور الظلمة وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياء النور والعمل في تخليصه والدفع عنه فكذلك ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإمامتها والعون على اهلاكها وتوهين أمرها حسناً والبهيمة التي يرون أن يدفعوا عنها أيضاً ممزوجة إلا أن شرها أقل فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخاطة لها فان زعموا أن ذلك إنما جاز لهم لأن الأغاب على طباعها النور فليفتنروا في هذا الموضوع ادخال الأذى على قليل ما فيها من أجزاء الخير كما اغتفروا ما في ادخال الروح والشرور على ما في البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة إذ كان أكثر أجزائها من النور وإنما ذكرت ما ذكرت لأنهم قالوا الدليل على أن لدى أئمة فيه من كل الحيوان كل يوم ومن الذبائح مكروه عند الله أنكم لم تروا قط ذبح الحيوان ولا قتل الانسان ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون أبداً ولا يستفنون كنجو صياد السمك وصياد الوحش وأصناف الجزارين والقصابين والشوئين والطاهيين والنهادين والبياسة والصقارين والسكلابين لا ترى أحداً منهم صار إلى غنى ويسر ولا يره أبداً إلا فقيراً محارفاً وعلى حال مشبهة بحاله الأولى وكذلك الجلادون ومن يضرب الأعناق بين يدي الملوك وكذلك أصحاب الاستخراج والعذاب وإن أصابوا لأصابت

وجميع أهل هذه الاصناف نعم وحتى ترى بعضهم وإن خرج نادراً خارجياً ونال منهم
 ثروة وجاهاً وساطاناً فالما أن يقتل وإما يفضب نفسه بميتة عاجلة عند سروره بالثروة
 أو يبعث الله عليه الحق فلا يتم له شيء وإما أن لا يحمل من نسايم عقباً مذكوراً
 ولا ذكراً نبياً وذرية طيبة مثل الحجاج بن يوسف وأبي مسلم ويزيد بن مسلم
 ومثل أبي الوعد ومثل رجال ذكروهم لا نحب أن نسميهم قال فان هؤلاء مع كثرة
 الطروقة وظهور القدرة ومع كثرة الانسال قد قبح الله أمرهم وأخبل أولادهم فهم
 بين من لم يعقب أو بين من هو في معنى من لم يعقب فقلت للنصارى بديا كيف
 كان الناس أيام الحكم بما في التوراة أيام موسى وداود وهما صاحبا حروب وقتل
 وسباء وذبائح نعم حتى كان القربان كاه أو عامته حيواناً مذبوحاً لذلك سميت بيت المذبح
 واسمنا نسألهم عن سيرة النصارى اليوم ولكننا نسألهم عن دين موسى وحكم التوراة
 وحكم صاحب الزبور وما زالوا عندكم إلى أن أنكروا ربوبية المسيح على أكثر من حالنا
 اليوم في الذبائح وأنتم في كثير من حالناكم تغفلون علينا السمك حتى نتوخي أياماً
 بأعيانها فلا نشترى السمك إلا فيها طلباً للامكان والاسترخاس وهي يوم الخميس
 ويوم السبت ويوم الثلاثاء لأن شراءكم في ذلك اليوم يقبل على أنكم تكثرون من
 الذبائح في أيام الفصح وهل تدعون أكل الحيوان إلا أياماً معدودة وساعات معلومة
 فإذا كانت الحرفة والحزن إنما لزموا القصابين والجزارين والشوائين وأصناف الصيادين
 من جهة العقوبة فأنتم شركاء صيادى السمك خاصة لأنكم آكل الخلق له وأنتم أيضاً
 شركاء القصابين في عامة الدهر فلا أنتم تدينون الاسلام فتعرفوا ما عليكم ولحكم
 وفضل ما بين الرحمة والقسوة وما الرحمة وفي أي موضع يكون ذلك القتل رحمة فقد
 أجمعوا على ان قتل البعض إحياء للجميع وان اصلاح الناس في اقامه جزاء الحسنة
 والسيئة (واكم في القصاص حياة) والتود حياة وهذا شيء تعمل به الامم كلها غير الزنادقة
 والزنادقة لم تكن قط أمة ولا كان لها ملك ومملكة ولم تزل بين مقتول وهارب
 ومناقف فلا أنتم زنادقة ولا ينكر لمن كان ذلك مذهبه أن يقول هذا القول فأنتم لا
 دهرية ولا زنادقة ولا مسلمون ولا أنتم راضون بحكم الله أيام التوراة فان كان هذا

الحكم قد أمر الله به وهو عدل فليس بين الزمانين فرق وإنما فلما نجدكم تتكلمون
 السمك أكلا ذريعا وتتقدرون من لاجهات أفلان السمك لا يألم القتل ثم لأن السمك
 لما قتله وهو بلا سكين لم يحسن قتله فالجميع حيوان وكل من يتول يألم وكل نفس فكيف
 صار أكل لحم قسوة وأكل السمك ليس بقسوة وكيف صار ذبح البهائم قسوة، لا تكون
 تفرقة ما بين السمك والماء حتى تموت قسوة وكيف صار ذبح الشاة قسوة وصيد السمك
 بالسناير المدربة المعقنة ليس لها شعائر تخالف المتاب المنصوص في جهاتها وكيف وهي
 وإن لم تنشب في أجوافها وتقبض على مجامع أرواحها لم تقدر على أخذها وكيف صار
 وجأ اللبلة من الجزور أقمي من ضرب النبال أم كيف صار طمن المير بارح وانصب
 الحبال للظباء وارسال الكلاب عليها أشد من وقع النبال في ظهر السمك ولا تكلم
 تكثرون قواكم لا تأكل شيئا فيه دم أيام صومنا فلا سمك دم ولا بد للجميع الحيوان
 من دم أو شيء يشاكل الدم فما وجه اعتلاككم بالدم إلا أن كل شيء فيه دم فهو أشد
 ألما فكيف نعلم ذلك وأما الدليل عليه فإن زعمتم أن ذلك داخل في باب التعبد
 والمصاحبة لاني باب القياس والرحمة والقسوة فهذا باب آخر إلا أن تدعوا أن دواب
 الماء أقوى الأبدان وأسر للنفوس فأردتم بذلك قلة الأثر وضمف البدن فن كان ذلك
 كذلك فقد ينبغي أن يكون هذا المعنى مستبيننا في أكل السمك من البحرين وأما ما ذكرتم
 من ملازمة الحرفة لهؤلاء الاصناف فإن كل من نزلت صناعته ودق خطر تجارته
 كذلك سبيله (وأحل الكسب كله وأطيبه عند جميع الناس سقى الماء) ما على الظاهر
 وأما على دابة ولم أرسقاء قط بلغ حال اليسار والثروة وكذلك ضرب لابن والطاين
 والحراث وكذلك ما صفر من التجارات والصناعات لا ترون أن لامول كثير
 ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الخوهر وعند أصحاب نوشي ولا تلاحظ وعند
 الصيارفة والحناطين وعند البحرانيين والبصريين وجلاب يد والبيزررة يسر من
 يتناع منهم وجلل الامول حق بأن تريح جمل من تقارب الامول وكذلك سبين
 القصاب والجزار والشواء والبازاباز والفهاد وأما ما ذكرتم من تقطع نسل القسوة
 وخول أولادهم كالتقطع نسل فرعون وهامان وثمود ونخت نصر وشبههم فإن سمته

يقول (ولا تزر وزرة وزر خرى) وان شاتم ان تعدوا من المذكورين بالاصلاح اكثر
 من هؤلاء ممن كان عقبا وكان مينا او يكون من بنت لحم وولاد سوء عقوهم في
 حياتهم وعرضوهم للاب بدموتهم لوجود تنويع وعلى في لم نصب نفسي حرر للاججاج
 بن يوسف ويؤيد بن بن مسعود فخرى بهما وعمهما عندي من اهل النار ولكي عرفت
 مفرقك وعلى نكح ليس القضاين اردتم والكمكم اردتم دين المسامين وقد خرج
 اججاج من لذي ساج في بدنه وظاهر اعمته وعلى مراتبه من ملك ومكانه من جواز
 لامر والنهي فان كان لله عندكم ساهه وعاقب اولاده وكان ذلك دينا فان هذا
 قول ان حطبه به لجهرية فعسى ان تعاقبو منهم بسبب فاما من صحح القول بالعدل
 فان هذا القول عنده من خطأ فاحش لذي لا شبهة فيه وكان مما تشدو من لدليل
 على ان القائل لا يزال فقير قول ذي زمة

حتى ذمها بجدر وتخذت * شمس النهار شعاعا بينها قب
 ولاح زهر مشهور بنقته * كانه حين يملو عاقر لخب
 هاجت به توج طلس خضرة * شو زب لاحب التقريب وخب
 جرد مهزلة لاشدق ضربة * مثل السر حين في عناق العذب
 ومظم الصيد هبل ابغيته * نبي بوذك الكعب يكتب
 مفرغ طاس لا طار ليس له * لا اخضر ولا صيدها نشب
 فاصع جانبه لو حشى وتكدرت * يجبن لا ياتي مصلوب والصاب
 قل جمهه كمن نرى مفرغ طاس لا طار وخبر ان كلابه شبهه ونه اني بد كذلك
 وانشدوني ذلك قول لآخر

وعصم نسته المنية نفسه * رعي الثبت والطين في شهن وعر
 مورده قت تصفقه الصبا * بنيق منزل غير كدر ولا نزر
 قرنة السحاب مائه وتهدات * عيه غصون ذنبت من السر
 نبيح له صبح ذه بكنه * خوف وشبه تخبرن من حجر
 بوصاية لا يستدر ذ شتا * لقوحا ولا عثر ولبس بندي وفر

له زوجة شطاء يدرج حولها * فطيم تناجيه وآخر في الحجر
 مشوهة لم تعب طيبا ولم تب * تقتر هنديا بليل على حجر
 محدة العرقوب سلم ناهيا * تمرها الاوزر من فتر الحجر
 مسفة الخدين سود درعا * تقدرها بالليل ولاخذ بالتدر
 كفول الفلاة لم تخضب بنائها * ولم تدر مازى الخرد بنصر
 فارس لها رصف اثنين حده * فانفذ حضنيه نخر على النجر

كان أبو اسحق يسأل المنانية عن مسألة قريبة المأخذ قاطعة وكان يزعم أنها ليست له وذلك ان المنانية تزعم ان العالم بما فيه من عشرة أجناس خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة وكلها حاسة وحارة وأن الانسان مركب من جميعها على قدر ما يكون في كل انسان من رجحان أجناس الخير على أجناس الشر فاحتاج الشر على أجناس الخير وان الانسان وان كان ذا حواس خمسة فان في كل حاسة متونا من ضده من الاجناس الخمسة فتي نظر الانسان نظرة رحمة فتلك النظرة من النور ومن خير ومتي نظر نظرة وعيد فتلك النظرة من الظلمة وكذلك جميع الحواس وان حاسة السمع جنس على حدة وان الذي في حاسة البصر من الخير والنور لا يعين الذي في حاسة السمع من الخير ولكنه لا يضاره ولا يفسده ولا يمتنه فهو لا يعينه لمكان الخلاف و جنس ولا يعين عليه لانه ليس ضدا وأن أجناس الشر خلاف لاجناس الشر ضد لاجناس خير وأجناس خير يخالف بعضها بعضاً ولا يصاد وان التعاون والتأذي لا يقع بين مختلفها ولا بين متضادها وانما يقع بين متفقها قال فيقال للمنانى ماتقول في رجل قال لرجل يفلان هل رأيت فلانا فقال المسؤول نعم قد رأيته أليس السامع قد أدى الى الناظر والنظر قد أدى الى المتأذي ولا فلم قال اللسان نعم الا وقد سمع الصوت صاحب اللسان وهذه المسألة قصيرة كما ترى ولا حيلة له بان يدفع قوله (ومسألة أخرى) سأل عنها أمير المؤمنين زنديق ندى كان يكنى بابي علي وذلك عند مازى من تطويل محمد بن جليه وعجز العتيبي وسوفهم القاسم بن سيار فقال له المأمون أسألك عن حرفين فقط خبرني هل ندمت على شيء فقط على إساءته أو نكون نحن لم نندم على شيء كان منا فقط قال بل ندم كثير من المسيئين

فقلت موسى كليم الـ * مهيمن المناني
 فقال ربك ذومقة * لة اذا واسان
 فنفسه خلقتة * أم من فقمت مكانى
 عن كافر يتارى * بالكفر بالرحمن
 يريد أن يتسوى * بالعبادة المحبان
 بعجرد وعباد * والوالي الهجان
 وقاسم ومطيع * ربحانة الندمان

وتمجبي من أبي نواس وقد كان جالس المتكلمين أشد من تعجبي من حماد حين يحكى
 عن قوم من هؤلاء قولاً لا يقوله أحد وهذه قرة عين المهجو والذي يقول سبحانه مانى
 يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً فكيف يقول انه من قبل شيطان وأما قوله فنفسه خلقتة
 أم من فان هذه مسألة نجد لها ظاهرة على السن العوام والمتكلمون لا يحكون هذا عن
 أحد وفي قوله والوالي الهجان دليل على انه من شكاهم والعجب انه يقول فى ابان انه
 ممن يتشبه بعجرد ومطيع ووالبة بن الحباب وعلى بن الخليل وأصبغ وأبان فوق ملء
 الارض من هؤلاء ولقد كان أبان وهو سكران أصح عقلاً من هؤلاء وهم صحابة فاما
 اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه لان الناس لم يؤتوا فى اعتقادهم الخطأ المكشوف
 من جهة النظير ولكن للناس تأس وعادات وتقليد الآباء والكبراء ويميلون على
 الهوى وعلى ما يسبق الى القلوب ويستثقلون التحصيل ويميلون النظر حتى يصيروا فى
 حال متى عاودوه وأرادوه ونظروا بأبصار كليلية واذهان مدخولة مع سوء عادة
 والنفس لا تجيب وهى مستكرهة وكان يقال الطفل اذا كره عمى ومتى عمى الطباع
 جسا وغلظ وأهمل حتى يالف الجهل ولم يكذب يفهم ما عليه وله فلهاذا وأشباهه قاموا
 على الالف والسابق الى القاب وقال حماد عجرد

اعلموا أن لودى * ثمننا عندى ثميننا
 ليت شمري أى حكم * قد أراكم تحكمونا
 أن تكونوا غير معطي * من وأنتم تأخذون

أين لقمان بن عاد * في أمت هذا الدين دينا
وما رأيت أحداً وضع لقمان بن عاد في هذا الموضع غيره وقال حماد بن عجرود في بشار
يا ابن الحبيثة ابن أم * ك لم تكن ذات اكتتاب
وتبدت ثوبين ذا الأير المضهر والعراء
ثوبان دقانا الأزار بارواث حسام *
عرد كقائمة السبي * سر يساها عند الرطام
وأنت سميمة بعدها * بالمصمئات العظام
أخت لهم كانت الكبار * أن تسافح من قيام
وقال حماد يذكر بشار

غزالة الرجسة أوتتها * سميمة الناعية الفهرا

وقال ذوالرمة

ابني غزالة يا جشم استها * ليحققم أن تفرحوا لا تجزعوا
وما ينبغي لبشار أن يناظر حماداً من جهة الشمرو وما يتعاق بالشعر لأن حماداً في
الخصييض وبشار مع العيوق وليس في الأرض مولد قروى يمد شعره في الحدث لا
وبشار أشعر منه وقال أبو الشمقة في جميل بن مخنوض

وهذا جميل على بمله * وقد كان يمدو على رجليه

يروح ويغد كإير الحمار * ويرجع صفرا إلى أهله

وقد زعموا أنه كافر * وأن التزندق من شكاه

كأنني به قد دعاه الامام * وآذن ربك في قتله

وأما أبو نواس فقد كان يتعرض للقتل بجهده وقد كانوا يمجبون من قوله

كيف لا يدريك من أمل * من رسول الله من نقره

فلما قال

فاحب قریشا لحب أحمدها * وأشكر لها الجزل من مواعها

جاء بشيء عطا على الأول وأنكروا عليه قوله * لوأكثر التسبيح منجاة * فلما قال

يا أحمد المرتجى في كل نائبة * قم سيدي نعمس جبار السموات
 غطا هذا على الاولى وهذا البيت مع كفرة مقيت جدا وكان يكثر في هذا الباب
 وأما سوى هذا الفن فلم يعرفوا له من الخطأ الا قوله
 أغخبر الديار هل تنطق * أنا مكان الدار لا أنطق
 كأنها اذ خرست جارم * بين ذوى تفنيده مطارق
 فعابوه بذلك وقالوا لا يقول أحد لقد سكت هذا الحجر كأنه إنسان ساكت وإنما
 يوصف خرس الانسان بنخرس الدار ويشبه صممه بصمم الصمخر وعابوه بقوله حين
 وصف عين الأسد بالجحوظ فقال

كأن عينه اذا التهبت * بارزة الجفن عين مخنوق
 وهم يصفون عين الاسد بالغوور قال الراجز * كأنما ينظر من جوف حجر *
 وقال أبو زيد

كان عينيه في وقبين من حجر * قيضا اقتناصاً بأطراف المناقير
 ومع هذا فانا لانعرف بعد بشار أشعر منه وقال أبو زيد
 وعينان كالوقبين في ملء صخرة * ترى فيهما كالجرتين تسعر

وحدثني أبو شعيب القلال وهو صغرى قال رهبان الزنادقة سياحون لانهم جعلوا
 السياحة بدل تعلق النسطوري في المطامير والملكانى في الصوامع ومقام النسطوري في
 المطامير قال ولا يسيحون الا أزواجاً ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت رأيت صاحبه
 والسياحة عندهم أن لا يبيت أحدهم في منزل لياتين قال ويسيحون على أربع خصال
 على القدس والطهر والصدق والمسكنة فاما المسكنة فان يأكل من المسألة ومما طابت
 به أنفس الناس له حتى لا يأكل الا من كسب غيره الذي عليه غرمه ومأثمه وأما الطهر
 فتترك الجماع وأما الصدق فعلى ان لا يكذب وأما القدس فعلى ان يكتم ذنبه وان سئل
 عنه قال فدخل الالهواز منهم رجلان فمضي أحدهما نحو المقابر للغانط وجلس الآخر
 بقرب حانوت صائغ وخرجت امرأة من بعض تلك القصور ومعها حق فيه أحجار
 نفيسة فلما صعدت من الطريق الى دكان الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها وظالم

لبعض أهل تلك الدور يتردد فلما سقط الحق وبانته الطبق تبدد ما فيه من الاحجار
فانتم ذلك الظليم أعظم حجر فيه وأنفسه وذلك بعين السائح ووثب الصانع وغلامه
فجمعوا تلك الاحجار ونحو الناس وصاحوا بهم فلم يبدن منهم أحداً وتعدوا ذلك الحجر
فصرخت المرأة فكشف القوم وتماجوا فلم يصيبوا الحجر فقال بعضهم والله ما كان
يقربنا الا هذا الرابع الجالس وما ينبغي ان يكون الا معه فسألوه عن الحجر فذكره
أن يخبرهم أنه في جوف الظالم فيذبح الظالم فيكون قد شارك في دم بعض حيوان
فقال ما أخذت شيئاً وبحجوه وقشوا كل شيء معه وألحوا عليه بالضرب وأقبل صاحبه
وقال اتقوا الله فأخذوه وقال دفعته الى هذا حتى غيبه فقال ما دفعت اليه شيئاً فضر بهما
ليموتا فينبأهما كذلك اذ مر رجل يعقل ففهم عنهم القصة ورأى ظليماً يتردد فقال
لهم اكان هذا الظالم يتردد في الطريق حين سقط الحجر قالوا نعم قال فهو صاحبكم
فموضوا أصحاب الظالم وذبحوه وشقوا عن قانصته فوجدوا الحجر وقد نقص في ذلك
المقدار من الزمان شبيهاً بشطره الا انها أعطته لونا صار للذي استفادوه من جهة لاون
أرح لهم من وزن ذلك الشطر أن لو كان لم يذهب ونار القانصة غير نار الحجر

— — — — —

§ القول في النيران وأقسامها §

ونحن اذا كرون جملا من القول في النيران وأجناسها ومواضعها وأى شيء منها يضاف
إلى العجم وأى شيء منها يضاف الى العرب ونخبر عن نيران الديانات وغير الديانات وعن
عظمتها وعن استهان بها وعن أفرط في تعظيمها حتى عبدها ونخبر عن الموضع التي
عظم فيها من شأن النار فمن مواضعها التي عظمت بها ان الله عز وجل جعلها لبي
اسرائيل في موضع امتحان أخلاصهم وتعرف صدق نياتهم فكانوا يتقربون بالتقرب
فمن كان منهم مخلصاً نزلت نار من قبل السماء حتى تحيط بهم فأنكاه فذمات ذلك
كان صاحب القربان مخلصاً في تقربه ومتمى لم يروها وبنى القربان على حاله فوضو بانه
كان مدخول القلب فاسد النية ولذلك قال الله تعالى في كتابه (الذين قالوا ان لله عهد

الينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي
 بالبينات وبالذي قلتم فلم قناتم وهم ان كنتم صادقين) والدليل على أن ذلك قد كان
 معلوما قول الله عز وجل (قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم) ثم ان الله
 ستر على عباده وجعل بيان ذلك في الآخرة وكان ذلك التدبير مصالحة ذلك الزمان
 ووافق طبائعهم وعلماهم وقد كان القوم من المعاندة والغباوة على مقدار لم يكن ينجح فيهم
 ويكمل لمصاحبتهم الا ما كان في هذا الوزن فهذا باب من عظم شأن النار في صدور الناس
 ومما زاد في تعظيم شأن النار في صدور الناس قول الله عز وجل (وهل أتاك حديث
 موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آتيت نارا لعل آتيكم منها بخبر أو أجد
 على النار هدي فلما أتاها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخضع لعاياك انك بالواد المقدس
 طوى) وقال عز وجل (فقال لأهله امكثوا اني آتيت نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم
 بشهاب قبس اعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها
 وسبحان الله رب العالمين) وكان ذلك مما زاد في قدر النار في صدور الناس ومن
 ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم وقال الله عز وجل (قالوا سمعنا فتى يذكرهم
 يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس اعلمهم يشهدون) ثم قال (قالوا حر قوه
 وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) فلما قال الله عز وجل (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
 على إبراهيم كان ذلك مما زاد في نباهة النار وقدرها في صدور الناس

•••••

﴿ باب آخر ﴾

وهو قوله عز وجل (لذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون)
 والنار من أكثر الماعون وأعظم المرافق ولو لم يكن فيها الا أن الله عز وجل قد جعلها
 الزاجرة عن المعاصي لكان ذلك مما يزيد في قدرها وفي نباهة ذكرها وقال تعالى
 (أفرايتم النار التي تورون انتم أنشأتم شجرها ثم نحن المنشؤون) ثم قال (نحن جعلناها
 تذكرة ومتاعا للمقوين) فقف عند قوله (نحن جعلناها تذكرة ومتاعا) فان كنت
 بهذا القول مؤمنا فتذكر ما فيها من النعمة أولا ثم آخرا ثم توهم مقادير النعم وتصاريحها

وقد علمنا أن الله تعالى عذب الأثم بالغرق والرباح وبالخشب والرج والسوس
 وبالخسف والمسح والجوع وبالانقاص من الثمرات ولم يبعث عليهم نارا جهنم، ورج
 وحجارة وجعلها من عقاب الآخرة ونهى أن يحرق بها شيء من الخوم، وقال لا تأمذبه
 بعذاب الله فقد عظمها كما ترى فتذهب رحمتك الله فتدأراد الله فإياك وقال الله تعالى
 للثقلين (يرسل عليكم أشواظ من نار ونحاس فلا تنتصرن فبأي آلاء ربكم تكذبن)
 فجعل الشواظ والنحاس وهما النار والدخان من لآية ولذلك قال على لسق الكلام
 فبأي آلاء ربكم تكذبان ولم يعم أن التعذيب بالنار أعم من التيممة ولكنه أراد
 التحذير والخوف والمواعيد بها غير ادخال النار فيها واحرقهم بها وقل المرربن منقذ
 وكان أرجانا بجو غضب * بلوى عنيزة من مقبل الترمس
 في حيث خالط الخزامعرجا * يأتيك قابس أهلبا لم يقبس
 أراد خصب الوادى ورطوبته وإذا كان كذلك لم تقدح عيدانه فإن دخلها مستقبس
 لم يور ناراً وقال كثير

له حسب في الحى وارى زناده * عفار ومرخ حثة لورى عاجل
 والعفار والمرخ من بين جميع العيدان التي تقدح أكثرها في ذلك وأسرعها قتل ومن
 أمثالهم في كل الشجر نار واستجمد المرخ والعفار (ونار أخرى) وهى النار التي كانوا
 يستمطرون بها فى الجاهلية الأولى فانهم نوا اذا تابعت عليهم لازمان وركد عليهم
 البلاء واشتد الجذب واحتاجوا إلى الاستمطار اجتمعوا وجمعوا ما قدره عليه من البقر
 ثم عقدوا في أذناها وبين عراقيها السابع والعشرون صعدوا بها فى جبل وعمره
 فيها النيران وضجوا بالدعاء والتضرع فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السحر ولذلك
 قال أمية

سنة أزيمة تخيل باننا * س ترى لامضاه فيها صرير
 اذ يسقون بالديق وكانو * قبل لا يكون شيئا فظير
 ويسوقون بأفر يطرد السم * لى مهزلى خشية أن يور
 عاقدين النيران فى شكر لاذ * ناب عهد كبر تهيج البحور

فاشتوت كلها فهاج عليهم * ثم هاجت الى صبير صبير
 فراها لاله ترسم بالقط * ر و امسى جناهم مطورا
 فسقاها نشاطه واكف النبي * ت منهم اذ راد عود الكبير
 سابع ما ومثله عشر ما * عائل ما وعالت البنقورا
 هكذا كان الاصمعي ينشد هذه الحكامة فقال له علماء بغداد صحفت انما هي البيقور
 مأخوذة من البقر فأنشد التحدني للورل الطائي

لا در در رجال خاب سمهم * يستمطرون لدى الازمات بالمشر
 اجاعل انت بيقورا مسامة * ذريعة لك بين الله والمطر
 قال ويقال بقر وبقير وبيقور وبقار ويقال للجماعة منها قطيع وأجل وكور وأنشد
 فسكنتهم باتقول حتى كأنهم * بواقر جالج أسكنتها المراتع
 وأنشد

ولا شوب من الثيران أفرده * عن كوره كثرة الاعداء والطرده
 (ونار أخرى) هي التي تو قد عند التحالف فلا يعقدون حاتمهم الا عندها فيذ كرون
 عند ذلك منافها ويدعون الى الله عز وجل بالحرمان والمنع من منافها على الذي ينقض
 عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون في الحلف الدم الدم والهدم الهدم يحركون الدال
 في هذا الموضع لا يزيد طلوع الشمس إلا شداً وطول الايالي إلا مداً وما بل البحر
 صوفة وما أقام رضوى في مكانه ان كان جباهم رضوى وكل قوم يذ كرون جباهم
 والمشهور من جباهم وربما نوا منها حتى تكاد تحرقهم ويهولون على من يخاف عليه الغدر
 بحقوقها ومنافها والتخويف من حرمان منافها وقال الكمي
 * لهولة ما أوقد الحلقون للحالفين وما هولوا * وأهل الحلف والتحالف انما هو من
 الحلف ولا يماو واتمدت تحالفت قبائل من قبائل مرة بن عوف فتحالفتوا عند نار فدنوا منها
 وعشوا بها حتى محشتم فسموا الحاش وكان سيدهم والمطاع فيهم أبو ضمرة يزيد بن
 سنان بن أبي حارثة ولذلك يقول النابغة
 جمع محاشك يا يزيد فاني * جمعت يربوعا ليكم وتميا

ولحقت بالنسب الذي عبرتني * وتركت أصلاً يا يزيد ذمياً
 وقوله تميم يريد تميمه خذف الهاء وربما تحالفتوا وتماندوا على الملح والمالح شيئاً أحدهما
 المرقة والاخرى اللبن وأنشدوا الشميم بن خويلد الفزاري
 لا يبعده الله رب العباد * والمالح ما ولدت خالده
 وأنشدوا في قول أبي الطمجان

واني لأرجو لمحها في بطونكم * وما بسطت من جلد أشعث أغبر
 وذلك انه كان جاورهم فكان يسميهم اللبن فقال أرجو أن تشكروا لي رذئلي على ما شربتم
 من البانها وما بسطت من جلد أشعث أغبر كأنه يقول كنتم مهزيب والمهزول يتكشف
 جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم (ونار أخرى) وهي النار التي كانوا أوقدوها
 خنف المسافر وخنف الزائر الذي لا يحبون رجوعه وكانوا يقولون في الدعاء أبعده الله
 وأسحقه وأوقد ناراً خانته وفي إثره وهو معني قول بشار وضربه مثلاً

صوت وأوقدت للجهل ناراً * وردايات الصبا ما استعارا

وأنشدوا

وجهة أفوام حملت ولم تكن * لتوقد ناراً إثرهم للتندم
 والجمعة الجماعة يمشون في الصلح وقال الراجز في إبله * تقسم في الحق وتمضي في الجمه
 يقول لا تندم على ما أعطيت في الجملة عند كلام الجماعة فتوقد خانهم ناراً كيلا يمدوا
 (ونار أخرى) وهي النار التي كانوا إذا أرادوا حرباً وتوقعوا جيشاً عظيماً وأرادوا
 الاجتماع أوقدوا الميلا على جبلهم ناراً ليبلغ الخبر أصحابهم وقد قال عمرو بن كلثوم
 ونحن غداة أوقد في خزاز * رفداً فوق رفد لرفيدنا

ولما وجدوا في جميع عشائرهم اليهم أوقدوا نارين وهو قول الفرزدق

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * سدد العدو عليك كل مكر

ضربوا المصانع والتلول وأوقدوا * نارين أشرفنا على النيرين

(ونار أخرى) وهي نار الحرتين وهي نار خالد بن سنان أحد بني مخزوم من

بني قضيعة بن عبس ولم يكن في بني اسمعيل نبي قبله وهو الذي أطأنا به نار الحرتين

وكانت حرة بلاد بني عيس فذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء وكانت طلي
تبين بها البها من مسيرة ثلاث وربما ندرت منها العنق فتأتي على كل شيء فتحرقه
وذا كان النهار فتماهي دخان يفور فبعث الله خالد بن سنان فاحتفر لها بئراً ثم أدخلها
فيها والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيها وسمع بعض القوم وهو يقول كذب ابن
راعية المعز لأخرجن منها وجبتي تدل فلما حضرته الوفاة قال قوموه إذا أنا مت ثم
دفنتموني فاحضروني بعد ثلاث فانكم ترون غير أبتري بطوف بقبري فاذا رأيتم ذلك
فانبشوني فاني أخبركم بما هو كائن لي يوم القيامة فاجتمعوا له في ذلك اليوم فلما رأوا
العير وذهبوا يانبشونه اختلفوا فصاروا فرقتين وابنه عبد الله في الزرقة التي أبت أن
تابشه وهو يقول اذا ادعي ابن المنبوش فتركوه وقد قدمت ابنته على النبي صلى الله
عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال هذه ابنة بني ضبيعة قوموه قال وسمعت سورة قل
هو لله أحد فقات قد كان أبي يلو هذه السورة والمتكلمون لا يؤمنون بهذا ويزعمون
أن خالداً هذ كان أعرابياً وبرياً من أهل سرح وناصره ولم يبعث الله نبياً قط من
لأعرب ولا من الفدادين أهل لوبر وإنما يبعثهم من أهل القرى وسكان المدن
وقل خليلد عيس

وأني نبي كان في غير قومه * وهل كان حكم الله الامع النخل

وأشدوا

كنار حراتين لها زفير * تصم مسامع الرجل السميع

وما زال الناس كفة ولائم قاطبة حتى جاء الله بالحق مواعين بتعظيم النار حتى
ضل كثير من الناس لا فرط لهم فيها انهم يعبدونها (فما النار العلوية كالشمس
والسواكب) فتد عبدت البتة قال الله تعالى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله) وقد يجيء في الاثر وفي سنة بعض الانبياء تعظيمها على جهة التعبد
والحفة وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها فيغاط لذلك كثير من الناس فيجوزون
حد ويزعم أهل الكتاب ان الله تعالى أوصاهم بها وقال لا تظنوا النيران من بيوتى
فإنك لا تجد الكسئأس والبيع وبيوت العبادات إلا وهي لا تخلو من نار أبداً ليلاً ولا

نهاراً حتى اتخذت للنيران البيوت والسدنة ووقنوا عليها الغلات الكثيرة (أبو الحسن) عن مسلمة وخدم أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكره وأمره أن يظفي النيران فأرد عبد الله أن يبدأ بنار حوم فيطمئنها فقبل له ليست له جوس نار أعظم من نار السكاربان من دار الحارث فان أطفأها لم يمتنع عليك أحد وان أظنأت ساقطها ستمدو للجرى وامتدوا فبدأ بها نخرج الى السكاربان فتحصن أهلها في القاعة وكان رجل من النرس من أهل تلك البلاد مدروفا بالشدة لا يقدر عليه أحد وكان يمر كل عشية بأى منزله استخفافاً وادلالاً بنفسه فعم ذلك عبد الله فقال أما لهذا أحد وكان مع عبده نة بن أبى بكره رجل من عبد القيس من أشد الناس بطشاً وكان جباناً فقالوا له هذا العبدى هو شديد جبان وان أمرته به خاف القتال فلم يعرض له فاحتل له حيلة فقال نعم قال فيبنا هو فى مجلسه إذ مر الفارسى فقال عبد الله مارأيت مثل خلق هذا وما فى الارض كما زعموا أشد منه بطشاً ما يقوى عليه أحد فقال العبدى ماتجملون لى ان احتملته حتى أدخله الدار وأكتفه فقال له عبد الله لك أربعة آلاف درهم فقال تفون لى بانى قال نعم فلما كان الغد مر الفارسى فقام اليه العبدى فاحتمله فما امتنع ولا قدر أن يتحرك حتى أدخله الدار وضرب به الارض ووثب عليه الناس فقتلوه وغشي على العبدى حين قتلوه فلما قتل أعطى أهل القلعة بأيديهم فقتل ابن أبى بكره لمرابذة وأظنأ النار ومضى يظفي النيران حتى باغ سجستان والنجوس تقدم النار فى التعظيم على الماء وتقدم الماء فى التعظيم على الارض ولا تكاد تذكر الهوى (ونار أخرى) التى يحكونها من نيران السعالى والجن وهى غير نار الغيلان وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث

ونار قد حضأت بعيد هده * بدار لا أريد بها مقاماً

سوى تحليل راحلة وعين * أكائها مخافة أن تناماً

أتوا نارى فقات منون أنتم * فقالوا الجن قات عمو ظلاماً

فقات الى الطعام فقال منهم * زعيم نحسد الانس الطعاماً

وهذا غلط وليس من هذا الباب وسننضعه فى موضعه ان شاء الله تعالى بن لى
بقع ههنا قول أبى المطراب عبيد بن أيوب

فَلله در القول أي رقيقه * اصحاب قفر خائف متقفر
 أذنت باحن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيران تبوخ وتزهى
 وما زات السدنة تحتل للناس جهة النيران بأنواع الخيل كاحتيال رهبان كنيسته
 القمعة بيت المقدس بمصايبها وأن زيت قنادياها استوقد لهم من غير نار في بعض ليالى
 أعيادهم قال وبمثل احتيال السادن لخالد بن الوليد حين رماد بالشرر ليوهمه أن ذلك
 من الاوثان أو عقوبة على ترك عبادتها وانكارها والتعرض لها حتى قال
 يا غر كفرانك لا سبجانك * انى وجدت الله قد أهانك

حتى كشف الله ذلك الغطاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم (ونار أخرى)
 وهي النار التي توقد للاطباء وصيدها تعمي اذا أدامت النظر وتجعل من ورثها ويطلب
 بها بيض النعام في أفحيصها ومكناتها ولذلك قال طنبيل الننوي

عوازب لم تسمع نبوح مقامة * ولم تر ناراً تم حول مجرم
 سوى نار بيض أو غزال بقنرة * أغن من الخنس المناخر توأم

وقد يوقدون النيران يهلون بها على الاسد اذا خافوها والاسد اذا عاين النار حذق
 اليها وتأمها فما أكثر ما تشغله عن السالبة ومن ابن ثعلب الاعرج على وادى السباع
 فمرض له سبع فقتل له المكارى لو أمرت غلمانك فأوقدوا ناراً وضربوا على الطساس
 ففعلوا فأحجم عنها فأنشدنى له ابن أبي كريمة في حبه بمد ذلك للنار ومدحه لها
 وللصوت الشديد بمد بفضه لها وهو قوله

فأجبتها حباً هويت خلاطها * ولو في صميم النار نار جهنم
 وصرت الذالصوت لو كان صاعناً * وأطرب من صوت الجمار المرقم

وروى أن عمر ابياً اشتد عليه البرد فأصاب ناراً فدنا منها يصطلي بها وهو يقول
 اللهم لا تحرم منها في الدنيا ولا في الآخرة ومما اذا أبصر النار اعترته الحيرة الضفدع
 فانه لا يزال ينق فاذا أبصر النار سكنت (ومن النيران نار الجباب) وهي أيضا نار
 ابي الجباب وقال أبو حية

تسير في تعريبه فاذا انحنى * عليهن في فف أرثت جنادله

وأوقد نيران الجبابب والتقى * عصا تتراقى بينهم ولا وله
وقال القطامي في نار أبي الجبابب

تجرد تجريد النعامه بمدما * تصوتت الجوزاء قصر المنارب
ألا إيهانيران قيس إذا استوت * اطارق ليل مثل نار الجبابب

ويصفون ناراً أخرى وهي قريبة من نار أبي الجبابب وكل نار تراها العين
لاحقية لها عند التماسها فهي نار أبي الجبابب ولم أسمع في أبي جبابب نفسه شيئاً
وقال الاعرابي وذكر البرق

نار تعود به للعود جدته * والنار أشعل نيرانا فتحترق

يقول كل نار في الدنيا فهي تحرق العيدين وتبطلها وتهلكها الا نار البرق فانها
تجىء بالغيث وإذا غميت الارض ومطرت أحدث الله للعيدين جدة والاشجار اغصانا
لم تكن (ونار أخرى) وهي شبيهة بنار البرق ونار أبي جبابب وهي نار البراعة والبراعة
طائر صغيران طار بالنهار كان كبعض الطير وان طار بالليل كان كأنه شهاب قذف أو
مصباح يطير وفي الأحاديث السائرة المذكورة في السكتب أن رجلاً أتى في ماء
راكد في شتاء بارد في ليلة من الخنادق لاقر ولا ساهور وإنما ذكر ذلك لان ليلة
العشر والبدر والطق الذي يستدير حول القمر يكون كإمداء من برد تلك الليلة قالوا
فما زال الرجل حياً وهو في ذلك بارد جامد مادام ينظر الى نار كانت تجاه وجهه في
القرية أو مصباح فلما طفت انطفأ وقال الشاعر

ونار قبيل الصبح بادرت قدحها * خبا النار قد أوقدتها للمسافر

يقول بادرت الليل لأن النار لا تري بالنهار كأنه كان خائماً أو مطلوباً وقال آخر

ودوية لا يشب النار سفرها * وتضحى بها الوجناء وهي نهيد

كأنهم كانوا هراباً من حشم السير لا يوقدون لبرمة ولا ملة لان ذلك لا يكون
الا بالنزول والتمكث وإنما يجتازون بالبرسة أو بادني علة وقل بعض للصوص

ملساً برود الحى منى ملسا * نهت عنهن غلاما فلما

لما تغشى فروة وحلسا * من غدوة حتى كان الشمساً

بالافق الشرقي تكسا اورسا * لا تخبزا خبزاً وبسا بسا

ولا تطيلا بتناخ حبسا * وجنباها أسداً وعبسا

قال والبسبة أن يبل الدقيق بشئ حتى يجتمع ويوكل (ونار أخرى) وهي نار
الوسم والميسم يقال للرجل مانار إبلك فيقول علاط وخباط أو جلفة وكذا وكذا
وقرب بعض الاصوص إبلا من النواسة وقد أنار عليها من كل جانب وجمعها من
قبائل شتى فقربها الى بعض الاسواق فقال له بعض التجار مانارك وانما يسأله عن
ذلك لانهم يعرفون بيسم كل قوم كرم اباهم من اؤمها فقال

تسائي الباعة مانجارها * اذعزعوها فسمت ابصارها

فكل دار لأناس دارها * وكل نار العالمين نارها

وقال الكرديوس المرادي

تسائني عن نارها ونتاجها * وذلك علم لا يحيط به الطمس

والطمس الخلق والودي الناس خاصة

(تم هذا المصحف الرابع من كتاب الحيوان)

(ويأيه ان شاء الله تعالى المصحف الخامس)

(وأوله نبداً في الجزء تمام القول)

(في نيران العجم والمرب)

(ونيران لديانة ومبلغ)

(أقدارها)



الجزء الخامس من كتاب

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصرى المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب

حقوق الطبع محفوظة للترجم طبعه

أبجاص ممدافندى ساسنى المخرى النوسى

سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م

مطبعة التمدى لشارع محمد على بصرى

فهرس

﴿ الجزء الخامس من كتاب الحيوان ﴾

صحيفه

- ٢ الكلام على النار
- ٤ باب آخر وهو قول الله عز وجل (ان الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما)
- ٢١ باب آخران الصفرة متي اشتدت صارت حمرة
- ٣١ جملة من القول في الماء
- ٤١ رجع الى القول في النار
- ٤٢ في ذكر جرات العرب
- ٤٤ » » النار التي ترفع للسفر
- ٥٢ باب مدح في اليهود والنصارى والمجوس
- ٥٣ » من أراد أن يمدح فمدح
- ٦٠ كلام في حفظ السر
- ٦٢ ما جاء في ذم الاماني
- ٦٦ أجناس الطير التي تألف دور الناس
- ٦٦ الكلام على العصافير
- ٧٧ القول في الفار والجرذان والسنانير
- ٨٨ باب آخر للسور فيه فضيلته على جميع أصناف الحيوان ما خلا الانسان
- ٩٢ » » يدعو له الفار
- ١٠٧ القول في العقرب
- ١١٢ باب القول في الغمل والصواب

- ١٢١ » في البق والخرجس والسرار والفراش والأدى
 ١٢٣ باب القول في العنكبوت
 ١٢٦ » في النحل
 ١٣٠ » القول في القراد
 ١٣٣ » » » الحبارى
 ١٣٥ القول في الضأن والمعز
 ١٤١ باب في الماعز
 ١٥٢ القول في الضفادع
 ١٥٥ ذكر ما جاء في الضفادع من الآثار
 ١٥٧ الفرق بين الانسان والبهيمة والسبع
 ١٦٦ القول في القطا
 ١٧٠ ذكر نوادر من أشعار وأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نبدأ في هذا الجزء بتسام القول في نيران العرب والعجم ونيران الديانة ومبلغ أقدارها عند أهل كل ملة وما يكون منها . ففخراً وما يكون منها . مذموماً وما يكون صاحبها بذلك . هجوراً ونبدأ بالاخبار عنها وبدئها وعن نفس جوهرها وكيف القول في كونها وظهورها إن كانت النار قد كانت . موجودة العين قبل ظهورها وعن كونها على الجاورة كان ذلك أم على المداخلة وفي حدوث عينها إن كانت غير كاملة وفي استحالة الهوي لها والموود جراً إن كانت الاستحالة جائزة وكانت الحجية في ثابت الاعراض صحيحة وكيف القول في الضرام الذي يظهر من الشجر وفي الشرر الذي يظهر من الحجر وما القول في لون النار في حقيقتها وهل يختلف الشرار في طبائرها أم لا اختلاف بين جميع جواهرها أم يكون اختلافها على قدر اختلاف نواجزها ومداهاها وعلى قدر اختلاف . لاقاها وهيجهها ونبدأ باسم الله وتأييده بقول أبي اسحاق (قال أبو إسحاق) النار اسم للحرق والضياء فإذا قالوا أحرقت أو سخنت فالما الاحراق والتسخين لأحد هذين الجانبين المتداخلين وهو الحر دون الضياء وزعم أن الحر جوهر صداد وإنما اختلافاً ولم يكن اتفاقاً على الصمود . ووافقاً بين جواهرهما لانهما متى صارا من العالم العلوى الى مكان صار أحدهما فوق صاحبه وكان يجزم القول ويبرم الحكم فان الضياء هو الذي يملأ إذا انفرد ولا يملأ قال ونحن إنما صرنا إذا أطفأنا نار

الاتون وجدنا أرضه وهواه وحيطانه حارة ولم نجد لها مضيئة لأن في الارض وفي
 المادى الذى قد لابس الارض جداً كثيراً وتداخلاً متشابكاً وليس فيها ضياء وقد
 كان حر النار هيج تلك الحرارة فآظرها ولم يكن هناك ضياء من ملابس فيجها
 الضياء ويظهرها كما اتصل الحر بالحر فزاله من موضعه وأبرزه من مكانه فاذلك
 وجدنا أرض الأتون وحيطانها وهواها حارة ولم نجد لها مضيئة (وزعم أبو اسحاق)
 أن الدليل على أن في الحجر والعود ناراً اختلاف الجهات لانه يلزم من أنكر ذلك
 أن يزعم أن ليس في السمسم دهن ولا في الزيتون زيت ومن قال ذلك لزمه أن
 يقول أن ليس في الانسان دم وأن الدم إنما يخلق عند الشرط وكان ليس بين من أنكر
 أن يكون الصبر سراً الجوهر والمسل حلوا الجوهر قبل أن لا يذقا وبين السمسم
 والزيتون قبل أن يمصر افرق وان زعم الزاعم أن الحلاوة والمرارة عرضان والزيت
 والحل جوهر واذا لزم من قال ذلك في حلاوة المسل وحموضة الخل وهما طمان
 لزمه مثل ذلك في ألوانها فيزعم ان سواد السيج وبياض الثلج وحمرة العصفر وصفرة
 الذهب وخضرة البقل إنما تحدث عند رؤية الانسان وان كانت المعاني والمقابلة غير
 عاملين في تلك الجواهر (قال) فاذا قاس ذلك المتكلم في لون الجسم بعد طممه وفي
 طوله وعرضه وصورته بعد رآخته وفي خفته وثقل وزنه كما قال في رخاوته وصلابته
 فقد دخل في باب الجهالات ولحق بلذين زعموا أن القربة ليس فيها ماء وان وجدوها
 باللمس ثقيلة مؤكدة وانما تخفى عند حل رباطها وكذلك فليقولوا في الشمس والقمر
 والكواكب والجبال اذا غابت عن أبصارهم قال فمن هرب عن الانقطاع الى
 الجهالات كان الذى هرب اليه أشد عليه وكان يضرب لهما مثلاً ذكرته لظرافته
 (حكى) عن رجل أحدب سقط في بئر فاستوت حديدته وحدثت له أدرة في
 خصيته فهناه رجل عن ذهاب حديدته فقال الذى جاء شر من الذى ذهب وكان أبو
 اسحاق يزعم أن ضرار بن عمرو قد جمع في إنكاره القول بالكمون الكافر والمعاندة
 لانه كان يزعم أن التوحيد لا يصح مع انكار الكمون وأن القول بالكمون لا يصح
 إلا بأن يكون في الانسان دم وانما هو شئ يخلق عند الرؤية قال وهو قد كان يعلم

يقينا ان جوف الانسان لا يخلو من دم قال ومن زعم ان شيئاً من الحيوان يعمش بغير
الدم أو شئ يشبهه الدم فواجب عليه ان يقول بانسكار الطبائع ويدفع الحقائق في قول
جهم في تسخين النار وتبريد الثلج وفي الادراك والحس والغذاء والشم وذلك باب
آخر في الجهالات ومن زعم ان التوحيد لا يصح إلا بان يكون في الانسان دم وإلا
بأن تكون النار لا توجب الاحراق والبصر الصحيح لا يوجب الادراك فقد دل على
أنه في غاية النقص والغباوة أو في غاية التكذيب والمعاندة (وقال أبو اسحاق) وجدنا
الخطب عند انحلال أجزائه وتفرق أركانه التي بني عليها ومجموعاته التي ركب منها وهي
أربع نار ودخان وماء ورماد ووجدنا للنار حراً وضياء ووجدنا للماء صوتاً ووجدنا
للدخان طعماً ولوناً ورائحة ووجدنا للرماد طعماً ولوناً وبسماً ووجدنا للماء السائل
من كل واحد من أصحابه ثم وجدناه ذا أجناس ركبت من المفردات
ووجدنا الخطب ركب على ما وصفنا زعمنا أنه ركب من المزدوجات ولم يركب
من المفردات (قال أبو اسحق) فاذا كان المتكلم لا يعرف القياس ويعطيه حقه
فراى أن العود حين احتك بالعود فإنه يلزمه في الدخان مثل ذلك ويلزمه في الماء
السائل مثل ذلك وان قاس قال في الرماد مثل قوله في الدخان والماء والافو وإما جاهل
وإما متحكم وان زعم أنه إنما أنكر أن تكون النار كانت في العود لانه وجد النار
أعظم من العود ولا يجوز أن يكون الكبير في الصغير وكذلك الدخان فإنه زعم أن
الدخان لم يكن في الخطب وفي الزيت وفي النفط فان زعم أنهم سواء وانه إنما قال
بذلك لان بدن ذلك الخطب لم يكن يسع الذي عين من بدن النار والدخان فليس
ينبغي لمن أنكر كونها من هذه الجهة أن يزعم أن شرر القداحة والحجر لم يكونا
كلمنين في الحجر والقداحة وليس ينبغي أن ينكر كون الدم في الانسان وكون
الدهن في السمسم وكون الزيت في زيتون ولا ينبغي أن ينكر من ذلك الا ما لا يكون
الجسم يسهه في العين فكيف وهم قد أجرؤا هذا الانكار في كل ما غاب عن حواسهم
من الاجسام المستترة بالاجسام حتى يعود بذلك الى أن طال في الاعراض كنجو
جموضة الخل وحلاوة المسلي وعدوبة الماء ومرارة الصبر قال فان قاسوا قولهم وزعموا

أن الرماد حادث كما قالوا في النار والدخان فقد وجب عليهم أن يقولوا في جميع الاجسام مثل ذلك كالدقيق المخالف للبر في لونه وفي صلابته وفي مساحته وفي أمور غير ذلك منه فقد ينبغي أن تزعم أن الدقيق حادث وان البر قد بطل واذ زعم ذلك زعم أن الزبد الحادث بعد المخض لم يكن في اللبن وأن جبن اللبن حادث وقاس ماء الجبن على الجبن وليس اللبن الا الجبن والماء واذا زعم أنهما حادثان وان اللبن قد بطل لزمه أن يكون الفخار الذي لم نجده حتي عجننا التراب اليابس المتهافت على حدته بالماء الرطب السيل على حدته ثم سوسناه بالنار الحارة الصفارة على حدتها ووجدنا الفخار في العين واللحم والذوق والشحم وعند النقر والصك على خلاف ما وجدنا عليه النار وحدها والماء وحده والتراب وحده فان كان ذلك الفخار هو تلك الاشياء والحطب وتلك الاشياء إلا ان أحدها من تركيب العباد والآخر من تركيب الله والعبد لا يقاب المراكبات عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها والحجر متى صك بيضة كسرها وكيف دار الامر وسواء كانت الريح تقلبه أو انسان فان زعموا أن الفخار ليس ذلك التراب وذلك الماء وتلك النار وقالوا مثل ذلك في جميع الاخبصة والابنفة كان آخر قياسهم أن يحييوا بجواب أبي الجهماد فان زعم أن القائم غير القاعدة والعجين غير الدقيق وزعموا أنه لو لم يقل ذلك ان الحبة ٢ متى فلتت فقد بطل الصحيح وحده جسمان في هيئته نصف الحبة كانت اذا فلتت بأربع فائق الى أن تصير سويقاً ثم تصير دقيقاً ثم تصير عجيناً ثم تصير خبزاً ثم تعود رجيماً وزبلاً ثم تعود ريجاناً وبقلاً ثم يعود أيضاً لبناً وزبداناً لان الجلالة من البهائم تأكله فيعود لحماً ودماً (وقال أبو الجهماد) فليس القول الا ما قال أصحاب الكون أو قول هذا (قال أبو اسحق) فان اعترض علينا معترض من أصحاب الاعراض فزعم أن النار لم تكن كاملة وكيف تسكن فيه وهي أعظم منه ولكن العود اذا احتك بالعود حمى العودان وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذي بينهما ثم الذي يلي ذلك منهما فاذا احتدم رق ثم جف والتهب فانما النار هواء استحال والهواء في اصل جوشه حار رقيق وهو جسم رقيق خوار جيد القبول سريع الانقلاب والنار التي تراها أكثر من الحطب انما هي ذلك الهواء المستحيل وانطفأؤها بطلان تلك الاعراض الحادثة

من النارية فيه فالهواء سريع الاستحالة الى النار سريع الرجوع الى طبعه الاول وليس
انها اذا اعدمت فقد انقطع الى شكل لها علوي واتصل وصار الى تلالده ولان اجزاءها
ايضاً تقرب في الهواء لانها كانت كاملة في الحطب من داخله منقبضة فيه فلما ظهرت
انبسطت وانتشرت وانما الاله هو استحالة ناراً لان الهواء قريب القرابة من النار
والماء هو حجاز بينهما لان النار يابسة حارة والماء رطب بارد والهواء حار رطب فهو
يشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء ويشبه النار بالحرارة والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما
فلذلك جاز ان ينقلب اليهما انقلاباً سريعاً كما ينعصر الهواء اذا استحال رطباً وحدث له
كثافة الى ان تعود اجزائه مطراً فالماء ضد النار والهواء خلاف لهما وليس بضد ولا
يجوز ان ينقلب الجوهر الى ضده حتى ينقلب بدياً الى خلافه فقد يستقيم ان ينقلب الماء
هواء ثم ينقلب الهواء ناراً وينقلب الهواء ماء ثم ينقلب الماء ارضاً فلا بد من الانقلاب في
الترتيب والتدرج وكل جوهر فله مقدمات لان الماء قد يحيل الطين صخراً وكذلك
في العكس قد يستحيل الصخر هواء والهواء صخراً الاعلى هذا التزليل ولا ترتيب
(وقال أبو اسحق) لمن قال بذلك من حذاق أصحاب الاعراض قد زعمتم ان النار التي
عائنها لم تخرج من الحطب والكن الهواء المحيط بهما احتدم واستحال ناراً فاعلم الحطب
الذي يسيل منه الماء الكثير ان يكون ذلك الماء لم يكن في الحطب ولكن ذلك المكن
من الماء استحالة ماء وليس ذلك المكن من الهواء احق بأن يستحيل ماء من أن يكون
سبيل الدخان في الاستحالة سبيل النار والماء فان قاس القوم ذلك فزعموا ان النار التي
عائنها وذلك الماء والدخان في كثافة لدخان وسواده والذي يتراكم منه في اسفل القدر
وسقف المطابخ انما ذلك هواء استحالة فاعلم الرماد ايضاً هواء استحالة رماداً فان قائم
الرماد في اول نقله المتراكم على اسفل القدر وفي بطون سقفه وقد الحامات الذي
دبر بعض التدبير جاء منه الانفاس العجيبة احق بأن استحالة ارضياً فان قاس العرض
وزعم ان الحطب انحل باسمه فاستحال بعضه رماداً كما قد كان بعضه ناراً مرة واستحال
بعضه ماء كما كان بعضه ماء مرة وبعضه استحالة ارضاً كما كان بعضه ارضاً مرة ولم
يقال ان الهواء المحيط به استحالة رماداً ولكن بعض اخلط الحطب استحالة رماداً

ودخاناً وبعض الهواء المتصل به استحال ماء وبعضه استحال ناراً على قدر العوامل وعلى
 المقابلاته وإذا قال صاحب العرض ذلك كان قد أجاب في هذه الساعة على حد ما نزلته
 لك وهذا باب من القول في النار وعلينا أن نستقصى للفريقين والله المعين (وباب آخر)
 وهو أن بعض من ينكر كون النار في الحطب قالوا إن هذا الحر الذي رأيناه قد ظهر
 من الحطب لو كان في الحطب لكان واجبا أن يجده من مسه كالجمر المتوقع إذا لم يكن
 دونه مانع منه ولو كان هناك مانع لم يكن ذلك المانع إلا البرد لأن اللون والطعم والرائحة
 لا يفسد الحر ولا يمانه الذي يضاده دون الذي يخالفه ولا يضاده فإن زعم أن الله قد
 كان هناك من أجزاء البرد ما يمدل ذلك الحر ويطاوله ويكافيه ويوازيه فلذلك صرنا
 إذا مسسنا الحطب لم نجد له مؤذيا وإنما يظهر الحرق ويحرق لزوال البرد إذا قام في مكانه
 وظهر الحر وحده فظهر عمله ولو كان البرد المعادل لذلك الحر مقيما في العود على أصل
 كونه فيه لكان ينبغي لمن مس الرماد بيده أن يجده أبرد من الثلج فإذا كان مسه كس
 غيره فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يمدل هذا الحر الذي يحرق كل شيء أقيم
 فإن زعم أنهما خرجا جميعاً من العود فلا يخلو البرد أن يكون أخذ في جهته فلم وجدنا
 الحر وحده وليس هو بأحق أن نجد منه من ضده وإن كان البرد أخذ شمالاً وأخذ
 الحر جنوباً فقد كان ينبغي أن يخذ ويهلك ملاقاه كما أهلك الحر وأحرق وأذاب كلها
 لاقاه قالوا فلما وجدنا جميع أقسام هذا الباب علمنا أن النار لم تكن كاملة في الحطب
 قال أبو اسحق والجواب عن ذلك أنا نزع أن الغالب على العالم السفلي الماء والأرض
 وهما جميعاً باردان وفي اعماقهما واضعافهما من الحر ما يكون معوراً ولا يكون عامراً
 ويكون مقموعا ولا يكون قامعا لأن هناك قليل والقليل ذليل والذليل غريب والغريب
 محذور فلما كان العالم السفلي كذلك حدث ما فيه من قوة البرد وذلك البرد الذي كان في
 العود عند زوال مانعه لأن العود مقيم في هذا العالم ثم لم ينقطع ذلك البرد إلى برد
 الأرض الذي هو كالمرض له إلا بالطفرة والتعطيف على الأمور بالماكن والمجاورة لها
 وقام برد الماء منه مقام قرص الشمس من الضياء الذي يدخل البيت للحرق الذي
 يكون فيه فإذا سد فمع السد ينقطع إلى قرصه وأصل جوهره فإذا أجاب بذلك أبو

اسحاق لم يجد خصمه بدمان أن يتديء مسألة في افساد القول بالطرفة والتعطيف ولولا ما اعترض به أبو اسحاق من الجواب بالطرفة في هذا الموضع لكان هذا ما يقع في باب الاستدلال على حدوث العالم وكان أبو اسحاق يزعم أن احتراق الثوب والحطب والقطن إنما هو خروج نيرانه منه وهذا هو تأويل الاحتراق ليس أن نار اجاءت من مسكان فعملت في الحطب ولكن النار الكامنة في الحطب لم تكن تقوى على نفى ضدها عنها فلما اتصت بنار أخرى واشتدت منها قوتها جميعاً على نفى ذلك المانع فلما زال المانع ظهرت فعند ظهورها تجزأ الحطب وتجنف وتهافت لمسكان عملها فيه فأحرقك للشيء إنما هو اخراجك نيرانه منه وكان يزعم ان حر الشمس إنما تحرق في هذا العالم باخراج نيرانها منه وهي لا تحرق ما عتقد المرض وكشف تلك الندوة لان التي عتدت تلك الاجزاء من الحر اجناس لا تحترق كاللون والطعم والرائحة والصوت والاحتراق إنما هو ظهور النار عند زوال مانعها فقط وكان يزعم أن سم الافعى مقيماً في بدن الافعى ليس يقتل وأنه متى ما زج بدنا لا سم فيه لم يقتل ولم يتلف وإنما يتلف لابدان التي فيها سموم ممنوعة مما يضادها فاذا دخل عليها سم الافعى عاون السم الكامن ذلك السم الممنوع على مانعه فاذا زال المانع تلف البدن المنهوش عند أبي اسحاق إنما كان أكثر ما أتلفه السم الذي معه وكذلك كان يقول في حر الحمام والحر الكامن في الانسان ان الغشى الذي يعتره في الحمام من الحر القريب ولكن من الحر الغريب حرك الحر الكامن في الانسان وامده ببعض أجزائه فلما قوى عند ذلك على مانعه فزاله ذلك العمل الذي كان توقعه بالمانع واقعا به وإنما ذلك كما حار يحرق اليد صب عليه ماء بارد فلما دخل عليه الماء البارد صار شغله بالداخل وصار من وضع يده فيه وضع يده في شيء قد شغل فيه بغيره فلما دفع الله عز وجل عند ذلك الجسم الذي هو مشغول به صار ذلك الشغل مصروفا الى من وضع يده فيه اذ كان لا ينفك من عمله وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأت نار الاتون لم تجد شيئاً من الضوء ووجدت الكثير من الحر لان الضياء لو لم يكن له في الارض أصل ينسب اليه وكان له في الملو أصل كان أولى به وفي الحقيقة انهما جميعاً قد اتصلا بجوهرها من العالم العلوي وهذا الحر الذي تجده في لارض إنما هو من الحر

الكامن الذي زال مانعه هكذا كان ينبغي أن يقول وهو قياسه وكان يزعم أنك ان
أبصرت مصباحاً قائماً الى الصبح أن الذي رأيته في أول وهلة قد بطل من هذا العالم
وظفر من الدهر بشيء من وزنه وقدره بالافضل ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع
فانت إن ظننت أن هذا المصباح ذلك فليس به ولكن ذلك المكان لا يخلو من أقسام
متقاربة متشابهة لم يكن في الاول شبه ولا علامة وقع عندك أن المصباح الذي رأيته
مع طلوع الفجر هو الذي رأيته مع غروب الشفق وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل
شيأ من الدهن ولم تشربه وأن النار لا تأكل ولا تشرب ولكن الدهن ينقص على قدر
ما يخرج منه من الدخان والنار الكامنين اللذين كانا فيه وإذا خرج كل شيء فهو بطلانه
وقد يقولون ذلك أيضاً على المثل وعلى الاشتقاق وعلى التشبيه فان قلم فقد قال الله
عز وجل في الكتاب (الذين قالوا إن الله عهد الينا أن لنؤمن برسول حتى يأتينا بقربان
تأكله النار) فقد علمنا أن الله عز وجل إنما كلمهم بلغتهم وقد قال أوس بن حجر
فأشرف فيها نفسه وهو معصم * وأقي بأسباب له وتوكلا
وقد أكلت أظفاره الصخر كلما * تعابا عليه طول مرقى توصلا
فجعل النحت والشقص أكلا وقال خفاف بن ندبة

أبا خراشة إما أنت ذانفر * فان قومي لم تأكلهم الضبع
والضبع السنة فجعل شقص الجذب والازمه بابا آخر مما يسمونه أكلا وقال مرداس
ابن أدية

وأدَّت الارض مني مثل ما أكلت * وقربوا لحساب القسط أعمالى
وأكل الارض لمصاص في بطنها احالتها الى جوهرها

❦ باب آخر ❦

وهو قول الله عز وجل (إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً) وقوله تعالى عز اسمه
(أأكلون للسحت) وقد يقال لهم ذلك وان شربوا بتلك الاموال الانبذة وابسوا الخلل
وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهما واحداً في سبيل الاكل وقد قال الله عز وجل

(إنما يأكلون في بطونهم ناراً) وهذا أيضاً مجاز آخر وقال الشاعر في أجزاء السنين من

أجزاء الخمر

أكل الدهم ما نجبهم منها * وتبقى مصاصها المكينونا

وقال الشاعر

مرت بنا نخنال في أربع * يأكل منها بعضها بعضاً

وهو قوله هو وقد أكلت أضفاره الصخر * إلا كقوله * كضب الكرى ابرى برائنه الحفر *

وإذا قالوا أكله الاسد فانما يذهبون الى الاكل المعروف وإذا قالوا أكله

الاسود فانما يمتنون النهش واللدغ والعض فقط وقد قال الله عز وجل (أنجب أحدكم

أن يأكل كل لحم أخيه ميتاً) ويقال هم لحوم الناس وقال قائل لاسماء بن حمادى اللحيان

أطيب قال لحوم الناس هي والله أطيب من الدجاج ومن الفراخ والعنوز والخمر ويقولون

في باب آخر فلان يأكل الناس ان لم يأكل من طعامهم شيئاً وأما قول أوس بن حجر

وذو شطبات قدده ابن مجدع * له رونق رديته يتأكل

فهذا على خلاف الاول وكذلك قول دهمان النهري

سأتنى عن أناس أكلوا * شرب الدهم عليهم وأكل

فهذا كله مختلف وهو كله مجاز (باب آخر) وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده

ذوق وكيف ذوقه وكيف وجدت طعمه وقال عز وجل (ذوق إنك أنت العزيز الكريم)

وأما قولهم ماذا ذوق اليوم ذواقا فانه يعنى ما أكلت اليوم طعاماً ولا شربت شراباً وإنما

أراد القليل والكثير وأنه لم يذوقه فضلاً عن غير ذلك وقال بعض طبقات الفقهاء ممن

يشتهي أن يكون عند الناس متكلاً ماذا ذوق اليوم ذواقا على وجهه من الوجوه ولا

على معنى من المعانى ولا على سبب من الاسباب ولا على جهة من الجهات ولا على

لون من الألوان وهذا من عجيب الكلام قال ويقول الرجل لو كينه إئت فلانا فذوق

ما عنده وقال شماخ بن ضرار

فذاق فأعطته من اللين جانباً * كفى ولها أن يفرق السهم حاجز

وقال ابن مقبل

وكاهتزاز رديني تذاوقه * أيدى التجار فزادوا منه ايننا

وقال بشار بن حربى

وعهد الغايات كههد قين * وقت عند الجمائل مستذاق

الجمائل من الجعل وتجاوزوا ذلك الى أن قال يزيد بن الصمق لبنى سليم حين صنعوا بسيدهم العباس ما صنعوا وقد كانوا توجوه وماكوه فلما خالفهم في بعض الامر وشوا عليه وكان سبب ذلك قلة رهطه وقال يزيد بن الصمق

وإن الله ذاق حلوم قيس * فلما ذاق خفتها قلاها

رأعا لا تطيع لها أميراً * نخلاها تردد في خلاها

فزعم أن الله عز وجل يذوق عند ذلك قال هياش الرعلى يخبر عن قاته وكثرتهم فقال

وأمكم ترجوا التوام لبعابا * وأم أخيكم كزة الرحم عافر

وزعم يونس أن أسلم بن زرعة لما أنشد هذا البيت أغر ورتت عيناه وجعل

هياش أمه عافراً إذ كانت نزوراً وقد قال الغنوى

وتحدثوا ملاً لتصبح أمنا * عذراء لا كهل ولا مولود

جماعها إذ قبل ولدها كالعذراء التي لم تلد قط لما كانت كالعذراء جماعها عذراء

وللعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم وهذه أيضاً فضيلة أخرى وكما

جوزوا لقولهم أكل وإنما عض وأكل وإنما أفني وأكل وإنما أجاله وأكل وإنما أبطل

عينه جوزوا أيضاً أن يقولوا ذقت ما ليس بطعم ثم قال طعمت لغير الطعام وقال العرجى

وان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم أطعم تقاها ولا بردا

قال الله تعالى (إني مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني) يريد

لم يذق طعمه وقال عاقمة بن عبدة

وقد أصحاب فتيناها طعامهم * حمر المزداد ولحم فيه تشميم

يقول هذا طعامهم في الغزو والسفر البعيد الغاية وفي الصيف الذى يفتقر الطعام

والشراب والغزو على هذه الصفة من المفاخر ولذلك قال الاول

لا لا أعق ولا أحو * ب ولا أغير على مضر

لكنما غـزوى إذا * صح المطي من الدبر

وعلى المعنى الاول قول الشاعر

قالت الافاطم عميرا تمراً * وكان تمرى كهره وزبرا

وعلى المعنى الاول قال حاتم هذا فصدى أنه ولذلك قال الراجز * العاصرات البيت بالخراب *
يقول هذا هو عمارتها وكان أبو اسحاق يتعجب من قولهم النار يابسة قال أما قولهم
الماء رطب فيصح لأننا نراه سيالا واذا قال الارض يابسة فانما يريد التراب المتهافت
فقط فان لم يرد الابدن الارض الملازم بعضه لبعض لما فيها من اللدونة فقط فقد أخطأ
لان أجزاء الارض مخالطة لاجزاء الماء فامتنت من التهافت على أقدار ذلك ومتى
حفرنا ودخلنا في عمق الارض وجدنا الارض طينا بل لانزال تجسد الطين أرطب
حتى تصير الى الماء والارض اليوم كلها أرض وماء والماء ماء وارض وانما يلزمها من
الاسم على قدر الكثرة والقلة فاما النار فليست بيابسة البدن ولو كانت يابسة البدن
لتهافت تهافت التراب واتسبأ بمضها من بعض كما أن الماء لما كان رطبا كان سيالا
ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شئ في العود من النار فظهرت الرطوبات
لذلك السبب ووجدوا العود تتميز أخلاطه عند خروج نيرانه التي كانت إحدى
مراتعها من التميز فوجدوا العود قد صار رمادا يابسا متهافتا ظنوا أن يسه انما هو مما
اعطته النار وولدت فيه والنار لم تعطه شيئا ولكن نار العود لما فارقت رطوبات العود
ظهرت تلك الرطوبات الكامنة والمائعة فبقي من العود الجزء الذي هو الرماد وهو
جزء الارض وجوهرها لان العود فيه جزء أرضي وجزء مائي وجزء ناري وجزء
هوائي فلما خرجت النار واعتزات الرطوبة بقي الجزء الارضي فقولهم النار يابسة غلط
وانما ذهبوا الي ما أراد العيون ولم يفوصوا على منييات العلي وكان يقول ليس القوم
في طريق خالص المتكلمين ولا في طريق الجهادة المتقدمين وكان يقول إن الامة
التي لم تنضجها الارحام ونخالقون في ألوان أبدانهم أو حذاق عيونهم وألوان شعورهم
سبيل الاعتدال لا تكون عقولهم وقرائنهم الا على حسب ذلك وعلى حسب ذلك
تكون أخلاقهم وآدابهم وشمائهم وتصرف همهم في أؤمهم وكرمهم لاختلاف

السبك وطبقات الطبخ وتفاوت ما بين العطير والخمير والمقصر والحجوز وموضع العقل عضو من تلك الاعضاء وجزء من تلك الاجزاء وكان تفاوت الذي بين الصقابة والزنج وكذلك القول في الصور ومواضع الاعضاء الا ترى ان أهل الصين والتبت وحداق الصناعات لها فيها الرفق والحدق واطن المداخل والانساع في ذلك والغوص على غامضه وبعيده وليس عندهم الا ذلك فقد يفتح اقوم في باب الصناعات ولا يفتح لهم سوى ذلك قال وكان يخطبهم في قولهم ان الحرارة تورث اليبس لأن الحرارة انما ينبغي أن تورث السخونة وتولد مايشاكلها ولا تولد ضربا آخر مما ليس منها في شيء ولو جاز أن تولد من الاجناس التي تختلفها شكلا واحدا لم يكن ذلك الخلاف باحق من كلام آخر إلا ان يذهبوا الى سبيل المجاز فقد يقول الرجل انما رأيتك لاني النفث وهو انما رآه لطبع في البصر الدارك عند ذلك الالتمات ولذلك يقول قد نجد النار تداخل ماء القهقم بالايقاد من تحته فاذا صارت النار في الماء لا يسته واتصلت بما فيه من الحرارة والنار صمادة ليحدث عند ذلك الماء غليان لحركة النار التي قد صارت في إضعافه وحركتها تصمد فاذا توقعت أجزاء النار وقعت معها لطائف من تلك الرطوبات التي قد لا يستهها فاذا دام ذلك الايقاد من النار الداخلة على الماء صعدت أجزاء الرطوبات الملبسة لاجزاء النار واقوة حركة النار وطاها التلاد العلوى كان ذلك فتى وجد من لا علم له في أسفل القهقم كالحس أو وجد الباقي من الماء مالحا عند تصمد لطائفه على مثال مايعتري ماء البحر ظن أن النار التي أعطته اليبس وإن زعموا أن النار هي المييسة على معنى ما قد فسرنا فقد أصابوا فان ذهبوا الى غير المجاز فقد أخطوا وكذلك الحرارة اذا مكنت في الاجساد بعثت الرطوبات ولا يستهها فتى قويت على الخروج أخرجتها منها فعند خروج الرطوبات توجد الابدن يابسة ليس أن الحر يجوز أن يكون له عمل الا التسخين والصعود والتقاب الى الصعود من الصعود كما ان الاعتماد من شكل الزوال وكذلك الماء الذي يفيض الى البحر من جميع ظهور الارضين ويطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فالمد غسال مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة والذي يخرج اليه من الارض من أجزاء

النيران المحاطة برفعان اطائف الماء بارتقاءهما وتغييرهما فاذا رفعنا اللطائف فصار منهما
 مطر وما يشبه المطر وكان ذلك دأبهما وعاد ذلك الماء مائلاً لأن الارض اذا كانت
 تمطيه الملوحة والنيران تخرج منه المدبوبة وللطافة كان واجباً أن يعود الى الملوحة
 ولذلك يكون ماء البحر ابدأ على كيان واحد ووزن واحد لان الحدود اطلب القرار
 وتجرى في اعماق الارض برفع اللطائف فيصير مطراً وبرداً وثابجاً وطلائم تعود
 تلك الانواء سبيلاً لا اطلب الحدود واطلب القرار وتجرى في اعماق الارض حتى
 تصير الي ذلك الهواء فليس يضيع من ذلك الماء شيء ولا يطل منه شيء والاعيان قائمة
 فيكانه مجنون غرق من بحر وصب في جدول يفيض الى ذلك النهر فهو عمل الحرارة
 اذا كانت في أجواف الخشب او في أجواف الارضين او في أجواف الحيوان والحر
 اذا صار في البدن فانما هو شيء مكرر والمكرر لا يلو يتخلص وهو لا يتخلص الا وقد
 جعل معه كل ما قوى عليه مما لم يشبهه فنتى خرج خرج معه ذلك الشيء قال فن بهنا
 غلط القوم قال ابو اسحق قالت الدهرية في علمنا هذا باقوايل فمنهم من زعم ان علمنا
 هذا من اربعة اركان حر وبرد ويبس وبلة وسائر الاشياء نتائج وتركيب وتوليد وجعلوا
 هذه الاربعة اجساماً ومنهم من زعم ان هذا العالم من اربعة اركان من ارض وهواء
 وماء ونار وجعلوا الحر والبرد واليبس والبلة أعراضاً في هذه الجواهر ثم قالوا في سائر
 الارباع والاربع والألوان والأصوات ثمار هذه الاربعة على قدر الاخلاط في القلة والكثرة
 والرقة والكثافة فتقدموا اذ كرتصيب حاسة النفس فقط واضربوا عن انصباء الحواس
 الارباع قالوا ونحن نجد الطعوم ناذية وقائلة وكذلك الارباع ونجد لاصوات ملدة
 ومؤلمة وهي مع ذلك قائلة ونافضة للقوى متلفة ونجد الالوان في المضار والمنافع واللذذة
 والالام المواقع التي لا تجهل كما وجدنا مثل ذلك في الحر والبرد واليبس والبلة ونحن
 لم نجد الارض باردة يابسة غير ان نجدها مالحة او ذات لون ومذاقة أي ذلك كان
 وجدناها ذات رائحة وذات صوت متى قرع بمضها بمصاً فبرد هذه الاجرام وحرها
 وبسها ورطوبتها لم تكن فيها اعملة كون الطعوم والارباع والالوان فيها وكذلك
 طعومها وارباعها والوانها لم تكن فيها المكن كون البرد واليبس والحر والبلة فيها ووجدنا

كل ذلك إما ضاراً وإما نافعاً وإما غاذياً وإما قاتلاً وإما مؤلماً وإما مائزاً وإيس يكون
كون الارض الحلقة وعذبة وممتنة أو طيبة أحق بان تكون علة لكون اليبس والبرد
والحر والرطوبة من أن يكون كون الرطوبة واليبس والحر والبرد وعلة لكون اللون
والطعم والرائحة وقد هجم الناس على هذه الاعراض الملازمة والاجسام المشاركة
هجوماً واحداً على هذه الحلية والصورة ألقاها الاول والآخر قال فكيف وقع
القول منهم على نصيب هذه الحاسة وحدها ونحن لم نرم من البلة أو من البل نفعاً ولا
ضراً تنفرد به دون هذه الأمور قال (والهواء يختلف على قدر العوامل) فيه من
تحت ومن فوق ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له وهو جسم رقيق وهو في ذلك
محصور وهو خوار سريع القبول وهو مع رفته يقبل ذلك الحصر مثل عمل الريح
والزق فلها تدفعه من جوانبه وذلك لعله الحصر واقطعه عن شكاه والهواء ليس
بالجسم الصاعد والجسم النزال ولكنه جسم به تعرف المنازل والمصاعد والأور ثلاثة
شئ يصعد في الهواء وشئ ينزل في الهواء وشئ مع الهواء فكما أن المصعد فيه والمنحدر
لا يكونان الا مخالفتين فالواقف معه لا يكون الاموافقوا ولو ان انساناً أرسل من يده وهو
في قعر الماء زقا منفوخاً فارتفع الزق لدفع الريح التي فيه لم يكن القائل أن يقول ذلك
الهواء شأنه الصعود بل إنما ينبغي أن يقول من شأنه ان يصير الى جوهره ولا يقيم في
غير جوهره الا أن يقول من شأنه ان يصعد في الماء كما ان من شأن الماء ان ينزل في
الهواء وكما ان الماء يظلب تلاد الماء والهواء يظلب تلاد الهواء قالوا والنار اجناس كثيرة
مختلفة وكذلك الصاعد ولا بد اذا كانت مختلفة أن يكون بعضها أسرع من بعض أو
يكون بعضها اذا خرج من عالم الهواء وصار الى نهاية الى حيث لا منفذ لا يزال فوق
الآخر الذي صعد معه وان وجد مذهباً لم يقيم عليه ويدل على ذلك ان نجد الضياء
صاعداً والصوت صاعداً ونجد الظلام رائداً وكذلك البرد والرطوبة فاذا صح ن هذه
الاجناس مختلفة واذا حدث في جهة عامنا ان الجهة لا تخالف بين الاجناس ولا توفق
وان الذي يوفق منها اختلاف الاعمال ولا يكون القطعان متفقين الا بان يكون
سرورهما سواء واذا صار الى الغاية صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه كاتصال

بعضه بعض ثم لا يوجد أبداً إلا بالاعتدال وهما أفضل (قال أبو اسحق) فيستدل على ان الضياء أخف من الحرارة له ومددعيب ضوءه لأنون وتبني سخونته قال أبو اسحق لأمر ما حصر لموه في جوف هذا الملك ولا بد لكل حضور من أن يكون ثقابه وضغطه على قدر شدة الحصار وكذلك الماء إذا اختنق قال والريح هواء ترك لاغير فيلم قضاوا على طبع الهواء في جو عسيرة بالبدونة والهواء الذي يكون بقرب الشمس والهواء الذي بينهما على خلاف ذلك ولولا ان قوى البرد غريزية فيه لما كان مروحاً عن النفوس ومنفصلاً عن جميع الحيوان إذا اختنق في أجوافها البخار والوهج المؤذى حتى فرغت اليه واستغاثت به وصارت تجتلب من روحه وبرد نسيمه في وزن ما خرج من البخار الغليظ والحرارة المستكنة قار وقد علموا في اليبس من الخصومة والاختلاف وقد زعم قوم ان اليبس إنما هو عدم البلة قالوا وعلى قدر البلة قد تحول عليه الاسماء حتى قال خصومه بهم فتقولوا أيضاً إنما نجد الجسم يارد على قدر قلة الحر فيه وكذلك قالوا في الكلام ان الهواء إنما يتبع عندنا أنه مظلم بقدر ان الضياء ولان الضياء قرص قائم وشعاع ساطع فسال وايس للاضلام قرص ولو كان في هذا العالم شيء يقال له ضلام لما قام لا في قرص فكيف تكون لأرض قرصاً ولأرض غيرها ولا ينبغي أن يكون شعاع الشيء أسبغ منه قال ولولا ان لا يشبه القول في اليبس والالبلة والقول في الحر والبرد والقول في اليبس والرطوبة والقول في الخشونة واللين لان التراب لو كان كله يابسا وكان اليبس في جميع أجزائه شامعاً لم يكن بعضه أحق بالقطع والبرد والتهافت من الجزء الذي تجده متمسكاً قال خصومه ولو كان أيضاً التهافت الذي تجده فيه إنما هو لعدم البلة وكما قد عدم البلة لكان ينبغي لا يمكن ان يكون تهافتاً ولا نجد منه جزءين متلازمين فان زعمنا أنه إنما ختلف في التهافت على قدر اختلاف اليبس فينبغي لكم ان تجعلوا اليبس طبقات كما تجعل ذلك للفضرة والصغيرة وقال إبراهيم أرايت لو اشتمل اليبس لذي هو نية التراب كما عرض انصفه أما كان واجباً ان يكون الاقتراق دخلاً على جميع وفي ذلك القول بالجزء الذي لا يجزأ وأبو اسحق وان كان اعترض على هؤلاء في باب القول في اليبس فان المسألة عليه وذلك أشد وكان أبو اسحاق

يقول من الدليل على أن الضياء أخف من الحر أن النار تكون منها على قاب علوها فيأتيك ضوءها ولا يأتيك حرها ولو أن شمعة في بيت ذي سقف لا ترتفع الضوء في الهواء حتى لا تجرد منه على الأرض إلا الشيء الضعيف وكان الحر على شبيهه بحاله الأول وقال أبو اسحق زعمت الديبسية أن أصل العالم إنما هو من ضياء وظلام وأن الحر والبرد واللون والطعم والرائحة إنما هي نتائج على قدر امتزاجها فتقبل لهم وجدنا الخبز إذا اختلط باللبن صار جسيماً أغبر وإذا خلطت الصبر بالعسل صار جسيماً مر الطعم ومتى زدنا من أحدهما أعطانا من ذلك الطعم على حساب ما زدنا وكذلك نجد جميع المركبات فإنا إذا مزجنا بين شيتين من ذوات المناظر خرجنا إلى ذوات الملامس وإلى المذاقة والمشمة وهذا نفسه داخل على من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة التي هي نصيب حاسة واحدة وقال أبو اسحق إن زعم قوم أن ههنا حسا هو روح وهو ركن خامس لم يخالفهم وإن زعموا أن الأشياء يحدث لها حس إذا امتزجت بضر من المزاج فكيف صار المزاج يحدث لها حسا وكل واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا حس وكان مفسداً للجسم وإن فضل عنها أفسد حسها وعمل حكم قليل ذلك الأحكام كثيرة ولم لا يجوز أن يجمع بين ضياء وضياء فيحدث لهما منع الإدراك فإن اعتل القوم بالمزاج والعقص والماء وقاوا قد نجد كل واحد من هذه الثلاثة ليس بأسود فإذا اختلطت صارت جسيماً واحداً أشد سواداً من الليل ومن السبيح ومن الغراب (قال أبو اسحق) بيني وبينكم في ذلك فرق أنا أزعم أن السواد قد يكون كامناً ويكون ممنوع النظر فاذا زال مانعه ظهر كما أقول في النار والحجر وغير ذلك من الأمور الكامنة فإن قلتم بذلك فقد تركتم قواكم وإن أبيتم فلا بد من القول قال أبو اسحق وقد غلط أيضاً كثير منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغم ولو كان طباعه البلغم والبلغم لين رطب أبيض لما ازداد عظمه نحو لولا ولونه سواداً وجلده تقبضاً وقال النمر بن توب

كان مخطا في يدي حارثية * ضياع عات مني به الجلد من عل
وقال الراجز * وكثرت فواضل الأهاب * قال ولكنهم لما رأوا بدنه يتعفن

ويظهر من ذلك التفضن رطوبات بدنه كالبلغم من الفم والمخاط السائل من الانف
والرمص والدمع من العين ظنوا أن ذلك الكثرة ما فيه من أجزاء الرطوبات وأرادوا
أن يفسدوا الصبا والشباب والكهولة والشيوخة على أربعة أقسام كما يتبها لهم
ذلك في غير باب وإذا ظهرت تلك الرطوبات فإنما هي انفي اليبس لها ولعصره
قوي البدن ولو كان لدى ذكروا المكان دمع الصبا أكثر ومخاطه أغزر ورطوباته
أظهر وفي البقول والرياحين والأعصان والأشجار ذلك إذا كانت في الحدائة أرطب
وعلى مرور السنين والأيام أيبس قال الراجز

اسمع أنبئك بآيات الكبر * نوم العشي والسعال بالسحر
وسرعة الظهر وضعف في النظر * وتركى الحسناء في قبل الطهر
وحذر ازداده الى حذر * والناس يبيلون كما يبلى الشجر

وكان يتعجب من القول بالهويولى وكان يقول قد عرفنا مقدار رزاة البيلة وسنمطيكم
ان للبرد وزنا أيبس لدى لا تشكون فيه ان الحر خفيف ولا وزن له وانه اذا دخل
في جرم له وزن صار أخف وانكم لا تستطيتموا أن تثبتوا اليبس من الوزن مثل ما
تثبتون للبيلة وعلى ان كثيراً منكم يزعم ان البرد الجمد للماء هو أيبس وزعم بعضهم
ان البرد كثيراً ما يصاحب اليبس وان اليبس وحده لو حل بالماء لم يجمد وان البرد
وحده لو حل بالماء لم يجمد وان الماء أيضاً يجمد لاجتماعهما عليه وفي هذا القول ان
شيئين مجتمعين قد اجتمعا على الاجماد فالتشكرون أن يجتمع شيئان على الاذابة وان
جاز للقبس أن يجمد جاز للبيلة أن تذيب قال أبو اسحق فان كان بعض هذه الجواهر
صماداً وبعضها نزالاً ونحن نجد الذهب أثقل من مثله من هذه الاشياء النزالة فكيف
يكون أثقل منها وفيه أشياء صمادة فان زعموا أن الخنة انما تكون من التحايل والسخف
وكثرة أجزاء الهواء في جرم فقد ينبغي أن يكون الهواء أخف من النار وان النار في
الحجر كما أن فيه هواء والنار أقوى على رفع الحجر من الهواء الذي فيه وكان يقول
من الدليل على أن النار كامنة في الحطب ان الحطب يحرق بمقدار من الاحراق ويمنع
الحطب أن يخرج جميع ما فيه من النيران فيجعل دخاناً فتى أحببت أن تستخرج الباقي

من النار استخرجته فترى النار عند ذلك يكون لها لهب دون الضرام فتي أخرجت تلك النار الباقية ثم أوقدت عليها ألف عام لم تستوقد وتأويل لم تستوقد إنما هو ظهور النار التي كانت فيه فإذا لم يكن فيه شيء فكيف يستوقد وكان يكرر التمجيب من ناس كانوا ينافسون في الرأسة إذ رآهم يجهلون جهل صغار العلماء وقد ارتفعوا في أنفسهم إلى مرتبة كبار العلماء وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فينقيه فيقول ابن تلك النار الكامنة مالى لأراها وقد ميزت العود فشراب بعد قشر فكان يقول في الأشياء الكامنة إن لكل نوع منها نوعاً من الاستخراج وضرباً من العلاج فالعبدان تخرج نيرانها بالاحتكاك والابن يخرج زبده بالخض وجبته يجمع بانفحة وبضروب هي علاجه ولو أن إنساناً أراد أن يخرج القطران من الصنوبر والزفت من الأرزلم يكن يخرج له بان يقطع العود ويذقه ويقشره بل يوقد له ناراً بقربه فإذا أصابه الحر عرق وصار في ضروب من العلاج ولو أن إنساناً مزج بين الفضة والذهب وسبكها بسبكها واحدة ثم أراد أن يزل أحدهما من صاحبه لم يمكنه ذلك بالفرض والدق وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصاغة وأرباب الجمانات وزعم أبو اسحق إن ارسطاطا ليس كان يزعم أن الماء الممازج للأرض لم ينقب أرضاً وإن النار الممازجة للماء لم تنقب ماء وكذلك ما كان من الماء في الحجر ومن النار في الأرض والهواء وإن الأجرام إنما يخف وزنها وتستخف على قدر ما فيها من التحليل ومن أجراء الهواء وأنها توزن وتصاب وتمتن على قدر قلة ذلك فيها ومن قال هذا القول في الأرض والماء والنار والهواء وفيما تركب منها من الأشجار وغير ذلك لم يصل إلى أن يزعم أن في الأرض عرضاً يحدث وبالحر أن يعجز عن تثبيت لون الماء والأرض والنار عرضاً وإذا قال في تلك الأشجار تلك القالة قال في الطول والعرض والعمق وفي التربع والتثليث والتدوير بجواب أصحاب الأجسام لا يلزم أصحاب الأعراض أصحاب الأجسام بقولهم في تثبيت السكون والحركة أن القول في حرك الحجر كقول في سكونه وكذلك أصحاب الأجسام يلزمون كل من زعم أن شيئاً من الأعراض لا ينقض وإن الجسم يتغير في المداقة والملمسة والمنطقة والمشممة من غير لون الماء وفي برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك

ومتى وجدنا طينة مربعة صارت مدورة فليس ذلك بتحدوث تدوير لم يكن فكان
عند تغيره في العين أولاً من غير الطينة في العين من البياض ان السواد سبيل الصلابة والرخاوة
والثقل والخفة سبيل الحلاوة والملوحة والحرارة والبرودة وليس بقياس القول في
الاعراض الا من قال بالاستحالة وليس في الاستحالة شيء أقبح من قولهم في استحالة
الجبيل الصغير الى مقدار خردلة من غير ان يدخل أجزاءه شيء على حال فهو على
قول من زعم ان الخردلة تتصف أبداً أحسن فاما اذا قال بالجزء الذي لا يتجزأ وزعم ان
أقل الاجسام الذي تركيبه من ثمانية أجزاء لا يتجزأ أو ستة أجزاء لا يتجزأ يستحيل جسماً
على قدر طول العالم وعرضه وعمقه وناو وجدناه كذلك لم نجد بدا من ان نقول انا
لو رفعناه من اوهامنا من ذلك شبراً من الجميع فان كان مقدار ذلك الشبر جزءاً واحداً
فقد وجدناه جسماً أقل من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء وهذا نقض الاصل مع ان الشبر
لذي رفعناه من اوهامنا فلا بد ان كان جسماً ان يكون من ستة أجزاء او من ثمانية أجزاء
وهذا كله فاسد لان النار حر وضياء والكل ضياء بياض ونور وليس لكل بياض نور
وضياء وقد غلط في هذا المقام عالم من المتكلمين والضياء ليس بلون لان الالوان
تتفاسد وذلك شائع في كايا ونعام في جميعها فالابن والحبر يتفاسدان ويتابع التراب
اليابس والماء السائل كما تتزوج الحار والبارد والحلو والحامض فصنيع البياض في السواد
كصنيع السواد في البياض والتفاسد الذي يقع بين الخضرة والحمره فبذلك الوزن يقع
بين البياض وجميع الالوان وقد رأينا ان البياض مباح مفسد كسائر الالوان فان قد
ترى الضياء على خلاف ذلك لانه اذا سقط على الالوان المختلفة كان عمله فيها عملاً
واحداً وهو التثقيب بين اجناسها وتميز بعضها من بعض فيبين من جميعها ابانة واحدة
ولا ترده يخص البياض الا بما يخص بثله السواد ولا يعمل في الخضرة الا مثل عمله
في الحمره فدل ذلك على ان جنسه خلاف اجناس الالوان وجوهه خلاف جواهرها
وتما يدل على اختلاف جواهره اختلاف الاعمال واتفاقها تعرف
اختلاف الاجسام واتفاقها

(وجملة القول في الضد والخلاف والوافق) قالوا الالوان كلها متضادة وكذلك الطعوم

وكذلك الاراييح وكذلك الاصوات وكذلك الملابس من الحرارة والبرودة واليبس والرطوبة والرخاوة والصلابة والخشونة وهذه جميع الملابس وزعموا ان التضاد انما يقع بين نصيب الحاسة الواحدة فقط فاذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسة الواحدة من المحسوسات خلاف نصيب تلك الحاسة ولم يضادها بالفسد كاللون ولون لمكان النفاسد والطعم والرائحة لمكان النفاسد ولا يكون الطعم ضد اللون ولا اللون ضد الطعم بل يكون خلافا ولا يكون ضدا ولا وفاقا لانه لا يكون وفاقا لانه من غير جنسه ولا يكون ضدا لانه يفسده وزعم من لا علم له من أصحاب الاعراض ان السواد انما ضاد البياض لانهما لا يتماقبان ولا يتماوتان ولانهما يتنافيان قال القوم لو كان ذلك من العملة كان ينبغي لذهاب الجسم قدما ان يكون بعرضه يضاد بعضاً لان كونه في المكان الثاني لا يوجد مع كونه في المكان الثالث وكذلك التربع كطينة لو ربت بعد تشليها ثم ربت بعد ذلك ففي قياسهم ان هذين التريعين ينبغي لهما ان يكونا متضادين اذا كانا متنافيين لان الجسم لا يحتمل في وقت واحد طواين وان الضد يكون على ضدين يكون احدهما يخالف الشيء من وجوده عدة والآخر يخالفه من وجهين فقط قالوا والبياض يخالف الحمرة وبضادها لانه يفسدها ولا يفسد الطعم وكذلك البياض للصفرة والحمرة والخضرة فاما السواد خاصة فان البياض يضاده بالنفاسد وكذلك النفاسد وكذلك السواد وبقي لهما خاصته من النصول في ابواب المضادة ان البياض ينصبغ ولا يصبغ والسواد يصبغ ولا ينصبغ وايس كذلك سائر الالوان لانها كلها تصبغ وتنصبغ قالوا فهذا باب مايساق

— — — — —

— باب آخر —

ان الصفرة متى اشتدت صارت حمرة ومتى اشتدت الحمرة صارت سواداً وكذلك الخضرة متى اشتدت صارت سواداً والسواد للبياض مضادة تامة وصارت الالوان الأخر فيما بينها تضاد عادة وصارت الطعوم والاراييح والملابس تخالفها ولا تضادها وقد جعل بعض من يقول بالاجسام هذا المذهب دليلاً على أن الالوان كلها انما هي

من السواد والبياض وانما يختلفان على قدر المزاج وزعموا أن في الحقيقة انما هو البياض
والسواد وحكموا في المقالة الاولى بافوة للسواد على البياض اذا كانت الالوان كلها
كلا شئت قربت من السواد وبعدت من البياض فلا تزال كذلك الى أن تصير
سواداً وقد ذكرنا قبل هذا قول من جعل الغضياء والبياض جنسين مختلفين وزعم ان
كل ضياء بياض وايس كل بياض ضياء وما كان أحوجنا وأحوج جميع المرضى أن يكون
جميع الاطباء متكلمين ولى أن يكون المتكلمون علماء فان الطب لو كان من نتيج حذاق
المتكلمين ومن تلقى بهم له ما نجد في لاصول التي يذنون عليها من الخلال ما نجد وزعموا
أن النار حمراء وذهبوا الى ما ترى العين والنار في الحقيقة بيضاء ثم قالوا على خلاف
الحقيقة المرّة الحمراء وشبهوها بالنار ثم زعموا أن المرّة الحمراء مرة وأخفق بالدخان أن
يكون مرّاً وايس الدخان من النار في شيء وكل نور وضياء هو أبيض وانما يحمر في
العين بالمرض الذي يمرض للعين فاذا سلمت من ذلك وأفضت اليه العين رآته أبيض
وكذلك نار العود تنفصل من العود وكذلك انفصال النار من الدهن ومعهما الدخان
ملايساً لاجزئها فاذا وقعت الحاسة على سواد أو بياض في مكان واحد كان نتاجها في
العين منتظرة الحرة ولو أن دخانا عرض بينك وبينه قرص الشمس وبين القمر لرايته
أحمر وكذلك قرص الشمس في المشرق أحمر وأصفر للبخار والغبار الممرض بينك
وبينه والبخار والدخان أخوان متى تحلق القرص في كبد السماء فصار على قبة رأسك
ولم يكن بين عينيك وبينه الا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع في الهواء صعداً
وذلك يسير قليل فلا تراه حينئذ لا في غاية البياض واذا انحط شرقاً أو غرباً صار كل
شيء بين عينيك وبين قرصها من الهواء ملايساً للغبار أو الدخان والبخار وضرب
الضباب والسواد فتراها اما صفراء واما حمراء ومن زعم ان النار حمراء فلم يكذب
ان ذهب الى ما ترى العين ومن ذهب الى الحقيقة والمعلوم في الجوهرية فزعم انها
حمراء ثم قاس على ذلك جهل وأخطأ وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النقط
الازرق والاسود والبيض وذلك كله يدور في العين مع كثرة الدخان وقلته ونجد
النار تتغير في ألوانها في العين على قدر جنوف لحطب ورطوبته وعلى قدر اجناس

العيان والادهان فنجدها شقراء ونجدها حمراء ونجدها خضراء اذا كان حطها مثل
الكبريت الاصفر ونجد فوق السحاب مختلفاً في الحمرة والبياض على قدر المقابلات
والاعراض ونجد السحابة بيضاء فاذا قابت الشمس بمض المتقابلة فإن كانت السحابة
غربية أفقية والشمس منحطة رأيتها صفراء ثم حمراء ثم سوداء تعرض للمعين ابيض
ما يدخل عليها وقال الصلتان الفهمي في النار

وتوقدها شقراء في رأس هضبة * ليمشوا اليها كل باغ وجازع

وقال مزرد بن ضرار

فابصر ناري وهي شقراء أوقدت * بعلماء نشر للميوت النواظر

وقال آخر

ونار كسحر العود يرفع ضوءها * مع الليل هبات الرياح الصوارد

والغبار يناسب بمض الدخان ولذلك قال طفيل الغنوي

اذا هبطت سهلاً كان غباره * بجانبها الاقصى دواخن تنضب

لان دخانه يكون أبيض يشبه الغبار وناره شقراء والعرب تجمع الدخان دواخن وقال

الازرق الهمداني

ونوقدها شقراء من فرع تنضب * وللاكت أروى للنزال وأشبع

وذلك ان النار اذا ألتى عليها اللحم فصار لها دخان أصابت بدخان ماء اللحم وسواد

القتار وهذا يدل أيضاً على ما قلنا وفي ذلك يقول الهيبان الفهمي

له فوق البحار جفان شيزى * ونار لا تضرم للصلاء

ولكن للطبخ وقد عراها * طليح اللحم مستب الفراء

وما غذيت بغير لظي فنارى * كرتيم الغمامة ذي العفاء

وقال سحر العود

له نار تشب على يفاع * لكل مرعب الأهدام بالي

ونار فوقها جزر رحاب * مبيجة تقاذف بالحما

ويدل أيضاً على ما قلنا أن النار يختلف لونها على قدر اختلاف جنس الدهن

ولحطب ولدخان وعلى قدر كثرة ذاك وقائه وعلى قدر يسره ورطوبته قول الراعي
حين أراد أن يصف لون ذئب فقال

وقع الربيع وقد تقارب خلوده * وأرى به تقونه أزل - سيولا
متوقع الأقران فيه شبيهة * هس اليبدين تخاله مشكولا
كدخان مرئجل بأعلا تامة * غرنان ضم عرجاً مبلولا

المرئجل الذي أصاب رجلاً من جراد فهو يشويه وجعل غرنان لطول الفرس
لا يختار الحطب اليابس على رصبه فهو يشويه بما حضره وأدار هذا الكلام ليكون
لون لدخان بلون لذئب لأطحل متفتين وزرادشت هو الذي عظم النار وأمر باحيائها
ونهى عن إطفائها ونهى الحبيض عن مسها والدبو منها وزعم أن العقاب في الآخرة
انما هو بالبرد والزمهرير والدمق وزعم أصحاب الكلام أن زرادشت وهو صاحب
الجبوس جاء من باخ وادعي أن الوحي نزل عليه على جبال سيلان وأنه حين دعا
لسكان تلك الناحية الباردة الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد ولا يضربون المثل إلا
به حتى يقول الرجل لعبد الله عدت إلى هذا لأزعن ثيابك ولا قيمتك في الريح
ولا وقتك في الثلج فلما رأى موقع البرد منهم هذا الموقع جعل الوعيد بتضاعفه
وضمن أن ذلك أزجر لهم عما يكره وزرادشت في توعده تلك الأمة بالثلج دون النار
مقر بأنه لم يمت إلا إلى أهل الجبال وكأنه إذا قيل له أنت رسول إلى من قال لأهل
البلاد الباردة الذين لا بد لهم من وعيد ولا وعيد لهم إلا بالثلج وهذا جهل منه ومن
استجاب له أجهل منه والثلج لا يكمل مضادة النار فكيف يبلغ مبلغها والثلج يؤكل
ويشرب ويقضم فظما ويمزج بالاشربة ويدفن فيه الماء وكثير من الفواكه وربما أخذ
بعض المترفين التظمة منه كإمامة الثور فيضهها على رأسه ساعة من نهار ويتبرد بذلك
ولو أفام إنسان على قطعه من الثلج مقدار صخرة في خمسين ربح ساعة من نهار لما
خيف عليه إلا المرض فقط ولو كان المبالغة في التغير والرجز أرادوا إليه قصد الذكر
لما هو في الحقيقة عند الأمم أشد ولو عيد بما هو أشد وبما يرم بالخوف سكان البلاد
الباردة والحارة أشبه إذ كان المبالغة يريد والثلج قد يدوي به بعض المرضى ويتولد

فيه الدود وتخوضه الحوافر والاضلاف والاخفاف والاقدام بالليل والنهار في الاستنار وفي أيام الصيد يهون على من شرب خمسة أرطال نبيذ أن يمدوا عليه خمسة أشواط وقد عارضني بعض الجوس وقال فاعل أيضاً صاحبكم إنما توعد أصحابه بانبار لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دمن وإنما هي ناحية الحرور والوهج والسموم لأن ذلك المكره أزرلهم فرأي هذا الجوسي أنه قد عارضني فقلت له إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف وشدة البرد في الشتاء لأنها بلاد صخور وجبال والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سميت الفرس بالفرسية العرب ولا عراب كيهان والكه بالفرسية هو الجبل فتى أحببت أن تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء وحرها في الصيف فانظر في أشعارهم وكيف قسموا ذلك وكيف وضعوه انعرف أن الخاتين سواء عندهم في الشدة والبلاد ليس يشتد بردها على كثرة الثلج وقلته فتعد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل والماء ليس يجمد للبرد فقط فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر وقد تكون الليلة باردة جداً وتكون متغيرة فلا يجمد الماء، ويجمد فيما هو أقل منها برداً وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الرياح على خلاف ما يتقدرون ويظنون وقد خبرني من لا أرتاب بخبره أنهم كانوا في موضع من الجبل يستغنون به بلبس المبطنات ومتى صبوا ماء في إناء زجاج ووضعوه تحت السماء حمد من ساعته فليس جمود الماء بالبرد فقط ولا بد من شوط ومقادير واختلاف جواهر ومقالات أحوال كسرعة البرد في بعض الأدهان وإبطائه عن بعض كاختلاف عمله في الماء المغلي وفي الماء المتروك على حاله وكاختلاف عمله في الماء والنيذ وكما يمتري البول من الخشورة والجمود على قدر طبائع الطعام والقلة والزيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار فيستحيل من الحرارة الى مقدار لا يستحيل اليه ما عو أحر وحجة أخرى على الجوس ذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو كان قال لم أبعث الا الى أهل مكة لكان له متعلق من جهة هذه المعارضة فأما وأصل نبوته والذي عليه مخرج أمره وابتداء مبعثه الى ساعة وفاته أنه المبعوث الى الأحمر والأسود والى الناس كافة وقد قال الله تعالى (قل أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقد قال تعالى (نذيراً للبشر) فلم يبق أن يكون

مع ذلك قولهم معارضة وأن يمد في باب الموازنة ومما قالوا في البرد قول الكميت

إذ التفت دون الفتاة الضجيع * وزحزح ذو الفروة المزمع

وراح الفنيق مع لرائحات * كإحدى أوائلها المرسل

وقال الكميت أيضاً في مثل ذلك

وجاءت الريح من تلقاء مغربها * وضن من قدره والقدر بالعقب

وكهك المذبح المقرور في يده * واستدفا الكاب في المأسور ذي الذنب

وقال في مثله جران العود

ومشبوخ الاشاجع أريحي * بميد السمع كالقمر المنير

رفيع الناظرين الى المعالي * على العلات في الخلق اليسير

يكاد الحمد ينضح من يديه * إذا دفع اليتيم عن الجزور

وأجأت الكلاب صبا بليل * وآل نباحهن الى الحرير

وقد جمعت فتاة الحى تدنو * مع الهلاك من عرق القدور

وقال في مثل ذلك ابن قتيبة

ليس طعمي طعم الانامل اذ قاصص * در اللقاح في الصنبر

ورأيت الاماء كالجمهر البالي * لى كوفى على قرارة بدر

ورأيت الدخان كالودع الالهجن * يتباع من وراء النستر

حاضر شرهم وخيركم ذو * حرسى من الارانب بكر

وقال في مثل ذلك

وإذا العذارى بالدخان تقنمت * واستعجت نصب القدور فمات

درت بارزاق العباء ممالق * يدي من قمع العشار الجلات

وقال الهذلي

وايلة يصطلى بالثرث جازرها * يختص بالنقري المثرين داعيها

لا ينبح الكاب فيها غير واحدة * من العشاء ولا تسمى أفاعيها

وفي الحمد والبرد والازمان يقول الكميت

وفي السنة الجراد يكون غيثاً * اذا لم تمط درتها الغنوب
 وزوجت اللقاح مبهلات * ولم تمطف على الربيع السلوب
 وكان السرف للفتيان قوتاً * يعيش به وهيبات الرقوب
 وفي هذه القصيدة يقول في شدة الحر
 وخرق تمزف الجنان فيه * لأفئدة الكماة لها وجيب
 قطعت ظلام آياته ويوما * يكاد حصي الاكام به يذوب
 وقال آخر لمعشوقته

وأنت التي كلفتي البرد شاتيا * وأوردتني فانظري أي مورد
 فما ظنك ببرد يؤدي هذا العاشق الى أن يجمل شدته عذراً له في تركه الالمام بها وترك
 هذه القصيدة قوله

فياحسنها إذ لم أعج أن يقال لي * تروح فشييعنا لي ضحوة الغد
 فأصبحت مما كان بيني وبينها * سوى ذكرها كالتابض الماء باليد
 ومما يقع في الباب قبل هذا ولم نجد له بابا قول مسكين الدارمي

واني لا أقوم على فناتي * أسب الناس كالكلب العقور
 واني لا أحل بطن واد * ولا أوى إلى البيت القصير
 واني لا أخادص عقد ناد * ولا أدعو دعاءى بالصغير
 ولست بقائل للعبد أوقد * إذا أوقدت بالعود الصغير

ولو تأملت دخان أتون واحد من ابتدائه الى انقضائه لرأيت فيه الاسود الفاحم
 والابيض الناصع والمواد والبياض هما الغاية في المضادة وذلك على قدر البخار والرطوبات
 وفيما بينهما ضروب من الالوان وكذلك الرماد منه الاسود ومنه الابيض ومنه الاصهب
 ومنه الحصيف وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره فهذا بعض
 ما قالوا في البرد وسندكر بعض ما قالوا في صفة الحر قال مضر بن زرارة بن لقيط

ويوم من الشمرا كان ظباءه * كواكب مقصور عليها تورها
 تدلت عليه الشمس حتى كأنه * من الحر يرمى بالسفينة نورها

سجود لذي الارطى كان رؤسها * علاها صداع أوقوار يصورها

وقال القطامي

فهن ممرضات والحصى رمض * والريح ساكنة والظل ممتدل

حتى وردن ركيات الغوير وقد * كاد الآل من الكتمان يشتمل

وقال الشماخ بن ضرار

كان فتودى فوق جاب مطرد * من الحقب لاحته الجداد الغوارز

طوى ظمئها في بيضة القيظ بمدما * جرت في عنان الشعريين الاماعز

وظلت يثؤود كأن عيونها * الى الشمس هل تدنوركي نواكز

ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدمان الشماخ بغاية التقديم وقال الراعي

ونار ودقيقة في يوم هيج * من الشعري نصبت لها الجبينا

اذا معزاهما جرة أرثت * جناد بها وكان العيس جونا

وقال مسكين الدارمي

وهاجرة صليت كأن ظباءها * اذا ما أنقها بالقرون سجود

تلوذ اشؤوبوب من الشمس فوقها * كما لاذ من حر السنان طريد

وقال جرير

وما جر موماة بمثت الى السرى * وللنوم أحلي عنده من جني النجل

يكون نزول الركب فيها كلاؤها * عشاها ولا يدنون رحلا الى رحل

ليوم أت دون الظلال سهومه * وظل المهبي صوراً جماجمها تغلى

وفيها يقول جرير

تمني رجال من تميم الى الردا * وما زاد عن أحسابهم ذئد مثلي

وقال أبو اسحق أخطأ من زعم ان النار تصعد في أول العود وتحد وتنفوس فيه وتظهر

عليه وتأخذ منه غرضاً وقال العود النار في جيمه كاملة وفيه سائحة وهي أحد أخلاطها

والجزء الذي لا يرى منها في الطرف الاول غير الجزء الذي في الوسط وغير الجزء الذي

في الطرف الآخر فاذا احتك الطرف خمي زال منه وظهرت النار التي فيه واذا ظهرت

هي لشدة حرها الموضع الذي يابها وتنفى أيضاً ما نعه وكذلك الذي في الطرف الآخر ولكن
 الانسان اذا رأى النار قد اتصت في العود كماه وظهرت أولاً فو لا حين أن جزءه الذي
 كان في المكان الاول قد سرى الى المكان الثاني ثم الى المكان الثالث فيخبر عن ظاهر
 ما يرى ولا يعرف حقيقة ما يظن من شأنها (وقال أبو اسحق) ولو كانت العودان كماها
 لانار فيها لم يكن سرعة ظهورها من العراجين ومن المريح والمغفار أحق منها بعود
 العناب والبردي وما أشبه ذلك لكنها كانت في بعض العودان أكثر وكان ماؤها
 أضعف وكان ظهورها أسرع وأجزاؤها اذا ظهرت أعظم وكذلك ما كان منها في
 الحجارة ولو كانت أجناس الحجارة مستوية في الاسرار فيها لما كان حجر المرو أحق
 بالقدح اذا صك بالقداحة من غيره من الحجارة ولو طال مكثه في النار وتبخ عليه
 بالكبير ولم صار لبعض العودان جمر باق وبعضها جمر سريع الانحلال وبعضها لا يصير
 جمر ولم صار البردي مع مشاشته وبسه ورخاوته لا تعمل فيه النيران ولذلك اذ وقع
 الحريق في السوق سلم كل مكان يكون بين أضعاف البردي ولذلك ترى النار سريعة
 الانطفاء في أضعاف البردي ومواقع جميع الليف (وقال أبو اسحق) فلم تختلف في ذلك
 الا على قدر ما يكون فيها من النار وعلى قدر قوة الموانع وضعفها ولم صارت تقدح
 على الاحتكاك حتى تلهب كالساج في السفر اذا اختلط بمضه ببيض عند تحريك
 الامواج لها ولذلك أعدوا لها الرجال لتصب من الماء صباداً وتدره لريح فتحك
 عودان الأغصان في الغياض فتلهب نار فتحدث نيران ولم صار العود يحمى ذلك
 بغيره ولم صار الطاق لا يحمى فان قلت الطبيعة هناك فهل دللته ونا الا على سمه علقته وود على
 غير معني وجدتموه أو اسنا قد وجدنا عيون ريح وعيون ماء حارة وعيون ماء باردة مضه
 البيض وينطف الجلد وبمضها يجمد الدم ويورث الكزاز أو اسنا وجدنا عيون نار في زعمهم
 أن الريح والماء كانا مختلفين في بطون الارض لم تجوزوا لنا مثل ذلك في النار وهل بين
 اختلاف الريح والماء فرق وهل الريح الاهواء تحرك وهل بين الخنق والسكن من فرق
 (وزعم أبو اسحق) أنه رمي بردائه في بئر النبي صلى الله عليه وسلم التي من حريق مكة فردته
 الريح عليه وحدثني رجل من بني هاشم قال كنت برامة من طريق مكة فرميت في

بشرها بهيرة فرجعت الى ثم أعدتها فرجعت فرميت بحصاة فسمعت لها خريقا وحفيفا
شديدا وشبيها بالجولان الى ان بلغت قرار الماء وزعم أبو اسحق أنه رأى عين نار في
بعض الجبال يكون دخانها نهارا و ليلا أو ليس الاصل الذي نبي عليه أمرهم أن جميع
الابتن من الاخلاط الاربابة من النار والماء والارض والهواء فاذا رأينا موضعا من
الارض يخرج منه ماء قلنا هذا أحدت الاركان فما بانا إذا رأينا موضعا من الارض
يخرج منه نار لم نقل مثل ذلك فيه ولم لا نقول في حجر النار إنه متى وجد أخف
من مقدار جسمه من الذهب والرصاص أو الزئبق انما هو لما خالطه من أجزاء الهواء
لرافمة له وإذا وجدناه أعناك علو كة وأمتن منانة وأبد من التهافت جعلنا ذلك لما
خالطه من أجزاء الماء وإذا وجدناه ينقض الشرر ويظهر النار جعلنا ذلك للذي خالطه
ولم جعلناه اذا خف من شيء لمقدار جسمه لما خالطه من أجزاء الهواء ولا نجعله
كذلك لما خالطه من أجزاء النار ولا سيما اذا كانت العين نجده يقدح بالشرر ولم
نجر أجزاء الهواء فيه عندنا عيانا فم أنكرنا ذلك وهذه القصة توافق الاصل الذي
بنوا عليه أمرهم قال أو ليس من قوله إنه لولا النيران المتحركة في جوف الارض التي منها
يكون البخار الذي يعضها أرضي وبعضها مائي لم يرتفع ضباب ولم يكن صدا ولا مطر
ولا نداء ومتى كان البخار حارا يابساً قدح وقذف بالنار التي تسمى الصاعقة اذا
اجتمعت تلك القوى في موضع منه كان كانت القوى رنحا كان لها صوت وان كانت
نارا كانت لها صواعق حتى زعم كثير من الناس وذلك شائع على أفواه الاعراب
والشعراء قال أبو الهول الحميري

حاز صمامة الزيدي من بي * من جميع الانام موسي الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أطبقت عليه الجفون

أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم ساطت به الزعاف المنون

وقل منه آخر

يكفيك من قلع السماء عقيقة * فوق لذرَاع ودون بوع الباع

قال الاصمعي الاعمق تشقق البرق ومنه وصف السيف بالعقيقة وأنشد

* وسيفي كالعقيقة وهو كمي * وقال الاخطال
وأرقي من بعد ما تمت نومة * وعضب إباحي كالعقيق يمانى

.....

﴿ ونذكر بعون الله وتأييده جملة من القول في الماء ﴾

﴿ ثم نصير الى ذكر ما ابتدأنا به من القول في النار ﴾

ذكروا ان الماء لا ينفذو وانما هو مركب وممبر وموصل للغذاء واستدلوا لذلك بان كل رقيق سيال فانك متى طبخته انعقد الالماء وقالوا في القياس انه لا ينعقد في الجوف عند طبخ الكبد له فاذا لم ينعقد لم يجيء منه لحم ولا عظم ولأننا لم نر انسانا قط اغتذا وثبت عليه روحه وأن السمك الذي يموت عند فقده لا يغدوه سواء مما يكون فيه دونه قال خصمهم انما صار الماء لا ينعقد لانه ليس فيه قوى مستفادة مأخوذة من قوى الجواهر والماء هو الجوهر القابل لجميع القوى فبضرب من القوى والقبول يصير دهنا وبضرب آخر يصير فخلا وبضرب آخر يصير دما وبضرب آخر يصير ابنا وهذه الامور كلها انما اختلفت بالقوى العارضة فيها فالجواهر المنقلب في جميع الانسام السائلة انما هو الماء فيصير عند ضرب من القبول دهنا وعند ضرب من القبول ابنا وعصير كل شيء مأوؤه والقابل اقوى ما فيه فاذا طبخت الماء صرفا سالما على وجهه ولا قوي فيه لم ينعقد وانحل بخاراً حتى يتباني وانما ينعقد الكائن من الملامس له فاذا صار الماء في البدن وحده لم يكن فيه قوى لم ينعقد وانما هو انعقاد ما فيه والماء لا ينجس من بعض القبول ولكن البعض لا ينعقد ما لم يكثُر وزعم أصحاب الاعراض أن الهواء سريع الاستحالة الى الماء وكذلك الماء الى الهواء للمناسبة التي بينهما من الرطوبة الرقة وانما هما غير سيارين ويدل على ذلك اجتذاب الهواء للماء وملايسته له عند مس الانسان اليه فم الشربة ولذلك سرى الماء وجرى في جوف قصب الخيزران إذا وضعت طرفه في الماء وكذلك الهواء فيه ظلام ليل وضياء النهار وما كان فيه من الاشباح والحذقة لا ترى من الضياء العارض في الهواء ما تباعد منها والماء يرق فيكون له وهن يكون عمقه مقدار عدل فيكون له لون فان بعد غوره

وأفرط عمقه رأيته أسود وكذلك يحكون عن الدرود ويزعمون أن عين حوارة ترمى
بمثل الزنوج فتجد الماء جنساً واحداً ثم تجد ذلك الجنس أبيض إذ قل عمقه وأخضر
إذا كان وسطاً وأسود إذا بعد غوره وبخلاف منظره على قدر اختلاف إنائه وأرضه
وما يقابله فدل ذلك على أنه ليس بذى لون وإنما يعتربه في التخييل لون ما يقابله
ويحيط به وأما هذه الأمور إذا تعاقبت أن تصنع في العين أموراً فيظن الإنسان مع
قرب المجاورة والاتباس أن هذه الألوان المختلفة إنما هي لهذا الماء الرائق الخالص
الذي لم يتقرب في نفسه ولا عرض له ما يقابله وكيف يعترض له ويقابله وعين كل واحد
منهما غير عين صاحبه وهو يرى الماء أسود كما يرى متى أخذ منه أحد غرفة رآه كهيئته
إذا رآه قليل العمق ويتشابهها أيضاً سرعة قبولها للاحر والبرد والطيب والنتن والنساذ
والصلاح قال أبو اسحق قال الله عز وجل ذكر العامة على عباده وامتنانه على خلقه فذكر
مأعاهم به من الماعون (أفرايت النار التي توردون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)
وكيف قال شجرتها وليس في تلك الشجرة شيء وجوفها وجوف الطاق في ذلك سواء
• وقدرة الله على أن يخلق النار عند مس الطاق كقدرته على أن يخلقها عند حك العود
وهو تعالى وعز لم يرد في هذا الموضع إلا التعجيز من اجتماع النار والماء وهل بين
قواكم في ذلك وبين من زعم أن البدن الجيد والردي والماء العذب والمالح والسبخة والحرة
الرخوة والزمن الخائف والموافق سواء وليس بينهما من الفرق إلا أن الله شاء أن
يخلق عند اجتماع هذه حبا وعنبا وقضبا وزيتونا وخلادون تلك الأضداد ومن قال
بذلك وقاده في جميع ما يلزم من ذلك قال كقول الجهمية في جميع المقالات وصار إلى
الجهالات وقال بانكار الطبائع والحقائق وقال الله عز وجل (هو الذي جعل لكم من
الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) ولو كان الأمر في ذلك على أن يخلقها
ابتداء لم يكن بين خلقها عند اخضرار الشجر اليابس البشيم فرق ولم يكن لذكر
الخضرة الدالة على الرطوبة معنى وقد ذكرنا جملة من قولهم في النار وفي ذلك بلاغ
لمن أورد معرفة هذا الباب وهو مقدار قصد الاطويل ولا قصير (فأما القول في نار
جهنم وفي سوادها ودوامها وتسعرها وخبوتها) والقول في خلق السماء من دخان

والجان من نار السموم وفي مفخر النار على الطين وفي احتجاج ابايس بذلك فإننا
 سندكر من ذلك جملة في موضعه ان شاء الله تعالى (ونحن راجعون في القول في النار)
 الى مثل ما كنا ابتدأنا به القول في صدر هذا الكلام حتى نأتي من أصناف النيران
 على ما يحضرنا ان شاء الله تعالى (قالوا) وليس في العالم جسم صرف غير ممزوج ومرسل
 غير مركب ومطلق القوى غير محصور ولا مصور أحسن من النار قال والنار سماوية
 علوية لان النار فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الهواء ويقولون شراب
 كأنه النار وكأن لون وجهها النار واذا وصفوه بالذكاء قالوا ماهو الا نار واذا وصفوا
 حمرة العرض وحمرة الذهب قالوا ماهو الا نار قال وقات هند هذا والله وأنا أحسن
 من النار الموقدة وأنا أقول لم يكن بها حاجة الى ذكر الموقدة وكان قولها أحسن من
 النار يكفيها وكذلك اتهمت هذه الرواية وقال قدامة حكيم المشرق في وصف الذهن
 شعاع مركوم ونسم موقود ونور بصاص وهو النار الجامدة والكبيرت الاحمر وربما
 قال العتابي وجمال كل مجلس بأن يكون سقفه أحمر وبساضه أحمر وقال بشار بن برد
 هجان عليها حمرة في بياضها * تروق بها العينين والحسن أحمر

وقال أعرابي

هجان عليها حمرة في بياضها * ولا لون أدنى للهجان من الأحمر
 قال ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم في الآخرة من جميع أعدائه وليس يستوجبها
 بشرى من بشرى ولا جنى من جنى بضغينة ولا ظلم ولا جنابة ولا عدوان ولا
 تستوجب النار الا بعداوة الله عز وجل وحده وبها يشفى صدور أوليائه من أعدتهم
 في الآخرة وكل شيء أضافه الله الى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره وقد فعل ذلك
 بالنار فقالوا بأجمعهم دعه في نار الله وفي سقره وفي غضب الله وامنته وسخط الله
 وغضبه هما ناره أو الوعيد بناره كما يقال بيت الله وزوار الله وسماؤه الله وعرش الله ثم
 ذكرها فاهتن بها على أهل الأرض من وجهين أحدهما قوله عز وجل (لذي جعل
 لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) فجعلها من أعظم الماعون معونة
 وأخفها مؤونة والماعون الأكبر الماء والنار ثم الكلاً والملاح قال الشاعر في الماعون بيتاً

جامعاً أحسن فيه التأديبة حيث قال

لا تمدان أنابيين قد نزلوا * وسط الفلات بآلات محلات

والمحلات هي الأشياء التي إذا كانت مع المسافرين حلوا حيث شأوا وهي القساحة والقربة والمسحاة فقال إياك أن تمدل إذا أردت النزول من معه أصناف الماعون بأبوابين يعني واحداً أتى من هاهنا وآخر أتى من هاهنا كأنهم جماعة التقوا من غير تعريف بنسب ولا بلد وإذا تجمعوا أفذاذاً لم يكمل كل واحد منهم خصال المحلات قال أبو النجم

يضعفن بالقر أنابيات * معترضات غير عرضات

وقالت امرأة من الكفار وهي تحرض الأوس والخزرج حين نزل فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه

أطعمتم أنابيين من غيركم * فلا من مراد ولا مذحج

ولم ترد أنهما أشرف من قريش ومن الحبين كعب وعامر ولكنها أرادت أن تؤلب وتذكر العصبية وقالوا لا تبني المدن إلا على الماء والكلاء والمحتطب فدخات النار في المحتطب إذ كان كل عود يوري وأما الوجه الآخر من الامتنان بها فبما قوله تعالى (يرسل عليكم شواظاً من نار ونحاس فلا تنتصران) ثم قال على صلة الكلام (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس يريد أن يحرق الله عز وجل العبد بالنار من الآلهة ونعمائه ولكنه رأى أن الوعيد الصادق إذا في غاية لزجر عما يظف به ويؤذيه فهو من النعم السابقة والآلاء العظام وكذلك نقول في خالق جهنم إنها نعمة عظيمة ومنة جليلة إذا كان زجراً عن نفسه ناهياً وإلى الجنة داعياً فأما الوقوع فيها فما يشك أنه البلاء العظيم وكيف تكون النعم نعماً ولو كانت النعمة نعمة لكانت رحمة ولكن السخط رضى وليس يهلك على البينة إلا هالك وقال الله عز وجل (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وقال لحسن والله يابن آدم ماتوبقك إلا خطاياك قد أريد بك النجاة وأبيت إلا أن توقع نفسك وشهد الحسن بمض الأمر وقد تعدى إقامة الحمد وزاد في عدد الضرب فكلامه في ذلك فلما رآه لا يقبل النصيح قال أما إنك لا تضرب إلا نفسك

فان شئت فقل وان شئت فكثير وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك فما أصبرهم على النار (والعقاب عقابان) فعقاب آخرة وعقاب دنيا فجميع عقاب الدنيا بلية من وجه ونعمة من وجه إذ كان يؤذى الى النعمة وان كان مؤلماً فهو عن المعاصي زاجر وان كان داخل في باب الامتحان والتعبد مع دخوله في باب العقاب والنعمة إذ كان زجرآله وتنكيلا لغيره وقد كلفنا الصبر عليه والرضى به والتسليم لأمر الله فيه وعقاب الآخرة بلاء صرف وخزى بحت لأنه ليس بمخروج منه ولا يحتمل وجهين وقال أبو اسحق الحر في الشمس أصهب وفي النى أشكل وفي ظل الأرض الذى هو الليل أحمر وأى صوت خالطته النار فهو أشد الأصوات كالصاعقة والاعصار الذى يخرج من شق البحر كصوت الحزيم والجذوة من العود إذا كان في طرفه نار ثم غمسه في إناء فيه ماء نوي منفع ثم بالنار يعيش أهل الأرض من وجود فن ذلك صنيع الشمس في برد الماء والأرض لأنها صلاء جميع الحيوان عند حاجتها الى دفع عادية البرد ثم سراجهم الذى يستصبحون به والذى يميزون بضيائه بين الأمور وكل بخار يرتفع من البحار والمياه وأصول الجبال وكل ضباب يملو وندى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة على جميع النبات والحيوان فلما الذى يحله ويلطفه ويفتح له الأبواب ويأخذ بضبعه من قعر البحر والأرض النار المخالطة لها من تحت والشمس من فوق وفى الأرض عيون نار وعيون قطران وعيون نפט وكباريت وأصناف جميع الغاز من الذمب والنفضة والرصاص والنحاس فلولا ما فى بطونها من أجزاء النار لما ذاب فى قعرها جامد ولما أنسبك فى أضعافها شيء من الجواهر ولما كان لقواها جامع ٢ ولحبتها مفرق قال وتقول العرب الشمس أرحم بنا وقيل لبعض العرب أئى يوم أنفع قال يوم شمال وشمس وقال بعضهم لامراته

تمنين الطلاق وأنت عندي * تعيشى مثل مشرقة الشمال

وقال عمر الشمس صلاء العرب وقال عمر العربي كالبعير حيث ما دارت الشمس

استقبلها بهامته ووصف الراجز إبلاً فقال * تستقبل الشمس بجمجاتها *

وقال قطران العبسي

بمستأسد القرين حو تلاءه • فنواره ميل الى الشمس زاهره

والخيري ينضم ورقه بالليل وينفتح بالنهار لاسماعيل بن غزوان في هذا نادرة وهو
 أن سائلا سألنا من غير أهل الكلام فقال مبال ورق الخيري ينضم بالليل وينتشر
 بالنهار فانبرأ له اسماعيل بن غزوان لأن برد الليل وثقله من طباعها الضم والتقبض
 والتنويم وحر الشمس من طباعه الاذابة والنشر والبسط والخفة والايقاظ قال السائل
 فيما قلت دليل واكفنه قال اسماعيل وما عليك أن يكون هذا في يدك إلى أن تصيب
 شيئاً هو خير منه وكان اسماعيل أحمر حلماً وكذلك كان الحرابي وكنت أظن بالحر
 الالوان التسرع والحمة فوجدت الحلم فيهم أعم وكنت أظن بالسمان الجدال العظام
 ان الفالج اليهم أسرع فوجدته في الذين يخالون هذه الصفة أعم وقال إياس بن معاوية
 صحة الابدان مع الشمس ذهبت الى أهل العمدة والوبر وقال مثنى بن بشير الحركة
 خير من الظل والسكون وقد رأينا من مدح خلاف ذلك وهو قليل وقيل لابنة إياس
 أيما أشد الشتاء أم الصيف قالت ومن يجعل الاذي كالزمانة وقال امرأبى لاتسب الشمال
 فانها تضع أنف الافعى وترفع أنف الرفقة وقال خاقان بن صبيح وذكر نبل الشتاء وفضله
 على نبل الصيف فقال تغيب فيه الهوام وتنجبر فيه الحشرات وتظهر القرش والنبذة
 ويكثر فيه الدخن وتطيب فيه حمرة البيت ويموت فيه الذبان والبعوض ويبرد الماء
 ويسخن الجوف ويطيب فيه العناق واذا ذكرت العرب برد الماء وسخونة الجوف قالت
 حرة تحت قرة ويجود فيه الاستمرار اطول الليل واتبطى الحر وقال بعضهم لاتسرن
 بكثرة الاخوان ما لم يكونوا أخياراً فإن الاخوان غير الخيار بمنزلة النار قليلها متاع
 وكثيرها بوار قال (ومن النيران نار الزحفتين) وهى نار أبي سريع وأبو سريع هو العرفج
 وقال قتيبة بن مسلم لعمر بن عباد بن حصين والله لا سودد أسرع اليك من النار في يدس
 العرفج وانما قيل النار العرفج نار الزحفتين لان العرفج اذا التهب فيه النار أسرع
 وعظمت وشاعت واستفاضت في أسرع من كل شيء فمن كان في قربها يزحف عنها
 ثم لا تلبث أن تنطوي من ساعتها في مثل تلك السرعة فيحتاج الذي يزحف عنها أن
 يزحف اليها من ساعته فلا تزال للمصطلي كذلك ولا يزال المصطلي بها كذلك فمن أجل

ذلك قيل نار الزحفتين قال وقيل لبعض الاعراب ما بال نساءكم رشحا قال أرشحن
عرفج الهلباة وهذا شرط الراعي فيما بينه وبين من استرعاه ماشيته في النار والحال
وذلك أن شرطهم عليه أن يقول المسترعي للراعي إن عليك أن ترد ضالهم واتمها جرباها
وتلوط حوضها ويذك ميسوطة في الرسل ما لم تنهك حلبا أو تضر بنسل قال فيقول عند
ذلك الراعي لب الماشية بعد هذا الشرط ليس لك أن تذكر امي بخير ولا شر ولك حذفة
بالعصا عند غضبك اخطأت أو أصبت ولي مقعدى من النار وموضع يدي من الجار قال
ووصف بعض الاوائل شبه ما بين النار والانسان فجعل ذلك قرابة ومشاكلة قال وليس
بين الارض وبين الانسان ولا بين الانسان والماء ولا بين الهواء والانسان مثل قرابة
ما بينه وبين النار لان الارض انما هي أم للنبات لانه مركب وهو لا يغذو إلا ما يعتده للطبخ
وليس للهواء فيه الا النسيم والمتقاب وهذه الامور وان كانت زائدة وكانت النفوس
تتلف مع فقد بعضها فطريق المشاكلة والقرابة غير طريق ادخال المرفق وجر المنفعة ودفع
المضرة قال وانما فضيت لها بالقرابة لاني وجدت الانسان يحى ويميش في حيث يحيى
النار ويميش وتموت وتلف حيث يموت الانسان ويتلف وقد تدخل نار في بعض المطامير
والحباب والمغارات والمعادن فتجدها متى ماتت هناك علمنا ان الانسان متى صار في ذلك
الموضع مات ولذلك لا يدخلها احد مادامت النار اذا صارت فيها ماتت ولذلك يعتمد اصحاب
المعادن والحفائر اذا هجموا على فتق في بطن الارض أو مغارة في أعماقها أو اضعافها قدموا
شمعة في طرفها أو في رأسها نار فان ثبتت النار وعاشت دخلوا في طاب الجواهر من
الذهب وغير ذلك والالم يتعرضوا له وانما يكون دخولهم بحياة النار وامتناعهم بموت النار
وكذلك اذا وقعوا على رأس الجب الذي فيه الطعام لم يجسروا على النزول فيه حتى يرسلوا
في ذلك الجب قنديلا فيه مصباح أو شيئا يقوم مقام القنديل فان مات لم يتعرضوا له وحر كوا
في جوفه أ كيسة وغيرها من أجزاء الهواء قال ومما يشبه النار فيه بالانسان انك ترى
للمصباح قبل انطفائه ونفاد دهنه اضطر اما وضياء ساطعا وشعاعا طائرا وحر كة سريعة
وتنفضا شديدا وصوتا متداركا فعندها يخمد المصباح وكذلك الانسان له قبل حال
الموت ودوين انقضاء مدته باقرب الحالات حال مطمئة تزيد في القوة على حاله قبل

ذلك اضافة وهي التي يسمونها راحة الموت وايس له بعد تلك الحال ابث (وكان رئيس المتكلمين) وأحد الجلة المتقدمين يقول في النفس قولاً بليغاً عجيباً لولا شئته لأظهرت اسمه وكان يقول المول اسم السك فثق وكذلك الحز والفتق لا يكون إلا بين الاجرام الغلاظ والا فانما هو الذي يسميه أصحاب الفلك اللج واذاهم سألوه عن خضرة الماء قالوا هذا لج الهواء وقالوا لولا أنك في ذلك المكان لرأيت في اللج الذي فوق ذلك مثل هذه النظرة الا وهو أرق من كفيته أو من الاجرام الحاضرة وهو اسم السك محرق ومنقلب السك شيء فيه الاجرام المركبة ويستقيم أن يكون من جنس النسيم ويكون محصوراً أما بحصر كثيف كالسفينية لما فيها من الهواء الذي به حمات مثل وزن جرمها الاضغاف الكثيرة وأما أن يكون محصوراً في شيء كهيئة البيضة المشتملة على ما فيها كالذي يقولون في الفلك الذي هو عندنا سماء قال والنسيم الذي فيه معنى آخر وهو الذي يجمله بعض الناس ترويحاً عن النفس يعطيها البرد والرقّة والطيب ويدفع النفس ويخرج اليه البخار والناظ والحرارات الناضلة وكل ما لا تقوى النفس على تفيته وطرده قال وايس الأمر كذلك بل أزعم أن النفس من جنس النسيم وهذه النفس القائمة في الهواء محصورة معرضة لهلاك النفس المنفردة في اجرام جميع الحيوان وهذه الاجرام التي في هذه الأبدان من بدء النسيم في موضع الشعاع والأكثاف والذروع التي تكون من لأصول قال وضياء النفس كضياء دخل من كوة فلما سدت الكوة انقطع بالظفرة إلى عنصره من قرص الشمس وشعاعها المشرق فيها ولم يبق في البيت مع خلاف شكاه من الحرق ومتى عم السد لم تقم النفس في الجرم فوق لأحكام النفس عند السد إذ كنا لانجدها بعد ذلك حكم الضياء بعد السد إذ كنا لانجدها بعد ذلك فالنفس من جنس النسيم وفساده تفسد الأبدان وبصلاحه تصالح وكان يعتمد على أن الهواء نفسه هو النفس والنسيم وأن الحر واللدونة وغير ذلك من الخلاف إنما هو من الفساد العارض قيل له فقد يفسد الماء فتفسد الاجرام من الحيوان بفساده ويصالح فيصالح بصلاحه وتمنع الماء وهي تنازع اليه فلا تدخل بعد المنازعة اذا تم المنع وتوصل بجرم الماء فتقيم في مكانها فاعمل النفس عند

بطلانها في حياها قد انقطعت الى عنصر الماء بالظفرة وبعد فاعلمك لعل الخنق هييج على النفس أضدادا لها كثيرة غمرتها حتى غرقت فيها وصارت مغمورة بها وكان هذا الرئيس يقول لولا أن تحت كل شعرة وزغبة مجرى نفس لكان الخنوق يتوت مع أول حالات الخنق ولكن النفس قد كان لها اتصال بالنسيم من تلك المجارى على قدر الأقدار فكان نطقها جوف الانسان فالريح والبخار لما طاب المنفذ فلم يجده دار وكشف وقوى فامتد له الجلد فسد له المجاري فعند ذلك ينقطع النفس ولولا اعتصامها بهذا السبب لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القرص مع أول حالات الخنق (وكان يقول ان لم تكن النفس غمرت بما هييج عليها من الافات ولم تنقطع الطفر الى أصلها جاز أن يكون الضياء الساقط على أرض البيت عند سد الكوة أن يكون لم ينقطع الى أصله ولكن السدهييج عليه من الظلام القائم في الهواء ما غمره وقطعه عن أصله ولا فرق بين هذين وكان يعظم شأن الهواء ويخبر عن إحاطته بالأموور ودخوله فيها وتفضل قوته عليها وكان يزعم أن الذي في الزق من الهواء لو لم يكن له نجار ومنافس ومنع من كل وجهة لأقل الجمل الضخم وكان يقول وما ظنك بالرطل من الحديد أو بالزيادة منه إنه متى أرسل في الماء خرقة كما تحرق الهواء قال والحديد يسرع الى الارض اذا أرسلته في الهواء بطبعه وقوته ولطلبه الأرض المشاكلة له ودفع الهواء له وتبريه منه ونفيه له بالمضادة ولحدادة له بالعداوة قال ثم تأخذ تلك الزيادة فتبسطها بالمطارق فتزل نزولاً دون ذلك لأنها كلما اجتمعت فكان الذي يلاقيها من الماء أصغر جرماً كانت أقوى عليه ومتى ما أشخص لهذه الزيادة المطبوخة المبسوطة المسطوحة بفتق الحيطان في مقدار غلظ الأصبع حمل مثل زنة المرار الكثيرة وليس إلا لما حصرت تلك الأصبع من الهواء وكلما كان نثر الحيطان رُفع كان للأثقال أحمق وكان الهواء أشد انحصاراً قال ولولا أن ذلك الهواء محصور متصل بالهواء المحصور في جرم الخشب والقار فرفع بذلك الاتصال السفينة علواً لما كان يبلغ من حصر ارتفاع إصبع للهواء ما يحمله البغل ويدل على ذلك شأن السكانة . فانك تضع رأس السكانة التي تلي الماء في الماء ثم تمصه من الطرف الآخر فلو كان الهواء المحصور في تلك الأنبوبة إنما هو مجاور لوجه الماء

ولم يكن متصلا لما لا بس جرم الماء من الهواء ثم مصصته بأضعاف ذلك الجذب الى
 ما لا يتناهى لما ارتفع اليك من الماء نبي رأسا وكان يقول في السبيكة التي تطيل عليها
 الأيقاد كيف لا تتلوى فما هو إلا أن ينفخ عليها بالكبير حتى تدخل النيران في تلك
 المداخل وتماونها الأجزاء التي فيها من الهواء وبمثل ذلك قام الماء في جوف كوز
 المسقاة المنكس والمهم بصنيع الهواء اذا احتصر واذا حصروا جعلوا سمك
 الصينية مثل طولها أعني المركب الصيني وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب
 وكان يزعم أن الرجل اذا ضربت عنقه سقط على وجهه واذا انتفخ انتفخ غر موله
 وقام وعظم يقابه عند ذلك على التقنا فاذا جاءت الضبع اتمأ كاه فرانه على تلك الحال
 ورأت عز موله على تلك الهيئة استمد خاتمه وقضت وطرها من تلك الجهة ثم أكلت
 الرجل بعد ان يقوم ذلك عندها أكثر من سفاد الذئح والذئح ذكر الضبباع العرجاء
 وذكر بعض الاعراب انه عاينها عند ذلك وعند سفاد الضبع لها فوجد لها عند تلك الحال
 حركة وصياح لم يجده عندها في وقت سفاد الذئح لها ولذلك قال ابو اسحق لاسماعيل
 ابن غزوان اشهد بالله أنك لضبع لأن اسماعيل شد جارية له على سلم وحانف ليضربها
 مائة سوط دون الازار ليلتزق جلد السوط بجلدها فيكون اوجع لها فلما كشف عنها
 رطوبة بضة جدلة وقع عليها فلما قضى حاجته منها وفرغ ضربها مائة سوط فعند ذلك قال
 ابو اسحق ما قال واذا غرقت المرأة رسبت فاذا انتفخت وصارت في بطهاريج وصارت
 في معني الزق طفي بدنها وارتفع الا أنها تكون منكبة ويكون الرجل مستلقيا واذا ضربت
 عنق الرجل والتي في الماء لم يرسب وقام في جوف الماء وانصب ولم يفرق ولم يلزم
 القمر ولم يظهر كذلك يكون اذا كان مضروب العنق كان الماء جاريا أو ساكنا حتى
 اذا خف وصار فيه الهواء وصار فيه كالزق المنفوخ انقلب وظهر بدنه كله وصار مستلقيا
 كان الماء جاريا أو كان قائما ففرقه وهو مضروب العنق شبيه بالذي عليه طباع العقرب
 التي فيها الحياة إذا القيها في ماء نهر لم تظف ولم ترسب وبقيت في وسط عمق الماء
 لا يخرق منها شيء والعقرب من الحيوان التي لا يسبح فاما الحية فلها تكون جيدة
 السباحة اذا كانت من اللواتي تناسب وتذهب فأما اجناس الافاعي التي تسير على

جنب فليس عندها في السباحة طائل ، والسباحة المنعوتة انما هي للأوزة والبقرة
والكباب فأما السمكة فهي الاصل في السباحة وهي المثل واليهما جميع النسبة ، والمضروب
العنق يكون في عمق الماء قائماً والمقرب على خلاف ذلك (ثم رجع بنا القول الى ذكر
النار) قال وللنار من الخصال المحموده أن الطفل لا يباغي شيئاً كما يباغي المصباح وتلك
المنفعة نافعة له في تحريك النفس وتهيج الهمة والبعث على الخواطر في فتق اللهاة
وتشديد اللسان والسرور الذي له في النفس أكرم أثر ، قال وكانت النار معظمة عند
بنى اسرائيل حيث جعلها الله تعالى تأكل القربان وتدل على اخلاص المتقرب وفساد
نية الدغل حيث قال الله عز وجل لا تطفؤا النار من بيوتى ولذلك لا تجرد الكنائس
والبيع أبداً الا وفيها مصابيح تزهري ليلاً ونهاراً حتى نسخ الاسلام ذلك وأمر
باطفاء الزيران الا بقدر الحاجة ، ذكر ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر
ابن عبد الله يقول أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رعدت فأغلق بابك
وخر اناءك وأوك سقاءك واطفي مصباحك فان الشيطان لا يفتح بابا ولا يكشف
اناء ولا يحل وكاء وقال فان الفويسقة تحرق على أهل البيت ، وذكر ابن خليفة عن
أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غلقوا
أبوابكم وأوكوا أسقيتكم وخرروا آيتكم وأطفؤا سراجكم فان الشيطان لا يفتح بابا
ولا يحل وكاء ولا يكشف غطاء وأن الفويسقة تضرم البيت على أهله وكفوا فراشكم
وأهليكم حتى تغرب الشمس حتى تذهب خمة العشاء ، قال ويدل على أنه صلى الله
عليه وسلم أمر بحفظها الا على قدر الحاجة ولم يأمر باطفائها الا عند الاستغناء
عنها ما حدث به حماد بن بكير قال حدثني الحسن بن ذكوان عن شهر بن
حوشب قال أمر صلى الله عليه وسلم أن تحبسوا صبيانكم عند خمة العشاء وأن
تطفؤا المصابيح وأن توكوا الأسقية وأن تخمروا الآنية وأن تغلقوا الابواب قال
فقام رجل فقال يا رسول الله انه لا بد لنا من المصابيح للمرأة النفساء وللمريض وللحاجة
تكون قال فلا بأس اذا كان المصباح مطردة للشيطان مذبة للهوام مدلة على اللصوص ، قال
ونار أخرى وهي التي تذكر الاعراب أن الفول توقدها بالليل للبعث والتخييل واضلال

السائلة قال أبو المطراد عبيد بن أبوب العنبري

فقه در النول أي رقيقة * اصحاب قفر خائف يتنشر

أرنت بلحن بمدلن وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وتزهر

قال وجرات العرب عبس وضبة ونمير يقال لكل واحد منهم جرة وقد ذكر أبو حية
النميري قومه خاصة فقال

وهم جرة ما يصطلى الناس نارهم * نوقد لا تطفى بزيت الرواهب

ثم ذكر هذه القبائل فمهمم بذلك لأنها كلها مضرية فقال

لنا جرات ليس في الناس مثلها * ثلاث فهد جربن كل التجارب

نمير وعبس تتقى صفراتها * وضبة قوم بأسهم غير كاذب

الى كل قوم قد دلفنا بجمرة * لها عارض مزن قوى المناكب

وعلى ذلك المعنى قيل قد سقطت الجرة اذا كان في استقبال زمان من الدفء ويقولون

قد سقطت الجرة الاولى والثانية والجاررى الحصاد قال الشاعر

ولم أركالتجمير منظر ناظر * ولا كليالى الحج افتراذاهوي

والتجمير أيضاً ان يرمى بالجندي في نفر من ثغور المسلمين ثم لا يؤذن لهم في الرجوع

وقال حميد الارقط

فاليوم لا ظلم ولا تآبير * ولا لغاز ان غزا تجمير

وقال بعض من جر من الشعراء في بعض الاجناد

مماوى اما ان تجمر أهلنا * الينا وإما ان نؤوب معاويا

أجرتنا إجمار كسري جنوده * ومنيتنا حتى مللنا الامانيا

وقال الجعدي

بالخلايا أنك من أهل غرسا * ن بجندي مجمر بازال

ويقال أجمر الرجل اذا أسرع ونجمل مركبه وقال لبيد

واذا حركت غرزي أجرت * أوقرابي عدوجون قد أبل

وقال الراجز * أجرت إجمار الذي بهمهم * ويقال أجمر هو مأخوذ من الجمر ويقال

قد جرت المرأة شعرها اذا ضفرته ويقال له الجير وانشد الأصمعي
 * مضمورها يطوى على جبرها * ويقال قد تجمر القوم اذا هم اجتمعوا حتى لهم بأس
 ويكونون كالنار على اعدائهم فكانهم جبروا حتى كأنهم جبر من شعر مضمور أو حبل
 موضع القوى وبه سميت تلك القبائل والبطون من تميم الجار، والمجر مشدد الميم حيث
 يقع حصا الجار وقال الهذلي

لأدركم شعث النواصي كأنهم * سوابق حجاج توافي الجبراً
 ويقال خف مجمر اذا كان مجتمعاً شديداً ويقال عمد الى ابله وخيله أو رجاله فاجر اذا
 كان ذلك جملة واحدة وقال الأعمش * واعى بذلك بكرةً جماراً * قال ويقال في النار
 وما يسقط من الزند السقط والسقط ويقال هذا مسقط الرمل أي منقطع الرمل
 ويقال أناني مسقط النجم اذا جاء حين غاب ويقال وقع الغائب سقطته وقال الشاعر
 حتى اذا ما أضاء الصبح وانبعثت * عنا نعامة ذي سقطين منمكر

وبروي معتكر أراد ناحيتي الليل ويقال سبت النار والحرب تشب شبا واشتبا شبا
 وهو رجل مشبوب للحرب ويقال حسب ثأب أي في معنى متوقد وكذلك يقال في
 العلم ويقال هب لي ثقوبا وهو ما أثقت به النار من حطبة أو من غيرها ويقال أثقت
 النار اذا فتح عنها لتشتمل وهو الثقوب ويقال أيضاً ثقت الزند بثقت ثقوباً اذا ظهرت
 ناره وكذلك النار والزند الثابت الذي اذا قدح ظهرت النار منه ، ويقال ذكت النار
 نذكو ذكوا اذا اشتعلت ويقال ذكها اذا أريد اشتعالها وذكاه الشمس مضموم
 الذال المعجمة وابن ذكاه الصبح مضموم الذال ممدوداً قال العجاج * وابن ذكاه كامن
 في كفره * وقال ثعلبة بن صعير المازني وذكر ظليما ونعامه

فتذكرا ثقلاً رشيداً بعد ما * ألت ذكاه يمينها في كافر

واما الذكاه مفتوح الذال ممدود خذة القواد وسرعة اللقن وقالوا أضرمت النار
 حتى اضطرمت وألهبتها حتى النهبت وهما واحد والضرام من الحطب ما ضعف منه
 ولان والجزل ما غاظ واشتد فالرمث وما فوقه جزل والعرفج وما دونه ضرام وللص
 وكل شيء ليس له جمر فهو ضرام وكل ماله جمر فهو جزل، ويقال ما فيها نافع ضرمه

أي ما فيها أحد ينفخ ناراً ويقال صليت الشاة فانا أصلها صلياً إذا شويتها فهي مصلية
 ويقال صلي الرجل النار فهو يصلها وأصله الله حر النار إصلاءً وتقول هو صال حر
 النار في نوم صال وصلاة، ويقال همدت النار همد همدوداً وطفنت تطفأ طفواً إذا ماتت
 وخدمت تخمد خوداً إذا سكن لهبها وبقي جرها حاراً وشبت تشب شوبوا إذا هاجت
 والتهيت وشب الفرس بيديه فهو يشب شباباً وشب الصبي يشب شباباً، ويقال ليس
 لك غضاض ولا شباب ويقال عشي إلى النار يمشو إليها عشواً وعشواً وذلك يكون
 من أول الليل يرى ناراً فيمشو إليها يستضي بها قال الخطيب

متى تأنه تمشو إلى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير مودة

ويقال عشي الرجل يمشى عشاة وهو رجل أعشى وهو الذي يبصر بالليل وعشي
 لرجل عن صاحبه يمشى عشاً شديداً (ويذ كرون ناراً أخرى) وهي على طريق المثل
 لا على طريق الحقيقة كقولهم في نار الحرب قال ابن ميادة

يداه يد سهل بالغيث والندا * وأخري شديد بالاعادي صبرها

وناراه نار نار كل مدفع * وأخري بصيب الجرمين سعيها

وقال ابن كنانة

خافها عارض يمد على الآفا * ق سترين من حديد ونار

نار حرب يشبها الحار والجا * يد وتغشى نوافذ الأبصار

وقال الراعي

ونارتنا أودت بيدها أنها * تصيب الصريح مرة والمواليا

وكانت لنا ناران نار بجاسم * ونار بـرخ بـرقان الاعاديا

جاسم بالشام ومرسخ بالمالية (ونار أخرى) وهي مذكورة على الحقيقة لا على المثل وهي
 من أعظم مفاخر العرب وهي التي ترفع للسفر ولمن يلمس القرى فكل ما كان موضعها

ارفع كان أخر قال أمية بن الصلت

للقبايات متواك واليك * ن في ذرى مشرف القصور ذراك

وقال الطائي

وبوات بيتك في معلم * رفيع المباءة والمرح *
 كفيت العفافة ضياء القمود * رويح الكلاب لمستنبح
 ترى دعس آثار تلك المط * في أخا يدك اللقم الا فيح
 ولو كنت في نفق رائع * لكنت على الشرك الا وضح

وأنشد أبو الزبرقان

له نار تشب بكل ربيع * اذا الظلماء جملت القناعا
 وما ان كانا أكثرهم سواما * وليكن كان أرحبهم ذراعاً

وفي نار القرى يقول الآخر

على مثل همام ولم أر مثله * تبكي البواكي أو لبشر بن عامر
 غلامان كان استوردا كل مورد * من المجد ثم استوثقا بالمصادر
 كان سنا نارهما كل شتوة * سنا الفجر يبدو للعيون النواظر

وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص

ومستنبح يخشى العداة ودونه * من الليل بابا ظلمة وستورها
 رفعت له ناراً فلما اهتدى بها * زجرت كلابي أن يهر عقورها
 فلاتسألني وأسألن عن خايقتي * اذارد ما في القدر من يستعيرها
 ترى أن قدرتي لا تزال كأنها * لذي الغرث المقرور أم يزورها
 مبررة لا يجهل الشر دونها * اذا خمد النيران لاح بشيرها
 اذا الشول راحت ثم لم يفد لحها * بأبائها ان السنان عقيرها

أما ان ذكرنا جملة من القول في النار من طريق الكلام وما يدخل في الطب
 فسنذكر من ذلك جملة في باب آخر قالوا مد الشعبي يده وهو على مائدة قتيبة بن مسلم
 يلمس الشراب فلم يدر صاحب الشراب اللبن أم العسل أم بمض الا شربة فقال له
 أي الا شربة أحب اليك قال أعزها مفقوداً وأهونها موجوداً قال قتيبة اسقه ماء
 وكان أبو العتاهية في جماعة من الشعراء عند بعض الملوك اذ شرب رجل منهم
 ماء ثم قال برد الماء وطاب فقال أبو العتاهية اجعله شعراً ثم قال من يجيز هذا البيت

فاطرق القوم مفكرين فقال أبو العتاهية سبحان الله وما هذا الاطراق ثم قال

برد الماء وطابا * حبذا الماء شرابا

وقال الله عز وجل وأنهار من ماء غير آسن ثم لم يذكره بأكثر من السلامة من التغير
اذ كان الماء متى كان خالصا سالما لم يحتاج الى أن يشرب بشئ غير ما في خلقته من
الصفاء، والمذوبة والبرد والطيب والحسن والسلس في الحلق وقد قال علي بن زيد
لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

قال أبو المطراد عبيد بن أيوب العبدي

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث النجل خبث الحلائل

وأوصي رجل من العرب ابنته ليلة زفافها بوصايا فكان مما قال لها احذري مواقع
أنفه واغتسلي بالماء القراح حتي كأنك شن ممطور وأوصت امرأة ابنتها بوصايا فكان
منها وليكن أطيب طيبك الماء وزعموا أنها القائلة لبنتها

بني ان نام فنامي قبله * وأكرمي تابعه وأهله

ولا تكوني في الخصاص مثله * فتخصمي فتكوني بهله

ومن الامثال

فأصبحت مما كان بيني وبينها * سوى ذكرها كالتفابض الماء باليد

وأخذ المسيح عليه السلام في يده اليمنى ماء وفي يده اليسرى خبزا فقال هذا
أبي وهذا أمي فجعل الماء أبالان الماء من الارض يقوم مقام النظفة من المرأة واذا طبخ
الماء ثم برد لم تاقح عليه الاشجار وكذلك قضبان الشجرة والحبوب والبذور لو
طبخت طبخة ثم بذرت لم تعلق، وقالوا في النظر الى الماء الدائم الجريان ما قالوا وجاء
في الاثر من كان به برص قديم فليأخذ درهما حلالا فليشتر به عسلا ثم يشربه بماء
سما فانه يبرأ باذن الله والنزيف هو الماء عند العرب وما ظنكم بشراب اذا خبث وملح
فصار ملحاز عافا وبحرا أجاجا ولد العنبر الورد فانسل الدر النفيس فهل سميت بنجل
أكرم من نجله ومن نتاج أشرف من نسله، ما أحسن ما قال أبو عباد كاتب ابن أبي
حالد حيث يقول ما جالس بين يدي رجل قط الا تمثلي لي أنني سأجالس بين يديه

وما سرفى دهر قط الا شغلني عنه تذكر ما يليق بالدهور من الغير قال الله عز وجل
 قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتها لجة وكشفت عن ساقيها لان الزجاج أكثر
 ما يمدح به أن يقال كأنه الماء في الفيافي وقال الله عز وجل هذا عذب فرات سائغ
 شرابه وقال القطامي

وهن يئذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادي
 وقال الله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء فيقال انه ليس شيء الا وفيه ماء أو قد
 أصابه ماء أو خلق من ماء والنظفة ماء والماء يسمى نطفة وقال ابن عباس موج مكفوف
 وقال عز وجل وأنزلنا من السماء ماء مباركا وحين اجتهدوا في تسمية امرأة بالجمال
 والبركة والحسن والصفاء والبياض قالوا ماء السماء وقالوا المنذر بن ماء السماء ويقال صبغ
 له ماء ولون له ماء وفلان ليس في وجهه ماء وردني فلان ووجهي بمائه قال الشاعر
 * ماء الحياء يجول في وجناته *

وقالت أم فروة في صفة الماء

وما ماء مزن أى ماء تقوله * تحدر من غرطوال الذوائب
 بمنعرج أو بطن واد تحدبت * عليه رياح المزن من كل جانب
 نني نسيم الريح القذا عن متونه * فما أن به عيب تراه لشارب
 بأطيب ممن يقصر الطرف دونه * تقي الله واستحياء بعض العواقب
 فالابل لا تحب من الماء الا الغليظ والحوافر تحب العذوبة وتكره الماء الصافي حتى
 ربما ضرب الفرس بيده الشريفة ليثور الماء ثم يشربه والبقر تعاف الماء الكدر ولا
 تشرب الا الصافي والظباء تكثر في ماء البحر الاجاج وتخصم الحنظل والايضان
 الماء والابن والاسودان الماء والتمر وسواد العراق ماؤه الكثير والماء ان كان له عمق
 اشتد سواده في العين وقال العكلى في صفة الماء

عاده من ذكر سلمى عوده * واللبل داج مطاخم أسوده
 فبت لبلى ساهراً ما أرقده * حتى اذا الليل تولى كبده
 وانكب للثور انكباً بافرقه * وحشه حاد كمش يطرده

أغر أجلي مغرب مجردة * أصبح بالقلب جوي مايرده
 ماء غمام في الرصاف مقلده * ذل به عن رأس نيق صلده
 عن ظهر صفوان مزل مجسده * حتى اذا السيل تناهي مدده
 وشكك الماء الذي يشكده * بين حوام ودبور تلهده
 كل نسيم من صبا استورده * كأنما يشهده أو يفقده *
 * فهو شفاء الصادي مما يعمده *

وقال آخر في الماء

ما كاس تعب رأس^(١) شظبة * نزل امال عراضها شوبوب
 ضحيان شاهمة يرق بشامه * نديان يقصر دونه اليمقوب
 بألد منك مضافة للحلا * عطشان داعس ثم عاد يلوب

﴿ وقال جرير ﴾

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة * تدع الحوائث لا يجدن غليلا
 بالمذب من رصف الفلاة مقيله * قصر الاباطح لا يزال ظليلا

قال وفي الماء ان أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجبين والجلاب والبنفسج وغير ذلك مما يشرب من الاشربة فان لذ وطاب فان تمام لذته ان يجرع شاربه بمد شربه له جرعا من الماء يفعل بها فمه ويطيب بها نفسه وهو في هذا الموضوع كالخلة والحمض جميعا وهو بتسوية الطعام في المرئ والركب والمهبر والمنوصل به الى الاعضاء فالمداء يشرب صرفا وممزوجا والاشربة لا تشرب صرفا ولا ينتفع بها الا بمازجة الماء وهو بعد ظهور الابدان وغسول الادران وقالوا هو كالماء الذي يطهر كل شئ ولا ينجسه شئ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بئر رومة الماء لا ينجسه شئ وانه ما يكون منه الملح والبرد والتلج فيجتمع الحسن في المين والكرم في البياض والصفاء وحسن الموقع في النفس وبالماء يكون القسم كقول الشاعر

غضبي ولا والله يا أهلها * لا أشرب البارد أو ترضي

ويقولون لو علم فلان أن شرب البارد يضع من مؤنة لماذاته وسمى الله عز وجل أصل

الماء غيثا بعد ان قال وكان عرشه على الماء ومن الماء ماء زمزم وهو لما شرب له ومنه يكون دواء وشفاء بنفسه كالحي

قد ذكرنا جملة من القول في النار وان ذلك وان كان لا يدخل في باب القول في أصناف الحيوان فقد ترجع اليها من وجوه لغاري هذا الكتاب من باب القول في الفيل والزنبيل والقرود والخنزير وفي الدب والذئب والضب والضب والضب والضب والضب وعلى ان الحكمة ربما كانت في الذبابة مع لطافة شخصها ونذالة قدرها وخساسة حالها أظهر منها على الفرس الرائع وان كان الفرس انفع في باب الجهاد وفي الجاموس مع عظم شخصه وفي دودة القز والعنكبوت أظهر منها في الليث المحصور والعقاب القاتل وربما كان ذكر العظيم الجنة أكثر فائدة وأظهر حكمة من الصغير الحقير ومن القليل القمى كالبعير والصوابة والشعلب والقملة وشأن الأروسة أعجب من شأن البهر وشأن الكركي أعجب من شأن العنديل فان الكركي أعظم الطير والعنديل أصغر من ابن نمر ولذلك ذكر ابن يونس بعض لاطة الرواة فقال يضرب ما بين الكركي الى العنديل يقول لا يدع رجلا ولا صبيا الا عفجه ويشبهه ذلك هجاء خانف الأحمر أبا عبيدة فقال

ويضرب الكركي الى القنبر * لا عانساً بيتي ولا محتلم
والمانس من الرجال مثله من النساء فلسنا نطنب في ذكر العظيم الجنة لعظم جثته وانما نلتمس ما كان أكثر اعجوبة وأبلغ في الحكمة وأدل عند العامة على حكمة الرب وعلى انعام هذا السيد ورب شيء الا اعجوبة فيه انما هي في صورته وصنعتة وتركيب أعضائه وتأليف ريشه كالطاووس في تعاريج ريشه وتهاويل ألوانه وكالزرافة في عجيب تركيبها ومواضع أعضائها والقول فيها شبيه بالقول في التدرج والنعامة وقد يكون الحيوان عجيب صنعة البدن ثم لا يذكر بعد حسن الخلق بخلق كريم ولا معرفة عجيبة ولا صنعة ومنه ما يكون كالبيضاء والنحلة والحمامة والشعلب والذرة ولا تكون الا اعجوبة في تصويره وتركيب أعضائه وتنضيد ألوان ريشه في وزن تلك الاشياء التي ذكرناها ويكون العجيب فيما أعطى في حنجرتة من الاغاني العجيبة والاصوات

الشجيرة المطربة وفي اخلاق الكريمة أو في صنعة الكف اللطيفة والهداية القريبة
والرفق النافع أو الى المصرة التي تدعو الى شدة الاحتراس ودقة الاحتيال فيقدم في
الذكر لذلك، وأى شئ أعجب من العمق وصدق حسه وشدة حذره وحسن
معرفة، ثم ليس في الارض طائر تحوط بيضها أو فر اخها أشد الحياطة وبأنمض معرفة
مثله، قال عثمان بن عفان رضى الله عنه كل شئ يحب ولده حتى الحبارى يضرب بها
المثل في الموق ثم العمق مع حذقه بالاسباب وبسرعة الخطف لا يستعمل ذلك فيما
ينتفع به فكلم من عقد ثمين خطير ومن قرط شريف نفيس قد اختطف من أيدي
قوم فلما رمى به بعد تحلقه في الهواء وأما أحرزه ولم يلتفت اليه أبداً، وزعم الاصمعي
أن عمقا مرة استلب سخابا كريما القوم فأخذ أهل السخاب اعرابية كانت عندهم
فبينما هي تضرب وتسحب وتسبب اذ مر العمق والسخاب في فمه فصاحوا به فرمى به
فقال الاعرابية تذكر السلامة بعد ان كانت قد ابتليت ببلية أخري فقالت

ويوم السخاب من تعاجيب ربنا * كأنه من بلدة السوء نجاني

تعنى الذين كانت نزلت بهم من أهل الحاضرة، ولا بأس بذكر ما يعرض مالم يكن
من الابواب الطوال التي ليس فيها الا المقاييس المجردة والكلامية المحضة فان ذلك
مما لا يخف سماعه ولا تهش النفوس لقراءته، وقد يحتمل ذلك صاحب الصناعة
والمتمس الثواب والحسنة فتي وجدنا من ذلك بابا يحتمل أن يوشح بالاشعار الطريفة
البلغة والاختبار الطريفة المجيبة تكلفنا ذلك ورويناه أجمع لما ينتفع به القاري، ولذلك
استجزنا أن نقول في باب النار ما قلنا وانا كاتب لك بعد هذا إذ كنت قد املكك
بالتطوير وملكك على أصعب المراكب وأوعر الطرق إذ قد ذكرنا فيه جملة
صالحة من كلام المتكلمين ولا أرى ان أزيد في سآمتك وأحملك استفراغ طاقتك
بأن ابتدأ القول في الابل والبقر والغنم والاسد والذئب والحمير والظباء وأشبه ذلك
مما أنا كاتبه لك ولكنني أبدأ بصغار الأبواب وقصاراتها ومحتقراتها وملاحها لثلا
تخرج من الباب الأول الاوانت ناشط للباب الثاني وكذلك الباب الثالث والرابع
انى آخر ما أنا كاتبه لك ان شاء الله، ونبدأ بما في المصفور ثم نأخذ في ذكر الفار

والعقرب والذي بينهما من العداوة مع سائر خصالهما ثم القول في العقرب والخنفساء
والصداقة بينهما مع سائر خصالهما ثم القول في السنور والقول في القنفذ ثم القول في
البعوض والبراغيث ثم القول في القمل والصيبان ثم القول في الورل والضب ثم القول في
اليربوع والقنفذ ثم القول في النسور والرخم ثم القول في العقاب وفي الارنب ثم القول في
القردان والضفادع ثم القول في الحباري وما أشبه ذلك , وسند ذكر قبل ذكرنا لهذا الباب
أبوأبا من الشعر طريقة تصالح للمذاكرة وتبعث على النشاط وتستحق معه قراءة
ماطال من الكتب الطوال ولولا سوء ظني بمن يظهر التماس العلم في هذا الزمان ويظهر
اصطناع الكتب في هذا الدهر لما احتجت في مداراتهم واستمالتهم وتوفيق نفوسهم
وتشجيع قلوبهم مع كثرة فوائد هذا الكتاب الى هذه الرياضة الطويلة والى كثرة
هذا الاعتذار حتى كأن الذي أفيده اياهم استفيده منهم وحتى كان رغبتى في صلاحهم
رغبة من رغب في دنياهم , هذا ولم اذ كر من الابواب الطوال شيئاً وقد صرت الى
ذكر فرق ما بين الجن والانس وما بين الملائكة والانباء وفرق ما بين الأثني
والذكر وفرق ما بينهما وبين ما ليس بأثنى ولا ذكر حتى يمتد بنا القول في فضيلة
الانسان على جميع أصناف الحيوان وفي ذكر الأمم والاعصار وفي ذكر القسم
والاعمار وفي ذكر مقادير العقول بالعلوم بالصناعات ثم القول في طباع الانسان منذ
كان نطفة الى أن تفنيه المهموم , فان مللت الكتاب واستثقت القراءة فانت حينئذ
أعذر وما عندى لك من الحيلة الا أن أصوره لك في أحسن صورة وأقبلك منه في
الفنون المختلفة فأجملك لا تخرج من الاحتجاج بالقرآن الحكيم الا الى الحديث المأثور
ولا تخرج من الحديث الا الى الشعر الصحيح ولا تخرج من الشعر الصحيح الظريف
الا الى المثل السائر الواقع ولا تخرج من المثل السائر الواقع الا الى القول في الفلسفة
والفرائب التي صححتها التجربة وأبرزها الامتحان وكشف فناعها البرهان والاعاجيب
التي للنفوس بها كلف كثير وللعقول الصحيحة اليها نزاع شديد ولذلك كتبتك لك
وسمته اليك واحتسبت الاجر فيك فانظر فيه نظر المنصف من الاكفاء والعلماء
أو نظر المسترشد من المتعلمين والاتباع فان وجدت الكتاب الذي كتبتك لك بخلاف

ما وصفت فانتصني من نشاطك له على قدر ما نقصتك مما ينشـطك اليه لقراءته وان
 أنت وجدتني اذا صح عقلك وانصارك قد وفيتك بما ضمننت لك فوجدت نشاطك
 يمد ذلك مدخولا وحـدك مفلولا فاعلم انالم نؤت الا من فسولتك وفساد طبعك
 ومن اشارك لما أضربك

باب مديح في النصارى واليهود والمجوس والانذال وصغار الناس

من ذلك ما هو مديح ورغبة ومن ذلك ما هو احماذ، أنشدنا أبو صالح مسعود بن قنديل
 الفزاري في ناس خالطهم من اليهود

وجدنا في اليهود رجال صدق * على ما كان من دين مريب
 لعمرك انبي واني عربض * لمثل الماء خالطه الحليب
 خيلان اكتسبتهما واني * خلة ماجد أبداً كسوب
 وقال أبو الطمجان الاسدي وكان نديماً للناس من بني الحداة وكانوا نصارى فأحمد
 ندامتهم فقال

كان لم يكن في القصر قصر مقاتل * وزورة ظل ناعم وصديق
 ولم أرد البطحاء أمزج ماءه * بنحمر من البروقتين عتيق
 ممي كل فضفاض الثياب كأنه * اذا ما جري فيه المدام فتيق
 بنو الصلب والحداة كل سميذع * له في المروق الصالحات عروق
 واني وان كانوا نصارى أحبهم * ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق
 وقال ابن عبدل أو غيره في مجوسى ساق عنه صداقا فقال

شهدت عليك بطيب المشا * ش وانك بحر جواد خضم
 وانك سيد أهل الجحيم * اذا ما تردت فيمن ظلم
 نظير لهـامان في نعرها * وفرعون والمكتبي بالحكم
 كفتاني المجوسى مهر الربا * ب فداً للمجوسى خال وعم

فقال المجوسى جعلتني في النار فقال أما ترضى أن تكون مع من سميت قال فن تعنى
 بالحكم قال أبا جهل بن هشام، وأنشدني أبو الرديني الهكلي لبعض المكلمين وكان فينا

لهم أخذ خلع خاله فقال

يا سوديا أكرم قين في مضر * لك المساعي كلها والمفتخر
على قيون الناس والوجه الاغر * كان أبوك رجلا لا يقدر
تبنا اذا ما هو بالكبير ازبأر * حتى يطير حوله منه شرر
قد عطف الاكناف حتى قدمه * بالشغب ان شاء وان شاء سمر
ما زال مذ كان غلاما يستمر * له على العير إكاف ونمر
والكابتان والعلاة والوتر * فانظر نوابي والثواب ينتظر
* من حكى وفي الاحاديث عبر *

باب من أراد أن يمدح فبهجا

قال سعيد بن مسلم لما قال الاخطل بالكوفة أخطأ الفرزدق حين قال
أبى غدانة اني حررتكم * فوهبتكم لعطية بن جمال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم * من بين أسير أعين وسبال
كيف يكون قد وهبهم له وهو يهجوهم هذا الهجاء فانبري له فتى من بنى تميم فقال
له أنت الذي قلت في بنى سويد بن منجوق

وما جذع سوء رقق السوس جوفه * لما حملته وائل بمطيق *
أردت هجاءه فزعمت أن وائلا تعصب به الحاجات وقدر سويد لا يبلغ ذلك عندهم
فأعطيته الكثير ومنعته القليل وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلي وان تصفر
شأنه وتضع منه فقلت

وسود حاتما أن ليس فيها * اذا ما أوقد النيران نار
فأعطيته السؤدد من قيس ومنعته مالا يضره وأردت أن تمدح سماك الحرثي فهجوته فقلت
نم المجير سماك من بني أسد * بالطف اذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وأنبأه * فاليوم طير عن أنوابها الشرر
وقلت في زفر بن الحارث

بنى أمية اني ناصح لكم * فلا بيتين فيكم آمنة زفر

مفرشا كافتراش الليث كللكاه * لوقمة كأن فيها لكم جزر
فأردت أن تغري به بنى أمية فوهنت أمرهم وتركتهم ضعفاء متهنين وأعطيت زفر
عليهم من القوة ما لم يكن في حسابه، قال ورجع أبو العطف من عند عمرو بن هدا ب
في يومين كانا لعمرو وأبو العطف يضحك فسئل عن ذلك فقال أما أحد اليومين
فانه جلس للشعراء فكان أول من أنشده المديح فيه طريف بن سوادة فإزال ينشده
أرجوزة له طويلة حتى انتهى الى قوله

أبرص فياض اليدين أكلف * والبرص أندى بالاهي وأعرف

قال عمرو مه البرص من مفاخر العرب أما سمعتم ابن حبناء يقول

انى امرؤ حنظلي حين تنسبني * لا من عتيك ولا أخوالى العوق

لا تحسبن بياضا فى منقصة * ان اللهايم فى أفرانها البلق

أوما سمعتم قول الآخر

يا كأس لا تستكثرى تخويلي * ووضحا أوفى على خصيلى

فان نمت الفرس الرجيل * يكمل بالفره والتجليل

أوما سمعتم قول الآخر

أيشتمني زيد بأن كنت أبرصا * فشكل كريم لا أبالك أبرص

ثم أقبل على الراجز فقال ما تحفظ فى هذا قال أحفظ والله قوله

ياأخت سمد لا تغرى بالزرق * ليس يضر الطرف توليع البلق

* اذا جرى فى حلبة الخيل سبق *

ومحمد بن سلام يزعم أنه لم ير سابقا قط أبلق ولا بقاء وقد سبق للمأمون اما أبلق

واما بقاء، وأنشدنى أبو نواس لبعض بنى نهشل

نفرت سودة عني أن رأيت * صلح الرأس وفى الجلد وضح

قلت يا سودة هذالك الذي * يفرج الكربة منا والطلح

هو زين لى فى الوجه كما - زين الطرف تحاسين القرح

وزعم يونس أنهم كانوا يشرفون به وان جذبة الوصاح كان يفخر بذلك وزعم أصحابنا

أن بلعاء بن قيس لما شاع في بلدة البرص قال له قائل ما هذا يا بلعاء فقال هذا سيف
الله حلاني به وكفى به يقول سيف الله حلاه ، ثم رجع الحديث الى ابن العطف
وضحكة قال وأما اليرم الآخر فان عمرا لما ذهب بصره ودخل عليه الناس يعزونه
دخل عليه ابراهيم بن جامع وهو ابن عتاب من آل مصاد وكان كالجمل المحجوم فقام
بين يدي عمرو فقال يا أبا أسيد لا تجزعن من ذهاب بصرك وان كانتا كرميتيك
فانك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله عز وجل قطع يديك ورجليك
ودق ظهرك وأدمى ضلعتك قال فصاح به القوم وضحك بعضهم فقال عمرو معناه
صحيح ونيته حسنة وان كان قد أخطأ في اللفظ ، وقال لأبي عطف بلغني أن عبد العزيز
الغزال قال وددت أن الله لم يكن خلقني واني الساعة أعور قال أبو عتاب ليته ما قال
وددت ان الله لم يكن خلقني وأنا الساعة مقطوع اليدين والرجلين أعمى ، وأتى بعض
الشعراء أبا الربيع وبنوه حوله فاستغفاه أبو الربيع من انشاد مديحه فلم يقبل حتى أذن
له فلما انتهى الى قوله

فكيف تبتقى وأنت اليوم رأسهم * وحولك النمر من أبنائك الصيد
قال أبو الربيع لبتك تركتهم رأسا برأس ، ومدح أبو عباد بن المعزق بشر بن أبي
عمرو وليس هو بشر بن أبي عمرو بن العلاء فقال

من كان يزعم أن بشراً مصلق * فالله يجزيه وربك أعلم
تنيك قامته وقلة لحمه * وتشاوق فيه ولون أسحم
ان الصريح المحض فيه دلالة * والعرق منكشف لمن يتوهم
أما لسانك واحتباؤك في الملا * فزرارة العدسي عندك أعجم
اني لأرجو أن يكون مقالهم * زوراً وشائتك الحسود المرغم

ومن المديح الخطأ الذي لم أر قط أعجب منه قول الكميث بن زيد وهو يمدح النبي
صلى الله عليه وسلم فلو كان مديحه لبني أمية لجاز أن يعيهم بذلك بعض بني العباس
ولو مدح به بعض بني هاشم لجاز أن يعترض عليه بعض بني أمية ولو مدح أبا بلال
الخارجي لجاز أن تعييه العامة أو مدح عمرو بن عبيد لجاز ان يعييه المخالف ولو مدح

المهلب لجازان يبيبه الاحنف فأما مديح النبي صلى الله عليه وسلم فن هذا الذي
يسوءه ذلك حيث قال

فاعتبت الشوق من فؤادي * والشعر الى من اليه اعتب
الى السراج المنير أحمد لا * بمدلني رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع النا * س الى العيون وارقبوا
اليك ياخير من تضمنت الار * ض ولو عاب قولي العيب *
لح بتفضيلك اللسان ولو * أكثر فيك الضجاج واللجب
انك المصطفي المهدب في النسب * ان نص قومك النسب *

ولو كان لم يقل فيه الامثل قوله

وبورك قبر أنت فيه وبوركت * به وله أهل بذلك يثرب
لقد غيبوا برا وحزما ونائلا * عشية وأراه الصفيح المنصب

فلو كان لم يمدحه صلى الله عليه وسلم الابهذه الاشعار التي لا تصلح في عامة العرب لما
كان ذلك بالحمود فكيف مع الذي حكينا قبله ومن الاشعار الغائظة لقبيلة الشعراء
وهي الاشعار التي لو ظنت الشعراء أن مضرتها تعود بعشر ما عادت به لكان الخرس
أهون عليهما من ذلك القول فن ذلك قول لييد بن ربيعة

أبني كلاب كيف بقي جعفر * وبوضيعة حاضر والاجباب
قتلوا ابن سروة ثم لطوا دونه * حتى تحاكمتم الى جواب
يرعون منجرق القديد كأنهم * في المد أسوة حاجز وشهاب
متظاهري حلق الحديد عليهم * كبني زرارة أو بني عتاب
قوم لهم عرفت معد فضلها * والحق يعرفه ذوو الالباب

ومن هذا الباب قول زبان بن منظور في يسار بن عمرو بن جابر الفزاري وهو أحد
سادة غطفان

نجأوا بجمع محزن كأنهم * بنو دارم ان كان في الناس دارم
وذلك أن نيمًا لما طال افتخار فبس عليها بأن شعراء تميم تضرب المثل بقبائل فبس

ورجالها فغبرت تميم زمانا لا ترفع رأسها حتى أصابت هذين الشعرين من هذين الشعارين العظيمي القدر فزال عنها الذل وانتصفت فلو علم هذان الشاعران الكريمان ماذا يصنعان بمشائرها لكان الخرس أحب إليهما، قال أبو عبيدة ومن ذلك قول الحارث ابن حلزة وأنشد لها الملك وكان به وضوح وأنشده من وراء ستر فبلغ من استحسانه القصيدة الى أن أمر برفع الستر ولكرهتهم لدنو الابرص منهم قال ليبد بن ربيعة للهمان بن المنذر في الربيع بن زياد

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * ان استه من برص مدعه

وانه يدخل فيها أصبمه * يدخلها حتى يوارى أشجمه

قال ابن الاعرابي فلما أنشد الملك ليبد في الربيع بن زياد ما أنشده قال الربيع أبيت اللعن والله لقد نكت أمه قال فقال ليبد قد كانت لعمرى يتيمة في حجر ك وأنت ربيتها فان كنت فعلت فما أولاك بذلك وان لم تكن فعلت فما أولاك بالكذب وان كانت هي الفاعلة فانها من نسوة كذلك فعلمن، يعنى ان نساء عيس فواجر لأن امه كانت عيسية، والعربي يعاف الشيء ويهجو به غيره فان ابتلى به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه فافهم هذه فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون انهم قد يمدحون الشيء الذي قد يهجون به وهذا باطل فانه ليس شيء الا وله وجهان وطريقان فاذا مدحوا ذكروا احسن الوجهين واذا ذموا ذكروا اقبح الوجهين والحارث بن حلزة فخر بيكر بن وائل على تغلب ثم عاتبهم عتابا دلي على انهم لا ينتصفون منهم فقال

وأنا عن الاراقم أنبا * وخطب نفي به ونساء

يخطون البريء منابذي الذي * ب ولا ينفع الخلي الخلاء

زعموا ان كل من ضرب اليه * ير موال لنا وأنا الولاء

ان اغواننا الاراقم يعلو * ن علينا في قولهم احفاء

ثم قال

واتركوا الطبخ والتعاشي واما * تعاشوا في التعاشي الداء

وآركوا حانف ذى المجاز وما * قدم فيه اليهود والكفلاء
 حذر الجور والتعدي وهل ين * قض ما فى المهارق الالهواء
 واعلموا اننا واياكم فى * ما اشترطنا يوم اختلفنا سواء
 ام علينا جناح كندة اذ * ينعنم غازيهم ومنا الجزاء
 ام علينا جزا حنيفة ام ما * جمعت من محارب غبراء
 ام علينا جزا قضاة ام لى * س علينا فيما جنوا انداء
 ام جنايا بنى عتيق فمن يله * در فانا من جرهمم برآء *
 * غتا باطلا وظلما كما يله * تر عن حجرة الربيض الظباء

ومن المديح الذى يقبح قول ابن الخلال فى مرثية يزيد بن معاوية حيث يقول
 يا أيها الميت بحوارينا * انك خير الناس أجمعينا

﴿ وقال الآخر ﴾

ان الذى أمسى بسحى كوزا * اسما نبيها لم يكن تذبزا *
 لما ابتدرنا القصب المر كوزا * وجدتى ذا وثبة أبوزا

ودخل بعض أغبياء شعراء البصريين على رجل من أشرف الوجوه وكان يطمن فى
 نسبه فقال انى مدحتك بشعر لم تمدح قط بشعر هو أفنع لك منه قال ما أحوجنى
 الى المنفعة ولا سيما كل شعر منه يخلد على الايام فهات ما عندك فقال

سألت عن أصلك فيما مضى * أبناء سبهم وقد نيفوا
 * فسكاهم يخبرنى أنه * مهذب جوهره يعرف

فقال له ثم فى لعنة الله وسخطه لعنة الله ولعن من سألت ولعن من أجابك وسندك
 لك بابا من السخيف ربما يستخف عليك اذا كان الحق يتهل عليك ولا يخف الا ببعض
 الباطل ، أنشدنا أبو نواس فى التديك

ان تبخلى بالز كب المحلوق * فان عندي راحتى وربى

وهذا الشعر مما يقال ان أبانواس ولده ومما يظن أنه ولده قوله

لم أركلايلة فى التوفيق * حرا على قارعة الطريق * كان فيه لهب الحريق

﴿ وأنشدني ﴾ ابن الحارثي لبعض الاعراب في التديك

لا بارك الاله في الاحراح * فان فيها عدم اللقاح

لاخير في السفاح واللقاح * الا مناياة بطون الراح

وأنشدني محمد بن عباد

تسألني ما عتدي وعتدي * فاني يابنت آل مرند

* راحتي رجلاي وامراتي يدي *

وأنشدني بعض أصحابنا المدنيين

أصني هوي النفس غير منتب * حليلة لا تسو مني نققه

تكون عوني على الزمان والكه * باذا ما أخفقت مرتفقه

وشعرآ في ذلك سمعناه وهو

اذا نزلت بواد لا أنيس به * فاجلد عميرة لعار ولا حرج

وأنشدنا أبو عميرة النيمري

لوانها رخصت قضيت من وطرى * لكن جلدتها تربي على السفن

أشكو الى الله نمظاً قد منيت به * وما الاماني سوى الاملاق والحزن

وقال الذكواني يرد على الاول قوله

جلدي عميرة فيه العار والحوب * والعجز مطرح والفحش مسبوب

وبالعراق نساء كالمها نطف * بارخص السوم جذلات مناجيب

وما عميرة من ثدياء حالية * كالعلاج صفرها الا كنان والطيب

قال مثل هذا الشعر كمثل رجل قيل له أبوك ذاك الذي مات من الجوع قال فوجد

شيئاً فلم يأكله ، وقال الخزامي

عيال عالة وكساد سوق * واير لا ينام ولا ينيم

وقال ابن ميادة

أظهر ما في الصدر أم أنت كآته * وكآته داء لمن هو كآته

واضماره في الصدر داء وعلة * واظهاره شنع لمن هو عالمه

وتقول العرب من ارتاد لسره فقد أشاعه، وأرى قد أذن في واحد وهو قوله
وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال الآخر فيما يوافق المثل

فلا تفش سرّك الا اليه * لك فان لكل نصيحاً نصيحاً
فاني رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديماً صحيحاً

وقال مسكين الدارمي

اذا ما خليلي خائني وأتمنته * فذاك وداعيه وذاك وداعها
رددت عليه وده وتركته * مطلقة لا يستطاع رجاعها
واني امرؤ مني الحياء الذي ترى * أعيش بأخلاق قليل خداعها
وأخي رجلاً لست أطلع به ضمهم * على سر بعض غير أنني جماعها
يظنون شتي في البلاد وسرهم * الى صخرة أعيا الرجال انصداعها

وقال أبو محجن الثقفي

وقد أكون وما مالي بذى قنع * وأكنتم السر فيه ضربة العنق
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كنتم سره كان الخيار في يده، وقال بمض
الحكماء لا تطلع أخاك على سرّك الا بقدر ما لا تجد فيه بداً من معاونتك وقال آخر
ان سرّك من دمك فانظر أين تربقه قال الشاعر

ولو قدرت على نسيان ما اشتمت * مني الضلوع من الاسرار والخبر
لكنت أول من ينسى سرائره * اذ كنت من نشرها يوماً على خطر

وقال قيس بن الخطيم

وان ضيع الاخوان سرا فاني * كتوم لأسرار المشير أمين
يكون له عندي اذا ما أتمنته * مكان بسوداء الفؤاد مكين
وقيل لمزيد يا مزيد ما هذا الذي تحت حضنك فقال يا أحمق لم خبأته وقال أبو الشيبص
ضع السر في صماء ليست بصخرة * صلود كما عانيت من سائر الصخر
ولكنها قلب امرئ ذي حفيظة * يرى ضيعة الاسرار من أكبر الشر

يموت وما مات كرائم فعمله * ويبلى وما يبلى نناه على الدهر
وقال سحيم الفقهي في افشائه ما بودع من الاسرار

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي

وان ضعيف العقل من بات ليله * قلبه الاسرار جنباً الى جنب

وقال العرار السلمي وهذا الشعر في طريق شعر سحيم وان لم يكن في معنى السر قوله

* وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبتت نفضت بها يدي

ما كان ينفعني مقال نسائهم * وقتلت بين رجالهم لا تبعده

وقيل لأسلم بن زرعة أنك ان انهزمت من أصحاب مرادس بن ادية غضب عليك

الأمير عبيد الله بن زياد قال يغضب علي وأنا حي أحب الى من أن يرضى عني وأنا

ميت ، قال وولى تستر وخرج اليها في أصحابه فلما شارفها عرضت له الخوارج وكان

أكثر منهم عدداً وعدة فقال والله لأصافنهم ولأعبين أصحابي فلعلمهم ان رأوا

كثرتهم انصرفوا ولا أزال كذلك قويا في عملي هذا فلما رأت الخوارج كثرة القوم

نزلوا عن خيولهم فمروا بها وقطعوا أجفان سيوفهم ونبذوا كل دئبق كان معهم وصبوا

أسقيتهم فلما رأى ذلك رأي الموت الأحمر فأقبل عليهم فقال عرفتم دوابكم وقطعتم

أجفان سيوفكم ونبذتم دئبقكم خار الله لنا ولكم ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف

عنهم ، وكان أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظام أضيق الناس صدرا بحمل سره وكان

شراً ما يكون اذا يؤكده عليه صاحب السر وكان اذا لم يؤكده عليه ربما نسي القصة فيسلم

صاحب السر وقال له مرة قاسم التمار سبحان الله ما في الارض اعجب منك اودعتك

سراً فلم تصبر عن افشائه يوماً واحداً والله لأشكوكك للناس فقال ياهؤلاء سلوه

نمت عليه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً فمن الذنب فلم يرض بأن يشاركه

في الذنب حتى صير الذنب كله لصاحب السر وقال بمض الشعراء فيه

ختمت الفؤاد على سرها * نخم الصحيفة بالخاتم

هوى بي الى حبه نظرة * هوى الفراشة للجاحم

﴿ وقال البعيث ﴾

فان تك ليلى حملتني لبانة * فلا وأبى ليلى اذا آلا أخونها
حفظت لها السر الذي كان بيننا * ولا يحفظ الاسرار الا أمينها

وقال رجل من بني سعد

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * فأفشته الرجال فن تلوم *
اذا عانيت من افشى حديثي * وسرى عنده فأنا الظلوم *
واني حين اسأم حمل سرى * وقد ضمنتة صدري سؤوم
ولست محمدا سرى خيلا * ولا عرسى اذا خطرت هموم
واطوى السر دون الناس انى * لما استودعت من سر كتوم

قال وقيل لشيخ ويحك هاهنا ناس يسرق أحدهم خمسين سنة ويزني خمسين سنة
ويصنع العظام خمسين سنة وهو في ذلك كله مستور جيد الأمر وانت انما لظت
منذ خمسة أشهر وقد شهرت به في الآفاق قال بأبي أنت ومن يكون سره عند
الصبيان أى شئ تكون حاله أبو الحسن بن محمد بن القاسم الهاشمي قال قال أبو العباس
ابن عبد المطاب لعبد الله ابنه يا بني أنت أفقه مني وأنا أعلم منك ان هذا الرجل
يديك يعنى عمر بن الخطاب فاحفظ عني ثلاثا لا تنفس له سرا ولا تفتابن عنده أحدا
ولا يطامن منك على كذبة

﴿ ما جاء في ذم الاماني ﴾

قال سئل ابن أبي بكره أى شئ أحرم متاعا قال المنى ، وقال يزيد ثلاث يخلقن العقل
وفيها دليل على الضعف سرعة الجواب وطول التمني والاستغراب في الضحك ، وقال
عبادة الجعفي ما سرني بنصبي - قمر النعم ، وقال الاصمعي قال ابن أبي الزناد المنى والحلم
أخوان ، وقال معمر بن عبادة الاماني للنفس مثل الترهات للسان وقال الشاعر
منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
وقال بشار

كررنا أحاديث الزمان الذي مضى * فـلـذ لنا محمودها وذميمها

روى الاصمعي عن بعضهم أنه قال الاحتلام أطيب من الفشيان وتمنيك الشيء أوفر حظاً في اللذة من قدرتك عليه قال كأنه ذهب إلى أنه إذا ملك وجبت عليه في ذلك الملك حقوق وخاف الزوال واحتاج إلى الحفظ ، قال وفي الحديث المأثور ما عظمت نعمة على أحد إلا عظمت عليه مؤنة الناس ، وقيل لمزيد أيسرك أن عندك فنيته شراب قال يابن أم من يسره دخول النار بالحجاز ، قال وقدموا إلى أبي الحارث حمير جام خبيص وقالوا له أهذا أطيب أم الفالودج قال لا أفضى على غائب ، قال وقال مدني لرجل أيسرك أن هذه الدار لك قال نعم قال وليس إلا هذا قال فما أقول قال تقول نعم واحبس سنة نعم وأنا أعور ، وقيل لمزيد أيسرك أن هذه الجبة لك قال نعم واضرب عشرين سوطاً قال ولم تقول هذا قال لأنه لا يكون شيء إلا بشيء ، قال وقال عبد الرحمن بن أبي بكره من تمنى طول العمر فليوطن نفسه على المصائب يقول أنه لا يخلو من موت أخ أو عم أو ابن عم أو صديق أو حميم وقال المجنون

أيا حرجات الحى حيث تحملوا * لدي سلم لا جاد كن ربيع

وخياتك اللاتي بمنعرج اللومي * بلين بلى لم يلبهن ربوع *

فقدتك من قلب شجاع فظالما * نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقرت لى غير القريب وأشرفت * هناك نايما ما لهن طلوع *

قال وقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لولا أربيع خصال ما أعطيت عربياً طاعة لو مات أم عمرو يعني أمه ولو نسبت ولو قرأت القرآن ولو لم يكن رأسي صغيراً ، وقال قدم عبد الملك وكان يحب الشعراء فبعثت إلى الرواة فما أتت على سنة حتى رويت الشاهد والمثل وفصولاً بعد ذلك وقدم المصعب وكان يحب النسب فدعوت النساءين فتعلمته في سنة وقدم الحجاج وكان يدين على القرآن لحفظته في سنة ، قال وقال يزيد ابن المهلب لا أخرج حتى أحج وأحفظ القرآن وتموت أمي فخرج قبل ذلك كله ، وقال عبد الله بن يحيى كان من أصحابنا هو وجماعة جلسنا ذات يوم تنمي فتمنيت أن أصير إلى العراق من أيام سالمًا وإن أتزوج سماع وألى كسكر قال فقدمت سالمًا وتزوجت سماع ووليت كسكر ، قال ووقف هشام بن عبد الملك على الفرات ومعه

عبد الرحمن بن رستم فقال هشام ما في الارض نهر خيراً من الفرات وقال عبد الرحمن ما فيها نهر شراً من الفرات اوله للمشركين وآخره للمنافقين ، وقال أبو الحسن الفرات ودجلة واندان لاهل العراق قال الاصمعي وهما الرائدان وهما الرافدان وقال الفرزدق

امير المؤمنين وانت عف * عفيفا است بالوالي الحريص

بعثت الى العراق ورافديه * فزاريا اخـ بيد القـهـيص

ولم يك قبلها راعي مخاض * لتأمنه على وركي فلو ص

تفهبق بالهـراق أبو المثنى * وعلم قومه اكل الخبيص

قال وبيننا غيلان بن خرشة يسير مع ابن عامر اذ ورد على نهر ام عبد الله فقال ابن عامر ما أنفع هذا النهر لاهل هذا المصر قال أجل أيها الامير والله انهم يستعملون ماءه وتفيض مياههم اليه ويتعلم صبيانهم فيه العوم وتأثيرهم ميرتهم فيه فلما ان كان بعد ذلك ساير ذات يوم زياداً وكان زياد عدواً لابن عامر فقال زياد ما اضر هذا النهر بأهل هذا المصر فقال أجل والله أيها الامير تنز منه دورهم ويفرق فيه صبيانهم ويستربون ، وسنقول باسم الله وعونه في العصفور بجملة من القول وعلى انا قد ذكرنا من شأنه اطرافا ومقطعات تفرقن في تضاعيف تلك الاصناف فاذا طال الكلام وكثرت فنونه صار الباب القصير من القول في غماره مستهلكا وفي حومته غرقا فلا بأس ان تكون تلك الفقر مجموعات وتلك المقطعات موصولات وتلك الاطراف مستقصيات مع الباقي من ذكرنا فيه ليكون الباقي مجتمعا في مكان واحد فبالاجتماع تجتمع القوة ومن الابعاض يلتئم الكل وبالانظام تظهر المحاسن ولست ادعى في شيء من هذه الاشكال الاحاطة به والجمع به لكل شيء فيه ومن عجز عن نظم الكثير وعن وضعه في مواضعه كان عن بلوغ آخره وعن استخراج كل شيء فيه أعجز وانه اهون من الاستنباط والحصد اهون من الحرث وهذا الباب لو ضمه على كتابه من هو أكثر مني رواية أضمافا وأجود مني حفظا بعيداً وكان أوسع علما وأتم عزيمة وألطف نظراً وأصدق حسا وأغوص على البعيد الغامض وأفهم للعويص الممتنع وأكثر

خاطراً وأحسن قريحة وأقل سامة وأتم عناية وأحسن عادة مع افراط الشهوة وفراغ البال وبمدد الامل وقوة الطمع في تمامه والانتفاع بثمرته ثم مدله في العمر ومكنته القدرة لكان قد ادعى معضلة وضمن أسراً معجزاً وقال قولاً مرغوباً عنه ولكان ممن يفضل قوله على ذممه ووعدته علي مقدار نجازته لان الانسان وان اضيف الى الكمال وعرف بالبلاغة وفاتش العلماء فانه لا يكمل أن يحيط علمه بكل ما في جناح بعوضة أيام الدنيا ولو استمد بكل نظار عظيم واستعان بعلم كل بحاث واع وكل نقاب في البلاد ودارسة للكتب ، وما أشك أن عند الوزراء في ذلك ما ليس عند الرعية من العلماء وعند الخلفاء ما ليس عند الوزراء وعند الانبياء ما ليس عند الخلفاء وعند الملائكة ما ليس عند الانبياء وما عند الله عز وجل أكثر واخلق في بلوغه أعجز ، وانما علم الله كل طبقة من خلقه بقدر احتمال فطرهم ومقدار مصالحتهم ، فان قلت فتمد علم الله عز وجل آدم الاسماء كلها ولا يجوز تعريف الاسماء بغير المعاني ولو لا حاجة الناس الى المعاني والى التعاون والترافد لما احتاجوا الى الاسماء على أن المعاني تفضل على الاسماء والحاجات تجوز مقادير السمات وتفوت ذرع العلامات فما لا إسم له خاص الخاص والخاصيات كلها ليست لها أسماء قائمة وكذلك تراكيب الالوان والارابيح والطعوم ونتائجها ، وجوابي عن ذلك أن الله عز وجل لم يكن يخبرنا أنه قد كان علم آدم كل شيء يملكه تعالى كما لا يجوز أن يقدره على كل شيء يقدر عليه واذا كان العبد المحدود الجسم المحدود القوي لا يبلغ صفة ربه الذي اخترعه وصفة خالقه الذي ابتدعه فمعلوم أنه انما عني بقوله وعلم آدم الاسماء كلها علم مصالحته في دنياه وآخريته وقال الله عز وجل وفوق كل ذي علم عليم وقال الله عز وجل ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من يمده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله وقال الله تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وقال تقدست اسماءه وما يعلم جنود ربك الا هو وقال عز وجل ويخلق ما لا تعلمون ، وهذا الباب من المعلوم غير باب شيء منه والمخاطبة وقعت على جميع المتقدمين واشتملت على جميع اصناف المتحيزين ولم تقع على أهل عصر دون عصر ولا أهل بلد دون بلد ولا على جنس دون جنس ولا على تابع دون متبوع ولا آخر دون اول

✽ اجناس الطير التي تألف دور الناس ✽

العصافير والخطاطيف والزرزير والخفافيش فبين هذه مناسبة ومشاكله وإلفة ومحبة والخطاطيف تقطع اليهم وتغرب عنهم والعصافير لا تفارقهم وان وجدت داراً مبنية لم تسكنها حتى يسكنها انسان ومتى ان سكنتها لم تقم فيها اذا خرج منها ذلك الانسان فبفراقه تفارق وبسكنه تسكن وهذه فضيلة لها على الخطاطيف ، والحمام لا تقيم معهم في دورهم الا بعد ان يثبتوه ويعلموه ويزينوا حاله ويدرجوه ، ومنها ماهو وحشى طواري وربما توحش بعد الانس ، والعصافير على خلاف ذلك فلها بذلك فضيلة على الحمام وعلى الخطاطف وقد يدرب المصفور ويثبت فيستجيب من المكان البعيد ويثبت ويدجن فهو مما يثبت ويعايش الناس من تلقاء نفسه مرة وبالتثبيت مرة ، وليس كذلك نبي ، مما يأوي الى الناس من الطير ، وقد بلغني أن بعض ما يستجيب منها قد جرب فرجع من ميل ، فأما الهداية من تلقاء نفسه فن الفراسخ الكثيرة وحديثي حمويه الحربى وأبو جرادة الهواردى قالا اذا كان زمان البيادر لم يبق بالبصرة عصفور الا طار الى البساتين الا ما أقام على بيضه وفراخه وكذلك العصافير اذا خرج أهل الدار من الدار فانه لا يقيم في تلك الدار عصفور الا على بيض أو فراخ فاذا لم يكن لها أهل استوحشت فالتست لأنفسها الاوكار في الدور المعمورة ولذلك قال اسحاق فتلك بغداد ما تبئت من الوح * شة في دورها عصافرها

قالا فعلى قدر قرب القبائل منها الى البساتين فوجدت عصافيرها ما قرب اليها منها قد سبقت نقلها الى البساتين التي تليها وكذلك صنع ما بقي من العصافير القبائل الباقية حتى تصير الى آخر البصرة والى آخر البساتين وذلك شبيه بعشرين فرسخا فاذا انقضت حاجتها وانقضى أمر البيادر أقبلت من هناك على أمارات معروفة وعلامات قائمة حتى تصير الى أوكارها ، والطير كاه على ثلاثة أضرب فضرب من بهائم الطير وضرب كسباع الطير وضرب كالمشترك المركب منهما جميعا فالهيمه كالحمام واشباه الحمام مما يفتدى الحبوب والبزور والنبات ولا يفتدى بغير ذلك والسبع الذى لا يفتدى الا اللحم ، وقد يأكل الاسد الملح ليس على طريق التغذى ولكن

على طريق التماح والتحمض فيما يشارك فيه المصفور بهائم الطير انه ليس بذى
نخب ولا منسر وهو مما اذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدائرة وسباع
الطير تقدم اصبعين وتؤخر اصبعين ومما يشارك فيه السبع أن بهائم الطير تلقم فراخها
والسباع تلقم جراها ، والفراخ على ثلاثة أصناف ففرخ كالفرج لا يزق ولا يطعم وفرخ
كفرخ العقاب والبازي والزررق والشاهين والصقر وأشباهاها من السباع فهو يلقم
ولا يزق فأشبهها المصفور من هذا الوجه ، وفيه من السباع أنه بصيد الجرادة والنمل
الطياري يأكل اللحم ويلقّم فراخه اللحم وليس في الارض رأس أشبه برأس الآدمي
من رأس المصفور ، والاجناس التي تعاشي الناس الكلب والسنور والفرس والبعير
والحمار والبغل والحمام والخطاف والزنبور والخفاش والمصفور ، قالوا وليس في جميعها
أطول عمراً من البغل ولا أقصر عمراً من المصفور قالوا وما نظن ذلك كان الا لقلة
سفاد البغل وكثرة سفاد المصفور ، ويؤمنون أن محمد بن سليمان أنزى البغال على
البغلات كما أنزى العتاق على الحجور والبرازين على الرمك والحير على الأثني فوجد
تلك الفجولة من البغال بأعيانها أقصر أعماراً من سائر الحافر حين سوي بينها في
السفاد ووجد البغل يلقح إلقاحاً فاسداً لا يتم ولا يعيش ، وذكروا ان قصر العمر
يمرض لانها كما عرض لذكورتها وهذا شبهه بما ذكر صاحب المنطق في المصافير
فانه ذكر أن إناتها أطول أعماراً وأن ذكورها لا تعيش الا سنة واحدة ، والمرأة
تنقطع عن الحمل قبل ان ينقطع الرجل عن الاحبال بدهر وتفرط في السمن فتصير
عاقراً ويكون الرجل أسمن منها فلا يصير عاقراً ، وكذلك الحجر والرمكة والاتان
وكذلك النخلة المطعمة وتسقي اب الفحال فيكون أجود لالقاحه وهما يختلفان كما
تري ، وللمصفور فضيلة أخرى وذلك ان من فضل الجنس أن تتميز ذكورته في العين
من اناته كالرجل والمرأة والديك والدجاجة والفحال والمطعمة والتميس والظبية
والطاوس والتدرج والدراج وانها وليس ذلك كالحجر والفرس والرمكة والبرذون
والناقة والجل والمير والأسد واللبوة فان هذه الاجناس تقبل نحوك ولا تنفصل في
العين الاثني من الذكر حتى تفقد مواضع القنب والأطباء وموضع الضرع والسلي

وموضع نقر الكلبة من القضيبي لان للمصفور الذكر لحية سوداء وليس للحيية الا للرجل والتيس والديك واشباه ذلك فهذه أيضاً فضيلة للمصفور ، فاذا أصيبت بأولادها أو خافت عليها العطب فليس بين شي من الأجناس من المساعدة مثل الذي مع المصافير لان المصفور يري الحية قد أقبلت نحو جحره وعشه ووكره لتأكل بيضه أو فراخه فيصيح ويوثق فلا يسمع صوته عصفور الا أقبل عليه وصنع مثل صنيعه بتخريق ولوعة وقلق واستمائه وصراخ وربما أفلت الى الارض وسقط الى الارض وقد ذهبت الحية فيجتمعن عليه اذا كان قد نبت ريشه أدنى نبات فلا يزال يهيجنه ويطنرن حوله لعلها ان ذلك يحدث للفرخ قوة على النهوض فاذا نهض طرن حواليه ودونه حتى يحتملنه بذلك العمل وكان الجريبي ينشد

واجتث كل باذل دقوق * حتى رفمن شررة اللحوق

وينشد

* واجتث مجتثاً بها الخدورا *

وتقول العاشية هيج الآبية ولو ان انسانا أخذ فرخي عصفور من وكره ووضعها بحيث يراها أبواهما في منزله لوجد المصفور يتحتم في ذلك المنزل حتى يدخل في ذلك القفص فلا يزال في أهده بما يعيشه حتى يستغنى عنه ثم يحتملان في ذلك غاية التفرير والخطار وذلك من فرط الرقة على أولادهما ، وأجناس الحيوان التي لا تستطيع أن تسمع بالمشى ضروب منها الضبع لانها خلقت عرجانها أبداً تخضع قال الشاعر

وجاءت جبال وابنا أبيها * أحم الماقيين بها خماع

وقال مدرك بن الحصين

من العسر ما تدرى أرجل شمالها * من الظلم لما هزلت أم يمينها
والذئب أنزل شنج النسا وان أحت الى المشى فيكانه يتوحى ، وكذلك الظبي شنج النسا فهو لا يسمع بالمشى قال الشاعر

وقضرى شنج الانسا * ، نباح من الشعب

واذا أرادوا المدرفا هو النقر والوثب ورفع القوائم معا ، وكذلك الاسد فانما يمشي

كأنه رهيص واذا مشى تحلق قال أبو زيد

إذا تبهنس يمشى خلته وعشا * وهت سواعده من بعد تكسير
وكذلك الفرس لا يسمع بالمشي وهو يوصف بشنج النساء، ومن ذلك الغراب فإنه
يحجل كأنه مقيد قال الشاعر

كتارك يوم مشية من سجية * لاخرى ففاتته فأصبح يحجل

وقال الطرماح

شنج النساء اذا الجناح كأنه * في الدار بعد الظاعنين مقيد

والنسور والفقود وأشباهها في طريق الاسد، والحية تمشي ومنها ما يشب ومنها
ما ينتصب ويقوم على ذنبه والافعى اذا انتهت وانباغت للنهش لم تستغل ببدنها كله
ولكنها تستطر بدنها الذي يلي الرأس حركة وتسقط أسرع من الملح، والجرادة تطير
وتمشي وتطمر فاذا صرت الى المصفور والبرغوث ذهب المشى فليس عند البرغوث
الا الطمور والثوب وقال الحسن بن هانئ يصف رجلا يفلئ القمل والبرغوث
أو طامرى وائب * لم ينجه منه وثابه

لان البرغوث وثاب، قال وقول الناس طامر وابن طامر اذا يريدون البرغوث وكذلك
المصفور ليس يعرف الا أن يجمع رجليه ويثب فيضهما معا ويرفهما معا فليس عنده
الا النقران فلذلك يسمى المصفور نقازاً وهو المصفور والجمع عصافير ونقاز والجمع
نقازير وهي الصغار أيضاً فلا يسمع بالمشي، وليس لشيء مثل جسم المصفور مراراً كثيرة
من شدة الوطء وصلابة الوقع على الارض اذا مشى أو على السطح مالمصفور فانك
اذا كنت تحت السطح الذي يمشى عليه حسبت وقعه عليه وقعة حجر والكاب منعوت
يشدة الوطء وكذلك الخصيان من كل شيء فالمصفور تأخذ بيضته من الأجزاء
بأكثر من قسط جسمه من تلك الاجسام بالاصناف الكثيرة والذباب من الطير
الذي يجيد المشي ويمشي مشياً سبطاً حينئذ مستويا والقطاة مليحة المشى مقارنة الخطو
وقد توصف مشية المرأة بمشي القطاة وقال الشاعر

يمشون مشى قفا البطاح تأوداً * قاب البطون رواجح الا كيفال

وقال الشاعر

تمشيت كما تمشي القطا * أو كما يمشي جلال البقرات
 لان البقرة تتبختر في مشيتها، وقلت لابي دبوقا أي شيء أول المشي قال التباهر
 والقرمطة في المشي، وكل حيوان من ذوات الرجلين والاربع اذا انكسرت لها قائمة
 تحامات بالصحيحة الا النعامه فانها تسقط البتة، قال فكثيرة عدد السفاد والمبالغة في
 الابطاء والدوام في كثرة المدد لضروب من الحيوان فالانسان يغلب هذه الاجناس
 لان ذلك دائم فيه في جميع الازمنة فأما الابطاء في حال السفاد فللجمل والورل والديباب
 والخنازير فهذه فضيلة لذة لهذه الاجناس والاصناف، فأما كثرة المدد فللمصافير وقد زعم
 أبو عبد الله العتيبي الابرص وكان قاطع الشهادة عند أصحابنا البصريين ان الذي يقال
 له المسراطي قرع في يوم واحد نيفا وثمانين قرعة الا أن ذلك منه ومن مثله ينمق
 حتى يعود حافراً في الايام القليلة، وبنو حمان يزعمون ان تيس بنى حمان قرع وألقح
 بمد ان ذبح وفخروا بذلك فقال بعض من يهجوهم

وألهي بنى حمان عسب عتودهم * عن المجد حتى احرزته الاكارم

وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان فيما سلف من الدهر ان نوراً سفد وألقح
 من ساعته بمد ان خصي فاذا افراط المادح في المديح وخرج من المقدار وافراط
 المتعجب في التعجب وخرج من المقدار احتاج صاحبه الى ان يثبت بالعيان أو بالخبر
 الذي لم يكذب مثله والا فقد تعرض للتكذيب ولو جعلوا حركتهم خيراً وحكاية
 وتبرؤا عن عينه ماضهم ذلك فيكون ذلك أصون لاقدارهم وأتم لروايت كتبهم، قالوا
 وكل جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزرزور والخطاف وجناحهما أجود من
 جناح المصفور ورجل المصفور قوية والجناحان هما يد الطائر لانهم يجعلون كل طائر
 وانسان ذا أربع جناح الطائر يدها ويدها الانسان جناحاه ولذلك ان قطعت يد الانسان
 لم يجد المدو وكذلك ان قطعت رجل الطائر لم يجد الطيران، والدابة قد تقوم على رجلها
 دون يديها والانسان قد يمشي على قوائم أربع الا أن الآلة تكون في مكان ببعض
 الاعمال أليق وهي عليها أسهل فتجدها طباؤها الى ما فيها من ذلك كمشي الدابة على

يديها ويثقل ذلك على الانسان ، والحمام يضرب بجناحه الحمام ويقاومه به ويدفع عن نفسه به وقواته هي أصابعه وجناحاه يده ورجله كالتقدم وهي رجل وان سموها كفا حين وجدوها تكف به كما يصنع الانسان بكفه وكل مقطوع اليدين وكل من لم يخلق له يدان فهو يصنع برجله عامة ما يصنعه الوافر الخلق بيديه ، وكل سبع يكون شديد اليدين فإنه يكون ضعيف الرجلين وكل شيء من ذوات البرائن والحوافر فان يديها أكبر من رجلها والناس أرجلهم أكبر من أيديهم وأقدامهم أكبر من أيديهم وجعلوا ركب الدواب في أيديها ، وللعصافير طباهجات وغلات تدعي العصافيرية ولها حواش يطعمها المفلوج والعوام تأكلها للقوة على الجماع وعظام سوقها وأغذاها أحد واذرب من الأبر وهي مخوفة على المعدة والامعاء وهي تحرب السقف تخريباً فاحشاً وتجتاب الحيات الى منازل الناس لحرص الحيات على ابتلاع العصافير وفراخها وبيضها ، والذين زعموا أن ذكورتها لاتعيش الا سنة يحتاجون الى أن يعرفوا الناس ذلك وكيف يستطيعون تعريفهم ذلك وقد تكون القرى بقرب المزارع والميازب مملوءة عصافير ومملوءة من بيضها وفراخها وهم مع ذلك لم يروا عصفوراً قط ميتاً والذين زعموا أن البغل انما طال عمره لقلة السفاد والعصفور انما قصر عمره لكثرة السفاد وغلمته لو قالوا بذلك على جهة الظن والتقريب لم يلمهم أحد من العلماء والامور المقربة غير الأمور الموجبة فينبغي ان يعرفوا فضل ما بين الواجب والمقرب وفرق ما بين الدليل ومثبه الدليل ولعل طول عمر البغل يكون للذي قالوا ولشيء آخر ، وليس ينبغي لنا أن نجزم على هذه العلة فقط والعصفور لا يستقر ما كان خارجاً من وكره حتى كانه في دوام الحركة صبي وله صوت حديد مؤذ وزعموا ان الببلل لا يستقر أبداً وهذا غلط لان الببلل انما يطاق لانه محصور في ففص والذين عاينوا الببلل والعصافير في غير أوكارها وغير محصورة في الافاص يعلمون فضل العصفور على الببلل في الحركة ، فأما صدق الحس وشدة الحذر والازكان الذي ليس لحس الطواف ولا عند العراف فان عند العصفور منه ما ليس عند جميع ما ذكرنا لو اجتمعت قواهم وركبوا في نصاب واحد من ذلك انه يتم بحدة صوته بعض

من يقرب منه فيصيح به ويهوي بيديه للأرض كأنه يريد ان يرميه بحجر فلا يراه
يحفل بذلك فان وقعت يده على حصاة طار من قبل يتمكن من أخذها ، وزعم صاحب
المنطق ان بين الحمار وعصفور الشوك عداوة وقال لان الحمار يدخل الشجر والشوك
فربما زاحم الموضع الذي فيه وكره فيدده عشه وربما نهق الحمار فسقط فرخ العصفور أو
بيضه من جوف وكره قال ولذلك اذا رآه العصفور زرق فوق رأسه وعلى عنقه وآذاه
بطيرانه وصياحه وربما كان العصفور أبلق ويصاب فيه الاصبع والجرادى والاسود والقميع
فاذا أصابه كذلك باعوه بالثمن الكثير ، وقال أبو زيد الاسدي قيل لعبد الاعلى القاص
لم سمي العصفور عصفوراً قال لانه عصى وفر قيل ولم سمي الطفشيل طفشيلاً قال لانه
طففا وشال وقيل له لم سمي السكب القاطى قاطياً قال لانه قاطى قال ولم سمي السلوقى
سلوقياً قال لانه سلاوبقى وحدثني ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن صهيب مولى
ابن عامر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من انسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها الا سأله الله عنها قيل يا رسول وما
حقها قال ان تذبجها فتأكلها ولا تقطع رأسها فترمى بها ويقال للعصفور قد صر
العصفور يصر صريراً قال ويقال فى المسكاكى والقنابر والحرق والحمر قد صفر بصفر
صفيراً قال طرفة بن العبد

يالك من قنبرة بممر * خلالك الجو فيضى واصفرى

ويقال قد نطق العصفور وقال جرير

سوى ذكره منها ان الراكب عرسوا * وهبت عصافير الصريم النواطق
ولذكر العصفور موضع آخر وذلك ان العصافير تصيح وقت الصبح وقال كاثوم
ابن عمرو

باليلة لى بجوارين ساهرة * حتى تكلم فى الصبح العصافير

وقال الوليد بن يزيد

فلا أصوات عصافيره * ولاحت تباشير أروافه

غدا بقترى آبقا عاريا * ويلبس ناضر أروافه

وقال أبو محرز فلما ان دنا الصبح * باصوات المصافير
ولها موضع آخر وذلك انهم يضربون المثل بأحلام المصافير لأحلام السخفاء وقار
دريد بن الصمة

يا آل سيفيان ما بالى وبالكم * أنتم كبير وفي الأحلام عصفور
وقال حسان بن ثابت

لابأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال وأحلام المصافير
وفي معني هذا الباب من التصغير والتحقيق يقول لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

والمسحر المحدث على قولهم * ونسحر بالطعام وبالشراب * وقال لبيد

* عصافير وذبان ودود * فكانه يجبر عن ضعف طباع الانسان وقال قوم المسحر يعني كل
ذي سحر يذهب الى الرثة لقوله * ونسحر بالطعام وبالشراب * ولذ كر السحر موضع
آخر يقول الرجل لصاحبه صرمت سحري منك أى لست منك وقال خفاف بن ندبة

ولولا ابنا تماضران تساوى * وانى فيك غير صريم سحر

فكانه قال لست كذلك وقال قيس بن الخطيم

تقول ظميتي لما استنقت * أتترك ما جمعت صريم سحر

أى قد تركته آيسا منه وأنشد الآخر

أيذهب ما جمعت صريم سحر * طليقا ان ذا لهو والعجيب

كذبتم والذي رفع المعالي * ولما يخضب الاسل الخضيب

ياذا وصفوا شدة الحر وصفوا كيف ترقى الحرباء على العود الجزل وكيف

لجأ المصافير الى جحر الضباب من شدة الحر وقال أبو زيد

أى ساع شنى ليقطع شربي * حين لاحت للصباح الجوزاء

واستمكن المصفور كرها مع الضب وأوفى في عوده الحرباء

ونفي الجندب الحصى بكراعي * وأذكت نيرانها المعزاء

من سموم كأنها نفح نار * سجرتها الهجيرة العماة

وأنشدوا

تجاوزت والمصفور في الجهر لاجئ * مع الضب والشقران بسمو صريها
قال والشقران الحرباء قوله بسمو أي يرتفع على رأس العود والواجد من الشقران
شقران تحريك القاف وفتح الشين وأكرم خيل كان للعرب من الابل كان يسمي
عصفوراً وتسمي أولاده عصافيره النعمان، وكانوا يقولون صنع به الملك كذا وكذا
ووهب له مائة من عصافيره وعصفور وذاعر وعامر وذو الكيلين خولة ابل النعمان
وعصافير الطير واحدها عصفور والرحل يسمي عصفور القواس تضاف اليه القسي
المصفورية وقد ذكره ابن بشير حين دعي على مقام له بالشواهين والصقور والسناير
والبنادق فقال

من كل أكف بات يدجن ليله * ففدا بدمود ساغب ممتور
ضرم يقلب كفه مستأنساً * مسا فكرله من التقدير
يأتي لمن ميامنا ومياسراً * صكا بكل مذلق مخطور
لا ينج منه شريدهن فان نجا * شيء فصار بجانيات الدور
بمشميرين من السواعد حسر * عنها لكل رشيقه النوتير
ليس الذي تشوي يداه برمييه * فيهم بمتندر ولا ممتور
يتبعون مع الشروق غدية * في كل معطبة الحراب بتور
عطف الشبات موانع في بذلها * تعزى اذا نسبت الى عصفور
ينفين عن حرب الاكف سواسيا * متشابهات صفن بالندوير
يجرى لها مبهج النفوس وانها * لتواصل سات من الخمير
ما ان بنى متباين متباعد * في الجوى بحسر طرف كل بصير
عن شبهن اذا فصلن لجمه * متقطراً متضمخا بمبير
فيؤب ناجين بين مخلص * دام ومجلوب الى منسور
عارى الجناح من القوادم والعري * كأس عليه بطائر الناهور
وقال ابن السري وهو معدان الاعمي الدينوري وهو يذكر ظهور الامام واشراط

خروجه فقال

في زمان تبيض فيه الخفافيد * ش ونسق سلافة الجريال
 ويقيم المصفور سلما مع الاي * م وتحمي الذئاب لحم السخال
 يقول اذا ظهر الامام فآية ذلك ان تبيض الخفافيش وهي اليوم تلد وتحمل لنا الخبز
 وتسالم الحيات المصافير والذئاب السخال، ورووا في طول سجود عيسى بن عقبة أنه
 كان يطيل ذلك حتى يظن المصفور أنه كالشيء الذي لا يخاف جانبه وحتى يظن
 المصفور أنه سارية فيسقط عليه، وذكر عمران بن أبي الفضل عن الاعمش عن يزيد
 ابن حيان قال كان يزيد بن عقبة اذا سجد وقعت المصافير على ظهره من طول
 سجوده، وفي المثل ان شيخا نصب للمصافير فخا فارتبقت به وبالفتح فضر به البرد
 فكلمها مشي الى الفخ وقد انضم الى المصفور وقبض على جناحه فالتقاه في وعائه وقد
 دمعت عينه مما كان يصد وجهه من برد الشمال قال فتوامرت المصافير بأمره وفان
 لا بأس عليكم فانه شيخ صالح رحيم رقيق الدمعة قال فقال عصفور منها لا تنظروا الى
 دموع عينيه ولكن انظروا الى عمل يديه، وفي امثال العامة فيمن يتصرف بغير مؤنة
 الحجر مجان والمصفور مجان، قال ويقال عصفور وعصفورة وأنشد قوله
 ولو أنها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عتيكا وأرتما
 وقال في هذا المني جريرو وان لم يكن ذكر المصفور

مازات نحسب كل شيء بدمهم * خيلا تشد عليهم ورجالا
 قال يونس أخذ والله هذا المني من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
 وقال الشاعر

كأن بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل
 يؤدي اليه أن كل ننية * تيمها ترمى اليه بقاتل *

وقال بشار في شبيهه ذلك

كأن فؤاده كرة تنزى * حذار البين لو نفع الحذار
 جفت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها فيها فطار

يروعه السرار بكل أرض * مخافة أن يكون به السرار

وقال عبيد بن أيوب

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليعة معشر

فان قيل خير قات هذا خديمة * وان قيل شر قات حقا فشمير

وخفت خليلي ذا الصفاء وراي * وقات فلانا أو فلانة فاحذر

وقال ابان اللاحق

اخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالهزار قبل الكلام

ومن ملاح أحاديث الاصمعي قال حدثني شيخ من أهل المدينة وكان عالي السن قال

قال العاصمي كانت هذه الارض لقوم ابتادوا وساقوها وكانت الثمرة اذا أدركت

قال قائلهم انهم الحائط ليصيب المار مما فيه والمعنى ثم يقول ارسل الى فلان بكذا وكذا

والى فلان بكذا وكذا فاذا يمت الثمرة فأرسل الى فلان بكذا وكذا من دينار والى فلان

بكذا وكذا فيضج الوكيل فيقول ما أنت وهذا لا أم لك فلما عمرت الارض وأغنت

انتظمتها قوم سواهم وان أحدهم ليسد حائطه ويصفر بابه ثم يدج فيقول ما هذه النملة

فأرسل يستظيف من وراء الحائط فهو أطول من معقل أبي كريبز واذا دخل حائطه

دخل معه بقدافة فاذا رأى المصفرور رماه على القنأ فيقع المصفرور مشويا على قرص

والقرص من هذا المصفرور، ويخص المصافير الهبيرية وهي تطعم على رفرق وتكون

اسمن من السمانى وأطيب من كل طيب وهي تهدي الى ملوكنا وهي قليلة هناك

وقال الراعي

ما زال يركب روقيه ويخاطه * حتى استناد سفاها دونها الناد

حتى اذا نطق المصفرور انكشفت * عمابة الليل عنه وهي تعتمد

وقال الراعي

وأصفر مجدول من المد مارق * ثلاث بعينها فيلوى وبهرق

لدي ساعدى مهربة سندية * تولى بليل والمصافير تنطق

قال وتصاد المصافير بأهون حياة وذلك انهم يعملون لها مصيدة ويحملون لها بنية في

صورة المحبرة التي يقال لها اليهودية المنكوسة الانبوبة ثم ينزل في جوفها عصفور واحد فتقتض عليه العصافير ويدخان عليه وما دخل منها لم يجد سبيلا الى الخروج منها فيصيد الرجل منها في اليوم المائتين وهو وادع ، وهي أسرع الى ذلك العصفور من الطير الى البر اذا جماله في المصائد ومتى أخذ الرجل فراخ العصافير من أوكارها فوضعها في قفص حيث تراها الآباء والامهات فلها تأنيها بالطعم على الخطر الشديد والخوف من الناس والسنانير مع شدة حذرهما ورقة حسنها ليس ذلك الا لبرها بأولادها وحبها

❦ القول في الفار والجرذان والسنانير والعقارب ❦

قال وانما ذكرنا العقارب مع ذكرنا للفار للعداوة التي بين الفار والعقارب كما رأينا ان نذكر السنانير في باب الفار للعداوة التي بينهما فان قلت قد عرفنا عداوة الفار للعقرب فكيف تمادى الفارة السنور والفارة لا تقاومه قيل لعمرى ان جرذان انطاكية لتساجل السنانير في الحرب التي بينهما وما تقوم لها وما تقدر عليها الا الواحد بعد الواحد وهي بخراسان قوية جداً وربما قطعت اذن النائم وفي الفار ما اذا عض قتل وخبرني أبو زيد يونس الشرطي انه عاين ذلك وأنا رأيت سنوراً عندنا ساور جرذاً في بيت الحطب فافلت الجرذ منه وقد فقأ عين السنور والقتال يكون بين الديك والكباش والكلاب والسنانير وضروب مما يقبل التحريش وبواب عند الاغراء ويزعمون أنهم لم يروا قتالاً قط بين بهيمتين أشد من قتال يكون بين جرذين فاذا ربط أحدهما بطرف خيط وشد رجل الآخر بالطرف الآخر فلهما عند ذلك من الجلب والجلس والمض والتشبث والنفقاس ما لا يوجد بين شيئين من ذوات العقارب والمراش الا أن ذلك مادام في الرباط فاذا انحلا وانقطع ولى كل واحد منهما عن صاحبه في الارض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر وان جملا في اناء من قوارير أعنى الجرذ والعقرب وانما ذكرت القوارير لانها لا تستر عن أعين الناس صنيعهما ولا يستطيعان الخروج للملاسة الحيطان فالفارة عند ذلك تحنل العقرب فان قبضت على ابرتها فرصتها وان ضربتها العقرب ضرباً كثيراً فاستنفدت منها كان من أسباب حتفها ، ودخلت انا مرة

وحمد المصباح على عبيد الشونيزى فاذا عند برية زجاج فيها عشرون عقربا وعشرون
 فارا فاذا هي تقتتل فخيلى الى ان تلك الفار قد اعترها ورم من شدة وقع اللسع
 ورأيت العقارب قد كلت عنها وتاركتها ولم أر الا هذا المقدار الذى وصفت وحدثنا
 عنها عبيد باعاجيب ولو كان عبيد استاذ الخبرت عنه ولكن موضع البياض من هذا
 الكتاب خير من جميع ما كان لعبيد، وللجرد تدبير فى الشئ يأكله أو يحسوه فانه
 ليأتى الفارورة الضيقة الرأس فيحتمل حتى يدخل طرف ذنبه فى عنقها فكلا ابتل
 بالدهن أخرجه فلطمه ثم أعاده حتى لا يدع فى الفارورة شيئا ورأيت من الجرذان
 أعجوبة وذلك أن الصيادة لما سقطت على جرد منها ضخمت اجتمعت على اخراجه
 وسئل عنقه من الصيادة فلما أعجزهم ذلك قرضوا الموضع المنضم عليه من جميع
 الجواب ليتسع الخرق فيجذبته فهجمت على محاله حيث يدخل طرف ذنبه فيه فلو
 اعتمدت بسكين على ذلك الموضع اظننت أنه لا يمكن الاسيه بذلك، وزعم بعض
 لأطباء ان السنور انما يدفن خراؤه ثم يعود الى موضعه فيشمه فان كان يجد من ريحه
 بدم شيئا زاد عليه من التراب لان الفأرة لطيفة الحس جيدة الشم فان وجدت تلك
 الريح عرفتها فأمعن فى الهرب فلذلك يصنع السنور ما يصنع ولا يشك الناس أن
 أرض بلد سبا وجنتيها انما خربت حين دخلها سبيل العرم والعرم المسناة وان الذى
 فجر المسناة وسبب لدخول الماء الذى اذا دخل أخرب بقدر قوته وقوة الماء تكون
 من ثلاثة أوجه اما أن تدفمه ريح فى مكان يفحش فيه الريح واما ان يكون وراءه
 وقوه ماء كثير واما ان يصيب حدورا عميقا، وأما حديث ثمامة فانه قال لم أر قط أعجب
 من قتال كنت فى الحبس وحدى وكان فى البيت الذى أنا فيه جحر فأر يقابله جحر
 آخر فكان الجرذ يخرج من أحد الجحرين فيرقص ويتوعد ويصوب بذنبه ويرفع
 صدره ويهز رأسه فلا يزال كذلك اذا عدا أحدهما دخل فى جحره وصنع الآخر
 مثل ذلك فلا يزال كذلك فى الوعيد وفى الفرار وفى التحايز وفى ترك التلاقي الا
 أنى فى كل مرة اظن الذى يظار لى من حدهما واجتهادهما وشدة توعدهما أنهما
 سيلتقيان شئ أهونه النض والحش ولا والله ان التقيا قط فهجبت من وعيد دائم

لا ايقاع معه ومن فرار دائم لا ثبات معه ومن فرار لا يمنع من العودة ومن اقدام لا يوجب
 الا لنتقاء ليس هو الا الصخب والتشبت فلم يعد كل واحد منهما حتى يدخل جحره
 وتقول العرب الضب أطول ثبي ذمء ولا أعلم في الارض شيئاً أقصر ذمء ولا أضعف
 ميتة ولا أحذر ان يقتل الصغير من الغار ويبلغ من نحرزه واحتياطه ان يسكن السقف
 فربما فاجأه السنور وهو يريد ان يهرب الى بيته والسنور في الارض والغارة في السقف
 ولو شاءت ان تدخل مبيتها لم يكن للسنور عليها سبيل فتتحير فيقول السنور بيده
 كالمشير ليساره ارجع فاذا رجعت أشار بيينه ان عد فيعود وانما يطلب ان تعيا وتزاق
 أو يداريها ولا يفعل بها ذلك ثلاث مرات حتى تسقط الى الارض فيذب عليها فاذا
 وثب عليها لعب بها ساعة ثم أكلها ووربما خلى سبيلها وأظهر التناقل فتمعن في الحرب
 فاذا ظنت انها قد نجت وثب عليها وثبة فأخذها فلا يزال كذلك كالذئب يجب أن
 يسخر بصاحبه وان يخدعه وأن يأخذه أقوى ما كان طمعا في السلامة وان يورثه
 الحسرة والاسف وان يلبذ بتفويضه وتعذيبه، وقد يفعل العقاب مثل ذلك بالأرنب ويفعل
 السنور مثل ذلك في العقرب، وقال أبو زيد دخلت على رؤبة فاذا هو يمل جردنا فاذا
 نضجت أخرجها من النار فأكلها فقلت له أتما كل الجرذان قال هي خير من اليرابيع
 والضباب انها عندكم تأكل التمر والخبز والسويق وكان ناس من أهل سيف البحر
 من شق عمان يأكلون الغار والضفادع ممقورة ومملحة وكانوا يسمونها حية حية
 وآل وآل وقال أوس بن حجر

لحيتهم لحي العصافط ردتهم * الى سنة جردانها لم تحلم

يقال تحلم الصبي اذا بدأ في السمن فاذا زاد على ذلك قيل قد صب ويقال أسرق من زبانة
 والزبانة الغارة ويقال أسرق من جرد وقال أنس بن أبي إياس لحارثة بدر حين ولي
 أرض سرق

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكان جردا فيها نخون وتسرق
 وباه تيميا بالغي ان للغني * لسانا به المرء الهيوبة ينطق
 فان جميع الناس اما مكذب * يقول بما تهوى واما مصدق

يقولون أقوالا ولا يدعونها * وان قيل هاتوا حقا قولم بحقوتها
فلا تحقرن يا حار شيئا وليته * خظك من أرض العرايين سرق

فلما بانغت حارثة بن بدر قال لا يخفى عليك لرشد ، قال ووقوفت عجوز علي قيس بن
سعد فقالت أشكو اليك نلة الجرذان قال ما أطف ما سألت تذكر ان بيتها ففر من
الأدم والمأدوم فأكثر لها يا غلام من ذلك ، قال وسمعت قاصا مدينا يقول في دعائه
اللهم أكثر جرذانا وأقل صبياننا ، وبين الفار وبين طباع كثير من الناس منافرة
حتى ان بعضهم لو وطئ ، على ثعبان أورمي بثمان الذي يدخله من المكروه
والوحشة والفرع أيسر مما يدخله من الفارة لورمي بها أو وطئ عليها ، وخبرني
رجال من آل زائدة بن مقسم أن ساجان الأزرق دعا بحية شنعاء قد صارت في دارهم
فدخلت في حجر وانه اغتصبها نفسها حتى قبض على مابقي منها ثم أدارها على رأسه
كما يصنع بالجداف وأهوى بها الى الأرض ليضرب بها فابتدرت من حلقها فأرة
كانت ازدردتها فلما رأى الفارة هرب وصرخ صرخة قالوا فأخذ مشايخنا الثمان
باخراج الفارة وتلك الحية الشنعاء الى مجلس القوم ليعجزوهم من انسان قتل هذه
وفر من هذه ، وسألت بعض الحواثين ممن يأكل الافاعي حية ونية مادونها فقلت ما بال
الحيات منتنة الجلود والجدوم قال أما الافاعي فانها ليست منتنة لانها لاتأكل الفارة
فأما الحيات عامة فانها تطلب الفار طلبا شديدا وربما رأيت الحية وما يكون غلظها
الا مثل الابهام الكبير ثم أجدها قد ابتلت الجرذ أغاظ من الذراع وأذكر ثمن
الحيات الا من هذا الوجه ولم أر الذي قال قولاً مثل قول أعرابي ودخل بعض
الإمصار فاتي من الجرذان جهدا فوجد بها ودعا عليها فقال

يمجل الرحمن بالمقاب * لعامرات البيت بالخراب

حتى يعجان الى الثياب * كحل العيون قصر الرقاب

مستتبعات خلفه الأذنان * مثل مداري الحسن السلاب

ثم دعا عليها بالسور فقال

أهوى لمن أضر الأهاب * منهرت الشدق حديد الناب

* كأنما يرش بالحراب *

ويوصف عضو الحفار والماتح الذي يعمل في المعادن فيشبهه بالجرذان إذا انفاق عنه عن
صلابة فصار ربما قال الراجز

اعددت للورد إذا الورد حفز * غرباً جروراً وجلالا خزخز

وما تحالا ينثني إذا احتجز * كان جوف جلده إذا احتجز

* في كل عضو جرذان أو خزز *

والخززد كيرابيع والزباب والخلد واليرابيع أصم لا يزال كذلك وأنشد

وهم زباب حائر * لا تسمع الآذان رعداً

هكذا أنشدونا وأنشد الاصمعي لمزرد بن بدر ضرار في تشبيه الجرع في خلق الابل
بجثمان الزباب وهو الشكل الذي وصفناه فقال في وصف وصيف له سقاء فوصف جرعه

فقلت له اشرب لو وجدت بهارزاً * طوال الذرى من مرهفات الخناجر

ولكنما صادفت دور منيحة * لثلك يأتى للقرى غير غادر

قاھوى لها الكفين وامتحلقه * بجرع كئاباج الرباب الدفاثر

وقال اعرابي وهو يكثر بقوم وبذكر قرض الفار الصكاك عند فراره منه الزم الصك

لا يقرضه الفار تهزؤابه

أهون على بسيار وصفوته * إذا جمعت ضرارا دون سيار

البائى ناشراً عندى صحيفته * في السوق بين قطين غير ابرار

جاؤا الى عطافا يلفظون بها * تشف آذانهم اذغاب انصارى

لما أبوا جهرة الا ملازمتى * أجمت مكرراً بهم في غير انكار

وقلت ان بحساس غدا حلبي * وان موردكم دار ابن هبار

وما أواعدهم الا لأنبئهم * عنى فيخرجني نقضى وابرارى

وما جلبت اليهم غير راحلة * تحذى برحل وسيف جفنه عارى

ان القضاء سيأتى دونه زمن * فاطوا الصحيفة واحفظها من الفار

والعرب آعيب الانسان اذا كان ضيق الفم أو كان دقيق الخطم وقال عبدة بن العليب

يادمع انك يوم الورد ذو لفظ * ضخم الجزارة بالسلمين جرار

تلقى الوليدة في النادي مؤزرأ * فاحلب فانك جلاب وصرار

ما كنت أول صب صاب تلمته * غيث فأمرع واستوحت به الدار

أنت الذي لا يرجى نيله أبداً * جلد الندى وغداة الروح فرار

تدعو بذيك عبداً وحنيفة * يا فارة شجها في الجهر محفار

وقال أبو الشمقمق في الفار والسنور

ولقد قلت حين أفقر بيتي * من جراب الدقيق والفخاره

ولقد كان أهلاً غير ففر * مخصباً خيره كثير الماره

فأرى الفار قد تجنب بيتي * عأذت منه بدار الاماره

ودعا بالرحيل ذبان بيتي * بين مقصوصة الي طياره

وأقام السنور في البيت حولاً * ما يرى في جوانب البيت فاره

ينفض الرأس منه من شدة الجو * ع وعيش فيه أذي ومراره

قلت لما رأيت ناكس الرأس * س كئيباً في الجوف منه حراره

وبك صبراً فأنت من خير سنه * ور رأته عيناي قط بحاره

قال لا صبر لي وكيف مقامى وسط بيت ففر كجوف الحماره

قلت سر راشدا الي بيت خان * مخصب رحله كثير التجاره

وإذا العنكبوت يفز في دنى * وحتي في الكوز والقرقاره

وأصاب الحجام كلبى فأمسى * بين كلب وكلبة عياره

﴿وقال أيضاً﴾

ولقد قلت حين أحجرتني البر * د كما تحجر الكلاب ثماله *

في مبيت من الغضارة ففر * ليس فيه الا النوى والنخاله

عطائه الجرذان من فلة الخير * وطار الذباب نحو زباله *

هاربات منه الى كل خصب * حين لم يرتجيين منه بلاله *

* وأقام السنور فيه بشر * يسأل الله ذا العلاء والجلاله
 ان يري فارة فلم ير شيئاً * ناكسا رأسه لطول الملاله
 قلت لما رأيتك ناكس الرأس * س كئيبا يمشي على شر حاله
 ويك صبراً فأنت رأس السناء * نير وعلته بحسن مقاله
 قال لاصبر لي وكيف مقامى * في قفار كمثل بيد تباله
 قد أراني أنفض الرأس جوعاً * ثم أمشي في البيت مشى خباله
 قلت سر راشدا فبخار لك الله ولا تمد مذبح البقاله
 * واذا ما سمعت أنا بخير * من نعيم في عيشة ومناله
 * فأنا راشد ولا تمدونا * ان من جاز رحلتنا في ملاله
 قال لي قولة عليك سلام * غير لب منه ولا بطلاله
 ثم ولي كأنه شيخ سوء * أخرجوه من مجلس بكفاله
 ﴿ وقال أيضا ﴾

نزل الفار بيتي * رفة من بعد رفته * خلفا بعد قطار *
 نزلوا بالبيت صفقه * ابن عرس رأس بيتي * صاعداً في رأس فتقه
 سيفه سيف حديد * شقه من ضلع ساقه * جاءنا يطرق بالليل
 فدق الباب دقه * دخل البيت جهاراً * لم يدع بالبيت فلقه
 وأتى يصفق مني * عين باب الدبر صفقه * صفقة أبصرت منها
 في سواد العين زرقة * زرقة مثل ابن عرس * أغبش يملوه بالقه
 ﴿ وقال أيضا ﴾

أخذ الفار برجلي * جعلوا منها خفاف * وسراويلات سوء
 وتباين ضفاف * درجوا حولي بزفن * وبضرب بالدفاف
 قلت ما هذا فقالوا * إنما هذا الزفاف
 ساعة ثم فجأوا * عن هوائ في لحاف * امقوا أستى وقالوا
 ربح مسك بسلاف * صفقوا عين ذوبه * فاستهات بالراف

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمس بورثن النسيان أكل التفاح وسؤر الفار والحجامة في النقرة ونبد القملة والبول في الماء الراكد، ابن جرير قال اخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رقدت فأغلق بابك وخر أناءك وأوك سقاءك وأطني مصباحك فان الشيطان لا يفتح غلقا ولا يكشف إناء، ولا يحل وكاء، وان الفارة الفويسقة تحرق على أهل البيت، قالوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم في السنائير إنهن من الطوافات عليكم وفي نفرته بين سؤر السنور وسؤر الكاب دليل على حثه لا تحاذهن وليس لا تحاذهن وجه الا افناء الفار وقتل الجرذان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كما أحب استحياء السنائير فقد أحب قتل الفار، عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم عذبت امرأة في هرة سجنتها وربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم ترسلها تأكل من خشاش الارض وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة في من قبلكم النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تصيب من خشاش الارض حتى ماتت وأدخلت النار كلما أقيت نهشتها وكلما أدبرت نهشتها، قال وذكر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب المحجن يجر قصبه في النار حتى قال وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تدعها تأكل من خشاش الارض، قال ابن سير في صفة السنور فوصفه بصفة الاسد الا ما وصفه به من الشبه فان السنور يوصف بصفة الاسد اذا أرادوا به الصورة والاعضاء والوثوب والتخلم في المشى الا ان في السنائير السود والنمر والبق والخنجية وليس في ألوان الاسد من ذلك شيء الا كما ترون في النوادر من الفارة البيضاء والفاخته البيضاء والورشان الابيض والفرس الابيض وقال ابن سير في دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى الى ذكر السنور

وخبث في مشبه متبهنس * خلف المؤخر كامل التصدير
 بما أعير مفر أغضف ضيفم * من كل أعضل كالسنان هصور
 متبريل نوب الدجا أو غبشة * سهب على سهميه بالتشمير
 يختص كل سابل سابق غاية * محض النجار مهذب مجبور

وإذا وصفوا الناقة بأنها رواغة شديدة التفزع لفرط نشاطها ومرحها وصفوا بأن هراً
قد ثبت في دفها وأكثر ما يذكرون في ذلك الهر لأنه يجمع العض بالذباب والمحض
بالمخالب وليس كل سبع كذلك وقال ضابي بن الحارث

بادماء حرجوج ترى تحت غرزها * تهاويل هر أو تهاويل اختلا

وقال أوس بن حجر

كان هراً خبيثاً تحت محجرها * والتف ديك بساقها وخزير

وقال عنتره

وكانت يئامى بجانب دفها * وحشي من هرج العشي مؤرم

هر جنيب كلما عطف له * غضبي اتقاها باليدين وبالغم

والغيل يفزع من الهر فزعا شديداً، ومما يقع في الهجاء للسنور قول عمرو بن عبد الله
ابن الوليد في أم سعد بنت خالد

وما السنور في نفسي * لعوبا بالحنائل والبراق

فطلقها فلست لها بأهل * ولو أعطيت هراً في الصداق

قال صاحب الكلب قالوا ولما مات عمرو القصبي وكان من موالي ربيعة بن حنظلة
ومات بالبصرة رجم بالسنانير الميتة وقالوا وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق حتى
زعم أهله أن ذلك كان من تدبير محمد بن سليمان، وقالوا لم نر الناس رموا أحداً بالكلاب
الميتة والكلاب أكثر من السنانير حية وميتة وليس ذلك إلا لأن السنانير أحقر
عندهم وأنتن، قال ويقال للجرذان الغطلان ولأولاد الفار أدراص والواحد درص

وكذلك أولاد اليرابيع يقال لها أدراص ودروص وقال أوس بن حجر

فأ أم الدرين وقد أدلت * بمالة بأخلاق الكرام

إذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبيل النوم

فاذا طلب من هذه الحفائر نائق فيخرج من النافقاء وان طلب من النافقاء فصع
ويقال أنفقته انفاقاً إذا صاح به حتى يخرج ونفق هو إذا خرج من النافقاء، وفي
احتيال اليرابيع بالنافقاء، والقاصصا موالدما، والراهط، وفي جمعها التراب على نفس باب

البحر وفي تقدمها بالحيلة والحراسة وفي تغليبها لمن أرادها والتورية بشئ عن شئ
 وفي معرفتها بيان الخديعة وكيف توهم عدوها خلاف ما هي عليه ثم في وطئها على
 زمعاتها، في السهولة وفي الأرض اللينة لئلا يعرف أثرها الذي يقصه وفي استعمالها
 بمض ما يقال له في الحيلة التوتير والتوتير الوطء على مؤخر أنفها العجب العجيب، وزعم
 أبو عقيل بن درست وشداد الحارثي وحسين الزهرري أن الزباء إنما عملت تلك
 الانفاق التي ذكرها فقال

أقام به على الانفاق عمرو * ولم يشعر بأن لها كميناً

على تدبير اليرابيع في محافيرها هذه ومخارجها التي أعدها ومدخلها على قدر ما يفجأها
 وإن أهل بيت الفرس والروم إنما استخرجوا الاحتيال والمطامير والمخارق على تدبير
 اليرابيع، وإنما سمي الله عز وجل الكافر في باطنه المورى بالايمن والمستر بخلاف
 ما يسر بالانفاق على النافقاء والقاصماء، وعلى تدبير اليربوع في التورية بشئ عن شئ
 قال الشاعر

إذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالجبيل التؤام

وهذا الاسم لم يكن في الجاهلية بهذا العمل ولكن الله عز وجل اشتق
 لهم هذا الاسم من هذا الاصل وقد علمنا ان قولهم لمن لم يحج ضرورة ولمن أدرك
 الجاهلية والاسلام مخضرم وقولهم لكتاب الله قرآن وتسميتهم للمسح بالتراب التيمم
 وتسميتهم للقاذف بفاسق ان ذلك لم يكن في الجاهلية واذا كان للنافقة ان يتسدي
 الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله

* والنؤي كالحوض بالملظومة الجلد *

وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع أثره وعلى أنها لغة عربية فאלله الذي له
 أصل اللغة أحق بذلك، وذكر شداخ بن ضرار اليربوع وكيف تطأ الارب على زمعاتها
 لتغاط الكلاب وجميع ما يطالبها فذكر بدء اشأن العبر والعانة فقال

اذا ما استاقن ضربن منه * مكان الرمح في أنف القدوع

وقد جمات ضفائهن تبدو * بما قد كان نال بلا شفيع

مدلات يردن النأى منه * وهن بعين مرتقب تبوع

ثم أخذ في صفة العقاب وصار الى صفة الارانب فقال

* كأن متونهن مولات * عصي جناح طالبة لموع

قليل ماتريث اذا استفادت * غريض اللحم عن ضمرم جزوع

ثم قال

فما تنفك بين عويرضات * تجر برأس عكرشة زموع

تطارد صيد صارات ويوما * على خران فارات خموع

تلوذ ثعالب الشرفين منه * كما لاذ الغريم من التبيع

نماها الفر في فطن نماها * الى فرخين في وكر رفيع

تري قطعا من الاحناش فيها * جماجهن كالحسل النزيع

والزموع التي تمشى على زمعاتها بمؤخر رجلها قال أبو الفضل توتر يديها وتمشى على زمعاتها برجلها فهي مواضع الانس من الدواب والزعم المعلق خلف الظلف من الشاة والظبي قال وكل ذلك توتير وهو أن تطأ على مؤخر قوائمها كيلا يعرف أثرها انسان ولا كلب، وذكروا أنها تطارد ذئبا مرة وخززا مرة وهو الذكر من الارانب والمكرشة الانثى والخرنق ولدها فاذا قلت أرنب أو عقاب فليس الا التأنيث وتقول هذه العقاب وهذه الارنب الا أن تقول خزز، وقطن جبل معروف والاحناش الحيات وأحناش الارض الضب والقنفذ واليربوع وهي أيضا حشرات الارض تجمل الحية حنشا على قولهم قد آذنتي دواب رأسي يهنون القمل وعلى قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته، قال أبو الفضل ما أراد الا الحيات بأعيانها في هذا الموضع فان العقبان أسرع الى أكل الحيات من الحيات الى أكل الفار وبدل على أنه إنما أراد رؤس الحيات بأعيانها قوله

تري قطعا من الاحناش فيها * جماجهن كالحسل النزيع

ولان أرؤس الحيات سخيفة قليلة اللحم والعظم فلذلك شبهها بالحسل النزيع والحسل

المقل السخيف اليابس الخفيف قال خلف الاحمر

سقى حجبا جنا نوء الثريا * على ما كان من مطل وبخل
 هم جموا البنال واحرزوها * وسدوا دونها بابا بقفل
 اذا اهديت فاكهة وشاة * وعشر دجاج بمثوا بنعل
 و... واكين طولهما ذراع * وعشر من ردى المقل حسل
 فان اهديت ذلك ليجملوني * على نعل أدق الله رجلي
 اناس تائمون لهم رواء * تفيم سماؤهم من غير وبل
 اذا التسيبوا ففرع من قريش * ولكن الفمال فعال عكل
 والحي هو المقل على وجهه وقال أبو ذؤيب

لادردي ان اطعمت نازلهم * عرف الحتي وعندي البر مكنون

باب آخر للسنور فيه فضيلته على جميع اصناف

الحيوان ما خلا الانسان

واذا قال الفاضل فلان وضع كتابا في اصناف الحيوان فليس يدخل فيها الملائكة
 والجن وعلى هذا كلام الناس، وللحيوان موضع آخر وهو قول الله عز وجل في كتابه
 وإن الدار الآخرة لى الحيوان قد علمنا أن المعجم من السباع والبهائم كلها اقربت من
 مشاكلة الناس كان أشرف والانسان هو الفصيح وهو الناطق وقد يشتمون لسائر
 الحيوان التي تصوت وتصيح اسم الناطق اذا قرنوه في الذكر الى الصامت ولهذا
 الفرق أعطوه هذه المشاكلة وهذا الاشتقاق، فاذا تها من لسان بعضها من الحروف
 مقدار ما تفضل به على مقادير الاصناف الباقية كان أولى بهذا الاسم عندهم فلما تها
 لقطاة ثلاثة أحرف قاف وطاء، وألف فكان ذلك هو صوتها سموها بصوتها ثم زعموا
 انها صادقة في تسميتها نفسها قطا قال الحكيم

كان الناطقات الصادقا * ت الواسقات من الذخائر

وقال الآخر في ذكر القطاة

وصادقة قد خبرت ما بعثها * طروقا وباقى الليل في الارض مسرف

جمها نخبرة وخبرها صدقا حين زعمت أنها قطا وان كانت القطاة لم ترم ذلك

والدرب تتوسع في كلامها وبأى شئ تفاهم الناس فهو بيان الا ان بعضه أحسن من بعض والذي تهياً للشاة قولها ما وقال ذوا الرمة

لا يرفع الصوت الا ما تخوفه * داع يناديه باسم الماء مغموم

وقال أبو عباد النهمري لخوينق العمري وكان يتعسف به وراه قد اشترى أضيحة فقال

* يا ذابح المسامات * فعلت فعل الجفأة

أما رحمت من المو * ت يا خوينق شاتى

والصبيان هم الذين يسمون الشاة ماما كأنهم سموها بالذي سمعوا منها حين جهلوا اسمها ، وقيل لصبي يلعب على باهم من أبوك يا غلام وكان اسم أبيه كلباً فقال ووز وزعم صاحب المنطق أن كل طائر عريض اللسان فالانصاح بحروف الكلام منه أوجه ولا بن آوى صياح يشبه صياح الصبيان وكذلك الخنزير وقد تهياً للكلب مثل عف ووو وو وأشبه ذلك وتهياً للغراب القاف وتهياً للبيغاء من الحروف أكثر فاذا صبرت الى السنائير وجدتها قد تهياً لها من الحروف العدد الكثير ومتى أحيت ان تعرف ذلك فتسمع تجاوب السنائير وتوعد بعضها لبعض في جوف الليل ثم احص ما تسمعه وتبمه وتوقف عنده فالك ترى من عدد الحروف ما ان كان بها من الحاجات والمعقول والا استطاعات ثم ألفتها صارت لغة صالحة الموضع متوسطة الحال واللغات انما تشتد وتمسر على المتكلم بها على قدر جهله بأما كتبها التي وضعت فيها وعلى قدر كثرة العدد وقوته وعلى قدر مخارجها وخفتها وسلسها وثقلها وتعقدها في نفسها كفرق ما بين الزنجي والخورزي ، ان الرجل يتنحس في بيع الزنج وابتياهم ثمراً واحداً فيتكلم بعامة كلامهم ويبيع الخوز ويجاورهم زماناً فلا يتماق منهم بطائل . الجملة ان من أعون الاسباب على تعلم اللفظ فرط الحاجة الى ذلك ، والسنور يناسب لانسان باسباب منها أنه يعطس ومنها انه ينثأب ومنها انه يتطلى ويفسل وجهه بعينه بلما به وتلطع الهرة وتبرق جلد ولدها بعد الكبر والصفر حتى يصير كان الدهان مجرى في جلده ، وتهياً لبعض الثربان من الحروف والحكاية مالا تفسره البيغاء ، وزعمت لاطباء ان خرق الفار يسقاه صاحب الاسر فيطاق بوله والاسر هو حصر البول ولا يكن

لا يسمى بذلك وهو الاسر بالالف دون الياء ويصيب الصبي المحصر فيحتمل من خره
 الفار فيطلق عنه ، وقد تهباً من خره الفارد وان لداين قاتلين ولذلك قيل لأعرابي قد
 اجتمعت فيه أوجاع شداد أي شيء تشتكى قال أما الذي يقيدني خصر وأسر ، يقال
 خشي الثور يخشي خنيا وواحد الاخشاء خشي كما ترى ويقال خري الطائر وذرق ومرق
 وزرق ، قال ابن الاعرابي لا يكون النجو رجعا حتى يكون يابسا ويقال ونم الذباب
 واسم نجوه الونيم وقال الشاعر

وقد ونم الذباب عليه حتى * كان ونيمه نقط المداد

فهو ونيم الذباب وخره الطائر وصوم النعام وروث الحمار وهر البعير كالشاة والظبي
 وخشاء البقر ، وقال ابن الزبير من أهدى لنا مكتلا من تمر^(١) قال العذرة اسم لجميع ما يكون
 من جميع الحيوان ولذا قال ابن الزبير ما قال ، ويقال رمضت الدجاجة وذرفت وسلمحت
 فاذا صاروا الى الانسان والفارة قالوا خره الانسان وخره الفارة ويقال خره الفارة
 أدخلوا فيها الهاء كما قالوا ذكورة الذكر وقد يستعار ذلك لغير الانسان والفارقات
 دخنتوس بنت لقيط بن زرارة في يوم شهب جبلة

فرت بنو أسد بخر * الطير عن أربابها

فلذلك يقال لبني أسد خره الطير ويقال لهم عبيد العصا قاله صاحبهم بشر بن أبي خازم
 قالها لاوس بن حارثة

عبيد العصا لم يتقوك بذمة * سوي سب شري ان سبك واسع

فيجب على العاقل بعد أن يعرف ميسم الشعر ومضرته أن يتقى لسان أخس الشعراء
 وأجهلهم شعراً بشر ما له بل بما أمكن من ذلك ، وأما العربي والمولى الراوية فلو خرج
 الى الشعراء من جميع ما له لما عنفته والذي لا يكثرث لوقع نبال الشعراء كما قال البخارزي

مالي أري الناس يأخذون ويهطو * ن وبستمعون بالنشب

وأنت مثل الحمار أنهم * شكوا جراحات أسن العرب

ولأمر ما قال حذيفة لأخيه والرماح شوارع في صدره اياك والكلام المأثور ، وهذا

مذهب فرعت فيه الشعراء من جميع الامم وهو مذهب جامع لاصناف الخير، قال ويقال لموضع الغائط الخلاء والمذهب والمخرج والكنيف والمرحاض والمرفق وكل ذلك كناية واشتقاق، وهذا أيضا يدل على شدة هربهم من الدناءة والفسولة والفحش والقدح، وعن اليزيدي رجع الرجل من الرجيع وخبرني أبو العاصي عن يونس قال ليس الرجيع الا رجيع القول والشعر والخبر فلما نبجوا الانسان فانه رجيع قال الله تعالى والسماء ذات الرجيع وقال الهذلي هو المنخل

أبيض كالرجع رسوب اذا * ما ناخ في محتفل يخنل
وفي الحديث فلما قدمنا الشام وجدنا مراقهم قد استقبل بها القبلة فيكنا نخرق
ونستغفر الله، وقال ابن عبدل في الفار والسنور

يا أبا طلحة الجواد أغثنى * بسجال من سيك المعنوم
احي نفسي فدتك نفسي فاني * مفاس قد علمت ذلك قديم
أوتطول لنا بساف دقيق * أجره ان فعلت ذلك عظيم
قد علمت فلالتعاس عني * ما قضى الله في طعام اليتيم
ليس لي غير جرة وأحيص * وكتاب منم كالوشوم
وكساء أبعه برغيف * قد رقعنا خروقه بأديم
وأكاف أعارنيه نشيط * ولحاف ليكل ضيف كريم
ونبيذ مما يبيع صهيب * يذر الشيخ رحمه ما يقوم
رث جبلي فقد ذكرت أصبصي * ولحافي حتي تغور النجوم
كل بيت عليه نصف رغيف * ذلك قسم عليهم معلوم
فر منه مولىا فار بيتي * ولقد كان ساكنا ما يريم
قلت هذا صوم النصاري خلوا * لا تبيحوا شيو خكم في السموم
ضحك الفار ثم فلن جميعا * أهو حق في كل يوم تصوم
قلت ان النداء قد قام في ال * ناس باذن وانت فينا ذم
حملوا زادهم على خنفسات * وفراد نخيس مدموم

فاذا ضفدع عليه ا كاف * علوه بمد النقاد الرسم
 خطمووا انفه بقطاة جبل * يالقوى لانفه المخطوم
 نصبوا من جنيتهم حول بيتي * يالقوى لبيتى المهدموم
 واذا في الغباء وصم برقص * قائم فوق بيتنا بقدموم
 قلت بيت العربن بجمع صدق * هو قدما بجمعكم معلوم
 قلت لولا سنورتاه احتفرنا * مسكنا تحت ثمرة المركوم
 ان تلاق سنورتاه قضاء * نذرانا وجمعنا كالهزيم
 عشمس المنكبوت في قعر بيتي * ان ذا من رزيتي اعظيم
 ليتني قد عمرت ذنى حتى * ابصر المنكبوت فيه يقوم
 عرفا لا يمشه الدهر الا * زبد فوق رأسه مركوم
 مخرجا كفه ينادى ذبابا * ان اغنى فاني مظلموم
 قال ذرني فلن اطيق دنوا * من نبيذ يشمه المزكوم
 ﴿ وقال في الفار والسنور ﴾

قد قال سنورنا واعهده * قد كان خصما مفوها لسنا
 لو اصبحت عندنا جنازتها * لحنطت واشترى لها كفنا
 ثم جمعنا صحابي وغدوا * فيهم كذئب يبكي وقام لنا
 كل عجوز حلو شمائلها * كانت لجرذان بيتنا شجنا
 عن كل حدباء ذات خشخشة * او جرذ ذى شوارب ارنا
 سقيا لسنورة جمت بها * كانت كيت اخفيته سكلنا

قال والفار ضروب منها الجرذان والفار المروفان وهما كالجواميس والبقر وكالبخت
 والعراب ومنها الزباب ومنها الخلد واليرابيع شكل من الفار واسم ولد اليربوع درص
 مثل ولد الفار ومن الفار فارة المسك وهي دويبة تكون في ناحية نبت تصاد لتواخها
 وسرتها فاذا اصطادها عصب سرتها بمصاب شديد وسرتها مدلاة فيجتمع فيها الدم
 فاذا احكم ذلك ذبحها وما اكثر من يأكلها فاذا ماتت نور السرة التي كان عصبها

له والفارة حية ثم دفنها في الشعير حتى يستحيل ذلك الدم المحتقن هناك الجأمد بعد موتها مسكاً زكياً بعد أن كان ذلك الدم لا يرام نبتاً، قال وفي البيوت أيضاً قد يوجد فار مما يقال له فار المسك وهي جردان سود ليس عندها الا تلك الرائحة اللازمة له قال وفي الجردان جنس لها عبت بالمقود والسنوف والدرهم وخشخشة الحلي وذلك أنها تخرجها من جحرها في بعض الزمان فتلب عليها وحواليها ثم تنقله واحداً واحداً حتى تعيدها عن آخرها الى موضعها، نزعهم الشرقي بن القطامي أن رجلاً من أهل الشام اطاع على جرد يخرج من جحر دينار فلما رآه قد أخرج مالا صالحاً استخفنه الحرص فهم بأن يأخذها ثم أدركه الحزم وفتح له الرزق المقسوم بابا من الفطنة فقال أنا أمسك أن آخذها ما دام يخرج فاذا رأيته يدخل فمعد أول دينار يفيبه ويعيده الى مكانه أنب عليه فاجترف المال قال ففعلت وعدت الى موضعي الذي كنت أراه منه فأقبل يخرج ماشاء الله تعالى ثم أخذ ديناراً فأدخله فلما عاد ليأخذ ديناراً آخر فلم يجد الدينار أقبل يثب في الهواء ثم يضرب بنفسه الارض حتى مات وهذا الحديث من أحاديث النساء وأشباه النساء

باب آخر يدعونه للفار

وهو الذي ينظر فيه أصحاب الفراسة في قرص الفار كما ينظر بعضهم في الخيلان وفي الاكتاف وفي اسرار الكف ويزعمون ان أبا جعفر المنصور نزل في بعض القرى فقرص الفار مسحاله كان يجلس عليه فبعث به ليرفأ فقال لهم الرفان هنا أهل بيت يعرفون بقرص الفار ما ينال صاحب المتاع من خير أو شر فما عليكم ان ترضوه عليهم قبل ان تصاحوه فبعث المنصور الى شيخهم فلما وقعت عينه على موضع القرص وثب وقام قائماً ثم قال من صاحب هذا المسح فقال المنصور انا فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته والله لتبين الخلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً، وسأت بعض العطارين من أصحاب المعتزلة عن فارة المسك فقال ليس بالفارة وهو بالخشف أشبه ثم فص على شأن المسك وكيف يصطنع وقال لولا ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قد تطيب بالمسك لما تطيبت به ، وأما الزباب فليس مما يقرب منه في شيء قلت له وكيف يرتضع الجدى من لبن خنزيرة فلا يحرم لحمه لان ذلك الابن استحال لحما وخرج من تلك الطبيعة ومن تلك الصورة ومن ذلك الاسم وكذلك لحوم الجلالة ، فالمسك غير الدم والخل غير الخمر والجوهر ليس يحرم بعينه وإنما تحرم الاعراض فلا تقدر منه على تذكريك الدم الحقيقي فإنه ليس^(١) وقد تحول النار هواء والهواء ماء فيصير الشبه الذي بين الماء والنار بعيداً جداً ، والجردان لا تحفر بيوتها على قارعة الطريق وتجنب الخفض لمكان المطر وتجنب الجواد لان الحوافر تهدم عليها بيوتها فاذا أخرجها وقع أحافر فرس مع هذا الصنع دل ذلك على شدة الجري والوقع وقال امرؤ القيس

فلسوط الهوب وللرجل درة * رللزجر منه وقع أهوج متعب
فادرك لم يمرق مناط عذاره * بدر كخذروف الوليد المنقب
ترى الفار في مستعكر الارض لاجئا * الى الجد والصحراء من شد ملعب
خفاهن من انفاهن كأنما * خفاهن ودق من سحاب مركب
خفاهن أظهرهن وقرأ بعضهم ان الساعة آتية أكاد أخفيها بفتح أى أظهرها وقال ابن الاعرابي ان بنى عامر جمعاني على خنزيرة أعينها تريد ان تخني ذمتي ، وقال أبو عبيدة أربعة أحرف همزها عقيل من بين جميع العرب تقول فأرة ومؤسى وجؤنة^(٢) فأكثر ما يقع عليها اسم الفأرة فأرة البيش وفارة المسك وفارة الابل وفي فارة المسك يقول حميد الارقط

مطورة خالط منها النشر * ذا أرج شقق عنه الفار
وفي فارة الابل يقول الشاعر
كأن فأرة مسك في ميامنها * اذا بدا من ضياء الصبح ينتشر

(١) قوله فإنه ليس أى عدم ومثل هذا التعبير من اصطلاح المتكلمين لا من عبارات

البلغاء والمتأدبين

(٢) سقط ذكر الحرف الرابع

وهذا شبيه بالذي قال الراعي وليس به

تبيت بنات القفر عند لبانه * بأحقف من انقاء توضح هائل
 كأن القطا ان خرفت في مبيته * جدية مسك في معرس قائل
 قال الاصمعي قالت لابن مهديّة كيف تقول لا طيب الا المسك فأين انت عن
 العنبر قال فقلت

لا طيب الا المسك والعنبر * وألبان وأدهان بحجر

قال قال الاصمعي وفارة البيش دويبة تغتذى السموم فلا تضرها والبش سم وحكمه
 حكم الطائر الذي يقال له سمندل فانه يسقط في النار فلا يحترق ريشه، وتبت عن
 المأمون انه قال لو أخذ الطحالب نجف في الظل ثم سقط في النار لم يحترق ولولا ما
 عاينوا من شأن الطلق والعود الذي يجاء به من كرمان لاشتد انكارهم وزعم ابن أبي
 الحارث ان قساراهن على ان الصليب الذي في عنقه من خشب لا يحترق لأنه من
 العود الذي كان المسيح صلي الله تعالى على سيدنا محمد وعاليه صل عليه وانه كان يفتن
 بذلك ناساً من غير أهل النظر حتى فطن له بعض المتكلمين فأناهم بقطعة عود
 نكروا بكرمان فكان أبي على النار من صلبه، قال صاحب الكلب والسنور لص
 نيم وشره خؤون فمن ذلك ان صاحب المنزل يرمي اليه ببعض الطعم فيجتمعه احتمال
 لمرب واللص المغير حتى يلبج به خلف حب أوراقه أو عدل أو حطب ثم لا يأكله
 لا وهو يلتفت يمينا وشمالا كالذي يخاف أن يسلب ما أعطيه أو يمتثر على سرقة
 يعاقب، ثم ليس في الارض خبيثة الا وهو يأكلها مثل الخنافس والجمالان وبنات
 ردان والاوزاغ والحيات والعقارب والفار وكل تنن وكل حشة وكل مستقذر وهذه
 لانعام تدخل الغياض فتجذب مواضع السموم بطباؤها وتخطاها ولا تلتفت اليها ولما
 شكل الشيء على اليقين بالشمّة الواحدة فلا تغلط الابل في الدفلي وحده، والسنائير
 وت من أكل الاوزاغ والحيات والعقارب وما لا يحصي عدده من هذه الحشرات
 هذا يدل على جهل بمصاحبة المعاش وعلى حس غليظ وشره شديد، قالوا وكل اشي من
 نبيح الحيوان ما خلا المرأة فلا بد لها من هيج في زمان معلوم ثم لا يعرف ذلك منها

وفيهما الا بالدلائل والآثار أو ببيض المعاينة وإثبات السنابير اذا هجن للسفاد آذين
بصياحهن أهل القبائل ليلا ونهاراً بشى هر ظاهره قاعال لا يمتريهن فترة ولا منامة
فرب رجل حر شديد الغيرة جالس مع نسائه وهن يترددن على مثل هذه الهيئة
ويصرخن في طاب السفاد فيكم من حرة قد خجات وحر قد تنفصت طبيعته ، وليس
لشي من خولة الاجناس مثل ما للجمل من الازباد وهجران الرعى وترك الماء حتى
تنضم أياطله ويتورم رأسه ويكون كذلك الايام الكثيرة وهو في ذلك الوقت لوجمل
على ظهره مع امتناعه شهراً من الطامام ثلاثة أضفاف حمله لجلها ، ونظر المكي الى جمل
قد أزد وتلغم وطار على رأسه منه ككشقق البرس وقد زم بأنفه وهو يهدر لا يعقل الا
ما هو فيه فقال لاسماعيل بن غزوان والله لو ددت أن أهل البصرة رأوني يوماً واحداً
الى الليل على هذه الصفة وانى خرجت من قليل مالى وكثيره فقال له اسماعيل وأني
شيء لك في ذلك قال كنت والله لا أصبح حتى يوافي دارى جميع نساء أهل البصرة
فلا أبدأ الا بهن ، قال اسماعيل انك والله ماسبقتهنى الا الى القول وأما النية والأمنية
فأنا والله أتتى هذا منذ أنا صبي ، وللحجار والفرس عند معاينة الحجر والانان تهيج
وصياح وفاق وطاب والجمل يقيم على تلك الصفة عابن أولم يعاين ثم يدنى من هذه
الذكورة اناتها ولا تسمح باه كانها الا بعد أن تساوى وتدارى ، قالوا والسنابير اذا
انتقل أربابها من دار الى دار كان وطنها أحب اليها منهم وان أثبتت أعيانهم فان هم
حولوها فأنكرت الدار لم تقم على معرفتهم فربما هربت من دارهم الحادثة ولم تعرف
دارهم الاولى فتبقى مترددة اما وخشية واما مقنولة ، والكتاب يخلى الدار ويذهب مع
أهل الدار والحمام في ذلك كالسنور ، قال صاحب الكتاب السنور يساوى في صفه درهما
فاذا كبر لم يساو شيئاً وقال العنبي

كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيراً فلما شب بيع بقيراط

وصاحب هذا الشعر لو غير مع أمرئ القيس بن حجر والنايفة الذبياني وزهير بن
أبي سلمى ثم مع جرير والاخلط والفرزدق ثم مع بشار وابن هرمة وأبي يعقوب
الاعور ألف سنة لما قال يتما مرضياً أبداً وقد يضاف هذا البيت الى بشار وهو باطل

وزعم من لا أرد خبره ان الحلاق قد يعرض للسنانير كما يعرض للخنازير والحمير، وزعم
بعض أهل النظر ان الزنج أشبهوا الحمير في كل شئ حتى في الحلاق فانه ليس على
ظهر الارض زنجي إلا حلق وقد غلظ ليس زنجي عليه مؤنة من ارتياد نياك وليس هذا
تأويل الحلاق وتأويل الحلاق أن يكون هو الطالب، والنبيد يهتك ستر الحلق وينقض
عزم المحتمل وهم يشربون النبيد أبداً وسوء الاحتمال له وسرعة السكر اليهم عام فيهم
وعندنا أئم فلو كان هذا المعنى حقاً لكان علمه ظاهراً وخبرني صاحبنا هذا أن في
منزل أبي يوسف بن اسحاق الكندي هرين ذكرين عظيمين يكوم أحدهما الآخر
وذلك كثيراً ما يكون وان المنكوح لا يمانع الناكح ولا يلمس منه مثل الذي يبذله
له، قالوا والهرة تأكل أولادها وكفالك بهذه الخصلة لؤماً وشرها وعموقا وغلظ قلب
وقال السيد الحميري وذكر مسير عائشة رضی الله تعالى عنها الى البصرة مع طلحة
والزبير حين شهدت مالم يشهدا وأقامت علي ما نكصا عنه

جاءت مع الاشقين في هودج * تزجى الى البصرة أجنادها

* كأنها في فعلها هرة * تريد أن تأكل أولادها

وليس ما قال في أم المؤمنين وقد كان قادراً على ان يوفر على علي رضي الله عنه فضله من
غير ان يشتم الحواريين وأمهات المؤمنين ولو أراد الحق لسار فيها وفي ذكرها سيرة على
بن أبي طالب فلا هو جعل عليها قدرة ولا هو رعى للنبي صلى الله عليه وسلم حرمة،
وذكورة سنانير الجيران تأكل أولاد الهرة مادمن صغاراً و فوق الصغار سناوتقتلها
وتطلبها أشد الطلب فالأم تحرسها وتقاتل دونها مع عجزها عن الذكورة، ثم رجعت الى
قول زرادشت في الفار زعم زرادشت أن الفارة من خلق الله وأن السنور من خلق
الشيطان فقيل للمجوسى على أصل قولكم أن يكون الشئ الذي خلق الله خيراً كله
يرفعا كله وموفقا كله ويكون ما خلق الشيطان على خلاف ذلك ونحن نجد عياناً أن
لذي قاتم به خطأ رأينا الناس كلهم يرون أن الفار بلاء ابتلوا به فلم يجحدوا بدا من
لاحتيال لصرف مضرته كالداء النازل يلتمس له الشفاء ثم وجدناهم قد أقاموا السنانير
بنات غرس ثم نصبوا لها ألوان الصيادات وصنعوا لها ألوان السموم المعجونات

التي اذا أكلت منها ماتت واستفرها السنانير واختاروا الصيادات واختاروا السنور على ابن عرس لان ابن عرس يعمل في الفار والطير عمل الذئب بالغنم فالأول أكثر ما يصنع بالفريسة أن يذبحها ثم لا يأكلها الا في الفرط والسنور يقتل ويأكل والفار أشد منه فزعا وهو الذي قوبل به طباعها وطباعه ، وكما أن الذي يأكل الدجاج كثير والذي جعل بازائه ابن آوي وكما أن الذي يأكل الغنم كثير والذي جعل بازائها الذئب والاسد على النعجة والنعجة من الذئب أشد فرقا والحيات تطالب الفار والجردان وهي من السنور أشد فزعا وان كان في الجرذان ما يساوي السنور فانها منه أشد فزعا فان كنتم انما جعلتموه من خلق الشيطان فالشيطان أكثر ، وزعم زرادشت أن السنور لو بال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة فان كان انما استنصر في ذمه في قتل السمك فالسمك أحق أن يكون من خلق الشيطان فكل ما نفذت به التعمه وان غرق انسان في الماء بحراً كان أو واديا أو بمض ذوات الاربع فالسمك أسرع الى أكله من الضباع والسنور الى الجيف ، وعلى أن اعتلاله على السنور وان بال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة فما يقول فيمن زعم أن الجرذ لو بال في البحر لقتل مائة ألف سمكة وبأى شيء يتبين منه وهل يتبين لمن كسر هذا القول الظاهر الكسر المكشوف المرئي وهل تقر الجماعة والامم بأن في الفار شيئاً من المرافق وهل يمازج مضرتها شيء من الخير وان قل ، أو ليست الفار والجرذان هي التي تأكل كتب الله تعالى وكتب العلم وكتب الحساب وتقرض الثياب الثمينة وتطلب كسر نومي القطن ونفسد بذلك اللحم والدوايح والقباب والاقبية والخفاف وتحسو الادهان فان عجزت أفواهاها أخرجتها بأذنانها أو ليست التي تشب الاوكية وتشب السلال وتأكل الجرب حتى يملق المتاع في الهواء اذا أمكن تعليقه وتجب الى البيوت الحيات للعداوة التي بينها وبين الحيات لحرص الحيات على أكلها فتكون سببا في اجتماعها في منازلهم واذا كثرت قتلت النفوس ، وقال ابن أبي العجوز لو لا مكان الفار لما أقامت الحيات في بيوت الناس الا ما لا بد له من الاقامة وتقتل النفس والنحل وتهلك العلف والزرع وربما أهلك الفراخ كله وحمال شمير الكرس

وبره أو ليس من أخلاقها اجتذاب فتائل المصاييح رغبة في تلك الادهان حتى ربما جذبتها جهلا وفي طرفها الآخر السراج يستوقد فتحترق بذلك القبائل الكثيرة بما فيها من الناس والاموال والحيوان ، وهي بعداً كحل البيض وأصناف الفراخ من الحيات لها فكيف لم تكن من هذه الجهة من خلق الشيطان ، هذا وبين طباعها وطباع الانسان منافرة شديدة ووحشة مفرطة وهي لا تأنس بالناس وان طالت معاشرتها لهم والسنور آنس الخلق بهم وكيف تأنس بهم وهم لا يفغنون عن قتلها ما لم تقلع عن مساقتهم فلو كانت مما يؤكل لكان في ذلك بعض المرافق فكيف وانها لتلقى في الطرق ميتة فما يعرض لها السكاب الجائع ، فالامم كلها على التأذى منها واتخاذ السنابير لها وزرادت بهذا العقل دعي الناس الى زكاح الامهات والتوضي بالابوال والى التوكيل في نيك المغيبات والى اقامة سوارست وصاحب الحائض والنفساء ولو لا أنه صادف دهرآ في غاية الفساد وأمة في غاية البعد من الحرية ومن الغيرة والانفة ومن التقزز والتنظف لما تم له هذا الامر ، وقد زعم ناس أن ذلك انما كان وانما تم لانه بدأ بدعاء الملك على قدر ما عرف من طباعه وشهوته وخلقه فكان الملك هو الذي حمل على ذلك رعيته ، والذي قال هذا القول ليس يعرف من الامور ما تأتي به العامة لانه لا يجوز أن الملك حمل العامة على ذلك الا بعد أن يكون زرادشت أني على ذلك الفساد أجناد الملك ولم يكن يقوى على العامة بأجناده وبمشره أضعاف أجناده الا أن يكون في العامة عامة من الناس يكونون أعوانا للأجناد على سائر الرعية وعلى أن الملوك ليس لها في مثل هذه الامور علة تدعو الى المخاطرة بملكها وانما غاية الملوك كل شيء لا بد للملوك منه فأما ما فضل عن ذلك فانها لا تخاطر بأصول الملك تطاب الفضول الامن كان ملكه في نصاب امامة وامامته في نصاب نبوة فانه يتبع كل شيء توجبه الشريعة وان كان ذلك سبيل الرأي لان الذي يشرع الشريعة أعلم بغب تلك المصاحبة وقد ينبني أن يكون ذلك الزمان أفسد زمان وذلك الامل كانوا شر أهل ولذلك لم تر قط ذا دين تحول الى المجوسية عن دينه ولم يكن ذلك المذهب الا في ضعفة من أهل فارس والجبال وخراسان كلها فارسية فان عجبت من استسقاطي لعقل كسري

ابرويز وآبانه واحبابه وقرابته وكتابه وأطبائه وحكامه واساورته فاني أقول في ذلك
فولا يعرف به اني ليس الى العصبية ذهبت، إعلم اني لم أعن بذلك القول الذين ولدوا
بعد على هذه المقالة ونشؤوا على هذه الديانة وغذوا بهذه النحلة وربوا بهذه الملة فقد
علمنا جميعاً أن عقول اليونانية فوق عقول الديانة بالدهرية والاستبصار في عبادة الكواكب
وعقول الهند فوق المادة بطاعة البدن وعبادة البدة وعقول العرب فوق الديانة بعبادة
الاضنام والخشب المنجورة والحجر المنصوب والصخرة المنحوتة فداء المنشأ والتقليد
داء لا يحسن علاجه جالينوس وتمظيم الكبراء وتقليد الاسلاف وإف دين الآباء
والانس بما لا يعرفون غيره يحتاج الى علاج شديد، والكلام في هذا يطول فان آثرت
أن تتعجب حتى دعاك التعجب الى ذكر ابرويز فاذا ذكر سادات قريش فانهم فوق
كسرى وآل كسرى قال المحتج للسنانير قد قالوا أبر من هرة وأعق من ضب
وهذا قول الذين عابوها تأكل أولادها وزعموا أن ذلك من شدة الحب لها وقال
بعضهم انما يمتريها ذلك من جنون يمتريها عند الولادة وجوع يذهب معه علمها بفرق
مابين اجرائها واجراء غيرها من الاجناس ولانها لو أشبعت وأطعمت شطر شبهها
لم تعرض لأولادها فالرد على الامم أمثالها عمل مسخوط، والعرب لا تعصب للسنور
على الضب فيتوهم عليها في ذلك خلاف الحق وانما هذا منكم على جهة قولكم في
السنور اذا بحث لنجوه ثم ستره ثم عاود ذلك المكان بالشم فان وجد رائحة زاد عليه
بالتراب فقتل ليس الكرم وستر القبيح أراد وانما أراد تأنيس الفار فنحن لاندع
ظاهر صنيعه الذي لاحكم له الا الجميل ونقضى بما يدعى مدع من تصاريف الضمير
وعلى أن الذي قتلتموه ان كان حقاً فالذي أعطيتموه من فضيلة التدبير أكثر مما
سلبتموه من فضيلة الجميل، قال والعيون التي تسرح بالليل عيون الاسد والافاعي
والسنانير والنمور والاسد سحر العيون وعيون منها زرق ومنها ذهبية كميون أحرار
الطير وعتاقها وعيون الافاعي بين الزرق والذهبية وقال حسان بن ثابت
تريد كأن الشمس في حجراته * نجوم التريا أو عيون الضياون
الضياون السنور واذا قال الناس ثوب أزرق فانهم يذهبون الى لون واحد واذا وصفوا

بذلك العين وقع على لونين لان البازي ليس أزرق وكذلك العقاب والزارق وكل شيء ذهبي العين فاذا قالوا سنور أزرق ذهبوا الى الوان الثياب والى الوان عيون البزاة وقال صحار العبدي حين قال له معاوية يا أزرق قال البازي أزرق وأنشد

ولا عيب فيها غير شكة عينها * كذلك عناق الطير شكل عيونها

والذهب قد يقال له أصفر ويقال له أحمر، وقال بعض بني مروان لبعض ولد متمم بن نويرة يا أحمر قال الذهب أحمر فلذلك زعم ان عناق الطير شكل عيونها وقال الاخطل

وما زالت القتلى تمار دماؤهم * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

فالشكة عندهم تقع على الصفرة والحمر اذا خالطها غيرها فن الزرق صحار العبدي وعبد الرحمن ابنه وداود بن متمم بن نويرة والعباس بن الوليد بن عبد الملك ومروان ابن محمد بن مروان وسعيد بن قيس الهمداني وزرقاء اليمامة وهي عنز من بنات لقمان ابن عاديا، ومن الزرق ممن كانوا يتشاءمون به قيس بن زهير وكان بكراً وابن بكرين وكانت البسوس زرقاء بكرا بنت بكرين ولها حديث لا أحقه وكانت الزرقاء بكرا والزرق العيون من بني قيس بن ثعلبة منهم المرقشان وغيرها والحمر الجماليق من بني شيبان وكان النعمان أحمر العينين أحمر وفيه يقول أبو قردودة حين نهى ابن عمار عن منادته

انى نهيت ابن عمار وقلت له * لا تأمن أحمر العينين والشعرة

ان الملوك متى تنزل بساحتهم * تطر بنارك من نيرانهم شرره

يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا * ومنطقا مثل وشي اليمامة الخبره

وقال عبد الله بن همام السلولى

ولا يكونن مال الله مأكلة * لكل أزرق من همدان مكتهل

﴿وقال آخر﴾

لقد زرقت عينك يا بن مكبر * كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وفى باب آخر يقول زهير

فلما وردن الماء زرقا جامه * وضعن عصى الحاضر المتخيم

وقال يونس لم أر قرشياً قطاً أحمر عروق العينين الا كان سيداً شجاعاً ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشهل العينين ضليع الفم ، قال ونزل أبو الرعل الحربى على بعض قرى انطاكية فلقي من جرذاتها شراً فدعا عليهم بالسنانير فقال

يارب شعب برى الاستار وجههم * ومنزل الحكم في طه وطسم
أتح لشيخ ثوى بالشام مغتربا * نأى النصير بعيد الدار مهموم
تكلفته قريبات الخطى ذكر * وقص الرقاب لطيفات الخراطيم
حجن المخالب والانياب شابكة * غلب الرقاب رحيبات الحيازيم
نارواهن فما ينفك من فنص * لكل ذبالة مقاء علجوم *

حتى أبيت وزادى غير منعمكم * على النزيل ولا كورى بمكوم

وأشدنى ابن أبى كريمة ليزيد بن ناجية السعدي سعد بن بكر وكان لقي من الفارجهداً فدعا عليهم بالسنانير فقال

أزهير مالك لا يهملك ما بي * أخزى اله محمد أصحابي *
كحل العيون صغيرة آذانها * خنس الحنادس يجتوون جرابي
شم الانوف كريح كل بنية * يلحظن لحظ صروع مرتاب
وكز الجباه تدرعت أبدانها * صمل الرأس طويلة الاذنان
شخت المخالب والانياب والشوى * حل الحصون رحبية الاقرب
أسقى الاله بلادهم سحائبها * غر البشام بعيدة الاطناب
ترى بعرس كالليوث تسربات * منها الجلود مدارع السنجاب
غلب الرقاب لطيفة أعجازها * فطح الجباه رهيفة الانياب
* متبئات للطراد كأنها * آساد بيشة أدجت بخضاب

ونحن نظن ان هذه القصيدة من توليد ابن كريمة والسنور نأب البصر بالليل وكذلك الفارة سوداء العينين وهي مع ذلك نأبة البصر والسنور ضعيف الهامة وهامته من مقاتله ولا يستطيع ان يذوق الطعام الحار ولا الحامض ، قال وللسنور فضيلة أخرى انه كثير الاسماء القائمة بانفسها غير المشتقات لانها تجمع الصفات والاعمال بل هي

أسماء قائمة من ذلك القط والمهر والضيون والسنور وليس للكاب اسم سوى الكاب
ولا للديك اسم الا الديك وليس للأسد اسم الا الاسد والليث والباقي ليست باسماء
مقطوعة ولا تطلع في كل مكان وكذلك الخمر فاذا قالوا قهوة ومدامة وسلاف وأشباه
ذلك فانما تلك أسماء مشتركة وكذلك الضيف وليس هذه الاسماء عند العامة كذلك
قال وعلى السنور من المحبة ولا سيما من محبة النساء ومعه من الالف والأنس والدنو
والمضاجعة والنوم فى الاحاف الواحد ما ليس مع الكاب ولا مع الحمام ولا الدجاج
ولا مع شئ مما يعايش الناس ، هذا ومنها الوحشى والاهلى فلو لا قوة حبه للناس لما
كان فى هذا المعنى أكثر من الكلاب والكلاب كلها أهلية ، قالوا وليس بعجيب
أن يكون الكاب طيب الفم لكثرة ريقه ولبعده قرابته ومشاكلته للأسد وانما العجب
فى طيب فم السنور وكأنه فى الشبه من اشبال الاسد ، ومن يقبل أفواه السنانير
واجرائها من الحرائر وربات الحجال والمخدرات والمطهومات أكثر من أن يحصى لهن
عددوا لكل يخبرن عن أفواههن بالطيب والسلامة مما عليه أفواه السباع وأفواه ذى
الجرة من الانعام وما رأينا وضيفة قط ولا ربيعة قبلت فم كلب أو ديك وما كان
ذلك من حارس قط ولا من راع ولا من كلاب ولا من مكاب ولا من مهارش
والسنور يخضب وتصاغ له الشنوف والاقرطة ويخف ويدل ومن رأى السنور كيف
يختل المصفور مع حذر المصفور وسرعة طيرانه علم أن جهته فى الصيد جهة الفهد
والاسد ومن رآه كيف يرتفع بوثبته الى الجراداة فى حال طيرانها علم أنه أسرع من
الجرادة وله اهاب فضفاض وقيص من جلده واسع يموج فيه بدنه وهو مما يضع
لسمة ابطيه ولو شاء أن يعقد صلبه ويثني أوله على آخره كما يثني الخراق أو يثني فضيب
الخيزران ويوصف الفرس بأنه رهل اللبان رحيب الاهاب واسع الآباط وعيب الحمار
للكرازة التى فى منكبىه وانضمامها الى ابطيه وضيق جلده وانما يعدو بعنفه ، قالوا
وللسنور تجار وباعة ودالون وناس يعرفون بذلك ولها راضة وقال السندى بن
شاهك ما أعيانى أحد من أهل الاسواق ومن التجار والباعة والصناع كما أعيانى
أصحاب السنانير يأخذون السنور الذى يأكل الفراخ والحمام ويوابب اقفاص الفواخيت

والوراشين والديباس ويدخلونه في دن ويسدون رأسه ثم يدحرجونه على الارض حتى يشغله الدوار ثم يدخلونه في قفص فيه الفراخ والحمام فاذا رآه المشتري رأى شيئاً عجيباً وذن أنه قد ظفر بحاجته فاذا مضى به الى البيت مضى بشيطان فيجتمع فيه بليتان احدهما أكل طيوره وطيور الجيران والثانية أنه اذا ضرى عليها لم يطلب سواها ومررت يوماً وانا أريد منزل البكاء بالاساوره واذا امرأة قد تعلقت برجل وهي تقول بيني وبينك صاحب المسلحة فانك دللتني على السنور وأعطيتك على دلالتك دانقا فلما مضيت الى البيت مضيت بشيطان قد والله أهلك الجير ان بعد ان فرغ منا ونحن منذ خمسة أيام نحتال في أخذه وهاهو قد جئتك به فرد على دائقي وخذ ثمنه من الذي باعه ولا والله ان تبصر من السنانير قليلا ولا كثير آقال الدلال انظروا بأى شئ تستقبلني ولا والله ان في ناحيتنا فتى هو أبصر بسنور مني وذلك من من سيدي ومولاي فقامت للدلال ولا والله ان في هذه الناحية فتى هو أشكر لله منك وناس يأكلون السنانير ويستطيبونها وليس يأكل الكلاب واحد الا في الفرط، والعامه تزعم ان من اكل السنور الأسود لم يعمل فيه السحر والكلاب لا يؤكل والديك خبيث اللحم عضله الا أن يخصي وتلك حيلة لاهل حمص وليست عندنا فيه قالوا، وزعم بعض أهل الكتاب وبعض أهل التفسير ان السكينة التي كانت في تابوت موسى رأس هر قالوا وقاتم في الاشتقاق من اسم الكلب والكلاب ومكابة ومكالب وأصاب القوم كلمة الزمان مثل هابة وهي الشدة والكلاب واحدها كلب وكلاب وكلب كما يجمع النجب نجيب والكلاب بتثقيل اللام صاحب الكلاب والمكالب بتثقيل اللام وضم الميم الذي يعلم الكلاب الصيد وقال طفيل الغنوي

تبارى مراحبها الزجاج كأنه * ضراء أحست نبأه من مكاب

* وقال آخر *

خوص تراح الى الصداح اذا غدت * فعل الظباء تراح بالكلاب *
والكلاب داء يقع في الأبل فيقال كلبت الأبل تكلب كلبا وأكلب القوم اذا وقع في
أبهم الكلاب ويقال كلب الكلاب واستكلب اذا ضرى وتمودأ كل الناس ويقال

للرجل اذا عضه الكلب الكلب قد كلب الرجل ويقال ان الرجل الكلب يعض
انسانا آخر فيأتون رجلا شريفا فيعطر لهم من دم اصبعه فيسقون ذلك الكلب فيبرأ
وقال الكميث

أحلامكم لسقام الجمل شافية * كما دماؤكم تشفى من الكلب
قالوا فقد يقولون للسنور هر واللاشي هرة ويقال من ذلك هر الكلب هر هريرأ
وتسبح المرأة بهرة ويكني الرجل أبا هر وأبا هريرة وقال الاعشى
ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
﴿ وقال امرؤ القيس ﴾

دار لهر والرباب وفرتي * وليس قبل تفرق الايام
﴿ وقال ابن أحرر ﴾

ان امرأ القيس على عهده * في إرث ما كان بناء حجر
بنت عليه الملك اطناها * كأس رويناها وطرف طمر
يلهو بهند فوق انماطها * وفرتي تسمى اليه وهر

قال وللهرة ثمانية اطباء تقابل أربعة أو لهن بين الابط والصدر وآخرهن عند الرفع
وتحمل خمسين يوما وتضع جراها عميا وليس بين تفتيحها وتفتيح الكلاب الا اليسير،
والهرة من الخلق الذي يؤثر على نفسه ولها فضيلة في ذلك على جميع الحيوان الا
الديك الا ان الديك لا يفعل ذلك الا مادام شاباً ولا يفعل ذلك بأولاده ولا يعرفهم
وانما يفعل ذلك بالدجاج على غير الزواج وعلى غير القصد لو احدة يقصد اليها بالهوى،
والهرة تاتي اليها الشيء الطيب وهي جائعة فتدعو أولادها وقد استغنين عن اللبن
وأطقن الا كل والتقمم والتكسب، ثم حتى ربما فعلت ذلك بهن وهم في العين يشبهنها
في العظم فلا تزال ممسكة عن الشحمة مع جوعها ومع شره السنائر حتى يقبل ولدها
فيأكلها، ورجل من أصحابنا ائتموه على مال فشد عليه فأخذه فلألامه بمض نصعائه
قال يطرحون اللحم قدام السنور فاذا أكله ضربوه يضرب بشره السنور مثلاً لنفسه،
وربما رموا اليها بقطعة اللحم فتقصده نحوها حتى تقف عليها فاذا أقبل ولدها تجافت عنها

وربما لبضت عليها بأسنانها فرمت بها اليه بغير شم الرائحة وذوق الطعم، والهرة تنقل أولادها في المواضع من الخوف عليها ولا سبيل لها في حملها الا بنفيها وهي تعرف دقة أطراف أنيابها وذرب أسنانها فلها بتلك الأنياب الحداد ضرب من القبض عليها والمض لها بمقدار تبلغ به حاجتها ولا تؤثر فيها ولا تؤذيها، فأما كفها والمخالب المعقلة الحداد التي فيها فانها مصنونة في الكامها فتى وقعت كفها على وجه الارض صارت في صون ومتى أرادت استعمالها نشرتها وافرقة غير مكلومة ولا ماثومة كما وصف أبو زيد كف الاسد

بحجن كالحاجن في فنوح * تقيها قصة الارض الدخيس
كذلك مخالبها ومخاب الاسد وأنياب الافاعي وقال الراجز وهو جاهلي
حتى دنا من رأس فضفاض أصم * خاضه بين الشراك والقدم
مذرب أخرجه من جوف كم

وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الاسد وان الخنزير خلق من عطسة الفيل لان أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا من كثرة الفار وشكوا سأل ربه الفرج فأمره أن يأمر الاسد فيعطس فلما عطس خرج من منخره زوج سنانير من ذكر وأنثى خرج الذكر من المنخر الايمن والانثى من المنخر الايسر فكفاهم مؤنة الجرذان ولما تأذوا برائحة نجوهم شكوا ذلك الى نوح فشكى الى الله تبارك وتعالى فأمره أن يأمر الفيل فيسلح فسلح خنازير فيكفوهم مؤنة رائحة ذلك النجو، وهذا الحديث نافع عند العوام وعند بعض القصاص وقد أنكرنا أن يكون الفار مخلوق الا في أرحام انثاهن من أصلاب ذكورها ومن أرحام بعض الارضيين كطينة القاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفارة لم يتم خلقها بعد وان عينيها التباصان ثم لا يريون حتى يتم خلقها وتشتد حركتها، وقالوا لا يجوز لشيء خلق من الحيوان يخلق من غير الحيوان ولا يجوز أن يكون شيء له في العالم أصل أن يؤلف الناس أشياء تستحيل الى مثل هذا الاصل، فانكروا في هذا الوجه تحويل الشب ذهباً والزئبق فضة، وقد علمنا ان للنوشادر في العالم أصلام وجوداً وقد يصعدون الشب ويدبرونه

حتى يستحيل كحجر الزوشار ولا يغادر منه شيئاً في عمل ولا بدن ويدبرون الرماد
والبليا فتستحيل حجارة سوداء اذا عمل منها ارحاء كان لها في الربيع فضيلة ، قالوا
وللمرد اسنج في العالم أصل قائم والرصاص يدبر فيستحيل مرد اسنجا وللتوتيا أصل
قائم فيدبرون أقليميا النماء فتستحيل توتيا وكذلك المسالة أصل قائم وقد عمله الناس
وكذلك الحجارة السوداء للطحين وغير ذلك فأما قولهم لا يجوز ان يكون شيء من
الحيوان يخلق من ذكر وأنى فيجب من غير ذكر وأنى فقد قلنا في جميع ذلك في
صدر كتابنا هذا بما أمكننا ، وقال الحيات كلها تعموم الا الافاعي فانها لا يوم منها الا
الجليات قال والحية ان رأت حية ميتة لم تأكلها ولا تأكل الفار ولا الجرذان الميتة ولا
العصافير الميتة مع حرص الحية عليها ولا تأكل اللحم الشيء الحي الا ان يدخله الهواء
في حلوقها ادخالاً فأما هي من تلقاء نفسها فان وجدته وهي جائعة لم تأكله فينبغي ان
يكون صاحب المنطق انما عنى بقوله أخبت ما يكون ذات السموم اذا أكل بعضها
بعضاً الافاعي دون كل شيء وهم لا يعرفون ذلك في الحيات الا للأسود فانه اذا
كان مع الافاعي في جونة فيجوع فيبتلعها وذلك اذا أخذها من قبل رأسها ومتى رام
ذلك من غير جهة الرأس فمضته الافاعي قتلته ، وزعموا ان الحية لاتصاعد في الخائط
الاملس وغير الاحلس فانما يقول ذلك أصحاب المخارق والذين يستخرجون الحيات
بزعمهم ويشمون أربابها من أطراف القصب اذا مسحوها في ترايع البيوت
وقالوا وقد تصعد في الدرج وتحمى السقف

❦ القول في العقرب ❦

وسنذكر تمام القول في العقرب اذ كنا قد ذكرنا من شأنها في باب الفار ولما قيل
ليحيي بن خالد النازل في سرية الاحنف وزعموا أنهم لم يروا رجلاً لم يختلف الى
السياسات ولا رجلاً مسلماً أو نصرانياً ولا رجلاً لم ينصب نفسه للتكسب بالطب
كان أطب منه فلما قيل ان القس قال أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع قال ما أقل
علمه بالله عز وجل لعمرى انما التفتع اذا شق بطنها ثم شد على موضع للسمه فانها

حينئذ تنفع منفعة بينة ، والعقرب تجمل في جوف فخار مشدود الرأس مطين
الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور فاذا صارت العقرب رماداً سقي من ذلك الرماد
من به الحصاة مقدار نصف دانق وقال حنين وقد يسقى منه الدائق وأكثر فيفتت
الحصاة من غير أن يضر بشيء من الاعضاء الصحيحة ، وقال يحيى وقد تلسع أصحاب
ضروب من الحيات العقارب فيفيمون وتلسع الافاعي فتموت ومما يلسع بعضها بعضاً
فيموت الممسوع وهي من هذا الوجه تكفي الناس مؤنة عظيمة وتلقى العقرب في
الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويمتص ويحتذب قواها كلها بعد الموت
فيكون ذلك الدهن يفرق الاورام الفلاظ وقد عرف ذلك حنين وأنها لا تسبج ولا
تتحرك اذا ألقيت في الماء كان الماء ساكناً أو جارياً والعقرب تطلب الانسان وتقصده
نحوه فاذا قصده نحوها فرت وهربت وتقصده أيضاً نحو الانسان فاذا ضربته هربت
هرب من قد أساء وتعلم أنها مطلوبة والزنابير تطلب من يمرض لها ويقصده نحوها
بمينه ولا تكاد تعرض للكاف عنها وبين العقارب والخنافس مودة والمودة غير
المسالة والمسالة أن يكون كل واحد من الجنس لا يعرض الآخر بخير ولا شر بعد
أن يكون كل واحد منهما مقرباً لصاحبه والعداوة أن يعرض كل واحد منهما لصاحبه
بالشر والاذي والقتل ليس من جهة أن أحدهما طعام لصاحبه والاسد ليس يثب
على الانسان كالحمار والبقرة والشاة من جهة العداوة وإنما يثب عليه من طريق طلب
المطعم ولو مر به وهو غير جائع لم يعرض له والاسد والنمر على غير ذلك ولكن يقال
ان بين النمر والاسد مسالة والمودة تكون كما بين العقارب والخنافس فان بعضها
يتألف بعضها وليست تلك بمسالة وكما بين الحيات والوزغ فانها تتساقى السم وتتزاوج كما
بين ضرب من العقارب وأسود ساحل والاسود ربما جاع في جونة الحواء فيأكل الافعى
وربما عضته الافعى فقتلته ، وريح العقارب اذا شويت مثل ريح الجراد ومازلت أظن
أن الطعم أبداً يتبع الرائحة حتى تحقق ذلك عندهم بمض من يأكلها مشوية ونية أنه
ليس بينها وبين الجراد الأعرابي السمين فرق ، وزعم بختيشوع بن جبريل أنه عاين
الخرق الذي في ابرة العقرب وان كان كما قال فما في الارض أحد أبصر منه وفي

العقارب أعجوبة أخرى لانه يقال انها مائة الطباع وانها من ذوات الدر والنسل كما
يتمرى ذلك السمك والخزير والضب في كثرة الخناييص ، قال ومع ذلك ان حتفها
في أولادها اذا بلغن وحان وقت الولادة يأكلن جلد بطنها حتى اذا خرفته خرجن منه
وماتت الام وقد يطاء الانسان على العقرب وهي ميتة فتفترز ابرتها في رجله فيلقى الجهد
وربما امرضت وربما قتلت قال وفي اشعار الفز قيل في أكل أولاد العقرب بطن الام
وحاملة لا تحمل الدهر حملها * تموت ويحيي حملها حين تمطب

والعقارب القتالة تكون في موضعين شـهرزور وقرى الاهواز الا أن القوايل التي
بالاهواز ولم نذكر عقارب نصيبين لان أصلها فيما لا يشكون فيه من شهرزور حين
حوصر أهلها ورموا بالمجانيق وبكيزان محشوة من عقارب شـهرزور حتى توالتت
هناك فأعطى القوم بأيديهم ، قال والعقارب تستخرج من بيوتها بالجراد تشد الجراد
في طرف عود ثم تدخل الجحر فاذا عاينتها تملقت بها فاذا أخرج العود خرجت العقرب
وهي متعلقة بالجرادة ، فأما ابراهيم بن هاني فأخبرني انه كان يدخل في جحرها عود
كراث فلا تبقى فيه عقرب الا تبعته ، وألسنة الحيات كلها سود وألسنة الافاعي حمراء
الا انها مشقوفة وسند كرعقارب الشتاء وعقارب الحر وكل شيء من هذا الباب وليكن
نبداً بذكر حيات الاهواز ، ذكرت ان أقتلها عقارب عسكر مكرم وانها متى ضربت
رجلا فظن ان تلك العضة عضه نملة أو وخذ شوكة فنال من اللحم تضاعف مابه وربما
باتت مع الرجل في ازاره فلم تضربه وهي لا تدب على شيء له عفن ولا تدب على
المسوح وما أكثر ما تأوي في أصول الآجر الذي قد أخرج من الاساس وكان
أهل المسكر يرون ان من أصالح ما تعالج به السم ان يحجم وكان الحجام لا يرضى
الا بدنانير لان ثناياه ربما نصت وجلدة وجهه ربما تنطف من السم الذي يرتفع الى
فيه بمصته وجذبه من أجناب الحجام حتى عمدوا بعمد ذلك الى شيء من قطن خشوبه
تلك الانبوبة فاذا جذب بمصه فارتفع اليه من بخار الدم أجزاء من ذلك السم تملقت
بالقطن ولم تنفذ الى فيه والقطن ليس يمنع من قوة المص ، ثم وقعوا بعمد ذلك على حشيشة
فوجدوا فيها الشفاء ، ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول يموت

بعضها عن اسع بعض ثم لا يموت عن اسمها شيء غير العقارب ونجد العقرب تسلع
انسانا فيموت الانسان وتلسع آخر فتموت هي فدل ذلك على أنها كما تعطى تأخذ
وان للناس أيضاً سموما غريبة، ولذلك صار بعضها اذا عض قتل، ومن أعاجيبها أنها
تضرب الطشت والقمقم فتخرقه وربما ضربته فتثبت فيه ابرتها ثم تنصل حتى تبين
منها والعنبر يقذفه البحر الى عبريه فلا يأكل منه شيء ولا ينقره طائر بمنقار الانصل
فيه منقاره فاذا وضع عليه رجليه نصلت أظفاره فان كان قد أكل منه قتله ما أكل
وان لم يكن أكل فانه ميت لا محالة لانه اذا بقي بغير منقار ولم يكن للطائر شيء يأكل
به مات، والبحريون والمطارون يخبروننا أنهم ربما وجدوا فيه المنقار والظفر وان البال
ليأكل منه اليسير فيموت والبال سمكة طولها أكثر من خمسين ذراعا، ومن أعاجيب
العقارب أنها تسلع الافي ولا تموت وهي تسلع بعض الناس فتموت هي ولا ينال
المسوع منها من المكروه قليل ولا كثير ويزعم العوام ان ذلك يكون لمن لسعت أمه
العقرب وهو حمل في بطنها وقد لسعت عقرب رجلا مفلوجا فذهب عنه الفالج وقصة
هذا المفلوج معروفه وقد عرفها طبيبنا وغيره من الاطباء وتختلف سموم العقارب بأسباب
منها اختلاف أجناسها كالجرارة وغيرها ومنها اختلاف التراب كفرق ما بين جرارات
عقارب شهرزور وعسكر مكرم وتختلف مضرة سمومها على قدر مواضع اللسعة وعلى
قدر اختلاف ما بين النهار وعلى قدر ما صادف عليه المسوع من غذائه فهي تفتح منافسه
وعلى قدر ما صادف عليه المسوع من الخبل وغير الخبل وعلى قدر لسعها في أول الليل
عند خروجها من جحرها، وأشد من ذلك أن تسلع أول ما تخرج من جحرها بعد أن
أقامت فيه يومها فان ماسرجويه قال فلذلك اختلفت وجوه العلاج فصار ضرب من
العلاج يفيد عنه انسان ولا يصلح لآخر، وخبرني نمامة عن أمير المؤمنين أنه قال
لبختيشوع بن جبريل وسلويه وابن ماسويه أن الذباب اذا دلك على موضع لسعة
الزبور سكن فلسهني زبور خشككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن الا
في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج فلم يبق في يدي منهم الا أن يقولوا ان
هذا الزبور كان حنقا غاضبا ولولا هذا العلاج لقتلك، وكذلك هم اذا سقوا دواء

فضر أو قطعوا عرفا فضر قالوا أنت مع هذا العلاج الصواب تجد ما تجد فلولا ذلك
العلاج كنت الساعة في نار جهنم ، وقيل لي وقرأت في كتاب الحيوان أن ربح
السذاب يشتد على الحيات فألقيت على الافاعي نور السذاب فما كان عندها الا كسائر
البقل فلوقات لهم في هذا شيئا لقالوا الحيات غير الافاعي وهذا باطل الافاعي نوع
من الحيات وكلهم قد عم ولم يخص ، وجميع الحشرات والاحناش والعقارب وهذه
الذبابات التي تعض وتلسع تكمن في الشتاء الا النمل والذرو والنحل فانها قد ادخرت
ما يكفيها وليست كغيرها مما تثبت حياته مع ترك الطعم وللمقرب ثمانى أرجل وهي
حريصة على أكل الجراد وكذلك الحيات وما أكثر ما تلدغ وتنش صاحب الجراد
، ومن عجيب سم الافاعي ما أخبرني بهمض من يخبر بشأن الافاعي قال كنت بالبادية
ورأيت ناقة وفصيلها يرتضع من أخلافها اذ نهشت الناقة على مشافرها أففى فبقيت
واقفة سادرة والفصيل يرتضع فيبناهو يرتضع اذ خر ميتا فكان موته قبل موت أمه
من العجيب وكان مرور السم في تلك الساعة الفصيرة أعجب وكان ما صار من فضول
سمها في لبن الضرع حتى قتل الفصيل قبل أمه عجب آخر والمرأة المرضع تشرب ،
النبيندويسكر عن لبنها الرضيع وتشرب دواء يمشى فيعتري الرضيع الخلفة فلذلك تختار
الحكماء لا ولادهم الظئر البرية من الادواء في عقلمها وفي بدنها وتوهوا ان اللبن انما
يجمع في الفصيل لغرابة ما بين اللبن والدم فصار ذلك السم أسرع اليه منه الى أمه
ولعل ضمف الفصيل قد أعان أيضا على ذلك ، قال أبو عبيدة سمعت اعرايا عقرب
بالبصرة خيف عليه واشتد جزءه فقال بهمض الناس ليس شئ خير له من أن تفصل
له خصية زنجي عرق وكانت ليلة عميقة فلما سقوة قطب فقيل طم ما ذا تجد قال طم
قربة جديدة ، وخبرني محمد وعلى ابنا بشير ان ظئرا السليمان بن دبلس سمعتها عقرب
فألت الدنيا صراخا فقال سليمان أطلبوا لها هذه العقرب فان دواءها ان تسمها لسعة
أخرى في ذلك المكان فقالت المعجوز قد برئت وقد سكن وجعي لا حاجة لي في هذا
العلاج قال فأتوه بعقرب لا والله ما ندري أهى تلك أم غيرها فأصر بها فأمسكت
فقال نشدتك بالله وباللبن فأرسلها عليها فسمعتها فغشي عليها ومرضت وتساقت شعر

رأسها فقيل لسليمان في ذلك فقال يا مجانين لا والله ان ردعليها روحها الا اللسمة الثانية
ولولا هي لقد كانت ماتت

باب القول في القمل والصواب

وسنقول في القمل والصواب ما وجدنا تمكينا من القول ان شاء الله تعالى، ذكروا عن
اياس بن معاوية انه زعم ان الصئبان ذكورة القمل والقمل انما هو وأن القمل من
الشكل الذي يكون انانه اعظم من ذكورته وذكروا عنه انه قال وكذلك الزرارق
والبزاة فجعل البزاة في الاناث وليس فيما قال شيء من الصواب والتسديد وقد
خبرنا عن حكايته في الشبوط حين جملة كالبعول وجملة مخلوقا من منى النبي والقمل
يمتري من العرق والوسخ اذا علاهما ثوب أو ريش أو شعر حتى يكون لذلك
المكان عفن وخوم، والقملة تكون في رأس الاسود الشعر سوداء فاذا كانت
في رأس الخضيب بالجمرة كانت حمراء وان كان الخاضب ناصب الخضاب كان لونها
شكالة الا ان يستولى على الشعر النصول فتكون بيضاء وهذا شيء يمتري القمل كما
تعتبر الخضرة دود البقل وجراده وذبابه وكل شيء يعيش فيه وايس ذلك بأعجب
من حرة بنى سليم فان من طباع تلك الحرة ان يسود كل شيء يكون فيها من
انسان أو فرس أو حمار أو شاة أو بعير أو طائر أو حية ولم نسمع ببلدة أقوى في
ذلك المعنى من بلاد الترك فانها تصور ابلهم وخيلهم وجميع ما يعيش فيها على صورة
الترك، والقمل يمرض الثياب كل انسان اذا عرض لها الوسخ والعرق والحموم الاثياب
المجذمين فانهم لا يقرمون واذا قتل انسان وأفرط عليه ذلك زأبق رأسه وان كان في
رأسه أو جسده وان كان في ثيابه فينتشر، وقال أبو قطيفة لأصحابه أتدرون ما يذرا
القمل قالوا الا قال ذلك والله من قلة عنايتكم بما يصلح ابدانكم يذرا القمل الفأ، فأما
تامة فحدثني عن يحيى بن خالد البرمكي ان شيعين يورثان القمل أحدهما الاكثر
في اللبس والاخر بخار اللبان اذا التي على الحجر وربما كان الانسان قتل الطباع وان
تنظف وتمطر وأبدل الثياب كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام حتى

استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير فأذن لهما فيه ولولا أنهما كانا في حد ضرورة لما أذن لهما فيه مع ما قد جاء في ذلك من التشديد فلما كان في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه رأى عمر على بعض بني المنيرة من أخواله قيص حرير فعلاه بالدرة فقال المنيري أوليس عبد الرحمن بن عوف يلبس الحرير قال وأنت مثل عبد الرحمن لا أم لك واحتاج أصحابنا إلى التسليم من عض البراغيث أيام كنا بدمشق ودخلنا انطاكية فاحتالوا ابراغيثها بالأسرة فلم يذفموا بذلك لأن براغيثهم تمشي وبراغيثهم نوعان الابلج والبرد، إنما سموا ذلك الجنس على شبيهه بما حكى لي ثمامة عن يحيى بن خالد البرمكي فإن يحيى زعم أن البراغيث من الخلق الذي يمرض له الطيران فيستحيل بقا كما يمرض الطيران للنمل وكما يمرض الطيران للدعاميص فإن الدعاميص إذا انساخت صارت فراشا، فكان أصحابنا قد لقوا من تلك البراغيث جهداً، وكانت له بلية أخرى وذلك أن الذي تسهره البراغيث لا يستريح إلا أن يقامها بالعرك والقتل وإلى أن يقبض عليها فيرمى بها من فوق السرير فيرى أنهن إذا صرن عشرين كان أهون عليه من أن تكون أحداً وعشرين وكان الرجل إذا رام ذلك من واحد منها انتت يده وكانوا ملوكاً ومثل هذا شديد على مثلهم فما زالوا في جهد منها حتى لبسوا قمص الحرير الصيني وجملوها طويلاً الأبدان والأردان فناموا مستريحين، والقمل يسرع إلى الدجاج والحمام إذا لم يفصل ويكون نظيف البيت ويمرض للقرد ويتولد من وسخ جلد الأسير وما في رأسه من الوسخ ولذلك كانوا يضحجون ويقولون أكلني القمل والقمل وكانوا يلبدون شعورهم وذلك العمل هو التليد والحاج الملبد هو هذا وقال الشاعر

يارب رب الرافصات عشية * بالقوم بين مني وبين ثبير
وخف الرواح ترافصت تمشي بهم * يحملان كل ملبد مأجور

وقال عبد الله بن الصجلان النهدي

اني وما نار بالفريق وما * فرقر بالجلهتين من شرب
من شجر كالليل ينبذ بالقمل * وما مار من دم سرب

والعترت النسبك يخفر بالبد * ن مجلى الاحزان والنصب

وقال أمية بن أبي الصات

ساحى أياطلهم لم ينزعوا نفا * ولم يسألوا لهم ثلا وصدابانا
ويروى لم يقربوا نفا قال الله عز وجل ثم ليقضوا نفعهم وما أقل ما ذكروا التفث في
الاشعار والناييد ان تأخذ شيئا من خطمي وآس وسرو وشيئا من صمغ فتجمله في
أصول شعرة وعلى رأسه كي يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويحجم فيعمل ، وكانوا
يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل وكان ذلك القتل يقل معه القمل وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لكمب بن عجرة هل آذاك هوام رأسك وقال ابن الكلابي
عبرت هوازن وأسد بأكل الهرة وهو سويق القمل وذلك ان أهل اليمن كانوا اذا
حلقوا رؤسهم سيط ذلك الشعر بدمك الدقيق ويجعلون الدقيق صدقة فكان ناس
من الصوكاء وفيهم ناس من فيس وأسد يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون بالشعر
وينتفعون بالدقيق وأنشد لماوية بن أبي معاوية الجرمي في هجائهم

ألم تر جرما أجدت وابن بجرة * مع الشعر في قص الملبد شارع

اذا امرأة جاءت لفول أصب بها * سوي القمل انى من هوازن ضارع

وقال بمض العقيابن ومر بأبي العلاء وهو يتفلى فقال

واذا مررت به مررت بقانص * متصيد في شرقه مغرور

للقمل حول أبي العلاء مصارع * ما بين مقتول وبين عقير

وكأهن لدى جيوب قيصه * فذوتوأم سسم مقشور

صرح الانامل من دماء قتلها * حنق على أخرى بدمو مغير

وقال الحسن بن هاني في أيوب وقد ذهب عنى نسبه وطالما رأته في المسجد

من أينأ عنه مصاده * فصاد أيوب ثيابه

تكفيه فيها نظرة * فتعل من علق حرابه

يارب محترز بجيب * الردن تكنفه صواابه

فاشي النكابة غير مملو * م اذا دب انسيابه

أوطاسري واثب * لم يخجه عنه ونابه
 أهوى له بزلق * مابين أصبمه نصابه
 لله درك من أبي * فنص أصابه كلابه

وفي الحديث ان أكل التفاح وسور الفارة ونبد القملة يورث النسيان وفي حديث آخر ان الذي ينبد القملة لا يكفي الهم ، والعامّة تزعم أن لبس النعال السود يورث النسيان وتناول اعرابي قلة دبت على عنقه فترعها ثم فنل باطن ابهامه وسبابته فقبل له ما تصنع وبلك فقال بأبي أنت وأمي وهل بقي منها الاخر شاؤها يعني جلدها وقشرتها وكل وعاء خرشاء ، وحدثني سعيد بن جابر قال لما كادت الاجناد تحيط ببغداد من جوانبها قال لنا الخلع لو خرجنا هكذا الى قطر بل على دوابنا ثم رجعنا من فورنا كان لنا في ذلك تنزه قال فلما صرنا هناك هجمنا على موضع خارين فرأينا ناساً قد تظافروا في بعض تلك الحانات فسأل عنهم فاذا هم أصحاب قمار ونرد فبعث في آثارهم وقال لنا أشتي أن أسمع حديثهم وأرى مجاسمهم وقارهم قال فدخلنا الى موضعهم فاذا تحت النرد قطعة لبد واذا فصوص النرد من طين بهضه مسود وبهضه متروك واذا الكعبان من عروة كوز محكمة واذا بهضمه متكي على دن حان وتحتهم يوارى قد نشرت قال فينا هو يضحك منهم اذ رأيت قلة تدب على ذيله فقلته فأخذتها فرآني وقد تناولت شيئاً فقال أي شيء تناولت فقلت دوية دبت على ذيلك من ثياب هؤلاء قال وأي دابة هي قلت قلة قال أرنيها فقد والله سميت بها قال فتمجبت يومئذ من الأيام كيف ترفع رجلا في السماء وتخط آخر في الثرى ، قال والقرديتفلى واذا أصاب قلة رمى بها في فيه ونساء العوام يعجبهن وضع القمل على الاظفار ورأيت مرة أنا وجعفر بن سعيد بقالا في العتيقة واذا امرأته جالسة بين يديه وزوجها يحدها وهي تفلى ثوبها وقد جمعت بين باطن ابهامها وسبابتها عدة قل فوضعتها على ظهر ابهامها الايسر ثم قلبت لها ظفرها الايمن فشدختها به فسمت لها فرقة فقلت لجهنم فامنعها أن تضعها بين حجرتين قال لها لذة في هذه الفرقة والمباشرة أبلغ عندها في اللذة قلت فما تكره مكان زوجها قال لولا ان زوجها يوجب بذلك لنهاها وقال ابن ميادة

سقتني سقاة المجد من آل ظالم * بارشية أطرافها في الكواكب
وان بأعلى ذى النخيل أسننه * فعمشرين أعياراً شدد المناكب
يشان باستاه عليهن دسمة * كما شال بالأذنان سم العقارب

باب والبرغوث أسود أحذب نراه من الخلق الذي لا يمشى وربما قال بعضهم ديبها
من تحتي أشد على من عضها وليس ذلك بديب وكيف يمكنه الديب وهو ملزق على
النطع بجنب جلد النائم ولكن البرغوث خبيث فتي أراد الانسان ان يتقلب من
جنب الى جنب انقلب البرغوث واستلقى على ظهره ورفع قوائمه فدغدغه فيظن من
لا علم عنده أنها تمشى تحت جنبه وقد ذكرنا من شأنه في مواضع ولو كان الباب يكبر
حتى يكون لك مجموعا ولم تعرفه تكلفت لك جمعه وقال بمض الاعراب

ليل البراغيث أعياني وأنصبتني * لا بارك الله في ليل البراغيث
كأهن وجلدى اذ خلوت به * فضاة سوء أعاثوا في الموارث

وقال محمد بن أبي القاسم النمشلي

لروضة من رياض الحزن أو طرق * من القرية جود غير محدوث
للنور فيه اذا مَجَّ الندى أرج * يشني الصداع وينفي كل مبعوث
أحلى وأملى لعيني ان مررت به * من كرخ بغداد ذى الرمان والتوث
الليل نصفان نصف اللهموما * أفضى الرقاد ونصف البراغيث
أبيت حتى تساميني أوائلها * ارود اخلط تسبيجا بتغوث
سود مداليج في الظلاء مؤذبة * وليس ملتمس منها بمشبوث

وقد جعل التوث بالناء ووجه الكلام بالناء وتجميعها نقطتان

﴿ وقال آخر ﴾

أقد علم البرغوث حين يمضني * ببغداد اني بالبلاد غريب

﴿ وقال آخر ﴾

وان أمر أتوذى البراغيث جلده * وتخرجه من يته لذييل
الأرب برغوث تركت مجدلا * بأبيض ماضي الشفرتين صقيل

﴿ وقال آخر ﴾

لقيت من البرغوث جهداً ولا أرى * أميراً على البرغوث يقضى ولا يمدي
* يقابني فوق الفراش وبينه * وتصبح آثار تبين في جمدي

﴿ وقال آخر ﴾

الا يا عباد الله أي قبيلة * اذا ظهرت في الارض شد مغيرها
فلا الدين ينهاها ولا هي تنهي * ولا ذو سلاح من معد يضيرها

وقال يزيد بن شيبه الكلابي

وأصبحت سألت البراغيث بعدما * مضت ليلته مني قليل رفودها
فيا ليت شعري هل أزورن بلدة * فليل بها أوباشها وسيدها
وهل أسمع من الدهر أصوات ضمير * تطالع بالركبان صمراً خدودها
وهل أرى من الدهر ناراً بارضها * بنفسي وأهلي أرضها ووفودها
تراطن حولى كما ذر شارق * ببغداد انباط القرى وعبيدها

﴿ وقال آخر ﴾

لا بارك الله في البرغوث إن له * لدعا شديداً كاندع الكي بالنار
أقول والنجم قد غارت أوائله * وغاس المدج السارى بأسجار
لبرقة من براق الحزن أعمدها * فيها الظباء تراعى نبت أمطار
أشني لدائي من دربها نبط * ومنزل بين حجام وجزار
من ينخر الشول لا يخطئ فوائدها * بمديبة كشرار النار بتار

﴿ وقال آخر ﴾

ان هذا المصلوب لا شك فيه * هو من بعد صلبه مبعوث
حل في حيث ليس يأكله البسق ولا يهندي له البرغوث
بين حنوى مطية إن يسقها * سائقها فذاك سير حيث
فعلبه الدمار والخيزى لما * قلت من ذا فقيل لص خبيث

وقال أبو الرياح الاسدي

تطاول بالنفساط ليلي ولم يكن * بحنو الغضى ليل علي يطول
 يؤرقني حذب صغار أذلة * وان الذي يؤذينه لذليل
 اذا جال حول الناس فيهن جولة * تعلقن بي أو جان حيث أجول
 اذا ما قلناهن أضمن كثرة * علينا ولا ينسى لمن قويل
 ألا ليت شعري هل أبيت ليلة * وليس لبرغوث علي سبيل

وقال أبو الشعمق

يا طول يومي وطول ليلته * ان البراغيث قد عبثن به
 فيهن برغوثه مجوعة * قد عقدت كفها بفقحته

﴿ وقال آخر ﴾

هنيئاً لأهل الريف طيب بلادهم * وان أمير الري يحيي بن خالد
 بلاد اذا جن الظلام تئارت * براغيثها من بين مثنى وواحد
 زيارحة سود الجلود كأنها * بغال يزيد أرسلت في موارد

﴿ وقال آخر ﴾

أرقني الاسيود الأسك * ليلة حك ابس فيها شك
 أحك حتى ماله محك * أحك حتى صرفني منك

﴿ وقال آخر ﴾

يأثم مشواي عدمت وجهك * أنقذني رب العلامن مصرك
 ولدع برغوث أراه مهلكي * أبيت ليلي دائم التحكك
 * تحكك الاجرب عند المبرك *

﴿ وقال آخر ﴾

الحمد لله برغوث يؤرقني * أحيلك الجلد لاسمع ولا بصر

﴿ وقال آخر ﴾

* قبيلة في طولها وعرضها * لم يطعموا عيناهم بفضها
 خوف البراغيث وخوف اعضها * كأن في جلودها من مضها

عقاربا ترفص من مرفضها * ان دام هذا هربت من أرضها
* يارب فاقتل بعضها ببعضها *

﴿ حدثنى ﴾ ابراهيم السندي قال لما كان ابي بالشام واليا أحب ان يسوي بين القحطاني والمدناني وقال لسنا تقدمكم الا على الطاعة لله عز وجل وللخلفاء وكلكم اخوة وليس للزاري شئ ليس لليمانى مثله قال وكان يتعدى مع جلة من جلة الفريقين ويسوي بينهم في الاذن والمجلس وكان شيخ اليمانية يدخل عليه معتما وقد جذب كور عمامته حتى غطى بها حاجبه وكان لا ينزعها في حر ولا برد فأراد فتى من قيس وكان ابي يستخليه ويقربه ان يسقطه من عين ابي ويوحشه منه فقال له ذات يوم ووجه المجلس خال انى أريد ان أقول شيئا ليس يخرجه مني الا السكر والحرية والا المودة والنصيحة والا ما أعرف من تمزك وتنشطك وأنت متى انتهيت الى ما أنا ملقية اليك لم آمن ان تستغشنى وان لم تظهره لى ان هذا اليماني انما يعم أبدأ ويمد صرة العمامة حتى يغطي بها حاجبيه لان به داء لو علمت به لم تؤاكله قال فقال ابي فرماني والله بمنى كاد ينقض جميع ما بيدي وقت والله ائن أكلت معه وبه الذي به ان هذا لهو البلاء واثن منعت الجميع مؤاكتى لأوحشهم جميعا بمد المباشطة والملاينة والملابسة والمؤاكلة واثن خصصته بالمنع وأمدته على غير ما يرى ليفضن واثن غضب ليفضن معه كل قحطاني بالشام فبت بليلة طويلة فلما كان الغد وجلست ودخلوا للسلام أجرى شئ من ذكر السموم وغرب أعمالها فأقبل على الشيخ فقال عندي بالمعانة ما ليس عند أحد خرجت مع ابن عمى هذا ومع ابني هذا أريد قريتي الفلانية فاذا بقرب الجادة بمير قد نهشته أفني واذا هو وافر اللحم وكل شئ حواليه من الطير والسباع ميت فعدنا على قاب أرماحنا واذا عليه بموض كثير فينا أقول لأصحابي هؤلاء انكم لترون العجب أول ذلك ان بميراً مثل هذا يتفسخ من عضة شئ لعله ان يكون في جسم عرق من عروقه أو عصبه من عصبه فما هذا الذي مجه فيه وقذفه اليه ثم لم يرض بأن قتله وفسخه حتى قتل كل طائر ذاق منه وكل سبع عض عليه وأعجب من هذا قتله لا كابر السباع والطير وتركه قتل البعوضة مع ضعفها ومهانتها فينا انا كذلك اذا هبت ريح

من تلقاء الجيفة فطيرت البعوض الى شقنا وسقطت بعوضة على جبتي فما هو الا ان
عضتني اذ قد أسود وجهي وتورم رأسي فكنت لا أضرب يدي الى شيء أحكه من
رأسي وحاجبي الا انتثر في يدي خثمت الى منزلي في محمل وعولجت بأنواع العلاج
فبرأت بعد دهر طويل على أنه بقي على من الشين أنه تركني أفرع الرأس أمرط
الحاجبين قال والقوم يخوضون معه في ذلك الحديث خوض قوم قد قبلوا تلك القصة
قال فتبسمت ونكس القيدى رأسه فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا في ذلك دور من
القول فقال ان هذا القيسي خبيث ولعله ان يكون قد احتال بحيلة قال ابراهيم فلم
أسمع في السموم بأعجب من هذا الحديث، وزعم أهل انطاكية أنهم لا يتعمضون
لطلمس هناك ولو ادعى أهل عقو الدير المتوسطة لاجمة ما بين البصرة وكسكر لكان
طلمسهم أعجب ويزعم أهل حمص ان فيها طلسماً من أجله لا تمش فيها العقارب وان
طرحت فيها عقرب غريبة ماتت من ساعتها ولعمري إنه ليجوز أن تكون تضاد
ضرباً من الحيوان فلا يمش فيها ذلك الجنس فيدعى كذابو أهلها ان ذلك لرنية أو
دعوة أو طلسم والبرغوث اذا عض وكذا القملة فليس هناك من الحرقة والاثم ماله
مدة نصيرة ولا طويلة واما البعوض فاشهد ان بعوضة عضت ظهري قديماً وأنا بقرب جادة
الرجاء وذلك بعد ان صلى الناس المغرب فلم أزل منها في أكل وحرقة وأنا أسير في
السفينة الى أن سمعت أذان العشاء وكذلك يقال إن البعوضة لو ألحقت بمقدار حرم
الجرادة فلها أصغر العقارب ثم زادت من تضاعيف مامعها من الدم على حسب ذلك
لكانت شراً من الدويبة التي تسمى بالفارسية ذروه وهي أكبر من القملة شيئاً
وتكون بمهرجان فوق فانها مع صغر جسمها تفسخ الانسان في أسرع من الاشارة
باليد وهي تعض وتلسع وهي من ذوات الافواه وهي التي بزعمهم يقال انها قملة
استحالت هذه الدابة الخبيثة والبعوضة من ذوات الخراطيم، وحدثني محمد بن هاشم
السدرى قال كنت بالزياط فكنت والله أرى البعوضة تطير من على ظهر الثور فتستقط
على غصن من الاغصان فتلمس ما في بطنها ثم تدود البعوضة فتفتمس خرطومها
في جلد الجاموس كما يفتمس الرجل أصابعه في الثريد، وحدثني ابراهيم بن سيار

النظام قال ووردنا زقاق الهبة في أجمة البصرة فأردنا النفوذ فبعنا صاحب المساحة فأردنا
 التأخر الى الجوز الذي خرجنا منه فأبى علينا ووردنا عليه وهو سكران وأصحابه سكارى
 فغضب على ملاح نبطي فشده شامطا ثم رمى به في الاجمة على موضع أرض يتصل
 بموضع اخراج صاحب المساحة فصاح الملاح افتلاني أي قتلة شئت وأرحني فأبى
 وطرحه فصاح ثم عاد صياحه الى الانين ثم سكت وناموا كلهم سكارى فجئت الى
 المقموط وما جاء وقت العتمة واذا هو أشد سوادا من الزنجي وأشد انتفاخا من الزق
 المنفوخ وذلك كله ما بين العشاء والمغرب فقامت انما لسبته ولسعته من كل جانب
 لسعا على لسع ان اجتماع سمومها أربت على لسعة أفي، هذا وهي ضرر ومحنة ليس فيها
 شئ من المرافق والمقارب يأكلها مشوية من بعينه ريح السبل فيجدها صالحة
 ويرمى بها في الزيت حتى اذا تفسخت وامتص الزيت ما فيها من قواها فطولوا بذلك
 الدهن الخصى الذي فيه النفخ فرق تلك الريح وتمحص الجلدة وبذهب الوجع فاذا
 سمعت بدهن المقارب فاما يعنون هذا الدهن

❦ باب في البق والحرجس والسرار والفراش والأدي ❦

وقال الله عز وجل ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قال بربك
 فما دونها وهو كقول القائل للرجل يقال فلان أسفل الناس وأنزلهم فتقول هو فوق
 ذلك تضع قوله في موضع هو شر من ذلك ، قال وضروب من الظير لا تلتمس
 الا بالليل منها الخفاش والبومة والصددي والضوع وغراب الليل والبعوض بالنهار
 تؤذي بنص الاذى وانما سلطانها بالليل وكذلك البراغيث ، وأما القمل فأمره في
 لحالات مستو وليس للذباب بالليل عمل الا أنى متى باتت مبي في المنزل ما صار اليه
 سكن من الذباب ولم أطردها بالعشى بعد الضر فاني لا أجهد فيها بعوضة واحدة
 قال في خرطوم البعوضة

مثل السقاة دائم طينها * ركب في خرطومها سكينها

قال الهذلي

كان وغى الحنوش بجمانيه * وغى ركب أميم ذى هباط
والحنوش أصناف البعوضة والغوي الاصوات الملتفة التي لا يبين واحدها عن معنى
صاحبه وهو كما تسمع من أصوات الجيشين اذا التقيا على الحرب وكما تسمع من ضجة
السوق ، وقال الكيميت يذكر قانصاً وصاحب قنرة لانه لا يذني بيته الا عند شريمة
يفنى بها الوحش فقال ووصف البعوض

به حاضر من كل جن بروءه * ولا انس الا ذوزبان وذوزجل
فالحاضر لا يبرحه البعوض لان البعوض من الماء يخلق وكيف يفارقه والماء الراكد
لا يزال يولده فان صار نطافاً أو ضحضحا استحال دعاميص وانساخت الدعاميص
فصارت حواساً وبعوضاً وقال ذو الرمة

وأيقن أن النقع صارت نطافه * فراشا وأن البقل ذاو ويابس
وصف الصيف وقال أبو وجزة وهو يصف القانص والشريمة والبعوض
بيت جارته الافى وسامرہ * ربدبه غادر منهن كالحرب
ربد في لونها يعني البعوض وهي التي تنبه القانص وتسهره والغادر الاثر يقول هي
غوادر وآثار كآثار الحرب من لسع البعوض وهو مع ذلك وسط الافاعي وقال الراجز
يصف البعوض

* وليلة لم أدر ما طواها * أمارس البعوض في دجاها
كل زمول خفق حشاها * بست أيد هاها سواها
لا يطرب السامع من غناها * جناه أعظمها إذاها *
وكذلك فوائم الجرادة هي ست يدان ورجلان والحشاون وبها تعتمد اذا تدب
فأما العقرب فلها ثمان أرجل وللنملة ستة أرجل وللسرطان ثمان أرجل وهو في ذلك
يستمين بأسنانه فكانه يشى على عشر وعيناه في ظهره وما أكثر من يشويه ويأكله
للشهوة لا للحاجة ولا للملاج وقال الراجز ووصف حاله وحال البعوض
لم أر كاليوم ولا منذ قط * أطول من ليلى بنهر لظ
كأنما نجومه في ربط * أبيت بين خطتي مشتط

من البعوض ومن التعلّطى * اذا تغنين غناء الزط *
وهن منى بمكان القرط * توقع منى مثل وقع الشرط

وقال أيضاً

أرى البعوض زجات أصواتها * وأخذ اللحن مغنياتها
* كل زجول تتقى حداتها * صغيرة عظيمة أذاتها
* تنقص عن تنميتها نعاتها * ولا تصاب أبدأر ماتها
* راحة خرطومها قناتها *

وأشدني جعفر بن سعيد

ظالت في البصرة في هراش * وفي براغيث اذها فاشي
من نافر منها وذوي احتماش * يرفع جنبي عن الفراش
فانا في جسد وفي تحراش * تترك في جنبي كالخداش
وزوجة دثمة المهراش * تغلي كغلي المرجل النشاش
تأكل ما جمعت من هاشاش * بأمر معروف نخوش ناش

وقال رجل من حمان وقع في جند الثغور

أنصر أهل الشام ممن يكيدهم * وأهلي بنجد ذاك حرص على النصر
براغيث تؤذيني اذا الناس نوموا * وبق افساسيه على جانب البحر
فان بك قرصاً بعده لانعمده * وان بذلوا حمر الدنانير كالجبر

— باب في العنكبوت —

قال الله عز وجل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان
أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ثم قال على أثر ذلك وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون يريد ذكره بالوهن وكذلك هو لم يرد احكام
الصنعة في الرقة والصنافة واستواء الرفعة وطول البقاء اذ كان لا يعمل فيه الا تعاور
الايام وسلم من جنة الأبدى وقال الجذامى

يزهدني في ود هارون انه * غذته بأطباء ملعنة عكل

كان قفا هارون إذ قام مدبراً * قفا عنكبوت سل من دبرها غزل
الايات هارونا يسافر حافياً وليس على هارون خف ولا نعل

وقال مزرد بن ضرار

ولو ان شيخا ذا بنين كأنما * على رأسه من شامل الشيب قرنس
ولم يبق من اضراره غير واحد * اذا مسه يدي مراراً ويضرس
* تبيت فيه العنكبوت بناتها * نواشي حتى شبن أو هن عنس
* لظل اليها رانيا وكأنه * اذا كش نور من كريس منمس

فذلك من أجناس العناكب جنس رديء التدبير لانه ينسج شركه في الارض
والصخور ويجعله خارجا وتكون الاطراف داخلة فاذا وقع عليه شيء مما يقتذبه من
شكل الذباب وما أشبه ذلك أكله ، وأما الدقيق الصنعة فانه يصعد بيته ويمد الشعر
ناحية المروق والاوناد ثم يسدي من الوسط ثم يهيئ اللحمه ويهيئ مصيدته في
الوسط فاذا وقع عليها ذباب وتحرك ما هناك ارتبط وتنشب فيه فيتركه على حاله حتى
اذا وثق بوهنه وضغفه غلله وأدخله الى خزائنه وان كان جائماً مص من رطوبته
ورمي به فاذا فرغ رم ما تشعث من نسجه وأكثر ما يقع على تلك المصيدة من الصيد
عند غيبوبة الشمس وانما تنسج الاثني فأما الذكر فانه ينقض ويفسد وولد العنكبوت
أعجب من الفروج الذي يظهر الى الدنيا كاسيا محتالاً مكفياً ، قال وولد العنكبوت
يقوم على النسج ساعة يولد قال والذي ينسج به لا يخرج من جوفه بل من خارج
جسده وقال الجندامي

كان قفا هارون اذ قام مدبراً * قفا عنكبوت سل من دبرها غزل

فالنحل والعنكبوت ودود القز تختلف في جهاتها يقال انها تخرج منها ومن العناكب
جنس يصيد الذباب يصيد الفهود وهو الذي يسمى الليث وايسر بيون واذا رأى
الذباب اطلق بالارض وسكن اطرافه واذا وثب لم يخطئ وهو من آفات الذباب ولا
يصيد الا ذباب الناس وذباب الاسد على حدة وايسر يقوم لها شيء وهي أشد من
الزنابير وأضر من العقارب الكبار وفيها من الاعاجيب انها تمض الاسد كما يمض

الاسد ذباب السكاب وكذلك ذباب الكلال لما يغشى الكلال من بعد وغير ذلك ولها
عض منكر ولا يبلغ مبلغ ذباب الاسد فن اعاجيبها سوى شدة عضها وسمها وانها
مقصوزة على الاسد وانها متى رأت بالاسد دما من خراج أو جرح ولو في مقدار
الخدش فانها تستجمع عليه ولا تقلع عنه حتى تقتله وهذا شبيه بما يروى ويخبر عن
الذرفان الذرمي رأت بحية خدشا لم تقلع عنه حتى تقتله وحتى تأكله ولقد أردت أن
أغرس في داري اراكة فقوالوا لي ان الأراك انما تنبت من حب الأراك يفرس في
جوف طين في قواصر ويسقي الماء أياما فاذا نبت الحب وظهر نباته فوق الطين
وضعت القوصرة كما هي في جوف الارض وتكن الى أن تصير في جوف الارض فان
الذر تطبه مطالبة شديدة وان لم تحفظ منها بالليل والنهار افسدتها فعمدت الى منارات
من صفر من هذه المسارح وهي في غاية الملاسة واللين فيكنت أضع القوصرة على
الترس الذي فيه الاملس فأجد فيه الذر الكثير فيكنت أنقل المنارة من مكان الى
مكان فما أفلح ذلك الحب، قال والعناكب ضروب فمنها هذا الذي يقال له الليث وهو
الذي يصيد الذباب صيد الفهود وقد ذكرنا في صدر هذا الكتاب حذقه ورققه
وتأنيه وختله ومنها جنس اذا مشى على جلد الانسان سم ويقال ان العنكبوت الطوال
لارجل اذا اتخذ بيتا وأعدت فيه المصائد والحبال والحيوط التي تلتف على ما يدخل
بيتها من أصناف الذباب وصغار الزنابير لانها حين علمت أنها لا بد لها من القوت
وعرفت ضعف قوائمها وانما تعجز عما يقوي عليه الليث احتالت بتلك الحيل
العنكبوت والفأر والنحل والنمل من الاجناس التي تتقدم في إحكام شأن الميشة
باناث العناكب هي العوامل والذكري يتقض ولا ينسج وان كان على النسج
على التقدم في احكام شأن المعاش حين يولد، وقالوا وأشياء من أولاد الحيوان
يكون عالمة بصناعتها عارفة بما يعيشها ويصاحبها حتى تكون في ذلك كامهاتها وآبائها
بين تخرج الى الدنيا كالفرج من ولد الدجاج والحسل من ولد الضباب وفرخ
عنكبوت وهذه الاجناس مع الفأر والجردان التي من بين جميع الخلق يدخل
فيها ما يعيشه من الطم

— باب في النحل —

زعم صاحب المنطق أن خلية من خلايا النحل فيما سلف من الزمان اعتلت ومرض ما كان فيها من النحل وجاء نحل من خلية أخرى يقاتل هذا النحل حتى أخرجت العسل فأقبل القيم على الخلايا يقاتل ذلك النحل الذي جاء الى غير خليته قال نخرج النحل من الخلية يقاتل النحل الغريب والرجل بينهما يطرد الغريب فلم تأسعه نحلة الخلية التي هو حافظها لدفعه المكروه عنها، قال فأجود العسل ما كان لونه لون الذهب قال والنحل مجتمع فتقسم الاعمال بينها فبعضها يعمل الشمع وبعضها يعمل العسل وبعضها ينسج البيوت وبعضها يسقي الماء ويصبه في الثقب ويلطخه بالعسل ومنه ما يكر الى العمل ومن النحل ما يكف حتى اذا نهضت واحدة طارت كلها يقال بكر بكور اليسوب يريد أمير النحل لانها تتبعه غدوة الى عملها ومنها ما ينقل العسل من الأطراف ومنها ما ينقل الشمع الذي تبني به فلا تزال في عملها حتى اذا كان الليل أتت الى ماها قال والاربي عمل العسل يقال أرت تأري أريا والاربي في غير هذا الموضع الغنا وقال أبو ذؤيب

فباتت بجمع ثم تم الى منى * فأصبح ذاراً يبتغي المرخ بالسخل^(١)

المرخ العسل والسخل المنفرد قال ومن الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس وأمير ومنها ما لا يكون ذلك له فأما الحيوان الذي لا تجد بداً ولا مصاحبة لشأنه الا بالتخاذ رئيس وربيب مثل ما يصنع الناس ومثل ما يتخذ النحل والغرائق والكراكي فأما الابل والحمير والبقر فان الرياسة لفحل الهجمة ولعير العانة ولثور الربرب وذ كورتها لا تتخذ

(١) في لسان العرب ج ١٣ ص ٣٥٠ في مادة س ح ل والسحل النقد من الدراهم وسحل

الدراهم يسحلها سحلا انتقدها وسحلها مائة درهم سحلا نقده قال أبو ذؤيب

فبات بجمع ثم أب الى منى

فأصبح راد يبتغي المرخ بالسحل هو الضحك الا انه عمل النحل

قوله يبتغي المرخ بالسحل أي النقد اه

الرقباء من الذكور ووزعم ناس ان الكراكي لا ترى أبداً الا فرادى وكان الذي
يجمعها الذكر ولا يجمعها أزواجاً ولا أدرى كيف هذا القول والفعل رئيس يسير
بسيرة الابل والبقر والحير لان الرئيس هو الذي يوردها ويصدرها وتنهض بنهوضه
ويقمن بوقوعه واليمسوب هو خالها فترى كما ترى جميع الحيوان الذي تتخذ رئيسا انما
هي اناث الاجناس فانهم يعلمون ان صلاحتهم في اتخاذ امير وسيد ورئيس وزعم
بعضهم ان رياسة اليمسوب وغل الهجمة والثور والعير لاحد اميرين لاقتدار الذكر
على الاناث والاخر لما في طباع الاناث من حب ذكورتها ولو لم تتأمر الفحول
لكانت هي لحبها للفحول تنهد وبنهدوها وتروح برواحها، قالوا وكذلك الفرائق
والكراكي فاما ما ذكرنا من رؤساء الابل والبقر والجواميس والحير والنحل فما أبدهم
في ذلك عن الصواب، واما الفرائق والكراكي بهذه المنزلة فليس على ما قالوا وعلى
اننا نجد بدأ من أن نعلم ان ذكورتها أقوى على قسر الاناث وجمعها اليه من الاناث
وعلى أنه لا بد من أن يكون بعض طاعة الاناث لها من جهة ما في طباعها من حب
ذكورتها ولو كان اتخاذ الكراكي والفرائق والرقباء الرؤساء انما علمته المعرفة لم يكن
للفرائق والكراكي في المعرفة فضل على الذر والنمل وعلى الذئب والثعب والحمام
أما الغنم فهي أغر وأموق من أن تجري في باب هذا القول، وقد تخضع الحيات للحية
والكلاب للذئب والديوك للديك حتي لا ترومه ولا تحاول مدافعته، ولقد خرجت
في بعض الاسفار في طاب الحديث فلما صرت في شريفة المحلة نارالي من الدار عدة
كلاب من ضحاهما ومما يختاره الحراس فيينا أنا في الاحتيال لهن اذ سكتوا سكتة
واحدة معائم أخذ كل واحد في شق كالثابت المستخفي وسمت نفخة انسان
فانتهزت تلك الفرصة من امسا كهن عن النباح اذ أقبل رجلان ومعهما كلب أزب
ضخم وهو في ساجور لم أرقط كلبا أضخم منه فملت أنهن انما سكتن عن النباح
واستنثن من الهيبة له وهي مع ذلك لا تتخذ رئيسا، وروى عن عباد بن صهيب عن
عوف بن أبي جميلة عن قسامة بن زهير قال قال أبو موسى ان لكل شئ سادة وقال
بعضهم سادة النمل المتدمات وهذا يخرج ولا بدري ما معنى ما قال أبو موسى في هذا

ولو كان اتخذ الرئيس من النحل والكراكي والغرائق والابل والحمر والبقر لكثرة ما معها من المعرفة لكانت القروود والذر والشعاب أولى بذلك فلا بد من معرفة ولا بد من طباع وصنعة والحمام يؤجل من الوأوة وهن بصريات وبنداديات وهن جماع من هاهنا ومن هاهنا فلا تتخذ رئيسا، وقد طعن ناس من الملحدين وبمض من لا علم له بوجوه اللغة ونوسع العرب في لغتها وفهم بعضها عن بعض بالاشارة والوحي فقالوا قد علمنا ان الشمع شيء ينقله النحل مما يسقط على الشجر فيبني بيوت النحل منه ثم ينقل من الأشجار العسل الساقط عليها كما يسقط الترنجيبين والمن وغير ذلك الا أن مواضع الشمع وآثاره أخفي وأقل فليس العسل بقي ولا رجميع ولا دخل للنحلة في بطن قط وفي القرآن قول الله عز وجل وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يمرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ولو كان انما ذهب الى أنه شيء يلتقط من الأشجار كالصمغ وما يتولد من طباع الانداء والاهواء والاشجار انما تمازجت لما كان في ذلك عجب الا بقدر ما نجد في أمور كثيرة، فلنا فقد زعم ابن حائك وناس من جهال الصوفية ان في النحل أنبياء لقوله عز وجل وأوحى ربك الى النحل وزعموا ان الحواريين كانوا أنبياء لقوله عز وجل واذا أوحيت الى الحواريين وما خالف ان يكون في النحل أنبياء بل يجب ان تكون النحل كلها أنبياء لقوله عز وجل على المخرج العام وأوحى ربك الى النحل ولم يخص الامهات والملوك واليماسيب بل أطلق القول اطلاقا وبعد فان كنتم مسلمين فليس هذا قول أحد من المسلمين والا تكونوا مسلمين فلم تجملوا الحجة على نبوة النحل كلاما هو عندكم باطل، وأما قوله عز وجل يخرج من بطونها شراب فالمسل ليس بشراب وانما يحول بالماء شرابا بالماء نبيذا فسماه كما ترى شرابا اذ كان مما يجي منه الشراب وقد جاز في كلام العرب أن يقولوا جاءت السماء اليوم بأمر عظيم وقد قال الشاعر

اذا سقط السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فزعموا أنهم يرفعون السماء وان السماء تسقط ومتى خرج العسل من جهة بطونها
 وأجوافها ومتى حمل اللثة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا وهذا
 الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه قال وبأسبابه اتسمت وقد خاطب بهذا الكلام
 أهل تهامة وهذيل وضواحي نجد هؤلاء أصحاب العسل والأعراب أعرف بكل
 صفة سائلة وعسلة ساقطة فهل سمعتم بأحد أنكر هذا البيان أو طعن عليه من هذه
 الحجة ، سفیان الثوري قال حدثني أبو طامة عن بكر بن ماعز عن ربيع بن خنيم قال
 ليس للمريض عندي دواء الا العسل وهشام بن حسان انه كان يمجبه اذا استمشى
 الرجل أن يشرب اللبن والعسل ، ابراهيم بن أبي يحيى قال بلغني عن ابن عباس أن
 النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الشراب أفضل قال الحلو البارد ، والثوري عن
 أبي اسحاق عن ابي الاحوص قال مضى رجل الى ابن مسعود قال ان أخي
 يشتهي بطنه وقد نعت له الخمر قال سبحان الله ما كان الله ليجعل شفاء في
 رجس وانما جعل الشفاء في اثنين في القرآن والعسل ، سعيد بن أبي عمرو عن أبي
 المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
 أخي يشتهي بطنه فقال اسقه عسلا ثم أتاه فقال قد فعلت فقال اسقه عسلا ثم أتاه
 فقال قد فعلت فقال اسقه عسلا ثم أتاه الرابعة فقال صدق الله وكذب بطن أخيك
 اسقه عسلا فسقاه فبرئ الرجل ، قال والذي يدل على صحة تأويلنا لقول الله عز وجل
 يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أن المعجونات كلها انما تكون
 بالعسل وكذلك الانبجاة ومتى ألتى في العسل اللحم الغريض فاحتاج صاحبه اليه
 أخرجه بمد شهر ظريا لم يتغير وأينما قطرت منه قطرة على وجه الارض فان استدار
 كما يستدير الزئبق ولم يتفش ولم يختلط بالارض فهو الصحيح وأجوده الذهبي ، ويزعم
 أصحاب الشراب أنهم لم يروا شرابا قط ألد ولا أحسن ولا أجمع لما يريدون من شراب
 لعسل الذي ينتبذ بمصر وليس في الارض تجار شراب ولا غير ذلك أيسر منهم وفيه
 عجوبة وذلك أنهم لا يعملونه الا بماء النيل أ كدر ما يكون وكلما كان أ كدر كان أصفي
 ان عملوه بالصافي فسد وقد ياتي العسل على الزبيب وعلى عصير الخمر فيجودهما وبه

يضرّبون انثى في الامور المرتفعة فيقولون ماء كانه العسل ويصفون كل شيء حلوا
فيقولون كانه العسل ويقال هو معسول اللسان وقال الشاعر

لسانك معسول ونفسك شحة * ودون الثريا من صديقك مالكا

وقال الله عزوجل في كتابه واذكر انهار الجنة فقال مثل الجنة التي وعد المتقون فيها
انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى واستفتح الكلام بذكر الماء وختمه بذكر العسل واذكر
الماء واللبن فلم يذكرهما في نعمتهما ووصفهما الا بالسلامة من الاسن والتغير واذكر
الخمر والعسل فقال من خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فكان هذا ضرب من
التفضيل واذكرهما في مواضع آخر فنفى عنهما عيوب خمر الدنيا فقال عز وجل اسمه
لا يصدعون عنها ولا ينزفون فكان هذا القول الاول اظهر دلائل على التفضيل

❦ باب القول في القراد ❦

يقال اسمع من قراد وألّزق من قراد وما هو الا قراد وقال الشاعر

هم السمّن بالسنوت لا ألس فيهم * وهم يمنعون الجار أن يتقدرا

❦ وقال الخطيئة ❦

امعرك ماقراد بنى كلاب * اذا نزع القراد بمسطاع

قال وذلك أن الفحل يمنع أن يحظم فاذا نزع من قراداته شيئاً لذلك وسكن اليه
ولان اصاحبه حتى يلقى الخطام في رأسه، قال وأخبرني فراس بن خندف وأبو
بزرة قال كان يملل اذا نزلت رفقة قريباً منه أخذ شنة فجعل فيها قردانا فنشرها
بقرب الابل فاذا وجدت الابل مسها نهضت وشد الشنة في ذنب بعض الابل فاذا
سمعت صوت الشنة وعمت فيها القردان نفرت ثم تببت في ذروة وما ند منها ويقول
أرحم العلة الضعاف يعنى القردان قال أبو قردة لم تكن همته تجاوز بميراً قال أسيد
ابن رميص

لنا عز وماوانا قريب * ومولى لا يدب مع القراد

وهجاءم الاعشى فقال

فلسنا بناعى المهملات بعرفة * اذا ما طما بالليل منتشراتها
أبا مسمع أقصر فان قصيدة * متى تأتكم تلحق بها أخواتها

وهجاءم حصين بن المنذر فقال

تنازعنى ضبيعة أمر رومي * وما كانت ضبيعة للامور
وهل كانت ضبيعة غير عبد * ضممناه الى نسب شكير
وأوصانى أبى خفمظت عنه * بفك الغل عن عنق الاسير
وأوصى جحدر فوفى بنيه * بارسال القراد على البعير

قال وفي القراد يقول الآخر قال بمضهم يحملها في البراغيث وهذا باطل

ألا يا عباد الله من لقييلة * اذا ظهرت في الارض شد مغيرها

فلا الدين ينهاها ولا هي تنهى * ولا ذو سلاح من معد يضيرها

فمن أصناف القردان الحمان والحلم والفرمان والقمل والطلح وقال الطرماع

لماوردت الطوى والحوض كالا * صرم دفين الاذاء ملتئده

وقد لوى انفه بمشفرها * طلع قراشيم شاحب جسده

ساقف قليلا على نصائبه * ثم استمرت في طامس تجده

على طويل الطوى كصالية الشفة * مع مع الملوتين تصطعده

وفي لزوق القراد يقول الراعى

نبتت مرافقهن فوق مزلة * لا يستطيع بها القراد مقبلا

والعرب تقول أزم من البؤام كما تقول ألق من القراد وهما واحد وذ كر أمية

ابن أبى الصات خلق السماء وأنه ذ كر من ملامستها أن القراد لا يماق بها فقال

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها معاننا وفيها نولد *

فيها تلامذة على قدمائنا * حسراً قياما فالفرانص ترعد

فبني الاله عليهم محصوفة * خلقنا فلا تبلي ولا تتأود

فلو أنه يحدو البؤام بمتمها * لبني وألفاها لى لا تقرد

قال القرد أول ما يكون وهو الذي لا يكاد يرى من صغر فقامه ثم يصير حمأة ثم يصير قرداً ثم يصير حمة ، قال ويقال للقرد القمل والطلح والقنير والبؤام والقرشام قال والقمل ثمة وهي من جنس القردان وهي أصغر منها قال والقردان يخلق من عرق البعير ومن الوسخ والتناطح بالثلوط والابوال كما يتخلق القمل من درن الانسان ووسخه اذا انطبق عليه ثوب أو شعر أو ريش ، والحلم يمرض لأذني الكلب أكثر من ذلك قال ويقال أظف من حمة وألرق من بؤام وأذل من قرد وقال الشاعر يكاد خليلي من تقارب شخصه * يعرض القرد باسنه وهو قائم وقال أبو الحسن لقيس بن زهير والله لانت بها أذل من قردا فقدمه وضرب عنقه وقال الراجز

قردانه في العطن الحول * يبض عب الحنظل المقل

* من الحلاء ومن الحول *

ويقال لحمة الثدي القردا وقال ابن الرقاع

كان قرداى صدره طبعتهما * بطين من الجولان كتاب أعجم

والقردا يمرض لاست الجمل والقمل يمرض للخصي وقال الشاعر

رأيت مكانك من وائل * مكان القردا من أست الجمل

وقال المدزق

تناحي طايحي ما تراح من الشدا * ولو ظل في أوطانها القمل يرتقى

يصف شدة جزعها من القردا وقال بشار بن برد

أعاد الهم منفرداً بشوق * على كبدي كما لزق القردا

وكانوا اذا خافوا الجذب والازمة تقدموا في عمل العاهز والعاهز قردان تعالج بدم الفصد

مع شئ من وبر فيدخرون ذلك كما يدخرون حافر الحمار والأكارع والجاورس ،

والشعوبية تهجو العرب يأكل العاهز والعب والزعاع والهبيد والبربر وأشباه ذلك

وقال حسان بن ثابت

لم يعلان بالمغاير والصم * غ ولا شري حنظل الحطبان

وقال الطرماح

لم تأكل الفت والرعا ولم * تنقف هبيداً مجنب مهتبد
وقال الاصمعي قال رجل من أهل البادية لرجل أيسرك أن تعيش حتى تجي من
افريقية مشياً قال فانت يسرك ذلك قال أخاف أن يقول انسان انها مخيصة فيغشى
على ومخيصة على رأس بريد من المدينة

❦ باب في الحباري ❦

وتقول في الحباري بقول موجزان شاء الله تعالى قال ابن الاعرابي قال اعرابي أنه
ليقتل الحباري ظلم الناس بعضهم لبعض يقول اذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل
در السحاب وانما تصيب الطير من الحب ومن التمر على قدر المطر وقال الشاعر
يسقط الطير حيث ينتثر الحب * وتفشى منازل الكرماء

وهذا مثل قوله

اما رأيت الألسن الملاط * والاذرع الواسعة السباط

* ان الندي حيث ترى الضفاط *

وقالوا في المثل مات فلان كمد الحباري اذا نمت أو تحسرت أبطأ نبات ريشها فاذا
طار صواحباتها ماتت كمدا واما قوله أو تعلم يقول يقارب ان تطعن وقال عثمان بن
عفان رضی الله عنه كل يحب ولده حتى الحباري يضرب بها المثل في الموق ، قال
وللحباري خزانة بين دبره وأمعانه له أبدأ فيها سلاح رقيق فمتى ألح عليها الصقر وقد
علمت ان سلاحه أجود من سلاحها وأنه اذا زرقة به بقي كالمكتوف أو المربوق فعند
ذلك تجتمع الحباريات على الصقر فينتفن ريشه كله كافة وفي ذلك هلاك الصقر ، قال
وانما الحباري في سلاحها كالظرابي في فساتنها وكالثعلب في بوله وكالعقرب في ابرتها
والزنبور في شعرتها والثور في قرنيه والديك في صئصئته والافني في نابها والتمساح في
ذنبه وكل شئ معه سلاح فهو أعلم بمكانه واذا عدم سلاحه صار يهرب بوجوه الهرب

وكالارب في اثارها الصمداء لفصر يديها وكاستعمال الارنب للتوين والوطء على
الزيمات واتحاد البرايغ انقاصه والناقفاء والراهطاء والداماء وقال الشاعر
وهم تركوك اسلح من حبارى * وهم تركوك أشرد من نعم
يريد نعامه وقال قيس بن زهير

متى يتحرك للمناطق ظالما * ويجري الى شأو بعيد ومسمع

يكن كالحبارى ان أصيبت فثلها * أصيب فان تفلت من الصقر نسلح

وقال ابن قيس يصف ناسا من الكتاب في قصيدة ذكر فيها خياتهم فقال

رأوا مال الامام لهم حلالا * فقالوا الدين دين بنى صهاري

ولو حتى يحاسنهم أمير * لقد سلحوا كما سلح الحبارى

والحرب ذكر الحبارى والنهار فرخ الحبارى وفرخها حارف ساقط لاخير فيه وقال
متمم بن نويرة

وضيف اذا نادى طروقا بقره * وعان نعام القد حتى تكنا

وأرملة تمشى باشمت محتل * كفرخ الحبارى ريشه قد تصدعا

وقال أبو الحسن المدائني قال سعيد النوا قدمت المدينة فلقيت علي بن الحسين فقلت

يا ابن رسول الله متي يبعث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال اذا بعث الناس قال

ثم تذا كرنا أيام الجمل فقال ليته كان ممتوعا قبل ذلك بعشرين سنة أو كلمة غير هذه

قال فأنت حسن بن حسين فذكرت له ما قال فقال لو ددت والله انه كان يقا تلهم

الى اليوم قال فخرجت من فوري ذلك الى علي بن الحسين فأخبرته بما قال فقال انه

لقليل الابقاء على أبيه قال وبلغ الخبر المختار فقال أ يضرب بين ابني رسول الله صلي

الله عليه وسلم لأ قتلنه فتواريت ما شاء الله ثم لم أشعر الا وانا بين يديه فقال الحمد

لله الذي أمكنني منك فقلت أنت استمكنك مني أما والله لولا رؤيا رأيتها لما قدرت

على قال وما رأيت فقلت رأيت عثمان بن عفان فقلت انت عثمان بن عفان فقال أنا

حباري تركت أصحابي حيارى لا يهود ولا نصاري فقال يا أهل الكوفة انظروا الى

ما أرى لله عدوكم ثم خلى سبيلي ووجهه كلام علي بن الحسين الذي رواه عنه سعيد

النوا ان كان صادقا فانه للذي كان يسمع من الغاية من الافراط والغلو والفحش
فكانه انما أراد كسرهم وان يحطمهم عن الغلو الى القصد فان دين الله عز وجل بين
القصد والافعل بن الحسين افقه في الدين وأعلم بمواضع الامامة من أن يخفى عليه ما
بين علي وطلحة والزبير وقال الكمي

وعيد الحباري من بعيد تنفست * لازلرك معلول الاظافر بالخضب

والحباري طائر حسن وقد يتخذ في الدور وناس كثير من العرب وفريش يستطيون
محشو الحباري جدا قال والحباري أشد الطير طيرانا وأمدھا سقطا وأطولها شوطا
وأقلها عرجة وذلك أنها تصاد بظفر البصرة عندنا فيشق عن حواصلها فيوجد فيها
الحبة الخضراء غضة لم تغير ولم تفسد وأشجار البطم وهي حبة الخضراء بعيدة المنابت
وهي علوية أو عودية أو جبلية قال الشاعر

ترتمي الشرى من براش أو هिला * ن أو تابما من الغم *

والشرى شجرة البطم وهي حبة الخضراء بالجبال شجرتها وقال الكوذن المعجلى البطم
لا يعرفه أهل الجلس وبلاد نجد والجلس هو ما ارتفع والنور هو ما انخفض وبراش
وادبالمين كان لغوم عاد وبراش كلبة كانت تشاءم بها العرب وقال حمدة بن بيض
هل جناها أخ على كريم * وعلى أهلها براش تجنى

القول في الضأن والمز

قال صاحب الضأن قال الله تبارك وتعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المز
اثنين فقدم ذكر الضأن وقال عز وجل وفديناه بذبح عظيم وقد أجمعوا على أنه كبش
ولا شيء أعظم مما عظم الله عز وجل وقال تعالى ان أخي له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة ولم يقل ان أخي له تسع وتسعون عنزا ولي عنز واحد لان الناس يقولون
كيف النعجة يريدون الزوجة وتسمى المهامن بقر الوحش نعجة وناجا ولم تسم بمنوز
وجعل الله عز وجل السنة في الاضاحي الكبش والعميقة وهدية المرس وجعل الجذع
من الضأن كالثني من المز في الاضحية فهذا ما فضل الله عز وجل به الضأن في الكتاب

والسنة تلد الضأن مرة في السنة وتفر دولا تتم والماعزة تلد مرتين وقد تضع الثلاث
وأكثر وأقل والبركة والنماء والمدد في الضأن، والخنزيرة كثيرة الخنايص يقال انها
تلد عشرين خنوصاً ولا نماء لها، قال وفضل الضأن على الميزان الصوف أغلي وأثمن
وأكثر قدراً من الشعر والمثل السائر انما فلان كبش من الكباش واذا هجوه قالوا انما
هو نيس اذا أرادوا الغباوة واذا أرادوا اللبن فاذا أرادوا الغباوة في الغباوة قالوا ماهو
الانيس في سفينة، والحملان يلب بها الصبيان والجداء لا يلب بها وابن الضأن أطيب
وأختر وأدم وزبده أكثر ورؤس الضأن المشوية هي الطيبة المفضلة ورؤس المعز ليس
عندها طائل ويقال رؤس الحملان ولا يقال رؤس المعزضان ويقال لازحى الذى يلب بالحرب
من أولاد الناس هو يأكل رؤس الحملان لمكان آلية الحمل ولأنه أجزل وأرطب ولم
يقولوا في الكناية والتعريض هو يأكل لحوم المعزضان والشواء المنعوت شواء الضأن
وشحمه يصير كله اهالة واحدة أوله وآخره والعنز يبق شحمه على حاله وكذلك لحمه
ولذلك صار الخبازون الخذاق قد تركوا الضأن لان المعز يبق شحمه ولحمه فيصالح ان
يسمن مرات فيكون أربح لاصحاب العرس والكباش للهدايا والنكاح فتلك فضيلة في
النجدة والثقافة، ومن المملوك من براهن عليها ويضع السبق عليها كما يراهن على
الخيل والكباش الكزاز يحمل الراعى وأداة الراعى وهو له كالحمار في الرفق ويمش
عشرين سنة فاذا سبق الراعى واغتم اختار النعجة على العنز واذا نعتوا شكلاً من
أشكال مشي البرازين قالوا هو يمشي مشى النعاج وقال الله عز وجل ومن أصوافها
وأوبارها فدم الصوف، والبخت هي ضأن الابل منها الجازات والجواميس هي
ضأن البقر يقال للجاموس بالفارسية كاوماش ولا يذكر الماعز بفضيلة الا بانتفاخ
نمن جلده وغزارة لبنه فاذا صرت الى عدد كثيرة النعاج وجلود النعاج والضأن
كلها أربى ذلك على ما يفضل به الماعز الضأن في ثمن الجلد والنزر في اللبن، وقيل
لابنة الخس ما تقولين في مائة من المعز قالت فنا قيل فمائة من الابل قالت غني
قيل فمائة من الضأن قالت منى وسئل عيل بن حنظلة عن بنى مخزوم فقال معزى
مطيرة عليها فثمة ريرة الابل المغيرة فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام

وتقول العرب لهو أصرده من عين حرباء وتقول العرب العنز تهدم ولا تبني لان العنز تصعد على ظهور الاخبية فتقطعها بأظلافها والنعجة لا تفعل ذلك ، هذا ويوت الاعراب انما تعمل من الصوف والوبر فليس للماعز فيها معونته وهي تخرقها وقال الاول

لو نزل الغيث لأبني امرأ * كانت له قبة سحق بجاد

انما أراد لجعل له بناء وأبنية العرب خيامهم ولذلك يقولون بني فلان على امرأته البارحة ، وقال جشمون الطيب يا أبا عثمان اياك ولحم الماعز فانه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان وينسد الدم وهو والله يخجل الاولاد ، وقال الكلاني العنوق بعد النوق ولم يقل الحمل بعد الجمل وقال عمرو بن العاصي لاشيخ الجهمي المعترض عليه في شأن الحكمين وما أنت والحكمين ياتيس جهينة لان الكباش مدح والتيس ذم وأما قوله ان الظلف لا يرى مع الخف فالبقر والجواميس والضأن والمعز في ذلك سواء ، وأتي عبد الملك بن مروان في دخوله الكوفة على موائد بالجداء فقال أين أنتم عن العماريس فقيل له عماريس الشام أطيب وفي المثل لهو أذل من النقد والنقد هي المعز وقال الكذاب الحرمازي

لو كنتم قولاً لكنتم فندا * أو كنتم ماءً لكنتم زبدا

أو كنتم شاةً لكنتم نقدا

قال والمرأة تسمى كبشة وكبششة والرجل يكنى أبا كبشة وقال أبو فرودة

كبششة اذ حاولت تستب * بين استبقي الدمع مني استباقا

وقامت تريك غداة الفراق * كسحها لطينا ونفذاً وساقا

ومنسدلاً كسحاني الحبي * ال ترشفه زنبقا أو حلاقا

وقال بفض القصاص ومما فضل الله عز وجل به الكباش أن جملة مسبور الموردة من قبل

ومن دبر ومما أهان الله تعالى به التيس أن جملة مهتوك الستر مكشوف الدبر والقبل

وقال حسان بن ثابت الانصاري

سألت قريشا كلها فشرارها * بنوعائد شامت وجوه الأعداء

اذا جلسوا وسط الندي تجاوبوا * تجاوب عتدان الربيع السوافد

﴿ وقال آخر ﴾

أعثمان بن حيان بن آدم * عتود في مفارقة يبول
ولو أني أشافهه لشالت * نعماته ويعلم ما أقول

﴿ وقال الشاعر ﴾

تسمي يزيد كي يزيد فلم يزد * ففألك المسمى فسمك بالفجر
وما ألى إلا التيس يمبر بوله * عليه ويهذى في لبان وفي نحر

فالتيس كالكلب يفرح ببوله فيرد حاق خيشومه وبول التيس أخثر البول وأنته وريح
أبدان التيوس إليها ينتهي المثل ولو كان هذا في الكباش كان أعذر له لأن الخوم والمغن
والتين لو عرض لجلد ذي الصوف المتراكم الصفيق الدقيق والمثف المستكثف لأن
الريح لا تخلله والنسيم لا تحرقه لكان ذلك أشبه فقد علمنا الآن أن للتيس مع تحال
شعره وبروق جلده وجفوف عرقه وتقطع بخار بدنه فضلا في التين ولعل ذلك أن
يحمده من وضع أنفه على جلودها، وجلود أباط الزنج منتنة العرق وسائر ذلك سليم
والتيس يبط. كاه وننته في الشتاء كئنته في الصيف وإنما لدخل السكة وفي أفصاها
تيوس فنجده ننتها من أدناها حتى لا يكاد أحدها يقطع تلك السكة الا وهو نخر الأنف
الاما كان مما طبع الله عز وجل عليه البلوي وعليها الاسواري^(١) فان بعضهم صادق
بعضاً على استطابة ريح التيوس وكانا ربما جالسا على باب التياس ليستنشقا تلك الرائحة
واذا مر بهما من ينكرهما وأنكر مكانهما ادعوا انهما منتظران بعض من يخرج
اليهما من بعض تلك الدور، فأما المكي فانه تعشق جارية يقال لها سندوة ثم تزوجها
نهارية وقد دعاني الى منزلها غير مرة وخبرني أنها كانت ذاصنان وأنه كان معجبا
بذلك منها وانها كانت تعالجه بالمرتك وأنه نهاها مراراً حتى غضب عليها في ذلك قال
فأما عرفت شهوتي كانت اذا سألتني حاجة ولم أفصها قالت والله لا تمر تكن ثم والله
لا تمر تكن ثم والله لا تمر تكن فلا تجد بداً من قضاء حاجتها، وحدثني موسى بن عمران
وكان هو والكذب لا يأخذان في طريق ولم يكن عليه في الصدق مؤنة لا يشاره له

حتى كان يستوي عنده ما يضر وما ينفع قال كان عندنا رجل يشتغل بريح الكرياس لا يشفيه دونه شيء وكان قد اتخذ وتداً أوسكة من حديد في صورة المبرد فيأتي الكرياس التي تكون في الازنة القليلة المارة فيخرق الكرياس كان من خزف أو من خشب ثم يضع منخرجه عليه حتى يقضي وطره قال فأتى الناس من سيلان كرايسهم شراً حتى عثروا عليه فما منعهم من حبسه الا الرحمة من تلك البلية مع الذي رأوا من حسن هيئته، قالوا وهذا شأن التيس وهو أبو المنز وهل تلد الحية الاحية ولا بد لذلك الذين عن ميراث أوباطن وأنشد لابن أحرر

اني وجدت بنى اهبان حاملهم * كالمنز تمطف روقها فترضع

وهذا عيب لا يكون في النماج والمنز هي التي ترضع من خلفها وهي مخلقة حتى تأتي على لبنها وهي التي تنزع الود وتقلب المعالف وتير ما فيه واذا رأت الضائفة والماعزة فهي في فضل نبت ماتاً كلة الضائفة ولا ينبت ما نأ كلة الماعزة لان الضائفة تقرض بأسنانها وتقطع والماعزة تقبض عليه فتثيره وتجذبه وهي في ذلك تأ كلة وقال الفرزدق وكانت كمنز السوء قامت بظلفها * الى مدينة تحت التراب تثيرها

﴿ وقال الشاعر ﴾

لعمرك ما تدرى فوارس منقرا * أفي الأست أم في الرأس تلقى الشكائم
والهلى بنى حمان عسب عتودهم * عن المجيد حتى أحرزته الأكارم
وذلك أن حمان تزعم أن تيسهم فرع شاة بعد ما ذبح وانه ألقحها، وقالوا في الضأن أعجوبة وذلك أن النعجة ربما عظمت أليتها حتى تسقط على الأرض ويمنعها ذلك المشي فعند الكباش رفق في السفاد وحنق لم يسمع بأعجب منه وذلك أنه يدنو منها ويقف موقفاً ثم يصد احدى ناحيتي الالية بصدرة بمقدار من الصدد يعرفه فينفرج عن جانبها المقدار الذي لا يراه غيره ثم يسفدها في أسرع من اللامح، قالوا والضأن أحمل للبرد والريح والطر ومن مفاخر الضأن على الميزان التمثيل الذي كان عند كسرى والتخبير اما كان بين النعجة والنعلة ولم يكن هناك للمنز ذكر وعلى ذلك الناس الى اليوم والموت الى المعزى أسرع وأمراضها أكثر وانما معادن الغنم الكثير الذي عليه يعتمد الناس الجبال

والعز لا تمش هناك وأصواف الكباش أمتع للكباش من غلظ جلود المزد ولو لا أن
أجواف الماعز أبرد وكذلك كلاهما لما احتشت من الشمع كما تحتشى وذكرورة كل
جنس أتم حسناً من أنثها وربما لم يكن للأنث شيء من الحسن وتكون الذكرورة في
غاية الحسن كالطواويس والنداريج وأنثها وربما كن دون الذكرورة ولهن من الحسن
مقدار كانت الدراريج والقبيج والدجاج والحمام والوراشين وأشباه ذلك والتيوس قبيحة
جداً وزاد في قبحها حسن الصفايا وإذا وصفوا أعناق النخل العظام قالوا كأنها كباش
وقال الشاعر

كان الكباش الساجسية عاقت * دوين أجير أو غداثر تاجر
وما ذموا فيه العنز دون النعجة قول أبي الاسود الدؤلي

ولست بمرأض إذا ما لقيته * يعبس كالغضبان حين يقول
ولا يبس كالعنز أطول رسالها * ورثانها يومان ثم يزول

وقال أبو الاسود أيضا

ومن خير ما يتعاطى الرجال * نصيحة ذي الرأي للمجتليها
فلاتك مثل الذي استخرجت * بأظلافها مديدة أو بفيها
* فقام اليها بها ذابح * ومن يدع يوماً شعوباً يجيها
فظلت بأوصالها قدرها * يخش الوليدة أن تحتويها

وقال مسكين الدارمي

إذا صبحتني من أناس ثمالب * ليرفع ما قالوا منحتهم حقراً
فكانوا كمنز السوء تبني لحينها * وتحفر بالاظلاف عن حنقها حفرأ

وقال رمضان لأبي شعيب الغلال وأبو الهذيل حاضر أي شيء تشتهي وذلك في يوم
من الصيف بالبصرة قال أبو شعيب أشتهي أن أجيء إلى باب صاحب سقط وله على
باب حانوته ألية معلقة من تلك المبزرة المشرحة وقد اصفرت وودكها يقطر من جاني
السمن فأخذ بخصيها ثم أفتح في فلا أزال كدماً ونهشاً وودكها يسيل على شدي حتى
أبلغ عجب الذئب قال أبو الهذيل ويحك فتنتني فتنتني يعني من الشهوة

﴿ باب في الماعز ﴾

قال صاحب الماعز في أسماء الماعز وصفاتها ومنافعها وأعمالها دليل على فضلها فن ذلك أن الصفة أفضل من النعمة وفي أسماؤها دليل على فضلها فلبنتها أكثر أضغافاً وزبدها أكثر وأطيب وزعم أبو عبد الله العتبي أن النيس السراطي قرع في يوم واحد نيفاً وثمانين قرعة وكان قاطع الشهادة وقد يباع من نسل السراطي وغيره الجدي ثمانين درهما والشاة بنحو من ذلك وتحب خمسة مكاي وأكثر وربما يبع جلد الماعز ثمانين درهما وأكثر والشاة إذا كانت كذلك فلها غلة نافعة تقوم بأهل البيت والنعال البقرية من السبت وغير السبت مقسوم نفعها بين الماعز والبقر لأن للشرط من جلودها خطراً وبذلك القبال والشسع ووصف حميد بن ثور جلوداً من جلودها فقال
تتابع أعوام علينا طيبها * وأقبل عام أصالح الناس واحد
وجاءت بذى لونين ما زال شاته * تمر حتى قيل قد مات خالد
وقال وأنشد ابن شهاب

تري زائرات الخليل حول بيوتها * كمنزى الفجار أعوزتها الزرانب
ومن منافعها الانتفاع بشحم الثرب والكلية وهما فوق شحم الالية وإذا مدحوا اللحم
قالوا لحم الماعز الخصى الثني وقال الشاعر

كان القوم عشوا لحم ضأن * فهم يعجون قد مالت طلاهم
والمرورون الذين يصرعون إذا أكلوا لحم الضأن اشتد ما بهم حتى يصرعهم ذلك في
أوان الصرع وأوان الصرع الالهة وانتصاف الشهور وهذان الوقتان وقت مد البحر
وزيادة الماء ولزيادة القمر حتى يصير بديراً أثر بين في زيادة الدماء والادمغة وجميع
الرطوبات ويقال هو والله ماعز من الرجال وفلان أمعز من فلان والعقاق معز الخليل
والبراذين ضأنها وإذا وصفوا الرجل بالضعف والموق قالوا ما هو الا نعمة من النعاج
ويقولون في التقديم والتأخير ماله سبد ولا ليد وقال الشاعر

نشبي وما جمعت من صفة * وحويت من سبد ومن ليد

هم تقاذفت الموم بها * فنزعت من بلد الى بلد
 ياروح من حسنت فناعته * سب المطامع من غد وغد
 * من لم يكن لله منهما * لم يس محتاجا الى أحد

وهذا الشعر رويته على وجه الدهر وزعم لي حسن بن الضحاك انه له وما كان يدعى
 ما ليس له وقال لي سمعت ان المكفوف لا يكون فنزعت من بلد الى بلد بل كان ينبغي
 ان يقول فنازعت، وقال والممازة قد تدمرتين الا ما أتيت منها في الرماس ويقع موقعه
 كبير وربما باعوا عندنا بطن الماعز بثمان شاة من الضان، قال والاقط للمعز وهو المنتفع
 بها قال والجدى أطيب من الحمل وأكرم وربما قدموا على المائدة الحمل مقطوع الالية
 من أصل الذنب ليوهوا انه جدى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعقول الخلفاء
 فوق عقول الرعية وهم أبصر بالعيش استعملوا ذلك أو تركوه أترون اني لأعرف
 الطبيات لباب البر وصغار المزمى وولو كنا تحمل معهم في أسفارهم البعيدة الصفايا
 الحوامل المعروفات ازمان الحمل والوضع ليكون لها في كل منزل جداء معدة وهم
 يقدرن على الحملان السمان بلا مؤنة، والمنق والجداء هي المثل في المعز والطيب ويقولون
 جداء البصرة وجداء كسكر وساخ الماعز على القصاب أهون والنجار يركز في خصال
 الساج سلسلة تحت القدوم والمنقب والمنشار وقيل لاعرابي بأى شيء تعرف حمل شاتك
 قال اذا تورم حياها وخرجت واستفاضت خاصرتها، والداجي يقال قد كان ذلك وثوب
 الاسلام قد دجا وكان ذلك وثوب الاسلام داج قال وللماعز المرعز وليس الصوف
 للناعج والكساء، كلها صوف ووبر وريش وشعر وليس الصوف الا للضان وذوات
 الوبر كالابل والنعاب والحزز والارانب وكلاب الماء والسمور والفنك والغمام والسنجاب
 والذي كلها شعر كالبقرة والجواميس والماعز والظباء والاسد والثور والذئب والبيور
 والكلاب والفهود والضباع والعتاق والبراذين والبغال والحير وما أشبه ذلك والانسان
 الذي جعله الله تعالى فوق جميع الحيوان في الجمال والاعتدال والعقل والكرم ذو شعر
 والممازة لقربتها من الناس بهذا المعنى أنخروا كرم، وزعم الاصمعي أن لبني عقيل
 ماعز آلا ترد فأحسب وادبهم أخصب وادوارطبه أليس هذا من أعجب العجب

ومن جلودها تكون القرب والزقاق والمنا كل وكل خرج وتفر ووطب وشكية
وسقاء ومزادة مسطوحه كانت أو مثلثة ومنها ما يكون الخوان ولاكم السلف
والبطائن والجرب ومن الماعزة يكون انطاع البسط وجلال الانتقال في الاسفار
وجلال قباب الملوك وبقباب الادم يتفاخر العرب وللقباب الحمر قيل مضر الحراء
وقال عبيد بن الابصر

فاذهب اليك فاني من بني أسد * أهل القباب وأهل الجود والنادي

قال وفخرتم بكبشة وكبشة وأبي كبشة فمنا عنز اليمامة وعنز وائل ومنا ماعز بن مالك
صاحب التوبة النصوح وقالوا والنعجة حذب وأخذها خسران الا أن تكون في
نماج سائمة لانها لا ترفع رأسها من الاكل والنعجة آكل من الكباش والحجر آكل من
الفجل والرمكة آكل من البرذون والنعجة لا يقوم نفعها بمؤنتها والعنز تمنع الحني الخلا
فان العرب تقول ان الموم تمنع الحني الخلا والصفية من العرب أغزر من نجبية
أو يقال أحق من راعي ضأن ثمانين وأصناف أجناس الاظلاف وكرامها بالمعز أشبه
لان الظباء والبقر من ذوات الاوبار والشعر وليست من ذوات الاوبار والصفوف
والشمل والتعاويد والفلائد انما تتخذ للصفايا ولا تتخذ للنماج ولا يخاف علي ضروعه
العين والنفس والاشعار التي قيلت في الشاء اذا تأملتها وجدت أكثرها في المعز في
صفاياها وفي حورها وفي تيوسها وفي عنوقها وفي جدها وقال مخارق بن شهاب المازني
وكان سيداً كريماً وكان شاعراً فقال يصف تيس غنمه

وراحت أصيلاً كأن ضروعها * دلاء وفيها واتد القرن لبلب

له رعنات كالشونف وغرة * شديخ ولون كالوديلة مذهب

وعينا أحم المقتلين وعصمة * يواصلها دان من الظاف أهذب

اذا دوحة في محذف الضال أرجلت * عضاها كما يطوذري الضال قرحب

تلاد رقيق الخلدان عد نجره * فصر دان سمي النجر منه وأسفب

أبو القز الحو المواتي كأنها * من الحسن في الاعناق جزع مثقب

اذا طاف فيها الخالبات تقاذفت * عقائل في الاعناق منها تحلب

تري ضيفها فيها بيت ببطية * وضيف ابن قيس جامع يتحوب
قال فوفد ابن قيس هذا على النعمان فقال له كيف المخارق عندكم قال سيد شريف
بمدح نفسه ويهجو ابن عمه وقال الراجز
* أنمت ضانا أنجرت عيانا *

والجبران تشرب فلا تروى وذلك من مثالبها ، وقال رجل لبعض ولد سليمان بن عبد الملك
مات أمك مجراً وأبوك بشما وقال اعرابي

أمولى بنى تيم ألسنت مؤديا * منيحتنا ككيا تؤدي المنايح
فانك لو أديت صعدة لم تزل * بعلماء عندي ما لبتي الريح راجح
لها شعر داج وجيد مقلص * وخالق رخاوي وضرع مجالغ
ولو أشليت في ليلة رجبية * لاروى بها هطل من الماء سافح
لجأت امام الخالين وضرعها * امام صفافيا وجيد مطارح
وما أمها كانت منيحة واحد * تراي بهاتيك الا كام القوادح

ليس صبيلا أصناف الظلف في التشابه سبيل أصناف الحافر ، والخلف تشتمل على الابل
والبقر والجواميس والظباء والخنازير وبقر الوحش وليس بين هذه الاجناس من
تسافد ولا تلافح ولا النعم من الضان والماعز ولا النعم في سائر الظفر ولا شئ من
صائر تلك الاجناس من تسافد غيرها وتلافحها فهي تختلف في الصوف والشعر وفي
الانس والوحشة وفي عدم التلافح والتسافد وليس كذلك الحافر والخلف وقال الراجز
لطني على عنزي لا أنساها * كان ظل حجر صفراهما

* وضالع معطرة كبراهما *

فوله ضالع يريد انهاء السن والممطرة الحراء مأخوذة من المطرة وقوله كان ظل حجر
صفراهما يريد انها كانت سوداء لان ظل الحجر يكون أسود وكل ما كان القاتم أشد
اكتنازا كان الظل أشد سوادا وتقول العرب ليس شئ أظل من حجر ولا أدفا من
شجر وليس يكون ظل أبرد ولا أشد سوادا من ظل جبل وكل ما كان أرفع سما
فكان مسقط الشمس أبرد وكان أكثر عرضا وأشد اكتنازا كان أشد لسواد محله

ويزعم المنجمون ان الليل ظل الارض وانما اشتد جدا لانه ظل كرة الارض وبقدر ما زاد جرمها في العظم ازداد سواد ظلمها وقال حميد بن ثور الى شجر ألى الظلال كأنها * رواهب أجرين السراب غروب والشفة الحسناء يقول لها لمياء يصفون بذلك الائمة فجعل ظل الاشجار المتلفة المي وقال امرؤ القيس بن حجر

* لنا غم نسوقها غزارا * كان قرون جلتها المعصى

قوله يصف القرون انها كانت ما عزة فقال

فتملاً بيتنا أقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع وري

فدل ان الاقط منها يكون قال ويقال لذوات الاظلاف قد ولدت السيلة والبقرة مضومة الواو مكسورة اللام مشدودة يقال هذه شاة تحب ففيزاً ولا تحب والصواب ضم التاء وفتح اللام ويقال أيضاً وضعت في موضع ولدت وهي شاة ربي من حين تضع الى خمسة عشر يوماً وقال أبو زيد الى شهرين من غم رباب مضومة الراء على فمال كما قالوا رخل ورخال وظئرو وظوار وهي ربي بيئة الرباب والربة بكسر الراء ويقال هي في ربابها وأنشد

* حين أم البرق في ربابها *

والرباب مصدر وفي الربي حديث عمر دع الربي والماحض والا كولة وقال أبو زيد ومثل الربي من الضأن الرغوث قال طرفة

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا نخور

وقال اذا وضعت العنز ما في بطنها قيل سليل ومليط وقال أبو زيد هي ما تضعه من الضأن والمز جميعاً ذكراً كان أو سخةً وجمعها سخال وسخال فلا يزال كذلك اسمه ما رضع اللبن ثم هي البهمة لأنه كرو والاثني وجمعها بهم وقال الشاعر

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعي فتزجر

واذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمهاتها وأكلت من البقل واجتزت فما كان من أولاد المعز فهو جفر والاثني جفرة والجمع جفار ومنه حديث عمر رضى الله عنه

حين قضي في الارنب بصيها المحرم بجفر فاذا رعى وقوى واتى عليه حول فهو عرض
وجمها عرضان والعتود نحو منه وجمه اعتد وعتدان وقال يونس جمه اعتد وعتد
وهو في ذلك جدي والاثني عناق وقال الاخطل

واذ كر عتاده عتاداً ريمة * من العناق ساء حولها الصبر

ويقال اذا تبع أمه وفطم تلو والاثني تلو لانه يتلو أمه ويقال للجدي أمر والاثني
أمرة وقالوا هلع وهامة والبدره العناق أيضا والمطمط الجدي فاذا أتى عليه الحول
فالذ كر تيس والاثني عنزة ثم يكون جذعا في السنة الثانية والاثني جذعة ثم نيا في
الثالثة والاثني ثنية ثم يكون رباعيا في الرابعة والاثني رباعية ثم يكون سديسا والاثني
سدس أيضا مثل الذ كر بغير هاء ثم ضالما والاثني كذلك والضالع بمنزلة البازل من
الابل والفارح من الخيل ويقال قد ضلع بضلع ضلوعا والجمع الضلع وايس بعد الضالع
شيء ، وقال الاصمعي الجلام والحلاق من أولاد المعز خاصة وجاء في الحديث في الارنب
بصيها المحرم جلام قال ابن أحر

تهدي اليه ذراع الجدي تكرمه * اما ذكيا واما كان جلاما

ويروى ذبيحا والذبيح هو الذي أدرك أن يضحي به وقال مهمل

كل قتيل في كايب جلام * حتي ينال القتل آل همام

وقالوا في الضأن كما قالوا في المزمى الا في مواضع قال الكسائي هو خروف في الارض
والاثني خروفة ويقال له حمل والاثني من الحملان رخل والجمع رخال كما يقال ظئر
وظؤار وتؤم وتؤام والبهمة الضأن والمز جيما فلا يزال كذلك حتي يصيف فاذا أكل
واجتر فهو قرقر وقرقار وقرقور وعمارس وهذا كله حين يسمن ويجتر والجلام
يكسر الجيم وتعجيم نقطة من تحت الجيم قال الاعشى

سواهم جذعائها كالجلام * أقزع منها العتاد السيورا

واليمر الجدي باسكان العين وقال البريق الهذلي

* مقبأ بام-لاح كما ربط اليعر *

والبدخ من أولاد الضأن خاصة وقال الراجز

قد هلكت جارثنا من البذخ * فان تجمع تأكل عتوداً أو بدخ
 والجمع بدخان وقال اعرابي اللهم ميتة كميته ابي خارجة قالوا وما ميتة ابي خارجة قال
 اكل بدخا وشرب عملاً ونام في الشمس فأنته المنية شعبان ريان وفي المثل
 أغلم من تيس بن حمان وحمان تزعم أنه ففط سبعين عنزاً وقد فريت أوداجه فهذا
 من الكذب الذي يدخل في باب الخرافة، وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر نوراً
 وثب بعد ان خصى فنزا على بقرة فأحبها ولم نجد هذا من معانية والصدور تضيق
 بالرد على أصحاب النظر وتضيق بتصديق هذا الشكل، قال وحدثني سعيد بن طريف
 عن الاصبغ بن نباتة قال سمعت عائياً يقول ما من أهل بيت لهم شاة الا يقصدون كل
 ليلة، وعائسة القطان قال حدثني عبد الله بن عبد الأعلى القرشي عن رجل من الانصار
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوصيكم بالشاء خيراً فنفقوا سرايضها من الحجارة
 والشوك فانها في الجنة، حدثني محمد بن عجلان عن وهب بن كيسان عن عمرو بن عطاء
 من بني عامر بن لؤي ان رجلاً مر على أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهو بالعقيق
 فقال أين تريد قال أريد غنيمة قال أمسح رعاها واطيب مراحها واصلي في جانب
 مراحها فانها من دواب الجنة، وفرح بن فضالة عن معاوية بن صالح عن رجل من
 أصحاب أبي الدرداء أنه جعل طعاماً اجتهد فيه ثم دعاه فأكل فلما أكل قال الحمد لله
 الذي أطعمنا الخبز وألبسنا الحبر بعد الاسودين الماء والتمر وعنزة ضائفة له قال هذه
 لك قال نعم أطيع مراحها وأغسل رعاها فانها من دواب الله وهي صفوة الله من
 البهائم، ابراهيم بن يحيى عن رجل عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال ان الله عز وجل خلق الجنة بيضاء قال وبعت الى الرعيان من
 كانت له غنم سود فليخلطها بمفر فان دم عفراء أرجى من دم سوداوين، وحدثنا أبو
 المقدم قال حدثنا عبد الرحمن بن حبيب عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم دعا بالرعاه فجمعوا فقال من كان منكم يرعى غنماً سوداً فليخلط فيها
 بيضاء، قال وجاءت امرأة فقالت يا رسول الله اني اتخذت عنزة رجوت رسلها ونسلها
 واني لا أراها سواها قال فما ألوانها قالت سود قال عفري أي اخلطي فيها، قال وحدثنا

طلحة عن عمرو الحضرمي عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغنم بركة
موضوعة والابل جمال لاهلها والخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة، وحفظلة
ابن أبي سفيان المدني قال سمعت طارقا يقول من هاهنا اطلع الشيطان قرنيه من
مطلع الشمس والجفاء والكبر في أهل الخيل والابل والفداد في أهل الوبر والسكينة
في أهل الغنم، وحدثنا بكر بن جيش عن يحيى بن عبد الله عن وهب عن ابيه عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر قبل المشرق والفخر
والخيلاء في أهل الابل والخيل والفداد في أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم والايامن
يمان والحكمة يمانية، وعوف بن أبي جميلة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الفخر في أهل الخيل والجفاء في أهل الابل والسكينة في أهل الغنم والفداد الجافي
الصوت والكلام وأنشدنا أبو الرديني العملي

* جاءت سهام ولها فديد *

وكان من الانبياء عليهم السلام من رعى الغنم ولم يرع أحد منهم الابل وكان منهم
شعيب وداود وموسى قال الله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى أتوكتأ
عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها ما رب أخرى وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى
غنيمات خديجة والمزبون بنزولهم البعد من الناس في طباع الوحش، وجاء في الحديث
من بدا جفا ورعاء الغنم وأربابها أرق قلوبا وأبعد من الغلظ والجفا وراعى الغنم انما رعاها
بقرب الناس لا يعزب ولا يبديد ولا ينتجع وقالوا في الغنم اذا أقيمت أقبلت واذا أدبرت
أقيمت وكان لأصحاب الابل مما يجرهون على أنفسهم الحامى والسائبة ولأصحاب الشاء
الوصيلة والعتيرة أيضاً كان أحدهم اذا نذر أن يذبح من العتائر والرجيبة كذا وكذا
شاة فبائع الذى كان يتمنى في قدره وشح على الشاء قال الأطباء أيضا شاء وهي تجزى
اذا كانت شاء فيجمل عتائره من صيد الظباء وقال الحارث بن حلزة

عتسا باطلا وظلما كما ته * تر عن حجرة الربيض الظباء

وقال الرماح

كان الغنوى الفرد أجسد رأسه * عتار مظلوم الهدى المذبح

ومنها المدوي قال الفرزدق

ومهور نسوتهم اذا ما أنكحوا * عدوي بكل هبتقع منقال
قال أبو عتاب ليس في الارض شاة ولا بعير ولا أسد ولا كلب يريد الربوض الا
مال على شقه الايسر ابقاء على ناحية كبدته قال ومتى تفقدتم الصفايا التي في البيت
والنماج والجداء والحملان وجدتموها كذلك ، قال والعقاب تستعمل كفها اليمنى اذا
أصدمت بالارانب والثعالب في الهواء ، واذا ضربت بمخالبها في بطون الطباء والذئاب
واشتهت كبدتها وأحست بذلك فلا تزال اذا اصطادت شيئاً تأكل من كبدته ، قال
وليس في الارض هارب من حرب أو غيرها فاستعمل الحضر الا أخذ عن يساره
اذا ترك عزمه وسوم طبيعته وأنشد

تحامص عن وحشيه وهو ذاهل * وفي الجوف نار ليس بجبو ضرامها
وأنشد الأصمعي للأعشي

وليس سهما ذا عذار يسوفه * أمين القوي في حالة المترنم
فر بني السهم تحت عذاره * وحال على وحشيه لم يعيم
قال ووضع على موضع عن ، وفي باب آخر يقول أوس بن حجر وذلك انه ليس في
الارض جبل هاج فأخرج شمشقته الاعدل بها الى أحد شقي حنكته والثور اذا عدل
عدل بلسانه عن شق شماله قال عبدة بن الطبيب

مستقبل الريح يهفو وهو مبترك * لسانه عن شمال الشرق معدول

وقال أوس بن حجر

أو سر كم في إجمادي ان نصالحكيم * اذ الشقائش معدول بها الجنبيا
قال واذا كرك الكلاب أو الثور صنع خلاف صنيعه عند المدو قال الاعشي
* فلما أضاء الصبح قام مبادراً * وحان انطلاق الشاء من حيث بما
فصبغه عند الشروق غدية * كلاب الفتى البكري عوف بن أرقما
فأطرق عن جنوبها فاتبعه * كما هيج السامى المومل حشرما *
فأضحى على شوئي يديه فزادها * بأضواء من فرع الذؤابة أسحما

ثم قال

وأبرز كالشمري وضوحا وثقة * بداعس من حمر الصريمة معظما
قال ولعلم العرب بأن طباع الانسان داعية الى الحرب من شق الشمال يحبون أن يأتوا
أعداءهم من شق اليمين قال ولذا قال شتيم بن خويلد

بخنناهم من أيمين الشق غدوة * ويأتي الشق الحين من حيث لا يدري
وأما رواية أصحابنا بخنناهم من أيمين الشق عدوهم، وإذا كان أكثر عمل الرجل بيساره
كان أعسر وهو عندهم إذا كان كذلك فليس ييمون الخلق ويشنعون من اليد العسرى
العسر والسرة فلما سموها بالشمال أجروها في الشؤم والمشؤم على ذلك المدني وسموها
اليد اليسار واليد اليسرى على نبي العسر والنكد ومما قالوا في الشمال قول أبي ذؤيب
أبا الصرم من أسماء حدثك الذي * جرى بيننا يوم استقلت ركبها
زحرت لها طير الشمال فان يكن * هو الك الذي تهوي بصبك اجتنابها

وقال شتيم بن خويلد

وقلت لسيدنا يا حاجم * انك لم تأس أمراً رفيقا
اعتت عديا على شأوها * تعادى فريقا وتبقي فريقا
أطمت غريب ابط الشمال * تنحى بحمد المواسي الخلوفا

وقال آخر

وهون وجددي اني لم أكن لهم * غراب الشمال ينفض الريش جاثما
وإذا مال شقه قالوا حول شقه وقال الاشر بن عمارة

عشية يدعو معسر يال جعفر * جريح صريع أحول الشق مائله
وقال آخر أي أخ كان لي وكنت له * أشفق من والد على ولد
حتى إذا قارب الحوادث من * خطوى وشد الزمان من عقدي
حول عني وكان ينظر من * عيني ويرمي بساعدي وبدي

قال الأصمعي الوقت الجيد في الحمل على الشاء ان تخلي سبعة أشهر بعد ولادتها ويكون
حلبها خمسة أشهر فلما في كل سنة مرة فان حمل عليها في كل سنة مرتين فذلك

الامغال يقال أمغل بنو فلان فهم ممغلون والشاة ممغل واذا ولدت الشاة ومغى لها أربعة أشهر فهي لحبة والجميع اللحاب واللحبات وذلك حين يأخذ لبنها في النقصان قال والابرمن البعير المقلم ومن الحافر الجردان ومن الظلف كله القضيبي ومن الفرس العتيق المضأ، وزعم أبو عبيد وما أراد من الحافر فهو الوداق وهو من الابل الضبعة ومن الضأن الحنو وقال حنت تخنو وهي نجمة حان كما ترى وما كان من الدز فهو الحزمة وقال عنز حزبي وأذكر بعضهم قولهم شاء صارف وزعم أنه مولد قال وهو من السباع الاجمال يقال كلبة مجمل واذا عظم بطنها قيل أحجت فهي محج وما كان من الخلف فهو مئفر وما كان من النعم فهو سرمة وما كان من الحافر فهو جحفلة واذا قلت لكل ذات حمل وضمت جاز فاذا ميزت مات للخف تجت وللظلف ولدت والبقرة تجرى هذا المجري وقات للحافر تجت ويقال للحافر من بين هذا كله اذا كان في بطنها ولد توج واذا عظم بطن الحافر قيل قد أعقت فهي عقوق والجمع عقق وبعضهم يقول عقائق ويقال للبقرة الوحشية نجمة والبقرة تجري مجري الضأنة في حالها وما كان من الخن فصوته بنغام فاذا ضجت فهو الرغاء فاذا طربت في أثر ولدها قيل حنت فاذا مدت الحنين قيل شجرت قال والامع من السباع ومن الخيل دون البهائم وهو أن تشرق ضروعها ويقال للطير فدهقها بدهقها ويقال للبيس والكلب فده سفد يسفد سفادا ويقال في الخيل كامها يكومها كوما وكذلك في الحافر كله والحافر وحده ناكها ينيكها نيسكا وتقول العرب ماله عندي سبد ولا لبيد ومنها ذا المعنى قدموا الشعر على الصوف فان قال قائل فقدموا في مواضع كثيرة ذكر ما هو احسن فقالوا ماله عندي كثير ولا قليل وقالوا ربيعة ومضر وسليم وعامر والاوز والخزرج والعيث والنفير والذي يدل على ان ذلك الذي قلنا كما قلنا قول الراعي

حتى اذا هبط الفيضان وانقطعت * عنه سلاسل رمل بينها عقد

لاقي أطلس مشاء بأكلته * أمر الأوابد ما ينحى له سبه

لقدم السبد ثم قال

يشلي سلوفية ولي جواعرها * مثل اليماسبب في اصلاها اود

وقال الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد
وهو لو قال لم يترك له لبد وقال ما ينبغي له لبد لقام الوزن ولكن له معنى فدل على أنه
إنما أراد تقديم المقدم، قال صاحب الضأن فخرتم على الضأن بأن الانسان ذو شعر وانه
بالماءز أشبه فالانسان ذو ألية وليس بذى ذنب فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه

القول في الضفادع

أعلم رحمك الله تعالى ان الله عزوجل قد اضاف ست سور من كتابه الى اشكال من
أجناس الحيوان الثلاثة منها مما يسمونها باسم البهيمة وهي سورة البقرة وسورة
الانعام وسورة الفيل وثلاثة مما يمدون اثنتين منها من الهمج وواحدة من الحشرات
فلو كان موقع ذكر هذه البهائم وهذه الحشرات والهمج من الحكمة والتدبير موقعها
من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون ولا يميزون ولا يحصلون الامور ولا
يفهمون الاقدار لما اُضيف هذه السور العظام الخطيرة الشريفة الجليلة الى هذه الاورد
المحيرة السخيفة والمغمورة المتهورة ولا أمر ما وضعها في هذا المكان ونوّه بأسمائها هذا
التنويه وانا اذا ذكر من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلي وهو لليل في جنب ما
عند علمائنا والذي عند علمائنا لا يحسن في جنب ما عند الله تبارك وتعالى، من ذلك
الضفدع لا يصيح ولا يمك الصياح حتى يدخل حنكه الاسفل الماء فاذا صار فيه بمض
الماء صاح ولذلك لا تسمع للضفادع نقيقا اذا كن خارجات الماء، والضفادع من الحيوان
الذي يمشي في الماء ويستوطن في الشط مثل لوزق والسحفاة وأشباه ذلك، والضفادع
تبقى فاذا أبصرت النار أمسكت والضفادع من الحيوان الذي يخلق في أرحام الحيوان
وفي أرحام الارضين اذا ألقها المياه لان البحر بخراسان يكبس في الابراج ويحال بينه
وبين الريح والهواء والشمس بأحكام ما يتدرون عليه وأوثق ومتى أنخرق في الخزانة
خرق في مقدار منخر الثور حتى تدخله الريح استحال ذلك البحر كله ضفادع ولم نعرف
بحق هذا وصدقه من حديث الرجل والرجلين بل نجد الخبر عنه كالأطباق وكالخبر

المستفيض الذي لامراض له وفيها أعجوبة أخرى وذلك أنا نجد من كبارها وصفارها الذي لا يحصى في غب المطر اذا كان المطر ديمة ولم نجد لها في المواضع التي ليس بقربها بحر ولا نهر ولا حوض ولا غدير ولا واد ولا يبر وتجدها في الضعاضع الامالس وفوق ظهور مساجد الجماعة حتى زعم كثير من المتكلمين ومن أهل الجسارة ومن لا يحتفل بسوء الحال عند الدماء ولا يكثرث للشك انها كانت في السحاب ولذلك طمع أكثر الكذابين ممن نكره اسمه فذكر ان أهل أيدخ مطروا أكبر شبائط في الارض وأسمنها وأعظمها وانما تلك الضفادع شيء يخلق في تلك الحال بزوجة لزمان وتلك المطرة وتلك الارض وذلك الهواء والضفادع من الخلق الذي لاعظام له ويزعم أصحاب الغرائب ان العلاج منها الذكورة السود ويقال أرشح من ضفدع وتزعم الاعراب ان الضفدع كان ذاذب وان الضب سلبه اياه وذلك في خرافة من خرافات الاعراب ، ولا يكون ذلك حتى يجمع بين الاروي والنعام وحتى يجمع بين الماء والنار وحتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى تقع السماء على الارض ، ومن حديث الامثال حتى يجي ، نسيط من مرد وهو لاهل البصرة وحتى يجي ، مصقلة من سجستان وهو لاهل الكوفة وقال الله عز وجل لا يدخلون الجنة حتى يابح الجمل في سم الخياط وتقول العرب لا يكون ذلك حتى يجمع بين الضب والنون وحتى يجمع بين الضفدع والضب وقال الكهيت

يؤلف بين ضفدعة وضب * ويمجب أن نبرني أيدنا

وقال في النون والضب

ولو أنهم جاؤا بشيء مقارب * لشيء وبالشكل الموافق للشكل

ولكنهم جاؤا بحيتان لجة * أو امس والمكني فينا أبو حسل

وهو من الخلق الذي لا يصاب له عظام والضفدع أجحظ الخلق عينا والاسد تنابها في الشرائع وفي منافع المياه والآجام والغياض فأنكلها أكلا شديدا وهي من الخلق المائي الذي يصبر عن الماء أياما صالحة والضفادع تعظم ولا تسمن كالدرج والارنب فانهما لا يحملان لحما وفي سواحل فارس يأكلونها ، ولا أدري ما هيح مسيلة علي

ذكرها ولم ساء رأيه فيها حتى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه يا ضفدع كم تنمين
نصفك في الماء ونصفك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنين والصفادع من
الخلق الذي يمش مع السمك في الماء وليس كل شئ يمش في الماء فهو سمك وقد
قال الصلتان العبدي في الفرق بينهما

فان يك بحر الحنظليين زاخرا * فما استوي حيتانه والصفادع
والحيات في منافع الماء تطاب الصفادع والفار يكون بقرب المياه كثيراً فلذلك تأتي
الحيات تلك المواضع ولان صيدها من أسهل الصيد وهي تعرف صيدها الا تراها
تحمد عن ابن عرس وان رأى جرذاً كبيراً لم تنهه دون أن يتلعه وترى الورل فتفر
منه وترى الوكرة فتشدها عليها وترى القنفذ وان صفر فلا تجترى ان تمر به خاطفة
وترى الوبرة وهي مثل ذلك القنفذ مرتين فتأكلها ولطلبها الصفادع في الليل في
الشرايع يقول الاخطل

صفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وقال زهير

وقائل يتعني كلما قدرت * على العراقي يده قائماً دفقا

يظل في جدول تحبو صفادعه * حبوباً جواري تري في مائه نظماً

يخرجن من شربات ماؤها كل * على الجذوع بخفن الغم والغرقا

وقال أوس بن حجر

فباكرن جوباً للعلاجيم فوفه * مجالس غرقى لا يحلاً ناهله

جوب يريد غديراً كثير الماء والكثرة عمقه اسود في العين والعلاجيم الصفادع السود
وجعلها غرقى يقول هي فيما شابت من الماء كقولك فلان في غم غامر من قبل فلان
وجعل لها مجالس حول الماء وفوفه لان هذه الاجناس التي تمش مع السمك في الماء
وليس بسمك أكثر حالاتهن اذا لم يكن سمكاً خالصاً ان تظهر على شطوط المياه
وفي المواضع التي تبيض فيها من الدغل وذلك كالسرطان والسلحفاة والزق والصفادع
وكلب الماء وأشباه ذلك وقال نقي الضفدع ينق نقيماً وانقض ينقض انقاضاً وقال رؤبة

إذا دنا منهن انقاض النقيق * في الماء والساحل ضجخاخ اليقيق
وقد زعم ناس أن أبا الاخرز الجمانى حيث يقول تستمع النقيق فانما أراد الضفدع قالوا
وكذلك الطرماح حيث يقول

تجافبن بمض المضغ من خشية الردى * وينصبين للصوت انتصاب النفاق
قالوا لان الضفدع جيد السمع اذا ترك النقيق وكان خارجا من الماء وهو في ذلك
الوقت أحذر من الغراب والمصفور والمقعق وأسمع من عقاب وبكل هذا جاء الشعر

— ذكر ما جاء في الضفادع من الآثار —

ابراهيم بن يحيى عن سعيد بن أبي خالد بن فارض عن سعيد بن المسيب عن عبد
الرحمن بن عثمان التيمي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفادع قال وحدثنا
سعيد عن قتادة قال سمعت زرارة يحدث أنه سمع عبد الله بن محمد يقول لا تسبوا
الضفادع فان أصواتها تسبيح ، قال وحدثنا هشام صاحب الدستوائى عن قتادة عن
زرارة بن أوفى عن عبد الله بن عمر انه قال لا تقتلوا الضفادع فان نقيقهن تسبيح
وقال لا تقتلوا الخفاش فانه اذا خرب بيت المقدس قال يارب سلطني على البحر حتى
أغرقهم وعن حماد بن سلمة عن قتادة عن زرارة قال قال عبد الله بن عمر لا تقتلوا
الخفاش فانه استأذن البحر أن يأخذ من مائه فيطفيء بيت المقدس حيث احترق ولا
تقتلوا الضفادع فان نقيقها تسبيح وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب في اسناد
له أن طيبيا ذكر الضفدع عند النبي صلى الله عليه وسلم ليجعل في الدواء فنهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفادع * العرب تصف هذه الاصناف التي ذكرنا
بجودة الحراسة وشدة الحذر وأعطوا الثعلب والذئب أموراً لا يبلغها كثير من
الناس ، وقال صاحب المنطق في الغرائق فولا عجبيا فزعم أن الغرائق من الطيور والقواطع
ولست من الأوابد وأنها اذا أحست بتغير الزمان اعترضت على الرجوع الى بلادها
وأوكارها وذكروا أنها بعيدة سحيقة قال فعند ذلك تتخذ قائداً وتصعد في الهواء جرداً
حتى لا يمرض لها شيء من سباع الطير أو يبلغها سهم أو بندق وان عابنت غيما وخافت

مطراً أو سقطت لطاب مالا بد لها منه من طم أو هجم عليها الليل أو مسكت عن الصياح وضمت إليها أجنحتها فان رأت النوم أدخل كل واحد منهم رأسه تحت جناحه لانه يرى أن الجناح تحمل لما يرد عليه من المذكور أو بمض ما في رأسه من العين وغير ذلك ويعلم أنه ليس بعد ذهاب الرأس حياة لانه ينام كل واحد منها قائماً على احدى رجليه لانه يظن أنه ان مكتمها نام وان كان لا يجب النوم أو نام نوماً ثقيلاً وان كان يجب أن يكون نومه غراراً فأما قائدها وسائقها وحارسها فانه لا ينام الا لكشوف الرأس وان نام فان نومه يكون أقل من العماش وينظر في جميع النواحي فان أحس شيئاً صاح بأعلى صوته، وسأت بمض من اصطاد في يوم واحد مائة طير من طير الماء فقلت له كيف تصنعون قال ان هذا الذي ترى ليس من صيد يوم واحد وان كاه صيد ساعة واحدة وذلك أنا نأى منافع الماء ومواضع الطير فناخذ قرعة يابسة صحيحة فتري بها في ذلك الماء فاذا أبصرها الطائر تدنو منه يدفع الريح لها في جهته مرة ومرتين فزع فاذا كثر ذلك عليها أنس وانما ذلك الطير طير الماء والسماك فهي أبدأ على وجه الماء فلا تزال الريح تقر بها وتبعدها وتزداد بها أنسا حتى ربما سقط الطائر عليها والقرعة في ذلك اما وقفة في مكان واما ذاهبة وجائية فاذا لم ترها تنفر منها أخذنا قرعة أخرى أو أخذناها بيمينها وقطعنا موضع الأبريق منها وخرقنا فيها موضع عينين ثم أخذناها وأدخل رأسه فيها ثم دخل الماء ومشى فيها بينها مشياً رويداً وكلمنا أنى الى طائر قبض على رجليه ثم غمسه في الماء ودق جناحه وخلاه فبقى طافياً بين الماء يسبح برجليه ولا يطبق الطيران وسائر الطير لا ينكر انهما به ولا يزال كذلك حتى يأتى على آخر الطير فاذا لم يبق منها شيء رمى بالقرعة عن رأسه ثم لفظها وجمعها وجمها، قال ومن جيد ما يعلج به المسوع ان يشق بطن الضفدع ثم يرفد به موضع اللسمة واسنانى لسمة الحية وانما انى لسمة العقرب قال ويقال للضفادع ينق ويهدر

وقال الراعى

فأوردته من قبيل الصباح * عينا ضفادعها تهدر *

وأما نول صاحب المنطق في ان الضفادع لا تنق حتى تدخل فكها الاسفل في الماء

لان الصوت لا يجيئها حتى يكون في فيها ماء فقد قال ذلك ووافقه عليه ناس من
العلماء وادعوا في ذلك البيان وانما زعمه بان السمكة لا تبتلع شيئاً من الطعم الا بيمض
الماء فأى عيان دل على هذا وهذا عسير

❦ الفرق بين الانسان والبهيمة والانسان والسبع ❦

والذي صير الانسان الى استحقاق قول الله عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما
في الارض جميعا منه ليس هو الصورة وانه خلق من نطفة وان أباه خالق من تراب
وأنه يمشي على رجلية ويتناول حوائجه بيديه لان هذه الخصال كلها مجروعة في البله والمجانين
والاطفال والمذوقين ، والفرق الذي هو الفرق انما هو الاستطاعة والتمكين في
وجود الاستطاعة وجودة العقل والمعرفة وليس يوجب وجودهما وجود الاستطاعة
وقد شرف الله تعالى الجن وفضله على السبع والبهيمة من الذي أعطاهم من الاستطاعة
الدالة على الوجود والمعرفة وقد شرف الملائكة وفضلهم على الجن وقدمهم على
الانسان وأزهمهم من التكليف على قدر ما خوّلهم من النعمة وليست لهما صورة
الانسان ولم يخلقا من النطف ولا خلق أبوهن من التراب فأشبهها الانسان في العقل
والمعرفة والاستطاعة ، أفنظن أن الله عز وجل يخص بهذه الخصال بعض خلقه دون
بعض ثم لا يطالبهم الا كما يطالب بعض من أعدمه ذلك وأعراه منه فلم أعطاه
العقل الا للاعتبار والفكير ولم أعطاه المعرفة الا ليؤثر الحق على هواه ولم أعطاه
الاستطاعة الا لالزام الحجة فهل فكرت قط في فضل ما بينك وبين المسخر لك
وهل فكرت قط في فضل ما بين ما جعل عليك عاديا وما جعل لك عاديا وبين ما أنسه
لك وبين ما أوحشه منك وبين ما صغره في عينك وما عظمه في عينك وصغره في
نفسك وكيف لم تفكر في السحرة والمنكبات والنملة وأنت ترى الله تبارك وتعالى
كيف نوّه بذكرها وجعل الاخبار عنها قرآنا وكيف اضاف اليها السور الطوال وكيف
عظمها في عقلك بعد ان صغرها في عينك وخبرني عن الله تعالى أما كان يقدر أن
يعذب الكنعانيين والجبارة والفراعنة وأبناء المماقة من نسل عاد وثمود وأهل العتو

والعتود بالشياطين ثم بالردة والمفاريت ثم بالملائكة الذين وكاهنهم الله تعالى بسوق
السحاب وبالمد والجزر وقبض ارواح الخلق وتقليب الارضين والماء والريح وبالكواكب
والنيران وبالاسد والتمور والفيلة والابل والافاعي والثعابين والعقبان والجرذان
والتماسيح والرخم فلم عذبهم بالجراد والقمل والضفادع وهل تاني عتلك قبل التفكير
الا انه اراد ان يعرفهم عجزهم وبذكرهم صغر اقدارهم ويدلهم على ذلك بأدل خلقه
ويعرفهم ان له في كل شئ جهدا وأن القوى من قواء والضعيف من ضعفه والمنصور
من نصره والمقتول من خلاله وخذله وانه متى شاء أن يقتل بالاسل الماذى والماء
الزلال قتل ولم كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى على جسده البثرة ابتهل في الدعاء
وقال ان الله تعالى اذا اراد ان يعظم صغيرا عظمه ولم قال لنا فأرسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فهل وقفت على هذه الآيات وهل
توهمت قوله هذا وهل وقفت على فضل ما بين الآية وغير الآية واذا كانت
مفصلات كان ماذا واذا لم تكن مفصلات كان ماذا فافهم قوله فأرسلنا عليهم وما في
الارض أنقص معرفة وعلم ولا أضعف قوة وبطشا ولا أوهن ركنا وعظما من ضفدع
وقد قال الله عز وجل ولما جاء أمرنا وفارالتنوير فاظهر الماء من أبعاد المواضع من ظنونهم
وخبيرنا بذلك كيلا نخلى أنفسنا من الحذر والاشفاق وكان السيل الذي سلطه الله
تعالى على العرم وهو مسناة جنتي بلاد سبا جرذا وهو الذي خرقه وبدل ذمتهم بؤسا
ولم يكن لهم ان عادوا فقراء وقال الله عز وجل وبدلناهم بختيهم جنتين ذواتى أكل
خمط. وأثل وشئ من سدر قليل هذا بعد أن قال لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان
عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا
فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بختيهم وقال الاعشى

ففي ذلكلاء وتسى أسوة * وما رب أعنى عليه العرم

رجام بنته له حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم

وأشده أبو عمرو بن الدلاء

من سبأ الحاضرين ما رب اذ * يبنون من دون سيله العرما

قال وأول ما يبذ والجراد اذا باض يكون سرواً وسروه بيضه يقال سرأت تسرأ سراً
فانظر الآن كم في الجرادة من أعجوبة فأول ذلك التماسها لبيضاها الموضع الصاب والصخور
الملس ثقة بانها اذا ضربت بأذنانها فيها انفجرت لها ومعلوم أن ذنب الجرادة ليس
في خلقة المسار ولا طرف ذنبه كحد السنان ولا لها من قوة الاسود ولا لذنبها من
الصلابة ما اذا اعتمدت به في الكدية والكداية خرق فيها وكيف وهي تتمدى الى
ما هو أصلب من ذلك وليس في طرف ذنبها كبرة العقرب وعلى أن العقرب ليست
تخرق اللحم من جهة الايد في قوة البدن بل انما ينفرج بطبع مجمول هناك وكذلك
انفراج الصخور لاذناب الجراد ولو ان عقاباً أرادت أن تخرق في جلدة الجاموس
لما انخرق لها الا بالتكاف الشديد والعتاب هي التي تخدر على الذئب فتقدم بدائرهما
مابين صلاحه الى موضع السكاهل فاذا غرزت الجرادة والقت بيضها وانضمت عليها
تلك الاخاذيد التي هي أحدثها وصارت كالافاحيص لها وصارت حافظة لها ومربية
وصائفة وواقية حتى اذا كان وقت ديب الروح فيها حدث عجب آخر وقال الاصمعي
فاذا خرج من بيضه فهو دبا والواحدة دباة ويخرج أصهب الى البياض فاذا اصفر
وتلوت فيه خطوط فأسود فهو برقان يقال رأيت دبارقانا والواحدة برقانة فاذا صار
فيه خطوط صفراء وبيضاء وسود فهو السالح فاذا بدأ حجم جناحه فذلك الكتفان لانه
حينئذ يكنف المشي والواحدة كتفانة قال ابن كنانة

يكنف المشي كالذي يتخطى * طنبا أو يشتم للمباري

بصف فرسا فاذا ظهرت أجنحته وصار أحمر الى الفبرة فهو الغوغاء ولذلك يستقل
ويموج بهضه في بهضه ولا يتوجه جهة ولذلك يقال لرعاغ الناس غوغاء فاذا بدت في
لونه الحمرة والصفرة وبقي بهض الحمرة واختاف في ألوانه فهو الخيفان والواحدة
خيفانة ومن ثمة قيل للفرس خيفانة فاذا اصفرت الذكور و اسودت الاناث ذهب
منه أسماء الجراد فاذا باض قيل قد غرز الجراد وقد رز فاذا كثر الجراد في السماء
يكشف فذلك السد ويقال رأيت سداً من جراد ورأيت رجلاً من جراد للكثير

سنة وقال المعجاج

* سير الجراد السد برناد الخضر *

وتقول العرب أصرد من جرادة وانما تصاد الجراد بالسحر اذا وقع عليها النداء تطلب مكانا أرفع من موضعها فان كان مع النداء برد لبد في موضعه ولذلك قال الشاعر

وكتيبة لبستها بكتيبة * كالنائر الحيران أشرف للندي

النائر الجراد أشرف أنى على شرف للندي أى من أجل الندي ويقال سبغت تسبح تسبيحا ورزت وادزت وجراد راز ومرز اذا غمزت ذنبها فى الارض واذا ألقت بيضا قيل سرات تسرا سرا، ويقال قد بشر الجراد الارض فهو يبشرها بشرا اذا خلفها فأكل ما عليها وأنشد ابن لاعمربى

كما جرد الجارود بكر بن وائل

ولهذا البيت سمي الجارود ومنه قيل ثوب جرد باسكان الراء اذا كان قد انجرد واخلاق وقالت سمدي بنت الشمردل

شما، عالية وهاد مشرف * ومقاتل بطل وليت يلسع

اجعلت سمدي للرماح دريئة * هبلك امك اي جرد ترفع

ويدخل فى هذا الباب ما حدثنا به الاصمعي قال تجهز النابغة الذبياني مع زبان بن سيار الفزاري لاغزو فلما اراد الرحيل نظر الى جرادة قد سقطت عليه فقال جرادة تجرد وذات لوزين غيرى من خرج فى هذا الوجه ولم يلتفت زبان الى طيرته وزجره ونفذ لوجه فلما رجع الى موضعه الذى كان النابغة فارقه فيه وذكر ما نال من السلامة والغنيمة أنشأ يذكر شأن النابغة فقال

تخبير طيرة فيها زياد * لتخبيره وما فيها خبير

أقام كأن لقمان بن عاد * اشار له بحكمته مشير

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الشبور

بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير

واسم النابغة زياد بن عمرو وأنشد أبو عبيدة

وقائلة من امها واهتدي لها * زياد بن عمرو امها واهتدي لها

قال ويقال انشرت الارض انشاراً اذا بذرت فخرج منها بذرها فانه بذلك يقال ما احسن
 بشرة الارض وقال الكميت وكنية الجراد عندهم ام عوف وجناحاها برداها ولذا قال
 تنفض بردي ام عمرو ولم تطر * لنا نار ويح لاوعيد المذهب
 وانشدني ابو زيد

كان رجليه رجلا مقطف عجل * اذا تجاوب من برديه ترنيم
 يقول كان رجلي الجندب حين يضرب بهما الارض من شدة الحر والرمضاء رجلا
 رجل مقطف والمقطف الذي تحته دابة قطوف فهو يهزها برجليه وقال ابو زيد
 الطائي يصف الحر

أى ساع سعى ليقطع شربي * حين لاحت للمصاحج الجوزاء
 واستكن العصفور كرها مع الض * ب وأوفي في عوه الحرباء *
 ونفى الجندب الحصى بكراعيه وأذكت نيرانها الممزاء
 وأنشد أبو زيد اموف بن ذروة في صفة الجراد

قد خفت أن يحدث لي بالمصرين * وتترك الدين على والدين
 زحف من الخيفين بمد الزحفين * من كل سفعاء الفقا والخدين
 ملفونة تساخ لونا لونين * كأنها متلفة في بردين
 تنجي على الشمراخ مثل الفاسين * أو مثل منشار غليظ الحرفين
 * أنصبه منصبة في فحفين *

على معنى قوله

تنجي على الشمراخ مثل الفاسين * أو مثل منشار غليظ الحرفين
 قال حماد لابي المطاء

فأصفراء تكني أم عوف * كان رجليتها منجلان

بوصف الفرس فيشبه بالجرادة ولذا قال الشاعر

فاذا رفعت عنانها فجراة * واذا وضعت عنانها لا تفشل
 فاذا أبيت الردف فاسترسانها * ان الرداف عن الاحبة يشغل

ولم يرض بشر بن أبي خازم بأن شبهه بالجرادة حتى جملة ذكر آ حيث يقول
 فكل قياد مسـبقة عـتود * أضر بها المسـالخ والعـرار
 مهـارشة العنان كان فيها * جرادة هبوة فيها اصفرار
 فوصفها بالصفرة لان الصفرة الذكورة أخف أبداناً وتكون خلفه الأبدان أشد طيراناً
 ويوصف قنير الدرع ومساميرها بحديق الجراد وقال قيس بن الخطيم
 ولما رأيت الحرب حرباً تحدرت * لبست من البردين ثوب المحارب
 مضاعفة يفتشى الأنامل فضلها * كان قنيرها عيون الجناب
 وقال المقنع الكندي

ولى نثرة ما أبصرت عين ناظر * كصنع لها صنفا ولا سردها سردا
 تلاحم منها سردها فكأنما * عيون الدباب في الأرض تجرها جرذا
 وقال عمرو بن معدى كرب

* تمناني لياقاني أبي * وددت وأينما منى ودادي

تمناني وسابنتي دلاص * خروس الحس بحكمة المراد

مضاعفة تخيرها سليم * كان قنيرها حديق الجراد

ويوصف حباب الشراب بحديق الجراد قال المناس

كاني شارب يوم استبدوا * وحثهم وراء البيد حادي

عقارا عتقت في الدن حتى * كان حبابها حديق الجراد

وإذا صنفا الشراب وراق شهوه بلعاب الجنذب ولذا قال

صفراء من حلب الكروم كأنها * ماء المفصل أو لعاب الجنذب

ولعاب الجنذب سم على الأشجار لا يقع على شئ إلا أحرقه ولا يزال بغض من يدعى

العلم يزعم أن الدباب يريد الخضرة ودونها النهر الجاري فيصير بغضه جسراً لبعض حتى

يمبر إلى الخضرة وإن تلك حيلة منها وليس كما قال ولكن الزحف الأول من الدباب

يريد الخضرة فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافية

صارت تلك لعمرى أرضاً للزحف الثاني الذي يريد الخضرة فإذا سموا ذلك جسراً

استقام فأما ان يكون الزحف الاول مهملًا لثاني له وآثره بالكفاية فهذا ما لا يعرف
ولو ان الزحفين جميعاً أشرفا على النهر وأمسك أحدهما عن تكلف العبور الى ان يهد
له الآخر كان ذلك تولا ، ويقال في الجراد هذه خرقة من جراد والجمع خرق
وقال الشاعر

وكانها خرق الجرا * ديشور يوم غبار

ويقال للقطعة الكثيرة منها رجل جراد ورجلة من جراد والثور القطعة من النحل
وتوصف كثرة السهام ومرورها وسرعة ذلك بالجراد وقال المفضل البكري
كان النبل بينهم جراد * تهيجه شامية خرق
والمرتبجل الذي أصاب رجل جراد فهو يشويه وقال بهض الرجاز وهو يصف خيلا
مقبلة الى الحى

حتى رأينا كمدخان المرتبجل * أو شبه الحفان في سفح الجبل

والحفان أتمها أبدانا وقال ابن الزبيري

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

* حين ألت بفساء بركها * واستجر القتل في عبد الاشل

* ساعة ثم استخفوا رقصا * رقص الحفان في سفح الجبل

وقلنا الصعب من ساداتهم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل *

والجراد الاعرابي لا يتقدمه في الطيب شيء وما أحصى كم ستمت من الاعراب من
يقول ماشبت منه قط وما أدعه الا خوفا من عاقبته أولاني أعيا فأتركه ، والجراد
يطيب حاراً وبارداً ومشويا ومطبوخا ومنظوما في خيط ومجمولا في أكلة والبيض
الذي يتقدم في الطيب ثلاثة أجناس وبيض الاشبور فوق بيض الدجاج ، وجاء في الأثر
ان الجراد ذكر عند عمر فقال ليت لنا منه فقعة أو فقعتين وهو يوكل يابساً وغير
يابس ويجعل أدماء ونقلا ، والجراد المأكول ضروب منه الا هو اذى وهو المذنب
وأطيبه الاعرابي وأهل خراسان لا يأكلونه ، وحدثني زبيل بن عمرو بن عمرو بن
زبيل قال والله انى جالس على باب دارى في بنى صبير اذا قبلت امرأة لم أر قط أتم

حسنا وملحا وجسما منها ورأيت في مشيها تأردأ ورأيته تتلفت فلم ألبث أن طلعت
 أخرى فلا أدري أيتهما أقدم اذ قالت التي رأيتهما بدءا للاخرى مالك لا تلحقين
 قالت أنا منذ أيام أكثر أكل هذا الجراد فقد أضعفني فقالت وانك لتحبينه حبا
 تحتملين له مثل ما أرى بك من الضعف قالت والله انه لأحب الي من الجبل ، وقال
 الاسمي قال رجل من أهل المدينة لامرأته لا جزاك الله خيرا فانك غير سرعية ولا
 مبقية قالت والله اني لأرعى وأبقي من التي كانت قبلي قال فانت طالق ان لم أكن
 كنت آتيها بجرادة فنطبخ منها أربعة ألوان وتشوى جنبها فرفعت الى القاضي فجعل
 القاضي يفكر ويطلب له المخرج فقال للقاضي أصلحك الله أشكك عليك فهي
 طالق عشرين ، ووصف الراجز حربا فوصف دنو الرجالة من الرجالة فقال

* أتوا كالديبادب ضحى الى الدبا *

وقرأ بعض أصحابنا بحضرة أبي اسحاق وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن
 لك بؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
 فقال رجل لأبي اسحاق انظر كيف قرن الضفادع مع ضعفها الى الطوفان مع قوة
 الطوفان وغابته ، قال أبو اسحاق الضفادع أعجب في هذا الموضع من الطوفان فاذا أراد
 الله تعالى أن يصير الضفادع أضر من الطوفان فعل وقال أبو الهندي

لما سمعت الديك صاح بسحرة * وتوسط النسران بطن العقرب
 وتبادت عصب النجوم كأنها * عفر الظباء على فروع المراب
 وبداسهيل في السماء كأنه * ثور وعارضه هجان الربرب
 نبرت ندماني فقات له اصطبح * يابن الكرام مع الشراب الاصب
 صفراء تنزو في الاناء كأنها * عين الجراداة أو لعاب الجندب
 نزو الدبا من حر كل ظهيرة * وقادة حرباؤها تتقلب *

وقال أبو الهندي أيضا

فان هذا الوطب لي ضائر * في ظاهر الامر وفي العارض
 ان كنت سافينا فن قهوة * صفراء مثل المهرة الناهض

وقال الافوه

بمناب بيض كان وجوها * زهر قبيل ترجل الشمس
رفوا كتنشر الجراد هوت * للبطن في درغ وفي برس
* وكأنها البال غادية * حطت الى حبل من الحبس

وروى الاصمعي وأبو الحسن عن بعض المشايخ قال ثلاثة أشياء ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم أكل الجراد ولحوم الابل والفطر من الكمأة وقال غيرهما وأما الفطر الذي يتخاق في ظل شجر الزيتون فربما قتل وان كان مما اجتنوه من أوسط الصحارى ، قالوا ومما يقتل الحمام على الملية والجماع على البطنة والتعيد اليابس ، وقال الآخر شرب الماء البارد على الريق قالوا وثلاث ثورت الهزال شرب الماء على الريق والنوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت قالوا وأربعة أشياء تقصد الى العقل بالافساد الا كثار من أكل البصل والباقلا والجماع والخبز ، وأما ما يذكرون في هذا الباب من الهمة والوحدة والفكرة فجميع الناس يعرفون ذلك واما الذي لا يعرفه الا الخاصة بالكفاية النامة والتمظيم الدائم واهمال الفكر والأنف من التعلم هذا قول أبي اسحاق ثلاثة أشياء تخاق العقل وتفسد الذهن طول النظر في المرآة والاستغراب في الضحك وطول النظر الى البحر ، وقال معمر قطعت في ثلاثة مجالس لم أجد لذلك علة الا أني أكثر في تلك الايام من أكل الباذنجان وفي يوم آخر من الزيتون وفي يوم آخر من الباقلاء وزعم أنه كلم رجلا من الملحدين في بعض المشايخ وأنه علاه علواً ظاهراً قاهراً وأنه بكر على بقية ما في مسئلته من التخريج فاجبل وأصفي فقال له خصمه ما أحدثت بعدى قال قلت ما أنتمم الا اكثاري البارحة من الباذنجان فقال وما خالف الى التهمة وما أشك انك لم تؤت الامنه وقال لي من أتق به ما أخذت نط شيئاً من البلاد فنازعت فيه أحدا الا ظهرت عليه ، وقال أبو ناظرة ما أعرف وجه ارتفاع الناس بالبلاد الا أن يؤخذ للعصب قلت فأى شيء بقي بعد صلاح العصب وأنتم باجمعكم تزعمون ان الحس للعصب خاصة

— القول في القطا —

تقول العرب أصدق من قطا وأهدى من نطا وفي القطة أعجوبة وذلك أنها لا تضع
بيضها أبدا إلا أفرادا ولا يكون بيضها أزواجا أبداً وقال أبو وجزة

ما زلن ينسبن وهنا كل صادقة * باتت تباشر عرماً غير أزواج

والعرم بيض القطا لأنها منقطة وقال الاخطل

شني النفس في قتل سليم وعامر * ولم يشفها قتل غنى ولا جسر

ولا جشم شر القبان لهم * كبيض القطاليسو ابسو دولا حمر

وقال مقبل بن خويلد

أبا معقل لا توطئكم بغاضتي * رؤس الافاعي في مراصدها العرم

يريد الافاعي العرم في مراصدها وهي منقطة الظهور وأن أكثر ما تبيض العقاب

ثلاث بيضات إلا أن واحدة تفسد لا محالة وقال الآخر في صفة البيض

وبيضاء لا ينحاش منها وانها * اذا ما رأنا زال منها زويلها

توج ولم تقرب لما تمنى له * اذا أنتجت مات وعاش نتيجها

يعنى البيضة توج ولم تقرب أى لم تمتن للضراب والامتناء انتظارك النافاة اذا ضربت

الافح هي أم لا وقال ابن أحر

فتننا بقفر والمطى كأنها * قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

وذلك أنها كانت قبل ذلك تشرب من الغدر وكلها أفرخت صافات فاحتاجت الى

طلب الماء من مكان بعيد فذلك أسرع لها ويشبه مشى المرأة اذا كانت سميحة غير

خرابة طوافة بمشى القطة في القرمطة والدل وقال ابن ميادة

اذا الطوال شررن المشى في خطل * قامت تريك قواما غير ذى أود

تمشى ككدرية في الجو واردة * تهدي سرور قطا يشربن بالثمد

وقال جرير العود

فإي رأين الصبح بادرن ضوءه * رسم قطا البطحاء أو هن أنظف

وقال الكمييت

يمشين مشى قطا البطاح تأودا * فب البطون رواجح الاكفال
وقال الآخر في غير هذا المعنى

كان القاب ايلة قيل يفدي * بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد عاق الجناح

وقال آخر

وكنا كزوج من قطا بمفازة * لدى خفض عيش موق حسن رغد
نخاهما ريب الزمان فأفردا * ولم ترعيني قط أقبح من فرد
وفي صدق القطا يقول الشاعر

وصادقة ما أخبرت بمد بمها * طروقا وبقي الليل في الارض مشرف
ولو تركت نامت ولكن أعشها * أذى من قلاص كالحنى المظف
وتقول العرب لو ترك القطا نام ويقول أعششت انقوم إعشاشاً اذا نزلت بهم وهم
كارهون فتحولوا عن منزلهم وقال الكمييت

لا تكذب القول ان قالت وان صدقت * اذ كل ذى نسبة لا بد من تجل
وقال مزاحم العقيلي في تجاوب القطاة وفرخها

فنادت ونادها وما عوج صدرها * بمثل الذي قالت له لم يبدل
والقطاة لم ترذ اسم نفسها ولكن الناس سموها بالحروف التي خرجت من فمها وزاد في
ذلك أنها علي أبنية كلام العرب فجعلوها صادقة ومخبرة ومربدة ويقال سرب نساء
وسرب ظباء كل ذلك بكسر السين واسكان الراء فاذا كان من الطريق والمذهب فهز
بفتح السين وهذا عن يونس بن حبيب وقال الشاعر

اما القطاة فاني سرف انماها * نعماً يوافق نعمتي بمض ما فيها

وقال مزاحم العقيلي

شكاه مخطومة في ريشها طرق * سود فوادها صهب خوفاها
يقال في ريشها فتح زهر اللين ويقال في جناحه طراق اذا غطى الريش الأعلى

الأسفل وقال ذو الرمة

طراق الخوافي واقع فوق ربة * لدى ليلة في ريشه يترق
ويقال أطرت الأرض اذا ركب التراب بمضه بعضاً فصار كطراق النعال طبقاً طبقاً
وقال العجاج

فاطرت الاثنا دخسا

والطارق باسكان الرء الضرب بالحصا وهو من عمل أهل الزجر وقال البيت
لمعرك ماندرى الطوارق بالحصى * ولازاجرات الطير ما الله صانع
قال ويقال طرقت انقطة ببيضها اذا حان خروجه وتمطت به شيئاً قال ويقال طرقت
الانقطة ونحوه وقال العبدى

وقد تحذت رجلى الى جنب غرزها * نسيماً كاخوص القطة المطرق
وهذا الشاعر لم يقل ان التطريق لا يكون الا للقطة بل يكون لكل رياضة ولكل
ذات ولد وكيف يقول ذلك وهم يروون عن قابلة البادية انها قالت لعجارية تسمى
عجاجة وقد ضربها الخاض وهي تطلق على يدها

اياسحاب طرقى بخير * وطرقى بخصية وأير

* ولا تربي طرف البظير *

وقال أوس بن حجر

بكل مكان ترى شطبة * مولبة ربه مسبطر

وأحمر جمعد عليه النسو * وروى صلبه أماب منكسر

وفي صدره مثل جنب القنا * يشفق حيناً وحيناً يهر

وأنى واخوتنا عامرا * على مثل ما بيننا نأتمر

لها صرخة ثم اسكانة * كما طرقت بنفاس بكر

فهذا كما ترى يزد عليه وإنما ذكر أوس بن حجر البكر دون غيرها لان الولادة على
البكر أشد وخروج الولد أعسر والمخرج أكرز وأضيق ولولا أن البكر أكثر ماتلك
أضيق جثة والطف جسمها الى أن يتسع الرحم بتطر الاولاد فيها لكان أعسر وأضيق

وقال النجاشي وهي أجود قصيدة قيلت في القطا

ثلاث مرورات يجاذبها القطا * ترى الفرخ في حافاتها يتحرق
 يظل بها - الفرخ القطة كأنه * يتم بناجيه مواليه مطرق
 بديمومة قد بات فيها وعينه * على موته تغضى مراراً وترمق
 شبيهه بلاشيء هنالك شخصه * يواريه فنك حوله متفلق
 له محجرتاب وعين مريضة * وشدق بمثل الزعفران مخلق
 تناجيه كحلاء المدامع حرة * لها ذنب ساج وجيد مطوق
 مما كية ككدرية عرعرية * شكالية عفراء سمراء سملق
 اذا غادرته تبغني ما يعيشه * كيفها رزاياها النجاء المهينق
 عدت تستقي من منهل ايس دونه * مسيرة شهر لافطاً متعاق
 لازغب مطروح بجوز تنوفة * تلظى سمو ما يظنه فهو أورق
 تراه اذا أسي وقد كاد جلده * من الحر عن أوصاله يتمزق
 غدت فاستقلت ثم ولت مغيرة * بها حين تزهاها الجناحان أولق
 تيمم ضخماً من الماء قد بدت * دعاً ميصه في الماء أطحل أطرق
 فلما أته مقدرراً تقربت * تقرب مجنون فتنطفو وتفرق
 تبحر وتلقى في سقاء كأنه * من الخنظل العامي جزء مفلق
 فلما ارتوت من ماؤها لم يكن لها * أناة وقد كادت من الري تبصق
 طمت طموة صعداً ومدت جرائها * وطارت كإطار السحاب المخلق

قال البعيث

تحت طولات كان نجاءها * هوى القطا يملو المناهل جونها
 ظوئن سقاء الخمس ثمة قلصت * لورد المياه واستتبت قرونها
 اذا ما وردن الماء في رونق الضحى * بلان ادوى لبس خرز يشينها
 ادوي خفيفات الجمال أسقمت * الى ثغر اللبات منها حصينها
 جعلن حباب الماء حين حملنه * الى غصص قد ضاق عنها وتينها

إذا شئت أن يسمن والليل واضح * هدي ليله والريح تجرى فنونها
تناوم سرب في أفاحيصه السفا * ومنبته الحرشاء حن حينها
يروين زغبانا قطاة سقاؤها * فلا تمكم إلا^(١) ولا تستمينها

ذكر نوادر من أشعار وأحاديث وكلام تم به هذا الجزء

قالوا خرف النمر بن تواب فكان هجيراً أصبجوا الراكب أغبقوا الراكب وخرفت
امرأة من العرب فكان هجيراً زوجها فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما
لمح به أخو عكل خير مما لمحت به صاحبتيكم، وحدثني عبد الله بن إبراهيم بن قدامة
البحلي قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأي أحداً يضرب في كلامه قال
أشهد أن الذي خلقتك وخلق عمرو بن العاص واحد وقال علي بن أبي طالب رضي
الله عنه لصمصمة بن صوحان في المنذر بن الجارود ما وجدنا عند صاحبك قال إن قلت
ذاك أنه لنظار في عطفيه مغال في شرا كيه يعجبه حمرة برديه، قال وحدثنا جرير بن حازم
المطني قال قال الحسن لو كان الرجل كلما أصاب وكلما تجمل أحسن أو شك أن يتزيد من
العجب، قال سمعت أبا بلال في جنازة وهو يقول في كل ميتة ظنون الامتة السجا
قالوا وما ميتة السجا قال أخذها زياد فقطع يديها ورجليها فقبل لها كيف تربن ياسجا
فقات قد شغاني هول المطلع عن برد حديثكم هذا، قال وقيل لرابعة القيسية لو أذنت
لنا كلنا قومك فجمعوا لك ثمن خادم وكان لك فيه امرئ وكفتك المؤنة وتفرغت للمباد
فقات والله اني لاستحي ان أسأل الدنيا ممن يملك الدنيا فكيف أسأل الدنيا ممن لا
يملكها، والناسكات المنزهات من النساء المذكورات في الزهد والرياسة من نساء الجماء
أم الدرداء ومعاذة المدوية وراثة القيسية ومن نساء الخوارج السجا وحمادة الصفيو
وغزاة الشيبانية فتان جميعاً وصلبت السجا وحمادة وقتل خالد بن عتاب غزاة وكان
امرأة صالح بن نوح ومن نساء الغالية الميلاء وحميدة وابلي الناعظية، محمد بن سلا
عن أبي جعدة قال ما أبرم عمر بن الخطاب أصراً قط الا تمثل به بيت شعر، وع
أبان بن عثمان قال عبد الملك لقد كنت أمشي في الزرع فألقى الجندب أن أقنله وا

الحجاج ليكتب الى بقتل فثام من الناس فما أحفل بذلك، قالوا ومات يونس النحوي سنة اثنتين وثمانين وهو ابن ثمان وثمانين سنة قال يونس ما أكلت شيئاً قط في الشتاء الا وقد برد ولا في الصيف الا وقد سخن، وحدثني محمد بن بشير قال قال أبو عمرو المدائني لو كانت البلايا بالحصص ما نائي كل ما نائي اختلفت جارتني بالاشاة الى التياس فرجعت الشاة حائلا والجاربة حاملا، محمد بن القاسم قال قال جرير أنا لا أبدي ولكن أعتدي وقال العتيبي أنا مثل العقر ب أضر ولا أنفع وقال الحجاج أنا حديد حقود حسود، وخبرني نفع قال قال لي العتيبي أنا لا أصدق ما دام كذبي يخني قال وذكر شبيب بن شيبه عن خالد بن صفوان فقال خله ايس له صديق في السر ولا عدو في العلانية وقال أبو بجيله في شبيب بن شيبه

إذا غدت سمعت على شبيبها * على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس الى مغيبها * عجبت من كثرتها وطيبها

وقال يحيى بن أبي علي الكرخي أنا انسان ما أبالي ما استقبلت به الاحرار وقال عمرو

ابن القاسم انما خصموني لاني لم أتستر قط بشيء من القبيح وقال الفرزدق

وكان يجير الناس من سيف مالك * فأصبح يبغى نفسه من يجيرها

ومن هذا الباب قول الهماني

على أي باب أطلب الاذن بعد ما * حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

ومن هذا الشكل قول عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وقال زهير

فلما وردن الماء زرقا جامه * وضمن عصي الحاضر المتخيم

وكتب سويد بن منجوف الى مصعب بن الزبير

فأبلغ مصعبا عني رسولا * وهل ياني النصيح بكل واد

تعلم ان أكثر من تواخي * وان ضحكوا اليك هم الاعادي

حدثني ابراهيم بن عبد الوهاب قال كتب شيخ من أهل الزبي علي باب داره جزى

الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً فأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله عنا خيراً فإنا لم
نؤت قط الا منهم وأنشدنا النمشلي لاعرابي يصف خُلا

ومن يمرى حلوبته وينكل * عن الاعداء يمنقه القراح
رأيت معاشرائني عليهم * اذا شعبوا وأوجههم قباح
يظل المصرهون لهم سجودا * وان لم يسق عندهم صباح

وقال الشاعر

النائمون قريبا من بيوتهم * ولو يشاؤون أي الحي اذا طرقوا
يقول لرغبته في القرى واطعام الناس بيت عندي ويدع أهله ولو شاء ان يبيت
عندهم لفعل وقال آخر يمدح ضد هؤلاء

تقري قدودهم مساء ليلهم * ولا بيتون دون الحي أضعافا

وقال جرير

واني لاستحي أخى أن أرى له * على من الحق الذي لا يرى ليا
قال استحي ان تكون له عندي يدولا يرى لى عنده مثها وقال امرؤ القيس
* وهل يعمن الاخلي منم * قليل المهموم ما يبيت بأوجال
قال وهو كقوله استراح من لا عقل له وأنشد مع هذا البيت
وأعجبها من عيشها كل غرفة * وريان ماتف الحدائق أخضر
ووال كفاها كل شيء يهها * فليست لشيء آخر الدهم تسهر

وأنشد

اذا ابتدر الناس المعالي رأيتهم * ووفوا بأيديهم مسوك الارانب
هجاهم بأنهم انما يمشون من الصيد وأنشد
اذا ابتدر الناس المكارم والعلى * أقاموا ووفوا في النهوج اللهاجم
يخبر أنهم يسألون الناس والنهج والهجم الطريق الواسع وقال الشاعر
لنا ابل يروين يوما عيالا * ثلاث وان يكثرن يوما فاربع
نقدم بالماء لامن هواهم * وايكن اذا ما قل شيء يوسع

وقال الآخر

وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يامسلم بن حمار
دعا جمل لا يهتدى لمبيته * من اللوم حتى يهتدي ابن وبار

وقال الحسن بن هاني

أضمرت للنيل هجرانا ومقايه * اذ قيل لي انما التمساح في النيل
فن رأى النيل رأى العين من كشب * فا أرى النيل الا في البواقي

وقال ابن أحر

أتيت ابن حمراء العجان فلم أجد * لدى بابه اذني يسيرا ولا نزلا
فان الذي ولاء أمر جماعة * لانقص من يمشي على قدم عقلا

ومن هذا الباب قوله

اني رأيت ابا العوراء مرتفعاً * بشط دجلة يشري النمر والسما
كشرة الخيل تبني عند مذودها * والموت أعلم من يدني بمن تركا
هذي مساعيك في آثار سادتنا * ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

ومن هذا الباب قوله

ورثنا المجد عن آباء صدق * أسأنا في ديارهم الصنميا
اذ المجد الرفيع تماورته * بنات السوء يوشك ان يضيما

وقال جرّان العود

ولم أجد الموفوريرجي جنابه * اذالم يرعه الماء ساعة ينضح
وكان أبو عباد النخيري أتى باب بعض العمال يسئله شيئاً من غمّل السلطان فتبعه أسفار
فسرقوا كل شيء في البيدر وهو لا يشمر فعاتبه في ذلك فكتب اليه أبو عباد
كنت بازا أضرب الكركي والطير العظاما * فتقنصت بني الصقر فأوهنت القداما
* واذا ما أرسل البازي على الصقر تعامى *

أراد قول أبي النجم في الراعي

يسر بين القانيات الجهل * كالصقر تجفو عن طراد الدخل

وبات أبو عباد مع أبي بكر الفغاري في ليالى رمضان في المسجد الاعظم فدب اليه
وأنشأ يقول

يا ليلة لي بت الهوبها * مع الفغاري أبي بكر
تت اليه بمد ما قدمضى * ثلث من الليل على قدر
ما قام حمدان أبو بكر * الا وقد أمرغه نحري

وقال في ثلبان صديقه

ان ثلبان قد بنت * لشقائى وقد صفت
واذا لم تنك باير * عظيم القوي بكت

وقال مسكين الدارمى

اليك أمير المؤمنين رحلتها * تثير القطار ليلا وهن هجود
لدي كل قرموص كان فراخه * كلى غير ان كانت لهن جلود

وقال أبو الاسود الدؤلى وهو ظالم بن عمرو بن سفيان

أمنت على السر أمراً حازم * ولا كنه في النصيح غير مرئيب
اذاع به في الناس حتى كانه * بملياء نار أو قدت لثقوب
وكنت متى لم ترع سرىك ينتشر * قوارعه من مخطى ومصيب
وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بليب
ولكن اذا ما استجده ما عند واحد * فحق له من ساعة بنصيب

وقال أيضاً

اذا كنت مظلوما فلا تنف راضيا * عن القوم حتى تأخذ النصف وأغضب
فان كنت أنت الظالم القوم فاطرح * مقالهم واشغب على كل مشغب
وقارب بنى جهل وباعد بمالم * جلوب عليك الحق من كل مجلب
فان حذبوا فاقمس وان هم تقاءسوا * ليستمسكوا مما وراءك فاحذب
ولا تذعنن للحق وأصبر على التي * بها كنت أفضي للبيد على أبي

وقال أبو الاسود لزياد

لعمرك ما حشاك الله نفسا * بها جشمع ولا نفسا شريره
ولكن أنت لا شرس غليظ * ولا هس تنازعه خؤوره
كأنا اذ أتيناها نزلنا * بجانب روضة ربا مطيره

— ❦ — تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان ❦ —

❦ ويليه الجزء السادس أوله باب ❦



— الجزء السادس من كتاب —

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصرى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ جريه

وهذا الكتاب هو

﴿ البارع في الأدب والجامع في حكم العرب ﴾

عن تيسير محمد بن عبد العزيز النعمان كالجانب

﴿ حقوق الطبع محفوظة للناشر طبعه ﴾

الناشر محمد أفندي ساسي المغربي البوسني

سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م

(مطبعة السادة بجوار محافظة مصر)

لصاحبها محمد اسميل

فهرس

﴿ الجزء السادس من كتاب الحيوان ﴾

بمفنه

- باب قد قلنا في الخطوط ومرافقها
- ١ الكلام على الضب
- ١ جملة القول في نصيب الضباب من الاعاجيب والغرائب
- ٢ القول فيمن استطاب لحم الضب ومن عافه
- ٢ قصيدة الحكم بن عمرو البهراني في الحيوانات
- ٢ حجة الذين استعملوا لحم الضب وقدموه
- ٣ القول في سن الضب وعمره
- ٤ أسماء لعب الاعراب
- ٤ القول في تفسير قصيدة البهراني
- ٤ الكلام على الغول
- ٥ باب من ادعى من الاعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان ويسمونهون عزيز الجان
- ٨ باب الجلد من أمر الجن
- ٩ قصيدة بشر بن المعتز الرائية المرفوعة
- ٩ قصيدته الرائية المكسورة
- ٩ شرح القصيدة الأولى
- ١٠ قول في أن الهدهد يبصر الماء تحت التراب
- ١٠ في شيء من أعاجيب الطي
- ١١ في شيء من عجيب خلق السماسح

- ١١٦ رجوع الى القول في الارانب
 ١٢٣ الكلام في الظربان
 ١٢٦ اشعار فيها الأخطا من السباع والوحش والحشرات
 ١٣٦ شرح قصيدة بشر بن المعتمر الثانية
 ١٤٢ باب من نذر في حمية المتقول نذرا. بلغ في طاب ناره الشفاء
 ١٨٦ باب في ذكر الجبن ووهل الجبان
 ١٦٢ قول الجوس ان سومين المنتظر يخرج على بقرة
 ١٦٤ باب نوادر وأشعار وأحاديث
 ١٦٦ أحاديث في أعاجيب الممالك
 ١٦٩ قول في الشهب واستراق السمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— باب —

بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا فَضُولَ الْقَوْلِ وَالثِّقَةَ بِمَا عَنَدْنَا وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُسْكَفِينَ ، فَدَقَلْنَا فِي الْخَطُوطِ وَمِرَافِقِهَا فِي عَمُومِ مَنَازِمِهَا وَكَيْفَ كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَكَيْفَ اخْتَلَفَتْ صُورِهَا عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِ طِبَائِعِ أَهْلِهَا وَكَيْفَ صَارَ ضَرُورَتُهُمْ إِلَى وَضْعِهَا وَكَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ الْخَلَّةَ عِنْدَ قَدَمِهَا وَقَلْنَا فِي الْعَقْدِ وَلَمْ تَكْفُوهُمَا فِي الْإِشَارَةِ وَلَمْ اجْتَلِبُوهُمَا وَلَمْ شَبِّهُوا جَمِيعَ ذَلِكَ بِبَيَانِ اللِّسَانِ حَتَّى سَمَوْهُ بِالْبَيَانِ وَلَمْ قَالُوا الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ وَالْمَيْنِ أَنْمَ مِنَ اللِّسَانِ وَقَلْنَا فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْمُنَاطِقِ وَكَيْفَ صَارَ أَعْمَ نَفْعًا وَصَاوَهُوَ الْإِصْلَ الْمَشْتَقِ مِنْهُ وَالْمَحْتَمَلِ عَلَيْهِ وَكَيْفَ جَعَلْنَا دَلَالَةَ الْإِجْسَامِ الصَّامِتَةِ نَظْقًا وَالْبِرْهَانَ الَّذِي فِي الْإِجْرَامِ الْجَامِدَةِ بَيَانًا وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ الْقَوْلِ فِي الْكَلْبِ وَالذِّبْكَ فِي الْجَزْيِينَ الْإَوَّلِينَ وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ الْقَوْلِ فِي الْجَمَامِ وَفِي الذَّبَابِ وَالْفَرَبَانَ وَالخَنَافْسِ وَالْجَمَلَانَ الْإِمَّا بَاقِي مِنَ فَضُولِ الْقَوْلِ فِيهَا فَانَا قَدْ أَخْرَجْنَا ذَلِكَ لِدُخُولِهِ فِي بَابِ الْحَشْرَاتِ وَصَوَابِ مَوْقِعِهَا فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْمَهْجِجِ فِي الْجِزْءِ الثَّلَاثِ وَإِذَا سَمِعْتَ مَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَظِيمِ الصَّنْعَةِ وَمَا فَطَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ غَرِيبِ الْمَعْرِفَةِ وَمَا أُجْرِيَ بِسَبَابِهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْكَثِيرَةِ وَالْحَنَنِ الْعَظِيمَةِ وَمَا جَمَلَ فِيهَا مِنَ الدَّاءِ وَالذَّوَاءِ أَجْلَلَتْهَا أَنْ تَسْمِيَهَا هَمْجًا وَأَكْبَرَتْ الصَّنْفَ الْآخَرَ أَنْ تَسْمِيَهُ حَشْرَةً وَعَلِمْتَ أَنَّ أَقْدَارَ الْخَيَوَانَ لَيْسَتْ عَلَى قَدْرِ الْإِسْتِحْسَانِ وَلَا عَلَى أَقْدَارِ الْأَثْمَانِ وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ الْقَوْلِ فِي الدَّرَةِ وَالْمَلَّةِ فِي الْقَرَدِ وَالخَنْزِيرِ وَفِي الْحَيَاتِ وَالنَّعَامِ وَبَعْضَ الْقَوْلِ فِي السَّارِ فِي الْجِزْءِ الرَّابِعِ وَالنَّارِ حَفْظَكَ اللَّهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْخَيَوَانَ فَقَدْ كَانَ جَرَى مِنَ السَّبَبِ الْمَتَّصِلِ بِذَكَرِهَا وَمِنَ الْقَوْلِ

المضمر بما فيها ما أوجب ذكرها والأخبار عن جملة القول فيها وقد ذكرنا بقية القول في الفار ثم جملة القول في المصاير ثم جملة القول في الجرذان والسنانير والعقارب وجميع هذه الأجناس في باب لسبب سيرفه من قرأه ويتبينه من رآه ثم القول في القمل والبراغيث والبعوض ثم القول في العنكبوت والنحل ثم القول في الحباري ثم القول في الضأن والمعز ثم القول في الضفادع والجراد ثم القول في النطا وقد بقيت إبقاك الله تعالى أبواب توجب الاطالة وتخرج الى الاطناب وليست باطالة مالم تجاوز مقدار الحاجة ووقف عند منتهى البغية وانما الالفاظ على اقدار المعاني فكثيرها الكثيرها وقليلها لقليلها وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها والمعاني المفردة الباشئة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى أقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات المنبسة ولو جهد جميع أهل البلاغة ان يخبروا من دونهم عن هذه المعاني بكلام وجيز يفنى عن التفسير باللسان والاشارة باليد والرأس لما قدروا عليه ، وقد قال الأول اذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون وليس ينبغي ان يسوم اللغات مما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في جباتها ولذلك صار يحتاج صاحب كتاب المنطق الى ان يفسره ممن طاب من قبله علم المنطق وان كان المتعلم رقيق اللسان حسن البيان الا انى لا أشك على حال ان النفوس اذا كانت الى الطرائف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أصب أنها خليقة لاستعمال الكثير وان استعقت تلك المعاني الكثيرة وان كان ذلك الطويل أنفع وذلك الكثير أود ، وسنبدأ بعون الله تعالى وتأيدته بالقول في الحشرات والهمج وصغار السباع والمججولات الخالصة الذكر من البهائم ونجعل ذلك كله بابا واحداً وتشكل بعد صنع الله تعالى على ان ذلك الباب اذا كان أبوابا كثيرة باسماء مختلفة ان القارئ لها لا يعمل بابا حتى يخرجها الثاني الى خلافه وكذلك يكون مقام الثالث من الرابع والرابع من الخامس والخامس من السادس وليس الذي يعتمد عليه من شأن الحيوان عظم الجثة ولا كثرة العدد ولا ثقل الوزن والغاية التي يجرى اليها والفرض الذي يومي اليه غير ذلك لان خالق البعوضة وما فيها من عجب التركيب ومن غريب العمل كخلق الذرة وما فيها من عجب التركيب ومن الاحساس

الصادفة والتدابير الحسنة ومن الروبة والنظر في العاقبة والاختيار لكل ما فيه صلاح
الميشة ومع ما فيها من البرهانات النيرة والحجج الظاهرة وكذلك خلق السرفة
وعجيب تركيبها وصنعة كنفها ونظرها في عوائب أمرها وكذا خلق النحلة مع ما فيها
من غرائب الحكم وعجائب التدبير ومن التقدم فيما يعيشها والادخار ليوم العجز عن
كسبها وشمها مالا يشم ورؤيتها للمال يرى وحسن هدايتها والتدبير في التأخير عليها
وطاعة ساداتها وتقسيم أجناس الاعمال بينها على اقدار معارفها وقوة أبدانها فهذه
النحلة وان كانت ذبابة فانظر قبل كل شيء في ضروب انتفاع ضروب الناس فيها فانك
تجدها أكبر من الجبل الشاخ والفضاء الواسع وكل شيء وان كان فيه من العجب
العاجب ومن البرهان الناصع ما يوسع فكر العاقل ويتلأ صدر المفكر فان بعض
الأمرأ أكثر عجوبة وأظهر علامة وكما تختلف برهاناتها في الغموض والظهور فكذلك
تختلف في طبقات الكثرة وان شملتها الكثرة ووقع عليها اسم البرهان ولعل هذا
الجزء الذي يتدنى فيه بذكرها في الحشرات والهمج أن بفضل من ورثه شيء فترفه
ونتمه بجملة القول في الطياء والذئاب فانهما بابان يقصران عن الطوال ويزيدان على القصار
وقد بقي من الابواب المتوسطة المقتصدة المعتدلة التي قد أخذت من القصر لمن طلب
القصر بحظ ومن الطول لمن طلب الطول بحظ وهو القول في البقر والقول في الحمير
والقول في كبار السباع وأشرفها ورؤسائها وذوى النباهة منها كالأسد والنمر والبير
وأشبهه ذلك مما يجمع قوة أصل الباب والذرب وشجر الفم والسمة وحدة البرثن وتمكنه في
العصب وشدة القلب وصرامته عند الحاجة ووثاقه خلق البدن وقوته على الوثب وسنذ كر
تسالم المتسالم منها وتعادى المتعادى منها وما الذى أصاح منها على السبعية الصرغ
واستواء حالها في اقتيات اللحمان حتى ربما استوت فريستها في الجنس وقد شاهدنا غير
هذه الاجناس يكون تماذيها من قبل هذه الامور التي ذكرناها وليس فيما بين هذه
السباع بأعيانها تفاوت في الشدة فتكون كالأسد الذي يطاب الفهد لياً كله والفهد
لا يطمع فيه ولا يأكله فوجدنا التكافؤ في القوة والآلة من أسباب التماسد وان ذلك
يعمل في طباع عقلاء الانس حتى يخرجوا الى تهارش السباع فما بالهالم تعمل هذا

العمل في أنفس السباع وسند كرامة التسالم وعلّة التعادى ولم طبعت رؤساء السباع على الففلة وبعض ما يدخل في باب الكرم دون صفات السباع وسفلتها وحاشيتها وحشوها وكذلك أوساطها والمعدلة الآلة والاسر ولم نذكر بحمد الله تعالى شيئاً من هذه الغرائب وطريفة من هذه الطرائف الا ومعها شاهد من كتاب منزل أو حديث مأثور أو خبر مستفيض أو شعر معروف أو مثل مضروب أو يكون ذلك مما يستشهد عليه الطيب أو من أكثر من قراءة الكتب أو بعض من قد دارس الاسفار وركب البحار وسكن الصحاري واستدري المضاب ودخل في الفياض ومشى في بطون الاودية وقد رأينا أو ما يدعون في كتبهم الغرائب الكثيرة والامور البديعة ويحاطرون من أجل ذلك بمررتهم ويعرضون بأقذارهم ويسلطون السفهاء على أعراضهم ويجرون سوء الظن الي أخبارهم ويحكمون حساد النعم في كتبهم ويمكنون لهم من مقاليدهم وبعضهم ينظر على حسن الظن بهم أو على التسليم لهم والتقليد لدعواهم وأحسنهم حالاً من يجب أن يفضل عليه ببسط العذر له ويتكاف الاحتجاج عنه ولا ينافي أن يمن بذلك على عقبه أو من دان بذنيه أو اقتبس ذلك العلم من قبل كتبه ونحن حفظك الله تعالى اذا استنطقنا الشاهد وأحلنا على المثل فالخصوصة حينئذ انما هي بينهم وبينها اذ كنا نحن لم نستشهد الا بما ذكرنا وفيما ذكرنا مقنع عند علماءنا الا أن يكون شيء يثبت بالقياس أو يبطل بالقياس فواضع الكتاب ضامن لتخليصه وتخليصه وتبينه واظهار خفيه فاما الابواب الكبار فمثل القول في الابل والقول في فضيلة الانسان على جميع الحيوان كفضل الحيوان على جميع النامي وفضل النامي على جميع الجماد وليس يدخل في هذا الباب القول فيما قسم الله لبعض البقاع من التعظيم دون بعض ولا لما قسم من الساعة والايالي والايام والشهور وأشباه ذلك لانه معني يرجع الى المخبرين بذلك من الملائكة والجن والآدميين فمن الابواب الكبار القول في فضل ما بين الذكورة والاناث وفي فضل ما بين الرجل والمرأة خاصة وقد يدخل في القول في الانسان ذكر اختلاف الناس في الاعمار وفي طول الاجسام وفي مقادير القبول وفي تفاضل الصناعات وكيف قال من قال في تقديم الاول وكيف قال

من قال في تقديم الآخر فأما الابواب الأخر كفضل الملك على الانسان وفضل الانسان على الجان وهي جملة القول في اختلاف جواهرهم وفي أي موضع يتشاكلون وفي أي موضع يختلفون فإن هذه الابواب من الابواب المعتدلة في التصر والطول وايس من هذه الابواب باب الا وقد يدخله تنف من ابواب آخر على قدر ما يتعلق به من الاسباب ويعرض فيها من التضمير ولعلك ان تكون بها أشد انتفاعا، وعلى أنى ربما وشحت وفصلت فيه بين الجزء والجزء بنوادر كلام وطرف أخبار وخرر أشعار مع طرف مضاحك ولولا الذي نحاول من استعطافك على استمتاع انتفاعكم لقد كنا سجعنا وسجعنا شأن كتابنا، هذا اذا علم الله تعالى موقع النية وجهة القصد أعان على السلامة من كل مخوف ولم نجعل لما يسكن الملح والمذوبة والانهار والاودية والمنافع والمياه الجارية من السمك ومما يخالف السمك مما يعيش مع السمك بابا مجرد لانى لم أجد فى أكثره شعرا يجمع الشاهد ويوثق منه بحسن الوصف وينشطه بما فيه من غير ذلك للقراءة ولم يكن الشاهد عليه الا أخبار البحرين وهم قوم لا يمدون القول في باب العمل وكلما كان الخبر أغرب كانوا به أشد عجباً مع عبارة غثة ومخارج سمجة وفيه عيب آخر وهو ان معه من الطول والكثرة مالا يتحملونه ولو غناكم بحميمه مخارق وضرب عليه زلزل وزمر عليه برصوما فلذلك لم أترض له وقد أكثر في هذا الباب أرسطاطاليس ولم أجد فى كتابه وقد قلت لرجل من البحرين زعم أرسطاطاليس ان السمكة لا تنبع الطم أبداً الا ومعه شئ من ماء مع سمة المدخل وشبه النفس فكان من جوابه ان قال لي ما علم هذا الا من كان سمكة أو اخبرته به سمكة أو حدثه بذلك الحواريون أصحاب عيسى فانهم كانوا صيادين وكانوا تلامذة المسيح وهذا البحري صاحب كلام وهو يتكاف معرفة الملل وهذا كله جوابه ولكنى لم أفتح بذكر بعض ما وجدته فى الأشعار والاخبار اذا كان مشهوراً عند من ينزل الاسياف وشطوط الاودية والانهار ويعرفه السما كون ويقربه الاطباء بقدر ما يمكن من القول وقد روى لنا غير واحد من أصحاب الاخبار أن اياس بن معاوية زعم ان الشبوط كالفل وأن أمهارية وأباها بحري وان من الدليل على ذلك أن الناس لم يجدوا

في بطن شبوطة قط بيضا وأنا أخبرك أني قد وجدته فيها مراراً ولكني وجدتها
أصفر جثة وأبعد من الطيب ولم أجده عاملاً كما أجده في بطون جميع السمك فهذا قول
أبي وإثالة اياس بن معاوية المزني الفقيه القاضي وصاحب الازكان وافوق من كور بن
علقمة وداهية مضر في زمانه ومفخر من مفاخر العرب فكيف أسكن بعد هذا الى
أخبار البحرين وأحاديث السماكين والى ما في كتاب رجل لعله ان لو وجد هذا
المترجم ان يقيمه على المصطبة ويبرأ الى الناس من كذبه عليه ومن افساد معانيه
بسوء ترجمته والذي حضرني من أسماء الحشرات مما يرجع عمود صورها الى قالب
واحد وان اختلفت بعد ذلك في أمور فأول ما يذكر من ذلك الضب والاجناس
التي ترجع الى صورة الضب والورل والحرباء والوحوة والحللكة وشحمة الأرض والغليم
والتمساح وما أشبه ذلك ونحن قائلون في شأنه من الخضرات الطربان والمث
والخففات والعرقد والمطرفوط والوبر وأم حنين والجمل والقربا والدساس والخنفساء
والحية والعقرب والشيت والترتيل والطبوع والحرقوص والدلم وثقة الذسر والمثل
والضمخ والقنفذ والنمل والذر والدساس تتشاكل في وجوه وتختلف من وجوه
كالقارة والجردان والرمك والخلد واليربوع وابن عرس وابن مقرص والذبر وهو
دوية اذا دب على جلد البعير تورم ولذلك يقول الشاعر وهو يصف ابله بالسمن

كأنها من بدن واستيشار * دبت عليها ذربات الانبار

ومنها العقرب الذي يقال له متونه وهي شرمق الجرارة والسمخ وسنقول في الاجناس
التي يكون في الجنس منها الوحشى والاهلي كالغيلة والخنازير والتمر والحير والسنانير
والظباء قد تدجن وتولد على صموبة فيها وليس في اجناس الابل جنس وحشى الا في
قول الاعراب ومما يكون أهلياً ولا يكون وحشياً فهي كالكلاب ولا يتوحش منها الا
الكلب وأما الضباع والذئب والاسد والنور والبيور والثعالب وبنات آوي فوحشية
كلها وقد يعلم الاسد وينزع نابه ويطول نواؤه مع الناس حتى يهرم مع ذلك ويحس
بمجزه عن الصيد ثم هو في ذلك لا يؤمن عرامه ولا شروده ان انفرد عن سواه
وأبصر غيضة قد امها صخر صار فيها وقد كان بعض الاعراب يجر وذئب حتى

شب وظن أنه يكون أغنى غناء من الكلب وأقوى على الذب عن الماشية فلما هوى شيئا وثب على شاة فذبحها وكذلك يصنع الذئب ثم أكل منها فلما أبصر الرجل أمره قال

أكلت شويهي وربيت فينا * فن أباك أن أباك ذيب

وقد أنكر ناس من أصحابنا هذا الحديث وقال لم يكن ليألفه ويقيم معه بمد أن اشتد عظمه ولم يذهب مع الذئب والضباع ولم تكن البادية أحب إليه من الحاضرة والفغار أحب إليه من المواضع المأنوسة وليس يصبر السبع من هذه الاجناس أو الوحشى من البهائم أهليا بالمقام فيهم وهو لا يقدر على الصحارى وإنما يصير أهليا اذا ترك منازل الوحوش وهي له معرضة وقد تتسافد وتتوالد فى الدور وهي بمد وحشية وليس ذلك فيها بتمام، ومن الوحش ما اذا صار الى الناس وفى دورهم ترك السفاد ومنها ما لا يطعم ولا يشرب البتة بوجه من الوجوه، ومنها ما يكره على الطم ويدخل فى حلقه كالحمية ومنها ما لا يسفد ولا يدجن ولا يطعم ولا يشرب ولا يصيح حتى يموت وهذا المعنى فى وحشى الطير أكثر، والذي يحكى عن السوراني القناص الجبلي ليس بناقض لما قلنا لان الشئ الغريب والنادر الخارجى لا يقاس عليه وقد زعموا أنه باغ من حدقه بتدريب الجوارح وتضريتها أنه ضرى ذئبا حتى اصطاد به الظباء وما دونها صيدا ذريما وأنه ألفة حتى رجع اليه من ثلاثين فرسخا وقد كان بعض العمال سرقه منه وقد ذكروا أن هذا الذئب صار الى العسكر وأن هذا السوراني ضرى أسدا حتى اصطاد له الحمير فما دونها صيدا ذريما وانه ضرى الزناير فاصطاد بها الذبان وكل هذا عجب وهو غريب نادر بديع خارجى وذكر أنه من قيس عيلان وأن حليلة ظئر النبي صلى الله عليه وسلم قد ولدته وليس عندى فى الحمار الهندي شئ وقد ذكره صاحب المتطق، فأما الذئب وفارة المسك والقمام والسنجاب والسمور وهذه الدواب دواب الفراء والوبر الكثيف الناعم والمرغوب فيه والمتنفع به فهي عجبية وإنما يذكر ما يعرفه أصحابنا وعداؤنا وأهل باديتنا ألا ترى أنى لم أذكر الجربش والرجس ولا هذه السباع المشتركة الخلق المتولدة فيما بين السباع المختلفة الاعضاء المتشابهة الارحام التي اذا صار بعضها فى أبدى القرادين والمكتسبين الطوافين وضموها لها أسماء فقالوا

مقلاس وكلاس وسلقطين وحلفطين وأشباه ذلك حين لم يكن من السباع الاصلية المشهورة النسب والمعروفة بالنفع والضرر وقد ذكرنا منها ما كان مثل الضبع والسبع والمسبار اذ كانت معروفة عند الاعراب مشهورة في الاخبار منوها بها في الاشعار وانما اعتمد في مثل هذا على ما عند الاعراب وان كانوا لم يعرفوا شيئا مما احتيج اليه منها من جهة الملاعبة والغلابة ولا من جهة التذاكر والتكسب ولكن هذه الاجناس الكثيرة ما كان منها سبعا أو بهيمة أو مشترك الخلق فانما هي مبعوثه في بلاد الوحش من صحراء أو واد أو غائط أو غيضة أو رملة أو رأس جبل وهي في منازلهم وماشيتهم فقد نزلوا كما ترى بينها وأقاموا معها وهم أيضا من بين الناس وحش وأشباه الوحش وربما بل كثيرا ما يبتلون بالناب والمخاب واللدغ واللسع والعض والأكل فخرجت بهم الحاجة الى تعرف حال الجاني والجرح والقاتل وحال المجني عليه والمجروح والمقتول وكيف الطاب والمهرب وكيف الداء والدواء اطول الحاجة واطول وقوع البصر مع ما يتوارثون من المعرفة بالداء والدواء ومن هذه الجهة عرفوا الآثار في الارض والرمل وعرفوا الانواء ونجوم الاهتداء لان كل من كان بالصالحا صبح الاماكن حيث لا أمانة ولا هادي مع حاجته الى بمد المشقة مضطرا الى التماس ما ينجي ويؤديه وحاجته الى النيث وفراره من الجذب وضنه بالحياة اضطرته الحال الى تعرف شأن النيث ولانه في كل حال يري السماء وما يجري فيها من كوكب ويرى النعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها وما يصير منها مجتمعا وما يصير مفترقا وما يصير منها باردا وما يكون منها راجما ومستقيما، وسئلت اعرابية فقيل لها أن تعرفين النجوم قالت سبحان الله اما أعرف أشبأحاً وقوفا على كل ليلة وقال اليعقوبي وصفت اعرابية لبعض أهل الحضرة نجوم الانواء ونجوم الاهتداء ونجوم ساءات الليل والسهود والنهوس فقال قائل لشيخ عبادي كان حاضراً أما ترى هذا الاعرابي يعرف من النجوم ما لا يعرف قال ويل أمك من لا يعرف أجزاء بيته قال وقلت لشيخ من الاعراب قد خرف وكان من دهاتهم اني لا اراك عارفاً بالنجوم قال أما انها لو كانت أكثر لكنت بشأنها أبصر ولو كانت أقل لكنت لها أذكروا أكثر سبب ذلك كله بمد فرط

الحاجة وطول المداومة رقة الاذهان وجودة الحفظ ولذلك قال مجنون من الاعراب
 لما قال له أبو الاصبع بن ربي أما تعرف النجوم قال ومالي لا أعرف من لا يعرفني فلو
 كان لهذا الاعرابي المجنون مثل عقول أصحابه لعرف مثل ما عرفوا ولو كان
 عندي في أبدان السمور والفنك والقيانم ما عندي في أبدان الارانب والثعالب دون
 فرائها لذكرتها بما قل أو أكثر لكنه لا يذيني لمن قل عليه أن يدع تعليم من هو أقل منه
 علما ولو كانت الدساس من أصناف الحيات لم نخصها من بينها بالذكر ولكنها وان
 كانت على قالب الحيات وخرطها وأفرغت كافرانها وعلى عمود صورها درن
 خصائصها كما يناسبها في ذلك الخفيات والعربد وايسا من الحيات كما ان هذا ليس من
 الحيات لان الدساس ممسوحة الاذن وهي مع ذلك مما يلد ولا يبيض والمعروف في
 ذلك ان الولادة هي في الاشراف والبيض في الممسوح وقد زعم ناس ان الولادة
 لا تخرج الدساس من اسم الحية كما ان الولادة لا تخرج الخفاش من اسم الطير وكل
 ولد يخرج من بيضه فهو فرخ الا ولد بيض الدجاج فانه فروج والاصناف التي
 ذكرناها مع ذكر الضب تبيض كلها أو يسمي ولدها بالاعم فرخا وزعم لي ابن أبي
 الجوز ان الدساس تلد وكذلك خبرني به محمد بن أيوب بن جعفر عن أبيه وخبرني به
 الفضل عن اسحاق بن سايان فان كان خبرهما عن اسحاق فقد كان اسحاق في معادن
 الدلم ، وقد زعموا بهذا الاسناد ان الاروية تضع مع كل ولد وضعته أنمي في مشيمة
 واحدة وقال الآخرون الاروية لا تعرف بهذا المعنى ولكنه ليس في الارض نمرة
 الا وهي تضع ولدها وفي عنقها أنمي في مكان الطوق وذكروا أنها تنهش وتعض
 ولا تقتل ولم اكتب هذه للتقوية ولكنها آية أحببت أن تسمعها ولا يمجني الافرار
 بهذا الخبر وكذلك لا يمجني الانكاره ولكن ليكن قلبك الى انكاره أميل وبمه
 هذا فاعرف ، واضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بهامواضع اليقين والحالات
 الموجبة له وتعلم الشك في المشكوك فيه تماما فلو لم يكن ذلك إلا تعرف التوقف ثم
 التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج اليه ثم أعلم ان الشك في طبقات عند جميعهم ولم
 يجمعوا على أن اليقين طبقات في القوة والضعف ولما قال أبو الجهم لا لكي أنا لا أكاد

أشك قال المكي وأنا لأكاد أوقن ففخر عليه المكي بالشك في مواضع الشك كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين وقال أبو اسحاق نازعت الملحدين والشكاك فوجدت الشكاك أبصر بجوهر الكلام من أصحاب الجحود وقال أبو اسحاق الشاك أقرب إليك من الجاحد ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ولم ينتقل أحد عن اعتقاد الي اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك وقال أبو الجهم ما أطمعني في أوبة المنعير لأن كل من اقتطعته عن اليقين الحيرة فضالته اليقين ومن وجد ضالته فرح بها وقال عمرو بن عبيد تقرير لسان الجاحد أشد من تعريف قلب الجاهل وقال أبو اسحاق إذا أردت أن تعرف مقدار الرجل المالم وفي أي طبقة هو وأردت أن تدخله الكبير وتنفخ عليه ليظهر لك فيه الصحة من الفساد أو مقداره من الصحة والفساد فكن عالما في صورة متعلم ثم أسأله سؤال من يطعم في بلوغ حاجته منه، والعوام أقل شكوكا من الخواص لأنهم لا يتوقفون في التصديق ولا يرتابون بأنفسهم فليس عندهم الا الاقدام على التصديق المجرد أو على التكذيب المجرد وأنفوا الحال الثالثة من حال الشك التي تشتمل على طبقات الشك وذلك على قدر سوء الظن وحسن الظن بأسباب ذلك وعلى مقادير الاغلب وسمع رجل ممن قد نظر بعض النظر تصويب العلماء لبعض الشكاك باجراء ذلك في جميع الامور حتى زعم أن الامور كلها يعرف حقا وباطلا بالاغلب وقدمات ولم يخاف عقبا ولا واحداً يدين بدينه فلو ذكرت اسمه مع هذه الحال لم أكن أسأت ولكني على حال أكره التنويه بذكر من تحرم بحرمة الكلام وشارك المتكلمين في أسماء الصناعة ولا سيما ان كان ممن يتحل تقديم الاستطاعة فأما القول في الاوعال والتبائل والايابل وأشبهه ذلك فلم يحضرنا فيها ما نجمل لذكرها بابا مبوبا ولكننا سنذكرها في مواضع ذكرها من تضاعيف هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

— ❦ الضب ❦ —

وأنا مبتدئ على اسم الله تعالى في القول في الضب على أني اذم هذا الكتاب في الجملة لأن الشواهد على كل شيء وقعت متفرقة غير مجتمعة ولو قدرت على جمعها لكان

ذلك أبلغ في تزكية الشاهد وأنور للبرهان وأسلاً للنفس وأتمها بحسن الوصف
وأحمده لان جملة الكتاب على حال مشتملة على جميع المجمع ومحيطه بجميع تلك
البرهانات وان وقع بمضه في مكان بمض وتأخر متقدم وتقدم متأخر، قالوا من كس
الضرب أن لا يتخذ حجره الا في كدية وهو الموضع الصاب أو في الارتفاع عن المسيل
والبسيط ولذلك توجد برائته ناقصة كلية لانه يحفر في الصلابة ويمتق الحفر ولذلك
قال خالد بن الصيفان

وولى كولى الزبرقان حملته * كما حمت ساق تهاض بها كسر
اذا ما أحالت والجبائر فوقها * مضى الحول لبرء مبين ولا جبر
تراه كأن الله يجمع أنفه * وأذنيه ان مولاه ناب له وفر
ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه * كضرب القرى أفنى برائته الحفر
﴿ وقال كثير ﴾

فان شئت فأت له صادقاً * وجدتك بالف فضا حجولا
من اللاتي يحفرن تحت الكدى * ولا يتبين الدماء السهولا
﴿ وقال دريد بن الصمة ﴾

وجدنا أبا الجبار ضبا مورشاً * له في الصفاة برثن ومعاول
له كدية أعيت على كل قانص * ولو كان منهم حارشان وحابل
ظلمت أراعى الشمس لولاملائي * تزلع جلدى عنده وهو قائل
وأنشد أيضا لدريد بن الصمة

وعوراء من قيل امرى قد رددتها * بسالمة العينين طالبة عذرا
ولو أتى اذ قالها قلت مثلها * وأكثرت منها اورثت بيننا غمرا
فأعرضت عنها وانتظرت به غداً * لعل غداً يبدى لمنتظر أمرا
لأخرج ضبا كان تحت ضلوعه * وأقلم أظفاراً أطال بها الحفرا
وقال أوس بن حجر في اكل الصخر للاظفار
فأشرك فيها نفسه وهو معصم * وأتى بأسباب له وتوكلا

وقد اكلت اظفاره الصخر كلما * تمايا عليه طول مرقاتوصلا

وقد وصفوا الضب كما ترى بأنه لا يحفر الا في كدية وبطيل الحفر حتى تفني برائه ويتوخي به الارتفاع عن مجارى المياه وعن مدق الحوافر لكيلا ينهار عليه بيته ولما علم أنه نساء سبي الهداية لم يحفر وجاره الا عند أكمة أو صخرة أو شجرة ليكون متى تباعد من جحره لطلب الطم أو لبعض الخوف رآه فأحسن الاهتمام الى جحره ولأنه اذا لم يقم علما فله ان يباح عليه ضربان أو وورل فلا يكون دوناً كله له شئ فقالت العرب اخب ضب وأخب من ضب وأخدع من ضب وكل ضب عند مرداته واذا خدع في زوايا حفيرته فقد تواتق لنفسه عند نفسه ولهذا العلة اتخذ اليربوع القاصمء والناقء والدماء والراهطاء وهى أبواب قد اتخذها لحفيرته فتى أحس يشئ خالف تلك الجهة الى الباب ولهذا وشبهه من الحذر كان التوبير من الاراب وأشباهاها والتوبير أن تطأ على زمعاتها فيعرف الكلب والقائف من أصحاب القنص آثار قوائمها ولما أشبه هذا التدبير صار هذا الظبي لا يدخل كناسه الا وهو مستدير يستقبل بمينيه ما يخافه على نفسه وخشفه وقد جمع يحيى بن منصور الذهلى أبوابا من حزم الضب وخشفه وتدبيره الا أنه لم يرد تفضيل الضب فى ذلك ولكنه بعد ان قدمه على حمقاء الرجال قال فكيف لو فكرتم فى حزم اليربوع والذئب وأنشدنى فضال

وبعض الناس أتقص رأى حزم * من اليربوع والضب المكون
يرى مرداته من رأس ميل * ويأمن سبيل بارقة هتون
ويحفر فى الكدى خوف انهيار * ويجهل مكره رأس الوجين
وبخدع ان أردت له احتيالا * رواغ الفهد من أسد كين
ويدخل عقربا تحت الذنابي * ويميل كيد ذى خدع طين
فهذا الضب ليس بذي حريم * مع اليربوع والذئب اللعين

وقد ذكر يحيى جميع ما ذكرنا الا احتياله باعداد المقارب لكف المحترش وانه لم يذكر هذه الحيلة من عمله وسنذكر ذلك فى موضعه والشعر الذى يكتب له ذلك كثير فهذا شأن الضب فى الحفر واحكام شأن منزله، ومن كلام العرب أن الورل انما عنعه من

اتخاذ البيوت لان اتخاذها لا يكون الا بالحفر والورل يبق برائته ويعلم انها سلاحه التي
بها يقوى على ما هو اشد بدنا منه وله ذنب يؤكل ويستطاب كثير الشحم والاعراب لا
يصيدون يربوعا ولا قنفذاً ولا ورلا من أول الليل وكذلك كل شئ يكون عندهم من
مطايا الجن كالنعام والظباء ، ولا تكون الارنب والضبع من سراكب الجن لان الارنب
تحيض ولا تمتسل من الحيض والضباع تركب ابور الفتلى والموتى اذا جيفت ابدانهم
وانفخوا وانغظوا ثم لا تمتسل عندهم من الجنابة ولا جنابة الا ما كان للانسان فيه
شرك ولا تمتطى القرود لان القرود زان ولا يفتسل من جنابة فان قتل الاعرابي قنفذاً
أو ورلا من أول الليل أو بعض هذه المراكب لم يأمن على فخل ابله وهى اعتراه
شئ حكيم بأنه عقوبة من قباهم ، قالوا ويسمعون الهاتف عند ذلك بالسمى وبضروب
الوعيد وكذلك يقولون فى الجن من الحيات وقتل الجن عندهم عظيم ولذلك رأى
رجل منهم جانا فى قعر بئر لا يستطيع الخروج منها فنزل على خطر عظيم حتى
أخرجها ثم أرسلها من يده فانسابت ونمض عينيه لكي لا يرى مدخلها كأنه يريد
الاخلاص فى التقرب الى الجن قال المازنى فأقبل عليه رجل فقال له كيف يقدر على
أذاك من لم يتقدمه من الاذى غيرك ، وقال ثلاثة أشياء لا يتم بها التدبير اذا دخلت
الاسراب والأنفاق والمكالمواج حتى يغص بها الخرق فمن ذلك أن الظرباء اذا
أراد أن يأكل حسل الضب أو الضب نفسه اقتحم جحر الضب مستدبراً ثم التمس
أضيق موضع فيه فاذا وجدته قد غص به وأيقن أنه قد حال بينه وبين النسيم فسا
عليه فليس يجاوز ثلاث فسيات حتى يغشى على الضب فيأكله والاخر الرجل اذا دخل
وجار الضبع ومه جبل فاذا لم يسد ببدنه وبشوبه جميع المخارق والمنافذ ثم وصل الى الضبع
بتقدار سم الابرة ونبت عليه فقطعته ولو كان اشد من الاسد والثالث أن الضب اذا
أراد أن يأكل حسوله وقف لها من جحرها فى أضيق موضع من منفذه الى خارج
فاذا أحكم ذلك بدأ فأكل منها فاذا امتلأ جوفه انحط عن ذلك المكان شيئاً قليلاً فلا
يفات منه شئ من ولده الا بعد أن يشبع ويذول عن موضعه فيجد منفذاً ، وقد قال

ينشب في المسلك عند سلته * تزام الضب عصافي كديته
قال والدليل على أن الضب يأكل ولده قول عملس بن عقيل لايه
أكلت بذك أكل الضب حتى * وجدت مرارة الكلال الويل
فلو أن الأولى كانوا سهوذاً * منعت فناء بيتك من بجيل
﴿ وأنشد غيره ﴾

أكلت بذك أكل الضب حتى * تركت بذك ليس لهم عديد
وقال عمرو بن مسافر عبت على أبي يوما في بعض الامر فقلت
كيف ألوم أبي طيشا ايرحمي * وجدته الضب لم يترك له ولدا
﴿ وقال خدش بن زهير ﴾

فان سمتم بجيش سالكا شرفا * أو بطن قوتا خفوا الحس واكتتموا
ثم ارجعوا فاكبوا في بيوتكم * كما أكب على ذى بطنه الهرم
جملة هرما لطول عمره وذى بطنه ولده وقال أبو بكر بن أبي خافة رضي الله تعالى
عنه اني كنت نحاك سبعين وسقاً من مالى بالعالية وانك لم تحوزيه وانما هو مال
الوارث وانما هو أخوك وأختك قالت ما أعرف لى أختا غير أسماء قال انه ذى أختي
في روعي أن ذا بطن خارجة جارية قال آخرون ولم يمن بذي بطنه ولده ولكن الضب
يرمي ما أكل أى بقي، ثم يرجع فيأكله فذلك هو ذى بطنه فشهروه في ذلك بالكاب
والسنور، وقال عمرو بن مسافر ما عنى الأولاده فكان خدشا قال ارجعوا عن
الحرب التي لا تستطيعونها الى أكل الذرية والعيال قال وقال أبو سليمان الفروي ابرأ
الى الله تعالى من أن تكون الضبة تأكل أولادها ولكنها تدفهم وتضم عليهم التراب
وتعدهم في كل يوم حتى يخرجون وذلك في ثلاثة أسابيع غير ان الثعالب والظربان
والطير تحفر عنهن فناكلهن ولو أفلت منهن كل فراخ الضباب لما أن الارض جميعا
، ولو أن انسانا نحل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية أنهن يأكلن أولادهن
لما كان عند أحد من الناس من انكار ذلك ومن التكذيب عنهن ومن استعظام هذا القول
أكثر مما قاله أبو سليمان في التكذيب على الضباب أن تكون تأكل أولادها، قال

أبو ساهان وليكن الضب يأكل بمره وهو طيب عنده وأنشد

يعود في تيمه حدنان * ولده * فان أسن تمنى نجومه كلفا

قال وقال ابان بن لقيط التميمي، وليك اماروينا هكذا انما قال يعود في رجمه وكذلك الضب يأكل رجمه وزعم أصحابنا أن أبا المنجوف السدوسي زوى عن أبي الوجيه المكنى قوله

وأفطن من ضب اذا خاف حارشا * أعذله عند التلبس عقربا

— جملة القول في نصيب الضباب من الاعاجيب والفرائب —

أول ذلك طول الدماء وهو بقية النفس وشدة انقضاء الحياة والروح بعد الذبح وهشم الرأس والظعن الجائف النافذ حتى يكون في ذلك أعجب من الخنزير ومن الكلب ومن الخنفساء وهذه الاشياء التي قد تفردت بطول الدماء ثم شارك الضب الوزغة والحية فان الحية تقطع من ثلث جسمها فتعيش ان سلمت من الذر فجمع الضب الخصلتين جميعاً الا ما رأيت في دخال الاذن من هذه الخصلة الواحدة فاني كنت انقطعه بنصفين فيمضي أحد نصفيه يمئة والآخر يسرة الا اني لا أعرف مقدار بقائهما بعد ان قاتا بصري، ومن أعاجيبه طول العمر وذلك مشهور في الاشعار والأخبار ومضروب به المثل فشارك الحيات في هذه الفضيلة وشارك الافعى الرملية والصخرية في أنها لا تموت حنق أنفها وليس الا أن تقبل أو تصطاد فتبقي في جون الحوائثين تذليها الايدي وتكره على الطعم في غير أرضها وهوائها حتى تموت أو تحملها السيول في الشتاء وزمان الزهرير فما أسرع موتها حينئذ لأنها صرودة وتقول العرب أصرد من حية كما تقول أعدى من حية وقال الفشيري والله امي أصرد من حية حرباء وحتوفها التي تسرع اليها ثلاثة أشياء أحدها سرور أقاطيع الأبل والشاء وهي منبسطة على وجه الارض امالاً لشرق نهاراً في أوائل البرد وأما للتبرد ليلاً في ليالي الصيف وإما لخروجها في طلب الطعم والخصلة الثانية ما ساط عليها من القناد والأوعال والورل فانها تطالبها مطالبة شديدة وتقوى عليها قوة ظاهرة والخازير تأكلها وقد ذكرنا ذلك في باب

القول في الحيات والخصلة الثالثة تكسب الحوائين بصيدها وهي تموت عندهم سريراً والضب يشاركها في طول العمر ثم بالا كتهاء بالنسيم والتعيش ببرد الهواء وذلك عند الهرم وفناء الرطوبات وتقصير الحرارة وهذه كلها عجب ثم اتخاذ الحجر في الصلابة وفي بعض الارتفاع خوفاً من الانهدام وسيل المياه ثم لا يكون ذلك الا عند علم يرجع اليه ان هو أضل حججه ولو رأى بالقرب تراباً متراكباً بقدر تلك المزادة والصخرة لم يحفل بذلك فهذا كله كيس وحزم وقال الشاعر

سقى الله أرضاً يعلم الله أنها * غذية بطن القاع طيبة البقل
يدود بها بيتا على رأس كدية * وكل امرئ في حرفة العيش ذوعقل

وقال البطين

وكل شيء مصيب في تمشيه * الضب كالنون والانسان كالسبع
ومن أعاجيبه ان له ايرين وللضبة حرين وهذا شيء لا يعرف الا لها فهذا قول
الأعراب وأما قول كثير من العلماء ومن نقب في البلاد وقرأ الكتب فانهم يزعمون
ان للسقنقور ايرين وهو الذي يتداوي به العاجز عن النكاح ليورثه تلك القوة ، قال
وللحردون أيضاً ايرين وانهم عاينوا ذلك معاينة وآخر من زعم لي ذلك موسى بن
ابراهيم والحردون ذوبية تشبه الحرباء تكون بناحية مصر وما والاها وهي ذوبية
مليحة موشاة بالوان ونقط وقال جالينوس الضب الذي له اسنان يصاح لحمه لكذا
وكذا فهذه أيضاً أعجوبة أخرى في الضب وان يكون بمضه ذا اسنان وذا ايرين
ومن أعاجيب الضبة أنها تأكل اولادها وتجاوز في ذلك خلق الهرة حتى قالت
الأعراب أعق من ضب، وزعمت العرب انه يمد العقب في حججه فاذا سمع صوت
الحرش استنفرها فالصقها بأصل عجب الذنب من تحت وضم عليها فاذا أدخل الحارش
يده ليقبض على أصل ذنبه لسمته العقب وقال علماءهم بل هي تسمى العقب في
حججها لتسمع الحارش اذا أدخل يده ، وقال أبو المنجد بن رويشد رأيت الضب اعرز
دابة في الارض على الحر تراه أبداً في شهر ناجر بباب حججه متداخلاً بخفاف ان
يقبض قابض بذنبه فرمما أنه الجاهل ليستخرجه وقد أتى بمقرب فوضها تحت ذنبه

بينه وبين الارض بحبسها بمجبب الذنب فاذا قبض الجاهل على أصل ذنبه لسعته
فيشتغل بنفسه ، فأما اهل المعرفة فان معه عويداً يحركه هناك فاذا زالت المقرب
قبض عليه ، وقال أبو الوجيه كذب والله من زعم ان الضبة تستنفر عقربا ولكن
المقارب مسالمة للضباب لانها لا تعرض لبيضاها وفراخها والضب يأكل الجراد ولا
يأكل المقارب وأنشد قول التميمي الذي كان ينزل به الازدى أنه ليس الى الطعام
يقصد وايش به الا أنه قد صار به إفا وأنيسا فقال

أتانس بن ونجرك غير نجري * كما بين المقارب والضباب

﴿ وأنشد ﴾

تجمعن عند الضب حتى كأنه * على كل حال اسود الجلد خنفس

لان المقارب تألف الخنافس وأنشدوا للحكم بن عمرو البهراني

والوزغ الرقط على ذلها * تطاعم الحيات في الجحر

والخنفس الاسود من نجره * مودة المقرب في السر

لانك لا تراهما أبداً الا ظاهرتين يطاعمان أو يتسايران ومتى رأيت مكنة أو اطلمت

على جحر فرأيت احدهما رأيت الاخرى قال ومما يؤكد القول الاول قوله

ومستنفر دون الثوية عقربا * لقد جئت مجريا من الدهر اعوجا

ويقول حين لم يرض من الدهر أعوجا والمذكر الابداء تخالف عند الناس وتجاوزهم

وأنشدني ابن داحية ابن جزيمة بن دادعم عيسى بن زيد الذي يقال له ابن داد في

حديث طويل من احاديث المشاق

لئن خدعت حبا بسب مزعفر * فقد يخدع الضب المخادع بالتمر

لان الضب شديد العجب بالتمر فضرب مثلا في الخبث والخديعة والذي يدل على ان

الضب والمقرب يهيجان بالتمر عجباً شديداً ماجاء في الأشعار من ذلك وأنشدني ابن

الاعرابي لابن دعمي العجلي

سوى أنكم درنم جريتم * على دربة والضب يختل بالتمر

فجعل صيده بالتمر كصيده بالحباله وأنشدني القشيري

وما كنت ممن يخرج النمر ضفته * ولا أنا ممن يزدهيه وعيد
وقال بشر بن المعتز في قصيدته التي ذكر فيها آيات الله تعالى في صنوف خلقه مع
ذكر الأباضية والرفضة والحشوية والناطقة فقال فيها

وهقلة ترتاع من ظلها * لها عرار ولها زمر
وضبة تأكل أولادها * وعتر فان بطنه صفر
فلوترى الضب وتأذينه * منجم ليس له فكر
وظيبة تخضم في حنظل * وعقرب يعجبها النمر
﴿ وقال أيضا بشر في قصيدة له أخرى ﴾

أما ترى الهقل وامعاه * يجمع بين الصخر والجمر
وفارة البيش على بيشها * احرص من ضب علي تمر
﴿ وقال أبو داردة وقد رأته أنا وكان صاحب فنص ﴾

* وما لتمر الآفة وبلية * على جل هذا الخلق من ساكني البحر
وفي البر من ذئب وسمع وعقرب * وتدملة تسمى وخنفسة تسري
وقد قيل في الأمثال ان كنت راعيا * عذيرك ان الضب يختل بالتمر

وسنفسر معاني هذه الآيات اذا كتبنا القصيدتين على وجوههما بما يشتملان عليه
من ذكر الغرائب والحكم والتدبير والاعاجيب التي أودع الله تعالى أصناف هذا
الخلق ليعتبر منتهى ويفكر مفكر فيصير بذلك عاقلاً عالمياً وموحداً مخلصاً والدليل
على ما ذكرنا من تفسير قولهم الضب أطول شيء ذمهم انه لأحيا من ضب لان
حارثه ربما ذبحه فاستقصى فرى الاوداج ثم يدعه فرمما تحرك بعد ثلاثة أيام وقال
أبو ذؤيب الهذلي

ذكر الورد بها وأجمع أمره * شوقا وافبل حيه يتبع

فأبرهن حتوفهن فهارب * بدمائه اوساقط متجمجم

وكان الناس يرون فهارب بدمائه يريدون من الدم وكانوا يكسرون الدال حتى قال
الأصمعي بدمائه معجمة الدال مفتوحة وقال كثير

ولقد شهدت الخليل بحمل شكتي * متلظ خدم العثار بهيم *
 باقى الذماء اذا ملكت مناقل * واذا جمعت به اجش صريم
 والضب اذا خدع فى حجره وصف عند ذلك بالخبت والمكر ولذلك قال الشاعر
 وان لنا شيخين لا ينفمانا * غنيين لا يجدى علينا غناهما
 كأنهما ضبان ضبا مغارة * كبيران غيدا قان صفر كشاهما
 فان يختلا لا يؤخذان فى حباله * وان يرصدا يوما يخب راصداهما
 ولذلك شبهوا الحقد الكامن فى القاب الذى يسري ضرره وتدب عقابه بالضب
 فسموا ذلك الحقد ضبا قال معن بن اوس

* الا من لمولى لا يزال كأنه * صفا فيه صدع لا يدانيه شاعب
 تدب ضباب الفس تحت ضلوعه * لاهل الندى من قومه بالعقارب
 * وقال أبو دهبيل الجنبى *

واعلم بانى لمن عادت مضطغن * ضبا وانى عليه اليوم مجسود
 وأنشد ابن الاعرابى

يارب مولى جاهد مباحض * على ذى ضغن وضب فارض
 له قروء كقروء الحائض

كانه ذهب الى ان جفده يخبو تارة ثم يستعر ثم يخبو ثم يستعر وقال ابن ميادة
 وضرب المثل بنفخ الضب وثبته
 فان لقيس من بغيض اقصيا * اذا أسد كشت لعجز ضباها
 وقال الآخر

فلا يقطع الله اليمين التى طشت * حجاجى منيع بالفن من دم سحجلا
 ولو كنت أعلى ذى رميث حبلها * إذا ظل يعطو من حبالكم حبالا
 والضب يوصف بشدة الكبر ولا سيما إذا اخصب وأمن وصار كما قال عبيدة بن
 الطبيب فانه ضرب به المثل حيث يقول يحيى بن هزال :
 لا أعرفك يوم الورد ذالغط * ضغنم الجزارة بالسدين وكار

يكفي الوليدة ذا الرعيان مؤتزراً * فاحلب فانك حلاب وصرار
ما كنت أول ضب صاب تلعته * غيث فاصرع واسترخت به الدار

وقال ابن ميادة

ترى الضب ان لم يرهب الضب غيره * يكش له مستكثراً ويطاوله

وقال دعلج بن عبد المجاب

اذا كان بيت الضب وسط مضبة * تطاول للشخص الذي هو جاهله
المضبة مكان ذا ضباب كثيرة ولا تكثر الا وبقرها حية أو ورنل أو ظربان ولا يكون
ذلك الا في موضع بعيد من الناس فاذا أمن وخلاله جوه وأخصب نفع وكش نحو
كل شيء يزيد وما يوصف بالكبر الثور في حال تشرقه وفي حال مشيته الخيلاء
في الرياض عند غب ديمة ولذلك قال الهمكيت

كشبوب ذى كبرياء من الوحيدة لا يتبني عليها ظهيرا
وهذا كثير وسيقع في موضعه من القول في البقر، وما يوصف بالكبر الجمل الفحل
اذا أطافت به نوق الهجمة ومر نحو ماء وكلاء فتبعته وقال الراجز

فان تشردن حوالبه وقف * قالب حملافيه في مثل الجرف

يورد لحد عينه لما طرف * كبراً واعجاباً وعزاً وترف

والناقة يشند كبرها اذا تقحت وتزم بأنفها وتزم على صحابتها وأنشد الاصمعي

وهو اذا أراد منها عرسا * دهاء مربع اللقاح جلسا

عائنها بهد السيان أنسا * حتى تلافيه مخاضا فمسا

حتى احتشت في كل نفس نفسا * على الدوامى ضامرات خرسا

حوط مسرات لقاحا ماسا

وأما قول الشماخ

جمالية لو يجمع السيف عرضها * على حدة لاستكبرت أن تصونها

فليس من الاول في شيء والمدكورن من الناس بالكبر ثم من قريش بنو مخزوم وبنو
أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدس خاصة، فأما الاكسرة

من الفرس فكانوا لا يمدون الناس الا عبيداً وانفسهم الا اربابا ولسنا نخبر الا عن
دهاء الناس وجمورهم وكيف كانوا من ملوك وسوقة، والكبر في الاجناس الذليلة
من الناس ارسخ وأعم وليكن الذلة والفلة مانعتان من ظهور كبرهم فصار لا يعرف
ذلك الا أهل المعرفة كميدينا من السند وذمتنا من اليهود، والجملة أن كل من قدر من
السفلة والوضعاء والمحقرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته على مراتب
القدرة ما لا خفاء به فان كان ذميا وأحس بماله في صدور الناس تزيد في ذلك
واستظهرت به طبيعته بما يظن أن فيه رقع ذلك الخرق وحياض ذلك الفتن وسد تلك
الثمة فتفقد ما أقول لك فانك ستجده فاشياً وعلى هذا الحساب من هذه الجهة صار
المملوك أسوأ ملكا من الحر، وشيء قد قتله علما وهو اني لم أر ذا كبر قط على من
دونه الا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه فأما بنو مخزوم وبنو أمية وبنو جعفر بن
كلاب وبنو زرارمة بن عدس فابطروهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ولو كان في
قوى عقولهم وديانتهم فضل على قوى دواعي الحمية فيهم لكانوا كبنى هاشم في
تواضعهم وفي انصافهم لمن دونهم وقد قال في شبيه بهذا المعنى عبدة بن الطبيب
حيث يقول

ان الذين تروهم -م خلائكم * يشفي صداع رؤسهم ان تصدعوا

فضات عداوتهم على أحلامهم * وأبت ضباب صدورهم لا تنزع

فأما ماذكروا ان للضب ايرين وللضبة حرين فهذا من العجب ولم نجدهم يشكون

وقد يختلفون ثم يرجعون الى هذا العموم وقال الفزاري

جبا المال عمال الخراج وجبوتى * محذفة الاذئاب صفر الشوا كل

رعين الدبا والبقل حتى كأنما * كساهن ساطان ثياب المراحل

سجل له نز كأن كان فضله * علي كل حاف في البلاد وناعل

ترى كل ذبال اذا الشمس عارضت * سما بين عرسيه سمو المخائل

واسم ايره النرك معجمة الزاي والنون من فوق بواحدة وساكنة الزاي فهذا قول

الفزاري وانشد الكسائي

تفرقتم لازاتم فـرن واحد * تفرق ايرالضب والاصل واحد
 فهذا يؤكده ما رواه ابو خلة النيمري عن أبي حية النيمري قال ابو خلة سئل ابو حية
 عن ذلك فزعم ان ايرالضب كلسان الحية الاصل واحد والفرع اثنان وبعض أهل
 التفسير يزعم ان الله تعالى عاقب الحية حين أدخات ابليس في جوفها حتى كلم آدم
 على لسانها بعشر خصال منها شق اللسان قالوا فلذلك ترى الحية أبداً اذا طابت لتقتل
 كيف تخرج لسانها تلويه كما يصنع المسترحم من الناس باصبعه اذا ترحم أو دعا تري
 الظالم عقوبة الله تعالى لها ، قال أبو خالد قال أبو حية الاصل واحد والفرع اثنان
 والاثني مدخلان وأنشد لحبي المدينة

وددت بانه ضب واني * كضبة كدية وجدت خلاه

قال قالت هذا البيت لابنها حين عدلها لانها تزوجت ابن أم كلاب وهو حدث
 وكانت هي قد زادت على النصف فتمنت ان يكون لها حران ولزوجها ايران ، وقال
 ابن الاعرابي الاثني سبيلان ولرحمها قرنتان وهما زاويتا الرحم فاذا امتلأت الزاويتان
 أتأمت واذا لم تمتلي أفردت وقال غيره من العلماء هذا لا يكون لذوات البيض والفراخ
 وانما هذا من صفة أرحام اللواتي يجبان بالأولاد ويضعن خلةً كخلةهن ويرضهن
 وكيف تفرد الضبة وهي لم تنتم قط وهي تبيض سبعين بيضة في كل بيضة حـسـل
 قال ولهذا الحشرات أيور معروفة الا ان بعضها أحقر من بعض فأما الخصى فشئ
 ظاهر لمن شق عنها وجسر أبو خالد فزعم أنه قد أبصر اير ذباب وهو يكوم ذبابة
 وزعم ان اسم ايره المتك وأنشد لعبد الله بن همام السلولي

لما رأيت القصر أغلق بابه * وتعلمت همدان بالأسباب

أيقنت ان امارة ابن مضارب * لم يبق منها قيس اير ذباب

وهذا شعر لا يدل على ما قال وقال أصحابنا انما المتك البظر ولذلك يقال للعاج يابن
 المتكاه كما يقال له يابن البظراء

— القول فيمن استطاب له لحم الضب ومن عافه —

روي أنه أتى علي خوان النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأكله وقال ليس من طعام قومي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه ورووا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأجله ولا أحرمه وأنكر ذلك ابن عباس وقال ما بعثه الله تعالى إلا ليحل ويجرم وحرمه قوم ورأوا أن أمتين مسختا أحدهما في البروهي الضباب وأخذت الأخرى في طريق البحر فهي الجري ورووا عن بعض الفقهاء أنه رأى رجلاً أكل لحم ضب فقال اعلم أنك قد أكلت شيئاً من مشيخة بني إسرائيل وقال بعض من يعافه الذي يدل على أنه مسخ شبيهه كفه بكف الانسان؛ وقال العوام الأبرص نديم أيوب بن جعفر وكان أيوب لا ييبب أكل الكلاب في زمانه ولها في المربد سوق يقوم في ظل دار جعفر ولذلك قال أبو فرعون في كلمة له طويلة

سوق الضباب خير سوق في العرب

وكان هو وابراهيم النظام إذا كانا عند أيوب قاما عن خوانه إذا وضع عليه ضب ومما قال فيها العرار قوله

له كيف انسان وخطى عظاية * وكالفرد والخزير في المسخ والعصب

والعوام تقول وناس يزعمون أن الحية مسخ والضب مسخ والكلاب مسخ والارباب مسخ والغار مسخ ولم أر أهل الكتاب يقرون أن الله تعالى فط مسخ انسانا خزيراً ولا فرداً إلا أنهم أجمعوا أن الله تعالى فط مسخ امرأة لوط حجراً حين التفتت وتقول الاعراب أن الله فط مسخ كل صاحب مكس وجابي خراج وناوة إذا كان ظالماً وأنه مسخ ما كسبن أحدهما ذنباً والآخر ضبعاً وأنشد محمد بن السكن المعلم النحوي للحكم بن عمرو البهراني في ذلك وفي غيره شعراً عجيباً وقد ذكر فيه ضروباً كلها ضريف غريب وكلها باطل والاعراب تؤمن بها أجمع وكان الحكم هذا أتى بني العنبر بالبادية على أن العنبر من بهراء فنفوه من البادية إلى الحاضرة وكان يتفقون في قيا الاعراب وكان مكفوفاً دهر باملياً وهو الذي يقول

ان ربي لما يشاء قدير * ما لشيء اراده من مفر
 مسخ الماكسين ضبما وذبناً * فلماذا تنسا جلالاًم عمرو
 بهت النمل والجراد وفني * بنجيع الرعاف في حي بكر
 خرقت فارة بأنف ضئيل * عرما محكم الاساس وصخر
 فجرته وكان غيلان عنه * عاجزالو يرومه بـمد دهر
 مسخ الضب في الحباله قدما * وسـهيل السماء عمداً بصقر
 والذي كان يكتني برغال * جعل الله قبره شر قبر
 وكذا كل ذي سفين وخرج * ومكوس وكان صاحب عشر
 منكب كافر وأشرط سوء * وعريف جزاؤه حر جهر
 وتزوجت في الشبيبة غولا * كغزال وصدقتي زق خمر
 ثيب ان هويت ذلك منها * ومتي شئت لم أجد غير بكر
 بنت عمرو وخالها مستحل الخ * ير وخالي حميم صاحب عمرو
 ولها خطـة بأرض وبار * مسجوها وكان لي نصف شطر
 أرض حوش وكامن عكفان * وعروج من المؤمل دثر
 سادة الجن ليس فيها من الج * ن سوي تاجر وآخر مكر
 ونفوا عن حريمها كل عفر * يسرق السمع كل ليلة بدر
 في فتومن الشنقيات غر * ونساء من الروائع زهر
 تأكل الفول ذا السياطة مسياً * بـمدروث الحار في كل فجر
 جعل الله ذلك الروث بيضاً * من أنوق ومن طروقة نسر
 ضربت فردة فصارت حصبا * في محاق القمير آخر شهر
 تركت عبداً ثمال اليتامى * وأخوه مزاحم كابين بكر
 وضمت تسعة وكانت نذوراً * من نساء في أهلهما غير نذر
 غلبتني على النجابة عرسى * بـمدماطار في النجابة ذكري
 وأرى فيهم شمائل أنس * غير أن النجار صورة عفر

وبها كنت راكبا حشرات * ملجأ قنفذا و - سرج وبر
 كنت لا أركب الارانب للحي * ض ولا الضبع أنها ذات نكر
 تركب المقصص المجيف ذا النفا * ط وتدعو الضباع من كل جهر
 جايا للبحار أهدي لعربي * فلفلا مجتنا وهضبة عطر
 وأحلى هريبر من صدف البعد * ر وأسقى العيال من نيل مصر
 وبسئ المقصود نفثي وحلي * ثم يخني على السواحر سعري
 وأجوب البلاد تحتي ظبي * ضاحك سنه كثير التمرى
 مولج دبره جوانة مكر * وهو بالليل في المغاريت يسرى
 بحسب الناظرون اني ابن ماء * ذاكر عشه بضفة نهر
 رب يوم أكلت من كبد الليث * وأعقت بين ذئب ونمر
 ليس ذا كم كمن بيت بطينا * من شواء ومن قلية جزر
 ثم لاحظت خاتي في غمدو * بين عيني وعينها السم يجرى
 ثم أصبحت بدم خفض ولهو * مدنفا مفرداً بحالف عسر
 أتراني مقت من ذبحي الديا * ك وعاديات من أهاب بصقر
 وسمت التقيق في ظلم الليل * بخاوبته بسر وجهر *
 ثم يري بي الجحيم جهاراً * في تخير وفي دراهم قر
 فامل الاله يرحم ضمني * ويرى كبرتي ويقبل عذري

وسنقول في الذين استحلوه واستطابوه وقدموه، قالوا الشيء لا يحرم الا من جهة
 كتاب أو اجماع أو حجة عقل أو من جهة القياس على أصل في كتاب أو اجماع ولم
 نجد في تحريمه شيئاً من هذه الخصال وان كان انما يترك من قبل التقرز فقد أكل
 الناس الدجاج والشبائط ولحوم الجلالة وأكلوا السراطين وفراخ الزنابير والصحناء
 والدشا فكان التقرز مما يتنذى المذرة رطبة وبإسبة أولى وأحق من كل شيء يأكل
 الضروب التي قد ذكرناها وذكرها الراجز حيث يقول

يارب ضب بين أكتاف اللوى * رعى المرار والككبات والدبا

حتى اذا ما ناضل البحرى ارتمى * وأجفأت فى الارض أعراف السفا
وظل يملوي هبصا وسط الملا * وهو بميىنى قانص بالمرتبأ
كان اذا أخفق من غير الرعا * رازم بالا كبار منها والاكشا
فان عفتموه لأكل الدبازلا تأكلوا الجرادولا تستطيوا بيضه وقد قال أبو حجين المنقرى

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بأسفل واد ليس فيه أذان
وهل آكلن ضبا بأسفل تلمة * وعريج أكلع المديد خوان
أقوم الى وقت الصلاة وريحه * بكفى لم أغسلها بشنان
وهل أشربن من ماء لينه شربة * على عطش من سوم ران أبان

﴿ وقال آخر ﴾

لعمري لضب بالعنيزة ضائف * يضحي عرارا فهو ينفخ بالقرم
أحب الينا أن يجاور أرضنا * من السمك البني والساجم الرخم

وقال آخر فى تفضيل أكل الضب

أقول له يوما وقد راح صحبتى * وبالله أبنى صيده وأخاتله
فلما التقت كفى على فضل ذيله * وشالت شمالي زابل الضب باطله
فأصبح مجنونا نضيجا وأصبحت * تمشى على الفيزان حولا حلأله
شديد اصفرار الكشتين كأنما * يظل بورس بطنه وشوا كاه
فلذلك أشهى عندنا من نتاجكم * لى الله شاربه وقبح آكاه

وقال أبو الهندي من ولد سيب بن ربهى

أكلت الضباب فما عفتها * وانى لأهوى فديد النهم
وركبت زبدا على تمرة * فذم الطعام وذم الأدم
وسمن السلا وكاء القصيص * وزين السديف كبرد النهم
ولحم الخروف حنيذا وقد * آتيت به جامدا فى الشهم
فاما النبيط وحياتكم * فما زلت منها كثير السقم
وقد نلت ذلك كما نلتهم * فلم أرفها كضب هرم

وما في البيوض كبيض الدجا * ج وبيض الجراد شفاء القرم

و. مكن الضباب طعام العريب * ولا تشتهيه نفوس المعجم

والى هذا المعنى ذهب جرّان العود حين أطمع ضيفه ضباباً فجهّاه ابن عم له كان يغمز
في نسبه فلما قال كلمة له

وتطمع ضيفك الجوعان ضباباً * وتناكل دونه تمرّاً بزبد

وقال في كلمة له أخرى

وتطمع صنيفك الجوعان ضباباً * كأن الضب عندهم غريب

قال جرّان العود

فلولا أن أصلك فارسي * لما عفت الضباب ومن قراها

قريت الضب من حر كشاها * وأى لوية الاكساها

واللوية الطعم الطيب اللطيف يرفع للشبخ والصبي وقال الاخطل

فقات لهم هاتوا لوية مالك * وان كان قد لاقى ابوسار مطعما

حدثني يونس بن عمران قال كان بشر بن المعتز خاصاً بالفضل بن يحيى فقدم عليه

رجل من مواليه وهو أحد بني هلال بن عامر فضي به الى الفضل ليكرمه بذلك

وحضرت المائدة فذكروا الضب ومن يأكله فافترط الفضل في ذمه وتابعه القوم

بذلك ونظر الهلالي فلم ير على المائدة عربياً غيره وغازله كلامهم فلم يلبث الا أن أتى

الفضل بصحفة ملاءمة من فراخ الزنابير ليتخذله منها بزماً ورد والدبر والنحل عند

العرب أجناس من الزبان فلم يشك الهلالي أن الذي رأى من ذباب البيوت والحشوش

وكان الفضل حين ولى خراسان استظرف بزماً ورد الزنابير فلما قدم العراق كان يشتمها

فتطاب له من كل مكان تشبهت الهلالي به وباصحابه وخرج وهو يقول

وعالج يماف الضب اؤما وبطنه * وبيض إدام العاج هام ذباب

واوان ماكا في الورى ناك أمه * افاوالقدا أوتيت فصل خطاب

ولما قال أبو طروق الضبي

يقولون أصدقها جرّاداً وضبة * فقد جردت بيتى وبيت عيالها

وأثقت ضبابا في الصدور جرانها * فيالك من دعوى أصم المناديا
وناديت أعمى وهم شر جيرة * بدبرون شطر الليل عندي الأفاعيا
وقد كان في عقب وفوس وان أشأ * من الاقط ما بلغن في المهر حاجيا

فقال أبوها

فلو كان تعبارضّ فعبك بندل * ولو كان فوسا كان للنبيل أذكرا

فقال عمها دهوني والعبد وأنشد لزييري

أعاصر عبد الله انى وجدتمكم * كمرجة الضب الذي يتدلل

وقال هي لينة وعودها لين فهو يملوها اذا حضر بالقيظ ويتشوف عليها واست ترى
الضبة الا وهي سامية برأسها تنظر وترقب وأنشد

بلاد يكون الخيم أطلال أهلها * اذا حضر وبالقيظ والضب نونها

وقال عمر بن خويلد

ركيات حسل أشهر الصيف بدن * وناقة عمرو ما يحل لها رحل

* اذا ما أبتينا بيتنا لمعيشة * يعود لما نبي فيهدمه حسل

ويزعم حسل أنه فرع قوميه * وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل

ولدت بحول النجم تسمي اسميه * كما ولدت بالنحس رباتها عكل

وهم الحسل وحسيل وضب وضبة فمنهم ضبة بن أد وضبة بن محض وزيد بن ضب ويقال

حضره ضب وفي فريش بنو حسل ومن ذلك ضبة الباب ويسمى حلب الناقة بخمسة أصابع

ضباً يقال ضبها يضبها ضباً اذا حلبها كذلك وضب الجرح وبض اذا سال دما مثل

ما تقول جبذ وجذب وانه حلب ضب وانه لا خدع من ضب والضب الحقد اذا

تمكن وسرت عقاربه وأخذ مكانه والضب ورم في خف البعير وقال الراجز

ليس بذي عرك ولا ذى ضب

ويقال ضب خدع أى مراوغ ولذلك سمو الخزانة المخدع وقال ذو الرمة

مناسمها صم صلاب كأنها * رؤس الضباب استخرجتها الظهار

وقال راشد بن شهاب

أرقت فلم تخدع لعيني نمسة * ووالله ما دهري بمسر ولا سقم
ويدل على كثرة تصفهم لهذا ما أنشدنا أبو الرديني
لا يَمقر النقبيل الا زبي * ولا يداوى من صميم الحب
الا احتضان ركب أذب * ينزع فيه الاير نزع الضب
والضب في صوانه محب
وأنشدنا أبو الرديني المكي الطارق وكنيته أبو سماك
أبو سماك أو لما تدرى * انى على مياسرى وعسرى
يكفيك أرفدى رجلا داوفا * ضخم المثلث صغير الاير
اذا تفسدى قال تمرى تمرى * كأنه بين الذرى والكسرى
ضب يضحي بمكان قفر

وقال اعرابي

قد اصطدت يا يقظان ضبا ولم يكن * ليصطاد ضب قبله بالحبائل
يظلل رعاء الشاء يرتضونه * حينئذاً ويجني بفضه للحلائل
عظيم الكشاه مثل العصبى اذا عدا * يفوت الضباب حسله فى السحائل

وقال الداني

انى لا رجو من عطايا ربي * ومن ولى العهد بهمد الغب
رومية أوج فيها ضبي * لها حر مستهف كالعقب
مستحصف نعم قران الرّب

وقال الآخر

إذا اصطاحوا على أمر تولوا * وفي أجوافهم منه ضباب

﴿وقال الزبرقان بن بدر﴾

ومن الموالى ضب جندلة * زمر المروة ناص الشبر
فالأول جمل أبره ضبا والثانى جمل الحقد ضبا وقال الخليل بن أحمد فى ظهر البصرة
مما يبلى مصر أنسى

زر وادي القصر نم القصر والوادي * لابد من زورة عن غير ميعاد
تري به السفن كالظمان واقفة * والضب والنون والملح والحادي
﴿ وقال في مثل ذلك ابن أبي عيينة ﴾

ياجنة فأت الجنان فما * يبلغها قيمة ولائمن
الفها فاتخذتها وطنا * ان فؤادي لأهلها وطن
زوج حيتانها الضباب بها * فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر فيما يطيف به * ان الأريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة * ومن نعام كأنها سفن
﴿ وقال عقبه بن مكرم في صفة الفرس ﴾

* ولها منخر اذا رفعته * في الحجارة مثل وجر الضباب

وأنشد

وأنت لو ذقت الكشا بالا كباد * لما تركت الضب يسمى باواد
﴿ وقال أبو حية النميري ﴾

وقربوا كل نبقاس فراسية * ابد ليس بها ضب ولا شرر

يقال كثير

ومحترش ضب العداوة بيننا * بحلو الرقاوش الضباب الخوادع
يقال كثير أيضاً

وما زالت رقاك تسلم ضفني * وتخرج من مكانها ضبابي
أما الذين ذموا الضب وأكاه وضربوا المثل به وباعضائه وأخلافه وأعماله فكان كما
ال التميمي

لكسري كان أعقل من تميم * ليالي فر من أرض الضباب
فأنزل أهله ببلاد ريف * وأشجار وأنهار عذاب
وصار بنو بنيهم بها ملوكا * وصرنا نحن أمثال الكلاب
فلارحم الاله صدي تميم * فقد أزرى بنا في كل باب

﴿ وقال أبو نواس ﴾

إذا ماتمعي أتاك مفاخرًا * فقل عد عن ذاك كيف أكلك للضب
تفاخر أبناء الملوك سفاهة * وبولك يجرى فوق سافلِكَ والكعب

﴿ وقال الآخر ﴾

خبذاهم ورؤي الله أرضهم * من كل منهمم الاحشاء ذى برد
ولا سقى الله أياما عنيت بها * بطن فلج على البوع فالعقد
مواطن من تميم غير معجزة * أهل الجفاء وعيش البؤس والصد
هم الكرام كريم الامر آفله * وهم سعد بما ياتي الى المعد
أصحاب ضب وربوع وحنظلة * وعيشة سكنوا منها على ضمد
ان يأكلوا الضب بأنوا مخضبين به * وزادها الجوع ان باتت ولم تصد
لو ان سعد الهاريف لمد ذمت * عنه كما دفعت عن صالح البلد
من ذاقارع سعدا عن مفازتها * ومن ينافسها في عيشها النكد

﴿ وقال في مثل ذلك عمرو بن الاثم ﴾

وتركنا عميرهم رهن ضبع * مساجبا ورهن طلس الذئاب
نزلوا منزل الضيافة منها * فقري القوم غلة الاعراب
* ورددناهم الى حرثهم * حيث لا ياكلون غير الضباب

﴿ وقالت المرية ﴾

جاؤا بحارشة الضباب كأننا * جاؤا بنت الحارث بن عباد
وقائلة هذا الشعر امرأة من بني مرة بن عباد وقال الخريم الكندي
لعمرى ما الى حسن أنحنا * ولا جئنا حميدًا يا بن أنس
ولكن ضب جنيدلة أنبا * مضبًا فى مضابيه بعس
فلما ان أنبناه وقلنا * بحاجتنا تلون لون ورس
وأض بكفه يحنك ضرسًا * يربنا انه وجم بفرس
فقلت لصاحبي أبه كزاز * وقت اسره أتراه يسمي

وقتنا هاربين مما جميعاً * نحاذر ان نزن بقتل نفس
وقالت عائشة بنت عثمان في أبان بن سعد بن العاصي حين خطبها وكان نزل أيلة
وترك المدينة

نزلت بيت الضب لأنت ضائر * عدواً ولا مستنفع أنت نافع
وقال جرير

وجدنا بيت ضبة في تميم * كبيت الضب ليس له سوارى
وقال آخر وهذا الشعر أيضاً في الضباب

ياضبع الاكراه ذات الشعب * والوئب للعتر وغير الوئب
غشني ولا تخشين الا سي * فاست بالطب ولا ابن الطب
ان لم أدع بينك بيت الضب * يضيق عن ذي العرك المنكب

وقال الفرزدق

لحي الله ما حسل غير أهله * ففاضبة عند الصفاة مكنون
فلو علم الحجاج عليك لم تبع * يمينك ماءً مسهلاً بينين
وأنشد زعمت بأن الضب أعمى ولم يفت * بأعمى ولكن فات وهو بصير
بل الضب أعمى يوم يخنس باسته * اليك بصحناء البياض غريو
وقالت امرأة في ولدها وتهجو أباه

وهبته من ذى ثقال خب * يقاب عينا مثل عين الضب
* ليس لمشوق ولا محب *

وقال رجل من فزارة

وجدناكم رأبا بنى أم فرقة * كاسنان حسل لا وفاء ولا غدر

وأنشد ثلاثون رأبا أو تزيد ثلاثة * يقاتلنا بالقرن ألف مقنع

الرأب السواء والمعني الاول يشبه قوله

سواس كاسنان الحمار فلا تري * لذى شبية منهم على ناشي فضلاً

وأنشد ابن الاعرابي

تبحت من سالفة ومن صدع * كأنما كشة ضب في صقع
 أراد صمق بالمين فقلب وقال الآخر
 * أعق من ضب وأفسي من ظرب *

وأنشد

بجاءت نهاب الدم ليست بضبة * ولا صلفع يلقى مراسا زميلها
 يقول لا تخدع الضب في جعره وأنشد ابن الاعرابي لجبار بن عبيد الله الدثلي جد أبي محضه
 يسهل لورأيته يوم الجفر * اذ هو يسمى بسنجبر للسور
 بري عن الصفو وبرى بالكدر * لآزددت منه قدرا على قدر
 بضحك عن نفر ذميم المكتشر * ولثة كأنها سير حور
 * وعارض كعارض الضب الذكر *

وأنشد السدري

هو القرنبا ومشى الضب تعرفه * وخصيتنا صرصراني من الابل
 والخال ذو نخم في الجري صادقة * وعائق يتعني مأبض الرجل
 واعلم حفظك الله تعالى قد اكتفت بالشاهد وتبي في الشعر فضلة مما يصلح للمذاكرة
 ولبعض ما بك الى معرفته حاجة فاصله به ولا أقطعه عنه وأنشد لابن لجأ
 وعزوى يرتى باسهم * تلاق بالصخر لزوق الارقم
 * لوسام الضب بها لم يسأم *

وقال اعرابي من بني تميم

تسخر مني ان رأيتني أحترش * ولو حرشت لكشفت عن حرش
 يزيد عن حرك قال وقال أبو شعبة

فلزمان جمعة لحاها * عادها الله وقد عادها

* ضبا كذا قد عظمت كشاهها *

وقال أبو شعبة وأنشدنا الاصمعي

اني وجدتك يا جرثوم من نفر * جرثومة اللؤم لا جرثومة الكرم

انا وجدنا بنى جـلان كاهـم * كساعـد الضب لا طول ولا عظم
وقال ابن ميادة

وانى لقيس من بغيض ناصر * اذا أسد كشت لفخر ضبابها
وفى هذه القصيدة يقول

ولو أن قيسا نيس عيلان أنسمت * على الشمس لم تطاع عليك حجابها
وهذا من شكل بشار

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أوقطرت دما
وأشـد لأبى الطمـحان

مهلا عمير فانكم أمسيتم * منا بفر ثنية لم تستر

سودا كأنكم ضباب حطيطة * مطر البلاد وحرها لم يبطر

يجبون بين أجا وبرقة عاج * حبوا الضباب الى أصول السخبر

وتركتم نصب الشريف طواميا * تهوى ثنيته كهين الاعور

وقال العث واسمه زيد بن معروف للضب غلام زنبيل عـلام وقد رأيت من يسمي
عيرا ونورا وكلبا ويربوعا فلم نر منهم أحداً شبه المير ولا الثور ولا السكب ولا
اليربوع وأنت قد تفلت الضب حتى لم تغادر منه شيئاً فاحتمل ذلك عنه فلما قال
ومن دعوه باسم لا يناسبه * فأت والاسم شر فوفه طبق

فقال ضب لث

ان كنت ضبا فان الضب محتبل * والضب ذو ثمن فى السوق معلوم

وليس لاث صـياد يراوغه * ولست شيئاً سوي قرص وتقايم

— القول فى سن الضب وعمره —

أشـد الاصمى وغيره

تعلقت واتصت يـمـكل * حصى وهزت رأسها تشبلى

تسثنى من السنين كم لى * فقلت لو عمرت عمر الحسل

أو عمر نوح زمن الفطحل * والصخر مبتل كطين الوحل

صرت رهين هرم أو قتل

وهذا الشعر يدل على طول عمر الحسل لأنه لم يكن ليقول

أو عمر نوح زمن الفطحل * والصخر مبتل كطين الوحل

ألا وعمر الحسل عنده أطول الأعمار وروى ابن الأعرابي عن بعض الأعراب أن سن الضب واحدة أبدا وعلى حال أبدا فكانه قال لا أفعلها مادام سنها كذلك لا ينقص ولا يزيد وقال زيد بن كثيره سن الحسل ثلاثة أعوام وزعم أن قوله مثلا لا أفعله سن الحسل غلط وليكن الضب طويل العمر إذا لم يمرض له أمر وسن الحسل مثل سن القلوص ثلاث سنين حتى يلقح ، ولو كانت سن الحسل على حالة واحدة لعرف الأعراب الفتى من الذكى وقد يكون الضب أعظم من الضب وليس بأكبر منه سنا قال ولقد نظرت يوما إلى شيخ لنا بقر ضبا حجلا قد اصطاده فقالت له لم تفعل ذلك فقال أرجو أن يكون هرما قال وزعم عمرو بن مسافر أن الضبة تبيض ستين بيضة فإذا كان ذلك سدت عليهن باب الحجر ثم تدعن أربعين يوما فيتفقص البيض ويظهر ما فيه فتحفر عنهن عنده ذلك فإذا كشفت عنهن أحضرن وأحضرت في أثرهن تأكلهن فيحفر المنفلت منها نفسه حجرا ويرعى من البقل ، قال ويبض الضب شبيهه ببيض الحمام قال وفرخه حين يخرج يخرج كيسا خبيثا مطيقا للكسب وكذلك ولد العقرب وفراخ البط وفراريج الدجاج وولد العناكب وقال زيد بن كثيره مرة بعد ذلك إن الضب يثبت سنه معه ويكبر مع كبر بدنه فلا يزال أبدا كذلك إلى أن ينتمى بدنه منتهاه قال فلا يدعى حسلا إلا ثلاث ليال فقط وهذا القول يخالف القول الأول وأنشد

مهرتها بعد المطال ضبين * من الضباب سخيلين سبطين

نعم لعمر الله مهر العرسين

أنشدني ابن فضال أمهرتها وزعم أنه كذلك سمها من أعرابي ، وقد يمكن أن يكون الحسل لابنئى ولا يرفع فتكون أسنانه أبدا على أمر واحد ويكون قول الحجاج في

طول عمره حقا ويدل على أن أسنانه على ما ذكره قول الفزاري

وجدنا كم رأيا بنى أم فرقة * كاسنان حسل لا وفاء ولا غدر

يقولون لازيادة ولا نقصان وقال زيد بن كشيبة المزي قال العنبري وهو أبو يحيى مكثت في عنقوان شبيبي وربمان من ذلك أربع ضبا وكان ببعض بلادنا في وشاز من الارض وكان عظيما منها منكرآ ما رأيت مثله فكثت دهرأ أربعة فما أقدر عليه ثم اني هبطت الى البصرة فأقت بها ثلاثين سنة ثم اني والله كررت راجما الى بلاددي فرزت في طريقي بموضع الضب معتمدا لذلك فقلت والله لأعلمن اليوم علمه ومادهري الا أن أجعل من جلده عكة للذي كان عليه من افراط العظم فوجهت الرواحل نحوه فاذا به محترشا على تلمة فلما سمع حس الرواحل ورأى سوادا مقبلا نحوه سر مسرعا نحو جحره وفاتى والله الذى لاله الا هو وقال ابن الاعرابي أخبرني ابن فارس بن ضيمان الكلابي أن الضبة يكون بيضا في بطنها وهو مكنها ويكون بيضا متسقا فاذا أرادت أن تبيضه حفرت في الارض أدحيا مثل أدحى النعامة ثم ترمى بيضا في ذلك الأدحى وتدفنه بالتراب وتدعه أربعين يوما ثم تجي بعد الأربعين فتبعث عن مكنها فاذا حملته يتعادين فتأكل ما قدرت عليه ولو قدرت على جميعهن لأكثرهن قال ومكنها جلد لين فاذا يست فهي جلد فاذا شويتها أو طبختها وجدت لها محاكح بيض الدجاج، قال والضبة تقاتل الحية وتضربها بذنبها وهي أخشن من السفر وهو سلاحها وقد أعطيت فيه من القوة مثل ما أعطيت العقارب في ابرتها فربما تقطعها بضربة أو قتلها أو قتلها وذلك اذا كان الضب ذبالا مذنبا واذا كان مرأسا قتلته الحية والتذنب ان الضب اذا أرادت الحية الدخول عليه في جحره أخرج الضب ذنبه الي ثم جحره ثم يضرب به كالخراق يمينا وشمالا فاذا أصاب الحية فطمها والحية عند ذلك تهرب منه والمرأسة أن تخرج الرأس وتدع الذنب وتكون غمزأ فتعضه الحية فتقتله، قال أمكنت الجرادة فهي تمكن امكانا اذا جمعت البيض في جوفها واسم البيض المكن والضبة مكون فاذا باضت الضبة والجرادة قيل قد سرأت والمكن والسراء والبيض كان في بطنها أم بعد ان تبيضه وضبة سرو وكذلك الجرادة تسرأ

سرها حين تلقى بيضها وهي حينئذ ثقاة وتقول رزت الجرادة ذنبها في الارض فهي ترز رزاً وضربت بذنبها الارض ضرباً وذلك اذا أرادت أن تلقى بيضها ويقولون ذئبة السخبر وشيطان الحماطة وأرنب الخلة وتيس الريل وضب السحما والسجا بقلة يحسن حاله عنها ويقال هو قنفذ برقة اذا أراد ان يصفه بالخبت وما أكثر ما يذكرون الضب اذا ذكروا الصيف مثل قول الشاعر

* سار أبو مسلم عنها بصرمته * والضب في الجحر والمصفور مجتمع

وكما قال أبو زيد

أي سباع ساع ليقطع شربي * حين لاحت للصباح الجوزاء
وأستكن المصفور كرها مع الضب * وأوفى في عوده الحرباء *

وأشد الأصمى

تجاوزت والمصفور في الجحر لاجي * مع الضب والشقذان يسمو صدورها

قال والشقذان الحرابي قوله يسمو أي يرتفع والشقذان جمع شقذ بكسر الشين واسكان القاف والجمع شقذان بتحريك القاف وتقول الاعراب خاصم الضب الضفدع في الماء أيهما أصبر وكان للضفدع ذنب وكان الضب ممسوح الذنب فلما غلبها الضب أخذ ذنبها فخرج في الكلاء فصبرت الضفدع يومان فنادت يا ضب وردا وردا فقال الضب

اصبح قاي صردا * لا يشتهي أن يردا

الاعرارا غردا * وصليانا لبددا

فلما كان اليوم الثالث نادت يا ضب وردا وردا فلما لم يجبه ابادرت الى الماء واتبعها الضب فأخذ ذنبها فقال في تصدق ذلك ابن هرمة

لم تارق لضوء البر * ق في أسحهم ملاح *

كأعناق نساء الهند * مدفد شيت بأوضح

يوم البرق كالراجف * بزجي خلف اطلاق

كان العازف الجني * أو أصوات أنواح

على أرجائها النـر * يهـديها بمصـباح
 فقال الضب للضفد * ع في يـداء فـرواح
 تأمل كيف تنجو اليوم * من كرب واطراح
 * فاني سـابح ناج * وما أنت بسـباح
 فلما رق أنف المـز * ن أبدي خير إرواح
 وسح الماء من مستح * لب بالماء سـحاح
 رأي الضب من الضفد * ع عوما غير منجاح
 وحط العظم يهويها * نجوح غير نساح
 ثقال المشي كالسكران * ن يمشى خلفه الصاحي

ثم قال في شأن الضفد والضب الكميث بن ثعلبة

على أخذها يوم غب الورو * د ويوم الحكومة أذناها
 وقال عبيد بن أيوب

ظلت وناقتي نضوى فلاة * كفرخ الضب لا يبنى ورودا
 أبو زياد قال الضب لصاحبه

اهدموا بيتك لا أبالكا * وزعموا أنك لا أخالكا

وأنا أمشي الحبكا حوالكا

وتقول العرب أروى من الضب لان الضب عندهم لا يجناح الى شرب الماء واذا
 هزم اكتفى ببرد النسيم وعند ذلك تفتى رطوبته فلا يبقى فيه من الدم ولا مما يشبه
 الدم شيء وكذا الحية فاذا صارت كذلك لم تقبل بلعاب ولا بمجاج ولا بمخالطة ريق
 وليس الا بمخالطة عظم السن لدماء الحيوانات وأنشد

لمهيمة من حنش أعمي أصم * قد عاش حتى هو لا يمشى بدم

* فكل ما أفضل منه الجوع شم *

وأما صاحب المنطق فانه قال باضطرار انه لا يمشى حيوان الا وفيه دم أو شيء يشا كاه
 الدم والضب تزلفه من جحره أمور منها السيل وربما صبوا في جحره قربة من ماء

فأزلقوه به وأنشد أبو عبيدة

يزلق الضب ويخفيه كما * تزلق السيل برابيع النفر

يخفيه مفتوحة الياء ، وتزلقه حوافر الخيل ولذلك قال امرؤ القيس

خفاهن من انفاهن كأنما * خفاهن ودق من سحاب مركب

تقول خفيته أخفيه خفيا إذا أظهرته وأخفيته اخفاء إذا سترته وقال ابن أحرر

فان تدفنوا الداء لا تخفه * وان تبعثوا الحرب لا تنعمد

ولا بد من أن يكون وقع الحوافر هدم عليها أو يكون أفزعها فخرجت وأهل الحجاز

يسمون النباش الخفي لأنه يستخرج الكفن من التبر ويظهره وحكوا عن بعض

الاعراب أنه قال ان بني عامر قد جعلوني على حيدرة أعينها تريد أن تخني دمي أي

تظهره وتستخرجه كأنها إذا سفحته وأرأفته فقد أظهرته وأنشد أبو عبيدة

ديمة هطلاء فيها وطف * طبق الارض تحرى وتدر

تخرج الضب اذا ما سحرت * وتواريه اذا ما تمكر

وترى الضب دقيفا ما هرا * ناييا برئنه ما ينعقر

وكان أبو عبيدة يقدم هذه القصيدة في الضب على قصيدة عبيد بن الأبرص وأوس

ابن حجر قال أحدهما فيها

دان مسن فوبق الارض هيدبه * يكاد يدفعه من قام بالراح

فن بنجوته كمن بمقوته * والمستكن كمن يمشى بقرواح

وانا أتعجب من هذا الحكيم ، ومما يضيفون الى هذه الضباب من الكلام مارواه

الأصمى في تفسير المثل وهو قولهم هذا أجل من الحرش لان الضب قال لابنه اذا

سمعت صوت الحرش فلا تخرجن قال والحرش تحريك اليد عند جمع الضب ليخرج

ويرى أنه حية قال فسمع الحسل صوت الحفر فقال للضب يأت هذا الحرش قال

يا بني هذا أجل من الحرش فارسلها مثلا وقال الكمي

يؤلف بين ضفدعة وضب * ويمجب ان نهر بني أبينا

﴿ وقال في الضب والنون ﴾

ولو أنهم جاؤا بشئ مقارب * لشيء وبالشكل المقارب للشكل
ولكنهم جاؤا بمحبتان لجة * قوامس والمكني فينا أبا حسل

﴿ وقال الكمي ﴾

وماخت الضباب معطفات * على الحيتان من شبه الحسول

وقال آخر

* حتي يؤلف بين الضب والنون *

قال ويقال أضبت ارض بنى فلان اذا كثرت ضبابها وهذه ارض مضبة وارض بنى
فلان مضبة مثل فئرة من الفأر وجرذة من الجرذان ومحواة من الحيات وجرذة من
الجراد وسرفقة من السرفقة ومأسدة من الاسود ومثملة من الثعالب لأن الثعالب يسمى
ثعالة والذئب ذؤالة ويقال ارض مذبة من الذباب وذئبة من الذئب ، ويقال في الضب
وقعنا في مضاب منكورة وهي قطع من الارض تكثر ضبابها قال ويقال ارض مربعة كما
يقال مضبة اذا كانت ذات يرايع وضباب واسم بيضها المكن والواحدة مكنة ويقال
لفرخه اذا خرج حسل والجميع حسلة وأحسول وحسول وهو حسل ثم مطبخ ثم
غيداق ثم حجل والحسل السهل ماعظم منها وهو في ذلك كله ضب وبعضهم يقول
غيداقا ثم يقول مطبخا ثم يكون ضبا ثم يكون حجلا وهو العظيم ثم هو حصرم ثم
يكون ضبا وهذا خطأ وهو ضب قبل ذلك وقال الراجز

بنى الفياديق عن الطريق * يلص عنه بيضه في نيق

ويقال أضل من ضب والضلال سوء الهداية يكون في الضب والورل والديك واذا
غير الحرلون جلد الضب فذلك أشد ما يكون من الحر وقال الشاعر

وهاجرة تنهي علي الضب جلده * نطمت حشاها بالعريبية الصهب

وفي المثل درج الضب وفي المثل يعلمني بضب أنا حرشته وهذا أجل من الحرش
وأضل من ضب وأخب من ضب وأردى من ضب وأعق من ضب وأحيامن ضب
وأطول ذماء من ضب وكل ضب عند مردانه ويقال أقصر من ابهام الضب كما يقال
أقصر من ابهام القطاة وقال ابن الطثرية

* ويوم كاهن القطة قطمته *

ومن أمثالهم لا آتيك سن الحسل وقال العجاج * نمة لا آتية سن الحسل *
كأنه قال حتى يكون مالا يكون لان الحسل لا يستبدل بأسنانه اسنانا وزعم أن اسنان
الدين ممطولة في فكيه وأنشد

أنيابه ممطولة في فكين

وليس هذا الشعر دليلاً على ما قال لان الشاعر يشنع الصفة اذا مدح أو هجا وقد
يجوز أن يكون ما قال حقاً فأما ما قال عبد الصمد بن علي فانه لم يشعر ودخل القبر
باسنان الصبا وقد يقال للضب والحية والورل وما أشبه ذلك فح بفتح خيما والفتحيج
صوت الحية من جوفها والكشيش والقشيش صوت جلدها اذا حكتم بمضه ببعض
وليس كما قال ليس يسمع صوت احتكاك الجلد بالجلد الا للأفمى فقط وقد قال رؤبة
خفي فلا أفرق أن تفجي * وأن ترحي كرحي المرحي

ويكتب في باب حب الضب للتمر حديث ابن عمرو الانصاري رووه من كل وجه
أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل من أهل الطائف الحيلة أفضل أم النخلة
قال بل الحيلة أتربها وأشمسها واستظل في ظلها واطبخ برمتي منها قال عمر يأتني ذلك على
الانصاري دخل أبو عمرة عبد الرحمن بن محسن الانصاري فقال له عمر الحيلة أفضل
أم النخلة قال الزبيب ان آكله أضرس وان أتركه أغرت قال ليس كالبسر في رؤس
الدقل والراسخات في الوحل المطعمات في المحل خرمة الصائم ونجمة الكبير وضمة
الصفير وخرسة مريم ويحترس به الضباب من الصلحاء يعني الصحراء قال ويقال في
الضب حلام وفي اليربوع جفرة والجفرة التي قد انتفخ جنباتها وشربت والحلا
فوق الجدى وقد صلح أن يذبح للسنك والحلان بالنون الجدى الصفير الذي لا يصعب
للنسك وقال ابن أحر

تهدى إليه ذراع الجدى تكرمه * اما ذبيحاً واما كان حلاًناً

والحلوان والحلان جميعاً رشوة الكاهن وقد نهى عن زيد المشركين وحلوان الكاهن

وقال مهمل

كل قتيل في كليب حلام * حتى ينال القتل آل همام
 وقال الاصمعي قال أعرابي يهزأ بصاحبه اشترى شاة فلما كأنها تضحك مندانة
 خاصرتهاا كأنها في محمل لها ضرع أرقط كأنها ضبة قال وكيف العضل قال أولهذه
 عضل قال وسأل مدني أعرابياً قال أتأكلون الضب قال نعم قال فإليربوع قال نعم
 قال فالقنفذ قال نعم قال أفأكلون أم حنين قال لا قال فليمن أم حنين العافية قال
 فراس بن عبد الله الكلبي

لما خشيت الجوع والارمالا * ولم اجد بشو لها أيا لا *
 أبصرت ضباً دخنا مختالا * أوقد فوق حجره وزالا
 فدب لي يختاني اختيالا * حتى رأيت دوني القذالا
 وميلة مامات حنين مالا * فدهشت كفاي فاستطالا
 مني فلا نزع ولا ارسالا * فجاحد وبرأ الأوصالا
 مني ولم أرفع بذاك بالا * لما رأت عيني كساجدالا
 متى ترسيت لها الاقبالا * ورحت منه دخنا ذالا

﴿ أسماء لعب الأعراب ﴾

النفيرا وعظيم وضاح والخطوة والدارة والشحمة الحلق ولعبة الضب فالنفيرا أن يجمع
 يديه على التراب في الارض الى أسفله ثم يقول لصاحبه اشته في نفسك فيصيب
 ويخطي وعظيم وضاح أن تأخذ بالليل عظما أبيض ثم يرمي به واحد من الفريقين فان
 وجده واحد من الفريقين ركب أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه
 الى الموضع الذي رموا به والخطوة أن يعملوا مخرافا ثم يرمي واحد منهم من خلفه الى
 الفريق الآخر فان عجزوا عن أخذه رموا به اليهم فان أخذوه ركبوهم والدارة هي
 التي يقال لها الخراج والشحمة أن يعضى واحد من أحد الفريقين بغلام فيتنحون ناحية
 ثم يقبلون ويستقبلهم الآخرون فان منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر
 فقد غلبوه عليه ويدفع الغلام اليهم وان لم يمنعوه ركبوهم وهذا كله يكون في

إلى الصيف عن غب ربيع مخصب ولعبة الضب أن يصوروا الضب في الأرض ثم يحول واحد من الفريقين وجهه ثم يضع بعضهم يده على شيء من الضب فيقول الذي يحول وجهه أنف الضب أو عين الضب أو ذنب الضب أو كذا وكذا من الضب على الولا، حتى يفرغ فإن أخطأ ما وضع عليه يده ركب وركب أصحابه وإن أصاب حول وجهه الذي كان وضع يده على الضب ثم يصير هو السائل، ويقول الأطباء إن خرم الضب صالح للبياض الذي يصير في العين والاعراب ربما تداووا به من وجع الظهر وناس يزعمون أن أكل لحم الحيوان المذكور يطول العمر ويزيد في العمر فصدق بذلك ابن الحارثي وقال هذا كما تزعمون إن أكل الكلية جيد للكلية وكذلك الكبد والطحال والرئة واللحم ينبت اللحم والشحم ينبت الشحم فغير بذلك سننه وليس يأكل إلا قديد حمر الوحش والورشان والضباب وكل شيء قدر عليه مما يقضى له بطول العمر فانتقض بذلك وكاد يموت فعاد به إلى غذائه الأول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

— القول في تفسير قصيدة البهراني —

فاذا فرغنا منها ذكرنا ما في الحشرات من المنافع والاعاجيب والروايات ثم ذكرنا قصيدة أبي سهل بشر بن المعتز في ذلك ونسبنا ما فيها من أعاجيب ما أودع الله تعالى هذا الخلق وركبه فيهم إن شاء الله تعالى وبالله تبارك وتعالى أستعين أما قوله
مسخ الما كسين ضبعاً وذئباً * فلهذا تناجلا أم عمرو
فإن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار في البر والبحر وفي أسواقهم المكس وهي ضريبة كانت تؤخذ منهم وكانوا يضمونهم في ذلك ولذلك قال التغلبي وهو يشكو ذلك في الجاهلية ويتوعد وهو قوله

الاستحجي مناملوك وتقي * محارمنا لا يبرأ الدم بالدم

وفي كل أسواق العراق إتاوة * وفي كل ماباع أمرؤ مكس درهم

والإتاوة الخراج والأرحان كله شيء واحد وقال الآخر

أكلن المعلى خلتنا أم حسبتنا * صواري تعطى الماكسين مكوسا
وقال الاصمعي في ذكر المكس والسفن التي كانت تمشى في قصيدته التي ذكر فيها
من أهلك الله تعالى من الملوك ومصم من الجبابرة وأباد من الأمم الخالية فقال
أعلقت تبعاً حبال المنون * وأنتحت بعمه على ذي جدون
وأصاب من بعدهم آل هوما * س وعادت من بعد للساطرون
ملك الحضرة والفرات فنادجلة * شرقاً فالطود من عابرين
كل حمل يمر فوق بيمير * فله مكسه ومكس السفين
والاعراب تزعم أن الله تعالى لم يدع ما كسا إلا أنزل به بلية وأنه مسح منهم اثنين
ضبعاً وذبياً فلهم القرابة تسافدا وتناجلا وان اختلفا في سوى ذلك ومن ولدهما السمع
والمسبار واتما اختلفتا لان الام ربما كانت ضبعاً والاب ذبياً وربما كانت الام ذبياً
والاب ذيباً والذبيح ذكر الضباع وأما قوله

بمث الذر والجراد وقفي * بنجيع الرعاف في حي بكر
فان العرب تزعم ان الله تعالى قد أهلك بالذرائما وقد قال أمية بن أبي الصلت
أرسل الذر والجراد عليهم * وسنيننا فاهلكهم ومورا
ذكر الذرانه يفعل الش * مروان الجراد كان ثبوراً
واما قوله وقفي بنجيع الرعاف في حي بكر فانه يريد بكر بن عبد مناة لان كنانة بنزولها
مكة كانوا لا يزالون يصيبيهم من الرعاف ما يصير شبيها بالمونان وبجوارف الطاعون
وكان آخر من مات بالرعاف من سادة قريش هشام بن المغيرة وكان الرعاف
من منايا جرهم أيام جرهم فأما قوله

خرقت فارة بأنف ضئيل * عرما محكم الاساس بصخر
قال الله عز وجل فأرسلنا عليهم سليل العرم والعرم المسناة التي كانوا أحكموا عملها
ليكون حجازاً بين ضيعهم وبين السيل ففجرت فارة فكان ذلك أعجب وأظهر في
العجوبة كما أثار الله تعالى عز وجل ماء الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت
في العبرة وأعجب في الآية ولذلك قال خالد بن صفوان لليمانى الذي نخر عليه عند

المهدي وهو ساكت فقال له المهدي ومالك لا تقول قال وما أقول لقوم ليس فيهم
الا داغ جلد وناسج برد وسانس فرد وراكب عرد غرقتهم فارة وملاكتهم امرأة
ودل عليهم هدهد وأما قوله

فخرته وكان جيلان عنه * عاجزاً لو يزومه بمد دهر
فان جيلان فعلة الملوك وكانوا من أهل الجبل وأنشد الاصمعي
أرسل جيلان ينحتون له * سائداً ما بالحديد فانصدعا

﴿ وأنشد ﴾

وتبني له جيلان من تحتها الصفا * فصوراً تعالي بالصفيح وتكلس
وأنشد لامرئ القيس
أتيح له جيلان عند جذاده * وردد فيه الطرف حتى تحيراً
يقول فخرته فارة ولو أن جيلان أرادت ذلك لامتنع عليها لان الفارة انما خرقتها لما
سخر الله تعالي لها من ذلك العزم وأنشدوا
من سببا الحاضرين مأرب اذ * ينون من دون سيله العرما
ومارب اسم لقصر ذلك الملك ثم صار اسماً لذلك البلد ويبدل على ذلك قول أبي الطمجان القيني
الأ تري ماربا ما كان أحصنه * وما حواله من سور وبنيان
ظل العبادي يسقي فوق قلته * ولم يهب ريب دهر عرق خوان
حتى تناوله من بعد ما جمعوا * يرمى اليه على أسباب كتان
وقال الاعشي

ففي ذاك للمؤتسي اسوة * ومأرب عفا عليه العرم
رخاء بنته له حمير * اذا جاء مأوهم لم يرم
فأودى الحدوث وأعنانها * على ساقه مأوهم ذو قسم
فطار الفيول وفيالها * بتياء فيها شراب لطم
فكانوا فداء لكم خفية * فقال بهم جارف منهمدم
فطاروا سراعا وما يقدر * ن منه لشرب صبي فطم

وأما قوله

مسخ الضب في الجدالة قدما * وسهيل السماء عمداً بصفر
فإنهم يزعمون ان الضب وسهिला كانا ما كسين عشارين فمسخ الله أحدهما في الارض
والآخر في السماء والجدالة الارض ولذلك يقال ضربه جُدله أى الزقه بالارض أى
بالجدالة وكذلك قول عنتره

وخليل غانية تركت مجدلاً * تمكوف ريصته كشدق الاعلم
وأنشده أبو زيد سعيد بن أوس الانصارى
قد أركب الجالة بعد الجاله * وأترك العاجز بالجداله

وأما قوله

والذي كان يكتني برغال * جعل الله قبره شرفه
وكذا كل ذى سفين وخرج * ومكوس وكل صاحب عشر
وانما ذكر أبارغال وهو الذى يرحم الناس قبره اذا أتوا مكة وكان وجهه فيما يزعمون
النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات الاموال يخالف أمره وأساء السيرة فوثب
عليه ثقيف وهو قسي بن منبه فقتله قتلاً شديداً وانما ذلك لسوء سيرته في أهل الحرم
فقال غيلان بن سامة وذكر نسوة أبيه على أبي رغال
* نحن نسي وقسا أبونا *

وقال أمية بن أبي الصلت

نفوا عن أرضهم عدنان طراً * وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبارغال * بنخلة اذ يسوق بها الظمينا
وقال عمرو بن درك العبدي وذكر فجور أبي رغال وخبيثه فقال
وأنى ان قطعت جبال فيس * وحالفت المـزون على تميم
لأعظم جفرة من ابى رغال * وأجور في الحكومة من سدوم
وقال مسكين

وأرجم قبره في كل عام * كرجم الناس قبر أبي رغال

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لغيلان بن سلمة حين أعتق عبده وجعل
ماله في رناج الكعبة لئن لم ترجع في مالك ثم مت لأرجن تبرك كما رجم قبر أبي رغال
وكلاما غير هذا قد كلفه به وأما قوله

منسكب كافر وأشرط سوء * وعريف جزاؤه حر جر

فانه ذهب الى أحكام الاسلام كأنه كان قد لقي من المنسكب والعريف جهدا وهم

ثلاثة منسكب ونقيب وعريف وقال جيبهء الاشجى

رعاع عاوت بكرأ عليه * كما جعل العريف على النقيب

وأما قوله

وتزوجت في الشيبية غولا * كنفزال وصدفتى زق خمر

فالقول اسم لكل شئ من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والخياب
ذكريا كان أو أنثى إلا أن الأكثر على أنه أنثى وقد قال أبو المضراب عبيد بن أيوب

العنبرى

وحالفت الوحوش وحالفتنى * بقرب عهدهن وبالبعاد

وأسمى الذئب يرصدنى محمأ * خلفه ضربتى والضعف آدى

وغولا فقرة ذكر وأنثى * كان عليهما قطع البجاد

جعل في الغيلان الذكر والأنثى وقد قال الشاعر في تلونها

وما تزال على حال تكون بها * كما تلون في أنوابها الغول

فالقول ما كان كذلك والسملة اسم لواحدة من نساء الجن تقول لتفتن السفار

قالوا وإنما هذا منها على العبث أو لعلها أن تفرع انسانا فيتمير عقله من أجله عند ذلك

لانهم لم يسلطوا على الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدؤا بمل بن أبي طالب وحمزة بن

عبد المطلب وأبي بكر وعمر في زمانهما وغيلان والحسن في دهرهما وبواصل وعمر وفي

أيامهما وقد فرق بين الغول والسملة عبيد بن أيوب حيث يقول

وساخرة منى ولو أن عينها * رأت ما ألقىه من الهول جنت

أزل وسملة وغول بفترة * اذ الليل واري الجن فيه أرنت

وهم اذا رأوا الفئاة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة ممشوقة محضة قالوا سمعلاة
وقال الأعشي

ورجال قنلى يجنبى أريك * ونساء كأنهن السعالى

ويقولون تزوج عمرو بن يربوع السمعلاة وقال الراجز

* يا قاتل الله بنى السمعلاة *

وفي تلون السمعلاة يقول عباس بن مرداس السلمى

أصابت القوم غول جل قومهم * وسط البيوت ولون الغول ألوان

وهم يتأولون قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد وقوله عز وجل لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان فلو كان الجان لم يصب فيهن قط. ولم تأهن ولا كان ذلك مما يجوز
بين الجن وبين النساء الا دميات لم يقل ذلك وتأولوا قوله وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن فجل منهم النساء اذ جعل منهم الرجال وقوله
أخذونه وذريته ، وزعم ابن الاعرابي قال دعا اعرابي ربه فقال اللهم انى أعوذ بك من
عفاريت الجن اللهم لا تشركهم فى ولدى ولا جسدى ولادمي ولا مالى ولا تدخلهم
بنتى ولا تجعلهم لى شركاء فى أمر الدنيا والآخرة قالوا ودعا زهير بن هنيذ فقال اللهم
لا تسلطهم على نطفى ولا على جسدى قال أبو عبيدة فقيل له لم تدعو بهذا الدعاء قال
وكيف لا أدعوه به وأنا أسمع أيوب النبي والله تعالى يخبر عنه ويقول واذا ذكر عبدنا
أيوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب حتى قيل له اركض برجلك
هذا مفتسل بارد وشراب وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله يقول الذين يأكلون
الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يخبطه الشيطان من المس وأسمعه يقول واذا زين
لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت العثنان
نكص على عقبه وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون وقد جاءهم فى صورة الشيخ
النجدى وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله يقول ولقد جعلنا فى السماء بروجا
وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبه شهاب
مينين وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله تعالى يقول واسمايان الريح غدها

شهر ورواحها شهر وأسلناله عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ثم قال يعملون له مايشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وكيف لا أستعبد بالله منه وأنا أسمع الله تعالى يقول قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين وكيف لأقول ذلك وأنا أسمع الله عز وجل يقول رب اغفرلى وهبلى ملكا لا يذنبنى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد، والأعراب يتزيدون فى هذا الباب وأشياء الأعراب يغلطون فيه وبعض أصحاب التأويل يجوز فيه ما لا يجوز وقد قلنا فى كتاب النبوات بما هو كاف ان شاء الله تعالى وسيقع فى هذا الباب الجواب فيه تماماً اذا صرنا الى القول فى الملائكة وفى فرق ما بين الجن والانس وأما هذا الموضوع فانما مغزانا فيه الاخبار عن مذاهب الأعراب وشعراء العرب ولولا العلم بالكلام وبما يجوز مما لا يجوز لكان فى دون إطباقهم على هذه الاحاديث ما يغلط فيه العاقل ، قال عبيد بن أبوب وكان جوالا فى مجهول الارض لما اشتد خوفه وطال ترده وأبمد فى الهرب

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقات عدو أو طليمة معشر
فان قيل أمن قات هذى خديمة * وان قيل خوف قات حقاً فشمير
وخفت خليلي ذا الصفاء ورباني * وقيل فلان أو فلانة فاحذر
فله در الفول أي رقيقة * لصاحب ففر خائف متفر
أرنت بلجن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وتزهى
وأصبحت كالوحشى يتبع ما خلا * ويطلب مانوس البلاد المبعثر

وفى هذا الباب فى كلمة له وهذا أولها

اذننى طم الامن أوصل حقيقة * محلى فان قامت ففصل بناينا
خامت فؤادى فاستطير فأصبحت * ترامي به البيد القفار تراميا
كأنى وآجال الطباء بقفرة * لنا كذب نرعاه أصبغ راينا
وأين ضئيل الشخص يظهر مرة * وبخني مراراً ضامر الجسم عاريا

فأجفان نقرأ ثم فلان ابن بلدة * قابل الاذي أمسى لكن مصافيا
 ألا يا ظباء الوحش لا تشهرني * وأخفيني ان كنت فيكن خافيا
 أكلت عروق الشرى ممكن والتوى * بحاق نور الففر حتى روانيا *
 ومنهن قد لا لقيت ذلك فلم أكن * جباناً اذا هول الجبان اعترانيا
 أذمت المنايا بمضهن بأسهمى * وقد دن لحي وامتشقن رداًياً
 ابيت ضجيع الاسود الجوز في الهوى * كثيراً وأبناء الحشيش وساديا
 اذا هجن بي في جحرهن اكتشفني * فليت سايمان بن وبر يرانيا
 فازلت مذ كنت ابن عشرين حجة * أبا الحرب مجنيا على وجانيا

ومما ذكر فيه الفيلان قوله

تقول وقد ألمت بالانس لمة * مخضبة الاطراف خرس الخلاخل
 أهذا خليل الغول والذئب والذي * يهيم بربات الجبال الكواهل
 رأيت خلق الادراس أشعث شاحباً * على الجذب إساما كريم الشمائل
 تعود من آبائه فتككاتهم * واطعامهم في كل غبراء شامل
 اذا صاد صيداً لفته بطرامة * وشيكا ولم ينكر لنصب المراحل
 ونهسا كنهس الصقر تم طراسه * بكفيه رأس الشبيخة المتمايل
 فلم يسحب المنديل بين جماعة * ولا فاردأ مذ ضاع بين القوابل

ومما قال في هذا المعنى

علام ترى ليلى تمذب بالمني * ابا فقرات كان بالذئب يأنس
 وصار خليل الغول بمد عداوة * صفيا وربته القفار البساس

وقال في هذا المعنى

فلو لا رجال يامنيع رأيهم * لهم خلق عند الجوار حميد
 أنالكم مني نكال وغارة * لها ذنب لم تدركوه بعيد
 أقل بنو الاحسان حتى أغرتم * على من يثير الجن وهي هجود

وقال ابن الاعرابي وعدت اعرابية اعرابياً أن يأتيها فكمن في عشرة كانت بقربها فنظر

الزوج فرأى شبحاً في العشرة فقال يا هناه ان انسانا ايطاليا من العشرة قالت مه يا شيخ
 ذاك جان العشرة اليك عني وعن ولدي قال الشيخ وعني برحمك الله قالت وعن
 أبيهم فما هو الا ان غطى رأسه فرقد ونام الشيخ وجاء الاعرابي فرفع رجلها ثم أعطاها
 حتى رضيت، وروى عن محمد بن الحسن بن مجالد أو غيره قال كنا عند الشعبي جلوسا
 فرحمال على ظهره دن خـل فلما رأني الشعبي وضع الدن وقال للشعبي ما كان اسم
 امرأة ابليس قال ذلك نكاح ما شهدناه وأبو الحسن عن أبي اسحاق المالكي قال قال
 الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاصي أخبرني عبد الله بن هلال صديق ابليس أنك تشبه
 ابليس قال وما ينكر الامير ان يكون سيد الانس يشبه سيد الجن وروى الهيثم عن داود بن
 أبي هند قال سئل الشعبي عن لحم الفيل فتلا قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً
 على طاعم يطعمه الى آخر الآية وسئل عن لحم الشيطان فقال نحن نرضى منه بالكفاف
 فقال له قائل ما تقول في الذبان قال ان أشتهيته فكاه وأنشدوا قول أعرابي لامرأته

الانتموتين إنا نبغني بدلا * ان اللواتي يموتن الميامين

وقال أبو الحسن وغيره كان سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد تصيبه موتة نصف
 سنة ونصف سنة يصح فيحبو ويعطي ويكسو ويحمل فأراد أهله أن يمالجوه
 فتكلمت امرأة على لسانه انارقية بنت ملحان سيد الجن والله ان لو علمت مكان رجل
 أشرف منه لماقته والله لئن عالجتموه لاقتلنه فتركوا علاجه وتقول العرب شيطان
 الحماطة وغول الففرة وجان العشرة وأنشد

فانصلت لي مثل سماعة الشر * تروح بالليل وتغدو بالنغير

وأنشد

يا أيها صاحب النملول * أنك غول ولدنك غول

النملول الخمر من الارض يخفي فيه الرجل ويضغب ضغبة الارنب ليفزعه ويومه أنا
 عامر لذلك الخمر

❦ باب من ادعى من الاعراب والشعراء أنهم يرون
الفيلان ويسمعون عزيف الجن ❦

وما يشبهونه بالجن والشياطين وبأعضائهم وبأخلاقهم وأعمالهم وأنشد
كانه لما تدانى مقربه * وانقطعت أو ذامه وكربه
وجاءت الخيل جميعا تذببه * شيطان جن في هواه يرقبه
* أذنب فانقض عليه كوكبه *

وأنشد

ان العقيلي لا تاتي له شهبها * ولو صبرت لتلقاه على العيس
بيننا تراه عايه الخز متكئاً * اذا صر يهدج في حش الكرايس
وقد تكنفه عرامه زمنا * أشباه جن عكوف حول ابليس
اذا المفايس يوم حاربوا ما كا * ترى العقيلي منهم في كراديس

وهو الذي يقول

أضحت ثيابك غير جلدك تلبس * قطر السماء وأنت عار مفاس

وقال أبو الخطني

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهما مارحفا
* وعنقا بمد الرسيم خيطفا *

وأنشد ابن الاعرابي

غناء كليبى يري الجن يتبني * صداه اذا ما آب للجن آيب

وقال الجارث بن حازة

ملك مقسط وأفضل من ي * شى ومن دونه ما لديه الشناه
إرمى بمثله جالت الجن * فأبت نلصمها الاجلاء

وقال الاعشى

فانى وما كلفتموني آباءه * ليعلم ربي من أعقي وأحوبا

لكائثور والجني يضرب ظهره * وما ذنبه ان عافت الماء مشربا
 وقال الرقياني العوافي واسمه عطاء بن أسيد أحد بني عواف بن سعد
 بين الهمي منه اذا ما مدا * مثل عزيز الجن هدت هذا
 وقال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهول معسفه * في ظل أخضر يدعو هامه البوم
 للجن بالليل في أرجائها زجل * كما تناوح بين الريح عيسوم
 دوبة ودجى ليل كأنهما * بم تراطن في حافاته الروم

وقال

وكم عرست بعد السري من معرس * بهامن صداد الجن أصوات سامر

وقال

كم جبت ذونك من بهماء مظلمة * تيه اذا ما منى جنه سمرا

وقال

ورمل لعزف الجن في عقدهاته * هرير كتضراب المغنين بالطبل

﴿ وقال ﴾

وتيه خبطنا غولها وارتمى بنا * أبو البعد من أرجائه المتطاوح
 فلاة اصوت الجن في منكراتها * هرير والابوام فيها نوائح
 وطول اغتمى في الدجى كلمارعت * من الليل أصداء المثاني الصوائح

﴿ وقال ذو الرمة ﴾

بلاد بيت البوم يدعو بناته * بها ومن الاصداء والجن سامر

﴿ وقال أيضا ﴾

وللوحش والجنان كل عشية * بها خلفه من عازف وبعامر

﴿ وقال الراعي ﴾

وداوية غبراء أكثر أهلها * عزيز وبوم آخر الليل صائح
 أقر بها جأشاً بأول آية * وماضي الحسام غمده متطايح

ويقال لمن به لقوة أو شتر إذا سب لطيم الشيطان وكذلك قال عبيد الله بن زياد لعمر بن
ابن سعيد حين أهوى بسيفه ليطعن في خاصرة عبد الله بن معاوية وكان مستنصفا
وكان مع الضحاك فلما أسر أهوى إليه بالسيف وقد استردفه عبيد الله استغاث بعبيد
الله قال عبيد الله لعمر ويدك يالطيم الشيطان ويقال للرجل المفرط الطول يا ظل النمامة
وللمتكبر الضخم يا ظل الشيطان كما قال الخجاج لمحمد بن سعد بن أبي وقاص بينات
يا ظل الشيطان أشد الناس كبرا إذ صرت مؤدبا لفلان وقال جرير في هجائه شبة
ابن عقيل وكان مفرط الطول

فضح المنابر يوم يساح قائما * ظل النمامة شبة بن عقيل
فاما قولهم منينا بيوم كظل الرمح فانه ليس يريدون به الطول فقط ولكنهم يريدون
مع الطول انه ضيق غير واسع وقال ابن الطرية
ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
قال وليس يوجد لظل الشخص نهاية مع طلوع الشمس قال وكان عمر بن عبد العزيز
أول من نهى الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم الحلبه وقال تحملين
الصبيان على الجنان وأنشد في تشبيه الأنس بالجن لأبي الجويرية العبدي
أنس إذا آمنوا جن إذا فزعوا * مرزؤن بهاليل إذا حشدوا
وأنشدوا

وقلت والله انرحلنا * فلا نصا تحسبهن جنا

﴿ وقال ابن الزوائد ﴾

وعولى الشول رجا شئبا * بطية الدرحين نهصر
ولا ذبي الكلب لا نباخ له * يهر محرنبجا وينعجر
بمحور خفض لمن ألم بهم * جن بارماهم اذا خطرنا
﴿ وأنشدوا ﴾

أنى امرئ تابعى شيطانيه * آخيتيه عمرى وقد آخانيه
يشرب في نهبى وقد سقانيه * فالحمد لله الذى أعطانيه

بدنا وجوفاني جدور راضيه * تربت في عقد فالماريه
 بقلا نصيدا في تلوع خاليه * حتى اذا ما الشمس مرت ماضيه
 قام اليها فتية ثمانيه * فبرزوا كل ربايا سماجيه
 اخلافا الذي الاكف ماليه

وقال ابن الاعرابي قال لي اعرابي مرة وقد نزلت قال وهو اخف ما نزلت به وأطيبه
 فقات ما أطيب ماءكم هذا وأعدى منزلتكم قال نعم وهو بعيد من الخير كله بعيد من
 الدراق واليامة والحجاز كثير الحيات كثير الجنان فقلت أترون الجن قال نعم مكانهم
 في هذا الجبل وأشار بيده الى جبل يقال له سواخ قال ثم حدثني بأشياء وقال عبيد بن
 أوس الطائي في أخت عدى بن أوس

هل جاء أوسا ليلتي ونعيمها * ومقام أوس في الخباء المشرح
 ما زلت أطوي الجن أسمع حسهم * حتى دفعت الى رواق المروج
 فوضعت كفي عند مقطع خصرها * فتنفست بهم-رأ ولما نهج
 فتناوت رأسي لتعرف مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
 قالت بعيش أخي وحرمة والدي * لأنبهن الحى ان لم تخرج
 فخرجت خيفة قومها فتبسمت * فقلت أن يمينها لم تلجج
 فثمت فاهما قابضاً بقرونها * شرب النزيف يبرد ماء الحشرح

﴿ وأنشدني آخر ﴾

ذهبتم وعدتم بالامير وقلتم * تركنا أحاديثا ولحما موضعا
 فما زادني الاسناء ورفعة * ولا زادكم في القوم الاتخشعا
 فما نفرت جنى ولا فل مبردى * وما أصبحت طيرى من الخوف وقما
 وقال حسان بن ثابت في معني قوله والله لأضربنه حتى أنزع من رأسه شيطانه فقال
 وداوية سبب سملق * من البيد تعرف جناها
 قطعت بميرانة كالفتيق * يمرح في الآل شيطانها
 وأبين منه قول منظور بن رواحة

أتانى وأهلى بالرماح وغمرة * مسب عريف اللؤم حتى نبى بدر
فلما أتانى ما تقول تفلصت * شياطين رأسى وانتشين من الخمر
ومن المثل والتشبيه قول أبى النجم

وقام جنى السنم الأميل * وامتهد الغارب فعل الدم

﴿ وقال ابن أحرر ﴾

بهجل من فسا زفر الخزامى * تهادى الجرياء به الحنينا
تكسر فوفه القلع السوارى * وجن الخماز باز به جنونا

﴿ وقال الأعشى ﴾

وإذا الغيث صوبه وضع القد * ح وجن التلاع والآفاق
لم يزد هم سفاهة شرب الخمر * ر ولا اللهو بينهم والسباق

﴿ وقال النابغة ﴾

وخيس الجن انى قد أذنت لهم * يبنون تدصر بالصفاح والعمد

وأهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام باكثر مما بيننا اليوم
وبين سليمان بن داود عليهما السلام قالوا ولاكنكم اذا رأيتم بنايانا عجيباً وجهاتم موضع
الجملة فيه اضفتموه الى الجن ولم تمانوه بالفكر وقال الدر جي

سدت مسامعها لفرع مراحل * من نسج جن مثله لا يفسخ

وقال الأصمى السبيوف الماثورة هي التى يقال انها من عمل الجن لسليمان بن داود
عليهما السلام فاما القواريز والحمامات فذلك مالا شك فيه وقال البعيث

بني زياد لذكر الله مصنعة * من الحجارة لم تعمل من الطين
كانها غير أن الانس ترفعها * مما بنت لسليمان الشياطين

﴿ وقال المقنع الكندى ﴾

وفى الظمائن والأحجاج أملاح من * حل العراق وحل الشام واليمن
جنية من نساء الأانس أملاح من * شمس النهار وبدر الليل قد قرنا
مكتومة الذكر عندي ما حيت لها * وقد لعمري مللت الصرم والحزنا

﴿ وقال أبو الزنجيم ﴾

أدرك عقلا والرهان عمله * كان برد القاع حين تسحله
ضئ شياطين زفته شماله

وقال الأعمش في هذا المعنى الأول من بناء الشياطين لسابان بن داود عليهم السلام
أرى عاديا لم يمنع الموت ربه * وورد بتياء اليهودي أبلق
بناء سابان بن داود حقة * له جنديل صم وطى موثق
وكما يقولون تنفذ برفة وضب سحا وأرب الخلة وذئب خمر فيفرقون بينها وبين
ما ينسب لذلك اما في السممن واما في الخبث واما في القوة كذلك أيضا يفرقون
بين مواضع الجن فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خصوه من الخبث
والقوة والعرامة بما ليس لجنهم وجمهورهم وقال لبيد
غلب تشدر بالدحول كأنها * جن البدى رواسيا أقدامها

﴿ وقال النابغة ﴾

سهكين من صدى الحديد كأنهم * تحت السنور جنة البقار

﴿ وقال زهير ﴾

عليهن فتیان كجنة عبقر * جديرون يوما أن يذيعوا فيستملوا

وقال حاتم

عليهن فتیان كجنة عبقرا * يهزون بالابدى الوشيج المقوما

ولذلك قيل لكل شيء فائق أو شديد عبقرى وفي الحديث في صفة عمر رضي الله
عنه فلم أر عبقريا بقرى فربه وقال اعمر ابى ظمى والله ظالما عبقريا ثم ينزلون الجن في
صرايب فاذا ذكروا الجنى سالما قالوا جنى فاذا أرادوا أنه ممن سكن مع الناس قالوا
عامر والجميع عامر وان كان ممن يمرض للصبيان فهم ارواح فان خبث أحدهم وتدمر
فهو شيطان فان زاد على ذلك في القوة فهو عفريت والجمع عفاريت قال الله تعالى
قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وهم في الجملة جن
وخواني قال الشاعر

ولا يحس سوي الخافي بها أثر

فاذا ظهر الجنى ونطق واتقى وصار خيرا كانه فهو ملك في قول من تأول قوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه على أن الجن في هذا الموضوع الملائكة وقال آخرون كان منهم على الاضافة الى الدار والديانة لاهلى أنه كان من جنسهم وانما ذلك على قولهم سليمان بن يزيد العمدي وسليمان بن طوحان التيمي وأبو علي العبدري وعمرو بن قائد الاسوارى أضافوهم الى المحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة وقال آخرون كل مستجن فهو جنى وجان وجنين وكذلك لولد قيل له جنين لكونه في البطن واستجنانه وقال للميت الذى فى التبر جنين وقال عمرو بن كلثوم

ولا شطاء لم تدع المنايا * لها من تسعة الاجنينا

يخبر أنها قد دفنتهم كلهم قالوا وكذلك الملائكة من الحفظة والحمة والكرويين فلا بد من طبقات وربما فرق بينهم بالاعمال واشتق لهم الاسماء من السبب كما قالوا الواحد من الانبياء خليل الله وقالوا الآخر كلهم الله وقالوا الآخر روح الله والعرب تنزل الشجعان فى المراتب والاسم العام شجاع ثم بهمة أليس هذا قول أبى عبيدة فأما ولهم شيطان الحماطة فاتهم يعنون الحية وأنشد الأصمى

تلاعب بهنى حضرمى كأنه * تهاج شيطان بندى خروع ففر

وقد يسمعون الكبر والطغيان والخنزوانة والغضب الشديد شيطانا على التشبيه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والله لا تزعن ندرته ولا تضربنه حتى أنزع شيطانه من محرنه والاعراب تجعل الخوافى والمستجنات من قبل أن ترتب المراتب جنين تقول حن وجان بالجيم والهاء وأنشدوا

أبيت أهوى فى شياطين ترن * مختلف نجارها حن وجن

ويعملون الحن فوق الجن وقال أعشى سابع

فما أنا من جن اذا كنت خافيا * ولست من النسناس فى عنصر البشر

ذهب الى قول من قال البشر ناس ونسناس والخوافى حن وجن ويقول أنا من أكرم العينين حيث ما كانت، وضعفة النساك وأغبياء العباد يزعمون أن لهم خاصة

شيطانا قد وكل بهم يقال له المذهب يسرج لهم النيران ويضي لهم الظلمة ليفتنهم وليريهم
العجب اذا ظنوا أن ذلك من قبل الله تعالى وفي الحديث ان الشيطان الذي قد تفرد
بمحافظة القرآن ينسبهم القرآن يسمى حثوب وهو صاحب عثمان بن أبي العاص قال
وأما الخابل والخبيل فانما ذلك اسم للجن الذين يخبلون ويتعرضون ممن ليس عنده الا
العزيف والنوح وفصل أيضا ليبد بينهم فقال

أعاذل لو كان البذاذ لغوتلوا * ولكن أنا كل جن وخابل

وزعم ناس ان الخبل والخابل ناس قالوا فاذا كان ذلك كذلك فكيف يقول ذلك أوس
ابن حجر * تناوح جنان بهن وخابل * قالوا واذا تعرضت الجنية وتلوت وعبثت
فهي شيطانة ثم غول والنول في كلام العرب الداهية ويقال لقد غالته غول وقال الشاعر
تقول بيتي في عز وفي سمة * فقد صدقت ولكن أنت مدخول
لا بأس بالبيت الا ما فأت به * تبني وتهدمه هـدما لك النول

﴿ وقال الراجز ﴾

والحرب غول أو كسبه النول * تزف بالرايات والطبول
تقلب للاوتار والدحول * حملاق عين ليس بالمكحول
ومن قول الاعراب إنهم يظهرون لهم ويكاهونهم ويناحونهم ولذلك قال شمر بن
الحارث الضبي

ونار قد خطأت بعيد وهن * بدار لا أريد بها مقاما
سوى تجليل راحلة وعين * اكائها مخافة ان تناما
أتوا نارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلما
فقلت الى الطعام فقال منهم * زعيم نحسد الانس الطعاما
وذكر أبو زيد عنهم أن رجلا منهم تزوج السملاة وأنها كانت عنده زمانا وولدت منه
حتى رأت ذات ليلة برقاً على بلاد السماء فطارت اليهن فقال
رأي برقاً فوضع فوق بكر * فلا ياما أسال وما أعاما
فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب عندهم بنو السملاة من بني عمر وبن

يربرع وبلقيس ملائكة سبا وتناولوا قول الشاعر

لاهم ان جرهما عباد كا * الناس طرف وهم تلادكا

فزعوا أن أبا جرهم من الملائكة الذين كانوا إذا عصوا في السماء أنزلوا إلى الأرض كما قيل في هاروت وماروت فخلوا سهيلا عشرا مسخ نجما وجملوا الزهرة امرأة بغير مسخت نجما وكان اسمها أنا هيد وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شبيها بهذا ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون إلى أنه إذا عزم على الشياطين والأرواح والعمار أجابوه وأطاعوه فمنهم عبد الله بن هلال الحميري الذي كان يقال له صديق ابليس ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي وقد كان عبيد يقول أن العامري حريص على اجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح أن يكون هيكل لم يستطع دخوله والجملة في ذلك أن يتبخر باللبان الذكر ويراعى سير المشتري ويفتسل بالماء القراح ويدع الجماع وأكل الزهومات ويتوحش في الفيافي ويكثر دخول الخرابات حتى يرق ويلطف ويصير فيه مشابه من الجن فان عزم عند ذلك فلم يجب فلا يهودن لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكل لها ومتى عاد خبطه فرجما جن وربما مات قال فلو كنت ممن يصلح ان يكون لهم هيكل لكنت فوق عبد الله بن هلال قال الاعراب وربما نزلنا يجمع كثير ورأينا خياما وقبابا وناسا ثم فقدناهم من ساعتنا والعوام تروي أن ابن مسعود رضى الله عنه رأى رجلا من الزط فقال هولاء شبه من رأيت من الجن ليلة الجن قال وقد روى عنه خلاف ذلك وتناولوا قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يهودون برجال من الجن فزادوهم رهقا ولم يهلك الناس شيئا كالتأويل ومما يدل على ما قلنا قول أبي النجم حيث يقول * بحيث تستن مع الجن الغول *

فأخرج الجن من الغول الذي بات به الجن وهذا عادتهم أن يخرجوا الشيء من الجملة بعد أن دخل ذلك الشيء في الجملة فيظهر لامر خاص وفي بعض الرواية أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الاوتان همهمة وأن خالد بن الوليد حين هدم المزى رمته بالشر حتى احترق عامة فخذه حتى عوذه النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليتمحن بها الاعراب من العوام وما أشك أنه كان للسنة

حيل والطاق لمكان التكسب ولو سمعت أو رأيت بمض ماقد أعد الهند من هذا
 الخاريق في بيوت عباداتهم لامت ان الله تعالى قدم على جهلة الناس بالمتكلمين
 الذين قد نشوا فيهم وقد تعرف ما فيه عجز النصراني وأنماهم من الافتنان بمصايير
 كنيسة قامة فأما علمهم وعملهم فليسوا بمتحاشين من الكذب الصرف والجرأ
 على البهتان البحت وقد تودوا المكابرة حتى دربوا به الدرب ولا يفتن له الا ذر
 الفراسة الثابتة والمعرفة الزائبة والاعراب وأشباه الاعراب لا يتحاشون من الايمان
 بالهاتف بل يتعجبون ممن رد ذلك فن ذلك حديث الأعمش بن ماس بن زرار
 الأسدي أنه سمع هاتفا يقول

لقد هلك الفياض غيث بن فهر * وذو الباع والمجد الرفيع وذو القدر
 قال فقلت محبباً له

الا أيها الناعي أخا الجود والندي * من المرء تنعاه لنا من بنى فهر

﴿ فقال ﴾

نعيت ابن جدعان بن عمرو أخا الندي * وذا الحسب القدموس والمنصب القصر
 وهذا الباب كثير قالوا ولنقل الجن الأخبار علم الناس وفاة الملوك والأمور المهمة
 كما تسامعوا بموت المنصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة وهذا الباب أيضا كثير
 وكانوا يقولون اذا ألف الجن انسانا وتعطف عليه وخبره ببعض الاخبار وجد حبه
 ورأى خياله واذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رأيت من الجن وممن يقولون ذلك
 فيه عمرو بن لحيان بن قمة والمأمون الحارثي وعتيبة بن الحارث بن شهاب في ناس معروفين
 من ذوى الاقدار من بين فارس رئيس وسيد مطاع ، فأما الكهان فمثل حارثة بن جينة
 وكاهنة باهلة وعز سلمة ومثل شق وسطيح وأشباهم وأما العراف وهو دون الكهان
 فمثل الأبلق الاسيدي والاجاح الزهرى وعروة بن زيد الاسدي وعراف الجيمة
 رباح بن كحلة وهو صاحب المستنير البلتمي وقد قال الشاعر

فقلت لعراف الجيمة داوني * فانك ان أبرأتني لطبيب

وقال جيبها، الاشجى

أقام هوي صفة في فؤادي * وقد سيرت كل هوي حبيب
 لك الخيرات كيف منحت ودي * وما أنا من هواك بذي نصيب
 أقول وعروة الاسدي يرقى * أنك برفية الملق المكذوب
 لعمرك ما التناؤب يا بن زبد * بشاف من رقاك ولا محيب
 لسير الناعجات أظن أشفي * لما بي من طيب بني الذهب
 الباب الذي بدعيه هؤلاء من جنس العيافة والزجر والخطوط والنظر في أسرار
 وفي مواضع فرض الفار وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الاكتاف
 والنساء بالنجوم والملاج بالفكر وقد كان مسيلة يدعي أن معه رثا في أول زمانه
 قلت قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخذعه

بيضة قارور وراية شادن * وخلة جني وتوصيل طائر
 الأراه ذكر خلة الجني ويقولون ومن الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف
 صورة الانسان واسمه شق وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده فربما
 أهلكه فزعا وربما أهلكه ضربا وقتلا قالوا فمن ذلك حديث علقمة بن صفوان بن أمية
 برح الكنانى جدمروان بن الحكيم في الجاهلية خرج وهو يريد مالا له بمكة وهو
 طهار وعليه ازار ورداء ومعه مفرعة في ليلة أضحيانة حتى انتهى الى موضع يقال
 له نط جرمان فاذا هو بشق له يد ورجل وعين ومعه سيف وهو يقول
 علقم انى مقتول * وان لحمى ما كول
 أضر بهم بالهدلول * ضرب غلام شملول
 * رجب الذراع بهلول *

لقمة علقمة

يا شقها مالى ولك * اعمد عني منصلاك
 * تقتل من لا يقتلك *

عئيت لك عئيت لك * كبا أبيع مقتلك

قالنق

* فاصبر لما قد حم لك *

فضرب كل واحد منهما صاحبه نغرا ميتين فمن قنات الجن عاقمة بن صفوان هذا
وجرب بن أمية قالوا وقالت الجن

وقبر حرب بمكان قفر * ولبس قرب قبر حرب قبر

قالوا ومن الدليل أن هذين البيتين من أشعار الجن أن أحداً لا يستطيع أن يشدهما
ثلاث مررات متصلة لا يتبع فيها وهو يستطيع أن يشده أثقل شمر في الأرض
وأشقة عشر مررات ولا يتبع، قال وقتل مرداس بن أبي عامر أبا عباس بن مرداس
وقتل الفريض خنقا بهد ان غنى بالغناء الذي كانوا هو عنه وقتل الجن سعد بن
عبادة بن ديلم وسموا الهاتف يقول

نحن قتلنا سيد الخز * رح سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين * فلم نخط فؤاده

واسهوا سنان بن أبي حارثة ليستفحلوه فأت فيهم واسهوا طالب بن أبي طالب
فلم يوجد له أثر الى يومنا هذا واسهوا عمرو بن عدى اللخمي الملك الذي يقال فيه
مشب عمر وعن الطوق ثم ردوه على جذيمة الأبرش بهد سنين واسهوا عمارة بن
المغيرة ونفخوا في إليله فصار مع الوحش ويروون عن عبد الله بن قتادة بأسناد له
يرفمه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين
وانه تحدث يوماً بحديث فقالت امرأة من نسائه هذا من حديث خرافة قال لا وخرافة
تحق ورووا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل المفقود الذي استهوته الجن
ما كان طعامهم قال الروث قال فما كان شرابهم قال البول ورووا أن طعامهم الرمة ومالم
يذكر اسم الله عليه ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم والحديث صحيح أنه قال خروا
آبئكم وأوكوا أسقيتكم وأغلقوا الأبواب وأطفؤا المصابيح وكفوا صبيانكم فان
للسياطين انتشاراً وخطفة وقد قال الناس في قوله تعالى انها شجرة تخرج في أصل
الجحيم طلعتها كأنه رؤس الشياطين فزعم ناس ان رؤس الشياطين ثمر شجرة تكون
ببلاد اليمن لها منظر كربة والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير وقالوا ما معنى الرؤس

شياطين معروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم فقال أهل الطمن والخلاف كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فتوهمه ولا وصف لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة والتفريع منها وعلى أنه لو كان شيء أبغ في الزجر من ذلك لذكره فكيف يكون انسان كذلك والناس لا يفرعون الا من شيء هائل شنيع قد عاينوه أو صورته لهم واصف صدوق اللسان بليغ في الوصف ونحن لم نعاينها ولا صورها لنا صادق وعلى أن أكثر الناس من هذه الامم لم يعاين أهل الكنائس وحمة القرآن من المسلمين ولم تسمع الاختلاف ولا يتوهمون ذلك لا يقفون عليه ولا يفرعون منه فكيف يكون ذلك وعيدها عاما قلنا وان كنا نحن لم نر شيطانا ولا صور رؤسها لنا صادق بيده في اجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يصفون ذلك في مكانين أحدهما أن يقولوا لهو أتبع من الشيطان والوجه الآخر أن يسمى الجميل شيطانا على جهة التطير به كما تسمى الفرس الكريمة شوهاء والمرأة الجميلة صماء وقرناء وخنساء وحرباء وأشباه ذلك على جهة التطير به في اجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أتبع من كل قبيح والكتاب انما نزل على هؤلاء الذين ثبت في طبائهم بغاية الثبوت وكما يقولون لهو أفصح من السحر الحلال وكذلك يقولون كما قال عمر ابن عبد العزيز لبعض من احسن الكلام في طلب حاجته هذا والله السحر الحلال وكذلك أيضا ربما قالوا ما فلان الا شيطان على معنى الشهامة والنفاذ وما اشبه ذلك والعامية تزعم ان القول يتصور في احسن الصورة الا انه لا بد ان تكون رجلها رحل حمار وخبروا عن الخليل بن احمد ان اعرابيا انشده

وحافر العير في ساق خدلجة * وجفن عين خلاف الانس في الطول

وذكروا أن العامة تزعم أن شق عين الشيطان بالطول وما أظنهم أخذوا هذين المعنيين الا عن الأعراب، وأما أخبارهم عن هذه الامم عن جهلنا بهذا الاجماع والاطباق فما القول في ذلك الا كالفول في الزبانية وخزنة جهنم وصور الملائكة الذين يتصورون في أقبج الصور اذا حضروا لقبض أرواح الكفار وكذلك في صور منكرونا وكبير

يكون للمؤمن على مثال ولد الكفار على مثال ونحن نزع أن الكفار يزعمون أنهم لا يتوهمون الكلام والمحاكمة من انسان التي في جام تنور فكيف بأن ياتي في نار جهنم فالحجة على جميع هؤلاء في جميع هذه الابواب من جهة واحدة وهذا الجواب قريب والحمد لله، وشق فم المنكبوت بالطول ولها ثمانية أرجل وتزعم الاعراب أن الله تعالى حين أهلك الأمة التي كانت تسمى وبارك كما أهلك طسما وجديساً وعملاقاً وثموداً وعاداً أن الجن سكنت في منازلهم وحمتها من كل من أرادها وانها أخصب بلاد الله وأكثرها شجراً وأطيبها ثمراً وأكثرها حبا وعنباً وأكثرها نخلاً وموزاً فان دنا اليوم إنسان من تلك البلاد متممداً أو غالطاً حثوا في وجهه التراب فان أبي الرجوع خبلوه وربما قتلوه والموضع نفسه باطل فان قيل لهم دلونا على جهته وأوقفونا على حده وخلصكم ذم زعموا ان من أرادته التي على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه وقال الشاعر

وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجا القري يا مسلم بن حمار

دعى جملاً لا يهتدى لمقيله * من اللؤم حتى يهتدي لوبار

فهذا الشاعر الاعرابي جعل أرض وبار مثلاً في الضلال والاعراب يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يجدونه بالدو والصمان والدهناء ورمل يبرين وما أكثر ما يذكرون أرض وبار في الشعر على معنى هذا الشاعر، قالوا فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الحوشية والحوش من الابل عندهم هي التي قد ضربت فيها خول ابل الجن فالحوشية من نسل ابل الجن والعبدية والمهرية والمسجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش وقال رؤبة

* حوت رجلاً من بلاد الحوش *

وقال ابن هرمة

كأني على حوشية أو نمامة * لها نسب في الطير وهو ظليم

وانما سموا صاحباً يزيد بن الطثيرة حوشية على هذا المعنى، وقال بهض أهل أصحاب التفسير في قوله تعالى وأنه كان رجال من الانس يعوذون رجال من الجن فزادوهم

رهقا ان جماعة من العرب كانوا اذا صاروا في تيه من الارض وتوسطوا بلاد الحوش
خافوا عبث الجنان والسعالى والغيلان والشياطين فيقوم أحدهم فيرفع صوته انا عائذون
بسيد هذا الوادى فلا يؤذيهم أحد وتصير لهم بذلك خفارة وهم يزعمون أن المجنون
اذا صرعه الجنية وان المجنونة اذا صرعها الجنى ان ذلك انما هو على طريق المشق
والمهوى وشهوة النكاح وان الشيطان يمشق المرأة منا وان نظره اليها من طريق
المعجب بها أشد عليها من حى أيام وان عين الجن أشد من عين الانسان قال وسمع
عمرو بن عبيد ناسا من المتكلمين يشكرون صرع الشيطان من المس فقال لو كان الشيطان
لم يخبط أحداً لما ذكر الله تعالى به أكلة الربا فقبل له ولعل ذلك كان مرة فذهب
قال ولعله قد كثر فإزداد اضعا فا قال وما تشكرون من الاستهواء بمد قوله تعالى كالذى
استهوته الشياطين والعرب تزعم أن الطاعون طعن من الشيطان ويسمى الطاعون
رماح الجن قال الاسدى للحارث النسائي ملك غسان

لعمرك ما خشيت على أبى * رماح بني مقيدة الحمار

ولكنى خشيت على أبى * رماح الجن أو اياك حار

يقول لم أكن أخاف على أبى مع منعمته وصرامته أن تقتله الاندال ومن يرتبط العير
دون الفرس وليكنى انما كنت أخافك عليه فتكون أنت الذى تطعمه أو يطعمه طاعون
الشام وقال العماني يذكر دولة بنى العباس

قد دفع الله رماح الجن * واذهب المذاب والتجنى

وقال زيد بن جندب الأيادي

ولولا رماح الجن ما كان هزمهم * رماح الاعادى من فصيح وأنجم

ذهب الى قول أبى دؤاد

سلط الموت والمنون عليهم * فلمم في صدا المقابر هام

بنى الطاعون الذى أصاب إبادة وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
ذكر الطاعون فقال هو وخز من عدوكم وأن عمر وبن العاصى قام فى الناس فى
طاعون غموا فقال ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هو وخز من الشيطان ففروا

منه في هذه السماب وبلغ ذلك ابن جبل فأنكر عليه وتزعم العامة ان الله تعالى قد ملك الجن والشياطين والعمار والغيلان أن يتحولوا في أى صورة شاؤا الا النول فانها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها الارجلها فلا بد أن يكونا رجلى حمار وانما قاسوا تصور الجن على تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي وعلى تصور الملائكة الذين أتوا مريم وابراهيم ولوطاوداود في صورة المؤمنين وعلى ما جاء في الاثر من تصور ابليس في صورة سرافة بن مالك وعلى تصوره في صورة الشيخ النجدي وقاسوه على تصور ملك الموت اذا حضر لقبض ارواح بنى آدم فانه عند ذلك يتصور على قدر الأعمال الصالحة والطالحة قالوا وقد جاء في الخبر أن من الملائكة من هو في صورة الرجال ومنهم من هو في صورة الثيران ومنهم من هو في صورة النسور ويدل على ذلك تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لامية بن أبي الصلت حين أنشد

رجل ونور تحت رجل يمينه * والنسر للاخري وليث مرصده

قالوا فاذا استقام أن تختلف صورهم واخلائط أبدانهم وتتفق عقولهم ونياتهم واستطاعتهم جاز أيضاً أن يكون ابليس لعنة الله عليه والشيطان والنول أن يتبدلوا في الصور من غير ان يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة قالوا وقد حول الله تعالى جعفر بن أبي طالب طائراً حتى سماه المسلمون الطيار ولم يخرج ذلك من أن نراه غدا في الجنة وله مثل عقل أخيه على ومثل عقل عمه حمزة رضى الله تعالى عنهم مع المساواة بالبيان والخلق قالوا وقد جاء في الاثر النهي عن الصلاة في اعطان الابل لانها خلقت من اعناق الشياطين وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى يتم طلوعها فانها تطلع بين قرني شيطان وجاء ان الشيطان يفل في رمضان فكيف تنكر ذلك مع قوله تعالى والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد اشهرة ذلك في العرب في بقايا ما ثبتوا عليه من دين ابراهيم قال النابغة الذبياني
الاسليمان اذ قال الاله له * تم في البرية فاحدد دها عن الفند
وخيس الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفايح والعمد

فمن عصاك فمأبته معاينة * تنهى الطلوم ولا تقعد على ضمه
وجاء في قتل الاسود البهيم من الكلاب وفي ذى النكتتين وفي الحية ذات الطفتين
فانها جان وجاء لا تشربوا من ثلثة الاناء فانه كفل الشيطان وفي العاقد شوره في
الصلاة انها كفل الشيطان وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال تراصوا بينكم في
الصلاة لا تتخللکم الشياطين كأنها بنات خذف وأنه نهى عن ذبائح الجن ورووا أن
امرأة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابني هذا به جنون يصيبه عند
الغداء والعشاء قال فمسح النبي صلى الله عليه وسلم صدره فثب ثمة فخرج من جوفه
جر ويسمى قالوا وقد قضى ابن علاثة القماضي بين الجن في دم كان بينهم بحكم أقمعهم
ثم رجع بنا القول الى تفسير قصيدة البهراني فزعم أنه جعل صداقها غزالا وزق خر
فالخر لطيب الرائحة والغزال لتجمله مر كبا فان الظباء من سراكب الجن وأما قوله
تیب أن هويت ذلك منها * وهتي شئت لم أجد غير بكر
كانه قال هي تصور في أى صورة شاءت وأما قوله

بنت عمرو وخالها مسعر الخية * ر وخالى هميم صاحب عمرو
فانهم يزعمون ان مع كل فخل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر
فزعم البهراني ان هذه الجنية بنت عمرو شيطان الخبل وأن خالها مسحل شيطان
الاعشى وذکر ان خاله هميم وهو همام وهمام الفرزدق وكان غالب بن صعصعة اذا دعا
الفرزدق قال يا هميم وأما قوله صاحب عمرو فكذلك أيضا يقال ان اسم شيطان
الفرزدق عمرو وقد ذكر الأعشى مسحل حين هجاه جهنم فقال

دعوت خليلي مسحلا ودعواله * بجهنم يدعي للجهنم المذم

﴿ وذكروه الاعشى فقال ﴾

حباني أخي الجني نفسى فداؤه * بأفبح جياش العشيات مرحم

﴿ وقال اعشى سليم ﴾

وما كان جنى الفرزدق إسوة * وما كان فيهم مثل فخل الخبل

وما في الخوا في مثل عمرو وشيخة * ولا يد عمرو شاعر مثل مسحل

وقال الفرزدق في مديح أسد بن عبد الله
 لتبلغن أبا الاشبال مـدحتنا * من كان بالنور أو طودى خراسانا
 كأنها الذهب العقيان حـبرها * لسان أشعر خلق الله شيطانا

﴿ وقال ﴾

فلو كنت عندي يوم فرء، هذرتني * بيوم دعتني جنه وخبائله
 فن أجل هذا البيت ومن أجل قول الآخر
 اذا ما زاع جاربه فـلاقى * خبال الله من انس وجن
 زعموا ان الخبال الناس ولما قال بشار بن برد

دعاني شقمان الى خلف بكرة * فقلت اتركني فالنفرد أحمد

يقول أحمد لي في الشعر من ان يكون لي عليه من معين فقال أعشي سليم برد عليه

اذا الف الجني قرداً مشـنفاً * فقولوا لخنزير الجزيرة أبشر

بخزع بشار عند ذلك جزعا شديداً لانه كان يعلم مع تغزله ان وجهه وجه قرد وكان

أول ما عرف من جزعه من ذكر القرد الذي رأوا منه حتى أنشد قول حماد عجرد

ويا أقبح من قرد * اذا ما عمي القرد

﴿ وأما قوله ﴾

ولها خطة بأرض وبار * مسحوها فكان لي نصف شطر

فانما ادعى الربع من ميراتها لانه قد قال

تركت عبداً شمال اليتامي * وأخوه مزاحم كان بكري

وضعت تسعة وكانت نذوراً * من نساء في أهلنا غير نزر

وفي ان مع كل شاعر شيطاناً يقول معه قول أبي النجم

اني وكل شاعر من البشر * شيطانه أثنى وشيطاني ذكر

﴿ وقال آخر ﴾

اني وان كنت صغير السن * وكان في العيين نبوء عني

* فان شيطاني كبير الجن *

وأما قول عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الجن منا * وشذبنا قنادة من يلينا

فإنهم يزعمون أن كلاب الجن هم الشعراء وأما قوله

لأرض حوش وجامل عكنان * وعروج من المؤبل دثر

فأرض الحوش هي أرض وبار وقد فسرنا تأويل الحوش والمكنان الكثير الذي لا يكون

فوقه عدد وقوله عروج جمع عرج والمرج ألف من الأبل نقص شيئاً وزاد شيئاً

والمؤبل من الأبل يقال ابل مؤبلة ودراهم مدرهمة وبدر مبدرة مثل قوله تعالى

والفناطير المنظرة وأما قوله دثر فإنهم يقولون مال دثر ومال جرم إذا كان كثيراً

وأما قوله

ونفوا عن حرئها كل عفر * يسرق السمع كل ليلة بدر

فالعفر هو العفريت وجمعه لا يسرق السمع إلا جواراً في أضواء ما يكون البدر من شدة

مماندته وقوته وأما قوله

في فتو من الشنقنان غر * ونساء من الزوابع زهر

الزوابع بنو زوبمة الجني وهم أصحاب الرهج والقتام قال راجزهم

إن الشياطين أتوني أربعة * في غبش الليل وفيهم زوبمة

فما شنقنان وشيصبان فقد ذكرهما أبو النجم

* لاني شنقنان وشيصبان *

فهذان رئيسان ومن آباء القبائل وقد قال شاعرهم

إذا ما ترعرع فينا الغلا * م فليس يقال له من هو

إذا لم يسد قبل شد الأزا * رفذلك فينا الذي لا هو

ولي صاحب من بني الشيصبا * ن فطوراً أقول وطوراً هو

وهذا البيت يصلح أن يلاحق في الدليل على أنهم يقولون أن مع كل شاعر شيطاناً

ومن ذلك قول بشار الأعمى

دعاني شنقنان إلى خلف بكرة * فقلت أتركني فالتفرد أحمد

قال وأصحاب الرقي والاختذ والعزائم والسحر والشعبذة يزعمون أن العدد والقوة في
الجن والشياطين انزلة الشام والهند وان عظيم شياطين الهند يقال له سكويرك وعظيم
شياطين الشام يقال له دركاراب وقد ذكرها أبو اسحاق في هجائه محمد بن بشير حين
ادعي هذه الصناعة فقال

قد لعمرى جمعت من اصميا ب * ثم من شعر ادم وانخراب
وتفردت بالطواق والهيكل * والدهمات من كل باب
وعلمت الاسماء كي ما تلاقي * زحلا والمريخ فوق السحاب
واستثرت الارواح بالبحر ياتين * لصرح الصحيح بمد المصاب
جامعا من لطائف الدهمسيا * ت كنوسا نعتها في كتاب
ثم أحكمت متقن الكرويا * ت وفعل الناريس والنجاب
ثم لم تفتك السعاية والخذ * مة والاحتفاء بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي * بسكويرك ودركاراب

وأما قوله

ضربت فردة فصارت هباء * في محاق القمير آخر شهر

فان الاعراب والعامية تزعم أن الغول اذا ضربت ضربة ماتت الا أن يمد عليه الضارب
فيل أن تقضى ضربة أخرى فانه ان فعل ذلك لم تمت وقد قال شاعرهم
ففتيت والمقدار يحرس أهله * فليت يميني قبل ذلك شات

وأنشدوا لأبي البلاد الطهوي

لهان علي جهينة ما ألقى * من الروعات يوم رحابطان
لقت الغول تسرى في ظلام * بسهم كالعيابة صحصحان
فقات لها كلانا نسو أرض * أخو سفر فصدي عن مكاني
لصدت وأنتحيت لها بعضب * حسام غير مؤتشب يماني
فقد سراتها والبرد منها * نخرت لليدين ولاجران
فقات زد فقات رويد إني * علي أمثالها ثبت الجنان

شدت عقابها وحطت عنها * لأنظر غدوة ماذا دهاني
 اذا عينان في وجهه فيبيح * كوجه الهرمشقوق اللسان
 ورجلا مخدج ولسان كلب * وجلد من قراب أو شنان
 وأبو البلاد الطهوي هذا كان من شباطين الاعراب وهو كما نرى يكذب وهو يعلم
 ويطلق الكذب ويجيزه وقد قال كما نرى

فقال زد فقلت رويد اني * على أمثالها ثبت الجنان
 لانهم هكذا يقولون يزعمون أن الغول تستزيد بعد الضربة الأولى لانها تموت من
 ضربة وتعيش من ألف ضربة وأما قوله

غلبتني على النجابة عرسى * بعد أن طال في النجابة ذكرى
 وأرى فيهم شمائل انس * غير ان النجار صورة عفر
 فانه يقول لما تركب الولد منها ومنى كان شبهها فيه أكثر وقد قال بجير بن أيوب
 اخو قفرات حالف الجن وانتي * من الانس حتى قد تقضت رسائله
 له نسب الانسي يعرف نجله * وللجن منه خلقه وشمائله
 ﴿ وقال الآخر ﴾

وصار خليل الغول بعد عداوة * صفيا وربته القفار البساس
 فليس بجنى فيعرف نجله * ولا هو انس تحتويه المجالس
 يظل ولا يبدي اشي نهاره * ولكنه ينتاع والليل دامس
 قال وقال القمعاق بن معبد بن زرارة في ابنه عوف بن القمعاق والله لما أرى في عوف
 من شمائل الجن أكثر مما أرى فيه من شمائل الانس وقال مسleme بن مجارب حدثني
 رجل من أصحابنا قال خرجنا في سفر ومعنا رجل فانتبهنا الى واد فدعونا بالقداء فنه
 رجل يده الى الطعام فلم يقدر عليه وهو قبل ذلك يأكل معنا في كل منزل فاشتد
 اغتمامنا لذلك فخرجنا نسأل عنه وعن حاله فتلقاني أعرابي فقال مالكم فأخبرناه خبر
 الرجل فقال ما اسم صاحبكم فلنا أسد قال هذا واد فدأجدت سباعه فارحلوا فلغو
 فد جاوزتم الوادي استمرى وأكل وأما قوله

وبها كنت راكبا حشرات * ملجأ قنفذا ومسرح وبر
 وأجوب البلاد تحت ظبي * ضاحك سنه كثير النمرى
 موج دبره خزانة مكر * وهو بالليل في العفاريت يسرى
 فقد أخبرنا في صدر هذا الكتاب بقول الاعراب في مطايا الجن من الحشرات
 والوحش وأنشد ابن الاعرابي لبعض الاعراب

كل المطايا قد ركبت فلم أجد * الذ وأشهى من مطايا الثعالب
 ومن عنظوان صيفة شمرية * تحب برجليها امام الركائب
 ومن جرد سرح اليدى مخرج * يقوم برحلى بين أيدي المواكب
 ومن فارة تزداد عتقا وجدة * تبرح بالخص العتاق النجائب
 ومن كل قتلاء الذراعين حرة * مدربة من عافيات الارانب
 ومن وذل يعتام فضل زمانه * أضربه طول السرى في السباب
 وقال ابن الاعرابي فقلت له أتري الجن كانت تركبها فقال أحاف بالله لقد كنت
 أجد بالطباء التوقيع في ظهورها والسمة في الأذان وأنشد

كل المطايا قد ركبت فلم أجد * الذ وأشهى من ركوب الجنادب
 ومن عضر فوط حط من فائمة * يبادر ورداً من قطار قوارب
 وشر مطايا الجن أرب خلة * وذئب الغضاربي على كل صاحب
 ولم أرفيها مثل قنفذ برقة * يقود قطاراً من عظيم العناكب
 وقد فسرنا قولهم في الأرب لم لا تركب وفي أرب الخلة وقنفذ برقة، وحدثني أبو
 نواس قال بكرت الى المربد ومي الوالى أطاب اعرابياً فصيحاً فاذا في ظل دار جعفر
 أعرابي لم أسمع بشيطان أبج منه وجها ولا بانسان أحسن منه عقلا وذلك في يوم
 لم أركبده برداً فقلت له هلا قدمت في الشمس فقال الخلة أحب الى فقلت له
 ما زحاً رأيت القنفذ اذا امتطاه الجنى وعلا به في الهواء هل القنفذ يحمل الجنى أم الجنى
 يحمل القنفذ قال هذا من تكاذيب الاعراب وقد قلت في ذلك شعراً فأنشدني
 يمد ان كان قال لي قلت هذا الشعر وقد رأيت ليلة قنفذاً وبربوعاً يلتمسان الرزق

فما يدجب الجنان منك عدمتهم * وفي الاسد أفراس لهم ونجائب
 أتسرح يربوعا وتلجم ننفذاً * لقد أعوزتهم ما علمت المراكب
 فان كانت الجنان جنت فبالحرى * ولا ذنب للافدار والله غالب
 وما الناس الا خادع ومخدع * وصاحب إسراب وآخر كاذب
 قال فقلت له قد كان يذنبني ان يكون بين البيت الثالث والرابع بيتا آخر قال كانت
 والله أربعين بيتا ولكن الحطمة احتطمتنيها قال فقلت هل قلت في غير هذا الباب قال
 نعم شيء قلت لزوجتي وهو والله عندها أصدق شيء فانه لها
 أراه سميما للسرار لقفند * لقد ضاع سر الله أيام معبد
 فلم أصبر ان ضحكت فغضب وذهب ويكتب مع شمرا بنى البلاد الطهورى
 فما لا تئى فيها بواجده مثلها * على غرة التت عطافا ومئزرا
 لها ساعدا غول ورجلا نعامة * ورأس كسحاة اليهودي ازعرا
 وبطن كاشار المازادة رفعت * جوانبه أنماسه وتكسرا
 وئديان كالخرجين نيطت عراهما * الى جؤجؤ نائى الترائب أزورا
 وقال كان أبو شيطان واسمه اسحاق بن رزين أحد بني الشميظ شميظ جمدة بن كعب
 فأتاهم أمير فجعل ينكب عليهم جوراً وجعل آخر من أهل بلده ينقب عليهم امى
 يكون عليهم نقيباً فجعل يقول
 ياذا الذى نكبنا ونقبا * زوجه الرحمن غولاعقربا
 جمع فيها ماله وابلبا * لبببة التيس اذا تهيبا
 حتى إذا ما استطربت واستطربا * عين منها خلق ربي ربا
 * ذات نواتين وسلع أسقبا *
 يعنى فرجها ونواتها يقول لم تحتن وأما قوله * فان كانت الجنان جنت فبالحرى * فانهم
 قد يقولون فى مثل هذا وقد قال دعلج بن الحكم
 وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب * وشيطانه عند الالهة يعصرع
 وأنشدنى عبد الرحمن بن منصور الاسدي قبل ان يمجن

جنونك مجنون ولست بواجد * طيبا يداوى من جنون جنون
وأنشدني يومئذ

أتوني بمجنون يسـيل لعابه * وما صاحبي الا الصحيح المسلم
ومما يشبهه الاول قول ابن ميادة

فلما أتاني مات قول محارب * تغنت شياطين وجن جنونها
وحكت لها مما أقول فصائدا * ترامت بها صهب المهارى وجونها
وقال في التمثيل

ان شرخ الشباب والشعر الاسود * مالم يماض كان جنونا
وقال الآخر

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر
وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول
دمت وجات واسبطرت وأكلت * فلو جن انسان من الحسن جنت
وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول

جادت بها عند الغداة يمينه * كلتا يدي عمرو الغداة يمين
ما أن يجود بئها في مشله * الا كريم الخليم أو مجنون
وقال الجحفي

ولو أتى لم أنل منكم معافاة * الا السنان بذات الموت مطعون
أولا خطبت فاني قد همت به * بالسيف ان خطيب السيف مجنون
﴿وأنشد﴾

هم أحموا حمي الرمي بضرب * يؤلف بين أشتات المنون
فنكب عنهم درء الاعادى * وداووا بالجنون من الجنون
وأنشد جعفر بن سعيد

ان الجنون سهام بين أربعة * الريح والبحر والانسان والجل
وأنشدني أيضا

احذر مفاظ أنوام ذوي حسب * ان المغيظ جهول السيف مجنون
وأشدني أبو تمام الطائي

من كل أصلع قد مالت عمامته * كانه من حذار الضيم مجنون

وقال القطامي

يتبن سامية العينين تحسبها * مجنونة أوتري مالا ترى الا بل

وقال في المعنى الاول الرقيان العوافي

انا العوافي فن عاداني * اذيقه بوادر الهوان

* حتى تراه مطرق الشيطان *

وقال مروان بن محمد

واذا تجنن شاعر أو مقدم * اسعطته بمرارة الشيطان

وقال ابن مقبل

وعندي الذهب لو أحل عقابها * فتصعد لم تعدم من الجن خازنا

وقد صغر الذهب ليس على التحقير ولكن هذا مثل قولهم

دبت اليهم دويبية الدهر قال أبو اسحاق وأما قول ذي الرمة

إذا حثن الركب في مدلهمة * أحاديثها مثل اصطناب الضرائر

قال أبو اسحاق يكون في النهار ساعات ترى الشخص الصغير في تلك المهامة عظيما

ويوجد الصوت الخائض رفيعا وتسمع الصوت الذي ليس بالرفيع رفيعا من انبساط

الشمس غدوة من المكان البعيد ويوجد لأوساط الفيافي والتقفار والرمال والحرار

في أنصاف النهار مثل الدوى من طبع ذلك الوقت وذلك المكان عند ما يمرض له

ولذلك قال ذو الرمة

إذا قال حادينا لتشبيهه نبأة * صدى لم يكن الادوي المسماع

قالوا وبالادوي سميت دوية ودأوية وبه سمي الدو دواً وكان أبو اسحاق يقول في

الذي تذكر الاعراب من عزيز الجنان وتفول الفيلان أصل هذا الامر وابتدأه

أن القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ومن انفرط وطال مقامه في

البلاد والخلاء والبعد من الانس استوحش ولا سيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين
والوحدة لا تقطع أيامهم الا بالمتى أو بالنفكير والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة
وقد ابتلى بذلك غير حاسب كأبي ياسر ومثنى ولد الفناظر، وخبرني الاعمش أنه فكر في
مسئلة فأنكر أهله عقله حتى حموه وداووه وقد عرض ذلك لكثير من الهند واذا
استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت
أخلاقه فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير أنه عظيم
جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه وأحاديث توارثوها فازدادوا
بذلك ايمانا ونشأ عليه النائي وربى به الطفل فصار أحدهم حين يتوسط الفيافي
وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس فعند أول وحشة أو فزعة وعند صباح يوم
ومجاوبة صدا وقد رأى كل باطل ونوهم كل زور وربما كان في الجنس وأصل الطبيعة
نفاحا كذابا وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة
فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلت السملاة ثم يتجاوز ذلك الى أن يقول قتلنا ثم
يتجاوز ذلك الى أن يقول رافقنا ثم يتجاوز ذلك الى أن يقول تزوجتها قال عبيد بن أبوب
فله در الغول اى رفيقة * لصاحب قفر خائف متنفّر

﴿ وقال ﴾

أهذا رفيق الغول والذئب والذى * يهيم بربات الحجال الهوا كل

﴿ وقال آخر ﴾

أخوف فرات حالف الجن وانتقى * من الانس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الانسى يعرف نجمله * وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومدلهم فيه أنهم ليس يلقون بهذه الاشعار
وبهذه الاخبار الا اعرابيا مثلهم والاعبياء لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب
والتصديق أو الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط واما
أن يلقوا رواية شعر أو صاحب خبر فالرواية عندهم كلما كان الاعرابي أو كذب في
شعره كان أظرف عندهم وصارت روايته أغلب ومضاحيك حديثه أكثر فلذلك

صار بعضهم يدعى رؤبة الغول أو قنلها أو صرافقتها أو تزويجها وآخر يزعم أنه رافق في
مفازة نمر فكان يطاعمه ويؤاكله فن هؤلاء خاصة القتال الكلابي فإنه الذي يقول

أيرسل مروان الأمير رسالة * لآتيه اني اذالمضال *

ومابي عصيان ولا بدم منهل * وليكنني من خوف مروان أو جل

وفي ساحة العنقاء أوفي عماية * أو الأود ما من رهبة الموت موئل

ولي صاحب في النار هذك صاحبنا * هو الجون الا أنه لا يمل

اذا ما التقينا كان جل حـديننا * صمانا وطرف كالمقابل أو كل

تضمنت الأروى لنا بطعامنا * كلانا له منها نصيب وما كل

فأغلبه في صنعة الزاد اني * أميط الأذى عنه ولا يتأمل

وكانت لنا طب بأرض مضلة * شريعتنا لا ئى من جاء أول

كلانا عدو لويرى في عدوه * محزا وكل في العداوة محمل

﴿ وأنشد الاصمعي ﴾

ظللنا معا جارين نحترس الثأى * يشار بنى من فضائى وأشار به

ذكر سبعا ورجلا قد تواقفا فصار كل واحد منهما يدع فضلا من سؤره ليشر ب

صاحبه والثأى الفساد وخبر ان كل واحد منهما يحترس من صاحبه وفيه يستقيم

ان يكون شعر النابغة في الحية وفي القليل صاحب القبر وفي أخيه المصالح للحية أن

يكون انما جعل ذلك مثلا وقد أثبتناه في باب الحيات فلذلك كرهنا إعادته في هذا

الموضع، فأما جميع ما ذكرناه عنهم فانما يخبرون عنه من جهة المعاينة والتحقيق وانما

المثل في هذا مثل قوله

قد كان شـيطانك من خطاها * وكان شـيطاني من طلابها

حينما فلما اعتركا ألوي بها

والانسان يجوع في أذنه كالدوي وقال الشاعر

دوي الفياقي رابه فكأنه * أميم وساري الليل للضوء يعود

يعود أي يضجر وربما قال الغلام لمولاه دعوتني فيقول لا وانما اعترى مسامعه ذلك

لمرض لا أنه سمع صوتنا ومن هذا الباب قول تأبط شرّاً أو قول القائل في كلمة له
 يظلل بمومة ويمسي بقفرة * جهيشا ويمرورى ظهور المهالك
 ويسبق وفد الرياح من حيث ينتحي * بمنخرق من شده المتدارك
 اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالى من قلب شبحان فانك
 ويجعل عينيه ربيثة قلبه * الى سلة من حد أخضر بانك
 اذا هزه في عظم لمرن تذلت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك
 يري الانس وحشى الفلاة ويهتدي * بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك
 ويدل على ما قال أبو اسحاق من نزولهم في بلاد الوحش وبين الحشرات والسباع
 مارواه لنا أبو سهر عن اعرابي من بني تميم نزل ناحية الشام فكان لا يعدمه في كل
 ليلة أن يمضه أو بهض ولده أو بهض حاشيته سبع من السباع أو دابة من دواب
 الارض فقال

تداورنى دين وذل وغربة * ومزق جلدي ناب سبع ومخلب
 وفي الارض أحناش وسبع وحارب * ونحن أسارى وسطها نلقب
 وتيلا وطبوع وشبتان ظلمة * وأرقط حرقوص وصمغ وعقرب
 ونمل كاشخاص الخنافس قطب * وأرسال جمالان وهزل تسرب
 وعت وحفمات وضب وعربد * وذر ودحاس وفار وعقرب
 وعمر وظربان وسمع وذوبل * وتزملة تجري وسيد وثلعب
 وتمر وفهد ثم ضبع وحنبل * وليث يحوس الالف لا يتهيب
 ولم أرأوى حيث أسمع ذكره * ولا الدب ان الدب لا يتنسب
 فأما الرنيلا والطبوع والشبت والحرقوص وذر الصمغ والعنكبوت والخنافس والجمل
 والعت والحفمات والدحاس والظربان والذب والثلعب والنمر والقهد والضبع والاسد
 وسنقول في ذلك اذا صرنا الى ذكر هذه الابواب وقبل ذلك عند ذي الحشرات
 فأما الضب والورل والمقرب والجمل والخنافس والسمع فقد ذكرناها في أول الكتاب
 وأما قوله وهزل تسرب فالهزلى هي الحيات كما قال جرير

* مزاحف هزلى بينها متباعد * ﴿وكما قال الآخر﴾

كأن مزاحف الهزلى عليها * خدود رواضع خذلت تؤاما

﴿وأما قوله﴾

* ولم أرأرى حيث أسمع ذكره *

فان ابن آوى لا ينزل الففار وانما يكون حيث يكون الريف وينبني ان يكون احيث
قال هذا الشعر توهم أنه ببياض نجد

﴿وأما قوله﴾ * ولا الدب ان الدب لا يتسب *

فان الدب عندهم عجبي والمعجبى لا يقيم نسبه ورووا في الملح ان فتي قال لجارية له أو
لصديقة له ليس في الأرض أحسن منى ولأماح منى فصارت عنده كذلك فبيننا هو
غندھا على هذه الصفة اذ قرع عليها الباب إنسان يريدہ فاطلمت عليه من خرق
الباب فرأت فتي أحسن الناس وأملحهم وأنبليهم وأتمهم فلما عاد صاحبها الى المنزل
قالت له أو ما أخبرتني انك أماح الخلق وأحسنهم قال بلى وكذلك انا فقالت فقد
أرادك اليوم فلان ورأيتہ من خرق الباب فرأيتہ أحسن منك وأماح قال لعمرى انه
لحسن مليح ولاكن له جنية تصرعه في كل شهر مرتين وهو يريد بذلك ان يسقطه
من عينها قالت أو ما تصرعه في الشهر الامرتين أما والله لو أنى جنية لصرعه في
اليوم الفين وهذا يدل على ان صرع الشيطان للانسان ليس هو عند الهوام الا على
جرة ما يعرفون من الجماع، ومن هذا الضرب من الحديث ما حدثنا به المازني قال ابتاع
فتي صانف مداخ جارية حسناء بديعة ظريفة فلما وقع عليها قال لها مراراً ويلاك ما أوسع
حرك فلما أكثر عليها قالت أنت الفداء لمن كان يملأه فقد سمع هذا كما ترى من
المكروه مثل ماسمع الاول، وزعموا ان رجلاً نظر الى امرأة حسناء ظريفة فألح عليها
فقالت ما تنظر قرة عينك وشئ غيرك، وزعم أبو الحسين المدائني ان رجلاً تبع جارية
لقوم فراوغته فلم ينقطع عنها حتى في المشى فلم ينقطع عنها فلما جازت بمجاس قوم
قالت يا هؤلاء لي طريق ولهذا طريق ومولى ينيكني فسلوا هذا ما بربد منى، وزعم
لنا ان سيارا البرقي قال مرت بنا جارية فرأينا فيها الكبر والتجبر فقال بمضنا ينبني ان

يكون مولى هذه الجارية ينيكها قالت كما يكون فلم أسمع بكلمة عامية اشنع ولا أدل على ما
أرادت ولا أقصر من كلماتها هذه وقد قالت جعشوية في شعر شبيهها بهذا القول حيث تقول
تواعدني لتنكحني ثلاثا * ولكن يامشوم بأى أير

فلو خطبت في صفة ايره خطبة أطول من خطبة فيس بن خارجة بن سنان في شأن
الجملة لما باغ مبلغ جعشوية وليكن يامشوم بأى أير وقول الخادم وكما يكون، وزعموا
ان فتى جلس الى اعرابية وعلمت انه انما جلس لينظر الى محاسن ابنتها فضربت يدها
على جنبها ثم قالت

عند اة يئط الأير فيها * أطيط الفرز في الرخل الجديد

ثم أقبلت على الفتى فقالت

ومالك منها غير انك نا كح * بعينيك عينيهما فهل ذاك نافع

ودخل قاسم منزل الخوارزمي النخاس فرأى عنده جارية كأنها جان وكأنها خوط بان
وكانها جدل عنان وكانها الياسمين نعمة وبياضا فقال لها اشتريك يا جارية فقالت افتح
كيسك تسر نفسك ودخلت الجارية منزل النخاس فاشتراها وهي لا تعلم ومضى الى
المنزل ودفعها الخوارزمي الى غلامه فلم تشعر الجارية الا وهي معه في جوف بيت فلما
نظرت اليه وعرفت ما وقعت فيه قالت له ويلاك انك والله لن تصل الى الا بعمد أنى
أموت فان كنت تجسر على نيك من قد أدرجوه في الا كيفان فدونك والله ان زلت
منذ رأيتك ودخات الى الجوارى أصف ببحك وبلية امرأتك بك فأقبل عليها يكامها
بكلام المتكلمين فلم تقبل منه فقال فلم قلت لي افتح كيسك تسر نفسك ففتحت كيسي
فدعيني أسر نفسي وهو يكامها وعين الجارية الى الباب ونفسها في توهم الطريق الى
منزل النخاس فلم يشعر قاسم حتى وثبت وثبة الى الباب كالغزال ولم يشعر الخوارزمي الا
والجارية بين يديه مفشي عليها فذكر قاسم اليه راجعا وقال ادفعها الى أشفي نفسي منها
فطلبوا اليه فصفح عنها واشتراها في ذلك المجلس غلام أمانح منها فقامت اليه فقبلت فاه
وقاسم ينظر والقوم يتعجبون مما تهايا عليه لها وتهاياها ، وأما عيسى بن مروان كاتب أبي
مروان عبد الملك بن أبي حمزة فانه كان شديد التفضل بالتصنيد حتى شرب لذلك النبيذ

وظرف بتقطيع ثيابه وتغنى أصواتا وحفظ أحاديث من أحاديث العشاق من الاحاديث التي تشتمها النساء وتفهم معانيها وكان أقبح خاق الله تعالى أنفاحتي كان أقبح من الاخنس ومن الافطس والاجدع فلما أن يكون صادق ظريفة واما أن يكون تزوجها فلما جاء معها في بيت وأرادها على ما يريد الرجل من المرأة فامتنعت فوهب لها ومناها وأظهر تمسقا وأراعها بكل حيلة فلما لم تجب قال لها خبريني ما الذي يمنعك قالت قبح أنفك وهو يستقبل عيني فلو كان أنفك في فمك لكان أهون عليّ قال لها جعلت فداك الذي بأنني ليس هو خلقه وإنما هو ضربة ضربتها في سبيل الله تعالى فقالت واستغربت ضحكا أنا ما أبالي في سبيل الله كانت أو في سبيل الشيطان إنما هو قبحه فخذ ثوبك على هذه الضربة من الله تعالى أما أنا فلا

— باب الجدد من أمر الجن —

ليس هذا حفظك الله تعالى من الباب الذي كنا فيه ولكنه كان مستراحا وجماما وسنقول في باب من ذكر الجن لتنتفع في دينك أشد الانتفاع وهو جدد كله والكلام الاول وما يتلوه من ذكر الحشرات ليس فيه جدد الا وفيه خلط من هزل وليس فيه كلام صحيح الا الى جنبه خرافة لان هذا الباب هكذا يقع ، وقد ظعن قوم في استراق الشياطين السمع بوجوه من الطمن فاذا قد جرى لها من الذكر في باب الهزل ما قد جرى فالواجب علينا أن نقول في باب الجدد وفيما يرد على أهل الدين بجملة وان كان هذا الكتاب لم يقصد به الى هذا الباب حيث ابتدئ وان نحن استقصيناه كنا قد خرجنا من حد القول في الحيوان وليكننا نقول بجملة كافية والله تعالى الممين على ذلك

قال قوم قد علمنا أن الشياطين ألطف لطافة وأقل آفة وأحد أذمانا وأقل فضولا وأخف أبدانا وأكثر معرفة وأدق فطنة منا والدليل على ذلك اجماعهم على أنه ليس في الارض بدعة بديمة دقيقة ولا جليلة ولا في الارض معصية من طريق الهوى والشهوة خفية كانت أو ظاهرة الا والشيطان هو الداعي لها والمزين لها والذي يفتح

باب كل بلاء وينصب كل حباله وخذعة ولم يكن ليعرف أصناف جميع الشر والمعاصي حتى يعرف جميع أصناف الخير والطاعات ونحن قد نجد الرجل اذا كان معه أدنى عقل ثم علم أنه اذا نقب حائطاً قطعت يده أو أسمع انساناً كلاماً قطع لسانه أو يكون متى رام ذلك حيل دونه ودون ما رام منه أنه لا يتكاف ذلك ولا يرومه ولا يحاول أسراً قد أيقن أنه لا يبلغه وأنتم تزعمون أن الشياطين الذين هم على هذه الصفة كلها صعد منهم شيطان ليسترق السمع فذف بشهاب نار وليس له خواطي فاما أن يكون يصيبه واما أن يكون نذيراً صادقاً أو وعيداً أن يقدم عليه رمى به وهذه الرجوم لا تكون الا لهذه الامور ومتي كانت فقد ظهر للشيطان احراق المستمع والمسترق أو الموانع دون الوصول ثم لا يزى الا اول ينهى الثاني ولا الثاني ينهى الثالث ولا الثالث ينهى الرابع في هذا الدهر الطويل فان كان المحرق المصاب هو الذي يمود فهذا عجب وان كان الذي يمود غيره فكيف خفي عليه شأنهم وهو ظاهر مكشوف وعلى انهم لم يكونوا أعلم منا حتى ميزوا جميع المعاصي من جميع الطاعات ولولا ذلك لدعوا الى الطاعة بحساب المعاصي وزينوا لها الصلاح وهم يريدون النساد فاذا كانوا ليس كذلك فأدنى حالاتهم ان يكونوا قد عرفوا أخبار القرآن وصدقوا وان الله تعالى محقق ما أوعد كما يخبر ما أوعد وقد قال الله عز وجل ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناس الذين يحفظونها من كل شيطان رجيم وقال تعالى انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد وقال تعالى هل أنبذكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أئيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون مع قول الجن انا لاندرى أشر أريد من في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً وقولهم انا لمسنا السماء فوجدناها مئت حرساً شديداً وشهباً وانا كنا نطعم منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً فكيف يسترق السمع الذين شاهدوا الحالتين جميعاً وأظهروا اليقين بصحة الخبر بأن للمستمع بعد ذلك الغذف بالشهب والاحراق بالنار وقوله تعالى انهم عن السمع لم عزولون وقوله تعالى وحفظنا من كل شيطان

وارد لا يسمعون الى الملائة الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب
 في آى غير هذا كثير فكيف يمدون الى استراق السمع مع تيقنهم بأنه قد حصن
 بالشهب ولولم يكونوا موقنين من جهة حقائق الكتاب ولا من جهة أنهم بعد دفعهم
 مفاعد للمسح لمسوا السماء فوجدوا الامر قد تغير لكان في طول التجربة والعيان
 الظاهر في إخبار بعضهم لبعض ما يكون حائلاً دون الطمع وقاطعاً دون التماس الصمود
 وبعد فأى عاقل يسر بان يسمع خبراً وتقطع يده فضلاً عن أن تحرقه النار وبعد فأى خبير
 في ذلك اليوم وهل يصلون الى الناس حتى يحملوا ذلك الخبر سبباً الى صرف
 الدعوى قيل لهم فانا نقول بالصرفة في عامة هذه الاصول وفي هذه الأبواب كنعو
 ما أتى على قلوب بني اسرائيل وهم يجولون في التيه وهم في العدد وكثرة الادلاء والتجار
 وأصحاب الاسفار والحارين والمكاريين من الكثرة على ما قد سمعتم به وعرفتوه وهم مع
 هذا يمشون حتى يصبحون مع شدة الاجتهاد في الدهر الطويل ومع قرب ما بين
 طرفي التيه وقد كان طريقاً مسلوكة وانما سموه التيه حين تاهوا فيه لان الله تعالى حين
 أراد أن يمتحنهم ويبتليهم صرف أوهامهم ومثل ذلك صنيعه في أوهام الامة التي كان
 سليمان ملكها وبتليهم مع تسخير الرياح والاعاجيب التي أعطيها وليس بينهم وبين ملكهم
 ومملكته وبين ملك سببا ومملكة بلقيس ملكتهم بحار لا تركب وجبال لا ترام ولم
 يتسامع أهل المملكةين ولا كان في ذكرهم مكان هذه الملائكة وقد قلنا في باب الفول
 في الهدد ما قلنا حين ذكرنا الصرفة وذكرنا حال يعقوب ويوسف وحال سليمان وهو
 معتمد على عصاه وهو ميت والجن مطيفة به وهم لا يشعرون بموته وذاكرنا من صرف
 أوهام العرب عن محاولة معارضة القرآن ولم يأتوا به مضطرباً ولا متفقاً ولا مستكرها
 اذ كان في ذلك لاهل الشغب متعاق مع غير ذلك مما يخالف فيه طريق الدهرية لان
 الدهري لا يقر الا بالحسوسات والعادات على خلاف هذا المذهب وامري لا يستطيع
 الدهري أن يقول بهذا القول ويجمع بهذه الحججة مادام لا يقول بالنوحيد ومادام
 لا يعرف الا الفلك وعمله ومادام يرى أن إرسال الرسل يستحيل وأن الامر والنهي
 والثواب والعقاب على غير ما نقول وأن الله تعالى لا يجوز أن يأمر من جهة الاختبار

الا من جهة الحزر وكذلك نقول ونزعم أن أوهام هذه المغاربت تصرف عن الذكر
 لتمع المحنة وكذلك نقول في النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كان في جميع تلك الهزاهزية
 من يذكر قوله تعالى والله يصبك من الناس لسقط عنه من المحنة أغلظها واذا سقطت
 المحنة لم تكن الطاعة والمصيبة وكذلك عظيم الطاعة مقرون بعظيم الثواب وما يصنع
 الدهري وغير الدهري بهذه المسألة وبهذا التسطير، ونحن نقول لو كان ابليس يذكر
 في كل حال قوله تعالى وان عليك الائمة الى يوم الدين وعلم في كل حال أنه لا يسلم أن المحنة
 كانت تسقط عنه لان من علم يقينا أنه لا يعصي غدا الى السوق ولا يقبض دراهمه
 من فلان لم يطمع فيه ومن لم يطمع في الشيء انقطعت عنه أسباب الدواعي اليه ومن
 كان كذلك فحال ان يأتي السوق فنقول في ابليس أنه ينسى ليكون مختبراً فليعلموا
 ان قولنا في مسترقي السمع كقولنا في ابليس وفي جميع هذه الامور التي أوجب علينا
 الدين ان نقول فيها بهذا القول وليس له أن يدفع هذا القول على أصل ديننا فان أحب
 أن يسأل عن الدين الذي أوجب هذا القول علينا فليفعل والله تعالى المعين والموفق
 وأما قولهم من يخاطر بذهاب نفسه لخبر يستفيده فقد علمنا ان أصحاب الرياسات
 وان كان متبيناً كيف كان اعتراضهم على أن أيسر ما يهتملون في جنب تلك الرياسات
 القتل ولعل بعض الشياطين ان يكون معه من النفخ وحب الرياسة ما يهون عليه أن
 يبلغ دوين المواضع التي ان دنا منها أصابه الرجم والرجم انما ضمن أنه مانع من الوصول
 ويعلم أنه اذا كان شهاباً أنه يحرقه ولم يضمن أنه يتلف عنه فما أكثر من تحترقه الراح
 في الحرب ثم يعاود ذلك المكان ورزقه ثمانون ديناراً ولا يأخذ الا نصفه ولا يأخذه
 الا قحاً فلولا ان مع قدم هذا الجندي ضرباً بما يهزه وينجده ويدعو اليه ويفريه ما كان
 يعود الى موضع قد قطعت فيه احدي يديه أو فقتت احدي عينيه ولم وقع عليه اذا
 اسم شيطان ومارد وعفريت وأشباه ذلك ولم صار الانسان يسمى بهذه الاسماء
 ويوصف بهذه الصفات اذا كان فيه الجزء الواحد من كل ما هم عليه ، وقالوا في باب
 آخر من الظمن غير هذا قالوا في قوله تعالى وانا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع
 الآن يجد له شهاباً رصداً فقالوا قد دل هذا الكلام على أن الاخبار هناك كانت

مضيفة حتى حصنت بعد فقد وصفتم الله تعالى بالتضيق والاستدراك فلنا ليس في هذا الكلام دليل أن أنهم سمعوا سراقط أو هجموا على خبر ان أشاعوه فسد به من شيء الدين وللملائكة في السماء تسبيح وتهليل وتكبير وتلاوة فكان لا يبلغ الموضع الذي يسمع ذلك منه الا عفاريتهم وقد يستقيم أن يكون العفريت يكذب ويقول سمعت ما لم أسمع ومتى لم يكن على قوله برهان يدل على صدقه فانما هو في كذبه من جنس كل متنبئ وكاهن فان صدقه مصدق بلا حجة فليس ذلك بحجة على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وذهب بمضمهم في الطعن الى غير هذه الحجة قالوا وزعمتم أن الله تعالى جعل هذه الرجوم للخوافي خجة للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون ذلك رجما وقد كان قبل الاسلام ظاهراً امرئياً وذلك موجود في الاشعار وقد قال ابن أبي خازم في ذلك

جأجاها من أترب الري غدوة * ولما يسكنه من الارض مرتع
 بأكبسة زرق ضوار كأنها * خطاطيف من طول الشريعة تلح
 بجال على نفر كما انقض كوكب * وقد حال دون النقع والنقع يسطم
 فوصف شوط الثور هاربا من الكلاب بانقضاض الكوكب في سرعته وحسنه وبريق
 جلده ولذلك قال الطرماح

يبدو وتضمرة البلاد كأنه * سيف على شرف يسلم وينعمد
 وأنشد أيضاً قول بشر بن أبي خازم

وتشيع بالعر الفلاة كأنها * فتخاء كاسرة هوت من مرعب
 والعر يرهقها الحمار وجحشها * ينقض خلفها انقضاض الكوكب

قالوا وقال الضبي

ينالها منك أشجارها * بذئ غروب فيه تحريب
 كأنه حين لحا كوكب * أو قيس بالكيف مشبوب

وقال أوس بن حجر

فانقض كالدرى يابمه * نقع يثور نخاله طنبا

يخني وأحيانا يلوح كما * رفع المشير بكفه لهما

وروا قوله

فانقض كالدرى من متحدر * لمع العقيقة جنح ليل مظلم

وقال عوف بن الجذع

يرد علينا المير من دون انفه * أو الثور كالدرى يتبعه الدم

﴿ وقال الأفوه الاودي ﴾

كشهاب القذف يرميكم به * فارس في كفه للحرب نار

﴿ وقال امية بن أبي الصات ﴾

وترى شياطينا تروع مصاعبا * ورواعها شتي اذا ماتطرد

ياق عليها في السماء مذلة * وكواكب ترمى بها فتقد

فلنا لهؤلاء القوم ان قدرتم على شعر جاهلي لم بدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

ولا مولده فهو بمض ما يملق به مثلكم وان كان الجواب في ذلك سيأتيكم ان شاء

الله تعالى فأما أعمار المخضرمين والاسلاميين فليس لكم في ذلك حجة والجاهلي

مالم يكن أدرك المولد فان ذلك مما ليس ينبغي لكم أن تتلفوا به وبشر بن ابي خازم

فقد أدرك الفجار والنبي صلى الله عليه وسلم شهد الفجار وقال شهدت الفجار فكنت

أبلى على عمومتي وأنا غلام ، والاعلام ضروب فمنها ما يكون كالبشارات في الكتب

لكون الصفة اذا وافقت الصفة التي لا يقع مثلها اتفاقاً وعرضاً لزمت فيه الحجة

وضروب آخر كالارهاص الامر والتأسيس له وكان بعيد والترشيح فانه قل نبي الا

وقد حدثت عند مولده أو قبيل مولده أو بعد مولده أشياء لم يكن يحدث مثلها وعند

ذلك يقول الناس ان هذا الامر وان هذا البراد به أمر وقع أو سيكون لهذا نبأ كآرامهم

يقولون عند الذوائب التي تحدث لبعض الكواكب في بعض الزمان فن الترشيح والتأسيس

والتفخيم شأن عبد المطلب عند الفرعة وحين خروج الماء من تحت ركبة جملة وما كان

من شأن الفيل والطير والأبواب وغير ذلك مما اذا تقدم للرجل زاد في نبه وفي فخامة

أصره والمتوقع أبدأ معظم فان كانت هذه الشهب في هذه الايام أبدأ مرتبة فانما كانت

من التأسيس والارهاص الا أن يشدونا مثل شعر الشعراء الذين لم يدركوا المولد ولا
 بعد ذلك فان عددهم كثير وشمرهم معروف وقد قيل الشعر قبل الاسلام في مقدار
 من الدهر أطول ما بيننا اليوم وبين أول الاسلام وأولناكم عندكم أشمر ممن كان بعدهم
 وكان أحدهم لا يدع عظما منبوذاً باليا ولا حجراً مطروحاً ولا خنفساء ولا جملاراً ولا
 دودة ولا حية الا قال فيها فكيف لم يتها من واحد منهم أن يذكر الكواكب
 المنتفضة مع حسنها وسرعتها والاعجوبة منها وكيف أمسكوا بأجمعهم عن ذكرها الى
 الزمان الذي يجتمع فيه خصومكم وقد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر له
 يوم ذي قار قال هذا اول يوم انتصفت فيه العرب وبني نصرروا ولم يكن قال لهم قبل
 ذلك أن وقعة ستكون من صفتها كذا ومن شأنها كذا وتنصرون على العجم وبني
 تنصرون فان كان بشر بن أبي خازم وهؤلاء الذين ذكرتم قد عاينوا انقضاء
 الكواكب فليس يستنكر ان تكون كانت ارهاصاً لمن لم يخبر عنها ويحتج بها بنفسه
 فكيف وبشر بن أبي خازم في أيام الفجار التي شهدها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه
 وان كنانة وقريشا به نصرروا وسنقول في هذه الاشعار التي أنشدتموها ونخبر عن
 مقاديرها وطبقاتها فاما قوله

فانقض كالدرى من متحدر * لمع العقيقة جنح ليل مظلم

فخبرني أبو اسحق ان هذا البيت في ابيات اخر لا سامة صاحب روح بن ابي همام
 وهو الذي كان ولدها فان اتهمت خبر ابي اسحاق فسم الشاعر وهات القصيدة
 فانه لا يقبل في مثل هذا الا بيتاً صحيحاً صحيح الجوهر من قصيدة صحيحة لشاعر
 معروف والا فان كل من يقول الشعر يستطيع أن يقول خمسين بيتاً كل بيت منها
 أجود من هذا البيت وأسامة هذا هو الذي قال له روح

اسقني يا أسامة * من رحيق مدامه

اسقنيها فاني * كافر بالقيامه

وهذا الشعر هو الذي قتله وأما ما أنشدتم من قول أوس بن حجر

فانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخله طنيا

وهذا الشعر ليس بروبه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس وقد طغنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه الي بشر بن أبي خازم من قوله والعيبر برهقها الحمار وجحشها * ينقض خلفهما انقضا الكوكب فزعموا انه ليس من عاداتهم ان يصفوا عدو الحمار بانقضا الكوكب ولا بدن الحمار بدن الكوكب وقالوا في شعر بشر مصنوع كثير مما قد احتمانه كثير من الرواة على انه من صحيح شعره فمن ذلك قصيدته التي يقول فيها

فرجى الخير وانتظري إبائي * اذا ما الفارظ العنزى آبا

وأما ما ذكرتم من شعر هذا الضبي فان الضبي مخضرم وزعمتم أنكم وجدتم ذكر الشهب في كتب القدماء من الفلاسفة وأنه في الآثار العلوية لارسطاطاليس حين ذكر القول في الشهب مع القول في الكواكب ذوات الذوائب ومع القول في القوس والطوق الذي يكون حول القمر بالليل فان كنتم بمنثل هذا تستعينون واليه تفزعون فانا نوجدكم من كذب التراجم وزيادتهم ومن فساد الكتاب من جهة تأويل الكلام ومن جهة جهل المترجم بنقل لغة الى لغة ومن جهة فساد النسخ ومن أنه قد تقدم فاعترضت دونه الدهور والاحقاب فصار لا يأمن ضروب التبديل والفساد وهذا الكلام معروف صحيح، وأما ما رويتهم من شعر الافوه الاودي فلعمري انه لجاهلي وما وجدنا أحداً من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة وبعد فن أين علم الافوه أن الشهب النبي يراها انما هي نذف ورجم وهو جاهلي ولم يدع هذا أحد قط الا المسنون فهذا دليل آخر على أن القصيدة مصنوعة

ثم رجع بنا القول الى تفسير قصيدة البهراني وأما قوله

جايا للبحار أهدي لعربي * فافلا مجتنا وهضمة عطر

وأحلى هرب من صدف البج * رواسقي العيال من نيل مصر

لان الناس يقولون إن الساحر لا يكون ماهراً حتى يأتي بالفلفل الرطب من سرنديب وهربرة اسم امرأته الجنية وذكر الظبي الذي جعله مركبه الى بلاد الهند فقال وأجوب البلاد تحتي ظبي * ضاحك سنه كثير النمرى

مولج دبره خزانه مكر * وهو بالليل بالعفاريت يسرى
يقول هذا الظبي الذي من خبثه وحذره من بين جميع الوحش لا يدخل حراء الا
مستديراً لتكون عيناه تلقاء ما يخاف أن يفشاه هو الذي يسرى مع العفاريت بالليل
ضاحكا بي هازنا اذ كان تحتى وأما قوله

بحسب الناظرون انى ابن ماء * ذا كره عشه بصفة نهر
لان الجني اذا طار به فى جو السماء ظن كل من رآه أنه طائر ماء ، وأما قولهم فى المثل
أروى من صب فانى لا أعرفه لان كل شئ الدوّ والدهناء والصمان واوساط هذه
المهامه والمصاحص جميع ما يسكنها من الحشرات والسباع لا يبرد الماء ولا يبرده لانه
ليس فى اوساط هذه الفياق فى الصيف كله وفى القبيظ جميعا منقوع ماء ولا غدير ولا
شريعة ولا وعل فاذا استقام أن يمر بظباؤها وأرانبها وثمانبها وغير ذلك منها الصيفة
كلها والقبيظ كله ولم تذق فيها فطرة ماء فهي له فى الشتاء أترك لأن من اقتات اليبس
اذا لم يشرب الماء اذا اقتات الرطب أترك وليس العجب فى هذا ولكن العجب فى
ابل لا تزد الماء ، وزعم الاصمعي أن لبني عقيل ما عزالم يرد الماء قط فيذبني على حال ان
يكون وادبهم لا يزال يكون فيه من البقل والورق ما يعيشها بتلك الرطوبة التى فيها
ولو كانت ثعالب الدهناء وظباؤها وأرانبها ووحشها تحتاج الى الماء لطبته أشد الطلاب
فان الحيوان كله يهتدى الى ما يعيشه وذلك فى طبيعه وانما سلب هذه المعارف الذين
أعطوا العقل والاستطاعة فوكلوا اليهما فأما من سلب الآلة التى بها تكون الرؤية
والاداة التى يكون بها التصرف وتخرج أفعاله من حد الايجاب الى حد الامكان وعوض
التمكين فان سبيله غير سبيل من منع ذلك فقسم الله تعالى للملك الكفاية وقسم لهؤلاء
الابتلاء والاختبار ، أول ما يبدأ قبل ذكر الحشرات وأصناف الحيوان والوحش بشمري
بشر بن المعتز فان له فى هذا الباب قصيدتين قد جمع فيهما كثيرا من هذه الغرائب
والفوائد ونبه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة والموعظة البليغة وقد كان
يمكننا أن نذكر من شأن هذه السباع والحشرات بقدر ما تنسج له الرواية من غير أن
نكتبها فى هذا الكتاب ولكنهما بجممان أمورا كثيرة أما أول ذلك فان حفظ الشعر

أهون على النفس واذا حفظ كان أعلق وأثبت وكان شاهدا وان احتيج الى ضرب المثل
كان مثلا واذا سمنا ما عندنا في هذه الأصناف على بيوت هذين الشمرين وقع
ذكرهما مصنفاً فيصير حينئذ آتق في الاسماع وأشد في الحفظ قال بشر بن المعتمر

الناس دأبا في طلاب الغني * وكلهم من شأنه الخنزير
كاذوب تنهشها أذوب * لها عواء ولها زفر *
تراهم فوضى وأيدي سببا * كل له في نفسه سحر
تبارك الله وسبحانه * بين يديه النفع والضرر
من خلقه في رزقه كاهم * الذئب والتيتل والمفر
وساكن الجو اذا ما علا * فيه ومن مسكنه القفر
والصدع الاعصم في شامق * وجابة مسكنها الوعر
والحياة الصماء في جحرها * والتنفل الرائغ والذر
والقمة ترغث رباحها * والسهل والنوفل والنضر
وهمة ترتاع من ظلمنا * لها عرار ولها زمر
تلهم النار على شهوة * أحب شي عندها الجمر
وضبة تأكل أولادها * وعترقات بطنه صفر
يؤثر بالطعم وتأذينه * منجم ليس له فكرك
وكيف لا أعجب من عالم * خشونه الناس والذعر
وحكمة يبصرها عاقل * ليس له من دونها ستر
جرادة تحرق متن الصفا * وأبنت بصطاده صقر
سلاحه ساح ذاعذره * وقد عراه دونه الذعر
والدب والقرد اذا علما * والفيل والكلبة والبفر
يججم عن فرط أعاجيبها * وعن مدى غاياتها السحر
وظبية تخضم في حنظل * وعقرب يمجها التمر
وخنفس تسمى بجملانة * يقوتها الارواث والبحر

يقتلها الورد وتحبي اذا * ضم اليها الروث والجمر
 وفارة البيش امام لها * والخلد فيه عجب هتر
 وتنفذ يسرى الى حبة * وحية يخلي لها الجمر
 وعضر فوط ماله قبلة * وهدهد يكفره بكر
 وقوة العقرب من لسمها * تخبر ان ليس لها عذر
 والببر فيه عجب عاجب * اذا اتلقى الليث والتمر
 وطائر اشرف ذو جرذة * وطائر ليس له وكر
 وثرمل تأوى الى دوبل * وعسكر يتبعه النسر
 يسالم الضبع بذى مرة * اثمها في الرحم الغمر
 وتمسح خله طائر * وساج ليس له سحر
 والفث والحفات ذو مخجج * وخربق يسفده وبر
 وغائص في الرمل ذو وحدة * ليس له ناب ولا ظفر
 حرباؤها في قطه هاشامس * حتى يوافي وقته العصر
 يميل بالشق اليها كما * يميل في روضته الزهر
 والظربان الورد قد شفه * حب الكشا والوجر الحمر
 يلوذ منه الضب مذلوليا * ولو نجا أهلكه الذعر
 وليس ينجيه اذا مافشا * شيء ولو أحرزه قصر
 وهرسه تأكلها سرفة * وسمع ذئب همه الحصر
 لا ترد الماء افاغى النقا * اكنما يخنقها الحمر
 وفي ذري الحمر مل ظل لها * اذا غلا واحتدم الحجر
 فبعضها طعم لبعض كما * أعطي سهام الميسر القمر
 وتمسح الذبل عقاب الهوى * والليث رأس وله الأسر
 ثلاثة ليس لها غالب * الا بما ينتقض الأمر
 انى وان كنت ضعيف القوي * فالله يقضي وله الأمر

لست أباضياً غيبياً ولا * كرافضي غره الجفر
كما يفر الآل في سبب * سفر آفاودي عنده السفر
كلاهما وسع في جهل ما * فعاله عندهما كفر
لسنا من الحشو والجفاة الأولى * عابوا الذي عابوا ولم يدروا
ان غبت لم يسلمك من بهمة * وان رنا فلاحظه شزر
يمرض ان سالمته مدبراً * كأنما يابسه الدبر
أبله خب ضفن قلبه * له اختيال وله مكر
وانحلوا جماعة باسمها * وفارقوها فهم النمر
وأهوج أعوج ذو لوثه * ليس له رأى ولا قدر
قد غره في نفسه مثله * وغرهم أيضاً كما غروا
لا تنج الحكمة فيهم كما * يذو عن الخزولة القطر
قلوبهم شتى فما منهم * ثلاثة يجمعهم أمر
الا الاذي أوبت أهل النقي * وانهم أعينهم خزر
أولئك الداء العضال الذي * أعيا لديه الصاب والمقر
حيلة من ليس له حيلة * حسن عزاء النفس والصبر

﴿ قال أنشدني أيضاً ﴾

ما ترى العالم ذا حشوة * يقصر عنها عدد القطر
أوابد الوحش واجناسها * وكل سبع وافر الظفر
وبعضه ذو همج هامج * فيه اعتبار لذوى الفكر
والوزغ الرقط على ذلها * تطاعم الحيات في الحجر
والخنفس الأسود في طبعه * مودة العقرب في السر
والحشرات الفبر منبثة * بين الورى والبلد القفر
وكلاها شر وفي شرها * خير كثير عند من يدرى
لو فكر العاقل في نفسه * مدة هذا الخلق في العمر

* لم ير الا عجباً شاملاً * أو حجة تنقش في الصخر
 فكلم ترى في الخلق من آية * خفية الجمان في قعر
 أبرزها الفكر على فكرة * يحار فيها وضح الفجر
 لله در العقل من رائد * وصاحب في العسر واليسر
 وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد الأمر
 وان شيئاً بمض أفعاله * ان يفصل الخير من الشر
 بذى قوى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر
 بل أنت كالمين وانسانها * ونخرج الخيشوم والنحر
 فشرهم أكثرهم حيلة * كالذئب والثعلب والذر
 * والليث قد بلده علمه * بما حوى من شدة الأسر
 فتارة تحطمه خابطا * وتاره يثنيه بالمصر *
 والضمف قد عرف أربابه * مواضع الفر من الكر
 تعرف بالاحساس أقدارها * في الاسم والجرح والصبر
 والبخت مقرون فلا تجملان * بصاحب الحاجة والفقير
 وذا الكفايات الى سكرة * أهون منها سكرة الخمر
 والضيع العثراء مع ذبحها * شر من اللبوة والنمر
 ولو خلى الليث بطن الوري * والنمر أوقد جيء بالبيهر
 كان لها ارجا ولو فضفضت * ما بين قرنيه الى الصدر
 الذئب ان افلت من شره * فبعد ان أبلغ في العذر
 وكل جنس فله قلب * وعنصر اعرفه تسرى
 وتصنع الترفة فيهم على * مثل صنيع الارض والبذر
 والاضعف الاصغر احرى بان * يحتال الاكبر بالفكر
 متى يرى عدوه قاهراً * أحوجه ذاك الى المكر
 كما ترى الذئب اذا لم يطق * صاح جفأت رسلاً تجري

وكل شيء، فعلى قدره * يحجم أو يتقدم أو يجري
 والكيس في المكسب مثل لحم * والعنديل الفرخ كالنسر
 والخلد كالذئب على خبثه * والفيل والاعلم كالوبر
 والعبد كالحرأ وان ساءه * والابث الأثر كالصقر
 لكنهم في الدين أيدى سبأ * تفاوتوا في الرأي والفدر
 مدغم التقاليد أحلامهم * فناصروا القياس ذا الشر
 فانهم كلامي واصطبر ساعة * فأنما النجح مع الصبر
 وانظر الى الدنيا بين امرئ * يكره أن يجرى ولا يدري
 أما ترى الهقل وأمعاه * تجمع بين الصخر والجر
 وفارة البيض على بيثها * طيبة فائقة المطر *
 وطائر يسبح في جاحم * كما هر يسبح في غمر
 ولطمة الذئب على حسوه * وصنعة السرفة والدبر
 ومسمع الردان في منهل * أعجب مما قيل في الحجر
 وظيفية تدخل في موج * مؤخرها من شدة الذعر
 تأخذ بالحزم على قانص * يربها من قبل الدبر
 والمقدم آخر ما أن له * مرارة تسمع في الذكر
 وخصية تنصل من جوفه * عند حدوث الموت والنحر
 ولا يري من بعدها جازر * شمشقة مائة الهدر
 وليس للطرف طحال وقد * أشاءه العالم بالامر
 وفي فؤاد الثور عظم وقد * يعرفه الجازر ذا الخبر
 وأكثر الحينان أعجوبة * ما كان منها عاش في البحر
 اذ لا لبان سقى ملحه * ولا دماغ السمك الدهري
 يدخل في العزب الى جسمه * كفهل ذي الملة في البر
 تدير اوقانا بأعيانها * على مثال الفلك المجري

وكل جنس فله مـدة * تماثب الانواء في الشهر
 والبدر مذ يظهر في ليلاها * ثم يوارى آخر الدهر
 ولا يسبغ الطعم ما لم يكن * مزاجه الدهر على قدر
 ليس له شيء لازلافه * سوى جراب واسع الشجر
 والتتفل الرائغ اما نضا * فشطر انبوب على شطر
 متي رأى الليث أفا حافر * تجده ذافش وذا جـزر
 وان رأى الخـثر طعاما له * أطعمه ذلك في الخـبر
 وان رأى مخلبه وافيـا * ونابه يجرح في الصـخر
 منهـرت الشـدق الي غلصم * فالعير مأكول الى الحـشر
 وما يعادى النمر في ضيغم * زئيره أصـبر من نمر
 لولا الذي في أصل تركيبه * من شدة الاضـلاع والظـهر
 يبلغ بالجـر على طبعه * ما يسحر المختال ذا الكـبر
 سبحان رب الخلق والامر * ومنشر الميت من القـبر
 فاصبر على التفكير فيما ترى * ما أقرب الاجر من الوزر

نقول بعون الله تعالى وقوته في تفسير قصيدة أبي سهل بشر بن المعتمر ونبدأ بالاولى
 المرفوعة التي ذكر في آخرها الاباضية والرافضة والناطقة فاذا قلنا في ذلك بما حضرنا
 قلنا في قصيدته الثانية ان شاء الله تعالى اما قوله

كأذؤب نهشها أذؤب * لها عواء ولها زفر

فانها قد تهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل فاذا أدى بعضها بعضاً وثبت عليه فزقته
 وأكلته وقال الراجز

فلا تكوني يا ابنة الأشم ن زرقاء ذي دمها المدمي

* وقال الفرزدق *

وكنت كذؤب السوء لما رأى دمأ * بصاحبه يوما حال على الدم
 نعم حتى ربما اقبلا على الانسان اقبالا واحدا وهما سواء على عداوته والجزم على أكله

فاذا أدمى أحدهما وثب على صاحبه المدمى فزقه وأكاه وترك الانسان وان كان أحدهما قد أدماه ولا أعلم في الارض خلقاً الاثم من هذا الخلق ولا شرأ منه ويحدث عند رؤيته الدم له في صاحبه الطمع ويحدث له في ذلك الطمع فضل قوة ويحدث للمدمى جبن وخوف ويحدث عنهما ضعف واسترخاء فاذا تهيأ ذلك منهما لم يكن دون أكله شئ والله أعلم حيث لم يعط الذئب قوة الاسد ولم يعط الاسد جبن الذئب الهارب بما يرى في أثر الدم من الضعف مثل ما يمتري الهر والهرة بعد الفراغ من السفاد فان الهر قبل ان يفرغ من سفاد الهرة أقوى منها كثيراً فاذا سفدها ولى عنها هاربا وابتعته طالبة له فانها في تلك الحال ان لحقته كانت أقوى منه كثيراً فلذلك يقطع الارض في الحرب ووربما رمى بنفسه من حلق وهذا شئ لا يعدمانه في تلك الحال ولم أرهم يقفون على حد الملة في ذلك وهذا باب سيقع في موضعه من القول في الذئب تاما بما فيه من الرواية وغير ذلك وأما قوله

من خلقه في رزقه كلهم * الذئخ والتيتل والعفر

الذئخ ذكر الضبع والتيتل شبيهه بالوعل وهو مما يسكن في رؤس الجبال ولا يكون في القرى وكذلك الاوعال وليس لها حفر ولا عمل محمود على التبسط وكذلك ليس للظباء حفر ولا عمل محمود في رؤس الجبال وقال الشاعر

وخيل تكردس بالدارعين * كئشى الوعول على الظاهر

﴿ وقال أيضاً ﴾

والظبي في رأس اليفاع تحاله * عند الهضاب مقيداً مشكولاً

والعفر ولد الأروية واحد الاروى والاروي جماعة من اناث الاوعال وأما قوله

والصدع الاعصم في شاقق * وجأبة مسكنها الوعر

فالصدع الشاب من الاوعال والاعصم الذي في عصمته بياض وفي المعصم منه سواد ولون يخالف لون جسده والانثى عصماء والجأب الجمار الغليظ الشدبد والجأبة الانان الفليظة والجأب أيضاً مهموز المغرة وقال عنتره

فنبجا امام رماجهن كأنه * فوت الاسنة حافر الجأب

شبهه بما عليه من لطوخ الدماء برجل يحفر في معدن المغرة والمغرة أيضاً المكر ولذلك
قال أبو زيد في صفة الاسد المخمر بالدماء

يُناجيهم للشرائق عطفه * عناية كأنما بات يكر

وأما قوله

والحمة الصماء في جعرها * والتنفل الراذغ والذر

فالتنفل هو الثعلب وهو موصوف بالروغان والخبث ويضرب به المثل في الذمالة
والدناءة كما يضرب به المثل في الخبث والروغان وقال طرفة

وصاحب قد كنت صاحبتة * لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحه

﴿ وقال دريد بن الصمة ﴾

ومرة قد أركتهم فتركتهم * يروغون بالعراء روغ الثعالب

﴿ وقال أيضاً ﴾

ولست بثعلب ان كان كون * يدس برأسه في كل جعر

ولما قال أبو محجن التقي لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من حائط الطائف ما قال

قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه إنما أنت ثعلب في جعر فابرز من الحصن ان

كنت رجلاً ، ومما قيل في ذلة الثعلب قال بعض السلف حين وجد الثعلبان بال على

رأس صنمه

اله يبول الثعلبان برأسه * لقدذل من بات عليه الثعالب

فأرسلها مثلاً وقال دريد في مثل ذلك

تمنيتنى قيس بن سمد سفاهة * وأنت امرؤ لا تحمويك المقاب

وأنت امرؤ جمع القفا متمكس * من اللاقط الحولى ثعبان كاتب

إذا انتسبوا لم يعرفوا غير ثعلب * اليهم ومن شر السباع الثعالب

﴿ وأنشدوا في مثل ذلك ﴾

ما أعجب الدهر في تصرفه * والدهر لا تنقضى عجائبه

يبسط آمالنا فبسطها * ودون آمالنا نوابه
وكم رأينا في الدهر من أسد * بات على رأسه ثعالبه

ففي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الأسود وهو
ضروب ومنه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفئك ومنه الخلدجي وهو الأعم
ومن أعاجيبه أن لونه وهو قضيبه في خلة الانبوبة أحد شطريه عظم في صورة المثقب
والآخر عصب ولحم ولذلك قال بشر بن المعتمر

والتفعل الرائع امانضى * فشطرت أنبوب على شطر

وهو سبع جبان جداً ولكنه لفرط الخبث والحيلة يجري مع كبار السباع وزعم اعرابي
من يسمع منه انه طارده مرة بكلاب له فراوغه حتى صار في خمر ومر بمكانه فرأى
ثعلبا ميتا واذا هو قد زكر بطنه ونفخه فوهمه أنه قد مات من يوم أو يومين قال فتمديته
وشم رائحة الكلاب فوثب وثبة فصار في صحراء، وفي حديث العامة أنه لما كثرت
البراغيث في فروته تناول بفيه اما صوفة واما ليفة ثم أدخل رجليه في الماء فترفت
من ذلك الموضع فما زال يغمس بدنه أولا فأولا حتى اجتمع في خطمه فلما غمس
خطمه أولا فأولا اجتمع في الصوفة فاذا علم أن الصوفة قد اشتملت عليهن تر كها في
الماء ووثب فاذا هو خارج من جميعها فان كان هذا الحديث حقا فما أعجبه وان كان
باطلا فانهم لم يجملوه له الا للفضيلة التي فيه من الخبث والكيس واذا مشى الفرس
مشيا شبيها بمشي الثعالب قالوا مشى الثعلبية قال الراعي

وخيل نضي بالثمان كأنها * ثعالب موتى جلدها قد تساما

وقال الاصمعي سرق هذا المعنى من طفيل الغنوي ولم يجد السرقة وفي تشبيهه بعض
مشيته قال المرار بن منقذ

صفة الثعلب أدنى جريه * واذا ير كض يعفور أشر

﴿ وقال امرؤ القيس ﴾

له أبطلا ظبي وساقا نعامة * وإرخاء سرحان وتقريب تنفل

والبيت الذي ذكر الاصمعي لطفيل الغنوي أن الراعي سرق معناه هو قوله

وعجل نضى بالثمان كانها * ثعالب موتي جلداهم ينزع

وأنشدوا في جنبه قول زهير بن أبي سلمى

وبلدة لا ترام جابية * زوراء مغبرة جوانبها

تسمع للجن عازفين بها * تصيح من رهبة ثعالبها

كلفتها عر مساعدا فرة * ذات هنا فقم منا كبها

تراقب المحصر الممر اذا * هاجرة لم تقل جنادها

والذي عندي أن زهيراً قد وصف الثعالب بشدة القاب لانهم اذا هولوا بذكر الظلمة الوحشية والغيلان لم يذكروا الا فزع من لا يكاد يفزع لان الشاعر قد وصف نفسه بالجراءة على قطع هذه الارض في هذه الحال وفي استنذاله وجنبه قالت أم سالم لابنها معمر

أرى معمر الآزين الله معمرآ * ولا زانه من زائر يتقرب

أعادياتنا عاداك عز وذلة * كأنك في السربال اذجت ثعالب

فلم تر عيني زائراً مثل معمر * أحق بأن يجنى عليه ويضرب

﴿ وقال عقيل بن علقمة ﴾

تأمل لما نال أمك هجرس * فأنك عبد يازميل ذليل

واني متى أضربك بالسيف ضربة * أصيح بنى عمرو وأنت قتيل

الهجرس من ولد الثعالب قال وكيف بصطاد وهو على هذه الصفة فأنشد شعر ابن ميادة

ألم تر أن الوحش يخدع مرة * ويخدع أحياناً فيصطاد ثورها

بلى وضواري الصيد تخفق مرة * وان فرحت عقبانها ونسورها

قال وسألت عنه بعض الفقهاء فقال قيل لابن عباس كيف تزعمون أن سليمان بن داود

عليهما السلام كان اذا صار في البراري وحيث لا ماء ولا شجر فاحتاج الى الماء دله

على مكانه الهدهد ونحن نفطى له الفخ بالتراب الرقيق ونبرز له الطعم فيقع فيه جهلا

بما تحت ذلك التراب وهو يدل على الماء في قعر الارض الذي لا يوصل اليه الا بأن

يحفر عليه القيم الكيس قال فقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا جاء القدر لم ينفع

الحذر وأنشدوا

خير الصديق هو الصدوق مقالة * وكذلك شرهم الميون الا كذب
 فاذا غـدوت له تريد نـجازه * بالوعد راغ كما بروغ الثعلب
 وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

بنى عائد شامت وجوه الأعداء * بطاء عن المعروف يوم التزايد
 فما كان ضيفي اذ يني بأمانه * ففما ثعلب أعياء ببعض المراصد

﴿ وأنشد ﴾

ويشربه مذاقاً ويسقي عياله * نـجـاجاً كاقرب الثعالب أزرقاً
 وقال مالك بن مرداس

يا أيها ذا الموعدى بالضر * لا تلعبن لعبة المغتر
 أخاف أن تكون مثل هر * أو ثعلب أضيع بعد حر
 هاجت به مخيلة الأظفر * عراء في يوم شمال قر
 يجول منها لثق الذعر * بصرد ليس بذى محجر
 تنفض أعلى فروة المنبر * تنفض منها نابها بشزر
 * نفضاً كلون الشره المخمر *

المخيلة العقاب الذكر الا شبت صرد مكان مطمئن وقال اليعقوبى كان اسم أبي
 الضريس ديناراً فقال له مولاه يادنيير فقال اصغرنى وأنت من بنى مخيلة والعقاب
 الذكر بدرهم والاثني بنصف درهم وانا اثني عشر درهماً ومن أشد سلاح الثعلب عندكم
 الروغان والتموات وسلاحه اثنتان والزج وأكثر من سلاح الجبارى، وقالت العرب أدهى
 وأثنت من سلاح الثعلب وله عجيبة في طاب مقتل القنفذ وذلك اذا لقيه فأمكنه من
 ظهره بال عليه فاذا فعل ذلك به ينسبط فعند ذلك يقبض على مرقا بطنه، ومن العجب
 في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فياً كله ويصيد الثعلب القنفذ فياً كله وبريغ
 القنفذ الافى فياً كلها وكذلك صنيعه في الحيات ما لم تعظم الحية والحية تصيد
 العصفور فناً كله والعصفور يصيد الجراد فياً كله والجراد يلتمس فراخ الزنايبير وكل

بني يكون أخوصه على المستوى والزبور يصيد النحلة فيأكلها والنحلة تصيد الذبابة
تأكلها والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها وأما قوله

والقمة ترعت رباحها * والسهل والنوفل والنضر

باللغة هاهنا القردة ترعت ترضع والرياح ولد القردة والسهل الغراب والنوفل
النضر وكل حرية من النساء وغير ذلك فهي ألقه وأنشدني بشر بن المعتمر لرؤبة

* حتى وجدت ألقه من الالق *

قد ذكرنا الهقل وشأنه في الحجر والصخر وأكل الضب أولاده في موضعه من هذا
لكتاب وكذلك قوله في العتران وهو الديك الذي يؤثر الدجاج بالحب وكأنه منجم
وصاحب أسطرلاب وذكرنا أيضاً ما في الجراد في موضعه ولسنا نعيد ذكر ذلك
إن كان مذكوراً في شعر بشر وأما قوله

* وأبنت بصطاده صقر *

﴿ ثم قال ﴾

صلاحه رشح ثما عذره * وقد عراه دونه الذعر

نول بدن الأبنث أعظم من بدن الصقر وهو أشد منه شدة ومنقاره كسنان الرشح
في الطول والذرب وربما يجلي له الصقر والشاهين نملق الشجر والعرار وهتك كل شيء
نول فقد اجتمعت فيه خصال في الظاهر معينة له عليه ولولا أنه على حال يعلم أن الصقر
ما يأتيه دبراً واعتراضاً ومن عل وأنه قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة لما
ستخزي له ولما أطمعه فيه بهر به حتى صارت جرأته عليه بأضغاف ما كانت وقد قال
مض بن مروان في قتل عبد الملك عمر بن سعيد

كان بنى مروان اذ يقتلونه * بغاث من الطير اجتمعن على صقر

نول هذا من العجب وأما قوله

والدب والقرد اذا علما * والفيل والكلبة والبفر

ن الحيوان الذي يلتن ويحكى ويكيس ويعلم فيزداد بالتعليم فهذه التي ذكرنا وهي
لدب والقرد والفيل والكلاب وقوله البفر يعني صفار النعم ولعمري أن في المكبة

والحبشية لعبا وأما قوله

وظبية تخضم في حنظل * وعقرب بمجها التمر

وفي الظبي أعاجيب من هذا الضرب وذلك أنه ربما رعت الحنظل فتراه يقبض ويمض على نصف حنظلة فيقدها قد الخصفة فيمضغ ذلك النصف وماؤه يسيل من شدقيه وأنت ترى فيه الاستلذاذله والاستحلاء لظممه، وخبرني أبو محجن العنزي خال أبي العميثل الراجز قال كنت أرى بانطأ كية الظبي برد البحر يشرب المالح والاجاج والمغر ترمي بنفسها في العمر وإنما تطاب النوى المنقع في قعر الاناء فأى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي حرارة الحنظل وسند كر خصال الظبي في الباب الذي يقع فيه ذكره ان شاء الله تعالى واسنانا ذكر شأن الضب والنمل والجلل والروث لاناقد ذكرناه مرة وأما قوله

وفارة البيش امام لها * والخلد فيه عجب هتر

فان فارة البيش دوية تشبه الفارة وليست بفارة ولكن هكذا تسمى وهي تكون في الغياض والرياض ومنابت الاهضام وفيها سموم كثيرة كقرون السنبل وما في القسط فهي تتخال تلك الاهضام وتطلب السموم وتفتنيها والبيش اسم لبعض السموم وهذا مما يعجب منه وقد ذكرنا شأن القنفذ والحية في باب القول في الحيات وأما قوله

* وعضرفوط ماله نملة * وهو أيضاً عندهم من مطايا الجن وقد ذكره أيمن

ابن خريم فقال

* دخلنا غزالة بنيانهم * فحجوب العراق ونجبي النيبطا

نكر ونحجر فرسانهم * كما أحجر الحية المضرفوطا

لان المضرفوط دوية صغيرة ضعيفة والحيات تأكلها وتغصها نفسها وأنشدوا عن

السنة الجن

ومن عضرفوط حط من فائمة * يبادر وردا من قطار قوارب

وأما قوله * وهدهد يكفره بكر * فانما ذلك لانه كان بكر ابن أخت

عبد الواحد البكرية فقال له أنخبر عن حال الهدهد بخير أنه كان يعرف طاعة الله

عز وجل من مصعبيته وقد ترك موضعه وسار الى بلاد سبا وهو وان أطرف
سليمان بذلك الخبر وقبله منه فان ذنبه في ترك موضعه الذي وكل به وجولانه
في البلدان على حاله ولا يكون ذلك مما يحمل ذنبه السابق إحسانا والمصعبية
لا تنقلب طاعة فلم لا تشهد عليه بالنفاق قال فاني أقفل قال خفي ذلك عنه فقال اما
هو فقد كان سلم على سليمان وقد كان قال لا عذبه عذابا شديداً أو لاذبحنه أو ليأتيني
بسلطان مبين فلما أتاه بذلك الخبر رأى أنه قد أدلي بحجة فلم يمدبه ولم يذبحه فان
كان ذنبه علي حاله فكيف يكون ما هجم عليه مما لم يرسل فيه ولم يقصد له حجة وكيف
يبقى هذا عليه وبكر يزعم أن الاطفال والبهائم لا تأثم ولا يجوز أن يؤثم الله تعالى الا
المسيئين فقال بشر بكر بأي شيء تستدل على أن المسيء يعلم أنه مسيء قال بخجله
واعتذاره بتوبته قال فان العقرب متى سمعت فرت من خوف القتل وهذا يدل على
أنها جانية وأنت تزعم ان كل شيء عاص كافر فينبغي للعقرب أن تكون كافرة اذا لم يكن
لها عذر في الاساءة وأما قوله

والبير فيه عجب عجب * اذا تلاقي الليث والنمر

لان البير مسالم للاسد والنمر يطالبه فاذا التقيا أعان البير الاسد وأما قوله

وطائر أشرف ذو جردة * وطائر ليس له وكر

فان الاشرف من الطير الخفاش لان لاذاتها حجبا ظاهراً وهو متمجرد من الزئب
والريش وهو يلد والطار الذي ليس له وكر وهو طائر يخبر عنه البحر يون أنه لا يسقط
الا ريثما يحمل لبيضه ادحياً من تراب ويفطى عليه ويطير في الهواء أبداً حتى يموت وان
لتي ذكر آتى تسافداً في الهواء ويبضه يتفقص من نفسه عند انتهاء مدته فاذا طاق
فرخه الطيران كان كأبويه في عاداتهما وأما قوله

وترمل تاوى الى دوبل * وعسكر تتبعه النسر

يسالم الظبي بندي مرة * أبرمهاني الرحم العنبر

فالترملة أئى الثعالب وهي مسالمة للدوبل وأما قوله * وعسكر تتبعه النسر * فان
النسور تتبع العساكر وتتبع الرفاق ذوات الابل وقد يفعل ذلك العقبان وتفعله الرحم

وقد قال النابغة

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت * قبائل من غسان غير أشائب
بنو عمه دينا وعمرو بن عامر * أولئك قوم بأسهم غير كاذب
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوهمهم * عصائب طير تهتدي بمصائب
جوانح قد أيقن أن نبيله * إذا ما التقي الجمعان أول غالب
تراهن خلف القوم خزر عيونها * جلوس الشيوخ في ثياب المذانب
والاصمى يروي جلوس الشيوخ في ثياب المراب وسباع الطير كذلك في اتباع
المسافر وأنا أرى ذلك من الطمع في القتلى وفي الرذايا والحمر أو في الجبهض وما
يجرح وقد قال النابغة

سما تبارى الريح خوصاء عيونها * لمن رذايا بالطريق ودائع

﴿ وقال الشاعر ﴾

نشق هما حيق السلا عن جنينها * أخو قفرة بادي السماية أطحل

﴿ وقال حميد بن ثور في صفة ذئب ﴾

إذا ما بدا يوماً رأيت غيابة * من الطير بنظرن الذي هو صانع
لأنه لا محالة يسمى وهو جائع سوف يقع على سبع أضعف منه أو على بهيمة ليس
دونها مانع وقد أكثر الشعراء في هذا الباب حتى أظن بعض المحدثين وهو مسلم
ابن الوليد بن يزيد فقال

يكسى السيوف نفوس الماكئين به * ويجمل الهام نجان القنا الذئب

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل

ولا نعلم أحدا منهم أسرف في هذا القول وقال قولاً يرغب عنه إلا النابغة فإنه قال

جوانح قد أيقن أن نبيله * إذا ما التقي الجمعان أول غالب

وهذا لا تثبته وليس عند الطير والسباع في اتباع الجوع إلا ما يسقط من ركبهم
ودوابهم وتوقع القتل إذ كانوا قد رأوا من تلك الجوع مرة أو مراراً فلما ان تقصد
بالأمل واليقين إلى أحد الجمين فهذا ما لم يقله أحد وقد أكثر الشعراء في ذكر

النسور وأكثر ذلك قالوا في لبد قال النابغة
أضحت خلاء وأمسى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد
فضربه مثلاً في طول السلامة وقال لبيد
لما رأي صبح سواد خليه * من بين قائم سيفه والمحمل
صبحن صبحاً يوم حق حذاره * فاصاب صبحاً فاتقاً لم يقفل
فالتف منقصفاً وأضحى نجمه * بين التراب وبين خد الكاكل
ولقد جرى لبد فادرك جريه * رب الزمان وكان غير منقل
لما رأى لبد النسور تطايرت * ربع القوائم كالفقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نفعه * ولقد رأى لقمان أن لم يأتلي
وان أحسنت الاوائل في ذلك فقد أحسن بعض المحدثين وهو الخزرجي في ذكر النسور
وضرب المثل به وبليد وصحة بدن الغراب حيث ذكر طول عمر معاذ بن مسلم بن رجا
مولي القعقاع بن سوره وهو قوله

ان معاذ بن مسلم رجل * قد ضج من طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب * الدهر وأثواب عمره جدد
يانسر لقمان كم تعيش وكم * تلبس ثوب الحياة يالبد
قد أصبحت دار آدم خربت * وأنت فيها كأنك الوند
تسأل غربانها اذا حجبت * كيف يكون الصداع والرمد
وما تعلق بالسحاب من الغيم يشبه بالنعام وما ترا كب عليه يشبه بالنسور قال الشاعر
خليلي لا تستسما ودعوا الذي * له كل أمر أن يصوب ربيع
فيا البلاد أنفذ المحل عودها * وجبر لمظم في شطاه صدوع
بمنتصر غب النشاط كأنها * جبال عليهم النسور ونوع
عسى أن يحل المحي جزعاً وانها * وعلّ النوى بالظاعنين تريع
أفي كل عام زفرة مستجدة * تضمنها مني حشا وضلوع
وشبه العجير السلولى شيوخاً على باب بعض الملوك بالنسور فقال

فنهن آساد على ضوء كوكب * له من عماني النجوم نظير
ومنهن فرعى كل باب كأنما * به القوم يرجون الاذنين نسور
الى فطن يستخرج القلب طرفه * له فوق أعواد السرير زهير
وذكرت امرأة من هذيل قتيلا فقالت

تمشى النسور اليه وهي لاهية * مشى العذارى عليهم الجلابيب
تقول هي آمنة ان تذر ومدح بعض الشعراء عبد العزيز بن زرارة الكلابي فقال
وعند الكلابي الذي حل بينه * بجوسماء ماضر وص-بوح
ومكسورة حمر كان متونها * نسور الى جنب اخوان جنوح
مكسورة يمى وسائد مثنية وقال ابن ميادة

ورجعت من بعد الشباب وعصره * شيخا أذب كأنه نسر *

وقال طرفة فلا منمن منابت الص * مدان اذ منع النسور

وفي كتاب كليله ودمنة وكن كالنسر حوله الجيف ولا تكن كالجيف حولها النسور
فاعترض على ترجمة ابن المقفع بعض المتكافين من فتيان الكتاب فقال انما كان ينبغي
ان يقول كن كالضرس حف بالتحف ولا تكن كالهبرة تطيف بها الاكلة وأظنه
الضروس فقال الضرس وهذا من الاعتراض عجب ويوصف النسر بشدة الارتفاع
حتى الحقوه بالانوق وهي الرخمة وقال عدي بن زيد

فوق عيابه لا ينال ذراها * يلعب النسر دونها والآنوق

﴿ وأنشدوا في ذلك ﴾

أهل الدناءة في مجالسهم * والطيش والعوراء والهذر

يدنون ما سألوا وان سألوا * فهم مع العيوق والنسر

وقال زيد بن بشر التغلبي في قتل عمير بن الحباب

لا يجوزن أرضنا مضرى * بخفير ولا بفير خفير *

طاعتن تغلب هو ازن طحنا * والحت على بنى منصور

يوم نردى الكهامة حول صمير * حجلان النسور حول جزور

﴿ وقال جميل ﴾

وما صائب من نائل قدفت به * يد ومسر العقدتين وثيق
له في خوافي النسر حم نظائر * ونصل كـنصل الزاعبي رقيق
على نـبـة زوراء اما خطامها * فثني واما عودها فعتيق
باوشك قتل منك يوم رميتني * نوافذ لم تظهر لمن خروق
فلم أرحباً يابئين كـرـبـنا * تكشف غماها وأنت صديق

﴿ وأما قوله ﴾

يسالم الضبع بذى مرة * أبرمها في الرحم الممر

لان النسر طير ثقيل عظيم شرة رغيب نهم فاذا سقط على الجيفة وتملاً لم يستطع
الطيران حتى يثب وثبات ثم يدور حول مسقطه مراراً ويسقط في ذلك فلا يزال
يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل تحته الريح فيسكن من صادفه وقد بطن وتملاً
ضربه ان شاء بمصا وان شاء بحجر حتى ربما اصطاده الضعيف من الناس وهو مع
ذلك يشارك الضبع في فريسة الضبع ولا يثب عليه مع معرفته بمجزه عن الطيران
وزعم ان ثقته بطول الممر هو الذي جراه على ذلك وقال هوت المقاب تهوى هوى
اذا انقضت على صيد أو غيره مالم ترغه فاذا أراغته قيل أهوت له اهواء والاهواء
أيضاً التناول باليد والاراعة ان يذهب الصيد هكذا وهكذا ويقال دوم الطائر في
جو السماء وهو يدوم تدوماً اذا دار في السماء ولا يحرك جناحيه ويقال نسره بالنسر
وليس بذى مخب وانما له أظفار كأظفار الدجاج وقال المعجاج

شاكى الكلايب اذا هوى ظفر * كفا برى الرأس منها أو نسر

وليس له سلاح انما يقوى بقوة بدنه وعظمه وهو سبع لثيم عديم السلاح وليس
من احرار الطير وعتاقها ويقال ان عتاق الطير نتقض على عمود الرحل وعلى الطنفسة
والتمرق فتحسبه لمرته لحما وهم مع ذلك يصفونها بحدة البصر ولا أدري كيف ذلك
وقال غيلان بن سلمة

في الآل يخفضها ويرفها * رينغ كان متونه السحل

عقلا ورقنا ثم اردفه * كلل على الوانها الخجل

كدم الرعاف على ماآزرها * وكأهن ضواصر أجيل

وهذا الشعر عندنا للمسيب بن علس وقال علقمة بن عبدة

رد الاماء جمال الحي فاحتملوا * وكاهم باليزيد يات معكوم

عقلا ورقنا يظل الطير يتبعه * كأنه من دم الأجواف مدموم

﴿ وقال الهذلي ﴾

ولقد عدوت وصاحبي وحشية * تحت الرداء بصيرة بالمشرف

حتى آتيت الى فراش عزيزة * سوداء روثة أنفها كالخصف

يعنى عقابا وقوله بصيرة بالمشرف يريد الريح من أشرف لها أصابته وقال الآخر في

شبيه بهذا

فاذا أتتكم هذه فتلبنوا * ان الرماح بصيرة بالحاسر

﴿ وقال آخر ﴾

كأني اذ غدوت ضمنت بري * من العقبان حاية طلوبا

كريمة ناهض في رأس نيق * ترى لعظام ما جمعت صليبا

﴿ وقال طفيل الغنوي ﴾

تبيت كعقبان الشريف رجاله * اذا مانوا احداث أمر تعطفوا

أي امهلوا وقال دريد

تملت بالشطاء اذبان صاحبي * وكل امري قد بان اذبان صاحبه

كأني وتربى فوق فتخاء لقوة * لها ناهض في وكرها لا تجابه

فبات عليه ينفض الطل ريشها * تراب ليلا ما تغور كواكب

فلما تجلى الليل عنها وأسفرت * تنفض حسري عن أخص منا كبه

رأت ثعلبا من حزة فهوت له * الى خرة والموت عجلان كاره

نخر قتيلا واستمر بسحره * وبالقلب يدمى أنفه وترايبه

يُزعم صاحب المنطق أنه لبس شيء في الطير أجني لفراخه من العقاب وأنه لا بد من

يخرج واحدا وربما طردهن جميعا حتى يجي طائر يسمى كاسر العظام فيتكفل به
 يزيد بن الصمة يقول

كأني وترى فوق فتحاء لقوة * لها ناهض في وكرها لا تجابه
 يد يمتري العقاب عند شبهها من لحم الصيد شبيه بالذي ذكرنا في النسر وأنشد
 صالح مسمود بن زيد لبعض القسيين

قري الطير بمد الأيس زيد فأصبحت * بوجفاء ففر ما يدب عقابها
 وما يتخطى الفحل زيد بسيفه * ولا العرمس الوجناء قد شق نابها
 وان قيل مهلا انها شديفة * يقطع أقران الجبال جذابها
 ر أنه يمتري العقاب من الثقل عند الطيران من البطنة ما يمتري النسر وقال
 رؤ القيس ان كان قاله

كانها حين فاض الماء واحتمت * فتحاء لاح لها بالقفرة الذيب
 فأبصرت شخصه من فوق مرربة * ودون موقعها منه سناجيب
 فأقبلت نحوه في الجو كاسرة * يحنهما من هوي اللوح تصوب
 صبت عليه ولم تنصب من أمم * أن الشقاء على الاشقين مصبوب
 كالدلو ثبت عراها وهي مثقلة * اذ خانها ودم منها وتكريب
 لا كالذي في هواء الجو طالبة * ولا كهذا الذي في الارض مطلوب
 كالبز والريح مرآناها عجب * ما في اجتهاد على الاصرار تعيب
 فأدر كته فنالته مخالبها * فانسلم من تحنها والدف معقوب
 يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت * منها ومنه على الصخر الشايب
 ثم استغاثت بمن الارض تعفره * وباللسان وبالشدقين تريب
 ما أخطأته المنايا قيس أمثلة * ولا تحرز الا وهو مكتوب
 يظل منحجر منها يراقبها * ويرقب الليل ان الليل محبوب

ال زهير

تبد أفلأذاها في كل منزلة * تلتخ أعينها العقبان والرخم

تنتخ أي تنزع وتستخرج والعرب تسمي المنقاش المنتاخ ويقال نقت الرخم تنق نقيقا
وأشهد أبو الجراح

حديثنا من سماع الدل وعمر * كان نقيقين نقيق رخم
والنقيق يشترك يقال نق الضفدع ينق نقيقا ويقال أعز من الابلق المقوق وأبعد
من بيض الانوق فأما بيض الانوق فربما رؤي وذلك أن الرخم تختار أعالي الجبال
وصدوع الصخر والمواضع الوحشية وأما الابلق فلا يكون عقوقا وأما المقوق البلقاء
فهو مثل وقال

ذكرناك ان صرت امام ركابنا * من الأدم مخماض القسي سلوب
تدلت عليه تنفض الريش تحتها * برائتها وراحت خضيب
خدارية صقما دون فراخها * من الطود دار بينها ولحوب
ان القانص المحروم آب ولم يصب * فطعمه جنح الظلام نصيب
فأصبحت بعد الطير مادون فارة * كما قام فوق المنصتين خطيب

وقال بشر بن أبي خازم

فما صدع بحية أوبشرق * على زاق زوالق ذي كهاب
نزل اللقوة الشعراء عنها * مخالبها كأطراف الاشاب

وقال بشر أبعنا

تدارك لحي بمد ما حلت به * مع النسر فتخاه الجناح فبوض
فان تجمل النعماء منك تمامه * ونعماك نغمي لا تزال تفيض
تكن لك في موسى يد يشكرونها * وأيدي الندى في الصالحين فروض

وعلى شبيه بهذا البيت الآخر قال الخطيب

من يفعل الخير لا يفتنم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال عقيل بن المرنوس

صبيب لقرطاس يؤدى رسالة * فيالك نفسا كيف حان ذهولها
وكنت كفرخ النسر مهد وكره * بملفظة الافنان خبيل مقيلها

وأما قوله

وتمسح خاله طائر * وسابح ليس له سحر
فالتمساح مختلف الاسنان فينشب فيه اللحم فيذره فيتبن عليه وقد جعل في طبعه أن
يخرج عند ذلك الى الشط ويشجي، فاهل طائر يعرفه بعينه يقال انه طائر صغير أرقط
فيجئ من بين الطير حتي يسقط بين لحية ثم يتقره بمنقاره حتي يستخرج جميع ذلك
اللحم فيكون غداء له ومماشأ ويكون تخفيفا عن التمساح وترفيها فالطائر الصغير يأتي
ما هنالك يلتهم ذلك الطعم والتمساح يتعرض له لمعرفة بذلك منه وأما قوله وسابح
ليس له فان السمك كله لا رنة له قالوا وانما تكون الرنة لمن يتنفس هذا وهم يرون
منخري السمك والخرق النافذ في مكان الانف منه ويحملون ما يرون من نفسه إذا
أخرجوه من الماء ان ذلك ليس بنفس يخرج من المنخرين ولكنه تنفس جميع البدن
وأما قوله

والمث والحفاث ذو نخفخ * وخرباق يسفده وبر
فان الحفاث دابة تشبه الحية وليست بحية وله وعيد شديد ونفخ وتواب ومن لم يعرفه
كان له أشد هيبة منه للافاغى والشمايين وهو لا يضر بقليل ولا كثير والحيات تقنله
وأنشد

ايضا يشون وقد رأوا أحفاهم * قد عضه فقضي عليه الاسود
والمث دويبة تقرض كل شيء وليس له خطر ولا قوة ولا بدن قال الراجز
يحثني وردان أي حث * وما يحث من كبير عث
إهابه مثل إهاب الدث

وأنشد

وعث قد وكلت اليه أهلى * فطاح الاهل واجتبيح الحرم
وما لاهي به طرف فيوحي * ولا صلك اذا ذكر القصيم
فان تشتمونا على لؤمكم * فقد تقرض المث ماس الاديم
وقالوا في الحفاث هجا الكروبي أخاه فقال

حباري في اللقاء اذا التقينا * وحفات اذا اجتمع الفريق

وقال اعرابي

واست بحفات يطاول شخصه * وينفخ نفخ الكبير وهو لثيم

ووقع بين رجل من العرب ورجل من الموالي كلام فاربي عليه المولى وكان المولى فيه مشابه من العرب والاعراب فلم يشك ذلك العربي أن ذلك المولى عربي وأنه وسط عشيرته فأنخزل عنه فلم يكلمه فلما فارقه وصار الى منزله علم انه مولى فبكر عليه غدوة فلما رأى خذلان جلسائه له ذل واعتذر فعند ذلك قال العربي في كلمة له

ولم أدر ما الحفات حتى بلوته * ولا نقض للاشخاص حتى تكشفنا

وقد أدركت هذه القصة وكانت في البحرين عند مسجر بن السكن عندنا بالبصرة فهو قوله والعت والحفات ذو نخفيخ لان الحفات له نفخ وتوثب وهو ضخم شنيع المنظر فهو يهول من لا يعرفه وكان أبو ديجونة مولى سليمان يدعى غاية الاقدام والشجاعة والصرامة فرأى حفاتا وهو في طريق مكة فوجده وقد قتله اعرابي ورآه أبو ديجونة كيف ينفخ ويتواعد فلم يشك الا أنه أخبت من الافهي ومن الثعبان وأنه اذا أتى به وادعى أنه قتله سيقتضى له بقتل الاسد والبير والمر في نقاب خمله وجاء به الى أبيه وهو مع أصحابه وقال ما أنا اليوم الا ذئب وما يذئبني لمن أحس بنفسه مثل الذي أحس ان يرمى في المهالك والمعاطب ويذئبني ان يستبقها للجهاد أو دفع عن حرمة وحریم يذب عنه وذلك إني هجمت على هذه الحية وقد منعت الرفاق من السلوك وهربت منها الابل وأمن في الحرب عنه كل جمال ضخم الجزيرة فزنتني اليه طبيعة الابطال فراوغتها حتى وهب الله الظفر وكان من البلاء انها كانت بأرض ملساء ما فيها حصاة وبصرت بفهر على قاب غلوة فسمعت اليه وأنا أسوار كما تعلمون فوالله ما أخطأت حاق لهزمته حتى رزق الله عليه الظفر وأبوه والقوم ينظرون في وجهه وهم أعلم الناس بضعف الحفات وأنه لم يؤذ أحدا قط فقال له أبوه ارم بهذا من يدك لعنك الله ولعنه معك ولعن تصديقي لك ما كنت تدعيه من الشجاعة والجرأة فكبروا عليه وسموه قاتل الاسد ، ومما هجوا به حين يشبهون الرجل بالعت في لؤمه وصغر

قدمه قول مخارق الطائي حيث يقول

واني قد علمت مكان عث * له ابل معاينة تسوم
عن الاضياف والجيران عذب * فادوت والفتي فدنس لثيم
واني قد علمت مكان طرف * أغر كأنه فرس ككريم
له نم بعام الحبل فيها * ويروي الضيف والزف العظيم

وأما قوله

* وخرنق يسفده وبر *

فان الاعراب يزعمون ان الوبر يشتهى سفاد المكرشة وهي اثى الارانب ولكنه
يمجز عنها فاذا قدر على ولدها وثب عليه والاثى تسمى المكرشة والذكر هو الخرز
والخرنق ولدهما قال الشاعر

قبـخ الاله عصـابة نادتهم * في جحججان الى اسافل نطق
أخذوا العناق وعرضوا احسابهم * لمجرب ذكر الحديد معرق
ولقد قرعت صفاتكم فوجدتكم * متشبثين بزاحف متعلق
وانـد غمزت فئاتكم فوجدتها * خرعاء مكسرها كـود معرق
ولقد قبضت بقاب سلمة قبضة * قبض القاب على فؤاد الخرنق
ثم انتحمت للجمه فأكلته * في وكر مرتفع الجناح معلق

قالوا انه قالها أبو حبيب بعد ان قال جشم ما قال وقد قدم اليه طعامه، ووصف اعرابي
خلق اعرابي فقال كان في غفانه خرزاً وكان في عضده جرداً وأشدوا المائح ووصف
ما تحاوراه يستق على بثره فقال

أعددت للورد اذا الورد حفز * دلو جرورزا وجلالا حرز
وما تحالالا لا ينثني اذا احتجز * كان تحت جلده اذا احتفز
* في كل عضو جردين أو خرز *

وسنقول في الارنب بما يحضرنا ان شاء الله تعالى قال الشاعر

زعمت غداة ان فيها سيدها * ضخمها يوازنه جناح الجندب

برويه ما يروى الذباب فيثني * سكر او يشبهه كراع الارنب

وانما ذكر كراع الارنب من بين جميع الكراعات لان الارنب هي الموصوفة بقصر الذراع وصف اليد ولم يرد الكراع فقط وانما اراد اليد باسرها وانما جعل ذلك لها بسبب نحن اذا كروه ان شاء الله تعالى ، والفرس بوصف بقصر الذراع فقط والتوبير لكل محتمل من صفات السباع اذا طمع في الصيد وخاف ان يصاد كالثوب وعناق الارض هي التي يقال لها التفة وهي دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسناً وربما واثب الانسان فعمره وهو احسن صيداً من الكلب وفي أمثالهم لانت أغني من التفة عن الرفة وهو الثبن الذي تأكله الدواب والماشية من جميع البهائم والتفة سبع خالص لا يأكل الا اللحم والتوبير ان تضم برائنها فلا تظأ على الارض الا بطن الكف حتى لا يرى لها اثر برائن وأصابع وبعضها يظأ على زماته وبعضها لا يفعل ذلك وذلك كله في السهل فاذا أخذت في الحزونة والصد لابة وارتفعت عن السهل حيث لا ترى لها آثار قالوا ظلفت الاثر تظافه ظلفا وقال النخعي أظافت الاثر بإطلاقا وعند عبد الملك بن نير عن قبيصة بن جابر ما الدنيا في الآخرة الا كنفخة أرنب ويقال حذفته بالمصا كما تحذف الارنب وقال أبو الوجيه الكلبي لو كانت والله الضبة دجاجة لكانت الارنب دراجة ذهب الى أن الارنب والدراج لا تستعمل لحومها ولا تنقب شحومها وانما سنها بكثرة اللحم وذهب الى ما يقول المعجبون منهم بلحم الضب فانهم يزعمون ان الطميين متشابهان وأنشد

وأنت لو ذقت الكشابا لا كباد * لما تركت الضب يسمي بالواد

قال والضب يعرض لبيض الظالم ولذلك قال الحجاج لاهل الشام انما أنا لكم كالظلم الرمح عن فراخه ينقي عنها القنذر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجبة والرداء وأنتم العدة والحذاء

﴿ ثم رجع القول الى الارانب ﴾

فما في الخيل مما يشبه الارنب فول الاعشى

اما اذا استقبلته فكانه * جذع سماوق النخيل مشذب

العجب أنها تحيض وانها لا تسمن وان فضيب الخرز ربما كان من عظم على صورة
فضيب الثعالب ومن أعاجيبها أنها تنام مفتوحة العين فربما جاء الاعرابي أن يأخذها
من تلقاء وجهها ثقة منه بأنها لا تبصر وتقول العرب هذه أرنب كما يقولون هذه
عقاب ولا يذكرون وفيها التوبير الذي ليس لشيء من الدواب التي تحتال بذلك
صائدة كانت أو مصيدة وهو الوطء على مؤخر القوائم كيلا تعرف الكلاب آثارها
وليس يعرف ذلك من الكلاب الا الماهر وانما تفعل ذلك في الارض اللينة واذا فعلت
ذلك لم تسرع في الهرب وان خافت أن تدرك انحرفت الى الحزونة والصلابة وانما
تستعمل التوبير قبل ذنو الكلاب وليس لشيء من الوحش مما يوصف بقصر اليدين
ما للارنب من السرعة والفرس يوصف بقصر الكراع فقط وكانت العرب في
الجاهلية تقول من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا نفس ولا سحر وكانت
عليه واقية لان الجن تهرب منها وليست من مطاياها لما كان الحيض وقد قال في ذلك
امرؤ القيس

يا هند لا تنكحي بوهة * عليه عقيقته أحسبا
مرسعة بين ارساغه * به عسم يتبني أرنبها
ليجعل في يده كعبها * حذار المنية أن يعطبا

وفي الحديث بكى حتى رسمت عينه مشددة وغير مشددة أي قد آفريت ورجل
مرسع وامرأة مرسعة وكان اذا دخل أحدهم قرية خاف من جن أهلها ومن وباء
الحاضرة أشد الخوف الا أن يقف على باب القرية فيعشر كما يعشر الحمار في نهيقه
ويماق عليه كعب أرنب ولذلك قال قائلهم

ولا ينفع التشير في جنب خرمة * ولا ددع يفني ولا كعب أرنب
الخرمة القطعة من النخل وقوله ددع كلمة كانوا يقولونها عند العثار وقد قال الحادرة
ومطية كلفت حل مطية * حرج نهم من العثار بددع
وقالت امرأة من اليهود

وليس لوالدة نفسها * ولا قولها لا ينها ددع

تدارى غراء أحواله * وربك أعلم بالمصرع
وقد قال عروة بن الورد في النمشير حين دخل المدينة فقيل له ان لم تمشر هابتك
فقال

لعمري اثن عشرت من خيفة الردى * نهـاق الحمير اني لجزوع
وللارنب جلد ووبر ينفع به ولحمه طيب ولا سيما ان جعل محشياً لانه يجمع حسن
المنظر واستفادة العلم مما يرون من تديرها وتدير الكلاب والانتفاع بالجلد وبأكل
اللحم وما أقل ما تجتمع هذه الأمور في شيء من الطير وأما قولهم
اذا ابتدر الناس المعالي رأيتهم * قياما بأيديهم مسوك الارانب
هجاهم بانهم لا كسب لهم الاصيد الارانب ويبيع جلودها وأما قوله
وغائص في الرمل ذو حدة * ليس له ناب ولا ظفر

فهذا الغائص هو الحلكاء دوية نفوس في الرمل كما يصنع الطائر الذي يسمى الغماس
في الماء وقال ابن سحيم في قصيدته التي قصد فيها للفرايب والحلكاء التي يبعج في
الرمل ومما نفوس في الماء ويسبح فيه سباحة السمكة في الماء شحمة الرمل وهي شحمة
الارض بيضاء حسنة يشبه بها كف المرأة وقال ذو الرمة في تشبيه البنان بها
خرا عيب أمثال كان بنانها * بنات النقا تخني صراراً وتظهر

وقال أبو سليمان الغنوي هي أعرض من العظاة بيضاء منقطة بحمرة وصفرة أحسن
دواب الارض وتشبه أيضاً أطراف البنان بالاساريع وبالغنم اذا كانت مطرفة وقال
سرقش

النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الأ كف غم
وصاحب البلاغة من العامة يقول كان بنانها البياج والدراج ولها ذراع كأنها شبوطة
ويشبه أيضاً بالدمقس ومن خرافات أشعار الاعراب يقول شاعرهم
أشكو الى الله العلي الأجد * عساراً مثل فراخ السرهد
عشائراً قد نيفوا بفرقد * قد ساقهم خبث الزمان الانكد
وكل حرباء وكل حـجد * وكل رام في الرمال يهتدي

وكل نفاض الفضا ماهد * ينصب رجليه حذار المعتدى
 وشحمة الارض وفرخ الهدهد * والفار واليربوع ما لم ينفد
 فذارهم ناقة لم تخمد * سواء أحناش ولم تغرد
 من الجبين والنطاء الأجرد * بيت يسرى مادنا بئدند
 وكل مقطوع المرا مملكد * حتى ينلوه بعود أويد
 منها وأبصار سمال جهد * بئدون بالجهد وبالتشدد
 زحفا وجوا مثل جبال المقعد

وأما قوله

حرباؤها في نبطها شامس * حتى يوافي وقته العصر
 يميل بالشق البها كجا * يميل في روضته لزهر

قال والحرباء دوية أعظم من العظاء أغبر ما كان فرخانم يصفر وانما حياته الحر فتراه
 أبداً أبدت جونة يعني الشمس فدجأ بظهره الى جديل فان رمضت الارض ارتفع ثم
 هو يقاب بوجهه أبداً مع الشمس حيث دارت حتى تغرب الا ان يخاف شيئاً ثم
 تراه سابقاً بيديه كما رأيت من المصابوب وكما حيت عليه الشمس رأيت جلده قد يخضر
 وقد ذكره ذو الرمة بذلك فقال

بظل بها الحرباء للشمس ماثلا * الى الحول إلا أنه لا يكفر

إذا حول الظل المشى رأته * حنيفا وفي قرن الضحى يتصر

غدا أصفر الا على وراح كأنه * من الضح واستقباله الشمس أخضر

وإذا الجمل أيضاً يستقبل بهامته الشمس الا أنه لا يدور معها كيف دارت كما تفعل
 الحرباء وشقائق النمان والخيرى يصنع ذلك ويفتح بالنهار وينضم بالليل والنيلوفر
 الذي ينبت بالماء يغيب الليل كله ويظهر بالنهار والسمك الذي يقال له الكوسج في
 جوفه شحمة طيبة وهم يسمونها الكبد فان اصطادوا هذه السمكة ليلا وجدوا هذه
 الشحمة فيها وافرة وان اصطادوها نهاراً لم توجد وقد ذكر الخطيبه دوران النبات
 شع الشمس حيث يقول

بمستأسد القرين حو تلاءه * فنواره ميل الى الشمس زاهره
وقال ذو الرمة

اذا جعل الحرباء يغير لونه * ويخضر من لفتح الهجير غباغه
وينسج بالكف بن نسجاً كأنه * أخو جفرة على به الجذع صالبه
وقال ذو الرمة أيضاً

وهاجرة من دون مية لم يقل * فلو صى بها والجندب الجون يروح
إذا جعل الحرباء مما أصابه * من الحير يلوى رأسه ويرنح
وقال آخر

كان يدمي حرباءها متشمسا * بدا مجرم يستغفر الله نائب

وقال آخر

لظا يفتح الحرباء حتى كأنه * أخو حربات بزئوبه شائع

﴿ وأنشدوا ﴾

قد لاحها يوم شمس ملهبا * أهاج ما الشمسه من جلباب
يرى الاكام من حصاة طبطاب * شال الحرابي له بالاذناب

وقال العباس بن مرداس

على تلص يملوها كل سبب * تخال به الحرباء أنشط جالسا

وقال الشاعر

تجاوزت والمصفور في الحجر لاجيء * مع الضب والشقمان تسد وصدورها

وقال أبو زيد

واستكن المصفور كرها مع الضب * ب وأوفى في عوده الحرباء

والشقمان الحرابي وقوله تسد وفي الشجرة وعلى رأس الود والوجه الشقمان باسكان

القاف وكسر الشين وأنشد

ففيها اذا الحرباء مد بكفه * وقام مثيل الراهب المتعبد

وذلك ان الحرباء اذا اتصف النهار فعلا في رأس شجرة صار كأنه راهب في صومته

وقال آخر

انى أتيج لكم حرباء تنضبة * لا يترك الساق الا ممسكاً سا
قال وكان مولى لابي بكر الشيباني فادعى الى العرب من ليلته فاصبح الى الجلوس في
الشمس قال قال لي محمد بن منصور مررت به فاذا هو في ضاحية واذا هو يحك جلده
بأظفاره خشا وهو يقول انما نحن ابل وقد كان قيل له مرة انك تشبه بالعرب فقال الى
يقال هذا انا والله حرباء تنضبة يشهد لي سواد لونى وشعائى وغور عيني وحبي للشمس
قال والحرباء ربما رأى الانسان فتوعده ونفخ واطاول له حتى ربما فزع منه من لم يعرفه
وليس عنده شر ولا خير، واما الذى سمعناه من أصحابنا ان الورل السامد هو الذى
يفعل ذلك ولم أسمع به هذا فى الحرباء الا من هذا الرجل، قال والحرباء أيضاً المسمار
الذى يكون فى حلق الدرع وجمه حرابى وقد كنا غفلنا ان نذكر الوبر فى البيت
الاول قال رجل من بني تغلب

اذا رجونا ولد من ظهر * جاءت به اسود مثل الوبر

* من بارد الاذني لعيد القمر *

وقال مخارق بن شهاب

فيارا كبا اما عرضت فبلغن * بنى فالج حيث استقر قرارها

هدوا الينا لا تكونوا كانكم * بلائع أرض طار عنها وبارها

وأرض التي أنتم لقيتم بجوها * كثير بها أو عالها ومدارها

فهبها هؤلا، بكثرة الوبار فى أرضهم ومدح هؤلا، بكثرة الوعول فى جبلهم وقال آخر

هل يشتمنى لا أبالكم * دنس الثياب كطابخ القدر

جعل تمطى فى غيابه * زمر المروءة ناقص الشر

لزبابة سوداء حنظلة * ولعاجز التدبير كالوبر

ويضرب المثل بين الوبر ولذلك يقول الشاعر

تطلى وهي سيبة المقر * بوضر الوبر تحسبه ملايا

وبين الوبر هو قوله ومما تتازج به الاعراب فمن ذلك قول الشاعر

قد هدم الضفدع بيت الفارة * نجاة الرعية والوباره
 * وحلم يشد بالحجاره * وهذا مثل قولهم
 واختلط النقد على الجمالان * وقد بقي درهم وثلاث

واما قوله

والظربان الورد قد شفاه * حب الكشام والوحر الحمر
 وليس ينسب اليه اذا مافسا * شئ ولو أحرزه نصر
 قال أبو سليمان الغنوي الظربان أخبث دابة في الارض وأهلكه لفراخ الضبة قال
 فسألت زيد بن كثره عن ذلك فقال أي والله وللضب الكبير والظربان دابة فساءة
 لا يقوم لشرفسوها شئ قلت فكيف يأخذها قال يأتي جحر الضب وهو بابه يستروح
 فاذا وجد الضب ريح فسوه دخل هاربا في جحره ومرهوه معه من فوق الجحر
 مستمعا حرشه وقد أصفى بأحدى أذنيه من فوق الارض نحو صوته وهو أسمع دابة
 في الارض فاذا بلغ الضب منتهاه وصار الى أقصى جحره وكف حرشه استدبر جحره
 ثم حفر عليه من ذلك الموضع وهو متي شبه غشى عاينه فيأخذه قال والظربان واحد
 والظربان الجميع مثل الكروان للواحد والكروان للجميع وأنشد قول ذي الرمة
 من ال أبي موسى تري القوم حوله * كأنهم الكروان أبصرن بازيا
 والعامه لاتشك ان الكروان ابن الحباري لقول الشاعر

لم تران الزبد بالتمر طيب * وان الحباري خاله الكروان
 وقال غيره الظربان يكون على خلقه هذا الكاب الصيني وهو من تن جدا يدخل في جحر
 الضب فيفسو عليه فيتن عليه بيته حتى يزلق الضب من بيته فيصيده والضباب
 الدلالى أيضا التي يدخل عليها السيل فيخرجها وأنشد

يا ظربانا يتعشي ضبا * رأي العقاب فوقه فخبيا
 كان خصيبه اذا اكبا * فزوجتان تطالبان حبا
 * أو ثملبان يحضران ضبا *

وأنشد الفرزدق

أبوك سليم قد عرفنا مكانه * وأنت بحجري نصير قوائمه
ومن يحمل الظرب التصارظهورها * كمن رفعته في السماء دعائه

قال والظربان يعلم ان سلاحه في فسائه ليس شئ عنده سواه والحباري تعلم ان سلاحها في سلاحها ليس لها شئ سواه قال ولها في جوفها خزانة لها فيها أبداً رجوع معد فاذا احتاجت اليه وأمكنها الاستعمال استعملته وهي تعلم أن ذلك وقاية لها وتعرف مع ذلك شدة لزجه وخبث نتته وتعلم أنها تساور بذلك الورق وانها تتقله فلا يصيد ويعلم الديك ان سلاحه في صيخته ويعلم ان له سلاحاً ويعلم انه تلك الشوكة ويدري لاي مكان يحتاج واي موضع يطعن به والقنفذ تعلم ان فرونها جنة وان شوك جلد ها وقاية فما كان منها مثل الدلدل ذوات المداري فانها ترمى فلا تخطف حتى يمر مرور السهم المسدد وان كانت من صغارها قبضت على الافمي وهي واثقة بأنه ليس في طاقة الافمي لها من المكروه شئ ومثي قبضت على رأس الافمي فالخطب فيها يسبروا قبضت على الذنب أدخلت رأسها فقرضتها وأكلتها أكلاً وأمكنتها من جسمها تصنع ماشاءت ثقة منها بأنه لا يصل إليها بوجه من الوجوه، والاجناس التي تأكل الحيات القنافذ والخنازير والعقبان والسنائير والشاهمرك على أن النسور والشاهمرك لا يتمرضان للكبار ويعلم الزنبور أن سلاحه في شعرته فقط كما تعلم العقرب أن سلاحها في ابرتها فقط وتعلم الذباب والبهوض والقملة أن سلاحها في خراطيمها وتعلم جوارح الطير أن سلاحها في مخالبها ويعلم الذئب والكلب أن سلاحهما في أشداهما فقط ويعلم الخنزير والافمي أن سلاحهما في أياهما فقط ويعلم الثور أن سلاحه قرنه لا سلاح له غيره فان لم يجد الثور والكلبش والتيس قرونا وكانت جما استعمات باضطرار مواضع القرون والبرذون يستعمل فمه وحافر رجلاه ويعلم النمساح أن أحد أسلحته وأعوونه ذنبه ولذلك لا يمرض الا لمن وجدته على الشريعة فانه يضربه ويجممه اليه حتى ياتيه في الماء وذنب الضب أنفع من برائه وانما تفزع هذه الاجناس الى الخبث والى ما في طبيعها من شدة الحضر اذا عدت السلاح فعند ذلك تستعمل الحيلة مثل القنفذ في امكان عدوه من فروته ومثل الطي واستعمال الحضر في المستوي ومثل الارنب واستعماله الحضر في الصعداء واذا كان

ممن لا يرجع الى سلاحه ولا الى خبثه كان اما أن يكون أشد خضرا ساعة الحرب
 من غيره واما أن يكون ممن لا يمكنه الحضر ويقطعه الجبين فلا يبرح حتى يؤخذ
 وانما تقرب الشاة بالمناجاة والانتقاد للسمع تظن أن ذلك مما ينفعها فان الاسد اذا
 أخذ الشاة لم يتابعه ولم آمنه على نفسها فربما اضطر الاسد الى أن يجرها الى عرينه
 واذا أخذها الذئب عدت معه حتى لا يكون عليه فيها مؤنة وهو انما يريد أن يحميها
 عن الراعي والسيكاب وان لم يكن في ذلك الوقت هناك كلب ولا راع فيرى أن
 يجري على عادته وكذلك الدجاج اذا كن وقفا على أغصان الشجر أو على الرفوف
 فلو مرت تحتها كل كلب وسنور وكل ثعلب وكل شئ يطالبها فاذا مر ابن آوى بقرها
 لم يبق منها واحدة الا رمت بنفسها اليه لان الذئب هو المقصود به الى طباع الشاة
 وكذلك شأن ابن آوى والدجاج يخيل اليها أن ذلك مما ينفع عنده وللجبن تفعل كل
 هذا ولمثل هذه العلة نزل المنهزم عن فرسه الجواد ليحضر ببدنه يظن اجتهاده أنجاله
 وأنه اذا كان على ظهر الفرس أقل كذا وان ذلك أقرب الى الهلاك ولمثل هذه العلة
 يتشبث الفریق بمن أراد انقاذه حتى يفرقه ويفرق نفسه وهما قبل ذلك قد سمعا بحال
 الفریق والمنهزم وانهما انما هما في ذلك كالرجل المعافا الذي يتعجب ممن يشرب الدواء
 من يد أعلم الناس به فان أصابته شقيقة أو لسعة عقرب أو اشتكى خاصرته أو أصابه
 حصر أو أسر شرب الدواء من يد أجهل الخليفة أو جمع بين دواين متضادين
 فالاشياء التي تعلم أن سلاحها في أذنانها وما آخرها الزبور والثعلب والعقرب والخباري
 والظربان وسيقع هذا الباب في موضعه ان شاء الله تعالى وايس شئ من صنف الحيوان
 أردى حيلة عند معاينة العدو من الفهم لانها في الاصل موصولة بكفايات الناس
 فأسندت اليهم في كل أمر يصيبها ولولا ذلك لخرجت لها الحاجة ضروبا من الأبواب
 التي تعينها فاذا لم يكن لها سلاح ولا حيلة ولم يكن ممن يستطيع الانسياب الى جحر
 وصدع صخرة أو في ذروة جبل وكانت مثل الدجاجة فان أكثر ما عندها من الحيلة
 اذا كانت على الارض ان ترتفع الى رف وربما كانت في الارض فاذا دنا المغرب فرزت
 الى ذلك وربما كان عند الجئس من الآلات ضروب كنجو زبرة الاسد ولبدته فانه

حمول للسلاح إلا في مراق بطنه فإنه من هناك ضعيف جداً وقال النفاي
 ترى الناس منا جلد أسود صالح * وزبرة ضرغام من الاسد ضعيف
 وله مع ذلك بمة الوثبة والازوق بالارض وله الجس باليد وله الطمن بالخب حتى ربما
 حبس البعير بينه ووطن بخب يساره في لبتة وقد ألقاه على مؤخره فيناتي دمه
 شاحيا فاه وكأنه ينصب من فوارة حتى اذا شربه واستفرغه صار الى شق بطنه وله
 العض بأنياب صلاب حداد ونك شديد ومنخر واسع وله مع البرثن والشدة بأظفاره
 دق الاعناق وحطم الاصلاب وله انه أسرع حضراً من كل شيء أعمل الحضرفي
 الحرب منه وله من الصبر على الجوع ومن قلة الحاجة الى الماء ما ليس مع غيره
 وربما سار في طاب الماء ثمانين فرسخاً في يوم وليلة ولو لم يكن له سلاح الا زثيره
 وتوقد عينيه وما في صدور الناس له لكفاه، وربما كان كالبعير الذي يعلم ان سلاحه في
 نبيه وفي كركرته والانسان يستعمل في القتال كفيه في ضروب ومرفقيه ورجليه
 ومنكبويه وفه ورأسه وصدره كل ذلك له سلاح ويعلم مكانه يستوى في ذلك العائل
 والمجنون كما يستويان في الهداية في الطعام والشراب الى الفم والمرأة اذا ضعفت عن
 كل شيء فزعت الى الصراخ والولولة التماساً للرحمة واستجلاً باللفيات في حماها
 وكفاتها أو من أهل الحسبة في أمرها، باب قال ويقال لولد السبع الهجرس والجمع
 هجارس ولولد الضبع الفوغل والجمع فواغل قال ابن حبناء

سلاجين منها بال كوب وغيرها * اذا مارآها فوغل الضبع كفرا

قال والديسم ولد الذئب من الكلبة وسألت عن ذلك أبا الفتح صاحب قطرب فأذكر
 ذلك وزعم ان الديسمة الذرة واسم أبي الفتح هذا ديسم ويقال انه دويبة غير ما قالوا
 ويقال لولد اليربوع والفار درص وأدراص ويقال لولد الارنب خرنق والجمع خرائق
 قال طرفة

اذا جلسوا خيلت تحت ثيابهم * خرائق توفى بالضعيف لها نذرا

﴿ أشعار فيها اخلاط من السباع والوحش والحشرات ﴾

قال مسعود بن كبير الجرمي من طيء يقولها في حمار اشتراه فوجده على خلاف ما

ان أبا الخرشن شيخ هاب * محب ما يحتويه العجب
 قد كنت لما ان أجد الركب * واعتز القوم صحار رحب
 يا أجنح الاذن الاتخب * أهانك الله فبئس النجب
 ما كان لي اذا اشتريك فلب * بلي ولكن ضاع ثم اللب
 ان الذي باعك خب ضب * أخبرني انك غير ندب
 وشر ما قال الرجال الكذب * صب عليه ضبيع ودب
 سرحانة وحسل قرشب * ذبح عدته رملة وهضب
 كأنه تحت الظلام سقب * يأخذ منه من رآه الرعب
 أبو جراد مسهن السقب * حتى يقال حيث أفضى السحب
 وأنت نفاق هناك ضب * وصبح الراعي مجرى غب
 ورخات بينهن ككاب * واكرع المير وفرث رطب
 يقول ادنوني الى شرايه ويقال ثرية لقيك لغة طائية وقال فرواش بن حوط
 نبئت انك يا عمال حوبله * بشفاف ذني عدم ولى لأعلما
 صيني مجامده وليئي همدنة * نقلني حمرا اذا ما أظلمنا
 لا تسماني من رسيس عداوة * أبدا فلست بسائم ان تسمأنا
 غضا الوعيد فمأ كون لموعدي * فيا ولا اكلاله متخضنا
 فتي الا فكما البراز تلافيا * عركا يفل الحد شا كما معلما
 قال وقال المديس الكلابي الوحرة دوية كالمظاة خضراء اذا اجتمعت تلتصق بالارض
 وجمع وحرة وحر مفتوحة الحاء ومنه قيل وحر الصدر كما قيل للعقد ضب ذهبوا
 الي لزومه بالصدر كالتزاق الوحرة بالارض وأنشدوا
 بئس عمر الله قوم طوفوا * فقروا أضيا فهم لحم وحر
 وسعقوم في إناء مقرف * لبنا من ذي مخيراط فئر
 يقال لحم وحر اذا دب عليه الوحرة مقرف مبول ويقال فئر اذا وقعت فيه فارة

وقال الحكمي

بأرض باعد الرحم * ن عنها الطاح والعشرا
ولم يجعل مصائدنا * يرايها ولا وحرا

وأما قوله

وهيشة تأكلها سرفة * وسمع ذئب همه الحضر

فلهيشة أم حبين وحينه سواء وقد ذكرنا شأنها وأنشد

أشكو اليك زمانا قد تمرقنا * كما تمرق رأس الحية الذئب

وقد ذكرنا شأنها في صدر هذا الكتاب ويقال انها لا تقيم بمكان تكون فيه هذه
الدودة التي يقال لها السرفة واليهما ينتهي المثل في الصنعة ويقال انها أصنع من سرفة
ويقال انها تقوم مع أم حبين مقام القراد من البعير اذا كانت أم حبين في الارض
التي تكون فيها هذه الدودة ، قال وقال مدني لا عرابي أتأكلون الضب قال نعم قال
فاليربوع قال نعم قال فالوحررة قال نعم حتى عداً أجناسا كثيرة من هذه الحشرات
قال أفأأكلون أم حبين قال لا قال فلتين أم حبين العافية ، قال ابن أبي كريمة سألت عمرو
ابن كريمة اعراييا وأنا عنده فقال أتأكلون القربا قال طال والله ما سال ماؤه على
شدقي ، وزعم أبو زيد النحوي سميد بن أوس الانصاري قال دخات على رؤبة واذا
هدامه كانون وهو يعل على جره جرداً من جردان البيت يخرج الواحد بعد الواحد
فيأكله ويقول هذا أطيب من اليربوع يأكل التمر والجبين ويحسو الزيت والسمن
﴿ وأنشد ﴾

رؤي التيجي بزحف كالقربا * الى تيمية كقفا القدوم

وقال آخر

يدب على احشائها كل ايلة * ديب القربا بات يملونقا سهلا

قال واليربوع دابة كالجرذ منكب على صدره لقصر يديه طويل الرجلين له ذئب
كذئب الجرذ يرفه الصمداء اذا هرول واذا رأته كذلك رأيت فيه اضطرابا وعج
والاعراب تأكله في الجهد والخصب ، قال وكل دابة حشاها الله تعالى خبثا فهو قصير

اليدين فاذا خافت شيئاً لا ذت بالصمداء فلا يكاد يلحقها شيء قال وأخبرني ابن أبي نجیح
وكان حج مع المسيب بن شريك عام حج المهدي في سبيل قال زاملت المسيب
في حجته تلك فبينما نحن نسير اذ نظرنا الى يربوع يتخال فراسخ الابل فصاح بفلمانه
دونكم اليربوع فاحضروا في أثره فأخذوه فلما حططنا قال اذبحوه ثم قال اساخروه
واشوووه وأتوني به في غدائي قال فأتني به في آخر الغداء على رغيف قد رعبوه فهو
أشد حمرة من الزهوة يريد البسرة فمطف عليه فثني الرغيف ثم غمره بين راحتيه
ثم فرغ الرغيف فاذا هو قد أخذ من دسمه فوضه بين يديه ثم تناول اليربوع فنزع
نخذاً منه فتناولها ثم قال كل يا أبا محمد فقلت مالي به حاجة فضحك ثم جعل يأتي عليه
عضواً عضواً قال وأما أم حبين فهي الهدسة وهي أم الحبين وهي دويبة تأكلها
الاعراب مثل الحرباء الا أنها أصفر منها وهي كدراء اسواد بيضاء البطن وهو خلاف
قول الاعرابي للمدني ، وقال اعرابي لسهل بن هارون في تواري سهل من غرمانه
وظلهم له طلباً شديداً فأوصاه الاعرابي بالحزم وتدبير اليربوع فقال

انزل أبا عمرو على حد قرية * تبيع الى سهل كثير السلائق

وخذ نفق اليربوع واسلك سبيله * ودع عنك اني ناطق وابن ناطق

وكن كأبي نطن على كل رائح * له منزل في ضيق الارض شاهق

وانما قال ذلك لاحتيال اليربوع بأبوابه التي يخرج من بعضها اذا ارتاب بالبعض الاثر
وكذا كانت دار أبي قطنه الخفاف بالكوفة في كنفه يزعمون أنه كان مولى لهم
وأشد أبو عبيدة قال أنشدني سفيان بن عيينة

اذما سرك العيش * فلا تمرر على كنده

وقد قتل أبو قطنه وصاب ، ومن كان يحنق الناس بالمدينة عدية المدينة الصفراء
وبالبصرة رادوية والمرميون بالحنق من القبائل وأصحاب النحل والتأويلات هم الذين
ذكرهم أعشي همدان في قوله

اذا سرت في عجل فسر في صحابة * وكندة فاحذر ها حذارك للخسف

وفي شعبة الاعمي خناق وغيلة * ونشب وأعمال لخندلة القذف

وكلامهم شر على أن رأسهم * حميدة والميلاء حاضنة الكسف
 متى كنت في حي بجيلة فاستمع * فان لها قصفا يدل على حتف
 اذا اعزموها يوما على قتل زائر * تداعوا عليه بالنباح وبالغزف
 وذلك أن الخنافين لا يسرون الا معا ولا يقيمون في الامصار الا كذلك فاذا عزم
 أهل دار على خنق انسان كانت العلامة بينهم الضرب على دف أو طبل على ما يكون
 في دور الناس وعندهم كلاب مرتبطة فاذا تجاوبوا بالغزف ليختفي الصوت ضربوا تلك
 الكلاب فنبحت وربما كان منهم معلم يؤدب في الدرب فاذا سمع تلك الاصوات أمر
 الصبيان برفع الهجاء والفراة والحساب ، وأما الاعمى فهو المغيرة بن شعبة صاحب
 المغيرة مولى بجيلة والخارج على خالد بن عبد الله القسري ومن أجل خروجه عليه
 قال اطعموني ماء حتى افي عليه ذلك يحيى بن نوفل فقال

تقول من الذواكة اطعموني * شرابا ثم بلت على السرير

لا علاج ثمانية وشيخ * كليل الحد ذي بصر ضير

واما حميدة فكانت من أصحاب ليلى الناعظية ولها رياسة في الغالية والميلاء حاضنة أبي
 منصور صاحب المنصورية وهو الكسف قالت الغالية اياه عني وان يروا كسفا من
 السماء ساقطا يقولوا سبحان مكرم وياه عني معدان الاعمى حيث يقول
 ان ذا الكسف صد آل كيل * وكيل رذل من الارذال
 تركا بالعراق داء دويا * ضل فيه تطف المحتمل

وأما قوله

إنزل أبا عمرو على حد قربة * تربغ الي سهل كثير السلائق

فأراد الحرب لانه متى كان في ظهر فظ كثير الجواد والطرائق كان أمكر وأخني ، وما
 أحسن ما قال النابغة في صفة الطريق اذا كان يتشعب حيث يقول

وما حية أو عزبر في ظهيرة * كمثل اليماني قاصدا للمناهل

له حجل يهوى فرادى ويرعوى * الى كل ذي تبريق بادي الشواكل

وهذا موضع اليربوع في تديره ومكره وقال الآخر في صفة اليربوع وفي حيلته وفي

خلقه وفي أكل الحشرات والنبات

يارب يربوع قصير الظهر * وشاخص العجب ذليل الصدر
 ومحكم البيت جميع الأمر * يرعى أصول سلم وسدر
 حتى تراه كمداد الكبر * باكرته قبل طلوع الفجر
 بكل فياض اليمين غمر * وكل قناص لليل الوفر
 مرتفع النجم كريم النجر * فعادمي ببعيد القفر
 مختلف البطن عجيب الظهر * وتدمري قاصع في حجر
 في العسران كان وبعد العسر * أطيب عندي من جني النمر
 وشحمة الارض طعام الثري * وكل جبار بعيد الذكر
 وهدسة أرفمها لفطري * ليوم حفل وليوم فخر
 وكل شيء في الظلام يسرى * من عقرب أو قنفذ أو وبر
 أو حية أملها في الجمر * فتلك هي واليها أجري
 في كل حال من غني وفقير * وكل شيء لقضاء يجري
 وكل طير جائم في وكر * وكل يعسوب وكل دبر
 والذئب والسمع وذئب القفر * والكاب والتنفل بعد الهر
 والضب والحوت وطير البحر * والأعور الناطق يوم الزجر
 آكله غير الحرابي الخضر * أو جعل صلى صلاة العصر
 يشكر إن نال قران جمر * ياويله من شاكر ذي كفر
 * أفسد والله على شكري *

فزعم أنه يستطيب كل شيء إلا الحرباء الذي قد اخضر من حر الشمس والالجمال
 الذي يصلي العصر وزعم أنه إنما جعل ذلك شكراً على ما أظلم من العذرة وإن ذلك
 الشكر هو اللؤم والكفر ولا أعرف معنى صلاة الجملة وقد روى ابن الأعرابي عن
 زاهر قال يابني لا تصل فانما يصلي الجملة ولا تصم فانما بصوم الحمار وما فهمته بمد
 وأراه قد قدم الهدسة وهي أم حيين وهذا خلاف ما روى عن الأعرابي والمدني وأما قوله

* وتدمرى قاصع في جعر *

فقال الشاعر

واني لأصطاد اليرابيع كلها * شفاريها والتدمرى المقصما
واليرابيع ضربان الشفاري والتدمرى مثل القوى والمذكى وقال جرير حين شبه أشياء
من المرأة بأشياء من الحشرات وغيرها وذكروا فيها الجمل فقال
ترى التيمى يزحف كالتربا * الى تيمية كعصا المليل
يشف الزعفران عروس تيم * وتمشي مشية الجمل الدحول
يقول المجنون عروس تيم * سوى أم الحنين ورأس فيل
وقال عبيد بن أبوب العبرى في ذكر اليربوع

حملت عليها ما لوان حمامة * تحمله طارت به للتحاف
نطوعا وانساعا وأشلاء مدنف * ترى رسمه طول السرى في المخاوف
فرحنا كما راحت قطاة تنورت * لا رغب لاقى بين غير صفاصف
ترى الطير والمصفور يبتحن وطأها * وينقرن وطأ المنسم المتقاذف
وقال ابن الاعرابى وهو الذى أنشده ترمى الطير واليربوع يعنى أنهما يحسبان فى
آثرهما ماجأ ياجأن اليه إما لشدة الحر وإما لغير ذلك وأنشد أصحابنا عن بعض
الاعراب وشعرائهم أنه قال فى أمه

فما أم الردين وان أجلت * بمالمة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع فى قفاها * تنفقناه بالحبل التوام
يقول إذا دخل الشيطان فى قاصمها قفاها تنفقناه أى أخرجناه من النافقاه بالحبل المثنى
وقدمه بل وأحسن فى نعت الشعر وان لم يكن أحسن فى العقوق وأنشدهنى قوس
لا كززة السهم ولا قلع * يدرج تحت عجبها اليربوع
القلوع من القسي الذى إذا نزع فيها انقلت على كف النازع وأما قوله
تخال به السمع الازل كأنه * إذا ما عسدا البيت
ويقولون ان الضبع إذا هلكت قام بشأن جرائها الذئب وقال الكيميت

كما خامرت في حضنها أم عاصر * لدى النخل حتى عال أوس عيالها

وأشدد أبو عبيدة في ذلك شهراً فسر به المعنى وهو قوله

والذئب يفتدو بنات الذئج نافلة هـ بل يحسب الذئب ان النجل للذئب

يقول لكثرة ما بين الذئاب والضباع من التسايف يظن الذئب ان أولاد الضبع أولاده

والأمر في الاعراب عجيب في أكل السباع والحشرات فمنهم من يظهر استطابتها

ومنهم من يفخر بأكلها كالذئب يقول

أيام عمرو من يكن عقرو داره * جراء عدي يأكل الحشرات

وأما قوله

لا ترد الماء أفاعى النقا * لكنها يجهبها الخمر

وفي ذرى الحرمل ظل لها * اذا علا واحتدم الهجر

قال ومن العجب ان الافاعي لا ترد الماء ولا تبريده وهي مع هذا اذا وجدت الخمر

شربت حتى تسكر حتى ربما كان ذلك سبب حتمتها والافاعي تكره ريح السذاب

والشبيج وتستريح الى نبات الحرمل وأما أنا فاني أقيت على رأسها وأنفها من السذاب

ما غمرها فلم أر على ما قالوا دليلاً وأما قوله

وبعضها طعم لبعوض كما هـ أعطى سهام الميسر القمر

فان الجرذ يخرج يلبس الطعم فهو يحتمل لطمه وهو يأكل ما دونه في القوة كسبحو

صغار الدواب والطيور ويبيضا وفراخها ومما لا يسكن في حجر أو تكون أفاعيصه

على وجه الارض فهو يحتمل لذلك ويحتاج لمنع نفسه من الحيات ومن سباع الطيور والحية

تريد الجرذ لتأكله وتحتمل أيضاً للامتناع من الورل والقنفذ وهما عليه أقوى منه

عليهما والورل إنما يحتمل للحية ويحتمل للثعلب والثعلب يحتمل لما دونه ، قال وتخرج

البعوضة لطلب الطعم والبعوضة تعرف بطبعها ان الذي يعيشها الدم ومتى أبصرت

الفيل والجاموس وما دونهما علمت انما خلقت جلودهما لهاغذاء فتسقط عليهما وتطمن

بخرطومها ثقة منها بنفوذ سلاحها وبهجوما على الدم وتخرج الذبابة لهاضروب من

المطعم والبعوض من أكبر صيدها وأحب غذائها إليها ولولا الذباب لكان ضرر

البعوض نهـاراً أكثر وتخرج الوزغة والعنكبوت الذي يقال له الليث فيصيدان
الذباب بالطرف حيلة وأجود تدبير ثم تذهب تلك أيضا بشأن غيرهما كأنه يقول هذا
ذهب في أكل الطيبات بعضها لبعض وايس لجمعها بد من الطعم ولا بد للصائد ان
يصطاد وكل ضعيف فهـو يأكل أضعف منه وكل قوي فلا بد أن يأكله من هـو
أقوي منه والناس بعضهم عن بعض شبيه بذلك وان قصروا عن درك المقدار فجعل
الله عز وجل بعضها حياة لبعض وبعضها موتا لبعض وقال المنهال

ووثبة من خزز أعصر * وخرناق ياب فوق التراب

وعضر فوط قد تقوي على * محلوك البقة مثل الحباب

وظالم يعدو علي ظالم * قد ضج منه حشرات الشباب

وهذان الظالمان اللذان عني الأسود والأفنى فان الأسود اذا جاع ابتلع الأفنى وشكا
الى حواء مرة فقال افقرنى هذا الأسود ومنني الكسب وذلك ان امرأتى جهات
فرمت به في جونة فيها أفعى ثلاث أو أربع فابتلعن كلهن وارانى حية منكرة
لا يبعد ما قال، والعرب تقول للمسىء أظلم من حية وقد ذكرنا في موضعه من هـذا
الكتاب ولا يستطيع أن يروم ذلك من الأفنى الا بأن يفتلها فيقبض على رأسها
وتفاهها فان الأفنى تنفذ في الأسود لكثرة دمه واذا وصفوا اسم الحية بالشدة
والاجهاز خبروا عنها أنه لم يبق في بدنهام ولا فلة ولذلك قال الشاعر

لو حزت ما أخرجت منه يد بدلا * ولو تكشفه الزاقون ما سما

وقال آخر

لميمة من حنش أعمى أصم * قد عاش حتى ما هوه يمشى بدم

والشأن في السلاح كلما كان أقل كان أبلغ وكلما كان أكثر عدواً وأشد ضرراً كان

أشجع وأجبن لكل من عرف أنه دونه وأنشد أبو عبيدة

مشي السابتي الى هيجاء مقطعة * لها سلاحان أياب وأظفار

كلاسه له فم الذئب وحسبك بفم الذئب وله فضل قوة الخالب وللنسر منسر وقوة
بدن يكون هـما فوق العقاب ولذلك قال ابن منذر

أجمل لينا إذا عرين ترى له * نيو بأواظفار أو عرساً وأشبالاً
 كأخر ذاناب حدب دوغاب * ولم يتخذ عرساً ولم يحم معقلاً
 وذلك ان فتيين تواجها بالخناجر أحدهما صبيري والآخر كلبي فملا الى الامير
 فضرب الصبيري مائة سوط فلم يحمدوا صبره وشغل عن الكلي فضربه يوم المرض
 خمسمائة سوط فصبر صبراً حمده ففخر الكلي بذلك على الصبيري وابن مناذر مولى
 سليمان بن علان بن شماس الصبيري فقال هذا الشمر ومعناه ان شجاعا لواتي الاسود
 وهو مساح بأرض هـ وبها غريب وليس هو بقرب خيضته وأشباله لما كان معه مما
 يتخذه مثل الذى يكون معه في الحال الأخرى يقول وانما صبر صاحبكم لانه إنما
 ضرب بمحضرة الا كفاء والاصدقاء والاعداء فكان هذا ما أعانه على الصبر وضرب
 صاحبنا في الخلاء وقد وكل الى مقدار جودة نفسه وقطعت المادة بحضور البطالة
 وسمت حمدان أبا العقب وهو يقول لفلام له وكيف لا تستطيل على وقد ضربوك
 بين الناس خمسين سوطاً فلم تنطق فقال اذا ضربه السجان مائة فناة في مكان ليس فيه
 أحد فصبر فهو أصبر الناس وأما قوله مشي السبنتي هو النمر صار اسماً لكل سبع جرى
 ثم صاروا يسمون الناقة القوية سبنتى قال الشاعر

* مشي السبنتى وجد السبنتى *

وأما قوله وتمسح النيل عقاب الهوي * والليث رأس وله الامر

ثلاثة ليس لهم غالب * الابدما ينقض الدهر

فانهم يزعمون أن الهواء للعقاب والارض للاسد والماء للنمساخ وليس للنار حظ في
 شئ من أجناس الحيوان فكأنه سلم الرياسة على جميع الدنيا للعقاب والاسد والنمساخ
 ولم يمد الهواء ونصر المدود أحسن من مد المقصور وروت المنزلة المذكورون كلهم
 رواية عامة الاشعار وكان بشر ارواهم للشعر خاصة وقولهم الطائر هوأني والسمك
 مائي مجاز كلام وكل حيوان في الأرض فهو أرضي قبل ان يكون مائياً أو هوأني لان
 الطائر وان طار في الهواء فان طيرانه فيه كسباحة الانسان في الماء وانما ذلك على
 التكاف والحيلة ومتى صار الى الارض ودلى نفسه لم يجد بداً من الارض، وأما بقية

الفصيحة التي فيها ذكر الرافضة والأباضية والباطنة فليس هذا موضع تفسيره
وسنقول في نصيده الأخرى بما أمكننا من القول ان شاء الله تعالى انقضت نصيدة
بشر بن المعتز الأولى وأما قوله

* أو ابد الوحش و احناشها *

فان الاو ابد المقيمة والاحناش الحيات مما صار بعد الضب والورل والحرباء والوحرة
وأشبه ذلك من الاحناش وأما قوله

وكلها شر وفي شرها * خير كثير عند من يدري

يقول هي وان كانت مؤذبة وفيها فوائد فان فيها دواء وفيها عبرة لمن فكر وأذاها محنة
واختبار فبالاختبار يطمع الناس وبالطاعة يدخلون الجنة وسئل علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه غير مرة في علل نالته فقيل له كيف أصبحت فقال بشر ذهب الى
قوله عز وجل قل أعود برب الفلق من شر ما خلق وأما قوله

فشرهم أكثرهم حيلة * كالذئب والثعلب والذر

فقد فسره لك في قوله

والليث قد جالده عله * بما حوى من شدة الاسر

وهكذا كل من وثق بنفسه وقلت حاجته وبزعم أصحاب القنص ان العقاب لا تكاد
تراوغ الصيد ولا تمانى ذلك وانها لا تزال تكون على المرقب العالى فاذا اصطاد بنقض
سباع الطير شيئاً انقضت عليها فاذا ابصرها ذلك الطائر لم يكن همه إلا الحرب
وترك صيده في يدها ولكنها اذا جاءت فلم تجد كافياً لم يتنعم عليها الذئب فما دونه
وقد قال الشاعر

مهبل ذئبها يوماً اذا ذلبت * اليه من مستنكف الجو حملاًقا

وقال آخر

كانها حين فاض الماء واحتملت * صقما لاح لها بالقفرة الذيب
صبت عليه ولم تنصب من أمم * ان الشقاء على الاشقين مصبوب

وأما قوله

تعرف بالاحساس أقدارها * في الاسر والالاح والمصير
يقول لا يخفى على كل سبع ضمه وتجلده وفوته وكذلك البهيمة الوحشية لا يخفى
عليها مقدار قوة بدنها وسلاحها ولا مقدار عدوها في الكر والفر وعلى أقدار هذه
الطبقات تظهر أعمالها وأما قوله

والضبع المشراء مع ذئبها * شر من اللبوة والنمر
كما ترى الذئب اذا لم يطق * صاح بجأته رسلا تجري
وكل شئ فعلى قدره * يحجم أو يقدم أو يجرى

لان هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة الاسد والنمور والبيور لا تعرض
للناس الا بعد أن تهرم فتعجز عن صيد الوحش وان لم يكن بها جوع شديد فر بها انسان
لم تعرض له وليس الذئب كذلك الذئب أشد مطالبة فان خاف العجز عوى عواء
استغاثة فتسامعت الذئاب وأقبلت فليس دون أكل ذلك الانسان شئ ، وقسم الاشياء
فقال انما هو نكوص وتأخر وفرار واحجام وليس بفرار ولا اقدام وكذلك هو
وأما قوله

والكيس في المكسب شمل له * والعنديل الفرخ كالنسر
فالعنديل طائر أصغر من ابن نمرة وأصغر من ابن فرة وهو الذي يضرب به المثل
في صغر الجسم والنسر أعظم سباع الطير وأقواها بدنا وقال يونس النجوى وذكر
خلفا الاحمر فقال يضرب ما بين العنديل الى الكركى وقد قال فيه الشاعر
ويضرب الكركى الى القنبر * لا عانسا يبتى ولا محتلم

﴿ وقال ﴾

وبما أقول لصاحبى خلف * أيها اليك تحذرن خلف
فلو أن بيتك في ذري علم * من دون قلة رأسه شعف
نحشيت قدرك ان يبيتها * ان لم يكن لى عنه منصرف

وفي المثل كل طائر يصيد على قدره وأما قوله

والخلد كالذئب على كسبه * والفيل والأعلم كالوب

فانه يقال أفندر من ذئب وأخبت من ذئب وأكسب من ذئب على قول الآخر
أكسب للخير من الذئب الازل

والخير عنده في هذا الموضع ما يعيش ويقوت والخير في مكان آخر المال بعينه على
قوله عز وجل ان ترك خيراً الوصية وعلى قوله وانه لحب الخير لشديد أي انه من
أجل حب المال لبخيل عليه ضيق به متشدد فيه والخير في موضع آخر الخصب
وكثرة المأكول والمشروب تقول ما أكثر خير بيت فلان والخير المحض الطاعة
وسلامة الصدر وأما قوله

أخبت من ذئب خمر

فملى قول الراجز

أما أنك عني الحديث * اذا أنا بالفائظ استغيت

والذئب وسط عنزى يعيث * وصحت بالانماط يا خبيث

وقالوا في المثل مستودع الذئب أظلم، واخذ دويبة عمياء صماء لا تعرف ما يدنو منها الا
بالشم تخرج من جحرها وهي تعلم أن لا سمع ولا بصر لها وانما تشحافها وتقف على
باب جحرها فيجىء الذباب فيسقط على شدقيها ويمر بين لحيها فتسد فيها عليها
وتستدخلها بجذبة النفس تعلم أن ذلك هو رزقها ونفسها فهي تمرض لها نهارة دون
الليل وفي الساعات من النهار التي يكون فيها الذباب أكثر لا نفرط في الطلب ولا
نقصر في الطلب ولا تخطئ الوقت ولا تملط المقدار وللخذ أيضاً تراب حوالى جحره
هو الذي أخرجه من الجحر يزعمون أنه يصلح لصاحب النقرس اذا بل بالماء وطلي
به ذلك المكان وأما قوله

والفيل والاعلم كالوبر

فالفيل معروف والاعلم البعير وبذلك يسمى لانه أبدا مشقوق الشفة العليا ويسمى

الانسان اذا كان كذلك به ويبدل على أن الأعلم والبعير سواء قول الراجز

اني لمن أنكر أو نوسما * ابن جياش أفود الأعلما

وقال عنزة

وحليل غالية تركت مجدلا * تمكرو فريصته كشدق الأعم
 يريد شدق البعير في السمة وقال الآخر
 كم ضربة لك تحكي فافراسية * من المصاعب في أشداه علم
 وقال الكميث

مشافر قرحي أكلن البريدا
 (وقال آخر)

بضرب يلقح الضبعان منه * طروفته ويأتف السفارا

وقال الباهلي

بضرب كأذان الفراء فضوله * وطمن كإزاع المخاض بثورها
 كأنه ضربه بالسيف فعلق عليه من اللحم كأمثال آذان الحمير وقال بمض المحدثين
 وهو ذو اليمينين

ومقص تشخب أوداجه * قد بان عن منكبه الكاهل

فصار ما بينهما هوة * يمشى بها الراح والنايل

وفي صفات الطعنة والضربة أنشدني ابن الأعرابي

تمني أبو اليعقظان عندي هجمة * فسئل مأوى ليها بالكلاكل

ولا عقل عندي غير طعن نوافذ * وضرب كاشداق الفصال الهوازل

وسب يود المرء لومات دونه * كوقع الهضاب صدعت بالمعاول

﴿وقال الآخر﴾

جمعت بها كفي فاهرت ففقهها * ترى قائما من خلفها ماوراءها

وقال البعيث

أئن أمرت معزى عطية وأرادت * تلاعا من المروت أحوي جيمها

تعرضت لي حتى ضربتك ضربة * على الرأس يكبو لليدين أميمها

إذا قاسها الآسي النطاسي أرعشت * أنامل آسيها وجاشت هرومها

وقال الآخر

وأنحة رافع صوتها * نوح وقد وقع المرزم
نوح وتسبر تلاسمة * وقد غابت الكف والمعصم

وقال آخر

ومستنة كاستبال الخرو * ف قد قطع الجبل بالمرود
رفوع الاصابع ضوء الشمو * ش نجلاء مؤسية العود

وقال محمد بن بشير

وطعن حليس كفرخ النطيج * أفرغ من ثعب الحاجر
تهال العوائد من فتقها * ترد السبار على السابر

وأنشد والرجل من أزدشنوة

وطعن حليس قد طغنت مرشة * يقطع أحشاء الجبان شهيقها
إذا باثروها بالسبار تقطعت * تقطع أم السكر شيب عقوقها

وروي للفند الرماني ولا أظنه له

كففنا عن نبي هند * وقلنا القوم اخوان

عسى الايام ترجعهم * جميعا كالذبي كانوا

فلما صرح الشر * وأضحى وهو عريان

شددنا شدة الليث * غدا والليث غضبان

بضرب فيه تفجيع * وتوهين واران

وطعن كغم الزق * وها والزق ملان

وأنشد السدي لرجل من بلحارث

أتيت الحرم في رحله * فشم رجلي بعنس خبوب

تذكر مني خطوبا مضت * ويوم الابهاء ويوم الكشيب

ويوم حزار وقد الجموا * وأشرطت نفسي بان لا أثوب

ففرجت عنهم بنفاحة * لها عائد مثل ماء الزبيب

إذا سبروها عوى كلبها * وحاشت الهم بان صيب

وقال الآخر

طعنة ما طمنت في جمع الذ * م هلالا وأين منى هلال
طعنة الشاهر المصمم حتى * نجم الريح خلفه كالخلال

وقال الحارث بن حلزة

لا يقيم العزيز بالباد السم * ل ولا ينفع الذليل النجاء
حول قيس متلثمين بكبش * قرظي كأنه عبلاء
فرددناهم بضرب كما يخ * رج من خربة المزد الماء
وفعلنا بهم كما علم الله * وما للخائسين ذماء

وقال ابن هرمة

المشرفية والمظاهر نسجها * يوم اللقاء وكل ورد صاهل
وبكل أروع كالخريق مطاعن * فسايف فمائق فمنازل
ويروي فمادل واذا قد ذكرنا شيئاً من الشعر في صفة الضرب والظمن فقد ينبغي أن
نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من اسراف من أسرف واقتصاد من اقتصد
فأما من أفرط فقول مهمل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكوز

وقال الهذلي

والظمن شمشمة والضرب هبة * ضرب الممول تحت الديعة المضدا
وللتسي أراميل ونغممة * حين الجنون تسوق الماء والقردا

ومن ذلك قول عنتره

برحبية الفرعين يهدي جرسها * بالليل مهبس السباع الضرم

وقال قيس بن الاسات

قد حصت البيضة رأسي فما * أطعم يوماً غير تهجاج

وقال دريد بن الصمة

أعاذل انما أفنى شهابي * ركوبي في الصريح الى المنادي

مع الفتيان حتى خل جسمي * وأقرع عاتق حمل النجاد
ومما يدخل في هذا الباب قول عنتره

رعناهم والخيل تردى بالقنا * وبكل أبيض صارم نصال
وأنا المنية في المواطن كلها * والظمن منى سابق الآجال

وأما قوله

ان المنية لو تمثل مثلت * مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

وقال نهشل بن حوى

وما زال ركني يرتقى من ورائه * وفارس هيجا ينفض الصدر واقف

فوصف بأنه مجتمع القلب مدبر لا يبرح وقد كان حميد بن عبد الحميد يوصف بذلك
لانه كان لا يرمي بسهم ولا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ولكن التصبير والتحريض
والثبات اذا نهزم كل شجاع

باب من نذر في حمية المقتول نذراً فبلغ في طاب ناره الشفاء ❦

قال العبسي

دعوت الله اذ قدنا اليهم * لتلقى منقرا أو عبد عمرو

وكانت حلفة حلفت لوتر * وشاء الله ان أدركت وتري

واني قد سقمت فكان برئي * بقرواش بن حارثة بن صخر

والاعراب تمد القتل سقما ودا لا يبرئه الا أخذ ناره دون أخ أو ابن عم فذلك النار

النيم ومن قال في ذلك صبار بن عباد بن السوام اليشكري في طاب الطائفة وأن ذلك

دا ليس له بره وكانوا قتلوا أخاه اساف بن عباد فلما أدرك ناره قال

لم يأتها اني ضحوت وانني * شفاني من الده الخامر شافي

فأصبحت ظيباً مطلقاً من حباله * صحيح الاديم بعد دا اساف

وكنت مغطلي في قناعي حقة * كشفت قناعي واعتطف عطاقي

وفي شبيهه بهذا المذهب من ذكر الداء والهراء قال الآخر

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها * ان الشباب جنون برؤء الكبر
وفي شبيهه بالاول قول الشيخ الباهلي حين خرج الى المبارزة على فرس أعجب فقالوا بال
على بال فقال الشيخ

رآني الاشمرى فقال بال * على بال ولم يعرف بلائي
ومثلك قد كسرت الرمح فيه * فأب بدائه وشفيت دائي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء

بعمين أباع قاسمنا المنايا * فكان تسيما خير القسم
وقالوا فارس الهيجا فلنا * كذلك الرمح بكاف بالكريم

وقال الاسدي

رفعنا طريقاً بأرما حنا * وبالراح منا فلم يدفعونا
فطاح الوشيط ومال الجوى * ح ولانا كل الحرب الالسمينا

وقال الخزيمي

وأعدده ذخرا لكل ملة * وسهم المنايا موالج بالذخائر

وقال السمؤل بن عاديا

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فنتطول
لانا أناس لانرى القتل سبة * اذا ما رآه عامر وسلول

وقال أبو الفيران

يدنو وترفعه الرماح كأنه * شلو تنشب في غلب ضارحي
فتري صريعا والرماح تنوشه * ان الصراة قصيرة الاعمار

وقال آخر وهو يوصي بلبس السلاح

فاذا أنتم هذه فلبسوا * ان السلاح بصيرة بالحاسر

(وقال الآخر)

يا فارس الناس بالهيجا اذا شغلت * كلنا اليدين كرورا غير وقاف

فوله شغلت يزيد بالسيف والترس وأنشد أبو اليقظان

وكان ضروباً باليدين وباليدين

أما قوله ضروباً باليدين فإنه يريد القداح وأما قوله باليدين فإنه يريد السيف، وأما قول
 حسان لفائده حين قربوا الطعام لبعض الملوك أطعام يدين أم يد قال هذا الكلام
 يومئذ وهو مكفوف وإن كان الطعام حيساً أو ثريداً أو حريرة فهو طعام يد وإن كان
 شواء فهو طعام يدين ومن أشرار المقتصدین فی الشعر أنشدنی قطرب

تركت الركاب لأربابها * فأجهدت نفسي على ابن الصوق

جمعت يدي وشاحاً له * وبمض الفوارس لا يمتنع

ومن صدق على نفسه عمرو بن الأظنابة حيث يقول

واقدمي على المكرهه نفسي * وضربي هامة البطل المشيع

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تمهدي أو تستريحي

(وقال آخر)

وقلت لنفسى إنما هو عامر * فلا ترهيه وانظري كيف يركب

وقال عمرو بن معدى كرب

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها * جداول زرع أرسات فاسبطرت

جاشت الى النفس أول مرة * فردت على مكروهما فاستقرت

وقال الطائي

ودنونا ودنوا حبي اذا * أمكن الضرب فمن شاء ضرب

ركضت فينا وفيهم ساءة * لهذميات وبيض كالشهب

تركوا القاع لنا اذ كرهوا * غمرات الموت واختاروا الحرب

وقال النمر بن تواب

سمونا ليشكر يوم النها * بتمرقنا شميريا طوالا

فما التقينا وكان الجلا * دأجوا الحياة فولوا شلالا

وقال الآخر

هم المقدمون الخيل ندمي منحورها * اذا ابيض من هول الطعان المسالح

وقال عنزة

اذ يتقون بي الأسننة لم أخم * عنها ولكني تضايق مقدمي

وقال قطري بن الفجاءة

وقولي كلما جشأت لنفسي * من الابطال ويحك لا تراعي

فانك لو سألت حياة يوم * سوي الاجل الذي لك لم تطاعى

وقالت الخنساء

يهين النفوس وهون النفوس * غداة الكربة أبقى لها

وقال عامر بن الطفيل

أقول لنفس لا يجاد بمثلا * أقل المزاح اني غير مقصر

وقال جرير

ان طاردوا الخليل لم يشؤا فوارسها * أو نازلوا عائقوا الابطال فاقصروا

وقال ابن مقرم الضبي

وإذا تملل بالسياط جيادها * أعطي كتائبها ولم يتعل

فدعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

وقال كعب الاشقرى

اليهم وفيهم منتهى الحزم والندى * وللكرب فيهم والخصاصة فاصبح

تري علقا تمشى النفوس رشاشه * اذا انفرجت من بدهن الجوامح

كان القنا الخطي فينا وفيهم * شياطين بثر هيجهتها الموامح

هناك فذقنا بالرماح فما يرى * هنالك في جمع الفريقين راح

وذرنا كما دارت على قطبها الرحي * ودارت على هام الرجال الصمائم

وقال مهلهل

ودلفنا بجمعنا لبني شيب * ان ان الخليل يبني الخليل

لم يطيقوا ان ينزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا

وقال عبدة وهو رجل من عبدة شمس

ولما جرتنا الخيل خاضت بنا القنا * كما خاضت البزل اليها الطواميا
 رمونا برشق ثم ان سيوفنا * وردن فانكروا القتل المراميا
 ولم يك يثنى الذبل وقع سيوفنا * اذا ما عقدنا للاجلاد النواصيا
 - باب في ذكر الجبن ووهل الجبان -

قال الله عز وجل يحسبون كل صبيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله اني
 يؤذون ويقتلون ويقال ان جريراً من هذا أخذ قوله

مازات تحسب كل شئ بدمهم * خيلا تكرر غابهم ورجالا

والى هذا ذهب الاول

ولوانها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيداً وأرنا

وقال جرير المود

يوم ارتحلت برحلى قبل برذعتي * والقلب مستوهل للبين مشغول

ثم اغتررت على نضوي ليحمني * إر الجول النوادي وهو معقول

وهذا صفة وهل الجبان وليس هذا من قوله

كياتي الاعنة من كفه * وقاد الجياد باذناها

وقال الزكواني أو زمرة الاهوازي ففسر ذلك حيث يقول

يجمل الخيل كالسفين ويرقى * عاديا فوق طرفه المشكول

لانهم ربما نادوا في المسكر قد جاؤا ولا بأس فيسرج الفارس فرسه وهو مشكول

ثم يركبه ويحتمه بالسوط ويضربه بالرجل فاذا رآه لا يعطيه ما يريد نزل فأحضر على رجليه

، ومن وهل الجبان ان يذهل عن موضع الشكال في قوائمه وربما مضى باللجام الى عجم

ذنبه وهو قوله يجمل الخيل كالسفين لان لجام السفينة الذي يميزها به والسكان هو

الذنب، وقال سهل بن هارون الكاتب في المنزومة من أصحاب ابن نهيك البهروان من

خيل هرثمة بن أعين

يخيل للمهزوم افراط روعه * بأن ظهور الخيل أدنى من المطب

لان الجبن يره ان عدوه على رجليه أنجي له كأنه يري أن النجاة انما تكون على قدم

الحمل للبدن وقال أخرجني فاعتل عليه قومه في القتال بالورع
كان ربك لم يخاق خشيته * سواهم من جميع الناس انسانا
وقال آخر

كان بلادوهي الله عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل
وقال الشاعر

يروعه السرار بكل أرض * مخافة ان يكون به السرار
وأنشدني ابن رحيم القرطبي الشاعر ورومي شاطراً بالجن فقال
رأى في النوم انسانا * فوارى نفسه شهرا
ويقولون في صفة الحديد اذا أرادوا أنه خالص فن ذلك قول هيمان
* يمشون في ماء الحديد تنكبا *

وقال ابن نجبا

* أخضر من ماء الحديد ججم *

وقال الاعشى في غير هذا

واذا ما الاكس شبه بالاز * رق عند الهيجا وقل البصاق

وقال الاعشى

اذ لا نقاتل بالهـ * ولا نرامى بالحجاره

وقال الاخطل

وماتركت أسيا فناحين جردت * لاعدائنا قيس بن عيلان من عذر

وأنشد الاصمعي

وبنو فزارة انها * لا تلبث الحلب الحلاب

يقولون لا تلبث الحلاب حلبا حتى تهزمهم واما قوله

وطائر يسبح في جام * كما هر يسبح في نجر

هذا طائر يسمى سنديل وهو هندي يدخل في أنون النار ويخرج ولا يحترق له ريشة
وزعم ثمامة أن المأمون قال لو أخذ انسان هذا الطحاب الذي يكون على وجه الماء في

مناقع المياه بجففه في الظل ما لفاه في النار وكان يحترق ، وزعموا ان الفلفل لا يضره الحرق ولا الفرق ولا الطاق ولا يصير جرا ابدأ قال وكذلك الحجرة فكان هذا الطائر في طباعه وفي طباع ريشه مزاج من النفاطين وأظن هذا من طاق وحطى ومغرة وقدرأيت عودا يؤتى به من ناحية كرمان لا يحترق وكان عندنا نصراني في عنقه صليب منه وكان يقول لضعفاء الناس هذا العود من الخشبة التي صاب عليها المسيح والنار لا تعمل فيها فيكون يكسب بذلك حتى فطن له وعورض بهذا العود واما قوله

* كما هر سبيح في غمر *

فالماهر هو السابح الماهر وقال الربيع بن معن
وترى الماهر في غمرته * مثل كلب الماء في يوم مطير

وأما قوله

ولطعة الذئب على حسوه * وصنعة السرفة والدبر

قال فان الذئب يأتي الجمل الميت فيقبض بغمغمته فيعتمد على حجاجي عينه فيلحس عنه بلسانه حسيا فكانما قورت عينه تقويرا لما أعطى من قوة الوده وردده لسانه أشد هراقى اللحم والعصب من لسان البقر في الخلا فأما عضته ومصته فليس يقع على شئ عظاما كان أو غيره الا كان له بالغا بلامعانة من شدة فكيه ويقال إنه ليس في الارض سبع يعض على عظم الا ولدكسرتة صوت بين لحييه الا الذئب فان أسنانه توصف بأنها تبرى العظم بري السيف المنعوت بان ضربته من شدة مرورها في العظم من قلة ثبات العظم له لا يكون له صوت كما قال الزبير بن عبدالمطاب

وينهى نحوه المحتال عنى * غموض الصوت ضربته صموت

ولذلك قالوا في المثل ضربه ضربة فكانما أخطاه لسرعة المرلانه لم يكن له صوت وقال الراجز في صفة الذئب

أطلس يخني عينه خباره * في شدته صفرتة وناره

وسنأني على صفة الذئب وعلى غير هذا الباب من أمره في موضعه ان شاء الله تعالى وأما ذكر صنعة السرفة والدبر فانه يعنى حكمتها في صنعة بيوتها فان فيها صنعة عجيبة

وأما قوله

ومسمع القردان في منهل * أعجب مما قيل في الحجر
لأنهم يقولون أسمع من فرس ويجعلون الحجر فرساً بلاهاً، وإنما يعنون بذلك الحجر
قانه أسمع قال والحجر وان ضرب به المثل فالقرد أعجب منها لأنها تكون في المنهل
فتموج ليلة الورد في وقت يكون بينها وبين الأبل التي تربد الورد أميال فتزعم
الأعراب أنها تسمع رغاءها وأصوات أخفافها قبل أن يسهمها شيء والعرب تقول أسمع
من قراد وقال الرازي

* أسمع من فرخ العقاب الأسمع *

وأما قوله

والمقرم المعلم ما إن له * مرارة تسمع في الذكر
وخصية تنصل من جوفه * عند حدوث الموت والنحر
ولا يرى بعدهما جازر * شقشقة مائة الهدر

فهذا باب قد غلط فيه من هو أعني بتعرف أعاجيب ما في العالم من بشر ولقد تنازع
بالبصرة ناس وفيهم رجل ليس عندنا أطيب منه فاطبقوا جميعاً على أن الجمل إذا نحر
ومات فلتست خصيته وشقشقته إنهما لا توجدان فقال ذلك الطبيب فاعل مرارة
الجمل أيضاً كذلك ولعله أن تكون له مرارة ما دام حياً ثم تبطل عند الموت والنحر
وإنما صرنا نقول لا مرارة له لانا لا نصل إلى روية المرارة إلا بعد أن تفارق الحياة
فلم أجد ذلك عمل في قلبي مع إجماعهم على ذلك فبعثت إلى شيخ من جزاري باب
المغيرة فسألته عن ذلك فقال بلى لعمري إنهما ليوجدان إن أرادهما مرید وإنما سمعت
العامية كلمة وربما زحناها فيقول خصية الجمل لا توجد عند منجره أجل والله ما توجد
عند منجره وإنما توجد في موضعها وربما كان الجمل خياراً جيداً فتأحق خصيته بكليته
فلا يوجدان لهذه اللمة فبعثت إليه رسولا أنه ليس بشغيني إلا المماينة فبعث إلى بعد
ذلك بيوم أو يومين مع خادمي نفيس بشقشقة وخصية ومثل هذا كثير قد يغلط
فيه من يشتد حرصه على حكاية الغرائب وأما قوله

وليس للطرف طحال وقد * أشاعه العالم بالامر

وفي فؤاد الثور عظم وقد * يعرفه الجازر ذواخبر

وليس عندي في الفرس أنه لا طحال له الا ما أري في كتاب الخليل لابي عبيدة
والنوادر لابي الحسن وفي الشعر لبشر فان كان جوف الفرس كجوف البرذون فأهل
خراسان في أهل هذا المسكر يذبحون في كل أسبوع عدة براذين وأما العظم الذي
ربما وجد في قباب الثور فقد سمعنا بمضمهم يقول ذلك ورأيت في كتاب الحيوان
لصاحب المنطق وأما قوله

وأكثر الحيتان أعجوبة * ما كان منها عاش في البحر

فهو كما قال لان سمك البحر كله ليس له لسان ولا دماغ وأصناف من حيتان البحر
تجج في كل عام في أوقات معلومة حتى تدخل دجلة ثم تجوز الى البطاح فمنها الاشبور
ومنها البرسول ووقته ومنها الجراف ووقته وانما عرفت هذه الاصناف بأعيانها
وأزمانها لانها أطيب ذلك السمك وما أشك ان معها أصنافا اخر يعلم منها أهل الابله
مثل الذي أعلم أنا من هذه الاصناف الثلاثة وأما قوله

وأكبده تظهر في ليها * ثم توارى آخر الدهر

ولا يسبغ الطعم ما لم يكن * مزاجه ماء على قدر

ليس له شيء لا ذلافه * سوى جراب واسع السمير

فان سمكا يقال له الكوسج غايظ الجلد أجرد يشبه الجري وليس بالجري في جوفها
شحمة طيبة فان اصطادوها ليلا وجدوها وان اصطادوها نهارا لم يجدوها وهذا الخبر
شائع في الابله وعند جميع البحرين وهم يسمون تلك الشحمة الكبد وأما قولهم
السمكة لا تسبغ طعمها الا مع الماء فما عند بشر ولا عندي إلا ما ذكر صاحب المنطق
وقد عجب بشر من امتناعها من بلع الطعم وهي منقعة في الماء مع سعة جراب فيها والعرب
تسمي جوف البئر من أعلاه الى قعره جراب البئر وأما ما سوى هذه القصيدة فليس
فيها الا ما يعرف وقد ذكرناه في موضع غير هذا من هذا الجزء خاصة وسنقول في
باب الضبع والتمغذ والحرقوص والورل وأشبه ذلك مما أمكن ان شاء الله تعالى قال

أبو زياد الكلابي أكلت الضبيع شاة رجل من الاعراب جمل يخاطبها ويقول
 ما أنا يا جمار من خطبك * على دق العضل من أنيابك
 * على هذا جحرك لا اهابك *

جمار اسم الضبيع ولذلك قال الراجز
 يا أيها الجعر السمين وقومه * هزلان نحوهم ضباع جمار

ثم قال الاعرابي

ما صنعت شاتي التي أكلت * ملأت منها البطن ثم جات

* وخنتني وبأس ما فعلت *

قالت له لا زات تلقى الهما * وأرسل الله عليك الحمي

* لقد رأيت رجلا معتما *

قال لها كذبت يا خبات * قد طال ما أمسيت في اكثراث

* أكلت شاة صديعة غراث *

قالت له والقول ذو شعجون * أسهبت في قولك كالجحنون

أما ورب المرسل الامين * لا جمن بترك السمين

وأمه وجحشه القرين * حتى تكون عقلة العيون

قال لها ويحك حذرني * واجتهدي الجهد وواعديني

وبالاماني فمليني

لا قطعن ملتي الوتين * منك وأشني الهم من دفيني

فصدقيني أو فكذبيني

أو أتركي حتى وما يليني * اذا فشلت عندها يميني

تعرني ذلك باليقين

قالت ابا لقتل لنا تهدد * وأنت شيخ عثر مفند

قولك بالجبن عليك يشهد * منك وأنت كالذي قد أعهد

قال لها فأبشري وأبشري * اذا تجردت لساتي فاصبري

أنت زعمت قد أمنت منكرى * أحلف بالله العلى الا كبر
 يمين ذي ثرية لم يكفر * لاخضبن منك جنب المنخر
 برمية من بارع مذكر * أو تتركين أحمرى وبقرى
 فأقبت للقدرد المقدر * فأصبحت في الشرك المزعفر
 مكبوبة لوجهها والمنخر * والشيخ قد مال بقرب مجهر
 ثم اشتوي من أحمر وأصفر * منها ومقدور وما لم يقدر

وقال الآخر

يأبى لى نعلمين من جلد الضبع * وشركا من أستهلا لا يتقطع
 * كل الخذاء يحمذى الحافي الوقع *

وهذا يدل على ان جلدها جلد سموى واذا كانت السنة جديدة تأكل المال سميتها العرب
 الضبع قال الشاعر

أباخراشة إما كنت ذانفر * فان قوى لم تأكلهم الضبع

وقال عمير بن الحباب

فبشرى القين بطمن شرح * يشبع أولاد الضباع المرج
 مازال إسدي لم ونسجي * حتى اتقوني بظهور شج
 * أريتنا يوماً كيوم المرج *

وقال رجل من بني ضبة

يا ضبماً أكلت أيار أحمره * ففى البطون وقد راحت قرالير
 ما منكم غير جملان ممددة * دسم المرافق انذال غوارير
 وغير همز ولز للصديق ولا * تنكي عدوكم منكم أظافير
 وانكم ما بطشتم لم يزل أبدأ * منكم على الاقرب الاذنى دنانير

وأشدد

الفوه أمثال السباع فالشمر * فمنهم الذئب ومنهم النمر
 * والضبع المرجاء والليث المحصر *

وقال الملاجم

مماور حباته الشخص أعم . كالذبح أفني سنه طول الهرم

وأنشد

بجاوز الجرض ولا تشمه * لسائغ المشفر رحب بامه

سالت دفاويه وشاب غاصمه * كالذبح في يوم مرس رمه

يقول وبر لحبيها كثير كأنه شعر قد بله المطر وأنشد

لما رأيت قائما بالغرب * تخاجت أشداقه للشرب

تخليج أشداق الضباع القاب

يعنى من الحرص والشره وتمثل ابن الزبير

خديني بخريبي ضباع وأبشري * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وانما خص الضباع لانها تذبش القبور وذلك من فرط طلبها للحوم الناس اذ لم تجدها

ظاهرة وقال تأبط شرأ

فلا تقبروني ان قهرى محرم * عايكم ولاكن خامرى أم عامر

اذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكتري * وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنا لك لا أبني حياة تسرني * سمير الليالي بسلا بالجرائر

قال اليعقوبي واذا بقي القتيل بالعمراء وانتفخ ابره لانه اذا ضربت عنقه يكون منبسطا

على وجهه فاذا انتفخ انقلب فعند ذلك تجي الضبع فتركه فتقضي حاجتها ثم تأكله

وكانت مع عبد الملك جارية شهدت معه حرب مصعب فنظرت الى مصعب

وقد انقلب وانتفخ ابره وورم وغلظ فقالت يا أمير المؤمنين ما أغلظ أبور المنافقين

فأطمها عبد الملك ، ابن الاعرابي قالت امرأة لزوجها ، وكانت صغيرة الركب وكان

لزوجها صغير الاير مال للرجل في عظم الركب منفعة وانما الشأن في ضيق المدخل

وفي المص والحارة ولا يذني أن يلتفت الي ما ليس من هذا في شيء وكذلك

الاير انما يذني أن تنظر المرأة الى حر جلده وطيب عسلته ولا تلتفت الى كبره

وصغره وأنظ الرجل على حديثها انما شديدا فطمع أن ترى ابره في تلك الحال

عظيماً فأراها إياه وفي البيت سراج جُمِلَ الرجل يشير إلى إيره وعينها طامحة إلى
 ظل إيره في ظل الحائط فقال يا كذابة لشدة شهوتك في عظم ظل الإبر لم تفهمي
 عنى شيئاً أما أنك لو كنت جاهلاً كان أنتم لبالك يارائن لو كان منفعة عظم الإبر
 كمنفعة عظم الركب لما طمحت عينك إليه قال الرجل فان للركب العظيم حظاً في
 المئين وعلى ذلك تحرك له الشهوة قالت وما تصنع بالحركة وشك يؤدي إلى شك
 الإبر إن عظم فقد ناك جميع الحر ودخل في تلك الزوايا التي لم تزل تنظم من بعيد
 وغيرها المنتظم دونها وإذا صغر ينكث الحر ونصفه وثلاثيه فمن يسره أن يأكل
 بثالث بطنه أو يشرب بثالث بطنه قال اليعقوبي أمكنها والله من القول ما لم يمكنه ،
 وقال وخلا معاوية بجزارية له خراسانية فلما هم بها نظر إلى وصيفة في الدار فترك
 الخراسانية وخلا بالوصيفة ثم خرج فقال للخراسانية ما اسم الأسد بالفارسية قالت
 كنعان فخرج وهو يقول ما الكنعان فقيل له الكنعان الضبع فقال ما لها قاتلها الله
 أدركت بثارها والفرس إذا استقبحت وجهه الإنسان قالت روي كنعان أي وجهه
 الضبع ، قال وكتب عمر بن يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة بن مسلم حين عزل وكيع
 ابن أبي سود عن رياسة بني تميم وولاهم ضرار بن حسين الضبي عزات السباع
 ووليت الضباع وأنشد لعباس بن مرادس السلمي

فلومات منهم من جرحنا لأصبحت * ضباع بأكناف الأراك عرائسا
 قال خراشة بن أشيم

فمن مبلغ عنى يساراً ورافعا * وأسلم إن الأوهيين الأقارب
 فلا تدفني في صرى وادفني * بديمومة تنزو على الجنادب
 وإن أنت لم تقرر على مطبى * فلاقام في مال لك الدهر حالب
 فلا يأكنى الدئب فيما دفنتي * ولا فوغل مثل الصريمة حارب
 أزل هليب لا يزال ما بظا * إذا ذربت أسيابه والمخالب

﴿ رَأْنَشِد ﴾

تروكو جارهم تأكله * ضبع الوادي ورميه الشجر

يقول خذواوه حتى أكله الأم السباع وأضعفها وقوله وترميه الشجر صار برمييه من لا يرى أحداً وقد بقي من القول في الضبع ما سنكتبه في باب القول في الذئب، وأما الحرقوص فزعموا أنه دويبة أكبر من البرغوث وأكثر ما يذبت له جناحان بعد حين وذلك له خير وهذا المني يمتري النمل وعند ذلك يكون هلاكه ويمتري الدعاء يص إذا صارت فراشا ويمتري الجملان، والحرقوص دويبة عضها أشد من عض البراغيث وما أكثر ما يمض احراح النساء والخصا وقد سمي بحرقوص مارن أبو كايبة بن حرقوص قال الشاعر

أنتم بنى كايبة بن حرقوص * كلهم هامته كالأخوص

وقال بشر بن المعتز في شعره المراوح حين ذكر فضل عليّ على الخوارج وهو قوله ما كان من أسلافهم أبو الحسن * ولا ابن عباس ولا أهل السنن
غر مصابيح الدجى مناجب * أوائلك الأعلام لا الأعراب
كمثل حرقوص ومن حرقوص * بقمة قاع حولها فصيص
ليس من الخنظل يشنار العسل * ولا من البجور بصطاد الورل
هيات ما سافلة كمالية * ما معدن الحكمة أهل البادية
قال والحرقوص يسمى بالنهيك وعض النهيك ذلك الموضع من امرأة اعرابي فقال
وما أنا والحرقوص ان عضه * لها بين رجلها بحد عقور
تطيب بنفسي بعد ما تستفزني * مما لها ان النهيك ص غير
والذين ذهبوا الى أنه البرغوث نفسه قالوا الدليل على ذلك قول الطرماح
ولو أن حرقوصا على ظهر قلة * يكر على ص في تيم لوات
قالوا ولو كان له جناحان لما أركبه ظهر القملة وليس في قول الطرماح دليل على ما قال
وقال يمض الاعراب وعض الحرقوص خصيته

لقد منع الحراقيص الفرارا * فلا ليلا يقر ولا نهارا

يفلن ابن الرجال على خصامهم * وفي الاحراح دسا وانجھارا

وقالت امرأة تغني زوجها

لقد وقع الخرموص مني موفعاً * أرى لذة الدنيا إليه تصير
والشد والآخر

برح بي ذوالنظمتين الامس * بقرص أحيانا وحيناً بنس
فقد وصفه هذا كما ترى وهذا بصدق قول الآخر ويرد على من جعل الخراقيص
من البراغيث قال الآخر

بيت بالليل جواباً على رمث * ماذا هنالك من عض الخراقيص
وسنقول في الورل بما أمكن من القول ان شاء الله تعالى وعلى أنا قد فرقنا القول فيه
على أبواب قد كتبناها قبل هذا قالوا الورل يقتل الضب وهو أشد منه وأجود سلاحاً
والطف بدنا قالوا والسافر متا يكون مسروراً وهو الذي يريف الى الانسان وينفخ
ويتوعد قال واصطدت منها واحداً فكسرت حجراً وأخذت صرورة فذبحتها بها حتى
فات قد نزعته فاسبط لحية فأردت ان أصني اليه وأثرت باهامي في فمه فعض عليها
عضة اختلفت أنيابه فلم يخلها حتى عضضت على رأسه قال ذات أهلك فشققت بطنه
فاذا في قانصته حيتان عظيمتان الا الرأس قال وهو يشدخ رأس الحية ثم يتلعها فلا
يضره سمها وهذا عنده أعجب ما فيه فكيف لو رأى الحوائين عندنا وأحدهم يهطى
اشي البسير فان شاء أكل الأفي نيا وان شاء شواء وان شاء قديداً فلا يضره ذلك
بقابل ولا كثير، وفي أنه ليس شئ من الحيوان أقوى على أكل الحياة وقتلها منه ولا
أكثر سفاداً حتى تقدم في ذلك على النيس وعلى الجمل وعلى العصفور وعلى الخنزير
وعلى الذباب في المدد وفي طول المكث وفيه أنه لا يحتفر لنفسه بيتاً ويفتصب كل شئ
لانها أي جحر دخلت هرب منه صاحبه فالورل يفترس الحية نفسها كما تفترس الحية
بيوت سائر الاحناش والطيور والضب وهو أيضاً من المراكب وهو أيضاً مما يستطاب
وله شعمة ويستطيون لحم ذنبه، والورل دابة خفيف الحركة ذاهبا وجائيا وبمينا وشمالا
وليس شئ بعد العظاة أكثر تلفتا منه وتوقفاً ونزعم المحوس ان أهرمن وهو ابليس
لما جلس في مجاهه في أول الدهر ليقسم الشر والسموم فيكون ذلك عدة على مناهضة
صاحب الخير اذا اتقضي الاجل بينهما ولان من طباعه أيضاً فعل الشر على كل حال

كانت المظاة آخر من حضر فحضرت وقد قسم السم كله فتداخها الحسرة والاسف
فتراها اذا اشتدت رقت وفتة تذكر لما فاتها من نصيبها من السم ولتفربطها في الابطاء
حتى صارت لا تسكن الا في الخرابات والحشوش لانها حين لم يكن فيها من السم
شيء لم تطلب مواضع الناس كالوزغة التي تسكن معهم البيوت وتكرع في آنتهم الماء
وتنجه وتزاق الحيات وتهيجها عليهم ولذلك نفرت طباع الناس من الوزغة فقتلوا تحت
كل حجر وسلمت منهم ولم أر قولاً أشد تنافضة ولا أموق من قولهم هذا لان المظاة لم
يكن ليعترها من الاسف على فوت السم على ما ذكرنا الا وفي طبعمها من الشرارة
الفريزية أكثر مما في طبع الانبي قال الراجز في معني الاول

ياورلار قرق في سراب * ا كان هذا أول الشواب

قال ورقفته سرعته ذاهبا وجاياريميناوشه الا قال أبو دؤاد الأيادي في صفة لسان فرسه
عن لسان كحمة الورل الاحمر * هج الثري عليه العرار

وقال خالد بن عجرة ووصف الاصمى حوافي بهض اراجيزه فقال

في قمر دن ضرس وصدك * يبرج منه بمد ضيق ضنك

فقد قلنا في القنفذ وصنيمه في الحيات والافاعي خاصة وفي أنه من المراكب وفي غير
ذلك من أمره فيما تقدم في هذا الكتاب ويقول من نزع فروته بأنها مملوءة شحمة
والاعراب تستطيب أكله وهو طيب الارواح والقنفذ لا يظاير الا بالليل كالمستخفي
فلذلك شبه به قال أيمن بن خريم

كقنفذ الرمل لا تخفي مدارجه * حتى اذا نام عنه الناس لم ينم

وقال عبدة بن الطيب

قوم اذا دوس الظلام عليهم * خرجوا قنائف بالخميمة تمرع

وقال

شربت الأمسور وغاليتها * فأولى لكم يابى الاعرج

تدبون من حول ركبانكم * ديب القنائف في العرفج

وقال الآخر في غير هذا الباب

كان سرا أو كخيلا بنمصر * ينخط من قنفذ ذفراه الزفر
 وقال عباس بن مرداس السلمي يضرب المثل به وبأذنيه في القلة والصغر
 فانك لم نك كابن الرشيد * واكن أبوك أبو سالم
 حمت المنير وأقالها * على أذني قنفذ وارم
 وأشبهت جدك شر الجدود * والعدو يدري الى النأم

وأشدني نديم بن شهاب أحد بني عوف بن كنانة من عمك قال أشدنيه نعيم بن
 طارق في تشبيهه ركب المرأة اذا جم بجهد القنفذ

على من عنائه وشقوته * وقد رأيت هدايا في مشيته
 وقد جلى الشيب عذار لحيته * بنت ثمانى عشر من حجته
 بظنها ظنا بغير رؤيته * ليس بجم صفة من همته
 لم يجزه الله برحب سمته * جم بمد خلقه وبزته
 كقنفذ القف اختفي في فروته * لا يبلغ الا بر بنزع رهوته
 ولا يكر راجعا بكرته * كأن فيه وهجا من ملته

ويسمون بالقنفذ وذو البرة الذي ذكره عمرو بن كاثوم هو الذي يقال له برة القنفذ
 وهو كعب بن زهير وهو قوله

وذو البرة الذي حدث عنه * به نحى ونشفي الماجئينا

ومن القنفذ جنس وهو أعظم من هذه القنفذ وذلك ان لها شوكا كصياصي الحاككة
 وانما هي مدارى قد سخرت لها وذلك تلك المغارز والمنابت ويكون متى شاء ان
 ان ينصل منها رمى به الشخص الذي يخافه فمل حتى كانه يخرج كالسهم الذي
 يخرج من الوتر ولم أر أشبه به في الحذف من شجر الخروع فان الحب اذا جف في
 أكامه وتصدع عنه بمض الصدع حذف به بمض الفصون فربما وقع على قاب الرمح
 العاوبل وأكثر من ذلك، والبرذون يسقط على جاده ذبابة فيحرك ذلك الموضع فهد
 عام في الخيل فأما الناس فان الخنث ربما حرك شيئا من جسده وأى موضع شاء من
 يده والكعاني وهو اسم الذي يتجنن أو يتفالج فالج الرعدة والارتماش فانه يحكي من

صرع الشيطان ومن الازباد ومن النفضة ما ليس عنهما وربما جمعهما في نقاب واحد فأراك
 لله تعالى مجنوناً. فلو جاب جمع الحركتين جميعاً بما لا يجي، من طباع المجنون والانسان العاقل
 وان كان لا يحسن يبني كهيئة وكر الزبور ونسج العنكبوت فانه اذا صار الى حكاية
 أصوات البهائم وجميع الدواب وحكاية العميان والعرجان والفافاء، والى أن يصور أصناف
 الحيوان بيده بلغ من حكايته الصورة والصوت والحركة ما لا يبلغه المحكي وفي الناس
 من يحرك أذنيه من بين ساثر جسده وربما حرك إحدىهما لبيل الاخرى ومنهم
 من يحرك شعر رأسه كما أن منهم من يبكي اذا شاء ويضحك اذا شاء، وخبرني بعضهم
 أنه رأى من يبكي باحدى عينيه وباتى يقترحها عليه الغير، وحكي المكي عن جوار
 باليمن لمن قرون مضمورة من شعر رؤسهن وان احدها من تلب وترقص على ايقاع
 موزون ثم تشخص قرناً من تلك القرون ثم تلب وترقص ثم تشخص من تلك
 الضفائر المرصعة واحدة بمد أخرى حتى تنتصب كأنها قرون أو ابد في رأسها فقلت له
 فاعل الضفير والترصيع أن يكو شديد القتل ببيض العسل والذبيد فاذا أخرجه
 بالحركة التي ثبتها في أصل تلك الضفيرة شخصت فلم أره ذهب الى ذلك ورأيت
 بحمته ويستشهد بأخيه، وتزعم الاعراب أن الذئب ينام باحدى عينيه ويزعمون أن
 ذلك من حاق الخذر وينشر شعر حميد بن نور الهلالي وهو قوله

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * المنايا بأخري فهو يقظان هاجع

وأنا ظن هذا الحديث في معنى ما مدح به تأبط شراً

اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * كأنى من عينيه شجعمان فانك

ويجمل عينيه ربيثة نابه * الى سلة من حد أحضر باتك

ويقال أسمع من قنفذ وقد يذني أن يكون قولهم أسمع من الدلدل من الامثال
 المولدة وفرق ما بين القنفذ والدلدل كفرق ما بين الفار والجرذان والبق والجواميس
 والبخاتي والراب والضأن والمعز والذر والنمل والحراف والابل وأجناس من الحيات
 وغير ذلك فان هذه الاجناس منها ما يتسافد ويتلافح ومنها ما لا يكون ذلك فيها
 ويقال انه لأخس من فاسية وهي الخفساء لانها تنسو في يد من مسها وقال بعضهم

انه عني الظربان لان الظربان يفسو في وسط الهجمة فتنفرق الابل فلا تجتمع الا
 بالجهد الشديد ويقال ألج من الخنفساء وقال خلف الاحمر وهو بهجو رجلا
 ألج لجا من الخنفساء * وأزهي اذا ما مشي من غراب
 وأنشد أبو الرديني عن عبد الله بن كراع أخى سويد بن كراع في الضبع
 من يحن أولاد طريف رهطا * مردأ أوله سبطاً^(١) *
 وأى عضايط طوالا سبطا * كأضبع المرط هبطن هبطا
 ثم يفنين هديلا مرطاً * ان لكم عندي هناه لمطا
 * حطما على أنفسكم وعلطا *

وحكى أبو مجيب ما أصابه من أهله ثم قال وقد رأيت رؤيا عبرتها رأيت كأنى
 طردت أرنبا فأنحجرت خفرت عنها حتى استخرجتها فرجوت أن يكون ذلك ولداً
 أرزقه وقد كانت لى ابنة عمها هنا فأردت أن أتزوجها فما ترى قلت تزوجها على
 بركة الله تعالى ففعل ثم استأذني أن يقيم عندنا أياما فأقام ثم أمانى فقلت لا تخبرني
 بشئ حتى أنشدك ثم أنشدته هذه الايات

يا ليت شمري عن أبي مجيب * اذبات في مجاسد وطيب
 معانقا لارشأ الريب * أأختم المحفار في الزليب

أم كان رخوا يابس القضيبي

قال بلى كان والله رخوا يابس القضيبي والله لكأنك كنت معنا ومشاهدنا، فأما
 الفهد فالذي يحضرنا من خصاله أن يقال انه عظام السنم يشتهي ريحه ويستدل برائحته
 على مكانه ويمجب باحبه أشد العجب وقد يصاد بضروب منها الصوت الحسن
 فانه يصنف اليه اصفاً حسناً واذا اصطادوا المسن كان أنفع لأهله في الصيد من الجرو
 الذى يربونه لان الجرو يخرج خبا ويخرج المسن على الأديب صبوراً غير خب ولا
 ضرر تكمل في صيده وهو أنفع من صيد كل طائر وأحسن في المين وله فيه تدبير
 عجيب وليس شئ في مثل جسم الفهد الا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة التي

برقى على مؤخرها والفهد أنوم الخلق والفهد نومة مصمت قال أبو حية النخري
بمذاربها أناسا نام حلهم * عنا وعناك وعنهما نومة الفهد

وقال حميد بن ثور الهلالي

ونمت كنوم الفهد عن ذى حفيظة * أكلت طعاما دونه وهو جائع

وقال الرقاشي في صفة الفهد

قد اغتدي وللليل أحوى السد * والصبح في الظلماء ذوتهدى

مثل اهتراز المضب ذى الفرند * بأهت الشدتين ملتشد

أدبر مضبور القري عاكده * طاوى الحشاني طى جسم معد

كر الوفا حم حضور الجد * برامد ذى نكت مسود

وسحر اللجين سحر ورد * شرنبت أغلب مصممه

كلاليت الايمر في الجلد * لامح الحائل مستعد

حتى اذا عابن بدم الجهد * على قطة الردف ردف العبد

مر مرعتنا بحس صلد * وانقض باد واغبر مجرهد

في لهب منه وحبل اد * مثل انسياب الحية العربد

وقوله مثل انسياب الحية العربد هذه الحية غير الدابة التي يقال لها العربد وقد ذكرها

مالك بن خريم لعمر بن ممد يكرب

يا عمرو لو أبصرتنى * لرفوتنى في الليل رفوا

والبيض تلمع خلفهم * تعصوها الفرسان عصوا

* وفلقت مني عربدا * يقطو امام الخيل قطوا

لما رأيت نساءهم * يدخلن تحت البيت حبوا

وسممت زجر الخيل في * جوف الظلام هبا وهبوا

في فيلق ملومة * تمطو على الخيرات عطوا

وقال الرقاشي أيضا في الفهد

لما غدا للصيد آل جعفر * رهط رسول الله أهل المنجور

بفهد ذات شرار مضبر * وكاهل باد وعنى أزهر
ومقلة سال سواد المحجر * منها الى شدى رحاب المغفر
فى ذنب طال وجلد أنمر * وأبطل مستأسد غضنفر
وأذن مكسورة لم تجهر * فطساء فيها رجب فى المنجر
مثل وجار التنفل المقور * أرثها اسحاق فى التندر
منها على الخدين والمعذر

وقال ابن ابي كريمة فى صفة الفهد

كان بنات الفهر حين تشعبت * غدوت عليها بالنايا الشواغب
بذلك يبغي الصيد طوراً ونارة * بمخطفة لاحشاء رجب التراب
مرفقة الاذنان نمر ظهورها * مخططة الآماق غاب الفوارب
مولمة قطع الحياة عواسب * تحال على أشداقها خط كاتب
فوارس ما تمفين خرباً وحلة * اذا أنست بالبيد شهب الكتاب
تضائل حتى ما تكاد تينها * عيون لذي الصراب غير كواذب
توسد أجناد الفوانس أدرعا * مزملة تحكي عتاق الجناب

قال والصبيان يصيحون بالفهد اذا راوه يهودى وقد عرفنا معناهم فى الحرابى والعامه
تزعّم أن الفارة كانت يهودية سحارة والأرضة يهودية أيضاً عندهم ولذلك يلطخون
الاجذاع لحم الجزور والضب يهودى ولذلك قال بعض القصاص لرجل أكل ضبا
اعلم أنك أكلت شيئا من بنى اسرائيل ولا أراهم يضيفون الى النصرانية شيئا من
السباع والحشرات ولذلك قال أبو عاقمة كان اسم الذى أكل يوسف رجحون فقيل له
ان يوسف لم يأكله الذئب وانما كذبوا على الذئب ولذلك قال الله عز وجل وجاؤا على
فئيسه بدم كذب قال فهذا اسم للذئب الذى لم يأكل يوسف فينبغى أن يكون ذلك
الاسم لجميع الذئاب لان الذئاب كلها لم تأكله، وتزعّم المجوس أن سومين الذى ينتظرون
خروجه ويزعمون أن الملك بصير اليه يخرج على بقرة ذات قرون ومعه سبعون رجلاً
هليم جلود الفهود لا يقول هراً وبراً حتى يأخذ جميع الدنيا وكذلك ألفاظهم فى الهر

والبر وابن السكابي يزعم عن الشرقي بن القطامي أن المهر السنور والبر الفارة والباز والفهد من جوارح الملوك والشاهين والصقر والزرقي والبؤبؤ وليس ترى شريفا يستحسن حمل البازي لان ذلك من عمل البازيار ويستهن حمل الصقور والشواهين وغيرها من الجوارح وما أدرى علة ذلك الا ان الباز عندهم أعجبى والصقر عربي، ومن الحيوان الذي يدرب فيستجيب وبكيس فيصيح المعقق فانه يستجيب من حيث تستجيب الصقور ويزجر فيعرف ما يراد منه ويخبأ الحلي فيسأل عنه ويصاح به فيمضى حتى يقف بصاحبه على المكان الذي خبأ فيه ولكن لا يلزم البحث عنه وهو مع ذلك كثيرا ما يضيع بيضه وفراخه، وثلاثة أشياء تخبي الدراهم والحلي وتفرح بذلك من غير انتفاع به منها المعقق ومنها ابن مقرض دويبة آف من ابن عرس وهو صعب وحشي يحب الدراهم ويفرح بأخذها ويخبئها ويصيد المصافير صيدا كثيرا وذلك أنه يؤخذ فيربط بخيط شديد الفتل ويقابل به بيت المصفور فيدخل عليه فيأخذه وفراخه لا يقتلها حتى يقتلها الوجيل فلا يزال كذلك ولو طاف به على ألف حجر فاذا حل خيطه ذهب ولم يبق من الفار يسرق الدراهم والدنانير والحلي ويفرح به ويظهره وينبيهه في الحجر وينظر اليه وينقلب عليه قال وخطب الأشعث فقال أيها الناس انه ما بقي من عدوكم الا كما بقي من ذنب الوزغة يضرب به يمينا وشمالا ثم لا يلبث أن يموت فمر به رجل من قشير فسمع كلامه فقال سبح الله تعالى هذا ورأيه يأمر أصحابه بقلة الاحتراس وترك الاستعداد وقد يقطع ذنب الوزغة من ثلثها الاسفل فتعيش ان أفلتت من الذر وقد تحتمل الخنافس والكلاب من الطعن الجائف والسهم النافذ ما لا يحتمله مثله شيء والخنفساء أعجب من ذلك وكفالك بالضرب والجمل يكون سنامه كالهذف فيكشف عنه جلده في المجهدة ثم يجث من أصله بالشفار ثم تماد عليه الجلدة ويداوي فيبرأ ويحتمل ذلك وهو أعجب في ذلك من الكبش في قطع أليته من أصل عجب ذنبه وهي كالترس وربما فعل ذلك به وهو لا يستطيع ان ينقل أليته الا بأداة تتخذ ولكن الآية على حال طرف زائد والسنام قد طبق على جميع مافي الجوف، ونظر اياس بن معاوية في الرحبة بواسطة الى آجرة فقال تجت هذه

الآجرة دابة فزرعوا الآجرة فاذا تحتمها حية متطورة فستل عن ذلك فقال لاني رأيت ما بين الآجرتين نديا من جميع تلك الرحبة فعلمت ان تحتمها شيئا يتنفس واذا سقط الثاج في الصحارى صار كله طبعا واحداً الا ما كان مقابلاً لافواه أجرة الوحش والحشرات فان الثاج في ذلك المكان ينحسر ويرق لانفاسها من أفواهها ومناخرها ووهج أبدانها فالكلاب في تلك الحال يمتادها الاسترواح حتى تقف بالكلابين على رؤس المواضع التي تنبت الاجرد والقصيص وهي كالتربة التي تنبت الحكمة وتربيتها وربما كانت الواحدة كالرمانه الفخمة ثم تتخاق من بزر وليس لها عرق تمص به من قوى تلك الارض ولكنها قوى اجتمعت من طريق الاستحالات وكما تنطبخ في أعماق الارض من جميع الجواهر وليس لها بد من تربة ذلك من جوهرها ولا بد لها من وسمي فاذا صار جانبها الى تلك المواضع ولا سيما ان كان اليوم يوماً بشمسه وقع فانه اذا أبصر الاجرد والقصيص استدل على مواضعها بانتفاح الارض وانصداعها واذا نظر الاعرابي الى موضع الانفاخ يتصدع في مكانه فكان بفتحجه في الحالات مستويا علم انه كجاة وان خاط في الحركة والتصدع علم أنه دابة فاتق مكانها

— باب نوادر وأشعار وأحاديث —

قال الشاعر

وعصيت أمر ذوى النهي * وأطمت رأبي ذوى الجهالة
فاحتات حين صرمتنى * والمسر، يعجز لا محاله

وقال بشار

وصاحب كالدمل الممد * حملته في رقة من جلدي
الحري يحيى والمصا للعبد * وليس للماحف مثل الرد

وقال خابغة الانطع

العبد يقرع بالمصا * والحرتكفيه الملامه

باب من التول في العرجان قال رجل من بني عجل

وشى بي واش عند ليلى سفاهة * فقالت له ليلى مفالة ذى عقل
وخبرها نى عرجت فلم تكن * كورها تخبو الملامة للبدل
وما بي من عيب انى غير انى * جمعت العصار جلا فيم بهار جلى

وقال أبو حية فى مثل ذلك

وقد جمعت اذا ماقت أوجهنى * ظهرى فقامت فيسام الشارب السكر
وكنت أمشى على رجاين معتدلا * فصرت أمشى على أخري من الشجر

وقال أعرابى من بنى تميم

وما بي من عيب الفتى غير انى * ألفت قناني حين أوجهنى ظهري

وكان بنو الحداء عرجان كلهم فجهام بوض الشعراء فقال

اذا عدوا وعصى الطاح أرجلهم * كما تنصب وسط البيعة الصاب

لله در بنى الحداء من نفر * وكل جار على جبيرانه كاب

وانما شبه أرجلهم بمصى الطاح لان أغصان الطاح تنبت معوجة لذلك قال سعد ان

الأعمى

والذى خفف الحدار من الذء * روقد فات قاصم الافعال

فهذا جامعا بأيد هشيم * وبساق كمود الطاح بالى

وله حديث وكان الحكيم بن عبدل أعرج وكان بعد هجائه لحمد بن حبان بن ثابت

لا يبعث الى أحد بمصاه التى يتوكأ عليها وكتب عليها حاجته الا فضاها كيف كانت

فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أمير الكوفة وكان

أعرج وكان صاحب شرطته أعرج فقال ابن عبدل

الى المصاودع التمرج والنمس * عملا فهذى دولة العرجان

فأميرنا وأمير شرطتنا معا * يا قومنا لكليهما رجلان

فاذا يكون أميرنا ووزيره * وأنا فان الرابع الشيطان

وقال آخر ووصف ضعفه وكبر سنه

أنى الندى فلا يقرب مجلسي * وأقود لاشرف الرفيع حاريا

وكان من العرجان والشمره أبو ثعلب وهو كليب بن الغول ومنهم أبو مالك الاعرج
وفي أحدهما يقول اليزيدي

تلقا ثانيا إذا ما جاء ندمهم * وبدهم ان أانا كان ثانيا

فألدا ضمن السادات ثاويان وثيان وهو اسم واحد وهو تأويل قول الشاعر

يصد الشاعر الثيان عني * صدود البكر عن قرم الهجان

لم يمدح نفسه لان يغلبه الفعل وإنما أراد ان يصغر بالذي هجاه وبأنه ثيان وان كان
عند نفسه غلا وأما قول الشاعر

ومن يفخر بمثل أبي وجدى . يحجى قبل السوابق وهو ثاني

اي ثان عنانه ، أحاديث في أعاجيب الممالك آتيت باب السعداني فاذا غلام له مبيع
بالباب كان يتبع دابته فقات له قل لمولك ان شئت بكرت الى وان شئت بكرت
اليك قال أنا ليس أ كلم مولاي ومي أبو القنافذ فقال أبو القنافذ ما محتاج مع هذا
الخبر الى معاينة، وقال أبو البصير المنجم وهو عند قم بن جعفر لغلام له مبيع صغير
السن ما حبسك يا حلقتي والحلقتي المخذت ثم قال أما والله لئن ثقت اليك يا حلقتي لنعلمن فدا
أكثر عليه من هذا الكلام قال أدعو الله على من جماني حلقيا ، حدثني الحسن بن
المرزبان قال كنت مع أصحاب لنا اذ آتينا بغلام سندي يباع فقات له اشتريك يا غلام
فقال حتى أسئل عنك قال المكي وأتي المثنى بن بشر بشيخ سندي ليشتريه على انه
طباخ فقال له المثنى كم تحسن يا غلام من لون فلم يجبه فأعاد عليه وقال يا غلام كم تحسن
من لون فكلم غيرة وتركه فقال المثنى في الثالثة ماله لا يشتكم يا غلام كم تحسن من لون
فقال السندي كم تحسن من لون كم تحسن من لون وانا لانحس ما يكفيك أنت قال
حسبك الآن ثم قال المثنى للدلال امض بهذا عليه لعنة الله ، وحدثني ثمامة قال جاءنا
رجل بغلام سندي يزعم انه طباخ حاذق فاشتريته منه فلما أمرت له بالمال قال الرجل انه
قد غاب عنا غيبة فان اشتريته على هذا الشرط والا فاتركه فقات للسندي أ كنت أبتت
قط قال والله ما أبتت قط فقات أنت الآن قد جئت مع الآباق الكذب قال كيف
ذلك قال لان هذا الموضوع لا يجوز ان يكذب فيه البائع قال جماني الله تعالي فداءك

أنا والله أخبرك عن قصتي كنت أذنب ذنبا كما يذنب هذا وهذا جميع غلمان الناس
خلف بكل يمين ليضربني أربع مائة سوط فكنت تراني ان أميم قلت لا والله قال فهذا
الآن إياك قلت لا قال فاشترته فاذا هو أحسن الناس خبزا وأطبخهم قدرآ وخبرني
رجل قال قال رجل لغلام له ذات يوم يا فاجر قال جعاني الله فذاك مولى القوم منهم وزعم
روح بن الطائفة وكان روح عبدا لأخت أنس بن أبي شيبخ وكانت قد فوضت اليه
كل شيء من أمرها قال دخلت السوق أريد شراء غلام طباطخ فبينما أنا واقف اذ جي بغلام
يعرض بعشرة دنانير ويساوي على حسن وجهه وجودة قدمه وحادثة سنة دون صناعته
مائة دينار فلما رأيته لم أتمالك ان دنوت منه فقلت ويلك أفل تمنك على وجهك مائة دينار
والله ما يبيعك مولاك بعشرة دنانير الا وأنت شر الناس فقال أمالم فأنا شر الناس وأما
لغيرهم فأنا أساوي مائة ومائة قال فقلت التزين بجمال هذا وطيب طبخه يوما واحدا
عند أصحابي يساوي عشرة دنانير فباتته ومضيت به الى المنزل فرأيت من حذقه
وخدمته وتوقيه وقلة تزبده ما ان بعثته الى الصيرفي ليأني من قبله بعشرين دينارآ
فأخذها ومضى على وجهه فوالله ما شمعت الا والناشد قد جاء وهو يطلب جعله
فقلت لهذا وشبهه باعك القوم بعشرة دنانير قال لولا اني أعلم انك لا تصدق يميني
كيف طرت الدنانير من ثوبي ولكني أقول لك واحدة احتبستني واحترس مني واستمتع
بخدمتي واحتسب انك كنت اشتريتني بثلاثين دينارآ قال فاحتبسته لهواي فيه فقلت
لعله ان يكون صادقا ثم رأيت والله من صلاحه وانهاته وحسن خدمته ما دعاني الى
نسيان جميع قصته حتى دفعت اليه يوما ثلاثين دينارآ ليوصلها الى أهلي فلما صارت الى
يده ذهب على وجهه فلم ألبث الا أياما حتى رده الناشد فقلت له زعمت أن الدنانير الاولى
طرت منك فما قولك في هذه الثانية قال انا والله أعلم انك لا تقبل لي عذرا فدعني
خارج الدار ولا تجاوز بي خدمة المطبخ ولو كان الضرب بزذ عليك شيئا من مالك
لاشرت عليك به ولكن قد ذهب مالك والضرب ينقص من أجرك ولعل أيضا
أموت تحت الضرب فتندم وتأنم وتفترض ويطالبك السلطان ولكن اقتصر بي على
المطبخ فاني سأسرك فيه وأوفره عليك واستجيد ما اشتريه واستصلحك وعدانك

اشتريتني بستين ديناراً فقلت له أنت لا تفاج بعمد هذا اذهب فأنت حر لوجه الله
 تعالى فقال أنت عبد فكيف يجوز عتقك قلت فأيمك بما عز وهان فقال لا تبني
 حتى تعد طباًخاً فإني لا أعتقك الا بنخبز وبأفلاء قال فتركتته وصبرت بعد
 ذلك أياماً فبينما أنا جالس يوماً اذ مرت علي شاة ابون كريمة غزير الدر كنا فرقتنا بينهما
 وبين عناقها فأكثر في الثغاء فقلت كما يقول الناس وكما يقول الضجر اللهم امن
 هذه الشاة ليت ان الله بعث انساناً يذبحها أو سرقها حتى نستريح من صياحها قال فلم
 البت الا بقدر ما غاب عن عيني ثم عاد فاذا في يده سكين وساطور وعليه قميص
 العمل ثم أقبل علي فقال هذا اللحم ما نصنع به وأي شيء تأمر به فقلت وأي لحم قال
 لحم هذه الشاة قلت وأيما شاة قال التي أمرت بذبجها قلت وأي شاة أمرت بذبجها
 قال سبحان الله أليس قلت الساعة ليت ان الله تعالى قد بعث اليها من يذبجها أو
 يسرقها فلما أعطاك الله تعالى سؤالك صرت تجهل قال روح فبقيت والله لا أقدر على
 بيعه ولا حبسه ولا على عتقه قال مسكين الدارمي

وان أبانا بكر آدم فاءله وا * وحواء قوم ذو عنانين شارف
 كان علي خراطومه متهافتنا * من القطن حاجته الاكف النوادف
 وللصدأ المسود أطيب عندنا * من المسك دافته الاكف الدوائف
 ويصبح عرفان الدروع جلودنا * اذا جاء يوم مظلم اللون كاصف
 تعلق في مثل السوارى سيوفنا * وما بينها والكمب مناتائف
 وكل رديني كان كموبه * قطا سابق مستورد الماء صائف
 كان هلالا لاح فوق فناءه * جلاله قيم عنه والقتام الحراجف
 له مثل حلقوم النمامة حلة * ومثل القديمي سابقا متناصف

وقال أيضاً مسكين الدارمي

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً * فهنا كم وافق الشن الطبق
 انما الفحش ومن يمتاده * كغراب الين ما شاء ذمق
 أو حمار السوء ان أشبته * ربح الناس وان جاع نهمق

أو غلام السوء ان جوعته * سرق الجار وان يشبع فسق
وقال ابن قيس الرقيات

مقل القوم من فريش اذا ما * فاز بالجهل معشر آخر ونا
لا يأمون في المشيره بالسو * ولا يفسدون ما يصنعونا
وقال ابن نيس أيضاً واسمه عبد الله

لو كان حولى بنو أمية لم * ينطق رجال اذا هم نطقوا
ان جلسوا لم تضق بحالهم * أو ركبوا ضاق عنهم الافق
كم فيهم من فتى أخى ثقة * عن منكبىه القميص منخرق
تحسبهم عذر النساء اذا * ما احمر تحت القوانس الحدق
وأنكر الكلب أهله ورأى * الشر وطاح المروء الفرق

وقال النابغة

سهكين من صدى الحديد كأنهم * تحت السنور جنة البقار

وقال بشار بن برد

يطيب ربح الخيزرانة بينهم * على انها ربح الدماء تزوع

وسنقول في الشهب وفي استراق السمع وانما تركنا جمعه في مكان واحد لان ذلك
كان يطول على القارى ولو قد قرأ فضل الانسان على الجان والحجة على من أنكر
الجان لم يستثقله لانه حينئذ يقصد اليه على أنه مقصور على هذا الباب فاذا أدخلناه
في باب القول في صفار الوحش والسباع والهمج والحشرات فاذا ابتدأ القراءة على
ذلك استطل كل نصير اذا كان من غير هذا المعنى ، قالوا زعمتم ان الله تعالى قال ولقد
زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى وحفظناها من كل
شيطان رجيم وقال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين ونحن لم نجد قط كوكبا خلا مكانه
فما ينبغي أن يكون واحد من جميع هذا الخلق من سكان الصحاري والبحار ومن براعي
النجوم للاهنداء وأنكر في خلق السموات أن يرى كوكبا واحداً قائلاً مع قوله
وجعلناها رجوما للشياطين قيل لهم قد يحرك الانسان يده أو حاجبه أو أصبعه فتضاف

تلك الحركة الى كنهه فلا يشكون ان الكل هو العامل لتلك الحركة ومن فضل شعاع من كوكب فأحرق وأضاء في جميع البلاد وفي حكم كل انسان باضائة ذلك الاحراق الى ذلك الكوكب وهذا جواب سهل والحمد لله ولم يقل أحد أنه يجب في قوله وجملائها رجوما للشياطين انه يعنى الجميع فاذا كان قد صحح أنه انما عنى البعض في غيب نجوم المجرة والنجوم التي تظهر في ليالى الحنّادس لانه محال أن تقع عين على ذلك الكوكب بعينه في وقت زواله حتى يكون الله عز وجل لو أفنى ذلك الكوكب من بين جميع الكواكب الملتفة لعرف هذا المتأمل مكانه ولو وجد مس فقده ومن ظن بجهله أنه يستطيع الاحاطة بمد النجوم فانه متى تأملها في الحنّادس وتأمل المجرة وما حولها لم يضرب المثل في كثرة العدد الا أنها دون الرمل والتراب وقطر السحاب فيقال بعضهم يدنو الشهاب قريبا ونراه يحجى عرضا ولا منقضا ولو كان الكوكب هو الذي يتقض لم يرك الخيط الرقيق ولا أضاء جميع الدنيا ولا حرق كل شئ مما على وجه الارض قيل له قد تكون الجبال أقمية وتكون علوية فاذا كانت كذلك فصل الشهاب منها عرضا وكذلك قال الله تعالى الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب وقال الله عز وجل لعلى آيةكم بشهاب قيس فليس لكم ان تقضوا بأن المباشر لبدن الشيطان من الكوكب حتى لا يكون غير ذلك وأنتم تسمونه والله تعالى يقول فأتبعه شهاب ثاقب والشهاب معروف في اللغة واذا لم يوجب عليها ظاهر لفظ القرآن لم ينكر ان يكون الشهاب كالمخط أو كالمسهم لا يضيء الا بتمتداده ولا يقوى على اجراق هذا العالم وهذا قريب والحمد لله، وطمن بعضهم من جهة أخرى فقال زعمتم ان الله تبارك وتعالى قال وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملائة الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب راصب وقال على سبيل الكلام الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب قال فكيف تكون الخطفة من المكان الممنوع قيل له ليس بمنوع من الخطفة اذ كل لا محالة مؤمنا بالشهاب ومقتولا على أنه لو كان سلم بالخطفة لما كان استفاد شيئا للكاذب والرياسة وليس كل من كذب على الله وادعى النبوة كان على الله تعالى أن يظهر تكذيبه بأن يخسف به الارض أو ينطق بتكذيبه في

تلك الساعة واذا وجب في المعقول السليمة أن لا يصدق في الاخبار لم يكن معه برهان
فيكفي بذلك ولو كان ذلك لمكان جائزا ولكنه ليس بواجب وعلى ان ناسا من
النحويين لم يدخلوا قوله تعالى الا من خطف الخطفة في الاستثناء وقال انما هو كقوله
الاخراجة المكاف نفسه * وأبي فيبصة ان أغيب وتشهدا
وكقوله أيضا

الا كباشرة الذي كلفتم * كالمضوف في علوانه المنثب
وقال الشاعر في باب آخر مما يكون وعظمله من الفكر والاعتبار فن ذلك قوله
فلا تكن ريب المنون فاني * أرى قمر اليل المقدر كالفني
يكون صغيراً ثم يمظم دائباً * ويرجع حتى قبل قدمات واقضي
كذلك يزيد المرء ثم انتقاصه * وتكراره في إثاره بعد ما مضى
﴿ وقال آخر ﴾

وهستببت لا بالليل الى تباته * وما ان تلاقى به الشفتان
وآخر في خمس وتسع تمامه * ويجهد في سبع مما وثمان
الاول الطريق والثاني القعر وقال أبو العتاهية
* أسرع في نقض امرى تمامه *

وقال عبد هند

فان السنان يركب المرء حده * من العار او يمد على الاسد الورد
فان الذي ينهاكم عن طلابها * ينغي نساء الحمي في طرف البرد
نمال والايام تنقص عمرنا * كجائنة قص النيران من طرف الزند
وفي أمثال العرب كل ما قام شخص وكل ما ازداد نقص ولو كان يميت الناس الداء لا عاشهم
الدواء وقال حميد بن ثور

أرى بصري قد رابني بمد صحة * وحسبك داء ان تصح وتساما

وقال النمر بن توب

يحب الفتي طول السلامة والبقا * فكيف ترى طول السلامة بفعل

وقيل للمؤيد متي أبك يني أبك قال يوم ولد وقال الشاعر

تعرفت أطواراً أرى كل عبرة * وكان الصبي مني جديداً فأخلقا

وما زاد ثني نط الالتصه * وما اجتمعما الا لفان الا تفراقا

وقيل لاعرابي في مرضه الذي مات فيه أمي ثني تشكي قال تمام العدة وانقضاء المدة ،

وقيل لاعرابي في شكاته التي مات فيها كيف تجمدك قال أجدني أجد مالا أشتي

وأشتي مالا أجد وقيل لعمر بن العاصي في مرضته التي مات فيها كيف تجمدك قال

أحدتني أذوب ولا أثوب وقال معمر مات لرجل كان ممي في الحبس وكان مات

بالطن كيف تجمدك قال أجد روجي قد خرجت من نصفي الاسفل وأجد السماء

مطبقة على ولو شئت أن أسها بيدي لفمات ومهما شككت فيه فلا أشك أن الموت

برد ويبس وأن الحياة حرارة ورطوبة وقال يمتوب بن الربيع في مرثية جارية كانت له

حتى اذا فتر اللسان وأصبحت * للموت قد ذابت ذبول النرجس

رجع اليقين مطامعي بأسا كما * رجع اليقين مطامع المناس

وقال يعقوب بن الربيع

لئن كان فربك لي نافماً * لبعثك قد كان لي أنفعا

لاني أمنت رزايا الدهو * روان جل خطب فلن أجزعا

وقال أبو العتاهية

وكانت في حياتك لي عظام * فأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال التيمي

لقد عزي ريمة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

ومن عجب فصدن له المنايا * على عمدهن له بنود

وقال صالح بن عبد القدوس

ان يكن ما أصبت فيه جايلا * فذهب الزاء فيه أجل

ونظر بهض الحكماء الى جنازة الاسكندر فقال ان الاسكندر كان أمس أنطق منه

اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وقال حساني

أبيض مني الرأس بمدسواده * ودعى المشيب حليتي لبعاد
واستنفذ القرن الذي أنا منهم * وكفى بذلك علاوة لحصادي

وقال اعرابي

إذا الرجال ولدت أولادها * واضطربت من كبراعضادها
وجعلت اسقامها تمتادها * فهي زروع قد دنا حصادها
وقال ضرار بن عمرو من سره بنوه ساءته نفسه وقال عبد الرحمن بن أبي بكر من
أحب طول العمر فليوطن نفسه على المصائب وقال أخوذى الرمة
ولم يئسني أو في الملمات بعمده * ولكن نكأ القرح بالقرح أو جمع

وقال بعض المجان

نرفع دينانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبق ولا ما نرفع
وسئل بعض المجان كيف أنت في دينك قال أخرقه بالمعاصي وارقمه بالاستغفار وأنشدوا
لمروة بن أذينة

نراع إذا الجنائز قابلتنا * وبجزنا بكاء الباكيات
كروعة ثلة ليعمار سبع * فلما غاب عادت راتعات

وقال أبو العتاهية

إذا مارأيتم ميتين جزعتم * وإن لم تروا ملتم إلى صبواتها

وقالت الخنساء

ترتع ما غفلت حتى إذا ذكرت * فأنما هي إقبال وادبار

وكان الحسن لا يتمثل إلا بهذين البيتين وهما

يسر الفتى ما كان قدم من اتقى * إذا عرف الداء الذي هو قاتله

والبيت الآخر

ليس من مات فاستراح يميت * إنما الميت ميت الأحياء

وكان صالح المدني يتمثل في نخصه بقوله

فبات يروي أصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل في قصصه بقوله
 ياراقد الليل مسروراً بأوله * ان الحوادث تديطرن اسعجراً
 ونظر بكر بن عبد الله المزني الى مؤرق العجلى فقال
 عند الصباح بحمد القوم السري * وتجلى عنهم غيابات الكرى

وقال أبو النجم

كلنا يأمل مدا في الاجل * والمنيا هي آفات الامل
 فأما أبو النجم فانه ذهب في الموت مذهب زهير حيث يقول
 ان الفتى يصبح الاستقام * كالفرض المنصوب للسهم
 * أخطاه رام وأصاب رامي *

وقال زهير

رأيت المنيا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تحطى يعمر فيهرم

وقال الآخر

واذا صنعت صنينة أتممتها * بيدين ليس نداها بمكدر
 فاذا تباع كريمة أو تشتري * فسواك بأهها وأنت المشتري

وقال الشاعر

فصير يد السربال يمشي معرجاً * وشق قریش في قریش مر كنا

وقال الآخر

بمئت الى العراق ورافديه * فزاريا أخيد القميص
 تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

وقال الآخر

حبذا رجمها الى يديها * يدي درعها تحل الازارا

وأشد

جاوته المنيا وهو عنهن غافل * بمنخرق السربال عارى المناكب
 جري على الاهوال بدل ذروه * بأبيض سقاط وراء الضراب

وقال جرير

تركت لكم بالشام جبل جماعة * متين القوي مستحصد القتل باقيا
وجدت رقى الشيطان لا تستفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال الاسدي

كثير المناب والمكرمات * يجود مجداً وأصلاً أيلاً
تري يديه وراء الكمي * تباله بهد نصال نصولاً
تمنى السفاه ورأى الخنا * وضل وقد كان قد ماضلوا
فان أنت تنزع عن ودنا * فما ان وجدت لقلبي محيلاً

﴿ الجزء السادس من كتاب الحيوان ويليهِ الجزء السابع ﴾
« وأوله القول في احساس أجناس الحيوان »



الجزء السابع من كتاب

الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

البصرى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ جريه

وهذا الكتاب هو

البارع في الأدب والجامع في حكم العرب

عن تصحيح محمد بن عبد الرحمن النعمان الجاهلي

حقوق الطبع محفوظة للمترجم طبعه

البحاح محمد أفندي ساسني المغربي النوسني

سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م

مطبعة السعادة بجوار المحافظة بمصر

لصاحبها محمد اسماعيل

فهرس

﴿ الجزء السابع من كتاب الحيوان ﴾

صفحة

٦	ثم رجع بنا القول الى الحيوان
١٩	باب ما يستدل به في شأن الحيوان على حسن صنع الله واحكامه وتدابيره
٢٢	الكلام على القيل وما في خلقه وخالقه من المجائب
٧٥	باب الظائف
٧٦	القول في الزرافة

﴿ تم التدرست ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— القول في احساس أجناس الحيوان —

اللهم انا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ونسألك الهداية الى الصراط المستقيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم خاصة وعلى أنبيائه عامة ونعوذ بالله ان تدعونا المحبة لآتمام هذا الكتاب الى ان نصل الصدق بالكذب وندخل الباطل فى تضاعيف الحق وأن نتكبر بقول الزور ونلتمس تقوية ضعفه باللفظ الحسن وستر قبحه بالتأليف الموثق أو نستعين على إيضاح الحق الا بالحق وعلى إيضاح الحجة الا بالحجة ونستميل الى دراسته واقتنائه ونستدعى الى تفضيله والاشارة بذكره بالاشعار المولدة والاحاديث الموضوعة والاسانيد المدخولة وبما لا شاهد عليه الا دعوى قائله ولا مصدق له الا من لا يوثق بمعرفته ونعوذ بالله من فتنه القول وخطئه ومن الاسهاب وتفحم خطئه والاعتماد فيما بيننا وبين كثير من أهل هذا الزمان على من حسن الظن والانتكال فيهم على العذر فان كثيرا ممن يتكلف قراءة الكتب ومدارسة العلم يقفون من جميع هذا الكتاب على الكرامة الضعيفة واللفظة السخيفة وعلى موضع من التأليف قد عرض له شئ من استكراه وناله بعض الاضطراب أو كما يعرض فى الكتب من سقطات الوهم وقلبات الضجر ومن خطأ الناسخ وسوء تحفظ المراض على معنى لعله لو تدبره بعقل غير مفسد ونظر غير مدخول وتصفحه وهو محترس من عوارض الحسد ومن عارض التبرع ومن اخلاق من عسى أن يتسع فى القول بمقدار ضيق صدره ويرسل لسانه ارسال الجاهل بكنه ما يكون منه ولو جعل بدل شغله بقايل ما يري من المذموم تنقله بكثير ما يري من الحمود كان ذلك أشبه بالادب المرضى والخبيم الصالح وأشد مشاكلة للحكمة وأبعد

من سلطان الطيش وأقرب الى عادة الصاف وسيرة الاولين وأجدر أن يهب الله تعالى له السلامة في كتبه والدفاع عن حجته يوم مناظلته خصومه ومقارعة أعدائه وليس هذا الكتاب يرحمك الله في ايجاب الوعد والوعيد فيمترض عليه المرجى ولا في تفضيل على فينتصب له العثماني ولا هو في تصويب الحكيمين فيتسخطه الخارجي ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضه من يخالف التقديم ولا هو في تثبيت الاعراض فيخالفه صاحب الاجسام ولا هو في تفضيل البصرة على الكوفة ومكة على المدينة والشام على الجزيرة ولا في تفضيل العجم على العرب وعدنان على خيطان وعمرو علي واصل فيرد بذلك الهذلي على النظامي ولا هو في تفضيل مالك على أبي حنيفة ولا هو في تفضيل امريئ القيس على النابغة وعامر بن الطفيل على عمرو بن معدى كرب وعباد بن الحسين على عبيد الله بن الحر ولا في تفضيل ابن سريج على الغريص ولا في تفضيل سيديويه على الكسائي ولا في تفضيل الجعفرى على العقبلي ولا في تفضيل حلم الاحنف على حلم معاوية وتفضيل قتادة على الزهري فان لكل صنف من هذه الاصناف شيعة ولكل رجل من هؤلاء جنداً وعدداً من محاصمهم وسفائهم والمتسرعون منهم كثير وعداؤهم قليل وانصاف علماءهم أقل ولا تنكر هذا حفظك الله تعالى أنا رأيت رجلين بالبصرة على باب موسى بن عمران تنازعا في الغيب النبروزي والرازي فجرى بينهما اللعين حتى توابا فقطع الكوفي أصبع البصرى وفقاً البصرى عين الكوفي ثم لم ألبث الا يسيراً حتى رأيتهما متصافين متناديين لم يقعا قط على مقدار ما يفض من مقدار ما يرضى فكيف يقعان على مقدار طبقات الفضب والرضا والله المستعان، وقد ترك هذا الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة والتثبت عند الحكومة جانباً وأعرضوا عنه صفحاً فليس الا لا أو نم الا أن قولهم لا موصول منهم بالفضب وقولهم نعم موصول منهم بالرضا وقد عزل الحق جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن، قال عمرو بن الحارث كنا نبض من الرجال ذا الرياء والنفع ونمحن اليوم تمنها، قد كتبنا من كتاب الحيوان ستة أجزاء وهذا الكتاب السابع هو الذي ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا من جملة القول في شأنه

وجملة أسبابه والله تعالى الموفق وانما اعتمادنا في هذا الكتاب على أخبار ما في أجناس
 الحيوان من الحجج المتظاهرة وعلى الأدلة المترادفة وعلى التنبيه على ما خلقها الله تعالى
 من البرهانات التي لا يعرف حقائقها الا من الفكرة وغشاها من العلامات التي لا تنال
 منافعها الا بالمعبرة وكيف فرق فيها من الحكمة العجيبة والاحساس الدقيقة والصنعة
 اللطيفة وما ألهمها من المعرفة وكساها من الجبن والجرأة وبصرها بما يقيمها وبمبشها
 وأشمرها من الفطنة بما تحاذر بها عدوها ليكون ذلك سبباً للحدزر ويكون حذرنا
 سبباً للحراسة وحراستها سبباً للسلامة حتى تجاوزت في ذلك مقدار حراسة المحرب
 من الناس والخائف المطلوب من أهل الاستطاعة والروية كالذي ترون من تحارس
 الغرائق والكراكي وأشكال من ذلك كثيرة حتى صار الناس لا يضربون المثل الا
 بها ولا يذمون ولا يمدحون الا بما يجدون في أصناف الوحش من الطير وغير ذلك
 فقالوا أحذر من عمق وأحذر من غراب وأحذر من عصفور وأحذر من فرخ
 العقاب وأسمع من فراد وأسمع من فرس وأجن من صافرة وأسخي من لافظة
 وأصنع من تنوط وأصنع من سرنة وأصنع من دبر وأهدى من نطاة وأهدى من
 حمام وأهدى من جمل وأزهي من ذباب وأجرأ من الليث وأكسب من الذئب
 وأخدع من ضب وأروع من ثعلب وأعق من ضب وأبر من هرة وأسرع من سمع
 وأظلم من حية وأظلم من ورل وأكذب من فاختة وأصدق من نطاة وأموق من رخة
 وأحزم من فرخ العقاب ونهينا تعالى وعز عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة
 وامتحن ما عندنا بتقدمها علينا ببعض الامور وتقديمها علينا في أكثر الامور وأراد بذلك
 الا يخيلنا من حجة ومن النظر الى عبرة والى ما يعود عند الفطن موعظة ولما كرهنا
 من السهو والاغفال ومن البطالة والاهمال فجعلنا في كل احوالنا لا تفتح ابصارنا الا وهي
 واقفة على ضرب من الدلالة وعلى شكل من أشكال البرهانات وجعل ظاهر ما فيها
 من الآيات داعياً الى التفكير فيها وجعل ما استخزنها من أصناف الاعاجيب يعرف
 بالكشف عنها فمنها ظاهر يدعوك الى نفسه ويشير الى ما فيه ومنها باطن يزيدك
 بالامور نفة اذا أفضيت الى حقيقته لتعلم أنك مع فضيلة عقلك وتصرف استطاعتك

اذا ظهر عجزك عن عمل من هو أعجز منك ان الذي فضلك عليه بالاستطاعة والمنطق هو الذي فضله عليك بضروب أخر وانكما ميسران لما خلقتما له ومتصرفان لما سخرتما له وان الذي يعجز عن صنعة السرفة وعن تدبير المنكبوت في فلتهما ومهاتهما وضمفهما وصغر صورهما لا ينبغي أن يتكبر في الارض ولا يمشي الخيلاء ولا يتكلم في القول ولا يتألى ولا يستأمر وليعلم ان عقله منجى من ربه وان استطاعته عارية عنده وانه انما يستبقى النعمة بادامة الشكر ثم حجب اليها طلب الذرة والسفاد والذي يكون مجلبة للولد وحجب اليها اولادها ونجلها وذرءها ونسلها حتى قالوا أكرم الابل أشدها حينئذ وأكرم الصفايا أشدها حباً لا اولادها وجعل تألفها مع بعضها من الطروقة اذا لم يكن الزواج لها خلقاً وجعل إلف العرس لها عادة وهواها على المسافدة لتم النعمة وتم المنة وألهمها المبالغة في الترية وحسن التمهيد وشدة التفقد وسوى في ذلك بين الجنس الذي يلتم اولاده تلقياً وبين الذي يرضعها ارضاعاً وبين الذي يزقها زقاً وبين ما يحضن وما لا يحضن ومنها ما أخرجها من ارحام البيض وارحام البطون كاسية ومنها ما أخرجها كاسية كاسية وأتمها وأولدها وجعلها نعمة على عباده وامتحناً لشكرهم وزيادة في معرفتهم وجللاء لما يتراكم من الجهل على قلوبهم فليس لهذا الكتاب ضد من جميع من يشهد الشهادة ويصلى الى القبلة ويأكل الذبيحة ولا ضد من جميع الملعدين من يقر بالبهت وينتحل الشرائع وأن الحد في ذلك وزاد ونقص الا الدهرى فان الذي ينفي الرب ويحيل الأمر والنهي وينكر جواز الرسالة ويجعل الطينة قديمة ويحجد الثواب والعقاب ولا يعرف الحلال والحرام ولا يقر بان في جميع العالم برهاناً يدل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق ويجعل الفلك الذي لا يعرف نفسه من غيره ولا يفصل بين الحديث والقديم وبين الحسن والمسيء ولا يستطيع الزيادة في حركته ولا النقصان من دورانه ولا معاينة لاسيكون بالحركة ولا الوقوف طرفة عين ولا الانحراف عن الجهة هو الذي يكون به جميع الابرام والنقض ودقيق الامور وجليلها وهذه الحكم العجيبة والتدابير المتقنة والتأليف البديعة والتركيب الحكيم علي حساب معلوم ونسق معروف علي غاية من حقائق

الحكمة واحكام الصنعة ولا يذنبى لهذا الدهرى أيضاً أن يعرض لكتابتنا هذا وان دل على خلاف مذهبه ودعا الى خلاف اعتقاده لان الدهرى ليس يرى أن في الارض ديناً أو نحلة أو شريعة أو ملة ولا يرى للحلال حرمة ولا يعرفه ولا للحرام نهاية ولا يعرفه ولا يتوقع العقاب على الاساءة ولا يتوخي الثواب على الاحسان وانما الصواب عنده والحق في حكمه انه والبهيمة سيان وأنه والسبع سيان ليس القبيح عنده الا ماخالف هواه وأن مدار الأمر على الاخفاق والدرك وعلى اللذة والالم وانما الصواب فيما نال من المنفعة وان قتل الف انسان صالح لثلاثة درهم الردى، فهذا الدهرى لا يخاف ان ترك الطعن على جميع الكتب عقاباً ولا لائمة ولا عذاباً ولا منقطعاً ولا يرجوان ذمها ونصب اليها ثواباً في عاجل ولا آجل فالواجب أن يسلم هذا الكتاب على جميع البرية إذ كان موضعه على هذه الصفة ومجراه الى هذه الغاية والله تعالى الكافي الموفق بلطفه وتأيدته انه سميع قريب، ثم رجع بنا القول الى الاخبار عن الحيوان وبأى شيء تفاضلت وبأى شيء خصت وبماذا أنست وقد عرفنا ما أعطيت في الشم والاسترواح قال الراجز وذكر الذئب

يستخبر الريح اذا لم يسمع * بمنل مقراع الصفا المرفع

وقد عرفنا كيف شم السنانير والسباع والذئاب وأعجب من ذلك وجد ان الذرة لرائحة شيء لو وضعته على أنفك لما وجدت له رائحة كرجل جرادة يابسمة منبوذة كيف تجمد رائحتها من جوف جحرها حتى تخرج اليها فاذا تكلفت حملها فاعجزتها كيف تستدعى اليها سائر الذر وتستعين بكل ما كان منها في الجحر ونحو شم الفرس رائحة الحجر من مسيرة ميل والفرس يسير قداما والحجر خلفه بذلك المقدار من غير تلفت ولا معاينة من جهة من الجهات وهذا كثير وقد ذكرناه في غير هذا الموضع، فاما السمع فدعنا من هولهم أسمع من فرس وأسمع من فرخ العقاب وأسمع من كذا وأسمع من كذا وليكننا نقصد الى الصغير الحقيقير في اسمه وخطره والقليل في جسمه وفي قدره وتقول العرب اسمع من قراد ويسندلون بالقردان التي تكون حول المياه والبر فاذا كان ليلة ورود العرب وقد بعث القوم من

يصلح لإبناهم الارشية وأداة السقي وباتت الرجال تنتظر مجيئ الابل فانها تعرف
 قربها منهم في جوف الليل بانتفاش القردان وسرعة حركتها وخشخشتها ومسورها
 نحو الراعي وزجر الراعي ووقع الأخفاف على الارض من غير أن تحس أوائلك
 الرجال حسها أو يشمروا بشيء من أمرها فاذا استدلوا بذلك من القردان نهضوا
 وبرزوا وتهيؤوا للعمل، فأما درك البصر فقد قالوا أبصر من غراب وأبصر من فرس
 وأبصر من هدهد وأبصر من عقاب والسنانير والفار والجرذان والسباع تبصر بالليل
 كما تبصر بالنهار فأما الطم فيظنون انه لفرط الشره والشهوة ولفرط الاستمراء وافرط
 الحرص والنهم ان لنتها تكون على قدر شرهها وشهوتها ويكون على قدر ما يرى من
 حركتها وظاهر حرصها ونحن قد نرى الحمار اذا عاين الاتان والفرس اذا عاين الحجر
 والرمك والبغل والبغلة والتميس والمز فتنظن على قدر الشهوة والشهوة على قدر الحركة
 وان الصياح على قدر غلبة الارادة ونجد الرجال اذا اغترهم ذلك لا يكونون كذلك
 الا في الوقت الذي هم فيه أشد غلظة وأفرط شهوة، وان قال قائل ان الانسان يمشق
 النساء في كل حال من الفصلين والصميمين وانما هيح السباع والبهائم في فصل معلوم
 وهيح التيس والجلل والانسان المداوم أحسن حالا فلنا اذا لم يكن في ذكر المخابرة
 بين نصيب الانسان في ذلك مجموعاً ومفرقاً وبين نصيب كل جنس من هذه
 الاجناس مجموعاً ومفرقاً وانما ذكرنا نفس المخالطة فقط وما يدريكم أيضاً لعلها ان
 تستوي في هذه الايام اليسيرة أضمافا ما يأتي الانسان في تلك الايام الكبيرة وعلى أنا
 قد نرى مما يمتري الحمار والفرس والبغل وضروبا كثيرة اذا عاينوا الاناث في غير
 أيام الهيح وها هنا أصناف تديم ذلك كما يديمه الانسان مثل الحام والديكة وغير ذلك
 وقد علمنا ان السنانير وأشباه السنانير لها وقت هيح ولكن ذلك يكون مراراً في
 السنة على أشد من هيح الانسان فليس الامر على ما يظنون فان كان الانسان موضع
 ذهنه من قلبه أو دماغه يكون أدق وأرق وأنفذ وأبصر فان حواس هذه الاشكال
 أدق وأرق وأبصر وأنفذ وان كان الانسان يبلغ بالروية والتصفح والتحصيل والتمثيل
 مالا يبلغه شيء من السباع والبهائم فان لها أموراً تدركها وصنعة تحذقها تبلغ منها

بالطبائع سهواً وهو يابلاً يبلغ الانسان في ما هو بسبيله الا ان يكره نفسه على التفكير وعلى ادامة التنقيح والتكشيف والمقاييس فهو يستثقله ولكل شئ ضرب من الفضيلة وشكل الامور المحموده لينني تعالى وعز عن الانسان العجب وتبجح عنده البطر ويعرفه اقدار القسم وسند كر من فطن البهائم واحساس الوحش وضروب الطير امورا تعرفون بها كثرة ما اودعها الله تعالى من المعارف وسخرها في الصنعة ثم لانذ كر من ذلك في هذا الموضع الا من كل طائر منسوب الى الموق والى كل بهيمة معروفة بالغثاثة بعدة ما فيه اشكالها من المعرفة والفضيلة ولو اردنا الاجناس المعروفة بالمعارف الكثيرة والاحساس اللطيفة لذكرنا الفيل والبعير والذرة والنملة والذئب والشعاب والفرنوق والنحلة والمنكبوت والحمام والكلب، وسند كر على اسم الله تعالى بعض ما في البهائم والسباع والطير من المعرفة ثم نخص في هذا الكتاب المنسوبات الى الموق والمرورات بالغباوة والغفلة وقلة المعرفة كالرخة والزنبور والربع من اولاد الابل والنسر من عظام الطير، وقال المفضل الضبي قات لمحمد بن سهل راوية الكميث ما معنى قول الكميث في الرخة

وذات اسمين والالوان شتى * تحمق وهي كيسة الحويل

لهما خب تلوذ به وايست * بضائمة الجنين ولا مدول

قال المفضل كان معناه عندي حفظ فراخها او موضع بيضها وطاب طعمها واختيارها من المساكن ما لا يطوره سبع طائراً ولا ذوا ربيع قال فقالت له فأى كيس عند الرخة الا ما ذكرت ونحن لا نعرف طائراً الا أم اوما ولا أقدر طعمة ولا أظهر موقاً منها حتى صارت في ذلك مثلاً فقال محمد بن سهل وما حتمها وهي تحمض بيضها وتحمي فراخها وتحب ولدها ولا تمكن الا زوجها وتقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع فان الرماة وأصحاب الجبال والقناص انما يطلبون الطير بمد ان يعلموا أن القواطع قد قطعت فبقطع الرخة يستدلون فلا بد للرخة من ان تنجو سالمة اذا كانت أول طالع عليهم واما قولهم ولا تراب بالو كور بقول الوكر لا يكون الا في عرض الجبل وهي لا برضى الا بأعلى الهضاب ثم مواضع الصدوع وخلال الصخور وحيث يمتنع على جميع

الخلق المصير الى فراخها ولذلك قال الالكيمي

ولا تجع-لوني في رجائي ودكم * كراج على بيض الانوق احتيالها

والانوق هي الرخمة وقال ابن نوفل

وأنت كساقط بين الحشايا * بصير الى الخبيث من المصير

وهـ مثل نعامة تدعى بـميراً * تماظمها اذا ما قيل طـيرى

وان قيل احمل قالت فاني * من الطير المربة في الوكور

وأما قوله ولا تمير بالشكير فانها لا تمهض بالشكير حتى يصير الشكير فصبا وأما

قوله ولا تسقط على الجفـير فانما عنى جمبة السهام والرخم والنسور والعقبان تتبع

الجيوش لتوقع القتال وما يكون لها فيه من الجيف وتتبع أيضاً الجيوش والحجاج لما

يسقط من كسير الدواب وتتبعها أيضاً في الازمنة التي تكون فيها الانعام والحجور

حوامل لما تؤمل من الاجهاض والاختداج قال النابغة

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت * كتاب من غسان غير أشائب

بنو عمه دينا وعمـرو بن عامر * أولئك قوم بأسهم غير كاذب

جـوانح قد أيقن ان قبيله * اذا ما التقي الجمعان أول غالب

تراهن خائف القوم خزرا عيونها * جلوس الشيوخ في ثياب المراتب

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالي فقال

اذا ما غزا يوما رأيت عصابة * من الطير ينظرن الذي هو صانع

وقال آخر

يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الروس تيجان القبي الذليل

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل منجمل

فقال الالكيمي كما ترى * تحمق وهي كيسة الحويل * وقال بعض أصحابنا قيل لاعرابي

أتحسن ان تأكل الرأس قال نعم قيل وكيف تصنع به قال أعض عينيه واسعا خديه

وأعقص أذنيه وأفك لحبيه وأرمى بالدماغ الى من هو أحوج منى اليه قيل له انك

لاحق من ربيع قال وما حق الربيع والله انه ليجنب العـدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراوح بين الاطباء ويعلم ان حنينها رغاء فابن حمته وحدث ابن الاعرابي عن هشام بن سالم وكان هشام من رهط ذى الرمة قال اكلت حبة بيض مكاء فحمل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاهها تريده التي فيه حسكة فلم يزل ياتي فيه حسكة بعد حسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت وأنشد ابن الاعرابي عند هذا الحديث قول الشاعر

كان لكل عند كل سخيمة * يريد تخزيق الاديم استلالها
وأنشد أبو عمرو الشيباني بيت شعر وهو هذا المعنى بعينه وهو قول الاسدي الزبيري

ان كنت أبصرتني قماً ومصطالماً * فربما قتل المكاء ثعباناً
يقول قد يظهر القليل بالكثير والقليل الاعوان بالكثير الاعوان والمكاء من أصغر الطير وأضعفه وقد احتال للثعبان حتى قتله وقال جالينوس في الاخبار عن معارف البهائم والطير وفي التعجب من ذلك وتمجيب الناس منه قولوا لي من علم النسر الاثني اذا خافت على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرش ذلك الوكر بورق اللب حتى لا تقربه الخفافيش وهذا أعجب والاطباء والعلماء لا يتدافعونه والنسور هي المنسوبة الى نالة المعرفة والكيس والفطنة، وقال ابن الاعرابي وأبو الحسن المدائني قال رجل من الاعراب كان سنان بن أبي حارثة أحزم من فرخ العقاب وذلك ان جوارح الطير تتخذ أوكارها في عرض الجبال كان الجبل عموداً فلو تحرك الفرخ اذا طاب الطم وقد أقبل اليه أبواه أو أحدهما وزاد في حركته شيئاً من موضع مجتمه لهوى من رأس الجبل الى الخضيض وهو يعرف مع صفره وضعفه وفلة تجرته ان الصواب في ترك الحركة ولو وضع في أوكار الوحشيات فرخ من فراخ الاهليات لها فتن تهافتاً كفراخ القطا والحجل والقيبع والدراج والدجاج لان هذه تدر على البسط وذلك لها عادة وفراخ الوحشية لا تجاوز الاوكار لانها تعرف وتعلم ان الهلكة في المجاوزة وأولاد الملاحين الذين ولدوا في السفن الكبار والمنشآت العظام لا يخاف الآباء والأمهات عليهم اذا درجوا ومشوا ان يقع في الماء ولو أن أولاد سكان القصور والدور صاروا

مكان أولاد أرباب السفن تهافتوا وليكل شيء قدر وله موضع وزمان وجهة وعادة
فاذا استوى فصب ريش العقاب وأحس بالقوة طار وأبوا فرخ الخطاف بهامانه الطيران
تعلما ، وزعم ناس من أطباء النصارى وهم أعداء اليهود أنهم يختنون أولادهم في اليوم
الثامن وان ذلك نفع ويوافق ان يكون في الصميمين كما وافق الفصاين وأنهم لم يروا قط
يهوديا أصابه مكروه من قبل الختان وأنهم قد رأوا من أولاد المسلمين والنصارى
ممن لا يحصى من اتى من المكروه في ختانه ان كان ذلك في الصميمين من ربح الحرة
ومن قطع طرف الكمرة ومن أن تكون الموسيقى حديثة العهد بالاحداد وسقى الماء
فيستقط. ذلك الكمرة ويعتريها برص وبطن ان ابن ثمانية أيام أعسر من الغلام الذي
قد شب وشدن وقوى الا ان ذلك برص لا يتقشر ولا يمدو مكانه كنعحو البرص
الذي يكون من الكى واحراق النار فانهما بفحشان وان كانا لا يبتنان ، ويختن من
أولاد السفلة والفقراء فيؤمن عليهم خطأ الختان وذلك غير مأمون على أولاد الملوك
وأشباه الملوك بفرط الاجتهاد والاحتياط ومع ذلك بزيع ومع ثزيغ والرعدة يقع
الخطأ وعلى قدر الاحتياط اليه بنال الغاب من الاضطراب على حسب ذلك وايس من
التدبير أن يحضر الصبي والختان الاسفلة الخدم ولا يحضره من بهاب وهذا ختان
في العرب في النساء والرجال من لدن ابراهيم وهاجر الي يومنا هذا ثم لم يولد صبي
يختنون أو في صورة يختنون وناس يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم
ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية الصحيحة قال والبظر ، نجد من
اللذة ما لا يجده المختونة فان كانت مستأصبة مستوعبة كان على قدر ذلك وأصل ختان
النساء لم يحاول به الحسن دون لئناس نقصان الشهوة فيكون الغف عاين مقصورا قال
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم عطية شبيهه ولا تمكبه فانه أسر لوجهه وأحشى
عند البعل كأنه أراد النبي صلى الله عليه وسلم بنقص من شهوتها بقدر ما يرد لها الى
الاعتدال فان شهوتها اذا قلت ذهب التمتع ونقص حب لازوج وحب لزوج فيه
دون الفجور والمرأة لا تكون في حال من حالات الجماع أشد شهوة منها للكرم
الذي لفتت منه وقد كان رجل من كبار الاشراف عنده بقول للخاتمة لا تقرضى

الا ما يظهر فقط وزعم حباب بن حسان القاضي انه احصى في قرية النساء المختونات
 والمبظرات فوجد أكثر العفائف مستوعبات وأكثر الفواجر مبظرات وان نساء الروم
 والهند وفارس انما صار الزنا وطلب الرجال فيهم أعم لان شهوتهم للرجال أكثر ولذلك
 اتخذ الهند دوراً لازواني قالوا وليس لذلك علة الا افارة البظر والقلفة والهند توافق
 العرب في كل شيء الا في ختان النساء والرجال ودعاهم الى ذلك تعمقهم في توفير
 حفظ الباه قالوا ولذلك اتخذوا الادوية وكتبوا في صناعة الباه كتباً ودرسوها
 الاولاد قالوا ومن أكثر ما يدعو النساء الى السحق اذا الصقن ووضع محز الختان
 وجدن هناك لذة عجيبة وكما كان ذلك منها أوفر كان السحق الذقال ولذلك صار
 حذاق الرجال يضمون أطراف الكمر ويعتمدون بها على محز الختان لان هناك مجتمع
 الشهوة ومن هذا الباب الذي ذكرنا فيه صدق احساس الحيوان ثم اللاني يضاف
 منها الى الموق وينسب الى الغباوة قال دارد النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم في الزبور
 شوقى الى المسيح مثل الايل اذا أكل الحيات فاعتراه العطش الشديد فكيف تراه
 يدور حول الماء ويحجزه من الشرب علمه بأن ذلك عطشه لان السموم حينئذ تجرى
 مع الماء وتدخل مداخل لم يكن ليبلغها الطعام نفسه وليس علمي بهذا علماً عن تجربة
 متقدمة بل هكذا يوجد في أول ما يأكل الحيات وفي آخرها وربما اصطيد الايل
 فيجد القناص رؤس الافاعي وسائر الحيات ناشبة الاسنان في عنقه وجلد وجهه لانه
 يريد أكلها فربما بدرته الافعى والاسود وغيرهما من الحيات فتمضه وهو يأكلها وياً كل
 ما ينال منها باعض فتبقى الرؤس مع الاعناق معلقة عليه الى أن تنقطع وقال ابن
 الكلابي قال الشرقي بن القطامي ذات يوم رأيتم لو فكر رجل منكم عمره الاطول
 في ان يتعرف الشيء الذي اتخذ الزنايب بيوتها الخدفة بمثل المجلس المستوية في الاقدار
 المتعاجزة بالحيطان السخيفة في المنظر الخفيفة في الحمل المستديرة المضمرة بعضها ببعض
 المتقاربة الاجزاء وهي البيوت التي تعلم انها بنيت من جوهر واحد وكنها من ورق
 اطباق صفار الكاغد المزررة قولوا الى كيف جمعته ومن أى شيء أخذته وهو لا يشبه
 البناء ولا النسيج ولا الخياطة ولم يفسر ابن الكلابي والشرقي في ذلك شيئاً فلم يصرفي

أيدينا منها الا التعجب والتعجب فسأت بمد ذلك مشايخ الاكرة فزعموا أنها تلتقطه من زبد الممدود فلا يدري أمن نفس الزبد تأخذ أم من شئ يكون في الزبد والذي عرف الزنايبير مواضع تلك الاجزاء ودلها على ذلك الجوهر هو الذي علم العنكبوت ذلك النسيج وقد قال الشاعر

كان نفا هارون اذ يعلونونه * قفاعةنكبوت سل من دبرها غزل

وقد قال بلا علم واما دودة الغز فلا نشك أنها تخرجه من جوفها، وتزعم الاطباء أنهم استفادوا معرفة الحقنة من قبل الطائر الذي اذا أصابه الحصر أتى البحر فأخذ بمنقاره من الماء المالح ثم استدخله فمجه في جوفه وأمكنه ذلك بطول العنق والمنقار فاذا فعل ذلك ذرق فاستراح والقنفذ وابن عرس اذا ناهشا الافاعي والحيات الكبار تعالجا بأكل الصقر البري والعقاب اذا اشتكت كبدها من رفعها الارنب والتملب في الهواء وحطها لها سرازا فانها لاتأكل الا من الكباد حتى تبرأ من وجع كبدها واذا جمع بمض أهل العتب وبعض أهل النجربة بين العقرب وبين الفارة في إناء زجاج ليس عند الفارة حيلة أبلغ من قرص ابرة العقرب فلما أن تموت من ساعتها واما ان تتعجل السلامة منها ثم تقبلها كيف شاءت وتأكلها كيف أحببت قال ومن علم الذرة أنها تلتق الحبة وتأكل موضع القطمير لثلاث نبت فتنفسد واذا أخذت الحبة من حبة الكزبرة فلتقها انصافا فلم ترض حتى تلتقها ارباعا لان الكزبرة من بين جميع البزور تبت وان كانت انصافا وهذا علم غامض اذا عرفه الشيخ الفلاح الحرجب والفاسحكار الرئيس والاكار الحاذق فقد بلغوا النهاية في الرياسة وقال جالينوس ومن علم الدب الاثنى اذا وضعت ولدها ان ترفمه في الهواء أياما تهرب به من الذر وللمل لانها تضعه كجذوة من لحم غير متميز الجوارح فهي تخاف عليه الذر وذلك له حنف فلا تزال رافمة له وراصدة وتفقدته وتحوله من موضع الى موضع حتى يشهد وتفترج أعضاؤه وقال بشار الاعمى

اما الجياد فكل الناس يحفظها * وفي الميشة أشياء منا كبر
وكل قسم فلالعقبان أكثره * والحظ شئ عليه الدهر مقصور

وقال بشر أخو بشار وكانوا ثلاثة واحد حنفي وواحد سدوسي وبشار عقيلي وإنما نزل في بني عقيل لمكان أخيه وقد كان قيل لأخيه لو خيرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان أي شيء كنت تتمني أن تكون قال عقاب قيل ولم تمنيت ذلك قال لأنها بيت حيث لا ينالها سبع ذو أربع وتحميد عنها سباع الطير وهي لا تمناني الصيد إلا في الفرط ولكنها تسلب كل صيود صيدة وإذا رآها الجامع صاحب الصقر وصاحب الشاهين وصاحب البازي فهي لا تحمل على نفسها في الكسب وإن كانت فوق كل شيء وإن شاءت كانت بقرب كل شيء وتتعدى بالعراق وتتغشى باليمن وريشها الذي عليها هو فروها في الشتاء وخيشها في الصيف وهي أبصر خلق الله هذا قول صاحب المنطق في عقوق العقاب وجفائها بأولادها فأما أشعار العرب فهي تدل على خلاف ذلك قال دريد بن الصمة

وكل لجوج في العناق كأنها * إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر

لها ناهد في الوكر قد مهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عافر

والحيوان المحمق الرخمة والخباري قال عثمان بن عفان رضي الله عنه كل يجب ولده حتى الخباري وأبى الذئب وهي تسمى جهيرة والضبع والنعجة والبقر هذه من الموصوفات بالموق قال آخر ومن الحيوان من ليس عنده إلا الجمال والحسن وكذلك التدرج مع جماله وحسنه وعجيب وشبه والزرافة وهي أيضاً موصوفة بالموق وليس عندها إلا ظرافة الصورة وغرابة النتاج وهي من الخلق العجيب مواضع الأعضاء ويتنازعها أشباه كثيرة والفيل عجب ظريف ولكنه قبيح سمج وهو في ذلك بهي والمين لا تكرهه والخنزير قبيح سمج والمين تكرهه والقرد قبيح ملبح وعند البيهق والمكاء والعنديل وابن نمرة مع صغر أجرامها ولطافة شخصها وضئف أمرها من المعرفة والكيش والفظنة والخبث ما ليس عند الزرافة والطاووس ، والبيهق عجب الأمر ويقولون عند ليب وهو أصفر الطير فأما الاجناس المائية من أصناف السمك والاجناس التي تماثر السمك فإن جماعتها موصوفة بالجهل والموق وقله المعرفة وليس فيها خلق مذكور ولا خصلة من خصال الفطن إلا كنعو ما يروى من صيد الجري

للجردان وحمل تلك الدابة للفرقي حتى تؤديهم الى الساحل والسمكة شديدة البدن وكذلك الحية وكل شئ لا يستعين بيد ولا رجل ولا جناح وانما يستعمل اجزاء بدنه مما فانه يكون شديد البدن ، وخبرني بعض الصيادين ان الشبوط تنهى الى التحيز الى الشبكة فلا نستطيع النفوذ منها فتعلم انها لا ينجبها الا الوثوب فتتأخر قدر قاب رش ثم تتأخر جامعة بمجراميزها حتى تثب فربما كان ارتفاع وثبتها في الهواء أكثر من عشرة أذرع وانما اعتمدت على ما وصفنا وهذا العمل أكثر مارووه من معرفتها وليس لها في المعرفة نصيب مذكور وأنواع من السمك يفوص في الطين وذلك أنها تسحر وتتففس في جوفه وتلزم أصول النبات اذا لم يرتفع وتلتمس الطم والسفاد ونحن لم نرأط في بطن دجلة والفرات وجميع الاودية والانهار عند نضوب الماء وانكشف الارض وظهور الطين وعند الجزر والنقصان في الماء في مواخر الصيف وما نأمن مجاورة الابله جحرأ قط فضلا عما يقولون أن لها في بطون الانهار بيوتا ورأيت عجباً آخر وهو أني في طول مادخلت البراري ودخلت البلدان في صحاري جزيرة العرب والروم والشام والجزيرة وغير ذلك وما أعلم اني رأيت على لقم طريق أو جادة أو سرك مصافت ذلك وأنا جارت الطرق وأمعت في البراري وضربت الي المواضع الوحشية وما أكثر ما أرى الجحرة ولكني لم أر شيئاً يسم الثعلب وابن آوى فضلاً عن هذه الوحوش الكبار مما هو مذكور بالنواج والوجار وبالكناس والعربن وجحر الضب يسمى عريناً وهو غير العرين الذي يضاف الى الشجر واما حفظ الحياة والبصر بالكسب والاحتراس من العدو والاستعداد بالحيل فكما أعد الضب واليربوع والفهد اذا سمن عرف أنه مطلوب وان حر كنه قد ثقلت فهو يخفي نفسه بجهده حتى ينتقضى ذلك الزمان الذي تسمن فيه الفهود ويعلم ان رائحة بدنه شبيهة الى الاسد فهي لا تكاد تكون على حلاوة الريح والايل ينصل قرنه في كل عام فيصير كالاجم فاذا كان ذلك الزمان استخفي وهرب وكن فاذا شب قرنه عرضه للريح والشمس في الموضع الممتنع ولا يظهر حتى يصاب قرنه ويصير سلاحاً يمتنع به وقرنه مصمت وليس في جوفه تجويف ولا هو مصمت الاعلى أجوف الاسفل والبعير يدخل

الزوضة والغبيضة فيعرف ما ينفعه من النبات وما هو سم عليه خاصة وما يخرج من
 الحالتين جميعاً ومن الغذاء ما يريد في حال أخري كالحمض والحللة ومنه ما يقتديه غير
 جنسه فهو لا يقربه وان كان ليس بقاتل ولا معطب فمن تلك الاجناس ما تعرفه بروية
 العين دون الشم ومنها ما لا تعرفه حتى تشمه وقد تغلط في البيش فأنأ كاه كصنع
 الحافر في الدفلى والنافقة تعرف قولهم حل والجمال يعرف قولهم حاه قال الراجز وهو
 يحمق رجلاه حاه

يقول للنافقة قولاً للجمال * يقول حاه ثم يشنيه بحل

ومما فضلت به السباع على بنى آدم ان الله جعل في طباع إناث السباع والبهايم
 من الوحشية والاهلية في رفع اللبن وارساله عند حضور الولد والمرأة لا تقدر ان ندر
 حلى ولدها وترفع ولدها في صدرها اذا كان ذلك القرب منها الغير ولدها والذي أعطى
 الله البهايم من ذلك مثل ما تعرف به المعنى وتوهمه اعلم ان الله تعالى قد قدر الانسان على
 أن يحبس يوله وغائظه الى مقدار وان يخرجها ما لم تكن هناك عالة من حصر وامر
 وانما يخرج منه يوله ورجيه بالارادة والتوجه والتميز ولذلك وقد جعل الله حبسه واخرجه
 وتأخيره وتقديمه على ما فسرنا فىلى هذا الطريق انث السباع والبهايم في رفع اللبن
 وارساله وقد قال الله جل ثناؤه وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا ام
 أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون فالكامة فى الحشر مطلة
 ومرسلة غير مستتني منها فأوجب فى العموم الخير على الشمر والطير أكثر الخلق
 والحديث ان أكثر الخلق الجراد، ومن العقارب طيارة قاتلة وزعم صاحب المنطق
 أن بالحبشة حيات لها أجنحة وأشياء كثيرة تطير بعد ان لم تكن طيارة مثل الدعايص
 والنمل والارضة والجملان والجراد تنتقل فى حالات قبل نبات الاجنحة قالوا وحين
 عظم الله شان جعفر بن أبى طالب خاق له جناحان يطير بهما فى الجنة كانه تعالى
 الحقه بشبه الملائكة فى بعض الوجوه وذكر الله الملائكة فقال أولى أجنحة شئى
 وثلاث ورباع ولا يقال للملائكة طير ولا يقال انها من الطير رفعا لافدارها ولا يقال
 للنمل والدعايص والجملان والارضة اذا طارت من الطير كذلك لا يقال للجرجس

والبعوض وأجناس الهمج انهما من الطير وضما لاقدارها عن اقدار ما يسمى طيرا
فاللائكة تطير ولا يسمونها طيرا لرفع اقدارها عن الطير ولا تسمى طيرا لموضع
اقدارها عن الطير وفي الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد قول أمية بن أبي الصلت
رجل وثور تحت رجل بينه * والنسر للآخرى وليث موصله

فقال صدق وقوله نسر يعني في صورة نسر لان الملك لا يقال له نسر ولا صقر ولا
عقاب ولا باز، وذكروا ان غراب نوح وحمامة نوح وهدهد سليمان والنحل والدراج
وما جاء في الاثر في الديك الذي يكون في السماء وقال الناس غراب نوح وهدهد
سليمان وحمامة نوح ورووا في الخطاف والسرور ولا نعرف شيئا من الحيوان أشرف
اسما من الخليل والطير لانهم يقولون فرس جواد وفرس كريم وفرس عتيق وفرس
رائع وقالوا في الطير لذوات المخالب المعقفة والمناسر المحدبة أحرار ومصرحات وعتاق
وكواسب وجوارح وقال لبيد بن ربيعة

فانتضلنا وابن سلمى قاعد * كعتيق الطير يفضي ويجل

وقال الشاعر

حر صنعهنا لتحسن كفه * عمل الرقيقة واستلاب الأخرق
ولولا انا قد ذكرنا شأن الهدهد والغراب والنمل وما ذكرها به القرآن والخصال
التي فيها من المعارف حق القول والعمل لذكرناه في هذا الموضع وقال أمية بن
أبي الصلت

فاسمع لسان الله كيف شكوله * عجب وبذئك الذي تستشده

والوحش والانعام كيف لغاتها * والعلم يقسم بينهم ويبده

وقال الله عز وجل نخبرا عن سليمان يا أيها الناس علمنا منطق الطير وقال الشاعر
ياليلة لي بحوارين ساهرة * حتى تكلم في الصبح المصافير

وقال الشاعر

وغنت الطير بمدعجتها * واستوفت الخربعد ما تكلا

وقال الكمي

المداس منها فانها تلد ولا تبيض ولا ترضع ولا تلتمم والخفاش تلد ولا تبيض وترضع
 وهذا مختلف والدجاج والحجل والقطا وأشباه ذلك من الدراريح وغيرها أفاجيئها
 في الارض والحمام منها طورى جبلى ومنها ألوف أهلى فالجبلى تبيض في أوكار لها في
 عرض مقاطع الجبال والاهلى منها يبيض في البيوت والمصافير في بيوتها في أصول
 أجذاع السقف والخطاطيف تخذ بيوتها في باطن البيوت في أوساطه وأمنعه والرخم
 لا تبيض من الجبال الا في الوحشى منها ومن أبعدها والا في اسحقها وأبعدها عن
 مواضع أعدائها ثم من الهضبات الا في صدوع صخورها ولذلك يضرب بامتناع
 بيضها المثل وأما الرق والضفدع والساحفة والنساح وهذه الدواب المائة فانها تبيض
 في الأرض وتحضن وأما السراطين فان لها بيوتها في عرض شطوط الانهار والسواقي
 تمتلىء مرة ماء وتخلو مرة ومن الحيوان ما لا يجتم كالضبة فانها لا تجتم على بيضها
 ولكنها تغطيه بالتراب وتنتظر أيام انصدعها فاذا كان موضع الفراخ والبيض من
 القطا وأشباه القطا فهو أخوصه واذا كان من الطير الذي يهيء ذلك المجتم من
 الميدان والريش والحشيش فهو عش واذا كان من الظلم فهو ادحى يذكر ذلك أبو
 عبيدة والاصمى وكلها وكور ووكون ووكنات ووكرات فالتى تبيض الكثير من
 البيض لا يجوزه شئ في الكثرة السمك ثم الجراد ثم العقارب ثم الضبة لان السمك
 لا تزق ولا تلتمم ولا تلعم ولا تحضن ولا ترضع تخين كانت كذلك كثير الله آمالى
 ذرءها وعدد نسلها فكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذى يزوج أصناف الحمام
 ومثل المصافير والنعام فانها لا تزوج فاما الحمام فلما جملة الله يزق ويحضن ويحتاج الى
 ما يفتدو به ولده ويحتاج الى الزق وهو ضرب من التىء وفيه عليها وهن شديد ولذلك
 لا يرحل اذا كان زاقا فلما كان كذلك لم يحمل عليها أكثر من فرخين وبيضتين ولما
 كانت الدجاجة تحضن ولا تزق وهى تأكل الحب وكل مادب ودرج زاد الله
 في بيضها وعدد فراريحها ولم يحمل ذلك في عدد أولاد السمك والعقارب والضباب
 التى لا تحضن البتة ولا تزق ولا تلتمم ولما جعل الله أولاد الضب لها معاشا زاد في عدد
 بيضها وفراخها وصار ما يسلم كثيرا غير متجاوز للقدر وكذلك الظلم لما كان لا يزق

ولا يحضن اتسع عليه مطاب الرزق من الحبوب وأصول الشجر وجعلها بيض ثلاثين بيضة وأكثر بيضها كبار وليس في طاقتها ان تشتمل وتجنم على القليل منها وكذلك الحية تضع ثلاثين بيضة ولها ثلاثون ضاماً وبيضها واضلاعها عدد أيام الشهر ولذلك قويت اصلاها لكثرة عدد الاضلاع وحمل عليها في الحضن بعد الحضن اذ كانت لا ترضع والطائر الذي يلتم فرخه يكون أقوى من الطائر الزاق وكذلك من البهائم المرصعة ولما كانت المصافير تصيد الجراد والنمل والارضة اذا طارت وتأكل الحب واللحم وكانت مع هذا تلتم لم تكثر من البيض كتكثير الدجاج ولم تقل كتقليل الحمام والمصافير فيها زواج وكذلك النعام وليس في شيء من ذوات الاربع زواج وانما الزوج للتي تمشي على رجلين كالانسان والطير والنعام وليس في الطير بالعام وهو في الحمام من هذه المغنيات والنوائح عام وسبيل الحجل والفتخ سبيل الديكة والدجاج والدجاجة ثم كل ديك والديك يثب على كل دجاجة وربما غير الذكور حياته كلها لا يقمط غير انشاه وكذلك الانثى لا تدعو الا زوجها وربما أمكنت وفي الحمام في هذا الباب من الاختلاف ما في النساء والرجال واما السفنتين فانه لا يقمط غير انشاه وان هلك الانثى لم يزواج أبداً وكذلك الانثى للذكر فأما العلة في وضع القطا بيضها اترادا وخروج البيضة من جهة أوسع الرأسين واستدارة بيض الرق واستطالة بيض الحيات وما يكون منها ارقط وأخضر واصفر وأبيض واسود فاني لم أرض لهم بذلك جواباً فأحكى لك قالوا انما يعظم البيض على قدر جثة البياضة وبيض الابكار أصغر فأما كثرة العدد فقالوا إنه كلما كان أكثر سفاداً كان أكثر عدداً وليس الامر كذلك لان العصفور أكثر سفاداً من أجناس كثيرة هي أقل بيضاً منها والجراد والسماك لا حضن ولا زق ولا رضاع ولا لقم عليهن خبز من الفراخ كثيرة العدد وكانت الامهات والآباء عاجزة عنها لم يجعلها محتاجة الى الامهات والآباء فنفهم هذا التدبير اللطيف والحكمة البالغة قالوا والاقل في ذلك البازي والاكثر في الذر والسماك قال الشاعر

بنات الطير أكثرها فراخاً * وأم الصقر مقالة زور

وقال صاحب المنطق نسل الاسد يقل لانه يجرح الرحم فيعقم قالوا والفيلة تضع في سبع سنين وأقل الخاق عددا وذراء الكركدن لان الانثى تكون نزورا وأيام حملها كثيرة وهي من الحيوان الذي لا يلد الا واحداً وكذلك عظام الحيوان وهي مع ذلك تأكل أولادها ولا يكاد يسلم منها الا القليل لان الولد يخرج سويا نابت الاسنان والقرن شديد الحافر

ما جاء في الفيلة من عجيب التركيب وغريب التأليف في المعارف الصحيحة والاحساس اللطيفة وفي قبولها الثقيف والتأديب وسرعتها الى التائقين والتقويم وما جاء في أبدانها من الاعضاء الكريمة والاجزاء الشريفة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة ونسأله التأييد والعصمة ونعوذ به من كل سبب جانب الطاعة ودعا الى المعصية أنه قريب محيب فعال لما يريد، قد قلنا في أول هذا الجزء من القول في الحيوان في احساس أجناسها المجمولة منها وفي صفاتها المطبوعة عليها وفي أعاجيب مراكبت عليه من الدفع عن نفسها والتقدم فيما يحببها وفي تحصينها عواقب أمورها وكلما خوفت من حوادث المكروه عليها بقدر ما ينوبها من الآفات ويمترها من الحادثات وأنها تدرك ذلك بالطبع من غير روية وبخس النفس من غير فكرة ليعتبر معتبر ويفكر مفكر ولينفي عن نفسه العجب ويعرف مقداره من العجز ونهاية قوته ومبلغ نفاذ بصره وأنه مخلوق مدبر ومصرف وميسر وان الاعجم من أجناس الحيوان والاخرس من تلك الاشكال يبلغ في تدبير معيشته ومصلحة شأنه وفي كل ما هو بسبيله ما لا يبلغه ذوار الربية التامة والمنطق البليغ وان منها ما يكون ألطف مدخلا وارق مسلكا واصنع كفا وأجود حنجرة وأطبع على الاصوات الموزونة وأقوم في حفظ ما يعيظه طريقة الا ان ذلك منها مفترق غير مجموع ومنقطع غير منظوم والانسان ذو العقل والاستطاعة والتصرف والروية اذا علم علما غامضا وأدرك

في خفياء لم يكده يمتنع عليه مادونه اذا قاس بعض امره على بعض وأجناس الحيوان
 يعلم بمضه علما ويصنع بكفه صنعة يفوق بها الناس ولا يهتدى الى ما هو دون الذي
 يدركه عليه وأنا اذا كر ان شاء الله ماجاء في الفيلة من عجيب التركيب وغريب التأليف
 المعارف الصحيحة والاحساس اللطيفة وفي قبولها التقيف والتأديب وسرعتها
 في التلقين والتفويج وما جاء في أبدانها من الاعضاء الكريمة والاجزاء الشريفة وكم
 تقدر منافعها ومبالغ مضارها وبكم فضلت أجناس الحيوان وفاتت تلك الاجناس
 ما جعل الله تعالى فيها من الآيات والبرهانات والعلامات النيرات التي جلاها لعيون
 خلقه وعرف بينها وبين عقول عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم من الادلّة ويزيدهم
 بوضوح الحجّة ويسخرهم لتمام النعمة وما ذكرها الله بها في الحديث الناطق والخبر
 صادق وفي الآثار المعروفة والامثال المضروبة والتجارب الصحيحة وما قالت فيها الشعراء
 نظقت به الخطباء وميزته العلماء وعجبت منها الحكماء وحالها عند الملوك وموضع نفعها
 عند الحروب ومهابتها في العيون وجلالتها في الصدور وفي طول أعمارها وقوة أبدانها
 في اعتزامها وتصميمها واخفارها وشدة اكثرائها وطلبها بطوائفها وارتداعها عن ملك
 سقاط والحشوة وعن افتناء الاندال والسفلة وعن ارتخاضها في الثمن وارتباطها على الخسف
 ابتدائها واذا التها وعن امتناع طبائنها وتمنع غواثرها ان تصلح أبدانها وثبت أنيابها
 تعظم جوارحها وتتسافد وتتلاقح الا في معادنها وبلادها وفي منابتها ومغارس أعرافها
 مع التماس الملوك ذلك منها حتى أعجزت الحيل وخرجت عن الطبع وعن الاخبار عن
 قلمها ووضعها ومواضع أعضائها والذي خالفت فيه الاشكال الأربعة التي تحيط بالجميع
 ما ينساح أو يعوم أو يمشي أو يطير وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه وما يسبق على الطبائع
 لأول من صورته أو عما يتنازع من شبه الحيوان أو ما يخالف فيه جميع الحيوان وعن
 لقول في شدة قلبه وأسرته وفي جرأته على ما هو أعظم بدنا وأشد كلبا واحدا ظفارا واذرب
 نيايا ونقرته مما هو أصغر منه جرما وأكل حادا وأضوف اسرا وأخمل ذكرآ وعن الاخبار
 من خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه
 وعظمه وبوله ونجوه وعن لسانه وفيه وعن أذنه وعينه وعن خرطومه وغرموله وعن

مقاتله وموضع سلاحه وعن أدوائه ودوائه وعن القول في أنيابه وسائر أسنانه وسائر
عظامه وفرق ما بين عظامه وغظام غيره وعن مواضع عجزه وقوته والقول في البانها
وضروعها وعدد أخلافها وأما كن ذلك منها وعن سياحتها ومشيتها وحضرها وسرعها
وخفة وطئها واين ظهورها والذاذ را كبتها وعن ثبات خفها في الوحل والرمل وفي الحدر
والصمءاء وعن أمن را كبتها من العثار وكيف احتيالها عند احتياجها واغتلامها وعن
سكونها وانقضاء هيجانها عند حملها وعن طربها وطاعتها لسواستها وفهمها لما يراد منها
وكيف حدة نظرها والفهم الذي يرى في ظرفها مع الوقار والنبيل والاطراق والسكون
ولو اجتمعت الملوك عربها وعجمها وأحمرها واسودها على اقتنائها والتزين بها والفخر
بكثره ماتياً لهم منها حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا وأشرف الاطراف حتى صار
اتخاذها مروة وعتاداً وعدة ودليلاً على أن يقتنيها صاحب حرب وفي تفضيل الفيل على
خصال البعير وفي أي مكان يكون أنفع للحرب من الفرس وأصبر عند القتال من النمر
واقتل الاسد من الجاموس واكلب من الببر اذا تعرض واشد من الكركدن اذا اغتلم
حتى لا يلفه مقدار ما يكون من تماسيح النيل وعقبان الهبواء واسد الفياض وقد
جمع هارون مولى الازد الذي كان يزد على الحكيمت ويفخر بتقطنان وكان شاعراً
مولداً ولا عرف من شأنه وصناعته وقد قال في صفات الفيل أشعاراً كثيرة ذكرتها
في ما قدمنا ذكره فن ذلك قوله

أليس عجيباً بأن خلقته * له فطن الانس في جرم فيل

وأشهد هذا البيت صفوان بن صفوان الانصاري وكان من رواة داود بن يزيد

أليس عجيباً بأن خلقته * له فطن الانس في جرم فيل

واكرم من شدة ذوات * بحلم يحل عن الخشنيدل

رواخص مختلف خلقه * طويل النيوب قصير النعيل

ويلقى المدو بناب عظيم * وجوف رحيب وصوت ضئيل

وأشبهه شيء اذا تسه * بخنزير بروجاموس غيل

تسارعه كل ذي أربع * فما في الانام له من عدل

ويخضع لايث العرب * بان ناسب الهرمن رأس ميل
ويمصف بالببر بمد النور * كما تمصف الريح بالعندبيل
وشخص ترى يده أنفه * فان وصفوه بسيف ثقيل
وأقبل كالطودهادي الخسيس * بهول شديد امام الرعيل
ومر بسيل كسيل الاتي * بخطو خفيف وجرم ثقيل
فان سمته ذلك في هوله * شناعة اذنين في رأس غول
وقد كنت اعددت هراه * ثقيل التثبت للزندبيل
فلما أحس به في العجاج * أنا الاله بفتح جميل
* فطار وراغم فياله * بقلب نجيب وجسم نبيل
فسبحان خالقه وحده * اله الانام ورب الفيول

وذكر صفوان بن صفوان ان هارون هذا جاء معه هر تحت حضنه ومشي بسيفه الى
الفيل وفي خرطومه السيف والفيالون يذمرونه فلما ذنى منه رمى بالرفى وجهه
فادبر هاربا وتساقط كل من كان فوقه وكبر المسامون وكان ذلك سبب الهزيمة وذكر
الهر في هذا الشعر كما كتبت له لك وأما قوله

* بحلم يجبل عن الخشنيل *

فقد قال الانصاري في صفة النحل

تمص العشايا ذناباتها * وفي مدر الارض عنم افضول

ويشبعها المص مص الثرى * اذا جاءت الشاة والخشنيل

وهذا غير قوله قد علمت جارية عطبول * انى بنصل السيف خشنيل

وأما العندبيل فهو طائر صغير جدا ولذلك قال الشاعر

وما كان يوم الريح أول طائر * بروع كروع العندبيل الى الوكر

لان الريح تمصف به من صغره فهو يعرف ذلك من نفسه فاذا قويت الريح دخل

بحجرة ويقولون عند ايب وعندبيل وكل صواب ولذلك قال هارون

ويمصف بالببر بمد النور * كما تمصف الريح بالعندبيل

وسنخبر عن تقرير مافي هذه الفصيذة مفرقا اذ لم تقدر عليه مجموعا متصلا ولوا ممكن
ذلك لكان احسن للكتاب وأوضح وأفهم لمعناه

﴿ باب ما يدخل في ذكر الفيل وفيه اخلاط ﴾

قال رؤبة في صفة الفيل

أجرد كالحصن طويل النابين * مشرف اللحي صغير العينين
* عليه أذنان كفضل الثوبين *

وأنشد ابن الاعرابي

هو البعوضة اذ كلفته كرما * والفيل في كل أمر أصله لوم

وقال اعرابي ووصف امرأة له

* لو أكلت فيلين لم تخش البشم *

وقال الاعرابي يصف الاكرياء

لو تركب البختي ميلا انحطم * أو تركب الفيل نهي الفيل ورم

وحمل ناس أبا الحلال الهداهدي الفيل أيام الحجاج فتمنع وانشأ يقول

أتركب شيطانا ومسخا وهضبة * واسلم اني قبل ذلك فعلال

فقالوا له لو علوته ما كان عندك الا كالبغل فلما علاه صاح الارض فلما خافوا ان

يرمي بنفسه وهو شيخ كبير أنزلوه فقال بهد ذلك في كلمة له

وما كان تحتي يوم ذلك بـفلة * ولاكن تحتي من رفيع السحاب

وقال بعض الملاحين في بعض النساء

أرادت صرة بيتا * لها فيه تماثيل

فلما أبصرت سترا * لوجهيه تهاويل

وفيه الفيل منقوشا * وفي مشفره طول

قالت انزعوا الستر * لا يا كني الفيل

وقال خلف بن خليفة الاقطع حين ذكر الاشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة

وقامت قريش قريش البطا * ح هي القضب الاول الداخلة

يقودهم الفيل والزنبيل * وذو الصرس والشفة المائة

الفيل والزنبيل أبان والحكم بنا بشر بن عبد الملك بن مروان وذو الصرس خالد بن سلمة الخزومي الخطيب وهو ذو الشفة قتل مع يزيد بن عمرو بن هبيرة فيمن قتل وقد فصل خاف بن خليفة الفيل من الزنبيل ولم يقصر وقد اختلفوا في ذلك وسند كره شبهه ان شاء الله تعالى، وذكر بعض الفيالين ان الفيلة تضع بسبع سنين ولدا مستوي الاسنان وانهم يرصدون ذلك الوقت من الوحشية بها ويحتالون في أخذ الولد وان ذلك الولد يعيش فيهم في أيديهم ما بين الثمانين سنة الى المائة وان عمر الوحشية أطول وان كل شيء منها اليوم بالمسكر إناث وان الموت بالعراق الى الذكورة أسرع وان نابه لا يطول عندنا وانهم يعملون من جلودها الترساة أجود من جلود الجواميس ومن الحيوان من الدرق والجحف التي تتخذ من جلود الابل ومن هذه المعقبة ومن جميع ما يؤلف من أنواع الخشب والجلود التي قد أطيل انقاعها في اللبن ومن كل شيء رصين وذكر ان لها مسروجا وان المروج أصاح لها من القرمي ومواقعها من الوحش أصاح لها من المروج وذكر رسول لى الى سائسها انه قد تبعها الى دجلة وان بعض الفوغاء صاحبها يا حجام بابك وهذا الكلام اليوم ظاهر على السنة الجهال وان فيلا منها ركاه برجله ركلة صك بها الحائط حتى خيف عليه منها وانه رأى منها الانكار لذلك القول وان الفيال كان يحتملها على الانتقام لما صاحبها واذا عرف الكلب اسمه وكذلك السنور وكذلك الشاة والفرس والطفل والجنون المصمت الجنون وعرفت الناقة ما بين حمل وحاه وعرف الحمار الصوت الذي يلتمس به وفوفه والذي يلتمس به سيره وعرف الكلب مخاطبة الكلاب والبيغاء مناغاة المتكلم له بخزان يكون الفيل بفضل فطنته يفهم اضعاف ذلك فاذا أمره بضرب انسان عند ضرب من الكلام استعاد وأدامه لم ينكر ان يعرفه على طول الترداد، قالوا واذا حملت المرأة شيئاً من نجو الفيل بعد ان تخلط به شيئاً من عسل فانها لا تحمل أبداً قالوا وما يؤكده ذلك انك لو علق على شجرة من نجوه شيئاً ان تلك الشجرة لا تحمل في تلك السنة قالوا وزواني الهند يرفعان ذلك استبقاء للطراق ولانها اذا كانت موفوفة على جميع

الاجناس من الرجال كانت أسرع في الجبل لانها لا تعدم موافقا لطبعها واذا حملت ووضعت مراراً بطلت وليس هذا بمجيب لانهم يزعمون ان صاحب الحصاة اذا أخذ روث الحمار حين يروثه حاراً فمصره وشرب ماءه انه كثير اما يبول تلك الحصاة وفي روث الحمار أيضاً دواء للضرس المأكول وقال الاصمعي سألت بعض الأكلة ممن كان يقدم علي ميسرة التياس كيف تصنع اذا جهدتك الكهظة والعرب تقول اذا كنت بطينا فمد نفسك زمنا فقال أخذ روث حمار حاراً فاعصره واشرب ماءه فاختلف عليه مراراً فلا أثبت ان يلحق بطني بصلي فأشتمى الطعام والمرأة من نساءنا اليوم اذا استحيضت استفت مثقالا من الأثمد لانها عندهن اذا فعلت ذلك لم تلد وانا رأيت امرأة فعلت ذلك ثم ولدت وخرء الكلب اذا كان الجعر أبيض اللون وكان غذاء الكلب العظام دون اللحم فهو عجيب لصاحب الذبحة وكذلك رجيع الانسان وخرء الفار يكون شيافا للصبيان يجهلوننه اذا استوكأ بطن أحدهم وان كان من خرء الجرذان وكان عظيما كان الواحد منه هو الشياف ويصالح أيضا خرء الكلب لداء الثعلب وهو القرع الذي يمرض لشعر الرأس وخرء الحمام الاحمر يصلح من الهبولات من الرمل والحصاة يفتح منه وزن درهم مع مثله من الدار صيني وقال بعض المحدثين

يا الحية طالت على كونها * كأنها الحية جبريل
لو كان ما ينصب من مائها * نهرها اذا طم على النيل
أو كان ما يقطر من دهنها * كلالوني ألف فنديل
فلو تراها وهي قد سرحت * حسبها نبذاعلى ذيل

وأشده أبو عمرو والشيباني لبعض المولدين

اذا تلاقى الفيول وازدحت * فكيف حال البعوض في الوسط

وقال

وما الفيل أحمله موقراً * رصاصا بأثقل من معبد
ولا فزمل على عايه العبي * طينوه بعد اين من إثم
وجاموسة أوقرت زئبقا * بأثقل منه ولا أنكد

وقال آخر

باب يري ليس له داخل * الاخر اجمع في الزاويه
ان جئت فالفيل على هامتي * ومثله نيط بأوصاليه

ورأى مرة بن محكان قدرا فقال

ترمي الصلاة بنبل غير طائشة * وما اذا آنت من تحتها لها
زرافة مثل جوف الليل محفرة * لم يقذف الرال في حيزومها ذهابا
وقال بعض الاكرياء من امرأة كان حملها بيضا من رقة عمران الاصم
لا نقل في سنها ولا قصم * بهنكة لو تركب الفيل ورم
كانها يوم توافي بالحرم * غمامة غراء من غب وهم
وقال رؤبة بن العجاج

ان الردافا والكرى الارقبا * يكفيك رن الفيل حتى تركبا

ثم قال

سعادى الميران حتى أجنبيا * شراً معيراً أولياها معربا

ومما قرأه الناس من الأمثال في شأن الفيل التي وجدوها في كتاب كلية ودمنة
فن ذلك قوله أفلا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه مراراً حتى تاتي له الكسر وان
الفيل المغتم يعرف قوته وفضله واذا قدم اليه علفه مكرهاً لم يأكل حتى يمسح ويتمق
قال وقيل في أعمال ثلاثة لا يستطيعها أحد الا بمعونة من ابداع همة وعظيم خطر منها
عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو قالت الاماء في الرجل الفاضل انه لا ينبغي
ان يرى الا في مكانين ولا يليق به الا أحدهما إما مع الملوك مكرهاً وإما مع الناسك
متبتلاً كالفيل انما بهاءه وجماله في مكانين إما في بركة وحشياً وأما مركبا للملوك فقد
قيل في أشياء ثلاثة فضل ما بينها متفاوت فضل المقاتل على المقاتل والفيل على الفيل
والعالم على العالم وقال في كلام آخر فان لم يجمع الحيلة فهو اذا القدر الذي لا يدفع فان
القدر هو الذي يساب الاسد قوته حتى يدخله التابوت وهو الذي يحمل الرجل
الضعيف على ظهر الفيل المغتم فيضربه الفيل بأذنه فيهلك وهو الذي يساط الحواء على

الحية ذات الحمة فينزع حتمها ويلعب بها وقال لما أقام الجمل مع الاسد حتى اذا كان ذات يوم توجه الاسد نحو الصيد فاقميه فيل فقاتله قتالا شديداً وأفلت الاسد مثقلاً يسيل دماً قد جرحه الفيل بأنيابه فكان لا يستطيع ان يطاب صيداً فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياماً لا يجدون ما يمشون به من فضول الاسد، وقال كيف يرجو اخوانك عندنا كرمنا وأنت قد صنعت بما يكك الذي كرمك وشرفك ما صنعت بل مثلك في ذلك كما قال التاجر ان أرضاً يأكل جردانها مائة من من حديد غير مستنكر أن تحطف بزاتها الفيلة وقال الجرذ للغراب أشد العداوة عداوة الجوهر وداوة الجوهر عداوتان منها عداوة متجارية كعداوة الفيل والاسد وربما قتل الفيل الاسد وربما قتل الاسد الفيل ومنها عداوة انما ضررها من أحد الجانبين كعداوة ما بيني وبين السنور فان العداوة بيننا ليس ضرراً مني عليه بل ضرراً منه عليّ وقال ان الكريم اذا عثر لم يستعن الا بالكريم كالفيل اذا وحل لم يستخرجه الا الفيلة وسندكر عداوة الشيطان للانسان وداوة العقرب مخالفة لداوة الحية وداوة الذئب والاسد والانسان خلاف عداوة العقرب والحية وداوة النمر الاسد والاسد للنمر مخالفة لجميع ما وصفنا ومسالمة البير للاسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب وشأن الحيات والوزغ خلاف شأن الخنافس والعقارب وداوة الانسان للانسان خلاف عداوة ذلك كله وابن عرس أشد عداوة للجرذان من السنور وداوة البعير للبعير والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد وداوة الذئب للذئب خلاف ذلك والشاة من الذئب أشد فرقا منها من الاسد والنمر والبير وهي أقوى عليهما من الذئب وفرق الدجاج من ابن آوى أشد من فرقتها من الثماب والحمام أشد فرقا من الشاهين منها من الصقر والبازي وأسباب عداوات الناس ضروب منها المشاكة في الصناعة ومنها التقارب في الجوار ومنها التقارب في النسب والكثرة من أسباب التقاطع في العشيرة والقبيلة والمساكن عدو للمساكن والفقير عدو للثني وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفحل لانخصى وبفضاء السوق موصولة بالملوك وكذلك الوصلة بالمال الرغيب وكذلك الوارث والمررت ولجميع هذا تفسير ولاكنه يطول وذكر صاحب المنطق عداوة الغراب

للحمار والنحويون ينشدون في ذلك قول الشاعر

عاديتنا لآلت في نَباب * عداوة الحمار للغراب

وذكر أيضاً عداوة البوم للغراب وكذلك عصفور الشوك للحمار وفي هذا كلام كثير وقد ذكرنا بهضه في أول كتابنا من الحيوان ثم رجنا الى الاخبار عن الامثال قال وأكيس القوم من يلتمس الا من بالقتال ما وجد عن القتال مذهبا فانما القتال النفقة فيه من الانفس وسائر الاشياء انما النفقة فيها من الاموال فلا يكون قتال البوم من رأيك فانه من يؤا كل الفيل يؤا كل الحين قال فأجابه الجرذ فقال انه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة قال وهي أشد ضرراً من العداوة الظاهرة ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يلقبه النعاس قال واعلم أن كثيراً من العدو لا يسنطاع بالشدة والمكايده حتى يصاد بالرقت والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الاهلي وقال ان العشب كما رأيت في اللين والضعف وقد يجتمع منه الكثير فيصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل المغتلم، وقالوا يربك أحب بنيك اليك وأكرمهم عليك ويربك اكتب الكتاب صاحب سرك والسيف الذي لا يوجد مثله والفيل الابيض الذي لا تلحقه الخيل هو مركبك في القتال ويربك الفيلان العظيمان اللذان يكونان مع الفيل الذكر، وقد سمنا في هذا الحديث والاخبار عن يوم القادسية ويوم جسر مهران وليس الناطف وجلولا، ويوم نهاوند بالفيل الابقع والفيل الاسود والفيل الابيض والناس لم يروا بالعراق فيلا أو برولا فيلا أشعر والفيلة التي كانت مع الفرس حكمها حكم الفيلة التي كانت مع أمير المؤمنين المنصور وعند سائر الخلفاء وكلها معصمة ولم نلق أحداً رآها وحشية قبل ان تصير في القرى والمواضع التي تذكرها فقد علمنا ان الطائر الصيود من الجوارح لو أقام في بلاده مائة عام لم يحدث بمنسره زوائد وعير العانة اذا أقام في غير بلاده احتاج الى الاخذ من خافره والى من يخناف به الى البيطار والطائر الوحشي من هذه المغنيات والنوائح لو أقامت عندنا دهرًا طويلا لم تصوت اذا أخذناها وقد كبرت وكذلك المزاوجة والتعشيش والتفريخ وكل ملك يحصل الى ان تكون عنده الفيلة فان كان لا يدع

الاكثر منها والتجمل منها والتحويل بـ. كانها عنده ولا يدع ركوبها في الحروب وفي
الاعياد وفي يوم الزينة وكانت عند حمير والتبابعة والمقاول والصاهلة من ملوكهم
والكيسوم من اولاد الحبشة وعند ملوك سبا مقربة مكرمة يدل على ذلك الاشعار
المروفة والاخبار الصحيحة وقال الاعشي لما ذكر حضر موت وملوك سبا وسبيل
العرم فقال

ففي ذاك المؤتى اسوة * وما رب عني عليها العرم

رجام بنته لنا حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم

فأردى الحروث وأعيانها * على ساعة ماؤهم قد قسم

وطار الفيول وفيالها * بيتاء فيها سراب فطم

وكان العتي مع الحجاج بقاتل ابن الزبير فلما رأى البيت يرمى بالمنجنيق أنشأ يقول

ولم ار جيشاً غر بالحج مثلنا * ولم ار جيشاً مثلنا كلهم خرس

دلغنا لبيت الله نرعى ستوره * باحجارنا نهب الولائد للعرس

دلغناهم يوم الثلاثاء من نبي * بجيش كصدر الفيل ليس له رأس

فلما فرغ وعاد تقيب مروان وكتب له عبد الملك كتابا الى الحجاج يخبره فيه وفوض

الامر اليه فقال

وقد علمت لو ان العلم ينفعنى * ان انطالقي الى الحجاج تفرير

مستحبة صحفاً تدمى طوابمها * وفي الصحائف حيات منا كير

لان رحلت الى الحجاج معتذراً * اني لاحق من تجري به المير

وكل حيوان في الارض ذواسان فاصل لسانه الى داخل وطرئه الى خارج الا الفيل

فان طرف لسانه الى داخل وأصله الى خارج وتقول الهند ان لسان الفيل مقلوب ولولا

انه مقلوب ثم لقن الكلام تكلم وكل سمك يكون في الماء العذب فان له اسانا

ودماغا الا ما كان منها في الملح فانه ليس لسمك البحر لسان ولا دماغ وكل شئ

ياكل بالمضغ دون الابتلاع فانه انما يحرك فكه الاسفل الا التمساح فانه انما يحرك فكه

الاعلى وكل ذى عين من ذوات الاربع والسباع والبهائم الوحشية والاهلية فانما

الاشفار لجفونها الاعالى الا الانسان فان الاشفار الاعالى والاسافل وكل حيوان ذي صدر فانه ضيق الصدر الا الانسان فانه واسم الصدر وليس شئ من ذكور جميع الحيوان له ندى في صدره الا الانسان والفيل وقال ابن مقبل

وليلة مثل ظهر الفيل غيرها * طلس النجوم اذا اغبر الدياميم
والفيل أضخم حيوان وهو مع ضخمه أملح وأظرف وأخطر وهو يفوق في ذلك كل خفيف الجسم رشيق الطبيعة وانما الحكاية من جميع الحيوان في الكلب والقرود والدب والشاة المكية وليس عند البيغاء الا حكاية صور الاصوات فصار مع غلظه ونخامته أرشق ذهنا وأدق طرفا وأظهر طرفا فهذا من أعجب المعجب وما ظنكم بعظم خلق ربما كان في نابه أكثر من ثلاثمائة من ، فقال من يمارضه قد أجمعوا على أن أعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان وحكوا عن عظم بعض الحيات وقد أحقوه بهما وأكثروا في شأن التنين فليس لكم أن تدعوا للفيل ما ادعيتم ، قال صاحب الهند والمعبر عن خصال الفيل وعلو سمكه وعظم جنرته واتساع صهوته وطول خرطومه وسعة أذنه وكبر غرموله مع خفته وطيشه وطول عمره وثقل جملة وقلة اكترائه لما وضع على ظهره فقد عاب ذلك من الجماعات من لا يستطيع الرد عليهم الا جاهل أو معاند فأما ما ادعيتم من عظم الحية فانه متى مسحنا طولها ونخنها وأخذنا وزنها كانت أكبر من الفيل فان لم نسمع بهذا الا في أحاديث الرقائين والحوائين وتزيد البحر بن وأما التنين فانما سبيل الايمان فيه سبيل الايمان بمنقاء مغرب وما رأيت مجلسا قط فيه خبر التنين الا وهم ينكرون ويكذبون المخبر عنه الا أنا في الفرط ربما رأينا بعض الشاميين يزعم أن التنين أعصار فيه نار يخرج من قبل البحر في بعض الزمان فلا يمر بشيء الا أحرقه فسمى ذلك ناس التنين ثم جعلوه في صورة حية وأما السرطان فلم نر أحدا قط ذكر أنه عاينه فان كنا الى قول بعض البحر بين نرجع فقد زعم هؤلاء أنهم ربما قربوا الى بعض جزائر البحر وفيها الفياض والادوية واللحايق وأنهم في بعض ذلك أوقدوا نارا عظيمة فلما وصلت الى ظهر السرطان ساح بهم وبكل ما عليه من النبات حتي لم ينج منهم الا الشريد وهذا الحديث قد طم على الخرافات والتهورات

وحديث الخلوة وأما السمك فامرئى إن السمكة التي يقال لها البالسة الفاحشة العظم
 فقد طابنا ذلك عيانا وقتلوه يقينا ولكن أحسب على أن الشأن في الباله على ما
 ذكرتم فهل عرفتم أن فيها من الحس والمعرفة واللقن والحكاية والظرف وحسن المؤاناة
 وشدة القتال والتصمد تحت الملوك وغير ذلك من الخصال كما وجدنا ذلك وأكثر
 منها في الفيل وهل رغبت في صيدها الملوك واحالت لها التجار أو حث على الظفر
 باجزائها بعض الاطباء وهل تصلح لدواء أو غذاء أو ليس انما غاية البحريين ان سدوا
 من عيبها نائمة أو غافلة حتى تفرع وتنفق بقرع العصا واصطكاك الخشب وانما قدمنا
 خصال الفيل على خصال الحيوان الذي في كفه ومنقاره من الصنعة العجيبة أو يكون
 فيه من طرف المعرفة وغريب الحس ونفوذ البصر أو بعض ما فيه من الجمال
 والحسن ومن التفاريح ومن التحاسين والوشى والتساوى بالتأليف العجيب والتنضيد
 الغريب وما في خلقه من الاصوات الملعنة والمخارج الموزونة والاغاني الداخلة في
 الابقاع الخارجة من سبيل الخطأ مما يجمع الطرب والشجا ومما يفوق النوائح ويروق
 كل مغن حتى يضرب بحسن تخريبه وشجا مخرجه المثل وحتى يشبه به صوت الزمار
 والوتر، وأما ما يعرف بالسكر والحيل والكيس والروغان وبالفتنة وبالخديمة والرفق
 والتكسب والعلم بما يمينه والحذر بالمشاورة والصبر على المطاولة مما يعطيه وتأتيه
 لذلك وحذقه وأما بعض ما يكون في طريق الثقافة يوم الثقافة بالمشاورة والصبر على
 المطاولة والقدم والروغان والسكر والجولان ووضع تلك التدابير في موضعها حيث
 لا نرد له طمئة ولا تخطي له وثبة، وأما بعض ما يعرف بالنظر والعافية وباحكام شأن
 الحال والمعيشة بالاخذ لنفسه والتقدم في حال المهلة والادخار ليوم الحاجة والاجتناس
 التي تدخر لانفسها ليوم المعجز عن الطاب والتكسب فمثل الذرة والتملة والجرد
 والفارة وكنحو العنكبوت والنحل فاذا كان ليس لتفيل الاعظمه وان كان العظم قد
 يدخل في باب من أبواب المفاخرة فلا ينبغي لأحد أن يشاهد به الابدان التي لها
 الخصال ويناضل به ذرات المفاخر العظيمة فما ظنك ببدن قد جمع مع العظم من
 الخصال الشريفة ما ينفي الطوامير الكبيرة ويستغرق الجلود الواسعة وقد علمت من أن

جعل هذه السمكة بما يديشها ويصاحبها أنها شديدة الطاب والشهوة لأكل العنبر والعنبر
 أقتل للبال من الدنلى للدواب فإذا أصابوه ميتا استخرجوا من جوفه عنبراً كثيراً
 فاسداً وما فيه من النفع الا أن دهنه يصاح لترين سفن البحرين فرآنى غانم العبد
 يوماً وأنا أحكي هذا الكلام وكان من أموق الناس وأرقهم رقاعة مع تيه شديد
 وعجب ورضى عن نفسه وسخط على الناس فن حقه أنه هندي وهو يتعصب على الفيل
 فقال ما تقول الهند في الحوت الذي يحمل الارض أليس أعم نفعاً وأعلى أمراً قلت
 له يا هالك ان مدار هذا الكلام انما يقع على الاقسام الاربعة من بين جميع الحيوان
 المذكورة في الماء وفي الارض وفي الهواء كالذى ينساح من جميع الحيات والديدان
 وكالذى يمشي من الدواب والاس وكالذى يطير من احرار الطير وبغائها وخشاشها
 وهمجها وكالذى يدوم كالسماك وكل ما يعايش السمك فأما الحوت الذى يكون على
 وجه الارض فقد علمنا أن فى الملائكة من هو أعظم من هذا الحوت مراراً ولو لا
 مكان من قد حضرنا لكان ممن لا يتساهل بالجواب وهذا مقدار معرفته، قالوا والفيل
 أقوى من جميع الحيوان فى حمل الاثقال ومن قوة عظمه وعظمه أنه يمر خلف القاعد
 مع عظم بدنه فلا يشعر بوطئه ولا يحس بسيره لاحتمال بعض بدنه لبعض وهذه
 أعجوبة أخرى وليس فى حوامل اناث الحيوان أطول مدة حمل من الفيل والكركدن
 فانه مذكور فى هذا الباب والفيل يزيد عليه فى بعض قوته، فأما الهند ففتنتهم
 بالكركدن أشد من فتنتهم بالفيل فأما ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولها
 حملاً الحافر والخف ولا يزيدان على السنة الا ان تسحب الاثني وتزيد أياماً فأما الظف
 فعلى ضربين فما كان منها من البقر فان مدة حملها وحمل السمكة تسعة أشهر وما كان
 من الغنم فان حملها خمسة أشهر وقد ذكرنا أجناس الحيوان فى ذلك فيما سلف من
 كتابنا هذا، قالوا والفيلة هولها فى العين واحداً وان فتحت ظهورها كالمنظر والمسالخ
 والارصاد وللفيل قتال وضرب وخبط بقوائمه وكانت الاكاسرة ربما قتلت الرجل
 يوطء الفيلة قد دربت على ذلك وعلمته فإذا ألقى إليها الرجل تركت العلف وقصدت
 نحوه فداسته ولذلك أنشد أبو العباس بن يعقوب العامرى لناهض بن بوصلة

الأمري قوله

أنا الشاعر الخطار من دون عامر * وذو الضنم اذ بعض المحامين ناهش
بخطب كخطب الفيل حتى تركته * أميا به مستدميات مفاراش
وأشده الاصمى وأبو محمد لثميل بن مقبل

بني عامر ما تأمرون بشاعر * يجبر بآيات الكتاب هجائيا
أأعفو كما يعفو الكريم فاني * أرى الشعب فيما بيننا متدانيا
أم اخبط خبط الفيل هامة رأسه * مجرد فلا أبقى من الريش باقيا

وكانت الاكسرة وهي الكسور تؤدبها وتعودها وطء الناس وخطبهم اذا التي تحت
قوائمها بعض أهل الجنائيات فكان ممن رمى به تحت رجل الفيلة النعمان بن المنذر وقال
في ذلك الشاعر

ان ذا الناج لا أبالك أضحي * وذرى بيته يجوز الفيول
ان كسري عدى على الملك النعما * زحني سقاه أم البليل

وذكر المهيم بن عدى عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال رأيت في
ديوان معاوية كتابا من ملك الصين الذي على مربطه ألف فيل وبنيت داره بابن
الفضة والذهب والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي له نهران يشفان اللواؤ الى معاوية
وقال ولما أراد كسري قتل روشك المغني لقتله فلهوذ المغني وأمر أن يرمى تحت الفيلة
النفث الى كسري وقال اذا قتلت روشك المغني وقد قتل روشك فلهيذ ثن بطربك
فقال كسري المدة التي بقيت لك التي أنطقك خلوا سبيله، وقال صفوان بن صفوان
الانصارى وكان عند داود بن يزيد المرزبان الهند تؤدب الفيلة بأنواع من التأديب
ويدربونهم على أنواع آداب الحروب حتى ربما ربطوا السيف اللهمم الرغيب الشديد
المتن الحديد القرب التام الصقل الطويل السيلان في طرف خرطوم الفيل وعادن كيف
يضرب به قداما ويمينا وشمالا وكيف يرفعه بخرطومه حتى يكون فوق رؤس الفيالين
العمود على ظهره وقال وأنشدني هارون بن فلان المولى مولى الانصار قصيدته التي ذكر
فيها خروجه في الحرب الى فيل في هذه الصفة فشيء اليه فلما كان حيث يناله السيف

وثب وثبة أعجبه بها عن الضربة ولصق بصدر الفيل ولباق بأصول نايه وهما عنده
قرناه بجبال به الفيل جولة كاد يحطمه من شدة ما جال به وكان رجلا شديد الخلق
رابط الجاش قال فاعتمدت وأنا في تلك الحال وأصول الاياب جوف فانقلما من
أصلهما وأدبر الفيل وصار القرنان في يدي وكانت الهزيمة وغنم المسلمون غنائم كثيرة
ومات في ذلك

مشيت اليه وادعا متمهلا * وقد وصلوا خرطومة بحسام
فقات لنفسى إنه الفيل ضارب * بأبيض من ماء الحديد هدام
فان تشكلي عنه فمذكرك واضح * لدى كل منخوب الثؤاد عمام
وعند شجاع القوم أكلف فاحم * كظامة ليل جلت بقتام
فناهشته حتى لصقت بصدره * فما هوان لازمت أى لزام
وعدت بقرنيه أريد لبانة * وذلك من عادات كل محامى
خال وهجيره صوت مخضرم * وابت بقرني يذبل وبشام

(وقال هارون)

ولما أتاني أنهم يعتدونى * بقائم سيف فاضل الطول والعرض
مررت ولم أحفل بذلك منهم * اذا كان أنف الفيل في غفر الارض
وحين رأيت السيف يتر قائما * ولمع لمع البرق بالبد الغض
وصار كخراق بكف حزور * يصرفه في الرفع طورا وفي الخفض
واقبل سفري كل شئ شماله * وصرت كاني فوق مزلفة رحض
وأهوى نجاتي فاعتنمت ذهوله * ولم يقترب عنه أخوثة محض
بجال وجال القرن في كف ماجد * كثير مراس الحرب مجتنب الخفض
فطاح وولى هاربا لا تهيدده * رطانة هندي برفع ولا خفض
والهند تزعم ان نابي الفيل يخرجان مستبطين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعمقين وانما
يجعلهما نابيين من لا يفهم الامور قالوا والدليل على ذلك أن لها أصليين في مخارج القرون
يوجد ذلك عند ساخ جلده ولان القرن لا يكون نابا ومع ذلك أنا لانجد الفيل يعض

كعض الاسد الاكول ولا كعض الجمل الممؤل للامل ولا كعض الانمي لافراغ
 السم ولا تراه يصنع به ويستعمله الا كما يستعمله ذو القرن عند القتال والغضب فقال
 لهم بعض من يرد عليهم اما قولكم ان القرن لا يكون الا مجوف الاصل فهذا قرن
 الابل مصمت من اوله الى آخره وهو ينقل في كل سنة فاذا نبت حديثا لم يظهر
 حتى يستحکم في يسه وصلابته واذا علم انه قد بلغ ظاهره وأكثر القرون الجوف
 يكون في أجوافها قرون وليس ذلك كقرن الفيل قالوا ولم نجد هذا القرن في لون
 القرون ووجدناه لسائر أسنانه واضراسه أشبه للبياض والسمرة وليس كذلك صفة
 القرون ووجدناه يقول فم الابل صغير وهو أقيم ولا يجوز أن يكون مثل ذلك الالحى
 والفك نبت فيه ومنه نابان يكون فيهما ثلاثمائة من وقد رأيت قرونا كثيرة
 الاجناس بيضاء وبرشاء وصهباء وهذه أيضا من عجائب الفيل وقرن الكركدن أغلظ
 من مقدار ذراع وليس طوله الا على قدر غلظه وهو أصلب وأكرم من قرن الفيل
 ويقال أكبر ايور الحيوان اير الفيل وأصغرها قضيب الظبي وقضيب البط لا يذكر
 مع هذه الاشياء وليس شيء على قدره ومقدار جسمه أعظم ايرا من الفيل وقد علمت
 أن للضب ايرين وكذلك الحرذون والسقمقور وقد عرفنا مقدار ذلك ولكنه لا يدخل
 في هذا الباب ولو لم يكن من عجائب الفيل الا خرطومه الذي هو أنفه وهو يده
 وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شيء من الغضروف والعصب وبه يقاقل
 ويضرب ومنه يصيح وليس صياحه في مقدار جرم بدنه ويضرب به الارض ويرفمه
 في السماء ويصرفه كيف شاء وهو مقتل من مقاتله والهند تربط في طرفه سيفا
 شديد المتين فيقاتل به مع ما في ذلك من التهويل على العدو وهو مع عظم بدنه جيد
 السباحة الا أنه يخرج خرطومه ويرفعه في الهواء صمدا لانه أنفه الا ترى أن
 الجاهوس يغيب جميع بدنه في الماء الا منخرية والبعير قبيح السباحة لانه لا يسبح
 الاعلى جنبه فهو في ذلك باطني ثقيل والبعير يفايز بينه وبين الفيل فلذلك ذكرناه وقد
 علمنا أن الانسان يفرق في الماء ما لم يتعلم السباحة فأما الفرس الاعسر والقرد فانهما
 يفرقان البتة والعقرب يقوم وسط الماء لا طافية ولا لازقة في الارض وأشرف السباع

وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلاثة الكركدن والفيل والجاموس قال ولعل بمض من اغري بالاعتراض على الكركب يقول وابن الخليل والابل وفيها من خصال الشرف والمنافع والغناء في السفر والحضر وفي الحرب والسلام وفي الزينة والبهاء وفي الهدية والعتاد ما ليس عند الكركدن ولا عند الفيل ولا عند الجاموس قال القوم ليس الى هذا الباب ذهبنا ولا اليه تصدنا ولا ذلك الباب مما يجوز أن ندخله في هذا الباب ولكننا ذهبنا الى المحاماة والدفع على النفس والقتال دون الاولاد والى الامتناع من الاضداد بالحيلة اللطيفة وبالبطش الشديد وليس عند الخليل والابل اذا صادت الاسد والنمور والذبور ما عند الجاموس والفيل والكركدن فاما الكركدن فان كل شئ من الحيوان يقصر عنه غاية القصير الفاحش وما أكثر من ينكر ان في الدنيا حيوانا يسمى الكركدن ويزعمون ان هذا وعتقاء مغرب سواء وان كانوا يرون صورة العتقاء مصورة في بسط الملوك واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كأنه قال وحده ثلاثون طيراً لان قولهم بالفارسية سئ هو ثلاثون بالمرية ومرك بالفارسية هو الطائر بالمرية والعرب اذا أخبرت عن شئ وبطلانه قالت حلفت به في الجوع عتقاء مغرب وفي الحديث إن بمض الأمم سألتوا نبيهم وقالوا ان تؤمن لك حتى تفعل كذا وتفعل كذا وتاتي في فم العتقاء اللجام وترد اليوم أمس قال أبو الهندي السميطي وهو معدان المكفوف المريدي

ياسمي النبي والصادق الوء * د وجد الصبي ذى الخلخال

صاحب اللؤلؤ الذي لم يشنه * بـد خرز مثاقب اللال

مهدته العتقاء وهي عقيم * رب مهد يكون فوق الهلال

يوم تصنى له النمامة والاحنا * ش طـرا لشدة الزلزال

فأهل هذه النحلة يثبتون العتقاء ويزعمون انها عقيم وقال زرارة بن أعين مولى بني

أسعد بن همام وهو رئيس النميمية وذكر هذا الصبي الذي تكلمه العتقاء فقال

وأول ما يحبي نماج وأكبش * ولو شاء أحيانها وهو مذنب

ولكنه ساع بأم وجدة * وقال سيكفيني الشقيب المقرب

وأخر برهاناً قلب يومكم * والجامة العنقاء في العين أعجب
 يصيف بساباط ويشتوبآمد * وذلك سر ما علنا مغيب
 أساغ له الكبريت والبحر جامد * وملكه الأبراج والشمس تجنب
 فيومئذ قامت سماط بقدرها * وقام عسيب القفر يثني ويخطب
 وقام صبي درنق في حماطه * عليهم بأصناف البساتين يقرب

فثبت زرارة بن أعين قول أبي السري في العنقاء وزادنا الكبريت الأحمر ولا أعلم في
 الأرض قوما يثبتون العنقاء على الحقيقة غيرهم قال فيثبتون الكركدن ذكر النبي
 داود عليه السلام في الزبور حين سماه وقد ذكره صاحب المنطق في كتاب الحيوان
 إلا أنه سماه بالحمار الهندي وجعل له قرناً واحداً في وسط جبهته وكذلك أجمع أهل
 الهند كبيرهم وصغيرهم وإنما صار الشك يعرض في أمر من قبل أن الأنثى منها
 ما يكون نزورا وأيام حملها ليست أقل من أيام حمل الفيل فلذلك قل عدد هذا الجنس
 ونزعم الهند أن الكركدن إذا كانت ببلاد لم يرع شيء من الحيوان شيئاً من أكناف
 تلك البلاد حتى يكون بينه وبينها مائة فرسخ من جميع جهات الأرض هيبته وخضوعاً
 له وهرباً منه، وقد قالوا في ولدها وهو في بطنها قولاً لولا أنه ظاهر على السنة الهند
 لكان أكثر الناس بل كثير من العلماء يدخلونه في باب الخرافة وذلك أنهم يزعمون
 أن أيام حملها إذا كادت أن تتم وإذا نضجت وشحنت وجرى وقت الولادة فربما
 أخرج الولد رأسه من باطنها فأكل من أطراف الشجر فإذا شبع أدخل رأسه حتى
 إذا تمت أيامه وضاق به مكانه وأنكرته الرحم وضته مطيقاً قويا على الكسب والحضر
 والدفع عن نفسه بل لا يعرض له شيء من الحيوان والسباع وقد زعم صاحب المنطق
 أن ولد الفيل يخرج من بطن أمه نابت الأسنان لطول مكثه في بطنها وهذا جائز في
 ولد الفيل غير منكر لأن جماعة نساء معروفات الآباء والأبناء قد ولدن أولادهن
 ولهن أسنان نابتة كالذي رووا في شأن مالك بن أنس ومحمد بن عجلان وغيرها وقد
 زعم ناس من أهل البصرة أن خاقان بن عبد الله بن الأهم استوفى في بطن أمه
 ثلاثة عشر شهراً وقد مدح بذلك وهجى وليس ذلك بالمستنكر وإن كنت لم أرقط

قابلة تقر بشئ من هذا الباب وكذلك الاطباء وقد رووه كما علمت وليكن العجب كل العجب ماذا كانوا من اخراج ولد السكر كدن رأسه واعتلافه ثم ادخالها بمد الشبع والبطنة ولا بدأ كرمك الله لما أكل كل من نجوفان كان بقي الولد يأكل ولا يروث فهذا عجب وان كان يروث في جوفها فهذا أعجب وانما جعلناه يروث حيث سموه حماراً وهذا مما ينبغي لنا أن نذكره في خصصال الخصال اذا بلغ ذلك الباب ولا أقران الولد يخرج رأسه من بطن أمه حتى يأكل شبعه ثم يدخل رأسه ولست أراه محالاً ولا ممتنعاً في القدرة ولا في الطبيعة وأرى جوازه مرهوباً غير مستحيل الا أن قلبي ليس يقبله وليس في كونه ظلم ولا عيب ولا خطأ ولا تقصير في شئ من الصفات المحموده ولم نجد القرآن ينكره والاجماع يدفعه والله هو القادر دون خلقه ولست أبت بإنكاره وان كان قلبي شديد الميل الى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا يعرف الا بالعيان الباهر والخبر المتظاهر وليس الخبر عنه مثل الخبر عن الدساس التي لا تبيض ولا تلد وانما أنكرك ذلك ناس لان الدساس ليس أشرف كالحفاش بل هو كالمسوح وكسائر الطير وكاللاتواتي تبيض من ذوات الاربع ومن المائيات والارضيات وليس الخبر عن السكر كدن أيضاً كالخبر عن الدلقين أنها تلد وعن اللحم مثل ذلك وان الكوسج يتولد من بين اللحم وسمكة أخرى وهذا كله غير مستحيل الا اني لأجمل الشئ الجائز كالشئ الذي تثبته الادلة ويخرجه البرهان من باب الانكار والواجب في مثل هذا الرفق وان كان القلب الى نقض ذلك أميل والميل أيضاً يكون من طبقات وكذلك الظن يكون داخلاً في باب الايجاب وربما نصرا عن ذلك وقد زعم ناس من أهل العلم ان السمك كله يلد وأنهم انما سموا ذلك بيضا على التشبيه والتمثيل لانه لا قشر له هناك ولا نخ ولا بياض ولا غرقى وأن السمكة لا توجد أبداً الا فارغة البطن أو محشوة ولم نر الحب الذي عند مثالها أعظم ولم نرها ألت احدى تلك الطوامير واحداً فواحداً وأولا فاولاً وما ذلك بأعجب ولا أضيق من حياء الناقة والسقب والحائل يخرجان منه خروجاً سلساً اذا أذن الله بذلك وكذلك المرأة وولدها والجاموس والسمكة والحجر والأتان والشاة في ذلك

كله مثل السمكة وقالوا لا بد للبيض من حوض ومتى حضنت السمكة بيضها التفتت
 الى بيضها وفراخها والموام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكر كدن وتزعم انه ربما
 نطح الغيل فرفعه بقرنه الواحد الذي في وسط جبهته فلا يشمر بمكانه ولا يحس به
 حتى ينقطع على الايام وهذا القول بالخرافة أشبه وأعجب من القول في ولد الكر كدن
 ما يخبرنا به ناس من أهل النظر والادب وقرأة الكتب وذلك أنهم يزعمون أن النمره
 لا تضع ولدها أبداً الا وهو متطوق بأفمى وانها تميش وتنهش الا أنها لا تقتل ولو
 كنت أجسر في كيتي على تكذيب العلماء ودراس الكتب لبدأت بصاحب هذا
 الخبر وليس هذا عندي كزعمهم ان الافمى تلد وتبيض لان تأويل الافمى ينفصل
 بيضها فاذا طرقت بالبيض تلوت خطمته في جوفها ثم ترمي بتلك الغشور والحراشي
 أولاً فأولا ولا بد لكل ذات حمل أن تاتي مشيمتها ويزعم كثير من الاعراب أن
 السمكة تتعفن ويتخاق منها أفاعى فهذا الخبر وان كنت لا أسرع الى رده فاني على
 أصحابه البين كفاً، وأما قرن الكر كدن فخبرني من رأي قرنه بمن اتق بمقله وأسكن
 الى خبره أن غلظ أصله وسمة جسمه يكون نحواً من شبرين وليس طوله على قدر
 نخنه وهو محدد الرأس شديد الملاسة مدهوم الاجزاء مديج ذو لدونة وعلوكة في صلابة
 لا يمتنع عليه شيء ويحضر عندنا بالبصرة الى الصين الا أنه يقع الينا قبلهم فاذا ظهر
 ظهرت في مقاطعه صورة عجيبة وفيه خصال غير ذلك لما يطلب وقد كنا نزعم أن
 الهواء للعقاب والماء للتمساح والفياض للأسد حتى زعم أصحابنا أن في نيل مصر
 خيولاً تأكل التمساح أكلاً ذريعا وتقوي عليها قوة ظاهرة وتغصبها نفسها فلا تمتنع
 عليها وعارضوا من أنكر خيل الماء بخنازير الماء وبكلاب الماء وبديس الماء ولم أجدهم
 يشكون أن بعض الحيوان الذي يكون في البحر مما ليس بسمك وقد ذهب عنى اسمه
 اذا أبصر غريقاً عرض له وصار تحت بطنه وصدده فلا يزال كالخامل له والمزجي
 والممين حتى يقذف به الى جزيرة أو ساحل أو جبل وأصناف سمك البحر وأجناس
 ما يعايش سمك البحر اذا عاينوا نباتاً أو طيراً أيقنوا بالارض الا أن ذلك القريب قد
 يصحى بعيداً فلذلك سلم ذلك الفريق بمعونة ذلك الحيوان فأما الاسد والبير فيتم المان

وأما الاسد والنمر فيتماديان والظفر بينهما سجال والنمر وان كان ينصف من الاسد فان قوته على سائر الحيوان دون قوته على الاسد وبدنه في ذلك أحمل لوقع السلاح ولا يعرض النمر للبير وقد أيقنا أنهما ليسا من بابه فلا يعرض لهما السلامة ناحيته وقلة شره وهما لا يعرضان له لما يعرفان من أنفسهما من العجز عنه وأما البهائم الثلاث التي ذكرناها فانها فوق الاسد والنمر والبير هندي مثل الفيل أيضاً والذكر كدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة ولا يطعم فيه ولا يروم ذلك منه ، وأما الجاموس والاسد فخيرني محمد بن عبد الملك أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبرز الأسد جاء وستين فقلبتاه ثم أبرز له جاموسة ومعها ولدها فقلبتة وحت ولدها منه وحصنته ثم أبرز له جاموساً وحده فوابه تم أدبر عنه وهذا في طبع الاسد من الجراءة عليه بمقدار ما مع الجاموس من التهيّب له فيعلم أنه قد أعطى في كفه ومخالبه من السلاح ما ليس لشيء سواه ويعلم الاسد والجاموس جميعاً انه ليس في فم الجاموس وبدنه وظلفه من السلاح قليل ولا كثير فع الاسد من الجراءة عليه ومع الجاموس من الخوف منه على حسب ذلك ويعلم الاسد ان بدنه يتوج في اهابه وان له من القوة على الونوب والصبر والحضر والطاب والهـرب ما ليس في الجاموس بل ليس ذلك عند الفهد في وثوبه ولا عند السبع في سرعة مره ولا عند الارنب في صمد ولا هبوط ولا يبلغه نقران الظبي اذا جمع جراميزه ولا ركض الخيل العتاق اذا أجيد إضمارها والجاموس يعرف كل ذلك منه ومع الجاموس من النكوص عنه بقدر ما مع الاسد من الاقدام عليه ويعلم انه ليس له الا قرنه وان قرنه ليس في حدة قرن بقر الوحش فضلاً عن حدة أطراف مخالب الاسد وانابه وان قرنه متبذل لا يصابن عن شيء ومخالب الاسد في الكام ومران واذا قوى الجاموس مع هذه الاسباب الخفيفة على الاسد مع تلك الاذياب المستحقة حتى يقتله أو يعرض عنه كان قد تقدمه تقدماً فاحشاً وعلاه علواً ظاهراً فلذلك قدمنا الجاموس وهو بهيمة وقد منا رؤساء البهائم على رؤساء السباع هذا سوي ما فيها من المرافق والمنافع والمعاون والجاموس أجزع خلق الله من عض خرشنة وبموضة وأشدها منها الى الماء وهو يمشي الى الاسد رضى

البال رابط الجاش ثابت الجنان فأما الفيل فلم يولد الناس عليه وعلى الذكر كدن ما ولدوا من فراط القوة والنجدة والشهامة الا والامر بينهما متقارب عندهم ، والهند أصحاب البيور والفيول كما أن الذوبة أصحاب الزرافات دون غيرهم من الأمم وأهل غانة ما صار لباسهم جلود النمر بها الا انها على حال موجودة في كثير من البلدان وقد ذكروا بأجمعهم قوة الفيل الوحشي على الاسد وقالوا في الفيلة الاهلية اذا لقيت عندنا بالعراق الاسد وجمعنا بينهما قالوا أما واحدة فان ذكور الفيلة لا تكاد تعيش عندهم وأنيابها التي هي أكثر سلاحها لا تنبت ببلادكم ولا تزيد على ما كانت عليه ما اقامت في ارضكم وهي أيضا لا تنتاج عندهم وذلك من شدة مخالفة البلدة وطبائهم ونقضها لقواها وانما أسرع اليها الموت عندهم للذي يعتريها من الآفات والاعراض في دوركم فاجتمعت علمها خصال أول ذلك انها من الوحش في صميم بلادها أجرى وأفوي وأشهم نفساً وأمضى فلما اصطدناها بالجبل وصيرناها مقهورة أهلية بمد ان كانت وحشية وفي غير غذائها لانها كانت تشرب اذا احتاجت وتأكل اذا احتاجت وتأخذ من ذلك مقدار ما تعرف من توقع الحاجة فلما صارت الى قيام العبيد عليها والاجراء لسواها والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقص والخور والخطأ والتقصير على حسب ما تجدد في سائر الاشياء ثم لم نرض ذلك حتى نقلنا ما كانت تجده من انكارها لتلك البلدة فصيرناها الى الضد بمد ان كانت في الخلاف وقد علمنا ان سبيلها سبيل سائر الحيوان فان الابل تموت ببلاد الروم وتهلك وتسوء حالها والمقارب تموت والتما سيح تموت ان نقلت الى دجلة والفرات والناس يصيبهم الجلاء فيموتون ويتهاقون وقد علمنا ان الزنج اذا خرجوا من بلادهم كما يحصل بالبصرة عندنا منهم وكذلك لو نقلوا اليكم بزر الفلفل والساج والصندل والعود وجميع تلك الالهضام فما امتناع نبات العاج ببلادكم الا كما امتناع نبات الابنوس وان كان ينبت في حيوان والارضى في أرض فلا يفتخرن مفتخر في الاسد في هذه البلدة اذا قام الفيل والاسد هاهنا في بلاده وفي الموضع الذي تتوفر أموره عليه لان اسد العراق هي الغاية وأهواها أسد السواد ثم أسد الكوفة ولان الفيلة عندهم أيضاً تري عندهم

السناير وقد جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور والوحشة منه وكما أن بعض شجمانكم يمشی الى الاسد ويقبض على الثعبان ولا يستطيع النظر الى الفار والجرذان حتى يهرب منها كل الهرب ويمتريه من القبض واصفرار اللون مالا يعتري المصبور على السيف وهو يلاحظ بريقه عند ففاه وذكر علي بن محمد السميري قال بينما عبد الله بن حازم السلمي عند عبيد الله بن زياد اذ دخل عليه جرد أبيض ليقبل منه فأقبل عبيد الله على عبد الله فقال هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا الجرذ واذا عبد الله قد تضائل حتى صار كأنه فرخ واصفر حتى كأنه جرادة فقال عبيد الله أبو صالح يعصى الرحمن ويتهاون بالشیطان ويقبض على الثعبان ويمشی الى الاسد ويلقى الرماح بوجهه وقد اعتراه من جرد ما ترون اشهدوا أن الله على كل شیء قدير ، واذا عابن الفيل الاسد رأى فيه شبه السنور فيظن أنه سنور عظيم فلا يبلغ مقدار تلك المناسبة وذلك الشبه ومقدار ذلك الظن ما يبلغ رؤية السنور نفسه وليس هربه منه من جهة انه طعام له وأنه ان ساوره غلبه على نفسه وان كان في المعنى يرجع الى انه طعام لصغار السباع وكبارها وهل قتل الاسد قط فيلا ومتى أكله وأنه مع ذلك لربما ركه الركبة فاما أن يقتله وأما ان يذهب عنه هاربا في الارض وأما أن يخليه وأية حجة على الفيل في أن يرى سنورا فيفزع ذلك ، فله معرفته بان الماء الكدر لا تصور فيه الصور يضرب بيديه هذا قول بعضهم وأما صاحب المنطق وغيره ممن يدعي معرفة شأن الحيوان فانه يزعم أن الفرس بالماء الكدر أشد عجباً منه بالماء الصافي كما أن الابل لا يمجها الماء الا ان يكون غليظا وذلك هو الماء النخير عندهم وانما تصالح الابل عندهم على الماء الذي تصالح عليه الخيل ويزعم من أقام ببلاد السودان أن الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة والنوبة انهم يشربون الماء الكدر ويأكلون السمك التي فيعتريهم طحال شديد فاذا شدوا على بطونهم ضرسا من أضراس خيل الماء وجدوه صالحاً لبعض ما يمرض من ذلك ويزعمون ان أعفاج هذا الفرس يبرى من الصرع الذي يكون في الالهة وقال بعض من يبصر بالاسد أن الاسد في الهند أضعف بل هي ضعيفة جداً والفيل في بلادهم أقوى والوحشي منها والمقتل لا يقوم له الا الكركدن وأنه

ليتهم عليه فيججم عنه حتى تذهب عنه سكرة الغلظة فيرجع الى معرفة حال الكركدن فلا يطور طوره ولا يخليه بأداني أرضه وأما الفيل فاذا كان غير هائج والاسد في غير أيام سفاده ثم لا يكون الاسد عراقيا ويكون سواديا ثم يكون من أجة أفريقيا فان الفيل لا يقوم له قال صاحب الفيل الفيل لا يعابن أسدا أفريقيا حتى تفسخه البلدة وتوهنه الوحشة ويمرضه الغذاء ويفسده الماء وهو لا يصل الى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين الاسد وحتى يسمع تجاوب السنائر وتضاعفها وهو أسمع من قراد فيثبت ذلك في صدره وتزايد تلك الوحشة في نفسه فتى رأي أسدا قائما فربما حملته الدهشة منه والبنفس المجبول الى الصدود والذهاب عنه فيظن كثير من الناس ان ذهابه هرب وان صدود وجبن وانما هو من الوحشة منه والكراهة لما نظره وربما اضطره الاسد بخروجه حتى يتعض حمله ويفاب وقاره فيخبطه خبطة لا يفاج بعدها أبدا قال صاحب الفرس زعمتم أن الاسد في الارض كالعقاب في الهواء وكالتمساح في الماء وأن تمساحا وأسدا انجا على شريمة فقتل كل واحد منهما صاحبه كأن التمساح ضرب بذنبه في الشريمة وضغم الاسد رأسه فانا جميعا قال والفرس المائي بالنيل يقتل التماسيح ويقهرها ويأكلها ولا يساجلها الحرب ولا تقع بينهما مغالبة ومجازبة ولا تكون الايام بينهما دولا فهذه فضيلة ظاهرة على الاسد وشرف فرس الماء راجع الى فرس الارض فان كان فرس الارض لا يقوي على الاسد ولا على النمر ولا على البير فان ابن عمه وشكله في الجنس فد قومي على التمساح وهو رئيس سكان الماء قالوا اما واحدة فان التمساح ليس برئيس سكان الماء الا أن يريد بعض سكان الودبة والانهار والخلجان والتمحيزات في بعض المياه العذبة والكوسج واللحم والسرطان والدلفين وضروب من السمك مما يعايش السمك ينهش التمساح من نابه وعلى أن التمساح ربما يأكله ذلك الفرس وهو في الماء وليس للتمساح في جوف الماء كبير عمل الا أن يحتمل شيئاً بذنبه ويلججه اليه ويدخله الماء وربما خرج الى الارض للسفاد ولحضن البيض فلا يكون على ظهر الارض شيء أذل منه وذلك على الارض شبيه بذل الاسد في وسط الماء الغمر ولعمري أن لوعرض له هذا الفرس في الشرائع فقتله لقد كان ذلك من مفاخره فلذلك لم نذكر الخيل في

باب الغلبة والقتال والمساجلة والانتصاف من الاعداء والفرس قد يقاوم الفرس في المروج اذا اراد أن يحمي الحجور كما يحمي المير العانة ويقاوم عليها كل غير يريد مشاركتها فيها وهذا شيء يعرض لجميع الفحولة في زمن الهبيج وقد يصاول الجمل الجمل فربما قتل أحدهما صاحبه ولكن هذه الفحولة لا تعرض لشيء من الحيوان في غير هذا الباب وان اراد الفرس أسد فليس عنده من احراز نفسه وقتل عدوه ما عند الجاموس فان فضله الجاموس بقربيه فان البيان الذي في القرن لو استعمله لكان سلاحا ولو استدبر الاسد فركله ورمحه وعضه بفيه لكان ذلك مما يدفع عنه ويحمي لحمه وليس للجاموس في اظلافه وفي رجله وفي فمه سلاح فقد دات الحال على أن مدار الامر انما هو شجاعة القلب وفي هذا القياس ان الصقر انما يواجب الكركي لمكان سلاحه دون شجاعة القلب التي يقوي بها الضعيف وبخلافها يضاف القوي وسافر لك ذلك ببعض ما تعرفه ، لا تشك أن الهر أقوى من الهرة في كل الحالات حتي اذا سفدها حدث بينهما بغض ومطالبة وحدثت للهرة شجاعة وللهر ضعف فصارت الهرة في هذه الحال أقوى منه وصار الهر أضعف ولو لا أنه يعمن في الهرب غاية الامعان ثم لحقته لقطته وهو مستحذ ومثال ذلك أن الجرذ يخشى ويرى به في أنابيب التجار وفي الابرجة والبيادر فلا يدع جرذا ضحكاً قد أعيا الهرا وابن عرس الا قتله وان كان أعظم منه وأشد والخصى من كل شيء أضعف قوة من الفحل الا الجرذ فانه اذا خصى أحدث له الخصى شجاعة وجراءة وأحدثت له الشجاعة قوة وأحدثت له علم الجرذان بحال الخصاء لها جبننا وأحدث الجبن لها ضمنا والرجل الشديد الاسر قد يفزع فتنحل قوته ويسترخى عصبه حتي يضربه الصبي والذئب القوي من ذئب اللحم يكون معه الذئب الضعيف فان رمي القوي أحدث ذلك للضعيف طمعا فعند ما يرى الدم وثب عليه فيمتري ذلك القوي عند ذلك من الضعف بمقدار ما يمتري الضعيف من القوة حتي يأكله كيف شاء والاسد الذي يعتريه الضعف في الماء الفم حتى يركب ظهره الصبي ثم يقبض على أذنيه فيغطه كيف شاء وقد يفعل به ذلك غلمان السواد وشاطئ الفرات اذا احتمت المدود الاسنة

لا تملك من أنفسها شيئاً وهو مع ذلك يشد على المسكر حتى يفرقه تفريق السمير
 ويطويه طي السجل ويهارش النمر عامة نهاره لا يقتل أحدهما صاحبه وان كان الجمل
 الهائج باركا أتى فضرب جنبه ليثني اليه عنقه كأنه يريد عضته فيضرب بيداره الى مشفر
 فيه فيجذبه جذبة يفصل بها دأيات عنقه وان ألغاه قائماً وثب به فاذا هو على ذروة
 سنامه فمند ذلك يصرفه كيف شاء ويلعب به كيف أحب ونحن لا نشك أن للفرس
 تحت الفارس غناء في الحرب لا يشبهه غناء ولذلك فضل في القسم وانما ذلك بتصريف
 راحته له وقتاله عليه فأما هو في نفسه فان كان أوفر سلاحاً من الجاموس وفر عن
 قرنه واستسلم لمدوه فانه من هاهنا لا يقدر انحصار أقسام الخير في شخص واحد
 ولكن ان كان عليه تقاتل الانبياء واتباع الانبياء وملوك الكفار حتى يتمع الله
 الباطل ويظهر الحق فلذلك قدمناه على جميع البهائم والسباع وانما تقدمه على الوجه
 الذي قدمه الله فيه، واعترض على أصحاب فرس الماء معترضون فقالوا الفرس لا يكون
 الا بهيمة والبهائم لا تصيد وتأكل صيدها وانما طعام الفرس النبات وليس اللحم لها
 بطعام وقال النمر بن تواب

واخيل في اطعامها اللحم ضرر * نطعمها اللحم اذا عز الشجر

في كلبته التي يقول فيها * الله من آياته هذا القمر *

وقد املف في تلك الحالات اللحم اليابس وحشيش السمك فأما الحشيش فانخيول أهل
 الاسياف خاصة فيل لهؤلاء المعترضين على فرس الماء وقد يكون في الخلق المشترك
 وغير المشترك ما يأكل اللحم والحب فالمشترك مثل الانسان الذي يأكل الحيوان
 والنبات والمصفور من الخلق لانه يأكل الحب والصيد ويصطاد النمل الطيار والأرضة
 فيأكلها ويأكل اللحم والدجاج تأكل اللحم والديدان وتحسو الدم وتلقط الحب والغراب
 لا يدع شيئاً الا أكله وما خرج من حد المشترك وهو كنعو الذئب والضبع وكنعجو
 الشاهين والصقر فان هذه وأشباهاها لا تعرف الا اللحم وضروب من الطير لا تعرف
 الا الحب والنبات والمشارك أجمع مما هو غير مشترك والسمكة تأكل الطير والنبات
 وتأكل الحيف التي تصيب في الماء وتصاد بضروب من الحيوان تجمل لها في الشطوط

ثم ينصبون لكل ضرب من الطعام، والجري يأكل الجرذان ويصيدها وهو آكل لها من السنابير والحيات والكلاب السلوية ويأكل الجري جميع جيف الموتى والسمك يأكل السمك ويأكل من كل حب ونبات يسقط في الماء وان استفهم مستفهم أو اعترض معترض فقال وكيف يأكل الجري الجرذان والجرذان أرضية بيوتية والجري مائي ميل له يخبرنا جميع من بيت في السفن وفي المشارع وفي فيض البصرة عندنا ان جرذان الانابير تخرج ارسالا بالليل كأنها نبات عرس والجري قد كان لمن وهو فاتح فاه فاذا دنا الجرذ من الماء فعب فيه التعمه ليس دون ذلك شئ بسحر فم واسع يدخل في مثله الضب الهرم وانما يضع خطمه على الشربة قال أبو عثمان وممالا أكتبه لك من الاجناس العجيبة التي لا يحسر عليها الا كل وقاح أخبار بمض العلماء وبعض من يؤلف الكتب يقرأها ويدارس أهل البصرة ويحفظها زعموا أن الضبع يكون عاما ذكر وعاما أنثى وسمعت هذا من جماعة منهم من لا أستجيز تسميته قال الفضل بن اسحاق أنا رأيت العفص والبلوط في غصن واحد قال ومن العفص ما يكون مثل الاكر وقد خبرني بذلك غيره وهو يشبه تحول الاثني ذكرًا والذكر أنثى وقد ذكرت العرب في أشعارها الضبباع والذئاب والسمع والمسبار وجميع الوحوش والحشرات والاجناس وهم أخبر الخلق بشأن الضبع فكيف تركت ما هو أعجب وأظرف وقد ذكرت العلماء الضبباع في مواضع من الفتيا لم تر أحداً ذكر ذلك وأولئك بأعيانهم هم الذين يزعمون أن النمر تضع في مشيمة واحدة جروا وفي عنقه أفي قد تطوت به واذا لم يأتنا في تحقيق الاخبار شعر شائع أو خبر مستفيض لم نلتفت اليه وقد أقررنا أن للسقنقور ايرين وكذلك الحرذون والضب حين وجدناه ظاهراً على السنة الشعراء وحكاية الاطباء، والخرطوم للفيل هو أنفه ويقوم مقام يده عنقه والخرق الذي هو فيه لا ينفذ وانما هو غل واذا ملاء الفيل من طعام أو ماء أوفى لجه فيه لانه تصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وانما صار ولد البختي من البختية جزور لحم لفصر عنقه ولعجزه عن تناول الماء والمرعى وللبعوضة خرطوم وهو أشبه بالفيل الا أن خرطومها أجوف فاذا طعن به في جوف الانسان والبهيمة فاستقي به الدم من جوفه

قذفت به الي جوفها فهو لها كالبلعوم والحلقوم والمذبابة خرطوم تخرجه اذا ارادت الدم وتدخله اذا رويت فأما من يسمى خطم الخنزير والسكاب والذئب خرطوما فأما ذلك على التشبيه وكذلك يقولون لكل طويل قصير اللحية وقد يقال للخطم خرطوم وأنشد ابن الاعرابي لفتى من بني عامر

ولا أقوم على شيخي فاشتمه * ولا أمر على تلك الخراطيم

جعل سادة عشيرته في النادي كالخراطيم والمقاديم والهوادي وعلى ذلك قالوا بنو فلان رؤسهم وخراطيمهم ومعنى العامري الذي ذهب اليه في شعره كأنه عظم الشيخة أن يمر بهم وقد قال الشاعر

* هم الانف المقدم والسنام *

والفيل والبير والطاوس والبيغا والدجاج السندي والسكر كدن مما خص الله به الهند وقد عد ذلك مطيع بن اياس حين خاطب جارية له تسمى روفة فقال

روق أي روق كيف فيك أقول * صار بينا ورد ورميل ونيل

وبعيد من بينه حينما كا * نوبين الحبيب بين ويسل

ببلادهم - تبيض الطاوود * س وفيها تزوج الزندبيل

وبها البغاء والصقر والعر * دله في ذرى الاياط مقيل

والخوع العرجاء والاييل الاقر * ن والليث في الفياض الشبول

وقال أبو الاصلع الهندي يفخر بالهند وما أخرجت بلادها

لقد يعدني صحبي * وما ذلك بالامثل

وفي مدحتي الهند * وسهم الهند في المقتل

وفيه الساج والعاج * وفيه العود والدغفل

وإن التوتيا فيه * كمثل الجبل الاطول

وفيه الدار صيني * وفيه ينبت الفلفل

والمنشابه عندهم من الحيوان الخنزير والبعوضة والجاموس وقال رؤبة

ليث يدق الاسد الهاموسا * والافهمين الفيل والجاموسا

ولما هجا أبو طروق الضبي امرأته وكان اسمها سمع فيرجل الخنزير خنزيرات فجمعها كما ترى
للتشابه وقال الآخر

كان الذي يبدو لنا من لثامها * جعافل غير أو أشافر فيل
والفيل يوصف ولذلك قال الاعرابي

قد قاذني يا صاحبي المصم * ولم أكن أخدع فيما أعلم
اذ يصفق الناب العريض الاعظم * وأذني الفيل له أو ترجم
وقيل ان الفيل فيل مرجم * وحنفش قد تم منه المخرم
أجرد أعلا الجسم منه الضخم * يجر أرجاء ثقلا تحطم *
ما تحتمها من قرضها مبسم * وحنك حين يمد أفم
ومشفر حين يمد سرطم * يرد في الجوف حتى يعظم
لو كان عندي سبب أو سلم * نجيت نفسي جاهداً لأظلم
(وقال آخر)

من يركب الفيل فهذا الفيل * ان الذي يركبه محمول
على تهويل لها تهويل * كالطود الا أنه يجول
* وأذن كأنها منديل *

وقال عمار بن الوليد يضرب المثل بقوة الفيل

اذا أنا أنام لم يقم لهم * هذا وجاءت بنا منه الاحليل
وعض مجهولنا الافى وحمله * من المظالم ما لا يحمل الفيل

وقال الهذيل يمدح أبا الفيل الأشعري

ان أبا الفيل لا تحصى فضائله * قد عم بالعرف كل المعجم والعرب

ونظر ابن أبي سلمة المدني الى خرطوم الفيل والى غرموله فقال

ولم أر خرطومين في جسم واحد * قد اعتدلا في مشرب ومبال

فقد غلط لان الفيل لا يشرب بخرطومه وليكن به يوصل الماء الى فمه فشبه غرموله
بالخرطوم وغرموله يشبه بالجمعة والمنديل والزرع وقال الخليل في تعظيم شأن الفيل

أتهزأ مني أم عزة ان رأيت * نهاراً وليلاً أبلباني فأسرعا
فان أك لاقيت الدهاريس منهما * فقد أبلبا النيمان قبلي وتبعا
ولا يلبث الدهر المفرق بينه * على الفيل حتى يستدير فيسرعا
وقال مروان بن محمد وهو أبو الشمقمق حدثني صديق لي قال سألت أبا الشمقمق
عن اسمه وكنيته فقال أنا مروان بن محمد مولى مروان بن محمد

يا قوم اني رأيت الفيل بمدكم * فبارك الله لي في رؤية الفيل
لما بصرت باير الفيل أذهاني * عن الحخير وعن تلك الاباطيل

وقال الاصمعي جني قوم من أهل ليمامة فأرسل اليهم السلطان جندا من غازية ابن
زيد فقام رجل من أهل البادية من أصحابه فقال يامعشر العرب ويا بني المحصنات
قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم والله انن ظهر هؤلاء القوم عليكم لا يدعون فيها لبننة
حراء ولا كلة خضراء الا وضعوها بالارض ولا أغركم من شباب معهم في جعاب
كأنه أبور الفيلة ينزعون في قسي كأنها الفيل تثط احداهن أطيط الزربوق يمط
أحدهم فيها حتى يمرق شعر إبطيه ثم يرسل نشابة كأنها رشاً منقطع فما بين أحدكم
وبين أن تنضح عينه أو يصدع قلبه منزلة قال نخاع قلوبهم فطاروا رعباً، قالوا الفيلة
ضربان فيل وزنديل وقد اختلفوا في أشعارهم وأخبارهم فبعضهم يقول كالبحث
والعراب والجواميس والبقر والبراذين والخيل والفأر والجرذان والذر والنمل وبمضهم
يقول انما ذهبوا الى الذكر والاني قال خالد القناس في قصيدته تلك المزاوجة التي
ذكر فيها الضبة فاطنب فيها فقال حين صار الى ذكر الفيل

ذاك الذي مشفره طويل * وهو من الافيال زنديل

فذهب الى الفطس وقال الآخر

* من بين فيلان وزنديل *

بجمل الزنديل هو الذكر وقال أبو يقطان سعيد بن حفص ان الزنديل هو الانثى
فلم يقفوا من ذلك على شيء وبمض الناس يقسم الجن على قسمين فيكون جن وحن
وبجمل التي بالحاء أضعفها وأما الراجز فقال

أبيت أهوى في شياطين ترن * مختلف نجواهم جن وحن
 ففرق هذا بين الجنسين وسمع بمض الجهال قول الحسن ذهب الناس وبقيت في
 النسناس فجعل النسناس جنساً على حدة وسمع آخرون أجهل من هؤلاء، قول الكميت
 نسناسهم والنسانسا فزعموا أنهم ثلاثة أجناس ناس ونسناس ونسانس هذا سوى
 القول في أشق وواق والزوال في أولاد العراق وفي أولاد السعالي من الناس وفي
 غير ذلك مما ذكرناه في موضعه من ذكر الجن والانس وقد علم أهل العقل ان
 النسناس وقع على السفلة والاوغاد والنوغاء كما سموا الجراد اذا أتى البيض وسخف
 وخف وطار، قال واذا اغتلم الفيل قتل الفيلة والفيالين وكل من لقيه من سائر الناس
 ولم يقم له شيء حتى لا يكون لسواسه هم الا الحرب والا الاحتيال لانفسهم وتزعم
 الفرس ان فيلانا من فيلة كسرى اغتلم فأقبل نحو الناس فلم يقم له شيء حتى دنا من
 مجلس كسرى فانسع عنه جنده وأسلمته صنائمه وقصد الى كسرى ولم يبق معه الا
 رجل واحد من فرسانهم كان أخصمهم به حالا وأرفقهم مكانا فلما قرب من الملك شد
 عليه بطبر زين كان في يده فضرب به جبهته ضربة غاب لها جميع الحديد في جبهته
 فصدف عنه وارتدع وأبى كسرى أن يزول من مكانه فلما أبقن بالسلامة قال لذلك
 الرجل ما أنا مما وهب الله لي من الحياة على يدك بأشد سرورا مني بما رأيت من هذا
 الجلد والوفاء والظفر في رجل من صنائعنا وحين لم تحطى فراستي ولم يفل رأيت فهل
 رأيت أحدا قط أشد منك قال نعم قال حدثني عنه قال على أن تؤمنني فأمنه حدث
 عن بهرام سويين بحديث شق على الملك وكرهه اذ كان عدوه على تلك الصفة، قال
 اذا اغتلم الفيل وصال وغضب وخط خلاه الفيالون والرواض فربما عاد وحشياً والفيلة
 من الاجناس التي يكون فيها الاهلي والوحشي كالسنانير والظباء والحير وما أشبه
 ذلك وأنشد الكرمانى الشاعر لمومان قوله

فكنت في طلي من عنده كرما * كراكب الفيل وحشياً ومفتلاً

وهذه القصيدة التي يقول فيها

قد كنت صمدت عن يبور مغتربا * حتى لقيت بها حلف الندى حكما

فرم كان ضياء الشمس سنته هـ لو ناطق الشمس ألفت نحوه الكما
وتقول الفرس أعطى كسرى ابرويز ثمان عشرة خصلة لم يعطها ملك مضى ولا يعطاها
أحد أبداً من ذلك اجتمع له تسعمائة وخمسون فيلا وهذا شيء لم يجتمع عند ملك قط
ومن ذلك أنه أنزى الذكورة على الاناث وان فيلة منها وضعت عنده وهي لا تنتاج
بالعراق فكانت أول فيلة بالعراق وآخر فيلة تضع قالوا واقي رسم الاذني المسلمين يوم
القادسية ومعه عشرون ومائة فيل من بقايا فيلة كسرى ابرويز قالوا ومن خصاله أن
الناس لم يروا قط أمد قامة ولا أتم ألواح ولا أبرع جمالا منه فلما مات فرسه السيد
كان لا يحمله الا فيل من قبيلته وكان يجمع وطاء ظهر الفيل وثبات قوائمه ولين مشيته
وبهد خطوه وكان الطفها لدنا وأعد لها خيما قالوا ولم يجتمع لاحد من ملوك الاسلام
من القبيلة ما اجتمع عند أمير المؤمنين المنصور اجتمع عنده اربعون فيلا منها عشرون
خفا قالوا والفيل أشرف مراكب الملوك وأكثرها تصرفا لذلك سأل وهرز الاسوار
عن صاحب الحبشة حين صافهم في الحرب فقيل له ها هو ذك على الفيل فقال لأرميه
ثم سأل عنه فقيل له قد نزل عنه وركب الفرس قال لأرميه وهو على مركب الحمأة
قيل قد نزل عنه وركب الحمار قال قد نزل عن مركبه لحمار فدعا بمصابة رفع بها حاجبيه
وكان قد أسن حتى سقطت حاجباه على عينيه ثم رماه فقتله وكان سهل بن هارون
يتعجب من نظر الفيل الى الانسان والى كل ما يمر به وهو الذي يقول

ولما رأيت الفيل ينظر قاصداً * ظننت بان الفيل يازمه الفرض

قال أبو عثمان وقد رأيت أنا في عين الفيل من صحة الفهم والتأمل اذا نظر بها وشبهت
نظره الى الانسان بنظر ملك عظيم الكبر راجح الحلم واذا أردت أن ترى من الفيل
ما يضحك وتراه في أسخف حالاته فألق اليه جوزة فانه يأخذها بطرف خرطومه
فاذا دنا منها تنفس فاذا تنفس طارت الجوزة من بين يديه ثم يدنو ثانية ليأخذها
فيتنفس أخرى فتبعد فلا يزال ذلك دأبه قال ونفضل الفيل الفرس في الحرب أن الفيل
يحمي الجماعة كلهم ويقا تل ويرمى ويزج بالمذاريق وليس له من الهول ما للفرس
وهو أحسن مطاوعة ولا يعرف بجراح ولا طامح ولا حيران والخيل العتاق ربما قتلت

الفرسان بالحران مرة وبالأقدام مرة وبسوء الطاعة وشدة الجزع وربما شب الفرس بفارسه حتى يانيه بين الحوافر والسيوف لسهم يصيبه ولحجر يقع به وما يشبه ظهر الفرس من ظهره وظهر الفيل فنظرة من القناطر ومساحة من المساح وفي الفيلة عجب آخر وذلك ان قصر الاعمار مقرون بالابل والبراذين وبكل خاق عظيم وبكل شئ يعايش الناس في دورهم ومراهم ومنازلهم فالناس أطول أعماراً منها كالجل والفرس والبرذون والبغل والحمار والثور والشاة والكلب والدجاج وكل صغير وكبير الا الفيل فانه أطول عمراً والفيل أعظم من جميع الحيوان جسماً وأكثرأ كلاً وهو يعايش المائتين سنة والمائتين سنة وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان أنه قد ظهر فيل عاش أربعاً مائة سنة فالفيل في هذا الوجه يشارك الضباب والحيات والنسور واذا كان كذلك فهو فوق الورشان وغير المائة وهو من المعمرين وفوق المعمرين وهو مع ذلك أطول الحيوان بدنأ وأطولها عمراً، وقال بعض من يستفهم ويحب العلم ما بال الاسد اذا رأى الفيل علم أنه طعام له واذا رأى النمر والبير لم يكونا عنده كذلك وكيف وهو أعظم وأضخم وأشنع وأهول فان كان الاسد انما اجترأ عليه لانه لحم ودم واللحم طعامه والدم شرابه فالبير والنمر من لحم ودم وهما أقل من هؤلاء واثماً جسماً قال القوم ومتى قدر الاسد في الفيل انه اذا قاتله غلبه واذا قتله أكله وقد نجد البير فوق الاسد وهو لا يعرض له والاسد فوق السكاب وهو يشتهي لحمه ولحم القنفذ بأكثر مما يشتهي لحم الضبع والذئب وليست تحله الهوائية التي ذهبت اليها فاما علم جميع الحيوان بالمواضع التي تعيشها فن علم البعوضة ان بين ظاهر جلد الجاموس دماً وأن ذلك الدم غذاء لها وانها متى طغت في ذلك الجلد الغليظ الشثن الشديد الصلب ان خرطومها ينفذ فيه من غير معاناة ولو أن رجلاً مناطن جلده بشوكة لا تكسرت الشوكة قبل ان تصل الى موضع الدم وهذا باب يدرك بالحس وبالطبع وبالشبهه وبالخلقة والذي سخر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس هو الذي سخر الصخره لذئب الجرادة وهو الذي سخر ثقم النحاس لآبرة المعرب وقال بعض الحكماء ولو كانت الفيلة لا تتلافح عندنا بالعراق لانها هندية لتغير الهواء والارض فمقر ذلك ارحامها وأعقم اصلها لكان يابني للطاووس ان لا يتزاج عندنا

وان لا يبيض ولا يفرخ ونحن قد نصيد البلابل والدنابي والوراشيين والفواخت
والقمارى والدراج فلا تتساند عندنا فى البيوت وهى من أطيار بسايتنا وضياعنا ولا
تتلايح إذا اصطدناها بل لا تصوت ولا تفنى ولا تنوح وتبقى عندنا وحشية كعدة
ماعاشت فان أخذناها فراخا زوجت وعششت وباضت وفرخت فلما لكم أن تكونوا
لو أهديتم اليها أولادها صفاراً فنشأت عندنا وذهب عنها وحشة أنس الأهل فان
الوحشة هى التى كدتها ونقصت قوتها وأفتت شهوتها وقد نجد الشفنين الذكر تهلك
أنثاه فلا يزوج غيرها أبداً فى بلادها كان ذلك أو فى غير بلادها ونحن لو جئنا
بالاسد والذئب والنمور والبيور فأقامت عندنا الدهر الطويل لم تتلايح وقد أصاب
اعرابى جرودئب فرباه ورجا حراسته وان يألفه فيكون خيراً من الكلاب فلما قوى
وثب على شاة له فأكلها فقال الاعرابى

أكلت شويتى وربيت عندى * فن أنبأك أن أبأك ذيب

وقد تسافد عندنا وقد تلاخت عند بعض الملوك وكان جعفر بن سليمان أحضر على
مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد البان الطباء وزبدها وسلاها ولباها فاستطاب الرشيد
جميع طعومها فسأل عن ذلك وغمز جعفر بعض الفلمان فأطلق عن الطباء ومعهما
خشفانها وعليها سملها حتى مرت فى عرصة تجاه عين الرشيد فلما رآها على تلك الحال
وهى مفرطة مخصبة استخفه الطرب حتى قال ما هذه الالبان وما هذه السمندان واللبا
والرائب والزبد الذى بين أيدينا قال من حلب هذه الطباء اقتنيت وهى خشفان
فتسافدت وتلاخت ولو أطلقوا الذئب والاسد فى مروج العراق وأقاموا لها حاجتها
لتسافدت وتلاخت فلما لم لو تقدموا فى اصطناع أولاد الفيلة واقتنأها صفاراً لم تلبث
حتى تسافد وتلايح وقد زعمتم أن كسرى أبروز استنتج دغفلا واحداً قال الهندى
تسكفينا هذه الحجة وهى بيننا وبينكم أو ليس قد جهد فى ذلك جميع الملوك من جميع
الأمم فى قديم الدهر فلم يستنتجوا الا واحداً واعلم ان هذه الاحاديث من أحاديث
الفرس وهم أصحاب نفخ وتزيد ولا سيما فى كل شيء مما فى باب العصبية ويزيد فى
الدار الا كاهرة وان كانوا كذلك فهم أطباء وأئمتهم لا شهادة لهم ولكن هل رأيتم

فقط هندياً أفر بذلك أم هل أفر بقايا الامم للفرس بهذا الاسم للفيل المعروف بهذا الاسم ويقال رجل فيل اذا كان في رأيه فيالة والفيالة الخطأ والفساد وهم يسعون الرجل بفيل منهم فيل مولى زياد ويكون بأبي الفيل منهم أبو الفيل الاشعري الذي امتدحه أبو دهب و قال الراجز غيلان يقال له راكب الفيل ومنهم عنبة الفيل وكذلك يقال لابنه معدان وله حديث وقال الفرزدق

لقد كان في معدان والفيل زاجر * لعنبة الراوي على القصائد

وقال الاصمعي اذا كان الرجل نبيلاً جباناً قيل هذا فيل وأنشد

يقولون للفيل الجبان كأنه * أذب خصي نفرته القمائع

وقال سلمة بن عباس قال لي رؤبة ما كنت أري في رأيك فيالة ويقول الرجل لصاحبه لم يفيل رأيك وهو رأى فائل ورجل فيل وبالكوفة باب الفيل ودار الفيل في الساحة وكذلك حمام فيل وفي حمام فيل يقول بعض السلف

لعمر أريك ما حمام كسرى * على البانين من حمام فيل

ولم أرقاض يا حلف الموالى * كنسبتنا على عهد الرسول

وأبو الفيل محمد بن ابراهيم الرافعي كان فارس أهل العراق وفيلوية السطلي هو الذي كان يجري لأمه كل أضحى درهما خدثتي امرأة قالت مات لام فيلوية أو ما كان يجري فيلوية في كل أضحى الا درهما قالت أي والله وربما أدخل أضحى في أضحى وقال بعض من يخالف الهند الفيل لا ينفع بالحمه ولا بلبنه ولا بسمنه ولا بزبده ولا بشمره ولا بوبره ولا بصوفه عظيم الموثنة في المنفعة شديد السرف على الرياض ان اغتلم لم تف جميع منافعه في دهره بمضرة ساعة واحدة وهو مرتفع في الثمن وان أخطاوا في تدبير مطعمه ومشربه وتعلمه وتلقنه هلك سريعاً ولا يتصرف كتصرف الدواب ولا يركب في الحوائج في الاسواق والجنائز والزيارات ولو أن انساناً عاد مريضاً أو انبع جنازة على فيل لصار شهرة وترك الميت آية وسئل ابن سيرين عن رجل رأى فيما يرى النائم كأنه راكب علي فيل فقال له أمر جسم لا منفعة فيه قالوا وقال رجل للحجاج رأيت في المنام رجلاً من عمالك قدم فيلا فضرب عنقه فقال ان صدقت

رؤياك هلك زاهر بن بصبري وسئل الشعبي عن أكل لحم الفيل فقال ليس هو من بهيمة الانعام وخرطومه الذي هو سلاحه والذي به يبطش وبه يعيش من مقاتله وقال زهرة بن حيوة يوم القادسية اما لهذه الدابة مقتلا قالوا بلى خرطومه فشد عليهم حتى خالطهم ودنا من الفيل فحمل كل واحد منهما على صاحبه فضرب خرطومه فبرك وأدبر القوم قال والنيل أقدم صـ غير العنق مقلوب اللسان مشوه الخلق فاحش القبح ولم يصاح ذو أربع قط فصير العنق في طاب ولا هرب ولو أن سلاح الثور يجول في اهابه ولو لا سمته ما خطا مع قصر عنقه ولذلك قال اعرابي^(١) قال الشاعر في عيب الثور وهو اسحاق بن حبان الجري

وأغاب فضفاض جلد اللبان * يدافع غيبه بالوظيف

وليس يؤتى العير في ظهره مع طول عنقه الا من ضيق جلده والفيل ضئيل الصوت وذلك من أشد عيوبه والنيل اذا بلغ في الغلظة أشد المبالغة أشبه الجمل في ترك الماء والملف حتى تنضم أبطاله وترم رأسه وقد وصف الراجز الجمل الهائج فقال

صام كان رأسه فيه ودم * اذ ضم ابطاله هياج ففطم

* وآض بدم البدن ذا لحم ودم *

ولو لم يكن في الفيلة عيب الا أن عدد أيام عمرهم كعمر بعض البهائم لكان ذلك عيبا ولو ترك أهل المدينة غراس العجوة لما كانت تطعم الا بدم أربعين سنة قال وليس شيء يحمل من عدد الارطال ما يحمل الفيل لان الذي يفضل بين حمل الفيل وحمل البختي أكثر من قدر ما يفضل بين جسم الفيل على جسم البختي وقد قال الاعرابي الذي دخل على كسري ليعجب من جفائه وجهرله حين قال له أي شيء أبعد صوتا قال الجمل قال فأى شيء أطيب لهما قال الجمل قال كسري كيف يكون الجمل أبعد صوتا ونحن نسمع صوت الكركي من كذا وكذا ميلا قال الاعرابي ضع الكركي في مكان الجمل وضع الجمل في مكان الكركي حتى تعلم أيهما أبعد صوتا قال وكيف يكون لحم الجمل أطيب من لحم البطل والذجاج والفراخ والدراج والنواهض والجوازل قال

الاعرابي يطبخ لحم الدجاج بماء ومامح ويطبخ لحم الجمل بماء ومامح حتى تعرف فضل ما بين اللحمين قال كسرى فكيف تزعم أن الجمل أحمل للثقل من النبل والفيل يحمل كذا وكذا رطلا قال الاعرابي ليبرك الفيل وبيرك الجمل ويعمل النبل حمل الجمل فان نهض به فهو أحمل الأثقال ، قال القوم ليس في استطاعة الجمل النهوض بالأحمال ما يوجب لها فضيلة بالنهوض بعد النزول فأما نفس الفيل فالذي بينهما أكثر من أن يقع بينهما الخيار قالوا وبفارس ثيران تحمل حمل الجمل باركة ثم ناهضة فهذا باب الدم فقد حدثنا عن شريك عن جابر الجعفي قال رأيت الشعبي خارجاً فقلت له أين تريد قال أنظر الى الفيل قال وسألت أبا عبيدة فقلت ما لون الفيل قال جون ومن أعاجيب الفيل سوطه الذي به يحث ويضرب بمحجن حديد طرفه في جهته والطرف الآخر في يدا كبه فاذا أراد منه شيئاً غمز تلك الحديد في لحمه على قدر ارادته لوجوه التصرف وقد ذكر أبو القيس بن الاسات في الجاهلية وهذا الشعر حجة في صرف الله الفيل والطير الابابل وصد أبي يكسوم عن البيت وسند كرفي ذلك طرفان شاء الله تعالى قال أبو قيس

ومن صنعه يوم فيل الجبو * شاذ كل ما بعثوه وزم
مجانهم تحت اقرباه * وقد كلوا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه معولا * اذا يممه ففاه كلم
فأرسل من ربهم حاصب * يلثمهم مثل لف القمر
قال أيضاً صبي بن عامر وهو أبو قيس بن الاسات وهو رجل من أهل يثرب وايس بمكي تهامي ولا قرشي ولا حليف قرشي وهو جاهلي

قوموا فصلوا ربكم وتموذوا * بأركان هذا البيت بين الاخشاب
فغندكم منه بلاء مصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتاب
فلمأ أجازوا بطن نعمان ردهم * جنود الاله بين ساف وحاصب
فولوا سرا نادمين ولم يؤوب * الى أهله ملجيش غير عصاب
وبدل غلي صحة هذا الخبر قول طنبيل الغنوي وهو جاهلي وهذه الاشعار صحبة

معروفة لا يرتاب فيها أحد من الرواة وإنما ذكر ذلك طفيل لأن تحتها كانت تنزل
تهامة فأخرجتها كنانة فيمن أخرجت فهو موله

ترعى مذالف وسنى أطاع له * بالجزع حيث عصي أصحابه الفيل
قال أبو الصلت واسمه ربيعة وهو أبو أمية بن أبي الصلت وهو ثقيفي طائفي وهو جاهلي
وثقيف يومئذ اصداد بالبلدة وبالمدال وبالحدائق وبالجمان وله اللات والغناب وبنت له
سدنة يضاهاون بذلك قريشاً فقال هذه الاشياء التي توجب الحسد والمنافسة

ان آيات ربنا بينات * ما يماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
واضعا خلفه الحوار كما في * طر صخر من كبكب محذور

وقال بعضهم لا برهة الا شرم

أين المنر والاله الطائب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال عبد المطاب وهو على حراء

لاهم ان المرء ي * نعم رحاله فامنع رحالك
لا يفد بن صليهم * ومحا لهم ابدا محالك
ان كنت تاركهم وقب * لمتنا فأمر ما بدالك

وقال نفيل بن حبيب الخثعمي وهو جاهلي شهد الفيل ومنع الله عز وجل في ذلك
اليوم

الاردي جمالك يارديننا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تربه * الى جنب المحصب مارأينا
أكل الناس يسأل عن نفيل * كان على للجيشان ديننا
حمدت الله ان عاينت طيراً * وحصب حجارة تلقى علينا

وقال المغيرة بن عبد الله الخزومي

أنت حبست الفيل بالمغمس * حبسته كأنه مكر دس

* تحبس تزهب فيه الانفس *

قال الله تبارك وتعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة وأنزل هذه السورة وقرئ يومئذ مجلية في الرد على النبي صلى الله عليه وسلم وما شئ أحب اليهم من أن يروا له سقطه أو عثرة أو كذبة وبمض ما يتعلق به مثامهم فلمولا انه كان أذكركم أمرا لا يتدافعون ولا يستطيع العدو انكاره والذي يري من اطباق الجميع عليه لوجدوا أكثر المقال فهذا باب يكثر الكلام فيه وقد أتينا عليه في كتاب الحجة قال أبو عثمان خرجت يوم عيد فلما صرت بفساذ واذا فيل مجال بمقطوع ومقطعات واذا برجال جلوس عليهم الاسلحة فسألت بعض من شهد العيد فقلت ما بال هذه المساحة في هذا المكان وقد اختلط الناس بذلك النمل فقال هذا الفيل فقصدت نحوه ومالي هم الا انظر الى أذنيه وما كانت لي في ذلك علة الاشغل فابي بكل شئ هجمت عليه منه وكله كان شاغلا عن أذنه التي اليها كان قصدي فذا كرت في ذلك سهل بن هارون فذكر لي انه ابتلى بمثلها وأنشد في ذلك بيتين من شعره وهما قوله

أتيت الفيل بحسبا بقصدي * لا بصراذنه وبطول فكري

فلم أر أذنه ورأيت خلقا * يقرب بين نسياني وذكري

قال وقال رجل مرة أخزى الله الفيل فقال بكر بن عبد الله لا تشتم شيئا جملة الله آية في الجاهلية وإرهاص النبوة وقال سعدان الاعمى النحوي قلت للاصمى أى شئ رأيت أعجب قال الفيل وقيل لابي الفيل أى أمور الدنيا أعجب فقال النهم وقيل لابراهيم النظام أى أمور الدنيا أعجب فقال الروح وقيل لابي عقيل بن درست أى أمور الدنيا أعجب فقال النوم واليقظة وقيل لابي شمراى أى أمور الدنيا أعجب فقال النسيان والذكر وقيل لسالم الخلال أى أمور الدنيا أعجب فقال البار وقيل لبطليموس أى أمور الدنيا أعجب فقال بطن الفلك وقال مرة أخري الضياء وقيل لابي عمرو بن فايل الاسوارى أى شئ أعجب قال الآجال والارزاق وكان ابراهيم بن سيار النظام شديد التعجب في الفيل وكان سعيد بن عمرو يقول إن السرطان والنعامة أكثر عجائب من الفيل وهذا تفسير أبو عقيل السواق عن مقاتل بن سليمان قال قال موسى للخضر أى الدواب أحب اليك وأيها أبعض قال أحب الفرس والحمار والبمير لانها مراكب

الانبياء، وأبغض الجماموس والثور، أما البعير فركب هود وصالح وشعيب والنبيين عليهم السلام، وأما الفرس فركب أولى العزم من الرسل وكل من أمره الله بحمل السلاح وقتال الكفار، وأما الحمار فركب عيسى بن مريم وعزير وبانم وكيف لا أحب شيئاً أحياءه الله بعد موته قبل الحشر، قال ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى مسلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال قعدة نبي وبذلة جبار، وأبغض الفيل لأنه أبو الخنازير، وأبغض الثور لأنه يشبه الجماموس، وأبغض الجماموس لأنه يشبه الفيل، وأنشدني هذا المعنى جعفر بن أخت وأصل في منزل الفضل بن عاصم الناجوري

ما أبغض الخضر فيلا منذ كان ولا * أحب غيرا وذاكم غاية الكذب
والفيل أقبل شيء لو تلقته * حاجات نفسك من جد ومن لب
ولو تتزوج منها واحد رأي * رأي الملوك ولو أوفى على الركب
يفضي ويركع تمظيما لهيبته * وليس يعدله النسوان في الطرب

قال أنشدنيها يونس بن رباح سان وهو يمدح الفيل كما تري بالطرب والحكاية وأنه قد أدب وعلم السجود للملوك وزعموا أن أول شيء يؤذونه بالسجود للملك الفيل قالوا خرج كسري ابرويز ذات يوم لبعض الاعياد وقد وضعوا له ألف فيل وقد أهدق بها ثلاثون ألف فارس فلما بصرت به الفيلة سجدت له فما رفعت رأسها حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون وقد شهد ذلك المشهد جميع أصناف الدواب والخيل فادونها وليس فيها شيء يفصل بين الملك والرعية فلما رأى ذلك كسري قال ليت أن الفيل كان فارسيا ولم يكن هنديا انظروا إليها وإلى سائر الدواب وفضلوها بقدر ماترون من فهمها وأدبها، وأما ما ذكرته الزنج من طول الخطب فكذلك هم في بلادهم وعند نوابهم وليكن معانيهم لا ترتفع عن اقدار الدواب إلا ما لا يذكر وأنشدنا في تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجودة تحديقته وتأمله وسكون طرفه

إذا مارأيت الفيل ينظر قاصدا * ظننت بأن الفيل يلزمه الغرض

وقال عبد الإلهي في المثل أن النون قال للضب حين رأي انسانا في الارض اني قد

رأيت عجيبا قال وما هو قال رأيت خلقا يمشى على رجليه ويتناول الطعام بيديه الى فيه قال ان كان ماتقول حقا فانه سيخرجني من قعر البحر وينزلك من وكرك من الجبل والفيل أعجب منه لان يده فيه وأيدي البهائم والسباع على ذلك عاملة شيئا والقرديا كل بيديه ويتقى الجوز ويفلي ثيابه وليس شيء يكرع بأنفه ويوصل الطعام الى فيه بأنفه غير الفيل والذب الاثنى تقيم اولادها تحت شجرة الجوز ثم تصعد الشجرة فتجمع الجوز في كفها ثم تضرب باليمين على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمى به الى اولادها فلا تزال كذلك حتى اذا شب من نزلت وربما قطع الذب من الشجرة الفصن الضخم الذي لا يقطعه صاحب الفاس الا بالجهد ثم يشد به على الفارس قابضا عليها في موضع بعض الدماء فلا يصيب شيئا الا هتسكه ، قال صاحب المنطق ليس شيء من ذوات الاربع الا وتصرف يديه في الجهات أقل من تصرف يدي الفيل نوصل هذا الموضوع بالباب الذي فيه ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قال ومثل قوله ألم تر كيف فعل ربك بما داد وقوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل وقوله واتقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وهذا كله ليس من رؤية العين وباب آخر من هذا وهو قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ويقول الرجل رأيت الله كيف يقول كذا وكذا وفلان يرى السيف وفلان يرى رأى أبي حنيفة وقد رأيت عقله حسنا وقال ابن مقبل

سل الدار من حي جبير براهب * بحيث ترى هضب القلب المصباح

واذا قابل الجبل الجبل فهو يراه اذا قام منه مقام الناظر الذي ينظر اليه وتقول العرب دار فلان تناظر وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل وكيف ذلك قال لا تنرامي ناراهما ويقولون اذا استقبلت لقاء وجهك فنظر اليك الجبل فخذ عن يمينك وقال أبو عثمان ويوصف جلد الفيل والجاموس بالقوة قال جميل

اذا ما علت نشزا تمتد زمامها * كما امتد جلد الاصاف المترق

وما يبني منى العداة تماقدوا * ومن جلد جاموس سمين مطرق

وأبيض من ماء الحديد مهند * له بعد اخلاص ضريبة رونق

وقال كعب بن زهير في اعتذاره الى النبي صلى الله عليه وسلم
 لقد أقوم مقاما ما يقوم به * أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
 لظل يرعد الا أن يكون له * من الرسول بأمر الله تنويل
 وذكر أمية بن أبي الصلت سفينة نوح فقال
 تصرخ الطير والبرية فيها * مع قوى السباع والافياء
 وقال أمية أيضاً

خلق النحل معصرات تراها * تعصف الياسات والمحظورا
 والنماسيح والرتائل والاي * لشتي والريم والمصفورا
 وصواراً من النواشط عينا * وزماما ضواحيا وحميرا
 وأسودا - واريا وفيولا * وسباعا والنمل والخنزيرا

وتزعم الهند ان بهيمة الفيل في بعض الزمان يهرق عرقا غليظا غير سائل يكون أطيب
 رائحة من المسك وهذا شئ يعتبره كل عام وموضع ذلك الينبوع في جبهته والناس
 يجدون ریح المسك في بيوتهم في بعض الاحياء وهي ریح فارة يقال لها فارة المسك
 وايس به وهو بالخشف حين ترضه الظبية أشبه وتقول العرب في فارة الابل صادرة
 ان أرج ذلك العرق أطيب من المسك الاذفر في ذلك الزمان وفي ذلك الوقت من
 الليل والنهار قال الراعي

لها فارة ذفراء كل عشية * كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

قال الاصمعي قلت لابن مهدي كيف تقول لاطيب الا المسك والبان وأدهان يحجر
 قال فأين أنتم عن فارة الابل صادرة قالوا وربما وجد الناس في بيوتهم الجرذ يضرب
 الى السواد يجدون من بدنه اذا عدا الى حجره رائحة تشبه رائحة المسك وبعض الناس
 يزعم أن هذا الجنس هو الذي يجذب الدناير والدرهم والحلي كما يصنع العمق والغراب
 وهذا الجرذ غير فارة المسك التي تكون بخراسان وتلك بالخشف الصفيير أشبه وانما
 يأخذون سرته وهي ملاثة من دم عبيط قالوا وقد جمل الله الفيل من أكبر الآيات
 وأعظم البرهانات للبيت الحرام ولقبلة الاسلام وتأسيسا لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم

وتعظيماً لشأنه وما أجرى من ذلك على يدي جده عبد المطلب حين غدت الحبشة لتهدم البيت الحرام وتذل العرب فلم يذكر الله منهم ملكاً ولا سوقة باسم ولا نسب ولا نعت وذكر الفيل باسمه المعروف وأضاف إليه السورة التي ذكره فيها وجعل فيها من الآيات أنهم إذا قصدوا به نحو البيت تماصي وبرك وإذا خلوه وشانه صد عنه وصدف وفي أضاف ذلك التعم أذنه نفيل بن حبيب وقال أبرك جمهور وكان ذلك اسمه وقد طمن في ذلك ناس فقالوا قد يستقيم أن ينصرف عنه وبمجرد دونه كل ذلك بتصريف الله له وكيف يجوز أن يفهم كلام العرب ويعرف معنى قول نفيل قلت يفهم الفيل عن الفيل جميع الأدب والتعويوم وجميع ما يراد منه عند الحط والرحيل والمقام والمسير قلنا قد يفهم بالهندية كما يعرف الكلب اسمه ويعرف قولهم أخساً وقد يعرف السور اسمه ويعرف الدعاء والزجر وكذلك الطفل والمجنون وكذلك الحمار والفرس إذا كن قد عودن تلك الإشارة وسماع تلك الالفاظ فأما الفيل وهو هندي جاء به إلى تلك البلدة حبشي نخرج من عجمة إلى عجمة كيف يفهم مع ذلك كلام العرب وسرار نفيل بن حبيب بالعربية قلنا قد يستقيم أن يكون قال له كلاماً بالهندية كان قد أعود سماءه من الفيالين فيكون ترجمته بالعربية هذا الكلام الذي حكوه وقد يكون الذي أنطق الذئب لأهبان بن أوس وجعل عود الهيثم يجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصور لوهم الفيل إرادة نفيل بن حبيب وقد يستقيم مع لقن الفيل وذكره وحكاياته ومؤانته أن يعرف ذلك كله وأكثر منه أطول مقامه في أرض الحبشة واليمن وليس بعد أن يكون بأرض الحبشة جماعة كثيرة من العرب من وافد وباغ وتاجر وغير ذلك من الأصناف فيسمع ذلك منهم الفيل وليس هذا المقدار بمستنكر من الفيل مع الذي قد أجمعوا عليه من فهم الفيل ومعرفة وكان منكه الطبيب الهندي صحيح الإسلام وكان إسلامه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبت قالوا فسمع مرة رجلاً يقرأ أفلاً ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وسمع بعض الجهال يقول فكيف لو رأى الفيل فمدله قوم فقال منكه لا تمدلوه فإنه لا شك أن خاق الفيل أعجب قيل له كيف لم يضرب تعالى به الله المثل دون البعير فقال إنما خاطب العرب وهم الحجة على جميع اللغات ثم

تصير المخاطبة لجميع الامم بعد الترجمة على السنة هؤلاء العرب الذين بهم بدأت المخاطبة
لجميع الامم وكيف يجوز أن يعجب جماعة الامم من شيء لم يروه قط ولا كان على ظهرها
يوم نزلت هذه السورة رجل واحد قد شهد الفيل من الحبشة وعلى أن الفيل وافى
مكة وما بها أحد الا عبد المطاب في نفر من بقية الناس ولا كانوا حيث يتأملون
وقال ناس كان الناس كرجلين رجل قد سمع بهذا الخبر من رجالات قريش الذين
يحقرون أنفسهم بذلك التعظيم كما كانت السدنة تكذب الاوثان والاصنام لتعقر بذلك
التابع ورجل لم يكن عنده علم بأن هذا الخبر باطل ولم يتقدم على انكار ذلك الخبر وجميع
قريش تثبته قيل لهم ان مكة لم تزل وان خزاعة وبقايا جرهم بها وقد كان بينهم ما كان
حتى انتزعوا البيت بينهم وقد كان بين ثقيف وقريش لقرب الدار والمصاهرة والمشابهة
والثروة والمشاكلة في التجارة تحاسد وتصاب وقد كان بينهم هنالك أموال والخلفاء
والسكان والنازلة ومن يحج في كل عام وكان البيت مزوراً على وجه الدهر يأتونه
رجالا وركبانا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وبشق الانفس كما قال الله تعالى
فاجعل أئمة من الناس تهوى اليهم وكان بقرب سوق عكاظ وذوي الحجاز وهما سوقان
معروفان وما زالتا قائمتين حتى جاء الاسلام فلا يجوز أن يكون السالب والمسالوب والمفتخر
عليه والمحسود والمنتدين به والمنكر له مع اختلاف الطبائع وكثرة العلل يجمعون كلهم على
قبول هذه وتصديق هذه السورة وهم مطبقون على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
والكفر به والمحلون من العرب ممن كان لا يرى للحرم ولا للشهر الحرام حرمة طيها
كلها وختم كلها وكثير من أحياء قضاة وبشكر والحارث بن كعب هؤلاء كلهم
أعداء الدين والنسب هذا الى ما كان في العرب والنصارى والذين يخالفون دين مشركي
العرب كل الخلف كعتاب وشيبان وعبد القيس وقضاة وغسان وسليم والهباء
وتنوخ وعاملة ولخم وجزام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خطاء وأعداء يغارون
ويسبون ويسبى منهم وفيهم الشرور والاثار والطوائل وهم العرب وأسنتها الهداه
وأشمارها التي هي مياهم هما البيدة وطابها للطوائل وذمها لكل دقيق وجليل من
الحسن والقبيح في الاشعار والارجاز والزدوج والمشرر فما سمعنا من جميع هؤلاء الذين

عدونا أحداً أنكر شأن الفيل أو عرف فيه بحرف واحد ورزين الـ روضي وهو أبو وهب لم أر قط أطيّب منه احتجاجاً ولا أطيّب عبارة قال في شعر له يهجو ولد عتبة بن جعفر فكان في احتجاجه عليهم وتمريفه لهم أن قال

تهم علينا بأن الذئب كلمكم * فقد امرى أبوكم كلم الذئبا
فكيف لو كلم الليث المصور اذا * تركتم الناس ما كولا ومشروبا
هذا السندي لأصل ولا طرف * يكلم الفيل تصميذا وتصويبا

ولو كان ولد أهبان بن أوس ادعوا أن أباهم كلم الذئب كانوا مجانين وإنما ادعوا أن الذئب كلم أباهم وأنه ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه صدقه والفيل ليس يكلم السندي ولم يدع ذلك السندي قط وربما كان السندي هو المكلم له والفيل هو المتفهم عنه فذهب رزين الروضي من الغلط في كل مذهب والناس يكلمون الطير والبهائم والكلاب والسنائير والمراكب وكل ما كان تحتهم من اصناف الحيوان التي قد خولوها وسخرت لهم وربما رأيت القراد يكلم القرد بكل ضرب من الكلام ويطيعه القرد في ذلك وكذلك ربما رأيت يلقن البيغاء ضروبا من الكلام والبيغاء تحكيه وان في غراب البين تعجبا وكذلك كلامهم للذب والشاة المكية وهذه الاصناف التي تلقن وتحكي وقد روى الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم في كلام السباع والابل ضروبا ولم يذهبوا الي أنها نطقت بحروف مقطعة ولكن النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يكون أوحى اليه بحاجاتها واما أن تكون فراسته وحسه وتنبته في الامور مع ما يحضر الله من التوفيق بين له معاليها وجلاها له واستدل بظاهره على باطن ونبيه وحركة على موضع الحاجة واما أن يكون الله ألهمه ذلك إلهاما وأما جرة سليمان بن داود صلى الله عليه وآله وآله في المرفة بنطق الطير ومنطق كل شئ فلا ينبغي أن يكون ذلك الا أن يقوم منها في الفهم عنها مقام بعضها من بعض اذ كان الله قد خصه بهذا الاليم وأبانه بهذه الدلالة واعلام الرسل لا يكتر عددها ولا يعظم قدرها على أقدار فضل الانبياء فوق سليمان بن داود وأدنى ذلك أن داود ذوقه لان الحكم في الوارث والمورث والخليفة والذي استخلفه أن يكون المورث أعلى والمستخلف أرفع

كذلك ظاهر هذا الحكم حتى يخص ذلك برهان حادث وإنما تكثر العلامات
وتعظم على قدر طبائع أهل الزمان وعلى قدر الأسباب التي تنفق وتنبأ لقوم دون
قوم وهو أن يكونوا جبارة عناة واغبياء منقوصين أو علماء معاندين أو فلاسفة
محتالين أو قوما شتمهم من العادات السيئة وتراكم على قلوبهم من الآلف للامور
المردية مع لبث ذلك في قلوبهم أن تكون نجاتهم وملتهم ودعوتهم تحتل من
الأسباب والاحساب أكثر مما يحتمل غيرها من ذلك ان من الكفر ما يكون
عند المسئلة والجواب أسرع انتشاراً وأظهر انتقاضاً ومنه ما يكون أفئس شيئاً وان
كان مصير الجميع الى الانتقاض والى الفساد ومنه شيء يحتاج من المعالجة الى أكثر
وأطول وإنما يتفاضل العلماء عند هذه الحال وقد يكون أن يتقدح في قلوب الناس
عداوات وأضغان شبيهة بالتحاسد الذي يكون بين المنفقين في الصناعات وربما كانت
المداوة من جهة العصبية فان عامة من ارتاب بالاسلام انما كان ذلك رأى الشعوبية
والتماذى وطول الجدال المؤدى الى القتال فاذا أبغض شيئاً أبغض أهله وان أبغض
تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسأخ من الاسلام
اذا كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف، وتزعم الهند ان شدة غلة الفيل
وطول اقامته فيها وهجرانه الطعام والشراب وبقية تلك الطبيعة وعمل ذلك العرق
السارى هو الذى يمنع الفيل أن يصير فى مثل جسمه مرتين لان ذلك من أمتن
أسباب الهزال واذا تقادم ذلك فى بدنه وعب فيه عمل فى العظم والعصب ونفذي الشحم
واللحم وان كان رفع الصوت والصياح وكثرة الكلام والغضب والحدة يورث الهزال
لان البدن يسخن عن ذلك اذا شاعت فيه الحرارة أحرقت وأكلت وشربت ولذلك
صار الخصى من الديوك والانعام أسمن وزعدوا أنه ليس يمايش الناس من الحيوان
أقصر عمراً من المصفور ولا أطول عمراً من البغل والبنغل أسباب فليس يقع الظن
الا على قلة سنفاد البغل وكثرة سنفاد المصفور قالوا ونجد العمر الطويل أمراً خاصاً
فى الرهبان فنظن أيضاً تر كها الجماع من أسباب ذلك، قالوا واذا اعتلم الذك من
الحيوان فهو أخبث ما يكون لهما واذا كثر سنفاده تضاعف فيه ذلك وصار لحمه أبيض

منه قال الشاعر

أحب أن اصطاد ظييا سحبلًا * أو جرذاً برعى ربيما أرملا
بجملة أرملا لازوجة له فيكون أسمن له لان كثرة السناد يورثه الهزال ولا يكثر
سفاده الا من شدة غلته وهجا اعرابي صاحبه حين أكل لحم سوعت فقال
أكلته من عوث ومن قرم * كالورل السافد يفرى بالنسم

لان الورل يشبه لحم الضب وهم لا يرغبون فيه لانه عضل متشجج ولانهم كثير آما يجدون
في جوفه الحيات والافاعي وله ذنب سمين وذلك شر له وللورل في السفاد ما يجوز
به حد الجمل والخنزير قال والنسم والنسبم في هذا الموضع واحد وقالت فروة القرنية

نفي نسمة الريح القذا عن متونه * فما أن به عيب تراه لشارب
وأنا أعلم اني لو فسرت لك معاني هذه الاشعار وغريبها لكان أتم للكتاب وأنفع لمن
قرأ هذه الابواب ولكني أعرف مـلالة الناس للكتاب اذا طال قال الشاعر يهجو
من قراه لحم كلب

بجاء بحر شاوى شمير عليهما * كراديس من أوصال أعقر سافد

فلم يرض أن جملة كلبا حتى جملة سافداً فاما ابن الاعرابي فزعم أنه انما عني نيسا
وقد أبطل وعلى أن المعنى فيهما واحد قالوا وانما صار الخصى من كل شيء أسمن لانه
لايسفد ولا يهيج قال والسقمطور انما ينفع أكله اذا اصطادوه في أيام هيجه وسفاده
لان العاجز عن السفاد يتعالج بأكل لحمه فصار لحم الهياج أهيج له أقبل أبو نواس ومعه
الخزامى الكاتب وكان أطيب الخلق وقد كان قبل ذلك نزار الى الفيلة فأبصر غرمول
فيل منها وعلم الخزامى أن غرمول الفيل بوصف بالجدبة فوصف لنا غرموله وأنشدنا
فيه شعراً لنفسه

كانه لما بدا للسفد * جمعة تركي عليها لبد

قلنا له أقويت وأجريت ذكر اللبد على غير حاجة قال فاني قد قلت غير هذا فلنا
فأنشدنا فقال

كانه لما بدا للسفد * جمعة فيل لفت في لبد

قلنا فلا نرى لك بدا من اللبد على حال قال قال أبو نواس فاني أقول عنك بيتين قال
هاتهما فقال

كأنه لما بدا للوئبه * أبور أعيار جمن ضربه

قال الخزامي لابي نواس هبها الى على أن لاتدعيهما فوسى انتحلها ما قال وما ترجو من
هذا الضرب قال قد رأيت غرموه فما عذري عند الفيل ان لم أفل فيه شيئاً وحدثني
صديق لي قال رأيت الفيايين على ظهر فيل من هذه الفيلة فأقبل صبي يريد السندي
الراكب فكلم الفيل بالهندية فواتف ثم كلمه فمد يده رافعا في الهواء حتى ركبها الغلام
ثم رفع يده حتى مد السندي يده فأخذ بيد الصبي ولابقر والجواميس أربعة أخلاف
في مؤخر بطونها وللشاة خلفان وللناقة أربعة في مواخر البطن وللمرأة والرجل
والفيل نديان في الصدر وندي الفيل يصفر جداً اذا قرنته الى الفيل وللسنور ثمانية
أطباء وكذلك الكلبة في جميع بطنها والخنزيرة كثيرة الاطباء وللنهد في بطنها أربعة
أطباء وللمرأة طبيان لا يصفران عن مقدار بدنهما والبقرة والانسان والركمة والحجر
في ذلك سواء الا انها من الحافر أطباء ومن انظف اخلاف والسباع في ذلك
والحوافر سواء وقال صاحب المنطق غرمول الفيل يصفر عن مقدار بدنه وخصيته
لاحقة بكليته لا ترى ولذلك يكون سريع السناد وزعم الهندي صاحب كتاب الباه
أن أعظم الايورأير الفيل وأصغرهما اير الظبي وما أعجب ما قرأت لصاحب الحيوان
في كتاب المنطق وجدته قد ذكر قصر عتقه ولم يذكر انقلاب لسانه وذلك أعجب
ما فيه ولم ينظر في كم يضع ولا مقدار مدة حمله وكيف يخرج من بطن أمه نابت
الاسنان والفيلة لاتلد التوام قال وهي تفد وتفرد قال وقال بعض الدماء لا يقال أفدت
ولا أفردت الا لما يجوز ان يتم قال وأمراضها أقل من أمراض غيرها الا أن النفخ
والرياح يعرض لها كثيراً ويؤذيها أذى شديداً وعامة أمراضها من ذلك ولا سيما اذا
اكثرت منه فعادونه قال وربما ابتلمت الحجارة قال واذا أصابها استطلاق وسقيت
الماء الحار وعامت الحشيش الفسول واذا أتعبوها اعتراها السهر فتعالج عند ذلك بأن
تدلك أكتافها بزيت وبعضها يشرب الزيت شرباً ذريماً قال واذا تصعب الفيل وكان

في حدثان ما اقتطموه من الوحش فانهم ينزون عليه فيلا مثله ويختالون له في ذلك فما
 أكثر ما يجدونه بعد ذلك قد لان قال وهو مادام راكبه عليه فهو الين من كل ذي
 أربع وأحسن طاعة ولكن لبعضها صموبة عند نزوله عنه فاذا شددوا مقادير فوائدها
 بالحبال شداً قويا لانت قال وهي على صموبتها تانس سريعا وتلقن سريعا فأول ما
 يعلم السجود للملك فاذا عرفه فكلمها رآه سجد له فاما صدق الحس فهو يفوق في
 ذلك جميع الحيوان وهو والجل سواء اذا علما لان الانثى اذا لغحت لم يعاودها
 للضراب فهذه فضيلة مذكورة في حس الجمل وقد شاركة الفيل فيها وبأينه في خصال
 آخر واناث الفيلة وذكرها متقاربة في السمن وكذلك النساء والرجال وهو بحرى
 الطباع ونشأ في الريف فهو أجرد الجلد فلذلك يشتد جزعه في البرد فان كان أجرد
 الجلد فما قولهم في أحاديثهم طلبوا من الملك الفيل الابيض والفيل الابقع وجاء فلان
 على الفيل الاسود وأخبرني رجل من البجريين لم أرفيهم أقصد ولا أسد ولا أقل
 تكلفا منه قال لم أجدهم يشكون أن فيالا ضرب فيلا فأوجده فالح عليه وأنهم عند ذلك
 نهوه وخوفوه وقالوا لانتم حيث ينالك فانه من الحيوان الذي يحمده وبطالبل ولما أراد
 ذلك السائس القائلة شده الى أصل شجرة وأحكم وثاقه ثم نجي عنه بمقدار ذراع ونام
 ولذلك السائس حمة فنناول الفيل بخرطومه غصنا كان مطروحا فوضي على طرفه حتى
 تشعث ثم أخذه بخرطومه فوضع ذلك الطرف على حمة الهندي ثم لواها بخرطومه
 فلما ظن أنها تشبكت به وانمقدت جذب الهندي فاذا هو تحت رجليه خبطه خبطة
 كانت نفسه فيها فان كان الحديث حقا في أصل مخرجه فكذلك بالفيل معرفة ومكيدة
 وان كان باطلا فانهم لم ينخلوا الفيل هذه النحلة دون غيره من الدواب الا وفيه
 عندهم ما يحتمل عليه ويليق به قال والعرق الذي يسيل من جبهته في زمن من
 الزمان يضارع المسك في طيبه لا يمرض له وهو في غير بلاده وقد علمنا أن لرائحة
 الطيب فضيلة اذا كان بالمدينة وان الناس اذا وجدوا ريح النوى النقيع بالعراق هربوا
 منه وأن أهل المدينة ينتابون المواضع التي يكون فيها ذلك النماح الطيب تلك
 الرائحة وبزعم تجار التبت ممن قد حصل الصين والزنج وقلب تلك الجزائر ونقب في

البلاد أن كل من أقام بقصبة تبت اعتراه سرور لا يدري ماسببه ولا يزال مبتسما
 ضاحكا من غير عجب حتى يخرج منها وزعموا ان شيراز من جميع قرى فارس لها بنة
 طيبة ومن مشى واختلف في طرقات مدينة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وجد
 منها عرفا طيبا ونبته عجيبة لا تخفى على أحد ولا يستطيع أن يسميها ولو أدخلت كل
 غالية وكل عطر من المعجونات وغير المعجونات بقصبة الاهواز وقصبة انطاكية
 لوجدته قد تغير وفسد اذا أقام فيه الشهرين والثلاثة وأجمع أهل البحرين أن لهم
 تمرا يسمى الماتحي وأن من فضخه وجمعه نبيذاً ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغه
 عرفه حتى كأنه ثوب سخمي وزعم لي بعض البحرين أنها بالهند تكون نقالة
 وعوامل كعوامل البقر والابل والنقالة التي تكون في الكلا والسوق وأنها تذلل
 وتسامح وتطواع وأنها غلات من هذا الوجه وزعم لي ان أحد هذه الغيلة التي رأيناها
 بسر من رأى أنه كان لقصار بأرض سندان يحمل عليه الثياب الى المواضع التي
 ينسأها فيه ولا أعلمه الا الفيل الذي يمش به ماهان أوز كريا بن عطية قالوا وعظام
 الفيل كلها عاج الا ان جوهر الناب أثنى وأكرم وأكثر ما يرى من العاج الذي
 في القباب والحجال والفلك والمداهن إنما هو من عظام الابل يعرف ذلك بالرزانة
 والملاسة والعاج متجر كبير يتصرف في وجوه كثيرة ولو لا قدره لما فخر الاحنف
 ابن قيس فيما فخر به على أهل الكوفة حيث قال نحن أكثر منكم عاجا وساجا
 وديباجا وخرابا ويقال إنه من كلام خالد بن صفوان ويقال أنه من كلام أبي بكر
 الهذلي والفرس الكريم تقع الذبابة على موقى عينيه فيصفق باحدي جفنيه فتخر الذبابة
 ميتة وقال ابن مقبل

كان اصطفاق ماقيه بطرفته * صفاق أديم بالاديم يقابله

ويصبح الحمار فنصق الذبابة فتموت قال العباسي

من الحمير صق ذبابه * بكل ميثاء كتنريد المنن

وقال عقبه بن مكرم التلبي

وترى طرفها حدبدا بعيدا * أعوجيا لطن رأس الذباب

وقال ابن مقبل

ترى البعرات الخضر تحت لبانه * فرادى وشتى أصمقتها صواهلها
وأنشد في غير هذا الباب

واني لغاض بين شـ. بيان وائل * ويشكر انى بالفضاء بصير
وليس هذا موضع هذين البيتين وأنشد

أمسي المضاء وأهله في غبطة * ليسوا كما كان المضاء يقـ. ول
لا تخراً الذبان فوق رؤسهم * فاليوم تخـ. رأ فواها وتبـ. ول

وقال أبو الحسن قال قال دخل زياد داره وكان بناها فيل مولاه فلم يرض بناها فقال
ادعوا فيل فلم يجده فقال ليتها في بطن فيل وفيل في البحر وكان فيل مولى زياد شديد
اللاكنة وأهدى بعضهم الى زياد حمار وحش فقال فيل أصلح الله الامير أهدوا لنا
حمار وهش فقال أي شيء تقول ويملك قال أهدوا لنا ايرا يبنى عيرا فقال زياد الاول
أمثل وكان أبو مالك يقول الميثوم الفيل الاثني وذهب الى قول الشاعر
* وطئت عليك بخنفا الميثوم *

فدل قول علقمة بن عبدة على ان الميثوم من صفات الفيل وقال

يتبع حردبا اذا ما هيجت رحلت * كان رفا على العلياء مهزوم
اذا تزعم من حافظها ربيع * حنت سعاميم من أوساطها كوم
يهدي بها أسجج الخدين مخنبر * من الجمال شديد الخلق عيثوم

وقد أ. كثروا في ضرب المثل بعهد ما بين الجنسين وقال عبد الرحمن بن الحكم

أنفضب أن يقال أبوك عف * وترضي ان يقال أبوك زاني
وأشهد أن آلك من فريش * كآل الفيل من ولد الاذان

لجمل معاوية من نسل الفيل لشرفه وجعل زيادا من نسل الحمار لضعفه ولعمري لقد
باعد وكذلك قول الكهيت

وما خفت الضباب معطفات * على الحيات من شبه الحسول

قال فهذا أبعد وأبعد لانه وان ولد نزار عرب فهم في معني الذئاب وساكني الصحارى

وأولئك عجم فجلمهم كالسمك الذي يعيش في الماء ألا ترى أن معاوية بن أبي سفيان
ابن معاوية بن يزيد لما قتلته ضربة دست في أسنانه سمكة وقال جرير

ما بين تيم واسماعيل من نسب * الا قرابة بين الزنج والروم

فقال قطرب الصقابة أبرد قيل له أن جريراً لا يفضل بين الصقابة والروم إنما هو
على معنى قول الكميث * حتى يؤلف بين الضب والنون * وتقول العرب لا يكون ذلك
حتى يجمع بين الاروي والنمام لان الاروي جبلية والنمام سهلية وقال الكميث
يؤلف بين ضفدعة وضب * ويعجب أن نبرني أيدنا

وهذا هو معناه الاول وأبرد من هذا قول الشاعر

* حتى يؤلف بين الشاج والنار *

وقال أبو الحسن المدني قال أبو البرهان الملائي ثم الوقاصي قال ومدني بذلك الغيداق
عن الوقاصي قال قالت جارية لامها ليلة زفافها يا أمه ان كان أير زوجي مثل أير الفيل
كيف أحتال حتى أنتفع به قال فقالت الام أي بنية قد سألت عن هذه المسئلة أمي
فذكرت أنها سألت عنها أمها فقالت لا يجوز الا أن يجملك الله مثل امرأة الفيل
قال فسكنت حولاً ثم قالت لامها يا أمه فاني ان سألت ربي أن يجملي مثل امرأة
الفيل أتطمع ان يفعل ذلك قالت يا بنية قد سألت عن هذه المسئلة أمي فذكرت
انها سألت عنها أمها فقالت لا يجوز الا أن يجملي الله جميع نساء الرجال مثل نساء
الفيلة قال فسكنت عنها حولاً ثم قالت فان سألت ربي أن يجملي نساء جميع الرجال
مثل نساء الفيلة أتطمع ان يفعل ذلك قالت يا بنية قد سألت عن هذه
أمي فذكرت أنها سألت أمها فقالت لا يجوز الا أن يجملي الله جميع رجال
النساء مثل رجال نساء الفيلة قال فسكنت عنها حولاً ثم قالت فان سألت ربي أن
يجملي جميع رجال النساء مثل جميع رجال نساء الفيلة أتطمع ان يفعل ذلك قالت
يا بنية قد سألت عن هذه المسئلة أمي فذكرت أنها سألت أمها عنها وانها قالت
يا بنية ان الله ان جعل جميع الناس فيلة لم تجرد امرأة الفيل مع عظم بدنها من اللذة
الا بل ما تجدين أنت اليوم مع زوجك من اللذة ثم تذهب عنك لذة الشم والقبيل

والضم والمطر والصبغ والحلى والمشطه والعتاب والنفذية وجميع مالك اليوم فسكت عنها حولان ثم قالت يا أمه ان سألت ربي أن يجعل ابر الفيل أعظم أنطمعين أن يفعل ذلك قالت الام أي بنية قد سألت عن هذه المسألة أي فذكرت أنها سألت عنها أمها وأنها قالت أي بنية ان الله ان جعل ابر الفيل أعظم وجعل حر امرأة الفيل أوسع وأعظم فيعود الامر كله الى الامر الاول قال فسكت حولان ثم قالت يا أمه فان سألت ربي أن يجعل ابر الفيل أعظم غلثة فيصير عدداً كروامه أثير أنطمعين أن يفعل قالت أي بنية قد سألت عن هذه المسئلة أي فذكرت أنها سألت أمها عنها وأنها قالت أي بنية سلى الله أن يجعل زوجك أشد غلثة مما هو عليه ولاكن لا تسئليه ذلك حتى تسئليه أن يزيد في غلثك قالت يا أمه فان سألت أبي أن يجعله في غلثة التيس أنطمعين أن يفعل ذلك قالت أي بنية قد سألت عن مثل هذه المسئلة أي فذكرت أنها سألت عنها أمها وأنها قالت لا يجوز أن يجعله في غلثة التيس حتى يجعله تيسا قالت يا أمه فان سألت ربي أن يجعله تيسا ويجعلني عنزاً أنطمعين أن يفعل ذلك قالت بنية قد سألت عن هذه المسئلة أي فذكرت أنها زارت أمها تسئله عن هذه المسئلة فوجدتها في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وما أشك أن يبنى قد دنا فلم تلبث الا أياما حتى ماتت معناها في تسوية اللذة ودفنها بالحيلة

— باب الظلف —

وهي الظباء وهي ممز والممز أجناس والبقر الوحشي ذات اخلاف وهي بالمرز أشبهه منها بالبقر الاهلى وفي ذلك تسمى زماجا وايس بينها وبين الظباء وان كانت ذوات جرة وكروش وقرون وأخلاف تسافد ولا تلاقح وهي تشبهها في الشعر وفي عدم السنم ومن الظلف الوعل والتيتل والنامور والاييل جبليات كلها لا أدري كيف التسافد والتلاقح منها ومن الظلف الخنازير وهي لا كرش ولا جرة ولا قرون وليس بينهما موافقة الا في الظلف وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق فيقال هو المخالف بالذاب وتقدر الاشياء كلها وتشاكل الممز والبقر والظباء باشعر وقصر الذنب ويخالف البقر

والجواميس في طول الذنب وفي عدد أيام الحمل ومن الظلف الضأن والمعز وقد يكون بينهما تسافد وتلافح الا أنها تلقيه مليطا قبل أن يشر وذلك أقل من القليل ومن الظلف البقر الاهلي والجواميس وهي أهلية أبدا وهي موافقة للضأن في القرون وفي عدم الثباب والجرة والكركش وتخالف الضأن في الصوف والسنام وتوافق المعز في الشعر وتخالف السنام وتخالف جميع الغنم في الحمل لان الغنم تضع خمسة أشهر والبقر تضع كما تضع المرأة في تسعة أشهر وليس تشبه المرأة في غير ذلك الا ما يذكرون من الغيب وتو الكاهل فانها ربما كانا في بعض النساء وأكثر ذلك في نساء الدهاقين

﴿ القول في الزرافة ﴾

قالوا والزرافة تكون في أرض النوبة فقط قالوا وهي تسمى بالفارسية شتركاو بلنك كانه يعني بقرة لا كان وهو البقر واشتر الجمل وبلنك هو الضبع فزعموا ان الزرافة ولد النمر من الجمل فلو زعمتم ان الجمل يكوم الضبع ويكوم ماله ظلف ما كان الا كذلك والمساهفة في أجناس الخب والخف والحافر أعم فلو جعلوا الفحل هو النمر والاشئ هي الناقة كان ذلك أقرب في الوهم وليس كل ذكر يكون أنثى يلقحها وقد يكوم الانسان الدابة بشهوة منهما جميعا ولا يكون تلافح كما أتفق في المساهفة وان الراعي يكوم الغنم وغير الغنم وانظركم من ضرب ادعوا مما لا يعرف فواحدة ان بهما ذكر الشتمبي سبعا أنثى وهو من أصعب السباع ثم الثانية ان ألقح والثالثة ان ارحام النمر لا تتسع لاولاد الابل قالوا نمرهم عظام وابلهم لطاف وقد تتسع ارحام القلاص العربية لا وافح كرماني فتجي بهذه الجبارات ولولا أنه سبع لجاز أن يكون النمر يكوم الناقة فتتسع ارحامها لذلك قالوا وفي أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القليظ الى شرانق المياه فتسافد هناك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجبي من ذلك خلق كثير مختلف الصورة والشكل والقدر منها الزرافة وللزرافة خطم الجمل والجلد للنمر والاذلاف والقرن للابل والذنب لظبي والاسنان للبقر فان كانت أمها ناقة فقد كامها نمر وظبي وأيل في تلك الشرائع وهذا القول يدل على جهل شديد والزرافة طويلة الرجلين منحنية الى أواخرها وليس لرجليها ركبتيان وانما

الركبتان ليديها وكذلك البهائم كلها وعساها ان ارادت القيام والانسان ركبتاه في
رجليه ويقولون اشتراك للنعامه على التشبيه بالبعير والطائر يريدون تشابه الخلق
لا على الولادة ويقولون للجاموس كاو ماس على ان الجاموس يشبه الكباش والنور
لا على الولادة لان كاو بقرة وماس على شبيه الجواميس بالضأن لان البقر والضأن
لا يقع بينهما تلاتح والتفليس الذي في الزرافة لا يشبه الذي في النمر وهو باليت
اشبه وما الليث أحق به من هذا الوجه من الفهد فقد يمكن ان تسمح الضبع اللارنب
والكلبة للذئب وكذلك الثعلب والهمرة وكذلك الطير وأجناس الحمام كالورداني
والورشان والحمام وكالشهري من بين الحجر والبرذون والرمكة والفرس والبغل من
بين الرمكة والحمار فأما بروك الجمل على النمرة والجمل لا بد ان تكون طروقه باركة
فكيف تبرك النمرة للجمل والسباع انما تتسافد وتتلافح قائمة وكذلك الظلف والحافر
والنخاب والخف والانسان والنمساخ يتبطنان الاثني والطيور كله انما تتسافد وتتلافح
بالاستاه من خلف وهي قائمة وزعموا ان الغراب يزاق الجمل والقيح فرما أفعجا
الاناث اذا كانا على علاوة الريح ولا تكون الولادة الا في مواضع القاء النطفة وأما
السمكة فقد باين قوم معارضة الذكرا الاثني فاذا سبح الذكرا الى جنب الاثني عطف
ذنبه وعقفت ذنبها فيأتي الحياآن فتسكون الولادة حيث يكون التفقيح لا يجوز غير
ذلك والذين زعموا ان الحجلة تلتح من الجمل اذا كانت في سفالة الريح في شي
لنقصان مني الذكرا فأنما شبهوا الجمل بالنخل وان النخلة ربما لقتت من ربح كافور
النخال اذا كانت تحت الريح وسئل الشري عن مجازة ما بين القرون والجمل فقال
الابل والخليل من الحافر والبرثن والنخاب والتقدم التي هي الانسان فن خصال ذي
القرن ان منه ذا القرنين الملك المذكور في القرآن ويؤمن بعضهم انه الاسكندر وقال
أمية بن أبي الصات

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر الاخرى ولبث مرصد

وقال ضربه على قرنه وقرن من دم كما يقال قرن من عرق والقرن أمة بعد أمة والقرن
شيء يصيب فروج النساء يشبه بالعقلة والفيل من ذوات القرون وفي الحيات والافاعي

مالها قرون وانما ذلك الذي سمع به قرن انما هو شيء يقولونه على التشبيه لانه من جنس الجلد والفضروف ولو كان من جنس القرون لكانت الحية صلبة الرأس والحية اضعف شيء رأساً ورأسه هو مقتله لان كل شيء له قرن فرأسه أصاب وسلاحه اثم والقرون سلاح عتيق غير مختلف ولا مصنوع وهو لذوات القرون في الرأس وللذكر آذن قرن في جبهته والجد اموس اوثق بقرنه من الاسد بمخالبه ونابه وتقول الجوس يحيى سرقين على بقرة ذات قرون وظهرت الآية في شأن داوود وطالوت في القرن وشبور اليهود من قرن والبوق في الحروب التي منها كانت الحرب انما كان قرنا ويسمى الرجل ررق والروق كل شيء يضاف الى شيء وقال بشار في اليعاقب

أعقبه الجنوب روقا من الارب

وفي العرب روق وأبو روق وقال ابن ميادة

ذن له الروقان من وثل * وقبله دان له حمير

الروقان بكر وتغلب ويقال قرن الضحى وقرن الشمس وقرن الكلام وقرون السنبل وأطراف عنوق النخل وأطراف عنوق الخنازير وأبرة العنقرب كلها قرون والجناس التي لها قرون تكون قرونها في الذكور ومنها وقد يكون الفحل أجم كما ان الاحمام في الرجال وقد يكون منهم السنباط وقد تشعب قرون الظباء اذا أسنت وقرون الظباء وبقرة الوحش شداد جداً وانما تمدوا الاوعال في السلاح والوثوب وفي القذف بأنفسها من أعالي الجبال على القرون والاغلب على القرون ان تكون اثنتين اثنتين وقد يكون لبعض الغنم قرون عدة والجواميس تمنع أنفسها وأولادها من الاسد بالقرون وبقرة الوحش تمنع أنفسها وأولادها من كلاب القناص ومن السباع التي تطيف بها بالقرون قال الطرماح

أكل السبع طلاها فما * نسل الاسلام غير انهزام

وقال ابن النوسحار أقلت من خراسان في طرف الجبال فرأيت أكثر من ميلين في مواضع كثيرة من الارض أثر ستة أرجل فاضطرتني ذلك الى أن سألت المكارم فترجم أني الخنزير المذكور في زمان الهيج بركب الخنزيرة وهي ترتع أو تذهب نحو

مبيتها فلا يقطع سفاده أميالا ويدها على ظورها ورجلاه خاف رجليها من رأي ذلك
 الاثر رأى ستة أرجل لا يدري كيف ذلك قال فالخنزير في ذلك على شبه الذباب اذا
 سقطت على ظهر الاثني في طول السفاد وأن الجمل في ذلك له جيب الشان والدم
 في المصفر ويحكى أن للورل في ذلك ما ليس لشيء، يعني من القوة وأنشد أبو عبيدة
 في عظم ابر الفيل * وهو قوس وطول حبس اذا حبس *

قال عمرو بن سعيد فرس الماء يأكل التمساح قال ويكون في النيل خيول وفي تلك البحور
 يعني تلك الخلعجان مثل خيول البر وهي تأكل التمساح أكلا ذريما ولالاتمساح في وسط
 الماء سلطان يظهر الا على ما احتمله بذنبه من الشريعة قال وفرس البحر يؤذن بطولوع
 النيل بأثر وطء حافره خيث وجد أهل مصر أثر تلك لارجل عمر فوا أن النيل
 ينتهي في طلوعه الى ذلك المكان وهذا الفرس ربما رعى الزرع وليس يبدأ اذا رعى في
 أدنى الزرع اليه ولكنه يحرز منه بقدر ما يأكل يبدأ فيأكل بأكله من أقصاه فيرعى
 مقبلا الى النيل وربما شرب من الماء بعد الرى ثم قام في المكان الذي يرعى فيه فينبت
 أيضا راطير عندنا تأكل التوت وتذرقه فينبت من ذرقه شجر التوت قالوا واذا أصابوا
 من هذه الخليل فلوا صغيرا ربوه مع نسائهم وصبيانهم في البيوت ولم يزد على هذا
 الكلام قالوا وفي سنن من أسنانه شفاء من رجع المدة قال والنوبة وناس من الحبشة
 يأكلون الحمية نية بغير نار ويشربون الماء العطن فيمرضون فذاعلة واسن هذا أفانوا قال
 وأعفاج هذا الفرس يبرىء من الجنون والصرع الذي يمتري مع الالهة قال وكذلك
 لحوم بنات عرس صالحة لمن به هذه الهمة قال وانما يكون الانسان من مصائد الذئب
 اذا اقيه والارض ثلجاء فانه عند ذلك يخفش وجه الارض ويحجمه ويضرب وجهه
 الارض فارسا كان أو راجلا قال ودقائق الثلج وغباره اذا صك وجه الفارس صدر
 واسترخى وتحير بصره فاذا رأى ما يدحرج به فربما بهج بطن الدابة وربما عضها
 فيقبض على الفارس فيصرعه ولا حراك به فيأكله كيف شاء الا أن يكون الفارس
 مجربا ماهرا فيشد عليه عند ذلك بالسلاح وهو في ذلك يسير ويقطع المغازة ولا بدعه حينئذ
 يتمكن من النفر عليه وزعم عبويه أن الخصى العبدى النقيه من أهل همدان السوداني

الجبلي وهو رجل من العرب قد ولدته حليلة ظئر النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بني
 سعد بن بكر فزعم أن السوداني أشبه خاق الله بجارحة وأحكامهم بتدبير ذئب وكلب
 وأسد ونمر وتلاميذ وشقيف وأنه بلغ من حدقه ورفقه أنه ضري ذئبا وعلمه حتى اصطاد
 له الظباء والشعالب وغير ذلك من الوحوش وأن هذا الذئب بعينه سرحه فرجع إليه
 من ثلاثين فرسخا وذكر أن هذا الذئب اليوم بالعسكر وحدثني بهذا الحديث في
 الأيام التي قام بها أمير المؤمنين المتوكل على الله وذكر أنه ضري أسدا حتى ألف
 وصار أهليا صيودا حتى اصطاد الحمير والبقر وعظام الوحش صيدا ذريما إلا أن
 الأسد بهد هذا كله وثب على ولد له فأكله فقتله السوداني والذي عندنا في الذئب
 أنه يألف ولو أخذ انسان جرأ صغيراً من جرائه ثم رباها لما نزع الاوحشيا غداً ورأ
 مفسداً ولذلك قال الاعرابي

أكلت شويهي ونشأت فينا * فمن أبالك أن أباك ذيب

فالذي حكى عبوية من شأن هذا الذئب والاسد من غريب الغريب وأخبرني عبوية
 صاحب ياسر الخادم قال أرسلت كلبة لي خاضرت ثعلبا فوالله ان زالا كذلك حتى
 نخرا ميتين قال فقلت أكرم بهما صيدا ومصيدا وطالبا ومطلوبا قال واذا أسن القرشي
 وحل الى الحجاز وقال ما احتنك رجل قط الا أحب الخلوة وقالوا ما فكر فيلسوف
 قط الا رأي الغربية أجمع لهمه وأجود لخواطره قال وشتم رجل الارضة فقال بكر
 ابن عبد الله المزني مه فهي التي أكلت جميع الصحيفة التي تعاقد المشركون فيها على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ذكر رسول الله وبها تبينت الجن ان لو كانوا يمانون
 الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وبها تكشف أمرها عند العوام بعد الفتنة والمظيمة
 عندهم وكان على الخاصة من ذلك أعظم الحزن وخبرني رجل من بني هاشم كان منهموما
 بالصيد لهجا به أنه ضرب وسط ضب بالسيف فقطعه نصفين فتعرك كل واحد
 منهما على حياله ساعة من نهار ثم سكنا وأخبرني أنهم كانوا يهاشون بين الضب
 والورل فيأمنه الورل حتى يقتله وحكي أن الورل يقتل الضب على معني الصائد والطالب
 وأن الضب يقاتل على معني المخرج وأنه هارش بين الورل والحية فوجد الورل يقتل

الحية ويأكلها ويقتل الضب ولا يأكله ولكنه حسوله وزعم أنه وجد مشانخ الاعراب لا يقتلون ورلا ولا تفنذاً ولا يدعون أحداً يصطادها لانهما يقتلان الافاعي ويربحان الناس منها وأنشد أبو عبيدة لابي ذؤيب

وسود ماء المزن منها فلونه * كلون الثور وهي بيضاء - ارها
وأنشد شبيها به للناطقة

يجاب ليصيد من أشدائها * صفر مناخرها *

وأنشد شبيها بذلك لابراهيم بن هرمة

كانها اذ خضبت حنا ورم * من حرض والحرم^(١) والمعصم
* وأنشد أيضاً *

تملم الاكل اولاد الظباءها * فأيحس بها سيد ولا أسد
* وأنشد *

ذكرتك ذكراً فاصطدت ظيباً * وكنيت اذ ذكرتك لا أخيب
منحتكم المودة من فؤادي * ومالي في مودتكم نصيب

وقال ابن مقبل

وكم من عدو قد شققت قبضه * باسمر عزال اذا هز عامله
وقال أيضاً ولم اصطبغ صبها صافية القدي * با كدر من ماء اللهاة والعجب
ولم أسر في قوم كرام أعزة * غطارفة شم المرانين من كلب
اللهاء والعجب ما آن من مياه كلب موصوفان بالمدوبة وهي في ذلك كدرة وأنشد
ابن سروع لعمدي بن عطيف الكلي وكان جاهلياً

أكان الليل والنهار معاً * والدهر يمدو على الفتى جزعا
والشمس في رأس فلانة نصبت * رفعها في السماء من رفعها
كجا سطا بالأنام عاد وبالحدج * ر وأرجا لتبع تبعها *
فليس مما أصابني عجب * ان كنت شيئاً أنكرت أو صنعا
قال هو عاد بن عوص بن أيدوسطا بالحجر أي أتى بأهل الحجاز وأرجا أي آخر
(١١ - حيوان - سابق)

والارجاء التأخير وقال كعب بن زهير

فم مقلدها عبل مقيدها * في خلقها عن بنات الفحل تفض
حرف أخوها أبوها من مرجنة * وعمها خالها قوداء شليس

وقال سالم بن دارة

حدوت بهم حتى كان رقابهم * من السير في الظلاء خيطان - و

وقال بعض المحدثين

وقد شربوا حتى كان رقابهم * من اللين لم تخاق لهن عظام
(وقال آخر)

كان هامهم والنوم واضعها * على المناكب لم آمد بأعناق

وقال الحكيم

وفي الديات اذا ما السنو * نأق من برهما كل كل
لعمام يقول له المدافو * ن هذا المقيم لنا المرحل

وقال أيضاً

الطيبو ترب المفار * س والمنابت والباسر
والساحبون اللاحقو * ن الارض هدا ب المآسر
أنتم معادن للخلاد * ة كبراً من بعد كبر
بالتسعة المتتابعي * ن خلأفا وبخير عاشر

وقال أيضاً

مكرم قوله للزائرين له * أعشبت فانزل الى معلوبة

ذهب الى قوله

مستأسد ذئابه في غيطل * يقان للرائد أعشبت انز

ولكن أنظر كم بين الديباجتين وفي الاول ذهب الى قول الاعشى

اذا الحبرات تلوت بهم * وجروا أسافل هداها

قال فان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون كونوا باها كالحمم والى الرجل

منهم يدعو لصاحبه يقول أقل الله فطنتك قال وهذا يخالف قول عمر رضی الله عنه حين قيل له أن فلانا لا يعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه وقال النابغة الذبياني ولا يحسبون الخير لا شر بعده * ولا يحسبون الشر ضربة لازب وقال الآخر

ولا تعذراني في الاساءة انه * شرار الرجال من يسى، فيعذر وقالت امرأة ترضى عمير بن معبد بن زرارة

أعين ألا فابكي عمير بن معبد * وكان ضروبا باليدين وبالييد تقول بالسيف وبالقداح لان القداح تضرب باليدين جميعا وقال ابن مقبل وللفؤاد وجيب عند أبهره * الدم الوليد وراء الغيب بالحجر وقال ابن أحر

* وفؤاده وجل كمرف الهدهد *

وكان حسان يقول لغائده طعام يد أو طعام يدين طعام يدين الشواء وما أشبه ذلك وطعام اليد انثريد وقال بعض السلاطين لغللام من غلمانہ وبين يديه أمير اضرب قال بيد أو يدين قال بيد فضربه بالسياط قال أحسنت فانت حر وزوجه وأعطاه مالا وكان فرج الحجام مولى جعفر بن سائبان اذا حججه وأخذ من شعره لم يتكلم ولم يتحرك ولم يأخذ في شيء من الفضول فقال له جعفر ذات يوم ما اسمك يا حجام قال فرج قال وما كنتيك قال لا أكتني بحضرة الامير قال فهل تحتجيم قال نعم قال متى قال عند الهبيج قال وهل تعرف وقت الهبيج قال في أكثر ذلك قال فأى شيء تأكل عند الحجامه قال أما في الصيف فسكباجة عذبة محضة وأما في الشتاء فداكراجة خائرة حلوة فأعتقه وزوجه ووهب له مالا وكان قاطع الشهادة ولم يكن أحد من مواليه أن يشهده الا على ما يختلف فيه الفقهاء وهو الذي ذكره أبو فرعون فقال

خلوا الطريق زوجتي امامي * أنا حمام فرج الحجام

وكان أهل المدينة يقولون لا نرى الانصاف الا في حانوت فرج الحجام لانه كان لا يلتفت الى من أعطاه الكثير دون من أعطاه القليل وبقدم الاول فالاول حتى يأتي

على آخرهم على ذلك يأتيه من يأتيه وكان المؤخر لا يفضب ولا يشكو وقال ابن
مقوم الضبي

وإذا تعامل بالسياط جياذنا • أعطاك نايّة ولم يتعامل
فدعوا نزال فكنت أول نازل • وعلى ما أركبه إذا لم أنزل
ولقد أفدت المال من جمع امرئ • وعففت نفسي عن كريم المأكل
ودخات ابنة الملوك عليهم • وشر قول المرء ما لم يفعل
وشهدت معركة الفبول وحو لها • أبناء فارس بيضها كالأبل
منسربلى حلق الحديد كأنهم • حرب مقاذفة لشحم الخنظل
تم المصحف السابع من كتاب الحيوان وتأممه تم الكتاب والحمد لله على حسن
الختم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام

— يقول مصححه عفا الله عنه —

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده (وبعد) فقد تم بعون الله
وتأييده ونوقيقه وتسديده طبع هذا الكتاب الجليل على نفقة ذى الرأى الصائب والفكر
الثاب محيى رفات المعارف بعد اندراسها ومجد دروسوم الفضائل بعد انطامها
حضرة (الحاج محمد أفندى ساسى المغربى التونسى) وفقه الله
لمثل هذه الاعمال وكان الفراغ من طبعه فى أواخر

رجب الفرد من شهر سنة ١٣٢٥

هجريه والحمد لله كثيراً